قصص

المصباح

المضيء

الاجزء

١-٥

٢٠٢٤

جمال شاهين

قلب الوطن

حكايات الفوارس

روايات اجتماعية

روايات جنائية

حديقة الازهار

جواهر القصص

قصص اخرى

المكتبة الخاصة

جمال شاهين

قصص المصباح المضيء

الجزء ١

٢٠٢٤

قلب الوطن

حكايات الفوارس

روايات اجتماعية

روايات جنائية

حديقة الازهار

جواهر القصص

قصص اخرى

المكتبة الخاصة

اعداد

جمال شاهين

قصص المصباح المضيء

الجزء الأول

قال النبي ﷺ إن الله تعالى خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض، فجاء بنو آدم على قدر الأرض، منهم الأحمر والأسود والأبيض وبين ذلك، ومنهم السهل والحزن وبين ذلك، وإنما سمي آدم لأنه خلق من أديم الأرض، وخلق الله تعالى جسد آدم، وتركه أربعين ليلة، وقيل: أربعين سنة ملقى بغير روح، وقال الله تعالى للملائكة: " إذا نفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين " " الحجر: ٢٩ " فلما نفخ الروح، فسجد له الملائكة كلهم أجمعون " إلا إبليس أبى واستكبر، وكان من الكافرين " " البقرة: ٣٤ " ولم يسجد كبراً وبغياً وحسداً، فأوقع الله تعالى على إبليس اللعنة والاياس من رحمته، وجعله شيطاناً رجيماً، وأخرجه من الجنة ..،وأسكن الله تعالى آدم الجنة، ثم خلق الله تعالى من ضلع آدم حواء زوجته، وسميت حواء لأنها خلقت من شيء حي. فقال الله تعالى له: " يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة، وكلا منها رغداً حيث شئتما، ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين " " البقرة: ٣٥ " ثم إن إبليس أراد دخول الجنة ليوسوس لآدم، فمنعته الخزنة، فعرض نفسه على الدواب أن تحمله حتى يدخل الجنة ليكلم آدم وزوجه، فكل الدواب أبى ذلك غير الحية، فإنها أدخلته الجنة بين نابيها، وكانت الحية إذ ذلك على غير شكلها الآن، فلما دخل إبليس الجنة وسوس لآدم وزوجه، وحسن عندهما الأكل من الشجرة التي نهاهما الله عنها، وهي الحنطة، وقرر عندهما أنهما إن أكلا منها خلدا، ولم يموتا، فأكلا منها، فبدت لهما سوءاتهما، فقال الله تعالى " اهبطوا بعضكم لبعض عدو " " الأعراف: ٢٤ " آدم وإبليس والحية، وأهبطهم الله من الجنة إلى الأرض، وسلب آدم وحواء كل ما كان فيه من النعمة والكرامة.(هذه احدى الخرافات والله اعلم)

ولما هبط آدم إلى الأرض، كان له ولدان: هابيل وقابيل. ويسمى قابيل قاين أيضاً، فقرب كل من هابيل وقابيل قرباناً، وكان قربان هابيل خيراً من قربان قابيل، فتقبل قربان هابيل ولم يتقبل قربان قابيل، فحسده على ذلك، وقتل قابيل هابيل، وقيل بل كان لقابيل أخت توءمة، وكانت أحسن من توءمة هابيل، وأراد آدم أن يزوج توءمة قابيل بهابيل، وتوءمة هابيل بقابيل، فلم يطلب لقابيل ذلك، فقتل أخاه هابيل، وأخذ هابيل، توءمته، وهرب بها» «*المختصر في أخبار البشر*»

﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٢٣)﴾

قصص من السنة

عاقبة الغش

قال رسول الله – ﷺ –: «إِنَّ رَجُلًا كَانَ يَبِيعُ الْخَمْرَ فِي سَفِينَةٍ وَكَانَ يَشُوبُ الْخَمْرَ بِالْمَاءِ وَمَعَهُ قِرْدٌ، فَأَخَذَ الْكِيسَ فَصَعِدَ الدَّقَلَ فَجَعَلَ يُلْقِي دِينَارًا فِي الْبَحْرِ وَدِينَارًا فِي السَّفِينَةِ حَتَّى جَعَلَهُ نِصْفَيْنِ». (حم ، س ص)

الدَّقَل: خشبة يُمَدُّ عليها شِرَاعُ السفينة.

لم تكن الخمر محرمة في شريعة ذلك الرجل، وكذلك كانت في أول الإسلام.

من عبر القصة: تحريم الغش كخلط اللبن بالماء ، المال الحرام قد يهلك في الدنيا قبل الآخرة.

آية كرامة

عن أبي هريرة ﷺ قال: «أَصَابَ رَجُلاً حَاجَةٌ فخَرَجَ إلى الْبَرِّيَّة، فقَالَتْ امْرَأَتُه: «اللهُمَّ ارْزُقْنَا مَا نَعْتَجِنُ وما نَخْتَبِزُ، فجَاءَ الرَّجُلُ والجَفْنَةَ ملأَى عَجِينًا، وفي التَّنُّور الشِّوَاء، والرَّحَى تَطْحَنُ، فَقَالَ: «مِنْ أَيْنَ هَذَا؟»، قالتْ: «مِنْ رِزْقِ الله»، فَكَنَسَ مَا حَوْلَ الرَّحَى، فقال رسول الله ﷺ : «لَوْ تَرَكَهَا لَدَارَتْ أو طَحَنَتْ إلَى يَوْمِ القِيَامَة». (ط)

الجَفْنَة: إناءٌ كبير يُعْجَن به، ويقدم به الطعام. التَّنُّور: الفرن يُخْبَزُ فيه. الشِّوَاء: اللَّحم الصالح للشواء.

ميت أحياه الله

قال رسول الله ﷺ: «خَرَجَتْ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيل حَتَّى أَتَوْا مَقْبَرَةً لَهم مِن مَقابِرِهِمْ، فَقَالُوا: «لَوْ صَلَّيْنَا رَكْعَتَيْنِ ودَعَوْنَا اللهَ ﷻ أَنْ يُخْرِجَ لَنَا رَجُلًا مِمَّنْ قَدْ مَاتَ نَسْأَلُه عَنِ الْمَوْت». ففعلوا. فَبَيْنَمَا هُمْ كذلك إذْ أَطْلَع رجُلٌ رأْسَه مِن قَبرٍ مِن تِلْكَ المقَابِر، خِلَاسِيّ، بَيْنَ عَيْنَيْهِ أَثَرُ السُّجُود. فَقَال: «يَا هَؤُلاء مَا أَرَدتُّم إِلَيَّ؟ فقَد مِتُّ مُنْذُ مائَة سَنَةٍ، فما سَكَنَتْ عَنِّي حَرَارَةُ الموْتِ حتَّى كَانَ الآنَ؛ فادْعُوا اللهَ ﷻ لِي يُعِيدُنِي كَمَا كُنْتُ». أحمد في (الزهد) وصححه الألباني. خِلَاسِيّ: أسمر اللون.

من عبر القصة: قدرة الله على إحياء الموتى، يستحب لمن أراد أن يدعو بأمر عظيم أن يصلي قبل دعائه ركعتين.

- إثبات الكرامة لعباد الله الصالحين ولكن لا تكون الكرامة إلا للأولياء الأتقياء؛ فخوارق العادات قد تجري على يد أفسد أهل الأرض.

دعاء

قَالَ كَتَبَ الْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ إِلَى مُعَاوِيَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ إِذَا فَرَغَ مِنَ الصَّلاةِ وَسَلَّمَ قَالَ « لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ اللَّهُمَّ لاَ مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ وَلاَ مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ وَلاَ يَنْفَعُ ذَا الْجَدِّ مِنْكَ الْجَدُّ ». ق

{رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ} .

{وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا}

أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: مَنْ دَخَلَ السُّوقَ، فَقَالَ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ يُحْيِي وَيُمِيتُ، وَهُوَ حَيٌّ لاَ يَمُوتُ، بِيَدِهِ الخَيْرُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، كَتَبَ اللهُ لَهُ أَلْفَ أَلْفِ حَسَنَةٍ، وَمَحَا عَنْهُ أَلْفَ أَلْفِ سَيِّئَةٍ، وَرَفَعَ لَهُ أَلْفَ أَلْفِ دَرَجَةٍ. الترمذي

قصص وحكايات الفوارس

حسان والطير الذهبي

الحلقة ١

حسان ابن التاجر عبد الرحمن

كان في ذلك الزمان البعيد في بلاد النيل تاجر مشهور ، وعنده مال وفير لا تأكله النيران، وما كان بخيلا على أهله والجيران ، وكان في نفس الأوان محبا للفقراء والمساكين ، وما يبخل عليهم بالصدقات والطيبات، وأعطاه رب العباد ثلاثا من الأولاد ، فأحسن تربيتهم وأجاد ، وما قصر في تعليمهم وحاد ، وكان يبذل الرخيص والغال من أجل أصدقائه وإخوانه التجار، فهو يعيش في نعم من رب البرية، وما كان مقصرا في الشكر والحمد والثناء على خالق السماء ، وله ولد يبلغ من السنوات خمسا وعشرين ، وهو معتدل القوام جميل الهيئة ذو حسن في النطق والكلام، وكما قيل كثير من التجار يرغبون بتزويجه من فتياتهم ؛ ولكنه يأبى ويحيد عن الزواج حتى يأذن رب الناس ، فيصرف أباه والناس عن مثل هذا الكلام ، وكان مع أبيه في الدكان ، فهو يتقن فن البيع والشراء وتحصيل الأموال ، وعندما يسأل عن سبب عدم رغبته في النكاح يقول : إني بهن راغب وما حرمت على نفسي ما أحل الله على عباده ؛ ولكنني أرغب بزواج أنثى من غير هذه البلاد .

فيعرض عليه التاجر الكبير عبد الرحمن بأن يجلب له عروسا شامية أو حلبية أو مقدسية مع رفقة من التجار .

فيرد على أبيه قائلا : يا أبتاه ! سأجلب عروسي بنفسي عندما يحين الأوان .

وكان الأب الكريم لا يحب الضغط عليه والأكراه خشية أن يسافر مع التجار للبحث عن امرأة يسكن إليها وتسكن إليه فيتركه ، ويجعل له الحرية والاختيار ، وكما تقول الأخبار كم من فتاة باعته هواها ، وعرضت نفسها حليلة له على سنة الله والكتاب ، فيعتذر لهن بأدب جم وكمال بأن الوقت ما حان ، هذا ما كان قبل مجيء تجار من بغدان ، ويسمع حديثهم الفتى المسمى حسان . ذات يوم

من الأيام كان صاحبنا في وليمة عند ابن أحد التجار الأصحاب ، وبعد تناول أصناف مختلفة من الطعام والشراب دار الحديث عن النساء والزواج والحسنوات ، وقيل في ذلك المجلس من أوزان الشعر أبيات وكثرت فيه الحكايات ، وكانت هذه الدعوة على شرف ابن تاجر قادم من العراق ، فلما جاءه الدور في الكلام والأخبار قال : يا سادة يا كرام عندي حكاية عجيبة وغريبة في بلاد ما بين النهرين .

سكت القوم كأن على رأسهم الطير فقالوا : يا عراقي أسمعنا غرائب ما عندكم بعدما سمعت حكايات أهلنا ونيلنا ؟

فقال العراقي : آ .. اخوتي عندنا مدينة اسمها البصرة .. فيها أميرة جميلة ، لا يصف جمالها مثلي فإني لست بشاعر أو كاتب .. ولكنها كما يخبر ويشاع جميلة وفاتنة ، وفوق ذلك يشار إليها بالأدب والشجاعة والإحسان .. ولها في كل أسبوع عادة غريبة ، وهذه العادة جولة في المدينة ، وخاصة في أسواقها القديمة ، وبعض أحيائها ، وهي كاشفة عن وجهها للعيان ، ولا ترد خاطبا ليدها ؛ ولكن لا تقبل إلا مهرا عجيبا .

فقالوا : يا عراقي ما هذا الصداق العجيب ؟!

فقال العراقي : يا أحباب .. مهر هذه الفتاة هو طير أو بلبل ذهبي عند ملك من ملوك بلاد الصين ، والحصول على هذا الطائر الذهبي ليس سهلا بل دونه الموت أو الضياع ، وهي لا تطلب مهرا سواه .. ولقد سمعنا أن بعض الناس ذهبوا لإحضاره من تلك البلاد ؛ ولكن ما عدنا نسمع عنهم من خبر ونبأ .

خيم الصمت على السامعين مندهشين لهذه الحكاية وهذا المهر ، ثم تكلم حسان الذي ذهب به خياله إلى العراق والصين فقال : يا عراقي شوقتني إلى هذه الأميرة .. فهل جمالها وحسنها وأدبها كما قلت وتستحق المغامرة والعناء ؟

رد العراقي بحماس : إي والله .. إنني رأيتها بأم رأسي ، لولا عجزي وضعفي لطرت لبلاد الصين وحصلت على ذلك الطائر الذهبي وقدمته لها لأحظى بليلة قربها .

فعاد الشاب حسان بن عبد الرحمن يقول : يا قوم لقد شوقني هذا العراقي إلى تلك الحسناء مع زهدي في النساء فما تقولون ؟!

فقال أحدهم : ولكن يا حسان .. فيها موت أو ضياع .

فرد بقول الشاعر : ومن يطلب الحسناء لم يغله المهر .. وأنا أحب المغامرة فما أنتم قائلون ؟

فرد آخر : الأمر إليك .. واسأل أباك وأمك يا ابن الكرام .

فقال حسان : أيها العراقي أدعوك لزيارتي ومقابلة

أبي ليسمع منك قصة الأميرة البصرية، وعندما ترجع لبغدان سأرافقك بمشيئة رب البرية .. فأنا معك إن شاء الله .. فالسياحة في الأرض عبادة .

وعاد بطل قصتنا إلى بيته ليلا مهموما مشغول البال والفكر عاشقا للمغامرة ولتلك الحسناء البصرية ، وبعد صلاة الفجر جلس مع أبيه وأمه وذكر لهم قصة العراقي عن البنت البصرية ، وعن رغبته في الذهاب إلى العراق ومشاهدة تلك الأميرة على أرض الواقع ؛ فإن كانت تستحق المغامرة فلسوف يصل الصين ويجلب لها الطير مهما كان الثمن الذي سيدفعه ، وبعدما سمع الوالدان الخبر أصابهما الوجوم ، ثم قال الأب عبد الرحمن : أراك عاشقا يا ولدي على السماع ! وبهذه السرعة الخاطفة ، ومن قبل أن تراها وتعرفها ؟! ورغم ما سمعت منك من الكلام دعنا ننظر في الأمر مليا.. وعجل لنا برؤية هذا العراقي لنسمع منه القصة ، ولماذا قصها أمامك؟ .. ونريد أن نتوثق من حكايته .. فلا تتعجل يا ولدي ! فحسناوات النيل كثيرات ويرضين بالزواج منك بدون عصفور صيني ، وبلا تعب ، وبلا سفر ، واحذر مهاوي العشق والغرام ، ومن بنات الملوك والأمراء .

قال حسان بعدما سمع هذا الكلام : يا أبتي جزاك الله خيرا على نصحي .. وعندما تسمع صاحبنا العراقي يكون بيننا القول الفصل والكلام .. واسمحوا لي بالانصراف فقد حان وقت العمل وفتح الدكان .

وبعد أيام كان حسان قد جهز نفسه للرحيل مع التاجر العراقي إلى بغداد عاصمة ملك آل العباس أعمام النبي محمد صلى الله عليه وسلم سيد ولد عدنان ، وقد استسلم الأب عبد الرحمن لهذه المغامرة بعدما رأى عزيمة ولده على الرحيل للبصرة ، فقدم الأب للولد المال والإرشاد اللازمين ، وحذره من العجلة واتباع خطوات الشيطان ، والذي دفع الأب للاستسلام لهذه الرحلة والسفر هو رغبته الأكيدة في أن يرى ولده حسان متزوجا كسائر اخوته ، وخشي أن يكون عقبة أمام زواجه ، فيزداد تمنعا ورفضا للنكاح ، وأيضا كان للولد رغبة قوية بالزواج من خارج القطر والمصر، فوافق بعد جدال ونقاش مع حسان والاخوة والأم ، فاتفق أن يسير حسان بصحبة العراقي الذي اجتمع بوالد حسان ـ وقص عليه حكاية الأميرة العراقية ـ لينظر الفتاة البصرية، ووجد عبد الرحمن أن الممانعة والمعارضة لن تنفع ولده وقد صمم على المغامرة مهما كلفت ، والحياة تجارب ومغامرات ، فزوده بالمال والنصح وهو راض عنه كل



الرضا ، وكذلك استسلم اخوته وأمه لسفره ومغامرته المجهولة النتائج رغم لوعة الفراق .

ولما تجهزت القافلة العراقية بالبضائع المصرية سار برفقتها حسان مصاحبا للعراقي ، واستغرقت الرحلة أكثر من شهر ونصف حتى وصلت بغداد مدينة السلام أم الحضارات والتاريخ العريق ، وكان حسان قد مر على مدن عجيبة وجميلة خلال الرحلة فقد رأى غزة وبيت المقدس ودمشق الشام وفتن عندما رأى بغداد العامرة بأهلها وبتاريخها ، وتمنى لو كانت الرحلة لهذه المدن الجميلة طويلة حتى تمتلئ عيناه من جمال وروعة تلك المدائن الإسلامية الرائعة؛ ولكن رحلته مع القافلة التجارية لم تحقق له هذه الأمنية ، ولم يمكث في المدن أكثر من اللازم والوقت المناسب لراحة البغال والجمال ؛ ولكنه اضمر في نفسه زيارة هذه المدن الجميلة بعد انتهاء مغامرته وبقائه حيا يرزق ، استضافه صديقه البغدادي في بيته أجمل ضيافة ، وسر والده بالضيف المصري، ورحب به بحرارة ودفء ، وسمع سبب مجيئه إلى بغدان فقال : يا ولدي دعك من هذه الأميرة .. وأنا أزوجك فتاة بغدادية من بنات الأكابر أجمل وأزكى منها وبدون تعب ورهق وطير ذهبي .

فشكره حسان وشكر نصحه وأثنى على مرؤته وقال : يا والدي لا ترضى لي بأن ارجع إلى أهلي خائبا وبدون الأميرة إن راقت لعيوني وقلبي ، ولا بأس من المحاولة لعل الدهر يضحك لي .. وإن فشلت في رحلتي سأمر عليكم وأتزوج من بلادكم .. ولولا أن قدر الله لي سماع القصة من ولدك ماجد ما فكرت بالنكاح .. وكان نعم الأخ والصديق في مصر وفي العراق وفي الطريق .. وأرجو أن تسمحوا لي بالسفر إلى البصرة غدا بعون الله .

فقال والد ماجد : انتظر سبعة أيام ، فثلاثة ليال لا تكفي للتعرف على بغداد وحواريها ودروبها وقصورها ومكتباتها وعلمائها ومساجدها .

فقال حسان بأدب : يا والدي ألا يكفي هذا ؟! أنا أتيت لغاية وإني في شوق لتحقيقها .. وبارك الله فيكم .. وإني عاجز عن شكركم ورد جميلكم .

فأجابه الأب بخجل : أخجلتني يا ولدي ! .. نحن أخوة في الدين .. وكم أكرمنا أهل مصر من قبل عندما كنا ننزل بلادكم! .. وقد حدثني ماجد عن حسن معاملتكم معه في بلادكم ، بل شكركم واجب علينا .. ولست أدري هل يجب أن ينزل ماجد معك البصرة ؟

قال ماجد : كنت سأذهب بصحبته يا أبي؛ ولكنه أقسم أن لا أذهب معه .. ويجب أن يسير وحده .. ولا أستطيع إلا أن أبر بقسمه ؛ وأعطيته خطابا لبعض أصحابنا في البصرة ليساعده ويعينه في تلك

المدينة .

رد الأب قائلا : أحسنت يا ولدي .. وهل أوصيت عليه صديقنا جعفر الموج ؟

رد الابن : فعلت يا والدي .

قال الوالد مرة أخرى: أحسنت ثانية يا ولدي ! ويا ولدي يا حسان إذا احتجت لمساعدة فلا تستح منا ؛ فأنا مثل والدك وحقك فرض علينا .. لو أستطيع طلب هذه الأميرة لك بدون هذه البدعة لفعلت أيها الابن العزيز .. اصحبه يا ماجد إلى طرف المدينة ، وأوصي عليه من تراه مغادرا من التجار للبصرة حتى لا يقطع الطريق وحيدا .. أم تريد أن تركب النهر .

رد حسان : سأنزل عليها بالبر يا والدي العزيز .

دعا له الأب بالسلامة والتوفيق ، ومع الصباح الباكر كان يغادر بغداد في طريقه للبصرة ، وبعد أيام وفي الليل كان يدخل البصرة تلك المدينة القريبة من خليج البحر، فنزل فندقا في وسط المدينة أرشده إليه التجار الذين رافقهم من بغداد وقضى أول ليل فيه وفيها، ولما أصبح النهار كان يوم سبت فتزيا بزي العراقيين حتى لا يبدو غريبا في المدينة مع كثرة الأغراب في شوارعها ، فهناك الهنود والعجم بألوانهم المختلفة ، ونزل السوق وعندما وصل سوق التجار سأل عن جعفر الموج فدلوه على تاجر صاحب دكاكين كثيرة كأنه شيخ السوق .. فسلم عليه ودفع إليه كتاب ماجد ابن تاجر بغداد ، ففضه وقرأه ، ثم رحب بالضيف ، وأحسن وفادته وعجب لقصته ورحلته وقال : يا ولدي هذا الأمر صعب وشاق عليك وما تجني منه إلا امرأة والنساء كثير !

فأظهر له حسان رغبته ولهفته وإعجابه بهذه المرأة وأنه ترك المال والعز والأهل حتى ينظر هذه الفتاة ، ويظفر بها ويتزوجها أو يهلك دون ذلك ، فعاد التاجر البصري يقول : يا ولدي فتاة البصرة فتاة حسناء جميلة ؛ ولكن مطلبها هذا غريب ! والذي يظهر لنا من هذا الشرط هو عدم رغبتها في الرجال والزواج وحتى لا يجبرها والدها وأخوتها على النكاح اخترعت هذا الصداق ومنذ سمعنا بهذا الطلب لم يتقدم إليها سوى ثلاثة أشخاص حسب ما أذكر وذهبوا وما عادوا وإني مشفق عليك أيها الشاب ، فأنت ما زلت في مقتبل العمر والمستقبل أمامك .. وإنك ابن تاجر ثري لا ينقصك مال ولا جاه .

فقال حسان : اشكر لك هذا الشعور النبيل والنصح الأمين ؛ ولكن يا عماه أتيت من بلاد مصر العامرة لهذا الغرض .. فأنا أحتاج أن تساعدني في مقابلة هذه الأميرة والاجتماع بها فقط .. لا أريد غير ذلك وجزاك الله خيرا .

قال جعفر الموج : حسنا أيها الفتى ! .. طبعا تريد

أولا أن ترى هذه الفتاة ، وهذا سهل .. فمن عادة فتاة البصرة أن تنزل السوق نهار الجمعة بعد العصر فيمكنك أن تراها ، وبعدها نفكر في الخطوة التالية .. واعتبر نفسك ضيفي ونزيل بيتي .

فاعتذر حسان عن تلبية ذلك فقال : شكرا لك يا سيدي ! ولكني استأجرت حجرة في خان البصرة .. وأحب أن أبقى فيها حتى أتحرك وأتعرف على هذه المدينة البحرية بحرية وبدون حرج .. وسأزورك كل يوم .

فقال التاجر جعفر : حسنا يا حسان ! افعل ما بدا لك أيها الشاب ولكن غداؤك اليوم معنا .. أرجوك لا ترفض .

كان الأسبوع طويلا بالنسبة لحسان فهو مشتاق وعاشق بالسماع ، فقد قطع المسافات الطوال لرؤية تلك الحسناء ، وما صدق الشاب وأن جاء يوم الجمعة وانطلق إلى سوق التجار بعد صلاة الجمعة في جامع البصرة الشهير مسجد أبي الحسن إمام أهل البصرة في زمن التابعين، فوصل إلى دكان التاجر جعفر، فاستقبله وقال : اجلس يا بني بعد العصر إن شاء سترى الأميرة التي أتيت من بلاد النيل لمشاهدتها .. والله إننا لنعجب لكم أيها العشاق ! عندما تعشقون تذللون الصعاب ولا يهمكم شيء إلا الحصول على غايتكم .. كان الله في عونك . بعدما خرج الناس من المساجد بعد صلاة العصر انتشر عدد من رجال الشرطة في السوق كالعادة لحفظ الأمن ، فهم يتابعون جولة الأميرة في السوق ، وحفظها من الناس من الإساءة إليها ، فجلس جعفر وحسان أمام الدكان ينتظران الأميرة في سوق التجار والأقمشة في مدينة البصرة ناس البصرة قد اعتادوا على جولات ابنة عامل البصرة ، فلا يكترثون كثيرا لنزولها وتجوالها ، فهذا عندهم أمر طبيعي اعتادوا عليه ، ولولا انتشار الشرطة لا يشعرون بمجيء الأميرة، دخلت الأميرة الحسناء على جواد السوق ووراءها جنديان من حرس أبيها ، ولما اقتربت من دكاكين جعفر، وأصبحت أمام ناظري حسان المتوتر والمشتاق لهذه المشاهدة ، المشرئب العنق نحوها ، فلم يتمالك نفسه وهو يقول : والله إنها لجميلة حقا !! ما رأيت مثل هذا الجمال في بلدي!! إنها تحفة جميلة يا سيدي جعفر !.. بيضاء البشرة ، دائرية الوجه كأنه بدر التمام ..

وقفت الحسناء البصرية أمام الدكان ، فقام لها جعفر وفعل مثله حسان المشدوه بسعة عينيها وسوادهما ، وقد ازداد خفقان قلبه واهتزازه في داخل صدره، وسمعها تتحدث مع جعفر وهي تلحظه بطرف عينيها فقالت : يا جعفر مالي أراك تجلس بباب الدكان على غير العادة ؟!

فقال حسان في نفسه : إنها ذكية الفؤاد فقد لحظت

جلوسه أمام دكانه ..وكان صوتها لطيفا لذيذا رخيما ..
ثم سمعها تقول بصوت عذب بعدما رد عليها جعفر: وهذا الغلام أراه ينظر إليّ بشغف ؛ كأنه أول مرة يراني أمام هذه الدكان؟!
فقال جعفر بشجاعة وإقدام : فعلا هو يراك أول مرة يا أميرة البصرة .
فتمتمت : غريب أيها الشاب ؟!
فتمتم حسان بصوت متهدج : نعم أنا مصري .. من بلاد النيل أتيت لهذه البلاد ..
تبسمت الأميرة وقد لحظت اضطراب الشاب فسرها ذلك ورددت : مصري !! وأشارت لجارية خلفها : جاريتي هذه مصرية أيها الشاب ما بك أيها المصري تحدق النظر فيّ باستغراب ؟
زاد ارتباك حسان رغم أنه تاجر ابن تاجر ، والحديث مع النساء والجواري ليس شاقا على مثله فهو يفعل ذلك في بلاده ، فكان يمسح العرق البارد على جبينه ولم يتكلم ، فعادت الأميرة تخاطب التاجر جعفرا :ما هذا الشاب يا جعفر ؟
فقال جعفر باسما ومداعبا : شاب كأي شاب ! رأى أميرتنا لأول مرة فذهل .. أيتها الأميرة .
أدارت رأس حصانها لتتابع السير وهي تقول وعلى وجها ابتسامة : إلى اللقاء يا جعفر ! يبدو أن لصاحبك المصري قصة .

وعندما ابتعدت الصبية هبط حسان على الأرض يزيل العرق المتصبب من جبينه وصدغيه ، وأخذت أعصابه تهدأ شيئا فشيئا ، وتناول بعض الماء ، ولما عادت إليه روحه قال جعفر مبشرا : حظك حسن أيها الفتى .. الفتاة قد أعجبت بك كما سحرت أنت بها .
فقال حسان : سيدي .. كيف عرفت ؟!
رد التاجر جعفر : إنني كما ترى رجل كبير في السن ومن خلال عملي في هذا السوق منذ خمسين سنة أعرف مثل هذه الحكايات والنظرات والابتسامات .. ألم تسمعها تقل إلى اللقاء يا جعفر يبدو أن لصاحبك المصري قصة ؟ .. فهي تريد سماع القصة .
فقال حسان : ألا تصدق أنها أول مرة أشعر بالارتباك أمام امرأة مثل هذا الارتباك والاضطراب إنها يا سيدي فتاة جميلة جدا فاتنة! وما كان ماجد مبالغا عندما عجز عن وصفها.. وهي فطنة ذكية ، وأصدقك القول أنني ازددت بها غراما وهياما وهوى .. واسأل الله تعالى أن ييسر لي الزواج منها .. سيدي جعفر كيف يمكن أن ألتقي بها وأتكلم معها ؟ .
فضحك جعفر على ولهه الشاب وتعجله وقال باسما: تستطيع أن تزور قصر أبيها وتخبره برغبتك بالزواج من ابنته ، ولن يعترض على طلبك

وسيرحب بك؛ ولكنهم سيطلبون منك طير ملك الصين الذي أرى أن دونه التعب والنصب والغربة والموت الزؤام .. ولكني أنصحك بأن تحاول لقاءها وتجلس معها ، وسأدبر ذلك لك لعلها تتعلق بك وتستغني عن هذا الطلب المزعج وتتزوجها كما يتزوج الناس وتعود بها إلى والديك وأهلك ..

ضحك الشاب وقال حالما : أيمكن أن يتحقق هذا الحلم سريعا .. ؟!

قال جعفر : هذا أمره عند الباري سبحانه وتعالى .

ودع الشاب التاجر جعفرا ، وعاد للخان الذي ينام فيه فوجد صاحب الخان في انتظاره وهو يقول : ها قد أتى الريس حسان.

فالتفت حسان للرجل الذي يخاطبه صاحب الخان فقام رجل يجلس معه، وكان حسان قد وصل إليهما وفي عينيه سؤال ، فرحب كل منهما بالآخر وسلما على بعضهما وقال : نعم يا أبا محمد .. ما الخطب ؟! .

فقال صاحب الخان : هذا الرجل أتانا يسأل عنك

فقال الرجل الغريب : سيدي حسان أرغب في الحديث معك ؛ ولكن خارج الخان لأمر ضروري

فخفق قلب الفتى والتفت إلى صاحب الخان الذي لزم الصمت وقال : أين ؟!

فقال الرجل : اتبعني .



فكرر حسان القلق الاستفهام : إلى أين ؟

الرجل المجهول : إلى بيتي .

تشجع حسان ونفض الخوف عن قلبه ، ومشيا ساعة من الزمن حتى وصلا لحي قديم ، ودخل الرجل وحسان خلفه وهو مطمئن لهذا الرجل ظانا أنه من طرف الأميرة التي قابلها في السوق دفع الرجل باب أحد الدور وصاح : لقد أتى السيد حسان يا سيدي !

سمعوا صوتا من الداخل يطلب منهم الدخول ، فدخل الرجل وخلفه حسان غرفة مظلمة ، وسمع صوتا مبحوحا يقول : اجلسا ..اشعل القنديل يا زيدان .. لنرى هذا الفتى المصري .

فقال حسان بصوت مضطرب ساوره الخوف: أين أنا ؟!

فصاح الصوت المبحوح متهكما: ألا تعلم أين أنت؟ أنت عند سيدك أبي المعالي زعيم لصوص البلدة .

ردد حسان بصوت متهدج خائف : زعيم لصوص المدينة ! ويحكم ما علاقتي باللصوص ؟!

فقال الرجل المبحوح : لا تتعجل أيها الشاب الآن ستعرف كل شيء .

أنار نور القنديل الغرفة المعتمة وبدد ظلامها

المرعب ، فاستطاع حسان أن يرى صورة كبير اللصوص في المدينة ، وقد رآه اللص أيضا ثم خاطبه بصوته المبحوح :

أيها الفتى المصري .. علمت بأنك تملك مالا كثيرا وأرغب بالحصول على شيء منه

فقال حسان : ومن أخبرك بأن معي مالا كثيرا ؟!

ورفع اللص صوته قليلا وهو يقول : هذا شأني .. وما عليك إلا أن تنفذ وتطيع .

فرد حسان بتحد بعد أن عادت إليه شجاعته وطبيعته : وإذا لم ألبي هذا الرغبة .. فما أنت فاعل بي ؟!

رد كبير اللصوص قائلا : ستبقى في ضيافتي حتى تدفع .. وكل يوم تمكثه في ضيافتنا يزيد المبلغ ألف درهم .

فضحك حسان ، وقد عادت له كل شجاعته ، وقال : كم كنت تريد مني بداية قبل أن تحبسني ؟!

فقال الصوت المبحوح : خمسة آلاف درهم ..واحذر أن تشكونا للعسس والعرفاء وإلا فقدت حياتك .

فصاح حسان : الله اكبر !.. الله اكبر ! وصل الأمر إلى القتل !

كان حسان في مأزق فعلا ، فهو لم يعتد معاشرة اللصوص وأوباش الناس، وبينما حسان وزعيم اللصوص يتجادلان ، طرق الباب ودخل رجلان أحدهما أعمى بين يديه عصا ، والآخر يسحبه فألقيا التحية وجلسا ، فقال ذو الصوت المبحوح على أثر صمتهما عند دخول الرجلين : يا زيدان دعهم يأتوننا بالطعام حتى يتعشى معنا الريس حسان المصري .. يبدو أنه يرغب في ضيافتنا والمبيت عندنا ؛ كأن أجرة النزل والخان أثقلت كاهله.

فضحك حسان لسخرية الزعيم منه وقال ساخرا: قررت أن أظل في ضيافتك يا زعيم اللصوص .. قد انقلب إلى لص مثلكم .. آكل تعب الآخرين.. أهؤلاء أيضا لصوص؟ .. وهذا الكفيف لص ؟

قهقهة أبو المعالي وقال : أعجب منك أيها الغريب ! .. أنت غريب ولا تخشى على حياتك منا؟

أجابه بطل قصتنا : فلتعلم أن الموت من عند الله وليس من عندك .. ومن يضمن لي إن اشتريت حريتي منك وأعطيتك ما تبتغي من الدراهم أن لا تخطفني مرة أخرى .. للمزيد من الكسب الخبيث ؟

فتعهد اللص بالوفاء وقال : هذا عهد مني أن لا أطلب منك غيرها .

فسخر حسان من عهده وقال : وهل لكبير اللصوص عهد ؟! .. وما يدريني بأن لا يأتيني غيرك ويبتزني .

قال : ستبقى في حمايتي حتى تغادر هذه المدينة

بسلام .. فأنت تجهل أبا المعالي لأنك غريب.
فقال حسان هازئا : اطمئن .. لقد قررت البقاء هنا أيها الرجل .. والسكنى عندكم .. لقد أعجبني مناخ بلادكم .. وسأعمل عند جعفر الموج .. فهو صديق لي .
قال أبو المعالي: اعرفه أيها الرجل.. ادفع ما عليك وانصرف راشدا حتى لا أفقد صبري وأفعل بك ما لا تحمد عقباه .. أنا أول مرة أسمح لنفسي بالحديث مع رجل غريب مثلك بهذه الطريقة الطيبة الناعمة ..
فكر حسان قليلا ولاحظ أن ذكره للتاجر جعفر لم يدع أثرا لدى هؤلاء المجرمين ، ففكر في حيلة أخرى يرهب بها قلوب هؤلاء المجرمين فقال : أتعلم لماذا جئت لبلادكم ؟ .. جئت من مصر لأتزوج أميرتكم بدور .
أخذ أبو المعالي ورجاله يضحكون بصوت عال وقال: أتريد الزواج من الأميرة المغرورة أيها المجنون ؟! .. أتيت من بلاد النيل لتتزوج من الأميرة .. إنني حزين من أجلك أيها المحب.. إنك تنعي نفسك لنا .. هل تقابلتما ؟
فرد حسان همسا : سأفعل ذلك قريبا..
عندئذ دخل رجل الغرفة مسرعا وهمس في أذن أبي المعالي كلمات ثم خرج ، فاعتدل أبو المعالي في جلسته بعدما كان مستلقيا على ظهره وقال : حسان المصري .. الأميرة ترغب بلقياك.
حدق فيه حسان وقال لنفسه ما أدراه ؟! ثم رد : لم أفهم ما قلت ؟! بل كيف علمت بذلك ؟!
تمعن كبير اللصوص بحسان لحظات وقال: أيها المصري .. ستعود للخان .. ولا تنسَ الدراهم وسيقدم عليك أحد الرجال فادفع إليه المعلوم من غير مماطلة كما اتفقنا .. وإياك أن تخبر أحدا بما جرى بيننا وإلا فالموت بانتظارك ..
وكان الوقت يقترب من الفجر ، فخرج حسان مع الرجل الذي أتى به نحو الخان، وتركه على باب الخان ، فلقي صاحب الخان في انتظاره فقال لأبي محمد صاحب الخان : ما الخطب أيها الرجل ؟!
فقال الآخر : لقد جاءت جارية من قصر الوالي عامل البصرة برفقة غلام من غلمان جعفر الموج يسألون عنك .. فأخبرتهم بأنك خرجت مع رجل غريب ، ولم تقل لي إلى أين سرتما ؟.. وسيعودون في الصباح للحديث معك .
صعد حسان لغرفته في الخان وهو مشغول الذهن في جارية القصر والأميرة وبأبي المعالي الطامع بما معه من مال .. وكيف وصل إليه الخبر بأن الأميرة تريدني ؟ أله جاسوس في الفندق؟ فصاحب الخان لم يقل أن الأميرة تريده .. إنما قال جارية من جواري الوالي أتت تسأل عني.. قد أكون مطلوبا للوالي وليس لابنته .. وكيف عرفوا بمقدار ثروتي

؟ .. أمر يثير الحيرة .. عجيب أمر هؤلاء اللصوص أين الشرطة والأمن والوالي؟! .. هل أدفع له خمسة آلاف درهم ؟ .. هذا عار وجبن واستسلام .. آخ .. إن الأمر لصعب ..

نام حسان من شدة التعب والإرهاق من أحداث المساء والليل، فرغم الأفكار التي تشغله فما طرح نفسه على الفراش حتى ذهب في سبات عميق .

ومع الضحى كان غلام جعفر الموج في الخان يسأل عن حسان بن عبد الرحمن ، فأيقظوه من نومه فهبط إليه مسرعا وهو متوتر النفس يسأل الغلام : ما الأمر يا عبد الله ؟!

فقال غلام جعفر مخبرا : جارية الأميرة تريد الكلام معك.. وها هي في انتظارك في بيت سيدي جعفر

فانطلق حسان مع الغلام إلى منزل التاجر جعفر الموج ، فوجده في انتظاره وبعد التحية والسلام قال حسان : ماذا جرى يا سيدي جعفر ؟!

فقال جعفر : أين كنت ليلة أمس أيها الفتى ؟

فقال : كنت عند أبي المعالي كبير لصوص البصرة .

همس جعفر وقال : اسكت أيها الفتى سأستمع إليك بعد قليل .. ادع الجارية يا عبد الله لتحدث السيد حسان .

جاءت الجارية وقالت لحسان بعد السلام : ابنة الوالي ترغب بالكلام معك أيها الشاب لأمر يهمك

فقال بفرح طاغ : على الرحب والسعة .. وأنا خادم الأميرة المخلص .. أين وكيف ومتى ؟

فقالت الجارية : ستراك هنا في هذا المنزل بعد ظهر هذا النهار .. فعليك أن تبقى هنا ..فلا تخرج حتى أعود هل سمعت أيها السيد ؟

فالتفت للسيد جعفر وقال : القول لسيدي جعفر

ابتسم الشيخ جعفر وقال : اذهبي أيتها الأمة واحضري سيدتك لمقابلة هذا الشاب الذي أرى أن الحظ يبتسم له .

انصرفت الجارية وسمع حسان التاجر يقول بعد خروجها : يبدو أن الأميرة وقعت في هواك فهي تنشد لقاءك بدلا من ذهابك إليها ..

فقال حسان: إن هذا أمر غريب فعلا !.. سامحني يا سيدي فقد عطلناك عن متاجرك وغلمانك وأزعجنا أهل بيتك ..

فقال جعفر بحياء : لا .. لا .. يا ولدي .. الغلمان يقومون بالعمل على خير ما يرام .. وهذا شرف كبير أن أوفق على جمعك بالأميرة التي ترغب أن تتخذها عروسا .. وقبل أن تحضر معشوقتك وتتلعثم بالكلام اخبرني ما حكاية أبي المعالي معك

فقص عليه حسان حكاية أبي المعالي من أولها إلى آخرها ، بعدما استمع جعفر للقصة سكت طويلا قبل أن يقول : هذا لص معروف بالبصرة ، وهو مطلوب للعسس والشرط .. ولكن كيف علم بمكانك وما تحمل من مال ؟! .. فهل يعلم

صاحب الخان أن معك مالا كثيرا ؟.. وهل يعلم أنك قادم للزواج من الأميرة ؟!

فقال حسان : لا يعلم إلا أنني مصري قادم للعمل في هذا البلد .

سكت جعفر برهة ثم قال : من يعلم أن معك مالا كثيرا غيري ؟

عاد حسان يقول : لا أتذكر أحدا .. هل أدفع له المال يا سيدي ؟

فقال له جعفر: انتظر حتى تقابل الأميرة وتسمع منها .. فلنستعد لصلاة الظهر في مسجدنا ، ثم نتناول الغداء الطيب وننتظر الفتاة .

أخذ حسان يبدي لمضيفه الاعتذار والأسف على إزعاجه وشغله في قضيته عن أعماله وتجارته فرد عليه الشيخ جعفر : لا حرج عليك .. لقد أوصانا عليك ابننا ماجد .. والناس بعضهم لبعض ..

رجعوا للبيت بعد الصلاة ، وأتت الأميرة بدور مع جاريتها لمنزل التاجر جعفر وهي متخفية بلباس شعبي ، فرحب بها التاجر وأهل بيته أحسن ترحيب ، ثم رحبت هي بالشاب المصري وبعدما جلسوا قالت لهم : لابد أنكم حائرون من هذه الزيارة ..ما بالك أيها الشاب قد تغير لونك ؟.. تمالك نفسك .. ولا تخف ..

ضحك جعفر ضحكة خفيفة وقال : فعلا أيتها الأميرة .. فأمرك غريب ويحتاج إلى توضيح ..

ومرحبا بك في بيتنا المتواضع ..!

لم يتكلم العاشق الولهان ، فأزاحت اللثام عن ووجها وقالت : أيها المصري .. ما الذي أتى بك من مصر ؟ .. لقد كانت عيناك تتكلم أثناء وقوفنا أمام دكان جعفر .. كانت نظاراتك اليّ نظرة فتى ولهان .. ولقد قرأت حكايات كثيرة عن المحبين وعن عيونهم وأشعارهم وغزلهم وها هو وجهك يزداد امتقاعا ويتلون بالاضطراب والوجل ..

فأجاب عنه جعفر: هو ما تقولين أيتها الأميرة ..ولك فراسة ما كنا نعرفها عنك .. هذا المصري سمع بحسنك وجمالك فترك النعيم والمال والفتيات طامعا بالزواج منك والقرب منك .

فقالت وهي ترمق الشاب بعينيها : أحقا ما قال جعفر ؟!

همس حسان : نعم أيتها الأميرة .

فشجعته الأميرة قائلة : حسنا أيها الفتى .. عرفني بنفسك .

تكلم حسان عن نفسه ، وعن قصته وسبب مجيئه إلى هذه البلدة ، وقد استعاد هدوئه ورباطة جأشه أثناء الحديث عن نفسه ، ولما اكمل الكلام وسكت قالت الأميرة مصرحة : إنني أميل إليك أيها الشاب الطيب ..

عجب جعفر لجرأتها وسرعة اعترافها ؛ ولكنه سمعها تقول : ولكني جعلت لمن يرغب بزواجي أن يجلب لي طيرا ذهبيا عند ملك كبير في بلاد الصين .. فقد قرأت عن هذا الطير وهويته فجعلته صداقا لي .. فهل تستطيع تحقيق ذلك ؟

فاندفع حسان بحماس المحب يقول: من أجلك يا مولاتي الأميرة أفعل كل ما تشتهين وتحبين وتأمرين ..

فقالت : سأنتظرك سنتين سنة ذهابا وسنة إيابا ، وبعد ذلك أنا في حل من الانتظار .. ولولا أن هذا اشتهر عني ، وأنه كما تقول وصل لبلادكم لقبلت بك بدون الطير السحري الذهبي.. وما عليك الآن إلا أن تطلبني من أبي .. ساعده يا جعفر للوصول لقصر الوالي عامل أمير المؤمنين على البصرة .. واعلم أيها الفتى المصري أن لك في القلب معزة ، ولن أنسى لقاءك هذا .. وسأدعو الله أن يوفقك في مسعاك العظيم .. واعلم أنني انتظرك بشوق .. ولن أقبل أحدا بعدك حتى تنقضي المدة .. وجعفر والجارية يشهدان على ذلك .. والى اللقاء أيها الشاب .

خرجت كما أتت ، فقال الشيخ لحسان : ما تقول يا حسان ؟ .. هل ستسافر إلى ملك الصين وتأتيها بالطير الذهبي ؟

فقال : يا عماه .. هويت هذه الحسناء وأنا بين أهلي وقومي .. وازدادت نار الهوى لما أبصرتها وجالستها هذه اللحظات فاشتعل القلب واضطرم بنار العشق والهيام ..

فقال جعفر : الفتاة لها هوى بك ؛ ولكن الغرور يمنعها من الاستسلام والتراجع عن هذا المطلب؛ لأنه قد أصبح حديث الركبان والشعراء.. فالتخلي عنه ليس هين عليها .. وهذا الصداق خطير يا ولدي فأنا لك ناصح مرة أخرى دعك من هذه الرحلة ، وعد لأهلك .. وبنات الكرام كثيرات .

فلبث حسان مليا قبل الكلام ثم قال بعد نظر : لابد من المغامرة يا سيدي .. متى نقابل حضرة الأمير العامل على البصرة ؟

فقال جعفر : الليلة ..!

التقى حسان بأمير البصرة فرحب به ، ثم حدثه العامل عن مهر ابنته ونصحه بعدم المسير ، ولما رآه مصرا أخبر ابنته بشأن الخاطب الجديد ، فجاءت وتكلمت مع القوم وأكدت على مدة العامين وقبل مغادرتها قال لهم حسان : قبل طلوع الفجر سأكون خارج البصرة ـ إن شاء الله ـ ونحن على موعدنا بعد عامين بمشيئة الله .

وشكروا الأمير ، وشكر حسان التاجر جعفرا ، وأثناء خروجهما من قصر الأمير أخبره حسان أنه سيكون عنده مع الفجر ليودعه ويأخذ الأمانة من

عنده ، وكان حسان قد وضع أمواله عند جعفر الموج ، فعرض عليه جعفر المبيت عنده خشية اللصوص ، فاعتذر الشاب وانصرف للخان فوجد لص البارحة في انتظاره قائلا له : سيدي أبي المعالي راغب في رؤيتك .

فتذكر حسان حكاية اللص أبي المعالي ووعده معه فقال للص همسا : غدا الأحد أليس كذلك في مثل هذا الوقت تعال أنت ولص آخر لاستلام المال .. سوف أحضره من بيت التاجر جعفر الموج .. اذهب وسلم على سيدك أيها العبد الحقير .

من باب الحذر والحيطة لم يخبر حسان صاحب الخان بنيته بالسفر في الغد، مع صلاة الفجر وحسب الاتفاق كان حسان مع السحر أمام بيت جعفر الموج يطرق الباب ، وكان الرجل بدوره يخرج لصلاة الفجر في المسجد ، وبعدما صليا عادا لبيته فأكلا تمرا ولبنا ، وأخذ حسان ماله من عند الرجل الكريم ، وأخبره بعودة رسول اللصوص وإنظاره لهذه الليلة وقال : وبالطبع عندما يأتون أكون قد خرجت من البلدة وركبت البحر .. وأنا لم أخبر صاحب الخان بسفري حتى لا يصل أمر السفر لهؤلاء اللصوص ، لربما يكون لهم عيون في الفندق ، وسأترك له عندك من المال أجر ما قضيت من أيام عنده ، وإذا زاد شيء منها فتصدق به .. وأشكرك يا سيدي على معروفك الكبير معي خلال هذه الأيام ..

فقال جعفر بأسف : وفقك الله .. ونرجو توفيقك ونراك ظافرا بهذا الطير النحس .. وبعد يومين سأذهب بنفسي وأدفع لصاحب الخان .. وقد يكون جاسوس أبي المعالي عندي هنا .. فغلماني هم الذين يعرفون أنك وضعت عندي مال كثير، فلابد أن أحدهم واشي سأتحرى الحال رافقتك السلامة يا صاحبي .

انصرف حسان بعدما عانق الشيخ إلى جهة البحر حيث الميناء الكبير ، ولما أضحت الشمس وقبل أن يغادر جعفر بيته حيث السوق أقبلت جارية من جواري الأميرة تسأل عن الشاب الخاطب وتخبرهم برغبة الأميرة بلقاء آخر معه ، فضحك الشيخ جعفر وقال ضاحكا : قولي لسيدتك أن الفتى المصري ذهب في مهمته .. ولتنتظر أربعة وعشرين شهرا فلربما يتم اللقاء مرة ثانية ... يتبع في الجزء القادم .

قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ، وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي ، يَفْقَهُوا قولى

جواهر القصص

جلد الأسد

الحلقة ١



سليمان

تزوج سليمان رغما عن أنفه ، ضغط عليه والده وإخوته فأنكحوه فتاة جميلة ، وكان



قصدهم وهدفهم من إرغامه على الاقتران بامرأة أن يلتهي بها ويدع الأسفار والارتحال بين العباد والبلاد ، فمكث الرجل سنتين بجوار الزوجة والأهل ثم سافر خلسة بدون أن يشعر به أحد من الناس فتألم أبوه وندم على تزويجه بدون رغبة منه ، وأسف لزوجة ابنه الحامل ، فوهبها منزلا واسعا ، فيه من الخدم والجواري والأثاث لها وللجنين الذي في رحمها .

وبعد أن وضعت الزوجة الحمل بأيام حضر سليمان ، فاكتملت فرحة الجميع بالمولود الجديد والأب العائد ، وعمت الأفراح الأسرة والجيران وقد دهشوا لعودته السريعة ، فقد كان من عادته في كل سفرة أن يغيب سنتين أو ثلاث أو خمس ، وأقام الوالد حفلا بهيجا لسليمان وحفيده الجديد ، ودعي إليه السادة الأكابر من أهل المدينة ، وأقيمت لهم الولائم بضعة أيام بهذه المناسبة ، ومكث بينهم سليمان سنة من الزمان ثم تركهم مرة أخرى متنقلا بين المدن والأمصار ، فهو لا يسمع عن مدينة جميلة من مدن ذلك الزمان إلا نازعته نفسه بالرحيل إليها

وقد تعلق سليمان هذا بالسفر والرحلات من عم له كان يأخذه معه منذ صغره في رحلاته التجارية بين المدن المختلفة ، وما يسمع هذا العم شيئا يباع في مدينة من بلاد الدنيا إلا رحل إليها فاشترى وباع ، فتعلق سليمان بعمه الذي هلك فجأة في إحدى السفرات في بلد من تلك البلدان التي كانوا يسافرون إليها ، فأخذ سليمان مكانه ، ووجد في أول الأمر تشجيعا من والديه وأعمامه ، عندما كان كل تركيزه في السفر على نقل البضائع ؛ ولكنه لما بدأ يسافر من أجل السفر وجد معارضة ، وحاولوا ثنيه عن هذا الهدف الخائب في نظرهم ، ولم ينجحوا في تغييره فوضعوا خطة لمنعه من السفر فخطبوا له امرأة حسناء .

وفي أول عودة له أرغموه على الزواج منها كما ذكرنا ذلك في أول الكلام ، ولكن هذه الزوجة الحسناء لم تنجح في

منعه عن عادته الغريبة ، فاختفى مرة أخرى فأسف أبوه لفراقه ورحيله فجأة وحزن على حفيده وزوجة ابنه ، ووضعت الأم ولدا آخر في فترة غياب سليمان .

ولما عاد سليمان من السفر وجد الزوجة متعبة وقد أنهكها المرض ، ووجد أنّ آباه قد فارق الحياة الدنيا حزينا على عدم رؤيته عند ساعات الموت ، ومتألما على زوجته التي ظلمها بزواجها من ولده الرحال ، فمكث سليمان في بلده بجوار الزوجة والأولاد حسن وعلام ، واستعان بأمهر الأطباء على مداواتها ؛ ولكنهم أعلموه أنها مشرفة على الهلاك ، وعليه أن يتهيأ لهذه المصيبة الأخرى ، ولم يتأخر الانتظار فقد ماتت الزوجة الحسناء ، وتركت له طفلين صغيرين وتقبل الرجل المصيبة بهدوء وصبر، فالسفر يعلم الصبر ، وبعد حين من الزمن ترك الحزن والحسرة ، وبدأ يفكر بالزواج مرة أخرى من امرأة عاقلة ترعى أولاده ، فقام الأهل من الأخوة والأعمام بمساعدته حتى وجدوا امرأة ترضى به وبأولاده وبغرائبه .

وجاءت هذه المرأة التي أظهرت له في أول الحياة الزوجية الود والحب والوئام والصبر على أخلاقه وعلى أولاده ، ثم أخذت تغار من تعلقه الشديد بطفليه وتحسدهما من فرط حبه لهما .

وذات مرة دخل عليه صديق قديم ، ودار الحديث بينهما عن السفر وعن أجمل المدن ، فتاقت نفسه للسفر من جديد



، فجس نبض زوجته ، فلم تمانع بل وجد منها تشجيعا ، وطلبت منه بعض الأشياء وطمأنته على الأولاد ، وأنهم في عينيها فهم كأولادها ، فتعجب سليمان من لهفتها على رحيله على غير عادة النساء ، فأكد وصايته على الأبناء وحذرها من مسهم بأذى أو سوء وجهز نفسه وسافر إلى المدينة التي ذكرها له صاحبه القديم .

وأما الزوجة حصن فقد رتبت أمرها للتخلص من الطفلين قبل مجيء زوجها سليمان من رحلته ، فاستدعت رجلا كهلا يدعى "بلعوم" لها معرفة به أثناء وجودها عند أهلها ، وكان هذا الرجل شريرا وذا قلب قاس أقسى من الحجر ، لا عمل له إلا التحرش بالناس وسلبهم أموالهم ، فعرضت عليه السيدة حصن مساعدتها في

الخلاص من أولاد زوجها ، ودفعت له خمسين دينارا ، ففرح بهذا المال فرحا كبيرا الذي لم يكن يراه في أحلامه ، ورتبت معه حيلة ماكرة ، فوافق عليها من غير تفكير ولا تدبير ولا حتى تردد .

فتظاهرت حصن أمام الخدم وأهل زوجها بأنها خارجة إلى نزهة قرب الغابة مع ابني زوجها وجارية من الجواري ، ولما استراحوا في طرف الغابة وجلسوا يأكلون الطعام الذي جلبوه معهم هجم عليهم بلعوم ورجل آخر معه وهما ملثمان ، فأوثقوا المرأتين بالحبال ، وأمسك كل رجل بغلام ودخلوا بهما في جوف الغابة ،وبعد ساعة من الزمان تظاهرت حصن بأنها فكت وثاقها وساعدت الخادمة في حل قيدها وهي تبكي أشد البكاء واندفعت نحو الغابة كأنها تبحث عن ولدي زوجها ، ولما هبط الليل قفلتا عائدتين نحو البيت تبكيان وتلطمان وتنوحان ، وأطلعت أهل زوجها على ما حدث لهم في الغابة ، ولزمت حجرتها تبكي وتتألم على ضياع الأولاد ، فتركت الأكل أياما حزنا على ولديّ زوجها وهي تندب .. وتقول : ماذا أقول لزوجي سليمان غدا ؟ لقد أوصاني بالمحافظة عليهما .. من هو المجرم الذي خطفهما وحرمني من لذة اللعب معهما ؟ أنا مستعدة لأن أدفع كل مالي وعقدي بس أعرف أين هما ؟!

فكانت الجارات وزوجات اخوة سليمان يهدئن من مصيبتها ويخففن من آلمها وحزنها على حسن وعلام ، وقررت ألا تخرج من البيت حتى يعود زوجها أو الطفلان الصغيران .

وأما حسن وعلام فقد قادهما بلعوم وشريكه بكل خشونة نحو الغابة ، ولما اقتربوا بهما من غابة الأسود تركوهما هناك ، ورجعا إلى المدينة يتابعون بقية تمثيلية حصن على جيرانها وأهل الأولاد .

وقع الرعب في قلبي الصبين وأخذا يسيران على غير هدى حتى دخل الظلام الشديد على الغابة ومن كثرة المشي داخل الغابة أصابهما التعب والوهن ، فناما عند جذع شجرة وما استيقظا إلا على أشعة الشمس تلفح وجوههم ، وكانت تحيط بهم مجموعة من الأسود ساكنة ؛ كأنها تحرسهم ، فلما أدركوا أمرهم أشار لهم أسد أن اركبا على ظهره ، فتعلق حسن بظهر الأسد واعتلى علام متن أسد آخر ، وساروا بهما إلى ملك الغابة الكبير ، ولما مثلوا بين يديه سمع منهما قصتهما ، فحزن لهما ووهبهم الأمان والحماية ، وتعهد بتربيتهم في عرينه وبين الأسود

والوحوش ، وفي كهف من كهوف الغابة اسكنوهما وعاشوا في كنف سيد الغابة الكبير ، فتعرفوا على الوحوش من الفهود والنمور والكلاب والضباع والذئاب والأرانب والأفاعي والثعالب والطيور التي على أعالي الأغصان من صقور ونسور وغربان ويمام وبوم وعصافير ، وشاهدا حياة الغابة القاسية من سفك دماء بين الحيوانات المختلفة ،

فالقوي يأكل الضعيف ، والمريض ضحية للجميع ، فقد شاهدا الفهود تطارد الظباء ، والأسود تصارع حمير الوحش ، فالقوي يخافه الجميع ، والضعيف والهرم تقتله الوحوش الكاسرة ، وشاهدا أنّ الأقوياء يتحالفون على الضعفاء، ومن يضعف تخلى عنه الكل حتى فصيلته ونوعه ، فقد كانا يتجولان في الغابة بكل راحة وأمان ، فلا أحد يتعرض لهما فهما في حماية الأسد القوي ملك الغابة وسيد الأسود ، فصراع الغابة صراع شرس صراع مع الظروف القاسية التي تحيط بالغابة من قلة الماء وصراع الوحوش مع بعضها البعض فلنترك الصبيين قليلا ونعود لوالد الصبيين والسيدة حصن .

بعد غياب طويل عاد سليمان لوطنه فعلم بضياع ولديه ، فغضب على الزوجة أشد الغضب ، ولما هدأت عاصفة غضبه ويأس من عودة ولديه ندم على فراقهما وتركهما بين يدي هذه الزوجة الماكرة الخبيثة ، فأعطاها مالا وفارقها غير آسف عليها فأصابها ألم شديد وغم رهيب وخابت حيلتها وكانت تعتقد أن سليمان بقي لها وحدها ، وأنها مالكة البيت الواسع ، فرفضت العودة لأهلها فقال : لا حاجة لي بك ؛ فأنا تزوجتك من أجل ولديّ ، وقد ذهب الولدان ، فلا حاجة بي إليك وسأخرج للبحث عن ولدي في كل بقاع الدنيا ، فخذي المال الذي أعطيتك إياه وفكري برجل آخر ، فلا أحب أن آراك .. فأنت لم تحافظي على الأمانة ، وقصرت في المحافظة عليهم ، وأشعر بأنك سبب ضياعهما وسرقتهما .. فانصرفي قبل أن يفلت غضبي عليك فأقتلك .

فخرجت هائمة على وجهها غير آسفة على سليمان ؛ وكانت تحلم بأن ترث البيت الكبير ، ويصبح لها وحدها ، وأعلن سليمان عن مكافأة لمن أرشده على ولديه أو نـقل له علما عنهما .

وبينما هو ذات يوم في منزله الواسع يجلس حزينا نادما على تركه أولاده عند حصن ، وهو يعلم بكرها لهما وغيرتها منهم دخل عليه خادمه مخبرا له برغبة رجل يريد مقابلته في شأن ابنيه فأمر بإدخاله على الفور ، ولما رحب بالرجل قال له بلهفة : هل عندك خبر عنهما ؟!

قال الرجل : اسمع القصة .. وسأذكر لك الحقيقة ، واعلم أنني قد ندمت على فعلي ؛ ولكن بعد فوات الأوان ..ولست آتيا من أجل الجائزة التي أعلنت عنها ؛وإنما أحببت أن أريحك من البحث عنهما .

جفل سليمان لآخر الكلام ، فقال : لعلهما ماتا .. هل قتلا ؟!

قال الرجل : تمهل .. دعني أروي لك الحكاية من البداية ، ذات يوم من سنوات قليلة جاءني رجل صديق لي ، نحن قوم نعيش على جيوب الآخرين ، لا عمل لنا إلا الفتوة والترهيب .. جاءني صديقي في المهنة وأخبرني عن صفقة عقدها مع امرأة فيها كسب كبير عشرون دينار لكل واحد ، فرجل مشرد مثلي يعرض عليه هذا المال فلا يستطيع المقاومة فهذا حلم وثروة ، فقبلت المهمة وكانت المهمة الذهاب إلى الغابة الخضراء في يوم معين عند المساء ، وهناك نجد سيدة أو أكثر معهما طفلان ، فنقوم بربط السيدتين وخطف الطفلين ورميهما في غابة الوحوش ونفذت الخطة مع ذلك الشريك ، وقبضت المال ولم اكترث لمصير الغلامين لقساوة قلبي ، وبعد حين علمت أنّ الولدين لك ، وأن صاحبي بلعوم رتب الأمور مع زوجتك حصن للتخلص منهما ، وقد أصابني مرض كاد يدفعني للقبر وما زال يصيبني ، قد أحيا أياما أو أعواما ، فكانت تتمثل لي جرائمي وأكثرها تمثلا صراخ الطفلين حسن وعلام إلى أن سمعت بعودتك وبحثك فجئت أضع الحقائق بين عينيك حتى لا تتعب نفسك بالبحث عنهما ، فهما الآن قد اختلطوا بلحم السباع ، فابدأ حياتك من جديد ، وأنا رجل ندمت على ما جنت يداي ، وأنا رجل ميت فإذا أحببت أن تعجل نهايتي على يديك فإني أكتب لك صكا أغفر لك فيه دمي .

كان هذا الرجل يعترف أمام سليمان والدموع تنساب على خديه ، ولما انتهى من كلامه واعترافه صرفه وغرق في البكاء والحزن ويفكر في أمره ، تارة يفكر بالنسيان والبداية من جديد وتارة يفكر بالانتقام من هؤلاء القتلة ،

وتارة أخرى بالرحيل من البلد إلى الأبد أو بالذهاب إلى غابة الأسود لتأكله الأسود كما أكلت ولديه ليختلط دمه بدمهم ، ثم يقول : ولكن ما يدريني أن الأسد الذي افترس ولديّ سيفترسني .

وظل في البكاء أياما وهو يفكر بالخطوة المناسبة ، فوقع الاختيار على أن يذهب إلى الغابة يستنشق رائحة ولديه لعله يموت هناك ويرتاح من الغم والتقصير الذي قدمه لولديه ، ولما استقر على هذا الفكر ، وفي الصباح الباكر مع الفجر وبدون أن يترك خبرا لأحد اتجه إلى غابة الوحوش ، ولما انتصف النهار كان في غابة الأسود ، فجلس عند شجرة يبكي ويصيح ويولول فهرعت إليه حيوانات الغابة وهي دهشة لهذا الرجل الذي اقتحم هذه الغابة بهذه الجرأة وحالته يرثى لها ، فقادوه لملك الأسود الكبير ، الذي استفسر منه عن أمره وما الذي دفعه للموت ، ولهذا البكاء والصراخ ، فروى لهم قصته ، فصاح الأسد : أأنت والد حسن وعلام ؟!

فهز سليمان رأسه بالإيجاب" أي نعم" فقال الأسد الكبير وكله فرح : يا سليمان أولادك أحياء لم يموتوا !

قفز سليمان في الهواء عدة مرات وهو يصيح طربا : أحياء ! .. أحياء ! ثم هجم على الأسد معانقا له وهو يقول فرحا : أحق ما قلت يا سيدي الأسد ؟!

فقص عليه الأسد قصة أولاده في الغابة ، وأنهم عاشوا مع الحيوانات والطيور بضع سنين حتى اشتدت سواعدهم ، فرغبوا بالعودة لغابة الأنس والبشر ، ثم منح كل واحد منهم ثياب أسد فراء أسد وتركوهما في أطراف أرض الأنس ، ولم يعودوا يسمعون أخبارهم ، سر سليمان لحياة ولديه وشكر الوحوش ، واعتلى ظهر سبع قطع به الغابة حتى انتهى به إلى المكان الذي تركوا فيه حسنا وعلاما ، فودعه سليمان وانطلق في رحلة البحث عن فلذات كبده الذين أهملهم في بداية حياتهم وانشغل في سفراته إلى أقطار الدنيا .

حسن وعلام

فلنترك الأب النادم على إهماله في حق ابنيه ، ونسير مع الشابين حسن وعلام ، أصاب الأسد الكبير وجع قاتل فشعر بدنو الأجل ، فأخبر الغلامين بالخطر المحدق بهما بعد موته ، وأنه لا يأمن عليهما من غدر الوحوش ، فإن هذه الوحوش لا تحب جنس الإنسان ، فأهداهما جلدي أسدين ، فأصبح من يراهما بلباس الأسدين يخيل له أنهما أسدان ،

وصحبهما لأطراف بلاد الأنس ولما حان وقت الفراق بكى الطرفان للفراق ، ولما خلعوا جلد السباع شعروا بالشوق للغابة والحيوانات ، ودفع لهما الأسد صندوقين صغيرين وحثهما على حفظهما ، وإذا أحسا بخطر على حياتهما أو ضاقت عليهم الدنيا أو على أحدهما فليفتح صندوقه ، فيخرج له طائر صغير فيذكر حاجته ، ويدعه يطير ، فهو رسول بينهم وبين ملك الأسود ، فتفزع لهما الأسود على الفور ، فشكراه لحمايته لهما ، وعاد الأسد لعرينه وتقدما هما نحو المدينة ، وقد وضع كل شخص منهما صندوقه تحت حزامه ، وانطلقا إلى المدينة وهم نصف عراة ، وكان الشعر هو الذي يغطي أغلب جسمهم ، فدخلوا المدينة فلاحظوا أن الناس تنظر إليهم باستغراب ووجل ، فوصلوا لدكان تبيع الثياب ، فخاف البائع منهم ، فسألوه لباسا لأجل ، فأعطاهما الرجل ثوبين وهو في حالة من الرعب والوجل منهم ، وقال : " لا أريد منكما شيئا " ، ثم دخلا مطعما فتناولا حظهما من الطعام ووعدا صاحب المطعم بدفع الثمن عندما يتيسر لهما المال ، والأطفال والصبية يتبعونهم وهما يتنقلان من درب إلى درب ، فدخلوا الحمام بعد أن قص لهما الحلاق شعرهما وارتديا الثوبين الجديدين ، ولما خرجا من الحمام بالثياب الجديدة فإذا هما صبيان وفتيان جميلان مثل كثير من الناس ، وما هما بوحشين على صورة الإنس ، وبينما هم كذلك دهم المكان شرطة الوالي ، وساقوهما لوالي البلدة فلما رآهم قال : ويحكم ..هؤلاء بشر مثلنا ! كيف تقولون أنهم من الجن هبطوا على المدينة ، وأنهم يلبسون ويأكلون ويستحمون من غير أجرة .

فذكر حسن قصتهم للوالي بصدق ، فلم يصدق الوالي قصتهم ، فأمر بحبسهم حتى ينظر في أمرهم ، وهو يقول : إنسيان يعيشان مع الأسود إنّ هذا لشيء عجاب !

كان حسن وعلام يضحكان وهما في الحبس لما رأيا من أحوال الناس منهما في هذه المدينة ، فقررا أن يلبسا جلدي الأسد ويريا ما يحصل لأهل المدينة عندئذ ، فلما جاء السجان في الصباح ، ومعه طعامهما وفتح الباب وتقدم نحوهما ورآهما بفراء الأسود صرخ فزعا ، وألقى الطعام والمفاتيح وانطلق هاربا وهو يولول من الرعب والخوف ، فخرجا من السجن سريعا ، وهرع رجال الوالي إلى

السجن على صراخ السجان ، ولما شاهد الناس الأسدين يمشيان في الشارع دب الذعر في قلوبهم ، واختفى الناس في بيوتهم ، وانتشر الخوف في أحياء المدينة ، والكل يهمس ويتهامس: "أسدان يتمشيان في شوارع المدينة"، "الشابان تحولا لأسدين وهربا من سجن الوالي " ، فاغلق التجار حوانيتهم وهربوا لبيوتهم ، كلهم يخشى أن يكون ضحية للوحوش ، وكان حسن يقول لعلام : أرأيت كيف يهرب الناس من جلد الأسد ؟! .. فكيف لو كنا أسدين حقيقين ؟! ومكثا ساعة من الزمن يتمشيان ويتجولان بجلدي الأسد ، ثم خلعا فراء السبع وظهرا بثيابها الإنسية وهم يضحكون من رعب الناس وهلعهم ، وقال علام : لو شئنا لنهبنا المدينة دون أن يقترب أحد منا .

فمشيا إلى دار الوالي الذي خرج إليهما والرعب يملاء كيانه ، فاعتذر لهما عن إسائته لهما يوم أمس بحبسهما وعدم تصديقهما ، ودفع لهم مائة درهم تعويضا عما ألحقه بهما من إساءة وأذى ، وتوسل إليهما بمغادرة البلدة بسلام ، فشكراه على حسن الضيافة ، وسددوا ديونهم لبائع الثياب والحلاق والمطعم والحمام ، وغادروا المدينة بسلام إلى مدينة ثانية وعن فندق سألا ، فلا أحد يرشدهما ، وسألا عن مطعم يأكلان فيه ، لا أحد يدلهما ، فدهشا لحال الناس في هذه المدينة فاقتربا من رجل كبير فسألاه ، وبعد تمنع شديد همس في أذنيهما : اذهبا إلى دار ضيافة الوالي أيها الغريبان .. هنا لا أحد يبيع للغريب أو يتحدث مع الغريب ، ولو رآني أحد الآن وأنا أكلمكما ووشى بي للوالي ورجاله لفتكك بي أشد الفتك .

فتركوه وانصرفوا يفكرون بما سمعوا ، ويبحثون عن دار ضيافة الوالي . ومن درب لآخر ، وقد ساعدهم الناس بالإشارة ، وصلوا في النهاية دار الضيافة ، فرحب بهم وقدم لهما الطعام والشراب ، وأنزلوهما غرفة للمبيت ، ويقوم أهل الدار على خدمتهم بصمت غريب ، وفي الصباح ذهبوا بهم لقاعة الطعام ، فأكلا مع من كان هناك من ضيوف الدار ، وكلما حاولا الحديث مع أحد الناس لاذ بالصمت ، وعند الظهيرة قادوهم لدار الوالي ، ولما جلسا في حضرة الوالي رحب بهم ، وسألهم عن بلادهم ، ولماذا أتوا هذه المدينة ؟ فاختصر له حسن الحكاية ، فارتفع صوت الوالي صارخا : أتهزأ بنا أيها الشاب الصغير وتسخر منا ؟!

وتقول أنّ الأسود ربتكم واعتنت بكم .

فقال حسن : هذه هي الحقيقة يا مولانا الحاكم !

فهاج الحاكم عندما رأى إصرارهم على حكاياتهم ، فأمر حرسه بحبسهم حتى تعود إليهما عقولهما ، فساقهم الحرس إلى السجن بصمت قاتل ، لا أحد يتكلم مع الغريب في هذه البلدة وفي السجن وجدا مساجين آخرين ، فتحدثوا معهم عن حال هذه المدينة وسر الصمت السائد بين الناس ؛ ولكنهم لزموا السكوت ، وبعد جهد همس أحدهم في أذن علام " هذه قوانين الحاكم ..لا أحد يكلم الغريب أو يكرمه ؛ بل يرشدونه همسا إلى دار الضيافة .. والحاكم يتولى إكرامه والتحقيق معه"

فهامسه علام : لماذا هذه القوانين الظالمة ؟!

همس الرجل : يقال إنه قد تنبأت كاهنة الحاكم بأن الحاكم سيكون مقتله على يد رجل غريب فوضع هذه الأحكام ليضمن وصول كل غريب لقصره .

عندئذ أدرك علام السر في هذه الاحتياطات ، وأخبر حسنا بها ، فعجب من خوف بني آدم



لهذه الدرجة من قدر مجهول .

ثم قررا ارتداء جلدي الأسود ليروا شجاعة هذا الحاكم وحاشيته وأهل بلدته ، ففي الصباح الباكر لبسوا ثياب الغابة ، وألقيا على أنفسهما أغطية السجن حتى يأتي السجان بالطعام ، فما كاد الرجل يدخل عليهم بمائدة الإفطار حتى قفزا من تحت الأغطية يقلدان الأسود في زمجرتها ، فألقى السجان الطعام وأسرع هاربا ، وقد ترك السجن مفتوحا من الفزع ، فلحق به حسن وعلام ، وخرج السجناء خلال الفوضى التي دبت في السجن ، وعلى أثر هرب رجال السجن ملأ الصراخ الشوارع شيئا فشيئا ، فأغلقت الأبواب واختبأ الناس في بيوتهم ، وقد انتشر خبر وجود أسدين في شوارع المدينة ، فوصل الخبر للحاكم فانزعج ، وأصدر أمرا بإغلاق أبواب القصر ، وصعد على ظهر القصر يراقب الشوارع ، ولما نقل له السجان هرب المساجين ازداد هلعه ، ولما شاهد الأسدين يقتربان من القصر خشي على نفسه الموت رعبا ، فقد عرف حقيقة الخوف والضعف في هذه اللحظات وعمل الشابان جولة في المدينة ، ثم خلعوا ملابس الوحوش وعادوا

لصورة الأنس الجميلة ، اقتربوا من القصر ، ونادوا على الحاكم وأعلموه باختفاء الأسدين ، وبعد تمنع وحذر دخلا على الحاكم ، فاعتذر لهما ووهبهما قليلا من المال وترجاهما بالرحيل عن البلدة ، وتركه في حال سبيله فودعاه وبعد أيام دخلوا مدينة جديدة فدخلاها بكل سلام ، ووجدوا الناس يحيون بكل هدوء وأمن ، ويتكلمون مع الأغراب ، فبحثا عن مأوى فارشدا إلى نزل ، فقضيا به أياما ، وذات مساء تحدث معهما صاحب النزل راجيا منهما عدم الخروج من الفندق صباح الغد ، فلما سألوه عن السبب قال لهما : بما أنكما غريبان سأشرح لكما الأمر ، ففي نهاية كل شهر تغلق الأسواق والحوانيت والمنازل ، ويمنع الناس من الأعمال والانتقال حتى الليل بأمر من السلطان الحاكم وكل من يوجد في الشوارع ذلك النهار يقبض عليه ، ويلقى في غياهب السجن ، ولا يعلم مصيره إلا الله ، وسبب ذلك انّ مولانا السلطان تزوج ابنة أحد الملوك ، واشترطت عليه هذا الشرط ، فتخرج مع جواريها وغلمانها تتمشى في الشوارع الخالية ، ومن بين أيديهن ومن خلفهن الجند ، وقد وافق مولانا السلطان على هذا الشرط ، ولنا أكثر من خمس سنوات نخضع لهذا القانون .. فهذه القصة وعليكما أن تحذرا هذا الخطر . وتركهما يتأملان في هذه الحكاية وهذا الشرط الغريب ، فأحبا أن يزعجا هذه الأميرة وجواريها ومع الصباح تسللا من الفندق وهما يلبسان ثياب الأسود ، وسارا يمشيان في شوارع المدينة الخالية النائمة يبحثان عن موكب الأميرة ، وعند الظهيرة سمعا صوت الخيول والجنود ، ولما اقترب الموكب المكون من الأميرة والجواري والغلمان والحرس منهما ظهرا أمامهم فجأة وهما يزمجران كما تعلما في الغابة ، فحدثت فوضى في الموكب وخاف الحرس على الأميرة ، فأخذ الأسدان يقتربان نحو الموكب ، وكان الموكب يتقهقر للخلف ببطء شديد ، ثم صاحت الأميرة في الجنود بأن يقبضوا على الأسدين أو يقتلوهما ، فتردد الجند في تنفيذ أمر الأميرة ، فبين لهم قائدهم الخطر المحدق بهم إذا تخلوا عن زوجة السلطان وهو الموت ، وشجعهم على الموت أمام الأسد خير لهم من الموت بين يدي الجلاد والسياف ، فدبت فيهم بعض الشجاعة فتشجعوا وعادوا يقفون أمام مركبة الأميرة ، وهم يشرعون رماحهم ، فأدرك حسن وعلام

أنّ هؤلاء الحرس غير خائفين منهم فتراجعا أمام عنادهم ، فأحس الجند بخوف الأسدين ، فطمعت الأميرة بأسرهما ، ووضعت جائزة لمن يأسرهما فلحقوا بهما ، فاستسلم حسن وعلام لهما فأوثقوهما بالحبال وقادوهما لقصر الأميرة التي فرحت بصيدهما فرحا لا يوصف ، وندم حسن وعلام على جرأتهما فقد أصبحا أسيرين في قفصين في قصر السلطان فرجة للأمراء والأميرات ، وقد شاع في البلد أنّ الأميرة صادت أسدين اعترضا موكبها في يوم نزهتها ، وقضيا أياما وهما فرجة للأكابر، وعرفا أنّ أهل هذه البلدة ليسوا كغيرهم من المدن التي أثاروا فيها الرعب ، ففكروا بالخلاص من هذه الورطة ، ففي إحدى الليالي فتحا قفصيهما وخرجا ، فانتبه لهما الحارس الموكل بهما فصرخ من الرعب صرخة واحدة ففزع عليه الحراس ، فعاد الأسدان أدراجهما لقفصيهما ، وقد تعجب الحرس عن كيفية فتحهما أبواب القفصين ، فقد وجدوا انّ أبواب القفص لم تفتح بعنف وقوة ، فوقع بنفوسهم أنّ أحد الزوار قد فتح الباب دون أن ينتبه



وانزعجت الأميرة عندما علمت بمحاولة هرب الأسدين ، فأمرت بنقلهما لجب عميق فدلوهما بحبال سميكة في الجب . فقال حسن : لقد أصبح وضعنا الآن أصعب .. ما العمل ؟

فأجابه علام هامسا : إنهم ما زالوا يعتقدون أننا أسدان ، ألا نستطيع تسلق البئر والهرب ؟!

.. الليلة سوف نحاول .

وفي جوف الليل فتحا الأقفاص وتسلقا على ظهرها وتعلق كل واحد بالحبل المربوط في قفصه وصعدا رويدا رويدا فإذا هما في حديقة من حدائق القصر ، ثم تسللا للخارج ، ولما أصبحا خارج القصر خلعوا ثياب الوحوش ، ومشيا نحو الفندق الذي سكناه في أول يوم دخلا هذه المدينة ، فدهش الرجل من عودتهما ، فذكرا له أنهما ذهبا في مهمة وقد عادا ، فأدخلهما إلى غرفة وعاد لنومه ، وفي الصباح خرجا إلى نحو القصر يتسمعان الأخبار ، فلم يعلما شيئا ، فأدركا أنهم لم يكتشفوا هربهم بعد إلى أن كان يوم وقد انقلبت المدينة بحثا وتفتيشا عن الأسدين الهاربين ، وتعجب السلطان وزوجته من الصفة التي هرب بها الأسدان من الجب العميق ، وكيف

استطاعا الخروج منه ؟!

والأدهى أنهم اكتشفوا بأنهم هربوا من أول يوم وضعا في الجب؛ لأن الطعام الذي كانوا يسقطونه لهما لم يؤكل منه شيئا وأصابه الفساد فاحتار أهل العقول بهذين الأسدين .

انتهت الحلقة الأولى من قصص الزمردة



دعاء آدم وحواء

قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ

لغز نبوي

في صحيح البخاري: عَنِ ابْنِ عُمَرَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ مِنَ الشَّجَرِ شَجَرَةً لَا يَسْقُطُ وَرَقُهَا، وَإِنَّهَا مَثَلُ الْمُسْلِمِ، فَحَدِّثُونِي مَا هِيَ» فَوَقَعَ النَّاسُ فِي شَجَرِ الْبَوَادِي قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: وَوَقَعَ فِي نَفْسِي أَنَّهَا النَّخْلَةُ، فَاسْتَحْيَيْتُ، ثُمَّ قَالُوا: حَدِّثْنَا مَا هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: «هِيَ النَّخْلَةُ»

وَاللَّهِ لَا يُودَى أَبَدًا

عَنْ عُبَيْدِ بْنِ عُمَيْرٍ أَنَّ رَجُلًا أَضَافَ نَاسًا مِنْ هَذِيلٍ فَذَهَبَتْ جَارِيَةٌ لَهُ تَحْتَطِبُ فَأَرَادَهَا رَجُلٌ مِنْهُمْ عَنْ نَفْسِهَا فَرَمَتْهُ بِفِهْرٍ فَقَتَلَتْهُ فَرُفِعَ ذَلِكَ إِلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ فَقَالَ ذَاكَ قَتِيلُ اللَّهِ وَاللَّهِ لَا يُودَى أَبَدًا

ماهي العبادة التي لا يستطيع فعلها إلا شخص واحد وعندما ينتهي يستطيع فعلها شخص واحد وهكذا ؟ ج: تقبيل الحجر الأسود

** من هو الرجل الذي يصلي دون أن يسجد سجدة واحدة وهو قادر بالغ عاقل وتصح صلاته ولا يمكن لأحد أن يأمره بإعادتها ؟

ج: رجل يصلي على الجنازة

** ما هي الصلاة التي يجوز لمصليها أن يركع ركوعين في ركعة واحدة متعمدا وذاكرا ؟

ج: صلاة الخسوف والكسوف

** من هو الرجل الذي يحرم عليه ترك الطيب إن وقع على ثيابه ويجب عليه غسله مباشرة ؟ ج: المحرم بحج أو عمرة

** ما هما العضوان من أعضاء الوضوء الذي لا يستحب تقديم الأيمن على الأيسر فيهما ؟ ج:مسح الأذنيين

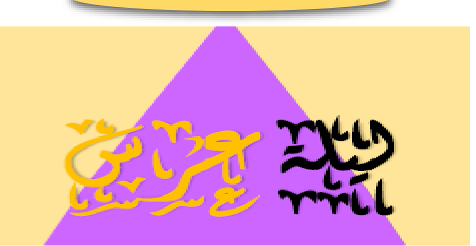
** من هن النساء المسلمات الحرائر الذي لا يجوز لأحد الزواج بهن ؟ج: زوجات النبي ﷺ

** من هم الذين أوحى الله لهم وليسوا من الإنس ولا من الجن ؟ ج: النحل

** ما هي الصلاة السرية التي بين صلاتين جهريتين؟

ج : صلاة العصر يوم الجمعة

رواية اجتماعية



الحلقة الأولى

محاولة اعتقال

رفع معتصم الغطاء عن جسده النائم على أثر سماعه صوت رنين جرس باب الشقة في تلك الليلة الشديدة البرودة ، مع ما يصاحبها من ظلام دامس ومطر غزير ، فنظر إلى زوجته النائمة بجواره فوجدها هي الأخرى قد استيقظت على رنين الجرس ، فهمس كأنه حالم : هل هو جرس الباب ؟!

فقالت والدهشة مرتسمة على وجهها من السؤال: بالتأكيد أنه جرس الباب .. فجرس الهاتف رنينه مختلف.

فقال وهو يرفع الغطاء كله عن جسده ويستوي جالسا : حق ذلك! .. لقد غفلت عن اختلاف النغمتين ..وها هو يرن مرة أخرى !

وتمطى في الغرفة قليلا ، وأدخل رأسه في طاقية صوفية وقال: سأرى .. من الطارق ؟! بل من هذا المزعج في مثل هذه الليلة الباردة ؟!. وغادر الغرفة متجها إلى باب الشقة ، وتبعته زوجته وهي في غاية القلق والتوتر ، بل كانت ترتجف خوفا ، فاقترب معتصم من باب الشقة الرئيسي ، وكان يتحرك بخفة حتى لا يسمح لقدميه بإخراج أيّ صوت يسمعه من يطرق الباب ، نظر معتصم من عدسة الباب فشاهد ثلاثة رجال يرتدون ملابس أنيقة ، وتقع هذه الشقة المطروقة ليلا في الطابق الثالث من عمارة مكونة من ستة طوابق في شارع البحر الأزرق ، في حي الزهرة وهو من الأحياء الحديثة في العاصمة .

همس معتصم بصوت فيه قلق ورجة : من بالباب ؟!

فقال أحد الرجال : افتح ـ يا معتصم ـ نحن رجال أمن .

فهمس معتصم لنفسه : أمن ..أمن! .. ويعرفون اسمي ! والتفت حوله فوجد زوجته وراءه ، فهمس قائلا وهو يضع سبابته على فمه: عودي لغرفتك .. إنهم رجال أمن ..لابد أنهم يريدون مهديا .

ورفع صوته مخاطبا رجال الأمن مظهرا الدهشة : أمن!.. شرطة ! .. وماذا تريدون منا ؟!

فقال أحدهم بصوت هادئ أو بدا طبيعيا لمعتصم: افتح .. يا معتصم ! .. نحن نريد أخاك مهديا.. ولدينا معلومات مؤكدة أنه يختبئ هنا ..عندك في بيتك يا سيد معتصم !..عجل افتح قبل أن نخلع

الباب.

فرد عليهم معتصم وقد عادت إليه شجاعته وهدوءه : انتظروا قليلا ريثما أخبر زوجتي ، ثم أفتح لكم .

ولم ينتظر الجواب فهرع مسرعا إلى الغرفة التي يرقد فيها مهدي ، فوجده هو الآخر مستيقظا وقد ارتدى ثيابه ، فقال مهدي : رجال المخابرات يا معتصم ؟

فهز معتصم رأسه بالإيجاب وقال : أجل ، ما أنت فاعل .. يا أخي ؟

قال مهدي وقد حاول أن يظهر شجاعا وهادئا أمام أخيه وزوجته: سأهرب .. سأهرب من نافذة الحمام .. وبواسطة مواسير المياه سأهبط على حديقة البناية .. ولسوف أتصل بك وأطمئنك.. وداعا.

ودخل الحمام ومن شباكه الصغير تسلل إلى الشارع ، واختفى في ظلمة الليل الحالك ، وخلال هروب مهدي عن طريق مواسير المياه ، كانت زوجة معتصم قد أكملت ارتداء جلبابها السميك الفضفاض ، وتهيأت لدخول رجال الأمن البيت، وفتح معتصم لهم الباب معتذرا لهم عن التأخير قليلا من الوقت ، واستقبلهم خير استقبال ، فقدم رئيسهم له بطاقته الرسمية وهو يقول متظاهرا بالأسف : نأسف للإزعاج ؛ ولكن لابد من القيام بواجبنا.. فأخوك مطلوب القبض عليه لإثارته الفتن والشغب يوم الاحتفال الكبير في الجامعة ، ولفعلهم هذا الشغب أيضا أمام الحاكم ، وكذلك للإهانة العظمى التي لحقت بالحاكم في ذلك اليوم .. ولنا أكثر من ثلاثة أشهر نبحث عنه ونطارده ، وقد علمنا أخيرا أنه يختبئ عندك في بيتك .

وكان معتصم يسمع هذا الكلام وتبريرات مداهمة الشقة ـ وقد تناول بطاقة الضابط وتأملها ـ فقرأ بعينيه اسم الضابط عليها النقيب ساري .. من مباحث أمن وحماية الدولة ، فلما أنهى الضابط كلامه ، وموضحا سبب هذا المجيء ، أعاد له معتصم البطاقة التعريفية ، وهو يبتسم

ونادى زوجته : تعالي يا أم محمود !.

ولما أقبلت الزوجة نحو زوجها ، وقد ألقت السلام على القوم بصوت هامس ، قال معتصم : أيها السادة البيت تحت تصرفكم ، أرجو أن تفتشوا البيت كل البيت لتطمئن قلوبكم .

فنظر الرجال بعضهم إلى بعض ، وقال رئيسهم النقيب ساري وهو يحلق في عيون معتصم : هل غادر مهدي المكان ؟!

فرد معتصم بثبات : قوموا بواجبكم كما تقولون

فقال أحد مساعدي النقيب : فهل تعتقد أنك بكلامك هذا تصرفنا عن تفتيش المسكن ؟

فرد معتصم وما زالت الابتسامة ترتسم على محياه : فتشوا .. أيها السادة !

فأشار لهم رئيسهم بالتفتيش ، وكانت زوج معتصم تلوذ به ، وهو يهز رأسه باستمرار ، ويحد النظر في الضابط المسئول ، وتحرك الرجلان يبحثان في الغرف ، وينظران في خزانات الثياب ، وبحثوا تحت الاسرة ، وفي زوايا البيت المختلفة والحمامات ، وتم هذا كله في دقائق معدودات ولما انتهى التفتيش السريع تقدم أحدهم قائلا لسيده وهو في حيرة : لا يوجد أحد في البيت سوانا يا سيدي !

ففرك الضابط النقيب أنفه بشدة ، والتوتر والضيق ظاهران عليه ، وقال مخاطبا لمعتصم : ألم يكن مهدي هنا ؟!

فقال معتصم بهدوء : هذه مهمتك يا سيدي النقيب !.. يمكن للأخ أن يزور أخاه!

قال الضابط القائد وهو ينظر في عيني مهدي بغضب خفيف: أرجو أن أراك في الصباح في مركز الشرطة التابع لهذه المنطقة .. مركز شرطة حي الزهرة يا أبا محمود .

فرد معتصم باسما وببساطة قد تكون مصطنعة : أنا تحت أمرك يا سيدي ! أي ساعة تحب أن يكون ذلك ؟

قال رجل الأمن وكأنه حزين لخيبته في اعتقال مهدي بعد كل هذه الشهور من التقصي والتحري : الحادية عشرة صباحا إذا تكرمت علينا !

وغادر الرجال الثلاثة الشقة ، وهم في دهشة وحيرة من فشلهم في القبض على الطالب النشيط والناشط السياسي في الجامعة "مهدي مروان "، فلقد أكد لهم المخبرون أن الشاب الطالب في كلية الهندسة يختبئ في شقة أخيه "معتصم مروان" الكائنة في شارع البحر الأزرق .

لما اختفى صوت أقدام رجال الأمن السري أغلق معتصم باب الشقة بالمفتاح من جديد ، والتفت إلى زوجته التي خلعت الخمار عن رأسها وقال وهو يتنهد بعمق: آه! .. لقد كانت ساعة رهيبة !! .. الحمد لله على كل حال يا أم محمود !

تمتمت المرأة بالشكر للرحمن عزّ وجل، وبدأت تعود لها نضارة وجهها وحيويتها وقالت: فعلا كانت ساعة رهيبة .. يا الله! .. الحمد لله .. الحمد لله على عدم حضور الأولاد هذا الموقف! .. الحمد لله حمدا كثيرا .

فقال معتصم وهو يمشي نحو غرفة النوم : الحمد لله .. ربنا لطف بنا .. لو كان محمود هنا وسأله رجال الشرطة عن عمه مهدي ماذا سيرد؟! أو حتى أمينة الصغيرة .. الموقف رهيب !! من حسن حظنا وحظهم أنهم لم يكونوا هنا الليلة .. مرة أخرى وأخرى الشكر لرب العباد .. الرعب والخوف قاتلان !!

ـ مهدي ؟! أتظنه نجا ؟!

ـ مهدي رياضي ، لا خوف عليه من تسلق المواسير ، لو حدث له شيء أثناء الهبوط لشعرنا به

ـ أرجو له السلامة .

ـ فكرت أن أنزل خلف العمارة لأطمئن عليه عندما ذهب هؤلاء القوم ؛

ولكني قلت لابد أنهم سيبقون رجالهم للمراقبة .. فالمعلومات لديهم دقيقة .. وهم يعرفوننا جيدا

ـ لابد أن رجالهم بقوا ، .. ربنا يستر.

ـ هذه ليست أول مرة يتعرض فيها مهدي للمطاردة والاعتقال .. ولكنهم هذه المرة أساءوا لرجال الدولة ولرأس الدولة إساءة كبيرة .. هداهم الله .. سيقبض عليهم آجلا أم عاجلا .. وهو هذه المرة مصرٌّ على عدم تسليم نفسه بعكس المرات السابقة كان يسلم لهم نفسه خلال أيام معدودات .

أخذت الزوجة تدعو لوالدة زوجها بالصبر والثبات ثم قالت : كان الله في عون الوالدة أم محمد

تبسم معتصم وهو يتذكر اعتقالات سابقة لمهدي وهزّ رأسه وقال : لا عليك يا أم محمود ! ربما أنت أول مرة ترين رجال الأمن يأتون إلينا في هذا البيت ، في بيت الوالد عرفنا ذلك كثيرا أمي تعودت على شغب مهدي ومشاكله مع الأمن السري والاعتقال والتوقيف .

اعتقال في شقة نمر

أما مهدي المطارد من قبل رجال الأمن السري ، فقد هبط عن طريق مواسير المياه على أرض الحديقة الخلفية للعمارة ، وتحرك بخفة وهدوء بين الأشجار ، ثم غادر العمارة من بابها الخلفي ولما أصبح على رصيف الشارع حمد الله على نجاته منهم ، وما زالت الرياح الباردة تعصف عصفا والأمطار تتساقط بغزارة وقوة فهمس محدثا نفسه : أين المفر .. أيها الفارس؟ .. إلى صديقي "نمر حميد" أرجو أن أجده في شقته .

وفي خطوات سريعة اخترق مهدي مروان عدة شوارع ، وفجأة وهو يهم بقطع أحد الشوارع وقفت أمامه سيارة الشرطة الليلة، فارتبك لحظات ، ثم تمالك أعصابه المتوترة عندما حدثه قائد السيارة : أين أيها الشاب! في هذا البرد والمطر والليل ؟!

فقال مهدي ، وكان قد أخفى نصف وجهه بغطاء رأسه موهما لهم أنه يفعل ذلك من شدة البرد : لقد أوصلت أخي للمستشفى القريب من هنا ، لقد أصابه مغص حاد ، فنقلته إلى المستشفى بصحبة أمنا ..وتركت أمي عنده وأنا عائد للبيت ، فأنا أسكن قريبا من هنا في شارع الشريعة

وتمعن السائق ومن معه في هيئة مهدي قليلا ، ثم انطلقت السيارة بـهم مسرعة ، فأسرع الشاب في اجتياز الشارع ، ثم دخل أحد الأزقة وهو يقول : لقد نجوت منهم مرة أخرى فلله الحمد يا الله .

ومن شارع لشارع وصل بطل قصتنا الشاب المطارد من قبل مباحث أمن الدولة إلى حي يقطن فيه صاحبه "نـمر حميد " ، ولما دخل العمارة ليصعد إلى شقته ارتفع صوت آذان الـفجر معلنا عن بداية يوم جديد .. وعندما وقف مهدي أمام شقة نـمر يطرق الباب ، وقبل أن يُفتح الباب هبط رجل من الطوابق العليا .. رجل تجاوز الستين عاما ، ولما وجد مهديا أمامه حياه وقال بدون مقدمات : لقد حضر رجال الشرطة مساء أمس وقبضوا على ساكن هذه الشقة يا أخ ! .. لعلك صديقه أو قريبه. رد مهدي باضطراب : قبضوا عليه!.. نعم ..نعم ..أنا صديقه ، كيف قبضوا عليه ؟ ولماذا ؟!

فقال الشيخ : ما اسمك يا بني ؟

فأجاب مهدي الرجل الشيخ : اسمي زكي يا سيدي الشيخ ! أخبرني ما الذي جرى لصديقي

فقال الشيخ : ليلة أمس عند صلاة العشاء ، وأنا صاعد هذا الدرج ، عائد من الجامع القريب كان رجال الشرطة يقبضون على ساكن هذه الشقة ـ وأشار بإصبعه السبابة إلى بابـها ـ وسمعت بعض سكان العمارة يتهامسون ويدّعون أنه رجل خطير ، مطلوب بعدة جرائم ، فمنهم مَن يقول أنه محتال عالمي ، ومنهم مَن يقول أنه مهرب عالمي شديد الخطر ، والله أعلم بالحق أيها السيد ... ! يا سيد زكي ما اسمك قريبك أو صديقك ؟؟

فقال مهدي من غير تردد : اسمه نمر ، فهو الآن بين يدي الشرطة .. أنا في الحقيقة ـ أيها الشيخ المحترم ـ قادم من سفر ، فقلت أمكث عند صاحبي بضع ليالي أبحث خلالها عن شقة أو منزل في أحد الأحياء ، أشكرك يا عم .

فرد الرجل قائلا : عمك أبو أحمد ! .. أسكن في الدور الرابع الشقة الأولى جهة اليمين يا ابني يا زكي !.

فقال مهدي: شكرا لك يا عم أبا احمد !..سأنتظر قليلا هنا ، ثم أذهب باحثا عن فندق أستأجر فيه سريرا .

فقال الرجل : هيا معي إلى المسجد أيها الغريب ، نصلي الصبح سوية ، وتظل في المسجد حتى تشرق الشمس ، ثم تبحث بعد ذلك عن سرير في أحد الفنادق .

رد عليه مهدي : سوف أستريح على هذا الدرج ثوان أيها الشيخ الفاضل ! ثم أتبعك يا عمي أبا أحمد !.

وتابع أبو أحمد نزوله درج العمارة متوجها

للمسجد لصلاة الفجر جماعة ، بعد هذه الثرثرة الطويلة ، فلما خف سماع صوت نعل حذاء أبي أحمد قرع مهدي باب الشقة مرة أخرى بطريقة خاصة ، ففتح له الباب ، وتعانق الصديقان مهدي ونمر ، وقال الأول : لـقد دهشت عندما سمعت هذا الشيخ يتحدث عن اعتقالك ، وأنهم قبضوا عليك .. لقد اندهشت حقا ، فلقد

سمعت حركتك أمام الباب عندما طرقت الباب المرة الأولى .

فقال نمر : نعم ، عندما طرقت الباب كنت خارجا من الحمام ، فقد توضأت للصلاة ، فاقتربت من الباب ، وقبل أن أنظر في عدسته سمعت صوتيكما .. وما يقول عنا العم أبو أحمد ؟

قال مهدي : الشرطة .. ما قصة الشرطة ؟!

ـ هو يقول الصدق ، لقد داهمت الشرطة البيت أمس ، وأمسكوا بصاحبنا "علي سالم" معتقدين أنه أنا ، فماذا يتحدث عنا جيراننا ؟

فجلس مهدي على مقعد واسع وذهنه مشغول بكثير من الأفكار ، وربما الأحلام ، وقال مجيبا : إنـهم يقولون عنك مهرب دولي ، وبعضهم يقول إنك محتال عالمي ، وأنا جئت إليك في آخر الليل هاربا من شقة أخي معتصم ، فلقد داهمها الليلة رجال المباحث السرية ، فلقد اكتشفوا مكان اختفائي ، فأرى أنّ الأمر بدأ يضيق علينا ، سوف أستأجر بيتا في حي وضيع مكتظ بالناس ، أما الآن فعلينا بالصلاة ، ثم الهرب قبل أن يكتشف رجال الشرطة أنهم قبضوا على رجل بالخطأ .. فلا أظن يا صاحبي أنّ هناك خطرا على الأخ علي .

فقال نـمر : أعتقد هذا ؛ ولكن المحققين قد يكون لهم قول آخر ، ولا يرون رأينا ، وأنا أيضا سوف أغير سكني اليوم .. يا صديقي ! فهؤلاء القوم مصممون بالقبض على زعماء الطلاب وقادتهم في ذلك اليوم الخالد في تاريخ الجامعة ، كيف يقف الطلبة أمام حاكمهم المسلم يطالبونه بإلغاء القوانين الوضعية ، وترك التبعية لدول الكفر ؟! كيف يكون هذا ؟!

قال مهدي معقبا : قضيتنا تحتاج إلى تضحيات جسام ، وصبر جبابرة ، فإيقاظ الناس من سباتهم أمر عظيم وشاق .

ونهض مهدي واتجه نحو الحمام للاستنجاء والوضوء ، وبعدما قاما بإقامة الصلاة جماعة في داخل الشقة قام نمر بإعداد الشاي ، وأحضر معه بعض قطع البسكويت ، وملأ الكوبين ووضع أحدهما أمام مهدي وهو يقول : اشرب يا أخي ! .. محنة ولسوف تزول وتندثر بإذن الله تعالى لا تهتم .. والصبر ممدوح .

قال مهدي مشجعا لصديقه في الحزب والجامعة : لست خائفا من الحبس والعقاب .. لابد من

التضحية والصبر .. ونحن لم نفعل حراما ومنكرا .. وهذه المطالب والشعارات منذ نشأت الحركة الدينية في بلادنا وبلاد المسلمين ونحن ننشرها ونعلنها على الملأ يا أخي نمر .. ليست بدعا من الحديث .. وذاك المنشور الذي وزع يوم حفل التخرج وزعنا مثله أو شبيها له كثيرا في الماضي .. وهذه اليافطات التي أزعجت رجال الأمن .. لا تكاد تخرج مظاهرة حزبية إلا وقد رفعتها أو رفعت مثلها .. أم القضية أنها رفعت أمام الحاكم فأصبحت إهانة للحاكم .. عجيب أمر السلطة اليوم في بلاد المسلمين ! .. ألا تريد أن تصحو السلطة من نومها في العالم الإسلامي وتحكم البلاد بشرع الله ودين الله .. الناس يرغبون بدينهم وإسلامهم .. لماذا نحكم بغير دين الله ؟!

قال نمر حميد : اهدأ أيها الأخ الصديق .. لم نأت بشيء جديد .. ولكنهم اغتاظوا لأنهم طلبوا من قادة الطلاب الهدوء وعدم رفع الشعارات السياسية وخاصة الإسلامية أمام شخص الحاكم وبعض الشعارات المكتوبة على اليافطات كانت حقيقة حادة ومزعجة ، وفيها اتهام جريء بالعمالة للغرب والصليبية العالمية والماسونية ..

ـ كان لابد أن يصل لحكام المسلمين اليوم " أن لا أسرار اليوم " .. إذا كانت صحف بلادنا لا تتحدث عنهم بصراحة فصحافة الغرب وإعلام الغرب يتحدثون بصراحة عن تبعيتهم لهم .. لماذا الخداع والتمويه على الأمة ؟! لماذا ؟! .. عقيدة البراء والولاء يجب أن تكون واضحة لا لبس فيها .. والتعاون والاستفادة من مدنيتهم يجب أن تكون واضحة أيضا .. وعلى الأمة أن تعرف الثمن المدفوع للحصول على مدنيتهم وحضارتهم .. هذا إذا كان لديهم حضارة .

كان هذه الحديث قائما وهم يشربون الشاي ويأكلون قطع البسكويت ، ولما لم يتكلم نمر بشيء قال مهدي : تكلمنا كثيرا بمثل هذا الكلام .. والآن قل لي كيف قبض على الصديق والزميل علي سالم .. ولم يقبض عليك أنت ؟!

ضحك نمر ضحكة قصيرة وقال : القدر!.. وأيضا تضحية من علي ومغامرة !! .. صلينا المغرب معا في مسجد الصديق أبي بكر .. المسجد القريب من هنا .. وكان عندي صداع شديد .. وقلت له ونحن في المسجد سأمرّ على الدكتور حاتم صديقنا ، فعيادته كما تعلم في نفس شارع المسجد ، واتفقنا على أن نلتقي في البيت ـ هذا ـ للعشاء معا بعد صلاة العشاء ، وهو كما تعلم يحمل مفتاح للشقة منذ تصاحبنا .. وكثيرا ما نام عندي .

وتابع نمر حميد الحديث فقال : لم أجد الدكتور في العيادة ، فقد انصرف لمعالجة مريض في بيته ،

فجلست مع المرض حلمي ، وتحدثت معه بالهاتف من العيادة ؛ لأن هاتف بيت المريض معروف لديهم ، فالدكتور يتردد عليه باستمرار .. فهو زبون دائم كما يقول حلمي .. فأخبرني أنه لن يتأخر ، وطلب مني الانتظار في العيادة .. وهو يحتاجني في موضوع

ابتسم مهدي وهمس : موضوع الزواج ؟!

ـ نعم ، فهو يرغب بالزواج مرة أخرى ، فامرأته مريضة للغاية كما تعلم ، وهي قد رضخت لرغبته بالزواج عليها .. كأنها خشيت الطلاق لما رأت إصراره على الزواج .

وبعد هنيهة عاد يقول: دخل العشاء ولم يحضر الطبيب ، فقد تأخر واضطررت أن أصلي في مصلى داخل العمارة الكبيرة .. ولما حضر تحدثنا في العلاج والزواج .. وكنت قد اتصلت بالبيت لأتحدث مع علي سالم ، وأعتذر له عن التأخير الطارئ .. فلم يرد البيت .. وقبل أن أغادر العيادة تحدث معي علي سالم مخبرا لي أنه معتقل بدلا مني ، وهو موجود لدى قسم الشرطة .. فهم معتقدون أنه أنا ، وهو لزم الصمت لأدبر أمري.. فاعتذرت للدكتور وعدت للبيت متسللا .. أعد نفسي للهرب والاختفاء.

ـ ألم يعرفوه ؟! أيعقل أن يخطئوا ؟!

ـ الذين قاموا بعملية الاعتقال الشرطة ، وليسوا البوليس السري

علي سالم

بعد أيام من محاولة اعتقال مهدي ونمر خرج السيد علي سالم من دائرة التحقيق الأمني ، ورغم اكتشاف رجال التحقيق أن المقبوض عليه لم يكن نمر حميد حبسوه عندهم بضعة أيام على ذمة التحقيق ، .. لم يعترفوا بخطئهم ، ولولا واسطة عم الشاب الموظف الكبير في أجهزة الدولة لربما ألصقت به أي تهمة، رغم أنهم لم يجدوا في ملفه في الجامعة ، وقبل الجامعة أي نشاط حزبي وسياسي له وأعادوا الكرة في اليوم التالي على بيت نمر حميد ولكنهم لم يجدوه ، وأثناء مراقبتهم للمنزل قبضوا على رجال قد حضروا للشقة بسيارة نقل ، وبينما هم ينقلون محتويات البيت أوقفوهم ، ثم تبين لهم أن هؤلاء باعة يشترون الأثاث القديم والمستعمل ولا علاقة لهم بنمر حميد ، وإنما تسلموا مفتاح الشقة من وكيل صاحب العمارة الذي استلم المفتاح من نمر حميد ، وكلفه ببيع أثاث المنزل لتكملة حساب أجرة الشقة .

استمر مهدي ونمر يتابعان حكاية اعتقال علي سالم ، وهما في غاية الدهشة لاستمرار توقيفه لعلمهما الأكيد بعدم وجود نشاط سياسي للسيد علي ، فكان مهدي يقول لنمر : هذه الحكومات وأجهزة أمنها أعتقد أنها ترى كل من صاحب حزبيا فهو

حزبي .. على هذا الأساس ـ والله أعلم ـ يطيلون حبس الصديق علي سالم .

تنهد نمر ثم أغمض عينيه وهو يقول : وهم يعلمون أن لنا زملاء من أحزاب أخرى يا أخي الفاضل .. أليس عماد ماركسيا ؟! وغيره كثير .. هم يقصدون الإذلال والتحقير .

ولما علما بالإفراج عنه بعد أيام ، لم يستطيعا زيارته في بيت والده إنما تحدثا معه بالهاتف وهنئاه على سلامته والنجاة من براثن رجال المكتب الأمني والسياسي، واتفقا على لقاء خارج البيت لسماع قصة التحقيق معه .

ولما جرت إحدى مباريات كرة القدم ذات الشعبية الكثيرة الجماهير التقى الشبان الثلاثة في مدرج المباراة ، وانشغل المشجعون بالصياح والصفير والتحدي ، ودارت بينهم بعض التعليقات والمهازحات حول الرياضة والجماهير اللاهية بمثل هذه المنافسات .. ابتعد الشباب الثلاثة إلى مكان يخف فيه الحضور والصياح .. ثم أخذ علي يحدثهم بقصة اعتقاله والتحقيق معه فقال باسما : تركني نمر ذاهبا للعيادة ، ومكثت في المسجد لصلاة العشاء جماعة .. وبعد الصلاة عدت للشقة منتظرا عودة نمر من العيادة ـ عيادة الدكتور حاتم ـ لتناول الطعام كما اتفقنا ، وكنت قدرت أن نمرا تعالج بين الصلاتين وسيصلي العشاء ويأتي سريعا .. فدخلت المطبخ لتجهيز الشاي ريثما يأتي الأستاذ .. وقبل أن أشعل النار وقد ملأت الإبريق بالماء ، وكنت أترنم ببعض أبيات الشعر التي حفظتها حديثا .. رن جرس الباب وأنا مستغرب لرنينه لعلمي بأن نمرا صاحب البيت ومعه المفتاح .. فخطر في بالي أنه أحد الجيران أو الزملاء .. فتركت الإبريق لأفتح للطارق ؛ فإذا هم رجال شرطة بلباسهم الرسمي .. دخلوا الشقة وطلبوا مصاحبتهم لقسم البوليس .. حاولت الرفض والاعتراض ولكنهم أصموا آذانهم .. وقام أحدهم بالبحث داخل الشقة عن أشخاص غيري ، ثم أغلقت الباب وسرت معهم ، وقد كان بعض سكان العمارة أو أناس من الشارع التموا على سيارة الشرطة ، ودفعوني في مقعد السيارة الخلفي .. وأنا أهزّ رأسي بسخرية .. أنا أعرف أنهم يقصدونك يا أخ نمر .. فقلت لنفسي : اصمت لنرى نهاية هذه السخافة .

ولزم الشابان الصمت فتابع علي الحديث : شيء مضحك !.. قلت لهم وأنا في السيارة يا ناس أنا ضيف لست صاحب الشقة ..فيضحكون ويسخرون ويقولون عندما تجلس أمام المحقق قل له ما تريد لعله يصدقك .. وصلنا للقسم ومركز الشرطة .. ساقوني إلى إحدى غرف أحد الضباط كما علمت بعد مكث يسير وسمعت أحدهم

يقول : امكث هنا حتى يحضر سليم بيك

ولما طال انتظار سليم بك استأذنت أحد الضباط بالحديث بالهاتف وأنا متوقع الرفض حقيقة ولكنه نظر إليّ ثوان وقال : تكلم واختصر . وأخبرني بأني مطلوب لأجهزة المخابرات المدنية ، فتبسمت وهززت رأسي ولم أعقب على كلامه ، وأخذت السماعة وتحدثت معك كما تذكر ، وأنا أعرف مليون في المائة أنه ليس أنا المطلوب .. المطلوب الحقيقي أنت يا نمر ..

عند منتصف الليل حضر الضابط سليم وحياني ورحب بحضرتي وأخبرني بأنني سأرحل لدائرة التحقيق في مخابرات المدينة ، فحاولت أن أبين له هو الآخر أنني مقبوض عليّ بالخطأ فقطع عليّ الحديث قائلا : أن تفاهمنا سيكون هناك .. فعدت للصمت ثانية ..

ثم حضر شرطيان وساقاني إلى سيارة جيب عسكرية ، وانتقلنا لدائرة الأمن السري للتحقيق ولكنهم لم يحققوا معي تلك الليلة ، وقد وعدني حضرة الضابط سليم بالتحقيق في الصباح .. وهكذا نمنا أول ليلة عندهم .

وقبل الظهر في اليوم التالي أدخلوني لمكتب السيد سليم فرحب بي ثم قال : أفطرت ؟ فأشرت برأسي نعم .. فقال : هل شربت شيئا ؟ فذكرت له أنني شربت كوبا من الشاي .. فعاد يقول لي : أتشرب قهوة ؟ .. أنتم الشباب تحبون شرب القهوة بنهم .

لزمت الصمت ، فتركني جالسا في الغرفة الصغيرة وغاب بضعة دقائق ، وعاد ومعه موظف يحمل دفترا ، وقبل الحديث والتحقيق دخل أحدهم بفنجان القهوة ووضعه أمامي فقال لي الضابط سليم : تفضل اشرب يا أخ نمر .

فقلت وأنا أنظر في وجهه باسما : أنا لست نمرا .

ضحك الضابط وقال متهكما : جميل ! أنت نمر في ساحات الجامعة .. أما هنا فهل أصبحت هرة ؟ !!

فقلت بامتعاض وضيق لغبائهم وعجلتهم : لست نمرا ولا هرة يا حضرة الضابط أنا ...!

فقال ساخرا أيضا : لست نمرا ولا هرة فما تكون إذن ؟!

همست : علي !!

فتجهم وجهه وقال : علي !! .. ما معنى علي ؟!

فقلت : اسمي علي سالم .

وقد هيئت بطاقتي الشخصية ووضعتها أمامه على المكتب ، فنهض قائما ـ وقمت مثله ـ يتفرس فيّ والغضب يرتسم على وجه وأخذ الهوية وهو يقول : ماذا تعني ؟!

ـ أعني أن رجالك قبضوا عليّ أنا ولم يقبضوا على نمر .

دقق الضابط في الهوية ثم ضغط على زر كهربائي ،

ولما دخل شرطي قال له صائحا : أين نبيل ناظم ؟! فليحضر عاجلا .

ورجع فجلس وهو يقول : أنت لست نمرا ولا هرة .. أنت علي سالم .. الهوية ليست مزورة .. كيف حصل هذا ؟!

ـ كنت في شقة نمر عندما جاءوا للقبض عليه .. ولما قلت لهم إنني لست نمرا ظنوا أنني أسخر منهم ..

ـ وأنت تظاهرت بأنك نمر ليهرب صديقك ؟!

ـ لقد فتشوا الشقة يا سيدي .. لم يكن في الشقة إلا أنا .. ونحن زملاء في الجامعة ، ولدي مفتاح شقته للصداقة التي بيننا .

وبعد تحقيق حول ملابسات هذا الخطأ لم يفرجوا عني ، وأخذوا يتحرون عني في الجامعة ، وهل أنا حزبي أم لا .. ومع خطأهم قضيت عندهم عشرة أيام حتى توسط لي قريب من أقارب الوالد فأعتقوني.. طبعا سألوني عنكم ، وأدليت بما يعرفونه عنكم .. وأنا لا أعرف أكثر من ذلك .. إنكما شابان تنتميان للحزب الإسلامي الذي يدعو لعودة حكم الإسلام في الأرض .. وتبرأت أمامهم من مشاركتي في الاحتفال الصاخب ولا أدري هل صدقوني أم لا ؟ .. والضابط سليم بعد أن اكتشف الخطأ الذي وقع به رجاله لم أره ثانية .. ونقلت لقسم الأمن الذي اعتقلني ، وبعد إجراءات إدارية خرجت إليكم وأنا أحس أنهم معي .. أمامي وخلفي .

قال المهندس مهدي : شعور سوف يفارقك بعد حين .. فنحن لنا سنوات ونحن تحت العين .. الحمد لله على السلامة يا صديقنا الفاضل .. نحن قد تعودنا على الالتقاء بهم ..

فقال نمر : لقد أزعجني القبض عليك يا صديقي .. وأشكر لك تضحيتك .. لولا اتصالك تلك الأمسية لربما صادوني .. لأنه قد لا يخطر في بالي أنك معتقل سأظن أنك انصرفت لأمر طارئ .. ومع ذلك اعلم أني قضيت ليلة اعتقالك الأولى في البيت في الشقة .. لابد يا أخي الكريم من التضحيات والصبر حتى يقضى الله تعالى أمرا كان مفعولا .

قال علي سالم : كان الله في عونكم .. أنا من عشرة أيام كرهتهم ، وكرهت حياتهم .. وعجبت لصبركم على الاعتقال والتحقيق .

تبسم مهدي وقال : تعودنا على اللقاء بهم .. وتحمل آذاهم .. والدين يحتاج للتضحيات والصبر كما قال نمر ..

قال نمر : ألم يصبر بلال وعمار يا أخ علي ؟!

قال علي : أتمنى لكم تحقيق أحلامكم !

قال مهدي : هذا ليس حلمنا وحدنا ؛ بل حلم الأمة .. ألا تشتهي أن يكون حكم الله ﷻ في

الأرض ؟!

ضحك علي وقال : كيف لا أشتهي ؟!

مسلم بالبطاقة الشخصية

في المدينة الكبيرة مصرف معروف ومشهور للناس ،مديره رجل مال وأعمال ذو غنىً واضح للعيان ، هو الاقتصادي الدكتور "سامي سبل نصار" ، يعتبر هذا الرجل في بلدنا رجل أعمال ناجح ،هذا الرجل الكهل لقد تيسرت له الدراسة في إحدى جامعات أمريكا ، فعندما أنهى دراسته الثانوية في قطره العزيز التحق بجامعة أمريكية لدراسة الاقتصاد والتجارة والإدارة ، وقضى من سنوات عمره هناك عشرين عاما ما بين دراسة وعمل ، ولما عاد الرجل لوطنه بكل الخبرة التي يحملها عمل في إحدى المؤسسات المالية الكبرى بضع سنين ، ثم أنشأ مصرفا مع ثلة من الأصدقاء ، وأصبح مديرا له ، فهو يعتبر رجلا ثريا من أثرياء المدينة ، وكذلك يعتبر رجل اقتصاد دولي ، له أهميته في بلده ، وهناك مَن يعده خبيرا عالميا ، فهو اقتصادي أمريكي ، فقد تشرب أيضا مع الاقتصاد أفكار الغرب الأمريكي وثقافة الغرب الأمريكي والأوروبي جميعا ، فهو لا يهمه الدين ، ولا يسأل عن الحلال أم الحرام ما دام الشيء جائزا في القوانين المعمول بها في البلد ، مع أن هذا الرجل في شهادة المواليد التي حصل عليها من دائرة إحصاء وتسجيل النفوس مسلم من أبوين مسلمين .

تزوج سامي سبل هذا فتاة أمريكية جذورها عربية ، قد هاجر أهلها قديما إلى أمريكا ، التقى بها أثناء الدراسة في الجامعة ، وحدث بينهما انسجام ، ولما حصل على الشهادة الجامعية الأولى { البكالوريوس } تزوجها ، ووهبه الخالق الوهاب منها ثلاثة أنفس ، الفتاة الكبرى بكره الآنسة سميرة ، وهي أثناء أحداث هذه القصة تدرس الطب في أمريكا ، فبعد أن أتمت دراستها الثانوية من مدرسة أهلية خاصة ذات مواصفات عالية ، سافرت لتلك البلاد ، وهي الآن تعيش في كنف أخوالها ، وأما الفتاة الثانية فهي الآنسة فوز ، التي تصغر أختها بسنتين ، وقد التحقت في جامعة قطرية ، تتعلم إدارة الأعمال ، وقد أنهت سنتها الثالثة ، أما النفس الثالثة، فهو فريد الابن الأصغر لهذه العائلة ، وهو يتعلم في كلية الشرطة ؛ ليكون ضابطا في المستقبل ، فسامي سبل يرى نفسه بأنه ابن الغرب وابن الثقافة والحضارة الأمريكية وربيب العلمانية ، من أجل ذلك لم يكن سامي نصار يمارس الشعائر الإسلامية التقليدية من صلاة أو صوم أو حتى الاحتفاء بالأعياد الإسلامية ، فهذه الرموز العظيمة في الإسلام لم يكن لها في حياته شأن أو أدنى اهتمام ، ونفس المعاني والأفكار موجودة في حياة زوجته "شادية"، فهذه

الأسرة منذ سنة مضت كانت تمر بها عاصفة ، ويمكننا أن نقول إعصار ، فهم في حالة انزعاج وقلق وتوتر وخوف من المجهول والعجيب أن سبب هذا كله هو دخول نور الإيمان والإسلام إلى هذه الأسرة .

فإن الابنة العزيزة "فوز سامي" تركت التقليد الأعمى للغرب ، وتابت إلى الله ، فالطالبة التي كانت ترتدي أجمل الثياب الفاضحة وأغلاها سعرا ، والتي كانت تتابع صرعات الموضة من لبس وقصات وتصفيف الشعر وزينة مثيرة وتبرج .. من لبس الثياب القصيرة المثيرة للشهوات والأغراء ، والتي كانت تقضي جل أوقاتها في اللهو والمرح البعيد عن لهو ومرح التعاليم الإسلامية .. لقد كانت فوز تختلط بالشباب في الأندية والمقاهي المختلطة ، وتمزح مع الشباب الأجنبي من غير حياء ولا رادع من دين أو عادات وتقاليد ..وكذلك ترافقهم في الحي والجامعة والمسرح ودور السينما، وتسمع للأصوات الموسيقية الصاخبة والأغاني المثيرة للغرائز والشهوات ، وكانت مشغولة في الحفلات الكثيرة الأسماء ، من حفلات أعياد الميلاد لها ، ولأصدقائها ومناسبات أخرى .

الفتاة التي تجد كل تشجيع من والديها للانخراط في هذا النمط من الحياة الماجنة والفاسدة ، لا توجد في بيئتهم قيم الإيمان والأخلاق لتردعهم ، فوالداها والحي الذي تعيش فيه كل ذلك يدفعها للانغماس في هذه الملذات الشهوانية البهيمية البعيدة كل البعد عن تعاليم وأخلاق الدين والإيمان ، هذه هي البيئة التي كانت تحيا فيها الآنسة فوز .

كل هذا قد تغير فجأة .. الفتاة عادت لدينها! .. الفتاة استيقظت من جاهليتها! ثابت إلى الله ، وبدأت تعود للأيمان المفقود من كيانها .. أخذت تتعلم الإسلام ؛ كأنها دخلت الإسلام من جديد .. فهي تقرأ عن الصلاة والإسلام .

فوز سامي اهتدت ورجعت لجلبابها وثوبها الشرعي وعنوان كرامتها وشرفها في هذه الجاهلية فقد ابتعدت عن أصدقائها المستهزئين بإسلامهم ، وهجرت أبناء وبنات صديقات أمها وأبيها وقد أتلفت آلات الموسيقى وأشرطة الأغاني والموسيقى التي تملكها ، وأخذت تؤب إلى الله تعالى وقد لاحظ والديّ فوز هذا الانقلاب المفاجئ من أول الأمر ، وظنوه بل اعتقدوه لحظة عابرة أو سحابة صيف زائلة .

يتذكر الوالد سامي عندما أخبرته زوجته شادية أنّ فوزا تسألها : لماذا لا تصلي أنت يا أمي ؟! بل لماذا لا يصلي أبي يا أمي ؟! ألسنا مسلمين ؟! وهل يكون إسلام من غير صلاة ؟!

كان الأب يظن ويعتقد أنّ هذه الأفكار دخلت البيت بسبب مرض ووفاة صديقة فوز الآنسة جميلة التي أصيبت بمرض عضال مخيف ، خطفها من بين أحضان أسرتها وأصدقائها ؛ لذلك لم يكترث الوالدان للتغير الذي طرأ على الفتاة ، ولكن فتاة قصتنا كانت على غير ما يظنون ، فلقد تخلصت من ملابس العري والتهتك ، ونبذت أصدقاء الإثارة ، بل أخذت تنطلق إلى بيوت الله والمراكز الدينية لتستمع الدروس والمواعظ ، وأحيانا تذهب إلى صلاة الجمعة في المساجد المنتشرة في طول البلاد وعرضها ، مضت شهور وتلتها شهور والفتاة تزداد تمسكا بتعاليم الإسلام الواضحة ، وأصبحت صديقاتها من الفتيات الملتزمات بآداب الحجاب والصلاة والإسلام ، أشرطة الكاسيت المسجل عليها آيات القرآن تصدح في جنبات الفيلا ، أصبح هناك صراع بين الأسرة المتغربة والفتاة المهتدية التائبة ، باتت فوز كابوسا لهم ، ارتفعت وتيرة التهديد والوعيد ، والفتاة تصر على التمسك بتوبتها والسير على هدي المسلمين الأولين ، لا تبرج ، ولا اختلاط ، ولا مصافحة للرجال الأجانب ، رجعت فوز لفطرتها السليمة .. إلى النور الذي أزال ظلمات الجاهلية الأولى .

ابن أحد الأصدقاء

ذات مساء والسيد سامي سبل يجلس وزوجته شادية في غرفة واسعة مؤثثة بأحدث وآخر طراز من المقاعد والديكورات والتحف والصور الفاتنة ، وبعد أن رشف الرشفة الأخيرة من فنجان القهوة الذي قدمته له زوجه أم فريد ، وقد شربه وهو ملتزم بالصمت ، وهو ينفث دخان السيجارة ، وكانت زوجته تجاريه في الصمت وشرب القهوة ونـفث الدخان ، فلما انتهى من شرب القهوة قال بضيق وألم وحيرة: هذه الفتاة لا يصلح معها إرشاد ونصائح ، وقد ازداد تمسكها بهذه الطقوس القديمة العتيقة ، فأرى أن أزوجها من ابن أحد الأصدقاء قبل أن تنهي جامعتها .. لعلها تؤب وتثوب لنفسها ، وترجع لما كانت عليه من حياة وشباب ومتعة ، لقد صبرنا عليها كثيرا يا شادية! وأعصابي لم تعد تحتمل أفعالها وأقوالها ، فأود أن نفعل ذلك بهدوء لا أدري ما الذي قلب هذه الزهرة الجميلة وغيرها ؟! .. لقد كنت أبني عليها آمالا كبيرة في إدارة البنك .

ردت شادية على زوجها قائلة ؛ وكأنها مستخفة بفكرة زوجها : ومَن يقبل بها من أبناء أصدقائنا؟! .. فكلهم يعرفون أخلاقها الجديدة ، ويعرفون عنادها ، وقسوة قلبها .. فكم من مرة حاولت ردها وردعها عن هذه الطقوس العتيقة ؟! .. وكم صديقة من صديقاتها الجدد قد طردتهن من هذا

البيت؟!..وكم صرخت وكسرت من هذه الأشرطة التي تصغي إليها؟! .. ولكنها يا دكتور سامي تزداد تمسكا بهؤلاء الصديقات ، وتمسكا بهذه الأشرطة ، وتمسكا بهذه الثياب السوداء الموحشة .. لا أدري كيف تلبس النساء مثل هذه الملابس؟!كيف يتحركن ؟! كيف ينظرن ؟! كيف يتنفسن ؟! كيف يشتغلن ؟! .

فأجابها الأب والضيق جلي على وجهه وحتى في نبرات صوته : أنا ضقت ذرعا من أفعال ابنتك لم نعد نسر في لهونا وسهراتنا ونزهاتنا ، أمست مجالسنا كلها عن فوز ، وآخر أخبار فوز .. هل صحت من جنونها؟.. هل خلعت جلبابها؟ هل استيقظت من سكرتها ؟ يا أبا فريد التدين ليس هكذا.

ثم رفع صوته محتدا : يا شادية .. لقد أصبح البيت دار عبادة .. قرآن .. قرآن .. أريد أن أزوجها وأخلص من شرها .

فقالت الأم وهي تحرك يدها كأنه تدعوه للهدوء: وأنا مثلك قرفت منها ، وجعلت حياتي نكدا وغما .. مَن من أبناء أصدقائنا يرضى بها ؟! .. وهي بـهذه الصفات؟ وكل أصدقائنا حياتهم كحياتنا، من يشتري هم من صاحبه ؟! يا أبا فريد!

فقال الرجل المتمدن والمتغرب أكثر من الغربيين : أنا فكرت كثيرا في أمرها وأمرنا ، ولنا أكثر من سنة نقول اليوم أو غدا يرجع لها عقلها ، ومضى الزمن ولم ترجع لحياتنا الجميلة ، بل تزداد تهورا وحمقا وتعلقا بهذه العادات البالية.

وسكت قليلا يلتقط نفسه ثم قال مصطنعا الهدوء : فكرت بأمرنا ، فبان لي حلول مختلفة لإنهاء مشكلتنا بسلام وبدون مشاكل مضاعفة ، فتبين لي أن الحل الأمثل والأيسر هو زواج ابنتا ، فقد لمست من حديثي المتكرر معها بأنها لن تتغير مع الأيام .. ولن تصحو .. وأنا لا أحب الصراع والقتال ،ولا أحتمل أكثر من سنة .. فرأيت أن الزواج هو الحل الأيسر لنا ولها .

فقالت الزوجة بعد أن تأملت بقرار سامي : حسنا ؛ ولكن من يرضى بها من أبناء أصحابنا يا سامي ؟! أم تريد أن تزوجها لرجل من الشارع ؟! أم المهم أن نخلص من شبحها ، وما تثيره في أنفسنا من تلك العادات والتقاليد البالية التي عفا عليها الزمن وأكل كما أشرت يا دكتور سامي

فعندئذ قال سامي بكل هدوء وروية ؛ وكأنه وصل إلى ما يريد وارتاح إليه : لقد كلمت زميلي في البنك الأستاذ عمارا في هذا الموضوع وهذه المشكلة ، فأنبأني أن لديه شابا قد أنهى دراسته الجامعية منذ سنوات ، ويشتغل في مصنع كبير ، وله رغبة بالزواج ، وقال لي بأنه سيحاول إقناعه بفوز ، وسيرد عليّ خلال أيام قلائل .. وأنت عليك أن

تهيئ الفتاة لهذا المشروع ، وأن تقنعيها بالقبول بهذا الزوج المنتظر .

ضحكت الأم وقهقهت وهي تسمع كلام زوجها ، ولما كفت عن الضحك قالت : والله يا سامي! أنت رتبت الأمر قبل أن تفاتحني فيه؛ ولكن هو ما قررت وخططت ، فالأستاذ عمار صديقنا وكذلك زوجته رامية ..سأكلم فوزا بهذا الأمر العسير .. واعلم الآن بما أننا انتهينا من شأن العاقة ، أنه قد جاءتنا اليوم رسالة من ابنتا سميرة تخبرنا فيها بأنها قادمة إلينا قريبا ، وبرفقتها ابن أخي فارس لقضاء إجازة في ربوع بلادنا ، فعليك أن تنظم وترتب وقتك للتجوال معهم يا سامي!.

فرد سامي بضيق : عندنا موسم عمل كبير يا شادية ! فإما أن تهيئ السائق "يمام" للقيام بهذه المهمة ، أو احجزي لهم عن طريق شركة سياحية .. أنا لست مهيأ للسياحة والرحلات هذه الأيام ، فسوف يعقد في البلد مؤتمر اقتصادي مهم ومطلوب مني المشاركة فيه .

فاتحت الأم المتغربة ابنتها فوزا في مشروع زواجها القادم ، فرفضت فوز الفكرة بشدة ، وقالت لأمها بصراحة ووضوح وجرأة: أعلم أنكم تودون الخلاص مني، لقد ضقتم بي ذرعا ، فالانحلال والخير لا يجتمعان في هذا البيت ، وأنا بإذن الله لن أعود للضلال والفجور والخمور أبداً .. أبداً يا أمي ! لقد كنت في ضياع وضلال مبين ، الحياة ليست كأس خمر ، ورؤية فيلم سينما ماجن أو حتى غير ماجن ، أو حفلة رقص وغناء ، وأكل وشرب .. حياتنا هذه طريق إلى الدار الباقية إلى الخلود والسعادة الدائمة التي لا ينغصها مرض وفراق وموت.

وتريثت فوز لحظات ، ثم تابعت الكلام قائلة : واعلمي يا أمي العزيزة ! أنني لن أتزوج إلا من شاب مسلم .. مسلم بمعنى الكلمة ليس صورة فقط أو مسلما في البطاقة الشخصية فحسب إيش مسلم يشرب الخمر؟! مسلم يرقص مع النساء ، يجلس مع هذه مرة ، ومع تلك مرة .. الحمد لله الذي أنقذني من الهلاك والغي .. أتزوج ممن أريد أنا لا أنتم ! ولابدّ أن يكون ذلك بعد إنهاء دراستي الجامعية .

كانت فوز تتكلم بانفعال وحدة مع سيطرتها التامة على أعصابها ، وردت عليها أمها بكلام شديد مع صراخ وحدة وعصبية وسب ، وخلاصته "لابدّ من زواج فوز " ، فقالت فوز : لولا الحياء والسمعة والعيب لرحلت عنكم ، وسكنت في شقة وحدي ؛ لترتاحوا من رؤيتي وسماع جنوني كما تقولون ؛ ولكنني فتاة عزباء لا يحق لها العيش في منزل لوحدها ، فاصبروا حتى أنتهي من سنتي الأخيرة هذه ، ولسوف يهبنني الله تعالى

الزوج الصالح .

فقالت أمها بجفاء وغضب : نحن نزوجك مَن نشاء ومَن نختار.

فقالت الفتاة بشجاعة وصلابة : أين الحرية التي علمتموني إياها يا أمي ؟! أين الحرية التي تتشدقون بها في مجالسكم وندواتكم وسهراتكم ؟!.. "لازم الشاب والفتاة يعطون الحرية الكاملة في كل شيء ".. أين حرية المرأة التي تتغنون بها ليل نهار؟! .. ففي هذه القضية المصيرية كشرتم عن أنيابكم وتتشددون عليّ .. أليس من حرية المرأة أن تختار شريك حياتها ؟ أو ليس من الحرية أن أعيش كما أريد وأرغب وأشتهي ؟! ..أليس من الحرية أن ألبس ما أشاء وأحب وأرضى ؟! أليس من الحرية التي علمتموني إياها أن أفعل ما أريد من غير رقيب ولا حافظ أو حسيب ؟! .. ألستم أهل الحرية كما تزعمون ؟! وهل الحرية والانفتاح فقط هو أن ألبس فستانا قصيرا أو بنطالا مزريا ؟ وهل الحرية أن أعرض شعري وجسدي للناظرين؟! أمي لقد كنت في جاهلية وظلام أسود ..أمي أنا عرفت الدرب والجادة ..هل يعقل أن يترك المرء النور والجمال ويعود للعتمة والجهل؟ أمي ! فلم لا يكون لي الحرية في لباس الجلباب وفي غطاء شعري وحتى وجهي ؟! فلم لا تكون لي الحرية في إكمال جامعتي والزواج ممن أراه مناسبا ؟!.. قولي لأبي العزيز ، لا زواج قبل إنهاء الدراسة .. ولا زواج من مسلم في البطاقة الشخصية فقط ، لا أريد أحدا من أبناء نواديه وحفلاته .

تقبلت الأم ثورة ابنتها بغيظ شديد وسخط وحيرة أيضا ؛ ولكنها أمام اندفاع الكلام من بين فكي فوز كالماء المتفجر، لم تستطع الكلام سوى التلويح باليدين والضغط على الأسنان والشفتين ، ولما سكتت فوز عن الكلام ، قالت الأم : ما كنت أود أن أسمع منك هذه المحاضرة نحن تركنا لك الحرية في الصلاة واللباس والتدين على أمل أن يكون ذلك غمامة صيف زائلة ، واعتقدنا أن ذلك حدث لك متأثرة بموت صديقتك العزيزة جميلة ؛ ولكن هذا التدين زاد عن حده ..ونحن كما تعلمين أسرة منفتحة لا نستطيع الرجوع للوراء إلى عصور الظلام والتخلف.. نحن الآن في عصر الحاسوب والفضاء والذرة .. فما أنت عليه تقاليد بالية

تبسمت فتاة قصتنا من كلام أمها الساذج ؛ ولكنه للأسف كلام كثير من المتغربين ، وقالت بكل ثقة : يا أمي المثقفة ! ما دخل الدين والعبادة في عصر الحاسوب والإيدز والسرطان ، فالدين لكل الأيام والعصور .. فالكفار والغرب عامة أولئك المتحضرون والمتقدمون أولئك النصارى واليهود الذين يعيشون في بلاد التقدم والتكنولوجيا هل

ترك كل هؤلاء الناس أديانهم ؟! ..هل أغلقوا كنائسهم ومعابدهم؟! بل ما زالوا يتعصبون لنصرانيتهم ويهوديتهم ، بل نرى يا أمي ! الهندوس والبوذيين يتعصبون لآلهتهم .. نحن فقط الذين انسلخنا عن ديننا وإسلامنا ، فلا نحن متمسكون بإسلامنا ، ولا نحن خرجنا منه .. وما زال هؤلاء الكفار ينعتوننا بالمسلمين مع بعدنا المذهل عنه.. فلم لا نكون مسلمين حقا أيتها الأم ؟! أما فكرت أن تسجدي لله ولو مرة واحدة في حياتك ..آه.. يا أمي! .. إنك ابنة أمريكا.. هل يا ترى والدك عندما هاجر إلى هناك كان يعرف الصلاة والصوم؟! أليس هناك موت ؟! هل نحن مخلدون في الدنيا؟! ها هي جميلة الجميلة والصغيرة، قد وقف الأطباء عاجزين عن مداواتها وعلاجها ، فماتت بالمرض العضال ، فما نفعها تقدم وحضارة الغرب.

فقالت الأم بغيظ وقهر : آه منك يا فوز ! أصبحنا لا نستطيع الكلام معك .. كم أود أن تفارقي هذا البيت ! نحن لم نتعود على ما أنت فيه .. نحن نعيش في كابوس ، حتى الطبيب النفسي هرب من لقائك ، وخشي على نفسه من أفكارك .. لقد نغصت علينا مرحنا وحياتنا الهادئة الساكنة الجميلة ، لم نعد نلتذ بحفلة وسهرة ..عليك أن تقبلي بالزواج ، فأعصابنا قد تعبت.. كيف نحيا من غير خمر ورقص وطرب لقد أدمنّا على ذلك؟!

ردت فوز بحزن وألم : هذه هي المأساة يا أمي ! .. أمضيت حياتك في أمريكا ما بين ملهى وحانة ومرقص ، فكيف تتغيرين ؟! كيف تتركين العادات السيئة التي تغلغلت في دمك وبدنك ؟! ولكنني سوف أظل أدعو لـك بالهداية والتوبة ، لعل الله يهديك للصراط المستقيم أمي الحبيبة ! لقد كان العرب في الجاهلية يشربون الخمر ، ويفعلون الموبقات؛ ولكنهم بالإسلام الصادق الصحيح تركوا تلك الأفعال القبيحة والملذات الفانية ..وأول الطريق يا أمي الحبيبة النية الصادقة

هاجت شادية ثانية ، فأخذت بالصياح والهذيان وتشتم ملاكها الجميل من جديد ، النور الذي بزغ في ظلمات البيت المعتم ، فتركت فوز أمها تصرخ وتولول ، وانسحبت لغرفتها ، وهي تلهج بالدعاء إلى الله أن يثبتها على ما هي عليه من الهداية والأيمان ، وأن يصلح الله قلب أمها المتغرب والمتفرنج أكثر من الفرنجة .

فوز

فوز سامي فتاة تجاوزت العشرين ربيعا أثناء حوادث هذه القصة ، فقد ولدت فوز في ولاية من الولايات الأمريكية الخمسين خلال غربة والدها للدراسة ثم العمل، ودرست سني حياتها الأولى في مدارس الغرب ، وهي فتاة ذكية وجميلة ، ولما عاد

والدها لبلده العربي ، استقر في حي لا تكاد تفرقه عن أحياء الغرب الحديثة سواء في فيلاته أو قصوره أو شققه حتى في شوارعه ومتاجره ، وفي الحي الغربي أو المقلد للأحياء الغربية دور للهو ، ونوادي مختلطة ، ومسابح مختلطة ، وفيه داران للسينما ، ومسارح وصالات ومراقص وحانات ، ومدارسه أيضا مختلطة ، صمم وأنشئ على الطراز الغربي حذو القذة بالقذة ، وهذا الحي يقطنه كثير من الأثرياء الكبار في البلد ، وكذلك رجال المال والأعمال ، وكذلك عائلات الدبلوماسيين والغربيين ، فهو حي راق تتوفر فيه الأسواق الحديثة والخدمات التي تتطور سريعا ، وفوز ابنة بيئتها ، وهذا هو الحي الغربي ، فأبوها وأمها ومن يدور في فلكهم من الأهل والأقارب والجيران على شاكلتهم ، الأسماء فقط عربية وإسلامية ، أما الطباع والصفات فهي غربية إلى حد كبير ، الفتيات يلبسن البنطال القصير أو الضيق المجسم العورات من غير حياء وخجل ، احتضان شاب لفتاة لا حرج في تقاليدهم ، إنهم أصدقاء وأجواء حرية.. اللهو مع الشباب جائز وأمر طبيعي ومباح في عرفهم سواء في المسبح أم ملعب التنس أم غير ذلك من الأماكن

الرحلات والاشتراك في الحفلات والمهرجانات بين الجنسين جائزة في شرعهم من غير حرج وضيق وتزمت ، ومنتشر بينهم التدخين سواء من السجائر أم النرجيلة، وشرب المسكرات شائع بينهم ، لا أحد ينكر عليهم ذلك ، بل بعض الأسر في الحي انتشر بين أفرادها تعاطي المخدرات ، وكذلك الأسماء الأوربية شاعت بين فتيان وفتيات الحي ، الغيرة على الأعراض ضعيفة بينهم إن لم تكن ميتة ، الرجل في الحي الغربي يرى ابنته أو أخته أو زوجته في مواقف مريبة فيتظاهر بأنه لم ير شيئا ، اختلاط تام بين الرجال والنساء والشباب والفتيات دون حرج أو عوائق ، هذه هي البيئة والأجواء التي كانت تعيش فيها الآنسة فوز ، ومن يعترض ويحتج على هذا الوضع يوصف بالرجعي والمتزمت والمتخلف ؛ كأن الحي وسكانه قطعة من حي مدينة غربية أوروبية أو أمريكية ، ومع كل هذا الفساد المحيط بهذا المجتمع الصغير أنهت فوز دراستها الثانوية بنجاح ، وحصلت على مقعد جامعي في إحدى كليات التجارة والاقتصاد ، واختارت تخصص إدارة العمل على أمل العمل في المصرف الذي يملكه والدها ويديره في نفس الحين ، والآنسة فوز سامي كانت تقضي بعض مواسم الصيف والعطلات الصيفية أو الشتوية في رحلات إلى أوروبا أو أمريكا ، فأبوها ذو مال جسيم يوفر لها ذلك ، وأمها شادية تعشق السفر والرحلات السياحية ، فهذه صورة بسيطة للمكان

والزمان اللذين نشأت فيهما بطلة هذه القصة فوز سامي ، تلك الفتاة الحسناء .

قد يكون من حسن حظ هؤلاء الناس أنهم يتعلمون في جامعات يتعلم فيها الفقراء والأغنياء والمتدينون والمتحللون .. وتتصارع عادة في الجامعات الأفكار والطروحات المختلفة سواء الدينية أم غير الدينية ، ففتاتنا الجميلة فتاة مستهترة بالحياة ، عندها لهو ولعب وزينة وتفاخر بالأموال والسيارات والرحلات وحفظ أسماء وأخبار نجوم الفن والرقص في العالم العربي والعالم الغربي ، فلباسها لباس فاضح لا حشمة فيه ولا ستر ، وسيارة فاخرة ، وزميل ولهان أو أكثر يحومون حولها كما تحوم الفراشة أو الذبابة حول الفانوس المشتعل ، زينة مثيرة .. عطر فرنسي فواح .. صلاة .. صوم .. طهارة .. إسلام .. هي كلمات تسمع بها أو قد تكون عرفتها من دراستها لمادة التربية الإسلامية أيام المدرسة ، أما تطبيقاتها ومعاني تلك الأسماء فهي طلاسم مجهولة أو رموز مغرقة في الغموض لشاعر من شعراء الرمزية ، وحتى سيرة النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) فهي لا تعرف منها وعنها إلا النزر القليل .. من هو محمد ؟! .. قد لا تعرف عنه شيئا مؤكدا أو دقيقا ، قد تقول عنه هو رجل صالح أو مصلح أو هو رجل بعثه الله للعرب القدماء ، فقد كانت فوز تدرس في مدرسة خاصة ، وهذه المدارس كل تركيزها على تحصيل اللغات الأجنبية، فالكوادر التعليمية فيها ـ تلك المدارس ـ أكثر كلامهم أمام الطلاب بتلك اللغات البريطانية الفرنسية ، فاللغة العربية في نظرهم لغة ثانوية ، فالعربية أقنعوهم أنها لا تصلح للرياضيات والعلوم ، وتجد المعلمين في تلك المدارس يودون لو يدرسون مادة التربية الإسلامية باللغة الإنجليزية ، فهم يتقنونها أكثر من عربيتهم التي لا يعرفون فاعلها من مفعولها ، فما أدراك بحروف الجر والشرط !



وفوز ابنة الدكتور سامي سبل كانت نجمة من نجوم حيها وكليتها ، الحياة عندها هي وصويحباتها مجرد لهو ومتع ، فالمال في أيديهم متوفر ، وفي النهاية يحصلون على شهادة جامعية وفرص العمل مهيأة لهم ، فهؤلاء الأثرياء لا بطالة أمامهم وفقر .

ولقد ذكرت لكم أيها القراء الأعزاء آنفا !.. أنّ هؤلاء الموسرين من حسن حظهم أنّ الجامعات التي يرسلون إليها ذرياتهم تحتوي على خليط من

أبناء طبقات وفئات المجتمع المختلفة ، ففيها الأغنياء والفقراء والطبقة الوسطى ، ففيها التيارات السياسية المتنافسة والمتصارعة ، فالتيارات والأحزاب تتنازع وتتقاتل من أجل الوصول إلى مقاعد البرلمان والحكومات ، وهذا الصراع صداه موجود بين طلاب الجامعات ، فتجد في القطر دعاة لأحزاب وطنية ، وآخرين لأحزاب ماركسية وقومية، وهناك دعاة التغريب والعلمانية الغربية، وكذلك الأحزاب الدينية وما يسمى الجماعات الإسلامية المتعددة الأسماء، المتنافسة مع بعضها أولا ، وثانيا مع الأحزاب الأخرى، باختصار نقول " خليط من الأفكار المتناقضة " ،..هذا هو جو وبيئة الجامعات في بلاد المسلمين في هذا القرن ، أعود بكم إلى بطلة القصة فوز الطالبة في كلية التجارة ، فلفوز هذه صديقة وزميلة في الفصل اسمها أسماء ، وأسماء هذه لم تكن إلا فتاة ذكية ونشيطة في قسمها وكليتها ، ومثار اهتمام المدرسين والمحاضرين لذكائها وجديتها في الدراسة ، ومهارتها ومشاركتها في نشاطات الكلية المختلفة ، فهي فتاة ظاهرة بارزة في الفصل والكلية، فهذا ما دفع فوز للاحتكاك بها ومصاحبتها ، بل ساعدتها فوز بالتدرب في مصرف والدها على أعمال السكرتارية والإدارة ، وأحيانا نادرة سمحت لها بزيارتها في البيت ومشاركتها في حفلات عيد ميلادها وغيرها من الحفلات .

وأسماء لم تكن من أبناء الطبقة الغنية والمسيطرة على ثروة القطر والبلد ، فأبوها بقال متوسط الحال ، يقطن في حي متواضع ، وقد لا يكون له سلطة قوية على أسرته في مثل هذا الزمن ، لذلك كانت أسماء فتاة متحررة في مقياس أهل هذا الزمان ، فهي غير ملتزمة باللباس الإسلامي للفتاة المؤمنة حق الأيمان ، ولكنها محافظة في أخلاقها العامة ، ولم تفسح المجال للعلاقات العاطفية العابرة في حياتها كما يفعل كثير من طلبة الجامعات اليوم باسم الحرية ، فزملاؤها الذكور مجرد أصدقاء دراسة ليس إلاّ ، قليلة الاختلاط بهم ومشاركتهم مجالسهم ، وقد تكون ثقافتها الدينية أحسن حالا من فوز ،.. فلقد كانت صداقة بين الطالبتين ؛ وإن لم تكن تلك الصداقة والعلاقة الحميمة بينهما ، فهناك مجاملات وملاطفات ، ففوز تستعين بدفاتر وكراسات أسماء التي تكتب عليها المحاضرات بسبب تغيبها المتكرر أو خروجها عن الاستماع لسبب ما ، ولم تكن أسماء تبخل عليها بجهدها ، لعلها تطمع أن تتوظف في مصرف والد فوز في يوم ما ، فكان في خلدها " أنّ صداقة فتاة مثل فوز لا يفرط

فيها ، ولا تخلو من مصلحة " وكانت أسماء تطلع فوزا على أخبار ونشاطات الطلاب والجولات والرحلات وأمور أخرى ، وهذه صورة عن صداقة الفتاتين .. تتبع في الجزء القادم .

الرجل البديل

قال : كُنْتُ أَعْمَلُ مَعَ صَاحِبِ الشُّرْطَةِ بِبَغْدَادَ فَأَخْرَجَ لُصُوصًا مِنَ الْحَبْسِ وَاسْتَأْذَنَ مُعِزَّ الدَّوْلَةِ فِي قَتْلِهِمْ وَصَلْبِهِمْ عِنْدَ الْجِسْرِ فَأَذِنَ لَهُ فَصَلَبَهُمْ عِشَاءً وَكَانُوا عِشْرِينَ رَجُلا وَوَكَّلَ بِهِمْ جَمَاعَةً فَكُنْتُ فِيهِمْ وَالرَّئِيسُ عَلَيْنَا فُلانٌ وَقَالُوا كُونُوا عِنْدَ خَشَبِهِمْ بَقِيَّةَ يَوْمِكُمْ وَلَيْلَتِكُمْ حَتَّى إِذَا كَانُوا مِنْ غَدٍ ضُرِبَتْ أَعْنَاقُهُمْ فَبِتْنَا وَنِمْنَا فَاحْتَالَ بَعْضُ اللُّصُوصِ وهرب فأخذنا رجلا .. فَضَرَبْنَاهُ وَقُلْنَا أَنْتَ اللِّصُّ الَّذِي هَرَبَ مِنَ الْخَشَبَةِ وَجِئْنَا بِهِ وَرَقَّيْنَاهُ إِلَى الْخَشَبَةِ وَصَلَبْنَاهُ مَكَانَ الْهَارِبِ وَهُوَ يَصِيحُ طُولَ اللَّيْلِ وَيَبْكِي .

فَصَاحَ بِهِ الْمَلاحُ [لصاحب الشرطة] بِوُقُوفِكَ بَيْنَ يَدَي اللهِ ادْعُ بِي وَاسْمَعْ كَلامِي فَلَسْتُ مِنَ اللُّصُوصِ الَّذِينَ أَخْرَجْتَهُمْ وَأَمَرْتَ بِصَلْبِهِمْ وَأَنَا مَظْلُومٌ .

فَفَكَّرَ ثُمَّ أَمَرَ بِإِطْلاقِهِ ثُمَّ قَالَ هَاتُوهُ إِلَيَّ فَرَدَدْنَاهُ فَقَالَ اشْرَحْ لِي قِصَّتَكَ .

فقال نادى عليّ رجل : يَا مَلاحُ فَتَقَدَّمْتُ فَسَلَّمَ إِلَيَّ امْرَأَةً حَسَنَةً وَمَعَهَا صَبِيَّتَانِ وَأَعْطَانِي دِرْهَمًا صَحِيحًا وَقَالَ احْمِلْ هَؤُلاءِ إِلَى بَابِ الشَّمَّاسِيَّةِ فَصَاعَدْتُ بِهِمْ قِطْعَةً مِنَ الطَّرِيقِ فَكَشَفَتِ الْمَرْأَةُ وَجْهَهَا فَإِذَا هِيَ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ وَجْهًا كَالْقَمَرِ فَاشْتَهَيْتُهَا وراودتها فأبت .

ثم قتل اولادها وزنى بها ثم قتلها .

فَوَلَّى يَمْشِي لِيَنْصَرِفَ فَصَاحَ بِهِ صاحب الشرطة : يَا فَتَى هُوَ ذَا تَنْصَرِفُ وَتَدَعُنَا مِنْ حَقِّنَا فَلا أَقَلَّ مِنْ أَنْ تَرْجِعَ لِنُحَلِّفَكَ أَنْ لَا تَعُودَ إِلَى مِثْلِ هَذَا فَرَجَعَ فَقَالَ خُذُوهُ فَأَخَذُوهُ فَقَالَ اقْطَعُوا يَدَهُ فَقَالَ يَا سَيِّدِي تَقْطَعُ يَدِي أَلَيْسَ قَدْ أَمَّنْتَنِي فَقَالَ يَا كَلْبُ أَمَانٌ لِمِثْلِكَ قَدْ قَتَلْتَ ثَلاثَةَ أَنْفُسٍ وَزَنَيْتَ وَأَخَفْتَ السَّبِيلَ قَالَ فَقُطِعَتْ يَدَاهُ وَرِجْلاهُ ثُمَّ ضُرِبَتْ عُنُقُهُ وَأُحْرِقَ جَسَدُهُ فِي مَكَانِهِ .القصة بكاملها في ذم الهوى ابن الجوزي .

أسد وذئب وثعلب

كان الحجاج قد استعمل مالك بن أسماء بن خارجة، على الجزيرة، وكانت أخته هند تحت الحجاج، فبلغه عنه شيء، فعزله، وبعث إلى أهل الجزيرة، وأمرهم أن يقولوا: ظلمنا، وأخذ أموالنا، فقال بعضهم لبعض: الأمير يغضب عليه اليوم، ويرضى غداً، لا تتعرضوا لذلك، ولما دخلوا على الحجاج، قدموا شيخاً لهم، فسأله الحجاج عن سيرته فيهم، فأثنى عليه الشيخ خيراً، فأمر به الحجاج فضرب مائة سوط، فقال الباقون: كذب

الشيخ، بل كان يظلمنا ويأخذ أموالنا فقال مالك: أيها الأمير، مثلي ومثلك كأسد وذئب وثعلب قال: قل، فقال: زعموا أنه كان أسد وذئب وثعلب، اشتركت مرة فيها تصيد، فصادت حمار وحش، وظبياً، وأرنباً، فقال الأسد للذئب: اقسم بيننا واعدل، فقال الذئب: لك الحمار، ولي الظبي، وللثعلب الأرنب فضربه الأسد، وقطع رأسه، ووضعه بين يديه، وقال للثعلب: اقسم بيننا واعدل، فقال: الحمار لك تتغدى به، والظبي تتعشى به، والأرنب تتفكه بها فيما بين الغداء والعشاء، قال الأسد: ما أعدلك في القسمة، من علمك هذا؟ قال: الرأس الذي بين يديك، فضحك الحجاج، ورده إلى موضعه.

النبي سليمان

عَن أبي هُرَيْرَة عَن رَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ وسلّم أنه قَالَ خرجت امْرَأَتَانِ ومعهما صبيان فَعدا الذِّئْب على أَحدهمَا فأخذتا يختصمان فِي الصَّبِي الْبَاقِي فاختصمتا إِلَى دَاوُد عَلَيْهِ الصَّلَاة وَالسَّلَام فَقضى بِهِ للكبرى مِنْهُمَا فمرتا على سُلَيْمَان عَلَيْهِ السَّلَام فَقَالَ مَا أمركما فقصتا عَلَيْهِ الْقِصَّة فَقَالَ ائْتُونِي بالسكين اشق الْغُلَام بَيْنكُمَا فَقَالَت الصُّغْرَى أتشقه قَالَ نعم قَالَت لَا تفعل حظي مِنْهُ لَهَا فَقَالَ هُوَ ابْنك فَقضى بِهِ لَهَا . أَخْرجَاهُ فِي الصَّحِيحَيْنِ

سارق الاوز

قَالَ جَاءَ رجل إِلَى سُلَيْمَان النَّبِي ﷺ فَقَالَ يَا نَبِي الله إِن لي جيرانا يسرقون أوزي فَنَادَى الصَّلَاة جَامِعَة ثمَّ خطبهم فَقَالَ فِي خطبَته وأحدكم يسرق أوز جَاره ثمَّ يدْخل الْمَسْجِد والريش على رَأسه فَمسح رجل بِرَأْسِهِ فَقَالَ سُلَيْمَان خذوه فَإِنَّهُ صَاحبكُم .

كنت مرّة ذَا فراسة

عَن ابْن عمر قَالَ بَيْنَمَا عمر رضى الله عَنهُ جَالس إِذْ رأى رجلا فَقَالَ قد كنت مرّة ذَا فراسة وَلَيْسَ لي رَأْي إِن لم يكن هَذَا الرجل ينظر وَيَقُول فِي الكهانة شيئا أَدْعُوهُ لي فَدَعوهُ فَقَالَ هَل كنت تنظر وَتقول فِي الكهانة شيئا قَالَ نعم .

وَقد روينَا عَن عمر ﷺ أَنه خرج يعس الْمَدِينَة بِاللَّيْلِ فَرَأى نَارا موقدة فِي خباء فَوقف وَقَالَ يَا أهل الضَّوْء - وَكره أَن يَقُول يَا أهل النَّار - وَهَذَا من غَايَة الذكاء .

مائة دينار

أَن رجلَيْنِ أَتَيَا امْرَأَة من قُرَيْش فاستودعاها مائَة دِينَار وَقَالا لَا تدفعيها إِلَى وَاحِد منا دون صَاحبه حَتَّى نَجْتَمِع فلبثا حولا فجَاء أَحدهمَا إِلَيْهَا فَقَالَ إِن صَاحِبي قد مَاتَ فادفعي إِلَيّ الدَّنَانِير فَأَبت وَقَالَت إِنَّكُمَا قلتما لَا تدفعيها إِلَى وَاحِد منا دون صَاحبه فلست بدافعتها إِلَيْك فثقل عَلَيْهَا بِأَهْلِهَا وجيرانها فَلم يزَالُوا بهَا حَتَّى دفعتها إِلَيْهِ ثمَّ لَبِثت حولا فجَاء الآخر فَقَالَ ادفعي إِلَيّ الدَّنَانِير فَقَالَت إِن صَاحبك جَاءَنِي فَزعم أَنَّك مت فدفعتها إِلَيْهِ فاختصما إِلَى عمر بن الْخطاب فَأَرَادَ أَن يقْضِي عَلَيْهَا فَقَالَت أنْشدك الله أَن لَا تقضي بَيْننَا ارفعنا إِلَى عَليّ فرفعهما إِلَى عَليّ وَعرف أَنَّهُمَا قد مكرا بهَا فَقَالَ أَلَيْسَ قد قلتما لَا تدفعيها إِلَى وَاحِد منا دون صَاحبه قَالَ بلَى قَالَ فَإِن مَالك عندنَا فَاذْهَبْ فجيء بصاحبك حَتَّى ندفعه إِلَيْكُمَا .

حديقة الأزهار

حديقة الازهار

مواقف ارشادية

سر الحمام

دخل الليل والأم تنتظر ولدها " حسونة " ، حسونه خرج ليلعب مع أترابه منذ العصر ؛ ولكنه تأخر ، فصارت الأم تتحرك بين باب البيت الخارجي وبين غرف البيت من الداخل ، وأعصابها مشدودة متوترة وكلها قلق وخوف ، وهذان يزدادان مع كل خطوة تخطوها وزمن يمضي فالزوج قادم ، فماذا ستقول له عن غياب ابنه البكر الصغير حسونه ؟! وأطفالها الآخرون يتابعون حركاتها حركات الأم القلقة المتوترة ، وهم صامتون يهابون الاستفسار ، فكلهم غارق في أفكاره الصغيرة ، والسؤال يتردد في أذهانهم وخيالهم " لماذا تأخر حسونة في اللعب خارج البيت ؟! " فكانت الوساوس تشرق بهم وتغرب ، فهذه أول مرة يتأخر ويهبط الظلام ، ولم يكن الفتى في البيت .. هل حصل له شيء ؟! هل تعرض لخطر وضرر ؟

وبينما الأم واقفة على باب الدار تراقب الأشباح في ذلك الظلام الدامس ، ظهر الصغير حسونة أمامها مسرعا فقال وهو يلهث من الركض : لقد تأخرت يا أمي .. لا تؤاخذيني .. هل جاء أبي ؟!

قبضت بيده ودخلت مسرعة ، فلم تستطع أن ترد عليه حتى سكنت أعصابها المتوترة ، وقد لحظت أنه يحمل كيسا فيه شيء يتحرك ويهتز ، فقالت : ما هذا الكيس الذي تحمله ؟ وما فيه أيها الولد ؟!

فقال همسا : زوج من الحمام يا أمي .. لي واحدة ولصاحبي وليد الأخرى ، سأخبئهما على سطح المنزل حتى الغد .. لم يعد أبي أليس كذلك ؟

جرى هذا الحوار وهما يمشيان بفناء الدار ، ثم ردت الأم على سؤال ولدها قائلة : لم يرجع أبوك بعد .. لقد خفت عليك كثيرا .. أنت تعلم أن أباك يغضب جدا إن دخل البيت ولم يجدك بين إخوتك ..أسرع بوضع حمامتيك على السطح ، ثم نظف نفسك قبل مجيء أبيك .

فرد حسونة : يا أمي لا تخافي عليّ ، قد كبرت وأصبح عمري عشر سنوات .

وصعد حسونة إلى سطح البيت مسرعا ،وفي قن مهجور

للدجاج خبأ الحمامتين ، وأغلق باب القن ونزل للبيت عجلا ، فغسل يديه ووجهه وأكل وشرب ولبس ملابس النوم فنام .



وفي الليلة التالية تأخر حسونة مرة أخرى ، وجاء الظلام وجرى للأسرة ما جرى ليلة أمس ، ولما أتى الفتى كان يحمل كيسا فيه زوجا من الحمام، فقالت الأم : ما الذي أخرك الليلة ؟ أين وعدك لي ؟ فقال وهو يبتسم : يا أمي .. صيد الحمام يحتاج للظلام لا تخافي عليّ ، ولا تقلقي ، فقد كبرت وعندي عشرة أعوام .

وصعد إلى بيت الدجاج المهجور ، ووضع فيه الحمامتين ونزل وغسّل ، وأكل ونام .

وفي الليلة الثالثة تأخر حسونة في المجيء للبيت ؛ ولكن حضر والده قبله فسأل عنه ، فقالت الأم باضطراب : خرج يلعب مع الصبية وللآن لم يعد لعله يأتي الآن .

فقال الأب عاتبا : ولماذا يتأخر الصبي في اللعب إلى العتمة يا أم حسونة ؟ .. هذا خطأ كبير يا عزيزتي ، قبل الليل على الأولاد أن يكونوا في البيت .. أين نبحث عنه الآن ؟؟ ولم أر أحدا في شارع الحي .. فالناس عند هبوط الظلام يأوون لمساكنهم ، والشياطين يا بنت الكرام كما تعلمين تنتشر عند هبوط الليل ، وحذرنا النبي الكريم ﷺ من خطرهم وخصوصا على الأولاد الصغار

وبينما هما يتحاوران طرق باب البيت ففتحه الأب بنفسه ، وكان حسونة يقول بصوت عال : لماذا أنت مقفلة الباب يا أمي ؟![1]

ولما دخل شاهد والده فلزم الصمت ، فقال له أبوه : أين كنت ؟! ولماذا تأخرت في اللعب ؟ بل ما هذا الكيس الذي بين يديك وما فيه ؟

تلعثم حسونة في الإجابة على كل هذه الاستفهامات ؛ واعترف فقال : هذا زوج حمام يا أبي لصاحبي وليد ابن أبي أحمد الخياط .. طلب مني أن أحفظه له حتى الصباح .. لقد تأخرت عنده

فقال الأب : ولماذا تحفظه أنت عندك ؟

[1] – عن جابر بن عبد الله قَالَ ﷺ «وَاكْفِتُوا صِبْيَانَكُمْ عِنْدَ الْعِشَاءِ ، فَإِنَّ لِلْجِن (فَإِنَّ لِلشَّيَاطِينِ) انْتِشَارًا وَخَطْفَةً ، وَأَطْفِئُوا الْمَصَابِيحَ عِنْدَ الرُّقَادِ ، فَإِنَّ الْفُوَيْسِقَةَ رُبَّمَا اجْتَرَّتِ الْفَتِيلَةَ فَأَحْرَقَتْ أَهْلَ الْبَيْتِ » خ

فقال حسونة بخوف : لا أدري ، طلب مني ذلك وخجلت أن اكسفه .

قال الأب : ومن وليد هذا ؟

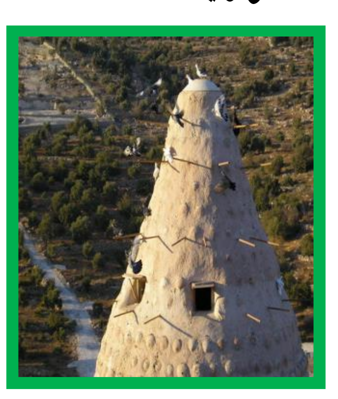
فأجاب الطفل : وليد هو صديقي في المدرسة وفي الصف .. أنا آسف على التأخير .. لن أكرر ذلك يا أبي .. سامحني يا أبي .

قال الوالد : لا بأس .. احفظها ببيت الدجاج المهجور .. ولا تكرر مثل هذا العمل .. وأرجوك لا تحاول أن تتأخر ثانية يا بني .

فأخذ حسونة نفسا عميقا وانطلق إلى قن الدجاج ، ودخل الأب البيت ، وحدث زوجته بما سمع من حسونة ، ولزمت الأم الصمت ولم تعلق بشيء ؛ ولكن الفتاة الصغيرة " هدى " قالت : أبي .. فإن حسونة يحضر كل ليلة زوجا من الحمام .. فقد أصبح لدينا مع حماماتِ اليوم ستة حمامات

التفت الأب إلى زوجته مستغربا وقال : ما القصة يا أم حسونة ؟!

فقالت الأم : لا أدري كل مساء يأتي ومعه زوج حمام ، ويدعي أن واحدة له والأخرى للمدعو وليد .



فغضب الأب وقال : لم يخبرني بذلك .. أمر هذا الحمام غريب ! ولابد أن يكون وراءه قصة .

وأسرع الأب مسرعا إلى حيث القن ، فوجد الفتى يغلقه فقال : دعه يا ولد .. كم حمامة هنا ؟ لم يتكلم حسونة ، فاقترب الأب وفتح باب القن ، وأنار المصباح وأحصى الطيور ، فتأكد من صدق كلام هدى ، ونظر إلى حسونة المضطرب ، وقال وفي صوته نبرة حادة : ما قصة هذا الحمام يا سيد حسونة ؟!

فرد الفتى بخوف وتلعثم وارتباك: هو .. هو .. لصديقي وليد ابن الخياط أبي أحمد

فقال الأب بحدة ونبرة تهديد : علمت وفهمت أنه لوليد .. ومن أين أتى به وليد هذا ؟!

فرد حسونة : من عندهم .

فقال الأب وهو يغلق القن ويمسك حسونه من إحدى يديه : خذني لبيت وليد هذا لنفهم منه قصة الحمام .. ولماذا يعطيك إياه وليد هذا ؟! .. أنا لا أفهم ذلك ؟

أجاب حسونة المرتبك : طلب مني أن أخبئه له حتى يبيعه في سوق الطيور .

قال الأب وهو يدقق النظر في هيئة ابنه : يا ولدي .. الكذب رائحته في كلامك ، ما الحقيقة ؟

ونزل الأب السلم وهو ما زال ممسكا بيد حسونة ، فلما صارا في صحن البيت صاح الأب : يا أم حسونة .. نحن ذاهبان لبيت أبي أحمد الخياط لنعرف القصة .. قصة حمام حسونة .

عندئذ قال حسونة لما رأى إصرار أبيه على معرفة حكاية الحمام : أبي .. سأقول لك قصة الحمام بس لا تزعل مني ولا تضربني .

قال الأب وهو يكظم غيظه ويخفف من حدة غضبه : الآن أحسنت ! .. تعال لنجلس داخل البيت.

ولما جلسا وحدهما قال الأب : أسمعني قصة هذا الحمام ؟

وأصغى الأب لولده مستمعا لقصة طيور الحمام ، فقال حسونة : أعدك يا أبي بالتوبة والندم .. ولن أكرر خطئي .

تبسم الوالد وقال : الحمد لله أنك تدرك أنك فعلت خطأ.. فلنستمع لهذا الخطأ .

قال حسونة معترفا بسر الحمام : وليد صاحبي هو الذي شجعني وأغراني على اختلاس الحمام من منزل أبي خليل .. أبو خليل عنده حمام كثير .. فعندما يدخل الليل نتسلق على جدار منزل أبي خليل .. ثم نمشي عليه خطوة خطوة حتى نصل سطح بيته بيت أبي خليل .. وهناك أقفاص الحمام ، فيأخذ كل منا حمامتين ، ونعود بهما لبيوتنا على أمل بيعهم في سوق الطيور الكبير .. فهذه يا أبي قصة الحمام ..

ضحك عليّ وليد فجاريته .

فقال الأب بعد صمت عميق وبهدوء تام : أيها الولد ! أسأت لنفسك ولأهلك وجارنا ، وأمك أخطأت بعدم الضغط عليك لمعرفة سر هذه الحمامات ، ويا ليتها روت لي ذلك من البداية .. وبما أنك تعترف بهذا الفعل الشنيع .. سأتجاوز عنك هذه المرة ، وأرجو أن لا يتكرر منك هذا التصرف الفاحش ، فأنت تعرف غضبي .. هات الحمامات لنذهب إلى بيت أبي أحمد .

استغرب الجار أبو أحمد لهذه الزيارة الليلية ، ولما استمع الحكاية زال استغرابه ، وأقر وليد بعمله السيىء ،وغضب أبو أحمد الخياط من ولده وأراد أن يضربه ، فتشفع فيه والد حسونة قائلا : اعفُ عنه هذه المرة من أجلي يا أبا أحمد ! ولابد يا جاري العزيز من الذهاب لأبي خليل الساعة ونعيد له حماماته جميعها ، ونعتذر إليه ، ونطلب منه أن يسامح الصبيين وليدا وحسونة .

انتهت

حديقة الأزهار



حق المسلم

قال ﷺ : حَقُّ المُسْلِمِ على المُسْلِمِ سِتٌّ : إذا لَقِيتَهُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ وإذا دَعاكَ فأَجِبْهُ وإذا اسْتَنْصَحَكَ فانْصَحْ لَهُ وإذا عَطَسَ فَحَمِدَ الله فَشَمِّتْهُ وإذا

أرشد الإسلام أتباعه على مختلف ألوانهم وألسنتهم أن يحسن المسلم منهم في اختيار الرفاق والأصدقاء ؛ لأن المرء على دين خليله ، ويتأثر الإنسان بغيره وقرينه ، ويأخذ من طباعه وعاداته والصاحب ساحب ، فكان السيد مازن قد راعى هذه الإرشادات في حياته ، ويتخير أفضل وأحسن الأصدقاء سواء في الحي أو المسجد أو مكان العمل ؛ وذلك طوال سنوات العمر التي مضت ، وكان أولاده وأسرته يفعلون مثله ؛ لذلك لا تجد في أسرته من هو تارك لصلاته وعبادته ، لا تجد في أسرته من يشرب الدخان ، ويرتكب كبائر الآثام وكل ذلك كما يردد بفضل ومَن من الله وحده وتوفيقه سبحانه وتعالى ، ولم يكن هو الوحيد الذي قدنجح في ذلك في حي السلامة المكتظ بخلق الله تعالى .

وكان من أعز أصدقائه في الحي الصديق جهاد أبي عيسى وأسرته ، وكانا يسعدان كلما التقيا في بيت الله ، ويطمئنان على إيمان وصحة بعضهما وصحة أسرتيهما .

وذات صلاة التقى جهاد بيونس ابن صديقه مازن فبعد السلام قال: لم أر والدك اليوم في عدة صلوات عسى الأمر خيرا يا يونس!

ـ شكرًا لك يا عّم جهاد .. الوالد تعب بعد صلاة الفجر ، وادخل المستشفى للعلاج وما زال هناك

قال : لا إله إلا الله ، لا حول ولا قوة إلا بالله ، هل الأمر مطمئن ؟ هو منذ أيام يسيرة شكى لي من الألم في صدره وبطنه!

ـ الحمد لله الأمر مطمئن ، وقد يخرج غدا حسب ما قال أخي الكبير وأمي .

ـ على كل حال أدعو له بالسلامة ، وإذا لم يخرج غدا تحدث معي بالهاتف حتى أذهب لزيارته ، فعيادة المريض كما تعلم يا يونس من هدي النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ومن الحقوق المستحقة علينا ، لا يستحب التفريط بها .

قال : أكيد ، وأنت خير من يعرف حقوق المسلم عل

المسلم .
ـ بارك الله فيك يا يونس ، وشفى الله صديقنا وجارنا مازنا .
وارتفع صوت الإقامة في جنبات المسجد ، وانشغل الناس بأداء فرض العشاء ، وقد اشتغل بال جهاد بصحة صديقه وصديق عمره السيد مازن محمود .
خرج السيد مازن من المستشفى بعد علاج بسيط ، ومراقبة طبية على أجهزة القلب والصحة بعامة ، واستقبل في البيت أصدقاءه جهادا ورياضا وآخرين ، وشكر زيارتهم وعيادتهم له ، وطمأنهم على صحته ، وعلى الفحوصات التي قدمت له ، وتحدثوا عن التقدم العلمي والطبي في العالم ، وتوفر الأجهزة الطبية المتطورة في هذا الزمن ، وأجهزة التصوير العجيبة ، ولما شربوا الشاي اخذوا يغادرون البيت ، وهم يدعون له بالعافية والسلامة والعودة لصلاة الجماعة ، وبينما هم يغادرون عطس السيد رياض وسمعوه يقول "الحمد لله" فنشط كل من سمعه يقول : "رحمك الله يا أبا خالد" فرد عليهم : "يهديكم الله ويصلح بالكم ".
وبينما هو يرد بما ثبت عن النبي في هذا الهدي ـ وهو تشميت العاطس ـ عطس ثانية ، وتكررت الدعوة بالرحمة ، وكرر هو الآخر الدعوة لهم بالهداية وصلاح البال .
وتركوا بوابة المنزل وهمس أحدهم بأذن جهاد أبي عيسى صديق مازن المفضل والأقرب للقلب : "شعرت بأن الرجل ما زال متعبا!"
قال : صحيح ، لما كلمته على الهاتف قال "أخرجوني ، وهم يرغبون بعودتي لمزيد من التحاليل"، فشعورك في مكانه ؛ ولكن المسلم يوقن أن الشافي هو الله وحده ، أما هذه العلاجات والصور من الأخذ بالأسباب ، فاليوم الطب في ازدهار .
وتحدثوا عن الأمراض والأعراض حتى تفرقوا إلى بيوتهم في حي السلامة . ولما تحسنت صحة مازن أولم وليمة للأصحاب والجيران ، ودعاهم إليها ، فلبوا لعلمهم أن إجابة الدعوة من سَنَن الهدى كما أمر وبين نبي الإسلام ـ صلى الله عليه وسلم ـ وكانت المناسبة أنها عقيقة عن طفل لابن السيد مازن السيد يونس ، فقد وضعت زوجته ولدا منذ أسبوع ، ولم تكن كما ظن البعض بأنها بمناسبة شفاء السيد ، وباركوا للسيد مازن وليونس .
وبعد المغادرة طلب السيد مازن من أبي عيسى البقاء للحديث في موضوع خاص

فعاد للجلوس ولما رفعت الأطعمة المتبقية ، وخف المدعون أخذ مازن صديقه جهادا إلى حجرة خاصة ، وكان الرجل منزعجا من هذه الخلوة ، وقلقا على صحة صديقه . فقال : ما الأمر يا أبا محمود ؟!

ـ اطمئن يا عزيزي وَيَا صديق العمر قال : الحمد لله اطمأنت روحي الآن !

ـ الأخ رياض صديقنا العزيز حدثني عن ابن أخته علي لابنة ابنتي نوال عائشة .. وأنا أعرف أبا خالد بشكل جيد ، وحسب علمي أن بينكم قرابة

ـ صحيح والده ـ رحمه الله ـ ووالدي ـ رحمه الله ـ أبناء الخالات ، وابن أخته علي أعرفه وتعرفه أنت ، وهو من رواد المسجد ، وهم يسكنون بجوار بيت رياض .

ـ أعرف ذلك ؛ ولكن أختي نوال أم محمد طلبت مني أن أطلب النصيحة منك ..وها أنا أفعل .

قال : الدين النصيحة كما قال الحبيب صلى الله عليه وسلم ، هناك شقيق زوج أخت رياض خير من يسئل في هذا الموضوع ، إنه صاحب البقالة التي في آخر شارع السلامة أبو أحمد .

ـ هو عّم علي

ـ نعم ، وشقيق علي تزوج ابنة عمه وتطلقا ، ولا أعرف السبب ، فلنذهب إليه ونسأله عن ابن أخيه ؛ ولعلنا نعرف سبب فشل زواج ابنته من ابن عمها سالم .

ـ هناك كما قلت يا أبا عيسى سنجد النصيحة الصالحة ، عندما أتمكن من الصلاة في المسجد سنذهب معا ، فهو معروف لي ؛ ولكنه لا يصلي في مسجدنا .

ـ نعم ، قرب دكانه مسجد بلال .

بعدما تعافى مازن أبو محمود وأصبح قادرًا على الصلاة في المسجد ـ وبعد صلاته الظهر ـ رافق جهادا إلى آخر شارع في الحي إلى دكان أبي أحمد ، ورحب بهما الرجل وقال معتذرا من أبي محمود عن تقصيره في عيادته : لقد كنت راغبا في زيارتك بعد خروجك من المستشفى ؛ ولكن حديث أبي عيسى عن طلب امرأة أخي يد حفيدتك جعلني انتظر هذا اللقاء .. أتشربون شيئا ؟

فقال جهاد مداعبا: وماذا عندك يشرب ؟ فالسيد لا يحب شرب هذه المثلجات

ـ أم أحمد فوق .. اتصل بها ..شايها جيد .

قال أبو محمود : ونعم الشاي من أم أحمد .

تحدث القوم عن الصحة والكبر والزواج والمصاهرة ، ولما وصل بهم الحديث إلى علي ابن أخيه قال: الشاب نعم

الشاب .. متعلم ومتدين ويعمل في شركة ممتازة ، ولا يخلو إنسان من عيوب يا أبا محمود ويا أبا عيسى .. وكما قلتم الدين النصيحة وهو ابن أخي وأنا خير من يعرفه ..فأقول فلتتوكل ابنتك وعلى بركة الله وإذا هناك استفهام خاص فاسأل .

ـ لا سؤال خاص ؛ ولكننا نعلم أن ابنتك تزوجت شقيقه سالما وتركته .

ـ نعم ، تركته ، وجدنا أن الزواج فاشل ، وتسرعنا ، كانت صلاته متقطعة ، ووعد أن يلتزم بها مما دفعنا أن نغامر ؛ ولكنه للأسف بعد الزواج بفترة قصيرة ترك الصلاة نهائيا ، والبنت متدينة كما يعلم أبو عيسى ، وفوق ذلك أخذ يشرب المسكر ، ولم ينتصح من أب ولا أخ حتى أن عليا اضطر أن يمد يده عليه فكان الطلاق والسلام

قال : ولماذا صار يسكر ؟!

ـ هو أثناء الزواج سكر مرات قليلة ..أخي يقول إنه لم يعرف بذلك قبل الزواج

فقال أبو عيسى : أعتقد أنه كان يسكر قبل الزواج ولم يظهر عليه ؛ لأنه لم يكن يعود للبيت سكرانا ، فهو بيت الأسرة ، وصار يعود لبيته سكرانا فهو بيته .

ـ هذا أحد التفسيرات .والله اعلم .

قال أبو محمود : هل حملت منه ؟

ـ لا ، والحمد لله لم يحصل الحمل .. ونحن تسرعنا بالزواج .. زعمنا أنه سيتحسن تدينا وتوبة عندما يصبح له بيت .. وهو اليوم يعمل في خارج البلاد ، وسمعنا أنه تزوج هناك ، وأتمنى له التوفيق ، وهو في النهاية ابن أخي .

تمنوا له التوفيق وقال أبو عيسى : وتزوجت البنت .

ـ نعم ، نعم حتى أن عليا قال لأبيه يومذاك : "إنه مستعد للزواج منها " فرفض أخي، ورفضت أنا ، وقبلنا رفضت البنت .. وتزوجت من أشهر يسيرة .

قال أبو عيسى: أذكر ..لقد دعوتني إلى الحفلة ، وذهبت مع أم عيسى .

قام أبو محمود وقاموا مثله وقال: شكرًا يا أبا أحمد .. سأنقل الكلام والثناء على علي على لسانك .. وأنت خير من يعرف ابن أخيه .

ـ توكلوا على الله ، وهو نعم الوكيل .

وتيسر زواج الشاب علي من حفيدة السيد مازن ، وجرى احتفال ودعوة إلى وليمة العرس ، وشاركهم أبو عيسى هذا الدعوة ، ولم يكد يمضي أسابيع على هذا الزواج حتى كان السيد رياض خال علي

يدخل المستشفى على أثر وقوعه في البيت ، ولما التقى السيد مازن بعلي عند صلاة الفجر في مسجد حي السلامة حتى اقترب منه وسأله عما حدث لخاله وعن حالته في المستشفى قائلا : علمت من ابنتي حماتك ليلة أمس أن السيد الخال دخل المستشفى ما أخباره ؛ لعلنا اليوم نزوره .

قال علي بحزن بين : نعم ، وقع أمس وكانت السقطة على رأسه ، وقضى نحبه بعد منتصف الليل .

ـ لا إله إلا الله .. مات أبو خالد

ـ رحمه الله ـ هذه كانت وقعة قوية .. إنا لله وإنا إليه راجعون .. عظم الله أجرك يا علي ! وشاركه العزاء كل من سمع الحديث ، وقال مازن : سيدفن اليوم .

ـ أجل .. سيدفن اليوم بعد صلاتنا الظهر في هذا المسجد .. وجزاكم الله خيرا

ـ سيشيع الجثمان إلى مقبرة الحي ـ نعم .. هذا قضاء الله

قال ﷺ : حَقُّ الْمُسْلِمِ على الْمُسْلِمِ سِتٌّ : إذا لَقِيتَهُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ وإذا دَعاكَ فَأَجِبْهُ وإذا اسْتَنْصَحَكَ فانْصَحْ لَهُ وإذا عَطَسَ فَحَمِدَ الله فَشَمِّتْهُ وإذا مَرِضَ فَعُدْهُ وإذا ماتَ فاتَّبِعْهُ .

(م) عن أبي هريرة .

فكر بقوة

س: خلال سفر أحد التجار من بلد إلى بلد كان لابد أن يعبر صحراء شاسعة وبينما هو في وسط الصحراء واثر عاصفة رملية اختلط عليه الأمر ولم يعد يعرف أي اتجاه يسلك فاصبح يسير على غير هدى حتى وجد بدويا عجوزا فسأله عن الطريق الصحيح إلى المدينة فأجابه البدوي انه لطول وجوده في الصحراء لا يعرف ولكنه سيدله على كوخ يعيش فيه أخوان أحدهما لا يقول إلا الصدق والآخر لا يقول إلا الكذب ويستطيع أن يسألهما ويدلانه ولكن على شرط واحد وهو أن لا يسال اكثر من سؤال واحد وذهب هذا التاجر إلى كوخ الأخوين فوجدهما وسألهما سؤال واحد كان كافيا ليعرف منه الطريق الصحيح فما هو هذا السؤال ؟

ج: سال التاجر أحد الأخوين قائلا : اذهب وأسال أخاك عن طريق المدينة واخبرني ماذا أجابك بالضبط ؟

ج: وعمل التاجر عكس ما أجابه ذلك الأخ .

س: هل نقول تسعة وخمسة تساوي ثلاث عشرة أم تسعة وخمسة تساويان ثلاث عشرة ؟

ج: تسعة وخمسة تساوي أربع عشرة وليس ثلاث عشرة

س: رقمان إذا جمعتهما يكون ١١

ج : الساعة العاشرة وستون دقيقة

التحقيق الجنائي والجريمة

وصية جديدة

الحلقة الأولى

جريمة

اتصل الطبيب برجال الشرطة وأخبرهم أن الرجل الذي قام بالكشف عليه قد مات مسموما وطلب حضورهم على الفور وذكر لهم العنوان ، وخرج ليتكلم مع أهل الميت ، فوجد رجلين وامرأة ينتظرونه فقال لهم : إن الرجل ميت ، واعلموا أن الأمر خطير والشرطة قادمة ومعها الطبيب الشرعي لمعاينة الجثة .

استمع الثلاثة للرجل باستغراب ، وظنوا أنه يكلم أشخصا غيرهم ، فقالت المرأة للطبيب : ما بك أيها الرجل .. ما الأمر ؟!

فقال الطبيب : يؤسفني أن أقول لكم إن هذا الرجل لم يمت موتا طبيعيا ، فقد دس له السم فمات متأثرا به .. مات مقتولا .

أصابت الثلاثة الصدمة والذهول فقالت المرأة : أبي مات مقتولا !

وقال زوجها :هذا أمر خطير !

وقال الرجل الآخر وهو ابن للميت : مات بالسم .. فعلا إن هذا أمر خطير !

حضرت الشرطة ، وتحدثوا مع الطبيب المعالج الذي وضح لهم أن الرجل الميت تناول سما فمات وجاء الطبيب الشرعي ورجال المعمل الجنائي ، وتحدث الضابط مع مرافقي الرجل الميت وسألهم بعض الأسئلة ، وأخبرهم بصورة الجريمة وأنه لابد من البحث عن المجرم والجناة ، ولما انتهى الطبيب الشرعي من فحص جسم الجريمة ، وأمروا بنقلها لعيادة التشريح ثم انتقلوا إلى مكان الجريمة ، وفوجئ الجميع بحضور رجال الأمن ، وأن الرجل مات مسموما أثناء الحفلة ، وكان المحتفلون في انتظار عودة الجثة ليستعدوا لعملية التغسيل والدفن والعزاء ، ولم يظنوا أنه مات مقتولا ، فالسيد نارم مريض مرضا خطيرا منذ سنوات ، فقام بينهم رجل الشرطة وقال بصوت واضح : أيها الاخوة .. السيد نارم قد مات ؛ ولكنه مات بفعل فاعل .. تناول شرابا مسموما.. إذن جريمة حدثت ، قاتل موجود بينكم .. استغل الجاني الحفلة ودس السم له .. هل عبث أحد بالأكواب والفناجين .. ؟

ردت الخادمة : إنها في المطبخ قمت بنقلها للمطبخ لم اغسلها بعد .

ـ ممتاز ..واعلموا أيها السادة أنكم كلكم معرض للسؤال والجواب .. فأرجو مساعدتكم وملاحظاتكم لنصل للمجرم بأسرع وقت ..هل غادر أحدكم المكان عندما نقل السيد نارت لعيادة الطبيب ؟

رد أحدهم : لم نر أحدا انصرف أيها الضابط .. فقد قام البعض للحمام فقط .

أمر الضابط المسؤول عن هذه الجريمة وكشف ملابساتها رجال المعمل الجنائي بالقيام بأخذ البصمات والعينات ، وحصر أسماء الحاضرين وعناوينهم ونوع عملهم ومكانه، كان الموجودون خمسة عشر شخصا سوى الأطفال ، أبناء نارم الثلاثة وزوجاتهم، وابنتاه وزوجاهما وامرأته وأختها ، وخادمة المنزل ومسؤول الحديقة ، وسائقه الخاص، وطلب ضابط التحقيق من ابنه الكبير المهندس " راجي " الحديث عن هذه الحفلة فقال المهندس راجي : يا سيدي الضابط كل عام نحتفل بمثل هذا التاريخ بذكرى زواج والدي من زوجته القديمة أمنا التي ماتت منذ سنوات .. وكالعادة يحضر الحفلة أبناؤه بزوجاتهم وأزواجهن ، وأحيانا بعض الأصدقاء ، ونحضر الحلوى والشراب المثلج والمنعش والفواكه ، وبعد الإصغاء لبعض الموسيقى والأغاني التي يحبها الوالد نتناول جميعنا الطعام والشراب ..أكلنا وشربنا.. أحضرت القهوة وشرب منا من يشربها ، وفعل الوالد مثلنا وما كاد ينهي الفنجان حتى كبا ووقع على الأرض ، وكانت الساعة الثانية عشرة ونصف تقريبا فذعرنا في البداية ، وتقدم زوج أختي ماهر وهو طبيب وفحصه ثم قال : إن الوالد مات ! فقمت أنا وماهرا وأختي بنقله للمستشفى ، وهناك أخبرنا طبيب عيادة الطوارئ بموته مسموما واتصل بكم ، وأنا مندهش فعلا لهذا الأمر ! .. فمن تجرأ على ارتكاب هذه الجريمة البشعة ؟!.. ولماذا يقتل هذا الشيخ المريض ؟!

ـ هذا ما سنعرفه ونكشفه ونوضحه .

وبعد أن قام رجال المعمل الجنائي بمهماتهم انصرف البوليس حتى يطلعوا على تقرير الطبيب الشرعي بعد التشريح للجثة ، فقد كان القتيل مريضا بالقلب منذ أكثر من عشر سنوات ، وأن السم دس له في فنجان القهوة فلما شربه ـ مع أنه لا يشرب القهوة إلا نادرا ـ ولما استقر الشراب في معدته أثر عليه سريعا فلقي حتفه ، وبعد أن تم دفنه وانتهت التعزية فيه في الصحف والبيوت استعد الضابط المحقق رامي للبحث عن المجرم ، فعلم أن "نارم" رجل مليونير يملك ما يزيد عن عشرين مليونا في بنوك مختلفة وذلك في سبعينيات القرن العشرين ، وترك إدارة أعماله منذ خمسة عشر سنة عندما ظهرت عليه أعراض مرض القلب فلزم البيت ، وقد ماتت زوجته الأولى من سبع سنوات ، فتزوج أختها الأرملة سما ، وللسيد نارم خمسة من الأبناء ، أكبرهم المهندس راجي الذي يعمل مديرا لشركة إنشاءات ومقاولات على مستويات عالية ، وهو متزوج من ابنة خالته سما

التي أصبحت بعد وفاة أمه امرأة أبيه ، وهي مهندسة مثله ، وتعمل معه في الشركة، وقد تزوجها من أيام الدراسة في الجامعة ، والابن الأوسط للسيد نارم قد أنهى دراسته الجامعية في العلوم الإدارية وله معرض ضخم يبيع فيه الأثاث الفاخر والأجهزة الكهربائية المنزلية ، ومتزوج من فتاة غريبة عن العائلة ، وهي تعمل سكرتيرة في شركة أخيه المهندس واسمها سمر وأما الابن الثالث الأصغر فقد كان ضابطا في الشرطة وقد طرد من الخدمة لمشاكله العاطفية وتعلقه بالمخدرات ، وهو يعالج من الإدمان في أحد مراكز المعالجة من الإدمان ، وزوجته فتاة تعمل موظفة في إحدى وزارات الدولة ، وبينهما مشاكل كبيرة وكثيرة ، وقد حاولت أكثر من مرة بالتخلص منه بالطلاق والانفصال ، ولكن والد زوجها يتدخل ويقنعها بالصبر وبالمال والهدايا فتعدل عن ذلك ، وأما ابنته الكبرى صفاء فهي صيدلانية وتعمل في صيدلية خاصة بها وزوجها يعمل محاميا ويعتبر أيضا محاميا لشركة أخيها المهندس ، وأما البنت الصغرى فهي زوجة لطبيب يدعى "سامي" يعمل في مستشفيات ، وله عيادته الخاصة ، وزوجته قد أنهت دراستها الجامعية وتعمل معلمة للآداب الإنجليزية في مدارس القطاع الخاص ، أما زوجته السيدة سما فهي عنده منذ خمس سنوات ، ولها من العمر خمسون عاما ، وأختها التي شهدت الحفلة فهي أرملة من شهور مضت ، وأما الخادمة فهي تعمل لدى السيد نارم منذ أكثر من عشر سنوات وهي متزوجة ، والسائق الخاص فهو شاب في الثلاثينيات من العمر وله في خدمة السيد نارم سنتين فقط ، وأما البستاني فهو رجل كبير في السن وقريب للعائلة وله أسرة ، هذه المعلومات الأولية التي اطلع عليها المحقق عن الأسرة وبالذات الذين حضروا الحفل وحيث قام أحدهم أو أكثر بوضع السم للسيد نارم بدون شفقة أو رحمة .

كان الدافع للجريمة الظاهر للمحقق المال الثروة الكبيرة التي يملكها المليونير ، فكأن أحدهم استعجل الميراث ، فمن يكون هذا المستعجل ؟ هذا ما فكر فيه الضابط فقام بعد ذلك الاحتمال بالاتصال بمحامي السيد نارم ، ثم عقد معه اجتماعا وسأله عن علاقته بالسيد نارم ومنذ متى له عامل عنده وهل كتب وصية ؟ وهل له أعداء داخل الأسرة ؟

المحامي صبرت صديق قديم لنارم ، وهو محاميه الخاص منذ خمس وعشرين سنة ، وبينهما طرف قرابة ، فقال المحامي للضابط : إن نارم يملك ثروة عظيمة تقدر بعشرين مليونا وبضع مئات من آلاف الدنانير ، وإنه حصل على هذه الثروة من

هجرته لأمريكا الشمالية في مقتبل عمره ، ولما عاد للبلد افتتح مصنعا لصناعة الإطارات ، ثم اشتغل في مجالات الإنشاء والتعمير والتأجير والبيع ، ولما مرض مرضه الصعب أخذ بالاهتمام بالعلاج ، وباع كل ما يملك باسمه الخاص من المصنع والشركات الأخرى والعقارات وسافر إلى بريطانيا وغيرها للعلاج ؛ ولكن المرض لازمه وما زال مستمرا معه حتى توفاه الله ، ولم يترك تناول الأدوية الخاصة بهذا المرض ، هذا يا سيدي مجمل حياته يا سيد رامي .. وأنا فوجئت بالطريقة التي قضى بها نحبه وأما علاقته معي فهي علاقة صديق قديم .. والصحيح أنه لم يكن مرتاحا مع أبنائه ، كل منهم مشغول بتنمية ثروته كما علمهم ، فكانوا لا يعاملونه بالحنان والبر المطلوب لضيق أوقاتهم ؛ فلذلك كانت تحدث بينه وبينهم مشاجرات ومنازعات كنت أتدخل أحيانا فيها وألطف الجو والظرف بينهم .. أما أنا فلا أتصور أن يفكر أحدهم أو بعضهم للخلاص منه بهذه الطريقة القاسية .. فهو الذي أمدهم بالمال في أول عمرهم ثم تركهم يعتمدون على أنفسهم ، وقد نجحوا في البداية ولكن المغامرات قد هدتهم ودمرتهم ، وكنت أجتمع به كل أسبوع مرتين ساعة مساء الجمعة وساعة مساء يوم الثلاثاء إلا إذا طلبني .. وقد ترك وصية .. وأخرجها من ملف خاص

ووضعها أمام الضابط رامي فأمسك بها الضابط المحقق وقرأها ثم همس دهشة : أوصى للخادمة بخمسة آلاف دينار إنه مبلغ كبير ؟!

قال المحامي صبرت : إنها تخدم الأسرة من عشر سنوات إن لم تزد على ذلك، فهي مكافأة لها على شكل وصية .. لا أعلم هل تدري هي بهذا المبلغ أم لا ؟ فأنا لم أذكر لها ذلك خشية أن تتغير الوصية قبل الموت ، أما السائق نافز فهو يتقاضى راتبا شهريا جيدا مائة وخمسين دينارا ، وله في نهاية كل سنة مالية مكافأة مالية خمسمائة دينار ، ولم يوص له بدرهم واحد إلا السيارة القديمة الموجودة في كراج القصر .. وأوصى بمبالغ مالية كما ترى لأخت زوجته الأخيرة سما بعشرة آلاف دينار ، وللبستاني بخمسة آلاف دينار ، وبمبلغ يصل لمليون لعدد من الجمعيات التي كانت له بها علاقات اجتماعية ولدور الأيتام والعجزة ولبعض المشافي ولأحد الأندية الرياضية التي كان عضوا في هيئتها الإدارية قبل مرضه منذ خمس عشرة سنة .

أخذ الضابط نسخة عن الوصية .. وقال : متى سيطلع أولاده على وصيته ومتى سيقتسمون ثروته ؟

ـ سيكون ذلك بعد الانتهاء من هذه القضية كما طلبت مني وبعد معرفة المجرم القاتل .

ـ أنت خدمت السيد نارم من ربع قرن فلم أر لك

اسما في الوصية ؟

قال المحامي وهو يخرج وصية أخرى ويقدمها لرامي الذي قال بدهشة : هذه وصية كبيرة جدا ! هل يعقل أن يوصي به ؟ وهل سيسلم أبناؤه لك بهذا المبلغ ؟

فابتسم المحامي وهو يرد على الضابط : مبلغ خمسين ألف من عشرين مليون ليس كبيرا يا سيدي.. وكما قلت فلي عنده خمس وعشرون سنة .. فكل سنة بألفين .

فقال الضابط : مبارك عليك .. أريد منك سيد صبرت أن نتعاون في حل طلاسم لغز هذه الجريمة .. لمعرفتك الجيدة والقديمة بالأسرة .

قال صبرت: أنا في خدمتك وعلى استعداد تام للتعاون .

قال المحقق : شكرا .. وأريد منك أن تكشف أمر هذه الوصية للأولاد ، ولكن بحضور الجميع .. رتب اجتماعا ليليا معهم .. كل من حضر الجريمة في بيت المقتول .. وتحضره أنت بنفسك ، لا تبعث وكيلا عنك .. واكشف لهم أمر الوصية أي تقرأها وليكن مساء يوم جمعة حتى لا يتعلل أحد بالعمل والشغل .. أريد أن أراهم وهم يسمعون هذه الأرقام .

تحقيقات

قبل الاجتماع المقرر زار المحقق منزل نارم ، وطلب الخادمة وتحدث معها وعن أسرتها وأولادها وزوجها وسألها هل تعاني من مشاكل مالية ؟ فنفت ذلك وأنها حزينة لوفاة سيدها نارم ، وقد فكرت بترك الخدمة في هذا البيت بعد انتهاء التحقيق فقال الضابط : كم ترك لك السيد نارم من المال في وصيته ؟



فأجابت بسرعة : لا أدري.. وهل ترك لي شيئا ؟!

فقال المحقق : ألم يخبرك المحامي صبرت بأن السيد ترك لك مبلغا جيدا من المال ؟

ـ لا يا سيدي ما علمت بذلك .

ثم غير الضابط اتجاه السؤال فقال : كيف كانت حياة السيد بزوجته الحالية ؟

ـ علاقته جيدة .. وهو محب لها وما خرج في سفر هنا وهناك إلا كانت برفقته .. وهي أخت امرأته المرحومة وخالة الأولاد فلم ينظروا إليها بغيرة أو مشاركة في الثروة .

وعاد يقول : هل ضربك في بعض المرات ؟

ـ ضرب ! لا ؛ ولكنه أحيانا عندما يثور ويغضب يشتمني ..وأنا أخدم في هذا البيت منذ عشر سنين أيها السيد .. وهو رجل كبير وعليل فعليّ تحمل ساعات غضبه .

ـ مَن من أولاده يجرؤ على قتله ؟

ـ لا أعتقد أن أحدا يفعلها .

فقال الضابط : ولكنه مات مقتولا أيتها السيدة .. وأنت موقفك خطير ألست

أنت التي أعددت الشراب والقهوة ؟ .

فقالت بثبات : هذا حق ؛ ولكني لا يمكنني أن ارتكب جريمة .. فأنا لم أضع له السم أيها السيد .. ولماذا أفعل ذلك ؟! طمعا بمبلغ من المال أوصى لي به كما ذكرت !

فقال المحقق : حسنا ، قلت إن علاقته مع أولاده طيبة ؛ ولكن عندنا معلومات تقول غير ذلك

فقالت بغضب : لا أدري أيها السيد .

ـ عليك مساعدتي في الوصول لمن تخلص من مخدومك أيتها السيدة الطيبة .

فعاد الهدوء للخادمة وقالت : أنا تحت أمرك .. أرد كما أعرف .

فقام المحقق وهو يقول : شكرا لك .. أين زوجته الآن ؟

فقالت : هي في الحديقة مع أختها شما .

ـ إني ذاهب إليهما فاصنعي لنا عصيرا واحذري أن يوضع به شيء .

وخرج مسرعا إلى الحديقة ليقابل زوجة السيد نارم سما وأختها شما التي استقبلته بحزن وأسف على وفاة زوجها الثاني بهذه الصورة القسرية فعزاها من جديد وقال : سيدتي الفاضلة من تشكين بأنه قاتل له ؟

ـ سؤال صعب الجواب عليه سيدي الضابط .. لا جواب عندي فما هم إلا أولاده وأصهاره .

ـ أثناء الحفلة قبل أن يشرب كوب الشراب هل أحد من الحاضرين غادر القاعة إلى المطبخ ؟

ـ لا أذكر أني رأيت أحدا يذهب للمطبخ .

ـ الحمام ؟

ـ هذا أمر طبيعي .. لقد قام أكثر من واحد إليه وأنا فعلت ذلك .

ـ رغم أنك خالة الأولاد فبعضهم يشك بك .

ـ لن أغضب هذه قضيتك فابحث عن الجاني .

ـ لقد أخبرني السائق أنك تشاجرت معه قبل موته بيومين في إحدى النزهات وشتمك وبصق في وجهك .

ـ حصل هذا ؛ ولكن هذا لا يدعوني لقتله .. فهو زوجي وزوج أختي من قبل ..وهو مريض وأخلاقه لم تكن ولا بد ، وأنه يحب زوجته الأولى كثيرا ولم ينساها بعد .. وهذه ليست أول مرة يؤذيني بها .

ـ وأنا لا أظن أن الدموع التي ترقرقت في عينيك عندما أقبلت عليك مزيفة .. سيدة شما كيف كنت مع السيد نارم .. وهل دعاك لحفلة قبل هذه المرة ؟

قالت السيدة شما : صدق أنها أول مرة .. ولم يدعوني هو إليها إنما فعلت ذلك أختي ، وكما تعلم

أنا أرملة من عدة شهور انقضت فقط .. وإجمالا فعلاقتي مع المرحوم عادية .. فهو يعرف زوجي جيدا ، وكان يعمل معه قديما قبل أن يصفى أعماله فقال المحقق : هل تعلمين أنه ترك لك عشرة آلاف دينار ؟ .

أبدت الاستغراب وقالت : لا أعلم ذلك إلا منك الآن .

ـ نعم ، لقد أوصى لك بهذا المبلغ الزهيد بالنسبة لثروته ؛ ولكنه مبلغ يستحق المغامرة

فصاحت وهي تقف : أيها الضابط احترم نفسك .

فقام وقال : سيدتي هذه جريمة قتل مخططة ومدبرة فلابد من إثارة المتاعب لنصل إلى الحقيقة لنصل للقاتل .

أتت الخادمة وهي تحمل أكواب العصير البارد ، فتناول الضابط رامي كوبه وقال وهو يرشف من الكوب : حذار أن تكوني وضعت فيه سما .

فسقط كوب السيدة سما من كلام الضابط الساخر ، فاعتذرت لهم ، وشرب المحقق كأسه ، وسار للقاء البستاني أو السائق ، فوجد البستاني يجلس في طرف الحديقة فناده وسأله عن اسمه وكم له من الأيام في خدمة بستان السيد نارم فقال إن اسمه فريد، وله في الخدمة في هذا القصر منذ خمس سنوات ، وبينه وبين السيد نارم طرف قرابة من جهة الأب ، وعلاقته بالسيد نارم علاقة ودية ،ولا خصومات بينهما ، وراتبه الشهري مائة دينار ، وليلة الحفلة كان موجودا ، وكان يجلس مع السائق في غرفته القريبة من مدخل القصر الرئيسي ، ولما سمعوا الضجة في الداخل تركا الغرفة إلى قاعة الحفلة ، فوجدا السيد نارم قد فارق الحياة وأنهم يريدون نقله للمستشفى ، وعلموا لما جاءت سيارات الشرطة أنه مات مقتولا بالسم فأصابتهم الدهشة والقلق ، ثم سأله المحقق : هل دعوت لهذه السهرة العائلية ؟

رد بسرعة : لا .. ولكن السيدة سما طلبت مني الحضور وقضاء هذه الليلة مع السائق لطفي ، فوافقت ولم أسألها عن السبب؛ لأنها كانت تطلب مني أحيانا النوم في القصر .

فقال المحقق : كيف صحبتك مع السائق لطفي ؟

ـ هو صديق مقبول رغم فارق السن بيننا .. أنا في الستين وهو في الثلاثين وهو شاب نشيط وقوي .

ثم استفسر منه عن العلاقة بين الخادمة وأولاد الزوج السيد نارم ، وبينه وبين الخادمة والأولاد فقال عن نفسه : بيننا ود واحترام متبادل حتى أنهم يعطونني بعض المال والملابس القديمة و...

وفجاءة قال الضابط : علمت أن السيد نارم أخبرك بأنه قد أوصى لك بخمسة آلاف دينار .

قال البستاني بارتباك وبطء: لا علم عندي يا سيدي .. ومن أخبرك بذلك ؟

ـ أحد الناس على كل سوف نتكلم معك مرة أخرى قبل أن أذهب أتذكر تلك الليلة جيدا ؟ عندما كنت تجلس مع لطفي .. هل غادر لطفي المكان إلى داخل القصر ولو للحظات؟

قال بسرعة : لا أذكر إلا أنه خرج بالسيارة ، وأحضر علبة سجائر من الخارج ..إنه يشرب الدخان كثيرا .

قال المحقق : أحسنت سيد فريد .

والتقى المحقق بالسائق لطفي ، واستمع له وعن نشاطه تلك الليلة وحركته وعلاقته بالسيد نارم ، فقال الشاب : السيد نارم جيد ؛ ولكنه عصبي وكثير السب والإيذاء .. ولكن الراتب الذي يدفعه لي جيد ، فكنت أصبر عليه ، ولكثرة توصية المحامي صبرت لي بالتحمل .. فهو الذي يسر لي العمل هنا ، فكلما يراني يحثني على تحمل غضبه وتوتره وثورته، وأتحمله أيضا لعملي الطويل مع المهندس راجي سائقا في الشركة فأصبر على آذاه الشخصي لي .. فأنا مجرد سائق عند السيد نارم .

ـ ليلة الحادث .. خرجت لشراء علبة سجائر فقط أم اشتريت معها شيئا آخر ؟

ـ أظن أني لم اشترِ إلا الدخان وعدت سريعا .

ـ لما رجعت هل كان فريد في الغرفة ينتظرك أم ... ؟

قال السائق : كان في انتظاري .. منذ دخلنا الغرفة لم أره يخرج إلا مرة واحدة ذهب لقضاء الحاجة ثم عاد بعد فترة .

ـ لا يوجد حمام ملحقا بهذه الغرفة ؟

ـ الحمام داخل الفيلا ، ولكن يوجد حوض صغير للغسل .

فقال رامي : كم غاب فريد عنك ؟

ـ تقريبا عشر دقائق .. ولما عاد قال إنهم يستمعون للموسيقى .

ـ من دعاك لهذه الحفلة ؟

ـ السيد نارم بنفسه .. وفي العادة يدعونني لذلك .. فلربما يحتاجونني في شراء حاجة أو أمر أقوم به .

قال المحقق : سيد لطفي .. هل تنام هنا في هذه الغرفة ؟

ـ ليس دائما وإنما عند الضرورة عندما يشتد المرض على السيد نارم .. واعلم أن دوامي يبدأ من التاسعة صباحا للتاسعة ليلا وعند الظهر أترك العمل ساعتين لفترة الغداء .

ـ السيد أوصى لك بالسيارة القديمة في حالة وفاته ؟

قال السائق باسما: أعرف ذلك .. أخبرني ذلك منذ عملت معه .. وأنا استعملها في الذهاب للبيت ثم أعود للعمل .

صمت الضابط فترة من الوقت ثم عاد يقول : أريد أن أعرف منك كيف هي علاقة السيد نارم مع

أبنائه وأصدقائه ومحاميه الخاص صبرت .

فقال السائق : اسأل وأنا أجيب .

جلس الضابط مع السائق لطفي جلسة طويلة ، ومع المساء عاد لبيته .



ذهب المحقق لشركة المهندس راجي وطلب الحديث معه ومع زوجته بشأن الحادث ولما جلس قال : علمت أنه كان بينك وبين أبيك مشاكل مالية .. أليس كذلك يا سيدة فاتن ؟

فقالت المرأة : لا أدري أيها السيد عن أي مشاكل تقصد ؟

وقال المهندس : أيها السيد المشاكل المالية لا يخلو منها أحد حتى أصحاب الثروات.

قال الضابط : قد يكون هذا صحيحا ؛ ولكنك كنت ترغب أن يعطيك مليونا فرفض وتدخل المحامي صبرت وأصلح بينكم .. وعلمنا من مصادرنا الخاصة أنكم تمرون في أزمة مالية حادة

فاختصر المهندس الإجابة وقال : هذا صحيح ومعروف في أواسط الشركات المنافسة ، وكل هذا لا يدعوني لقتل والدي أيها السيد .

ـ أحسنت ! .. وأنا لم أقل ذلك .. ولكنه دافع قوي .. ولكن أحب أن استمع منك هل تشك بأحد ؟ .. وحدثني عن قوة علاقة أبيك بالمحامي صبرت .. وكيف كان والدك يتعامل معه ؟

أجاب المهندس إجابة مقتضبة ، وتكررت الأسئلة والزوجان يجيبان عنها حتى وصل الضابط للقول : إذن لقد فكرت بالجريمة والتخلص من الوالد لحل مشاكلك المالية ..وإنني أصدقك بأنك لم تفعل ولا زوجتك السيدة فاتن .. قد أعود إليكم مرة أخرى استودعكم الله أيها السادة

ثم زار الأخ الأوسط عدليا الذي كان في انتظاره فقال له : لم أجد زوجتك سحر في الشركة سيد عدلي ؟

ـ نعم هي في البيت إنها متعبة .. هل ترغب بالحديث معها ؟

ـ لا مانع من الحديث أمامها .. هل البيت بعيد ؟

فقال عدلي : لا .. بضعة كيلومترات .

وأوصى موظفيه بالمعرض ، وخرج برفقة المحقق إلى منزله، وهناك قامت السيدة سحر بالترحيب به وجلسوا في صالون البيت للإجابة عن أسئلة المحقق الذي قال : سلامتك أولا يا سيدة سحر .. أحب أن أزعجكم بضع دقائق .

ردت قائلة : سلمك الله .. ازعجنا كما شئت هذا واجبك .

فقال المحقق : سيد عدلي .. صراحة .. لماذا كنت

تفكر بالخلاص من أبيك نارم أنت وزوجتك سحر ؟

صعق الاثنان لهذا السؤال الصريح والمباشر، ولما زال ارتباكهما قال عدلي بصوت هامس : سيدي .. من قال لك هذا ؟ هذا كذب ! هل يفكر الرجل بقتل والده ؟

قال الضابط : في هذا الزمان يجوز كل شيء ؛ لأن المال يعمي القلب .. وأنت رجل غرقان في الديون وتعشق القمار والشراب .

فقالت سحر : سيدي الضابط .. من أخبرك بذلك ؟

ابتسم المحقق : هذا أمر لا يخفى على أحد من الناس .. فأي صاحب لعدلي يقول لنا إن السيد عدليا مقامر خسران وسكير مدمن .. اذهبي إلى ثلاجتك فستجدين فيها الخمر .

فرفع عدلي من صوته قائلا : سيدي الضابط هذا شأني الخاص .. ولكني لم أقتل أبي لا أنا ولا زوجتي .

ـ أنا لم اقل إنك قتلت أباك إنما قلت إنك تفكر بذلك .. ومع ذلك فقد حاولت من قبل، لقد أغضبت والدك حتى انفعل غضبا ، وحصلت له أزمة وكاد أن يموت، فحرم عليك زيارته في البيت ؛ ولكن قبل الجريمة بأسابيع أصلح بينكم المحامي صبرت ، وعادت المياه لمجاريها كما يقال .

فقال : هذا صحيح ؛ ولكني لما أغضبته لم أقصد إيذاءه .

ـ النيات علمها عند ربي .. فأبوك مريض بالقلب وفي وضع صعب يحتاج للهدوء والسكينة .

ـ لم أقتله أيها السيد .

وحاورهما الضابط واستمع لهما ثم ودعهما وانصرف لمقابلة الابن الثالث الذي وجده في حالة إدمان فلم يستفد منه كثيرا ، فجلس مع زوجته واستمع لبعض مشاكلها مع زوجها ومع والد زوجها ، ثم غادرها للصيدلانية صفا وزوجها المحامي وشربوا الشاي معا ثم قال بأدب جم : تعرفون مهمتي أيها الكرام .. فواجبي يا سيدي المحامي معرفة القاتل.. وهذا يتطلب منكم مساعدتي والإجابة على أسئلتي .

فقال المحامي زاهر : اسأل ما بدا لك يا حضرة الضابط رامي .

قال : المهندس راجي عنده دافع قوي للقضاء على أبيه ليحصل على المال اللازم لإنقاذ شركته من إعلان إفلاسها .. وبان لنا أن السيد عدليا كان يفكر بهذه الأمر بل فعله بطريقة غير مباشرة ليستمر في لعب الميسر وتسديد ديون البنوك .. والابن الصغير مدمن مخدرات ولديه أيضا الدافع للقتل ، ولكن عرفنا أن والده كان يغدق عليه من المال والمصروف الشهري ويعطي الزوجة ما

يرضيها للبقاء عند زوجها وعلى ذمته.. وأنتم هل لديكم دافع للخلاص منه أم لا ؟ سؤال عنيف وشرس ولكن لابد منه يا سيدي المحامي ؛ لأنني علمت أيضا أنك متورط في قضية مالية صعبة مع أناس غرباء .. فما تقول ؟

ـ لديكم تحريات جيدة ؟؟ ولكن قضيتي الخاصة لا تدفعني لقتل عمي .

ـ ولكن طلبك من زوجتك بيع الصيدلية للسفر من هذا البلد والهرب لحل مشاكلك المالية القاسية أراه عامل ضغط عليها ودافعا للتخلص من السيد نارم الذي رفض مساعدتكم .. والبنك يحجز على كل العقارات التي تملكونها .. ومغامراتك المالية هنا وهناك جعلت حالك صعبا .. وأنت كما أشرت تحاول الهرب ولا ينقذك من هذه الورطة إلا ميراث الزوجة من ثروة أبيها .. وما قولك أنت يا سيدة رندا ؟

التزم المحامي الصمت ونظرت السيدة لزوجها ثم نظرت للمحقق وقالت : جميل لديكم معلومات مفصلة .. نحن فعلا في ورطة بل ورطات مالية .. وفعلا ضمنت الصيدلية لأحد الأصدقاء وفعلا نحاول الهرب للتخلص من مطاردة الدائنين حتى يتوفى الوالد وأخذ نصيبي

من مال أبي المخزون ونسدد ديوننا ولكن لم نفكر بقتل أبي لنرث ثروته .

ـ أنا قلت هو دافع لديكم للتفكير ..أنا لم أتهمكم بالقتل لديكم سبب فقط .

قالت: وإن خطر في قلوبنا ذلك فصدق أننا لا يمكن تنفيذه .. وأقسم لك أننا ما حاولنا قتله حتى أنا لم أطلب من والدي المساعدة ولكن حصل أن طلبت من خالتي سما بعض المال للسفر

ـ منذ متى طلبت ذلك منها ؟

ـ منذ شهر تقريبا ولم أسمع منها ردا ولكنها قالت لما تسافري سأساعدك .

فقال المحقق : من من الناس مطلع على مشاكلك المالية الحادة أيها السيد ؟

فقال زاهر المحامي : هذا أمر معروف لدى العائلة حتى لعمي نارم ، ولكن كما أكدت زوجتي نحن لم نقتل والدنا الكبير نحن نفكر بالهرب فقط .

فنهض المحقق وقال : حسنا أيها الكرام سأنصرف على أمل اللقاء بكم قريبا بعون الله وأرجوكم مساعدتي بأي شيء يساعدنا في الوصول للجاني ليتم حصر الميراث وتقسيمه لتستقروا في البلد من جديد ولا تعودون تفكرون بالهرب من الدائنين .. فأي شيء تعرفونه يسهل المهمة .. كلكم خائفون وتخفون كثيرا من الملاحظات والحقائق لأن كل منكم لديه هاجس الجريمة .. وكلكم لديه شوق لمعرفة من الذي سبق بالقتل .. مساء الخير وإلى لقاء آخر .

وخرج الضابط وقد تركهم في حيرة واضطراب وامتقاع لون ، واتجه المحقق للأخت الأخيرة وزوجها الطبيب سامي ، فرحبا به وبلقائه وبأسئلته فقال بعدما رشف من فنجان القهوة الذي وضع أمامه : سيد سامي وسيدة رانيا هل أنتما سعيدان في حياتكما الزوجية ؟

تبادل الزوجان النظرات وقالت المعلمة : أجل نحن سعيدان والحمد لله رب العالمين

وقال الزوج : حياتنا طيبة.. هدوء .. أولاد .. قناعة .. مال .. فهذه هي الدنيا .

فقال الضابط : كيف أنت وعمك نارم ؟.. بل كيف تزوجت السيدة رانيا نارم ؟

فقال الزوج : أسئلتك لطيفة .. تعرفت عليها عن طريق العيادة ..جاءت مريضة ثم تعارفنا وتعمقت المعرفة وتزوجتها كما يتزوج باقي خلق الله ..علاقتي جيدة مع عمي نارم .. لا خصومات ولا مشاكل .. ونحن لا نزوره كثيرا في بيته ، مرة واحدة في الشهر ووقت المناسبات والأزمات المرضية .

- سيدة رانيا ..هل تحبين خالتك سما بعدما أصبحت زوجة لأبيك ؟

- أجل خالتي امرأة طيبة وهي صابرة وتتحمل أبي كثيرا .. فأبي كما تعلم مريض وبسبب كثرة المكث في البيت زاد توتره وعصبيته .

قال الضابط : هذه الحفلة السنوية من يقوم على تنظيمها في العادة ؟

قالت : كانت تقوم بها والدتي في حياتها ؛ لتجتمع فيها العائلة ونفرح معا ويرى بعضنا بعضا ، ولما ماتت أمي اهتمت خالتي بهذا الأمر ؛ لأن أبي كان يحب أمي كثيرا ، وكان المحامي صبرت يقوم بمساعدة خالتي في تنظيم هذه السهرة العائلية ، ولكنه هذا العام لم يحضرها ؛ ولكنه شارك في الإعداد لها واعتذر لأمر خاص به عن حضورها .

وبعد جلسة هادئة غادرهم رامي إلى بيته ، وفي اليوم التالي زار المحامي صبرت ولما انتهى الترحيب والضيافة قال رامي : سيد صبرت الأمر محير لحتى الآن ، المهندس لديه دافع للتخطيط لجريمة ، والتاجر عدلي لديه مثل ذلك ، والمدمن لابد أنه يفكر بمثل هذا الأمر ، ولمسنا أن المحامي زاهرا عنده هذا التفكير ، فكل هؤلاء يعانون من مشاكل مالية صعبة .. المعلمة رانيا هي الوحيدة التي ما وجدت لديها رغبة في وفاة أبيها .. والسائق ليس عنده دافع للمغامرة ، ولكنه كان يتحمل الكثير من الإهانات ..وزوجته سما كانت أيضا تتحمله، أما أختها شما فهي بريئة إلا إذا تعاطفت مع أختها .. والخادمة والبستاني سأجتمع بهما مرة أخرى السؤال هل يمكن أن يكون هناك اتفاق وترتيب بين الجميع .. أو بعضهم على الأقل

؟.. ولكن لم ألمس من حواراتي معهم ذكاء خاصا في أحدهم ، هذه جريمة تحتاج إلى ذكاء وقوة قلب .. سيد صبرت بما أن علاقتك مع الجميع مقبولة ويسمعون منك ...

تبسم المحامي وقال مقاطعا : إنني صديق العائلة ، وأعرفهم منذ خمس وعشرين سنة أمضيتها قريبا منهم قبل أن يتعلموا ويتزوجوا ... فقطع الضابط تباهي المحامي بطول معرفته وقال : كلهم يثنون عليك وعلى إخلاصك وتفانيك في خدمة السيد نارم ومع ذلك فإن هناك محاميا

آخر يعمل مع السيد نارم . اصفر وجه المحامي فجاءة وقال : سيد رامي .. ماذا تقول ؟!

ـ لا تنزعج كثيرا .. اتصل بي شاب محامي يقول إن له علاقة عمل مع السيد نارم ، وأثناء موته كان خارج الوطن ، ولما عاد وعلم بموته مسموما اتصل بي وذكر لي أن لديه أوراقا تخص السيد

نارم فماذا تقول ؟

رد المحامي : لا علم لي بذلك ، فزوج ابنته محامي أيضا لماذا لم يلجأ إليه؟! .. قابله يا سيدي وافهم منه واطلع على كتاب توكيله وأخبرني بذلك إن أحببت .

فقال المحقق : لقد قابلته فعلا وتأكدت أن نارم يعرفه .. وأخبرني السائق لطفي أنه كان يذهب بالسيد نارم إليه في مكتبه ويقول مرة أو مرتين

وقبل موته بأقل من شهر زاره .. وكان السائق ينتظر في السيارة ولا يدخل معه المكتب .

فاستفسر المحامي : وهل كان بينهما عمل أم لا ؟ ـ وجدت عنده وصية غير التي عندك .

كان الضابط يحدق النظر في المحامي الذي قال ببطء : وصية ! وما فيها أيها الضابط؟

قال رامي : تقريبا نفس الوصية التي عندك ؛ ولكنه يوصي فيها لأزواج بناته بمبالغ كبيرة ، وخص زوجة ابنه الصغير بمبلغ اكثر الزوجات الأخريات ، ويوصي لك بعشرين ألف فقط والأهم أنه أعلم المحامي بأن كل الوصايا التي عندك لاغية وفاسدة .

لزم المحامي الصمت وقال بعد حين : من حكم في ماله ما ظلم .

فقال الضابط : ألم تعلم بهذا التعديل سيد صبرت ؟

ـ أبدا أبدا ـ سامحه الله ـ عشرون ألف مبلغ لا بأس به .

قال الضابط وهو ينهض قائما : يوم الجمعة القادم الاجتماع في منزل السيد نارم لقراءة الوصية الأخيرة فالرجاء أن تحضر ومعك الوصية الأخيرة له عندك .. لأن القضية تقريبا انتهت ، وقد وقعت العصابة في الفخ المرسوم .. فعليك أن تحضر لترى المجرمين القتلة .

وودعه وهو يبتسم ، وقبل الجمعة التقى المحقق مع السائق والخادمة والبستاني مرة أخرى وسألهم بعض الأسئلة ثم انصرف بعد أن أكد عليهم على حضور موعد يوم الجمعة .

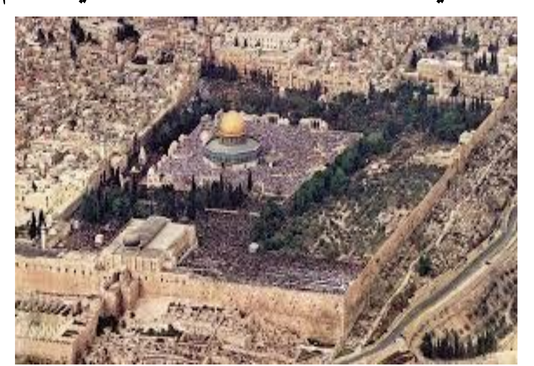
روايات قلب الوطن

قريتنا ..

الحلقة ١

تسليم بيت المقدس

قبل أن نولد كان هذا الحدث ، مساء السبت ٨/ كانون الأول/ ١٩١٧ بعث متصرف القدس العثماني عزت بك وراء مفتي القدس السيد كامل الحسيني ورئيس بلديتها السيد حسني سليم



الحسيني ، وخاطبهما عزت بك بقوله: "لابد أن تسقط القدس بيد الإنجليز الذين أحاطت جنودهم المدينة، أنا سأترك المدينة بعد نصف ساعة ، وسألقي بين أيديكم هذا الحمل الأدبي العظيم أي تسليمي المدينة للفاتحين"

قد كتب متصرف القدس وثيقة التسليم: "إلى القادة الإنجليزية : منذ يومين والنابل تتساقط على مدينة القدس في كل لحظة، ورغبة من الحكومة العثمانية في المحافظة على المدينة وبخاصة الأماكن المقدسة ككنيسة القيامة والمسجد الأقصى ، وعلى أمل أن تكون المعاملة من قبلكم على هذا الوجه . ويحمل هذه الرسالة رئيس بلدية القدس ، متصرف القدس"

وفي صباح يوم الأحد ٩/ ١٢/ ١٩١٧ خرج رئيس بلدية القدس ومفتشا الشرطة عبد القادر العلي وأحمد شريف وفريق من الشبان وهم يحملون العلم الأبيض إشارة للتسليم ، وسلم رئيس البلدية وثيقة التسليم للقائد الإنجليزي، ورحل الجيش العثماني عن المدينة وتحصنت القوات العثمانية في جبل الزيتون ، وحاولوا بعد ذلك دخول القدس عدة مرات ولكنهم فشلوا لقد انتصر الجنرال اللنبي على القوات العثمانية ومعها الدعم الألماني في معركة فاصلة غربي القدس في ٩/ ١٢/ ١٩١٧ وتوجه نحو المدينة المقدسة على صهوة حصانه ، وما كاد يقترب من سورها حتى ترجل وسار نحو حشد من أبناء المدينة خرجوا للترحيب به؟!

ثم أذاع الجنرال إدموند اللنبي بياناً إلى سكان المقدس أوضح بعضاً من نوايا هذه السيطرة الغربية الحاملة للأحقاد التاريخية والأطماع

الحديثة :إن انهزام الأتراك أمام الجيوش التي تحت قيادتي أدى إلى احتلال لمدينتكم من قبل جيوشي، وفي الوقت الذي أذيع عليكم فيه هذا النبأ أعلن الأحكام العرفية ، وستبقى هذه الأحكام نافذة المفعول ما دامت ثمة صور حربية؛ ولئلا ينالكم الجزع كما نالكم من الأتراك الذين انسحبوا، أريد أن أخبركم أنني أرغب في أن أرى كل واحد منكم قائماً بعمله وفق القانون دون أن يخشى أي تدخل من قبل أي كان وفضلاً عن ذلك بما أن مدينتكم محترمة في نظر أتباع الديانات الثلاثة الكبرى، وترابها مقدس في نظر الحجاج المعبدين الكثيرين من أبناء الطوائف الثلاث منذ قرون أجيال ، أود أن أحيطكم علماً بأن كل بناء مقدس، أو نصب أو معبد أو مقام أو أي مكان مخصص للعبادة من أي شكل، وإلى أي طائفة من الطوائف الثلاث، سيصان ويحتفظ به عملاً بالعادة المرعية وبالنسبة إلى تقاليد الطائفة التي تملكها.

وفي ١١/ ١٢/ ١٩١٧ خطب الجنرال اللنبي أمام حشد كبير من أعيان القدس وقراها، وساد الحضور وجوم عارم بسبب ما أشار إليه عن الحروب الصليبية وخاصة عندما قال جملته المشهورة "الآن انتهت الحروب الصليبية". وقد أثارت هذه الغطرسة والروح الصليبية استياء العرب والمسلمين ، فغادر مفتي القدس الشيخ كامل الحسيني الحفل وتبعه كبار المدعوين العرب دون أن يصافحوا المحتفى به.

دافع العثمانيون عن القدس بكل قوة وبسالة وبقي أمر دخولها سرا عدة أيام ثم دخلها اللنبي وبيكو والبعثات العسكرية الإنجليزية والفرنسية والإيطالية وكان الاحتفال بسيطا وسريعا لم يستغرق ساعة فإن الحرب لم تكن انتهت في الشام وقد فرح النصارى بهذا النصر في أنحاء العالم

الاحتلال البريطاني

وفي خضم الحرب العالمية الأولى (١٩١٤- ١٩١٨)، وبإيعاز من الألمان الذين طالبوا حلفاءهم الأتراك بالدخول إلى مصر انطلاقا من فلسطين لإشغال الإنجليز وإبعادهم عن مضيق الدردنيل، انطلقت هذه الحملة التركية الأولى بالفعل في كانون الثاني ١٩١٥، لكن تمركز الإنجليز خلف قناة السويس ودفاعاتهم القوية ألحقت بالأتراك هزيمة ثقيلة خلفت ١٣٠٠ قتيلا، فضلا عن الجرحى وخسائر الإبل التي نفقت بسبب الحر والتعب.

فشل الأتراك في حملتهم الأولى، وأخذوا يتأهبون للقيام بحملة ثانية، ومدوا السكك الحديدية، واستخدموا عددا كبيرا من الجنود عمالا لهذه الغاية، وعهدوا بهذه الأعمال كلها إلى قيادة الصحراء التي وضعت كلها تحت إمرة القائد

الألماني فون كرس بك، وعلى الجانب الآخر كان الإنجليز بفضل مخابراتهم وجواسيسهم على علم ودراية تامة بما يقوم به الأتراك والألمان.
انطلقت الحملة التركية الثانية في نيسان ١٩١٦، لكنها للمرة الثانية لاقت هزيمة كبيرة بفضل مدفعية الإنجليز وتمركزهم القوي خلف خطوط القناة، وخسر الأتراك ألف قتيل وأسر ثلاثة آلاف من جندهم ، وكانت هذه الهزيمة التالية سببا وجيها لتشجع الإنجليز على بدء الهجوم وإصدار الأوامر باحتلال فلسطين، حين علم الأتراك والألمان بنية البريطانيين بالزحف صوب فلسطين، قرروا المواجهة والدفاع لآخر نفس، وبدأت أولى معارك فلسطين يوم ٢٧ آذار ١٩١٧، والثانية في ١٩ نيسان من العام نفسه حين هاجم الإنجليز غزة، لكنهم فشلوا فشلا ذريعا في الهجومين مما اضطرهم إلى الانسحاب.
عندما تولى لويد جورج رئاسة وزراء بريطانيا في نهاية ١٩١٦، بدأ طالع بريطانيا في الشرق يتجه نحو التحسّن، فقد تلقى البريطانيون خطأ حكومة الهند البريطانية في زحفها الفاشل على بغداد سنة ١٩١٥ والذي انتهى في ربيع ١٩١٦ بهزيمة واستسلام الجيش الهندي البريطاني في كوت العمارة. وتسببت هذه الهزيمة في عملية تطهير شاملة في جسد الإدارة البريطانية العسكرية والمدنية، وتعيين قائد جديد للجيش الهندي هو الجنرال ستانلي مود، الذي استولى في نهاية المطاف على بغداد يوم ١١ آذار ١٩١٧ . فتح هذا النجاح في بلاد الرافدين شهية رئيس الوزراء البريطاني الجديد، فقرر تعيين قائد عسكري في مصر مشهود له بالكفاءة هو الجنرال إدموند اللنبي، وكلفه بمهمة محددة هي غزو فلسطين واحتلال القدس قبل عيد الميلاد في نهاية سنة ١٩١٧ .
اعتمد اللنبي على الكولونيل ريتشارد ماينرتزهاغن الذي عيّنه رئيسا للمخابرات العسكرية، وراح يستقصي أخبار الجيوش العثمانية في فلسطين وسوريا التي كانت تحت إمرة جمال باشا، اللنبي اعتمد على القبائل العربية الثائرة ضد حكم العثماني ، ولورنس الذي أثبت أهمية العرب في مساعدة البريطانيين ، لا سيما بعد الاستيلاء على ميناء العقبة، وإمكانية رسو الأسطول البريطاني في هذا الميناء ليكون منطلقا للحملة البريطانية المقبلة لغزو فلسطين وسوريا.
كانت بريطانيا وفرنسا وروسيا القيصرية قد اتفقت على تقسيم بلاد الشام والعراق بينهم في اتفاقية استعمارية سميت سايكس- بيكو السرية في ١٦ أيار ١٩١٦ بين الأطراف الثلاثة. جرى الاتفاق على أن تكون منطقة فلسطين من بئر السبع جنوباً

إلى عكا شمالاً تقريباً منطقةً دوليةً مراعاةً لروسيا، ولكن بعد انتهاء الحرب عَدَلَتْ بريطانيا عن هذا البند من الاتفاقية فقد أرادت إنشاء معبرٍ أرضيٍّ متصلٍ بين الخليج العربي وميناء حيفا، فضلاً عن هدفها تأسيسَ دولةٍ صهيونيةٍ في فلسطين، كان الجنرال اللنبي قد تولى القيادة خلفا للجنرال موري، فقام بإصلاحات كبيرة في بنية الجيش البريطاني في مصر، بدءا من تحسين نشاط جهاز المخابرات العسكرية، مرورا بتسلمه مدافع وآلات ميكانيكية جديدة وذخائر وعتاد أقوى وأفضل من ذي قبل ، وشرع في تنسيق القيادة، وضاعف الجهود التي سبقت لمد الأنابيب وجر مياه النيل في صحراء سيناء، ومد السكك الحديد حتى وصلت بالفعل إلى دير البلح في غزة، واتخذ من مدينة القنطرة في بورسعيد مركزا لتموين جيشه بدلا من الإسكندرية الأبعد.

في المقابل، عقد الأتراك مجلس حرب بقيادة القائد العام أنور باشا، وقادة جيوش القفقاس والجيش الثاني والرابع بقيادة جمال باشا والسادس وغيرهم، ولم ينته هذا المجلس إلى قرار حاسم. وبسبب هذا التخبط والتبدلات في القيادة ، كانت أحوال الجيش التركي تسير من سيئ إلى أسوأ، وكان الجوع يلازم الكثير من الجنود في تلك الأحيان ، بدأ الإنجليز في زحفهم صوب القدس، فاحتلوا بسهولة بئر السبع يوم ٣١ تشرين الأول ١٩١٧ ، وفي تشرين الثاني من العام ذاته احتلوا غزة، ثم انطلقوا صوب يافا والرملة واحتلوهما بسهولة أيضا، بعد ذلك قرر الجنرال النبي الزحف صوب القدس.

حاول الأتراك مقاومة تقدم الجيش البريطاني وقطع الطريق بكل السبل الممكنة، فأفلحوا في بداية الأمر، أمر اللنبي جنوده بالثبات حتى تأتيهم الكتائب الجديدة والمدافع الجديدة التي طلبها. وفي الأول من كانون الأول ١٩١٧ وقعت معركة صغيرة بين الفريقين في قرية شلتا هزم فيها الأتراك، وكانت هذه الهزيمة ذات تأثير معنوي ثقيل مكّن البريطانيين بعد ذلك من التقدم صوب القدس بسهولة. وحين أيقن المتصرف التركي عزت بك أن القدس لا محالة واقعة لانهيار المقاومة، طلب الاجتماع بمفتي القدس كامل أفندي الحسيني ورئيس البلدية حسين سليم أفندي الحسيني، واتفق الجميع على الاستسلام حفاظا على الأماكن المقدسة في المدينة، شريطة احترام الإنجليز الذين قبلوا هذا الأمر.

دخلت القوات البريطانية بقيادة الجنرال النبي مدينة القدس يوم ١١ كانون الأول ١٩١٧ محتلةً المدينة التي ظل العثمانيون يسيطرون عليها مدة ٤٠٠ سنة كاملة (١٥١٧-١٩١٧)، وهناك أعلن

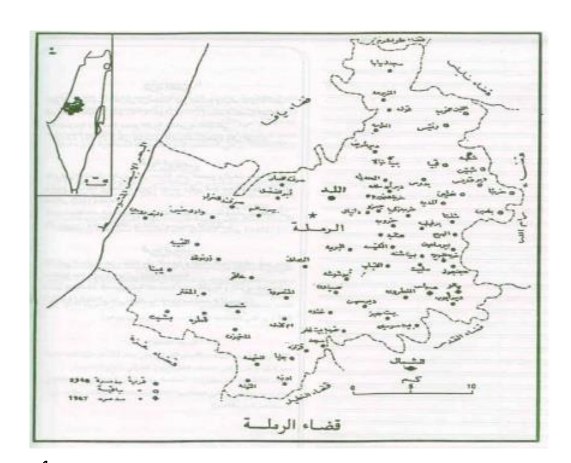
لنبي بيانه الأول الشهير الذي فرض فيه الأحكام العرفية، وطالب الناس بمباشرة أعمالهم دون أي إضراب واحترام الخصوصية الدينية لمدينة القدس وأماكنها المقدسة

أوضح اللنبي لممثل فرنسا فرانسوا جورج بيكو أن المدينة واقعة ضمن المنطقة العسكرية، وأن السلطة فيها محصورة في القائد العسكري، وقال إنه بصفته القائد العسكري سيُقرر مدة بقاء المنطقة تحت الإدارة العسكرية حصرا. وأضاف لنبي أنه لن يسمح بإقامة إدارة مدنية إلا عندما يسمح الوضع العسكري بذلك، وحتى ذلك الحين تبقى مسألة اتفاقية سايكس بيكو والتصرف النهائي بشأن فلسطين مؤجلةً.

فرح رئيس الوزراء البريطاني لويد فرحا كبيرا بسقوط القدس في مناسبة عيد الميلاد، وكتب في مذكراته أنه استطاع تحرير أقدس مدينة في العالم، و"أنه بتحريرها تمكن العالم المسيحي من استرداد أماكنه المقدسة." وهكذا كان احتلال بريطانيا للقدس في نظر رئيس وزرائها مهمة صليبية مقدسة أعاد تكرارها في الربع الأول من القرن العشرين، بعد انقضاء زمن الحروب الصليبية في العصور الوسطى بأكثر من ثمانية قرون.

احتلت القوات البريطانية القادمة من مصر القسم الجنوبي من فلسطين من الدولة العثمانية، وفرضت عليها حكماً عسكرياً، دخل قائد القوات البريطانية الجنرال إدموند لنبي مدينة القدس من باب يافا، أثار ذلك مشاعر الابتهاج في أوروبا وأمريكا إذ وقعت القدس لأول مرةٍ تحت سيطرة الأوربيين من تشرين الأول ١١٨٧ بعد تحريرها من الصليبيين على يد صلاح الدين الأيوبي

أصرّت الحكومة البريطانية وكان ونستون تشرشل فيها وزيراً للمستعمرات على عصبة الأمم على إدراج تصريح بلفور في صك الانتداب على فلسطين لتصبحَ السياسةُ البريطانيةُ في فلسطين الداعمةُ للهجرةِ اليهوديةِ تحت غطاءٍ دولي، وعيّنت أول مندوبٍ سامٍ لها هربرت صموئيل الوزير البريطاني واليهودي الذي دخل ابنه القدس متطوعاً مع الفيلق اليهودي في حملة الجنرال اللنبي . لاحظ رونالد ستورس أولُ حاكمٍ للقدسِ ما بين ١٩١٧-١٩٢٦ هذا التحيز الواضح وكتب في مذكراته: " لقد خرقت الإدارة العسكرية مبدأ "الوضع الراهن" في المسألة الصهيونية ، كانت فلسطين ولاية تابعة للدولة العثمانية المسلمة وكانت غالبية سكانها من العرب، وفي ظل سياسة "الوضع



الراهن" كان علينا – بل كنا نتلقى تعليماتٍ – أن نقول للراغبين في إدخال تغييراتٍ سريعةٍ إننا مجرد "إدارةٍ عسكريةٍ" ولسنا منظمين مدنيين ، وكان علينا أن ندير البلاد كما نفعل وندير مصر أو غيرها من البلاد ذات الأقليات المهمة مستخدمين الإنجليزية كلغةٍ رسميةٍ وتقديم ترجمةٍ عربيةٍ مع معاملة المقيمين اليهود والأرمن والأوربيين وغيرهم على النحو الذي نعاملهم به في مصر.

فقد طبع الإعلان الأول للجنرال لنبي بالإنجليزية والعبرية والعربية، وكذلك الأوامر الصادرة مني، واستخدمتْ العبرية في لافتات الإدارة الحكومية، وما لبث أن أضيفت على عجلٍ على إيصالات البلدية والإيصالات الرسمية الأخرى، وقمنا بتعيين موظفين ومترجمين يهود في مكاتبنا. وقد واجهت "إدارة أراضي العدو المحتلة" نقداً شديداً على هذا الخرق الواضح للوضع الراهن داخل وخارج فلسطين.

الحركة الوطنية الفلسطينية

المسيرة الوطنية الفلسطينية الممتدة من سنة ١٩١٨ ، كانت جزءاً من الحركة العربية السورية، وقد كان بعض أعيان فلسطين ووجهائها منتمين إلى مختلف المنظمات والنوادي والأحزاب السورية العربية التي كانت تعمل على تحقيق استقلال سورية الكبرى وفصلها عن الدولة العثمانية ، وقد هبت المنظمات والنوادي في عامي ١٩١٨/ ١٩١٩ لمعارضة الحكم البريطاني والحركة الصهيونية العدوانية باسم الشعب السوري كله في أقاليم سورية كلها، وقد اتجهت الحركة الوطنية اتجاهاً إقليمياً بعد الحرب العالمية الأولى التي أسفرت عن تمزيق بلاد الشام إلى سورية ولبنان وفلسطين وشرق الأردن.

إن الخطر الصهيوني في فلسطين واستفحال شروره أدى إلى ظهور حركة وطنية فلسطينية تتولى مناهضة الاستعمار البريطاني ومقاومة الخطر اليهودي، وقد مرت الحركة الوطنية الفلسطينية بعدة مراحل، ونشأت عدة مؤسسات وأحزاب ولجان ابتداء من قيام النادي العربي برئاسة الحاج محمد أمين الحسيني مفتي فلسطين على يد الشبان الوطنيين المتحمسين للدفاع عن البلاد ضد الخطر البريطاني والخطر اليهودي، الذين قبلوا أن تكون الحركة الوطنية برعاية الوجهاء والزعماء

والشيوخ، على أن يكونوا هم درعها الحامي، وقاوم البريطانيون والصهاينة الحركة الوطنية وحاولوا الضرب على نغمة الخلاف المسيحي الإسلامي، إلا أنهم لم ينجحوا، وسارع رجال الحركة الوطنية إلى تشكيل الجمعيات الإسلامية المسيحية إعلاناً عن وحدة الرأي وإعراباً عن التضامن الإسلامي المسيحي، وقد قامت هذه الجمعيات بقيادة الحركة الوطنية على أكمل وجه مستطاع، وكانت أقواها في القدس، ونابلس، ويافا ، وأنشأت هذه الجمعيات ما عرف بـ "المؤتمر العربي الفلسطيني" فجاء ممثلاً للبلاد بأسرها وتوحدت القيادة العامة للحركة الوطنية وانتهى دور الجمعيات الإسلامية المسيحية.

وعقدت في المدة من عام ١٩٢٠ وحتى عام ١٩٢٨م، سبعة مؤتمرات عربية فلسطينية تولت قيادة الحركة الوطنية وتركزت القيادة في لجنة تنفيذية كان كل مؤتمر ينتخبها قبل انفضاضه.

وقد انتخب موسى كاظم الحسيني في المؤتمرات كلها رئيساً للمؤتمر واللجان التنفيذية وبهذا أصبح زعيم البلاد الأول، بدأت هذه المؤتمرات نشاطها بصورة قوية ومقبولة لدى الشعب الفلسطيني ؛ ولكنها ما لبثت أن أصيبت بالضعف والهزال والتفكك بسبب ما نشب من خلافات حزبية، وما قام من تباين في الآراء حول الوسائل التي يجب اتباعها في مقاومة الحكم البريطاني والحركة الصهيونية، فجاءت اللجان التنفيذية الأخيرة ضعيفة وضمت في عضويتها شخصيات مشكوك في صدق وطنيتها ، خلال هذه الأعوام ظهر الحاج محمد أمين الحسيني في المجال السياسي، ثم جاء انتخابه مفتياً للقدس تحدياً للسلطة البريطانية ولعدد من العلماء الطامعين في مركز الإفتاء، ونشب الخلاف بين هذه الجماعات، وكان هذا الخلاف نواة للمشاحنات والخصومات الحزبية في فلسطين. ولما وافقت حكومة الانتداب على إنشاء المجلس الإسلامي الأعلى لمسلمي فلسطين، وأقر مشروعه أجريت الانتخابات وفاز الحاج محمد أمين الحسيني ومرشحوه فوزاً ساحقاً، وتولى رئاسة المجلس ورئاسة العلماء، وغدا بذلك يشغل مفتي فلسطين الأكبر، الأمر الذي أغضب الحاكم البريطاني واليهود فانطلقوا يقاومون المجلس ورئيسه وانضوى جماعة من الوجهاء والأعيان وذوي الأهواء لمقاومة المجلس ورئيسه عرفوا بالمعارضة في حين عرف من أيد الحاج محمد أمين الحسيني وهم الأكثرية من الجمهور الفلسطيني بالمجلسيين ، ثم جرت انتخابات للمجالس البلدية في فلسطين، وكانت سبباً آخر لاندلاع نيران الخلافات والمشاحنات بين الفلسطينيين، وعلى الرغم من كل شعبية المفتي، إلا أنه آثر

الوقوف خلف القيادة السياسية الشرعية للبلاد (اللجان التنفيذية والمؤتمرات الفلسطينية) وتأييدها.

وقد شهدت الحركة الوطنية في عامي ١٩٢٨/ ١٩٢٩ الضعف والتشتت، فقد أصاب الشلل اللجنة التنفيذية بسبب المشاحنات الحزبية بين أعضائها واستشرى الخطر الصهيوني بالاستيلاء على المزيد من الأراضي وتفاقمت هجرتهم إلى البلاد فتأثر الشباب لهذا الوضع المحزن، وانتشرت بينهم فكرة تنادي بوجوب تكتل أصحاب المبادئ والآراء الواحدة في حزب خاص بهم، واتصلوا بالحاج محمد أمين الحسيني وكاشفوه بشعورهم بضرورة أن يتولى قيادة الحركة الوطنية مباشرة مع اتباع سياسة المجابهة مع الوضع السياسي القائم، مع الحكم البريطاني والعدو الصهيوني، إلا أنه نصح بالتريث ولو على مضض حتى يحين الوقت المناسب للعمل الجاد، وأكد على ضرورة الإبقاء على القيادة السياسية الشرعية ، أي اللجنة التنفيذية خشية انهيارها وعدم استطاعته إنشاء قيادة جديدة بديلة.

استمر هذا الوضع قائماً حتى ربيع ١٩٢٩م، عندما ظهرت مطامع الصهاينة في الأماكن المقدسة، وخاصة حائط البراق الشريف بالقدس، فتصدت لها اللجنة التنفيذية وقام الحاج محمد أمين الحسيني بدور بارز في مقاومة هذه المخططات، وفي ٢٣/ ٨/ ١٩٢٩م نشبت ثورة البراق ، وعادت الوحدة ولو في الظاهر إلى الصف الفلسطيني واللجنة التنفيذية، وتعزز مركز الحاج محمد أمين الحسيني، والتف الشعب حوله، لكنه ظل على موقفه السابق يعمل على دعم اللجنة التنفيذية وتقويتها بصفتها القيادة الشرعية السياسية.

ولما لم تسفر المباحثات التي جرت بين الفلسطينيين والحكومة البريطانية بعد الثورة، عن أية مصلحة للعرب، عاد الخلاف الحزبي والمحلي يمزق الصف الوطني، فعاد الوطنيون إلى مراجعة المفتي لتولي القيادة السياسية، غير أنه ظل على موقفه السابق وحث الوطنيين على التريث والانتظار، ثم قامت جماعة من الوطنيين الذين كانوا يعتبرون من مؤيدي المفتي بتأسيس حزب الاستقلال الذي مارس نشاطه بهمة ونشاط ، وعقد المهرجانات لحث العرب على الجهاد والكفاح، غير أن الكثيرين من أعضائه انفضوا عنه قبل أن ينقضي عامه الثاني، وكان منهم عوني عبد الهادي، ورشيد الحاج محمد، ومعين الماضي، ومحمد عزة دروزة، وصبحي الخضراء، وسليم سلامة، وفهمي العبوشي، وأكرم زعيتر ، وعجاج نويهض.

الحزب العربي

ولما استشرى خطر الهجرة اليهودية عام ١٩٣٣م،

وعمت المشاحنات الحزبية فلسطين بأسرها عقد فريق من شبان القدس اجتماعاً سرياً قرروا فيه وجوب القيام بمظاهرات شعبية في البلاد كافة ضد الحكومة، سمحت الحكومة لهم أم لم تسمح ونقل الشبان قرارهم إلى اللجنة التنفيذية، وكان أكثريتها من المجلسيين فحبذه موسى كاظم الحسيني، فاتخذت اللجنة قراراً بالتظاهر دورياً خلال شهر تشرين الأول عام ١٩٣٣م، في مدن فلسطين الواحدة تلو الأخرى، وهنا برزت زعامة المفتي والمجلسيين؛ لأن الشعب اعتبرهم القائمين بالمظاهرات والذين تحدوا الحكم البريطاني، وكان المؤمل أن تشتد الحركة الوطنية بعد مظاهرات تشرين الأول التي أدت إلى تلاشي الانقسامات والخلافات، ولكن الظروف بعثت الانقسامات من جديد، فمرض موسى كاظم الحسيني في أواخر عام ١٩٣٣م فشب خلاف حول من سيخلفه بين رجال اللجنة التنفيذية التي لم تستطع عقد اجتماع لها بعد اجتماع كانون الأول عام ١٩٣٣م، وفي ٢٣/ ٣/ ١٩٣٤، توفي موسى كاظم الحسيني فشغر منصب الزعامة والقيادة للحركة الوطنية، فتفاقمت الخلافات رغم كل ما بذل من جهود، واشتد التباين في الرأي حول الرئاسة ووسائل المقاومة، مما أصاب الحركة الوطنية بالشلل، وإلى انهيار اللجنة التنفيذية، فخلت البلاد من الزعامة ، برز اتجاهان في صفوف المجلسيين، الأول يدعو إلى أن يتسلم الحاج محمد أمين الحسيني زعامة البلاد مباشرة، ويتولى قيادة الحركة الوطنية والمقاومة، والثاني ومعظمه من الشبان يدعو إلى تشكيل حزب سياسي يتولى العمل الوطني من أصحاب المبادئ والأهداف الواحدة، يتولى المفتي قيادته الحقيقية، حين كان المجلسيون يقومون بالدراسة والإعداد لتنظيم الجبهة الوطنية بواسطة اللجنة التي شكلت لهذا الغرض، سارع المعارضون إلى تشكيل حزب الدفاع الوطني، ثم تألف حزب الإصلاح، فحزب الكتلة الوطنية، بينما كان حزب الاستقلال قائماً ومؤتمر الشباب العربي الفلسطيني، فصار في البلاد خمسة أحزاب.

وبعد مدة غير قصيرة أصدرت اللجنة التي شكلها المجلسيون تقريرها وتوصياتها وعرضت على الاجتماع المنعقد في ٢٥/ ٤/ ١٩٣٤م، ضم ٧٥ شخصية من الوطنيين، وكان القرار بعد الدراسة تشكيل حزب سياسي يبني دستوره على أساس الميثاق الوطني الفلسطيني ومطالب البلاد المعروفة ،واختار المجتمعون لجنة تحضيرية جعلوا من اختصاصها الإعداد لتشكيل حزب، ووضع دستوره ونظامه الداخلي، وقبول طلبات الانتساب والتدقيق في المقبولين، واستمرت هذه اللجنة بمهمتها سبعة شهور فدعت إلى مؤتمر عام في

القدس يحضره من ووفق على قبولهم أعضاء.

وعقد المؤتمر في ٢٥/ ٣/ ١٩٣٥ بالقدس وبلغ عدد الحضور ١٥٧١ عضواً من العلماء والقضاة والأطباء والمهندسين والصيادلة وشيوخ القبائل والعشائر والمحامين وعلماء الدين، وبرز من بينهم عنصر الشباب، وافتتح المؤتمر قاسم النمر بخطاب أعلن فيه تشكيل الحزب رسمياً باسم "الحزب العربي الفلسطيني " ودعا إلى انتخاب رئيس له جمال الحسيني فانتخب بالإجماع وعرض الرئيس المنتخب دستور الحزب وأنظمته الداخلية فأقرها المجتمعون بالإجماع، ثم طلب من المؤتمر انتخاب هيئة مكتب الحزب فاختير الفرد روك (يافا)، بالإجماع نائباً للرئيس، وإميل الغوري (القدس)، أميناً عاماً، وخالد الفرخ وكامل الدجاني (يافا)، ووجيه البشتاوي (نابلس)، أعضاء في مكتب الحزب، ثم تم انتخاب لجنة تنفيذية مؤلفة من أشخاص يمثلون جميع أقضية فلسطين وعشائرها.

تأسس رسميا في السابع والعشرين من آذار ١٩٣٥ ، المؤسسون هم : جمال الحسيني، قاسم آغا النمر، حسن أبو السعود ، فريد العنبتاوي، الشيخ محمد الخطيب، الحاج موسى الصوراني عبد الله سمارة ، يوسف العلمي ، ونتيجة لنشأة حزب الدفاع الوطني على يد آل النشاشيبي وجد آل الحسيني أنفسهم في وضع يحتم عليهم تأسيس حزب خاص بهم مؤلف من أعضاء متجانسين في الفكرة والاتجاه ، قانون الحزب وغايته استقلال فلسطين ورفع الانتداب، والمحافظة على عروبة فلسطين ومقاومة تأسيس وطن قومي يهودي ، وارتباط فلسطين بالأقطار العربية في وحدة قومية سياسية مستقلة استقلالاً تاما، وتحسين حالة الأمة العربية في فلسطين، اجتماعياً واقتصادياً وثقافياً.

تميزت برامج الحزب العربي الفلسطيني بأنها استقلالية وقومية سعت إلى مواجهة الانتداب والحركة الصهيونية، وقد حددها القانون الداخلي للحزب بما يلي :العمل على استقلال فلسطين ورفع الانتداب عنها ، المحافظة على عروبة فلسطين ومقاومة تأسيس وطن قومي لليهود فيها، قامت نشاطات الحزب على إقامة مراكز للحزب لحشد أكبر عدد ممكن من الجماهير، إقامة مهرجانات لتوضيح خطر بيع الأراضي ، وإنشاء فرق الفتوة المؤلفة من الشباب ذوي الأبدان القوية، وإنشاء منظمة برئاسة عبد القادر الحسيني تطورت إلى منظمة الجهاد المقدس ، قام الحزب فور تشكيله بنشاط واسع ، فقام الرئيس وأعضاء مكتبه بجولات عديدة زاروا خلالها المدن والقرى الفلسطينية المختلفة، وتم تشكيل ١٧ فرعاً للحزب في البلاد ترتبط بالمركز في القدس، منها

مقرا في قرية عنابة الرملة ، ثم توسع المكتب بتوسع مهام الحزب وأنشطته.

بذل الحزب جهودا مشكورة في تنظيم الصف الوطني ، ووضع مخططات عملية لمقاومة بيع الأراضي والسمسرة عليها ومقاطعة اليهود والبريطانيين بكل السبل، وعمل بجد على تعبئة طاقات الشعب وحشد إمكاناته للوقوف في وجه الحكم البريطاني، وتولى دعوة الشعب إلى مقاومة الحكومة البريطانية المنتدبة وإجراءاتها وتدابيرها وقوانينها وأنظمتها الرامية إلى تهويد فلسطين ، وشكل في مركزه دوائر ولجاناً خاصة لشؤون السياسة والدعاية والإعلام والأراضي والمقاطعة والأبحاث والدراسات والرياضة والتجارة والاقتصاد والتوعية ولإصلاح ذات البين وفض المنازعات والخلافات بالتفاهم في كافة المدن والقرى والمضارب البدوية، وشكل الحزب دائرة خاصة لتنظيم الشباب وإنشاء منظمة الفتوة القوة الأولى لجيش الجهاد المقدس، وأسهمت بدور فعال في ثورة ١٩٣٦م.. وبعد أن نظم الحزب العربي الحسيني أعماله أخذ يدعو الشعب إلى التمرد على الحكم البريطاني ومقاومته فوجه في ٣١/ ٥/ ١٩٣٥م، نداء للفلسطينيين يدعوهم فيه إلى الإضراب والقيام بالمظاهرات في ٤/ ٦/ ١٩٣٥م، احتجاجاً على سياسة الحكومة وإعلاناً عن تصميمهم على صيانة عروبتهم ووطنهم ، وفي اليوم الموعود أضربت البلاد، وعمت المظاهرات كل المدن والقرى الفلسطينية ، وسقط عدد من القتلى والجرحى ، وتجددت المظاهرات والاصطدامات في البلاد في ٩/ ٦ و٢١/ ٦/ ١٩٣٦م، كذلك دعا الحزب إلى الإضراب العام التاريخي في ١٩/ ٤/ ١٩٣٦م، الذي استمر ستة أشهر وأسهم في إنشاء اللجان القومية في فلسطين ١٩٣٦م.

واصل الحزب أعماله حتى ٢٥/ ٤/ ١٩٣٦م، عندما تشكلت اللجنة العربية العليا لفلسطين برئاسة الحاج محمد أمين الحسيني، وتقرر إسقاط كل عمل حزبي والالتفاف حول اللجنة ورئيسها ، وقد ضمت اللجنة رئيس الحزب العربي الفلسطيني جمال الحسيني ونائبه ألفرد روك عن جميع الأحزاب.

وفي تشرين الأول/ أكتوبر عام ١٩٣٧م، حلت الحكومة البريطانية المجلس الإسلامي الأعلى وأقالت المفتي من رئاسته، وحلت اللجنة العربية العليا واللجان القومية، وضيقت على الزعماء الفلسطينيين، وحاولت إلقاء القبض عليهم، وعمدت إلى إبعادهم للخارج وفيهم المفتي وجمال الحسيني، وواصلت اللجنة العربية العليا زعامة الحركة الوطنية من بيروت، ثم من بغداد، ثم من

أوروبا حيث وصلها المفتي مع بعض زملائه.

ساد الجمود الحركة الوطنية في فلسطين في عامي ١٩٤٠م و١٩٤١م، لأسباب كثيرة منها إجراءات البريطانيين التعسفية وبطشهم وإرهابهم على أثر نشوب الحرب العالمية الثانية، وغياب الزعماء والقادة في الخارج وامتلاء السجون والمعتقلات، وكان معظمهم من المنتمين للحزب العربي. واشتد الإرهاب الصهيوني وتظافرت جهود الأمريكيين والبريطانيين لخدمة أهداف الصهاينة والإسراع في تنفيذ السياسة الاستعمارية الصهيونية المرسومة، فشعر كثير من العرب بضرورة إحياء الحركة الوطنية الفلسطينية، واجتاحت فلسطين موجة من المطالبة بإطلاق حرية العمل للعناصر الوطنية في البلاد التي كانت السلطة تضطهدها، والسماح بعودة المبعدين، ورفع الفلسطينيون العرائض للمندوب السامي وطيروا البرقيات إلى الحكومة البريطانية والدول العربية وزعماء العالمين الشرقي والغربي لشرح القضية الفلسطينية ، وعقدوا الاجتماعات وتظاهروا، واتسعت الحركات واتخذت شكلاً جدياً، فاضطرت الحكومة إلى تلبية بعض المطالب الوطنية، تجنباً لانفجار الشعب، فخففت قيودها الصارمة المفروضة على الوطنيين ورجال الحزب العربي الموجودون في فلسطين، وسمحت لمن كان منهم في البلاد العربية بالعودة، كما أفرجت عن كثيرين من المساجين المنفيين، وعدلت أنظمة الطوارئ والقوانين الاستثنائية بشكل يسمح بعض الشيء بتحرك الشعب سياسياً ووطنياً.

ولم تمر بضعة أيام على عودة من عاد من الوطنيين المبعدين والمشردين من رجال الحزب العربي حتى اتصلوا بإخوانهم المقيمين داخل البلاد، وعقدوا معهم سلسلة اجتماعات للمشاورة والبحث، لاستئناف الحركة الوطنية، وقرروا الاتصال بزعماء الأحزاب والهيئات السياسية لتأليف جبهة متحدة يقف وراءها الشعب الفلسطيني صفاً واحداً مرصوصاً، كما كان عام ١٩٣٦م، لكن الجهود لم تثمر، وعاود رجال الحزب في شباط ١٩٤٤م، اتصالاتهم بجميع الفرقاء الآخرين لإحياء الحركة الوطنية لكن دون جدوى، وإزاء هذا كله، وشعوراً بوجوب مباشرة العمل السياسي لمقاومة الخطر الاستعماري الصهيوني، ثم اعتماداً على ما لمسه رجال الحزب العربي من تأييد الشعب لهم، قرروا استئناف العمل السياسي باسم الحزب تاركين الباب مفتوحاً أمام سائر الفئات والجماعات للتعاون والإسهام في عمل وطني مشترك.

اجتمع زعماء الحزب العربي الفلسطيني في ٨/ ٤/ ١٩٤٤م، وقرروا إعادة تشكيل لجان

الحزب ودوائره وفروعه ومباشرة العمل السياسي الوطني على أساس الميثاق الوطني مؤكدين تأييدهم للمفتي وإخوانه في أوروبا وجمال الحسيني وإخوانه المعتقلين في روديسيا، وانتخب المجتمعون توفيق صالح الحسيني وكيلاً للحزب وإميل الغوري أميناً عاماً كما انتخبوا مكتباً مركزياً ومجلس إدارة وباشر الحزب أعماله بقوة ونشاط فأخذ في تنظيم الشباب وأعاد إنشاء فرق الفتوة التي حلتها الحكومة عام ١٩٣٧م وألف فرقة كشفية ورياضية وشكل لجاناً لمقاومة بيع الأراضي، وأرسل الوفود للأقطار الخارجية لشرح القضية وعقد سلسلة اجتماعات ومهرجانات شعبية دورية لبعث روح الجهاد والمقاومة، وتجولت وفود في المدن والقرى لتوحيد الجهود، وتشكلت لجان للعناية بالمساجين وعائلاتهم والمرافعة عن قضاياهم أمام المحاكم ، وعادت الحكومة إلى مقاومة الحركة الوطنية فاضطهدت وسجنت ونفت وفرضت الإقامة الجبرية ورفضت الترخيص للحزب بإصدار جريدة أو مجلة مما أثر على عمل الحزب ونجاحه في مهمته الوطنية بتشكيل جبهة وطنية موحدة تضم الأحزاب الأخرى.

وفي خريف ١٩٤٥م، تدخل مجلس جامعة الدول العربية لجمع الصفوف، ووفق وفده عند زيارته للقدس في تشكيل لجنة عربية عليا من خمسة أعضاء من الحزب العربي، ومن رؤساء الأحزاب الخمسة الأخرى، ومن أحمد حلمي عبد الباقي وموسى العلمي، غير أن الخلاف الجزئي سرعان ما عطل عمل اللجنة، وعندما أعلنت الحكومة عن عزمها على إيفاد لجنة بريطانية أمريكية للتحقيق في القضية الفلسطينية استفحل الخلاف الحزبي بسبب تباين الآراء حول جدوى التعاون مع اللجنة المذكورة أو عدم التعاون معها، وقد أنقسم الحزب العربي نفسه حول هذا الموضوع إلى من يرى ضرورة التعاون ومن يرى عدمه، وأفرجت الحكومة البريطانية عن جمال الحسيني فعاد إلى القدس وتولى رئاسة الحزب العربي، ولكن البلاد شهدت خلافاً جديداً حول مشروع المكاتب العربية ، فقد وقفت الأحزاب ضد هذا المشروع في حين أيده جمال الحسيني وعدد من أعضاء الحزب والشبان الذين تعاونوا مع موسى العلمي، وأما الشيوخ والزعماء القدامى فكانوا معارضين للمشروع، وقد أدى خلاف الحزب الداخلي إلى تمزيقه مدة من الزمن حتى تم تشكيل الهيئة العربية العليا في حزيران ١٩٤٦م، برئاسة الحاج محمد أمين الحسيني فتوقف كل نشاط حزبي في فلسطين، كان الحزب العربي أكبر الأحزاب في فلسطين وأقواها نفوذا وأثراً، وفي عام ١٩٤٧م، قدمت

حكومة الانتداب تقريراً مفصلاً عن فلسطين وأوضاعها إلى لجنة الأمم المتحدة الخاصة بفلسطين ذكرت فيه أن الحزب العربي الفلسطيني كان أقوى الأحزاب الفلسطينية، وأكثرها تمثيلاً للشعب، لأنه كان حزب المفتي، وذكرت الحكومة في تقريرها أن حزب الدفاع الوطني كان الحزب الثاني في البلاد.

قريتنا

كانت قريتنا ضمن قرى أخرى البرية برفيليا دانيال جمزو كلها تتبع مدينة الرملة المدينة الخالدة في التاريخ الاسلامي منذ أن أنشاها الخليفة الاموي سليمان بن عبد الملك ، وقد أمست هدف الغزاة والثورات الاسلامية ومطلب للحاكمين لبلادنا فلسطين .

كانت قريتنا عنابة ضمن أكثر من ستين قرية رملاوية ، هجر سكانها في أحداث النكبة والتطهير العرقي الإسرائيلي ، كانت القرية مبنية على تل يبعد أقل من ٣ كلم شمالي شرقي طريق القدس- يافا العام، كانت طريق فرعية تصلها به ، وكانت طرق فرعية أخرى تصلها بالقرى المجاورة ، كما كانت منازلها تنتشر على تل صخري يشرف على السهل الساحلي ، وقد عُدت عنابة مبنية في موقع بلدة " بيتو أنّابا" القديمة التي كانت تابعة لو لاية ديسبوليس اللد أيام الرومان . كانت عنابة قرية في ناحية الرملة ، وعدد سكانها ١٦٥ نسمة ، وكانت تؤدي الضرائب على عدد من الغلال كالقمح والشعير والزيتون والفاكهة ، بالإضافة إلى عناصر أخرى من الإنتاج والمستغَلات كالماعز وخلايا النحل وكروم العنب ، في أواخر القرن التاسع عشر، وُصفت عنابة بأنها قرية متوسطة الحجم ، مبنية بالطوب على مرتفع من الأرض ، ومحاطة بشجر الزيتون ، كان سكان القرية عنابة كلهم من المسلمين ، كانت منازلها مبنية في معظمها بالحجارة ، ومتجمهرة بعضها قرب بعض ، وباستثناء المنازل القديمة المبنية بالطوب ، وتحيط بالمسجد دكاكين ، ومزار لشيخ يدعى عيسى ، تم تحويله إلى مدرسة في بداية العشرينات ؛ وكان ١٦٨ تلميذاً يؤمون هذه المدرسة في أواسط الأربعينات ، في سنة ١٩٣٨، تم بناء مدرسة جديدة بعد أن بيع مكان المدرسة القديمة ، وقد حازت هذه المدرسة قطعة من الأرض تبلغ مساحتها عشرة دونمات ، واستقبلت تلامذة القرى المجاورة أيضاً ، وكان يؤمها ١٥٠ تلميذاً في سنة ١٩٤٨ *. [كتاعنة واشتيه ١٩٨٧].

وكان في قرية عنابة قبل النكبة والتطهير العرقي اثنا عشر دكاناً ومقهيين ،وذلك قبل الهجرة القسرية ، كما كان فيها أحد عشر معمل كلس شيد ، تنتج نحو ٥٠٠ طن من الكلس يومياً ؛



وكان هذا الكلس يباع في تل أبيب وفي غيرها من المدن .

كان القسم القديم من القرية محاطاً بسور، ومدخلها الرئيسي يتصل بطريق يافا- القدس العام وابتداءً من أواخر الثلاثينات، بُدئ ببناء منازل تتألف من طبقتين أو ثلاث طبقات ، وتزايدت حركة البناء في الأعوام الأخيرة من فترة الانتداب، بُنيت المنازل في موازاة الطرق الموصلة إلى القرى المجاورة، وعلى الأراضي الزراعية أيضاً ، وكان يحيط بالقرية شبه حلقة من الأشجار، كالتين والزيتون والكرمة والصبر ، وكانت كل "حمولة" من الحمائل تملك ديواناً للاجتماع في العشايا والمناسبات الخاصة كالأعراس .

كانت عنابة تُعد مركزاً للقرى المجاورة ، مثل البرية والقبيبة ، نظراً إلى ما كان فيها من الخدمات- كالمدرسة وطاحونة الحبوب- التي لم يكن يوجد نظيرها في القرى الأُخرى ، وكان بعض سكانها يذهب إلى الرملة لبيع المحاصيل، كما كان نفر من عمالها يعمل في الرملة، كانت الزراعة (ولا سيما البعلية منها) وتربية المواشي أكبر موارد الرزق في عنابة، وكان أهم المحاصيل الحبوب (ومنها القمح) والخضروات (كالبندورة والبامية) والحمضيات والسمسم والزيتون، وفي ١٩٤٤/ ١٩٤٥، كان ما مجموعه ١١١ دونماً مخصصاً للحمضيات والموز، و١٠٦٢٦ دونماً للحبوب، و٥١١ دونماً مروياً أو مستخدماً للبساتين.** [كناعنة واشتيه ١٩٨٧].

استناداً إلى (تاريخ حرب الاستقلال الصهيوني)، فإن القرية هوجمت أول مرة في سياق عملية يورام ؛ وهو الهجوم الرابع على منطقة اللطرون ، في ٨-٩ حزيران ١٩٤٨، وكان لواء يفتاح نفّذ هذا الهجوم لصرف الأنظار عن محاولات احتلال اللطرون؛ لكن عنابة لم تُحتل إلا في الشهر اللاحق، في إطار عملية داني.

وقد أخلى سكان عنابة القرية من النساء والأطفال بعد الهجمات الأولى، بحيث لم يبق فيها عندما وقع الهجوم الأخير في ١٠ تموز إلا ٢٠٠ رجل.

وقد هاجم الجنود الإسرائيليون القرية من ثلاث جهات، وتركوا للسكان طريقاً للفرار صوب الشمال الشرقي ، وعندما نفدت ذخيرة المدافعين عن عنابة- وكان سلاحهم قليلاً- غادروا القرية، بُعيد الساعة الواحدة ليلاً، في ذلك الاتجاه ، في اليوم نفسه، نُسفت منازل عنابة نسفاً منظماً، بأوامر من القيادة العليا للجيش الإسرائيلي، فقد أُمر لواء

يفتاح واللواء الثامن بنسف معظم المنازل واستبقاء تسعة منها لإيواء حامية صغيرة ، وبقيت هذه المنازل التسعة حتى سنة ١٩٥٢ ، حين لغّمها الجيش الإسرائيلي وجرفها أيضاً ، الموقع مسيّج، ومن الصعب دخوله ، وهو يشرف على طريق القدس – تل أبيب العام، المار على بعد كيلومترات قليلة من اللطرون وبرها. ويتناثر في أرجاء الموقع ركام الأنقاض والحطام الذي نمت فوقه الأعشاب النباتات البرية، بما فيها الصبار وبعض شجر الزيتون وشوك المسيح من فترة ما قبل ١٩٤٨ ، ويشاهد، فضلاً عن أنقاض المنازل ، حطام المدرسة والمقر المحلي للحزب العربي الفلسطيني حزب الحسينية ، ويبرز في المقبرة العنابية ضريحا حسين بدوان وإسماعيل عايش بدوان ، بسبب البنية الحجرية التي تعلوهما، وتنهض إحدى شجيرات شوك المسيح من أنقاض منزل محمد طمليه، وتنتصب شجرة توت عارية وسط حطام منزل محمد عبد الله. والأراضي المحيطة مزروعة، لكن بعض آثار الزراعة القديمة ما زال باقياً، مثل كرم علي الكسجي، بما فيه من شجر زيتون ورمان وآجام صبّار، مثل شجر الزيتون الباقي في أرض أبو رمان ، وثمة في المنطقة التي كانت تعرف باسم العطن بئر مهجورة، تتحلّق حول فوهتها كومة حجارة.

مثّلت مدينتا اللد والرملة هدفاً استراتيجياً للقوات الصهيونية خلال حرب ١٩٤٨ ، بسبب وقوعهما بالقرب من تل أبيب عند ملتقى خطوط المواصلات بين الشمال والجنوب والساحل والداخل، وبسبب وجود مطار عسكري صغير في الرملة وآخر مدني كبير في اللد، إلى جانب وجود محطة الهاتف الرئيسة في فلسطين ومعسكر صرفند بالقرب منهما.

أطلق الإسرائيليون على عملية اللد والرملة الاسم الرمزي "داني" وخصصوا لها قوة البلماخ المؤلفة من ٦٥٠٠ رجل، منظمة في ثلاثة ألوية ومزودة بناقلات الجنود المدرعة المجنزرة والمدرعات والمدفعية والإرشاد الجوي.

بدأ الهجوم الإسرائيلي يوم ٩ تموز/ يوليو ١٩٤٨ ، بمسعى لعزل المدينتين وتم احتلال قرية عنابة، وقرية جمزو، ثم مطار اللد ، فعزلت سرية الجيش الأردني في الرملة والعباسية، واكتمل تطويق المدينتين وعزلهما، لتتعرضا لقصف جوي ومدفعي شمل الأحياء الآهلة بالسكان.

في ١١ تموز/ يوليو ١٩٤٨ ، سقطت مدينة اللد، ثم مدينة الرملة، وفي اليوم الثالث عشر من الشهر نفسه، رحّل الإسرائيليون سكان المدينتين عنوة، وأجبروهم على السير على أقدامهم، في عملية استمرت ثلاثة أيام، بعد أن اقتُرفت مجزرة دموية

خصوصاً في اللد ومسجدها ، قلّما تم الحديث عنها



مجزرة اللد

في الخامس من رمضان 1367 هـ الموافق 11 تموز 1948 م، قامت وحدة كوماندوز صهيونية بقيادة المجرم المشهور موشيه ديان بارتكاب مجزرة في مدينة اللّد بفلسطين ، حيث اقتحمت المدينة وقت المساء تحت وابل من القذائف المدفعية ، وكانت" عملية داني- "الاسم الرمزي الموحي بالبراءة- للهجوم على مدينتي اللد والرملة الواقعتين في منتصف الطريق بين يافا والقدس.

ففي 10 تموز عيَّن بن غوريون إيغال آلون قائدًا للهجوم على مدينتي اللد والرملة وإسحاق رابين نائبًا له ، وأمر "ألون" بقصف المدينة من الجو، وكانت أول مدينة تهاجم على هذا النحو ، وتبع القصف هجوم مباشر على وسط المدينة، تسبّب بمغادرة من كان من متطوعي جيش الإنقاذ المرابطين بالقرب من المدينة، والتي تلقت الأوامر بالانسحاب من قائدها البريطاني غلوب باشا بالانسحاب، وفي إثر تخلِّي المتطوعين وجنود الفيلق العربي عن سكان اللد، احتمى رجال المدينة المتسلحين ببعض البنادق العتيقة بمسجد (دهمش) وسط المدينة، وبعد ساعات قليلة من القتال نفذت ذخيرتهم واضطروا للاستسلام، لكن القوات الصهيونية المهاجمة أبادتهم داخل المسجد المذكور.

بدأ الهجوم الصهيوني على اللد والرملة يوم ٩/ ٧/ ١٩٤٨م، وسعى الصهاينة إلى عزل المدينتين عن أي مساعدة تأتي من الشرق، فتقدم إلى شرقي اللد والرملة لواءان؛ أحدهما من الجنوب، حيث دخل قرية عنّابة في الساعة الواحدة صباح ١٠ يوليو، ثم قرية جمزو، وثانيهما من اتجاه تل أبيب في الشمال الغربي، وقد احتل هذا اللواء فلهيلما - مطار اللد ، وباحتلاله عزلت سرية الجيش الأردني في (الرملة والعباسية) اليهودية سابقا ، وهكذا اكتمل تطويق المدينتين وعزلهما، ولم يستطع المناضلون في القرى المذكورة ومطار اللد الصمود أمام الهجمات من قبل الدبابات والمدفعية المنسقة، تعرضت المدينتان أثناء ذلك لقصف جوي ثقيل

وجّه إلى مركز شرطة الرملة خاصةً، وقصف مدفعي شمل الأحياء الآهلة بالسكان.

استمر ضغط الصهاينة على امتداد واجهة القتال، وركزوا هجومهم على مدينة اللد أولاً، فشنوا عند الظهر هجومًا قويًّا عليها من الناحية الشرقية عند قرية دانيال، ولكن مجاهدي المدينة استطاعوا أن يصدوا الهجوم بعد معركة دامت ساعة ونصف، خسر الصهاينة فيها ٦٠ قتيلاً، وعاد المجاهدون وقد نَفِد عتادهم، ثم شن الصهاينة هجومًا آخر بقوات أكبر تدعمها المدرعات، وتمكنوا في الساعة ١٦ تقريبًا من دخول اللد واحتلالها، وهم يطلقون النار على الأهالي دون تمييز.

بعد ذلك اخترقت فصيلة تابعة للجيش الأردني مدينة اللد التي كانت قد استسلمت للكتيبة الثالثة التابعة للواء (يفتاح) في البالماح ، وفي أعقاب الاختراق ارتفعت معنويات سكان المدينة، ومن أجل إخمادهم ومنعهم من التحرك، أصدرت الأوامر للإرهابيين الصهاينة بإطلاق النار الكثيفة على جميع من وجد في الشوارع، وخلال بضع ساعات - وبموجب تقدير قائد اللواء في المعركة- قُتل ٢٥٠ فلسطينيًّا، فكانت أبشع "مجزرة" وأسرعها وقتًا، غير أن الإعلام العربي لم يركز عليها ، وفي تقريره الذي قدمه (مولاي كوهين) عن المجازر التي وقعت في مدينة "اللد"، اعترف فيه عن وجود فظائع كئيبة، ودوَّن ذلك في كتاب البلماح صفحة ٨٨٥ فقال ما يلي:"لا شك في أن قضية اللد والرملة وهرب السكان والتمرد اللذيْن جاء في أعقابها، قد وصلت فيها وحشية الحرب إلى ذروتها".

ونشرت صحيفة يديعوت أحرنوت الصهيونية يوم ٢/ ٥/ ١٩٧٢م التفاصيل التي أوردها العقيد احتياط (موشيه كالمان) عن مجزرة اللد فكتب (قال كالمان: بدأ احتلال اللد بمهاجمة أطراف المدينة بلواء (يفتاح) واللواء الثامن بعد ليلة من المعارك في مؤخرة اللد. اقتحمنا المدينة في ساعات بعد الظهر بالتنسيق مع طابور موشيه ديان، وسيطرنا على مركز المدينة قبيل المساء، ورفعت المدينة الأعلام البيضاء، وقد تدفق السكان إلى المسجد الكبير والكنيسة المجاورة له، وأعلنا بعد حلول الظلام منع التجول في المدينة، وأقيم مقر قيادة الكتيبة في منزل القسيس قبالة بوابة المسجد، وطلبنا من السكان تسليم أسلحتهم، واكتشفنا في الصباح أنه لم يتم وضع أية قطعة سلاح من جديد ، وأعدنا توزيع المدافع، وعند الظهر تقدمت نحو المدينة - التي كان عدد سكانها عشرين ألفًا- مدرعات الفيلق الأردني التي كانت مخبأة في منطقة محطة سكة الحديد، واقتحمت المدرعات الأردنية إيذانًا بالعمل، فبدأ بإطلاق النار وأصبح وضعنا

حرجًا، ولم يستطع اللواء التقدم لنجدتنا، ولأنه لم يكن هناك خيار، صدرت الأوامر لرجالنا بإطلاق النار على أي هدف، وسقط خلال المعركة ضحايا كثيرة، واستطعنا خلال بضع ساعات السيطرة مجددًا على المدينة، ووصل الضحايا من المدينة إلى ٢٥٠ قتيلاً، وجرح ٢٤ فقط، ومن عدد الضحايا نجد أن القتلة كان قصدهم القتل وليس الإرهاب فقط؛ فقد بلغ عددهم ٤٢٦ شهيدًا منهم ١٧٦ قتيلاً في مسجد دهمش في المدينة، وفي رواية أخرى بلغوا ٣٣٥ شهيدًا، ٨٠ منهم في مسجد دهمش.

تُعَد عملية اللد أشهر مذبحة قامت بها قوات البالماخ، وقد تمت العملية، المعروفة بحملة داني، لإخماد ثورة عربية قامت في تموز عام ١٩٤٨ ضد الاحتلال الإسرائيلي. فقد صدرت تعليمات بإطلاق الرصاص على أي شخص يُشاهَد في الشارع، وفتح جنود البالماخ نيران مدافعهم الثقيلة على جميع المشاة، وأخمدوا بوحشية هذا العصيان خلال ساعات قليلة، وأخذوا يتنقلون من منزل إلى آخر، يطلقون النار على أي هدف متحرك ، ولقي ٢٥٠ عربياً مصرعهم نتيجة ذلك (وفقاً لتقرير قائد اللواء). وذكر كينيث بيلبي، مراسل جريدة الهيرالد تريبيون، الذي دخل اللد يوم ١٢ يوليه، أن موشي دايان قاد طابوراً من سيارات الجيب في المدينة كان يُقل عدداً من الجنود المسلحين بالبنادق والرشاشات من طراز ستين والمدافع الرشاشة التي تتوهج نيرانها. وسار طابور العربات الجيب في الشوارع الرئيسية، يطلق النيران على كل شيء يتحرك، ولقد تناثرت جثث العرب، رجالاً ونساء، بل جثث الأطفال في الشوارع في أعقاب هذا الهجوم ، وعندما تم الاستيلاء على الرملة أُلقى القبض، في اليوم التالي، على جميع من بلغوا سن التجنيد من العرب، وأُودعوا في معتقلات خاصة ، ومرة أخرى تجوَّلت العربات في المدينتين، وأخذت تعلن، من خلال مكبرات الصوت، التحذيرات المعتادة ، وفي يوم ١٣ تموز أصدرت مكبرات الصوت أوامر نهائية،



حدَّدت فيها أسماء جسور معيَّنة طريقاً للخروج .

وأفرغت المدينتان اللد والرملة وعشرات القرى من الأهالي والبشر باتجاه الشرق الضفة الغربية التي سميت بذلك بعد النكبة ، والأردن الضفة الشرقية وعاش المشردون بمخيمات كثيرة انتشرت في الضفتين

روايات اجتماعية

شمس عمري

الحلقة الأولى

عمري

منذ شـهور قد انقضـت والشـاب عمري ناصـح يسـتيقظ فجرا عندما يرتفع آذان الفجر عاليا في المسجد القريب من قصرهم فيلانا صح الخابي ، و هذا الصـحيان اليومي يتكرر كأنه على موعد معه، ومن النادر أن يفوته سـماع صـوت المؤذن لصـلاة الفجر في مسـجد الحي ، فيجلس على سريره بضـع د قائق ثم يعود للنوم ثانية وهو يتسـاءل : أيوجد أحد يصـلي في هذا المسـجد ؟! ولماذا أصـلا بنوا هذا الجامع هنا ؟! ..آ.. فلربما للصـلاة على أموات الحي .. ربما ويغفو وهو يردد هذه الاسـتفهامات ، ثم تطور هذا الحال بعد حين فصـار ينهض من فراشـه ويجلس في شرفة مطلة على المسـجـد، فيشـاهـد بعض النـاس يتحركون نحو بيت الله في ظلام الليل فيصـيبه العجـب من هؤلاء، كـان عمري يرى الـدين والصلاة وغيرها أشياء قديمة أشياء بالية ..تراث ..من مخلفات الماضي .. فهو منذ خرج للدنيا لم يشاهد والديه يصليان في يوم ما سافر لبريطانيا بعد نجاحه في الثانوية العامة التوجيهي لدراسـة التجارة والإدارة في جامعة لندن، فعرف المدنية والمدينة الغربية، وبعد سبع سنوات أمضاها هناك في بلاد الضـباب وأي ضـباب ؟ ! عاد لأرض الوطن .

فأخذ مشهد مراقبة المسجد والمصلين عند الفجر يتكرر معه في أغلب الأحيان والأيام .. فتدثر ذات فجر بثياب سميكة ، ومشى إلى المسجد فدخله وصلى مع الناس من غير وضوء ولا طهارة ، فهو لا يعرفها، وإن تعلم شيئا منها في الصغر أو سمع به في المدرسة، فهو الآن لا يفقه ولا يعي من ذلك شيئا ، لقد كان يدرس كأبناء طبقته في مدارس أجنبية، فمادة التربية الإسلامية كانوا يمرون عليها مرور الكرام وللنجاح فقط .

بعد أن استقر في البلد على أثر عودته من لندن كان هناك دافع باطني يدفعه للصلاة .. للإسلام الذي هجره بل الذي لا يعرفه .. إنه شغوف بمراقبة وملاحظة بعض عمال المصنع الذين يصلون ويتعاطف معهم ويشجعهم على الصلاة ويسمح لهم بالصلاة في وقتين الظهر والعصر، والتوقف عن العمل للصلاة، ويتهاون معهم رغم تعاليه وكشرة وجهه أمامهم .. إنه يحب المصلين، وفي قرارة نفسه يتمنى أن يصير مثلهم ، لقد ملّ من

حياة العبث واللهو والنساء بل قرف ذلك كله وملّه قبل عودته من بريطانيا من أرض الغواية .. كان الوضع رهيبا عليه في المسجد رهبة الإيمان وتلاوة القرآن .. أناس من طبقة راقية يفارقون أسرتهم الدافئة ليصطفوا وراء الإمام الذي يشدو بهم بحركات وصوت من القرآن .. القرآن إنه كتاب الله للمسلمين .. فيهمس لنفسه: يوجد إذن في الحي خلق يصلون، لم يكن المسجد فارغا، فيه بشر يعبدون الله ! وتهمس شفتاه أثناء العودة للبيت: أحقا هناك جنة ونار ؟ وكيف هما ؟!

كان كل أسبوع يترك الشرفة مرة واحدة متسللا إلى المسجد، ويردد بين حناياه وهو مفعم بالتوتر والوجل والقلق : لماذا لا أتوب ؟! كيف أتوب ؟! ماذا أفعل ؟ أتكلم مع الشيخ ؟ لا .. أأشتري بعضا من الكتب ؟!

كان عمري الخابي يفكر ويتعجب من حياة الأسرة كلها، وجدها في نظره حياة عبثية، لا أهداف عظيمة ومهمة أمامهم، والده ناصح الخابي هدفه في هذه الحياة المزيد من الثروة .. المزيد من اللهو حسابات تكبر في البنوك .. رحلات سياحية لأوربا وأمريكا .. إشباع الجسد فقط، أما الروح فليس لها شيء .. ولكن والده غير ملحد فهو يؤمن بالله، بل يراه يتبرع لبعض الجمعيات الإسلامية بالمال .. بل يتذكر أنه قد تبرع لتشييد المسجد المقام في هذا الحي .. هذا المسجد المجاور إنه لا يحارب الدين، إنه لا يعادي الإسلام .. ولكنه لا يمارس الإسلام .. لا صلاة ولا زكاة .. ولا حج ولا صوم رمضان .. أليست هذه أركان الدين كما سمعت الشيخ الإمام يتحدث ذات صباح ؟!

فعمري ابن هذا الأب، فلما نجح في الدراسة الثانوية أرسله لبريطانيا للحصول على شهادة إنجليزية بدراسة التجارة والأعمال المالية وكسب وتعلم لغة الإنجليز، وهو الابن البكر، ولقد كان بين يديه هناك المال والحرية المطلقة .. فدرس واشتغل؛ ولكنه خلال تلك السنوات السبع زاد عبثه ولهوه، وتعرف على فتيات وغانيات المجتمع في لندن وضواحيها، فحب وانحب، شرب الشراب المسكر، سافر فرنسا وجنوبها، فعرف ملاهي ونوادي لندن وباريس، تفرج على مسارح تلك المدن وحاناتها، تعلم العلم الأكاديمي، حصل على شهادة الجامعة، وتعلم معه حياة المجون من شبابها وبناتها، طرد من عمله أكثر من مرة، فطلب منه والده العودة للبلاد فعاد بعدما سدد عنه الأب الغني كل ديونه، فاشتغل مع والده بعد حين، بعد سنة من الإحباط والانهيار استسلم واقتنع بالعمل مع سيادة الوالد ناصح وأخيه ناجح، فالسيد ناصح الخابي يملك عددا من المصانع في البلاد .. فبعد ثلاث سنوات وهو يعمل

تحت إشراف الوالد ناصح جعله نائبا له في مصنع إنتاج السجاد والموكيت والخيوط، فأصبح الابن الأكبر لناصح باشا الشاب عمري نائبا للمدير .. نائب والده .. والمصنع بالمقياس التجاري في البلاد ناجح .. إنتاج جيد وتوزيع وتسويق جيد، وقد استطاع عمري أن يقود المصنع بنجاح ، وإن لم يكن النجاح الذي يطمح ويحلم به ناصح الخابي، فقد أمضى الشاب سنتين أو أكثر في إدارة مصنع السجاد، فقد كان والده يطمع أن يضيف خطوط إنتاج أخرى للمصنع ليتمكن من التصدير إلى الأقطار المجاورة ..

كما ذكرنا كان عمري يتسلل لصلاة الفجر مرة واحدة في الأسبوع، يتحرك كما يتحرك الناس خلف شيخ الصلاة .. فذات نهار أدخل إلى مكتبه حيث إدارة المصنع شابا شيخا متدينا من عمال المصنع ذا لحية طويلة، وظن العامل حسن أن هناك شكوى عليه أو مشكلة ما .. فأشار عمري لحسن بالجلوس، ولما أغلق الفراش الباب عليهما، قال عمري للشاب المتدين بعد الترحيب والتحية: يا أخ حسن! .. كيف الصلاة ؟ وماذا تفعلون في الصلاة ؟

بهر حسن لهذا الاستفهام، ووجم لحظات قبل أن يفيق من الدهشة وقال لنفسه وهو ينظر في عيني نائب المدير : مسلم يسأل عن كيفية الصلاة وماذا تفعل في الصلاة ؟! ثم أجاب مديره : ماذا يقصد السيد المدير بكيف الصلاة ؟ !

كان عمري يسأل حسنا وهو قائم فجلس قريبا منه وقال : يا أخ حسن ! .. أنا .. أنا أريد أن أتعلم كيف أصلي صلاة صحيحة ؟!صدق يا أخ حسن أنني لا أعرف كيف تكون الصلاة؟ أراكم تقفون وتنحنون وتسجدون وتتحدثون عن الوضوء .. ولا تستغرب جهلنا بذلك رغم حملنا للشهادات والجامعات ..

فقال الشاب العامل : ألم تتعلم ذلك في المدارس ؟!

فقال عمري كأنه محتجا : أيّ مدارس يا أخي ؟! .. أنا قضيت ثلث عمري في بريطانيا .. ولكني أحس بحيرة .. بضيق .. أحيا في ظلام .. أريد أن أتوب ..

تألم حسن المدهوش مما يسمع وقال : معك حق ، مدارس هذه الأيام لا تعلم الدين والقرآن لدي كتب عن الصلاة والوضوء .. سآتيك بها ..

فقال عمري : أريد أن أسمع .. لا أريد القراءة الآن

فرد حسن : تسمع وتقرأ

ـ سوف أفعل

فقال حسن وهو يهم بالقيام : العمل يا سيدي والعمال ؟

ـ لا تقلق .. بضع دقائق كل يوم .. إنني أتألم من داخلي يا حسن .. ضقت بهذه الحياة ومللت الملذات ..

فقال حسن : أنا لي صديق طيب وطالب علم، فما رأيك أن تزوره بعد انتهاء الدوام وتتعرف عليه فهو أقدر مني على مساعدتك

فقال عمري : أريد أن أعرف ما تعرفه أنت الآن .. كيف تتوضأ ؟ كيف تصلي ؟ .. وسوف أقرأ وسوف أقابل صاحبك .. أنا عطش جدا للإيمان والصلاة

أخذ حسن يشرح لنائب مدير المصنع كيف الصلاة ، وحدثه عن صفة الاغتسال من الجنابة ، ثم الوضوء للصلاة ، وعلمه أساسيات الصلاة وهيئاتها ، ثم أخذ يتردد على مكتبه كل يوم مدة نصف ساعة تـقل ولا تزيد يعلمه مما يعلم ويمارس ، وكان عمري قد طلب من حسن أن لا يحدث أحدا بما يعلمه ؛كأنه خائف من الناس أو من نفسه ، فعاهده حسن على ذلك بناء على رغبته ، وعلى أثر تلك اللقاءات فقد أصبح الشيخ حسن العامل صديقا لابن المدير البكر وكثر تردد عمري على المسجد لصلاة الصبح ، فما زال يستيقظ من نومه عندما يسمع صوت المؤذن ، وكثر الهمس في المصنع حول صداقة عمري نائب المدير بالعامل حسن ، بل كان أحيانا يركب حسن مع عمري بسيارته يوصله لأقرب موقف سيارات ليعود إلى أهله ، وأحيانا أخرى يوصله لبيته بنفسه مما زاد من الإشاعات والتكهنات حول هذه الصداقة سواء في المصنع حيث العمال أم في مكاتب الإدارة ، والكل يتطلع ويتشوق لمعرفة أسرارها ، واستمر حسن يتردد على عمري في مكتبه مدة قد تقترب من الشهرين حتى أصبح السيد عمري متقنا للصلاة والوضوء ، وكان سعيدا بذلك ثم الـتقى وتعرف بصديق حسن الشيخ علي الحمد الذي أخذ يشرح له أركان الإيمان والإسلام ومسائل الاعتقاد والآداب ، مما أدهش عمري عندما سمع بآداب النوم والطعام والسفر والسلام وغير ذلك من مواضيع وفقه ، وكبر تعلق عمري بحسن وصاحبه علي ، وكان مسرورا بصحبتهما ورفقتهما ، وذات يوم عندما عاد عمري للبيت التقى بأمه في صالة البيت فقالت الأم : إيه يا عمري ! ..لم تعد تكثر من الجلوس معنا ..أمس تركتنا والضيوف ودخلت للنوم .. ومتى ينام عمري مبكرا مما أدهش بنات عمك ؟ !

فقال بلطف: لم أعد أحب السهريا أمي ..إنني في حيرة .. لماذا نعيش ؟ ! لماذا نأكل ونشرب ونلهو ؟؟

ردت الأم باستغراب : لماذا نعيش ولماذا نلهو ؟! ما هذه الأسئلة يا بني؟ هل بك مرض ؟؟ أنا لي

فترة طويلة ألاحظ عليك الشرود والقلق .. وكثيرا ما أراك عند الفجر تجلس عند الشرفة وحتى في شدة البرد والمطر ..

فقال : إني حائر يا أماه .. هل خلقنا فقط للعبث والمزح والسهر ؟ أليس هناك آخرة ؟!

فقالت الأم بقلق : احذر أن يكون كلام أم سعيد حقا ؟

فقال بشرود : أم سعيد عمتي ؟! وما هو كلامها ؟

فقالت بلهجتها القلقة : إن صاحبا لابنها خالد يراك تتردد على المسجد عند صلاة الفجر

ضحك عمري وقال : وهل هذا عيب ؟! .. لي زمن أتردد على المسجد وأصلي الفجر .. روحي تطلب الصلاة يا أمي ..

رفعت الأم من صوتها وقالت : ويلك ! أجننت يا فتى فالصلاة للعجايز وكبار السن ؟! .. أنا لما سمعتها تتكلم بذلك ضحكت منها وقلت لها كل الناس يصلون إلا عمريا .. فعمري ابن لندن وابن المدنية ..

فقال عمري مسايرا سذاجة أمه : وهل المدنية تمنع الصلاة يا أمي ؟ ! .. الصلاة شيء مهم في حياة الإنسان .. البوذيون يصلون .. !

فقالت الأم : إنك تتكلم بجد ؟ هذه أمور لا نحب رؤيتها في البيت .. أنا لما حدثتني بدرية عن أشرطة كاسيت القرآن الموجودة في غرفتك ظننتها لأحد عمالك ..

فقال عمري : أمي إنني بحاجة للراحة الآن أجلي الكلام لوقت آخر ..

فقالت : هذا أمر خطير لا يؤجل .. هذا البيت ليس مكانا للعبادة

جحرها عمري بطرف عينيه قائلا : إنك تتكلمين بلسان الشيطان ..

وانسحب إلى حجرته وألقى بنفسه على السرير ثم راح في سبات عميق

حسن

كان المدير العام لجميع شركات ومصانع الخابي الأستاذ ناصح الخابي يتابع نشاطات مصنع السجاد عن طريق ولده عمري ، وعن طريق التقرير المالي الذي يعده كبير محاسبي المصنع أسبوعيا ويقدمه إلى مكاتب الشركات الرئيسية ، وكان أيضا يتلقى تقريرا إداريا من السكرتاريا للمصنع وشؤون العمال والموظفين ، ولقد كانت الآنسة العانس نسرين غانم من قدماء موظفي المصنع ، فهي بذكائها وخبرتها تعرف كل نشاطات وإنتاج المصنع ، فكان أحيانا يتصل بها السيد ناصح ليسمع منها أخبار المصنع وعلاقات العمال والإدارة ، وكان السيد المدير يحب أن تكون علاقات العمال بالإدارة علاقات جامدة في

حدود العمل والإشراف فقط ، لذلك كان المدير متضايقا من علاقـات نائبه في المصنع بالعامل حسن وغيره وذات صباح عندما دخل عمري مكتبه وجد أمرا بنـقل العامل حسن إلى مصنع آخر أو فصله من العمل ، فطلب السكرتيرة وسألها من أتى بهذا الطلب ؟ فأجابت وصل مع البريد من الإدارة العامة

فقال باقتضاب : مع السلامة ومزق الطلب ورماه في سلة النفايات كأنه لم يتلقه ، ثم تابع قراءة الخطابات الأخرى ومراسلات الشركات وطلباتها ويشرح عليها باللازم ، ثم نزل ومعه مدير الإنتاج المهندس رياض نحو ماكنات النسيج والتصنيع ، فمكث بين العمال بضع ساعات ، ثم رجع للمكتب ومعه رفيقه حسن فشربا الشاي ، ثم غادر الشركة عائدا للبيت ، ولم يكد يدخل غرفته الخاصة حتى رن جرس الهاتف ، وكان المتحدث والده ناصح وتحدث معه بغضب : لماذا تركت المصنع يا عمري ؟ ! .. لقد دهشت عندما أخبروني بأنك انصرفت للبيت، منذ متى وأنت تترك الشغل للغرباء ؟!

ـ باختصار يا أبي إنني متعب فقلت لمدير الإنتاج المهندس رياض إنني أشعر بإرهاق .. ورياض هو أنا ، ألم تـقل لي ذلك مرارا وهو ليس غريبا عن العمل .. ؟

ـ حسنا .. لما أراك مساء نتكلم ، فأنا لم تعد تعجبني أفعالك هذه الأيام

ضحك عمري وهو يقول : لما تعود إن شاء الله .. أسمع هذه الأفعال التي لا تعجبك

فتمتم الأب بكلمات أخرى غاضبة وأغلق الهاتف ، ووضع عمـري السماعة من جانبه وهـو يقول : لماذا يكرهون التوبة .. الصلاة ؟؟! .. وهل العلمانية التي يتمسكون بها تمنع الناس من الصلاة ؟ إنهم قوم ظالمون .. ما ألذ الكلام الذي أسمعه من الشيخ علي والشيخ حسن !! إنني عطش وجائع لمثل هذا الكلام الروحاني

ثم نهض فصلى الظهر ورقد ، فهو على موعد مع محاضرة إسلامية في نادي الصلاح ، وتبسم وهو يتذكر ذلك وقال : والله صرت أحضر محاضرات دينية بدلا من حفلات الأغاني والرقص

*****

فعندما عاد عمري من الدرس الديني بعد صلاة العشاء ،كان والده قد خرج هو وزوجته إلى حضور حفلة عيد ميلاد إحدى بنات أصدقائه ، فحمد الله على عدم لقاء الوالد فأخلد إلى النوم وكان من عادته الاستيقاظ فجرا فيتسلل إلى الجامع لصلاة الصبح ، ولما تنقضي الصلاة يعود ويطلب من الشغالة حسنية كوبا من الحليب ، ثم يقرأ حزبا من القرآن ، ثم يخرج من حجرته

فيجلس في حديقة الفيلا ساعة من الزمن ، ولما تصل عقارب الساعة إلى السابعة صباحا ينطلق إلى المصنع ، فهذا ديدنه منذ تحرك الإيمان والهداية في قلبه ، فيصل قبل مجيء العمال فيجلس مع رجال الحراسة والأمن ، المكلفون بحماية المصنع ، فيداعبهم ويمزح معهم ، وقد يشرب الشاي معهم مما يثير عجبهم ، لقد كان عمري قبل سنة بل شهور لا يحب إلقاء السلام على أحد ، ولا يحب الكلام مع أحد ، ولهم منذ شهور يحسون ويدركون التغير الذي حدث لعمري ؛ ولكنهم لا يعرفون سر ذلك التحول الحقيقي .. فهناك أقوال وإشاعات تتردد في ثنايا المصنع ، منها أنه سيترك المصنع لإدارة مصنع آخر من مصانع والده فيحب أن يترك طابعا وأثرا حسنا لدى الناس البسطاء في آخر ايامه بينهم ، ومنهم من يقول إنه غضبان من والده فيحب أن يغير التقاليد السائرة بين الإدارة والعمال من الجفاء والصلابة ، ويقولون أقوالا أخرى ، ولم يتحدث أحدهم على أن الدين والتوبة هي التي جعلته يتغير ويتواضع للجلوس والحديث مع الحراس والعمال ويشرب الشاي بصحبتهم ، ويمزح معهم ولا يتطلع إليهم من عل ، وما هو إلا إنسان بسيط مثلهم ؛ ولكن الله ابتلاه واختبره بنعمة المال والثراء والغنى وابن المدير ، هذا لم يدر في خلد أحد من العمال والحراس إلا حسن الذي عاهده على الكتمان وعدم التحدث عن توبته وتركه للمعاصي ، وكذلك لم يعد يحمل السكرتيرة نسرين غانم في سيارته عند انصرافه من العمل ، بل يتأخر في المصنع أحيانا كثيرة حتى تنصرف الأوانس والسيدات ، لقد كانت نسرين غانم تظهر نفسها مالكة للمصنع لأنها من أوائل الموظفات اللواتي عملن في المصنع وهو قيد الإنشاء والتأسيس قبل أكثر من عشر سنوات ؛ ولأن السيد ناصحا يعتمد عليها فكانت ترى نفسها المديرة الفعلية للمصنع ، ولولا أن عمريا استلم منصب نائب المدير لظلت ترى نفسها في تلك الصورة ، لم يعد الشاب يتكلم كثيرا مع فتيات المصنع أو يغازلهن كما كان يفعل معهن قديما عندما كان يرى فتاة حلوة ، التغير والانقلاب بدأا يظهران على طباع وأخلاق عمري ؛ وحتى الدوام الوظيفي كان من النادر أن يدخل المصنع قبل العاشرة صباحا بعكس هذه الأيام .

إذن أصبح الشاب ابن الثلاثين ربيعا يتابع الجميع بل يتقبل الأخطاء والأعذار بكل سهولة ، لم يعد يصرخ ويرفع صوته ويصب غضبه على من يرتكب خطأ في المصنع ، فقد أصبح يتدبر الأمر ويحاول إصلاحه بدون غضب بل يضغط على مدير الإنتاج للعفو والمسامحة ، والإنتاج لم يتأثر بنقص وغش بهذا الأسلوب اللين .

وفي ذلك الصباح لم يحاول انتظار خروج الوالد لسماع بعض طلباته وتعليماته ، فلما حان وقت انطلاقة الصباح ركب سيارته متجها إلى المصنع كعادته الجديدة ، فجلس مع رجال الأمن والحماية وشرب الشاي معهم ، ولما أقبل الفراشون وفتحوا المكاتب دخل إلى مكتبه ، وقد كان على المكتب مذياع صغير ففتحه على إذاعة القرآن الكريم وشرع يستمع اليه بتأمل ، فلما شعر بدخول موظفي السكرتاريا والإدارة إلى مكاتبهم أغلقه وانتظر دخول السكرتيرة عليه بملفات وبريد وأعمال المكتب لهذا النهار .. وكأنه فوجئ بدخول الآنسة نسرين ، فعادة أول من يدخل عليه صباح كل يوم سكرتيرته ريما ، وإذا كان هناك أشياء مهمة تتبعها الآنسة نسرين .. فرحب بها وعلى وجهه السؤال .. فوضعت الأوراق على المكتب وقالت : الآنسة ريما طلبت إجازة أمس ووافق عليها المهندس رياض .. وربما تستقيل ..

فهتف باستغراب : تستـقيل ! ولماذا ؟!

ـ تقول إن هناك مشروع خطبة وزواج والخطيب المتقدم لها لا يحب لها العمل كسكرتيرة

فقال بهدوء : عقبال عندك يا آنسة نسرين .. وقبل أن يتابع كلامه قالت : يا ليت يا أستاذ عمري !

وتابع عمري قائلا : إن شاء الله .. فريما فتاة مهذبة .. كم أسأت لها قديما ؟ ولا أظن إلا أنها راضية عني في الأيام الأخيرة ..

فضحكت نسرين وقالت : كل العمال يتحدثون عن التغيير الجاري لنائب المدير .. فلم يعودوا يسمعون صوتكم المرتفع وشتمك ونفرزتك ؛ وهم يتساءلون بينهم ما الذي قلب الأستاذ عمري إلى هذه الهيئة الحسنة ..

فتبسم وقال بدون أن يشعرها بما وراء الكلام : الإيمان!!

فقالت باسمة ومتشككة : فكلنا مؤمنون ، وهل نحن كفار يا حضرة الأستاذ ؟ !

فضحك أو تبسم وقال : ماذا في هذه الأوراق التي وضعت على المكتب ؟ بل قبل ذلك .. اتصالات أمس ؟

فأخرجت ورقة من ثوبها وقالت : اتصالات كثيرة أجاب عليها المهندس رياض ؛ ولكن أهمها تلفون حضرة الوالد المدير العام .. فلقد اتصل وسأل عن نقل ذلك العامل ..

فقال عمري وهو ينظر في وجهها : وماذا قلت له يا عزيزتي ؟!

قالت وهي تنظر في عيني عمري بقلق وحيرة : أولا قلت له إنك غادرت المصنع إلى البيت كما أخبرتنا .. وثانيا قلت له إنك لم تنقل العامل ولم يتصرف نائب المدير بـعد ..

هز عمري كتفيه وهو يسمعها ، فلما صمتت قال : ما هي أسباب نقل هذا الشاب أو طرده كما تريدون ؟

فقالت بنبرة تهكمية : كما نريد .. بل كما يريد المدير العام السيد ناصح

فضحك عمري ورد : وهل يعرف حضرة الوالد المدير الشاب العامل حسنا ؟ .. فالوالد المدير يأتي المصنع في الأسبوع مرة ، ويمكث ساعة أو ساعتين على الأكثر ثم يغادر ، وأحيانا لا يرى ولا يقبل مقابلة أي عامل .. يا آنسة نسرين ..

فقالت بقلق وتوتر : ماذا تقصد ؟!

فقال بنبرة فيها حدة : أقصد يا آنسة نسرين ! ما هي الشكوى التي رفعت للوالد عن حسن ليطلب فصله ؟! .. أم لأنني استدعيه لأسأله عن العمال وأحوال العمال ؟

فقالت بدهشة وضيق : أنت تستدعيه من أجل ذلك .. ؟!

فقال وهو يحدق النظر في عينيها : وإلا لماذا أجتمع به كل يوم؟

فقالت بحيرة : لست ادري ! اسأل الوالد عن سبب نـقله أو فصله ؟

فقال : بالتأكيد سوف أسأله .. أنا لم أجلس معه أمس .. على كل حال عودي لمكتبك ريثما أطلع على هذه الملفات والخطابات ..

خرجت نسرين من مكتب عمري محتارة ومدهوشة من كلام عمري وهي تقول لنفسها : يا لك من ولد ذكي !! إذن حسن جاسوسك على العمال .. وأنا كنت أظنه يعلمك الصلاة والوضوء .. آه .. إنك داهية خبيث يا عمري ! ابن أبيك ! .. عرفت كيف تلعب بحسن ؟!.. دخلت عليه من باب الصلاة والتوبة .. أليس بذلك يتحدثان ؟ ! .. هذا ما سمعته أذناي .. عليّ أن اصلح الخطأ حالا قبل أن ينقل حسن أو يطرد

فخرجت من مكتبها واتصلت بالسيد المدير ، ونقلت له الصورة الخاطئة التي نقلتها له عن حسن ، فاستغرب المدير من ذلك وقال : لا بأس .. سوف أتجاهل المطالبة بنقل حسن لمصنع الزيوت ..

وتجاهلت نسرين عين ناصح في المصنع الشيخ حسنا ؛ فهي تعتقد الآن أنه عميل عمري بين العمال ، وما الحديث عن الصلاة والإسلام والتدين والخلوات ما هي إلا غطاء أمام عيون وآذان العمال ولكنها عادت تهمس قائلة مترددة في الاستنتاج : ولكن عمرياً قد تغير فعلا هل هذا كله تمثيل في تمثيل ؟! .. الله أعلم .. أمر محير !

زواج نوال

كانت العلاقة الحسنة بين حسن وعمري قد عظمت ، وأصبح عمري ابن المليونير الفتى الثري

صديقا للشاب العامل الفقير في مصنع السجاد ، نسي عمري الفارق الطبقي بينهما ، ووجد راحة وحلاوة في صداقة حسن أكثر مما وجدها في أبناء عمه وأبناء أصدقاء أبيه والعائلة ، فقد وجد أن العلاقة بينه وبين حسن علاقة حب في الله ، ليس هناك مصالح مادية تربطهما .. وقد استطاع معالجة مشكلة حسن بسرعة وذكاء، فهو يعرف بكل يقين أن الآنسة نسرين عين والده في المصنع ، وهذا لا يخفى على أي رجل يملك ذرة بسيطة من العقل والفطنة .. لأنها تعطي نفسها أكبر من حجمها في المصنع بحجة أنها من أقدم الموظفات .. وعمري لا ينكر قدراتها الكبيرة في داخل الإدارة والاجتماعات والعلاقات العامة .. فقد استطاع أن يوحي إليها بأن حسنا عين له بين العمال ينقل له أقوالهم ونشاطهم .. وعمري لا يقتنع بجودة هذا الأسلوب في السيطرة على إدارة المصنع .. فكانت القاعدة عنده حسن الإنتاج وحسن التوزيع هما كفاءة العمال والإدارة ؛ فإذا كان هناك إنتاج مقبول فمعنى ذلك أن العمال يؤدون واجباتهم وينفذون خطط العمل المرسومة .. ولكنه يعرف نفسية الآنسة وأنها عين والده عليهم فجاءها من هذا الباب فأوحى إليها أن حسنا عينه ورجله عند العمال ، فتقبلت ذلك بسهولة ، ولذلك أسرعت بتصحيح الأمر مع السيد ناصح ، فسر عمري من نفسه وعلق قائلا : المريض يظن أن كل الناس مرضى مثله .

وهكذا استمرت العلاقة داخل المصنع طيبة بين حسن وعمري ، وأما نسرين فقد قتلها الشك والوسواس بصدق نوايا عمري ، ذات مساء عندما رجع نائب المدير للبيت استقبلته أمه بالترحاب على غير العادة ، أو فقل من النادر أن يدخل البيت ويصطدم بأمه فإنما يجد في استقباله الشغالة حسنية ، فأمه إما في زيارة صديقة أو نادي أو جمعية أو في استقبال صديقة ، فقال باستغراب :

أمي في انتظاري .. هذا أمر عجيب يا أم عمري ؟!

لابد أن هناك شيئا مهما لتجلسي في الصالة لاستقبالي ؟!

فأخذتها الضحكة وقالت باسمة : دائما أنت هكذا تحب المداعبة .. أهلا بولدي الحبيب ..

فعلا يوجد شيء مهم سيحدث الليلة هنا في البيت ولك أيها الولد الحبيب . .

فقال : على كل حال .. سأدخل الحمام لاغتسل ثم أعود فأسمع هذا الأمر المهم والخطير

فقالت : اذهب فنحن في انتظارك قبل حضور الضيوف

كان عمري غير مقتنع بكل أفعال أمه ، وكان يرى أنها كلها أفعال لتضييع الوقت ولا فائدة ترجى منها ، وإنما هي كلام ودعوات وحقوق النسوان ،

فكان يرى كل ذلك كلام ببغاوات لا أكثر ولا أقل ، فقد عاش في بريطانيا وكان يسمع ويرى مثل هذه الجمعيات والحركات ، وكان يردد قائلا : لو أنهم حريصون فعلا على حقوق وحياة الإنسان المغلوب على أمره ما صنعوا سلاحا ولا قنابل ذرية .. وسيطرة وحروب ..

اغتسل عمري وأزال عرق اليوم عن البدن ودخل حجرته الخاصة ، وكان يدرك أن أختيه وربما أمه يعبثون في مكتبه الصغير وأوراقه ، فكان لا يكترث للأمر والتفتيش ويهمله ويراه من باب الفضول ، فنام نصف ساعة من الزمن ، واستيقظ على صراخ أمه فنهض وهو يقول : يا أمي ماذا جرى في الكون ؟ !

فصاحت وهي مازالت تقف عند باب الغرفة : أنا ظننت أنك ما زلت في الحمام .. وأنت نائم هنا .. قد حضرت امرأة عمك عزيزة وبناتها نوال وأنعام فتعال سلم عليهن

فجلس على حافة السرير وهو يقول : بعد قليل ولكنه رأى البنات قد دفعن الباب ودخلن وهن يعلقن ويمزحن معه فقالت إحداهن : إيه يا عمري .. سمعنا أنك قد صرت شيخا .. أليس ذلك مبكرا ؟ !

فقال بحدة ولم يعجبه دخولهن عليه الحجرة بهذه الصورة : الموت عندما يأتي لا يسأل عن المبكر والمتأخر ..

فوجمت الفتيات العاشقات للمرح ، فكلمة الموت وإن يرددها الناس يوميا ولكن لها في بعض الأحيان وقع على النفوس فهمسن : الموت !!

وقالت نوال : الموت يا عمري .. ما بك نحن نحدثك عن ... عن ماذا ؟ !

فقالت أنعام : عن الشيوخ والصلاة ..

فقال عمري وهو يقف : أهلا ببنات عمي .. أهلا وسهلا ..

فقالت نوال : ألا تصافحنا فقد سمعنا ...

فقال : ما دام قد قلتي عني شيخا فكيف يحق للشيخ أن يصافح النساء ؟ !

فقالت نوال: والله عجيب حالك يا عمري!.. كدت أصدق أنك شيخ ، فعندما تحدثنا بدرية الجميلة عن تدينك أسخر وأهزأ منها وأظن أنها تبالغ .. أنت ناقصك لحية ..

فقال باسما : قريبا .. يا مرحبا .. اسمحن لي بغسل وجهي ..

فقالت أنعام متضاحكة : واسمح لنا بالعبث بمحتويات غرفتك

فقال : افعلن ما تشأن عسى الله أن يتوب عليكن

فقالت نوال متضايقة : ويلك .. لم نتمتع بالدنيا بعد ..

فقال : وهل التدين يمنع التمتع بالدنيا .. يا قمر

آل الخابي .. ؟
فقالت أنعام ضاحكة : بعدك تردد كلمات حلوة يا عمري بيك
فقال ضاحكا : سأغسل وجهي وأذهب لتحية امرأة عمي السيدة عزيزة
مشى نحو حوض الغسيل وغسل يديه ووجهه ثم سار لتحية امرأة عمه فحياها ورحب بها ثم التفت لأخته قائلا : أين أمك يا قمرية ؟
فردت أخته قائلة : تتحدث بالتلفون مع .. مع ..
فعاد يرحب بامرأة عمه ويسألها عن العم ناجح وابن العم صابر ، فالسيد ناجح شقيق والده له ولد واحد فقط وأربع بنات منهن اثنتان متزوجات نهى ونهال ، وعمري منذ اهتدى وأصبح يحافظ على الصلاة لم يحاول فرض نفسه وما وصل إليه من هدايات وقناعات على أفراد البيت لم يحاول أن يتدخل في لباس أختيه وأمه ، وكان يتجنب الإفاضة بالحديث عن الصلاة والإسلام فقد ترك ذلك للأيام ، ولما حضرت أمه رحبت بابنها البكر وقالت وكلها ضحك : أين البنات يا أمير ؟
فأشار إلى حجرته ثم قال كأنه فطن لشيء ما : أمي العزيزة عندما دخلت البيت ذكرت لي أن هناك أمرا مهما .. فما هو هذا الشيء المهم يا أمي الغالية ؟؟
نظرن إليه جميعهن لحظات وأخذن بالضحك والابتسام ، وسمع أنعام القادمة تقول : إيه يا عمري .. ألم يحدثك العم العزيز بالموضوع ؟!
فالتفت إليها مقطبا وقال : لي أسبوع لم أجلس مع أبي .. ما هي إلا دقائق .. إذا التقينا في المصنع ما هو الموضوع يا آنسة أنعام ؟؟ .. يبدو أنكم كلكم تعرفون بالموضوع إلا أنا ..
فقالت الأم مريم صادق : أنت لم تعد تسمع مشاريعنا وأخبارنا .. أنت تعيش في عالم بعيد عنا كأنك ما زلت في لندن ..
فقالت أنعام : باختصار يا بيك لقد اتفق عمي ناصح ووالدي ناجح على اقترانك بالآنسة المحترمة نوال .. التي توردت وجنتاها من الخجل ، وهي لما سمعت أبي يصارحها بذلك كاد رأسها أن يصل للسماء من الفرح والسعادة ..
فصاحت نوال : اسكتي ما أطول لسانك يا ابنة عزيزة ..
وكان عمري ينظر بعينيه إلى جميع العيون ثم قال : أمعقول هذا ؟! فأبي لم يفاتحني بذلك ولو على الهاتف .. !
فقالت قمرية أخته الكبرى : ماذا تقصد ؟ !
فقال بصوت ناعم : لا أقصد شيئا ولكن كيف تتفقون على أمر مهم كهذا دون أخذ صوتي ؟ أين الديمقراطية ؟!
فأجابت أمه : الأمر حدث بين والدك وعمك منذ

يومين ولم أشاور فيه أنا ولا امرأة عمك هم اتفقوا وقرروا وما علينا إلا التنفيذ .. ونوال فتاة تحبك من أيام ذهابك إلى لندن ، وهي قد أنهت دراستها الجامعية وتعمل في مصرف السيد طارق صديق والدك

فقال موجها كلامه لنوال : يا نوال هذا زواج وليس لعبة ..

فقالت أمه : الليلة سنحتفل احتفالا صغيرا بموافقتكم .. لذلك سيأتي أبوك وعمك مبكرين من أجل المشاركة في هذا الحفل

فنهض عمري قائما وهو يقول : سأدخل للصلاة .. فقد سمعت المؤذن ينادي .. ألا تصلين يا نوال يا ابنة عمي العزيز ؟

فقالت بدهشة وهي تنظر في عينيه : أصلي !!

فقال باسما او متهكما : الصلاة .. ألا تعرفينها ؟ألم تدخلن عليّ وتقلن إنني صرت شيخا ؟ .. فالشيخ يصلي .. وزوجة الشيخ أيضا تصلي..

فردت عزيزة : اذهب فصلي .. سوف تصلي نوال يا عمري بيك .. سأعلمها الصلاة يا شيخ عمري

فالتفت إلى امرأة عمه وقال وهو يبتعد : ولا تنسي أن تشتري لها ثياب الصلاة وغطاء شعر الرأس

وتركهن واجمات حائرات فترة حتى قطعت أنعام الصمت قائلة : والله سوف تكونين أجمل فتاة يا نوال وأنت تغطين شعر رأسك ! .. وستخف زيارتك (للكوافير) إن لم تنقطع نهائيا وستتضايق ماري .. إذا فقدت زبونا آخر

فتبسمت الفتيات للتعليق الساخر وقالت قمرية : ومن هو الزبون الأول ؟

فأجابت أنعام قائلة : السيدة رشيدة .. لقد رحلت إلى أمريكا عند أولادها، فماري دائما تتحدث عن خسارتها لهذه الزبونة ، فقد كانت تتردد على الصالون في الأسبوع مرتين أو ثلاث غير المناسبات والسهرات ..

وقالت عزيزة لمريم : يا مريم بدأت أخاف من عمري .. لا أدري كيف أنتم ساكتون عنه لليوم ؟! .. منذ متى ونحن نرى مصلين في بيوتنا ؟

فقالت بدرية قبل أن ترد أمها : وهل الصلاة حرام يا امرأة عمي ؟

فأجابت عزيزة : لا أقصد ذلك ؛ ولكن عشرات السنين مرت ولم نر أحدا يصلي في بيوتنا منذ تزوجت عمك ناجحا ما رأيته يسجد لله سجدة واحدة .. وكذلك أبوك ناصح باشا

فقالت بدرية : أنا أقرأ كل الكتب الصغيرة التي يحضرها عمري .. وقد سمعت بعضا من الأشرطة (الكاسيت) التي ملأت غرفته .. حتى أنني فكرت أن أصلي مثله ..

فصاحت أمها مريم فيها : ما هذا الكلام يا بدرية ؟! فلنحول البيت إلى معبد ونستأجر إماما

فقالت أنعام ضاحكة وهازئة : الإمام موجود .. الشيخ عمري

جرت الموافقة المبدئية من كلا الفريقين وأصبح عمري خطيبا للآنسة نوال ابنة عمه الموظفة في البنك ، كان عمري يتجنب الصدام المباشر مع أبيه في هذه الفترة ، ورضي بالزواج بهذه الطريقة التي رسمها الأخوان ، ولقد كانت نوال الفتاة الحسناء سعيدة بهذا الزواج ، وكانت ترى أن عمريا هو فارس أحلامها وزوج المستقبل ، الحسن والرجولة والثروة كل ذلك موجود فيه ، ولكن التغيرات الأخيرة في شخصية عمري كانت غريبة على البيئة التي يعيشون فيها ، فهم عندهم انفتاح اجتماعي كبير على الأصدقاء والحفلات والنزهات ، وكانت تحلم بزوج يدور ويلف بها في مدن وعواصم الدنيا لترى العالم ، لذلك انقبضت نفسها وهي عائدة للبيت في ذلك المساء ، وهي تعد زوجها القادم بالصلاة ، إنها لا تدري كيف تصلي ؟ منذ ولدت لم تر أحدا في البيت يصلي ويصوم ، هذه الكلمات لا يرونها إلا في الأفلام والمسلسلات فكانت منقبضة ومهمومة وهي تتخيل أنها ستضع على رأسها غطاء خمارا .. نوال صاحبة الجمال والحسن والبهاء تغطي رأسها .. إنها مصيبة .. أخذت تتصور الفتيات المحجبات التي مررن بها أثناء دراستها في الجامعة ، فكانت تستغرب من حملهن كل هذه الثياب على أبدانهن وكانت تحب المزح والسخرية منهن ، فقالت لنفسها وهي تتذكر تلك المشاهد والصور : أخشى أن ألبس هذه الثياب يوما ما .. كنت أرى أن عمريا آخر واحد في الدنيا يتغير .. ولكنه يصلي منذ زمن وها هو رمضان على الأبواب .. فهل سيطلب مني الصيام ؟!

بدأت تفكر بالحياة القادمة وكلها خوف ووجل ، وعادت تقول لنفسها أثناء العودة للبيت في تلك الليلة التي يجب أن تكون من الليالي الجميلة في حياتها : منذ تغير عمري وسمعنا أنه تاب إلى الله لم نعد نسمع أنه ذهب للسينما .. للمسرح .. لم يشاهد في حفلة عيد ميلاد لم نره في مرقص إنني لم أكن أرى ذلك .. هل وقعت في ورطة ؟ .. إنه قد قال لي أثناء الوداع .. نوال هل ستصلين مثلي ؟ .. هل ستتوبين مثلي ؟ فقلت له باستسلام ودون تردد أو حتى تفكير : أنا افعل ما تريد وما تشاء .. أنا سأكون زوجتك وحبيبتك .. فرددت : أتوب .. ما معنى أتوب ؟ وأتوب من ماذا ؟ ثم سمحت لنفسها بالسوأل قائلة : هل عمري الزوج المناسب لك يا نوال ؟ .. الصلاة هل تمنع الرحلات ؟ أليس حلمي أن أزور كل مدن العالم ؟ هذا الحلم بدأ يتلاشى .. أنا لم أتزوج بعد .. ما زال لدينا وقت لإنهاء كل شيء .. ويذهب عمري من حياتي .. آه

يا دنيا .. عمري الذي تمنيته كثيرا .. كم تخيلت نفسي واياه ونحن نحلق حول العالم ؟! .. سنتمتع بثروات الآباء لقد تحدث معي قبل مغادرتهم وأعلمني أنه سيتصل بي عند الفجر لأقوم للصلاة .. كيف هي الصلاة ؟ .. عمري ما تعلمت ذلك ولا فكرت بذلك يوما .

كان تفكيرها بالصلاة يشكل لها هما كبيرا فهي تظن أن الصلاة صعبة ومعقدة أو كأنه صعود جبل عال .. لذلك فما كادت تدخل البيت وتدخل غرفتها مع شقيقتها أنعام وتلبس ملابس النوم وتضع نفسها على السرير الخاص بها فتقول لشقيقتها أنعام التي سبقتها للغرفة : إني خائفة من هذا الزواج ؟!

فقالت أنعام وكانت تدرك الصورة الجديدة لعمري وتعرف أحلام أختها نوال : معك حق لم يعد عمري عمريا الذي نعرفه .. المرح والمزح والكذب والغزل واللعن وحتى الوقاحة

فقالت نوال وكلها تفكير وقلق : ألم نلاحظ نحن كل ذلك كل هذه الشهور الفائتة ؟

فأجابت أختها : كانت عيوننا مغمضة .. فنحن منذ ما يقارب التسعة أشهر لم نر عمريا في فندق في مهرجان في صالة رقص أو موسيقى أو مسرح ..

لقد كان على عيوننا نظارات سوداء

فعادت نوال تهمس : إني خائفة منه !

- هو ليس وحشا .. هو ابن آدم .. هو حبيب القلب .. كم ألف مرة سمعتك تتمنين الاقتران به ؟ .. ها هي الأمنية قد تحققت .. فاصبري .. وتغيري كما يريد منك .. ألم يتغير هو ؟ .. فهو ابن لندن ..وكم حدثنا عن مغامراته ونزواته هناك ، وها هو قد تغير يا نوال .. لا تفكري بالتخلي عنه .. ولا تدعي هذه الفكرة تكبر في نفسك .. حتى لا تندمي غدا يا حبيبتي .. وأنت يمكنك أن تعيديه إلى التقاليد والعادات التي شببنا عليها

فقالت : إنه يريدني أن أصلي

- صلي.. أو كلما سألك صليت قولي صليت

- أكذب عليه

- الحياة كلها كذب .. وهل هي أول مرة تكذبين ؟ !

- قد يعرف .. ولما نتزوج سيعرف كذبي .. سيغضب .. وأنت تعرفين غضبه .. فكيف عندما نكون زوجين ؟

فقالت أنعام : عليك بتغييره يا حبيبتي .. لا تفكري الآن بتركه لأنك تحبينه

فحدقت نوال بنظرها في السقف وقالت : أنا ألبس الحجاب والخمار ؟ ! .. إنني لا أكاد أصدق ذلك !

فضحكت أنعام وقالت : عليك أن تصدقي يا جميلتي .. الدنيا تتغير

بالتأكيد التغير من التبرج والسفور للحجاب الشرعي في مجتمع أو عائلات كلها على هذا النمط أمر صعب وغريب ، فلم يكن الأمر على نوال بسيطا وهينا كما نكتب في هذه الأوراق ، فأمر الحجاب عندهم أمر يدل على التخلف والرجعية والجهل والتعصب وغير ذلك من الأسماء الكبيرة في بابها ، لذلك إذا لم ينبع التغير من ذات ونفس الشخص ، فأمر الانقلاب صعب وقاس عليه وعلى من حوله ، فنوال لم تكن عندها هذه الرغبة وهذا النمط من الحياة الجديدة ؛ ولكن حبها لابن عمها الشاب لم يسعفها من رؤية ذلك الانقلاب في حياة عمري ، والتخلي عن السفور والتبرج بضغط من الآخرين ليس بالأمر الهين ، وعمري لما بدأ يشتد في قلبه الإيمان لم يكن يرى أن نوالا هي الزوجة المناسبة له ، كان يحلم بفتاة متدينة متمسكة بالصلاة والجلباب الشرعي ، فهو يريد زوجة جاهزة ملتزمة بأمر الله ، هذا عندما كان يفكر بزوجة المستقبل والزواج ، وكم من مرة سمع صاحبيه حسنا وعليا يشجعانه على الزواج .. فيقول : مهلا أيها الأحباب .. كان يريد أن يطمئن على أن توبته ليست نزوة عابرة أو سحابة صيف زائلة ، لذلك كان يشك شكا كبيرا أن تتقبل نوال ما تقبله هو وتخلع عنها ثياب الجاهلية ، فوضع الأسر لا يشجع على ذلك التوجه ، ستجد نفسها شاذة في العائلة ، وكان يحدث نفسه فيقول : أريدها هي أن تطلب فسخ الخطبة ، لا أريد أن يغضب مني والدي وعمي بسببها .. وإذا التزمت بها تعهدت سأقبل الاقتران بها .. وأسأل الله أن يوفقها ويهديها للصواب .. ويجعل في قلبها الشجاعة للصمود

فلما جلس مع حسن وعلي وحدثهما بقصة الخطبة التي رتبها الوالد ناصح ، فقال حسن بعد التهنئة والتبريك : والله جميل هذا يا أستاذ ! فتكون قد أنقذت نفسا من الضياع والهلاك .. ولكني بصراحة أشك في بنات العائلات الكبيرة الغنيات أن يتركن السفور ويتغيرن بسهولة فحتى عندما تتدين فتاة منهن تراها أو تسمع عنهن .. فتراهن يأتين بموضات غريبة ويلصقن بالشرع موضات غريبة ، ولا يبحثن عن الأفضل والصواب .. وعلى كل حال نتمنى لها التوفيق والهداية .. فأنت تستحق فتاة تقف معك في مشوار الحياة وتكون معك ليس ضدك

وأخذ علي الحمد يتكلم عن أهمية التغير في حياة المسلم العاصي، وإن جرى ذلك التغير تدريجيا ولكن على أن يكون التائب راغبا فعلا بترك الحرام والكبائر ، فالله يسدده وينصره على مخالفيه ومثبطيه فقال ناصحا : عليك أن تتدرج معها يا عمري ..

رويدا رويدا فشرائع الإسلام كثيرة فابدأ بالأول فالأول .. فالمرأة الصالحة خير متاع الدنيا

فقال عمري : أرجو أن يستجاب لدعواتكم ، إنني أرغب بامرأة صالحة

*****

كان ناصح الخابي قد علم من زوجته عن صلاة عمري وتردده على المساجد ، فكان يعتقد أن ذلك سينتهي بعد حين ، ولما تحدث مع أخيه ناجح بذلك الأمر ، عرض عليه أخوه أن يزوجه من إحدى بنات العائلة ، فربما الزواج يردعه عما هو مندفع إليه من صلاة وعبادة ، فوقع الاختيار على نوال ابنته لما بينهم من كلام قديم في ذلك الأمر ، وبما أن الشاب كما يعلمون عنه أنه غير متعلق بفتاة معينة ، ومثله الآنسة نوال ، فرأيا تزويجهما على أن ذلك خطوة وأمل قد تعيد الشاب إلى حظيرة العائلة من الاختلاط والمجون ، هذا التفكير البسيط في رأيهم قد يحل المشكلة التي ترفرف حولهم ، ففي نظرهم أن نوالا قد تستطيع إعادة عمري إلى جادة الصواب والأعراف المتبعة في العائلة ، ولكن عمريا كما عرفتم بدأ الهجوم قبلهم فوافق على الزواج ، ومن أول لقاء حث نوالا على الصلاة، بل كان يتصل بها عند وقت الفجر موقظا لها لتقوم إلى الصلاة ، فتتظاهر أنها تفعل ذلك وتشكره على حماسه وحبه .. وبعد حين يسير ضجرت الفتاة من ذلك ، فشكت ذلك لوالدها ، ففكر قليلا قبل أن يرد قائلا : إيه يا بنية ! نحن أحببنا اقترانكما لتنقذيه مما هو فيه من دجل وشعوذة وخبل .. فأخشى الآن أن يفسدك

فقالت بحيرة وامتعاض : لقد خربط حياتي .. أنا لا أعرف الصلاة ، ولا أريد أن أعرفها ، فكلما يتصل بي ويقول صليت أدعي أني صليت .. كلما أذهب لبيتهم لزيارة امرأة عمي والبنات آخذ معي الخمار غطاء الرأس ولا أذهب للكوافير ذلك اليوم .. أبي إني خائفة منه

فقال الأب المتردد : وهل يضايقك بغير ذلك ؟

ـ لا ؛ ولكنه يحدثني عن النهاية والآخرة والتوبة .. والذنوب والربا والمصير الأسود لمن يعصي الله .. أنحن عصاة يا أبي ؟!

ـ أخائفة أن يفتنك ويعيدك للعصور والقرون الماضية .. أم أنت بحاجة إليه ؟ أنا أعرف ميلك نحوه .. أم تصبرين كم شهر لعلك تمتصين حماسه وتدينه ..؟

فقالت بضيق ونفور : لنا شهران مخطوبان .. لم يفكر مرة بأن يتصل بي ليصحبني في نزهة في رحلة إلى البحر إلى دخول دار سينما .. أنا لا أريد هذه الحياة التي يحياها عمري ..

فنطق الأب بعد تفكير ونظر : هل أتحدث مع أبيه ليتكلم معه .. أم تحاولين مرة أخرى ؟ فربما انصلح

على يديك .. فيمكن لناصح أن يضع حدا لهذه المشيخة والدروشة

قالت : لست أدري ! لم أعد أطيق أحاديثه يا أبي ! أفكر بأن نفسخ هذه الخطبة

فوعدها ناجح بالحديث مع أخيه ، وطلب منها التريث في الحديث عن فسخ الخطبة ، فلابد أن عمريا يقصد الوصول لذلك ، فقالت بحزن : لقد قمت مرة فجأة بزيارة المصنع .. فغضب غضبا حادا ولولا الحياء لضربني .. مدعيا أنه يغار عليّ من عيون الناس .. كأنني أول مرة ألبس هذه الثياب القصيرة

ـ حسنا يا ابنتي ! سوف نضع حدا لهذا الحمق والهبل الليلة سنذهب جميعا إلى المسرح فقد اتصل بي والد سميحة وأخبرني أنه اليوم قد بدأ عرض مسرحية أحمق في غابة الشياطين

فقالت : أنا آسفة يا أبي عن مرافقتكم .. لقد دعتني الليلة الآنسة ناريمان لحضور حفلة موسيقية في نادي هواة الموسيقى

فقال مرحبا : رائع ! اذهبي مع ناريمان الليلة وسنسهر غدا في المسرح .. تمتعي بالحياة وبالشباب كنت أظن أنك ستسعدين مع ابن أخي الأهبل ..

شكى ناجح الأخ الاصغر لأخيه ناصح تصرفات وجهالات عمري مع ابنته ، ومنذ خطبا لم يدخلا معا سهرة أو حفلة أو فيلما ، ولم يقصر ناجح فقد وضع مئات العيوب في ابن أخيه وخطيب ابنته ، مما هيج ناصح حتى اشتد غضبه على ولده فقال له : هيا بنا إلى المصنع لنوقف هذه المهزلة .

فقال ناجح : عندما يعود للبيت نتحدث معه بروية فيكون ذلك أفضل .. لا داعي لأن يعرف القاصي والداني بمشاكلنا

لذلك عاد الأخوان للبيت مبكرين على غير العادة ، وكانا واجمين كاسفين كأنهما فشلا في تحقيق ارباح في صفقة ما ، فأدركت الأم مريم أن وراء الأكمة ما وراءها ، ولم يفصح ناصح أو ناجح بشيء ؛ ولكنها أدركت أن الموضوع يخص عمريا عندما قام ناصح بالاتصال به في المصنع وطلب منه الحضور العاجل ، فلما أتى ملبيا النداء دخلا به مكتب السيد ناصح بالفيلا وكان عمري يظن أن الاجتماع سيكون حول المصنع ، ففوجئ عندما بدأ الهجوم على الصلاة والإسلام والتدين ويصفونه بالحمق والغباء والدروشة ، فلما نفسا عما في قلبيهما ، قال عمري بهدوء أعصاب فقد تمالك نفسه من الغضب والانفعال : الإسلام أيها السادة لا يمنع الرجل أن يكون غنيا مليونيرا .. الصلاة لا تعطل الإنسان عن العمل والإنتاج .. الصلاة تغطي الجانب الروحي من الإنسان ، تدفعه للإخلاص في عمله .. الإخلاص مع الناس وعدم الغش .. وأنا لم أطلب منكم تزويجي نوالا .. أنتم

اتفقتم وقررتم ووافقت مع أن هذا مخالف للأعراف المتعارف عليها في العائلة .. وأنا رغبت أن تكون زوجة المستقبل امرأة تعرف دينها وصلاتها .. وأنا لما زارت الآنسة المحترمة المصنع غضبت عليها ومنها ؛ لأنها جاءتني متبرجة بكامل زينتها كما تقولون والمصنع ليس مكانا مناسبا للقاءات العاطفية ، وثانيا أتت من غير أن تتصل بي .. أنا لا أحب المفاجآت

فهاج الأب المشحون بالغضب فأخذ يسب ويشتم ويهدده بطلاق أمه وطرده من العمل إن لم يترك الصلاة والدين ، فرد عليه عمري قائلا : هذا الصياح لا يؤثر فيّ يا أبي .. أنا بلغت سن الرشد منذ سنين .. أنا مللت الخمر في باريس ولندن ، ومللت النساء والحانات .. هل نسيتم أنني قضيت سبع سنوات في أوروبا بين الشراب والقمار وسيقان الغانيات ؟! .. أريد أن أتوب أريد أن أتوب .. يجب أن تقفوا معي لا ضدي .. هذه حياتي الخاصة .. أليس لكل منا حياته الخاصة .. نوال لا تريدني مع ألف سلامة .. أنا وافقت كما قلت لكما ..لأنني لا أريد زعلكما وليس لي شهوة إلى النساء .. وإن حدث ذلك فطمع بالولد الصالح

فعاد الأب يصرخ ويهدد ويتوعد ، فقال عمري : أنا غدا سأقدم استقالتي من إدارة المصنع ولا تظن أنك إذا طردتني من العمل لن أجد عملا .. بل قد اضطر وأهاجر من هذا البلد .. وإذا طلقت امرأتك فهذا شأنك .. لست آسفا على هذه الحياة

فعجب الرجلان من كلام الشاب وصلابته وتحديه لهما ، وتغامزا وانهالا عليه ضربا وصفعا وبصقا مما أدهش عمري الذي أخذ بالصراخ ففزعت الأم والبنات وسحبوه من بين أيديهم وقد سالت الدماء من أنفه وفمه ووجهه وهو لم يحاول المقاومة ، فأخذت بدرية تمسح الدماء عن وجهه وتحاول قطع نزيف الأنف وجلس عمري يبكي ويتنهد وأمه تقول : ألم أقل لك دعك من هذا الجنون يا ولدي ؟ !

فصاح بحرقة وضحك مرتفع : أنتم المجانين .. هكذا أضرب .. والله لولا الحياء والدين لضربتهما الاثنين معا

فسمع الرجلان الغاضبان الثائران هذا التهديد فأسرعا إليه من جديد يوجعانه ضربا بالأيدي والأقدام والأحذية ، ودب الصراخ في البيت ثانية حتى كفا عن ضربه ، وسمع أبوه يقول صارخا : خذوه لغرفته ، وغدا صباحا إذا لم يأت للاعتذار والتعهد أمامي بترك خبله وحمقه ثم يذهب ويقبل قدمي نوال ناجح ليرى مني أشد من ذلك ..

فسحبت البنات أخاهن لغرفته وقمن بإسعافه ،

وأخذت الأم تصرخ بوجه زوجها وأخيه وتقول : بأن العلاج لا يكون بهذه الوحشية والخشونة فأخذ الرجل يؤنبها ويلومها على صمتها عليه منذ عرفت ذلك فأخذت تدافع عن نفسها .

وعندما استيقظت الأسرة في الصباح التالي لم يجدوا عمريا فقد غادر البيت ، فظنوه ذهب للمصنع مبكرا كعادته الجديدة ، فاتصلوا بالحرس فأنكروا رؤيته ، تسلل عمري في الليل بعد منتصف الليل من البيت وركب سيارته وانطلق بها بعيدا عن الدار ، ولم يشعر به أحد ولم يسمع أحد صوت ماتور السيارة لأنه عندما عاد مساء أمس تركها على الشارع لم يدخلها مرآب الفيلا ولقد كانوا مستغرقين في النوم العميق بعد أحداث المساء .

هذا يوم مشهود في حياة عمري ، ظل يذكره طول حياته ، فسار إلى أحد المستشفيات وادعى أنه تشاجر مع ناس فضربوه ، وقدم شكوى ضد مجهول لشرطة المستشفى ، وقام قسم الإسعاف بالإسعافات اللازمة، وبعد ساعة غادر المستشفى ، فنزل إلى فندق شعبي ، واستأجر سريرا وطرح نفسه عليه ، ولم يستيقظ إلا بعدما ارتفعت الشمس ، فطلب الإفطار وبعد أن أكله عاد للنوم ، وفي المساء نزل للسوق واشترى ملابس جديدة وطرح الملابس التي كانت ملوثة بالدم في المزبلة وعاد للفندق ، ولما هبط الظلام والليل نزل عمري المدينة فوضع سيارته بموقف سيارات بالأجرة ، وعاد للفندق الشعبي فندق الأنصار ثانية ، ورقد حتى الصباح ، لم يحاول الاتصال بأحد الزملاء أو الأقارب كان غاضبا على المعركة التي تعرض لها من أبيه وعمه ، فلقد تعاملوا معه تعامل أولاد الشوارع والسوقية ، فكان مذهولا ومصعوقا من تصرفهم هذا، أمضى ثلاث ليال في الفندق صامتا يأكل وينام ، لقد كان مذهولا من الإهانة التي تعرض لها ويقول : زعران الحارات لا يفعلون مثلهم .. حسنا يا عمي .. حسنا يا نوال دلوعة أبي .. صبرا آل الخابي صبرا

بعد الأيام الثلاثة وضحت في ذهنه الخطة التي سيسير عليها، غادر الفندق وقد دفع إيجار الغرفة أو السرير ، وسار نحو موقف السيارات وأخذ السيارة وانطلق بها نحو مدينة أخرى وقد وضح الهدف أمامه .

زواج عمري

بداية أشاع المدير العام لمجموعة شركات الخابي في مصنع السجاد أن السيد عمريا مريض وعاجز عن ممارسة العمل ، ولما كثرت الهواتف التي تصل البيت تسأل عن نائب المدير للأطمئنان عن صحته ، اضطرت الأم أن تقول كاذبة : إنه سافر لإجراء بعض الفحوص الطبية في خارج القطر فسكتت الهواتف أو خفت عن البيت ، وجميع الاتصالات

التي قامت بها الأم بحثا عن عمري لم تجد شيئا ، فاتصلت بأصدقائه من المهندسين والأطباء ورجال الأعمال ، وأكثرهم رد بأنه لم يره منذ شهر أو شهور أو أسابيع .

فقد كان عمري منذ اتخذ أهم قرار في حياته وهو الالتزام بالصلاة والدين قد خفت علاقته بالآخرين ، كان متعطشا للإيمان والحياة الروحية.

حاولت نسرين ـ التي استلمت إدارة المصنع مؤقتا ريثما يظهر عمري ـ مع حسن بناء على حديث خاص بينها وبين ناصح ، فسألته : هل اتصل بك عمري خلال الأيام الماضية ؟ فنفى الاتصال ودهش بالطبع لهذه السؤال لمعرفتهم أن عمريا مسافر للعلاج خارج البلاد ،ولما أدركت استغرابه من سؤالها عن عمري ، قالت له بكل صراحة : لقد أخبرني عمري بيك صاحبك عن علاقته القوية بك وثقته الكبيرة بك .. فاعتبرني مكانه وحدثني عن كل شيء يدور في وسط العمال ؟

فقال حسن بحيرة وتعجب : أحدثك بكل شيء لم أفهم ؟!

فقالت وهي تتصنع الابتسام : كما كنت تفعل مع عمري .. ألست مخبرا له يا حسن ؟ مالك تنكر .. هو قال لي ذلك ؟!

غضب حسن وقال بحدة وهو ينظر في وجهها : إنك حمقاء .. مجنونة .. أنا جاسوس !

فصاحت وهي تقف عن مقعدها : أنا مجنونة ؟!

فصاح هو الآخر : وهذا الكلام الذي تتكلمين به عني وعن عمري .. أليس كلام مجانين ؟

طردته من المكتب بعدما وقف وتجمهر عدد من الموظفين على بابه ، فخرج منتفخ الاوداج وهو يهدر قائلا : إيه والله إنها لمجنونة تقول عني إنني جاسوس للسيد عمري اسمعوا هذه المجنونة

أحست نسرين أنها تسرعت بالمكاشفة معه ثم قالت لنفسها متسائلة : أيها الصادق ؟ هل سخر مني عمري عندما أوحى لي بأنه عينه بين العمال ؟ إنه ماكر ! .. والله لن يبقى حسن هذا في المصنع بعد اليوم

فلما انصرف الموظفون إلى مكاتبهم اتصلت بالسيد المدير وأخبرته عن تهجم حسن عليها في مكتبها ، فأمرها بطرده على الفور ، فأرسلت وراء أمن المصنع وأمرتهم بطرد حسن بناء على أمر صادر من المدير وهو آت في الطريق ، فبلغ الأمن الخاص حسنا أمر فصله وطرده ، وكان حسن قد لبس ملابسه التي يأتي بها وخلع ملابس العمل قبل طلب رجال الأمن منه مغادرة المصنع ، فدخل على المحاسب متوترا ومحتدا وقال : بعد أسبوع سأمر عليك ، أرجوك يا مروان أن تكون قد جهزت لي حسابي حتى لا تروا وجهي ثانية

أخذ مروان يلاطفه ويهدئ من انفعاله ويقول له :

لما يأت الأستاذ عمري ستعود للعمل وتتصالح مع هذه المديرة

شكره حسن وغادر المصنع ، وكان العمال قد علموا بالقصة واهتزت أعصابهم لـمَ سمعوا ، وفكر بعضهم بترك العمل تضامنا مع حسن ، فخاطبهم المهندس رياض وأعاد لهم الصواب

فقال : يا جماعة لما يأت حضرة نائب المدير الاستاذ عمري .. سيصلح الأمر .. هو قد سافر لإجراء فحوصات طبية في بريطانيا وخلال أيام سيكون هنا .. لا تتعجلوا وتكبروا المشكلة وأنا سأتحدث مع الآنسة نسرين في شأن الأخ حسن

فهمس أحدهم بانفعال : قصدك المدير العانس نسرين

ولما هدأ انفعال العمال وتعاطفهم مع حسن ، عاد العمال للعمل آملين بعودة عمري لحل الإشكال والتصرف مع هذه المرأة التي تتهم حسنا بالجاسوسية ، وأنها قد نسيت نفسها بأنها هي الجاسوسة ، فعلق أحدهم : الملدوغ من الأفعى يخاف من الحبل .. والذي يعمل جاسوس يظن أن كل الناس مثله !

لقد استطاع المهندس رياض السيطرة على الموقف ، وتوقف العمال عن التمرد وتعطيل العمل

ودخل على نسرين بعدما اشتغلت الماكينات من جديد وقال : يا نسرين كدت أن تعطلي الشغل عليك بحل المشاكل بهدوء وذكاء .. لو أجلت قرار الفصل لبضع أيام حتى تهدأ نفوس المتعاطفين معه .. فيفصل بهدوء ..

فقالت : الملعون يقول عني مجنونة ..

فقال رياض ضاحكا : أنت في هذا التصرف فعلا كنت مجنونة

فقالت : أتسخر مني يا حضرة المهندس ؟!

فقال : سلام .. قبل أن تفصليني .. سلام

وغادر المكتب مسرعا ، فمشت نسرين نحو مرآة ونظرت فيها إلى وجهها وعينيها ثم أصلحت من شعرها ومكياجها وقالت : أحقا أنا مجنونة ؟ ! .. قاتل الله العنوسة .. لو أنا الآن أم ولي أولاد .. أيحدث لي هذا أو أتصرف مع هؤلاء هكذا ؟ .. أين الرحمة يا نسرين ؟ يبدو أنني تسرعت كما قال المهندس رياض .. ألم يقل لي عمري إنه جاسوسه على العمال ؟ .. لا لم يقل لي ذلك .. أنا استنبطت ذلك من كلامه يا له من ذكي عبث بي ! .. متى يأتي ابن الحلال وأخلص من هذا الشغل والدوام .. متى ؟؟ ..ولكن كبرت سني وصرت في الأربعين لا .. ثمان وثلاثون سنة فقط .. لقد بقي سنتان للأربعين .. قاتل الله الوحدة .. ما أجمل الأمومة كما يقولون !

*****

مضى أسبوع على بيت ناصح ولا حس ولا خبر

عن عمري .. لا اتصال ولا سؤال ولا حتى اتصال في المصنع ، ولا حتى مع حسن ، وقامت الأم بنفسها بزيارة حسن في بيته وسألته عن عمري واعترفت له بما جرى بين عمري وأبيه ، فاستغرب حسن مما حدث ، وأقسم للسيدة بأنه لم ير عمريا منذ ذلك اليوم ، ولم يتصل به منذ غاب عن المصنع ، ووعدها إن تحدث معه أن يخبرها حالا وفورا .

وكان ناصح الخابي يتظاهر بأنه غير مهتم بغياب ولده وغير مكترث لإختفائه ، ويرى أنه يستحق ما فعله به من أذى وهوان ، وكانت الاتصالات بين الأخوين ناصح وناجح لا تنقطع بالسؤال عن الولد الهارب ، وحتى نوال شاركت في السؤال عنه ، وفي إحدى المرات ردت عليها بدرية وصاحت فيها غاضبة : أنت السبب يا نوال .. كله من تحت رأسك .. أنت تعرفين أن عمريا قد تدين وترك الماضي وراء ظهره فلماذا تقبلين الزواج منه ؟ .. فأخذت نوال تبكي على الهاتف ثم تركت السماعة مفتوحة وهرعت إلى حجرتها تواصل البكاء وإظهار الندم و هي تصرخ : أنا السبب .. أنا السبب ! .

لقد توترت العلاقات بين الأسرتين وخصوصا النساء والبنات ، فعمري هو الابن البكر للسيد ناصح وابنه الآخر سمري ما زال يدرس في أمريكا ، وطفقت مريم تطلب من زوجها إبلاغ الشرطة ، فيضحك من طلبها ويقول : يا حمقاء .. لو حصل له شيء لاتصلت بنا الشرطة .. هل هو طفل لنخبر الشرطة لتبحث عنه ..؟

فتسكت الأم ، وقد مضى شهر على اختفائه عن البيت فزاد الوجوم والحزن كأنهم فقدوا شخصا وواروه التراب ، وبدأت أعصاب ناصح تضعف وتنهار وارتبك دوامه ونشاطه وتحركاته ، وذهب بنفسه لحسن وترجاه أن يحدثه عن مكان عمري ، فأقسم له حسن كما أقسم من قبل لأم عمري أنه منذ غاب عن المصنع لم يره ولم يتصل معه ، فعاد للبيت كئيبا وهو يقول : لقد ضاع الولد يا مريم ! .. ماذا كان يضرني من صلاته وصومه ؟! لقد اضطرب فكري ليلتها .. لقد ساهمتم بتضخيم الأمر لديّ ..المصنع نصف العمال تركوا العمل تضامنا مع هذا المنحوس حسن .. فنسرين هذه يبدو أنها خرفت ، ولم تعد تحسن السيطرة والقيادة .. المهندس رياض يشكو من قلة العمال المهرة .. وحسن مصر على عدم العودة ، لقد مشى إليه رياض أكثر من مرة بل ترك الشغل في المصانع ويشتغل مع معلم كهربائي .. أنا كنت أطمع أن يكبر المصنع ونصدر لعدد كبير من الدول .. سأحتاج إلى ترتيب أموري من جديد .. بدأت أشعر بكبر خطئي لقد كان تصرفنا تصرفا ولدانيا .. لعنة الله على الشيطان .

تقع على ساحل البحر مدينة عظيمة تكاد تعادل العاصمة في كبرها؛ ولكن ينقصها الكثير من الدوائر الرسمية والوزارات ، فرحل إليها بطل هذه الرواية ، وقرر السكن والحياة والاستقرار والعمل فيها ؛ ولكن كان يقلقه أن يلتقي بأحد معارفه ثم يصل الخبر لأسرته ..كانت خطة عمري الفرار بدينه والبعد عن التلوث وفساد الأسرة ، كان في نظره أن مجتمع الأسرة مجتمع فاسد .. فرأى أن هذه المشكلة هيأت له فرصة لبدء حياة جديدة .. يريد أن يعتمد على نفسه ويجمع ثروته بعرق جبينه ، لقد كان يملك رصيدا جيدا في المصرف ، فهو له أكثر من خمس سنوات في السوق وكان يقبض راتبه كبقية الموظفين والعمال ، وهذا رصيد خاص لا دخل للأسرة فيه .. وهو يملك سيارة حديثة أهداها إياها والده عندما استلم إدارة المصنع .. فكان يرى أن الحياة بعيد عن الأسرة والمجون وليل السهر والحفلات الكثيرة خيرا له .. فهو لا يستطيع أن يقول لأمه لا تخرجي بثيابك القصيرة إلى أي مكان .. لا يستطيع أن يزجرها أن لا تضع الأصباغ والألوان على وجهها وتخرج للسمر مع الرجال .. لا يستطيع منعها من قضاء عدة ساعات عند الكوافير الرجل .. لا يستطيع منعها من مصافحة الرجال الأجانب والاختلاط بهم .. لا يستطيع منع الرجال من الجلوس معها في البيت وخارجه .. وحتى أختيه لا يستطيع منعهن من مخالطة الأقارب الرجال والأصدقاء وغيرهم .. لا يستطيع إنكار ذلك المنكر .. إنهن يسهرن مع الرجال مع النساء مع الأصدقاء .. حياة مجرمة آثمة .. أين ذلك من طهارة الإسلام والمحافظة على طهارة الرجال والنساء ؟

فهو يرى أن هذه الجريمة التي ارتكبها والده بحقه لصالحه .. فقد أصبح حرا طليقا .. يصنع لنفسه بيئة صالحة طيبة .. لا يرى الآثام والمعاصي ويسكت عليها .. يصلح نفسه إصلاحا جيدا فاختار مدينة البحر الريحانة لتكون مدينته ومأواه .. واختارها أيضا لكثرة الأغراب الذين يترددون عليها من رجال أعمال وسياح وسواقين وبحارة .. فالوجوه الغريبة في هذا الميناء الكبير غير مريبة ، فلا أحد يهمه قصته وحكايته ، فبعد أيام قضاها في الفنادق وجد مسكنا أنيقا وجميلا في حي الصخرة ، وكانت أول خطوة بعد سكنه في البيت الجديد أن اشترى بعض قطع الأثاث المهمة والضرورية للحياة الطيبة .. ثم قرر أن يبيع السيارة الحديثة ويشتري غيرها قديمة نوعا ما ، فنزل بها إلى حراج لبيع السيارات ، وخلال أيام وفق لبيعها واشترى سيارة متواضعة لقضاء الحاجة ، وبعد حين فكر بالزواج ، ففكر بالاتصال

بحسن ؛ ولكنه قال : علاقتي بحسن كانت مكشوفة..لابد أن يتصل به أهلي .. أنا لا أريد أن أعود إليهم قبل أن أسمع أنهم تركوا وهجروا منكرهم وفجورهم .. فبعد حين سأزور المدينة وأتحدث مع الشيخ علي الحمد .. فقد

كان يحثني على الزواج كثيرا قد أجد لديه فتاة تناسبني وتقبل ظروفي ..

أطلق عمري منذ رحل وهجر بيت العائلة لحيته ، وأخذ يضع على عينيه نظارة ملونة ، ورأى أن ذلك يساعده على إخفاء شخصيته عن الفضوليين الذين يلتقى بهم ، وترك لبس البدلات وربطات العنق .. واشتغل في أحد المصانع الكبيرة في قسم المحاسبة ، وكانت مصانع الشركة بعيدة عن مكاتب الإدارة .. قضى عندهم شهرين ثم تركهم ، لم يرتح للعمل معهم ـ فقد وجد أن هناك عمليات تلاعب وخداع تحدث داخل قسم المحاسبة ـ فقدم طلب استقالة فوافقوا عليه سريعا ، فقد لمس الإداريون عنده لمسة صدق وعدم رضا عن التلاعبات التي تجري .. فانتقل للعمل في شركة تخليص ضخمة وصبر فيها ثلاثة أشهر أخرى ، ثم فكر بالاستقلال بالعمل .. فأخذ يفكر بمشروعه الخاص ، وكان خلال هذه الشهور قد نسي أهله ومشكلة هجره بيت العائلة ، وما زال يحلم بالزواج ، فخاطب نفسه قائلا : عندما أفتح مصلحة تدر دخلا مناسبا سأتصل بصديقي علي الحمد وأطلب منه أن يبحث لي عن فتاة مناسبة متفهمة لظروفي .. فالزواج لابد منه حتى يعف الإنسان نفسه ويبتعد عن شهوة النساء وينشغل بآخرته ويدبر أمور دنياه

فاهتدى صاحبنا عمري إلى إنشاء معرض لبيع الأثاث ، كغرف النوم والمقاعد والكنبايات والخزائن ، وقد وفقه الله سبحانه فوجد متجرا في أكبر سوق بالمدينة قام مستأجروه بإخلائه لظروف مالية تعصف بهم، فوقع عقد الاستئجار مع مالك المحلات في المجمع الكبير ، وخلال شهر واحد كان المعرض قد تهيأ للعمل والبيع والشراء .. واشتغل لديه شابان غريبان عن المدينة واختارهما من أهل الصلاة والطاعة ، ثم نزل عمري العاصمة الكبيرة للالتقاء بالشيخ علي الحمد ، ولما خلا البيت من الضيوف والزوار كشف نفسه للشيخ ، دهش الشيخ من ظهور عمري فعلق قائلا : يا رجل الدنيا مقلوبة عليك منذ اختفيت !

فقال عمري : قبل أن أقص عليك قصتي سأقول لك بالذي أتى بي إليك .. والعودة لأهلي لا تحدثني عنها ..

فقص عليه علي الحمد عن زيارة أمه لحسن ثم زيارة أبيه والمهندس رياض لحسن ، والأسف والندم والبكاء ، فقال عمري : بل هذا كان خيرا

لي .. حسنا سأقص عليك قصتي قبل ذكر حاجتي إليك ..

فتحدث عن الإهانة الكبيرة التي أصابته من عمه وأبيه ، وما تعرض له من الضرب والبصق والصفع مما أدهش علي ، وبين له أنه قد حصل على تقرير طبي من المستشفى بما أصابه من اللطم والأورام ، ثم حدثه أنه بحاجة لهذا الهجر والابتعاد ، وأن طريقه غير طريقهم ، ولما سمع علي كلامه تعاطف معه وقال : فعلا أنت بحاجة للحياة وحدك .. فهؤلاء أصحاب الملايين حياتهم سيئة ولنقل أغلبهم .. فالخمر والنساء والتبرج والخلوات كل ذلك موجود بينهم ؛ ولكن لو حاولت دعوتهم وتغييرهم ..

فرد عمري قائلا : أنا وضحت لك وجهة نظري .. وأنا ضعيف أمامهم ولا قدرة لي الآن على إحداث أي تغيير .. فها أنت قد رأيت عندما حاولت تقويم فتاة تحلم بأن تكون زوجتي وتدعي أنها محبة لي ما حل بي .. وأنا الآن يا صاحبي قد فتحت محلا تجاريا ، والأمور تسير بفضل الله على ما يرام .. ولا أريد أن أذكر لك مكاني لأسباب خاصة ولأرفع عنك الحرج إذا أخبرهم أحد أنني التقيت بك .. فأنت اجتمعت بي ولكنك لا تعلم مكان سكاني

ثم حدثه عن رغبته بالاقتران بفتاة صالحة وتعرف ظروفه ، فوعده الشيخ خيرا ، فقال عمري مودعا : ثق بي يا أستاذي ! .. وسأمر عليك بعد شهر .. فإذا دبرت الأمور سأتزوج خلال يومين أو ثلاث ثم أعود إلى حيث أقطن ..

فقال علي متأثرا : اسمع يا صديقي أنا أحببتك في الله ، ومسرور منك منذ تعارفنا ، وأعرف مدى مجاهدتك في قوم يرون الجاهلية حقا وصوابا .. فما رأيك أن نشرك حسنا معنا ؟ .. لا نريد معرفة منزلك الآن لنستطيع أن نقسم صادقين بأننا فعلا لا نعرف مكانك .. وحسن قد ترك المصنع وكثير من أصحابه بعدك بأيام والأهم أن للأخ حسن أختا فاضلة ..

صمت عمري بضع ثوان وقال : لا بأس .. المهم فتاة ترضى بالحياة معي وسأطل عليكم بعد شهر وهذه ألف دينار تصرفوا بها حتى أعود

فقال علي : خذ فلوسك ، عندما تأتى في المرة القادمة سيكون الأمر بإذن الله مهيئا ، ولن نحتاج لكل هذا المبلغ ..فحسن رجل مؤمن وأخته وأسرته كذلك ولا نزكي على الله أحدا .. وأقلهن مهورا أكثرهن بركة

فشكره عمري معانقا له وانصرف عائدا لمدينة الريحانة .

رسالة لم تقرأ

مضى عام كامل على غياب عمري عن أسرة الخابي

ناصح ، فظهرت العصبية الشديدة على أخلاق ناصح ، وقد أثر هذا الغياب على نفسيته وصحته ومزاجه ، فعندما حادثه أخوه ناجح بأن عريسا يطلب يد ابنته نوال تحدث معه بعصبية وأمره أن يزوجها على الفور ، ولما دعي لحفلة الخطبة لم يذهب وأرسل زوجته وبناته نيابة عنه .. بصعوبة أدرك إنهيار مصنع السجاد ، فقد نـقل نسرين إلى مصنع آخر ، ووضع ابن أخته جبرا نائبا عنه في إدارة المصنع ، وقد اكتشف خلال هذه السنة أن ابنه كان محبوبا من العمال وغيرهم ، وأن الاختلاط بالعمال ومشاركتهم عواطفهم وأحلامهم ومشاكلهم أفضل من التعامل معهم من فوق .. فكان عندما يتذكر آذاه وغضبه على ولده وهو يرفسه بـقدمه ويلكمه بيديه يعض على شفتيه من الندم والأسف ..ثم يحقد عليه لغيابه عنه بهذه القسوة والإهمال وكأنه ما صدق أن يتعرض لهذه الإهانة ليرحل .. ندم وحقد .. كيف يعيش بدون أبيه ومال أبيه ؟ .. كان يتمزق ناصح من الداخل بسبب هرب ابنه البكر ، ويتمزق قهرا عن تخليه عنه وهو السيد المطاع .. ورغم الجرح الغائر في النفوس فالأيام تنسي الغياب ، وعندما يسمع ابنته بدرية تقول : يا أبي افرض أنه ما زال في لندن

فيجيبها قائلا بأسف : هناك فرق يا بنية بين الغائب باختياره وبين الغائب المجهول .. كنت أضع كل آمالي الكبار عليه في المستقبل .. والله لا أدري لماذا نحن نكره هؤلاء المتدينين ؟! .. نتحدث عن الحرية الشخصية والحرية الدينية وغير ذلك من المسميات الكبيرة ولا نمارسها .. نريد أن نكون مثل هؤلاء الأجانب في كل شيء ولكننا لا نستطيع .. إني جد آسف على ضربي لذلك اللعين .. كيف يهون عليه فراقنا كل هذه المدة ؟ ألهذه الدرجة قلبه قاسي علينا .. أين الإيمان والإسلام الذي يتحدث عنه ؟.. إنه دجال .. لن أغفر له هذا العمل سوف يرى مني شيئا كبيرا أنا وإياه والزمن

قالت بدرية البنت الصغرى : لا تقل ذلك يا أبي فقلبك كبير .. فهو منذ أن تعلق بالإسلام والتوبة .. تغير فكره .. فهذه الكتب التي كان يقرأها تتحدث عن الصدق والوفاء والمنجيات من النار وعذابها .. وفيها تحريم الخمر والربا والميسر والصور والتماثيل وتحريم خروج المرأة بثياب جميلة سافرة وإبداء زينتها للرجال والاختلاط والخلوة والسفر بدون رجل يحميها وغير ذلك .. فهذه الأشياء وغيرها قد قرأتها في تلك الكتيبات التي كان يقرأها .. فعندما يقارن بين ما يقرأ وحالنا يجد الفرق شاسعا .. فوجدها فرصة للابتعاد عنا ..

فقال ناصح ساهما وقد تأمل بكلام ابنته : إيه والله هو ما تقولين .. وجد أننا في واد وهو في واد لذلك عندما أراد أن يفرض أوهامه على نوال اشتكت

لوالدها الذي أقنعني بأن نمنعه من إفساد حياتنا وتقاليدنا وحريتنا قبل أن يبدأ أن يقول لنا هذا حرام هذا لا يجوز هذا ممنوع فظننت أن كفين منا ينقلب صاغرا ذليلا هاجرا لما هو فيه .. لقد أخطأت التقدير .. فما صدق اللعين أن تصرفنا معه ذلك التصرف الاهوج ليهرب .. على كل حال سوف يعود كالأرنب يوما ما .. مصيره أن يحتاج الينا .. عندما تخلص الفلوس التي معه سيعود ..

فقالت بدرية بحزن : أرجو ذلك يا أبي ! فعمري ذكي وإذا اقتنع بشيء فمن الصعب التراجع عنه لقد عاش في الغرب سبع سنوات تعلم فيها أشياء كثيرة من هؤلاء الأجانب

فضحك ناصح وقال بحقد وغضب : ماذا تعلم ؟! تعلم الزنا والسكر .. ماذا تعلم ؟!

فقالت قمرية التي كانت تسمع هذا الحوار بين والدها واختها الاصغر منها : معه شهادة يا أبي

فقال بتوتر وحقد واضح في نبرات صوته : لا أدري كيف نجح هذا الملعون ؟ .. كان يشتغل هناك ليلعب القمار في صالات ونوادي القمار .. أين أمكم ؟

فأجابت بدرية : في جمعيتها اجتماع يفكرن بعمل حفلة للتبرعات لأحد المشاريع الخيرية

*****

ذات يوم وبينما الآنسة بدرية تجلس في حجرتها وقد رجعت من العمل ، دخلت عليها الخادمة حسنية وهي تقول : هذه رسالة لك يا سيدتي .. لقد وجدها عمران في صندوق البريد وهي باسمك

استغربت بدرية فهي كسولة في كتابة الرسائل ، ولا تظن أنها كتبت عشر رسائل في حياتها ، فمن هذا الذي يكتب إليها ؟! فقالت مخاطبة الشغالة : ممن يا حسنية ؟ !

فردت الأخرى : لا يوجد عليها اسم

خطفت الرسالة من يد الخادمة وهي تظن أن أحدا يريد العبث معها، فشكرت حسنية ووضعتها تحت الوسادة وهي تقول : إذا فطنت لها قرأتها عند النوم ..مَن مِن الأصدقاء يحب إرسال الرسائل والسخرية منا ؟! ثم رددت بعض الأسماء ثم قالت : في الليل سأقرأ سخافته .

كانت بدرية ناصح موظفة في مكاتب إدارة شركات الخابي ، وكذلك أختها قمرية ، فهن قد درسن في كلية التجارة ، وحصلن على بكالوريوس في العلوم الإدارية ، وبينهن ثلاث سنوات وهي البنت الصغرى للعائلة ، وكانت بدرية متعاطفة كثيرا مع أخيها عمري ، وإن كانت تخاف من تدينه .. فقد كانت تلحظ أنه ينظر إليها وأختها بنوع من الاحتقار بعد تدينه .. وكثيرا ما يستهزء بثيابهن القصيرة والأصباغ اللواتي يلطخن

بها وجوههن وعيونهن وتسمعه يقول : هذا الجمال وهذا التزين خلق ليراه رجل واحد فقط يا بدرية .. لا يجوز أن ينظر إليه الأوباش والذئاب من البشر .

كانت تشعر بتعاطف معه ولكن العادات والتقاليد التي ربيت وشبت عليها من لبس وزينة وخلاعة لا يمكن الخلاص منها بسهولة .. وكانت تتعجب من قدرته وقوته على خلع الماضي عن كتفيه ، فتأخذ تدافع بقوة وحرارة عن مجتمعهم وبيئتهم وحياتهم ؛ ولكنه يهزمها بأسلوبه الجديد وبأفكاره الحديثة ، فتستسلم له في النهاية وترى أنه هو الصواب وأن أفعالهم هي تقليد أعمى لبنات الغرب الأوروبي والأمريكي وملاحقة الموضات وصرعات اللبس والكوافير ، وجدت أن الجانب الروحي لديهم ضعيف وهزيل ، حياتهم كلها مادة ، أموال تدخل وأساليب لإنفاقها ، تشتري الثوب بالثمن الغالي تلبسه لبسة واحدة أو اثنتين ثم يظهر غيره ويلقى في المخزن مخزن الأشياء القديمة ليس البالية لأنه لا يبلى لم يعد له مكان في خزانة الثياب فقد جاء غيره ، تتنافس هي وصديقاتها وبنات أصدقاء أمها ووالدها في ذلك .. هذا أغلى .. هذا أجمل وهذا فرنسي وهذا ألماني وذا إنجليزي .. هذا من معرض فلان وذا من معرض فلان .. كانت تستسلم لأفكار عمري أن حياتهم فارغة .. وأن الحياة ليست كلها عبث ولهو .. بين بين .. ساعة لله وساعة للنفس .. كانت تقرأ كل كتاب أو كتيب يدخل به عمري البيت وكانت تندهش مما فيه من أقوال وكلمات ونصائح .. فترى أن هذه الكتب فقط للناس الفقراء المحتاجين .. أما هم فلهم الرحلات والنزهات والنوادي الخاصة والسينما والمسارح والسفر .. والرقص والموسيقى والحفلات الصاخبة .. أما الفقراء فلهم المساجد والزوايا ودور العبادة وإخفاء الأبدان والأوجه والأيدي ..

فلما استراحت من تعب العمل وشربت بعض العصير ودخل الليل وقد ارتدت ثيابا جديدة قد حصلت عليها حديثا قالت لحسنية : قولي لأمي إنني ذاهبة لسهرة عند الآنسة المحترمة سهير

وخرجت بكامل زينتها وتبرجها وركبت سيارتها التي ما زالت أمام الفيلا لم تدخلها موقفها الخاص داخل كراج الفيلا ، ذهبت لتقضي سهرة ممتعة مع شباب وشابات بمناسبة ولادة أخت سهير لمولودها الأول .. فرقصت مع الراقصين وشربت قليلا من الخمر كما علماها والدها ألا تفرط في تناول الكحول ..كأس صغيرة تكفي .. هذا أمر طبيعي يلعبن القمار عن مال يسير هذا أيضا أمر عادي .. ولو عانقها شخص مندفعا لموقف ما .. فهذا أمر طبيعي .. وكانت لا تشعر بالخجل إن

حصل ذلك فهذا انفتاح وحرية .. وكانت تتعرض لمواقف أكثر حرجا من ذلك وتتقبل الأمر .. كل ذلك مباح وجائز في شريعتهم ، رجعت بعد منتصف الليل لم يشعر أحد بدخولها .. لم تجد أحدا ينتظرها ليقول لها : أين كنت وماذا فعلت ؟ ولكنها فوجئت أن أختها قمرية لم تنم بعد وجدتها تطرب على أغاني أجنبية غربية حديثة وصلت البلد ثم أخذت بدورها تحدثها عن جمال وحسن هذه الأغنيات والموسيقى ، ولما انتهت من إظهار إعجابها بأغاني السوق الجديدة قالت : ماذا عند سهير لتعمل حفلة ؟ كما تقول حسنية

فردت بدرية : ولدت أختها فأحبت أن تعمل لنا حفلة جميلة بهذه المناسبة .. فسهرنا ورقصنا وتسلينا .. وكانت مناسبة لإلتقاء الأصدقاء وأخذت تعدد أسماء نجوم ونجمات الحفل .

وكانت خلال ذلك الحديث قد خلعت ملابس السهرة ولبست ثياب النوم البيجامات الحريرية المستوردة من باريس .. ولما انتهت من ذكر سخافات حفلتها سألت هي بدورها أختها عما فعلت في يومها الهالك فقالت : خرجت مع جبر .. ابن عمتي ، فقد يحدث بيننا مشروع زواج فهو شاب لطيف ، ذهبنا لمسرح الغرباء وتعشينا في مطعم الغرباء أيضا وأخذت تتكلم عن المطعم والمسرح حتى استغرقت بدرية في النوم ولم تسمع بقية الكلام ، فغضبت قمرية ورفعت صوت الاستيريو (مسجل الصوت) ولكن النوم قد غلب بدرية .. فلما رأت أن الصوت العالي لم يؤثر بأختها فأغلقته وحاولت النوم .. فلم تستطع ذلك فأخرجت قرصا من أقراص النوم وبلعته وبعد قليل غرقت في سبات عميق ..

زواج ناصح

لم تفطن الآنسة بدرية لقراءة الرسالة التي تلقتها أمس إلا وهي في العمل فحدثت نفسها قائلة : لقد نسيت أن أقرأ تلك السخافات.. لازم أن أعرف من أرسلها من الشباب

ولكنها لما عادت في المساء للبيت وجدت أن الأسرة مشغولة ، فأخبرتها أمها مريم أن والدها قد وافق على اقتران قمرية بابن أخته جبر النحام ، وأن أسرة النحام قادمة الليلة للحديث في الموضوع ولتحديد يوم الخطبة .. وجبر هذا ابن أخت السيد ناصح السيدة رباب .. وجبر هذا أصغر اخوته الثلاثة وهم سعيد وخالد لا إناث بينهم ، فسعيد قد تزوج من ابنة خاله ناجح السيدة نهى منذ سنوات ، وأما خالد فقد اقترن بابنة أحد كبار الموظفين الذين يعمل معهم في دائرة الجمارك ، وأما جبر فقد كتب عقد الزواج على امرأة ؛ ولكن قبل ليلة الزفاف هلكت بحادث سير ، فأضرب عن الزواج ، ولكنه لما استلم الشغل مع خاله ناصح في

إدارة مصنع السجاد بدلا من الابن الهارب أخذت أمه رباب ترغبه وتحثه على مصاهرة خاله ، وبعد عدد من اللقاءات والسهرات مع قمرية ناصح نسي خطيئته الأولى منى ، ووجد أن قمرية فتاة مناسبة وثروة أبيها كبيرة ، وأنه الآن رجل العائلة بعد اختفاء عمري منذ أكثر من سنة .. فانشغلت بدرية مع قمرية في تهيئة البيت لاستقبال عمتها وزوجها وأولادهم .

وعند الثامنة ليلا وصل عبده النحام وأفراد أسرته وزوجاتهم ومعه أخوه الأكبر ، واستقبلهم ناصح بيك ورحب بهم وجلسوا في قاعة واسعة، ودارت عليهم أكواب العصير والمثلجات وامتلأ المكان بسحب الدخان من الرجال والنساء ، وبدأت النكت تنطلق من هنا وهناك ثم اتفق الجميع على زواج قمرية وجبر وقرأوا الفاتحة .. ثم مسحوا أيديهم بوجوههم .. لا نعلم هل يحسنون قراءة الفاتحة أم هو تقليد لم يستطيعوا التخلص منه ؟ .. واتفقوا على حفلة الخطبة وأما حفلة الزواج فتركوا أمر تحديدها للخطيبين حسب رغبتهم ، ولما شربوا شراب الاتفاق سأل أحد الأولاد خاله عن عمري ، فوجم الرجل وخيم الصمت على القاعة مما أدهش السائل فقال مستغربا : ما بكم صمتم هل أخطأت في السؤال عن ابن خالي المفقود ؟

فمسح ناصح دمعة سقطت على وجهه وقال : أبدا يا ولدي ؛ ولكنك ذكرتنا بإنسان لا نعرف عنه شيئا .. لقد ترك غيابه جرحا في قلوبنا .. سامحه الله .. لقد تركنا ونحن في حاجة إليه

فأخذت عبارات المواساة والصبر تخرج من الأفواه ، وعند منتصف الليل انصرف القوم ، وقد تجدد الحزن في بيت ناصح الخابي ، وقال الرجل لإمرأته : هذا النحام من أبغض الناس اليّ ها هو اليوم قد صار صهري ثانية .. قاتل الله النحام وآل النحام

فطفقت مريم تدافع عن آل النحام وتعدد مناقبهم وخيراتهم ، وناصح يعدد معايبهم وكفرهم وإلحادهم ، فقد كان عبده النحام من كبار الملحدين في القطر ومن دعاة الشيوعيين .. وما زال فتحدثت مريم عن صهرها جبر وأن أفكاره بعيدة عن أفكار أبيه ، فرد عليها : إن الولد ابن أبيه .. ولكن الظروف تضغط علينا .. والبنت كبرت فعمرها سبعة وعشرون عاما كما علمت منها .. أتمنى أن يكون زواج موفقا .. فأنا أعرف بغض النحام لي .. لقد كنت غير موافق قديما على زواج رباب منه وقد حاولت التفريق مرة بينهما ولكنها الملعونة فقد كانت تهواه

فقالت مريم : تلاقت أفكارهما معا .. فقد كانت أشد منه إلحادا وكفرا .. وليس الحب الذي جمعهما وحده يا ناصح .. ونحن لا يهمنا ذلك الآن ..

الولد قلت إنه يشتغل جيدا ويدير الأمور في المصنع بإتقان .. وهو ابن أختك رغم كل الأشياء .. وكما قلت فالبنت كبرت ورغم كثرة أموالك لم يطلبها أحد من أبناء أصحابك

فرد قائلا : والله قد حدثني بعض الأصدقاء في ذلك ولكنهم كبار في السن .. فكيف أزوج ابنتي لرجال كبار .. فالدكتور موسى لما ترمل حدثني عنها .. فاعتذرت وها هي المسكينة تتزوج رجلا أرملا سبحان الله ..

*****

بعد أيام فطنت بدرية للرسالة مرة أخرى فاتصلت بالشغالة حسنية وأرسلتها إلى حجرتها تتفقدها ثم ردت عليها : هي حيث وضعتيها يا سيدتي

- يا حسنية الطيبة .. لما أدخل البيت ذكريني بقراءة الرسالة .. سلام ..

بدرية تحب القراءة أكثر من قمرية ، فتقرأ في الكتب ومجلات المرأة والأزياء ، وتقرأ عن قصص المغنين والراقصين والممثلين ، وتستمتع بقراءة مغامراتهم وأسرارهم وأخبارهم ، وقلنا إنها قرأت كثيرا من الرسائل العلمية الصغيرة التي كان يدخلها عمري بيت العائلة ؛ ولكنها لم تغير من حياتها شيئا ، ولم تترك أثرا في نفسها يذكر كما يبدو لنا الآن .. فما زالت تحيا الحياة التي ألفتها وتعودت عليها ، وهي لم تقرأ الرسالة الشخصية التي وردت إليها لأنها لا تحب كتابة وقراءة الرسائل .. فكان أيّ كلام جميل تحب أن تسمعه فتحب أن يكون على الهاتف أو وجها لوجه ؛ لذلك لم تكن تتذكر وتفطن للرسالة إلا وهي أثناء العمل .. فتتذكرها فتشتاق نفسها لمعرفة كاتبها أكثر مما فيها من كلام .. وبما أن كاتبها لم يذكر اسمه على غلافها ، فهي تعتقد أن أحد السخفاء من الأصحاب والزملاء كتب لها كلاما ثقيلا وغزلا صارخا .. والفضول يدفعها لقراءتها ومحاولة تخمين اسم كاتبها .. فهي رغم معرفتها لكثير من الشباب فلم ترتبط بعد بأي علاقة عاطفية مع أحدهم .. كلهم أصدقاؤها ومحبوها ، رغم أنها لم تكن بالفتاة الدميمة المنفرة ولكن بين رفيقاتها كثيرا من الفتيات الأكثر منها جمالا وحسنا وممن يستهوين الشباب الماجن .. ولم تعد للبيت مبكرة كما آملت ، لقد اتصلت بها صديقة قبل انتهاء يوم العمل ودعتها للعشاء في مطعم ومن ثم الذهاب لشراء بعض الثياب التي ظهرت حديثا في متجر أحد كبراء التجار ، فوافقت على الفور لا يجب أن يسبقها أحد بشراء الفساتين والتنانير الحديثة .. نتيجة لذلك تأخر أمر قراءة الرسالة ؛ لأنها عادت في وقت متأخر ليلا والشغالة حسنية قد رقدت على فراشها فلم تذكرها بالرسالة .

وبدأت عائلة الخابي والنحام الاستعداد لإعلان

الخطبة في حفلة كبيرة ، فقد حجز النحام صالة كبيرة في فندق ضخم ، فقد رفض ناصح إقامة حفلة الخطبة في حديقة فيلا النحام .. وتوافد المدعوون من أصدقاء العائلتين لتلك الحفلة التي أنفقت عليها الأموال الكثيرة ، فقد تعاقدوا مع فرقتين موسيقيتين .. وانشغل الناس باللهو والشراب والاستماع ، والشباب بالرقص على أنغام الموسيقى الغربية .. وقد نهض العروسان للمشاركة في الرقص مع الراقصين .. وأثناء اندماج القوم في طربهم ومرحهم دخلت القاعة امرأة شقراء سبقها عطرها الفواح ثم زينتها الفاتنة للمكان ، فنهض السيد ناصح أمام نظرات الساهرين لاستقبالها والاحتفاء بها أمام دهشة الحاضرين وخصوصا زوجته مريم وبدرية وعيون الفضوليين ، ثم ساقها إلى أحد الموائد وجلس معها كأنهما كانا على موعد واندمجا في الحديث .. وهنا اندفعت امرأة السيد ناجح السيدة عزيزة للانتقال إلى مائدة مريم لتسألها عن هذه المرأة فردت عليها بحيرة : لا أدري هذه أول مرة أشاهدها كأنها صديقة حديثة لناصح ولابد أنه هو الذي دعاها .. إنها أنيقة وفاتنة

فقالت عزيزة : يقول ناجح إنها أرملة وإنها زوجة الدكتور ساري دكتور الطب النفسي

قالت مريم : إنني أعرفه وقد زرت عيادته أكثر من مرة فلم أصادفها مرة واحدة .. رحمه الله قد هلك بمرض السرطان ..

فقالت عزيزة : ظننتك تعرفينها .. فناجح يقول إنها منذ ترملت بدأت تخرج للناس .. لقد كان الدكتور لا يحب رؤيتها في المحافل .. ويقول إنها ورثت ملايين الدنانير عنه ..

فتبسمت مريم بعد وجوم : صفقة إذن .. فناصح يشم رائحة الملايين من بعيد ..

فقال عزيزة : أخشى أن يكون الأمر أكبر من ذلك يا مريم ..

- ويحك ماذا تقصدين ؟ !

- زواج

ضحكت مريم ضحكة قصيرة وقالت ساخرة : ناصح يتزوج ! .. إنه رجل عجوز لا يصلح للنساء منذ سنوات يا عزيزة

فقالت عزيزة محذرة : خذي حذرك

وانسحبت وعادت حيث يجلس زوجها ناجح وقد أثارت القلق والتوتر في نفس مريم ، فأخذت تتابع زوجها العجوز كما تقول وهو يتحدث مع المرأة الشقراء بانسجام واندماج كأنهم أصدقاء منذ عهود .

فقالت بدرية التي سمعت همسات زوجة عمها : أظن أنهما يتحدثان عن مشاريع ومصانع أبي لا يحب الحديث إلا في ذلك يا أمي .. لا تهتمي بكلام

عزيزة ..

فقالت مريم : والله إنهما مندمجان ولا يحسان بالعيون التي تسترق النظر إليهم وهل هذا وقت حديث في مشاريع وصفقات ؟!

ردت بدرية قائلة : أبي صياد ماهر لا يهمه الوقت ، قد يريد تعاونها في إنشاء مصنع الأدوية فهي زوجة دكتور ..

بعد الثانية ليلا انتهى الحفل ، ورجع السكارى إلى بيوتهم منهكين من الرقص والطرب والشراب ، وما كاد ناصح يدخل حجرة النوم التي تخصه ـ لكل واحد منهما حجرة نوم خاصة للزوج غرفة وللمرأة غرفة ـ حتى دخلت مريم خلفه وقالت بنبرة غيرة وغضب : ما الذي فعلته الليلة يا سيد ناصح تركت الناس وانشغلت بتلك الحسناء الشقراء ؟

فالتفت إليها متضايقا وقد خلع ربطة العنق وطرحها على السرير ورد: ها أنت قلت بلسانك حسناء وشقراء.. أرجو أن لا تكوني غرت؟

فردت باستهزاء يشوبه حنق: أغار ممن يا عجوز منها إنها أرملة ؟ !

ـ ولكنها جميلة يا مريم ومعها ملايين

ـ تترك الناس .. ضيوفك وتقضي سهرتك كلها معها .. بماذا كنتم تتكلمان ؟

فضحك ضحكة قصيرة ورد : عن الحب وأيام الشباب

فقالت بغضب وبلهجة من يأمر : أريد أن أعرف كل شيء .. لقد أكلني الناس بعيونهن ونظراتهم وهمساتهم .. بل إن عزيزة ترى أن هناك أكثر من ذلك ..

فصاح غاضبا : وماذا قالت عزيزة الحمقاء ؟

فردت مريم غاضبة : تقول إنك تريد الزواج منها

فقال هازئا : وهل في ذلك ما يغضبك ويثيرك لتحمر عيناك يا مريم ؟ أينقصك شيء ؟ .. أليست لديك الأموال والسيارات والعمارات ؟

فقالت بصوت هامس غير مصدقة لم استقر في الذهن : أحقا تريد الزواج يا ناصح ؟

فقال بوضوح وصراحة : أجل يا مريم ! .. أريد الزواج .. لا تريد أن تكون عشيقة تريدني زوجا وأنا أريدها إنها فاتنة وناعمة

فصاحت بغضب : هذا لا يمكن أن يصير أيها الرجل .. هانت عليك عشرة هذه السنوات أين ما ننادي به من حرمة التعدد ومن ظلم المرأة العربية والشرقية أين ؟؟

فقال هازئا ومحقرا : هذا كلامك أنت وصويحباتك وجمعياتك .. فالتعدد مشروع في ديننا

فقالت بحنق : الآن صار لك دين

ـ هل سمعتيني يوما ما أويدك في دعواتك وخرافتك .. فإن لم نعدد بالقانون والشرع فنحن

نعدد من غير قانون أتريدين أن تقولي لي إنك طاهرة عفيفة ولم تختلي برجال غيري يا مدام ؟
خيم الصمت القاتل ثم ردت : ولكنك زوجي ولا يجوز لك أن تتزوج عليّ .. اتخذها عشيقة كغيرها من العشيقات وبنات الهوى
فقال : رفضت ذلك .. قالت لن أكون لك إلا بزواج شرعي وشهود رغم الاغراءات التي بذلتها لها من مال وعقار وأرصدة .. وهي عاقر لا تنجب فلا تخافي على الورثة .. وأعلم أن أرصدتك كبيرة ولكنك طماعة .
صمتت مريم ثم قالت : منذ متى التقيتم ؟
فقال بصراحة : أنا كنت أحوم حولها قبل موت زوجها ؛ ولكنها كانت تصدني وتظهر الوفاء لزوجها ، وكانت مشاركتها لاجتماعاتنا ضئيلة ، فلما مات زوجها منذ سنة مضت كنت معها ثم عرضت عليها عشقي وغرامي ، فرفضت ووافقت على الصداقة وأما الجسد فقالت بالزواج فقط .. فشاورت ناجحا أخي بالزواج منها فرفض ، وقال كما قلت الآن اتخذها عشيقة فالتعدد في العائلة ممنوع فحاولت معها مرة أخرى .. ولكنها مصرة على الزواج إن كانت لديّ رغبة إليها .. والليلة تناقشنا حول هذه المسالة .. فيا مريم الطاهرة عليك بالرضوخ للأمر والواقع .. أنا كنت أريد أن اقترن بها بدون علمك .. ولكن أولاد الحلال احبوا أن يخبروك بسرنا هذه الليلة وما هو بسر
فهزت مريم صادق رأسها باستسلام ويأس : أيضا .. تريد أن تتزوج من ورائي ..
ـ لا أحب إحراجك
فهاجت وقالت بضيق شديد : قتلتني ! إنك تهدم شغل سنوات وسنوات يا مجرم .. أنت تسمح لي بالجلوس مع الرجال والآن تتهمني وتعيرني يا شريف يا محترم
فقال : يا مريم كما أسمح لنفسي بالجلوس مع نساء القوم .. فمن الطبيعي أن أسمح لك بذلك العين بالعين ولكني لم أسمح لك بأمور أخرى ..
فقالت بحدة : أما أنت فتسمح لنفسك من النساء الأخريات
فقال ببرود : مهما يكن .. فأنا رجل ولا يعيبني ذلك
فقالت هي الأخرى متحدية وهائجة : وأنا لا يعيبني ذلك .. ما دمت تسمح لنفسك بالزنا يجب أن تسمح به لغيرك .. إنك حقير .. اسمع يا ناصح أنا أعرف أنك نذل .. ولكن إذا أردت الزواج فعلا من تلك الفاجرة ..طلقني لا أريدك
فقال بغضب : ولماذا الطلاق .. هذه الفيلا أكتبها باسمك وظلي عند الأولاد ؟
ـ أيّ أولاد ؟ ! فقمرية قريبا ستتزوج كما فهمت

من جبر ، وسمري في أمريكا وعمري ضاع ولا نعرف عنه شيئا ولا في أي البلاد هو .. وبدرية غدا ستتزوج .. أنتم الرجال لا أمان لكم وأنت رجل عجوز وما زلت تعشق النساء

فصاح محتجا : هناك من هو أكبر مني وتزوج ثانية وثالثة .. لا تظلي متعلقة بشعارات جمعيات المرأة والنساء .. هذا كله كلام في كلام .. أنا لم أكن أحب وأرغب في مصارحتك برغبتي بالزواج كنت سأخفيه عنك أما الآن بما أنك تدخلت في حياتي الخاصة .. سأعجل بالزواج وأعلن به .. وإذا أحببت الفراق سيكون لك ذلك .. تدبري وفكري ؟

فعاد إليها الهياج وقالت شاتمة : حقير .. نذل .. أناني

ـ لا يهم قولي عني ما شئت .. أعلم أن الخبر عليك مؤلم فقولي ما شئت

ـ سأتحدث مع أخيك ناجح لعله يردعك مع معرفتي لضعفه معك

ضحك ناصح وقال هازئا : هو يعرف كل شيء .. لا داعي لحشر الآخرين في حياتنا الخاصة هذا البيت لك بما فيه وأكثر ودعيني وشأني

فقالت ساخطة : لن تتزوجها يا ناصح قبل أن تطلقني ، ولسوف أرحل عند ولدي سمري وأعيش باقي عمري في أمريكا ..

فقال بهدوء وفرحا بانتصاره عليها كما يظن : اذهبي للنوم .. وغدا نتفق على كل شيء

خرجت مقهورة ؛ ولكنها لما دخلت غرفتها أخذت تبكي وتبكي ، ثم همست قائلة وهي ترى صورة عمري ماثلة أمامها : أجل !.. حياتنا شهوات وشهوات .. نتخلص من شهوة لنبحث عن غيرها .. صدق ولدي عمري بكلامه .. ليتني أراه .. أريد أن أعيش معه .. حياتنا ضحك وسخرية .. نحرم أشياء ونحن نعمل بها بصورة أخرى

تدخلت قمرية وبدرية وناجح ورباب في منع السيد ناصح الخابي من الزواج فلم يفلحوا فقد غلبه الصبا والهوى ، فكانت النتيجة طلاق مريم ، ثم سافرت إلى أمريكا إلى حيث يتعلم ولدها الأصغر .. ثم تزوج ناصح من الأرملة الشقراء قبل زواج ابنته قمرية من ابن عمتها رباب .

عدوه من النصارى

وحكي أن بعضهم دخل على عدوه من النصارى فقال له: أطال الله بقائك، وأقر عينك، وجعل يومي قبل يومك، والله إنه يسرني ما يسرك، فأحسن إليه وأجازه على دعائه وأمر له بصلة ولم يعرف لحن كلامه، فإنه كان دعا عليه؛ لأن معنى أطال الله بقائك لوقوع المنفعة للمسلمين به لأداء الجزية، وأقر عينك: معناه سكن الله حركتها فإذا سكنت عن الحركة عميت، وجعل يومي قبل يومك فيه أي جعل يومي الذي أدخل الجنة: قبل يومك الذي تدخل فيه النار، وأما قوله: يسرني ما يسرك، فإن العافية تسره كما تسر الكافر.

غسان في المدينة

قرية غسان

أصابت البأساء والسنة القرية ، ومضى الشتاء بعد الخريف وما أمطرت السماء على القرية قطرة ماء ، فأصاب الناس ضنك شديد ، وقلت ماء البئر التي يستعين بها أهل القرية في قضاء حاجاتهم من الطعام والشراب والغسل والنظافة للثياب والأبدان وغيرها من الأشياء .

وفصل الربيع يدنو من الرحيل فضاق الناس ذرعا بحالهم ، وبدأ الشباب القوي يرحل ويهاجر إلى العاصمة والمدن الكبيرة طمعا في سعة الرزق وتحسين الحال والمآل .

وكان في هذه القرية شاب يدعى "غسان" ، وهو وحيد والدته التي ترملت وتركت الزواج من بعل آخر لتقوم على رعاية وتربية ولدها الوحيد ، وقد ورثت هذه الزوجة عن بعلها غنيمات دون العشر ، فكانت تهتم بهن وترعاهن وتقتات من لبن الشياه وتصنع الجبن منه ، وتخرج الزبده وتصنع السمن منه ، ومضت على هذه الحال حتى كبر الصغير غسان وأصبح شابا يعول نفسه وأمه بضع سنين إلى أن ألمت البأساء والقحط بهذه القرية ، ورأى شباب القرية يرحلون من ضيق العيش نحو المدينة الكبيرة ، فوقع في نفسه هو الآخر الهجرة كأقرانه من الشباب لعله يجد في المدينة سعة من العيش ؛ ولكن كان يؤرقه بقاء أمه وحدها ، بعد أن قدمت له التضحيات الكبيرة ، وصبرت حتى نما واشتد عوده ، فهو بين أمرين صعبين ، البقاء في القرية مع الجوع وقسوة العيش أو الرحيل وترك أمه وحدها .

فهذه مشكلة غسان تلك الأيام ، وكلما مضى ليل وأقبل نهار يزداد قلقا واضطرابا ، فالطعام يقل والماء يقل والأغنام تهزل ويزداد ضعفها ، ولم يعد يرى في القرية إلا الكهول والشيوخ والعجائز والأطفال والمرضى وبعض الشباب ذوي اليسار وهم قلة ، فأمام هذه الظروف والأحوال والضغط النفسي ترجح لديه السفر والرحيل للمدينة الكبيرة ، فحدث أمه بقراره بعد أن عرض عليها همومه وضيقه من حياة القرية الهادئة الجائعة .

ولكن الأم لما سمعت كلامه خافت عليه وبينت له أن القليل من الناس من يغادر القرية ثم يعود إليها ، فأكثرهم يطيب له المقام في المدن ، فما يعود يفكر بالرجوع ، وذكرت له أنه وحيدها فعندما يجد هناك الرفاهية وكثرة المال والأشياء ،قد ينساها ولا يعود يفكر بأمه ،

فقلق غسان لمَ أبدته أمه من خوف وقلق عليه ومن نسيانه إياها

ثم ذكرت له أمه أسماء رجال هجروا القرية إلى المدينة وما عادوا إليها وظلوا فيها ، فأخذ هو الآخر يشتكي ويذكرها بضيق الحياة وقلة الأرزاق من



ماء وعشب ، ووعدها بالعودة بعد الفرج ، وأنه لا يمكن أن ينسى أمه في خضم حياة المدينة الصاخبة ، ولقد تكرر الحوار بينهما في هذا الموضوع حتى لان قلبها واستسلمت لرحيله وغيابه عنها ، فأشارت عليه أن يمر على شيخ القرية وقيم مسجدها ، وأن يتزود بنصائحه فهو رجل كبير وخبر الحياة .

فزاره غسان حين صلاة العصر وحدثه بأمره وأمر أمه ، وأنها رخصت له بالسفر للمدينة ، واستنصحه نصحا خالصا لوجه الله العظيم ، فتمنى له الشيخ التوفيق والظفر والعودة ، وتعهد له الشيخ بتفقد أحوال أمه وغنماتها حتى ييسر الله له الرجوع ثم قال بعد ذلك : إني لك ناصح يا بني .. سأنصحك فعليك أولا بتقوى الله في شأنك كله ، وهذه ثلاث نصائح راعها واهتم بها وإذا التزمت بها نفعتك في دنياك .. إياك والكذب وقل الصدق وإن كان في الصدق عذابك هذه الأولى يا ولدي ..وأما الثانية فأحسن اختيار أصدقائك في المدينة ، وأما الثالثة والأخيرة فإياك ثم إياك والمال الخبيث ، فاعلم يقينا أن مصيره الزوال .. اذهب راشدا بعون الرحمن الرحيم

غسان القرية مشيا على الأقدام وعلى ظهره صرة قماش فيها يسير من الطعام ، وعلى عاتقه قربة صغيرة مملوؤة بالماء ، ووجهته المدينة الكبيرة ، فكان يمر على قرية ويخرج من قرية حتى دخل غابة في طريقه ، فجلس تحت ظل شجرة فارهة الأغصان والأوراق ، فأكل من الزاد وشرب بعضا من الماء ، ثم غفت عيناه من كثرة المشي وقلة النوم ، ولما صحا من غفوته وفتح عينيه إذ به يرى رجلا جالسا بجواره ، فحياه بتحية الإسلام ، ورحب به وعرفه بنفسه مشجعا الرجل أن يفصح عن هويته ووجهته ليطمئن قلبه له ، ولم يتكلم الرجل مما دفع غسان أن يقص عليه قصة هجره للقرية في سبيل الرزق وتحسين الحال ، وكان غسان يأمل عندما يصارح الرجل

بدوافعه للهجرة والسفر أن يطمئن منه الرجل ويكشف له عن نفسه ، فما خرج منه إلا أن عرف أن اسمه عجيب ، وأنه مهاجر مثله لضيق ذات اليد وختم كلامه قائلا : اجعلني رفيقك يا غسان في هذه الرحلة وثق بي .



سر غسان بذلك ، وتابعا السير إلى العاصمة الكبيرة حتى كلا من المشي وشعرا بالجوع ، فاتخذا مكانا ملائما للقعود فقعدا يستريحان فيه ، فأخرج غسان ما تبقى معه من زاد فأكلاه وشربا ، واضطجع غسان طالبا للنوم ساعة من الزمان ، وما استيقظ إلا على أصوات خيل تصهل بجواره، فقام فزعا وتطلع حوله

فاحصا عن رفيقه عجيب حوله ، فلم يجده فعجب من الأمر في نفسه وقال لنفسه " أين ذهب ؟!" ، ورأى ثلاثة فرسان ينظرون إليه وسمع أحدهم يقول : أيها الشاب من أنت وماذا تفعل هنا ؟!

فاعتدل غسان جالسا وردد بوجل وخوف : أيها السادة بل من أنتم ؟! وماذا تريدون مني ؟

فصاح أحدهم : نحن نسألك .. قل لنا من أنت ؟!

فقال بخوف واضطراب : أنا اسمي غسان من تلك القرية راحل إلى المدينة الكبيرة للحاجة والشدة التي أصابت بلدتنا .

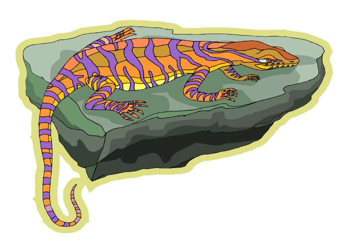
فقال آخر : أكان معك أحد أم كنت وحدك ؟

تلفت غسان حوله من جديد ؛ كأنه يبحث عن عجيب ثم قال بعدما نهره أحدهم : لا .. لم أرى أحدا وما زلت سائرا

وحدي .

فصاح آخر : دعوه .. أسرعوا في مطاردته قبل أن يبتعد .

ولووا رؤوس خيلهم وانطلقوا مبتعدين عن غسان الذي نهض مسرعا وتابع



السير وهو يخاطب روحه : لماذا هرب عجيب ؟! وهل هو الذي يبحثون عنه ؟ ولماذا يطاردونه ؟! كيف أحس بهم واختفى ؟! .. رفيقه عجيب لم يصارحه بشيء يذكر .. كان قليل الكلام .. وبدأ عليه القلق منذ التقينا تحت تلك الشجرة .

وفجأة وهو مشغول الذهن في عجيب وهربه السريع ، تذكر نصيحة الشيخ وتحذيره من الكذب فقال لروحه : يا ترى هل هذا كذب ؟ نعم لم أصدق معهم الجواب .. إنما

فعلت ذلك خوفا عليه من غدرهم .. قد يكون مظلوما.. وقد يكون ظالما .. أمر مريب .. استغفر الله وأتوب إليه .
وصل غسان المدينة الكبيرة مع اشتداد الظلام ، فوجد أبوابها مغلقة فعليه إذن المبيت في الخلاء حتى يبزغ النهار فيدخلها ، فمشى نحو أشجار رآها يبحث عن موضع يرقد فيه للفجر ، وبينما هو مضجع بين بعض الأشجار القصيرة سمع أصواتا تقترب منه ، فانزعج منهم وخشي على نفسه ، وسمع أحدهم يقول : كيف سنجده في هذه المدينة الكبيرة ؟! .. فيها أجناس شتى من العرب والأعراب والعجم والروم والحبش والهنود والترك وغيرهم .
فسمع الثاني يقول : اللعين زياد .. هل يكون صدقنا الحديث ؟ وهل يعقل أنه أعطى العقد للغريب ؟ كيف اطمئن له ؟ أنا لا أصدق أنه فعل ذلك ؟!
فقال الثالث : ولكن الشاب المهاجر عندما التقيناه أنكر رؤيته لزياد .. فهذا يدل على اتفاقهما .
فعاد الأول يقول : سندخل المدينة ـ إن شاء الله ـ صباحا .. ونبحث عنه في كل الخانات والفنادق ولابد أن نجده ولو أخفى نفسه تحت ماء البحر
فقال الثاني : وزياد سيبقى رهين الحبس ولن يتركه الأمير حتى يعود العقد .
عندما سمع غسان هذا الكلام أدرك أن هؤلاء القوم هم الذين التقاهم في الطريق وسألوه عن عجيب وهؤلاء يسمونه زيادا .. وفهم من كلامهم أن زيادا لص قد سرق عقدا من أميرهم واتهمه به ، فهم يبحثون عنه آملين أن يكون العقد المسروق معه .. يا الله ! .. ارحمني يا مولاي إنها ورطة كبيرة .. هل يوجد معي عقد ؟! .. هل اكشف لهم نفسي وأنكر لهم معرفتي بالعقد المزعوم ؟ .. لا .. لن يصدقوني .. لقد كذبت عليهم ، وأنكرت معرفتي بصاحبهم .. المحتال ورطني في جريمته .. هذا جزاء إحساني إليه واقتسامي طعامي معه ؟! .. يا ليتني لم أكذب القوم ولكني خفت عليه .. آه يا أماه! .. هل أنت راضية عني ؟؟ اللهم



قني شر خلقك
ومضت الليلة وغسان لم تنم عيناه من التفكير بالفرسان الثلاثة والعقد المسروق وزياد لما بزغ الفجر هرول الفرسان

مسرعين نحو باب المدينة ، وسار غسان لباب آخر ، وصمم أن لا ينام في فندق أو خان حتى لا يقع في قبضة هؤلاء ويسوقوه لأميرهم كما يزعمون

دخل المدينة من باب غير الذي دخله الفرسان ، وأسرع إلى مسجد يستريح فيه من وعثاء السفر ثم ليدبر أمره ، فصلى الفجر والظهر والعصر والمغرب والعشاء في رحاب بيت من بيوت الله ، وبعد العشاء غادر المسجد حيث أسواق المدينة للفرجة والبحث عن عمل ينطلق منه في حياة المدينة ، فتفرج وتعجب من عظمة المدينة وكثرة ناسها ثم عرض نفسه على التجار والصناع ، وكان يرى أن الليل استر له في البحث وأخفى .

ثم عاد للمبيت في المسجد كما اتفق مع قيم المسجد ، فلما علم قيم المسجد أن غسان غريب لا مأوى له ولا طعام أذن له بالمبيت في جوف المسجد ، بعد أن دله على مسجد الفقراء والغرباء ، فهناك كل يوم يوزعون الطعام والشراب على الضعفاء والفقراء وأبناء السبيل على نفقة أم السلطان .

فلبث غسان يتردد يوميا على مسجد الفقراء ليقتات ثم يأوي في الليل عند قيم المسجد حتى وجد عملا عند الصناع في سوق الحدادين ، فقبل به المعلم أيوب عاملا جديدا في مصنعه بقوت يومه ومنامه وله درهم واحد كل سبع أيام ، فرضي غسان بذلك حتى يبتعد عن خطر الفرسان الثلاثة الذين يبحثون عليه ، ويتعلم صنعة تساعده على العيش في هذه العاصمة ، واختار أن يسكن مع زميل اسمه نعسان ، وبعد حين أدرك غسان أنه في سوق كبير للحدادين وأنه واحد من ضمن عشرة يعملون عند المعلم أيوب ، وكلهم على شاكلته من الفقراء والأيتام والغرباء ، وظهر له مع الأيام أن الحداد الكبير يستغل غربتهم وحاجتهم وبعدهم عن أهليهم ، وشعر بقسوة العمل وأن النهار كله يمضي بين مطارق الحدادين ونيرانهم من حين شروق الشمس إلى غروبها ، وكان العمل مرهقا وهو لم يعتاد على مثل هذا الارتباط المتواصل في مكان واحد ؛ ولكنه رضي وقنع وصبر فإن لم يكن ذلك طواعية فعلى مضض ووهن حتى يتيسر له عملا آخر وكثيرا ما كان يحزن ويغتم ويشعر بالأسف والحزن لفراق القرية والأم الغالية .

وكذلك لحظ غسان من مجاورته لنعسان أنه يختلس من صندوق مال المعلم أيوب ،

فبين له سوء هذا العمل وقبحه ، وأن هذا مال خبيث وعمل فيه إثم كبير ، فما كان من النعسان إلا أن حذر وهدد



غسان من فتح فمه بكلمة وإلا اتهمه بأنه شريكه في السرقة والاختلاس من صندوق المعلم ، فتألم غسان من صديقه الجديد وخيبة أمله في هذا الشاب ، فسكت على مضض وخوفا من التهمة ، ولقد تذكر أمام هذا الموقف نصائح الشيخ قبل سفره " إياك والكذب واحذر الصديق السيء واحذر المال الخبيث " .. فالتزم غسان أمام ضعفه الصمت .

عندما تأتي السعادة

ذات ظهيرة جمع المعلم أيوب جميع أفراد دكانه وقال مخاطبا لهم : يا رجال .. جمعتكم لأطلعكم على أمر مهم .

وحملقت به العيون العشرون المجتمعين أمامه وهم في غاية العجب لهذا الاجتماع ؛ ولكن غسان بحاسته شعر أن الأمر متعلق بسرقة ونقص أموال صندوق المعلم ، فاختلس نظرة نحو النعسان وكأن النعسان كان ينتظر تلك النظرة الخاطفة فهدده وحذره برموش عينيه وبريقهما بأن يتفوه بلفظ واحد ، فأخلد إلى الأرض مطرقا بعينيه، ولما هدأت همهمات ونظرات الدهشة قال المعلم بصوت رنان وبغضب حاد : يا رجال .. يؤسفني أن أقول أن بينكم لص أو لصوص ..لقد اكتشفت أن الصندوق ينقص كل مرة أحصيه درهما أو درهمين فلم أعر الأمر اهتماما كبيرا وغضضت الطرف .. أما هذه المرة فقد أخذ الخائن عشرة دراهم .. حصلت بين القوم همهمات ونظرات واستنكارات وتابع المعلم حديثة قائلا : فمن يعلم شيئا فليتكلم ؟ .. وإن اعترف الخائن عفوت عنه وليتب إلى ربه .. تكلموا خيم على القوم الصمت والسكون ، فصرخ المعلم وزعق ولكن لا أحد تفوه بكلمة ، العيون هي التي تتحدث ثم قال : حسنا يا شباب .. سأهتم بالأمر من الآن فصاعدا وليحذرني اللص .. من أمسكت به سأدفعه لشرطة الوالي يقتصون منه .. فالأفضل أن يقر ويعترف ؛ لأنني إذا قبضت عليه بعد انفضاض هذا المجلس فلن ارحمه .

وأصر العمال على التزام السكوت ، وكلهم في استغراب لهذه الحادثة ، فعندئذ صاح معلم الحدادين والشرر يتطاير من عينيه الصغيرتين : انصرفوا إلى

أعمالكم .. الأيام بيننا .



عندما اجتمع غسان والنعسان في المسكن عاتب غسان النعسان بشدة وقسوة وصاح فيه : لقد ورطتني معك أيها اللص .. ماذا افعل ؟! .. لقد ألزمتني الكذب والصمت على جرمك .

فأجابه النعسان بالصراخ : أرجوك اصمت .. إنني آخذ بعض حقنا أيها الولد الغرير .. إنه رجل ظالم يأكل حقنا .

فصاح غسان : اتركه .. لا تعمل لديه اشتغل عند غيره .. اعمل عند معلم لا يأكل حقك .. أما السرقة فلا ترفع ظلما .. فقد ترسل بك لمولانا الوالي فتفقد كفك اليمنى .

وأمضيا وقتا في القتال والصراخ وختمه غسان قائلا : سوف أترك أنا الدكان واشتغل في عمل آخر أو عند معلم آخر سوف أتخلص منك ومن جوارك .

فصاح النعسان قائلا : لا تكن غبيا .. ولا تتعجل بالهرب أيها الغرير .. حتى لا يشك فيك ويظن أنك السارق .

فصاح غسان غضبا : لست سارقا .. إنما أنت السارق .

فقال متظاهرا بالشفقة على جاره : يا ولد ! .. إذا تركت العمل الآن لن يصدق أيوب أنك بريء .. وإذا قلت له عني سيقول لك لماذا لم تتكلم لماذا لم تخبره ؟ .. وسأقول أنا إنك شريكي فاصبر بضعة شهور ثم اترك العمل مع المعلم أيوب .

فقال غسان بغضب : نعم .. معك حق في شركتي لك ، أنا شريكك لأنني صمتت ، أنا مثلك مجرم .. آه يا أمي ! .. عسى أن تكوني راضية عليّ ، رحم الله الشيخ فلقد نصحني بأن لا أكذب وأن أقل الصدق ولو

كان مرا ، وأن أحسن اختيار الأصدقاء والبعد عن المال الخبيث .

وخرج من الغرفة غاضبا وهبط إلى وسط المدينة ، ولما تعبت قدماه جلس قرب النهر العظيم ، ينظر في أحواله ويتفكر بهذا النهر وعظمة الخالق سبحانه ، ثم يعود للتفكير بما هو فيه من مشاكل وواقع وكيف يتخلص من النعسان والمعلم أيوب بأمان وسلام ؟..وبينما هو غارق بأفكاره وأحلامه إذ سمع صوتا قريبا منه يصيح بفرح : أليس هذا هو الفتى الذي نبحث عنه منذر شهور ؟!

فأجابه الآخر : إي والله إنه هو .. أخيرا وجدناه .

وأحاطوا به وهو ينظر إليهم بذهول واستسلام وقد عرفهم فقال : الفرسان الثلاثة !!! نعم

أنا غسان الذي التقى بكم في الغابة منذ شهور مضت .. أنا رفيق زياد الذي تبحثون عنه .
فصاح أحدهم : أين العقد إذن أيها الفتى ؟
وقال آخر : ولماذا أنكرت معرفتك بزياد وتظاهرت بالخوف عندما اجتمعنا بالغابة ؟
وقال الثالث : فالأفضل أن ترافقنا للأمير أسامة أمير مدينة الأمان وبكل هدوء .
فقال غسان مستسلما : افعلوا بي ما شئتم أنا رهن إشارتكم .
فقادوه إلى الخان الذين ينزلون فيه ، وفي الصباح انطلقوا به إلى الأمير أسامة ، ولما مثل بين يدي الأمير وحاشيته ، روى له غسان حكايته كلها منذ خروجه من القرية حتى وقع بين أيدي رجاله فلما أنهى كلامه قال الأمير : إذن أنت لا تعرف زيادا إنما كان لقاؤكما لقاء عابرا .. هاتوا زيادا الذي أتعبنا كل هذه الأشهر .
وأحضر العسكر زيادا من سجنه مكبلا بالقيود ، ولما شاهد غسان عرفه فورا فأصابته رجفة رآها الجميع وهمس لنفسه : لقد قبضوا عليه سريعا .. انكشف الأمر يا زياد ولا ينجيك الآن إلا الصدق والحق .
ولم يخرج من أفكاره إلا على صوت الأمير يقول له : هذا ـ وأشار لغسان ـ رفيقك يا زياد ؟
فنظر زياد إليه بعمق ورد قائلا : لا أدري .. قد يكون هو .
فصاح غسان : أنا رفيقك في الغابة وأمضينا وقتا طويلا معا وأكلت من زادي وتركتني خفية وتسميت لي بعجيب .
فغمغم زياد بكلمات غير مفهومة ، فقال الأمير : أين العقد يا زياد ؟!
فصاح زياد واستغاث والدموع في عينيه : الأمان .. الأمان يا مولاي ! .. سأتكلم
قال الأمير بهدوء : تكلم فكلنا يسمع ما تريد أن تعترف به .
اعترف زياد بسرقته لعقد الأميرة الصغيرة " قوته " ابنة الأمير أسامة ، وأن نفسه سولت له بالسوء ، وهرب به والتقى بغسان في طريقه ، وسمع منه قصته وأظهر له أنه مثله مسافر للمدينة للبحث عن حياة أفضل ، ولما شعر بفرسان الأمير هرب واختفى ؛ ولكنهم أدركوه بعد حين ، ولما عادوا به لمدينة الأمان ادعى بأنه أعطى العقد لشريكه وصاحبه غسان على أمل أن لا يعثروا عليه في المدينة ويطول بحثهم عنه حتى يتمكن من الهرب من السجن في يوم من الأيام لينعم بالمال واللؤلؤ ، ثم دلهم على مكان إخفاء العقد المسروق ، وأمر الأمير برميه في السجن حتى ينظر في أمره قاضي المدينة

، وأمر خازنه بدفع مائة دينار لغسان ، وأن يرافقه بعض الفرسان إلى المدينة الكبيرة ، وفرح غسان بجائزة الأمير وذهب برفقة الفرسان إلى المعلم أيوب وكشف له أمر النعسان ، فوجده حانقا عليه متهما إياه بالسرقة لهربه واختفائه المفاجئ فبحثوا عن النعسان فوجدوه قد اختفى في زحام المدينة ، فتيقن أيوب من براءة غسان من شهادة الفرسان وهرب النعسان ، ثم قام غسان بدفع المبلغ الذي أخذه النعسان على أن يسامحهم ويصفح عن النعسان إن عاد ثانية ، فسر أيوب بالمال وكذلك الحدادون العاملون ووعده خيرا ومكث غسان في المدينة أياما أخرى اشترى فيها ثيابا وهدايا وحمارا ، وكر عائدا إلى قريته ناشدا الهدوء والسكينة والسلام في قريته وبلدته مع أمه وغنماتها ، ولما دخل القرية وجد أن الأمطار قد عمت وطمت الديار منذ أيام ، والبئر زاد ماؤها ، والحيوانات أخذت نصيبها ، والكل بخير وأمان.

تمت بحمد الله تعالى

كلام المكاتب

{قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ}

مكتب المشفى

جلس الطبيب ناصر الدين عبدو في مكتبه في المشفى الصغير ، الواقع بين العاصمة ومدينة الجلاء التي سميت بهذا الاسم تذكيرا للأجيال بفترة الاستعباد والاستعمار العسكري لهذا الوطن ، وكان يتحدث مع مدير صيدلة المستشفى الطبيب خليل ، فرشف من قهوته وقال: هل يصح تهريب الأدوية لصيدليات خاصة ؟! فمرضى المشفى هم أحق بها يا دكتور خليل ! فماذا سنعمل مع حضرة الصيدلي نعمان؟ فقد ثبت أنه يخون الأمانة ولا اعتقد أنه يفعل ذلك وحده أو وحيدا أنا أشكر لك جهدك في كشف الأمر وهذا التلاعب !

ـ لقد أراد توريطي زاعما أن المال الذي تدفعه الوزارة لا يكفي.. الرجل يريدني أن أبيع ضميري وأخون العهد ، وأسكت عن التهريب وأغمض عيناي، ثم تنهد وتابع : لقد سعيت أن أعرف عصابته ؛ ولكنه يصر أنه يعمل وحده .. أنا لا أصدق ذلك .. ولا اعتقد عاقلا يصدق ما يزعم

قال : ولا أنا أصدق ذلك ؛ ولكن الاتهام بدون اعتراف أو بينة لا يساعد في طردهم

ونقلهم .. أنا استطعت معرفة بعض الصيدليات التي يورد لها من صيدليتنا يا دكتور خليل ! اللجنة الرقابية أكدت الاختلاس وخداع المرضى بتنقيص كمية الدواء المصروفة لهم وسلب الفرقية الأمانة حملها ثقيل يا دكتور خليل .. وكتبت لوكيل الصحة بالواقعة كما تعلم .. ويجري تحقيق سري في بيع الأدوية لخارج صيدليات الصحة العامة ..العجيب يا دكتور .. فعلا عجيب قبول تلك الصيدليات شراء أدوية يعلمون أنها مسروقة وعليها ختم الصحة!

ـ رخص الأسعار والجشع .. والناس لما لا تجد الدواء لدينا بأي عذر تتوجه لتلك الصيدليات ولا ينظرون لطابع الصحة أو مصدر العبوة ، وبعضهم يكشط ختم الدولة عنها .. الناس لا تدقق .. يهمهم امتلاك الدواء فقط يا دكتور ناصر .. وأنت سيد العارفين .. الرجل كما أخبر لن يعترف أمام المحقق ولا المدعي العام بأنه أخبرني وعرض عليّ المشاركة .. سيزعم أني أبغضه وأفتري عليه، وأني خدعته وتلاعبت به .

قال المدير : تبين للجنة بوضوح إخراجه أدوية إلى تلك الصيدليات ، وهم اعترفوا بعلاقتهم معه منذ عمل في هذا المستشفى .. فلا مجال للأنكار ؛ لكن لم يثبت تورط غيره .. الأمر كما تبين قديم ومن سنوات ، ولا يمكن أن يكون وحده .

ـ أكيد هذا .. أدوية ستة شهور تختفي في أسبوعين غير معقول .. طلبت طلبية لنصف سنة وهذه أدوية لا تستعمل بكثرة .. هي لأمراض خاصة .. وهذا ما أثار الريبة وريبتي .. ودفعني للحديث مع نعمان ، فأقر وحاول توريطي معه ..وكما قلت الأمانة كبيرة .. ولماذا يحرم منها مرضى ومراجعون مستشفانا؟

قال: كان عليّ أن أشكرك .. تفضل واشرب قهوتك التي بردت .. وعندما يتعرض للعقوبة والفصل سيعترف على شركائه ومساعديه والمتعاونين معه في الغش والخيانة.

قال خليل : هذا متوقع .. وأشكر تعاونك يا دكتور ناصر .. وأعترف بشجاعتك وسماعك لي

قال : واجب عليّ أن أسمع ؛ لأننا في ترك الشر يكبر ويستفحل .. وأنا أعلم علم اليقين أننا لن نقضي على الفساد والشر في شخص نعمان وغير نعمان .. فقط علينا أن نقوم بواجبنا الدنيوي والأخروي ؛ليس تزلفا لأحد

وإرضاء لأحد .. رجل رضي بالعمل في المشفى والصحة عليه أن يتحمل ويقبل ما تعاقد عليه .. أنا يؤلمني في الموضوع والقضية أسرته زوجته وأولاده .

تنهد الصيدلي وقال : لكنه رضي أن يطعمهم الحرام .

ـ ربما هم لا يعلمون .

قال: ماذا نفعل يا سيدي الدكتور إن سكتنا أصبحنا شركاء في الخيانة .. وإذا طرد لن يعدم من يعمل عنده في القطاع الخاص .. أد الأمانة لمن ائتمنك ، ولا تخن من خانك .. وتذكر قول المرأة الصالحة قالت " إن خير من استأجرت القوي الأمين" .. العمل يحتاج إلى أمين يا دكتور

قال ناصر : صدقت ! ليت كل من يعمل معنا أمينا مثلك .. لجان التحقيق تعمل لمنع بيع الأدوية خارج مراكز ومشافي الحكومة .. ثقافة الأمانة مهمة في حياة العامل والموظف والمزارع

قال خليل : القضاء على الفساد من الصعوبة بمكان إذا فسدت الذمم والأخلاق السيئة .. وإذا تفشت في أمة من الأمم؛ لكن بوجود أشخاص مثلكم يتحملون المسؤولية ولا يحبون التستر خشية أمور شخصية والاختباء تقل شرور المفسدين

ـ شكرا لك وهذا الكلام ينطبق عليك .. تعاونوا على البر والتقوى ..علينا تحمل مسؤوليتنا لذلك الأمانة تحتاج إلى قوة للقيام بتحمّلها ..وهاتان الصفتان هما اللتان دفعتا الرجل الصالح إلى قبول وعرض إحدى ابنتيه كزوجة على النبي موسى ﷺ القوة والأمانة .

ـ نعم ، يا سيدي يقضى على الفساد بالقوة والأمانة .

«فَإِذَا ضُيِّعَتِ الأَمَانَةُ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ»، قَالَ: كَيْفَ إِضَاعَتُهَا؟ قَالَ: «إِذَا وُسِّدَ الأَمْرُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ"

«الخَازِنُ الأَمِينُ، الَّذِي يُؤَدِّي مَا أُمِرَ بِهِ طَيِّبَةً نَفْسُهُ، أَحَدُ الْمُتَصَدِّقِينَ»

«أَدِّ الْأَمَانَةَ إِلَى مَنِ ائْتَمَنَكَ، وَلَا تَخُنْ مَنْ خَانَكَ»

حجر القمر

حكاية حسن وحليمة

الأميرة حليمة

حليمة أميرة من قبائل الطير الخضر في بلاد الطيور الخضر ، بلغت سن السابعة عشرة سن الزواج في تلك البلاد ، في هذه الديار على البنات عامة الاقتران برجل ، فقانونهم يبدأ سن النكاح من أربعة عشر ربيعا ، وفي العام السابع عشر تجبر الإناث على الزواج ، واذا البنت بلغت العشرين دون الزواج ينكحن إجبارا وكرها من عبيد الجزيرة ورقيقها ،

فكيف بابنة أمير الجزيرة في بلاد وديار الطيور الخضر؟!
فقال والدها أمير البلاد الحارث :كبرت يا بنية فحان وقت الزواج.
قالت : لا أرغب فيه .
فقال : كلنا نحبه.
قالت : لم أجد من أحبه من أمراء البلد أيها الأمير!
قال مستغربا : عجيب ! لابد من الزواج .. وسأطلب من وزيرنا الحارث بن غبار أن يطلب من الأمراء الشباب بعرضهم على عليك لتختاري منهم فارسا يليق بك.
قالت : هذا الأمر صعب على قلبي .. وأخشى أن لا يهفو قلبي على احد منهم.. فقد عرفت بعضهم ولم يرقوا لي .
زاد تعجبه من كرهها للزواج فقال : كل الأميرات يتزوجن في مثل سنك.. وكل شقيقاتك الأكبر منك تزوجن .. أنت ابنة الأمير ، وقد يصير أبوك ملك هذه الجزر كلها يا حليمة.
قالت مصرة : أعرف يا أبي الشجاع!
فقال محبطا : حسنا فكري بها اقترحت !
قالت بدلال : سأفكر يا مولاي!
قال : أنا في الانتظار .. من العيب أن يتأخر زواج ابنة الأمير.. الكل يهمس بذلك.. الأمير لم يفرح بفتاته .. الأمير لم يجد لها قرينا .. الأميرة تؤخر زواجها ؛ لتتزوج عبد من عبيد أبيها.
كان في المدينة شاب اسمه حسن مشهورا بين الشعب ، وفي الأحياء الفقيرة ، شجاعا قويا ، وصيادا ماهرا ، وهذا الذي شهره بين العوام ، وعرف بمساعدة الفقراء والضعفاء والإحسان ويلقب بحسن الماهر ، وهو معروف في وسط الأحياء بين عموم الشعب ، وغير معروف لدى النبلاء والسادة الكبار ، فهؤلاء يحيون حياة كلها حفلات وسهرات ورفاهية ، فهم أصحاب الأراضي والحدائق والرياض ، ولا يعرفون أحوال المحتاجين وظروفهم .
وحسن معروف لدى الصيادين سواء صيادين الماء أو البر والغابات ، فهو الفاتك بالضباع والأسود ، وهو الصائد لكل الطيور ، وهو المحترف في صيد البحر.
لم يتزوج بعد ، ولم يرغب فيه ذلك الحين ، الناس تحب الشجاعة والشجعان ، وتمدحها وتمدحهم، وتفخر بها وتفخر بهم . وكثير من رجال الصيد والمراكب يرحبون بصحبته في رحلات الصيد البحرية والبرية ، فهو من أفضل الصيادين وأصبرهم وتحملهم في الجزيرة والديار

والنزهات للغابات والمخاطر والأخطار .
كانت أمه تخشى عليه غدرات الزمان وتقلباتها وحسد الحاسدين ، ومما يعمل ويصطاد من صيد الوحش ، فيقول إيمانا بربه : الموت واحد يا أمي ! ولا بد منه فهل اذا بقيت هنا نجوت منه ؟
أحب الشجاعة والفروسية والصيد سواء في الماء أو الأدغال والغابات والجبال والوديان .
فقالت : ليس لي إلا أن أدعو الله مالك هذه المخلوقات إلا أن يحفظك ويحميك .
قال: بارك الله فيك يا أماه ! وأبقاك لي في صحة وعافية.
ردت : بوركت يا ولدي ! كم أنا في شوق أن أراك زوجا ووالدا.
قال : إن شاء ربي ذلك يا أم الحسن ! سيكون كله بأمره ، وبدعائك يتحقق الأمر

السباق

حين قدم الأمير الحارث بن بجعة شبان الأمراء للأميرة لم تر فيهم رجلا مناسبا ، فهم كل بضع سنين تراهم ينكحون أميرة أخرى ، حب جديد ، طلاق أميرة ، ترمل أميرة .. مع الزمن قد تصبح تعيش مع أربع نسوة ، هذا ديدن الأمراء فوالدها نكح عددا كثيرا ، ولديه أربع سوى الجواري .. يطلق وتأتي الرابعة ، ولولا الشريعة لجمع ما جمع سليمان ﷺ .
لما راجعها الأمير بأمر الزواج بعد استقبالها أكثر من مائة أمير ، اقترحت أن ينشأ سباق بين الأمراء الشبان وعامة الناس ، وتحضره لترى المقدم عليهم ، ويكون زوجها المختار ، يعني القصد رغبتها بزوج من العامة حتى لا يتزوج عليها اذا مد لها في العمر، لا ترغب بأن يكون لها ضرة أو أكثر . بعد مشاورة الوزير ، أعلن في المدينة عن سباق على الأقدام بين الأمراء والنبلاء وشبان من عامة الشعب ، وسيحضره أمير البلاد والأمراء .
وكان الوزير حذرا فقال : أخشى أن يتقدم العامة على الأمراء؛ فيكون ما ليس بالحسبان
قال أمير المدينة : الأمر صعب على النفس .. والتقرب من الشعب لا بأس به .. وهل يتفوق فتيان الشعب على الفرسان والأمراء ؟ .. فهذا يقرب القلوب بين العامة والنبلاء .. تريد زوجا من الشعب كما قلت قبل أيام .. لا تريد أميرا قد يتزوج عليها ؛ كما هو معروف من طبقة الأمراء .
قال الوزير : لنرى .. قد يكون ذلك خيرا من العنوسة أو الزواج من العبيد .

قال : نعم ، إنها تقترب من العشرين .
تقدم شباب النبلاء للسباق الملكي ، وكذلك أبناء الشعب ، وشجع الشباب حسنا الماهر للخوض والتقدم على علية القوم ، بما أنه من الشجعان ، ومعروف عنه السرعة ومسابقة الظباء والخيل والطير ، فهو عندما يصيد ظبيا أو طيرا يسبق إليه قبل أن تنهشه الوحوش والصقور .
وتقدم حسن السريع على كل المتسابقين كما هو معهود عنه ، وفرح رفاقه بتقدمه المتوقع ، وصح توقعهم بتفوقه ، وكسب الهدايا التي قدرت للفائزين ، وصافح الأمير والوزير بهذه المناسبة.
كتبت الأميرة حليمة بنت أمير الجزيرة بعد السباق رسالة للشاب حسن الماهر تبدو إعجابها به عن سائر الفائزين ، وتعجب من سرعته وهيئته ، فقد رأته عن قرب حين تقدم لتحية والدها ووزيره وأبدت له رغبتها باللقاء به سرا ، وأوحت في الخطاب أنها قد تتخذه زوجا .
تلقى حسن الرسالة بواسطة أحد غلمان الأميرة ، وقرأها بتعجب ودهشة ، ودفعها لصديقه الأهم معتز الرملي الذي هتف بدوره متعجبا من بعد الاطلاع عليها، فقال غير مصدق : فتحت لك ليلة القدر .. الأميرة حليمة بنت أمير البلاد أعجبت بشخصك يا حسن! .. وتدعوك للقاء خاص ..عظيم ! ستصبح من الأمراء والنبلاء اذا حدث الاقتران .. آه .. كم ستفرح أمك وأهلك! ليتني حسنا يا أسرع حسن !
لم يقابل حسن فرحة صديقه بسعادة وفرح وحبور ؛ بل قال : أنا قلق من هذا اللقاء!
وقال للرسول : سأرد على الأميرة قريبا . وانصرف الغلام.
ازداد معتز استغرابا من رد حسن وقلقه ، وتحاور الشابان ، وذكرا قصة حب بين أميرة وشاب منهم قبل عهد ليس ببعيد .. كيف تزوج الشاب من الأميرة ؟ ثم غدروا به وقتلوه، لما تغير هوى الأميرة إلى رجل آخر ، واعترض الشاب على فعل الأميرة ، فما كان منها وحبيبها الجديد إلا التخلص منه بإغراقه بحيلة في البحر ، وظهرت جثته للعيان بعد حين يسير ، وتحدث والده أن الأميرة الزوجة خانته وغدرت به بالاتفاق مع عشيقها ، وكان الشاب قد كشف لوالده وعمه الخطر المحدق به ، واضطرت الأسرة لمغادرة الجزيرة إلى جزيرة لفشلهم بتحقيق العدالة ونفيهم من البلاد لطلبهم العدالة .

ذكروا هذه الحكاية التي شاعت في الجزيرة أكثر من غيرها ، وذكر حسن مصير زوج الأميرة ، ورفضه لأي علاقة شائنة لها مع العشاق ، خشي أن يكون مصيره مثل هذا اذا اقترب من الأسر النبيلة وحاشية الأمير والوزير ، وخشي معتز هذا المصير لأعز الأصدقاء، وانشغل قلباهما بهذا الهاجس والمصير المعتم .

فزارا الحكيم شفري المعتكف في صومعته البعيدة عن أهل الجزيرة ؛ كما طلبت منه أمه ، وسماع نصحه ، فذهبا إلى صومعته في جبل كاف الطير الخضر ، وأراه حسن رسالة الأميرة حليمة ، فنصحه الحكيم بالخروج من بلده ، وذكره أيضا بقصة ذاك الشاب وفساد طبقة الأمراء ، وضعف الغيرة بينهم ، والرسالة تدل على ذلك ، وأن هذه الطبقة الحاكمة اذا أعجبت الفتاة بأحد سيبقى مجرد زوج ، وربما



اذا أعجبت بغيره تهجره ، ويبقى بلا زوجة ؛ لأنهم سيمنعونه من الزواج على الأميرة ابنة سيد وملك الديار ، وبين لهما أن بعض الأميرات يرغبن بنكاح أبناء العامة خشية أن يتزوج الأمراء عليهن ، ويصبح لهن ضرة أو أكثر ، أما العامي فلا يسمح له قانون البلاد بالتعدد .. فالملل والفتور يصيبان البشر ، فاقتنع الشاب الصياد بإرشاد شفري عاكف جبل كاف ، وكتب رسالة اعتذار لابنة الملك أمير البلاد ، وذكر عجزه أن يعيش في طبقة لم يتعود عليها ، ولا يحب التقرب من طبقة الأمراء والنبلاء؛ لسرعة تقلبهم وتغيرهم ، وبعثها مع معتز الرملي.

غضب الأميرة

حين قرأت حليمة رسالة الاعتذار استشاطت غضبا وسخطا من صراحة الشاب، فقالت: هذا الصعلوك الحقير يرفض اللقاء بي أنا ابنة الملك ! يا له من حقير ! ولسوف يرى .. فهو يزعم أنه يخاف من النبلاء والأمراء وتقلبهم وتغيرهم .. وهو من العامة حثالة الناس .. الوغد لا يصلح لمصاهرة الملوك والجلوس معهم .. وما هو إلا مجرد كلب صياد . وذكر لها قصة الشاب الذي غدرت به زوجته الأميرة . مما زاد من حقدها وجنونها وقالت لجواريها وقيمتهن: وإنني سأخونه كما فعلت تلك الأميرة .. يا لها من مقارنة بشعة !

وقالت لنفسها :أو ليس هذا ما يحدث في هذه القصور يا

حليمة؟! لا يكاد يمض أسبوع حتى تنتشر فضيحة وقصة .. السعيد من اتعظ بغيره.. لن أقبل هذه الإهانة أيها الصعلوك! سينتشر خبر هذه المراسلة والاعتذار .. لن تقتل كما فعلت تلك الأميرة.. ستسجن حتى يتعفن جلدك وتموت عشرات المرات.. يرفض حبي أنا حليمة بنت الحارث .. يرفض لقائي هذا الصعلوك القذر .. هكذا يكتب ويرد على الأميرة .

لما علم الملك بالمراسلات بينها وبين حسن الماهر غضب والدها منها وعلى حسن ، وطرد معتزا من القصر طردا ، فولى هاربا وهو يخشى على حياته ، وخاطب الأمير ابنته بحدة : ما كان أن تكتبي له .. كان عليك دعوته لمقابلة والحديث معه ؛ فالآن سيقول الناس والنبلاء ابنة الأمير سيد البلاد تراسل شابا عاميا وتزعم حبه .. وتطلب منه زواجها.. أهذا فعل بنات السادة ؟!

تنهدت وقالت بسخط : كنت أظن أنه عندما يقرأ الخطاب ، سيأتي متلهفا ويقبل قدميّ.. فهل يحلم سوقي بنكاح ابنة سيد الجزيرة ؟! أنا ما زلت دهشة من رفضه لي زوجة .. وهو لم يرني في حياته .. ولا أدري هل عرفني يوم السباق ؟!

قال : عليك بالإسراع والتوافق للزواج من أحد أمراءنا يا حليمة!

أما معتز فذهب مسرعا لحسن قائلا : يا حسن عليك أن تخرج من المدينة .. فهم سيقتلونك..

أدرك روحك .. فودع أمك ..ليتك سمعت نصح الحكيم ، ولم ترد كتابة .. أي أدب ينفع معهم

ردد همسا وحيرة : أمي أمي يا معتز !

أجاب معتز : حياتك أهم لأمك من اغتيالك .. سنهرب معا.. ما صدقت ونجوت من غضبة الملك .. فكيف مثلك يرفض لقاء بنت الملك وحبها؟! .. ويذكرها بقصة ذاك القتيل.

قال حسن محتارا : علينا ألا نعجل بالهرب .. ونصبح مطاردين .. وكيف يصح أن ادع أمي الأرملة وحدها .

قال : لا تنسى .. أخوك سعد سيهتم بها أو تتزوج بعد سفرك .

قال حسن : فلماذا تتزوج؟!

قال معتز : الأرامل يتزوجن .

حبس حسن

حضر رجال شرطة الأمير ليلا وقبضوا على حسن بناء على غضب الأمير الملك والأميرة حليمة عليه ، وقيد للحبس مكبلا مقيدا أمام أنظار الجيران ، وعلم الناس بالقصة ،

وانتشرت في المدينة كسرعة انتشار النار في الهشيم والعشب المصفر اليابس ، وزاد حبهم لحسن لما علموا رفضه الزواج من ابنة الأمير الكبير ، وحتى أن كل عزباء صبية تمنت الزواج منه ، وأن يكون حظها وقدرها .

ذهبت الأرملة أم حسن لديوان الأمير الحارث تتشفع في ولدها حسن ، ولم يسمحوا لها بالدخول إلى ديوان الحاكم ، فاتجهت إلى ديوان الوزير الحارث ، فاعتذروا لها عن عجزهم بمساعدتها ومعاونتها ؛ لغضب الحاكم على ابنها وتطاوله على المقام الأميري ومراسلة الأميرة حليمة ، وكذلك نقمة الأميرة وغضبها منه ، حتى افتضحت في البلاد وبين العباد والأميرات وذهبت لقصر الأميرة وبنات الحاكم لتشفع لابنها وتعفو عنه وتصفح ، فرفضت الفتاة استقبالها والترحيب بها حتى ولو وافق وقبل حسن الزواج منها ، خاصة بعد انتشار الخبر بين الناس الكبراء والحقراء ، وأخبرت أن ولدها سيبقى محبوسا حتى يموت .. وقالت إحدى جواري حليمة : هل هناك عاقل يرفض لقاء الأميرة والزواج منها؟!

تذللت أم حسن قائلة : قولي لمولاتك ابني صغير .. شاب طائش .. لا يحسن التفكير . وترجت وبكت لا أحد يسمع ويشفع ، وقضت أياما تتردد على القصور والدواوين دون فائدة ترتجى ، فمشت للقاضي الأكبر ، وشكت ظلم الحاكم وابنته ، فصرفها القاضي بعطف وشفقة ، وعبر لها عن عجزه عن مساعدتها وعونها ؛ ولكنه أعطاها تصريحا وإذنا لزيارة ولدها السجين وقتما تشاء .

استطاع حسن بمساعدة من معتز وبعض الرفقاء الهرب من الحبس بعد شهور قضاها ، وكانت أمه ساعدت بتصريح الزيارة نقل المعلومات لحسن ، وتنفيذ خطة الهروب وترتيب الإخفاء ؛ حيث نقله الشباب نحو البحر ، وركب مركبا أعد لذلك إلى أقرب مدينة أو جزيرة في البحر

وبعد حين رحل إلى مدينة أخرى بأمان .

كان أحد حراس السجن تواطأ معهم عطفا وشفقة ؛ لأنه ابن أرملة مثله ، فأحس بلوعة الأم وحزنها على بكرها وترملها ، وبعد حين أخبر عن اختفاء السجين حسن ، فظنوا أنه هرب من وقت قريب يسير ، وبحث الحرس وقائد السجن وتقصوا ، وأخبر القاضي باختفاء السجين حسن ، وأنكرت أم الشاب علمها بشيء ، وأنها

مشت للسجن لزيارته بعدما أعدت الطعام كالمعتاد فهم يسمحون لها كل أسبوع ونصف برؤيته ، فأخبرت بهربه من سجنه، واتهمتهم بقتله والزعم بهربه ، حتى أعلمها القاضي بحقيقة الأمر، وزعيم العسس أكد هربه وتظاهرت أنها مصدقة زعمهم وقولهم .

علم الملك والوزير وحليمة بهرب السجين فصرخا وصاحا وهددا وتوعدا الهواء ، حث الحاكم زعيم الشرطة على القبض على السجين بسرعة أو حتى قتله ، ومعاقبة المقصرين ، ووضعت الجوائز للإيقاع بحسن، وأنكر حراس السجن معرفتهم بالحيلة التي هرب بها من السجن ، ومن قاموا بمساعدته من الداخل والخارج.

قال الحارس المتواطئ : ذهبت لمحبسه كالعادة لأقدم له الطعام الذي جلبته أمه ، فلم أجده .. لقد اختفى ، وكان قد تناول العشاء في محبسه .

لم يكشف رجال الملك الحيلة إلى التي هرب بها من السجن، وقيل ربما قفز للبحر ، ومضت الأيام دون ظهور بدنه ميتا أو حيا .. وأين ذهب بعد هربه راقبوا منزله حتى يئسوا من ذلك ، وتركوا الأمر للزمن .. والغيظ يملأ أجوافهم وبطونهم .. ونجا حسن من ظلمهم وطغيانهم .



حسن

استقر حسن الماهر في إحدى المدن الكبرى ، وصحبه الصاحب معتز لحين حتى ينسى أمره حكام جزيرة الطيور الخضر كما أعلم حسنا ، واشتغلا صيادي بحر، صيد السمك وحيوانات البحر ، وعملا عند كبير الصيادين في جزيرة السمكة الحمراء الصياد الشيخ سامع ولما عرف الشيخ سامع بعد وقت همتها ونشاطها وشجاعتها أنكحه إحدى بناته ؛ فأصبح صهرا لكبير الصيادين ، وتزوج معتز ابنة أخ سامع شقيق سامع البحار شامخ .

وكان الصياد سامع وبعض إخوته شركاء في الصيد وحملاته البعيدة في أعماق البحر ؛ حيث يغيب عماله أسابيع وشهور في بعض الأحيان ، فهناك الكثير من الجزر والمناطق بكر ، لا يسكنها أنس ؛ وربما جان أيضا ، وقد أبدع حسن ومعتز في الوصول لتلك الجزر البعيدة قبل مصاهرة سامح وشامخ .

وكان سامع شيخ الصيد وشقيقه شامخ في الجزيرة

يصيدان بعض الحملات لولي عهد الملك الأمير الشاب ثعلب ؛ فأصبح حسن ومعتز معروفين للأمير ثعلب بحكم السيد المشترك .

خرج حسن في رحلة طويلة خدمة لسامع والأمير ، تعرض المركب الكبير لعاصفة بحرية وتكسرت مركبهم وضاعوا في البحر ، ومنهم من غرق ، ولم يستطع النجاة من هول العاصفة وأغلبهم نجا ، ورمتهم الأمواج على شواطئ الجزر ، وكان بينهم حسن الذي رماه البحر في جزيرة بعيدة عن جزيرة السمكة ، فتأخر في العودة لخلو الجزيرة من البشر .

استطاع حسن بعدما نجا من الغرق هو وبعض الصيادين ، وبمساعدة صيادين من المدن والجزر الأخرى ، وذلك بعد أسابيع أن يعودوا سالمين لجزيرة السمكة جزيرة الأمير سعيد وابنه ثعلب.

وفرح الناس بعودتهم أحياء بعد أن غلب على ظنهم أنهم من الصيادين الهالكين كما قال الناجون .

وكان أسعدهم معتز رفيق حسن في المنفى الاختياري، وكذللك زوجته ووالدها سامع كبير الصيادين ، رغم حزنهم على من مات ، سعد صهره بعودته واحتفل بذلك ، فقد كتبت لهم الحياة من جديد ، وصنع وليمة ذكرت في تاريخ الجزيرة واستقبلهم الأمير الكبير ، وولي عهده ، وشكر الله على نجاتهم ، ونقله الأمير ثعلب للعمل في مراكبه الملكية مع صيادي الملك والأمير خاصة، وكانت مراكب الملك من أجود المراكب ، وظلت علاقته مع حماه طيبة ، ويرافقه في بعض الحملات ، فصار يعمل للفريقين ، ولما هلك رئيس مراكب الملك عين حسنا الرئيس الكبير ، فصار معروفا لدى طبقة الأمراء ، وصار من حاشية الأمير بلا منازع ، ومقربا من العرش ، فكلما رجع من الصيد يستقبله الأمير وأعوانه ويسمع منه أخبار الرحلة وكمية الصيد وأنواعه

خرج الصياد حسن في رحلة جديدة ، وأثناء هذه الرحلة كان الأمير سعيد وابنه ثعلب في زيارة لجزيرة الطير الخضر ، وخطب الأميرة حليمة بعد أن ترملت التي كانت قد تزوجت أميرا بعد اختفاء حسن الماهر الذي رغبت به زوجا .

ولما ترملت كان الملك سعيد في زيارة لملك بلد الطيور ، والتقى بالأميرة لما أتت مع الأميرات ترحب بالأمير ونسائه ، ولما قدمت له أحب أن ينكحها لولي عهده الذي أبدى إعجابه لأبيه بحسنها

وفتنتها ، ففهم سعيد رغبة ابنه ، فطلبها لولي عهده زوجة ثالثة؛ لتقوية أواصر المحبة بين البلدين ، فرحب الحارث بهذه الرغبة والغايات ، قبلت الأميرة الانتقال لمدينة سعيد .

ولما رجع حسن من صيده الأخير مسرورا بما حمل من السمك الوفير ، وعلم من هي زوجة ولي العهد الأخيرة أصابه قلق وخوف وانزعج ، وخشي على نفسه من حقدها ، ومن عاقبة هربه من سجن أبيها ، وخشي على صداقته وعمله مع صيادي الملك وابنه ، فحدث والد زوجته بقصته القديمة قبل أكثر من عشر سنوات ، وذكره بسبب هجرته ومعتز لهذه البلاد ، فقال البحار مهونا من الأمر ومقللا من الخوف والقلق : أنت لا شأن لك بالأمر !

فقال حسن لمعتز : أعلمت أن أميرنا طلب يد حليمة بنت الحارث .

قال : سمعت وانزعجت مثلك ، وحدثت والد قرينتي بقصة هربنا .

فتعجب من قدر وقدرته ، وقال: لا أعتقد أن يقبل الأمير الكبير تسليم حسن للحارث.. ولا يستساغ فعل ذلك عرفا ومرؤة.

قال حسن : للأمراء والسادة تقاليد سيئة يا صديق العمر .. ما أخبار البلاد؟

قال : قضى موسى أخي ردحا من الحين ضيفا .. ورجع للديار ..

وخشي أن تطول غيبتك .. فدفعت له الهدايا لأمك البطلة الغالية وشقيقك .

قال حسن : أكرمك المولى في علاه .

ذهب ثعلب بن سعيد بحاشية من الأمراء والفرسان والمراكب البحرية الأميرية للزواج من حليمة أميرة بلاد جزيرة الطير ، وبعد زواجه والخلوة بعروسه بأسابيع رجع قافلا بها لبلاده ، وقد رافقها بعض غلمانها وجواريها ، ونزلت القصر الملكي الكبير .

وتقبل الأمير التهاني باقترانه بها من سادة وأمراء جزيرته وأصدقائه من أهالي الجزيرة ، وانشغل بها بضعة أسابيع آخر ، وسارت الأمور دون أن يلتقي خلالها حسن بالأميرة ، وكان حسن حريصا ألا يلتقيان خشية أن تتذكره ، وساعده على ذلك رحلات الصيد المتكررة .

وذات يوم لما دخل القائد حسن بعد رحلة صيد ناجحة استقبله الأمير كالعادة ؛ ليسمع منه أخبار الرحلة ، وكانت الأميرة الجديدة بصحبته واستقباله ، ولما تأملته عرفت من هو القائد حسن فرف قلبها ودهشت ،

وتذكرت يوم السباق عندما تقدم على الجميع ، رجعت بها الذكريات فورا لتلك الأيام للوراء ، وكيف اعتذر عن اللقاء بها ؟ والزواج منها .. وذكرت هربه من سجن أبيها فشاركت بالترحيب به والثناء وجعلت نفسها ؛ كأنها لا تعرف شخصه فهزت رأسها باحتقار، ووجدته محبوبا ومقربا من زوجها ، وأنه مسؤول الصيد عند الأمير ، فأخذت تفكر وتدبر للقضاء عليه والانتقام ، فهي لم تنس الجرح الدامي في قلبها، وأدرك حسن بحسه واختلاس نظرتها إليه أن حقدها وبغضها ما زال في بطنها عليه ، فتوجس خيفة منها ، وفكر بترك خدمة الأمير في أول فرصة تتاح والرحيل لموطن جديد ؛ اتقاء لشرها وغضبها وهمس : ألم تلق بي في السجن ظلما عدونا !

أدرك حسن الماهر أن الأميرة عرفته فور رؤيته ، وأنها لابد أنها تذكرته دون مواربة فانزعج واحتار ، ولم يطل الانتظار والحيرة ، فجاءته رسالة تزعم أنها ما زالت محبة له ، وأن الحب عاد إليها ، وأن هواه لم يذهب من قلبها ،رغم كل هذه السنوات من البعد والفراق ، ولما رأته تجدد الوجد في وجدانها ولواعج العشق في بدنها ، وتود الالتقاء به للحديث والعتاب ، ولتعرف كيف هرب من سجن أبيها ؟ وقد غلب على ظنهم رمي نفسه في الماء المجاور للسجن ، وليصبح من المقربين منها ومن حاشيتها ، وستحقق له كل أحلامه وأمانيه اذا اقترب منها ولما علم الرجل فحوى الرسالة ، اخبر والد زوجته بالكارثة ، فاحتار كبير الصيادين بالخلاص فمصارحة الأمير قد تسيء للأمير والملك ، وغض الطرف خيانة ، والسكوت قد يطول فيتعرضان للأذى والاتهام ، وهرب الشاب تأكيد الأمر ، وترك زوجة وأطفاله ضرر وشر .

اعتذر الشاب للأميرة كما اعتذر قديما ، وأنه يرفص خيانة ولي أمره وصديقه الأمير ، وعليها أن تستسلم لقدرها ونصيبها . فزاد الحقد والثورة في قلب الأنثى ، واستطاعت إغراء أعوان حسن بالخلاص منه ، وأن عليهم قتله أثناء رحلة صيد ، عرف حسن بالكيد ، فلما كان موعد السفر تمارض وتظاهر بالعجز عن القيام بالمهمة ، فكلف بها نائبه ومساعده .

ولما علم ثعلب بمرضه أرسل إليه طبيب القصر والأسرة الحاكمة ، وتبين للطبيب أن مرض حسن خفيف ، ولم يكن بالمخيف والخطير، والمانع من السفر ، فاستغرب الأمير ،

واستدعى كبير الصيادين في الجزيرة، وسأله عن علة حسن ، وسبب تخلفه عن الرحلة ، فاضطر الصياد أن يصارح الأمير ووالده الحاكم بالمؤامرة التي تحكيها زوجته حليمة ضد حسن ، وأن بعض من كلف بها كشفها لحسن ، وأعطاهم رسالة الأميرة لحسن ، وحدثهم عن القصة القديمة التي دعت حسن أن يهاجر لهذه الجزيرة.

ولما اطلع الحاكم والأمير ثعلب على الرسالة القديمة والجديدة صدق القصة ، فجن جنونها على الأميرة ، وغضب ثعلب عليها الغضب الشديد بعد غضب وسخط أبيه ، وصارح الأميرة فأنكرت بشدة ، وقالت : أنا أحب مثل هذه الصعلوك .. وأكتب له هذا .. كذب وجنون!

فروى لها حينئذ قصة السباق والحبس ، وأن والده أرسل رسولا لوالدها ومدينة الطير ؛ ليعرف الحقيقة ، وأنه تأكد من سعيها لقتله ، وإغواء عدد من البحارة بالقضاء عليه .

فقالت : ولماذا أقتله وأنتم تزعمون أني أحبه وأهواه ؟!

صرخ قائلا بغيظ : انتقاما وحقدا !

النهاية

لما علم الملك بهذه الحكاية وصدق حسن وحميه طلب منه تطليقها فورا ، وأن تغادر لبلاد أبيها مع رسول يشرح للملك الأسباب والقصة .

وأمر الملك بنفي حسن ، خشية عليه من الاغتيال من رجال الأميرة نفسها والأمير الحارث بعد معرفتهم بمستقره .

وعجب الصياد من هذا الحكم ، وتفهم غاية الحاكم ورأى صوابها ، وأدرك واستوعب أن حياة صهره في خطر أكثر من الأميرة المطلقة والمطرودة.

وغادر الصياد الكبير بمراكبه إلى جزيرة أخرى ، فقد خشي على حياته وحياة أسرته من غدر الحارث وابنته عندما يعلم التفاصيل كلها ، فرأى الملك سعيد أن هذا أمر جيد حتى لا تلوك الألسن القصة ، وينشغل الناس بأمر الصياد حتى تنسى الحكاية .

ولما علم والد الأميرة بعودتها مطلقة وفضيحتها الجديدة جن جنونه عليها ، وعلى حسن .

وقال: عندما قلت لك تزوجي من الأمراء .. قلت السباق .. أريد شابا من عوام الشعب .. ولما ترملت ضمك الملك سعيد لزوجات ابنه .. وعدت للفضائح ولحسن.

دافعت عن نفسها بقوة وأنها ستطارده حتى يموت ، وستطارده بنفسها ، فرفض والدها هذا الاقتراح والانتقام

وقال : لسنا بحاجة لفضائح جديدة .

وكان لها ابن عم قد ترمل حديثا أثناء وجودها وعيشها في جزيرة السمكة ، فحدثها عنه ؛ فرحبت وقبلت اذا قتل حسنا ؛ ليموت حبه في قلبها ؛ كما زعمت لأبيها والأمير الأرمل ، وكان هذا الأمير يعرف بالقصة التي شاعت قبل سنوات طوال ، ومكاتبتها لحسن الصياد ؛ ليكون قرينا لها في قصة معروفة ، لم ينسها الناس بعد .

قبل الأمير ابن العم شرطها على أن ينفذ القتل بعد الزواج ، رفضت ذلك ، وقالت مستهزئة : لن يحتاج الفتك به لزمان !

رد على تهكمها فقال : أعرف أنك من أحمق النساء !

هاجت قائلة : أنا حمقاء ! لماذا ؟!

قال باسما : لماذا ؟! سأقول لك لماذا ؟ عندما عرض عمي الأمير الحاكم عليك اختيار أمير للزواج منه رفضت بحجة أنك لا تريدين أن يكون لك ضرة كما هو شائع في جزيرتنا .. فأقام والدك سباقا لتري أبناء العامة من الشعب .. ولا حرج في ذلك ؛ إنما الحرج والحمق أنك كتبت رسالة لذلك الشاب : فكان يمكنك أن تستدعيه وتلتقي به مشافهة ، ولما رفض أنكرت الخطاب .. فهذا حمق.. وفعلت ذلك مرة أخرى وأنت غريبة عن أهلك وعشيرتك.. فماذا تسمين كل هذا ؟ وأنا لي ثلاث زوجات .. ماتت واحدة ، وبقيت أخرايتان .. وقبلت بك ليس حبا وغراما بك يا حليمة ! قبلت ضمك لنسائي لحب والدك ذلك .. ثم احتد صوته وهو يقول : ومع ذلك سأزيل حسنا من حياتك خشية أن تريه في يوم ما ويعود الحب المزعوم يا حليمة !

خرج الأمير وغلامه لمدينة الأمير سعيد ، فوجده راحلا ومهاجرا ، ثم تبعه للجزيرة التي رحل إليها ، وسعى للعمل والصيد معهم ، وفطن حسن وحماه للخطر ، فطلبا من أحد الخدم المراقبة له والتجسس عليه .

ولما حاول الغدر بحسن ، تم اعتقاله ، وقدم لملك الجزيرة الملك قبس البرق ، فسفك دمه بعد اقرار غلامه بالمهمة التي جاءوا من أجلها.

ولما علم الملك بمقتل ابن أخيه وتآمره مع حليمة أمر بحبسها حتى تموت ، ورفض الشفاعات فيها حتى يكبر أبناء الأمير ويحكمون عليها ، وقد رفض الأبناء والأخوة العفو والصفح عنها ومكثت في السجن حتى هلكت ؛ كما يهلك كل البشر .. وهذه

حكاية حليمة بنت الحارث ، وقيل ظلت حية حتى بلغت من العمر عتيا ، والله أعلم .



الغاز لأبي يزيد البسطامي

اخبرني عن واحد لا ثاني له

ج: الله ﷻ

وعن اثنان لا ثالث لهما

ج: وأما الاثنان اللذان ليس لهما ثالث فالليل والنهار "وجعلنا الليل والنهار آيتين"

وعن ثالث ليس لها رابع

ج: أعذار موسى مع الخضر وهي غرق السفينة وقتل الغلام وإقامة الجدار .

ج: وقيل : وأما الثالث التي ليس لها رابع فالطلاق الثلاث

وعن أربعة لا خامس لها

ج: وأما الأربع التي ليس لها خامس الفصول الأربعة

ج: فهي التوراة والزبور والإنجيل والقرآن . وقيل الجهات الأربعة

وعن خمسة لا سادس لها

ج: وأما الخمس التي سادس لها فالصلوات الخمس المفروضة

وعن ستة ليس لها سابع

ج: وأما الستة الذين لا سابع لها فالأيام الست التي خلق الله فيها السموات والأرض

وعن سبعة ليس لها ثامن

ج: وأما السبعة التي لا ثامن لها فأيام الأسبوع

ج: السماوات السبعة

وعن ثمانية لا تاسع لها

ج: وأما الثمانية الذين ليس لهن تاسع فحملة العرش يوم القيامة { ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية }

وعن تسعة لا عاشر لها

ج: وأما التسعة الذين لا عاشر لهم فالتسعة الرهط الذين ذكرهم الله في سورة النمل قال تعالى { وكان في المدينة تسعة رهط يفسدون في الأرض }

ج: وقيل معجزات موسى اليد العصا الطمس السنون الطوفان الجراد القمل الضفادع الدم ج: وقيل اشهر الحمل

وعن عشرة ليس لها حادي عشر

ج : وأما العشر التي ليس لها حادي عشر فقوله تعالى { والفجر وليال عشر } ج: وقيل : تلك عشرة كاملة

عن احد عشر لا ثانية عشر لها

ج: وأما الأحد عشر فأخوة يوسف

وعن ثانية عشر لا ثالث عشر لهم

ج: فشهور السنة

وعن ثلاثة عشر لا رابع عشر لهم

ج: وأما الثلاثة عشر فأخوة

يوسف وأبوه وأمه

وما هي العشرة القابلة للزيادة ؟

ج: من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها والله يضاعف لمن يشاء

: وما هي المعجزة المكونة من اثني عشر شيئا ؟

ج: وإذا استسقى موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا

وما هو القبر الذي سار بصاحبه ؟

ج: " فالتقمه الحوت وهو مليم " حوت يونس

وما هو الشيء الذي تنفس ولا روح فيه ؟

ج: والصبح إذا تنفس

وما الشيء الذي خلقه الله وأنكره ؟

ج: إن أنكر الأصوات لصوت الحمير

ومن هم الذين صدقوا ودخلوا النار

ج: اليهود والنصارى {وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ} [البقرة]

ومن هم الذين كذبوا ودخلوا الجنة ؟

ج: إخوة يوسف

وما هي الأشياء التي خلقها الله وليس لها أب ولا أم ؟

ج: الملائكة أدم وكبش إسماعيل وناقة صالح وعصا موسى

وما هي الشجرة التي تشتمل على ثلاثين ورقة في كل ورقة خمس ثمرات ثلاث منها في الظل واثنتان منها في الشمس ؟

ج: الشجرة السنة والغصون الشهور والورق الأيام والثمرات، والصلوات الخمس وهي الفجر والمغرب والعشاء في الظل والظهر والعصر في الشمس.

وعن دين لا يقبل الله غيره

ج: وأما الدين الذي لا يقبل الله غيره

فدين الإسلام قال الله تعالى { ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه }

وعن مفتاح الصلاة وبم تختم

ج: وأما مفتاح الصلاة فالتكبير وتختتم بالتسليم

وعن غراس الجنة

ج: وأما غراس الجنة فسبحان الله والحمد لله ولا اله إلا الله والله اكبر

وعن صلاة كل شيء

ج: وأما صلاة كل شيء سبحان الله وبحمده

وعن أربعة فيهم الروح ولم يكونوا في أصلاب الرجال ولا أرحام النساء

ج: وأما الذين فيهم الروح ولم يكونوا في أصلاب الرجال ولا في أرحام النساء فهم آدم وحواء وناقة صالح وعصا

موسى لما قلبها الله حية

والكبش الذي فدى به إبراهيم ابنه قال الله تعالى { وفديناه بذبح عظيم }

وعن رجل لا أب له

ج: وأما الرجل الذي لا أب له فعيسى عليه وعلى نبينا السلام

وعن رجل لا أم له ولا أب

ج: وأما الرجل الذي لا أم له ولا أب فآدم عليه السلام

وعن حيوان جرى بصاحبه

ج:وأما الحيوان الذي جرى بصاحبه فالحوت الذي سار بيونس في البحر

وعن بقعة من الأرض طلعت عليها الشمس مرة واحدة ولم تطلع عليها قبل ذلك ولا بعده

ج: وأما البقعة التي طلعت عليها الشمس مرة واحدة فارض البحر الذي فلقه الله لموسى ومن معه من بني إسرائيل

وعن شجرة نبتت على إنسان

ج: وأما الشجرة التي نبت على إنسان فالتي أنبتها الله على يونس بن متى قال تعالى: {وأنبتنا عليه شجرة من يقطين }

وعن شيء يتنفس ولا روح له

ج: وأما الشيء الذي تنفس ولا روح له فهو الصبح } والصبح إذا تنفس {

وعن الحكمة في المحو الذي في القمر

ج: وأما الحكمة التي في محو آية الليل والقمر فالله اعلم بأنه لأجل تمييز الليل من النهار ولمنافع أخرى تتعلق بالنبات والزروع والأشجار والثمار

وعن ميت مات ألف شهر ومائتي شهر

ج: وأما الذي مات ألف شهر ومائتي شهر ثم أحياه الله فالعزير عليه السلام قال الله تعالى { فأماته الله مائة عام ثم بعثه }

وعن جبل ارتفع ثم رجع

ج:وأما الجبل الذي ارتفع وعاد فجبل الطور أعاده الله قال الله ﷻ{ وإذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة وظنوا انه واقع بهم

وعن أحب كلمة إلى الله

ج: فكلمة الإخلاص " لا اله إلا الله "

وما الموضع الذي ليس له قبلة

ج: وأما الموضع الذي ليس له قبلة فظهر بيت الله (أي سطح الكعبة)

وعن شيء حل بعضه وحرم بعضه

ج: وأما الشيء الذي حل بعضه وحرم بعضه فهو نهر طالوت قال تعالى { إن الله مبتليكم بنهر فمن شرب منه فليس مني ومن لم يطعمه فانه

مني إلا من اغترف غرفة بيده }

وعن نبي نهى الله النبي ﷺ أن يعمل عمل عمله

ج: وأما النبي الذي نهى الله النبي ﷺ أن يعمل مثل عمله فهو يونس قال تعالى { واصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت إذ نادى وهو مكظوم}

وعن من بعثه الله وليس من بني آدم ولا من الجن ولا من الملائكة

ج: وأما الذي بعثه الله وليس من الإنس ولا من الملائكة ولا من الجن فهو الغراب قال تعالى { فبعث الله غرابا يبحث في الأرض }

وعن نفس ماتت وضرب ببعضها ميت فحيا بإذن الله

ج: وأما النفس التي ماتت وضرب ببعضها ميتا آخر فحيا بإذن الله فهي بقرة بني إسرائيل قال تعالى { فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحي الله الموتى }

وعن كافر لم تأكل الأرض لحمه

ج: وأما الكافر الذي لم تأكل الأرض لحمه فقارون

وعن نفس خرجت من نفس ولا نسبة بينهما

ج: وأما النفس التي دخلت في نفس أخرى وخرجت وليس بينهما مناسبة فهو يونس بن متى ﷺ دخل في بطن الحوت وخرج قال تعالى { فالتقمه الحوت }

وعن انفع كلمة وارفع واحسن كلمة وأزكى كلمة

ج: وأما انفع كلمة وارفع كلمة واحسن كلمة فكلمة الإخلاص " لا اله إلا الله "

وعن جماعة شهدوا بالحق وهم كاذبون

ج: وأما الشهود الذين شهدوا حقا وهم كاذبون فهم المنافقون قال تعالى { إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله والله يعلم انك لرسوله والله يشهد إن المنافقين لكاذبون }

وعن جماعة شهدوا بالحق فادخلوا النار ومن شهدوا عليه وأما الشهود الذين شهدوا بالحق وادخلوا النار ومن شهدوا عليه فالجوارح قال تعالى { حتى إذا ما جاءوها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون }

وعن شيء على الأرض من الجنة

ج: وأما الذي في الأرض وهو من الجنة فالحجر الأسود

وعن صيدين صادهما رجل فحل أحدهما له وحرم عليه الآخر

ج: وأما الصيدان اللذان صادهما رجل فاحل له أحدهما وحرم عليه الآخر فمحرم صاد صيدين من البر واحد

ومن البحر واحد فالذي من البر حرام والذي من البحر حلال

✿ وعن امرأة أوحى الله إليها

ج: وأما المرأة التي أوحى الله إليها فأم موسى : وأوحينا إلى أم موسى أن ارضعيه

❁ وعن أم لم تولد

ج: وأما الأم التي لم تولد فحواء عليها السلام

◉ وعن ماء لم يذكر انه نبع من الأرض ولم يذكر انه نزل من السماء .

ج: وأما الماء الذي لم يذكر انه نبع من الأرض ولم يذكر انه نزل من السماء فالماء الذي نبع بين أصابع النبي ﷺ

☾ وعن كنز من كنوز الجنة

ج: وأما الكنز من كنوز الجنة " فلا حول ولا قوة إلا بالله كما في الحديث.

❁ وعن الأم التي لم تلد

وأما الأم التي لم تلد فمكة المكرمة أم القرى قال تعالى: { لتنذر أم القرى }

✿ وعن ظاعن ظعن مرة ولم يظعن قبلها ولا بعدها

ج: ولا بعدها فجبل طور سيناء قوله تعالى (وإذا نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة ظنوا أنه واقع بهم)

❁ وعن اثنين تكلما في الدهر مرة واحدة فقط ثم هما سكوت إلى يوم القيامة

ج:السماء والأرض {ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ اتْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ }

☾ وعن خمسة مشوا على الأرض ولم يولدوا

ج:ادم حواء ناقة صالح عصا موسى كبش إسماعيل

مصعب بن عمير

ابن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي بن كلاب. السيد، الشهيد ، السابق البدري، القرشي، العبدري ، عن سعد بن إبراهيم سمع أباه يقول: أتي عبد الرحمن بن عوف بطعام فجعل يبكي فقال قتل حمزة فلم يوجد ما يكفن فيه إلا ثوبا واحدا وقتل مصعب بن عمير فلم يوجد ما يكفن فيه إلا ثوبا واحدا لقد خشيت أن يكون عجلت لنا طيباتنا في حياتنا الدنيا وجعل يبكي .

أبو سلمة

ابن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب. السيد الكبير، أخو رسول الله ﷺ من الرضاعة وابن عمته برة بنت عبد المطلب وأحد السابقين الأولين هاجر إلى الحبشة ثم هاجر إلى المدينة وشهد بدرا ومات بعدها بأشهر وله أولاد صحابة كعمر وزينب وغيرهما ، مات كهلا، في سنة ثلاث من الهجرة رضي الله عنه عنه. ولدت له أم سلمة بالحبشة: سلمة وعمر ودرة وزينب.

الأمير جفر

بلعام

ملك ككل ملوك الدنيا لكنه قاسي الملامح شديد الصوت عنيد ، يحب الشهرة والافتخار والمدح من الشعراء والوزراء ، كثير الزواج ورغم كثرة النساء اللواتي تمتع بحسنهن وجمالهن ما انجبن له سوى سبعة من الأبناء ، كثير التحرش بجيرانه



الملوك والأمراء ، وكان له وزير على شاكلته في ذاك الزمان عاشق للارتفاع والمجد ، ولولا قوة الملك فرهود لاعتلى كرسي الحكم من غير تأخير ، وهذا الوزير القوي والشرس حرم من نعمة الذكور ، ولكن الله يسر له فتاة كانت رائعة الحسن والجمال ، فأصبحت حديث الشباب في مدينة بلعام ، وكان هذا الوزير يسمى صغردن بن براغد ، وأقصى ما يخشاه هذا الوزير أن يطلب الملك فرهود بن سرهد ابنته للنكاح ، وهو رجل عجوز مزواج ، وما قضت امرأة عنده أكثر من ثلاثين شهرا .. وكان الملك العجوز يخشى هو الآخر أن يخطب ابنة وزيره فيورده مهالك الردى بالتآمر على عرشه دون حفظ العهد والوفاء للتاج ، رغم ما بينهما من صداقة ودوام عشرة طول كل هذه السنوات الطوال .

فهما يحسبان حساب بعض أشد الحساب ، وكان أولاد الملك يحثون أباهم على تزويجهم ، فأصغرهم أصبح مؤهلا للزواج ، فأقسم والدهم أن لا يزوجهم إلا من سبع أخوات أميرات من بنات الملوك ، ولو حتى من بنات ملوك الجآن والشياطين ، فشق الأمر على الأبناء السبعة فاجتمعوا يوما وقالوا : أبونا لم يمت ، ونحن ننتظر زواله من سنوات ، وكبرنا في السن أيها الاخوة وكلنا يرغب بالزواج ، وأبونا لا يريد تزويجنا إلا من سبع أخوات أميرات ، فعلينا بالبحث عن هؤلاء الأميرات ، فلن نجدهن ما دمنا نائمين هنا .. فعلينا بالسير في بلاد الله الواسعة نسأل ونمشي حتى نحقق مطلب أبينا .. علام ننتظر !

فوافق الجميع على هذا الرأي ، واخبروا الملك فرهود بذلك ، فأمرهم بالعجلة في غايتهم والعودة سريعا بهؤلاء الأميرات ، ومنحهم المال والخيل ، فغادروا المدينة مع انبلاج الفجر ، وهم حائرون فيما يفعلون وإلى أي الجهات يتحركون ، فمشوا نحو الغابة .

وفي أول غابة واجهتم جلسوا يستريحون في ظلال شجرة عملاقة ، ومدوا سماط الأكل وبدأوا يبلعون ، وفجأة هبط عليهم من أعلى الشجرة

رجل فحياهم بالسلام والأمان وقال : يا أولادي! أشركوني في طعامكم والكلام ، فإني رجل خبير وغريب ، فلما سمعت صهيل وحمحمة خيولكم خفتكم فعلوت أغصان هذه الشجرة ، فلما سمعت بعض حديثكم أدركت أنكم لستم لصوصا وقاطعي السبيل، فاطمأنت روحي إليكم فهبطت عليكم .

فرحبوا به وأشركوه في قوتهم ومائهم ، ولما كف الجميع عن المضغ والبلع قالوا : يا شيخ الخير، نحن سبعة أخوة ، وحلف والدنا يمينا عظيما أن لا يزوجنا إلا بسبع بنات أخوات أميرات .. أسمعت بملك من ملوك الدنيا عنده أولئك البنات بما أنك خبير .

راح العجوز بصمت طويل ، ثم قال لهم : أنتم أمراء أيها السادة أليس كذلك؟

قالوا : بلى .. فنحن أبناء الملك فرهود بن سرهد ملك بلاد البلعام .

فقال الشيخ الكبير : سأرشدكم على شيخ كبير أمضى سبعين عاما في السفر من مصر إلى مصر حتى هرمت قدماه فأغلب الظن أنكم ستجدون حاجتكم عنده .

فقالوا : نرجوك دلنا عليه يا شيخ الخير .. أين نجده ؟

فقال : مسيرة يومين وتكونون على قمة جبل غمران ، فعلى قمته كوخ صغير يأوي إليه هذا الشيخ العظيم .. بعد اجتيازكم هذه الغابة العظيمة تجدون الجبل فاصعدوه حتى تروا كوخ الشيخ العظيم مردود على قمته ، وعلى الله اعتمدوا

وأمضوا ليلتهم في الغابة وقبل شروق الشمس انطلقوا إلى جبل الشيخ مردود ، وبعد مسير طويل أصبحوا بين يدي الشيخ يشكون له همهم وغمهم ، فرحب بهم وسمع حديثهم ، فوعدهم بعد الارتياح من النصب والألم بتحقيق المراد ، وأنه سيرشدهم إلى ملك من ملوك الدنيا وهبه الوهاب سبع فتيات جميلات يخجل من حسنهن القمر ليلة كماله .

ولما كان الصباح أخبرهم شيخ الجبل مردود عن ملك تبعد بلاده مسيرة شهرين من الزمان لديه هؤلاء النسوة ، وهو ملك جبار قلبه أقسى من حجر الصوان ، وقد بنى لكل أميرة قصرا خاصا بها ، فيه من الخدم والحشم والحرس؛ ولكنه سمح لهن بالاجتماع كل ستين يوما في قصر إحداهن ثلاثة أيام ، ومنعهن من الزواج لنبوءة كاهن أثير عنده قال إن زوال ملكه على يد حفيد من بناته ، فأجاز لهن التمتع بخيرات الدنيا إلا الزواج ، وختم شيخ الجبل كلامه قائلا : فهذا الملك الوحيد الذي سمعت بأن عنده سبع بنات أميرات في رحلة

العمر التي مررت بها .. فإن وصلتم لتلك البلاد قد تتحقق رغبة أبيكم .. وهذا الملك يسكن في مدينة جلفار القريبة من بحر النار .. فإليها أسرعوا

ودع الشباب الشيخ مردود بعد أن أخذوا منه وصف الطريق المرشد والمسلوك لتلك المدينة ، فاجتياز هذه المسافات لن يكون هينا سهلا .. فلابد أن يتعرضوا للخطر والصعوبات ، فما دخلوا إحدى المدن التي في طريقهم حتى كانوا بحضرة ملكها الذي استجوبهم ، فقصوا عليه حكايتهم ورغبة أبيهم بتزويجهم سبع أخوات أميرات من بنات الملوك والملكات ، فأكرمهم وزودهم بالطعام والغذاء ، وأطلق سراحهم وهو يتمنى لهم الظفر بمقصودهم ، وبعد مسيرة شهر من الزمان وبينما هم في إحدى الغابات تعرضوا لخطر اللصوص ؛ ولكن سيوفهم البواتر أدت الواجب الذي عليها ، وما نجا من اللصوص سوى كبيرهم الذي هرب بعد أن ترك يمنيه في ساحة القتال ، وتابعوا المسير وما بقي للوصول إلى بحر النار سوى أيام ، وفي أحد الكهوف المطلة على مدينة جلفار اختفوا خوفا من عيون الملك شعفاط ، يفكرون ويخططون في حيلة يصلون بها للحسناوات ، فاتفق أن ينزل أحدهم للمدينة يسمع أخبارها، ويعود إلى الكهف قبل حلول الظلام ، وإذا لم يعد يهبط غدا غيره بحذر شديد ، وبعد معرفة أخبار المدينة والملك شعفاط يضعون خطة العمل والاتصال بذلك الجبار شعفاط بن مطاط ، وتطوع أحدهم بالنزول للمدينة ، وبالفعل سقط صباحا على المدينة ، وتنقل بين الأماكن شرقا وغربا ، وشاهد الناس واستمع لأحاديث الناس ، واشترى الطعام وعاد لأخوته دون أن يحس به أحد من أهل المدينة ، وقال لهم : إن حديث أهل المدينة اليوم وما قبله من الأيام عن حزن الملك شعفاط لوفاة ولده البكر الذي سقط ميتا أثناء تبارز الفرسان ، فهم يحتفلون بموسم الفرسان وعيد الفرسان .. فقد سقط الفتى عن الجواد فخر ميتا ، وعيد الفرسان هذا يستمر خمسة عشر يوما يتبارز فيه الفرسان الجدد مع القدامى وأفرس الرجال يلحقون بفرسان الملك ضمن كتيبة الحرس الملكي ليقوموا بحراسة قصور الأمراء والأميرات والملكات .

فقال الأخ الأصغر الأمير جفر : بما أنكم تقرون بقوتي رغم صغر سني ، وتعلمون حبي للفروسية فدعوني أشارك هؤلاء الناس بهذا العيد لعلي اتصل بالأميرات ، وأدبر معهن أمرا يسر القلوب ، وأشجعهن على الهرب معنا ، ونخلصهن من القيد والوثاق .

وبعد تشاور وتدبير وجدوا أقواله معقولة وأفكاره

مقبولة ، فنزل أخ آخر منهم للمدينة جلب لهم طعاما وأخبارا وثيابا يلبس مثلها أهل هذه البلدة ، ولما رتبوا أمرهم سقط جفر على جواده المدينة كعابر سبيل ، وكان يتزيا بمثل ملابسهم ، وسكن في فندق كبير فيها ، وسأل عن المبارزة والمقاتلة ، وادعى أمام صاحب الفندق وخدمه أنه قادم من بلاده للمشاركة في هذا العيد ، وعلم أن الملك يسمح لأي شخص مهما كان مسقط رأسه بالدخول في هذه المنافسات والعمل في حرس السلطان ، فانطلق جفر لساحة التحدي ودون اسمه عند كاتب ديوان الفروسية ، ثم أذن له بإظهار مهارته ، وبعد عدة جولات من الاستعراض تقدم إليه عدد من الفرسان ؛ ولكنه أظهر تفوقه عليهم ، ولم تكد تنقضي الأيام الأخيرة من موسم الفرسان حتى كان مؤهلا ليكون أحد الفرسان الجدد الذين سيخدمون ضمن كتيبة الحرس ، وبعد تدريب يسير على صفة الخدمة في القصور ألحق بأحد قصور الأميرات ، وجاءت قسمته ضمن حرس الأميرة الصغيرة التي ما كادت تراه ضمن حرسها الجديد حتى تعلقت به ، وانجذبت إليه كانجذاب الحديد إلى المغناطيس ، ثم سمحت لنفسها بالحديث معه وإرساله في مهمات إلى قصور أخواتها ، ولما سنحت له الفرصة كشف لها أمره وأمر أخوته ، فعجبت من جراءته وشجاعته ، وبعد تفكير عميق قالت له : سأكلم أخواتي بهذه المغامرة ؛ ولكن كن حذرا من عيون مولانا الملك .

وكان الأمير جفر على اتصال مستمر مع إخوته الستة ، ولما حل زمن اجتماع الأميرات المضروب لهن من قبل والدهن ـ وهو اللقاء والاجتماع كل ستين يوما مرة في أحد قصورهن ـ فحدثت الأميرة الصغيرة أخواتها بمجيء أولاد الملك فرهود وسعيهم للزواج منهن ، وبعد تشاور خافت بينهن رضين بالفكرة وبالزواج من الأمراء السبعة ، واتفقن أن تكون الكبيرة للكبير والوسطى للأوسط والصغيرة للأصغر وهكذا، وتركن أمر ترتيب الهرب للأميرة الصغيرة والأمير جفر ، وسر الأمير جفر برضا الأميرات على هذه المغامرة الخطرة ، ولكن حبهن للحرية والخلاص من الأسر غير المباشر دفعهن للدخول في هذه المغامرة الخطرة مهما كانت النتائج ، وأخبر جفر اخوته بموافقة الأميرات على الهرب والمخاطرة ، وبدأ الإعداد لعملية الهرب والخروج من مدينة جلفار دون معرفة الملك شعفاط بن مطاط .

ذات يوم أرسل الملك في طلب الأمير جفر ، فقلق الفارس والأميرة لهذا الطلب ، وخافت الأميرة عليه من القتل والغدر ، فشجعها على الصبر ودخل على الملك شعفاط وحياه ، فكان الملك

يرقبه بدقة وعمق وتفكير ثم قال : ما أخبار الأميرة يا جفر؟!

فرد وهو يقوي نفسه : بخير يا مولاي الملك !

فقال الملك : علمت بأنك تكثر من الحديث والجلوس معها .

فقال : ما أنا إلا حارس لها يا مولاي .. فعندما تطلبني لا يسعني إلا الإجابة .. لا أستطيع الرفض ؛ فإنك تغضب عليّ بعد غضبها.. وما أنا إلا جندي مطيع في خدمة سيدي الملك!

قال الملك محذرا : أيها الشاب احذر منها وإلا الموت لك.. لا تنس أنك إنسان مغمور لا تصلح لمصاهرة الملوك .

فقال جفر مظهرا الرعب : ومن يجسر على التفكير بمثل هذا أيها الملك السعيد ؟! .. فما أنا إلا خادم عندكم .

فقال الملك : أحسنت أيها الشاب على هذا التفكير العاقل ..اخبر أميرتك أنني سأقوم بزيارة للملك نمرد بن أسدان لمدة أسبوعين من الأيام.. فاحرص على المحافظة على أميرتك كل الحرص .. لأنني علمت بأن خطرا يتربص بها .

فقال بكل قوة : سأكون عند ظن مولاي الملك بي

فقال الملك : عد إلى عملك بسرعة .

عاد الفارس الصغير جفر إلى القصر ، وكانت الأميرة على أحر من الجمر، فكانت تقف على الشرفة تراقب عودته ، فلما رأته مقبلا على جواده هدأت نفسها وعادت إليها السكينة ، وقد اطمأنت على فارس أحلامها جفر ، وبعد أن تحدث مع قائد الحرس ، وتفقد الجنود المسؤول عنهم ، ونبههم إلى الذي يشير إليه الملك ، دخل غرفته، فجاءته الأميرة لتعلم الغاية من طلب الملك له فأخبرها بما جرى ، فقالت: إن العيون علينا يا جفر! ما رأيك بأن نعجل بترك المدينة قبل عودة أبي من رحلته للملك نمرد .

فقال : إنني أفكر بالأمر منذ فارقت الملك ، وسأدبره مع اخوتي عندما التقي بأخي فرد .

فقالت : إنني أيها الفارس الجميل ما عاد لي صبر للبقاء محبوسة هنا بعدما رأيتك يا فارسي الجميل !

وضع الاخوة خطة للعمل والهرب أثناء غياب الملك شعفاط ، ترسل الأميرات رسائل لأبيهن أو رسالة يبدين فيها رغبتهن بقضاء بضعة أيام في حدائق قصره الخاصة لسماع الأطيار ورؤية الأزهار والأشجار وذلك خلال فترة سفره ، فقامت الأميرة الكبرى بمخاطبة الوالد بذلك ، فرحب بذلك وأذن لهن بالاجتماع في قصره أثناء غيابه والتمتع بما فيه من بساتين وحدائق وجمال ونعم ، ولما تحدد سفر الملك وبدأ الاستعداد للرحلة ، ذكرت الأميرات والدهن برغبتهن

فأخبر قيم القصر بالسماح لهن بالتنزه في الحدائق الجميلة ، وسمح لهن بالبقاء فيهن سبعة أيام بعد سفره ، سافر الملك وجاءت الأميرات لزيارة الحدائق الغناء بالخيرات في ضحى أحد الأيام ، فاستقبلهن الحرس الملكي وقيم القصر ، وأمروا حرسهن بالعودة إلى قصورهن، وأن يعودوا بعد سبع ليال لمصاحبتهن في العودة لقصورهن ، وكانت الخطة أن يهربن بالليل من أقصى طرف الحدائق بعد ليلتين من وصولهن .. يتحركن بعد نصف الليل إلى أقصى الحدائق بحجة الرغبة بمشاهدة آخر حدود الحدائق .. وهناك يكون جفر قد تمكن من وضع سلم لهن ، والخيل في انتظارهن ..وفي غفلة من الحرس والعيون ، وفي ذلك الوقت المتأخر من الليل تحركن للمكان المقصود .. وكان جفر الشجاع قد جهز السلم فصعدن عليه واحدة واحدة ثم نزلن للجهة الأخرى وركبن الخيل ، وقادهن جفر وفرد للمدينة متخفيات ، ومنها للكهف السري في قمة الجبل ، وعاد جفر للمدينة ومعه الخيل ، وترك الخيل في اصطبل ، وعاد لقصر الأميرة على أنه الحارس الأمين ، في الصباح علم نائب الملك باختفاء أخواته السبعة من حدائق الملك ، فعجب لهذا الاختفاء الغامض، وأعتقد أنهن تعرضن لخطر جسيم ، فأمر بالتفتيش عنهن واضطربت المدينة ، وانزعج الناس لهذه الكارثة والحادثة الغريبة ، هل خطفن أم هل هربن ؟!

انتشر الحرس في الجبال والغابات ، وأرسل أحد الفرسان وراء الملك شعفاط الذي غضب غضبا لا مثيل له ، مما دفعه أن يقطع الزيارة ويعود للمدينة بأسرع وقت ، واجتمع بالوزراء والأمراء وسمع منهم الحكاية فذهل للأمر وصاح قائلا : أنا شعفاط بن مطاط يعتدى على بناتي ويخطفن أثناء غيابي .. هل أصبحت ملكا عجوزا لتسرق بناتي وأنا حي ..!!

ولما هدأت ثورة غضبه قليلا تجرأ أحد الوزراء وقال له : أيها الملك السعيد .. لا أعتقد أن أحدا يجرؤ على خطفهن .. فلم يسمع الحرس صياحا وصراخا وبكاء ليلتها .. لابد أنهن هربن طواعية يا مولاي .. إنهن سبع ..

فقال الملك : هذا ما يقوله عقلي أيها الوزير إنهن متواطئات على الهرب !.. لقد دبرن أمر الاجتماع هنا ليهربن معا ..ولكن هناك مؤامرة .. لا يمكن أن يهربن بدون تدبير مع آخرين .. من سخر من عقولهن وأوقعهن بهذه المصيبة ؟!

قال الوزير : صدقت أيها الملك .. مع من تآمرن ؟! .. لم يختفِ أحد الأمراء ولا الفرسان .. وعلى كل حال ما زال الجنود منتشرين في كل مكان .. والبحث عنهن قائم على قدم وساق .

انقضى أسبوع كامل ولم يعثر على الأميرات ،

وتعرض حرس الأميرات للتحقيق والمسألة؛ ولكن دون فائدة تذكر ، الكل لا يدري .. فالأختفاء كان في قصر الملك نفسه ، وهذا يدل على تدبير محكم ، فعندئذ أعلن الملك شعفاط أمام فرسانه وجنوده أن كل من وجد أميرة حلت له قرينة ، فتقدم جفر من الملك ، وعرض عليه خدمته ، وأن يأذن له بالمشاركة في البحث عن الأميرات ، ولن يعود للبلد قبل أن يعرف خبرهن، فسر الملك لحماسه وأذن له بذلك مع سائر المتحمسين ، فخلع جفر ملابس الفرسان ، ولبس ملابس العامة ، وتزود بالطعام والشراب متظاهرا أمام زملائه الفرسان أنه مهتم بالبحث الجاد عنهن طمعا بالزواج بواحدة منهن ، وانطلق في رحلة البحث والتفتيش عن الأميرات الهاربات ، ودخل الكهف السري في قمة الجبل وأخبر الجميع بما جرى ، وأن الجنود عادوا لمعسكراتهم وهم حائرون في صفة اختفاء الأميرات السبعة مرة واحدة .. ومن استطاع الهرب بهن وإخفائهن ؟ وبعد حين ذهب فرد للمدينة ، وأتى بالخيل من الاصطبل الذي استأجره جفر ، وركبت كل أميرة على جواد ، وبدأت رحلة العودة إلى بلاد البلعام ، وبعد مسيرة شهر ، وبينما هم قريبون من إحدى الغابات اعترضتهم مجموعة كبيرة من اللصوص ، وطلبوا منهم التخلي عن السلاح والمال والنساء ، وكان زعيم هؤلاء اللصوص الرجل الذي نجا منهم أثناء رحلة البحث عن الأميرات السبع، فصاح جفر فيه: أيها اللص اللعين ذو اليد المبتورة ألا تعرفنا نحن الذين قطعنا يمنيك آنفا ؟ .. فإني لك ناصح اهرب اهرب أنت وجماعتك قبل أن اسحب سيفي من غمده .

ضحك اللص ضحكا تردد صداه في كل الغابة وقال : أنتم إذن خصومي! .. فيا مرحبا .. يا مرحبا .. هذه فرصة للانتقام .

أمر جفر أخوته بالاستعداد للقتال مع هؤلاء الأوباش ، وكلف اثنين منهم بحراسة البنات ، وتقدم الخمسة متعاضدين متراصين نحو اللصوص ، وكانت ملحمة دامية ، خمسة فرسان يصارعون ما يزيد عن عشرين لصا وسفاحا .. وبعد ساعة من الزمان كانت جثث اللصوص تتمدد في المكان وهرب من استطاع الهرب ، وكان من جملة الهاربين زعيم اللصوص ، فقال أحد الأخوة : لقد نجا اللعين مرة أخرى .

وضمدوا جراحهم مسرعين وقالوا : لنتحرك من هذا المكان قبل حلول الظلام وقبل انتشار الأسقام ولكن جفر البطل أصيب ببعض الجروح المؤلمة ، فمرض منها مرضا شديدا لم يستطع منه متابعة المسير معهم، ولم يعد يستطيع الجلوس على ظهر الحصان، فطلب من أخوته أن ينقلوه إلى أقرب

مدينة ، ويستأجروا له منزلا يأوي إليه مع زوجته الأميرة الصغيرة ، ويستمروا هم في مسيرهم للوطن ، وبعد نقاش وافق الأخوة على أفكار جفر الذي قد يطول مرضه ، ونزلوا في مدينة صقر وبقيت معه زوجته الأميرة الصغيرة ، وسار الأخوة طالبين بلادهم .

ولكن اللص ذو اليد المقطوعة بعد أن ضمد جراحه هو الآخر، تتبع الأخوة لينتقم



منهم ويوقع بهم ، فقد دخل على أحد الملوك ، واشتكى إليه أمر هؤلاء الفرسان ، فتمت محاصرتهم والقبض عليهم ، ولما حضروا بين يدي السلطان وكشفوا له نسبهم احتار في الأمر كيف يصدقهم ؟

فقال بعد تفكير : سأرسل رسولين ، أحدهما إلى بلعام يأتينا بخبركم ، والثاني لجلفار حتى تطمئن النفس لكم ، ويمكث هذا الرجل المقطوع اليد تحت يدنا حتى يرجع الرسولان بالخبر اليقين .

الرسول الذي سار لبلعام عاد قبل الرسول الآخر ، وقد جاء بأخبار غريبة، وأكد أن للملك فرهود سبعة أبناء خرجوا يبحثون عن سبع أميرات ولم يعودوا بعد ، وأخبره أيضا بأن وزير فرهود تمرد عليه ، واستولى الوزير صغرد بن براغد على الحكم ، وسجن الملك في سجن عميق حتى الموت ، ولما سمع الأمراء هذا الخبر طار صوابهم ، وقالوا هائجين : هذه خيانة كبيرة والخائن لابد أن يلقى جزاءه !

ونترك القوم ينتظرون الرسول الذي ذهب لمدينة جلفار ، ونعود للأمير جفر بن فرهود ، استمر السقم معه شهرا من الزمان ، ثم أخذ في التعافي شيئا فشيئا ، ولما تكاملت العافية سار بزوجته الأميرة نحو بلعام ؛ ولكنه أخذ طريق جبل غمران لزيارة الشيخ العجوز ، ولما وصل إليه وجده ما زال على قيد الحياة ، فقص عليه قصتهم منذ فارقوه حتى الزواج من بنات شعفاط ، ثم سأله عن أخوته هل مروا عليه أثناء عودتهم ، فاعلمه بأنه لم يرهم منذ فارقوه سائرين لبلاد جلفار ، فقلق جفر لذلك ؛ وظن أنهم ساروا نحو بلدهم مسرعين ، وبارك له الشيخ عروسه ، ثم ودعوه ومشوا حتى وصلا الغابة التي مر ذكرها في أول القصة ، عندما التقوا بالرجل الأشيب وأرسلهم لشيخ الجبل ، ومشى الأمير إلى الشجرة التي جلس وأخوته عندها ، فوجد عندها رجلا فسلم عليه ، وعلم أن الرجل من مدينة بلعام ، ففرح جفر وسأله عن المدينة وأهلها وعن الملك فرهود فقال الرجل بحزن : أيها الغريب الملك فرهود اليوم يقبع في قاع السجن .. لقد أصبح أسيرا عند الوزير صغرد

الذي توج نفسه ملكا على البلاد .

صدم جفر بهذه الأخبار فقال بصوت مبحوح : أيها الرجل أتعقل ما تقول وتتكلم؟! .. اصدقني القول .. ما هذه الأخبار التي أسمعها منك ؟

فقال الرجل : أيها الفارس الجميل ! .. إنني لا أكذب عليك .. ولكني أراك متأثرا جدا من الحال ..هل أنت من أهل البلاد وكنت في سفر؟!

فقال جفر : اخبرني بالأمر مفصلا ؟ وسأقول لك من أنا عندما اطمئن لحكايتك .

فعاد الرجل يقول : القصة أيها الفارس .. إن الملك فرهود طمع بالزواج من ابنة صغرد الفتاة الصغيرة ، فرفض أبوها لسن الملك ، ولشباب ابنته الساحرة .. وسمعنا أن الملك غضب على الوزير ، وأراد خلعه عن الوزارة ، وكان للوزير أعيان وجنود فاستعان بهم على فرهود ، وحدثت معركة عنيفة بين أنصار الرجلين ، وتم على أثرها اعتقال الملك فرهود ، ونبذه في أحد السجون أو الآبار العميقة .. ومن سوء نصيب الملك أن أولاده السبعة خرجوا من البلاد يبحثون عن زوجات أخوات أميرات ، فتملك الوزير وأعلن نفسه أنه الوريث الشرعي للعرش ، وبواسطة رجاله وأنصاره وجنوده المخلصين تخلص من جنود الملك ، فاضطر أكثرهم للهرب في الجبال خوفا من بطش الوزير وأعوانه .. وما زال التوتر قائما سائدا في المدينة، والصراع على العرش مستمرا ، وكان الوزير قد غرر بأحد القادة أثناء الفتنة ووعده بتزويجه من ابنته إن تغلب على الملك وأعوانه ، وما زالت المشاكل قائمة بين الوزير وهذا القائد ، فالقائد يطالب الوزير بإعلان هذا الزواج ، والوزير يماطل ويؤجل حتى تستقر أحوال البلاد والعباد.. فهذه حكاية مدينتنا أيها الفارس الجميل.

استمع الأمير لهذه الحكاية ، وبعد برهة من الصمت قال : أيها الرجل وأولاد الملك السبعة لم يعودوا من رحلة بحثهم؟

فقال الرجل بحزن : للأسف لم يعودوا لحتى الآن ، ولا أحد يعلم إلى أين ساروا ؟

فقال جفر : أتعرف أبناء الملك أيها الرجل لو رأيتهم ؟

فقال الرجل : نعم ، أعرفهم ، لقد كنت أعمل في أحد بساتين الملك فرهود قبل حبسه .. ولقد صدف أن رأيت بعضهم ، وإن لم يكن ذلك كثيرا لانشغالي بحديقة صاحب التاج فرهود بن سرهد ..ليتهم يعودون سالمين..لعل الحال تتغير ويعود الهدوء والسلام إلى المدينة بعد هذه المحنة والموت الذي أصابها .

فقال جفر بهدوء وهو يضع عينيه بعيني الرجل البستاني : أتعرف جفر؟ فأنا جفر بن فرهود بن

سرهد حاكم هذه المدينة .

وتعانق الرجلان وقال الرجل : لقد شعرت بأنك جفر ابن سيدي ومولاي الملك فرهود .. ولكني خشيت أن أقول ذلك وأصارحك به قبل أن تفوه به أنت ؛ لأنك خرجت مع إخوتك وعدت وحيدا ، بل سألتني عنهم فخشيت أن تكون شبيها له .. فصبرت نفسي حتى أسمع ذلك منك فمرحبا أيها الأمير .

ـ إذن عرفتني أيها الرجل الطيب أريد أن أتصل بأعوان الملك فرهود .. كيف يمكنني ذلك ؟

ـ نعم ، يا سيدي ..علينا بإخراج الملك من سجنه ..أيها الأمير سأدخل المدينة وآتيك برجل كبير منهم .. واحذر الدخول قبل أن ترى أعوان وأنصار أبيك .. في الليل نجتمع تحت هذه الشجرة المباركة التي جمعتنا عن غير ميعاد .. وأما عروسك الجميلة ؛ فإذا أحببت أن استضيف عروسك في بيتي افعل .

ـ لا بأس وليس الآن عندما اجتمع برجل والدي الرجل المهم .. أفعل بعون الله .

عندما اشتد ظلام الليل أوقد الفارس نارا يصطلي بنارها هو وحليلته ، وقبل نصف الليل كان

الرجل المهم يجلس مع ابن مليكه ، فعرفه جفر إنه القائد رال فقال جفر : ما الأمر أيها القائد ؟!

قال الرجل : الحمد لله حمدا كثيرا لأنك لم تدخل البلدة .. وأهلا بك أيها الفارس .. لقد دهشت عندما ذكر لي فاجي إنك بغابة السباع .. فتنكرت وهرعت إليك .. ماذا حدث لكم لقد طالت غيبتكم ؟! .. فاستفرد الغادر صغرد بالملك بعد أن أمال قلوب كثير من ضعفاء القادة نحوه .. فخلع الملك الشرعي ، بل حبسه في جب عميق ، وقتل كثيرا من القادة والأمراء المخلصين ، ونجوت بفضل وقدر من الله ، وظنوا أني ميت وما عدت على قيد الحياة ونصب الغادر نفسه ملكا على بلاد البلعام .

قص جفر على القائد قصته واختفاء إخوته ، ثم تساءل : هل وصلوا للوزير فأخفاهم أو تخلص منهم أم تعرضوا للقتل في بلاد أخرى ؟! .. ولكن من المهم الآن استرداد الملك والقضاء على الخونة .. ثم نفكر في أمر الأخوة ..ما العمل أيها القائد العظيم المخلص ؟

أجاب رال : هناك الكثير من الجنود والقادة والأمراء هربوا إلى أعالي الجبال .. سأتصل بهم وأخبرهم بوجودك .. فسوف نحشد ونجمع الجنود ، ومن ثم ندس بين جنود الوزير خبر عودتك ، فمن لم يهرب وينضم إلينا سيتردد في القتال ضدنا .. وأكثرهم الخوف يمنعهم من التمرد .. ولكن كيف سأراك واجتمع بك ؟

ـ سيكون فاجي البريد بيننا .. سأترك الغابة وأنزل

في طرف المدينة في أحد أكواخ الفقراء وأرسل إليك فاجي .

ساروا نحو المدينة ، فدخل رال المدينة على حصان جفر ، وقاد خلفه حصان الأميرة ، وسكن جفر في كوخ خال من أكواخ الفقراء الذين ترك أكثرهم المدينة نحو مدن أخرى هربا من آتون الحرب والفتنة التي عصفت في البلدة ، ولما عرف فاجي مسكن ابن الملك دخل لقلب المدينة مع الفجر ؛ ليكون البريد بين القائد رال والأمير جفر .

انتشر في المدينة بعد حين من الزمن هرب كثير من الجنود الذين انضموا للوزير الملك ، صعدوا للجبال ، وعلم الملك صغرد بذلك فتعجب من الأمر .. فقال لوزيره : ما الخطب أيها الوزير سمعت من بعض الحرس أن الجنود تترك الجيش وتصعد للجبال ؟

رد الوزير القائد : أسمع وأرى مثلك ؛ ويقولون إن أبناء الملك فرهود عادوا أحياء ويطالبون بعرش أبيهم بعد هذا الغياب الطويل .

أخذ الملك يضحك ويضحك ثم صاح : ولماذا لم تقبضوا عليهم ؟!

رد القائد الوزير بسخرية : قلت لك إنني أسمع مثلك .. نحن لم نر أولاد فرهود .. قد تكون خدعة من خصومنا .. ليدب الوهن في جنودنا ..

جلس الملك وقال : أيها القائد الأمر خطير! .. والخطر عليّ وعليك وعلى كل المخلصين لنا .. فعلينا أن نتصرف بقوة وفطنة .

وجاءت رسالة للوزير المغتصب العرش من الأمير جفر تدعوه لحقن الدماء والتخلي عن العرش ، والتوبة ، وإخراج الملك من حبسه ، وإعادته للحكم مقابل الحفاظ على حياته ، وحياة أنصاره ، والسماح بخروجهم من البلد سالمين وإلا الحرب الضروس ، وإن دارت الحرب بين الفريقين فلا سلام إلا بموت أحد الطائفتين ، كان الوزير المغتصب في خوف وقلق شديدين لانتشار الهرب في صفوف جنوده عندما سمعوا بعودة أولاد الملك ، ولم يبق حوله إلا المقربون ، وأخذ السكان يغادرون البلدة هاربين للجبال أو الانضواء تحت جيش الأمير جفر ، فتشاور الملك مع القادة ، ولإغراء القائد الذي أصبح وزيرا لصغرد قال له : أيها الوزير سأزوجك من ابنتي سلاد إذا ساعدتني على المحافظة على التاج فوق هامتي .. وخلصتني من هؤلاء الأنذال الأوغاد .

فضحك الوزير القائد وقال : هذا العرض سمعته من قبل أيها الملك! فكلما يشتد عليك الخطر تقول لي ذلك .. فاطمئن أنا سأقاتل ليس من أجل ابنتك.. سأقاتل من أجل نفسي فإما حياة وإما موت .

تبسم الملك صغرد : يعجبني ذلك الكبر فيك !

وأنا لم أقصر معك ، فقد جعلتك وزيري وسوف تكون صهري أيها الباسل .

كثر أعوان الأمير جفر لما عرفوا أن ابن الملك سيقودهم لإنقاذ البلاد من الغاصبين ، فاجتمع الأمير في حشد كبير منهم ، وخطب فيهم حاثا لهم على الصبر عند اللقاء ، والاستعداد لأخذ الثأر من الوزير الغادر وأعوانه ، ولما كمل استعداد الجيش زحفوا نحو قلب المدينة بقيادة الأمير جفر والقائد رال ، وقامت معركة كبيرة في وسط المدينة راح ضحيتها آلاف الجنود والفرسان ؛ ولكن النصر في النهاية كان حليفا للأمير وجنده ، فلقد انتصر جنود الملك على خصومهم، وهرب قادة صغرد الذين لم يقتلوا أثناء العراك ، وحوصرت قصورهم ، وذهب صغرد في اللحظات الأخيرة إلى سجن الملك فرهود وقبل رجليه قبل يديه ، فعجب الملك الهزيل من هذا التصرف ، وظن أن الندم عصف بفؤاد وزيره فقال له : ويحك ماذا تصنع أيها الخائن اللئيم ؟!

فقال وهو يبكي : مولاي الملك كلي ندم وحسرة !.. أنا أصاب عقلي خبل عندما رفضت تزويجك من ابنتي .. ساعة جنون أيها الملك السعيد! .. ابنتي سلاد حليلة لك على أن تعفو عن جرمي الكبير .

ازداد الملك المخلوع عجبا من أقوال وزيره المتكبر المتغطرس منذ شهور، فعاد يردد : ما الخطب أيها الغادر اللئيم؟!

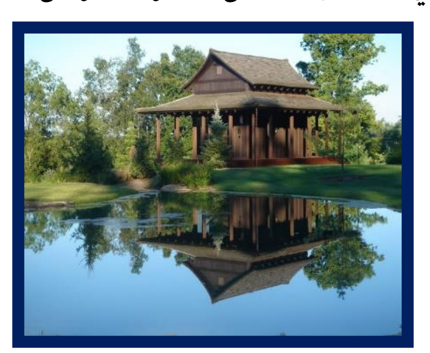
ازداد الوزير بكاء ونحيبا وقال : العفو عند المقدرة أيها الملك! .. لقد ندمت وسأذهب بك لتجلس على عرش آبائك.. وسأبقى هنا مكانك في هذا الجب حتى تعفو عني .



وصاح الوزير الملك بالسجانين بأخذ الملك فرهود إلى قاعة العرش ، وقبع مكانه في السجن ، وأوصاه على ابنته إذا قرر التخلص منه ، ورغبه باتخاذها قرينة له .

استسلم جنود وأعوان الوزير الذين لم يهربوا للملك فرهود والأمير جفر ، فنبذ أكثرهم في السجون والآبار ، وقتل بعضهم تشفيا وانتقاما ، واستقر الملك الجبار على كرسي الحكم من جديد ، فأزهق الأرواح حتى هدأت نفسه من كثرة القتل والتعذيب ، ولما عاد الهدوء للمدينة بعد هذه الفتنة التي مكثت أكثر من سنة ، وغسلت المدينة من الدماء التي سالت في أحيائها وشوارعها ، وأهلك كل القادة الذين ناصروا صغرد إلا من هرب ونجا بجلده حتى لم يبق إلا صغرد رئيس الخيانة، ثم عين الأمير باعد وزيرا للملك ، وجعل رال كبير قادة الجيش والعسكر وكان فرهود سعيدا بولده

جفر، وكلفه بالقيام بالبحث عن إخوته ، فأوصى والده على زوجته الأميرة ، وصحب معه صاحبه زاد في رحلة البحث عن الأخوة المفقودين .



اخوة الأمير جفر

وبعد مسير وسؤال علم أنهم في مدينة خماس عند الملك جلاد بن وداد ، فدخلا المدينة يتسمعان الأخبار ، فتأكد له أن إخوته في ضيافة الملك جلاد ، فكتب رسالة على لسان والده الملك فرهود وقال لرفيقه : سأذهب بها للملك .. وإذا لم أعد حتى الليل فعد لبلعام ، وأخبر مولاك بالأمر يا أخي زاد وتركه في الخان وسار إلى قصر الملك ، وأعلم الحرس أنه يحمل رسالة من الملك فرهود بن سرهد ، فأدخلوه على الحاكم ، وأخذوا الرسالة وقرأوها وعلموا ما فيها ، ثم قال الملك : أيها الرسول .. إنك كاذب .. فنحن نعلم أن الملك فرهود في السجن ، وأن الملك عليها اليوم وزيره صغرد .. وهذه رسالة غير مختومة بختم الملك .

تبسم جفر وقال : كان هذا الذي ذكرت ، ولكن الأمور عادت لنصابها ، فقد عاد فرهود سيدا وملكا على البلاد ، وصغرد يقبع اليوم في أعمق سجن في المدينة جزاء خيانته .. وأنا الأمير جفر بن فرهود جئت بنفسي لتطمئن على سفارتي ، وتعفو عن إخوتي .. ولك أن تتأكد من صدقي أيها الملك

قال جلاد : أنت الفارس جفر .. مرحبا بك في بلادنا .. هل تعلم أنه جاءتني رسالة من ملك جلفار يطلب بناته السبعة واعتقالكم ، وأنه في الطريق إلينا .. فما العمل الآن ؟

فقال جفر : وكيف علم الملك شعفاط بن مطاط بوجودهن عندك؟ لقد تركنا بلاده وهو لا يعلم أين هربن ؟!

فروى جلاد القصة ، فقال جفر في النهاية : حسنا أيها الملك .. الرسول هو الذي كشف الأمر للملك شعفاط .. سأرسل لوالدي ليمدك بالجنود حتى نسوي هذا الأمر مع شعفاط .

واجتمع الأمير جفر بإخوته ، وبشرهم بقرب الفرج ، وقص عليهم عودة فرهود للحكم من جديد ، وأخبرهم أن الملك شعفاط قادم الينا ليستلمنا من الملك جلاد

علم فرهود بالخطر المحدق بالأولاد المحبوسين في مدينة خماس ، وما يتهددهم من خطر غزو شعفاط ، فأمر القائد الكبير رال بالمسير بجيش كبير إلى تلك المدينة لإنقاذ الأمراء والعودة بهم وصل شعفاط بن مطاط بلاد الخماس ، والتقى

بالملك جلاد ، وطلب منه البنات والأولاد الخاطفين ، فتقدم الأمير جاد بن فرهود وهو الابن الأكبر فقال : يا ملك الزمان أنا جاد بن فرهود ملك مدينة بلعام .. وهو إليك قادم اليوم أو غدا .. فهل لك أن تسمع حكايتنا قبل نشوب القتال بيننا ؟!

وقص عليه جاد قصتهم منذ خروجهم من المدينة سعيا وراء سبع أميرات أخوات للنكاح منهن رغبة في تحقيق مطلب والدهم ، فبحثوا هنا وهناك حتى أرشدوا لبناته ، فلما علموا بعدم رغبته بتزويجهن اضطروا للهرب بهن بعد اتفاق بينهم وبرغبتهن السبعة ، وهذا سبب خروجهن خفية وحثه على الرضا بما جرى ، وأن العفو والصفح خير من إراقة الدماء وإزهاق الأرواح ، والصلح خير من العناد ، فغضب شعفاط غضبا قويا لما سمع آخر الكلام ، واحمرت عيناه حتى أصبحتا مثل الجمر ، وأبى إلا أن يأخذ البنات والأمراء السبعة وإلا دمر المدينة على أهلها ، وبينما هم يتفاوضون جاءت الرسل تعلن وصول جيش فرهود بقيادة القائد المعروف رال .

فقال جلاد : يا ملك الزمان .. أنا عندما أرسلت رسولي لبلادكم أرسلته مستفسرا لنتأكد من صحة ادعاء الأمراء ؛ ولكنه وقع في أيديكم فاعترف بالغاية التي دخل بلادكم من أجلها .. فحبستموه ، وجاءني رسولكم فأكدنا له سلامة البنات وخطر تسليمهن علينا من الملك فرهود ولما انتهت المراسلات أقبلتم علينا بجيشكم .. وها هو جيش فرهود حل بديارنا .. فأرى يا ملك الزمان أن تبارك هذا الزواج .. فهو خير من القتل والقتال يا ابن الكرام .

فصاح شعفاط وقال : أنا لا تخيفني جنود الدنيا كلها .. أنت ملك جبان !.. جئت بنفسي إكراما لك أيها الجبان لاستلامهن وترفض .. أتخاف فرهود أكثر منا ؟!.. فلسوف ترون الحرب أيها الجبناء .

وخرج لمعسكر جيشه غاضبا ومعه حاشيته ، وقال الملك جلاد بعد انصرافهم : كل هذا من اللص اللعين .. نحن قريبون من بلاد البلعام .. وبلاد الجلفار بعيدة عنا .. فهم لا يستطيعون حمايتنا باستمرار .. فما ترى يا وزيري ؟.

فقال الوزير : هذه محنة كبيرة .. فشعفاط ملك جبار .. وفرهود لا يقل عنه قوة وطغيان .. ومصلحتنا مع أقرب المدن إلينا .. فبلاد جلفار تحتاج لوقت طويل للاستعانة بها في الدفاع عنا من غزو الملك فرهود .. فلنضغط نحو الصلح وليكن ضغطنا لصالح الملك فرهود .

أرسل جلاد وراء الأمير جفر واطلعه على جلية الأمر ، فقال جفر : لا تخافوا فنحن معكم .. سأدبر

الأمر مع الملك شعفاط .. فهو والد زوجاتنا..
فالأمر ليس سهلا بالنسبة لكم ولنا .
فقال الملك كالمستغيث : تصرف أيها الفارس فإنك ذكي .
التقى جفر وأخوته بالقائد رال وكان لقاء الأحباب ، وأرسل الأمير جفر صديقه زاد لمعسكر شعفاط يطلب منه الاجتماع لحل هذه القضية في قصر جلاد بن وداد ، فأرسل شعفاط وزيره لقصر الملك ، فاستقبله ابن وداد وجفر ، فلما رأى الوزير جفرا صاح دهشا : ويلك ! ألم نتقابل من قبل ؟ .. من أنت أيها الفارس ؟
تبسم الفارس لدهشة الوزير وقال : أنا الأمير جفر بن فرهود صاحب بلاد البلعام وزوج ابنة الملك شعفاط بن مطاط .
فقال الوزير : أظن أنني رأيتك قبل هذه الساعة .. أليس كذلك أيها الفارس ؟!
اتسعت ابتسامة جفر وقال : بلى .. لقد رأيتني أيها الوزير الطيب .. لقد كنت ضيفا عندكم في بلادكم .. وتبارزت مع كثير من فرسانكم .. وكنت حارسا على قصر الأميرة الصغيرة شلا .. هل تذكرتني الآن أيها الفارس ؟
فراح الوزير يضحك ويضحك ، ولما هدأ قال : أجل أجل ..الفارس الأمين الذي تعهد بالبحث عن الأميرات المخطوفات طمعا بالزواج منهن..
فأنت إذن الذي هربهن أو أقنعهن بالهرب من قصر والدهن .. إنك مغامر جريء وفارس لا يستهان به .. لن نتفاوض أيها الفارس عليك أن تقابل الملك .. وسأساعدك لأنني أحب الشجاعة والأقدام والمغامرات .
فقال جفر : حقا ما تقول أيها الوزير!
قال الوزير : نعم ، أيها الفارس .. وهل سيجد مولانا خيرا منك فارسا لابنته ؟ .. أنني أتذكر يوم رأيتك تبارز فرساننا وتجندلهم عن خيولهم يوم عيد الفرسان .. لقد كنت فارسا صنديدا سأدبر لك الأمر مع الملك .
قال جفر من الفرح : تكون خير وزير في الدنيا .. وتكون قد صنعت خيرا عظيما وجنبت الناس ويلات الحرب والموت .
قص جفر على الوزير تفاصيل القصة ، وعاد لسيده الملك شعفاط وقص عليه الأمر ، فسكت الملك طويلا ثم قال : أليست هذه خدعة ومكرا تعرضنا لها ؟
قال الوزير : هو ما تقول ؛ ولكن لم يكن أمامهم للوصول للأميرات إلا بتلك الحيلة .. ولولا رغبة البنات بالزواج بهم ما وافقن على المخاطرة .. وهذا من حقهن .. ولا تصغ لنبؤات الكاهن بل هذا حل لكل الهواجس التي يلقيها الكاهن في أذنيك من خطر البنات على الملك فها هن تزوجن في بلاد

بعيدة جدا عن بلادنا .. فلماذا الحرب ؟! .. وإذا صممت على القتال .. فنحن مستعدون له حتى آخر جندي .. وإنني لك ناصح ومطيع .. واعلم يا سيدي أن بناتك لن يجدن خيرا من هؤلاء الأمراء الأخوة السبعة .

فقال الملك : هذه أول مرة أحس فيها بالضعف!.. إن جفرا فارس قوي وشجاع ومقدام .. لقد شاهدته يوم عيد الفرسان ؛ كأنه سبع الغاب وظننته من أهل المدينة طامع في المراتب الرفيعة .. أيها الوزير لابد من رؤيته ورؤية البنات قبل حسم الأمر .

فرح الوزير لنجاح وساطته بحقن الدماء ، ومباركة الملك زواج بناته والخلاص من وهم خطرهن على العرش والملك ، فأرسل حاجبه للأمير جفر والملك جلاد ليطلعهم على ما بذل الوزير من جهد لإقناع شعفاط ، وأن الملك يرغب بالحديث مع جفر والبنات .

وسار جفر وحيدا للقاء الملك شعفاط ، فلما رآه نهض قائما عن كرسيه وقال : أهلا بالفارس الحارس الأمين .. ما الذي فعلته بنا أيها الشجاع ؟

قال جفر : كان يا مولاي لابد من الحيلة والشجاعة لتحقيق المرام .. وما زلت الحارس الأمين ومحافظا على الأميرات السعيدات .. فيا سيدي الملك أرجو أن تقبل اعتذارنا .. والزواج حق لكل مخلوق يدب على الأرض .. وإرادة الله أن ساقتنا لبلادكم ..ولولا رضا الأميرات وشجاعتهن وتعاونهن ما تمكنّا من السير بهن إلى هذه البلاد .

فعاد الملك للجلوس وقال : لابد من الاستسلام لكم يا أولاد فرهود لقد هزمتموني ، ولكن لابد من رؤية البنات وسماع كلمتهن الفصل .

فقال جفر : سيأتين لرؤيتكم أيها الملك العظيم.. فإني أرجوك أن تتلطف بهن وتحسن إليهن أما شلا فهي في بلعام .. فإن أحببت أن تراها سأرسل وراءها ولكنكم قد تتأخرون لبعد المسافة بين البلدين .

قال الملك : نسمع ونرى الموجودات .

أرسل الأمير جفر وراءهن ، فحضرن يسلمن على والدهن ، وهن يبكين ويعتذرن ، فقال لهن وقد رق قلبه لهن : لا تكثرن البكاء أنتن اللواتي وافقتن على ترك العز والجاه أم ترغبن بالعودة إليه .

ولكنهن اخترن البقاء مع أزواجهن ، فودعهن الملك بغضب وعتب ، وأوصى عليهن الأمير جفر ، فوعده خيرا ، وتمت المصالحة ، وفرح الملك جلاد لهذه النهاية الطيبة ، وأولم لهم الطعام ، وبعد ثلاثة أيام انصرف كل ملك وأمير لبلاده ، وقدم الملك جلاد اعتذارا لأولاد الملك فرهود ومشى جفر والأمراء والقائد رال والجند نحو بلادهم ، وهنا

دخل الحسد إخوة جفر على ما أعطي من قوة وذكاء ونفوذ ، فاتفقوا على الخلاص منه قبل الوصول لبلعام خشية أن يصبح ملكا عليهم بعد موت الملك فرهود .

وأحس الأمير جفر بما في صدور إخوته نحوه من الحسد والحقد والغيظ ، وعجب لذلك ، ولم يستطع أن يفعل لهم شيئا ليردعهم ؛ ولكنه أخذ الحيطة والحذر من غدرهم ، وصارح صديقه زاد بما يشعره من خطر الأخوة ، وأن الغيرة قد تكون قاتلة .

وزاد هذا الصاحب له قصة قديمة يعلمها جفر قبل خروجه مع إخوته من بلعام للبحث عن الزوجات الأميرات ، حثه جفر على الصبر حتى تعود الأمور لم كانت عليه قبل فتنة الوزير صغرد ، ولما علم زاد بما يحاك لصديقه جفر تألم ، وقال هو لجفر : فلنترك إخوتك يتآمرون عليك ولنسرع لنلحق بالجيش ؛ فإنهم يحبونك ، ولن ينال أخوتك منك شيئا وأنت في قلب الجيش .

قال جفر : لا ، بل أرقب ما يكيدون به . . ليس من الفطنة أن تظهر أحقادنا وحسدنا بين الجنود ولا أريد أن يكبر الصراع بيننا فيحصل انقسام بين الجنود . . عليك بمراقبتي والابتعاد عني لأنظر ما الذي يريدون فعله ويدبرونه .

فأعلن زاد أمام الأمراء رغبته باللحاق بالجيش الذي كان يتقدمهم بأيام قبل دخولهم المدينة ، وانطلق على جواده واختبأ ببعض الطريق حتى مر عليه الأخوة السبعة ونساؤهم ، وأصبح خلفهم وهو قلق على صديقه من الغدر والحسد والقتل غيلة ، وقد كان الأمير جفر وعده بالزواج من الأميرة سلاد ابنة الوزير الغادر ، رغم طلب الملك فرهود الزواج منها ، وكان يرى أنه لن يساعده في ذلك سوى جفر فإن ذهب جفر ذهبت سلاد ، فهو أمله في تحقيق غايته ، فحياة جفر مهمة بالنسبة له الآن، وكان يقول لابد أنها خائفة ومضطربة وأمرها سيئ ، فهي مختفية عند أمه العجوز حتى يتيسر لهما النكاح .

جفر لم يطلع على الخطة المبيتة لاغتياله ، وكيف سيتخلصون منه ؟ ولكن بحسه المرهف أدرك ذلك ، والذي شجع إخوته على الاتفاق على قتله ما فعله من استرداد عرش والدهم والتفاف الشعب حوله ، ومغامرته بنفسه للوصول إلى الأميرات وغير ذلك من الأمجاد مما يؤهله للجلوس على كرسي الحكم دونهم ، فحصلوا على السم ، وقرروا أن يسقوه له في كأس شراب وبمراقبته لهم عرف الأمر ، وفي ذات ليلة قدم له الشراب المسموم ، وكان قد أكل عشبة تبطل مفعول وتأثير السم الذي أسقوه إياه ، وتظاهر بالموت، فبكوا عليه أمام نسائهم ، ودفنوه في كهف

بدون تراب ، ثم تابعوا مسيرهم مسرورين بما فعلوا ؛ وكأنهم لم يفعلوا شيئا خطيرا ، فلما ابتعدوا عن الكهف ، وأخذوا نساءهم منصرفين نحو بلادهم ، مكث زاد عند جفر حتى استفاق من غيبوبته ، وشرب الماء واسترد صحته ، وقال زاد :
أرأيت ما أقسى قلوب البشر أيها الصديق ؟!
فقال جفر : الحسد أيها الصديق ! ألم يكفر إبليس حسدا لأدم ؟ ألم يقتل قابيل هابيل حسدا ؟
قال زاد مقتنعا : معك حق !
فقال جفر : لقد أدركت أنهم سيضعون لي السم عندما نزل فرد للمدينة على غير العادة ، ومن أجل هذا تبعته خفية ، واشتريت من نفس المكان عشبة تبطل مفعول السم على أن يظهر عليّ الموت ، ويضعف نبض القلب .. والحمد لله لقد نجحت الحيلة .. وسندخل المدينة يا زاد متنكرين على شكل حطابين .
نترك الأخوة سائرين نحو مدينتهم بلعام ، ونعود لبلعام قليلا ، فلما خرج الجيش لمساعدة أبناء الملك في محنتهم ، أحضر الملك فرهود الوزير بين يديه وهو مكبل بالحديد والقيد ، فقال شامتا ساخرا :
كيف ترى نفسك الآن أيها الوغد ؟
فقال بذل وانكسار : أنتظر جزائي .. انتظر الموت أيها الصديق القديم!
فضحك الملك عاليا ثم قال : أيها الوزير أحضرتك لأطلب يد ابنتك منك .. ولعلي بعد النكاح أن أشفق عليك .. فأطلق سراحك.. فاذهب مع الجنود الأشاوس ، وأعلمها برغبتي ، وأحضرها للقصر بعد أن تحسنوا زينتها لتدخلوها عليّ بأحسن الحلي والثياب ، فالأميرة سلاد لا تصلح إلا أن تكون زوجة للملوك .
وسار الوزير على ظهر حمار ومعه الجنود إلى منزله ، وطلب زوجته التي أخبرته بهرب الأميرة منذ زمن فصاح : كيف هربت أيتها المرأة ؟!
قالت : خرجت يوما لتحاول إنقاذك ولم تعد .
فقال : أين الخدم والحرس؟
فقالت : انصرفوا ولم يبق إلا أنا .
فصاح : ولماذا بقيت ؟!.. أيها الجنود عودوا بي للملك .
ولما سمع الملك بذلك انزعج ، وكاد أن لا يصدق ، وسمع الوزير يقول : مولاي!.. جدها، وهي لك بدون شرط وقيد .. هي جارية لك .. اقتلني أيها الملك .. ما عاد للحيات عندي طعم حتى ابنتي خانتني وهربت .
فطلب الملك من وزيره باعد أن يفتش عن الأميرة سلاد ، وبينما الملك ووزيره مشغولان بالبحث عن سلاد عاد الجيش ، ودخل رال على الملك ، واعلمه بما جرى في مدينة الملك جلاد بن وداد ، وأن الأمراء سيصلون قريبا ، ومعهم زوجاتهم

فسر الملك بهذه الأخبار .
وصل الأولاد وزوجاتهم الستة ، ولم يكن بينهم جفر ، ولما أخبروه بموته المفاجئ صدم وحزن الملك ، وأعلن الحداد في البلاد ، فعجب الناس والجنود ، فسارت شائعات بين الناس أن الأخوة تخلصوا منه وغدروا به ، ووصلت هذه الشائعة لأذن الملك فطلب أولاده ، وقال لهم بشدة : كيف تتركون جثة أخيكم بكهف للوحوش ؟!
وأمرهم بإحضار الجثمان ، فذهب ثلاثة من الأخوة وعدد من الفرسان والخدم للإتيان بالجثة ودفنها في المدينة ، ولما عادوا رجعوا من غير جثة ، ولم يجدوا له أثرا حتى لثيابه وملابسه ، وحتى سلاحه الذي دفنوه معه كعادتهم في بلادهم، فقلق الأخوة من الأمر ، وأقنعوا أنفسهم بأن الوحوش أكلته ، وأن الرعيان سلبوا سلاحه مع اقتناعهم التام لو أن الحيوانات أكلته لتركت شيئا من ثيابه ، فغضب الملك عليهم وعلى استهانتهم بجثة أخيهم ، وتعذروا بعدم دفنه بحفرة عميقة بالعجلة إلى اللحاق بالجيش الذي سبقهم بأيام .
مضت الشهور وانتهى حزن الشعب على الأمير الشجاع الذي يقطن المدينة متنكرا هو وصاحبه زاد على هيئة حطابين ، مرض الملك مرضا ، ظن الناس أنه مشرف على الهلاك ، فحث الأمراء والوزراء الملك على تعيين وريثا له على الملك حتى لا يتنازع الأخوة التاج ، وتنقسم البلاد وتحدث فتنة بين العباد ، فجمع الملك أبنائه الستة وأمام الأمراء والأعيان قال لهم : أتسمعون بمدينة النحاس ؟
فقال بعضهم : نعم ، أيها الملك السعيد .
فقال الملك : عند حاكم وملك هذه المدينة سيف عجيب .. فمن استطاع منكم الحصول عليه قبل الآخرين فهو عليكم ملك .. هل سمعتم أيها الأبناء ؟ .. هل سمعتم أيها الأعيان ؟ .. من يجلب السيف العجيب من بلاد النحاس أولا فاجعلوه عليكم ملكا .. انصرفوا من عندي .
خرج الأبناء من قاعة العرش وهم في غضب شديد لمطلب أبيهم الجديد ؛ ولكنهم بعد نظر وتدبر رأوه حلا مناسبا ، سمع الأمير جفر بمطلب أبيه أمام الأمراء والوزراء ، فطلب من رفيقه زاد بالمسير معه في هذه الرحلة ، كان الأمير جفر خلال مدة اختفائه قد خبأ وأخفى زوجته الأميرة الصغيرة ، فظن الناس أنها هامت على نفسها حزنا على موت زوجها فاختفت ، وكان الأمير زاد قد تزوج هو الآخر من الأميرة سلاد سرا ، فودع كل واحد منهما زوجته وانطلقوا إلى مدينة النحاس ، فمر جفر على شيخ الجبل ، وسأله عن مدينة النحاس ، وكيف الدخول إليها فقال الشيخ الهرم : أحسنت يا ولدي بحضورك إليّ .. إني أعرف هذه

المدينة كما أعرف غيرها من المدن العظام .

وقص عليه جفر قصته ، وما صنعه به أخوته من الغدر واللؤم ، وهم يعتقدون الآن بموته فعقب الشيخ قائلا : ما أسوأ الطمع والحسد !! .. اعلم يا ولدي أن هذه المدينة في وسط البحر البحر المالح .. وتبعد عنا عشرين نهارا .. تقطع جبل غمران هذا من قمته حتى تصل البحر ، وتركب إلى تلك المدينة فهي جزيرة في وسط البحر ، وسميت مدينة النحاس لأنها محاطة بسور من النحاس، وأكثر أبنيتها من النحاس ..فعندما تصل إليها ستجد على مدخل المدينة الرئيسي أسودا عظيمة .. فعليك أن تصطاد من البحر سبع كلاب بحر .. وتطعم كل أسد واحدا منها وبعد أن تأكل الأسود الكلاب السبعة ، يأذنون لك بالدخول ولا يصيبونك بأذى ، ولا تدخل حتى لا ترى على الأرض شيئا من اللحم .. وليكن هذا الأمر بالنهار ، ثم ادخل أيها الفارس وامش حتى تصل إلى قصر كبير في وسط المدينة وادخله بسرعة ،ولا تجلس فيه، ولا تتكلم مع أحد حتى تدخل قاعة العرش، فستجد الملك جالسا على عرشه ، وفوق رأسه السيف العجيب معلقا ، فخذه واخرج مسرعا ، إياك أن تكلم أحدا واحرص على أن لا يدركك الليل داخل القصر ، فهؤلاء الناس الذين تراهم في الشوارع في النهار لا يتكلمون ولا يفعلون شيئا وكذلك سكان القصر ، وعند دخول الليل بقليل تعود إليهم الحياة .. فاحذر أن تبقى في المدينة لليل أيها الفارس .. انصرف راشدا ولينتظرك صاحبك عند البحر، وفي اللحظة التي يراك فيها يجب أن يكون القارب مستعدا للابتعاد عن أبواب المدينة .

ودعا له الشيخ بالتوفيق ، وشكراه على نصيحته وخبرته ، وبعد أيام كانا عند البحر ، واستأجرا قاربا من أحد الصيادين في المنطقة ، ومشيا على متنه نحو الجزيرة القائم عليها مدينة النحاس ، وخلال مسيرهما كانا قد صادا سبعة كلاب بحر، فوصلوا للجزيرة بدون مشاكل وعواصف ، وربطا القارب على الشاطئ ، وقبل شروق الشمس التالي لوصولهما قدما الطعام للأسود وصبرا حتى أتمت الوحوش أكل الطعام ، ولم تبق منه شيئا ، فاندفع جفر سريعا نحو وسط المدينة حيث القصر الملكي ، وكلما سمع نداء أو صوتا لا يلتفت إليه حتى وصل القصر .. ودخل مسرعا حيث قاعة الملك ، فوجد فيها فتاة ترحب به وهي تقول : مرحبا بالفارس جفر !.. الفارس المتنكر بشخص حطاب .. أنا في انتظارك من مائة سنة .. كلمني أيها البطل الشجاع .. أنقذني مما أنا فيه من الأسر والهوان .

لم يتكلم جفر عملا بوصية الشيخ ، ودخل وتناول

السيف عن رأس الملك ، وخرج مسرعا رغم استغاثات الفتاة ، وما ترك القصر ووصل البحر حتى كان الظلام يخيم على المدينة ، فركبا القارب وقفلا عائدين ، وبعد حين كان الصياد في انتظارهما على نار ، فدفع لهم ثمن القارب الذي أخذه ضمانا لقاربه ؛ ولكن جفر وهبه له ، وكان قد نقده الأجرة سلفا ، وشكراه ، وصعدا الجبل حيث الشيخ ، وبعد أيام كانا عنده فهنأنهما بالسلامة ، وسمع الحكاية ، وتناول الشيخ السيف وأخرجه من غمده وهو يقول : أتدري ما هذا السيف يا أمير جفر ؟

أجاب الأمير : كلا .. فإنه سيف قصير لا يصلح للمعارك الكبار ..

ضحك الرجل العجوز وقال : هذا سيف مسحور! .. فإذا هززته جاءك سبعة من ملوك الجآن كل ينتظر أمرا من مالك هذا السيف بالقتال ونهض الشيخ وهز السيف بقوة وجلد ، فأضاء المكان من بريقه الخاطف، وكان بين يديه ملوك الجآن يصرخون : ماذا يأمر مولانا صاحب السيف الأزرق ؟

فقال الشيخ : أيها الملوك العظام .. أصبحتم تحت سيطرة الأمير جفر بن فرهود .

فقال أحدهم بقوة : نحن تحت إمرة حامل هذا السيف في كل وقت وحين .

وأدخل الشيخ السيف في غمده فاختفى الملوك السبعة على الفور ، وقال : أرأيت يا جفر ؟ وماذا ستفعل وقد ملكت السيف السحري وأبوك يعلم بأنك ميت ؟

فقال الأمير جفر : قل لي ما أفعل يا سيدي الشيخ ؟؟

فرد الشيخ الهرم قائلا : اكشف أمرك .. ولا تخش إخوتك .. ثم بعد ذلك اكشف أمر السيف .. ولن تجد إلا ما يسرك .. وسيجعلك والدك العجوز وريثا له .. وأنت تستحق ذلك أكثر منهم لسعيك الكبير في استرداد تاج والدك مع السلامة .

وودعا شيخ الجبل ، وسارا إلى المدينة ودخلاها وهم يلبسون لباس الفرسان في المدينة .. وكل من يراهما يقول لمن يجاوره : أليس هذا الأمير جفر ؟ ألم يقولوا إنه مات ؟

فيبتسم لهم جفر ويقول : بلى ، أنا جفر بن الملك عدت إليكم بعد غياب .. مت ثم بعثت .

تكاثر الناس حوله وهم يهتفون باسمه ويحيونه ، ويشكرون الله على عودته سالما حتى وصل الصياح والضجيج إلى القصر الملكي ، وخرج الوزير لينظر سبب هذه الضجة ، وهذا التجمهر فحدثه الحرس بالسبب ، فتعجب وعاد مسرعا للملك المريض وهو يقول باستغراب : هذا جفر! .. قد عاد من

موته يا مولاي! .. ألم نقم الحداد عليه ؟!
فقال الملك : لقد كان عندي إحساس قوي أنه حي ، وأن مكر أخوته به فشل ، ولما اختفت الأميرة شلا زاد ذلك في قلبي .
دخل الأمير الديوان وإلى أبيه وقبله وحياه ، فعادت الحياة للوالد العجوز وقال : أين كنت كل هذه المدة يا ولدي؟!.. أين أخوتك؟!
كانت الأخبار قد وصلت إلى الأخوة ، فأقبلوا إلى القصر مسرعين وهم في خوف وقلق شديدين ، وبعضهم يظن أنه محتال متنكر بشخصية جفر ؛ ولكنهم لم رأوه وجموا وصاح بهم
الملك : ها هو جفر أيها الأوغاد ! ألم تخبرونا بموته ؟
فصمتوا فتقدم جفر وقال : أيها الملك السعيد ! هم ظنوا أنني ميت ، ولكني ذهبت في غيبوبة فألقوني في الكهف معتقدين بأنني مت .. وبعدما استيقظت منها لم أجد أحدا حولي سوى صديقي زاد الذي عالجني ، ولما تعافيت ، وعدنا وجدت الناس يتحدثون عن موتي ، فتظاهرت بأني ميت لأنظر ما يفعل اخوتي .. ولما علمت برغبة مولاي بسيف مدينة النحاس سافرت إليها وأحضرت منها السيف العجيب بعد جهد متواضع بذلته وصاحبي زاد .. ثم سحب السيف من غمده وهزه أمام أعين الناظرين بضع هزات فسمع الجميع سبعة من الجآن العظام يقولون : ماذا يأمرنا صاحب السيف الأزرق ؟ فحياهم جفر وأغمد السيف في غمده فاختفوا على الفور
وقدمه لوالده ففرح الوالد بالسيف وقال : أنا قلت أمام الأمراء والأعيان وأخوتك من يأتينا بسيف مدينة النحاس فهو الملك بعدي ، وقد علمت بمكر إخوتك بك .. وحسدهم لك رغم ما تفوهت به من برائتهم ، فهذا من حسن خلقك ، وصدق أيها الفارس لو عدت إليّ من غير سيف لجعلتك الملك من بعدي ، فأنت تستحق العرش لأكثر من سبب.. فيا أيها الوزير! أعلن على الملأ أن الأمير جفر بن فرهود هو ملك البلاد ، وعلى الجميع السمع والطاعة ..وأنا أتنازل عن العرش .. ولتبدأ الاحتفالات بتتويج ولدنا ملكا على البلاد .. وخذ هذا السيف يا جفر فهو حق لك .
وتدافع الأمراء إلى تهنئة الفارس بالتاج ، وارتفع صياح الناس في الخارج فرحا على اعتلاء جفر كرسي الحكم ، وأصاب أخوة جفر الحزن والغيظ ، وازداد الكره والحقد في قلوبهم ، وقال أحدهم : لماذا نغضب ؟ فوالله إنه يستحق الملك أكثر منا! .. أبونا طلب منا السيف ولم يتحرك منا أحد ، قلنا ننتظر موته ثم نتفق على ملك منا ، وبدأ كل واحد منا يحشد أنصاره .. فبايعوه واطلبوا منه السماح والغفران .

فقال آخر : هذا هو عين الصواب .

وذهبوا إليه نادمين ، وطلبوا منه أن يعفو عنهم ؛ ولكن فضولهم دفعهم أن يقولوا له كيف نجوت من السم ؟!

فقال وهو يضحك : أنتم جهلاء ! عيونكم تفضحكم .. لقد أدركت ما جال في نفوسكم من غيظ وحسد ، فبدأت أحذركم وأخذت دواء ضد سمكم .. فقد عفوت عنكم ؛ ولكنني لا أحب أن أراكم كثيرا اعتزلوني أيها الأخوة واحذروا الغدر والمكر .

وتوج جفر ملكا على مدينة بلعام ، ولم يمكث الملك فرهود إلا قليلا حتى توفاه الملك القهار ، فتم دفنه بما يليق بالملوك أيام عزهم ، ثم عفا جفر عن الوزير صغرد ، وأخرجه من السجن إكراما لابنته سلاد وزوجها الأمير زاد ، وبارك الوزير المخلوع الزواج الذي تم بينهما ، وبذلك أيها الكرام انتهت قصة الأمير جفر ، وما جرى معه من الأحداث والمغامرات والأهوال .

وقالوا : إنه حكم في الرعية بالعدل والأنصاف، وكان حسن الجوار لمن جاوره من الملوك ، ولم يكن يحب الاعتداء والظلم ، فأصبح ذكره على كل لسان في ذلك الزمان .

تمت حكاية الفارس جفر

الراعي والجرة

قيل إنه كان لأحد الأغنياء راعٍ يرعى غنماً في إحدى البراري. وكان قد عين له معاشاً فيه شيء من السمن. فكان الراعي يبقى السمن ويذخره في جرة له كانت معلقة في كوخه. فبينما هو ذات يوم جالس في كوخه عند غروب الشمس. وهو متكئ على عصاه. أخذ يفكر بما يعمله فيما اجتمع عنده من السمن. فقال في نفسه: إني سأذهب به غداً على السوق وأبيعه وأشتري بثمنه نعجةً حاملاً فتضع لي نعجةً أخرى. ثم تكبر هذه وتلد لي مع أمها نعاجاً أخر وهكذا إلى أن يصير عندي قطيع كبير. فأرد ما عندي من الغنم إلى صاحبه واتخذ لي أجيراً يرعى غنمي. وأبتني لي قصراً عظيماً فأزينه بالمفروشات الحسنة والأواني المرصعة والمنقوشات البهجة. ومتى بلغ رشد ولدي أحضر له معلماً أديباً حكيماً يعلمه الأدب والحكمة وآمره بطاعتي واحترامي. فإن امتثل وإلا ضربته بهذه العصا. ورفع يده بعصاه فأصابت الجرة فكسرتها. فسقط السمن على رأسه ولحيته وثيابه متبدداً في كل جهة. فحزن لذلك حزناً عظيماُ قائلاً: هذا جزاء من يصغي إلى تخيلاته .

المريض والخنفساء

حكى أن رجلاً رأى خنفساء فقال: ماذا يريد الله تعالى من خلق هذه. أحسن شكلها أو طيب ريحها. فابتلاه الله تعالى بقرحة عجز عنها الأطباء

حتى ترك علاجها. فسمع يوماً صوت طبيب من الطرقيين ينادي في الدرب. فقال: هاتوه حتى ينظر في أمري. فقالوا: وما تصنع بطرقي وقد عجز عنك حذاق الأطباء. فقال: لابد لي منه. فلما أحضروه ورأى القرحة استدعى بخنفساء. فضحك الحاضرون منه. فتذكر العليل القول الذي سبق منه. فقال: أحضروا له ما طلب فإن الرجل على بصيرة من أمره، فأحضروها له فأحرقها وذر رمادها على قرحته فبرئ بإذن الله تعالى. فقال للحاضرين: إن الله تبارك وتعالى أراد أن يعرفني أن أخس المخلوقات أعز الأدوية.

جزاء سنمار

بنى النعمان بن امرئ القيس قصراً بظاهر الحيرة في ستين سنة اسمه الخورنق. بناه رجل من الروم يقال له سنمار. وكان يبني على وضع عجيب لم يعرف أحد أن يبني مثله. فلما فرغ من بنائه كان قصراً عجيباً لم يكن للملوك مثله. ففرح به النعمان. فقال له سنمار: إني لأعلم موضع آجرة لو زالت لسقط القصر كله. فقال له النعمان: هل يعرفها أحد غيرك. قال: لا. فأمر به فقذف من أعلى القصر إلى أسفله فتقطعت أوصاله. فاشتهر ذلك حتى ضرب به المثل فقال الشاعر:

جزاني جزاه الله شر جزائه **جزاء سنمار وما كان ذا ذنب

سوى رصه البنيان ستين حجة *يعل عليه بالقراميد والسكب

فلما رأى البنيان تم شهوقه *

وآض كمثل الطود والشامخ الصعب

وظن سنمار به كل حبوة*وفاز لديه بالمودة والقرب

فقال اقذفوا بالعلج من فوق رأسه*

فهذا لعمر الله من أعجب الخطب

فصعد النعمان قلته ونظر إلى البحر تجاهه وإلى البر خلفه والبساتين حوله. ورأى الظبي والحوت والنخل فقال لوزيره: ما رأيت أحسن من هذا البناء قط! فقال له وزيره: له عيب عظيم. قال: وما ذلك. قال: إنه غير باق. قال النعمان: وما الشيء الذي هو باق. قال: ملك الآخرة. قال: فكيف تحصيل ذلك. قال: بترك الدنيا. قال: فهل لك أن تساعدني في طلب ذلك. قال: نعم. فترك الملك وتزهد هو ووزيره.

الأمير حميد

قال إبراهيم بن بشار : كنت يوما مارا مع إبراهيم - يعني بن أدهم - في صحراء فأتينا على قبر مسنم فترحم عليه وبكى فقلت قبر من هذا فقال: هذا؟ قبر حميد بن جابر أمير هذه المدن كلها كان غرقا في بحار الدنيا فأخرجه الله تعالى منها واستنقذه.

ولقد بلغني أنه سر يوما بشيء من ملاهي ملكه ودنياه وغروره وفتنته ثم نام في مجلسه ذلك مع من يخصه من أهله فرأى في منامه رجلا واقفا على رأسه بيده كتاب فناوله ففتحه فإذا فيه كتاب بالذهب

مكتوب: لا تؤثرن فانيا على باق ولا تغترن بملكك وقدرتك وسلطانك وخدمك وعبيدك ولذاتك وشهواتك فإن الذي أنت فيه جسيم لولا أنه عديم وهو ملك لولا أن بعده هلك وهو فرح وسرور لولا أنه لهو وغرور وهو يوم لو كان يوثق له بغد فسارع إلى أمر الله تعالى فإن الله تعالى قال: {وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ} [آل عمران: ١٣٣] قال: فانتبه فزعا وقال: هذا تنبيه من الله – عز وجل – وموعظة. فخرج من ملكه لا يعلم به وقصد هذا الجبل فتعبد فيه فلما بلغني قصته وحدثت بأمره قصدته فسألته فحدثني ببدء أمره وحدثته ببدء أمري فما زلت أقصده حتى مات ودفن هاهنا فهذا قبره رحمه الله.

توبة إبراهيم بن أدهم

قال: إبراهيم بن بشار خادم إبراهيم بن أدهم يقول -: قلت: يا أبا إسحاق! كيف كان أوائل أمرك؟ قال: كان أبي من أهل "بلخ" – وكان من ملوك خراسان – وحبب إلينا الصيد فخرجت راكبا فرسي وكلبي معي فبينما أنا كذلك ثار أرنب أو ثعلب فحركت فرسي فسمعت نداء من ورائي: ليس لذا خلقت ولا بذا أمرت! فوقفت أنظر يمنة ويسرة فلم أر أحدا فقلت: لعن الله إبليس! ثم حركت فرسي فأسمع نداء أجهر من ذلك يا إبراهيم ليس لذا خلقت ولا بذا أمرت! فوقفت أنظر يمنة ويسرة فلا أرى أحدا فقلت: لعن الله إبليس! ثم حركت فرسي فأسمع نداء من قربوس سرجي: يا إبراهيم! ما لذا خلقت ولا بذا أمرت! فوقفت. فقلت: أنبهت أنبهت جاءني نذير من رب العالمين والله لا عصيت الله بعد يومي هذا ما عصمني ربي. فرجعت إلى أهلي ثم جئت إلى أحد رعاة أبي فأخذت منه جبة وكساء وألقيت ثيابي إليه ثم أقبلت إلى العراق أرض ترفعني وأرض تضعني حتى وصلت إلى العراق فعملت بها أياما فلم يصف لي منها – يعني الحلال – فسألت بعض المشايخ فقال لي: إذا أردت الحلال فعليك ببلاد الشام.

فصرت إلى بلاد الشام فسرت إلى مدينة يقال لها: المنصورة وهي المصيصة فعملت بها أياما فلم يصف لي شيء من الحلال فسألت بعض المشايخ فقالوا لي: إن أردت الحلال الصافي فعليك بطرسوس فإن فيها المباحات والعمل الكثير.

فتوجهت إلى طرسوس فعملت بها أياما أنظر البساتين وأحصد الحصاد فبينا أنا قاعد على باب البحر جاءني رجل فاكتراني أنظر له بستانه فكنت في البستان أياما كثيرة فإذا أنا بخادم قد أقبل ومعه أصحابه فقعد في مجلسه ثم صاح: يا ناطور! فقلت: هو ذا أنا فقال: اذهب فأتنا بأكبر رمان

تقدر عليه وأطيبه فذهبت فأتيته بأكبر رمان فأخذ الخادم رمانة فكسرها فوجدها حامضة فقال: يا ناطور أنت في بستاننا منذ كذا وكذا تأكل فاكهتنا وتأكل رماننا ولا تعرف الحلو من الحامض؟.

قال إبراهيم: قلت: والله ما أكلت من فاكهتك شيئا ولا أعرف الحلو من الحامض فأشار الخادم إلى أصحابه فقال: أما تسمعون كلام هذا؟ أتراك لو أنك إبراهيم بن أدهم ما زاد على هذا!؟ فانصرف فلما كان من الغد ذكر صفتي في المسجد فعرفني بعض الناس فجاء الخادم ومعه عنق من الناس فلما رأيته قد أقبل مع الناس اختفيت خلف الشجر والناس داخلون فاختلطت معهم وهم داخلون وأنا خارج هارب. فهذا كان أوائل أمري وخروجي من طرطوس إلى بلاد الرمال.

القدرة على خمس خصال

وروي أن رجلا جاء إلى إبراهيم بن أدهم فقال له: يا أبا إسحاق! إني مسرف على نفسي فاعرض عليّ ما يكون لها زاجرا ومستنقذا لقلبي. قال: إن قبلت خمس خصال وقدرت عليها لم تضرك معصية ولم توبقك لذة. قال: هات يا أبا إسحاق.! قال: أما الأولى فإذا أردت أن تعصي الله – عز وجل – فلا تأكل رزقه. قال: فمن أين آكل وكل ما في الأرض من رزقه؟. قال له: يا هذا! أفيحسن أن تأكل رزقه وتعصيه؟. قال: لا هات الثانية.! قال: وإذا أردت أن تعصيه فلا تسكن شيئا من بلاده قال الرجل: هذه أعظم من الأولى! يا هذا! إذا كان المشرق والمغرب وما بينهما له فأين أسكن؟ قال: يا هذا! أفيحسن أن تأكل رزقه وتسكن بلاده وتعصيه؟.

قال: لا هات الثالثة. قال: إذا أردت أن تعصيه وأنت تحت رزقه وفي بلاده فانظر موضعا لا يراك فيه مبارزا له فاعصه فيه قال: يا إبراهيم! كيف هذا وهو مطلع على ما في السرائر؟. قال: يا هذا! أفيحسن أن تأكل رزقه وتسكن بلاده وتعصيه وهو يراك ويرى ما تجاهره به؟.!قال: لا هات الرابعة. قال: إذا جاءك ملك الموت ليقبض روحك فقل له: أخرني حتى أتوب توبة نصوحا وأعمل لله عملا صالحا قال: لا يقبل مني. قال: يا هذا! فأنت إذا لم تقدر أن تدفع عنك الموت لتتوب وتعلم أنه إذا جاء لم يكن له تأخير فكيف ترجو وجه الخلاص؟.! قال: هات الخامسة. قال: إذا جاءتك الزبانية يوم القيامة ليأخذوك إلى النار فلا تذهب معهم. قال: لا يدعونني ولا يقبلون مني. قال: فكيف ترجو النجاة إذا؟.! قال له: يا إبراهيم! حسبي أن أستغفر الله وأتوب إليه. ولزمه في العبادة حتى فرق الموت بينهما.

مغامرة النادي

المغامر سعد

بطل هذه المغامرة اسمه سعد! ووالده هو المدرس في إحدى المدارس العليا في مدينة الأزهار الخضراء السيد سعيد محمود.

وبطل هذه المغامرة يقطن في حي من الأحياء الحديثة من أحياء مدينة الأزهار الخضراء واسم هذا الحي الكبير " حي الأمير"

وعندما سألناه عن سبب اسم حمل هذا الحي هذا الاسم قال :" كان يعيش في هذا الحي في ماضي الزمان أمير يقال له زيدان ..وما زال قصره العتيد يدل عليه.. ولكنه قصر قديم ومهجور.. فلما انتشر العمران حول هذا القصر سمي الحي بحي الأمير الذي مات منذ أكثر من مائة سنة ، كما يقول الآباء والأجداد."

وأما سكن هذا المغامر فهو يقع في شارع الأسماك رقم " ٧ " بناية سعيد محمود " وهو منزل كبير مكون من ثلاثة طوابق.

ويحيط في المنزل الكبير حديقة من الأشجار العالية والأشجار المثمرة وأحواض الأزهار الجميلة ، فالبيت يبدو كقصر في قلب غابة صغيرة.

فالأسرة تعيش عيشة كريمة ، فلهم كثير من العقارات المؤجرة في المدينة والبلد قبل رحليهم للمدينة منذ عشرات السنين.

والأزهار الخضراء مدينة تتوفر فيها الخدمات كلها من مياه وكهرباء وهواتف وشوارع منظمة وحدائق عامة ، وتصل إليها السيارات من أماكن مختلفة وفيها نادي كبير يسمى " نادي الأمير زيدان"

مغامرة النادي

نادي الأمير زيدان نادي كبير يقع في مدينة الأزهار وهو قريب من حي الأمير .. وهو نادي رياضي اجتماعي ثقافي ، وكثير من أهل الحي والمدينة أعضاء فيه ، ففيه ملاعب رياضية متنوعة قاعات احتفالات ومحاضرات متنوعة .. مطاعم مختلفة أشجار حدائق مسابح ملاهي وغير ذلك.

وكان السيد سعيد محمود من الأعضاء القدامى والبارزين في النادي ، وهو المسؤول عن ترتيب المواسم الثقافية والندوات العلمية التي يقيمها النادي لأهل المنطقة.

قال سعد بدأت حكايتي هذه من نادي الحي ، كنا في العادة نذهب للنادي في المساء بعد صلاة العصر ، ولي أصدقاء كثر في النادي أو زملاء مدرسة ، فإما أن نتشارك في اللعب ..

نلعب كرة الطائرة أو كرة السلة أو نذهب لحوض أو حمام السباحة الجميل .. وإما أن نتفرج على اللاعبين في مختلف الملاعب والصالات أو نتنزه في الحدائق الجميلة وبين الأشجار الفاتنة نجلس نتحدث أو ندرس أيام الامتحانات .. الحقيقة أن نادي الحي كان مكانا رائعا وجميلا وهادئا بالنسبة لنا.

ذات مساء كنت أنا وابن عم لي اسمه " حسن " نلعب في غابة النادي مكان كثيف بالأشجار الحرجية كأشجار الصنوبر والسرو والجوز والكينيا والبلوط ، كنت ألعب مع حسن بالقرب من تلك الغابة ، فمزحت معه بيدي فغضب مني فشردت منه نحو الغابة ، وهو يركض خلفي كنت أسرع منه وأخف وزنا ، ولما ابتعدت عنه أخفيت نفسي بين الأشجار، وأخذ هو يبحث عني حتى ابتعد ، فخرجت من دغل قد رميت نفسي فيه ، وما كدت أقف حتى سمعت أقداما فظننت أن حسنا قد عاد فأخفيت نفسي ثانية ، ولكن القادم لم يكن حسنا بل رجلا الشرر يتطاير من عينيه ، ويتكلم مع رفيق له بغضب حتى أنني خفت من منظره ، وكان خلفه رجل مثله في الطول واللباس وسمعت الأول يقول بصوت حاد : يا أبله .. لقد فشلت بالمهمة ولم تعرف أن تعود بالأوراق.

ففرض الموقف عليّ الإنصات لكلامهم فلذت بالصمت وسمعت الآخر يرد وهو يرتجف من الخوف ويقول : يا سيدي .. يا سيدي ! ذهبت بنفسي معهم إلى المكان ، وفتشنا الغرفة تفتيشا دقيقا ، ووجدنا فيها صندوقا فخلعنا قفله ، ولم نجد فيه إلا ورقة .. صدقني يا سيدي .. وهذه هي الورقة.

وأخرج الرجل الخائف من سيده ورقة بيضاء من جيبه وقدمها للرجل الغاضب، بالطبع قال سعد : شعرت بخطورة موقفي ؛ ولكني كتمت أنفاسي ، ولا أدري ما الذي دفعني للحذر والصمت ؟

أخذ الرجل الغاضب الورقة وهو يقول : المهم أنكم فشلتم ولم تحصلوا على المعلوم .. حسنا سوف يغضب الزعيم ..أخشى أن لا يصدقنا ويقتلنا .. هذه هي المرة الثانية التي تهرب من بين أيدينا هذه الأوراق اللعينة.

ثم فتح الورقة وقرأها بصوت مسموع فإذا فيها : " أتعبتم أنفسكم " فسمع سعد الرجل يردد العبارة عدة مرات ثم قال :" أتعبتم أنفسكم " .. يا له من ماكر إنه يعرف أننا نريد الأوراق!

ثم قال وقد خفف من حدة صوته وغضبه : حسن يا أحمق !.. ادفع للرجال أجرهم .. وسوف اتصل بك .. ولا تأت إلى هنا ثانية .. ولكنك أحسنت بلبسك هذه البدلة الجميلة ! .. فأنت كما تعلم هذا مكان محترم لا يدخله إلا السادات من القوم والأهالي .

فقال الرجل وقد خف أو زال خوفه من الرجل الغاضب : بحثت عنك في كل مكان أعرفك تتردد عليه فلم أجدك ، وكان عليّ أن أبلغك ما جرى معنا .. وعلمت أنك اليوم في النادي فاستأجرت هذه البدلة وأتيت لأراك والحمد لله أنني وجدتك .. فهؤلاء الرجال يريدون ألف دينار .. ولا أملك درهما واحدا.

فعاد الغضب للرجل من جديد وصاح : ألف دينار .. على قصاصة ورق تسخر منكم .. إنك مجنون يا هذا!

فأجابه الآخر : أنت يا سيدي تعلم أن الحرباة لا يعمل بأقل من ذلك المبلغ .. وهو يقول " لو وقعت لا تكفي الألف أتعاب محامين " .. ولا تنسى يا سيدي أنهم ثلاثة.

عاد الهدوء للرجل الغاضب من جديد ، وهز كتفيه عدة مرات وقال : حسنا ـ وأخرج من جيبه رزمة ودفعها للرجل ـ وهو يقول : خذ هذه ألف ، وإذا احتجت إليك فسأتصل بك على ذلك الرقم .. اغرب عن وجهي ولا تعد لهذا المكان ثانية.

قال سعد : فاختفى الرجل وبعده بدقائق انصرف الرجل الغاضب ذو البشرة الحمراء ، فهو لم يكن بالأبيض ولا بالأسود .. هكذا كانت البداية، سمعت كلام الرجلين ووعيته ، وأدركت أن هناك أمرا خطيرا يجري ، ووجدت نفسي انخرط في مغامرة بوليسية ..وهكذا كانت البداية

لما ذهب عني الذهول تساءلت قائلا مع نفسي : ولكن ما هي هذه المهمة التي فشل فيها الرجل وأعوانه وقبض عليها ألف دينار رغم فشلها ؟! ..إنه مبلغ كبير فعلا كبير!

خرج سعد من بين الأشجار مشغول الفكر في هذين الرجلين ، وأخذ يبحث عن ابن عمه حسن ، وترجح لديه أنه مشى لمبنى النادي مبنى الإدارة ، فسار حيث مبنى الإدارة ، وهناك وجد صاحبه وتصافيا وتصالحا، وما زال ذهنه منفعلا مع الحوار الذي سمعه ويسأل عن الخطوة المطلوبة حيال القضية ، فأخذ يتنقل بين المكاتب لعله يرى الرجل الغاضب بين أعضاء النادي وزائريه ؛ ولكنه لم يلتق بالرجل ، ولم يعثر عليه ، فقال

محدثا نفسه: هل أقص ما سمعت على أبي ؟ ماذا أقول له؟ أأقول له أنني سمعت حوارا غاضبا بين رجلين شككت بأنهما مجرمان أو يدبران لجريمة .. ؟!

فقرر سعد الاحتفاظ بما سمع ، وقال بجد وحماس : بداية مغامرة وأنا لها!

بعد أيام من تلك الحادثة نسي أو تناسى سعد الموضوع وغرق في المطالعة وقراءاته المختلفة ، فلدى والده مكتبة كبيرة تجمع فيها من الكتب والعلم الكثير الكثير، فوالده مدرس للغة العربية فتجد في المكتبة من كتب الأدب واللغة والمعاجم الكثير ، فمنها لسان العرب المعجم المشهور، وقد صنفه العالم اللغوي ابن منظور، ومنها معجم كبير للفيروز آبادي ، وفيها المنجد في اللغة والأعلام .. ومعجم أساس البلاغة للإمام الزمخشري ، وغيرها الكثير كالمفردات للراغب الأصفهاني ، ومن كتب اللغة الأخرى البيان والتبيين والحيوان والبخلاء وكلها للجاحظ وله غيرها الكثير أيضا، وكتاب المبرد المشهور في الأدب الكامل ، وهناك دواوين الشعر القديم والحديث ، وفيها من كتب التفسير كتفسير الإمام ابن كثير ومن قبله كالإمام الطبري والزمخشري ومن بعده كتفسير المنار ، وتجد فيها من كتب التاريخ عيون الأخبار لابن قتيبة وتاريخ الطبري والكامل لابن الأثير وتاريخ ابن خلدون المغربي وتاريخ مصر وغيرها من البلدان ، وفيها من كتب الحديث كالبخاري ومسلم وأحمد ، وهناك كتب عن تاريخ أوروبا القديم والأوسط والمعاصر والثورة الفرنسية وتاريخ أمريكا ..

وسعد كان عاشقا كبيرا للقراءة منذ طفولته المبكرة ، فهو يقرأ في المجلات والدوريات الحريص والده على شرائها ، ويقرأ الروايات العالمية المترجمة فهو يقضي أيام العطل والإجازات بين الرجال والعلماء والشعراء القدامى والجدد ، وعند المساء يسير للنادي للالتقاء بالأصحاب والأحباب، وأحيانا أخرى يتزاورون ويلتقون في حفلات الشاي الصغيرة.

حكاية مهرب



كاد سعد بعد مضي أيام أن ينسى الحادثة والرجلين والحوار إلى أن ذهب مساء ليلة مع أخيه الكبير "أحمد" إلى زيارة ابن عم لهم اسمه

"جابر" وهو أخ شقيق لزميل دربه حسن ، وجابر هذا ضابط بوليس في التحقيقات الجنائية برتبة مقدم في الأمن ، ذهب إليه أحمد في حاجة فاتصل به فطلب منه الحضور ، وبما أن سعدا يحب ابن عمه وعمله أحب أن يرافق أخاه ، فهو يسر بسماع أخباره عن مطاردة المجرمين والعصابات ، فبعد صلاة العشاء قال : تحركت مع أخي وكلي حماس وشوق للجلوس معه ، وبالطبع أخذ أخي معه زوجته وأولاده الثلاثة رامي وراسم ورابح ، فأصبحت الزيارة زيارة عائلية ، استقبلهم جابر على مدخل البيت ورحب بهم كثيرا ، وقادهم لغرفة الاستقبال ، وهو يداعب سعدا ، فهو يعرف عشقه لسماع قصص العصابات والمغامرين ، ولما تحدث أخي معه بما جاء من أجله ، وقد

تناولنا العصير البارد ، وأكلنا الفاكهة الطازجة واللذيذة خلال ذلك ، عاد سعد للكلام مع ابن عمه الكبير فقال : يا أبا عبد الكريم .. ما آخر أخبار الجرائم في المدينة ؟

فنظر إليه باسما وقال : للأسف الشر لا ينتهي .. الجرائم يا سعد كثيرة و لا تنتهي ؛ ولكنها تخف أحيانا وترتفع أحيانا أخرى.. فجرائم القتل موجودة رغم قلتها وجرائم المخدرات تزداد .. وجرائم اللصوصية والاحتيال موجودة .. ومشاغبات الملاهي والنوادي الليلية مستمرة ..وشيكات من غير رصيد منتشرة في البلد.

فقطع الكلام سعد وقال : صحيح إن الشر لا ينتهي إلا بانتهاء هذه الدنيا ؛ ولكن ما أغرب جريمة حدثت هذه الأيام ؟

وعلق أخي أحمد ثم قال جابر بعدما سمع كلام أحمد : الحقيقة يا سعد حدثت منذ أيام جريمة غريبة .. وقد تكون أول مرة أسمع بمثلها خلال خدمتي الشرطية الطويلة نسبيا فذكرك كلمة جريمة غريبة نبهني إلى هذه الجريمة.

فقال سعد بحماس ظاهر طالبا الحديث عنها : " حدثنا عنها ؟ " وقد أحس في داخله بأن هذه الجريمة لها علاقة بما يعلمه عن الرجلين اللذين سمع كلامهما في النادي ، وتعجب أحمد من حماس أخيه للسماع وقال جابر : الحق أن سعدا فتى نبيه ويحب عمل الشرطة فمن أجل هذه تراه متحمسا لسماع هذه القصص ؛ فلعله يكون في المستقبل القريب بإذن الله ضابطا في جهاز الأمن.. سأقول لكم القصة الغريبة قبل أن ننسى ويعتب علينا الفتى النبيه سعد

فشكر سعد ابن عمه وأصغى لحديثه ، فقال جابر : لقد اطلعت على تقرير وصلني قبل أيام عن رجل أجنبي يسكن في أفخم أحياء العاصمة .. استأجر شقة في عمارة كبيرة في ذلك الحي .

وجاء في التقرير أن هذا الرجل تعرض للاعتداء البدني والأذى من قبل ثلاثة أشخاص دخلوا عليه في شقته ، وجاء من أقواله في محضر شرطة تلك المنطقة أن ثلاثة رجال اقتحموا عليه البيت وطلبوا منه أوراقا خطيرة ، ولما أنكر وجودها معه انهالوا عليه بالصفع والضرب بالأيدي والأرجل ، وتورط أحدهم فضربه بكأس في رأسه فشجه وأثناء الاعتداء عليه رن جرس الهاتف في الشقة فتوقفوا عن الضرب فاستغل فرصة الانبهار وخطف السماعة وتكلم مع المتصل ففزعوا وهربوا ، ثم اتصل الرجل بالإسعاف فاقبلوا وأخذوه للمستشفى وهناك تم إبلاغ الأمن والشرطة ، فذكر لهم هذه الأقوال أو هذه القصة والمشكلة الحقيقية أنه لا يعرف هؤلاء الرجال ولكنهم كما يقول من لهجتهم وسبهم من أهل هذه المدينة وليس هذا الغريب في الأمر .. الغريب هو الأوراق التي تطارده هذه العصابة من أجلها .. فأثناء وجوده في المستشفى لم يقل شيئا عما في هذه الأوراق ؛ ولكنه لما عاد لشقته وجد أن الأوراق قد اختفت، فأعاد الاتصال في شرطة المنطقة وذكر لهم ما في هذه الأوراق..

وصمت المقدم جابر برهة ثم قال : ماذا تتوقعون أن يكون في هذه الأوراق التي تطارده العصابة من أجلها ؟!

فلما لم ينطق أحد قال جابر وقد ارتسمت على فمه ابتسامة هازئة :اعترف هذا الرجل الأجنبي أن في الأوراق مذكرات رجل مجرم خطير كتبها وهو في سجنه في جزر الفلبين .. يتحدث فيها عن عصابات التهريب العالمية في تلك المنطقة يذكر فيها أساليب تلك العصابات والشبكات المنظمة في تهريب المخدرات .. ويذكر أسماء كبار العملاء في مناطق كثيرة من العالم ، وعرفنا من الرجل أن هذا المجرم برفسور في إحدى الجامعات هناك ، ويدير شبكة مخدرات عالمية ، ثم وقع في أيدي البوليس ، وقضي عليه بالسجن وأحس بالخطر المحدق به من الرجال الذين يعمل معهم ، فكتب الأسرار التي يعرفها وأمن عليها هذا الرجل الذي أتى لهذه البلاد في انتظار رجل وصفه له الزعيم ليسلمها إليه ليتصرف على ضوئها ، ولكن

كما قال كأن العصابة لما تخلصوا من البرفسور ومات أو قتلوه في سجنه أحسوا وعرفوا بكتابته المذكرات .. فلحقوا بحاملها ولهم شهر أو أكثر من شهر يطاردونه من بلد إلى بلد وجاء إلى هنا للالتقاء بالذي يحق له امتلاك هذه المذكرات .. ولكن المطاردين جاءوا إلى هنا ودخلوا الشقة أكثر من مرة يبحثون عن الأوراق حتى وجدوها .. هذه هي القصة الغريبة .. مذكرات رجل مخدرات .. ألستم معي بأنها غريبة ومثيرة ؟! .. وقد حولنا القضية بالطبع لدائرة شرطة مكافحة المخدرات .. ووضع الرجل تحت المراقبة بعد هذه الاعترافات ، ولما نقبض على الرجال الذين سرقوا المذكرات أكمل لكم القصة

لما سمع سعد هذا الكلام من المقدم جابر أحس إحساسا قويا أن حكاية النادي سيكون لها دور في هذه القضية ، عاد سعد للبيت وذهنه مشغول بما سمع من المقدم جابر وبما سمع من رجلي العصابة ، وبعد تفكير عميق والخطوة المطلوبة اتصل في اليوم التالي بالمفتش جابر ، وذكر له الحوار الذي سمعه صدفة في غابة النادي فأبدى الضابط اهتماما بما سمع ، فاستأذن من أمه بناء على رغبة المفتش جابر بسماعه مباشرة ، وذهب إليه ووجده في انتظاره وأدخله مكتبه واستمع للقصة ثانية ثم قال له : سعد البطل .. ما الذي دفعك لتربط بين الحكايتين ؟

ففكر سعد قليلا ثم رد على المفتش جابر : موضوع الأوراق الخطيرة .. وأنت ذكرت أن الرجل تعرض أكثر من مرة للتفتيش ، وذاك الرجل قال هذه المرة الثانية التي نفشل فيها .. وأن الزعيم سيغضب .. فهذه إشارات قد تجمع بين الأمرين .. وكذلك من كثرة تفكيري بالموضوع ـ حوار النادي ـ وممكن أن نتأكد من ارتباطهما بالتجربة التالية.

فقال جابر بدهشة : ما هي التجربة التالية ؟!

قال سعد : في المرة الثانية عندما فتشوا بيت الرجل وفتحوا صندوقا مغلقا وجدوا فيه قصاصة أو رسالة من الورق سمعت الرجل الغاضب يقول: إنه فيها " أتعبتم أنفسكم " فعلق فقال كان الرجل يعلم أننا نطارده .. فيا أبا عبد كريم اسأل الرجل الأجنبي هل فعل ذلك ؟ والجواب منه بنعم يؤكد ارتباط ما سمعته عن غير قصد بما سمعته منك.

فابتسم المفتش جابر ابتسامة كبيرة وقال مشجعا : كل يوم ازداد اقتناعا بأنك نادر الذكاء وأن لك عقلا بوليسيا وتصلح

أن تكون محققا جنائيا ، وسوف أهتم بك أكثر يا سعد وسأرسلك غدا إلى صديق لي في دائرة مكافحة المخدرات والتهريب .. فالقضية من ضمن اختصاصهم وحدثه بما تعلم ، وتعاون معه فسوف يرحب بك وسأوصيه عليك والإصغاء إليك.

بدأ سعد سعيد بشجاعة وبدون تردد بالتعاون مع رجال الأمن والمشاركة في أعمال الشرطة ، سماع حديث غريب بين رجلين ولقاء عابر مع المقدم جابر ، فحشر أنفه في موضوع بوليسي ، وبالفعل ذهب سعد لمقابلة الضابط الكبير في دائرة المخدرات كان زميلا لابن عمه ونائب رئيس الدائرة المقدم طلال نور وبعد التعارف السريع قدم له كوبا من الشاي الجميل المعطر ، واستمع الضابط لقصته بانتباه ، وقد أصاب الخجل والحياء سعد من كثرة ثناء المقدم طلال عليه وعلى شجاعته وحب تعاونه مع الشرطة وذكائه في ربط القصتين معا ، وأعجب بفكرته البسيطة للتأكد من علاقة القصتين معا ، فاتصل المقدم طلال بضابط أصغر منه رتبة وهو النقيب شادي .. المسؤول عن هذه القضية .. فسر النقيب بهذه المعلومات الجديدة التي قدمها سعد ورحب بفكرة الاتصال بالرجل الأجنبي المدعو "جواكر فورش" من مواطني جمهورية الفليبين ، وهو يجيد العربية إلى حد مقبول وعاش في البلاد العربي أكثر من عشر سنوات متنقلا بين عدة أقطار.

وقال النقيب عنه : وهو مهرب دولي .. ولقد حصلنا على معلومات عنه من الشرطة العالمية وهو موضوع تحت مراقبة رجالنا لنعرف من هو الرجل الذي يسعى لمقابلته ليأخذ منه المذكرات المفقودة ؟.

وصمت النقيب لحظات ثم عاد يقول : يا ولدي يا سعد ! .. الرجل الذي رأيته في النادي هل تعرفه إذا رأيته ؟

قال سعد بحماس : بالتأكيد أعرفه وأعرف الرجل الآخر .. والآن بدا لي أنه رجل ذكي وحذر رغم غضبه .. لم يذكر أحد منهم خلال اللقاء اسم الآخر ولا كنيته أو لقبه .. إنما جاء على لسان الرجل الثاني اسم الحرباة .. كان يناديه يا أحمق يا أبله رغم طول الحوار بينهما.

فقال شادي : هذا أمر بديهي بين رجال العصابات عدم ذكر الأسماء أثناء الحديث لخوفهم من رقيب سري .. وأظن أن اسم الحرباة سقط سهوا بينهما.

وتبسم الضابط طلال لذكاء سعد وتحليله وقال : ما القرابة التي تربط بينك وبين زميلنا المقدم جابر ؟

تبسم سعد هو الآخر وقال بتواضع وحياء : هو ابن عمي

فعلق النقيب شادي : أنت فتى شجاع وفطن .. في أي سنة دراسية الآن ؟

قال سعد : أنهيت تسع سنوات من التعليم وأنا تلميذ في مدرسة الحق المبين.

فقال النقيب : هذه مدرسة أهلية.

قال سعد : نعم ، وأبي الأستاذ سعيد محمود.

ضحك الضابطان وقال طلال : أنا أعرف والدك يا سعد ، كثيرا ما التقينا في النادي أو عند المحافظ .. نشكرك يا سعد ومطلوب منك أن تبحث في النادي وبحذر شديد عن رجل العصابة الذي دفع الألف دينار .. وإذا عرفته لا تفعل شيئا سوى الاتصال بي .. خذ هذه البطاقة ـ وأخرج كرتا صغيرا مطبوعا عليه أرقام هواتف ـ فعليها أرقام يمكنك أن تتصل بواسطتها فيّ في أي وقت .. وسنتعاون في الموضوع .. فأرى لديك حماسا قويا لمساعدتنا .. ولسوف أخبرك عن تحرياتنا في موضوع "أتعبتم أنفسكم" فإذا ثبت أن الرجل كاتب الرسالة فلحادثة النادي ارتباط أكيد مع هذا الرجل .. وسوف نبحث عن الحرباة .. وعن رجل النادي

وكتب النقيب رقم هاتف بيت سعد ، وشكراه وهما معجبان به وبحماسه ، وغادر الفتى دائرة مكافحة المخدرات وهو نشوان من السعادة في سيارة من سيارات الدائرة جزاء تعاونه ولمعرفة منزله ، لقد كان حلما بالنسبة لسعد أن يشارك في قضية بوليسية ، فهو كلما قرأ قصة من قصص المغامرات والمطاردات ظن نفسه أنه البطل لهذه المغامرة ، وأنه هو الذي وصل للمجرم في نهاية كل مغامرة ، فدخل البيت وكله حماس وشوق لمتابعة هذه المغامرة الأولى في حياته ، فعاش لحظات من السعادة والخيال الجميل ، وعند العصر تحرك للنادي بشعور يختلف عن المرات السابقة ، شعور فيه الانفعال الباهر والحماس المندفع والغاية الجميلة وليس لمجرد اللهو والمتعة فقط .. إنه يعيش في مغامرة .. يريد أن يبحث عن الرجل الذي رآه منذ أسبوع وأكثر ؛ ولكنه توقف عن التفكير لحظة وهمس قائلا لنفسه : قد يكون هذا الرجل لا علاقة له بموضوع " جواكر فورش."

ثم عاد يقول : ابحث عنه

وانتظر اتصال المقدم طلال أو النقيب شادي .. فإن كان هناك صلة بين القضيتين تابعت نشاطي وبحثي وإلا انهار الحلم...

أمضى سعد ساعات المساء يتنقل في أرجاء النادي يمحص النظر في الوجوه بشكل ذكي ؛ وكأنه لا يبحث عن شخص معين يتحدث مع الأصدقاء والمعارف هنا وهناك وفي النهاية عاد مع حسن في اتجاه البيت بدون نتيجة ، وقد دعا ابن عمه لشرب الشاي الذي علق قائلا : وهل في مثل هذا الجو الحار يشرب إنسان الشاي .. ادعوني لزجاجة من المثلجات " الكولا " "البيبسي ".. العصير..

فتبسم سعد وهو يقول : يا أخي تفضل وادخل .. ثم سوف تشرب أفضل زجاجة من البارد مثلك .. وعصير وشاي .. وفواكه .. بس ادخل وإذا نمت عندنا سيكون لك عشاء من مطعم " آب لو ".. ما تقول في هذا العرض الطموح ؟

هرش" حسن ساعد محمود " رأسه وبعد تفكير سريع قال : الواقع أنها أشياء مغرية .. ولكن عندي مقابلة مع أحد الأخوة في العاشرة ليلا .. مالك الرابع صديقنا في المدرسة القديمة.

وعند مفترق الطرق الذي يؤدي إلى شارع الأسماك وحي الدوحات ومنه إلى حي الميدان الذي يسكن فيه حسن افترق الصديقان وعاد سعد للبيت ولما دخل والتقى بأمه سألها : هل اتصل به أحد اليوم ؟ فنفت أن يكون أحد اتصل به ، فهدأت أعصابه ودخل غرفة الطعام وأكل ما قسم الله له من الطيبات، ثم أسرع إلى حجرة نومه يستريح ويفكر بما زج نفسه به، وأخذ يفكر كيف تنهار أحلامه بالمغامرة الغريبة التي كان يحلم بها ..؟

وفي الصباح استيقظ على يد أمه تهزه قائلة : يا سعد..اصح .. فأبو عبد الكريم على التلفون .. يريد أن يكلمك في موضوع يهمك..

وكان سعد يحلم فما كاد يسمع ويستوعب كلمات أمه حتى دفع الغطاء عن بدنه ونهض سريعا نحو الهاتف وسمع أمه تقول بدهشة: ماذا جرى في الدنيا ؟!ولما هذه اللهفة ؟! ماذا يريد منك ابن عمك ؟!

استمع سعد بشوق لمكالمة المفتش في البوليس جابر مما دفع الآخر أن يقول : ما بك يا سعد .. مالي أحس بأن صوتك مضطرب ؟!

فقال : آسف .. يا عماه .. لقد أيقظوني من النوم .. كيف أصبحت ؟ .. بخير .. وقد أكرمني المقدم طلال وعرفني

على النقيب شادي المكلف بهذه القضية وأعادوني للبيت بسيارة الشرطة ، وكلفوني بمهمة البحث عن الرجل الغاضب رجل النادي.

واستمع سعد للمقدم وصاح فجأة بفرح : حقا .. يا الله !! هو كاتب تلك الرسالة .. على الفور سأذهب للدائرة .. لا تؤاخذني على انفعالي العنيف .. أنا متحمس جدا يا سيدي .. لقد كانت المشاركة في عمل شرطي حلما كبيرا لديّ .. فما أقرأ قصة بوليسية أو لغزا من الألغاز إلا تمنيت أن أكون أحد الأبطال الذين يخدمون العدالة .. معذرة يا سيدي .. في الساعة العاشرة سأكون عنده .. مع السلامة.

وترك السماعة ومسح العرق المنحدر على جبينه وسمع أمه تقول له : ما بك يا سعد تصرخ وتكاد تطير فرحا ما الذي أسعدك وأفرح قلبك؟!

فعاد إلى واقعه وابتسم في وجه أمه وقال : لا شيء يا أمي .. أمر خاص بيني وبين أبي عبد الكريم

المقدم جابر .. عفوا للإزعاج الذي سببته لك يا أحلى أم !

وفي العاشرة صباحا كان سعد يجلس في مكتب النقيب شادي يسمع ثناءه على قدرته على الربط بما سمعه من رجل النادي والمقدم جابر وقال له النقيب شادي : ذهبت أمس وقابلت فورش هذا وحدثته بعد مقدمات ومسايرات عن الورقة فاستغرب وأقر قائلا : فعلا لقد وضعت هذا الرسالة ليعرفوا أنني أعرف بمتابعتهم لي .. ومع ذلك فقد وصلوا للأوراق والمذكرات ، ولما سألني كيف عرفت ؟ ضحكت بالطبع وقلت له هذه أسرارنا فلزم الصمت والعجيب يا أستاذ سعد أنه مهرب دولي ومع ذلك فهو غير مطلوب من قبل الشرطة الدولية ونحن هنا لا نستطيع القبض عليه لأنه غير مطلوب لنا بقضية تهريب .. وعندما دخل البلاد دخلها بصفة سائح وليس معه أي ممنوعات .. فلا نستطيع القبض عليه لنقدمه للمحاكمة .. بل من حقه علينا أن نقبض على غرمائه ونعيد له الأوراق المسروقة ونتعقب الجناة الذين اعتدوا عليه.

وقال سعد : الحمد لله أننا وجدنا خيطا يربط بينهما، وهذا بالتأكيد سيساعدكم في الوصول للجناة .. وأنا ذهبت أمس للنادي وبحثت عن الرجل هنا وهناك ولم أعثر عليه ولسوف أتابع المهمة .. فكما يبدو من كلامه مع الرجل الآخر ؛ فإنه من المترددين على النادي .. وهل بحثتم عن الحرباة ؟؟

فقال النقيب باسما : طلب مني

المقدم طلال أن أتعاون معك لأقصى درجة لأنك الرجل الوحيد الذي رأى نائب الزعيم بناء على كلامك .. فرجل النادي هو الوسيط بين الزعيم والرجل الذي قبض الألف دينار ، وذاك هو الوسيط بين رجل النادي والحرباة وشركائه الذين اقتحموا الشقة ـ شقة جواكر ـ أكثر من مرة ، وقد يكون هناك غيرهم وراء هذه المذكرات .. وبحثنا في ملفاتنا عن شخص يسمى الحرباة فلم نجد .. المهم أنت مهمتك أيها البطل الصغير واضحة لك تماما .. البحث عن رجل النادي والاتصال بي أو بالمقدم طلال أو حتى بابن عمك المقدم جابر ساعد .. ومعك أرقام هواتفنا.

وأخرج سعد الأرقام التي أخذها في المرة الماضية من المقدم طلال ، فلما نظرها الضابط قال : رائع سعد !.. أتمنى أن أراك رجلا في جهاز الأمن العام ما دمت تحب وتهوى الأعمال البوليسية

فأبدى سعد شكره وامتنانه لثقة النقيب به ، ووعده ببذل أقصى جهده في التنقيب والبحث عن رجل العصابة الذي يتردد على النادي ، وودع سعد النقيب وعاد بواسطة السيارات إلى حي الأمير في مدينة الأزهار الخضراء وقد قويت عزيمته بالبحث عن رجل النادي المجهول.

والتقى سعد بوالده على مائدة الغداء فسأله قائلا : سمعت والدتك تقول إنك مشغول هذه الأيام وتتردد على أبي عبد الكريم .. ما القصة ؟!

فقال سعد : موضوع بيني وبينه فيما بعد سأذكره لك بالتفصيل .. هل من نشاطات مثيرة هذا الصيف في النادي يا أبي ؟

لم يشأ الوالد أن يطيل الحديث فيما بين ابنه وابن أخيه الأكبر جابر ساعد فرد على استفسار سعد قائلا : كما تشاء يا سعد .. سوف أنتظر لأسمع منك التفاصيل .. أما بالنسبة للنادي .. ألا تذهب إلى هناك يا سعد ؟

فرد سعد : أذهب كل مساء ..وأعود برفقة حسن.

فعاد الأب يقول : آه .. ما دمت تذهب فلماذا لم تطلع على نشاطات هذا الصيف في لوحات الإعلانات ؟.. فهناك برامج للأطفال والشباب هذا الموسم ..فهناك برنامج رياضي حافل بالمسابقات .. لهواة الشطرنج ولهواة كرة المضرب وكرة الطاولة .. والنادي سوف يشارك ببطولة كرة السلة لهذا الصيف على مستوى الأندية .. وغير ذلك من نشاطات النادي الصيفية وهناك ندوات ثقافية وعلمية

.. وسيأتي دكتور من هولندا ويلقي محاضرة طبية عن جهاز طبي جديد شارك في تصميمه .. وهناك محاضرة عن أضرار التبغ لطبيب عربي من الخارج .. وهناك يا ولدي نشاط أدبي وليلة شاعرية مع ثلة من شعراء الوطن .. اقرأ برامج الصيف في مجلة النادي .. تعرف أخبار ونشاط النادي.

فقال سعد : يا أبي .. ما رأيك بإلقاء محاضرة عن ضرر وخطر المخدرات وانتشارها بين شباب الأمة ؟

فرد سعيد : موضوع طيب .. وقد اقترحه الدكتور مازن .. ولكن لماذا هذا الموضوع ؟ !

قال سعد : علمت أن المخدرات لها أضرار كبيرة على الفرد والمجتمع .. والناس بحاجة دائمة لتوعيتهم في هذا الأمر .. وعلمت أن تجارتها في البلد تزيد ولا تنقص وزاد عدد المدمنين حسب إحصائيات الدوائر المختصة .. فضروري أن يشارك النادي في مثل هذه النشاطات لتوعية الجماهير ..وهناك موضوع آخر يستحق الاهتمام في نظري يا أبي ! وقد قرأت عنه.. وهو مرض العصر وأخطره مرض الإيدز.

فقال الأب وهو ينهض عن مائدة الطعام : وهذا الموضوع يوجد في برامج الصيف ندوة أو أكثر عنه.

ملعب كرة السلة

كان سعد في المساء يتجول في أرجاء النادي في الملاعب الصالات الحدائق، وقد ترك اللهو واللعب ، وكانت مهمته البحث عن رجل الغابة الغاضب ، كان يطمع أن يراه فجأة كما سمع حديثه فجأة ، ومضى النهار ودخل الليل دون أن يراه فخاطب نفسه قائلا : لقد ظهر من كلام الرجلين أنه من رواد النادي وليس عابر سبيل ، وقد أثنى على مساعده بأنه حضر بلباس جميل وأنيق؛ فكأن ذاك الرجل رجل سوق وحرمنه ، ولما أتى لمقابلة زعيمه في مكان محترم لبس ثيابا أنيقة ليبدو أمام رواد النادي رجلا محترما.. سأجتهد في حضور المحاضرات والندوات قد أراه محاضرا في إحداها.

فصار سعد يتردد على النادي في الصباح والمساء ويستمع للمحاضرات دون أن يعثر على ضالته المنشودة ، فاتصل ذات مساء بالنقيب شادي وعبر له عن يأسه من العثور على الرجل المجهول فشجعه النقيب على الاستمرار وبين له أن المطاردات والتفتيش يحتاجان إلى وقت ، فربما مرض الرجل أو سافر أو تغيب لأي عذر ، وحذره من اليأس، ولابد أن تراه إن كان من رواد النادي وحثه على

المتابعة، وكشف له أنهم وصلوا للحرباة وأنه لص مشهور ومختص في فتح الأقفال والخزائن، وهذا ما يؤكد تعاونه معهم وهو تحت مراقبة رجال المباحث السرية، ورغم أنه لص فهذه أول مرة يكتشف أن له علاقة مع وسطاء التهريب ، وقد أثنى الضابط من جديد على تعاون سعد وحفظه لاسم الحرباة ، وأمره بالاستمرار بالتفتيش والبحث دون كلل أو ملل ، فعاد الحماس لروح سعد من جديد وأخذ يتردد على النادي صباح ومساء ، وذات مساء التقى بصديق له في النادي وبعد الترحيب والسؤال عن الصحة والأخبار، وذكر سعد لصاحبه اهتمامه هذا الصيف بالنشاطات الثقافية المختلفة.

فقال له الصديق : إذن تعال معي الليلة وغير هذا النمط وشاهد المباراة القوية في كرة السلة بين فريق نادينا ونادي الملاح الأزرق على صالة النادي.

وحاول سعد التملص من مشاهدة هذه المباراة ، ولكنه أمام إصرار صديقه "عماد" وافق على الحضور للمشاركة في تشجيع النادي ورغبة في سماع المزيد من أخبار ونشاط عماد هذا الصيف ، وللاتفاق على تسيير رحلة جماعية إلى إحدى المناطق الأثرية في الوطن، وكان سعد يعلم أن صديقه من هواة ومشجعي كرة السلة ، فهو يحفظ قانونها أكثر من بعض حكامها وبعض لاعبيها ويعرف أسماء كثير من مشاهير هذه اللعبة ، وهو أيضا يمارس هذه الرياضة ويفضلها على غيرها من ألعاب الكرة ، ومع هذا فهو يحب أن يكون جمهورا ولم ينضوِ في فريقها الرسمي في النادي ، فتراه قد اشترى تذكرتين ، وحجز مقعدين في الصالة ، وقام بشراء اللب والفستق وعلب العصير مظهرا كرمه وتودده لصديقه سعد ، واندمج الصديقان في الحديث والحوار ، وذكر عماد لصاحبه آخر أخبار هذه الرياضة في العالم وتفوق الفرق الأمريكية في هذه الرياضة على سائر فرق العالم ، وأن هذه اللعبة تحتاج للاعبين عمالقة مع اتصافهم بالقوة وثبات الأعصاب واللياقة البدنية العالية وشرق وغرب، وقبل الساعة الثامنة ظهرت الفرق في الملعب ولما اكتمل الإعداد بدأ اللعب عندما أطلق حكم الميدان صافرته واندمج الرفيقان بالمشاهدة

وخلال اللعب يحق للمدرب ـ مدرب أي فريق ـ أن يطلب من الحكم اجتماع قصير مع اللاعبين ليوجههم ، وهذا ما حدث فقد طلب المدرب

لفريق النادي وقتا مستقطعا فتوقف اللعب والتف كل فريق حول مدربه ، وهنا كانت المفاجأة بالنسبة لسعد عندما نظر لمدرب فريق السلة بدقة وفضول؛ فإذا هو الرجل الذي يبحث عنه منذ أيام فصدم للوهلة الأولى وقال لنفسه : أمعقول هذا ؟! مدرب فريق السلة يعمل مع العصابة ؟

فأخذ يتلفت يمينا وشمالا ثم ضبط نفسه وأعصابه المتوترة للمفاجأة وقال لعماد : من هو مدرب الفريق ما اسمه يا عماد ؟

استأنف اللعب من جديد ورد عماد : مدرب الفريق يا صديقي هو الأستاذ شوقي مكرمة .. كان لاعبا ماهرا ثم أصبح مدربا ، وله أكثر من سنة يدرب فريقنا .. لقد كان يدرس ويتدرب في الفلبين ، وكان هناك منذ شهور ثم أتى من قريب وعاد لتدريب الفريق.

فهمس سعد : الفلبين ؟!

قال عماد : نعم درس الرياضة هناك في إحدى جامعتها الكبيرة.

فهمس سعد مرة أخرى : إحدى جامعتها ؟ !

فقال عماد : مالك يا سعد .. مشغول ؟! اجلس دعنا نتابع اللعب الجميل.

كان الأمر مفاجأة مثيرة لصاحبنا سعد ، فترك المكان واقترب من مكان جلوس المدرب وسمعه وهو يتحدث مع زملائه ، فتأكد من شخصه ومن صوته العالي ، ثم أشار لعماد مودعا وانسحب إلى خارج الصالة ، واتصل بالنقيب شادي فقيل له إنه في البيت ، فاتصل بابن عمه جابر ساعد، وروى له المفاجأة فقال له الضابط : تمالك أعصابك يا بطل نحن قادمون سأتصل بالنقيب شادي ونأتي سريعا لا تفعل شيئا انتظرنا أمام القاعة.

في أقل من نصف ساعة كان سعد يروي للضابطين الصدفة التي جمعته بالرجل المجهول رجل النادي ؛ فإذا هو مدرب كرة السلة للنادي، وذكر لهم المعلومات التي سمعها من صاحبه عماد عن مدرب فريق كرة السلة من دراسته في الفلبين وأنه يعمل في النادي منذ سنة ذهب خلالها للفلبين ثم عاد من قريب ، وبين لهم أن عدم سبب رؤيته خلال هذه الأيام الماضية ؛ لأنه كان مشغولا في تدريب الفريق وانشغالهم في معسكرات تدريب استعدادا لموسم الكرة ، وسر الرجلان بفطنة وذكاء سعد وربطه بين هذا المدرب والرجل الفلبيني جواكر فورش وأستاذ الجامعة السجين، وتركهم سعد وعاد

للجلوس مع صاحبه عماد ، وبعده بقليل دخلوا وهم يرتدون ملابسهم المدنية ، وأشار لهم سعد على المدرب فرسموا صورته في أذهانهم ، وكان سعد يجلس بجوار صديقه مسرورا بما قدم للعدالة والشرطة.

مهمة لسعد

بعد أيام من التعرف على رجل النادي طلب النقيب شادي سعدا في منزله ، وطلب منه المجيء لدائرة مكافحة المخدرات ، وأكد له أنهم يتابعون حركات ونشاط المدرب شوقي ، وبين له أنهم في حاجة إلى خدمة أخرى منه ، وتتلخص هذه الخدمة بأن يذهب سعد متنكرا مع رجال مباحث سريين إلى مقهى عتيق يقع تحت الأرض في سوق أثري قديم يرتاده الغرباء، وأكثر زبائنه من أصحاب السوابق والقضايا الجنائية والجنح ، لينظر بين رواده عن الرجل الذي كان مع شوقي المدرب في غابة النادي ، ولما وصل سعد لدائرة المكافحة أخذه ضابط إلى غرفة خاصة وألبسوه ملابس عتيقة وقذرة تظهر أنه عامل تشحيم في محطة ، ونفش شعره المسترسل ولطخ وجه ببعض الشحمة والسواد ، ثم أخذه النقيب شادي إلى مكان ما وعرفه على رجلين متنكرين في ملابس عمال عتيقة ، وانطلق الثلاثة إلى ذلك المقهى في قلب العاصمة "مقهى الأوحال"، نزل الثلاثة درجا إلى أسفل البناء واجتازوا محلات صغيرة للخضار والفواكه وغير ذلك حتى وصلوا لمقهى واسع قديم ، ويدل على ذلك رائحة المكان والكراسي القديمة ،



ودخل سعد مع الرجلين الذي ظهر له أنهم من رواد المقهى ، فكثير من عمال المقهى يعرفونهم ، وأعجب سعد برجال الشرطة وذكائهم وجرأتهم، وكانت مهمة سعد أن يبحث عن الرجل الآخر الرجل الذي رآه مع مدرب السلة في النادي، وهناك عرفه الشرطيان المتنكران على الحرباة ؛ فإذا هو رجل كالوحش ، وجهه ممتلئ بالنتوءات ، شاربه كثيف ، شعره أشيب ، أخذ سعد من خلال شربه الشاي يتفرج على زبائن المقهى ويتفحصهم ، وكلما انتقل الرجلان لطاولة بحجة الحديث مع الجالسين عليها يتبعهم سعد ، ومكثوا في المقهى حتى الليل ، ثم خرج الثلاثة إلى الدائرة ، وخلع سعد ثياب التنكر وارتدى ثيابه وقام الرجلان بتوصيله للبيت وطلبا منه أن يتصل

بالنقيب شادي ويروى له ما جرى معهم.

وفي صباح اليوم التالي كانت سيارة خاصة تنقل سعد إلى دائرة المكافحة ، فقد أخبره السائق أنهم قبضوا الليلة على الحرباة في بيت أحد الرجال ، ويريدون من سعد أن يشاهد ذلك الرجل ودخل سعد إلى قاعة كان في انتظاره بداخلها النقيب شادي الذي قال معتذرا : أهلا يا سعد البطل .. نأسف على إزعاجك .. ولكنك شاهد مهم في هذه القضية ، وشجاعتك ومساعدتك الكبيرة لنا شجعتنا على متابعة التعاون معك .. لقد قبضنا أمس بعد منتصف الليل على الحرباة وهو يزور رجلا خيل لنا من أوصافك له أنه الرجل المطلوب .. تعال معي

وفي غرفة كان محجوزا فيها الرجلان دخل سعد بضع دقائق ، ثم خرج فوجد النقيب في انتظاره وقال : آ .. يا سعد ؟

فقال سعد بكل ثقة : نعم هو الرجل الذي رأيته ذلك المساء يتحدث مع المدرب شوقي.

فاستدعاه النقيب إلى مكتبه وحده وحدثه بذهابه للنادي وقبضه ألف دينار من السيد شوقي مقابل اعتدائه على الرجل الأجنبي ، وأخذ يراوغ و يصيح : أنا لم أفعل شيئا.

فقال النقيب : الإنكار لا ينفعك .. وقص عليه الحوار بالتفصيل ، فتعجب الرجل وأحس أن الشرطة كانوا يسمعون حوارهم كلمة كلمة

وقال الضابط : والحرباة هو الذي ساعدكم في فتح الأقفال وخاصة الصندوق ..وأنتم اعتديتم على الفلبيني " جواكر فورش " ونحن عرفناكم لا تنكر.. وفورش قادم بعد قليل لتتم المواجهة بينكم .. قد يتعرف عليكم ، وقد لا يتعرف ؛ ولكننا متأكدون من فعلتكم .. أين الأوراق التي سرقتموها؟

فأقسم له الرجل المدعو "أنور" أنه لم يستولِ على الأوراق فقال الضابط : ولكنك حاولت أنت وهذا ـ وأشار للحرباة الموجود في غرفة أخرى ـ سرقتها أكثر من مرة ، وفشلتم وكتب لكم رسالة في إحدى المرات " أتعبتم أنفسكم " ثم أخبرت رئيسك بفشلك وقبضت منه ألف دينار بالقرب من غابة النادي.. وكررتم المحاولة مرة أخرى ، ولما فشلتم اعتديتم على الرجل وضربتموه وأدميتموه وهربتم، وذهب هو للمستشفى، ولما خرج منه لم يجد الأوراق.. هذه المعلومات لدينا ولدينا المزيد .. فهل تعترف بما قلت ؟

فقال الرجل : سأعترف

بدوري .. ولكن صدق أنني لم آخذ الأوراق .. هناك أناس سبقونا إليها .. حاولت فعلا سرقة الأوراق ، وفشلت وقبضت من الأستاذ شوقي ألف دينار ، ونحن لسنا عصابة إنما كلفنا الرجل بمهمة مقابل مبلغ من المال وفشلنا.. أنا لا علاقة لي بالمخدرات ولا بالتهريب.. أنا شغل نشل ونصب ، وقد أسرق إذا تيسرت لي فرصة.

فقال النقيب : أرجو أن لا يكون لك علاقة بالمخدرات والترويج.

وخرج الضابط وبرفقته سعد ، وذهب لمطعم الدائرة وتناول الطعام والشراب بصحبة سعد ، ثم قابلا المقدم طلال الذي استمع لتلخيص للموقف ، وسُر من سعد وكرر الشكر له وشدّ على يده وتمنى له مستقبلا زاهرا ، وطلب سيارة خاصة لتنقله للبيت وكان سعد يقول : أرجو أن أعرف نهاية القصة وأين استقرت المذكرات ؟

فتبسم الضابط طلال وقال: عند ابن عمك المقدم جابر ستعرف نهاية هذه المصادفات العجيبة إلى اللقاء يا سعد.

هكذا كان دور سعد في هذه القصة؛ ولكنه كان سعيدا به.. المهم أنه قد اشترك في عمل مع الشرطة ، وكانت هذه المغامرة الأولى لسعد وتعاونه مع رجال الأمن وظهور نجابته وفهمه.

بعد فترة من الزمن اتصل به المقدم جابر ، فذهب إليه على وجه السرعة ؛ لأنه يريد أن يسمع منه نهاية القصة ، ولما استقرا جلوسا وشرب سعد كوب العصير الذي قدم له قال له جابر : لقد قمت بدور كبير يا سعد.. واعلم أن رجال الأمن معجبون بك وبشجاعتك وتطوعك وحبك العمل معهم ..ولولا تطوعك وكشفك عما سمعته أمامك في النادي لطال البحث عن المجرمين.. فالفضل الكبير يرجع إليك في القبض على هؤلاء المجرمين.. والقصة تبدأ من أكثر من نقطة .. فلنبدأ من مجيء فورش للبلد .. فقد قدم لتسليم المذكرات الخاصة بزعيم العصابة لصديق له هنا ، وتبين لنا أن هذا الصديق هو مدرب كرة السلة الأستاذ شوقي ، وتبين لنا أنه عضو في شبكة تهريب دولية، وهو عميل كبير لهم هنا ، وقد تم تجنيده أثناء دراسته في الفلبين ، وكان يتظاهر أمام أعوانه أو الرجال الذين يستخدمهم في أعماله بأنه مرؤوس ليأمن من غدرهم وطمعهم ، جاءته رسالة من الزعماء الكبار هناك يطلعونه فيها بموت أحد الزعماء في السجن وهو

البرفسور وكاتب المذكرات، وذكروا له أنه ترك رسالة خطيرة فيها اعترافات خطيرة ، وطلبوا منه أن يعترض طريق فورش ؛ لأنه سيكون تسليم المذكرات في هذا البلد ؛ فكأنهم لا يعرفون أنه المقصود بالأوراق فكلفوه بسرقتها .. وفورش قدم للالتقاء به بناء على وصف الرئيس، ولثقة البرفسور بشوقي لعلاقة قوية نشبت بينهم وهم هناك وأثناء تجنيد شوقي للانخراط في شبكات التهريب العالمية ، وكانت مهمة المدرب شوقي هنا استلام المواد المهربة وتدبيرها إما إخراجها للأقطار المجاورة أو تصريفها هنا .. كان البرفسور يثق بشوقي ، فيريده باستلامها وطبعها وإرسالها للبوليس الدولي ، فاحتار شوقي في الأمر هو يستطيع ترك أمر وطلب الشبكة ، وفي نفس الوقت لابد له من لقاء جواكر ، فحاول سرقة المذكرات من فورش قبل أن يلقاه ، ولكن فورش أدرك الخطر المحيط به ، ولما تعرض للأذى خشي على حياته واعتبر ضربه تمهيدا للتخلص منه ، فلجأ للبوليس ، ولما عاد للبيت وجد شوقيا في انتظاره فأخذ منه المذكرات ودفع له عشرين ألف دولار ، وطلب منه أن يخبر الشرطة بسرقتها ليشغل الشرطة في البحث عنها حتى يستطيع تهريبها للبنان وطباعتها هناك ، ونفذ جواكر دوره وتظاهر لنا بأن الأوراق عثرت عليها العصابة وسرقت من بيته ، وكان يستعد للسفر والرحيل وينتظر الإشارة بذلك من الشرطة عندما تخبره الشرطة بعجزها عن استرداد الأوراق والوثائق .. ولكن تدخلك يا سعد كشف الأوراق المبعثرة ، وجمعها في أيدي رجالنا .. فوصلنا إلى شوقي وأنور والحرباة وغيرهم .. ولكن للأسف الأوراق هربت للخارج أو قل نسخ منها.. فشوقي لديه نسخة ، واعترف فورش نفسه بتصوير نسخة منها .. هكذا المجرمون لا يثقون ببعض .. وقمنا بالقبض على شوقي ، ووجدنا في بيته مخزنا كاملا فيه من أثمن المخدرات في العالم وعلى رأسها الهيروين والكافيين .. وما زالت شرطة مكافحة المخدرات تتابع الموضوع وتحاول القبض على أعضاء شبكته ومساعديه في التهريب .. وهو رجل ذكي ؛ ولكن الصدفة أوقعته وكذلك ذكاء سعد وشجاعته وعدم نسيانه الموضوع .. كم من إنسان قد يسمع حديث شر صدفة ولكنه ينساه !.. واعلم يا سعد أن جهاز الأمن العام سوف يقدم لك جائزة جميلة تقديرا

لجهودك الطيبة .. وسوف أتصل بك في الوقت المناسب لتستعد لذلك ، والآن اذهب وحدث والدك العزيز بها وعدته أن تحدثه به.

فضحك الفتى سعد وقال : أسألك والدي عما بيننا ؟

فقال جابر : نعم .. أبوك أستاذ ومربي ؛ فإذا أنت لم تعترف له فلسوف يبحث عمن يخبره .. لقد حدثته ببعض الشيء عن الموضوع .. وأنت ستكمل له التفاصيل.

فقال سعد ضاحكا : الآن أدركت لماذا لم يكن يلح عليّ بالحديث بما يشغلني؟! .. لقد علم بالدور الذي أقوم به .. آه يا أبا عبد الكريم إنني متحمس الآن لأن أشترك بمغامرة جديدة أخرى.

فقال المقدم جابر مشجعا : هذه البداية وابحث وسوف تجد .. احشر أنفك في أي سرقة أو حادثة في الحي ولسوف تلقى ما يحقق لك حلمك.

فقال سعد : شكرا لك سيدي .. سوف أجد مغامرة أخرى .. إلى اللقاء.

وختم المفتش جابر المغامرة قائلا : لا تنسى أن تستعد لاستلام جائزة مدير الأمن العام لدورك الشجاع في هذه المغامرة.

انتهت مغامرة النادي

السَّلِيمُ لاَ يَنَامُ وَلاَ يُنِيمُ

قال المفضل: أول مَنْ قال ذلك إلياس ابن مُضَر، وكان من حديث ذلك أن إبل إلياس نَدَّتْ ليلاً، فنادى ولدَه وقال: إني طالب الإبل في هذا الوجه، وأمر عَمْرا ابنه أن يطلب في وَجْه آخر، وترك عامراً ابنه لعلاج الطعام، قال: فتوجه إلياس وعمرو وانقطع عمير ابنه في البيت مع النساء، فقالت ليلى بنت حُلْوان امرأتُه لإحدى خادميها: اخرجي في طلب أهلك، وخرجت ليلى فلقيها عامر محتقباً صيداً قد عالجه، فسألها عن أبيه وأخيه فقالت: لا علم لي، فأتى عامر المنزل وقال للجارية: قُصِّي أثر مولاك، فلما ولَّت قال لها: تَقَرْصَعِي، أي اتئدي وانقبضي، فلم يَلْبَثوا أن أتاهم الشيخ وعمرو ابنه قد أدرك الإبل، فوضع لهم الطعام، فقال إلياس: السليم لا ينام ولا ينيم، فأرسلها مثلاً، وقالت ليلى امرأته: والله إن زِلْتُ أَخَنْدِفُ في طلبكما والهة، قال الشيخ: فأنت خِنْدِف، قال عامر: وأنا والله كنت أَدْأَبُ في صَيْدٍ وطَبْخٍ، قال: فأنت طَابِخَةٌ قال عمرو: فما فعلت أنا أفضل، أَدْرَكْتُ الإبلَ، قال: فأنت مُدْرِكة، وسمي عميراً قمعَةً، لانقماعه في البيت، فغلبت هذه الألقاب على أسمائهم، يضرب مثلا لمن لا يستريح ولا يُريح غيرَه.



الهجرة

أهل الشمال الفلسطيني هاجر أكثرهم للبنان وسوريا نتيجة أحداث فلسطين عام سبع وأربعين وثمان وأربعين ، فخرج حمدان وعائلته تجاه بيروت ، فهو من أهالي صفد ـ ولصفد علاقات تجارية مع أهالي بيروت وصور وصيدا والشام ـ ولحمدان ابن اسمه عامر ، وعند الخروج الكارثي كان طالبا في الجامعة الأمريكية البيروتية ، يدرس اللغة الإنجليزية ؛ ليعود مدرسا في البلدة أو عاملا في الإدارة الإنجليزية المنتدبة على فلسطين ، بعد إعلان الانتداب الإنجليزي عليها من قبل عصبة الأمم عام ١٩٢٠ .. كانت فلسطين والشرق العربي تمر بأوضاع وزمن صعب .. انسحب الأتراك بعد حكم مديد ، ودخل الإنجليز دولة الاستعمار الكبرى ودولة وعد بلفور .

تأسست منظمة الهاجاناه الصهيونية في العام ١٩٢١ في مدينة القدس في الفترة السّابقة لإعلان دولة إسرائيل ، وهي تكتّل عسكري صهيوني ، كان الهدف المعلن من تأسيسها الدفاع عن أرواح وممتلكات المستوطنات اليهودية في فلسطين خارج نطاق الانتداب البريطاني ، وبلغت المنظمة درجةً من التنظيم مما أهّلها لتكون حجر الأساس لجيش إسرائيل الحالي، وقد بلغت قسوتهم إلى أن قتلوا ٣٦٠ فلسطينيا في قرية دير ياسين ، عرفت العصابات الصهيونية بتاريخها الأسود مع البدايات الأولى لاغتصاب فلسطين، حيث تعود ولادة هذه العصابات الإرهابية إلى تطور "الاستيطان الصهيوني في فلسطين"، الذي شكل المقدمة لولادة عصابة "هاشومير" الصهيونية عام ١٩٠٩ والتي تطورت في ظل الاستعمار البريطاني وأصبحت المنظمة العسكرية السرية للحركة الصهيونية. فأنشأوا في يونيو ١٩٢١ منظمة جديدة تحل محل الهاشومير أطلقوا عليها اسم منظمة "الهاجاناه" وهي ذات تجهيزات وقدرات أعلى من الهاشومير ، كانت في بداية أعوامها التسع الأولى قادرة على حفظ الأمن والأمان للشعب الصهيوني الجديد، وكانت تدار من قبل إدارة مدنية يتزعمها "يسرائيل جاليلى"، وما إن اندلعت الثورة العربية في عام ١٩٢٩ والتي خلفت نحو ١٣٠ قتيلا صهيونيا، حتى انضم إلى المنظمة آلاف من الشباب الصهيوني المتطرف، وشرعوا في استيراد السلاح من الخارج، وإنشاء الورش لصناعة القنابل اليدوية والمعدات العسكرية الخفيفة، وتحولت إلى جيش نظامي فعلي بعد أن كانت مجرد ميليشيات ذات تدريب بدائي،

وفى عام ١٩٣٦ بلغ عدد مقاتلي الهاجاناه نحو ١٠٠٠٠ مقاتل، إضافة إلى ٤٠٠٠٠ من قوات الاحتياط ، وخلال ثورة ١٩٣٦ قامت الهاجاناه بحماية المصالح البريطانية في فلسطين وقمع الثوار الفلسطينيين على الرغم من عدم اعتراف القيادة البريطانية بالهاجاناه، فإن الجيش البريطاني أبدى تعاونا كبيرا في أمور القتال والتأمين، وفي ١٩ مايو عام ١٩٣٦ تشكلت فرق البالماخ .

انشق اليمين المتطرف بقيادة إبراهام تيهومى، من منظمة الهاجاناه، وأنشأ منظمة جديدة أسماها منظمة "الأرغون"، وكانت هي التي تصب الجحيم على أبناء الشعب الفلسطيني، والأرغون تعنى "المنظمة العسكرية القومية"، وهى تكتل عسكري إرهابي أذاق الشعب الفلسطيني الويلات، تلقت المنظمة دعما سريا قويا من الحكومة البولندية ابتداء من ١٩٣٦ لتهجير اليهود من بولندا لتطهير المجتمع البولندي من الشريحة اليهودية ، حيث إنهم كانوا من أفقر طبقات المجتمع البولندي ، وفى عام ١٩٤٣ تولى مناحيم بيجن قيادة المنظمة، وبعد قيام الدولة العبرية وإعلان الحكومة المؤقتة تم تفكيك كل المنظمات العسكرية لتكوين الجيش الإسرائيلي، كانت الأرجون إحدى هذه المنظمات، ما أدى لحدوث تصادم بينها وبين الهاجاناه أدى في النهاية لاستسلام الأرجون وإلقاء سلاحها.

خلال الثورة الفلسطينية التي قامت ضد الانتداب البريطاني عام ١٩٣٦-١٩٣٩ قامت العصابة الصهيونية "أرجون" بما يزيد عن ٦٠ عملية إرهابية ضد الفلسطينيين العرب ، إضافة إلى مهاجمتها قوات الاحتلال البريطاني، وقد تم وسم هذه العصابة بصفة الإرهاب من العديد من المنظمات العالمية ، شنت عصابة الأرجون الإرهابية سلسلة من الهجمات بعد نشوب الحرب العالمية الثانية راح ضحيتها ما يزيد عن ٢٥٠ من العرب الفلسطينيين في تلك الفترة.

عصابة شتيرن وتعد من أكثر الميليشيات الصهيونية شراسة وشهرة ، بعد الانشقاق الذي حدث في صفوف منظمة الأرجون الصهيونية في أعقاب موت السياسي اليهودي المجرم العتيد جابوتنسكي في عام1940 ، قام اليهودي إبراهام شتيرن بتأسيس مجموعة أطلق عليها اسم "المحاربون من أجل حرّية إسرائيل" والتي تُعرف باسم "شتيرن" نسبة إلى مؤسسها، ويعود السبب الرئيسي لإنشاء جماعة شتيرن لرغبة مؤسسها وأتباعه العمل المستقل خارج نطاق وتوجيهات المنظمة الصهيونية العالمية، بل وحتى بعيداً عن مظلّة الهاجاناه، الذراع العسكري للمنظمة الصهيونية على أرض فلسطين قبل إعلان

دولة إسرائيل في عام ١٩٤٨ وبمرور السنين، تلاشت منظمة شتيرن داخل جيش الدفاع الإسرائيلي ، ولا تمرّ ذكرى مقتل شتيرن مرور الكرام ، إذ يقوم السّاسة الإسرائيليون ومسؤولو الحكومة بحضور تأبين ابراهام شتيرن في كل عام ، وقامت الحكومة الإسرائيلية في العام ١٩٧٨ بإصدار طابع بريدي يحمل صورته ، من الجدير بالذكر أن قائد عملياتها الوحشية في أواخر الأربعينات اسحق شامير أصبح فيها بعد رئيسا للحكومة الإسرائيلية.

هرب حمدان بذريته وأحفاده نحو الشمال ، واستقر به المقام في مخيم برج البراجنة الملحق بذلك الحي من بيروت ، فهذا المخيم أنشئ عام ثمان أربعين لاحتواء عدد من اللاجئين الفلسطينيين الذين هربوا من ديارهم وأموالهم ، الهاربون من بطش عصابات الجيش الصهيوني الغاشم .

كان أكثر الهاربين يقطعون الجبال والوديان مشيا على الأقدام حفاة شعثا ، وبعضهم تمكن من حمل بعض المتاع على عربات تقودها الدواب المتيسرة لمن يملكها ، استقر حمدان وبعض إخوته وأقاربه ببيروت أملا بوجود فرصة عمل ، فهي إحدى العواصم العربية المهمة في ذلك الوقت وكان الناس على أمل العودة السريعة لمدنهم وقراهم وزراعاتهم بتدخل جيوش الدول العربية السبعة للقضاء على عصابات الجيش الإسرائيلي .

ولقد سمى الناس هذا العام بعام النكبة ، بعام النكبة الفلسطينية ؛كما كتب عارف العارف في كتابه الذي سماه النكبة ، لقد كان هذا الخروج كارثة كبرى على الأمة الفلسطينية ، فقد طال التشرد أغلب سكان الساحل الفلسطيني رغبة بالحياة والحفاظ على أعراضهم ، فقد بلغ عدد الهاربين ما يقارب المليون إنسان ، لقد دمرت ٤٧٨ قرية من أصل ٥٨٥ وقيل أكثر ، وهجرت الصهيونية سكان ٥٣١ قرية خارج ما يسمى إسرائيل ، لم يستوعب الناس الصدمة بسهولة ويسر ، وكما ذكر بعضهم ظنوا أنها بضعة أيام أو أسابيع وتنتهي هذه المعاناة وذلك التشرد والعودة للبيادر والحصاد والموسم ، ونتج عن هذه النكبة ظهور عدد كبير من المخيمات في لبنان وسوريا والأردن ، ثم بما سمي بالضفة الغربية وقطاع غزة ، تفرقت الأسر شرقا غربا شمالا جنوبا ، تمزق أهالي البلدة الواحدة إلى بلدان ، كانت إسرائيل المختلقة قد أعلنت ميلاد دولتهم في ١٤/ ٥/ ١٩٤٨، وكان ذلك على أثر إعلان بريطانيا الانسحاب يوم ١٥/ ٥/ ١٩٤٨ من بلادنا فلسطين .

وبذلك انتهى الانتداب الظالم الذي جيء به حاكما على فلسطين لتدريب الشعب على الحكم والإدارة

والاستقلال ، ولم يتدرب الشعب على الإدارة والحكم ، فلم تتكون لهم دولة ، وظهرت دولة جديدة في غرب فلسطين حسب قرار تقسيم فلسطين عام ٤٧ سموها دولة إسرائيل !

وبعد إعلان ما يسمى استقلال إسرائيل عن بريطانيا اشتعلت الحرب العربية الإسرائيلية الأولى في القرن الماضي ، اشتعلت الحرب لإعادة الهاربين الذين سموا باللاجئين ـ ومازالوا لهذا اليوم يحملون هذا الاسم ، ويعيشون في مخيمات اللجوء ـ وصدّق الناس هذه النوايا ، ثم انهزمت تلك الجيوش السبعة هزيمة نكراء ، وجرجرت قواتها وعادوا من حيث زحفوا ، ولها حديث في مكان آخر ، فأصبحت أرض فلسطين تحكمها ثلاث دول إلا الشعب والأمة الفلسطينية ، الدولة الوليدة من رحم الصهيونية التي استولت على أغلب الساحل الغربي من فلسطين ، ومصر استولت على غزة وما حولها ، وأنشأت حكومة عموم فلسطين التي لم يعترف بها إلا مصر ، وضمت ما سميت بالضفة الغربية لشرق الأردن المملكة الأردنية الهاشمية التي اعلن استقلالها عام ١٩٤٦ قبل النكبة بعامين.

البؤس والفقر عنوانا تلك الأيام من حياة الأمة الفلسطينية ، كان أغلب الشعب يعمل في الزراعة والفلاحة ، فهو يعتمد بعد الله ﷻ على إنتاج الموسم الزراعي ، فتدب بهم الحياة والرفاهية من الموسم إلى الموسم .

وخلال الرحيل من المدينة ولدت زوجة عامر حمدان ـ الطالب من سنوات في جامعة بيروت الأمريكية ـ وفقدت طفلتها ، ومرضت الأم مرضا شديدا ، ، ولم تجد تلك الحامل العناية الطبية المناسبة ، فماتت بعد الوضع والوصول للمخيم الملاصق لبرج البراجنة في منطقة بعبدا ببيروت وكانت من ضحايا الهجرة القسرية والتطهير العرقي الذي قامت به الصهيونية العالمية ودوّل الاستكبار العالمية .

عامر حمدان أنهى دراسته الابتدائية والثانوية في مدينة صفد ؛ حيث يسكن والده التاجر الصغير في تلك البلدة ، ولما أنهى المرحلة الثانوية عام ست وأربعين تقرر أن يسافر للدراسة في جامعة بيروت الجامعة الأمريكية التي أسست عام ١٨٦٦ من قبل المبشر الأمريكي دانيال بلبس ، فلم يكن في فلسطين أي جامعة عربية قبل ١٩٤٨ .

الأهل قبل سفره لبيروت والغربة للدراسة ؛ ليعود ليعمل مدرسا أو موظفا في الإدارة الإنجليزية المنتدبة على فلسطين زوجوه من ابنة خالته خوفا عليه من نساء بيروت وفاتنات بيروت ، خوفا عليه من الالتهاء بفتيات الحانات ؛ كما كانت الدعاية عن بيروت تلك الأيام .

فتزوج حسب التقاليد الشعبية المنتشرة في وطنه ، ثم سافر بعد أن قُبل وسكن مع بعض الطلبة الفلسطينيين في برج البراجنة ببيروت ، وقد ولدت له المرأة ابنه جابرا أثناء الغربة ، ولما حملت البطن الثاني حدثت النكبة والتهجير القسري الذي ما زالت آثاره لليوم ، وبعد شهور يسيرة هلكت في المخيم الذي أنشئ للمهاجرين الذين وصلوا لبيروت لوجود بعض أقاربهم ومعارفهم في بيروت حيث فرص العمل أكثر من صور وصيدا ، حيث أقيمت مخيمات أخرى للمهاجرين ، ولما أعلن عن وكالة الغوث ، وتسلمت مهمة رعاية شؤون المهاجرين الذين سموهم اللاجئين فتحت مدارس لتعليم الشعب العربي الفلسطيني ، وتوفير العمل والعلاج لهم وغير ذلك ، فأقامت الوكالة الخيم ابتداء لتدريسهم ، فلما تخرج عامر من الجامعة بليسانس تعليم عمل في الوكالة بصفته لاجئ فلسطيني .

ولما انتهى الحزن التقليدي عن وفاة زوجته تزوج امرأة بيروتية عرفها أثناء حياته في بيروت اسمها نهى خالد ، فولدت له بنتا سماها نورا وعددا آخر من الصبية خلال السنوات .

امتد الصمت الفلسطيني من انتهاء حرب ثمان وأربعين حتى أربع وستين حيث أعلن عن كيان سموه منظمة التحرير الفلسطينية ، بدعم قوي من ناصر حاكم مصر الجمهورية ، ولا يعني هذا أنه لم تكن هناك أحداث مهمة وتجمعات فلسطينية لتحرير فلسطين ، وكسر الصمت العربي والفلسطيني ؛ لكن الصدمة كانت كبيرة لم تستوعبها الأمة الفلسطينية بسهولة كان البحث عن لقمة العيش صعبا ومهينا ، كان البؤس قاتلا ؛ فكان الشباب يتناثر في البلدان العربية والعالم ، وكانت الكثير من دول العرب تحت يد الاستعمار الإنجليزي أو الفرنسي ، والهيمنة الأمريكية المنتصرة في الحرب الكونية الثانية .

لقد كانت المجازر اليهودية مستمرة على الشعب الفلسطيني والعربي المجاور لفلسطين ومتلاحقة ، فكنت ترى الاشتباكات مع الجيش العربي الأردني الحاكم للضفة الغربية والعدوان المستمر على غزة والعدوان الثلاثي على مصر ، والانقلابات العسكرية هنا وهناك ، فكنت ترى انقلابا في مصر ، وآخر في سوريا ، وثالث في العراق وإيران وتركيا ، ثم كان استقلال دول المغرب العربي عن فرنسا .

الأحداث كثيرة وكبيرة ومتلاحقة ، وتوسع الفكر القومي ونشط وحكم بظهور قومية عبد الناصر والبعث السوري والعراقي والاشتراكية والشيوعية ، خلط معقد ومدمر ، وانتهى الأمر بظهور كيان اسمه منظمة التحرير لتحرير فلسطين

من اليهود المحتلين للساحل الغربي منها .
وكان الفلسطينيون في حيرة كبيرة لم تظهر زعامة تقودهم لتحرير بلادهم ، زعامة يلتف حولها أغلب الشعب ، كانت زعامات كثيرة وأيدولوجياتها متعارضة متناقضة ، كانت مخيمات اللجوء قمة البؤس والشقاء واليأس والتعاسة للمشردين ، وتمثل الحياة القاسية للعائلات المصدومة المشردة .. ويقال هو لاجئ يعني اصمت لا حقوق سياسية في الدول المضيفة ولا اقتصادية ولا اجتماعية .
فكان حمدان المهاجر يعيش أياما كئيبة صعبة ، ذكريات حلوة تركها في قلب صفد رغم الانتداب ، وحياة بؤس في قلب بيروت ، وعائلة كبيرة مشردة ، فيرى الموت هو الحل الأمثل من شدة الفقر والبؤس ، مساعدة الوكالة التي لا تغني من جوع ولا تطعم هذه الأفواه؛ إنما تسد الرمق ، وحتى أهل البلاد أغلبهم فقراء يحتاجون لمساعدة ، فالدول العربية أغلبها تحت الاستعمار ، والمستقل ما زال يعتمد على المستعمر مالا وتسليحا ورعاية ، والصراعات على الحكم مستعرة بين رجالات الحكم .
وكان قد زوج ولده عامر قبل الخروج للدراسة في بيروت ، وترك حازما الأكبر الذي لم يكمل دراسته ، والذي عمل في حرفة؛ فكان عليه بعد الهجرة أن يزوجه ، وكان قد زوج ابنتين قبل الرحيل بثلاث أو أربع سنوات ، ولما رأى حازم الفقر والبؤس هاجر للكويت كعدد كبير من الفلسطينيين وأجل الزوج ، وأما عامر الذي تزوج وماتت زوجته بعد الهجرة بحملها الثاني ، فلما تخرج من الجامعة الأمريكية في بيروت وتعين في مدرسة تابعة للأونروا ، ولم تمض سنة واحدة على عمله حتى تزوج نهى ، وسكن بيتا في برج البراجنة قريبا من المخيم ، وساعد الأسرة ؛ ولكن مساعدته لم تكن ذَا قيمة لأسرة مشردة ثلاث بنات وثلاثة أبناء دون العشرين ، وأعمام وعمات وأخوال وخالات يعيشون نفس الظروف .
عمل حمدان خمس سنوات في الوكالة ، ثم استغني عنه نتيجة مرض تعرض له أقعده عدة شهور فأخذ يعمل على عربة لبيع الترمس والكعك أمام مدرسة أو مقهى أو أمام البيت .
وكان من نتيجة وصدمة التشرد يغيب ذهنه ويسرح مع الماضي ويغمره النسيان ، كان يتحدث مع زوجتيه ويتسأل : هل سيبقى هؤلاء الفتيان على مقاعد الدراسة ؟ فلم تكن مساعدة عامر تفيد الأسرة شيئا .. وهو عنده ولد وزوجة ، ويستأجر بيتا .. والابن المهاجر للكويت لم يرسل لهم أي مساعدة .. هو الآخر لم يتزوج .. فهو أكبر من عامر .

فقالت أم حازم الزوجة الأولى : ليس لنا قوة إلا بإكمالهم التعليم يا أبا حازم .

وهكذا قالت الزوجة الثانية أم محمد .

فقال بحزن : ما أعمله لا يسد رمق هؤلاء الناس فكيف سيعلمهم ؟!



قالت : أولادي راغبون بالدراسة مثل عامر .

وهكذا كان قول أم محمد .

فقال بأسى : لم نعد نسمع أخبار حازم ، وهو بحاجة لزوجة ، ونحن كنّا نستعد لزواجه بعد انتهاء عامر من الجامعة ، وعامر تزوج كرة أخرى بعد ترمله .. وأنا زوجته لم تعجبني ومستهترة بالحياة ؛ ولكنه تعرف عليها أثناء الدراسة كما يقول .

قالت أم حازم : أحوال حازم كما يقول أخي تامر مقبولة ، ويعمل بشكل جيد ، ولما يتمكن من العمل في إحدى الوزارات الكويتية يمكنه زيارتنا

فقال ناسيا : ماذا يعمل هناك ؟!

قال أمه : اشتغل كما يقول شقيقي في النجارة والصيد ..فالكويت بلاد حارة .

فقال : هو حازم ماذا يعمل ؟

قالت : كان نجارا قبل الهجرة كما تعلم ، ويعمل بنفس مهنته قبل النكبة .. وتعرف على بعض الكويتيين ومن المهاجرين مثلنا .. ويتعاطف بعض الكويتيين مع قضيتنا وشعبنا ، ويدعموننا لعمل ثورة تعيدنا لبلدنا ..

هتف حمدان مدهوشا : ثورة في الكويت ! على من ؟!

قالت : ثورة على اليهود .. فهناك المهندس ياسر عرفات وأبو جهاد كما ينتشر لعمل ثورة .

تنهد بعمق المأساة : عرفنا هذه الأسماء هنا ، فلهم دعاة ينتشرون في المخيمات مبشرين بثورة يقودها الشعب الفلسطيني بدلا من الأنظمة التي تتاجر بقضيتنا ، كلما فعل أحدهم انقلابا يزعم أنه من أجل فلسطين .. لقد ذكرت بعض المجلات كما يقول عامر تنشر أو تسرب مثل هذه الدعاية وحتى في مدارس الوكالة ؛ ولكن الكويت بعيدة عنا .

قالت : هذا ما سمعته من أخي في زيارته الأخيرة للمخيم ، وينشط معهم ولدنا حازم لدعم القضية .. والله لا ندري هل سنعود لبلدنا في يوم ما أم نموت هنا ؟ كما ماتت ابنة أختي وابنتها وعمي احمد ووالدك عمران .

قال بحزن : الأعمار بيد الله يا أم حازم .

قالت أم محمد : ثورة ست وثلاثين خذلها الزعماء

العرب ..هل سيحاربون معنا وعنا ؟

قال بأمل : القلوب تتغير يا أم محمد .

قالت أم حازم بحماس وشك : تامر يقول ستكون ثورة قوية تزيل اليهود من أرضنا وتحرر كل فلسطين من النهر إلى البحر .. هو هم وصلوا النهر يا أم محمد ؟

قالت : وصلوا طبريا والبحيرة قرب النهر .

قال وكأنه غير مصدق بالعودة القريبة : والله نسمع من الناس الكثير من الكلام والحماس عن الثورة القادمة .. فها هم الثوريون هنا يقولون مثل ذلك مثل شفيق وحبش وممن يسمون أنفسهم بالثوريين والمحررين والمعجبين بحاكم مصر الذي حرر القناة من الإنجليز .

قالت : الكل يقول أنه جدع ويساعد أهل غزة ويدربهم كما نسمع ، وأبي يقول إنه يدعم أحمد لإنشاء المنظمة ؛ لتكون كيانا لأهل فلسطين .



الثورة

الأول من يناير عام خمسة وستين أعلن الزعيم الفلسطيني ياسر عرفات عن انطلاق حركة لتحرير فلسطين سماها فتح ، وجناحها العسكري أسموه العاصفة ، وأعلنت الكفاح المسلح لتحرير الساحل الفلسطيني المحتل من قبل إسرائيل عام ثمانية وأربعين ، وتقبل بعض العرب الأمر على توجس وريبة ؛ لأنه قبل شهور أعلن عن قيام الكيان الفلسطيني منظمة التحرير بدعم من مصر ودول عربية ، وأنشئ جيش التحرير الفلسطيني في غزة وسوريا والأردن ، وكان هناك المعارض لوجود هذا الفصيل الغامض الذي لم يكشف عن أوراقه بعد ، وقام بعدة عمليات عسكرية في غزة والضفة الغربية ضد اليهود .

واستبشر الكثير من أبناء المخيمات بظهور هذه الحركة المستقلة عن الدول العربية ؛ كما بدا للوهلة الأولى ، وبدأت تظهر للعلن معسكرات لتدريب الشباب في معسكرات ظاهرة في لبنان والأردن والضفة وغزة ، وظن الكبار أن فلسطين اقترب تحريرها من المغتصب ، وشطب اليهود من الوجود بأيدي أبنائها ورميهم في البحر الأبيض ، وأن زمن التشرد والخيم والبراكيات والبؤس على وشك الزوال بالعودة للديار والأشجار ، يصحب ذلك الجو المتفائل مع كل بيان يصدر باسم تلك الحركة التحريرية ، وبدأت بعض الفصائل الثورية الأخرى تعلن عن فصائلها العسكرية تباعا .

وتهافت الشباب البائس المتعطش لصوت التحرير

يندفع نحو معسكرات التحرير بشكل أقوى من الأول ، فقد أصبح تحرير الأرض على مرمى حجر ، والحماس يرتفع يوما بعد يوم ، حتى أن عامرا المناضل القومي كان يترك المدرسة والتدريس ليتدرب على السلاح أكثر من الأول ، ورأى أن وجوده في منظمة فتح أفضل من حركة القوميين العرب ، وترك التفكير بالرحيل للكويت ، والعمل فيها كمدرس ، وفكر بالاستقالة من مدارس الوكالة ، واعتذر لشقيقه حازم عن السفر فتحرير البلاد أولى من تحسين الدخل المالي ؛ فقد لمس بؤس المشردين في بيروت وعموم لبنان ومعاناة الفقر والمرض والهزال والعري حتى أن الناس تخيط شوالات المؤن ملابس داخلية للفقر والحاجة ، لهم سنوات يحيون حياة اليأس والأمل ؛ فكان يتدرب مع الكبار فترة المساء ، وقد أنشئت معسكرات للصغار والأحداث وسموا بالأشبال ، كان لدى اللاجئون أمل بقرب العودة أمام الخطابات النارية للزعماء وللعمليات التي تصدر عن قيادة النضال الفتحاوي، وكان فريق يشكك بصدق تلك العمليات ، وبعضهم يصدق حدوثها ، ويرى أنها تضخم لرفع الروح المعنوية لسكان مخيمات اللجوء الكثيرة، وجلب المزيد من المتطوعين والمناضلين .

وتراه يقول لزوجته نهى : الفجر اقترب أن يسطع نوره ، ونعود يا أم نورا لبلادنا في صفد إنها اجمل وأروع من هذه المدينة المكتظة بالأجناس المتنوعة ، ونعود لتلك البساتين الجميلة ، وإلى دور الآباء والأجداد .

فحلم العودة كان يراود الفلسطيني في كل مكان وزمان وما زال ، فأقرأ ما قال شاعر العودة:

إننا لعائدون

عائدون عائدون *** فالحدود لن تكون

والقلاع والحصون *** فاصرخوا يا نازحون

إننا لعائدون

عائدون للديار *** للسهول للجبال

تحت أعلام الفخار *** والجهاد والنضال

بالدماء والفداء *** والإخاء والوفاء

إننا لعائدون

عائدون يا ربا *** عائدون يا هضاب

عائدون للصبا *** عائدون للشباب

للجهاد في النجاد *** والحصاد في البلاد

إننا لعائدون

قصيدة لاجئ للشاعر هارون هاشم رشيد:

أنا لن أعيش مشردا	أنا لن أظل مقيّدا
أنا لي غدٌ وغداً	سأزحف ثائراً متمردا
أنا لن أخاف من العواصف	وهي تجتاح المدى
ومن الأعاصير التي	ترمي دماراً أسودا
ومن القنابل .. والمدافع	والخناجر ... والمُدى
أنا صاحب الحق الكبير	وصانعٌ منه الغدا

أنا ثورةٌ كبرى تزمجر   بالعواصف والردى
أنا لاجئ وطني استبيح   وداسه غدر العدى
أنا نازح داري هناك   وكرمتي .. "المنتدى"
وطفولتي درجت على   أرض البطولة والندى
وصباي كم نهل المنى   فوق الروابي واغتدى
وشبابي المشبوب كم   جمل الكفاح وكم شدا
وبطولتي نبتت هناك   وأينعت تحت الندى
بين الصخور الداميات   مع النسور مع الهدى
صرخات شعبي لن تضيع   ولن تموت مع الصدى
ستظل لسعاً كالسياط   على ظهور من اعتدى
ستظل في أجفانهم   أبداً لهيباً مرعدا
وطني هناك ولن   أظل بغيره متشردا
سأعيده .. وأعيده   وطناً عزيزاً سيدا
سأزلزل الدنيا غدا   وأسير جيشاً أوحدا
لي موعد في موطني   هيهات أنسى الموعدا

الاعتزال

اشتعلت الحرب الأهلية في لبنان فعليا سنة ٧٥ ، ودخلت الفصائل الفلسطينية المعارك للدفاع عن نفسها ، والوقوف مع حلفائها اللبنانيين .

أنهى الأستاذ عامر خدماته مع وكالة الغوث ،وفي نفس الوقت اعتزل العمل الثوري بسبب إصابة تعرض لها من اعتداء على أحد معسكرات الثورة ، وقد نجا من موت كما يقال بأعجوبة ، ولما شفي أصبح خارج التنظيم ، وظل مستقرا في شقته المستأجرة في منطقة برج البراجنة القريبة من المخيم من مطلع الخمسينات ، وكان يجلس في البيت مع زوجته نهى خالد التي رافقته الحياة منذ ماتت أم ولده جابر الذي درس في جامعات بيروت ، وأصبح محاميا يعمل في العاصمة ، وقد تزوج فتاة من أصول لبنانية تعمل معه في الشركة.

فقالت له نهى خالد : إن ابنتنا نورا ترغب بالاقتران بالطبيب داني ابن صديقك معزول وفاتن .

حدق فيها وهز رأسه وقال بحسرة : ألم تجد إلا هو ؟!

قالت : هذا ما قالته لي من مدة !.. وأنا أحاول إقناعها بالابتعاد عنه ، وإنها ما زالت طالبة .

قال مرددا ساهما : إنها ما زالت طالبة ! ولماذا اختارها وهي طالبة ؟

قالت : الحب كما يزعم شباب اليوم.

قال : وكل زمان ..ألم نتزوج نحن عن حب ؟

وسكت لحظات وتابع قلقا : ولكنك تعلمين أن الدكتور داني ابن من ؟ هو ليس ابن صديقي معزول بحق هو يحمل اسمه فقط .

قالت : هما لا يعرفان .

قال محتدا : أنا لا أحب زواجها منه .. فهذا فعل يعقوب .

قالت بثقة : وأنا قلت مثل ذلك لنفسي .

قال : أنا أرفض هذا الزواج يا نهى ! هذا انتقام من

يعقوب .. ما زال اللعين يرغب فيك .

قالت : أنت تعرف أنني رفضته يا عامر ! وقبلتك أنت .

قال : أعرف أعرف .. أيام عشناها سوية ؛ لكنه كلما نلتقي يذكرني بأني سرقتك منه .

قالت صارخة : كذاب ! كنت أمامه قبل أن أعرفك .. أنت لم تسرقني منه ، ولم تخطفني .. قلت له عليك أن تنسى يا يعقوب تلك الأيام السوداء القذرة .. أنا اليوم زوجة صالحة ، عندما جئت بيروت هاربة من البلدة .. كان عليّ أن أقبل بالعمل معه ومع زبائنه .. ماذا يفعل المرء مع الفقر والشقاء والرعب ؟! وخاصة فتاة سقطت في الرذيلة يا عامر ! لولاك لظللت فتاة دعارة ؛ وربما مت قديما .

قال متذكرا قصتها : نعم ، أذكر بؤسك ودموعك والغدر الذي أصابك في بلدتك من سيدها ووحشها .. وكيف غدر المجرم بك ؟ حتى طلب منك أبوك الهرب إلى بيروت .. وتعرفت على يعقوب ، واستغلك للعمل في المرقص أو الحانة ، وقدمت نفسك لزبائنه حتى التقيت بك أثناء الدراسة ، وأعجبت بك ، وعشنا معا أياما سعيدة ، ولما ماتت زوجتي قبلت بالزواج مني رغم رفض يعقوب الشيطان ، وعاهدتنني على الابتعاد عن الرذيلة إذا تزوجنا .

فقالت : ولقد وفيت لك بالعهد يا عامر ! وما زلت رغم وعود يعقوب بالزواج مني نكاية بك .. وقد ولدت لك خمسة مواليد ، قتل ثلاثة في غارة على مدرسة من قبل اليهود ، وظلت نورا وجاد .

قال بحيرة : نعم ، واليوم نورا ترغب بالزواج من ابن صديقتك فاتن عشيقة ذلك الموظف في السفارة الذي يظن أن السيد معزولا والده .

قالت : أنت تعرف تفاصيل تلك القصة .. هل حقا مات هذا الرجل يا عامر كما شاع ؟!

قال : أنا لم أقل لك إنه مات ؛ إنما اختفى .. واعتقد الجميع أنه قتل .. أنا لم أره ميتا .. ولا أعرف أين اختفى ؟!

قالت : وتزوج يعقوب الأرملة بأمر من موظف السفارة .

قال : أنت لا تعرفينه !

قالت مدافعة : لا ، لا ، يا سيد عامر ! ولا حتى فاتن تعرف من هو ؟ هو سلم ليعقوب القواد المهمة ..كان يذهب بنا إلى البيت المستأجر نسكر سوية ويمارس معنا البغاء .. وينصرف الجميع وكان يعقوب يدفع لنا بكرم ، ولما حملت فاتن كان لابد لها من زوج ، وكان معزول هو الزوج وقد وافق على الزواج ؛ ليكون الأب لداني أمام القانون ، فقد قبض مالا كثيرا مقابل ذلك .. ولما تعرفت عليك أثناء دراستك وقبلت حبك لم أذهب لشقة

يعقوب كما فعلت فاتن ، ثم ماتت زوجتك وتزوجنا ، ولم أخنك أبدا .

قال : صدقت ، وكيف سنمنع هذا الزواج ؟

قالت : أنا بينت رفضي لابنتي .

قال : وأنا سأرفض مثلك .

قالت : تهددني بالهرب معه يا عامر !

كان جابر يقول لأبيه وزوجته أم نورا : أنا لن أسمح بزواجهما .

قال عامر : وأنا وأمها لا نرغب بذلك يا جابر !

قال جابر : أنا أعرف سبب رفضك ، ولا يهمني سبب رفض أم نورا .

قالت أم نورا ببرود : رغم أنها بكري يا جابر .. وأنا أعلم أن والدك عامر كشف لك سر ولادة داني ؛ فأنا لا أحب لها الزواج منه .. وعليك أن تصدق هذا .. وعليك بالحكمة وحسن التصرف .. فيعقوب رجل شرير .. وكما قال والدك يرغب بالانتقام منا وبالذات مني لأسباب ربما حدثك عنها أبوك .

قال عامر : لم أحدثه بكل أسرارنا يا نهى .. فهي لا تهمه .. ولا أرغب بالحديث عنها .

قال جابر : تحدث عنها يعقوب يا سيدة نهى ! وكلنا يخطئ ، ثم ينصلح .. هل يعيش أحد في بيروت ولا ينحرف ؟ إذا كان مستعدا لذلك ؛ لكن الزواج شيء آخر .. أنا نصحت يعقوب وربيبه بالحذر من غضبنا .. فسخرا مني وقال يعقوب : رأس مالك طلقة طائشة !

قال عامر بانزعاج بين : هذا لعين يا جابر !

قال جابر : لن ترحمه فاتن .. نعم ، قد يستغل هذه الحرب الأهلية للغدر ؛ لكنه لن ينجو من نارها كما يتوهم .. أين اختفى معزول ؟

قالت : هل يعلم داني شيئا عن أبيه ؟

رد عامر قائلا : بالتفصيل لا أعتقد .. فوالده الحقيقي كما تعلمون ليس معزولا .. ولا أعتقد أن يقول يعقوب له ذلك .. المشكلة أنه لا يصدق مثلنا بوفاة معزول .

قالت : هل حدثته أمه عنه ؟

قال : يقول يعقوب إنه يعرف باختفاء أبيه معزول ، وإنه لم يقتل كما يشاع .

قالت لجابر : أنت ما علاقتك بيعقوب ؟

قال : القضايا يا سيدتي ، ثم زعم لي بصداقته لأبي ولك .

قالت : شيطان !.. أختك تهدد بالهرب معه .

قال باسما : حذرتها ..وهي تسخر مني ، وقالت : حين أنتهي من الجامعة يحلها ألف حلال .

قالت : لا أعتقد أنها ستصبر يا جابر ! وإلا صمتت عن الحديث عن الزواج .. تحدثت لتقول لنا رغبت بموافقتكم ورضاكم فرفضتم .. وأنا بالغة راشدة حرة التصرف والاختيار .

قال جابر: أتظنين أنها عذراء ؟

ضحكت وقالت بتهكم : وهل تظن أحدا في بيروت يفكر بالعفة يا جابر ؟!

قال جابر: صدقت ! بيروت غير المدن .. الاستعمار والحروب والاغتصاب لا تدع أحديهتم بذلك . سكت قليلا وتابع لما رأى صمتهم : سوق الدعارة والبغاء في قلب العاصمة ، وهو سوق رائج مع عشرات ومئات الجواسيس والمنظمات .. وأنت يا أبي !

قال : وأنا مثلكم ، لا أظن عذراء تعيش في شوارعنا .. عشرات الحانات والمراقص والخمارات والعصابات .. إلا المتدينات وبنات الحركات الدينية.

قالت : ربما تجد ذلك الشرف عند أهل الدين والجماعات المتدينة وفي الأرياف والقرى.. كما قال والدك ـ ربما !

داني ونورا

داني معزول ونورا عامر تناولا طعاما في مطعما راقيا في أحد المطاعم الشهيرة ببيروت في فترة السبعينيات ، ولما انتهيا منه أخذا يرشفان القهوة ، وقال الدكتور الطبيب داني بحيرة : لماذا يرفض والداك زواجنا ؟! فعلا لماذا ؟فهما يعلمان بقصة حبنا ورغبتنا بالحياة كزوجين.

قالت بدون مبالاة : صدق يا داني أنني فعلا لا أدري ! كنت أظن أنني عندما أعلن ذلك سيعلنان فرحهما وترحيبهما ! فوالدك كما نعلم ونسمع كان صديق أبي وأمي أيام الجامعة الأمريكية وبعد الجامعة حيث عملا معا في التدريس .

قال وبغضب : والذي يغيظني ويغضبني أكثر رفض أخيك جابر اللعين .. ولا أعلم سبب كرهه لي ، وليس بيني وبينه صداقة .

قالت بتذمر : نحن أسرة معقدة .. لا تفكر ولا تهتم بأحد منهم .. سنتزوج شاءوا أم أبوا .. سنتزوج رسميا وقانونيا .

قال: أنا أرغب بك زوجة حقيقة يا نورا ؛ ولكني خائف من العواقب .

قالت: ولماذا أنت خائف ؟

ـ الموت مخيف !

قالت : كلنا سيموت.. ها أنت ترى الانفجارات والاشتباكات تحدث فجأة ودون سابق إنذار ويقتل من يقتل ؛ كأنه فرخة .. أليس نهاية كل حب الزواج ؟ .. يجب أن نتزوج .. أنا لا أقبل أن أظل مجرد عشيقة يا داني ! تحلو في وجهك طبيبة ، ممرضة ، مريضة عالجتها أعتذر إليك نورا

ـ هذا فعل مسلسلات وأفلام سينما مصرية ..ولا أنا أقبل ذلك ! من حقك أن نتزوج شرعا وقانونا .. ويعقوب زوج أمي يرى ذلك ويرحب به .. وأمي تريد ذلك ؛ إنما أسرتك هي التي عقدت

الموضوع .. ألا تخشين على حياتي ؟
قالت : كيف لا أخشى على حياتك ؟ بل أخاف على حياتك أكثر من حياتي ، وتهمني حياتك أكثر من حياتي ..وأنت تعلم هذا .. كنت أظن فعلا رغبة لدى أمي بزواجي منك .. وأن المدعو أبي سيوافق فور أن أعلن ذلك ؛ ولكن حادث أبي يبدو أنه خربط دماغه وأعصابه ومقتل إخواني كذلك .. والغريب حقا موقف المحامي اللعين .. هذا الذي لا أفهمه ! فهو يكره أمي كرها لا أفهمه ، وأراه يتحدث معها باحتقار واستعلاء ، أو كأنه يتحدث مع حيوان حتى بدأت أفكر بغموض حياة أبي وقصة علاقته بوالدك الميت .
قال بضيق: والدي الميت لم يعثر على جثته ؛ كما يقول يعقوب ، فيعقوب يزعم أنه مات في عملية فدائية داخل فلسطين كما كان يحب ويسعى ، وأن إسرائيل أخفت جثته في قبر مجهول ، ولما ظهر ذلك وانتشر تزوج يعقوب أمي الأرملة .. أنا أفكر بالهجرة إلى أمريكا أو أوروبا .
قالت بقلق : لا أحب أن تغدر بي يا داني وتهرب مني !
قال : يستطيع يعقوب إرسالنا للأرجنتين، يقول إن له أصدقاء فيها.. الحب ملعون يا نورا !
قالت : ملعون ملعون .. المهم أن يتحقق زواجنا ، وأن أعيش معك.. وأخرج من البيت ، لم أعد أطيق رؤية أبي عامر !
قال وهو يعود لموضوع الزواج : ألا تعرفين يا نورا سبب رفضهم لي كزوج شرعي ؟!
قالت بغضب مكبوت : أمي لا تعرف سر رفضهم لك مع أنهم لا يهمهم علاقتنا الخاصة وحياتنا الخاصة ويعلمون عمقها .
قال بتفكر: والدك عجيب أمره !.. كنت أظن صدقا أنه سيفرح بإعلان زواجي من ابنته كما تقول أمي وزوجها يعقوب .
قالت: أمك أليس عندها علم وتفسير ؟! فهي صديقة نهى قبل زواج أبي منها منذ التقتا هنا .
قال : أبي أيضا كما تعلمين كان صديقا لأبيك وأمك ، وكان مدرسا مع أبيك؛ بل كلاهما جاء من مدينة صفد للدراسة حيث تدرسين في الجامعة الأمريكية ، وكانا من أتباع حركة القوميين العرب التي نشأت مع نكبة الفلسطينيين سنة ٤٨ ، ومعجبون بجورج ووديع ابن صفد ، ثم اختفى أبي كما قيل لنا بعملية فدائية داخل فلسطين عام ٥٦ عندما تعرضت مصر للعدوان الثلاثي أو أزمة السويس ، وقد ذهب لغزة للعمل مع الفدائيين والمصريين ، ولما ظهرت الثورة الفلسطينية في ٦٥ انضم والدك لفتح والثوار ، وبعد هزيمة العرب عام ٦٧ أمام الجيش الصهيوني ذهب أبوك للأغوار في الأردن ، وبعد الكرامة رجع لعمله في الأونروا

، وبعد تعرض والدك للموت بحادث تفجير غامض اعتزل الثورة والتدريس .. فهذه قصة أبيك وأبي كما سمعتها من زوج أمي يعقوب .

قالت بتشكك: يوجد بعض الغموض في حياة أبي عامر ، وهذه التفاصيل لا تهمني يا داني .. أنا كان همي الوحيد دراسة الطب ، وكان ذلك على يد يعقوب كصديق للعائلة ، ثم تعرفنا على بعض وقبلت بك صديقا ومحبا يا داني ، ولم تعترض الأسرة على صداقتنا ، فرأيت أنهم يرغبون بزواجنا ، ولما حدثت أمي برغبتنا الزواج امتعضت واستأت ، ونصحتني بعدم التورط بالزواج قبل إنهاء الجامعة .

قال حالما : وأنا ما زلت انتظر .

قالت بحسم : لم تعد فائدة للانتظار يا داني ! متى ستحسم أمرك ؟

قال : والجامعة !

قالت : الكثير من الطلبة يتزوجون وهم يدرسون .. ويعقوب لا أعتقد أنه يرفض زواجنا أليس كذلك ؟!

قال : هو يحب زواجنا ؛ لذلك رغبني بالتقرب منك قبل تخرجي من سنتين . .وهو يحب ذلك .

عامر والدراسة

صفد مدينة مهمة في الحركة الوطنية والنضال الشعبي في فترة الانتداب ، وكان فؤاد حجازي شهيد هبة البراق ١٩٢٩ أحد أبناء تلك المدينة الكائنة في الشمال الفلسطيني، أحد الثلاثة الذين أعدمهم الإنجليز في حزيران ١٩٣٠ بتهمة أحداث البراق .

وفي صفد تشكل أول فصيل فلسطيني مسلح في منطقة الجليل عام ١٩٣٠ فصيل "جماعة الكف الأحمر" برئاسة القائد أحمد طافش ، وفي ثورة ١٩٣٦-١٩٣٩ كانت صفد ومنطقتها معقلاً مهماً من معاقل الثورة الفلسطينية، ونشطت فصائل منطقة الجليل بقيادة أبي إبراهيم الكبير " خليل العيسى " ، وقد بلغ عدد ثوار هذه الفصائل بضع مئات من أبناء مدينة صفد وقراها ، كان عدد سكان المدينة عام ١٩٤٧ قرابة ١٣٥٠٠ نسمة ، منهم ٢٦٠٠ يهودي.

صفد مدينة مختلطة عبارة عن أحياء وطوائف مثل القدس والناصرة ، وهي عبارة عن سبع حارات، خمس منها يسكنها المسلمون وفيها أكثر من مسجد كالجامع الأحمر ، وجامع السوق وجامع الشعرة الشريفة ، وحي للنصارى ، وآخر لليهود كمدينة بيت المقدس ، لم تكن الأحياء منفصلة بل عبارة عن تواصل معماري واجتماعي وتقارب ، خصوصاً مع المسيحيين من دون تمييز، لكن دون مصاهرة ، أما اليهود فكانوا يعملون أيضاً في الأرض، حيث كان الاختلاط سائداً فيها بين

المسيحيين والمسلمين، أما اليهود فكانت لهم مدارسهم الخاصة بالطائفة .

أنهى عامر المرحلة الثانوية سنة ٤٦ ، وكان السفر لبيروت لدراسة اللغة الإنجليزية في جامعة بيروت الأمريكية ، لم يكن للفلسطينيين جامعة في فلسطين زمن الانتداب ، كان عامر ترتيبه الثاني بين ذكور السيد حمدان التاجر في سوق صفد ، فشقيقه حازم الأكبر منه بسنة تعلم بضع سنوات ، ثم اشتغل نجارا ، ولما تقرر سفر عامر أصرت العائلة على زواجه قبل السفر خشية انحرافه في بيروت التي تبعد عن صفد تسعين كيلو متر تقريبا ، كانت بيروت العاصمة معروفة بكثرة الملاهي والخمارات لكثرة النصارى والطوائف فيها كما هو معروف ، وكانت كأنها مدينة أوروبية في التقدم والمدنية ، وعادة مثل هذه المدن بسبب الحرب الكونية والاستعمار الفرنسي مرتعا للجنود والضباط للرفاهية ، وقضاء الشهوات خلال الحرب ، فكنت ترى أن البغاء ينتشر فيها بدون عوائق كالقاهرة خلال الحرب الثانية ، تجد فيها شوارع مخصصة للمتعة واللذة والترفيه ، فترى فيها المومسات وبنات الهوى من جنسيات مختلفة عربية وأوروبية .. قدمن إليها للترفيه عن العساكر الغربيين وجند المارينز عام ١٩٥٨ .

تزوج عامر حمدان ابنة خالته ، ولما حان موعد بداية العام الجامعي سافر برفقة قافلة ، واستقر في برج البراجنة حي في جنوب بيروت قرب مطار بيروت الدولي ؛ حيث يبعد أقل من اثنين كيلو متر عن المطار ، كان قد سبقه الكثير من أبناء البلد أبناء الأغنياء والتجار في مدينة صفد ذات الخليط من الطوائف ومثلها بيروت .

وكان عامر قد تعرف على شاب صفدي من أبناء المدينة يسبقه بعام اسمه معزول عدلي ، ويدرس مثله في الجامعة الأمريكية التاريخية ، كان سجل لدراسة ليسانس اللغة الإنجليزية ، أصبحا صديقين فور أن استقر عامر في المدينة .

وخلال زمن يسير أصبح عامر رفيق معزول في السكن ، وفي ارتياد مراقص اللهو ، وحانات بيروت ، لم يكونا متدينين كأغلب أبناء التجار خاصة في مدينة مختلطة كصفد رغم وجود المساجد والتدين الغالب على الشعب الفلسطيني؛ لكن الانتداب البريطاني كان يسهل الانحراف والبارات ودور السينما في المدن الكبيرة في فلسطين والصراع الفكري والأحزاب الموجودة في فلسطين موجود مثلها في بيروت خاصة انتشار الفكر القومي والشيوعي ، وأشهره حزب القومي السوري حزب أنطون سعادة ، وحزب الكتائب حزب بيار الجميل الذي تأسس عام ٣٦ بعد الحزب القومي السوري .

لم ينخرط الشابان بأي حزب تلك السنوات الأولى من حياتهما الجامعية ، كان هدفهما الجامعة والعودة للعمل كمدرسين في فلسطين أو في الإدارة الإنجليزية بسبب حصولهما على شهادة اللغة الإنجليزية ؛ إنما انخراطا في اللهو والشراب والنساء ؛ حيث الانفلات سهل ومتيسر ، ولا رقابة أسرية ومجتمعية ، كان معزول يتردد على عدد من دور الخمر ، وتعرف على ساقية اسمها فاتن فتاة هاربة من إحدى القرى بسبب سقوطها في قضايا جنسية وفاحشة ، فتخلى عنها أهلها وطردوها من قريتهم ، فجاءت بيروت واشتغلت في حاناتها ، وباعت جسدها لمن يدفع ، ولأهل الشهوة والفاحشة ، وهي أسهل مهنة للماجنات ولا تحتاج لدراسة وشهادة ، ثم التقت بفتاة شبيهة قصتها بقصتها اسمها نهى ، فكان معزول كلما توفر له مزيدا من المال يرافقهما لبيتهما ويمارس الدعارة معهما ، فلما حضر عامر بيروت بعده بعام ، ووجد أنه على شاكلته عرفه عليهما .

وكان عامر الطالب قد عشق نهى خالد عشقا حقيقيا كما قال ، وهي أحبته كما زعمت بصدق وتمنت الزواج منه ، وكان لفاتن صديق قواد اسمه يعقوب يوفر لهما بعض الزبائن من علية القوم من ضباط السفارات أو موظفي السفارات وربما السفراء ، وغير ذلك مقابل ما يكسبه من العمولة من الطرفين ، ولما يحتاجهن معا أو لخدمات إحداهن يزور خمارتها ويأخذهما لشقة خاصة لموظف السفارة الكبير ، وكان الرجل العاهر معجبا بفاتن أكثر من نهى وتحلو في عينه أكثر ، وكان الرجل يقدم لهما المال والهدايا مقابل المتع التي يتحصل عليها منهما .

لم يكن معزول ولا عامر يقدر على منعهما من ممارسة البغاء وعملهما الدنيء، فهن من بنات الهوى لا أهل لهن في المدينة ، وليس في هذا الأمر شيء مهم وخطير في مدينة منفتحة على الفساد كبيروت في تلك الفترة من الزمن .

مضت سنة على عامر في لبنان ، ولما عاد لفلسطين سنة ٤٧ وجد زوجته قد وضعت له طفلا سمي جابرا ، وكان يعرف ذلك بواسطة الهاتف والرسائل وفرح به ، ولمس الخطر الواضح في فلسطين ، وسمع همسات تتردد عن رغبة الإنجليز بإنهاء الانتداب والخروج من فلسطين ، وأن الأحلام بالعمل مع الإدارة الإنجليزية على وشك الانتهاء ، وكانت إشاعات كبيرة تتكلم عن تقسيم فلسطين بين العرب واليهود لتخفيف التوتر والاضطرابات والاغتيالات بين الفريقين .

ترك صفدا بعد انتهاء العطلة ، وكالعام الماضي ترك زوجته في حالة حمل وعاد للجامعة ، ووجد صديقه معزولا في انتظاره ، ثم عادا لعادتهما من

السكر والزنا .

وكانت مفاجأة في وجه معزول ـ وهي أن الغانية فاتن في حالة حمل ـ وأن يعقوب يعرض عليه الزواج منها مقابل بعض المال ، ولما تنته الجامعة يطلقها ويعود لقريته وبلدته ، ولما تشاور مع عامر شجعه عامر على ذلك الزواج المؤقت ، وشبهه بزواج المتعة عند الطائفة الأمامية، وزعم له لو أنه لم يكن متزوجا لفعل ذلك ، وفي النهاية قبل معزول العرض والمال ، وأصبح أمام الناس زوجا لتلك الغانية ، وسكن بشقة أمنها القواد يعقوب لهما .

وفي شهر تشرين الثاني عام ١٩٤٧ صدر قرار تقسيم فلسطين بين العرب واليهود ، وحددت مناطق كل طرف ، وتبقى القدس تحت رعاية الأمم المتحدة ، ورفض العرب قاطبة قرار التقسيم واستعدت بريطانيا للانسحاب من فلسطين بعد انتداب امتد لثلاثين سنة ، وتشكل الجهاد المقدس بقيادة عبد القادر الحسيني المعروف للشعب الفلسطيني .. وفي مطلع ٤٨ ظهر ما سمي بجيش الإنقاذ التابع لجامعة الدول العربية .

أما في صفد فبدأت المناوشات في ١٢ من كانون الأول ١٩٤٧ بعدما قتل شاب يهودي في سوق صفد الكبير على أثر اتهامه بمحاولة تفجير نفسه بين الجموع ، وقد رد اليهود على ذلك بسلسلة من أعمال القنص أدت إلى استشهاد شابين من العرب ، في الخامس والعشرين من الشهر ذاته جرت المحاولة العربية للاستيلاء على القلعة، إذ جرت حولها معركة حامية سقط فيها بعض القتلى من الجانبين، ولم يكتب للمقاتلين العرب السيطرة على القلعة بسبب تدخل القوات البريطانية التي لم تغادر يومها القلعة بعد.

حضر إلى المدينة الضابط السوري إحسان ألماز ، قام هذا الضابط بتنظيم المقاتلين العرب ، وعمل على تدريبهم وتحضيرهم للمواجهات ، ووضع خطة محكمة لمحاصرة الحي اليهودي، ومنع قدوم المؤن والذخيرة إليه

واضطر اليهود بسبب ذلك الحصار لتشغيل بعض القوافل من السيارات المصفحة بغرض الوصول للحي اليهودي ونجدته ، كما وحاولوا كسر الحصار من خلال مهاجمة واحتلال بعض القرى العربية المشرفة على طريق جبل كنعان المؤدية لصفد .

في الخامس عشر من نيسان قامت قوات المتطوعين العرب من دخول نقطة البوليس البريطاني ومبنى الحاج فؤاد الخولي، الواقع على الحدود المتاخمة بين الحي اليهودي والأحياء العربية، والذي كان البريطانيون قد صادروه بعد بدء المناوشات للفصل بن الأحياء العربية والحي اليهودي ، حاولت القوات اليهودية السيطرة على هذين

المبنيين في هجوم معاكس في الثامن عشر من نيسان، ولكن القوات العربية المتحصنة فيهما نجحت في صد الهجوم والسيطرة على بعض المواقع اليهودية الأمامية، في اليوم ذاته وصلت طلائع وحدة أردنية تابعة لجيش الإنقاذ يقودها الضابطان أميل الجمعان وساري فنيش ، وفي اليوم التالي وصلت سرية متطوعين سورية قوامها ٨٠ مقاتلاً بقيادة عبد الحميد السراج وهشام العظم، لم يكن قدوم هذه النجدات بادرة خير على المجهود الحربي العربي ومعنويات الأهلين، إذ أنه سرعان ما تصادم الضابطان الأردنيان، اللذان عملا على التهدئة، وفرضا منع التجوال على السكان، مع الضابطين السوريين وقائد قوات المتطوعين إحسان ألماز الذي رأى بوجوب القيام بمبادرات هجومية لضرب معنويات الحي اليهودي من جهة، ورفع معنويات أهالي صفد من جهة أخرى، وقد أدى هذا النزاع إلى انقسام أهل المدينة بين مؤيد لهذا أو ذاك من الضباط، ولم يكن بد من استبعاد إحسان ألماز خاصة بعد قدوم سرية أخرى من جيش الإنقاذ تحت قيادة الجنرال أديب الشيشكلي ، وتوليه القيادة العليا بنفسه .

في مطلع أيار كان اليهود قد سيطروا على قريتي عين الزيتون وبيريا وقد نجحوا بذلك بكسر الحصار العربي عن الحي اليهودي في صفد ، وتحويل الوضع إلى وضع معاكس، بحيث أصبحت الأحياء العربية هناك تحت الحصار ، وفي ظل هذه الظروف كان أمر سقوط صفد هو مسألة وقت ليس إلا خاصة إزاء الإصرار اليهودي على ذلك ، وذلك تمهيداً لبسط السيطرة اليهودية على الجليل الأعلى بكامله .

وعن أهمية كسر شوكة أهل صفد من العرب كمقدمة للسيطرة على الجليل الأعلى، قال يجئال ألون، قائد قوات "البالماخ" التي تولت مهاجمة المدينة، في توجيهاته للقوات المهاجمة: " إن عرب صفد هم العامل الأقوى في منطقة الجليل الأعلى، وعليه فإن احتلال صفد ، سيخفف إلى حد كبير، من صعوبة احتلال أماكن أخرى في الجليل الأعلى وإصبع الجليل" . وبغرض تجميع القوات اللازمة لهذه العملية قامت القيادة اليهودية بوضع لواء ألون ١١ من قوات "جولاني" ولواءين من قوات "البالماخ" تحت تصرف يجئال ألون الذي أخذ يتحين الفرص للانقضاض على الأحياء العربية من مدينة صفد واحتلالها .

في اليوم السابع من أيار قام أديب الشيشكلي بوضع خطة لمهاجمة الحي اليهودي وكسر الحصار، حيث بدأت بطارية المدافع التابعة لجيش الإنقاذ والمرابطة برأس التينة ووادي الطواحين بقصف الحي اليهودي تمهيداً لاقتحامه ، وعلى أثر ذلك قامت

القوات اليهودية بشن هجوم مضاد في الثامن من الشهر ذاته، نجح المدافعون العرب بصده بشق الأنفس ، لكن القوات اليهودية أعادت الكرة في هجوم شامل حمل اسم "عملية يفتاح" بدأ في العاشر من أيار واستمر في الحادي عشر منه ..وفي نهايته نجحت القوات اليهودية ببسط سيطرتها على المدينة العربية بعد أن أخلتها سرايا جيش الإنقاذ في اليوم الأول للهجوم ، ولم يبق في المدينة إلا عشرات من المقاتلين المحليين، وبعض المتطوعين العرب الذين تحصنوا في مبنى القلعة وقاتلوا حتى النفس الأخير .

ودخلت القوات اليهودية صفد بعد أن تم تهجير أهلها تحت وقع القتال المرير الذي دار هناك استشهد في عملية الدفاع عن صفد قرابة ١٠٠ شهيد وجرح العشرات، وقد تم أسر بعض الشباب ووضعهم في المعتقلات حتى تم إطلاق سراحهم بعد التوقيع على اتفاقيات الهدنة.

ومن أسباب الهزيمة كما كتب المؤرخون قيام قيادة جيش الإنقاذ ببث الرعب وتحطيم الروح المعنوية والدعوة لنزوح أهل المدينة والتبشير المضلل بالجيوش العربية القادمة التي ستحرر فلسطين ، ومنها الأخبار المبالغ فيها حول المجازر اليهودية في المناطق التي تحتلها القوات اليهودية، ومنها فشل اللجنة القومية ووجهاء صفد وأثريائها بالتخطيط للمعركة التي كان من المعلوم أنها قادمة ، وكان عليهم إرسال العديد من شباب صفد للتدريب على السلاح والقتال على الأراضي السورية ، وأن يشتروا السلاح والذخائر وإعدادها على الحدود السورية لإدخالها مع أولئك المدربين فور انسحاب القوات البريطانية ، ومن أسباب الانحدار السريع فشل وجهاء صفد بالتخطيط لما بعد الهزيمة العسكرية ، كان عليهم أن يكونوا قدوة لسواهم بالبقاء هم وذويهم والسعي لإقناع الأهالي ببقاء كل منهم في بيته، وأن يوضحوا أن القوات المهاجمة تنشغل بالقوات المقاتلة ونادرا ما تتعرض للمدنيين المسالمين ، وكان من الأجدى حفاظا على عروبة المدينة البقاء والتفاوض مع زعماء اليهود ، عند انسحاب جيش الإنقاذ ، بهدف التسليم بدون قتال وهو ما تكرر حدوثه عبر التاريخ عندما يتبين أنه لا جدوى من القتال .

قصة عمرو بن معدي كرب

عَنِ الشَّعْبِيِّ قَالَ دَخَلَ عَمْرُو بْنُ مَعْدِي كَرْبَ يَوْمًا عَلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ فَقَالَ لَهُ عُمَرُ يَا عَمْرُو أَخْبَرْنِي عَنْ أَشْجَعِ مَنْ لَقِيتَ وَأَجْبَنِ مَنْ لَقِيتَ فَقَالَ نَعَمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ خَرَجْتُ مَرَّةً أُرِيدُ الْغَارَةَ فَبَيْنَا أَنَا أَسِيرُ إِذَا أَنَا بِفَرَسٍ مَشْدُودٍ وَرُمْحٍ مَرْكُوزٍ وَإِذَا رَجُلٌ جَالِسٌ وَإِذَا هُوَ كَأَعْظَمِ مَا يَكُونُ مِنَ الرِّجَالِ خَلْقًا

وَهُوَ مُحْتَبٍ بِسَيْفٍ فَقُلْتُ لَهُ خُذْ حِذْرَكَ فَإِنِّي قَاتِلُكَ فَقَالَ وَمَنْ أَنْتَ قُلْتُ أَنَا عَمْرُو بْنُ مَعْدِي كَرِبَ فَشَهِقَ شَهْقَةً فَمَاتَ فَهَذَا أَجْبَنُ مَنْ رَأَيْتُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَخَرَجْتُ يَوْمًا آخَرَ حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى حَيٍّ فَإِذَا أَنَا بِفَرَسٍ مَشْدُودٍ وَرُمْحٍ مَرْكُوزٍ وَإِذَا صَاحِبُهُ فِي وَهْدَةٍ يَقْضِي حَاجَةً فَقُلْتُ لَهُ خُذْ حِذْرَكَ فَإِنِّي قَاتِلُكَ قَالَ مَنْ أَنْتَ قُلْتُ أَنَا عَمْرُو بْنُ مَعْدِي كَرِبَ قَالَ يَا أَبَا ثَوْرٍ مَا أَنْصَفْتَنِي أَنْتَ عَلَى ظَهْرِ فَرَسِكَ وَأَنَا فِي بِئْرٍ فَأَعْطِنِي عَهْدًا أَنَّكَ لَا تَقْتُلُنِي حَتَّى أَرْكَبَ فَرَسِي وَآخُذَ حِذْرِي فَأَعْطَيْتُهُ عَهْدًا أَنْ لَا أَقْتُلَهُ حَتَّى يَرْكَبَ فَرَسَهُ وَيَأْخُذَ حِذْرَهُ فَخَرَجَ مِنَ الْمَوْضِعِ الَّذِي كَانَ فِيهِ حَتَّى احْتَبَى بِسَيْفِهِ وَجَلَسَ فَقُلْتُ لَهُ مَا هَذَا فَقَالَ مَا أَنَا بِرَاكِبٍ فَرَسِي وَلَا بِمُقَاتِلِكَ فَإِنْ نَكَثْتَ عَهْدًا فَأَنْتَ أَعْلَمُ فَتَرَكْتُهُ وَمَضَيْتُ فَهَذَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَحْيَلُ مَنْ رَأَيْتُ ثُمَّ إِنِّي خَرَجْتُ يَوْمًا آخَرَ إِلَى مَوْضِعٍ كُنْتُ أَقْطَعُ فِيهِ فَلَمْ أَرَ أَحَدًا فَأَجْرَيْتُ فَرَسِي يَمِينًا وَشِمَالًا فَإِذَا أَنَا بِفَارِسٍ فَلَمَّا دَنَا مِنِّي إِذَا هُوَ غُلَامٌ حِينَ بَقَلَ وَجْهُهُ مِنْ أَجْمَلِ مَنْ رَأَيْتُ مِنَ الْفِتْيَانِ وَأَحْسَنِهِمْ فَإِذَا هُوَ قَدْ أَقْبَلَ مِنْ نَحْوِ الْيَمَامَةِ فَلَمَّا قَرُبَ مِنِّي سَلَّمَ فَرَدَدْتُ عَلَيْهِ وَقُلْتُ مَنِ الْفَتَى قَالَ أَنَا الْحَارِثُ بْنُ سَعْدٍ فَارِسُ الشَّهْبَاءِ فَقُلْتُ لَهُ خُذْ حِذْرَكَ فَإِنِّي قَاتِلُكَ قَالَ بَلِ الْوَيْلُ لَكَ مَنْ أَنْتَ قُلْتُ أَنَا عَمْرُو بْنُ مَعْدِي كَرِبَ قَالَ الْحَقِيرُ الذَّلِيلُ وَاللهِ مَا يَمْنَعُنِي مِنْ

قَتْلِكَ إِلا اسْتِصْغَارُكَ قَالَ وَتَصَاغَرَتْ نَفْسِي إِلَيَّ وَعَظُمَ عِنْدِي مَا اسْتَقْبَلَنِي بِهِ فَقُلْتُ لَهُ خُذْ حِذْرَكَ فَوَاللهِ مَا يَنْصَرِفُ إِلا أَحَدُنَا قَالَ اغْرُبْ ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ فَإِنِّي مِنْ أَهْلِ بَيْتٍ مَا نَكِلْنَا عَنْ فَارِسٍ قَطُّ فَقُلْتُ هُوَ الَّذِي تَسْمَعُ فَاخْتَرْ لِنَفْسِكَ فَقَالَ إِمَّا أَنْ تَطَّرِدَ لِي وَإِمَّا أَنْ أَطَّرِدَ لَكَ فَاغْتَنَمْتُهَا مِنْهُ فَقُلْتُ اطَّرِدْ لِي فَاطَّرَدَ وَحَمَلْتُ عَلَيْهِ حَتَّى إِذَا قُلْتُ أَنِّي قَدْ وَضَعْتُ الرُّمْحَ بَيْنَ كَتِفَيْهِ إِذَا هُوَ قَدْ صَارَ حِزَامًا لِفَرَسِهِ ثُمَّ اتَّبَعَنِي فَقَرَعَ بِالْقَنَاةِ رَأْسِي وَقَالَ يَا عَمْرُو خُذْهَا إِلَيْكَ وَاحِدَةً فَوَاللهِ لَوْلا أَنِّي أَكْرَهُ قَتْلَ مِثْلِكَ لَقَتَلْتُكَ فَتَصَاغَرَتْ إِلَيَّ نَفْسِي وَكَانَ الْمَوْتُ وَاللهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا رَأَيْتُ فَقُلْتُ وَاللهِ لَا يَنْصَرِفُ إِلا أَحَدُنَا فَقَالَ اخْتَرْ لِنَفْسِكَ فَقُلْتُ اطَّرِدْ لِي فَاطَّرَدَ وَظَنَنْتُ أَنِّي قَدْ تَمَكَّنْتُ مِنْهُ وابتعته حَتَّى إِذَا ظَنَنْتُ أَنِّي قَدْ وَضَعْتُ الرُّمْحَ بَيْنَ كَتِفَيْهِ فَإِذَا هُوَ قَدْ صَارَ لَبِبًا لِفَرَسِهِ ثُمَّ اتَّبَعَنِي فَقَرَعَ رَأْسِي بِالْقَنَاةِ وَقَالَ يَا عَمْرُو خُذْهَا إِلَيْكَ اثْنَتَيْنِ فَتَصَاغَرَتْ إِلَيَّ نَفْسِي فَقُلْتُ وَاللهِ لَا يَنْصَرِفُ إِلا أَحَدُنَا فَقَالَ اخْتَرْ لِنَفْسِكَ فَقُلْتُ اطَّرِدْ لِي فَاطَّرَدَ حَتَّى إِذَا قُلْتُ وَضَعْتُ الرُّمْحَ بَيْنَ كَتِفَيْهِ وَثَبَ عَنْ فَرَسِهِ فَإِذَا هُوَ عَلَى الأَرْضِ فَأَخْطَأْتُهُ وَمَضَيْتُ فَاسْتَوَى عَلَى فَرَسِهِ فَاتَّبَعَنِي فَقَرَعَ بِالْقَنَاةِ رَأْسِي وَقَالَ يَا عَمْرُو خُذْهَا إِلَيْكَ ثَلاثًا وَلَوْلا أَنِّي أَكْرَهُ قَتْلَ مِثْلِكَ لَقَتَلْتُكَ فَقُلْتُ لَهُ اقْتُلْنِي أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا أَرَى بِنَفْسِي وَأَنْ تَسْمَعَ فِتْيَانُ

الْعَرَبِ بِهَذَا فَقَالَ لِي يَا عَمْرُو إِنَّمَا الْعَفْوُ ثَلاثٌ وَإِنِّي إِنِ اسْتَمْكَنْتُ مِنْكَ الرَّابِعَةَ قَتَلْتُكَ وَأَنْشَأَ يَقُولُ

وَكِدْتُ أَغْلاظًا مِنَ الأَيْمَانِ **

إِنْ عُدْتَ يَا عَمْرُو إِلَى الطِّعَانِ

لَتُوجَرَنَّ لَهَبَ السِّنَانِ **

أَوْ لا فَلَسْتُ مِنْ بَنِي شَيْبَانِ

فَلَمَّا قَالَ هَذَا كَرِهْتُ الْمَوْتَ وَهِبْتُهُ هَيْبَةً شَدِيدَةً وَقُلْتُ لَهُ إِنَّ لِي إِلَيْكَ حَاجَةً قَالَ وَمَا هِيَ قُلْتُ أَكُونُ لَكَ صَاحِبًا وَرَضِيتُ بِذَلِكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَالَ لَسْتَ مِنْ أَصْحَابِي فَكَانَ ذَلِكَ أَشَدَّ عَلَيَّ وَأَعْظَمَ مِمَّا صَنَعَ فَلَمْ أَزَلْ أَطْلُبُ إِلَيْهِ حَتَّى قَالَ وَيْحَكَ وَهَلْ تَدْرِي أَيْنَ أُرِيدُ قُلْتُ لا قَالَ أُرِيدُ الْمَوْتَ عِيَانًا فَقُلْتُ رَضِيتُ بِالْمَوْتِ مَعَكَ قَالَ امْضِ بِنَا فَسِرْنَا جَمِيعًا يَوْمَنَا حَتَّى جَنَّنَا اللَّيْلُ وَذَهَبَ شَطْرُهُ قَالَ فَوَرِدْنَا عَلَى حَيٍّ مِنْ أَحْيَاءِ الْعَرَبِ فَقَالَ يَا عَمْرُو فِي هَذَا الْحَيِّ الْمَوْتُ ثُمَّ أَوْمَأَ إِلَى قُبَّةٍ فِي الْحَيِّ فَقَالَ وَفِي تِلْكَ الْقُبَّةِ الْمَوْتُ الأَحْمَرُ فَإِمَّا أَنْ تُمْسِكَ عَلَى فَرَسِي فَآتِيَ بِحَاجَتِي وَإِمَّا أَنْ أمسك عَلَيْك فرسك فتنزل فتأتني بِحَاجَتِي فَقُلْتُ لَا بَلِ انْزِلْ أَنْتَ فَأَنْتَ أَعْرَفُ بِمَوْضِعِ حَاجَتِكَ فَرَمَى إِلَيَّ بِعَنَانِ الْفَرَسِ فَنَزَلَ وَرَضِيتُ وَاللهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ أَكُونَ لَهُ سَائِسًا ثُمَّ مَضَى حَتَّى دَخَلَ الْقُبَّةَ فَاسْتَخْرَجَ جَارِيَةً لَمْ تَرَ عَيْنَايَ مِثْلَهَا قطّ حسنا وجمالا فحلمها عَلَى نَاقَةٍ ثُمَّ قَالَ لِي يَا عَمْرُو قُلْتُ لَبَّيْكَ قَالَ إِمَّا أَنْ تَحْمِيَنِي وَأَقُودَ أَنَا وَإِمَّا أَنْ أَحْمِيَكَ وَتَقُودَ أَنْتَ قُلْتُ لَا بَلْ تَحْمِينِي أَنْتَ وَأَقُودُ أَنَا فَرَمَى إِلَيَّ بِزِمَامِ النَّاقَةِ ثُمَّ سِرْنَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُوَ خَلْفَنَا حَتَّى إِذَا أَصْبَحْنَا . قَالَ لِي يَا عَمْرُو قُلْتُ لَبَّيْكَ مَا تَشَاءُ قَالَ الْتَفِتْ فَانْظُرْ هَلْ تَرَى أَحَدًا قَالَ فَالْتَفَتُّ فَقُلْتُ أَرَى جِمَالا فَقَالَ أَغِذِّ السَّيْرَ ثُمَّ قَالَ يَا عَمْرُو قُلْتُ لَبَّيْكَ قَالَ انْظُرْ فَإِنْ كَانَ الْقَوْمُ قَلِيلا فَالْجَلَدُ وَالْقُوَّةُ وَهُوَ الْمَوْتُ وَإِنْ كَانُوا كَثِيرًا فَلَيْسُوا بِشَيْءٍ قَالَ فَالْتَفَتُّ فَقُلْتُ هُمْ أَرْبَعَةٌ أَوْ خَمْسَةٌ قَالَ أَغِذِّ السَّيْرَ فَفَعَلْتُ وَسَمِعَ وَقْعَ الْخَيْلِ عَنْ قُرْبٍ فَقَالَ لِي يَا عَمْرُو قُلْتُ لَبَّيْكَ قَالَ كُنْ عَنْ يَمِينِ الطَّرِيقِ وَقِفْ وَحَوِّلْ وُجُوهَ دَوَابِّنَا إِلَى الطَّرِيقِ فَفَعَلْتُ وَوَقَفْتُ عَنْ يَمِينِ الرَّاحِلَةِ وَوَقَفَ هُوَ عَنْ يَسَارِهَا وَدَنَا الْقَوْمُ مِنَّا فَإِذَا هُمْ ثَلاثَةُ نَفَرٍ فِيهِمْ شَيْخٌ كَبِيرٌ وَهُوَ أَبُو الْجَارِيَةِ وأخوها غُلامَانِ شَابَّانِ فَسَلَّمُوا فَرَدَدْنَا السَّلامَ وَوَقَفُوا عَنْ يَسَارِ الطَّرِيقِ فَقَالَ الشَّيْخ خل عَنِ الْجَارِيَةِ يَا بن أَخ فَقَالَ مَا كُنْتُ لأُخَلِّيَهَا وَلا لِهَذَا أَخَذْتُهَا فَقَالَ لأَصْغَرِ ابْنَيْهِ اخْرُجْ إِلَيْهِ فَخَرَجَ وَهُوَ يَجُرُّ رُمْحَهُ وَحَمَلَ عَلَيْهِ الْحَارِثُ وَهُوَ يَقُولُ

مِنْ دُونِ مَا تَرْجُوهُ خَضْبُ الذَّابِلِ***

مِنْ فَارِسٍ مُسْتَلْئِمٍ مُقَاتِلِ

يُنْمَى إِلَى شَيْبَانَ خَيْرَ وَائِلٍ ***

مَا كَانَ سَيْرِي نَحْوَهَا بِبَاطِلِ

ثُمَّ شَدَّ عَلَيْهِ فَطَعَنَهُ طَعْنَةً دَقَّ مِنْهَا صُلْبَهُ فَسَقَطَ مَيِّتًا

،َقالَ الشَّيْخُ لابْنِهِ الآخَرِ اخْرُجْ إِلَيْهِ يَا بُنَيَّ فَلا خَيْرَ فِي الْحَيَاةِ عَلَى الذُّلِّ فَخَرَجَ إِلَيْهِ وَأَقْبَلَ الْحَارِثُ يَقُولُ

لَقَدْ رَأَيْتَ كَيْفَ كَانَتْ طَعْنَتِي ***

وَالطَّعْنُ لِلْقِرْنِ شَدِيدًا نُهْمَتِي

وَالْمَوْتُ خَيْرٌ مِنْ فِرَاقِ خُلَّتِي ***

فَقَتْلَتِي الْيَوْمَ وَلا مَذَلَّتِي

ثُمَّ شَدَّ عَلَيْهِ فَطَعَنَهُ طَعْنَةً سَقَطَ مِنْهَا مَيِّتًا فَقَالَ لَهُ الشَّيْخُ خَلِّ عَنِ الظعينة يَا ابْنَ أَخٍ فَإِنِّي لَسْتُ كَمَنْ رَأَيْتَ قَالَ مَا كُنْتُ لأُخَلِّيَهَا وَلا لِهَذَا قَصَدْتُ فَقَالَ لَهُ الشَّيْخُ اخْتَرْ بِابْنِ أَخٍ فَإِنْ شِئْتَ طَارَدْتُكَ وَإِنْ شِئْتَ نَازَلْتُكَ قَالَ فَاغْتَنَمَهَا الْفَتَى فَنَزَلَ وَنَزَلَ الشَّيْخُ وَهُوَ يَقُولُ

مَا أَرْتَجِي بَعْدَ فَنَاءِ عُمْرِي ***

سَأَجْعَلُ السِّنِينَ مِثْلَ الشَّهْرِ

شَيْخٌ يُحَامِي دُونَ بِيضِ الْخِدْرِ ***

إِنِ اسْتَبَاحَ الْبِيضُ قَصْمَ الظَّهْرِ

سَوْفَ تَرَى كَيْفَ يَكُونُ صَبْرِي

فَأَقْبَلَ الْحَارِثُ وَهُوَ يَقُولُ

بَعْدَ ارْتِحَالِي وَطُولِ سَفَرِي ***

وَقَدْ ظَفِرْتُ وَشَفَيْتُ صَدْرِي

وَالْمَوْتُ خَيْرٌ مِنْ لِبَاسِ الْغَدْرِ ***

وَالْعَارُ أَهْدِيهِ لِحَيٍّ بَكْرِ

ثُمَّ دَنَا فَقَالَ لَهُ الشَّيْخُ يَا ابْنَ أَخِي إِنْ شِئْتَ ضَرَبْتُكَ وَإِنْ بَقِيَتْ مِنْكَ قُوَّةٌ ضَرَبْتَنِي وَإِنْ شِئْتَ فَاضْرِبْنِي فَإِنْ بَقِيَتْ فِيَّ قُوَّة ضربتك فاغتنمها الْفَتَى فَقَالَ أَنَا أبدأ أَولا قَالَ هَات فَرَفَعَ الْحَارِثُ السَّيْفَ فَلَمَّا نَظَرَ الشَّيْخُ أَنَّهُ قَدْ أَهْوَى بِهِ إِلَى رَأْسِهِ ضَرَبَهُ ضَرْبَةً قُدَّ مِنْهَا مِعاهُ وَوَقَعَتْ ضَرْبَةُ الْحَارِثِ فِي رَأْسِهِ فَسَقَطَا مَيِّتَيْنِ فَأَخَذْتُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَرْبَعَةَ أَفْرَاسٍ وَأَرْبَعَةَ أَسْيَافٍ ثُمَّ أَقْبَلْتُ إِلَى النَّاقَةِ فَعَقَدْتُ أَعِنَّةَ الأَفْرَاسِ بَعْضَهَا إِلَى بَعْضٍ وَجَعَلْتُ أَقُودُ فَقَالَتْ لِي الْجَارِيَةُ يَا عَمْرُو إِلَى أَيْنَ وَلَسْتَ لِي بِصَاحِبٍ وَلَسْتَ كَمَنْ رَأَيْتَ وَلَوْ كُنْتَ لِي صَاحِبًا لَسَلَكْتَ سَبِيلَهُمْ فَقُلْتُ اسْكُتِي قَالَتْ فَإِنْ كُنْتَ صَادِقًا فَأَعْطِنِي سَيْفًا أَوْ رُمْحًا فَإِنْ غَلَبْتَنِي فَأَنَا لَكَ وَإِنْ غَلَبْتُكَ قَتَلْتُكَ فَقُلْتُ لَهَا مَا أَنَا بِمُعْطِيكِ ذَاكَ وَقَدْ عَرَفْتُ أَصْلَكِ وَجُرْأَةَ قَوْمِكِ وَشَجَاعَتَهُمْ فَرَمَتْ بِنَفْسِهَا عَنِ الْبَعِيرِ ثُمَّ أَقْبَلَتْ إِلَيَّ وَهِيَ تَقُولُ

أَبَعْدَ مَا شَيْخِي وَبَعْدَ إِخْوَتِي ***

أَطْلُبُ عَيْشًا بَعْدَهُمْ فِي لَذَّتِي

هَلا تَكُونُ قَبْلَ ذَاكَ مِيتَتِي

ثُمَّ أَهْوَتْ إِلَى الرُّمْحِ وَكَادَتْ تَنْتَزِعُهُ مِنْ يَدِي فَلَمَّا رَأَيْتُ ذَلِكَ مِنْهَا خِفْتُ إِنْ هِيَ ظَفِرَتْ بِي أَنْ تَقْتُلَنِي فَقَتَلْتُهَا فَهَذَا أَشَدُّ مَنْ رَأَيْتُهُ قَطُّ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . فَقَالَ عُمَرُ صَدَقْتَ يَا عَمْرُو.

ظَفِرْتُ بَدَمِ الْقَتِيلِ

قَالَ اللَّيْثُ قَالَ أَتَى عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ يَوْمًا بِفَتًى أَمْرَدَ قَدْ وُجِدَ قَتِيلا عَلَى وَجْهِ الطَّرِيقِ فَسَأَلَ عَنْ

أَمْرِهِ وَاجْتَهَدَ فَلَمْ يَقِفْ لَهُ عَلَى خَبَرٍ وَلَمْ يَعْرِفْ لَهُ قَاتِلٌ فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَى عُمَرَ وَقَالَ اللَّهُمَّ أَظْفِرْنِي بِقَاتِلِهِ حَتَّى إِذَا كَانَ رَأْسُ الْحَوْلِ أَوْ قَرِيبًا مِنْ ذَلِكَ وُجِدَ صَبِيٌّ مَوْلُود ملقى بِموضع الْقَتِيلِ فاتي بِهِ عُمَرُ فَقَالَ ظَفِرْتُ بَدَمِ الْقَتِيلِ إِنْ شَاءَ اللهُ، فَدَفَعَ الصَّبِيَّ إِلَى امْرَأَةٍ وَقَالَ لَهَا قُومِي بِشَأْنِهِ وَخُذِي مِنَّا نَفَقَتَهُ وَانْظُرِي مَنْ يَأْخُذُهُ مِنْكِ فَإِذَا وَجَدْتِ امْرَأَةً تُقَبِّلُهُ وَتَضُمُّهُ إِلَى صَدْرِهَا فَأَعْلِمِينِي بِمَكَانِهَا ، فَلَمَّا شَبَّ الصَّبِيُّ جَاءَتْ جَارِيَةٌ فَقَالَتْ لِلْمَرْأَةِ إِنَّ سَيِّدَتِي بَعَثَتْنِي إِلَيْكِ لِتَبْعَثِي بِالصَّبِيِّ لِتَرَاهُ وَتَرُدَّهُ إِلَيْكِ فَقَالَتْ نَعَمْ اذْهَبِي بِهِ إِلَيْهَا وَأَنَا مَعَكِ فَذَهَبَتْ بِالصَّبِيِّ وَالْمَرْأَةُ مَعَهَا حَتَّى دَخَلَتْ عَلَى سَيِّدَتِهَا فَلَمَّا رَأَتْهُ أَخَذَتْهُ فَقَبَّلَتْهُ وَضَمَّتْهُ إِلَى صَدْرِهَا فَإِذَا هِيَ بِنْتُ شَيْخٍ مِنَ الأَنْصَارِ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَأَخْبَرَتْ عُمَرَ خَبَرَ الْمَرْأَةِ فَاشْتَمَلَ عُمَرُ عَلَى سَيْفِهِ ثُمَّ أَقْبَلَ إِلَى مَنْزِلِهَا فَوَجَدَ أَبَاهَا مُتَّكِئًا عَلَى بَابِ دَارِهِ فَقَالَ يَا أَبَا فُلانٍ مَا فَعَلَتِ ابْنَتُكَ فُلانَةُ قَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ جَزَاهَا اللهُ خَيْرًا هِيَ مِنْ أَعْرَفِ النَّاسِ بِحَقِّ اللهِ تَعَالَى وَحَقِّ أَبِيهَا مَعَ حُسْنِ صَلاتِهَا وَصِيَامِهَا وَالْقِيَامِ بِدِينِهَا فَقَالَ عُمَرُ قَدْ أَحْبَبْتُ أَنْ أَدْخُلَ إِلَيْهَا فَأَزِيدَهَا رَغْبَةً فِي الْخَيْرِ وَأَحُثَّهَا عَلَى ذَلِكَ فَقَالَ جَزَاكَ اللهُ خَيْرًا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ امْكُثْ مَكَانَكَ حَتَّى أَرْجِعَ إِلَيْكَ فَاسْتَأْذَنَ لِعُمَرَ فَلَمَّا دَخَلَ أَمَرَ عُمَرُ كل من كَانَ عَنْهَا فَخَرَجَ وَبَقِيَتْ هِيَ وَعُمَرُ فِي الْبَيْتِ

وَلَيْسَ مَعَهُمَا أَحَدٌ فَكَشَفَ عُمَرُ عَنِ السَّيْفِ وَقَالَ لَتَصْدُقِنِّي وَكَانَ عُمَرُ لَا يَكْذِبُ فَقَالَتْ عَلَى رِسْلِكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَاللهِ لأَصْدُقَنَّ إِنَّ عَجُوزًا كَانَتْ تَدْخُلُ عَلَيَّ فَاتَّخَذْتُهَا أُمًّا وَكَانَتْ تَقُومُ مِنْ أَمْرِي بِمَا تَقُومُ بِهِ الْوَالِدَةُ وَكُنْتُ لَهَا بِمَنْزِلَةِ الْبِنْتِ فَامْضَتْ بِذَلِكَ حِينًا ثُمَّ إِنَّهَا قَالَتْ يَا بُنَيَّةُ إِنَّهُ قَدْ عَرَضَ لِي سَفَرٌ وَلِي بِنْتٌ فِي مَوْضِعٍ أَتَخَوَّفُ عَلَيْهَا فِيهِ أَنْ تَضِيعَ وَقَدْ أَحْبَبْتُ أَنْ أَضُمَّهَا إِلَيْكِ حَتَّى أَرْجِعَ مِنْ سَفَرِي فَعَمَدَتْ إِلَى ابْنٍ لَهَا شَابٍّ أَمْرَدَ فَهَيَّأَتْهُ كَهَيْئَةِ الْجَارِيَةِ وَأَتَتْنِي بِهِ لَا أَشُكُّ أَنَّهُ جَارِيَةٌ فَكَانَ يَرَى مِنِّي مَا تَرَى الْجَارِيَةُ مِنَ الْجَارِيَةِ حَتَّى اغْتَفَلَنِي يَوْمًا وَأَنَا نَائِمَةٌ فَمَا شَعُرْتُ حَتَّى عَلانِي وَخَالَطَنِي فَمَدَدْتُ يَدِي إِلَى شَفْرَةٍ كَانَتْ إِلَى جَنْبِي فَقَتَلْتُهُ ثُمَّ أَمَرْتُ بِهِ فَأُلْقِيَ حَيْثُ رَأَيْت فاشتملت مِنْهُ على هَذِه الْفَتَى فَلَمَّا وَضَعْتُهُ أَلْقَيْتُهُ فِي مَوْضِعِ أَبِيهِ فَهَذَا وَاللهِ خَبَرُهُمَا عَلَى مَا أَعْلَمْتُكَ فَقَالَ عُمَرُ صَدَقْتِ بَارَكَ اللهُ فِيكِ ثُمَّ أَوْصَاهَا وَوَعَظَهَا وَدَعَا لَهَا وَقَالَ لأَبِيهَا بَارَكَ اللهُ لَكَ فِي ابْنَتِكَ فنعم الِابْنَة ابْنَتك وَقد فَقَالَ الشَّيْخُ وَصَلَكَ اللهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَجَزَاكَ خَيْرًا عَنْ رَعِيَّتِكَ.



مكر نديم

صاحب الصندوق

أبو سليم تاجر كبير المقام وكبير السن من تجار المدينة ، ومعروف بالأخلاق الحميدة بين الأقران والأصحاب ، فله كلمة مسموعة بينهم بسبب سمعته الطيبة وصدقه ، فلقد كان هذا الرجل يجلس على سريره في غرفة واسعة من قصره الكبير ، والتف حوله عدد كثير من الناس من الأصدقاء والتجار والأقارب ، وبين يديه ابنه سليم البكر ، وكانت الجارية تقدم الشراب لكل هؤلاء الضيوف والزائرين ، ثم ينتقل بعض ضيوفه لغرفة الطعام يأكلون ما قسم الله لهم من الطيبات ، وأما سبب تجمع كل هؤلاء الزوار فهو مرض هذا الشيخ الكبير منذ أيام ، فهؤلاء أتوا لعيادته والاطمئنان على صحته وحاله ، فكان كل من يراه يوقن بأنه مشرف على الهلاك والرحيل ، فالمرض شديد والشيخوخة لم تعد تقاوم السقم ، والسن له دوره ، وهو أيضا أدرك أن النهاية آتية لا مفر منها ، وهذا الأجل لا يهرب الإنسان منه ولا يستطيع دفعه بجاه أو مال أو قوة ، فاستسلم للموت برضا ، فكان يكثر من قول لا إله إلا الله محمد رسول الله ، وبين الزفرة والأخرى يذكر لولده سليم بعض الوصايا الدينية والمادية ، وفجأة انتفض الشيخ وقال بصوت واه : سليم يا ولدي الكبير .. اقترب مني .

فألصق سليم رأسه برأس أبيه وأخذ في الإصغاء لما يقول فسمعه يقول : اسمع يا بني .. لي صديق اسمه أحمد بن علي عرفته منذ سنوات تزيد على العشر .. رجل دون الأربعين معتدل القامة بين الأحمر والأبيض ، دخل مدينتنا منذ سنوات طويلة .. ومكث هنا بضعة أشهر وهو من مدينة رام .. فقدم إلينا بتجارة .. وأنت في تلك الفترة لم تكن هنا فلقد كنت في قافلة لبلاد الهند فلم يجرِ بينكما تعارف ، فقد غادرنا قبل عودتك ..

كان الشيخ يتكلم هذا الكلام شيئا فشيئا ثم تابع قائلا : وأراد هذا الرجل الاستقرار في بلادنا ؛ ولكنه لم يوفق في البيع والشراء ، فقرر السفر إلى بلاد الشام ومنها إلى مصر وأفريقيا ، وقد ترك زوجة حاملا أمانة في عنـقي ، وأعطاني مالا أنفقه على زوجته والمولود ، ودفع لي صندوقا صغيرا مغلقا لا أدري ما بداخله ، ولي أكثر من عشر سنوات في انتظار عودته ، ويبدو لي أنني لن أراه يا ولدي .. وخادمنا سعيد يعرف منزل المرأة وابنتها ، ويقوم على تفقدهما والنـفقة عليهما .. فأطلب منك يا ولدي الاستمرار في رعاية هذه الأم وابنتها حتى النهاية أو عودة رجلها ، فالنفقة التي تركها انتهت ، وسعيد يعلم كل التفاصيل ..وعليك أن تحافظ على الصندوق حتى يرجع الرجل فتدفعه إليه .. وسعيد يعرفه ، وقد رآه بصحبتي أكثر من مرة ، وإذا لم يعد الرجل فانتظر حتى تكبر الفتاة

وتتزوج وادفع لها ولأمها الصندوق الأمانة ، وهن لا يعلمن بوجوده ، هذا ما طلبه الرجل مني قبل نزوله الشام ومصر ، هذه آخر وصية لي يا سليم .
ولم يطل الانتظار كثيرا فما أتم الشيخ المريض شهرا حتى رحل عن هذه الدنيا من غير أسف عليها ، وانتقل لحياة البرزخ ، فقام سليم بقضاء الحقوق التي على والده للناس ، وتصدق وأنفق عن والده ، وقام بتقسيم ميراثه على مستحقيه بالعدل والإنصاف ، ولما سألوه عن الصندوق ذكر لهم أنه أمانة عند والده وليس من مال أبيهم ولا يعلم ما فيه ، وذكر لهم قصة أحمد بن علي ، وأكد الخادم سعيد أقواله .
بعدما ضعف الحزن عن سليم أثر وفاة والده التحق بقافلة تجارية كبيرة سائرة لبلاد الهنود ، فما رجع منها إلا بعد سنة ، وكان من عادة التجار وأبنائهم عندما يعود أحدهم من رحلة طويلة يجتمعون ويذهبون لتهنئته بالعودة سالما وهكذا قضى سليم أياما يرحب بالمهنئين على جري العادة المتبعة في مدينتهم ، وكان كذلك يقدم لهم من الهدايا والطيب ما يدخل السرور على نفوسهم ، وذات مساء دخل مع المهنئين رجل لم يعرفه سليم ولم يعره أول الأمر اهتماما معتقدا بأنه أتى رفيقا مع أحد التجار ؛ ولكن لما انصرف المهنئون الذين قدم معهم الرجل الغريب لم ينصرف بل ظل قاعدا ، فاحتار سليم في أمره فقال له : آلك حاجة يا أخا الإسلام ؟!
فقال الرجل الكهل وهو يعدل جلسته : نعم يا سيدي! .. لي حاجة .. قدمت المدينة من أيام قليلة .. وقد تركت أمانة عند أبيك الشريف .. فأتيت استرد أمانتي .. مع تعزيتي وحزني الحقيقي في والدكم رحمة الله عليه .
تأمله سليم مليا وأخذ يستذكر وصية والده الأخيرة ثم قال : حدثني عن نفسك أيها الرجل .. حتى يطمئن قلبي .
فتحدث الرجل بأنه أتى هذه البلدة منذ سنوات ، وتعرف على والد سليم ، ولما لم يوفق في التجارة هنا ، صمم على الرحيل إلى مصر وأفريقيا ، وهناك في مجاهيل أفريقيا السوداء وقع في أسر إحدى القبائل ، فظل أكثر من خمس سنوات في الرق حتى تيسر له الهرب والتحرر من الرق والعبودية ، ومن بلد إلى بلد وصل إلى هنا منذ أيام ليجتمع بأبي سليم ويسترد الوديعة التي أودعه إياها ، فوجده قد مات ، وعلم أن الوصي ابنه سليم ، ومن حسن حظه كما قال إنه قد وجده عاد من سفرته بالسلامة .
ولما قص هذه القصة قال : فهذه قصتي أيها السيد
فقال سليم : مرحبا بك في ديارنا وحياك الله ..

الحمد لله على نجاتك من قبائل السودان .. فهل قابلت أسرتك ؟ .. ما اسم حضرتكم ؟

فقال الرجل الكهل : لي عدة أسماء .. ولكن والدك الشيخ يعرفني باسم أحمد بن علي .

ردد سليم الاسم مرارا ثم قال : أعتقد أن هذا هو الاسم الذي ذكره والدي المرحوم .. هل اتصلت وقابلت زوجتك وابنتك ؟

فقال الرجل : لا .. أنا تزوجت ولم يكن لي بنت أو ولد لابد أن زوجتي كانت حاملا عندما غادرت هذه البلدة .. ذهبت أيها السيد للبيت الذي كنت أعيش فيه منذ سنوات فلم أجد فيه من كانت زوجتي لعلها نكحت رجلا غيري .. فلقد أطلت عليها الغيبة .. فأنا أنزل في خان في سوق النحاسين .. فالحمد لله أنك عدت وستدلني بإذن الله على أسرتي وترد لي صندوقي ، ثم أفكر بما أعمل ، هل أستقر هنا أم أعود لبلدي رام أم أرحل إلى مصر من جديد فهي بلاد جميلة وواسعة ؟

قال سليم : أنت ضيفي أيها الرجل .. أنا للحق لا أعرف سكن زوجتك ؛ ولكن خادمنا سعيد يقوم على رعايتهما .

واستدعى سليم أحد الخدم وطلب منه أن يبحث عن سعيد ، ولما قدم سعيد قص عليه سليم أمر الرجل ، فأمعن سعيد فيه النظر للحظات ثم قال : إنني أذكره .. حسنا اتبعني يا سيدي أحمد .

فقام سليم مع الخادم سعيد فقال الرجل : والأمانة يا سيد سليم ؟

تبسم له سليم وقال : ألا تتفقد الأمانة الكبرى أولا يا رجل ؟! .. زوجتك وابنتك التي ولدت بعد رحيلك للشام .. قم أيها الرجل مع خادمنا الأمين ليذهب بك إلى أسرتك .. وعد إلينا مساء الغد نكون قد أعددنا لك الأمانة .

فخرج الخادم سعيد بأحمد وأرشده الخادم إلى مسكن أهله ، وقفل عائدا لقصر أبي سليم قائلا لسيده : تركته يا سيدي يطرق بابهم . شكر السيد سليم الخادم المطيع ودعا له بالبركة .

وفعلا أتى المدعو أحمد مساء اليوم التالي ، فاستقبله سليم مع زواره الآخرين ، ورحب به كالعادة ، ولما خلت الدار من الزوار ، ولم يبق إلا صاحب الأمانة ، ذهب سليم إلى خزانة الأمانات ليخرج الصندوق الخاص بأحمد ؛ ولكنه فوجئ بعدم وجوده في الخزانة ، فصعق فقلب الخزانة من جديد ، فلم يجده فبعثر الأموال المودعة فلم يجده بينها ، فأصابه انزعاج وقلق فأرسل وراء زوجته وسألها بحدة عن الصندوق فقالت : لا علم لي بها في هذه الخزانة .

تحدث مع الأولاد مع بعض أخوته ثم انتقل إلى غرفة استقبال الضيوف بوجه حزين يحاكي وجوه الموتى ، ثم قال والدموع قد سدت عينيه : لا أدري يا سيد أحمد ما أقول لك .. لقد اختفى الصندوق .. منذ وفاة أبي لم أره .. ولكن قل ما به من أموال وأنا أدفعها لك من حر مالي لا تنقص درهما واحدا ولا دينارا .

أخذت أحمد رجفة وامتقع لونه وبان الألم والضيق على وجهه وقال : كيف اختفى يا سيدي ؟! هل آخذ شيء غيره ؟!

قال سليم : لست أدري أيها السيد .. قلت لك سأدفع لك قدر ما فيه درهما درهما

قال الرجل بغضب : لا .. لا .. لن أقبل إلا بصندوقي .. أنا لا أريد مالا ! .. أنا أريد صندوقي سأشكوك للقاضي أو الوالي .

تأمله سليم لحظات ثم قال : تشكوني للوالي يا هذا .. وأنا ما زلت أقول لك إنني سأدفع لك كل ما فقدته .. إنك تثير غضبي بكلامك هذا .

صاح الرجل بغضب أكثر من ذي قبل : هذه سرقة ! إنك لم تحافظ على الأمانة .. هذه خيانة ! أريد صندوقي .

مسح سليم الدموع التي جمدت في آماق عينيه وقال : معك حق .. لم نحافظ على الأمانة .. ولكن يا هذا .. هذه الوديعة سرقت منا عن غير تقصير ، ومع ذلك أقول لك للمرة الأخيرة أنا ضامن لك ما فقدته .

صرخ الرجل : أريد صندوقي .

وعلى صراخها دخل حينئذ أحد أخوة سليم ، وسمع الكلام الأخير ، وأن الصندوق قد فقد فقال للرجل : يا أخانا .. نحن لم نأخذ منك شيئا .. فماذا ستقول للوالي ؟! .. هل شاهدك أحد وأنت تدفع بالصندوق لنا ؟! .. أين شهودك ؟

قال المدعو أحمد : أنت ستشهد وكذلك أخوك سليم .. فإذا أقسمتم أمام مولانا القاضي بأنني لم ادع عند والدكم الطيب صندوقا سأرضخ للأمر الواقع وأنسى أمره .

فعندئذ قال سليم : سأعطيك يا أخي ضعف ما يحويه الصندوق ولا داع للذهاب للوالي أو القاضي .

فصاح الرجل : إذن أخرج صندوقي وكفى الله المؤمنين القتال .

فصاح سليم محتدا : قلت لك إن الصندوق قد سرق فأمهلني أياما أتحرى عنه .

رد الرجل غاضبا : لن أمهلك ساعة واحدة سأشكوك للوالي .

فأجابه أخو سليم بغضب شديد : افعل ما شئت .. هذا جزاء معروفنا معك وأهلك يا لئيم .

ولما اختفى جسم الرجل قال سليم : أين ذهب

الصندوق ؟!

التم الأولاد حول أبيهم وعمهم فقال : ألم تروا أحدا دخل الغرفة أثناء سفري ؟

فقال أحدهم : لابد أننا دخلنا الغرفة ؛ ولكن لا أذكر أن أحدنا فتح هذه الخزانة .

وأنكر الجميع فتحهم الخزانة إلا فتاة قالت: يا أبي ..منذ أكثر من شهر أثناء غيابك حدث في البيت حادث .

فقال سليم بلهفة : ما هو يا ابنتي الغالية ؟!

قالت وهي تنظر إلى اخوتها : ذات ليلة شعرنا بدخول رجل غريب المنزل عند السحر ، ولما أيقظنا أمنا كان الرجل قد هرب ، ولم ندرك يومها أن البيت أخذ منه شيئا .. فلربما سرق ذلك الصندوق ذاك السحر

وقد نسينا الأمر ، أما الآن فأرى أن لهذا الغريب يدا في اختفاء صندوق هذا الرجل .

وتذكر الأولاد هذه الحادثة فقال أسيد الأخ الأصغر لسليم معلقا : ازداد الأمر تعقيدا !! .

السجين

وفي الصباح كان أعوان الوالي يقرعون منزل سليم ويسحبونه إلى مجلس الوالي ، وذهب بمعيته أخوه أسيد ، فرحب بهم الوالي بألطف الألفاظ ، وقد وجدوا غريمهم في ديوان الوالي أيضا ، فلما استقر بهم الجلوس قال الوالي : يا أبا زيد .. هل تعرف هذا الرجل ؟ وأشار للمدعو أحمد .



قال سليم : نعم .. يا سيدي الوالي منذ يومين فقط التقيت به معرفة حديثة .

فقال الرجل : هذا حق يا سيدي الوالي .

فقال الوالي : جيد .. يا أبا زيد هذا الرجل أحمد بن علي يدعي أنه ترك عند والدك منذ سنوات وديعة .. ولما أتاك ليستردها قلت له إنها مفقودة .. أصحيح هذا ؟!

روى سليم القصة كلها للوالي منذ وصية والده إلى هذا الصباح ، ثم ختم قصته قائلا : وأنا يا سيدي لم أقصر في حفظها ؛ ولكن لا نعلم أين ذهبت ؟! وأنا عرضت عليه أن أدفع له ضعفيها ولكنه مصر على أخذ الصندوق ، فطلبت الإمهال حتى نبحث عنه .. واعلم يا سيدنا الوالي لا أنا ولا والدي ندري ما في داخل هذا الصندوق .

فأخذ الرجل بالصياح قائلا : يا سيدي الوالي أنا أريد صندوقي .. لا أريد مالا .

فأمره الوالي بالصمت ثم قال له : يبدو لي أيها الغريب أنك ممن لا يصنع معه معروف ، فوالد هذا الرجل قد قام على رعاية ابنتك وزوجتك ، ثم تابع هو المسيرة ولم تمهله حتى يبحث لك عن

الأمانة .. بل عرض عليك ضعفيها كرما منه ، مع أن الأمين إذا لم يقصر في حفظ الوديعة غير ضامن لتلفها أو ضياعها .. ومع هذا فحل قضيتكم عندي وستأخذ وديعتك أيها الرجل .

وطلب الوالي همسا من أحد رجاله أن يذهب للسجن ويحضر سجينا بعينه ، فخرج الشرطي مسرعا ، وهنا قال الوالي : المال الحلال يحفظه الله ، والرجل الصالح المنفق للرحمن يجعل له الرحمن مخرجا ، فيا أبا زيد إنك ابن حلال وابن رجل كريم الأخلاق .. فمنذ شهر قبض العسس على رجل عند الفجر كان قد قفز للخارج عن جدار بيتكم وظنوه لصا ؛ ولكنكم لم تتقدموا بشكوى ، وادعى الرجل أنه كان هاربا من أناس يطاردونه ، فتسور بيتكم واختبأ بين الأشجار حتى ابتعدوا ، ثم عاود النزول فاصطدم مع حراس الليل ، ولما لم تأتِ منكم شكوى ، علمت أنك غير موجود في البلدة .. فتحفظت عليه حتى نراك وأصارحك بالأمر فلم ارتاح لأقواله وسبحان الله ! فلم جاءني هذا الرجل يشكوك وأنك أخفيت وديعته عجبت لتصاريف الأقدار

فقطع سليم وأخوه كلام الوالي قائلين : ذكرتنا يا سيدنا الوالي بقصة !

ثم قال سليم :. لقد روت لي الأسرة مثل هذه الحادثة ليلة أمس .. فقد شعرت ابنة لي على حركة اللص ، ولما أيقظت أمها كان الرجل قد هرب .. ومن ثم لم يكتشفوا أن شيئا مسروق ليبلغوا عنه .. فلما أتانا هذا الرجل .. اكتشفنا أن الصندوق الأمانة قد اختفى ، فرجح لدينا أن السارق قد سرق الصندوق .. والعجيب يا سيدي أنه لم يأخذ من خزانة الأمانات غيره .

فقال الوالي : الحمد لله .. فالله يريد أن يظهر الأمر الخفي .

فخر سليم ساجدا شاكرا لربه الذي أخرجه من هذه الورطة ، وقال : الشكر لله والحمد لله الذي تتم بنعمته الصالحات ، وجزاك الله خيرا أنت ورجالك فيالك من وال ذي همة علية .. بوركت جهودكم الكبيرة !

ولاحظ الوالي الذكي أن المدعو أحمد قد خنس عن الكلام وبدأ قلقا يكثر من الحركة فقال له : ما بك أيها الرجل ؟ أأنت مريض ؟ ستأخذ صندوقك وتنصرف في أمان الله .. عندما يأتي اللص سنعرف أين أخفى الصندوق ؟

ولم يطل الانتظار فقد أحضر الشرطي السجين ، ولما دخلوا به غرفة أو ديوان الوالي ، قفز المدعو أحمد وصاح بدهشة واستغراب : أنت .. أنت .. أنت يا جبير اللص ؟!

وقال الآخر وهو مبحلق العينين في مخاطبه : أنت هنا يا نديم ؟!

فعض نديم على شفته ، فقال الوالي وهو ينظر في كليهما : جبير ونديم .. أنت ـ مخاطبا ومشيرا اللص ـ لما قبضنا عليك سميت نفسك بكرا ، وهذا عندما جاء يشتكي سمى نفسه أحمد .. ما القصة أيها الغريبان ؟!

فصاح أحمد (نديم) : أنا أريد صندوقي .. وأنا لي أسماء كثيرة .

ضحك الوالي وقال : يبدو أنك محتال فاشل يا كثير الأسماء ، ثم رفع صوته وقال : يا سيد جبير هل تعرفه جيدا ؟

أخذ جبير ينظر في الحاضرين من حوله ثم أطال النظر في عيني نديم وقال : ما القصة يا سيد نديم ؟!

فصرخ نديم : لا قصة ولا رواية جئت آخذ الصندوق الذي أودعته عند والد هذا الرجل . وأشار لسليم .

فقال الوالي بصوت بدأ مرتفعا : اصمت أيها الرجل ..تكلم يا سيد جبير .. هل رأيت هذا الرجل قبل اليوم ؟

فاعترف جبير قائلا : إنه صديقي وصاحبي ، وقد تركنا مصر من قريب ، هو ذهب للحجاز وأنا نزلت الشام ، وها نحن نلتقي عندكم .

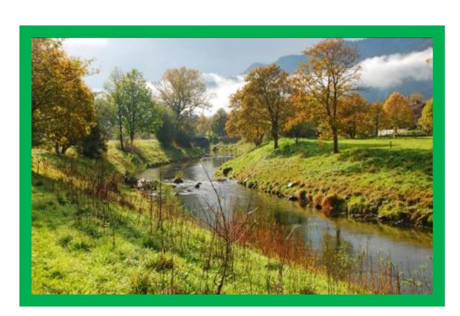
قال الوالي : جيد .. أين الصندوق الذي سرقته من منزل هذا الرجل ؟

فقال جبير : سأقول الصدق يا سيدي الوالي .. أنا اختلست الصندوق من بيت هؤلاء القوم ، ولما شعرت باستيقاظ بعضهم عليّ دفنته في البستان وقفزت الجدار هاربا فإذا رجالك يقبضون عليّ فامسكوني وقادوني إليك ، فأمرت أنت بحبسي ريثما تنظر في حالي وكأنك نسيتني في السجن فهذه قصتي .

قال الوالي : جيد مرة أخرى ! .. يا هذا ! أنت أنكرت السرقة ولم يشكو عليك أهل البيت فلذنا بالصمت قليلا ، و ها هو قد لاح لنا جديد ، وعرفنا المسروق ، فالمرة الماضية لم نجد معك شيئا نتهمك بك .. والآن اصدقنا القول مرة أخرى ما علاقتك بهذا المحتال ؟! ..ولكن قبل سماع حديثك فاعلم أن هذا الرجل ادعى أن اسمه أحمد بن علي وأنه ترك أمانة قبل سنوات عند والد هذا الرجل ، ولما رجع أبو زيد من سفره طالبه بالأمانة وهي الصندوق ، فتبين لهم أنها مسروقة فجاء يشتكي عليه

فأخذ جبير يضحك ويضحك ضحكا عاليا ، فتركه الوالي على سجيته حتى كف عن الضحك وقال : عليّ أن أقول كل شيء يا صاحبي يا أحمد بن علي .. فاعلم سيدي الوالي أن الكذب لا يجدي فاعترف الرجل أنه وصاحبه نديم تعرفا على رجل في مصر اسمه أحمد بن علي تاجر يتنقل بين الأقطار

، وقد حدثهم عن حكايته في هذه المدينة ، وأنه أتاها وتزوج فيها امرأة وتركها حاملا ، وجاء لهذه الديار واستقر فيها ، وحدثهم أنه أودع صندوقا فيه بعض الجواهر النادرة التي تصلح أن توضع في تيجان الملوك ، واستدرجاه في الحديث عن اسم المودع عنده وأنه رجل ثقة أمين معروف يتقي ربه ، ومن خلال أحاديثهم معه عرفوا تفاصيل عن حياته ، فطمعوا بالاستيلاء على هذا الصندوق ، فقال جبير : فتظاهرت يا سيدي أمام صاحبي نديم أني راحل للشام .. وأنا كلي شوق للحصول على صندوق الجواهر النادرة .



وتظاهر لي صاحبي هذا بأنه مسافر للديار المقدسة وأنه تاب من اللصوصية والاختلاس.. فحضرت لهذه البلاد طمعا بالصندوق ، وأقر أن طمعي أوردني المهالك ، فأسال الله تعالى أن يقبل توبتي وندمي .. ومما سمعت منكم فصاحبي نديم حركه الطمع هو الآخر للحصول على صندوق الجواهر ، فجاءكم مستغلا شخصية صاحب الصندوق وطول المدة وأنكم لا تعرفون أحمد الحقيقي وخصوصا سليم .

فقال سليم : أجل أيها القوم .. أنا لم أكن أعلم بموضوع الأمانة إلا عند احتضار والدي ، ولما جاء هذا المحتال .. جاء بالمعلومات التي دعتني لتصديقه فلا أحد يعلم بموضوع الأمانة إلا أنا والخادم سعيد ، وأفراد العائلة علموا فقط عند تقسم الميراث .. وسعيد الخادم لما رأى هذا الرجل لم يشك فيه ، فهو الوحيد الذي رآه بضع مرات مع أبي .. بل ذهب به حيث تسكن عائلته وتركه يطرق الباب ورجع .. فلم يخطر على بالنا أنه محتال ..فيبدو أن العتمة لم تساعد سعيد على معرفته والتحقق من شخصه .. والرجل له أكثر من عشر سنوات لم يره سعيد.. فأرسلوا وراء سعيد الخادم .. وزوجة الرجل وابنته .

وبين لهم سعيد لما قدم أنه أوصله للبيت وعندما سمعه يطرق الباب عاد مخبرا سيده بتنفيذ أمره وقال : وطول الطريق كنا ملازمين الصمت .. أنا لما سمعت قصته من سيدي تذكرت هذا الأمر ولم يخطر ببالي أنه دجال ، ولا يختلف في الصورة عنه كثيرا.

صرف الوالي الخادم وأذن للزوجة وابنتها بالدخول ، ولما سألها عن هذا الرجل هل رأته في يوم من الأيام ؟ فقالت بعد نظر في وجه : لقد جاءنا من قريب ليلا وبين لنا أنه بحاجة لشربة ماء ولقمة عيش فأعطيناه ذلك وانصرف .

فقال نديم معترفا للوالي والبكاء قد غلبه : الطمع يا سيدي الطمع ، طمعت بالجواهر كما طمع صاحبي جبير ، فلما سافر جبير وبعده بأيام خرج أحمد بن علي إلى طرابلس الغرب ، تحدثت مع جوهري عن جواهر أحمد فرسم لي هذه الخطة والحيلة .. وهي التنكر بشخصية أحمد والمجيء إلى هنا ، فجئت فوجدت أن سليما موضع سر أبيه كان غائبا ، فانتظرته حتى عاد وذهبت مع مهنئيه مساء ، ثم كشفت له شأن الأمانة فصدق أني صاحبها لطيبة نفسه ، وأرسلني مع الخادم سعيد لبيت أسرتي ، عندما علم أنني آت حديثا ، ولما تركني الخادم عند باب البيت قرعت الباب بصوت مسموع ليقع في نفس الخادم أنني مشتاق لهم ، فلما فتحوا لي طلبت ماء وخبزا ، وأطلت الكلام معهم عن فقري وضعفي حتى أطمئنَ أن الخادم سعيد قد ابتعد ، ثم شكرتهم وانصرفت وعدت إلى الفندق الذي أنزل فيه .. وعدت في المساء التالي لاستلام الصندوق والهرب به إلى ذاك الجوهري ؛ ولكن الله كان لي بالمرصاد .. فهذه قصتي أيها القوم الكرام !

فقال الوالي : صدقتنا الحديث يا هذا .. فاذهبوا بهما للسجن حتى ينظر القاضي في أمرهم .. هيا نذهب للبستان ونبحث عن صندوق الجواهر النادرة .. " فالله خير حافظا وهو أرحم الراحمين

حروف المعجم في بدنه

ومن حكايات الفصحاء ما حكي أن عبد الملك بن مروان جلس يوماً وعنده جماعة من خواصه وأهل مسامرته فقال: أيكم يأتيني بحروف المعجم في بدنه؟ وله علي ما يتمناه، فقام إليه سويد بن غفلة فقال: أنا لها يا أمير المؤمنين، قال هات، قال: أولها: أنف، بطن، ترقوة، ثغر، جمجمة، حلق، خد، دماغ، ذكر، رقبة، زند، ساق، شفة، صدر، ضلع، طحال، ظهر، عين، غبغبة، فم، قفا، كف، لسان، منخر، نغنوغ وجه، هامة، يد وهذه آخر حروف المعجم والسلام على أمير المؤمنين.

فقال: بعض أصحاب عبد الملك وقال يا أمير المؤمنين أنا أقول في جسد الإنسان مرتين فضحك عبد الملك وقال لسويد: أما سمعت ما قال، قال: نعم أنا أقولها ثلاثاً: فقال له: لك ما تتمنى، فقال: أنف أسنان أذن، بطن بصر بز، ترقوة تمرة تينة، ثغر ثنايا ثدي، جمجمة جنب جبهة، حلق حنك حاجب، خد خنصر خاصرة، دبر دماغ دردر، ذكر ذقن ذراع، رقبة رأس ركبة، زند زردمة زب، فضحك عبد الملك من قوله. ثم قال سويد: ساق سرة سبابة، شفة شعر شارب، صدر صدغ صلعة، ضلع ضفير ضرس، طحال طرة طرف، ظهر ظفر ظنبوب، عين عنق عاتق، غبغب غلصمة غنة، فم فك فؤاد، قلب قدم قفا، كف كتف كعب، لسان

لحية لوح، مرفق منكب منخر، نغنوغ ناب نن، هامة هيف هيئة، وجه وجنة ورك، يمين يسار يافوخ.

ثم نهض مسرعاً وقبل الأرض بين يدي عبد الملك، فقالوا: والله ما نزيد عليها أعطوه ما تمناه ثم أجازه وأنعم عليه وبالغ بالإحسان إليه.

شيرين والصياد

وهي قصة طريفة، ومن ذلك قصة أضيفت إلى شيرين الملكة الفارسية المشهورة ملخصها أن زوجها كسرى أبرويز أتاه صياد بسمكة كبيرة فأعجب به وأمر له بأربعة آلاف درهم، فقالت له شيرين: أمرت لصياد بأربعة آلاف درهم فإن أمرت بمثلها لرجل من وجوه حاشيتك قال: إنما أمر لى بمثل ما أمر به للصياد. فقال لها كيف أصنع وقد أمرت له بما أمرت؟ قالت إذا أتاك فقل له: أخبرني عن السمكة أذكر هي أم أنثى؟ فإن قال: أنثى فقل: لا تقع عيني عليك حتى تأتيني بالذكر، وإن قال: ذكر، فقل له: لا تقع عيني عليك حتى تأتيني بالأنثى، فلما غدا الصياد على الملك قال له: أخبرني عن السمكة أذكر هي أم أنثى؟ قال: بل أنثى قال: فأتني بذكرها، قال: عمّر الله الملك إنها كانت بكرا لم تتزوج بعد، فقال له الملك: حسنا، حسنا، وأمر له بأربعة آلاف درهم، وأمر أن يكتب في ديوان الحكمة: إن الغدر ومطاوعة النساء يورثان الغرم .

دعاء من القرآن

رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ



تم الجزء الاول



مشاهد تربوية
منشورات المكتبة الخاصة
كلام المكاتب
جمال شاهين
منشورات المكتبة الخاصة
حديقة الازهار
مواقف ارشادية
الزمردة
حجر القمر
الجواهر العشر
جمال شاهين
منشورات المكتبة الخاصة
غربتي وابنتي
قصص المصباح المضيء
وهج الحرب
موقعة الثلاثة والعشرين
حصرم بن سلام
الفوارس
القصر المهجور
قرينا ...
هو أنت لاجئ
عبد الله البحري
مملكة مالوثيا والملك بربار
الأميرة نهر الأحلام
قطبة بن سنان
الأمير جفر
صورة الأم
بصمة وراثية
رجل اسمه سنار
حسان والطير الذهبي
زهلول في أرض الجآن
وصية جديدة
مغامرة النادي
مصرع المدير
شارع البحيرة الخامسة
ليموت الماضي
التحقيق الجنائي والجريمة

قصص

المصباح

المضيء

الجزء ٢

٢٠٢٤

جمال شاهين

قلب الوطن

حكايات الفوارس

روايات اجتماعية

روايات جنائية

حديقة الازهار

جواهر القصص

قصص اخرى

المكتبة الخاصة

إعداد

جمال شاهين

قصص المصباح المضيء

الجزء الثاني

قصص الأنبياء

نوح عليه السلام

كان نوح تقيا صادقا أرسله الله ليهدي قومه وينذرهم عذاب الآخرة ولكنهم عصوه وكذبوه، ومع ذلك استمر يدعوهم إلى الدين الحنيف فاتبعه قليل من الناس، واستمر الكفرة في طغيانهم فمنع الله عنهم المطر ودعاهم نوح أن يؤمنوا حتى يرفع الله عنهم العذاب وأخذ يدعوهم ٩٥٠ سنة ثم أمره الله ببناء السفينة وأن يأخذ معه زوجا من كل نوع ثم جاء الطوفان فأغرقهم أجمعين

قبل أن يولد قوم نوح عاش خمسة رجال صالحين من أجداد قوم نوح، عاشوا زمنا ثم ماتوا، كانت أسماء الرجال الخمسة هي: (ودَّ، سُواع، يغوث، يعوق، نسرا). بعد موتهم صنع الناس لهم تماثيل في مجال الذكرى والتكريم، ومضى الوقت.. ومات الذين نحتوا التماثيل.. وجاء أبنائهم.. ومات الأبناء وجاء أبناء الأبناء..

فاختاره الله لحمل الرسالة. فخرج نوح على قومه وبدأ دعوته: يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ إِنِّيَ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ

تحرك قوم نوح في اتجاهين بعد دعوته لمست الدعوة قلوب الضعفاء والفقراء والبؤساء، وانحنت على جراحهم وآلامهم بالرحمة ، أما الأغنياء والأقوياء والكبراء، تأملوا الدعوة بعين الشك ، اتهموا نوحا بأنه بشر مثلهم: فَقَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قِوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلاَّ بَشَرًا مِّثْلَنَا ، قال القرطبي :الملأ الذين كفروا من قومه هم الرؤساء الذين كانوا في قومه. يسمون الملأ لأنهم مليئون بما يقولون. تصور الكفرة يومها أن دعوة نوح لا تلبث أن تنطفئ وحدها، فلما وجدوا الدعوة تجتذب الفقراء والضعفاء وأهل الصناعات البسيطة بدءوا الهجوم على نوح من هذه الناحية هاجموه في أتباعه، وقالوا له: لم يتبعك غير الفقراء والضعفاء والأراذل. اندلع الصراع بين نوح ورؤساء قومه ، ولجأ الذين كفروا إلى المساومة قالوا لنوح: اسمع يا نوح. إذا أردت أن نؤمن لك فاطرد الذين آمنوا بك. إنهم ضعفاء وفقراء، ونحن سادة القوم وأغنياؤهم.. ويستحيل أن تضمنا دعوة واحدة مع هؤلاء.

واستمع نوح إلى كفار قومه وأدرك أنهم يعاندون، ورغم ذلك كان طيبا في رده. أفهم قومه أنه لا يستطيع أن يطرد المؤمنين، لأنهم أولا ليسوا ضيوفه، إنما هم ضيوف الله وليست الرحمة بيته الذي يدخل فيه من يشاء أو يطرد منه من يشاء، إنما الرحمة بيت الله الذي يستقبل فيه من يشاء.

قال لهم إن الله قد آتاه الرسالة والنبوة والرحمة، ولم يروا هم ما آتاه الله، وهو بالتالي لا يجبرهم على

الإيمان برسالته وهم كارهون. إن كلمة لا إله إلا الله لا تفرض على أحد من البشر، أفهمهم أنه لا يطلب منهم مقابلا لدعوته، لا يطلب منهم مالا فيثقل عليهم، إن أجره على الله، هو الذي يعطيه ثوابه. أفهمهم أنه لا يستطيع أن يطرد الذين آمنوا بالله، وأن له حدوده كنبي وحدوده لا تعطيه حق طرد المؤمنين لسببين: أنهم سيلقون الله مؤمنين به فكيف يطرد مؤمنا بالله؟ ثم أنه لو طردهم لخاصموه عند الله، ويجازي من طردهم، فمن الذي ينصر نوحا من الله لو طردهم؟ وهكذا انتهى نوح إلى أن مطالبة قومه له بطرد المؤمنين جهل منهم.

وعاد نوح يقول لهم أنه لا يدعى لنفسه أكثر مما له من حق، وأخبرهم بتذلله وتواضعه لله عز وجل، فهو لا يدعي لنفسه ما ليس له من خزائن الله، وهي إنعامه على من يشاء من عباده، وهو لا يعلم الغيب، لأن الغيب علم اختص الله تعالى وحده به. أخبرهم أيضا أنه ليس ملكا. بمعنى أن منزلته ليست كمنزلة الملائكة قال لهم نوح: إن الذين تزدري أعينكم وتحتقر وتستثقل إن هؤلاء المؤمنين الذي تحتقرونهم لن تبطل أجورهم وتضيع لاحتقاركم لهم، الله أعلم بما في أنفسهم هو الذي يجازيهم عليه ويؤاخذهم به أظلم نفسي لو قلت إن الله لن يؤتيهم خيرا.

وسئم الملأ يومها من هذا الجدل الذي يجادله نوح.. حكى الله موقفهم منه في سورة (هود): قَالُواْ يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٣٢) قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ اللّهُ إِن شَاء وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ (٣٣) وَلاَ يَنفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ اللّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ)

قال تعالى (قَالَ الْمَلأُ مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ) ورد عليهم نوح بأدب الأنبياء العظيم: قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلاَلَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ (٦١) أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاَتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ) الأعراف، ويستمر نوح في دعوة قومه إلى الله. ساعة بعد ساعة. ويوما بعد يوم. وعاما بعد عام. ومرت الأعوام ونوح يدعو قومه. كان يدعوهم ليلا ونهارا، وسرا وجهرا، يضرب لهم الأمثال. ويشرح لهم الآيات ويبين لهم قدرة الله في الكائنات، وكلما دعاهم إلى الله فروا منه، وكلما دعاهم ليغفر الله لهم جعلوا أصابعهم في آذانهم واستكبروا عن سماع الحق. واستمر نوح يدعو قومه إلى الله ألف سنة إلا خمسين عاما.

وجاء يوم أوحى الله إليه، أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن. أوحى الله إليه ألا يحزن عليهم. ساعتها دعا نوح على الكافرين بالهلاك: (وَقَالَ

نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا)برر نوح دعوته بقوله(إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا)

ثم أصدر الله تعالى حكمه على الكافرين بالطوفان.

أخبر الله تعالى عبده نوحا أنه سيصنع سفينة (بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا) أي بعلم الله وتعليمه، وعلى مرأى منه وطبقا لتوجيهاته ومساعدة الملائكة. أصدر الله تعالى أمره إلى نوح : وَلاَ تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُواْ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ (يغرق الله الذين ظلموا مهما كانت أهميتهم أو قرابتهم للنبي، وينهى الله نبيه أن يخاطبه أو يتوسط لهم.

كانت سفينة عظيمة الطول والارتفاع والمتانة، وقد اختلف المفسرون في حجمها، وهيئتها، وعدد طبقاتها، ومدة عملها، والمكان الذي عملت فيه، ومقدار طولها، وعرضها، على أقوال متعارضة لم يصح منها شيء. وقال الفخر الرازي في هذا كله: أعلم أن هذه المباحث لا تعجبني، لأنها أمور لا حاجة إلى معرفتها البتة، ولا يتعلق بمعرفتها فائدة أصلا. بدأ نوح يبني السفينة، ويمر عليه الكفار فيرونه منهمكا في صنع السفينة، والجفاف سائد، وليست هناك أنهار قريبة أو بحار. كيف ستجري هذه السفينة إذن يا نوح؟ هل ستجري على الأرض؟ أين الماء الذي يمكن أن تسبح فيه سفينتك؟ لقد جن نوح، وترتفع ضحكات الكافرين وتزداد سخريتهم من نوح. وكانوا يسخرون منه قائلين: صرت نجارا بعد أن كنت نبيا!

انتهى صنع السفينة، وجلس نوح ينتظر أمر الله.

أوحى الله إلى نوح أنه إذا فار التنور هذا علامة على بدء الطوفان. قيل في تفسير التنور أنه بركان في المنطقة، وقيل أن الفرن الكائن في بيت نوح، إذا خرج منه الماء وفار كان هذا أمرا لنوح بالحركة.

وجاء اليوم فار التنور. وأسرع نوح يفتح سفينته ويدعو المؤمنين به، حمل نوح إلى السفينة من كل حيوان وطير ووحش زوجين اثنين، وبدأ صعود السفينة. صعدت الحيوانات والوحوش والطيور، وصعد من آمن بنوح، وكان عدد المؤمنين قليلا.

لم تكن زوجة نوح مؤمنة به فلم تصعد، قال ابن عباس، رضي الله عنهما: آمن من قوم نوح ثمانون إنسانا.

ارتفعت المياه من فتحات الأرض. انهمرت من السماء أمطارا غزيرة بكميات لم تر مثلها الأرض .فالتقت أمطار السماء بمياه الأرض، وصارت ترتفع ساعة بعد ساعة. فقدت البحار هدوئها، وانفجرت أمواجها تجور على اليابسة، وتكتسح الأرض. وغرقت الكرة الأرضية للمرة الأولى في المياه.

وفي بداية الطوفان نادى نوح ابنه. كان ابنه يقف

بمعزل منه. ويحكي لنا المولى عز وجل الحوار القصير الذي دار بين نوح عليه السلام وابنه قبل أن يحول بينهما الموج فجأة. نادى نوح ابنه قائلا: يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلاَ تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ) ورد الابن عليه: (قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاء) عاد نوح يخاطبه: قَالَ لاَ عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللّهِ إِلاَّ مَن رَّحِمَ وانتهى الحوار بين نوح وابنه: وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ

واستمر الطوفان. استمر يحمل سفينة نوح. بعد ساعات من بدايته، كانت كل عين تطرف على الأرض قد هلكت غرقا. لم يعد باقيا من الحياة والأحياء غير هذا الجزء الخشبي من سفينة نوح، وهو ينطوي على الخلاصة المؤمنة من أهل الأرض. وأنواع الحيوانات والطيور التي اختيرت بعناية. ومن الصعب اليوم تصور هول الطوفان أو عظمته. كان شيئا مروعا يدل على قدرة الخالق. كانت السفينة تجري بهم في موج كالجبال. استمر طوفان نوح زمنا لا نعرف مقداره. ثم صدر الأمر الإلهي إلى السماء أن تكف عن الإمطار، وإلى الأرض أن تستقر وتبتلع الماء، وإلى أخشاب السفينة أن ترسو على الجودي، وهو اسم مكان قديم يقال أنه جبل في العراق. طهر الطوفان الأرض وغسلها. قال تعالى في سورة (هود): وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءكِ وَيَا سَمَاء أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاء وَقُضِيَ الأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْداً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) طهر الطوفان الأرض منهم وغسلها. ذهب الهول بذهاب الطوفان.

واستغفر نوح ربه وتاب إليه ورحمه الله وأمره أن يهبط من السفينة محاطا ببركة الله ورعايته. وهبط نوح من سفينته. أطلق سراح الطيور والوحش فتفرقت في الأرض، نزل المؤمنون بعد ذلك .ولا يحكي لنا القرآن الكريم قصة من آمن مع نوح بعد نجاتهم من الطوفان

قصص من السنة

بقرة تتكلم وذئب يتكلم

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: صَلَّى رَسُولُ الله ﷺ صَلَاةَ الصُّبْحِ ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ فَقَالَ: «بَيْنَا رَجُلٌ يَسُوقُ بَقَرَةً إِذْ رَكِبَهَا فَضَرَبَهَا، فَقَالَتْ: إِنَّا لَمْ نُخْلَقْ لِهَذَا إِنَّمَا خُلِقْنَا لِلْحَرْثِ». فَقَالَ النَّاسُ: «سُبْحَانَ الله بَقَرَةٌ تَكَلَّمُ». فَقَالَ: «فَإِنِّي أُومِنُ بِهَذَا أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ»، وَمَا هُمَا ثَمَّ. «وَبَيْنَمَا رَجُلٌ فِي غَنَمِهِ إِذْ عَدَا الذِّئْبُ فَذَهَبَ مِنْهَا بِشَاةٍ فَطَلَبَ حَتَّى كَأَنَّهُ اسْتَنْقَذَهَا مِنْهُ فَقَالَ لَهُ الذِّئْبُ: هَذَا، اسْتَنْقَذْتَهَا مِنِّي؛ فَمَنْ لَهَا يَوْمَ السَّبُعِ يَوْمَ لَا رَاعِيَ لَهَا غَيْرِي». فَقَالَ النَّاسُ: «سُبْحَانَ الله ذِئْبٌ يَتَكَلَّمُ». قَالَ: «فَإِنِّي أُومِنُ بِهَذَا أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ» وَمَا هُمَا ثَمَّ. البخاري إِذْ عَدَا الذِّئْب: مِنْ الْعُدْوَان. قال الحافظ ابن حجر – رحمه الله –: وَقَدْ وَقَعَ كَلَام الذِّئْب

لِبَعْضِ الصَّحَابَة فِي نَحْو هَذِهِ الْقِصَّة، فَرَوَى أَبُو نُعَيْم فِي (الدَّلَائِل) عَنْ أُهْبَان بْن أَوْس ﷺ قَالَ: «كُنْت فِي غَنَم لِي، فَشَدَّ الذِّئْب عَلَى شَاةٍ مِنْهَا، فَصِحْتُ عَلَيْهِ، فَأَقْعَى الذِّئْبُ عَلَى ذَنَبه يُخَاطِبنِي وَقَالَ: «مَنْ لَهَا يَوْم تَشْتَغِل عَنْهَا؟ تَمْنَعنِي رِزْقًا رَزَقَنِيهِ الله تَعَالَى». فَصَفَّقْت بِيَدِي وَقُلْت: «وَالله مَا رَأَيْت شَيْئًا أَعْجَبَ مِنْ هَذَا»، فَقَالَ: «أَعْجَب مِنْ هَذَا، هَذَا رَسُول الله ﷺ بَيْن هَذِهِ النَّخَلَات يَدْعُو إِلَى الله». فَأَتَى أُهْبَان إِلَى النَّبِيّ ﷺ فَأَخْبَرَهُ وَأَسْلَمَ». فَمَنْ لَهَا يَوْم السَّبُع: مَعْنَاهُ مَنْ لَهَا يَوْم يَطْرُقهَا السَّبُع فَتَفِرّ أَنْتَ مِنْهُ فَيَأْخُذ مِنْهَا حَاجَته وَأَتَخَلَّف أَنَا لَا رَاعِي لَهَا حِينَئِذٍ غَيْرِي. وَقِيلَ: إِنَّمَا يَكُون ذَلِكَ عِنْد الِاشْتِغَال بِالْفِتَنِ فَتَصِير الْغَنَم هَمَلًا فَتَنْهَبهَا السِّبَاع فَيَصِير الذِّئْب كَالرَّاعِي لَهَا لِانْفِرَادِهِ بِهَا. من عبر القصة:١ – يجب على المسلم أن يُصَدِّق بالأخبار التي جاء بها القرآن أو صَحَّ بها السندُ عن رسول الله ﷺ مهما كان الخبر مستغربًا، لا فرق في ذلك بين الحديث المتواتر والآحاد. ٢ – فضل أبي بكر وعمر ﷺ ، فقد أخبر النبي ﷺ عن عظيم إيمانهما وقوة يقينهما.٣- يجوز وعظ الناس بعد الصلاة.٤ – كان الذئب سببًا في إسلام أهبان بن أوس ﷺ

تكلم في المهد ودعا الله

قال رسول الله ﷺ : «كَانَتْ امْرَأَةٌ تُرْضِعُ ابْنًا لَهَا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ فَمَرَّ بِهَا رَجُلٌ رَاكِبٌ ذُو شَارَةٍ، فَقَالَتْ: «اللهمَّ اجْعَلْ ابْنِي مِثْلَهُ». فَتَرَكَ ثَدْيَهَا وَأَقْبَلَ عَلَى الرَّاكِبِ فَقَالَ: «اللهمَّ لَا تَجْعَلْنِي مِثْلَهُ»، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى ثَدْيِهَا يَمَصُّهُ. قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ – ﷺ –: «كَأَنِّي أَنْظرُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ يَمَصُّ إِصْبَعَهُ». ثُمَّ مُرَّ بِأَمَةٍ فَقَالَتْ: «اللهمَّ لَا تَجْعَلْ ابْنِي مِثْلَ هَذِهِ»، فَتَرَكَ ثَدْيَهَا فَقَالَ: «اللهمَّ اجْعَلْنِي مِثْلَهَا». فَقَالَتْ: «لِمَ ذَاكَ؟». فَقَالَ: «الرَّاكِبُ جَبَّارٌ مِنْ الْجَبَابِرَةِ، وَهَذِهِ الْأَمَةُ يَقُولُونَ: سَرَقْتِ زَنَيْتِ، وَلَمْ تَفْعَلْ» (رواه البخاري). وفي رواية أخرى رواها البخاري: « ... فَقَالَتْ: «اللَّهُمَّ لَا تُمِتْ ابْنِي حَتَّى يَكُونَ مِثْلَ هَذَا»، فَقَالَ: «اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْنِي مِثْلَهُ»، ثُمَّ رَجَعَ فِي الثَّدْيِ، وَمُرَّ بِامْرَأَةٍ تُجَرَّرُ وَيُلْعَبُ بِهَا، فَقَالَتْ: «اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْ ابْنِي مِثْلَهَا»، قال رسول الله ﷺ : «فَقَالَ: اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِثْلَهَا». فَقَالَ: «أَمَّا الرَّاكِبُ فَإِنَّهُ كَافِرٌ وَأَمَّا الْمَرْأَةُ فَإِنَّهُمْ يَقُولُونَ لَهَا تَزْنِي، وَتَقُولُ: حَسْبِيَ اللهُ، وَيَقُولُونَ: تَسْرِقُ، وَتَقُولُ: حَسْبِيَ اللهُ». ذُو شَارَة: أَيْ صَاحِب حُسْن، وَقِيلَ: صَاحِب هَيْئَة وَمَنْظَر وَمَلْبَس حَسَن يُتَعَجَّب مِنْهُ وَيُشَار إِلَيْهِ. ثُمَّ مُرَّ: بِضَمِّ الْمِيم عَلَى الْبِنَاء لِلْمَجْهُولِ. الجَبَّار: العاتي المتكبر القاهر للناس. من عبر القصة:١ – أَنَّ نُفُوس أَهْل الدُّنْيَا تَقِف مَعَ الْخَيَال الظَّاهِر فَتَخَاف سُوء الْحَال، بِخِلَافِ أَهْل الإيمانِ الصادِقِ فَوُقُوفهمْ مَعَ الْحَقِيقَة الْبَاطِنَة فَلَا يُبَالُونَ بِذَلِكَ مَعَ حُسْن السَّرِيرَة، كَمَا قَالَ تَعَالَى

حِكَايَة عَنْ أَصْحَاب قَارُون حَيْثُ خَرَجَ عَلَيْهِمْ: {يَا لَيْتَ لَنَا مِثْل مَا أُوتِيَ قَارُون}، {وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْم: وَيْلكُمْ ثَوَاب الله خَيْر}. ٢ - أَنَّ الْبَشَر طُبِعُوا عَلَى إِيثَار الْأَوْلَاد عَلَى الْأَنْفُس بِالْخَيْرِ لِطَلَبِ الْمَرْأَة الْخَيْر لِابْنِهَا وَدَفْع الشَّرّ عَنْهُ وَلَمْ تَذْكُر نَفْسهَا.

أدعية

{ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ، رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ، رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الأَبْرَارِ ، رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَّنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلاَ تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لاَ تُخْلِفُ الْمِيعَادَ} { رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ }

دعاء يوسف

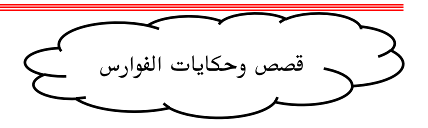
{ قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ} { رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ} عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا سَلَّمَ لَمْ يَقْعُدْ إِلاَّ مِقْدَارَ مَا يَقُولُ « اللَّهُمَّ أَنْتَ السَّلاَمُ وَمِنْكَ السَّلاَمُ تَبَارَكْتَ يَا ذَا الْجَلاَلِ وَالإِكْرَامِ ».

عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَخَذَ بِيَدِهِ يَوْمًا ثُمَّ قَالَ يَا مُعَاذُ إِنِّي لَأُحِبُّكَ فَقَالَ لَهُ مُعَاذٌ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللهِ وَأَنَا أُحِبُّكَ قَالَ أُوصِيكَ يَا مُعَاذُ لَا تَدَعَنَّ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ أَنْ تَقُولَ اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ . حم

«اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيرًا، وَلا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ أَنْتَ، فَاغْفِرْ لِي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ وَارْحَمْنِي، إِنَّك أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ» اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِوَجْهِكَ الْكَرِيمِ وَكَلِمَاتِكَ التَّامَّةِ، مِنْ شَرِّ مَا أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهِ، اللَّهُمَّ أَنْتَ تَكْشِفُ الْمَغْرَمَ وَالْمَأْثَمَ، اللَّهُمَّ لاَ يُهْزَمُ جُنْدُكَ، وَلاَ يُخْلَفُ وَعْدُكَ، وَلاَ يَنْفَعُ ذَا الْجَدِّ مِنْكَ الْجَدُّ، سُبْحَانَكَ وَبِحَمْدِكَ»

مَا تَرَكْنَاهُ يمشي على الأَرْض

قَالَ فَتى منا لِحُذَيْفَة رَأَيْت رَسُول الله ﷺ قَالَ نعم قَالَ وَالله لَو أدركناه مَا تَرَكْنَاهُ يمشي على الأَرْض قَالَ حُذَيْفَة دَعَانِي رَسُول الله ﷺ وَنحن بالخندق قَالَ اذْهَبْ فاجلس فِي الْقَوْم فَانْظُر مَاذَا يَفْعَلُونَ فَذَهَبت فدخلت فِي الْقَوْم وَالرِّيح تفعل فِي جنود الله عز وَجل مَا تفعل لَا تقر لَهُم قدرا وَلَا نَارا وَلَا مَاء فَقَامَ أَبُو سُفْيَان ابْن حَرْب فَقَالَ يَا معشر قُرَيْش لينْظر كل امْرِئ من يُجَالس فَقَالَ حُذَيْفَة فَأخذت بيد الرجل الَّذِي إِلَى جَنْبي فَقلت لَهُ من أَنْت فَقَالَ أَنا فلَان بن فلَان .





الحلقة ٢

أول سفينة

أول سفينة وجدها متحركة إلى بلاد الشرق ركب عليها ولم تكن هذه السفينة كبيرة ، كانت سفينة متوسطة الحجم فاستأجر مكانا على متنها ، وقبطانها أو ربانها لم يكن مسلما كان هنديا ، وكان حسان يتمنى لو يصل الصين بليلة بل ساعات ، وافق الربان الهندي على حمله معه مقابل مائتي درهم إلى أقرب ميناء من بلاد الهند والسند ، وافق حسان على الفور واشترى طعاما وماء للرحلة التي قد تستغرق أشهرا ، كانت السفينة تحمل تجارا وعددا قليلا من المسافرين كحسان ، وبعد مسيرة أيام وليال مع أمواج البحر العاتية تعرضت السفينة لعاصفة بحرية عنيفة ألقت بالسفينة على جزيرة في وسط البحر ، فحمد القوم ربهم الله على بقائهم أحياء مع صراع استمر ساعات مع العاصفة الأولى .

عندما ظهر النهار على الجزيرة لم يشاهدوا شيئا في هذه الجزيرة سوى الأعشاب وبعض الأشجار المتناثرة فيها ، فبدأ البحارة والنوتية يتفقدون السفينة والأشرعة ويصلحونها استعدادا للعودة للبحر ، فتركهم حسان مشغولين بإصلاح السفينة ، وأخذ يتمشى في هذه الجزيرة ، وينظر في خلق الله ويفكر بحسنائه التي سببت له هذه الرحلة القاسية، واستمر في المشي ساعة من الزمن ثم ألقى بنفسه على صخرة ملساء في وسط الجزيرة ، وأخذ يحلم ويحلم بعروسه الجميلة ، وفجأة تذكر أهله بمصر فقد اشتاق إليهم شوقا كبيرا، وبينما هو غارق في أحزانه وأحلامه سمع صوت صراخ مزعج ومخيف من الجهة التي تربض فيها السفينة ، فتحرك نحو الصراخ فزاد صوت الصراخ والعويل .. فقد لمح أناسا كثيرين ، فجلس يراقب القوم وقد سرى الرعب إلى قلبه وأوصاله إنهم يحطمون السفينة .. لابد أنهم قراصنة البحر الذين سمع عنهم من ركاب السفينة .. ولمح جماعته مكبلين بالحبال ثم شاهد الغرباء يحملونهم إلى سفينتهم .. فأخفى واورى نفسه بين الأعشاب قبل أن ينتبهوا له ويروه .. استمر الصراخ والعويل فترة من الزمن حتى ابتعدت السفينة بالأسرى .. لقد أخذوهم ليبيعوهم رقيقا ، فبكى حسان بكاء مرا ، ولكنه حمد الله تعالى أن أنجاه من هؤلاء

المجرمين .. ثم مشى بعد حين حيث السفينة بعدما خلا المكان من مجرمي البحر ، وبينما هو يقترب منها ظهر رجل خاف حسان منه لأول وهلة ولكنه سمع الآخر يقول مطمئنا : لا تخف أنا صديقك عدنان ..

فقال حسان : البصري؟!تعال أيها الرفيق .. ما الذي حدث لنا ولقومنا ؟ وكيف نجوت أنت ؟

فرد عدنان البصري : كما نجوت أنت .. الحمد لله كنت نائما بعيدا عنهم ، فلما استيقظت سمعت الصراخ والعويل ثم رأيت ما حصل .. سيبيعونهم رقيقا في بلادهم .. وأنت كيف نجوت ؟!

فقال حسان بحزن وقد بدأ يدرك مدى خطورة الخطوة والمغامرة التي أقدم عليها : الحمد لله على السلامة .. كنت بعيدا عن أهل السفينة أفكر بأهلي وإخواني ومستلق على الصخرة ؛ وفجأة نهضت على الصراخ فاقتربت ثم تذكرت ما كنت تحدثني به عن أخطار البحر وعصابات البحر فتوقفت وأخفيت نفسي عن الأنظار والآن ما العمل أيها الأخ والصديق في هذه الجزيرة المجهولة ؟

فقال عدنان البصري بعد تريث: علينا أن ندبر أنفسنا بطعام وشراب .. وننتظر رحمة الله ؛ لعل سفينة تمر قريبا منا فيحملوننا معهم أو نموت هنا

فقال حسان بحزن وأسف عميق : الأمر كله بيد الله !.. فإن كان لنا حياة ييسر مولانا الأعظم لنا النجاة ، وإن كانت الأخرى فلا مفر منها اليوم أو غدا .

فقال عدنان : صدقت .. والآن دعنا نسمع قصتك التي وعدتني ونحن في السفينة بقصها عليّ دخل الظلام فأشعلا نارا يتسامران حولها ، وكانوا قد وجدوا بعض الطعام الذي لم يحمله معهم القراصنة ، فجلسا حول النار يأكلان ويتحدثان

فقال حسان : كما تعلم أنا من أبناء مصر .. أبي تاجر ثري ومعروف في مصر كلها ، فأنا ابن نعمة يا أخي! ولست مسافرا للتجارة ولا أيضا للنزهة .. إنما سمعت عن فتاة بصرية حسناء جميلة اسمها بدور ابنة أمير وعامل البصرة ، وبما أنك من أهل البصرة لابد أنك سمعت بها وبمهرها الذي قرأت عنه في بطون الأوراق .

فابتسم عدنان عندما عرف أن صاحبه أخرجه العشق من بلاده وقال : نعم .. ومن لا يعرف ابنة الوالي والحاكم بالبصرة ؟!.. إذن أنت تنوي وتقصد السفر إلى بلاد الصين لتحضر الطير الذهبي مهرا لأميرتنا الغريبة الشهوات .

فقال حسان بحزن شديد : هو ما تقول .. وكثير من الإخوان نصحوني بالعدول عن هذا الهوى والوهم ؛ ولكني أغلقت أذناي وفتحت قلبي فأتيت العراق وبغداد ثم البصرة وقابلت الأميرة وتحدثت معي فوجدتها كما نقل اليّ في مصر جميلة

ذكية سلبت مني القلب والعقل معا فهمت بها هياما ، فصممت أن أجلب لها المهر الذي تشتهيه، فهذه قصتي وبلوتي أيها الأخ البصري، وأمهلتني سنتين ، وبعدئذ فهي حرة متحررة من الوعد، وأخشى أن تمضي السنتان وأنا في هذه الجزيرة .. فهل عندك كلام ينفع القلب المشغوف بالهوى والبلى يا ابن الكرام ؟

أجابه البصري: لا تيأس وإلا فشلت ..ولا تقنط من رحمة الله فالغايات الصعبة تحتاج لصبر ونفس قوي وطويل .. وسيأتي الفرج من حيث لا تحتسب ، فالرحلة لبلاد الصين طويلة قد لا تكفيها سنة.. فلنصبر أسبوعا من الأيام ، وإذا لم تقذف الأمواج إلينا سفينة نصنع من خشب وألواح هذه السفينة قاربا صغيرا ونلقي بأنفسنا بالماء ويفعل الله ما يشاء .

فقال حسان : ولم نصبر أسبوعا ؟! لنصنع القارب من صباح الغد .. ثم نتوكل على الله .

فقال عدنان : لا بأس .. نبدأ بصنع القارب من الغد ؛ فإذا تيسرت لنا سفينة كان بها وإن لم يتيسر نركب القارب ونسير على بركة الله حتى نصطدم بسفينة في عرض البحر .. فلننام الآن حتى الصباح ، ثم نباشر العمل فأنا لي معرفة في صنع القوارب ، لقد عملت بصناعتها عند بعض النجارين في البصرة .



فلما أصبح الصباح وظهرت الشمس أخذا يفككان ألواح السفينة ليجمعوا منها قاربا صغيرا وبعد أيام تم صنع القارب المناسب للمغامرة ، فجراه إلى الماء وجرباه بضع ساعات، ولما تيقنا من صلاحه للمغامرة ، وضعوا فيه الأطعمة والمتاع وبدأت المغامرة مع البحر الكبير ، وشرعت الأمواج تحمل القارب علوا وتهبط به وهما يجدفان في عجاج البحر، فإما النجاة وإما الغرق ويصبحان طعاما للسمك والحيتان ، دخل الليل وهما في وسط البحر، وما زالت الريح هادئة وتساعدهم في السير على متن الأمواج ، ومع شروق الشمس على مياه البحر لمحا شيئا ضخما يسير في البحر فصاح البصري : إنها سفينة ولكنها بعيدة .. فعلينا أن نزيد من نشاطنا لعلنا ندركها قبل هبوط الليل لعلهم يحملوننا معهم .

فزادا من الجهد والتجديف وساعدتهم الريح ، ومع المساء أدركا السفينة فشاهدهم عمال السفينة ، فألقوا إليهم الحبال والشبك وساعدوهما على الصعود على سطح السفينة ، ولما أصبحا على ظهرها ألقيا بنفسيهما على أرض السفينة ، وقد أعياهما التعب والتجديف ، وكانت أيديهما مضرجة بالدماء ، وقد فقدا الوعي من التعب

والإرهاق والنعاس ، فساعدهم العمال بالمعالجة وزودهما بالطعام الدافئ وسمحا لهما بالنوم ..ومع الفجر استردا عافيتهما، فحمدا الله على نجاتهما فسألهم ريس السفينة عن حالهم ، فقصا عليه قصة السفينة التي استولى عليها لصوص البحر والجزر ، فأسفوا لما حصل للقبطان الهندي وركاب السفينة ، ثم بارك الربان لهم الحياة الجديدة فقال : هنيئا لكما الحياة الجديدة .. فأين أنتم سائرون ؟
فقالا : الهند سواحل بلاد الهند .
فقال الربان : وهذا من حسن حظكم فنحن إليها ماضون بإذن الله ، وكما ترون فسفينتنا ضخمة فقد نحتاج وقتا طويلا للوصول هناك .. نحتاج إلى شهور قبل أن نصل مواني تلك المدن ، فإذا أحببتم نقلناكم إلى سفينة أصغر من سفن نقل الركاب
فصاح حسان : يكون هذا معروف آخر منك ؛ فإني في عجلة من أمري أيها الربان الكريم ..
فقال الربان : ابشروا فأول سفينة صغيرة تمر بنا سأنقلكم إليها خذوا قسطا من الراحة واصبروا فإن الصبر مفتاح الفرج .
وتركهم الريس وذهب يتفقد البحارة ، وبعد أسبوع وهما على متن هذه السفينة الضخمة تمكن الربان من نقلهم لسفينة صغيرة مع بحار هندي ، فانتقلوا إليها بعدما ودعوا البحار الكريم ، وشكروه على إحسانه عليهم خلال المدة التي أمضياها على سفينته ، رحب البحار الهندي بهما ووجداه مسلما من ملتهم ، فطابت لهم صحبته وتفائلا به ، وحدثوه بقصة النكبة التي أصابتهم بعدما فارقوا البصرة ، واندمج الشابان مع سكان السفينة ، وتعرضت هذه السفينة إلى عاصفة هوجاء فاشتد دعاؤهم واستغفارهم إلى الله أن يحفظهم ويكلئهم من أخطار البحر، وبعد حين وصلت السفينة إلى سواحل الهند ، فحمدوا الله وشكروه على فضله ودفعوا إليه مالا يدفعه لصاحب ومالك السفينة فأبى وودعهما ، وقبل أن يغادرا المرفأ إلى دلهي شاهد عدنان رجلا ممن كان معهم في السفينة القديمة ، فعرفا بعضهم بعضا وتصافحوا وهنئوا بعضهم بعضا بنجاتهم وسأله البصري قائلا : ما جرى لكم مع عصابة البحر ؟!
فقال الرجل : وأنتما كيف نجوتما ؟!
فقصا عليه قصتهما فلما انتهيا قال : ذاك من حسن حظكما .. الملاعين أخذونا إلى سفينتهم، واخبرونا بأنهم سوف يبيعوننا لملوكهم ، وأثناء الطريق رجوناهم أن يفكوا قيودنا ويبيعوننا لمن شاءوا ؛ فكأنهم أشفقوا علينا ، ومضينا في البحر وتعرضت سفينتهم لعاصفة قاتلة تفتت في عرض البحر ، ومن حسن حظنا أننا كنا قريبين من ساحل إحدى الجزر ، فمنا من غرق ومنا من وصل الجزيرة سالما ، وكنت قد ركبت لوحا وقدرت لي النجاة ، ثم

انتشلني ناس طيبون ، ووصلت اليوم إلى هذا الساحل بفضل الله وحمايته .

فقالا : حمدا لله على نجاتك يا أخانا .. ونزلوا على مدينة يستريحون، وبعدما امضوا ليلة فيها تحركوا إلى العاصمة الكبيرة لهذه المدينة ، ومكثوا فيها أياما، ثم ساروا مع إحدى القوافل الكبيرة إلى مدينة دلهي ، وبعد زمن من السير حطوا رحالهم فيها في تلك المدينة الواسعة ، وبعد أيام أمضاها حسان فيها التحق بقافلة تجارية مسافرة إلى بلاد الصين ، فاشترى بغلة وسافر برفقة القوم ، وقد ودع صاحبيه فدعوا له بالتوفيق والسلامة ، وبعد شهور من السير المتواصل أصبح حسان في بلاد الصين الواسعة جدا ، وعلم أن ملك الصين صاحب الطير الذهبي يسكن في مدينة عملاقة اسمها " شنغهاي " على ساحل بحر الصين ، وإليها تابع حسان المسير ، وهناك بدأ يتعسعس ويتحسس عن الطير ، ويسأل عن أخباره وحكايته

الطائر الصيني

المكان المفضل لحسان حتى يتعرف على البلاد ويستطيع أن يفهم هؤلاء الناس ذوي العيون الصغيرة والوجوه الدائرية هو سوق التجار ، فترك الفندق الذي سكنه وذهب يتفرج على السوق ، وهناك أخذ يسأل عن التجار العرب فأرشدوه على تاجر عربي معروف في السوق اسمه التاجر حمزة ..

فدخل دكان حمزة بعد جهد جهيد ، فسلم عليه وكان من حسن حظه أنه وجده في الدكان ، فاحتضنه حمزة وتشممه كأنه يشم فيه رائحة بلاد



العرب ، وتعرفا على بعضهما ، ثم سأله حسان عن أسباب عيشه في هذه البلاد فأجابه حمزة بلطف : الأرزاق يا ولدي ! وكثرة الحروب في بلادنا ، وفي رحلة من الرحلات قررت البقاء هنا ، وتزوجت امرأة مسلمة من هذه البلاد ، واستقررت في هذه البلاد ، وهنا يوجد مسلمون كثيرون .. بل أكثر من ثلث السوق هذا لأبناء المسلمين ، ولي في هذه البلاد الكبيرة أكثر من ثلاثين سنة ، وأشار إلى صبي قائلا : هذا ولدي محمد .. ويوجد عرب غيري في المدينة يعملون في التجارة والحرف.. أنت من مصر كما قلت لي .. أما أنا فأجدادي من الشام .. كانوا يجاهدون في حملات الجهاد إلى بلاد العجم ، واستقر الكثير منهم فيها وبالذات مرو .. وما زال لي من الأقارب وأبناء العم هناك .. وأهلا بك يا ولدي حسان .

تحدث حسان مع محمد قليلا ثم عاد يقول لحمزة : حقيقة أنني فرحت لرؤيتك والجلوس معك

وأدرك أنك ترغب بسماع حكايتي وسبب حضوري إلى هذا البلد .. وسأذكرها لك ـ إن شاء الله ـ متى تشاء ؟

قال حمزة : اعتبر نفسك ضيفي أيها الشاب المصري، وبعد الظهر سنذهب سوية إلى البيت ومع طعام الغداء نسمع حكايتك .. قم يا محمد وأخبر أمك بأن تجهز لنا طعاما وشرابا لضيفنا المصري .

قام محمد مسرعا إلى بيت أمه .. وبعد الظهر أخذه الشيخ حمزة معه للبيت وترك ولده محمدا في الدكان ، وأوصاه على المحل والمال ، ومع ضيافة أبي محمد قص عليه حسان قصته وسبب مجيئه لهذه البلاد ، وبعد أن استمع أبو محمد العربي للحكاية أصابه هم وحزن على الشاب وعلى شبابه

فقال والحزن على وجهه : يا ولدي العزيز !.. أمرك عجيب جئت إلى آخر الدنيا من أجل حسناء ! أنتم الشباب لكم غرائب وخصوصا العشاق منكم ؛ ولكن لأنك ضيفي ونزيلي سأبذل جهدي لمساعدتك رغم الخطر المحدق بنا ، وأحسنت صنعا أنك قدمت عليّ ، ولا تحدث أحدا من الخلق بقصتك .. عليك أن تعمل بالتجارة والبيع والشراء على أنك تاجر يبحث عن رزقه في هذه البلاد حتى أدبر لك أمرا تصل به إلى هذا الطائر العجيب .

أثنى حسان على مضيفه الثناء اللائق ثم قال : يا سيدي ما حكاية هذا الطائر .. الذي أصبح يطلب صداقا لبنات الناس ؟!

قال حمزة : يا ولدي العاشق .. هذه أول مرة أسمع مثل هذه الحكاية ومثل هذا الطلب ، وسأقص



عليك قصة هذا الطير الذهبي كما سمعتها من زوجتي بنت هذه الديار .. تبدأ القصة يا حسان من زمان من زمن أحد أجداد ملك هذه البلاد .. كان كما قالوا .. له بنت وحيدة ، ورغب كثير من الأمراء بالاقتران بها .. فتحرج ذلك الملك من ذلك ، فخشي إن زوجها لفلان أن يغضب الآخرون وقبائلهم ، فخرج على قومه بأمر هذا الطائر .. فأصدر بيانا على الشعب كله يطلب فيه صناعة مثل هذا الطير للأميرة حيث يكون أعجوبة من أعاجيب الدهر ، فمن صنع ذلك فهو الأحق بأن يكون صهرا للملك وقرينا لابنته الوحيدة ؛ وبذلك قل طلب الأمراء ليد ابنته التي كان يحبها حبا جما وما عاد يتعرض للحرج ، واستمر هذا الأمر مدة من الزمن ثم تقدم شاب من عامة الناس ليس من طبقة الأمراء إلى الملك بالطير الذهبي العجيب، تفاجأ الملك والأمراء بالأمر ؛ ولكنه أمام

فتنة الطير لبى ما اقترحه على نفسه ، وتزوج هذا الشاب الأميرة أمام الكبار والصغار وكافة الشعب ، وفعلا يا حسان كان هذا الطير أعجوبة وغريبا ومدهشا للملك والوزراء والشعب ، وصفة هذا الطير يا صاحبي أنه عصفور بحجم فرخ الحمام مصنوع من الذهب والفضة بطريقة مجهولة لا يعلمها إلا صانعها الشاب بعد رب العباد .. وهذا الطير الصغير يخرج كل اثنتي عشرة ساعة أصواتا لمدة قصيرة من الزمن ؛ فإنه يضحك ثم يبكي ، ومن ثم يصفر بصوت حزين موجوع يحزن كل من يسمعه .. فعلا إنه طير مدهش لقد سمعته بنفسي .. واشترط صانع هذا الطير على الملك أن لا يحاول فكه أو العبث فيه ؛ فإن فعل فإن الطير يتعطل ويخرب ، وضع الطير في قفص ذهبي وهو في غرفة خاصة بالملك ، وحتى يرى الشعب هذه الأعجوبة وهذا الطير العجيب المضحك والمبكي والحزين جعل الملك للشعب ثلاثة أيام في السنة لمشاهدة هذا الطائر ، فيخرج هذا العصفور إلى ساحة عامة بحراسة آلاف الجنود ، يستمع إليه الناس والزوار ثم يعاد إلى غرفته في قصر الملك .. ومن الجدير بالذكر يا حسان المصري أن هذا العصفور كان يقال عنه قديما إنه يحدث أصواتا أخرى غير البكاء والضحك والحزن ..فكان يخرج منه أصوات ونغمات لبعض الطيور ، فقد حاول أحد الملوك الفضوليين الذين ورثوا العرش أن يتفحص الطائر ويعرف سره ، فقام بفك بعض الأجزاء منه ثم ندم فأعاد القطع المفكوكة لمكانها فلما عاد يسمع إلا الأصوات الثلاثة فحسب ، فندم هذا الملك أشد الندم ، وكان صانع الطير ميتا ، فظل فيه ثلاثة أصوات يتوارثه السادة الملوك ، وظلت عادة إخراجه للناس من ذلك التاريخ إلى اليوم ثلاثة أيام في السنة ، وتوقفت بعض السنين بسبب الحروب والفتن التي كانت تعصف في البلاد ، وبعد شهور قليلة يأتي ميعاد إخراجه فيمكنك مشاهدته وسماع نغماته الثلاثة .

فقال حسان بحسرة : إني أرغب بالحصول عليه وليس مشاهدته فقط .

فقال حمزة : الأمر صعب ؛ ولكنه ليس مستحيلا كما وعدتك سأحاول مساعدتك هذه قصة الطير الذهبي العجيب ؛ ولكن هل يستطيع حسان الحصول عليه مهرا لفتاة أحلامه كما وعدها ؟ .. هذا ما سنعرفه في باقي أحداث هذه القصة ..

استقر حسان في السوق ، وتعمقت علاقته بحمزة وتجار السوق ، واكترى له حمزة حانوتا يبيع فيه البخور والعطور والبهار ، واندمج حسان قريب أبي محمد في العمل والمجتمع الذي يحيا به حتى

راودته نفسه بإنشاء سلالة في هذه البلاد والاستقرار بين هؤلاء الناس الطيبين؛ ولكن حنينه للأهل والوطن وتعلقه بفتاة البصرة الأميرة بدور فتاة أحلامه الجميلة منعاه من الاسترسال في هذه الأماني ، ودفعاه بالاستمرار في طريقه للحصول على الطائر الصيني .. وكان يراوده خاطرا آخر مثبطا هل يفقد حياته من أجل عيني أنثى هويها على السماع ؟.. هل تراها تستحق هذه التضحية ؟ .. لكن هذا شرط ليس تضحية .. لا يوجد إكراه .. ويمكنه الانسحاب في أي وقت.. هل يصل للملك الصيني، ويطلبه منه، ويقص عليه قصته لعله يتعطف عليه بطائر الأجداد؟ قد يشفق عليه ويهديه الطائر .. إنه ملك عادل كريم .. أم هل يسرقه؟ ولكن كيف يصل إليه ويستخلصه من بين العساكر؟ هل أستطيع استبداله بطير آخر؟ وكيف سأخرج به من البلد سالما ؟.. هل يصل به للبصرة سالما ؟

كان أكثر وقته يمضيه مع العم حمزة يفكران بحيلة يصلان بها إلى الطائر ، فلم يجدا طريقة أو وسيلة سوى سرقته يوم الاحتفال ، وهذا الحل فيه تهديد قاتل للاثنين معا .. فكيف يسرقانه من بين آلاف الجنود والحرس ويخفيانه ؟! .. اقترب موعد الاحتفال بالعصفور وإخراجه للجماهير لينظره أهل المدينة والغرباء مدة ثلاثة أيام ازدادت معرفة الناس بحسان ، وكانوا يلقبونه الطبيب العطار ، والسبب في ذلك أنه كان يصف للمتوجعين والمرضى من أهل تلك البلاد الدواء والوصفات العلاجية من الأعشاب التي يبيعها ؛ وذلك عرفه من خبرته في مصر والتي كان يتعلمها ويسمعها من العطارين في بلاده ، وقدر الله أن تعافى على يديه عدد لا بأس به من أهل السوق ، فأصبح يطلقون عليه بسبب ذلك الطبيب العطار ، وقدر الله أن شفي على وصفاته شخص يعمل في قصر الملك طاهيا ، وفرح هذا الرجل الصيني فرحا ما عليه من مزيد عندما شفي من مرضه العسير حتى أصبح الرجل حديث الناس .

وجاء الموعد موعد ظهور العصفور العجيب في الساحة المعهودة ، وبدأ الناس يتحركون لسماع صوت العصفور ، وكان حسان في شوق لسماعه ، فساقه أبو محمد لمشاهدته ، فسارا للمكان المحتشد بالجند والعساكر ذوي الملابس الرائعة والسيوف الملونة، فكل هؤلاء العسكر جمعوا لحماية العصفور وتنظيم مرور الناس، وعندما اقترب موعد نطق الطير كان الزحام حوله شديدا ، وقد خيم الصمت على الجميع ، وكان حسان وصاحبه حمزة قد اقتربا من القفص كثيرا فشاهداه عن قرب .. ضحك العصفور فأعجب السامعون بضحكه ، ثم بدأ يبكي فبكى الناس لبكائه ، ثم أخذ في

الصفير المحزن فحزن الناس لحزنه ، ذهل حسان لما يرى ويسمع ، فلما انتهى الصفير أخذ الناس يبتعدون ليحل محلهم أناس آخرون ينتظرون لحظات الاستماع ..وقفلا عائدين، وحسان وأبو حمزة مشغولان في طريقة الوصول للطير في مثل هذا الزحام والجند .. فكان حسان يرى أن ذلك من المستحيل وصعبا .. فاعترف للعم حمزة بصعوبة سرقته وإخفائه من بين كل هؤلاء الخلق ، وقد اعترف العم حمزة أيضا بصعوبة هذه الطريق ، وعجزه التام عن مساعدته فقال : أرأيت كم من العسكر حوله يا ولدي ؟! .. وحتى لو استطعنا إبداله هل يمكننا إخفائه وتهريبه للعراق؟ .

وعاد حسان إلى بيته مهموما مغموما، وفي نفس الوقت متعجبا من هذا الطير ومن صانعه ، ويجد الأعذار للأميرة بعشقها لهذا الطائر عن بعد فكيف لو تراه ؟

.. فلم يخرج حسان في اليومين التاليين للعمل ،

ولما جاءه محمد بن حمزة يسأل أخبره بتعبه وضيقه من الدنيا، وتفاجأ حسان بأبي حمزة يدخل عليه في صباح اليوم الرابع من ظهور العصفور للعوام وهو مصفر الوجه ، وقد دخل مسرعا مضطربا وهو ينادي : حسان .. حسان . فخرج إليه مسرعا ملهوفا خائفا يقول : مالك يا سيدي ؟!.. ما الذي أصابك ؟!

فقال بخوف شديد : سرق الطير الذهبي يا حسان !

جلس حسان على الأرض من هول الخبر على نفسه وكيانه ، وقال بصوت متقطع : ماذا قلت ؟! سرق الطير الذهبي .. سرق الحلم ؟!

قال حمزة بصوت كأنه البكاء : نعم ، إنها كارثة إنها مصيبة !! العسكر ملئوا المدينة ، وقد غضب الملك غضبا شديدا وأغلقت أبواب المدينة لا دخول ولا خروج حتى يظهر العصفور !

فقال حسان بخوف : إنها لمصيبة كبرى حقا ! .. من يا ترى فعلها ؟!

فردد حمزة حائرا : من يا ترى فعلها ؟! أيكون أناس مثلك جاءوا لإحضاره لتلك الأميرة التي ذكرت لي حكايتها ؟

فقال حسان : لا أعتقد ذلك .. فهي أمهلتني سنتين .. أما قصة الثلاثة الذين سبقوني فهؤلاء خرجوا ولم يعودوا .. وحكاياتهم قبل أن أخرج من مصر .

توترت المدينة الكبيرة لاختفاء العصفور ، وتعرض حراس الطير للمسألة ، وبعضهم للتعذيب لتقصيرهم في المحافظة على الطير ، والملك غضب غضبا عصيبا حتى أشرف منه على

الموت فرقد في الفراش ، فقد تألم تألما كبيرا على ضياع العصفور الذي له أكثر من مائتين سنة يتوارثه الملوك، وانشغل أهل القصر بضياع العصفور وبمرض السلطان .. والناس كانوا يتكلمون باستغراب ودهشة عن الصفة والحيلة التي تمت بها سرقة الطير رغم وجود الحرس الشديد ليلا ونهارا .. في اليوم الأخير لاستعراض الطائر العجيب أمام الناس ، فعندما جاء موعد الضحك والبكاء والحزن سكت الطائر لا صوت ولا خبر.. اضطرب الناس والجند .. فتم نقل العصفور للقصر فورا .. ولما أتى الموعد التالي بعد اثنتي عشرة ساعة أيضا لم يتكلم .. فحص الحكماء القفص ، فكان نفس قفص الطائر الذهبي ، فنظروا الطير وأخرجوه من قفصه الذهبي .. الشكل والصورة نفس الطائر العجيب .. ولكنه شبيه به ، أخبر الملك باستبدال العصفور ، فغضب لهذه الإهانة وبدأ التحري والبحث وأصدر أمرا عاجلا بإعدام كل الحرس المسؤول عن الطائر في الساحة الكبرى .. فتشفع فيهم الكبار وطرحوا في السجن حتى تنكشف الحيلة التي أخذ فيها الطائر .. وما زالت عملية استبدال العصفور غير واضحة ولابد أنها حيلة شيطانية، ومضى أكثر من أسبوع ولم يعثر على الطير والسارق ، فازداد شحوب ومرض الملك ، وعجز أطباء القصر عن علاجه ، لقد كان هذا محبا للطير فقلبه معلق به ، فهو ميراث الأجداد والأسياد وهو قد فشل في المحافظة على هذه الطير وهذا الميراث .. ففقد الملك الشهية لتناول الطعام والشراب ، فوضع الوزير مكافأة كبيرة لمن يرشد على سارق العصفور ، وصار الأطباء يترددون على الملك لمعالجته عما ألم به من ألم شديد .. وخشي القوم عليه الموت ، وما زال وريثه الشرعي طفلا صغيرا .. وفي ليلة من الليالي والوزراء والأمراء يجلسون في غرفة الملك المريض يحدثونه بأخبار المملكة سمعوا صوت العصفور من غرفته يتكلم ويضحك ويبكي ويصفر الصفير المحزن ، فهرعوا إليه فوجدوا العصفور المستبدل يتكلم .. جاء الحكماء وقرروا أن العصفور الحقيقي أعيد ثانية ، وأن المقلد سرق واختفى .. فتسأل الجميع من سرقه وكيف أعيد ؟! فرح الملك بعودة الطير الذهبي ثم قال بكل صراحة : السارق في هذا القصر ، ولابد لي أن أعرفه ، ولابد أنه من الأمراء والوزراء .

علم الناس بعودة الطير المسروق ، فعاد الفرح والسرور لهم لعلمهم بعودة الطير للنطق ، فعم المدينة الهدوء ، وعاد الجنود لمعسكراتهم ؛ ولكن الملك لم يتعافى من المرض ، فما زال مريضا ، واجتمع مع الحكماء والخبراء وسألهم : هل أنتم متأكدون بأن العصفور استبدل ثم أعيد ثانية أم أن

الأمر التبس عليكم ؟

اجمعوا جميعهم على أن العصفور استبدل ثم أعيد ثانية .. فطلب الملك رئيس الحرس وابلغه بأن عليه خلال أسبوع واحد فقط بإحضار سارق العصفور أمامه ، وأن السارق ربما قد يكون في هذا القصر .

فقال رئيس الحرس : أمر سيدي الملك .

ومضى الأسبوع فطلب الملك المعتل رئيس الحرس مرة أخرى واستفسر عن السارق فقال: يا سيدي ويا مولاي !.. عندما تسترد العافية والصحة نخبرك بالسارق .

صاح الملك : أتعرفه ولم تقل لي بعد ؟ ويلك سآمر بإعدامك .

فقال الرئيس : مولاي مرضك لا يسمح لنا بأخبارك .

زاد اضطراب الملك وقال : لابد أن تقول حتى لو كان ابني !!

قال بتردد : مولاي .. لا أدري ما أقول ! ولكني سأخبرك رغما عني .

فصاح الملك بغضب وتوتر شديدين : قل أيها الجندي ؟

همس الرجل بصوت ناعم : الملكة يا مولاي الملكة !

فهمس الملك : زوجتي .. زوجتي ؟!!

قال الحارس : نعم يا مولاي ! مولاتنا الملكة هي التي سرقت العصفور ثم أعادته ثانية .

فلما استوعب الملك الخبر صدم وأغمي عليه فعالجوه ، ولما استيقظ همس قائلا : ولماذا الخيانة لماذا فعلت ذلك ؟! وما ذنب الرجال الذين امرنا بإعدامهم لولا تدخل الوزراء ؟! .. إنها مجرمة مجرمة ..

وطلبها الملك وهو مشرف على الموت وسألها عن سبب ذلك ، فأخبرته واعترفت بأنها هي التي استبدلت العصفور بآخر مثله لا يتكلم لرغبة عشيقها بالحصول على هذا العصفور ـ وكان الظن أن لا يستطيع الحكماء التمييز بين العصفورين ، ويعتقدون أنه تعطل وتوقف ، ومن المعروف أنه لا يمكن تصليحه لاعتقادهم ذلك الأمر منذ صناعته الأولى ، وأنه إذا فك شيئا منه لا يعود كما كان ، وعندما حاول أحد أجداد الملك فكه تعطلت منه تسع نغمات ، ويحزن عليه الملك حينا ثم يصبح أمره نسيا منسيا ـ والملك كان يعلم أن زوجته تعشق أحد وزرائه ؛ لأنه أيضا يعشق زوجة ذلك الوزير ، وهذا أمر مستساغ في البلاط الصيني .. فلما سمع الملك اعترافها أمر بحبسها حتى يشفى من مرضه وينظر في أمرها ، وأمر أيضا بالقبض على الوزير العاشق المتواطىء ، فهدأت عاصفة سرقة الطير قليلا ؛ ولكن الملك ما زال مريضا

ويهزل يوما بعد يوم ، ومضى شهر ولم يستطع الأطباء شفاءه ، فتشجع الطاهي الذي عالجه حسان وأخبره بأن هناك شابا عربيا اسمه حسان وصل البلاد منذ عهد قريب ، وهو يعمل في العطارة والأعشاب وماهر في وصف الأدوية فقال الملك مشجعا له : أحضره لي .

ذهب الطاهي في قصر الملك لسوق العطارين وإلى حسان بالذات وأطلعه على رغبة الملك برؤيته ليحاول علاجه ، فتعجب حسان للقدر ، وحدث الشيخ حمزة بذلك فضحك وعلق قائلا : أراك أصبحت طبيبا للملوك؟ توكل على الله يا بني !



انطلق حسان برفقة الطاهي إلى قصر الملك ، فأحسنوا الترحيب به ، وأدخلوه على الملك العليل الذي تحدث معه بلطف حتى هدأ روع الفتى حسان وقال له: سمعت أنك تحسن المداواة أيها الشاب.. فإذا استطعت أن ترد لي عافيتي فاطلب مني ما تشاء ولو كان ملكي .

فدعا حسان في نفسه متوسلا إلى الله " يا رب ساعدني على ذلك " ثم رد على الملك : سأحاول يا مولاي الملك! وأرجو من ربي أن يشفيك كما شفا سيدنا الطاهي من مرضه العسير .

وتقدم حسان ووضع يدع على صدر الملك وظهره وجبينه ، وكان حسان يعلم أن سبب مرض الملك حزنه على العصفور المفقود ، ولما انتهى من جس الملك قال : يا مولاي الملك ! .. قد يستغرق العلاج وقتا ليس قصيرا وبإذن الله ستشفى .

فقال الملك باستسلام : افعل ما تراه مناسبا المهم أن نشفى ولك ما يرضيك .

قام حسان المصري برقية الملك كما كانوا يرقون أنفسهم ببلادهم فقرأ عليه ما يحفظ من آيات القران ، ثم قال : سأصنع لكم دواء يا مولاي .. هل تأذن لي بالانصراف ؟

فقال الملك : انصرف لتصنع لنا الدواء فنحن بانتظار دوائك .

صنع حسان بعض التركيبات من الأعشاب التي تنفع المحزون ، وبعض التركيبات التي تساعد على فتح الشهية للطعام .. وما مضى شهر حتى تحسنت صحة الملك ، وفرح الجميع بعافية الملك وسر حسان بتوفيق الله له ، وفرح الشعب لشفاء ملكهم ، وبعد نهاية الشهر الثاني عادت للملك صحته السابقة وقوته وحيويته ، وأحضر حسان بين يدي الملك ليكافئه فقال له : اطلب منا ما شئت ؟

فقال حسان بصوت متهدج من الفرح : اطلب يا مولاي سلامتك فقط .

فقال الملك : بوركت أيها الشاب ولكن اطلب

لدنياك أيضا ؟

فقال حسان بتردد : قد يندم مولاي لطلبي .

فقال الملك بحماس : لو طلبت أن تصبح ملكا جعلتك ملكا.. لقد ردت لي الحياة على يديك

فقال حسان : لا أريد أن أصير ملكا يا مولاي! ولكني أريد الطير الذهبي لقد رأيته في الميدان وأعجبني .

تغير لون الملك ثم قال : لقد طلبت طلبا عجيبا ما خطر على بالي .. وماذا ستفعل به ؟ .. أنا اشتريه منك بما تشاء من الذهب .

فقال حسان : أنت قلت لي اطلب ما شئت وسأذكر لك قصتي ..

واستمع الملك لقصة حسان من بدايتها لآخرها ، وعجب لها كل العجب وتعجب للأقدار والأحداث التي أوصلته إليه، فلما انتهى من ذلك قال الملك : سوف أهديك الطائر لتذهب به إلى محبوبتك ، واستغني عنه رغم حبي الشديد له .. ولكنه كان سبب مرضي ، وكاد يوردني الموت ، وستكتب قصتك عندنا في صحفنا

فنهض حسان يقبل يدي الملك ويشكره ، ووضعوا له الطير في صندوق زجاجي متقن الإغلاق حتى لا يسمع أحد صوت العصفور عند موعد الكلام ، ولا يلفت إليه الأنظار، وأمر الملك بتجهيز مركب له ، وأعطاه من المال أحسنه، ومكث حسان مدة من الزمن ، ثم ودع فيها المعارف والأصحاب والإخوان والملك ، وركب المركب التي انطلقت من بحر الصين نحو العراق ، فكان حسان سعيدا بحصوله على الطائر الذهبي ، فيشكر الله ويحمده ليلا ونهارا الذي سخر له ذلك وسهل الأمر له، وأن هذا من عجيب الاتفاق وتدبير رب الآفاق ، وبدعوات أمه وأبيه الصالحات، وبكثرة الصدقات في كل الأوقات والمناسبات ، كان حسان خائفا على العصفور من الضياع والغرق ، وكان بحارة المركب الصيني يظنون أنه يحمل رسالة لملك العراق وهدية خاصة في ذلك الصندوق الملفوف بأجمل القماش وأجوده .. الرحلة لم تكن بالقصيرة ولا بالسهلة إنها رحلة في بحر وفي ذلك الزمان .. الريح العواصف لصوص البحر ، نزل القوم بعد مسيرة أسبوعين من الزمن في جزيرة ليستريحوا ويشترون الطعام .. أخرج حسان الصندوق الزجاجي الصغير ودفنه في الأرض وجعل عنده علامة ، لقد خاف عليه من السرقة ونوائب الأيام ، ودخلوا الجزيرة وهم يلبسون لباس البحارة ، فلما رآهم سكان الجزيرة ساقوهم لملكهم ، وكان سكان هذه الجزيرة من ذوي الألوان السوداء وذوي القامات القصيرة ، ولما تمثلوا بين يدي الملك قال لهم : من أي البلاد أنتم ؟ ومن أين أنتم قادمون ؟!

ردوا أنهم من بلاد الصين وأنهم رسل ملك الصين إلى ملك العراق ، فسخر الملك الأسمر القصير منهم وقال : أيها السادة قررنا بقاءكم عندنا ، ألا تعلمون أنه من يدخل جزيرتنا عليه أن يبقى لدينا سنة قبل أن نسمح له بالسفر ، ولقد أعجبتني المركب التي تركبونها فهي هدية لي

ثم نادى الملك الأسمر أحد الرجال وأمره أن يسير بهم للحقول ليشاركوا الفلاحين في جني الثمار ، وحذرهم من الهرب وبين لهم عقاب من يفعل ذلك فهو معرض للموت ، وقادهم الجند إلى فلاح وأخبروه برغبة الملك بشأنهم ، وعندئذ تساقطت الدموع من عيني حسان، وعاد يندب حظه السيئ ، فتعرض للضرب بالسياط والشتم ورضخ للعمل في جني الثمار من أعلى الأشجار واستسلم للأمر الواقع ، ولاحظ أن سكان الجزيرة قليلون ؛ ولكنهم قساة القلوب لا يرحمون الغريب ، وأثناء عمله في الحقول لاحظ عددا لا بأس به من الغرباء بينهم ، فصمم في نفسه أن ينظمهم ويحاولون السيطرة بهم على الجزيرة ، وبدأ يتصل بهم ويعرض عليه فكرته العنيفة بحذر شديد وتأن، وما انقضى نصف سنة حتى هيأ مائة رجل قد وافقوا على أفكاره بالتمرد على أهل الجزيرة .

وكان حسان أيضا خلال هذه الفترة يتقرب لملك الجزيرة فانجذب إليه الأخير واستساغ حديثه

وقد اتفق حسان والرجال أن يتخلصوا من الملك يوم الاحتفال الكبير ، وفي ذلك اليوم المشؤوم على أهل هذه الجزيرة تجمع الناس في مكان واسع ، فأخذت النساء بالرقص والغناء ، والرجال بالشراب المسكر ، وكثر الزعيق والصياح والهرج ، وكانت الإشارة أن يقتل حسان الملك ، ومن ثم يهجم الرجال المتآمرون بالسيوف والخناجر ، ويقتلون كل من يقع بين أيديهم من رجال الجزيرة القصار القامات ، ومع عصر ذلك النهار تقدم حسان متظاهرا بالسكر وفقدان العقل نحو الملك ، وهو يحمل بين يديه فتاة صغيرة قام بوضعها أمام الملك الأسمر الذي نهض بدوره ليعانق الفتاة أمام الناس ليبدأ تعانق الرجال والنساء ، فلما انحنى الرجل عليها ليقبلها طعنه حسان بخنجره الطويل المسموم ، وهجم على رجاله السكارى وهو يصيح هائجا مائجا ، ودخل اتباع حسان المكان ، وكانت ملحمة مرعبة دب فيها الصراخ والعويل والنواح والتراكض ، وما حل الظلام حتى كانت الساحة ممتلئة بالقتلى والجرحى والدماء ، واجتمع الرجال الأغراب حول حسان وشكروه على شجاعته وجرأته فقال بغضب : علينا أن نطهر الجزيرة منهم .. ثم نجهز المراكب والسفن ونخرج من الجزيرة قبل أن ينتشر المرض والوباء .

قام الأسرى بقتل كل من وجدوه من سكان

الجزيرة الذكور ، ومن اختفى نجا ، واحتل الرجال القصر قصر الملك الأسمر ، واخرجوا ما فيه من أموال ووزعوها على أنفسهم ، وجهزوا المراكب ، وركب حسان والصينيون مركبهم مركب ملك الصين ، وأخذ صندوقه المخفي ، وودع القوم وركبوا البحر ، والنساء تقذف عليهم الحجارة والسهام ، ومضت المراكب في لجاج البحر ، وكان حسان يهمس لنفسه قائلا : هذه أول مرة اضطر فيها للقتل والغوص في الدماء!

لا حول ولا قوة إلا بالله .. اللهم أوصلني لبلدي سالما .

ولكن الحاجة للتزود بالطعام والماء الصالح للشرب كانت تدفعهم إلى النزول على سواحل المدن والبحر والجزر ، فنزلوا بالقرب من مدينة على ساحل البحر، ودفن حسان صندوقه في مكان خارج السفينة ، ووضع له علامة مميزة ، ودخلوا المدينة وكانوا أيضا بلباس بلاد الصين وقابلتهم عجوز فسألوها عن مكان ينامون فيه ويشترون الطعام منه فقالت لهم العجوز محذرة

: أهل المدينة خارجها يحتفلون عند الآلهة فالأفضل لكم أيها السادة أن تنجوا بأنفسكم قبل أن يعودوا فتهلكوا .

ولكن قد جاءت النصيحة متأخرة ، فقد كان الكثير من الناس قد انصرفوا من عند صنمهم فأدركوهم وقبضوا عليهم ، وطرحوهم في السجن حتى يعود الملك من عند الصنم وينتهي الاحتفال ، اعلم الملك بأسر غرباء وأنهم أودعوا جب السجن ، فأمر بإحضارهم سريعا للمثول بين يديه ، فلما تمثلوا بين يديه قال لهم : من أين انتم يا رجال ؟

فرد قائد المركب : نحن رسل ملك الصين العظيم لملك العراق ، ونحن نزلنا سواحل المدينة لشراء الطعام والماء ثم متابعة السفر .

فقال الملك بقسوة وجفاء: أنتم ضيوفنا .. وغدا سأنظر في أمركم خذوهم إلى الجب وقدموا لهم الطعام والشراب ، واحذروا من هربهم أيها الجنود ، وليكونوا بين يدي غدا صباحا .

ولما أحضروهم بين يدي الملك الذي أخبرهم بأنهم أصبحوا عبيدا عنده وأشار لحسان: هذا العبد فليعمل في القصر.. والآخرون في البساتين وزرائب الحيوان..وإياكم ومحاولة الهرب.. فنحن نسترق الغريب .. من وطىء بلادنا أصبح لنا رقيق ، ومن تمرد ورفض فنطعمه للوحوش التي في حوزتنا .

ادخلوا حسان على الطاهي حتى يتعلم منه طهو طعام السادة ، ووجد حسان الطاهي رجلا غريبا مثله ؛ ولكن له زمن طويل لدى الملك ، فنسي نفسه وأهله وأقاربه ورضي أن يعيش في قصر الملك

طباخا ، وأخذ يقنع ويرغب حسان بهذه الحياة ؛ والذي دفع الملك أن يرسل حسان للقصر هو حاجة القصر إلى طاهي جديد يساعد الطاهي القديم ؛ لأن مساعده قد مات من عهد قريب ، فلما سمع الطاهي بوجود أسرى جدد ذكر الملك بحاجته لطاهي ، فاختار له الشاب حسان ، فأتقن حسان عمله الجديد ، وأصبح طاهيا ممتازا ، وصار يقدم الطعام للملك بنفسه وارتاح له الملك ولمسامرته ، واتفق حسان والرجال الصينيون على تدبير حيلة للهرب ، وذلك عندما يكون عند القوم احتفال بمعبودهم ، وعلى كل منهم أن يتظاهر بالمرض أو حيلة قبل الاحتفال بأيام ليهربوا ، وقبل الاحتفال بأيام ظهر على حسان الوجع والألم وملازمة الفراش ، فجزع الملك على خادمه وطاهيه الجديد ، وأرسل له طبيبه الخاص ، ونجح حسان بإظهار المرض على نفسه ، وعندما تحرك الناس للاحتفال تحرك حسان ورجال المركب إلى البحر، وكان الرجال قد جهزوا المركب على حين غفلة من الناس ، وزودوه بالطعام والماء ، وأخرج حسان الصندوق الزجاجي وركبوا البحر ، فلما عاد القوم من أعيادهم والاحتفال فلم يجدوا حسان ولا أصحابه فأصاب الملك الندم والأسف فقال بسخط ونقمة : غدر بي اللعين ! وسخر من ذكائي !

وأمر أعوانه بمطاردتهم ، ولكن هيهات هيهات أن يدركوهم ... إلى اللقاء في الجزء التالي.

تَقول الْعَرَب (احذر من غراب)

مرض الْأسد فعاده السبَاع مَا خلا الثَّعْلَب فَقَالَ الذِّئْب أَيهَا الْملك مَرضت فعادك السبَاع إِلَّا الثَّعْلَب قَالَ فَإِذا حضر فَأَعْلمنِي ، فَبلغ ذَلِك الثَّعْلَب فجَاء فَقَالَ لَهُ الْأسد : يَا أَبَا الْحصين مَرضت فعادني السبَاع كلهم وَلم تعدني أَنْت . قَالَ : بَلغنِي مرض الْملك فَكنت فِي طلب الدَّوَاء لَهُ قَالَ فَأَي شَيْء أصبت ؟ قَالَ : قَالُوا لي خرزة فِي سَاق الذِّئْب يَنْبَغِي أَن تخرج . فَضرب الْأسد بمخالبه سَاق الذِّئْب فانسل الثَّعْلَب وَخرج فَقعدَ على الطَّرِيق فَمر بِهِ الذِّئْب وَالدَّم يسيل عَلَيْهِ فَقَالَ الثَّعْلَب : يَا صَاحب الْخُف الْأَحْمَر إِذا قعدت بعد هَذَا عِنْد سُلْطَان فَانْظُر مَا يخرج من رَأسك .

الصياد والقنبرة

قَالَ الشّعبِيّ أخْبرت أَن رجلا صَاد قنبرة فَلَمَّا صَارَت فِي يَده قَالَت مَا تُرِيدُ أَن تصنع بِي قَالَ أذبحك وآكلك . قَالَت مَا أشفي من مرض وَلَا أشْبع من جوع وَلَكِن أعلمك ثَلَاث خِصَال خير لَك من أكلي إِمَّا وَاحِدَة أعلمك وَأَنا فِي يدك وَالثَّانية على الشَّجَرَة وَالثَّالِثَة على الْجَبَل . فَقَالَ : هَات الْوَاحِدَة .قَالَت : لَا تلهفن على مَا فاتك . قَالَ فَلَمَّا صَارَت على الشَّجَرَة قَالَ لَهَا : هَات الثَّانِيَة . قَالَت لَهُ : لَا تصدق بِمَا لَا يكون أَن يكون . فَلَمَّا صَارَت على الْجَبَل قَالَت لَهُ : يَا شقي لَو ذبحتني أخرجت من حوصلتي ذرتين فِي كل وَاحِدَة عشرُون مِثْقَالا . قَالَ : فعض على شَفَتَيْه وتلهف ثمَّ قَالَ لَهَا هَات الثَّالِثَة قَالَت أَنْت قد نسيت اثْنَيْنِ فَكيف أحَدثك بالثالثة ألم أقل لَك لَا تلهفن على مَا فاتك وَلَا تصدق بِمَا لَا يكون أَن يكون أَنا وريشي ولحمي لَا أكون عشْرين مِثْقَالا . وطارت فَذَهَبت .

نبوءة سيف

كوخ الصيادين

أصبح الأمير محمود الدين ملكا على البلاد والعباد بعد وفاة والده القائد ذي الشهرة الواسعة بين الملوك والناس ، والملك الجديد شاب لم يبلغ العشرين من العمر ؛ ولكنه فارس قوي ، وقد حاز حظا نافعا من العلم ، وكان يحب العدل والإحسان والحق ، وكان يحب أن يسمع أخبار الملوك والسلاطين الذين حكموا شعوبهم بالعدل والإنصاف ، وأعجب أيما إعجاب بالقائد العظيم " عمر بن الخطاب " رضي الله عنه ، ولقد جعل الملك محمود الدين يوما من فجره إلى ليله للجلوس مع العلماء والحكماء من جميع مدن السلطنة ليستفيد مما بين أفئدتهم من العلم والحكمة ، ولقد كان يكرمهم إكراما طيبا ويجزل لهم العطاء والنفقة .

وذات نهار بينما هو جالس بين وزرائه ومستشاريه وأمراء الأجناد ، دخل عليه رسول من قبل الحاكم الجبار " طافور " يطلب منه الجزية والهدايا ، فأكرم الملك الرسول وقد صرفه حيث ينزل الضيوف ، واجتمع الملك الشاب بخاصته من الوزراء والأمراء لاطلاعهم على رسالة الملك الجبار طافور ، وطلب منهم المشورة ، فمنهم من أشار عليه بالمسالمة ودفع الأموال خوفا من بطش الجبار طافور ، ومنهم من أشار بالدفاع عن البلد والكرامة حتى آخر فارس ، فالموت في ساحة الوغى أشرف موت ، ومن مات دون ماله ودينه وأهله فهو عند الله شهيد .

صرف الملك الأمراء والوزراء ، وطلب الحكماء والعلماء وسمع منهم أقوالا تماثل أقوال السابقين ، وكان الملك الشاب يرى أن دفع الجزية لملك جبار ضعف وهوان ، وهو يدرك في نفس الوقت أنه لا قدرة لجيشه على قتال جيش طافور ، فجيش طافور تزيد قواته عن جيشه عشرات المرات ، ولما أنهى الملك مجالسه الاستشارية ، دخل إلى غرفة منامه ، فصلى لله ركعتين ثم قرر التنكر والنزول للمدينة ليلا ؛ لعله يجد حلا لمشكلة بلده وأهله وقومه من العامة .

لقد تخفى الملك الشاب ولف رأسه بكوفية ، وسار يتنقل في أحياء المدينة الساكنة ، واستمر يسير ويسير حتى اقترب من نهر صغير في أسفل المدينة حوله أكواخ الصيادين ، وبينما هو يصغي ويتسمع سمع صوتا عاليا صادرا من أحد الأكواخ ، فاقترب من ذلك

الكوخ فوضح الصوت أكثر ، سمع امرأة تقول : يا ولدي دع أخاك فهو مريض ، وعندما يشفى خذه إلى قصر الملك وتشاكيا عنده ، فأمير البلاد شاب يحب العدل وينشره بين العباد يا ولدي .
فتسمر الملك المتنكر بثياب الرعية مكانه ليسمع بقية الحديث ، فصاح المخاطب : يا أماه الأمير مشغول بالحرب والعلماء والحكماء وقد ترك حاجات الناس للقضاة .

فعادت المرأة تقول وتلح : يا ولدي حاول أن تصل للملك فسينصفك ويرد لك حقك ويرفع الظلم عنك .
فسمعه الملك يرد هو الآخر على أمه وفي يأس : أمي ! كيف سينصفني الملك وخصمي ابن عمه وأخي .. ابنك .. القاضي طردني من ديوانه يا أماه ولم يسمع شكواي .. تكلم يا سديد .. أين وضعت السيف ؟! أين دفنته ؟ قل قبل أن تموت إني أراك تكاد أن تهلك .. سأدفع لك مالا .. أعطني سيفي أرجوك
كان يطلب بصوت حاد وتوسل في آن واحد .
فسمع الملك شابا آخر يتكلم بصوت واهن وبغضب : ألم تأخذ ثمنه يا أخي ؟! ألم تقبض مائة دينار من الذهب الخالص .. يا جبران ؟!
فصاح الرجل الأول جبران : لا ..لا .. لم آخذ ثمنه .. أنا أخذت المال على سبيل القرض .. إنما أنت الذي اعتبرت أن المال ثمن للسيف .. أنا لم أوافق على البيع يا أخي ، وقلبك يعرف ذلك لا تطمع بالثراء العاجل ، فمهما أعطاك الأمير علاء الدين فالسيف سيفي وأنت تأكل مالي بالباطل .
ثم سمع وأدرك الملك أن الشاب جبران رمى بصرة فيها دنانير وهو يقول : هذه مائة دينار .. هذا مالك أعد إليّ السيف ، وأنت تعلم نيتي بأنني أرغب بإهداء هذا السيف للملك محمود الدين بدون ثمن ، وأنت تعلم حبي للملك حبا لوجه الله ، فقد سمعت مني مثل هذا الكلام .. وقلت لك لا مطمع لي في مال أو جاه أو منصب .
دهش الملك الشاب لسماعه هذا الحوار والصراخ والشجار فقال : من هؤلاء القوم ؟ ! ..هذا الرجل الغاضب يريد أن يهديني سيفا ثمنه أكثر من مائة دينار ، والأخ المريض قد باعه لابن عمي علاء الدين .. لابد أن اجتمع بهذه الأسرة .. فهم

قد شغلوني عن قضية اللعين طافور .

وكر عائدا إلى قصره وهو مشغول الذهن والبال في هؤلاء الناس ، ونسي رسول الملك طافور الجبار ، ولما أشرف على القصر ارتفع صوت المؤذن مناديا لصلاة الفجر ، فتسلل لغرفته ، وما لبث الإ قليلا حتى طرق الخادم عليه الباب .

فقال : إنني مستيقظ أيها الخادم هيئ لي الوضوء .

وبدأ يستعد للصلاة في مسجد القصر .

اجتمع الملك صباحا مع رسول طافور ، وأخبره أنه خلال أيام سيرسل له رسولا بما اتفق عليه أهل المدينة ، ولما دخل الليل وخفت حركة المارة والناس في الشوارع ، لبس الملك لباس عامة الناس ، وتحرك نحو أكواخ الصيادين حتى وصل للكوخ الذي سمع منه الحديث ليلة أمس وطرق الباب ، ففتحت له الباب امرأة مسنة ، فحياها فردت التحية وهي مستغربة من زيارة هذا الزائر في مثل هذا الوقت من الليل .

فقالت : ماذا تريد ؟! ومن أنت ؟!

ابتسم الملك في وجهها وقال :



ضيف يا خالة .. علمت أن ابنك مريض فأحببت أن أعوده وأطمئن عليه .. هل تسمعين يا أمي ؟

فرحبت به وشكرت مسعاه وأذنت له بالدخول : ادخل يا بني .. مع أنني لا أعرفك ، ولم تزرنا من قبل .. بل لا أظن أنني سمعت صوتك قبل هذه الليلة .

عجب الملك من فطنتها وذكائها ، فقال الملك وما زالت الابتسامة على وجهه : صدقت أيتها الأم الطيبة !

ومشت أمامه حيث يرقد ولدها المريض وقالت : رجل يريد عيادتك .

وأخذت تصلح السراج ، وأثناء ذلك رفع المريض رأسه عن الفراش ونظر جهة القادم وقال : أهلا وسهلا يا أخي .. لعلك قادم من طرف الأمير علاء الدين .

قال الملك للمريض : لا .. عافاك الله وزال سقمك بإذن الله .. أنا قادم لمقابلتك أنت وأخيك الآخر ، وإنني أتمنى لك الشفاء والعافية وأدعو الله أن يذهب عنك البأس والشدة

فقال المريض : بارك الله فيك ! لقد ظننتك من رجال الأمير ، فأنا بانتظار رجل من قبله .. أهلا بك ومرحبا .

فقال الملك : أنا مستعد لخدمتك يا أخي وأذهب إليه بنفسي إذا أردت رسولا إليه .

فقالت الأم التي جلست بالقرب منهم بعد أن أصلحت أمر السراج فبدد بعضا من ظلام الحجرة : لا عليك أيها الشهم .. وماذا تريد منا وأنت لا معرفة لك بنا ؟

فقال الملك بصراحة : جئت أسمع منكم قصة السيف .

أصابت الأم الدهشة والاستغراب ، وحدق المريض بالرجل ولما زالت عنهما آثار الدهشة قال الرجل المريض بصوت ضعيف : عجيب أمرك أيها الزائر ! أنت قلت إنك لم تأت من قبل الأمير .. لقد ذكرت أنك قادم من قبل نفسك ولم تر الأمير علاء الدين ؟!

فأجاب الملك وما زال يرسم على وجهه ابتسامات بيضاء بريئة : هذا حق أنا لم أر علاء الدين وأحب أن أعرف قصة السيف يا أخي الكبير وأعرف سبب غلاء ثمنه ؟؟

فقال سديد : وما يهمك من الأمر أيها الزائر الغريب ؟!

قال الملك : الأمر يهمني وقد يبدو لكم الآن أن الأمر غريب .. ولكن أين أخوك ؟

فقال سديد : كيف يهمك الأمر ؟! ونحن لم نعرفك بعد ، ولم نعرف علاقتك بهذه السيف .. فمن أنت ؟!

فضحك الملك وقال : أمصممون على معرفة شخص محدثكم ؟ .. قبل أن يسمع منكم قصة السيف ويرى أخاك جبران ..

فهزوا رؤوسهم مبدين رغبتهم في التعرف على شخصه فقال بكل تواضع وأدب وحياء : أنا محمود الدين ملك هذه البلاد !



فجفلت الأم ، وحاول المريض أن ينهض من فراشه لولا أن منعه من ذلك يدي الملك .

وقالت الأم : أيعقل هذا ؟! الملك في كوخنا الحقير !

فرد الملك مشجعا : وما المانع يا أماه! .. وهذا خاتم الملك وخلعه من إصبعه وقدمه لسديد وهو يقول " خاتم الملك "

فتأمله سديد ثم اعتدل في جلسته وقال : إي والله إنه الملك يا أماه! .. أهلا وسهلا يا مولاي الملك ..نحن لم نشك بصدقك لكن ذهلنا !

وأخذت الأم ترحب بالملك صاحب السلطان ، وأرجع سديد للملك خاتمه وهو يتعذر له أشد الاعتذار ثم قال : معذرة يا مولاي فأنا تحت أمرك .

فقال الملك : بوركتم أنا هنا ضيف وعائد وسائل عن قصة السيف الذي سيهدى لي .. لم تخبروني بعد عن جبران .. أين

هو ؟
فقالت الأم : سوف يأتي يا ولدي .. أأنت ملك ؟! أين الحرس والجند والجواد ؟
فرد الملك باسما : نعم يا أمي أنا ملك وإن بدوت صغيرا فالحكم ليس بالسنين ولا بالطول والقصر .. الحكم بالعدل والقوة والأمانة .. وجئتكم متخفيا لحاجة في نفسي ..هات ما عندك بشأن السيف ؟
فقال المريض : العلم كله عند أخي .. وأقول لك ما عندي بشأن هذا السيف .. فاعلم يا مولاي الملك أن أخي جبران مغامر وجوال متنقل بين الأمصار والأقطار فيوم هنا وآخر هناك ، وهذا نعرفه فيه منذ بلغ سن العقل والرشد .. وأما أنا فأسكن هذا الكوخ صياد ابن صياد وبصحبتي أمي ، وبين الفينة والفينة يطل علينا أخي جبران ، وذلك كلما يرجع من رحلة من رحلاته العجيبة والغريبة ، وفي السفرة الأخيرة سافرت معه ورافقته ، وأوصينا الأقارب والإخوان على أمنا العجوز ، وركبنا السفينة وتنقلنا بين عدة بلدان ثم نزلنا ببلاد الملك الجبار طافور .
فهتف الملك مكررا : طافور .. طافور الجبار عدونا ؟؟
فقال الرجل المريض : نعم يا سيدي .. المهم أننا وصلنا لتلك الديار بسلام وأمن ، بعد تجاوزنا الكثير من أخطار الرحلات خلال تنقلنا بين المدن ، وذات ليلة ونحن ننزل في بيت أحد أصدقاء أخي جبران في تلك البلاد ، جاء أخي في آخر الليل ومعه سيف صقيل ، وطلب مني مائة دينار على سبيل القرض الحسن ، فظننت أنه يريدها ثمنا للسيف ، ولما تأملت السيف وجدته مرصعا بالجواهر ، فقلت لأخي " اعتبر المائة ثمنه " فرد عليّ أخي "عندما نصل بلادنا نفكر بالأمر " ثم قال : " يا أخي ستسافر عاجلا إلى بلادنا ، وتأخذ معك هذا السيف ولا تتصرف فيه لبينما نلتقي " ، ورأيته أعطى المائة دينار لرجل كان معه ، وجهزني بعجلة وألحقني بقافلة ، وحذرني من الحديث عن السيف أمام أي شخص مهما كان ، وبين لي أن الأمر خطير .. وقدر الله لي أن أصل بلادنا سالما ، ولقد تأخر أخي واحتجت لمال ..ولي سابق معرفة بالأمير علاء الدين ابن عمك يا مولاي ، وهذا الأمير له علاقة طيبة معنا نحن الصيادين ، وكثيرا ما يأتي أكواخ الصيادين لشراء الأسماك بنفسه ، فعرضت عليه السيف وطلبت فيه مائتي دينار ، فدفع لي مائة وأنظرته بالمائة الأخرى إلى زمن يسير

.. الظروف أحوجتني لبيعه قلت استرد مائتي وأعطي أخي مائه ؛ بل ظننت أنه سيفرح إذ بعته بهذا المبلغ .. وعاد أخي من أيام قليلة سالما فرحا ، ولما علم بما فعلت اغتم وغضب واشتد غضبه ، وأمام ذلك الموقف شجر بيننا نزاع ، فأخي يريد السيف وأنا أقول له أنك قبضت ثمنه ، وحاول أن يشكوني لديوان القاضي فطردوه ، وقد أعلمت ابن عمكم يا مولاي بالقصة ، فرفض أن يعيد السيف بل عجل ودفع لي باقي ثمنه ، وأخي لا يصدق ذلك ويصر على عودة السيف زاعما أنه أحضره لكم يا مولاي .. فهذه قصة هذا السيف أيها الملك العادل .

وخيم السكون على المكان بعض الوقت ثم قام الملك وهو يقول : عافاك الله من أوجاعك .. فالسيف إذن هو عند ابن عمي.

فقال سديد : نعم يا مولاي .. ونحن ماذا نفعل بالسيف ؟ ! بل بسيف ثمين كهذا فالمال خير لنا منه !

فقال الملك : ولِمَ هو ثمين هذا السيف ؟!

فأجاب الرجل المريض : لا أعلم أيها الملك ولكن رأيت أخي جبران قد أخذ مني مائة دينار ودفعها ثمنا له للرجل الذي كان معه تلك الليلة .. قد يكون السبب أن مقبضه مرصع ببعض الجواهر الصغيرة .

فقال الملك : إذن القصة الحقيقية للسيف عند أخيك جبران.. وهل يأتي جبران الليلة ؟

فقالت الأم : قد يأتي .. فأحيانا يقضي يومه وليله عند الاخلاء المغامرين

وبعد انتظار يسير للرجل المغامر استأذن الملك بالانصراف وهو يقول بعد أن ترك صرة من المال خفية عن أعينهم : أرجوكم أن تحضروا لقصري أو أرسلوا لي جبران وبما أنك مريض سوف أرسل لك طبيب القصر ليهتم بك والعافية من الله .. ولا تقولوا له أي كلمة عن صفة التقائي بكم .. وعندما يعود جبران اعلموه أني بانتظاره على شغف وشوق ؛ لأسمع منه التفاصيل الأخرى عن هذا السيف وأفصل بينكم في هذه القضية بالعدل والإنصاف والآن السلام عليكم وإلى لقاء

حكاية جبران

وبعد أيام من لقاء الملك



محمود الدين مع سديد وأمه دخل الحاجب عليه ، وهو يجلس على سرير الحكم وبين

يديه الأمراء والحكماء والقادة ، وهمس بين يديه باسم جبران فقال بصوت مسموع : خذه إلى قاعة الاستقبال الشرقية فأنا سائر نحوها .

واستأذن الملك من جلسائه وعلموا أنه راغب بلقاء شخص سرا ، ووجموا من هذا التصرف وتسألوا في أنفسهم : من يكون هذا الزائر الذي يريد الملك أن يخلو به ؟

ولما وصل الملك للقاعة المذكورة وجد جبران والحاجب في انتظاره ؛ فإذا هو رجل كهل فصافحه ورحب به وجامله بأطيب الألفاظ ، وقدم له خادم الغرفة الشراب الطيب والتمر اللذيذ ثم اعتدل الملك في جلسته

وقال : حدثني يا أخي عن السيف الذي تحب أن تهديه إليّ وما قصة حبك لنا ؟

ضحك جبران قليلا ثم قال : أنت تريد أن تسمع القصة من الأول يا مولانا .. حسنا.

وعندئذ أشار الملك للحاجب والخادم بالخروج وتابع جبران الكلام قائلا : حسنا يا سيدي ، فاعلم أيها الملك السعيد أنني رجل رحال عشقت الترحال شرقا وغربا ، وتعلمت من السفر الكثير الكثير ، فيوما أكون غنيا ويوما آخر أصير فقيرا معدما .. أجلس مع الملوك يوما ما وأجلس آخره مع الصعاليك ، فتارة أكون ضيفا عند علية القوم وتارة أخرى عند محتالين نصابين ، هذا هو الدرب الذي أمشي عليه وفيه ، يا سيدي الملك وذلك منذ ثلاثين سنة وقد تزيد .. ، تزوجت مرة في بلدة ما لأفكر بالاستقرار والسكون ؛ ولكن بعد زمن يسير ماتت الزوجة فحزنت عليها ، وعدت للسفر والترحال .

ولما استلمت يا مولانا الحكم وأنت تمارس العدل والإحسان وتنشره بين الرعايا ، سررت بذلك ، فالعدل جميل رائع يحبب الحاكم للمحكومين ، وأنا أحد أبناء هذه المدينة التي هي مسقط رأسي ، وفيها ولدت وفيها أمي وأخي وقبر أبي وأجدادي .. ولما رأيتك ترفع الظلم والحيف عن الناس والبسطاء أحببتك وأعجبت بك ، ووجدت نفسي انجذب لشخصك الكريم وأحبك في الله فليس لي بك سابق معرفة يا مولاي ، وهذه أول مرة يقدر لي أن ألتقي بكم يا سيدي ، والناس تتحدث عن عدلكم ولابد أنهم لمسوه .. فالحاكم يجب أن يكون عادلا ومحبا للعدل لمحبة الله للعدل والعادل .. فالحق يا مولانا أن الناس تلهج بإحسانكم وإنصافكم وعدلكم مع أنكم لم تحكموا إلا من زمن يسير ؛

ولكن السلطان العادل في حين يسير يستطيع أن يصنع كل ذلك .

فشكره الملك على حسن كلامه ثم قال : ولكنكم لم تلقوا منا هذا العدل وسمعت أن أحد قضاتنا قد طردكم من ديوانه .

فأظهر جبران الابتسام وقال : دعني يا مولاي أتابع قصتي .

قال الملك : حسن .. تكلم .

فعاد جبران للكلام قائلا : فهذه أسباب محبتنا لكم .. العدل العدل .. فاعلم أيها الملك السعيد أني سافرت منذ زمن قريب وبصحبتي أخي الأكبر سديد الصياد حتى هبطنا لبلاد الملك طافور الجبار ، ونحن في ذلك المكان وصل لي خبرا في رغبة هذا الطاغية بمحاربة بلاد المسلمين للتنكيل بهم والثأر لأجداده الأوائل ، وعلمت أنه راغب بغزو مدينتنا إلا إذا دفعنا له الجزية وأعطيناه من المال ما يشبعه ويرضيه ..هذا علمته من أمير كبير كنت في ضيافته أنا وبعض المغامرين ، فانزعجت وقد كان عندي علم من قبل أن للملك طافور سيفا ورثه عن آبائه وأجداده ، وهذا السيف يحافظ عليه الملوك محافظة تامة لقول كاهن لهم في قديم الزمان " إن هذا السيف أمارة بقاء الملك في عائلة الملك طافور ما دام السيف في خزائنهم " ،فلما سمعت ذاك الأمير يتحدث عن طمع طافور بخيرات بلادنا لزمت الصمت والتفكير ، وقررت بعد تأمل أخذ سيف طافور ليدب الوهن في عضد طافور وينشغل بالبحث عن سيفه ..

واعلم أيها الملك السعيد أنني أعرف في تلك المدينة محتالا كبيرا فدفعت له خمسمائة دينار من الذهب إن أتاني بالسيف ، ففعل يا سيدي وسرق السيف ونقدته أربعمائة ، ونقص عليّ مائة فاستلفتها من أخي ودفعتها للرجل ، وأمرت أخي بالرحيل بالسيف قبل أن ينكشف الأمر .. ومكثت في المدينة أياما وما زال الملك طافور يجهل اختفاء السيف من خزائنه ، ولما عدت إلى بلدي وجدت أن أخي قد باع السيف لقريب لكم ، وكان المسكين قد شاهدني آخذ منه المائة دينار وأدفعها للرجل المحتال فظن أنني اشتريته بمائة لبعض الجواهر التي عليه ، فلما احتاج للمال لتأخري بعض الوقت باعه معتقدا أنه كسب فيه مائة ، ولما جئت إلى هنا أردت المثول بين أيديكم لتقديم السيف لكم ؛ ليكون صمام أمان لكم أمام اعتداء الملك طافور ، فوجدت أخي قد باع السيف لابن عمكم الأمير علاء الدين ظانا أنه ربح مائة دينار ، ولما وجدته

مريضا ذهبت لديوان القاضي محاولا فسخ عقد البيع الذي بين أخي والأمير ؛ ولكن القاضي قال " إن القضية بيني وبين أخي وأن الأمير اشترى السيف ببيع صحيح من غير ضغط أو إكراه " وذكرت له أن أخي يجهل ثمن السيف الحقيقي فنهرني وأمر رجاله بطردي فوجدت أن الحل بيد أخي أن يقابل الأمير ويعطيه ماله ولكن أخي رفض ، وقد حاولت الاتصال بالأمير عن طريق الأصدقاء فقالوا لي إنه رفض فسخ البيع فقد أعجبه السيف فلو وصلت إليك يا صاحب التاج ماذا أقول لك ؟! ولكن الله سبحانه سخرك لنا لتعلم قصة السيف يا سيدي.. فهذه حكاية سيف طافور .

فقال الملك : بارك الله فيك يا جبران .. واعلم أن ذاك الملك أرسل لنا رسولا يطالبنا بدفع الجزية .. فهو ما زال يجهل سرقة سيفه أو أن اختفاء السيف لم يفت في عضده نحو طمعه وجنونه .. واعلم أيها الرجل أن هذه شجاعة منك وتؤكد حبك لنا وولائك لتاجنا .. وسوف أرسل وراء ابن عمي ونتفاهم معه ونعيد لك مالك وزيادة ، وسوف تصبح من المقربين لعرشنا وسوف أرسل لطافور هذا رسالة أعرض عليه سيفه مقابل أن يكف عن غزو بلادنا وطلب أموالنا .. وفي نفس الوقت نقوي جيش البلاد والأسوار ولسوف أجعل يوما من كل شهر لسماع شكاوي عامة الناس ليسهل الوصول إلى حضرتنا مباشرة ودون حجاب .

فقال جبران : وأنا اقبل بأن أكون رسولك إلى طافور الجبار .. وأن أكون أحد جنودك المخلصين إن أصر على القتال .. وإن أردت أن احتال على قتله فعلت ..

فقال الملك : لا داعي لذلك أيها الشهم ..فالأمر لا يصل بيننا إلى التصفية والاغتيال .. فلعل قضية السيف ووصوله لبلادنا يردعه عن التفكير في قتالنا .. فتعال الآن أعرفك على رجال البلاط من الأمراء والأسياد . فقال جبران : العفو يا سيدي الملك .. فأنا رجل لا أحب الاشتهار ولا داعي لذلك الآن .. وأنت تعرف كوخ أخي فإن احتجتني فأرسل لي أحد خدمكم فأكون بين أياديكم بأسرع من لمح البرق .

وأثنى عليه الملك وشدا على أيدي بعضهما ، وقد أعجب الملك بغيرة جبران على البلاد وصرفه وحمد الله وحده على نعمة السيف وتدبيره سبحانه ، وصمم أن يزداد تعلقا وتوكلا على الله ، ويزداد حبا في العدل والإحسان ، وتسليم الأمور لرب السموات والأرض ، وخرج إلى مجلس

الحكم وكله رضا وابتسام وقال لهم : أيها القوم أيها القوم المؤمنون لقد أوجد الله تعالى لنا مخرجا من ضيقنا وفرجا من همنا . تمت بفضل الله

قصة مثل

الحَرْبُ سِجَالٌ

المُسَاجلة: أن تَصْنَع مثلَ صنيع صاحبك من جرى أو سقى، وأصله من السَّجْل وهو الدَّلْو فيها ماء قل أو كثر، ولا يقال لها وهي فارغة سَجْل . فَقَالَ لَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ «دَعُوهُ وَهَرِيقُوا عَلَى بَوْلِهِ سَجْلًا مِنْ مَاءٍ، أَوْ ذَنُوبًا مِنْ مَاءٍ، فَإِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُيَسِّرِينَ، وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ» وقال المثل أبو سفيان يوم أحد بعد ما وقعت الهزيمة على المسلمين: اعْلُ هُبَلُ اعْلُ هُبَلُ، فقال عمر: يا رسول الله ألا أجيبه؟ قال: بلى يا عمر، قال عمر: الله أعْلى وأجَلّ، فقال أبو سفيان: يا ابن الخطاب إنه يومُ الصَّمْت يوما بيوم بدر، وإن الأيام دُوَل، وإن الحرب سِجَال، فقال عمر: ولا سَوَاء، قَتْلانَا في الجنة وقَتْلاكم في النار، فقال أبو سفيان: إنكم لتزعمون ذلك، لقد خِبْنَا إذَنْ وخَسِرْنا. *

حَوْلَهَا نُدَنْدِنُ

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِرَجُلٍ: " كَيْفَ تَقُولُ فِي الصَّلَاةِ؟ " قَالَ: أَتَشَهَّدُ ثُمَّ أَقُولُ: اللهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْجَنَّةَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ، أَمَا إِنِّي لَا أُحْسِنُ دَنْدَنَتَكَ وَلَا دَنْدَنَةَ مُعَاذٍ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " حَوْلَهَا نُدَنْدِنُ " والدندنة: أن يتكلم الرجل بكلام تسمع نغمته ولا تفهمه، وفي شرح أبي داود للعيني : وفيه من الفقه: أن التخفيف في الأدعية من الصلاة مطلوب، ولذلك حسن النبي ﷺ كلام الرجل بقوله: " حولها ندندن "، ولا سيما إذا كان إماما، حتى قال البعض: إذا عرف الإمام ملل القوم يترك الأدعية بالكلية.*

أَحْمَقُ مِنْ هَبَنَّقَةَ

واسمه يزيد بن ثَرْوَان أحدُ بني قيس بن ثعلبة، وبلغ من حُمْقه أنه ضلَّ له بَعير، فجعل ينادي: مَنْ وجَد بعيري فهو له، فقيل له: فلم تَنْشُده؟ قال: فأين حلاوة الوِجْدَان!؟ ومن حُمْقه أنه جعل في عُنُقه قِلادة من وَدَع وعِظامٍ وخَزَف، وهو ذو لحية طويلة، فسُئِل عن ذلك، فقال: لأعرف بها نفسي، ولئلا أضل، فبات ذات ليلة وأخَذَ أخوه قلادتَه فتقلَّدها، فلما أصبح ورأى القلادة في عنق أخيه قال: يا أخي أنت أنا فمن أنا؟. ومن حُمْقه أنه كان يرعى غنم أهله فيرعى السِّمَان في العشب ويُنَحِّى المهازيلَ، فقيل له: ويحك! ما تَصْنَع؟ قال: لا أفسد ما أصلحه الله، ولا أصلح ما أفسده.

رواية اجتماعية

ليلة عرس

الحلقة الثانية

لقاء مهم

وتبدأ حكاية فوز مع الهداية والتوبة من الجامعة ، ذات نهار جامعي كانت فوز وأسماء تتحدثان تحت ظل شجرة فارهة في ساحة من ساحات الجامعة ، فوز جالسة على مقدمة سيارتها ، وأسماء أمامها تتحدث معها عن الدراسة والنشاطات في الكلية ، وبينما هما مندمجتان في الحديث ، الأولى جالسة والأخرى واقفة أقبلت نحوهما فتاة ترتدي جلبابا شرعيا فضفاضا مخفيا لجسدها كله الرأس والوجه والبدن ، وألقت عليهنّ السلام والتحية ، وصافحت أسماء بحرارة ومودة ، وأرادت أن تصافح فوزا ، فأشاحت فوز بوجهها عنها كأنها تنظر لشيء بعيد ولم تر اليد الممدودة إليها أو تظاهرت بأنها لم ترها ، بل أظهرت نـفورها منها بحركات سريعة وتقطيبة جبين ، ولكنّ الفتاة المحجبة لم تكترث للأمر ، وخاطبت أسماء قائلة:

كيف حالك؟ ما أخبار الوالدين الطيبين؟

فردت أسماء بعجلة ومن غير ابتسام ؛ كأنها أدركت نـفور فوز من الوقوف مع هذه الفتاة الملتزمة ، فأرادت صرف الفتاة بسرعة فقالت : لا بأس ، لا أخبار جديدة إن الدراسة تمام ، والأسرة بخير ، والحمد لله ، وأنت ما أخبارك ؟

ردت الفتاة المحجبة : الحمد لله ، يا عزيزتي! والليلة سنقوم بزيارتكم، فأخي هلال سوف يطلب يد أختك العزيزة سماء ، وقد وافق والداك على زواجهما.

فقالت أسماء : أعرف ذلك يا هند ، مبارك لنا جميعا

.

فقالت هند ، وقد أدركت أن أسماء قلقة لا ترغب في إطالة الحديث ، وهي تنظر لصاحبتها الكاسية العارية بطرف عينيها ؛ وكأنها تأسف لإطالة المقابلة : من صاحبتك هذه يا أسماء ؟؟

فنظرت أسماء لفوز ، ونظرت فوز في عيني أسماء ، وسكتت أسماء كأنها تنتظر الأذن من فوز لتجيب ، فردت فوز مخاطبة لهند راغبة بالتسلية بهذه الفتاة التي تريد التعرف عليها فقالت ونبرة ساخرة مستهزئة في صوتها : ما هذا اللباس يا هند ؟! لماذا تلبسون هذا اللباس المرعب؟! لماذا تخفين نفسك تحت هذه الثياب السوداء ؟ ألعلك قبيحة ؟ إنها ثياب مخيفة ومنفرة وموحشة !

ورسمت فوز انقباضا وضيقا على وجهها ، لم تجب هند سريعا ، فتكلمت أسماء قبل أن تجيب هند ، بعد أن سمعت فوزا تفتح الحوار مع هند ، فتشجعت للكلام فقالت كأنها تريد الجواب على

استفهام هند : إنـها يا فوز ! طالبة في كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ، وهي طالبة مجتهدة ، وتحلم بأن تصبح بحرا كبيرا في علوم الشريعة .

ورسمت على وجهها ضحكة قصيرة ؛ وكأنها معجبة بالوصف الذي أطلقته على قريبتها هند ومداعبة للموقف المتوتر المشدود ، وجارتها فوز بالضحك كأنهنّ أحدثن طرفة ، وقالت فوز : وهل للشريعة علوم وبحار يا أسماء ؟!

ظلت هند ملتزمة بالصمت والتفكير ، وأخذت تتابع الحوار الساخر الدائر بين الفتاتين، فأجابت أسماء على سؤال فوز قائلة: أخشى أن أوجع رأسك يا صديقتي! .. فالشريعة لها علوم كثيرة لا أرى أنـه يهمك سماعها.

فقالت فوز ضاحكة : أنا لا أدري ما هي الشريعة أصلا ؟!

وأتبعت كلامها ضحكة هازئة ساخرة ، فجارتها أسماء في الضحك أيضا، وقالت كأنها موضحة لزميلتها ما التبس عليها : كلية تعليم الدين ، الصلاة والصوم والزكاة ..لابدّ أنك تعرفين ذلك !؟

فردت فوز ساخرة : آه!.. لقد سمعت بهذه الألفاظ في بعض دروس الثانوية العامة .

والتفت إلى هند وقالت : يا آنسة هند ! لماذا لم تردي على سؤالي ؟ أود أن أعرف لماذا تلبس بعض الفتيات هذه الثياب القاتمة والمخيفة التي تثير في النفس مشاعر مؤلمة؟!

فقالت هند بقوة وفطنة وبكل هدوء : ولماذا أنت تلبسين هذه الثياب الفاضحة يا آنستي العزيزة

فقالت فوز وهي تبتسم : نعم ، سؤال بسؤال ، هذه ثياب القرن .. الموضة ..الحداثة .. ثياب العصر .. ثياب الحرية والراحة.

فقالت هند وهي تبتسم: وهذه ـ وأشارت بيدها المخفاة بالقفاز نحو جلبابها ـ ثياب الإسلام ثياب أمر الله بلبسها .. أتعرفين الله؟!

فصاحت فوز منزعجة ومرتبكة : الله!.. ويلك أنا لا أعرف الله!.. وهل ترين أنني ملحدة ؟!

هند : رائع ! .. جواب جميل ! .. إذن أنت تعرفين الله سبحانه .. فالله هو الذي أمرني بارتداء هذه الثياب الموحشة والمخيفة والمقززة .. ثياب الفضيلة والحشمة والعفاف والشرف والعزة .. فأنا أطيع الله في لبس هذه الملابس ، وأنت تطيعين الموضة والعصر.

فردت فوز وقد احمر وجهها من الغضب والضيق : لا.. لا .. يا هند! .. هذه ثياب أجبرك والدك أو إخوتك على ارتدائها ، فلا بد أنهم أناس متزمتون متعصبون يعيشون بعقلية القرون الوسطى ، فلولا ذلك ما لبست هذه الثياب يا آنسة هند .

فقالت هند بهدوء : لا .. يا آنسة! ..ها هي أسماء رفيقتك هذه ابنة خالي لا تلبس مثلي ، مع أن والدها العزيز يصلي ويقوم بشعائر الإسلام الظاهرة ، وكذلك أختها سماء وبعض إخوتها يحافظون على تقاليد الإسلام الظاهرة ، وها هي يا آنسة ! لا ترتدي الزي الإسلامي .. قد يكون لتربية والديّ وأهلي أثر كبير على التزامي بالجلباب واللباس الرباني ؛ ولكن مجتمع كالذي نحيا فيه اليوم يدعو إلى التحرر والانفلات من ربقة الدين والتدين ، فلا أرى فيه سلطة قوية للوالدين كالزمان الماضي ، تجبر فيه الفتاة على اللباس الشرعي ، فذلك السلطان ذهب وضعف هذه الأيام يا آنسة فوز ! فلولا اقتناعي بها أفعل ما أطعت والديّ ، ولوجدت مائة طريقة وحجة للتخلص منه .

قالت فوز بحيرة وارتباك : أمعقول ما أسمع ؟! فتاة تلبس هذه الثياب بملء حريتها واختيارها في عصر تحرر المرأة .

فقالت هند وفي نبرتها تهكم وتعجب : تحرر المرأة .. من ماذا ؟! من اللباس الشرعي .. التحرر من طاعة الله .. فهل التحرر فقط يكون في التعري والتبرج؟! .. نحن نريد أن نتحرر من العبودية والتقليد للغرب .

حينئذ هدأت فوز أمام الكلمات الدافئة التي سمعتها من هند بحرارة وغيرة .

فقالت باستسلام غريب وربما لحظة صدق : أتعلمين يا آنسة هند أنك تثيرين اهتمامي ؟!.. وهل أسماء ابنة خالك ؟.

ردت أسماء بعد صمتها الطويل ، وانبهار مما سمعت من هند ، وجرأتها في الدفاع عن مبادئها : نعم .. هند ابنة عمتي ، وهي طالبة ملتزمة بالإسلام قولا وعملا وسلوكا ، ومن أنشط فتيات كليتها .

كانت فوز أثناء حوارها الحاد مع هند قد نزلت عن مقدمة السيارة ، وقالت بعد صمت أسماء : أتسمحين لي بمصافحتك يا آنسة هند؟

فردت هند بابتسامة خفيفة : أردت فعل ذلك عندما سلمت عليكنّ ؛ ولكنك تظاهرت بعدم رؤية يدي المدودة إليك .

اعتذرت فوز اعتذارا كبيرا لهند ، ثم همست بصوت حالم : معذرة أيتها الفتاة الطيبة! إنني تعودت أن أنفر وأشمئز من هذه الأزياء الرهيبة على النفس ، بل أصاب بضيق منها ، وممن يلبسنها ، وأتعجب من كل امرأة ، أو فتاة تعيش في القرن العشرين وفي آخره بالذات ، وترضى أن ترتدي مثل هذا الزي وتلبسه ، فيخيل إليّ أننا ما زلنا نعيش في عصور الرومان السحيقة ، أو العصور

الحجرية الموغلة في القدم ..عندما كانت المرأة منبوذة مجرد متاع وسلعة .. ثم صمتت قليلا وعادت تقول : لا أدري لماذا أنفر من الدين ؟!

فقالت هند : يبدو لي أنك ضحية من ضحايا المجتمع والأسرة .

فأجابت فوز بدهشة ، وقد نفرت من كلمة " ضحية " : ضحية !! أنا ضحية من ضحايا المجتمع والأسرة ، بل أرى أنك أنت الضحية ، ضحية لتعصب والدك وأسرتك.. فلماذا لا تتمتعين بحياتك وشبابك ؟! ولماذا تغمرين نفسك بهذه التقاليد العتيقة ؟!

فأجابتها هند أيضا بهدوء وروية : أنت معك سيارة ، وأموال وغنية ، فيمكنك أن تتحصلي على متع الدنيا وملذاتها.. فالفتاة الفقيرة .. وما أكثر الفقيرات! كيف يمكنها أن تتمتع بملذات الدنيا ؟! هل تبيع نفسها وجسدها وروحها لترى الدنيا ومتعها ؟! وماذا تستفيد عندما تهبط عليها أمراض المتع والدنيا ؟ وقد هجرها العشاق وأصحاب المال.. وهل الدنيا فقط لباس ورحلات وسيارات وخواتم ذهب وعقيق وحفلات وثياب حرير ، وأكل من طبق ذهبي ومن أفخر المأكولات ، وشرب شراب فاتك بالعقل والجسد والروح ؟! وهل هذه هي الحياة يا فوز؟! تمتع الجسد والتذ .. الروح والعقل أين ملذتها ؟ والموت ..وماذا بعد الموت ؟؟

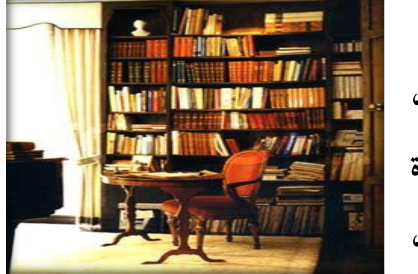
قالت فوز: الله!! أنا لا أفكر بطريقتك .. ولا أفكر بالعواقب .. ولا أفكر بالآخرين ..أنا أفكر كيف أضيع الأيام ؟ كيف تمضي أوقاتي ؟ كيف أضحك ؟ كيف أمرح ؟ كيف أسهر ؟.. على كل يا آنسة هند ! طال بنا الحديث ، وعلى كل حال سأسمح لنفسي يا آنسة ! بالالتقاء بك مرة أخرى .. فأنا والله أول مرة أصغى لفتاة تلبس مثل هذه الثياب القاتمة ، فأنا لم أختلط في حياتي بفتيات يفكرن بطريقتك .. فالحق أنك أثرت اهتمامي بفطنتك وسرعة كلامك ، فبما أن الأخت أسماء قريبة لك فسترتب لنا لقاء ..أليس كذلك يا أسماء ؟.. ليس خطأ أن يسمع الإنسان كلاما طيبا من مثل الآنسة هند .. فنحن نقرأ عن الفنانين بل عن المجرمين من لصوص ومحتالين .. فلنقرأ عن الإسلام .

فقالت هند بحماس ظاهر : أرجو أن أراك يا فوز ! وألتـقي بك ثانية ، فعندك بذرة خير وفطرة سليمة في داخلك ، وشعرت من مجمل كلامك بأن في حياتك ملل وغم

فقالت فوز : ألا تصافحيني الآن يا هند ؟!

فقالت هند وهي تمد يدها نحو فوز مصافحة لها : أنا آسفة فهذه يدي .

وتصافحت اليدان والقلبان وقالت فوز : سيكون لقاؤنا قريبا يا هند!.. فلي صديقة مريضة تعاني من مرض السرطان ، وهي عزيزة على قلبي ،



وتمضي المسكينة أكثر أيامها على آسرة المستشفيات.. فقد أثر مرضها عليّ ، فأفكر أحيانا بها بعد الموت ..

ثم التفتت لأسماء قائلة : إنها جميلة ، زميلتنا يا أسماء ! فكثيرا ما تكون معي ، فهي منذ شهور أخذت تعاني من مرض السرطان ، لقد ضربها هذا المرض في جهازها التنفسي ؛ لذلك بدأت تغيب عن المحاضرات والجامعة ، وكان الله في عونها .

قالت هند : أحسنت يا فوز ! كان الله في عونها ، لا بأس أن يعلم المسلم أنّ الله هو المعين الحقيقي عند المرض والبلاء .. شكرا لكم ، والسلام عليكم ، أراك مساءً يا أسماء ! إن شاء الله

وابتعدت هند ، فقالت فوز معلقة ومبهورة : إنها فتاة مدهشة ! عندها ثقة كبيرة بنفسها .. هل يعقل أن تلبس هذه الملابس عن قناعة وحب ؟!

فردت أسماء قائلة : الحق يا فوز ! أنها من أسرة متدينة .. فأخوها مهدي من الشباب الذين يثيرون القلاقل في الجامعة في كل مناسبة وندوة ، وهم الذين يطالبون الحاكم والحكومة بتحكيم الشريعة الإسلامية وأسلمة الدولة والإدارة ، فهند أخت لذلك الشاب النشط في جماعات التيار الإسلامي ، وهو يثير المتاعب للإدارة والأمن ، واعتقل مرات ومرات ، وهو من الشباب الذين يطالبون ويدعون بالعودة للإسلام حاكما ومهيمنا على الأمة والمجتمع كله ، فهند أخت ذلك الشاب ، وأسرتها من الأسر المحافظة جداً جداً .

فقالت فوز وهي شاردة الذهن : والله يا أسماء ! ما أتعبت فكري ونفسي يوما لأفكر بالإسلام الذي هو ديني ..الحق أيتها الصديقة ! أن حياتي وحياة الكثير غيري هي الأكل والشرب ، والسهر والحفلات والمجون ، والرحلات إلى أوروبا وأمريكا ، وارتداء أغلى الملابس ، وحمل أثمن الحقائب ، وتبديل السيارة كل عام بأحدث موديل ، وحتى موت إنسان في الحي أو قريب لنا يمر في حياتنا من غير اكتراث ، فالعزاء في حينا ومجتمعنا نراه فرصة للاجتماع والثرثرة والدخان ، وحتى المقرئ أو قارئ القرآن الذي يحضرونه في حفلات العزاء ـ دعيني اسميها حفلات العزاء ـ يضعونه الشيخ المعمم في إحدى زوايا البيت أو صالة العزاء ، ويأخذ بقراءة القرآن ، والجالسون لا يكترثون بما يقرأ ، فهم مشغولون بالقيل والقال ، وفي آخر السهرة يعطى قليلا من المال بالنسبة لنا ، ثم

ينصرف ، فالموت يعبر سريعا من حياتنا ولا نتعظ منه .. لقد شدتني ابنة عمتك ، فكرت قليلا ، لماذا هذه الصبية تغمر نفسها بهذه الملابس السميكة الواسعة كأننا في شهر الثلج ؟ فأردت عندما رأيتها وهي تتحدث معك أن أتسلى بها وأهزؤ منها ؛ فإذا هي التي أثارت شهوتي للتعرف عليها أكثر ، هل هي جميلة يا أسماء ؟!

فقالت أسماء : إن كنت تقصدين بالجمال بياض البشرة فهي بيضاء البشرة يا صديقتي ! وليست بشعة لتخفي قبحها تحت نقابـها ؛ إنها تلبس هذه الثياب عن قناعة وطاعة ، وليس عن عادات وتقاليد فحسب ..إنها هند ابنة عمتي وأعرفها جيدا يا صديقتي !

التوبة

هكذا كانت البداية لقاءً عابرا مع فتاة ترى أنها تمثل الفتاة المسلمة الملتزمة بأمر الله ونهيه .. فتاة كلها إيمان ونور، ترك لقاؤها العابر الدافئ أثره الكبير على هذه الفتاة ـ فوز ـ المتحررة المتبرجة المقلدة للمرأة الغربية الضائعة .

فوز ـ ومثلها كثير ـ تعاني من الفراغ الديني الذي يشبع الجانب الروحي من كونها إنسانا مركبا من روح وجسد ، وهي تعاني كذلك من الجهل الكبير في دينها وتعاليم إسلامها .

وتربيتها الغربية ، وتقليد والديها الأعمى للغرب ، حرفا فطرتها السليمة للتعلق بالكافر في علومه وعاداته وثقافته ، وفوز عندما أشارت بأن هدفها في الحياة قتل الوقت بأي طريق لم تجانب الصواب ، مال كثير ، بيت واسع يشبه بيوت الغرب ، عمل متيسر ، جنسية أمريكية متوفرة لأنها من مواليد تلك البلاد ، زوج لن يعجز والدها عن توفيره ، فأيامها مسارح ، مهرجانات ، غناء ، تمثيل ، رقص ، لهو .. عندما قالت لهند ذلك فهي صادقة أيضا ، فهي ترافق أمها غالبا إلى أقطار شتى ، من أجل مشاهدة معرض أو فيلم حديث أو عرض أزياء ؛ لتقول الأم أو البنت أمام الأصدقاء متفاخرة ومتباهية بأنها حضرت العرض الأول للمسرحية أو الفيلم أو معرض الفنان الفلاني ، ولكن لقاؤها العابر بهند ، مع مرض صديقة أحبتها "الحميمة جميلة" ، وما هي فيه من العذاب الغامض ، تحركت نوازع الخير والفطرة في نفسها وروحها ، لذلك لم يكد يمضي يومان على لقائها الخالد بهند حتى طلبت من زميلتها في الكلية والفصل أسماء أن تجمعها بهند مرة أخرى ، وترتب لها معها لقاء جديدا ، مما أدهش أسماء لهذه العجلة ، فربما وقع في نفس أسماء في المرة الماضية أن فوزا عرضت على هند تجديد اللقاء لتصرف هندا بلباقة وأدب

وحسن مجاملة ، فقالت معلقة باستغراب ظاهر : بهذه السرعة ترغبين اللقاء بها ؟!

فقالت فوز محاولة التفسير لهذا الطلب : يحق لك أن تسألي هذا السؤال .. هند ابنة عمتك .. لقد سحرتني بقوة جنانها ، وحسن مدحها لديننا ، رغم الحدة التي أبدتها نحوي في بعض الجمل في ذلك اللقاء المبهر .. فأنا أريد أن أجالسها لأنني عطشى للأيمان يا أسماء ! يا أسماء ! إنني أعيش في ظلام وحيرة ، مع توفر كل وسائل الحياة والرفاهية بين يدي ، وأنت تعرفين كل ذلك .. أريد أن أعرف هذا الإسلام الذي هو ديننا ، ودين أبي وأمي .. أريد أن أعرف هذا الدين الذي يدفع فتاة جميلة مثل هند لتخفي حسنها وفتنتها عن أعين الناظرين ، وتدافع عن ذلك بقوة .. أريد أن أعرف لماذا نهرب عنه ومنه؟! .. لماذا نحب الغرب ومحاكاة الغرب لماذا؟! صدقيني يا عزيزتي ! لقد صدف مرة ونحن في جوف أمريكا العظمى أن كنا في حفل كبير لأبناء الجاليات العربية والإسلامية ـ بمناسبة دينية على ما أذكر ـ وأثناء الحفل تعرفت على فتاة أمريكية من أصل أمريكي ، كانت بجواري وكانت تلبس مثل هند ، ظننتها للوهلة الأولى مسلمة من بلاد المسلمين والعرب ؛ فإذا هي أمريكية الجنس ، وتحدثنا قليلا ، فلما علمت أنني مسلمة بالولادة صعقت لمشاهدتي بهذه الثياب التي على آخر طراز ، وأنا بالطبع لم أكترث لدهشتها ، بل أنا التي استغربت منها يوم ذاك ، وهمست لنفسي "أمريكية تلبس ملابس المتعصبات من المسلمين" ، وسكتت فوز كأنها تستذكر لقاءها مع الأمريكية المهتدية .

ثم قالت أسماء بعد لحظات خيم فيها عليهنّ الصمت : متى تريدين أن يكون الموعد واللقاء؟

قالت فوز وهي تتنهد بعمق : أتمنى أن يكون هذا مساء هذا اليوم ، هناك حفلة ستذهب إليها الأسرة ، واعتذرت عنها ، ومنذ فارقتنا هند وأنا أعيش معها .. فتنت بها يا أسماء ! طيفها معي منذ ذلك النهار .. لا أدري لماذا ؟!! سحرت بها ! .. وأود أن يكون اللقاء في منزل هند ، نعم ، أريد أن أراها بين أحضان أسرتها يا أسماء!

فقالت أسماء وهي متعجبة لكلمات فوز ومن إعجابها بابنة عمتها : ألا تخشين وتهابين اللقاء بها ؟! ..أخشى أن تخلعي

هذه الملابس الجميلة يا فوز !

قالت فوز وربما فاجأت أسماء بردها : يا ليت ذلك يحدث ! لا تظني يا عزيزتي! أننا نحيا بسعادة السعادة ليست في المال وحده صدقيني .. المحروم من متعة المال يحلم بها حققناه من لهو ومتع ؛ فإني من أعماقي أتمنى أن أتغير .. مللت النادي .. مللت السفر .. مللت الأصدقاء مللت نفسي

فقالت أسماء وما زال تعجبها يزداد من فوز : ولكنك ما زلت صغيرة يا عزيزتي .. ما عشرون سنة في الحياة ؟!

فقالت فوز وهي تحلق بالأفق البعيد : التعب النفسي والقلق غير محكوم بسن .. اتصلي بي إذا وافقت هند ، وسوف أمر عليك لنذهب سوية ، وأرجو أن لا يكون في ذلك إحراج لك ولها.

فقالت أسماء : اعلمي أنّ هندا سوف تسر وتفرح بلقائك ، فبيتها مدرسة ، صديقة داخلة وأخرى خارجة .

واستقبلت هند الفتاتين بابتسامة بيضاء صافية ، وأبدت سرورها وسعادتها من اللقاء ، ورحبت بهن ترحيبا حارا ، واعتبرته مفاجأة سارة وبشرى خير ، فلما جلسن في غرفة هند قالت فوز بإعجاب واضح : ما أجملك يا هند! فكل هذا الحسن تخفيه تحت أسمالك العجيبة، كنت أظن أن هؤلاء الفتيات المحجبات يتحجبن ليخفين دمامتهن ، أو لأنهن لا يملكن الثياب الغالية ، ولا يستطعن مجاراة الموضة المتسارعة .. كم كنت مخطئة !

فقالت هند باسمة : مالك تكثرين الحديث عن الجلباب يا فوز؟!.. فالإسلام ليس الثوب فقط فالإسلام إيمان وتوحيد وعمل وخلق وسلوك أهلا أسماء ومرحبا ..أهلا بفوز ما أخباركنّ ؟؟

فأظهرن حمد الله عز وجل ، وتحدثن عن الدراسة قليلا ، ثم قالت هند لفوز : لا تعلمين كم سررت عندما أنبأتني الأخت أسماء عن رغبتك بزيارتي ولقائي! وبصراحة أقول وتقبلي ذلك مني .. فقد تأكد لي أنك ضحية الأسرة والمجتمع اللذين تعيشين فيهما .

فقالت فوز وابتسامة صغيرة ارتسمت على محياها الجميل ، ولم تتضايق من كلام هند بأنها ضحية للمجتمع والأسرة كما حدث لما سمعت هذه الكلمة في اللقاء السابق : وأنا مسرورة بك وبصحبتك وسماعك ، لقد أثرت بي كلماتك في ذلك اللقاء العابر والغريب ..

وقالت والجد ظاهر عليها : هند! أريد أن أعرف الإسلام الحقيقي ..أنا لا أعرف شيئا عن إسلامي ، نحن لا نعرف عنه إلا ما نسمعه من الغرب ومن المقلدين للغرب ..حدثيني عن التوبة .

قالت هند متأثرة بعواطف فوز ورغبتها بالتوبة : رائع يا فوز! سأحدثك عن التوبة ـ إن شاء الله ـ ولكن بما أنك خبرت الحياة منذ صغرك ونعومة أظفارك كما يقال ، ورأيت اللهو والنزهات والسهرات ، فاصدقيني القول هل أنت سعيدة في دنياك ؟!

فقالت أسماء مجيبة : وماذا ينقصها يا هند؟! ..القصر موجود ..والسيارة موجودة .. والمال

وفير والرحلات متيسرة .. والوظيفة المناسبة جاهزة .. وزوج ثري منتظر .. أليست هذه الأشياء تحقق السعادة للمرء

يا هند؟!

فلما لم تجب هند على اعتراض أسماء ، وما زالت تحدق النظر في فوز تنتظر منها الجواب ، فأجابت فوز وابتسامة خفيفة قد رسمت على وجهها الجاد : صحيح نحن أبناء الأغنياء جدا متوفرة لدينا هذه الأشياء التي تفوهت بها العزيزة أسماء ؛ ولكن حياتنا مادية لا غير ، وكما قلت لك يا أسماء! سابقا .. حياتنا لا معنى لها .. مجرد حياة .. ليس هناك أهداف نبيلة نسعى لتحقيقها .. من أهدافنا إمضاء الأوقات في الملاهي في المسرح واللهو ، وشرب الشراب المسكر للهرب من هموم الدنيا .. نفتعل المشاكل ، ونكبر الأشياء الصغيرة حتى نثير الاهتمام ، وننشط عقولنا الملبدة بغيوم سوداء .. نتخاصم على أتفه الأشياء .. لا نحس بمتعة فعل الخيرات من الإحسان ليتيم أو فقير .. بل المريض من حولنا نهتم به أول مرضه ، ثم يصبح نسيا منسيا .. وقد تعشق إحدانا هواية ما ، أو لعبة ما .. ولكن أيضا هذه الهوايات أو الألعاب ليس لها هدف سامٍ نبيل ، وإنما ذلك لتضيع الحياة أو التميز على الأصدقاء .. وماذا أقول أكثر من ذلك ؟.. أين السعادة ؟!

قالت هند : رائع يا عزيزتي! .. توصيف جميل حقا .. على ذكر المرض ما أخبار صديقتك المريضة ما أخبار صحتها ؟؟

قالت فوز ونبرات الحزن واضحة عليها : آه جميلة ! ..هي التي أيقظتني من سباتي يا هند!.. منذ جئنا من بوسطن ، وتعرفت عليها ونحن نلهو معا.. كم لهونا معا ؟! كم رقصنا معا ؟ كم سافرنا معا ؟ وكم غنينا معا ؟ .. وها هي رغم صغر سنها قد ضربها السرطان .. أوقاتها أيام في المستشفيات ، وأيام في البيت ، بل عجزت عن الدراسة ، والطبيب يزورها يوميا ، والموت ينتظرها .. هذا ما جنته من الدخان والخمر ، والآن الجميع من حولها عاجزون عن مساعدتها بل بعض صديقاتنا مللن الحديث عنها ، ولا يرغبن بسماع أخبارها ، ويخشين ذكرها لأنها تذكرهن بالمرض والضعف ، فما نفع مال والدها ، ولا مال أخيها .. المال لا يعيد الصحة .

وبعد تبادل الفتيات الحديث الحزين حول الفتاة المريضة ، وظهر تأثر فوز الشديد بمرض صديقتها، قالت هند : هذا حقا محزن .. الإنسان لا يعلم متى تهجم عليه هذه الأمراض الصعبة حدثيها يا فوز! عن التوبة والندم .. فدموع التوبة دموع رحمة واستغفار .. فرحمة الله وسعت كل الأشياء ..واعلمي يا أختاه! أنك إذا أحببت الله

حق المحبة أحبك سبحانه وتعالى .. فحب الله هو الحب الدائم والباقي أيتها الأخت الصديقة .. إنّ ديننا دين التوبة والندم .. والتوبة في ديننا العظيم لا تحتاج لواسطة أو شفيع ، عليك أن تبدئي عهدا جديدا مع الله سبحانه ، وتتأسفي على ما فرطت في جنب الله ، وتندمي على أفعال الشر التي جرت في غابر الأيام ، وتحاولي وتجتهدي ألا تقعي فيها مرة أخرى ، وتكثري من أعمال الخير، ومن الأعمال التي يحبها الله مالك السماوات والأرض ، وبالنسبة لنا نحن معشر النساء يا فوز ! من المهم للمرأة المسلمة أن تطيع الله في لباسها .. فالتائب أيتها الصديقة! عليه أن يترك المعاصي التي بينها القرآن والسنة النبوية ولا يعد ممارسا لها ، وعليه أن يندم على فعلها ، وعلى التائب أن يقوم بالواجبات المطلوبة منه ، وإن ضعف المسلم أمام الذنوب والشهوات يتوب مرة أخرى وأخرى من غير يأس ، ولا يستسلم للشيطان ، ولا يخجل من التوبة المتكررة .. ومن المهم أيتها الصديقتان العزيزتان ! أن تمتلئ أنفسنا أنّ هذا الدين هو من لدن حكيم خبير ، من الله الضار والنافع والمعز والمذل ، وليس من صنع البشر ، سأعطيك بعض الرسائل العلمية الخفيفة والقصيرة لعلماء مسلمين أجلاء معاصرين ، فيها دفع كثير من الزيف والشبهات التي يثيرها أعداؤنا وأعداء الله حول دين الله الخالد ..المهم القراءة القراءة الواعية .. فكما تقرئين مجلات النساء والرياضة بحماس فاقرئيها أيضا بحماس .

قالت فوز باسمة وقد ازدادت حبا لهند وإعجابا بكلامها ، وقد أحست بعواطف جياشة نحوها : كم هو ممتع سماعك يا هند ؟!

ثم قالت متسألة : هل من الممكن أن أتخلص من عاداتي وأخلاقي السيئة ؟! وكيف سأواجه أبي وأمي بعد أن زرعوا فيّ حب الملابس العارية ، وحب السهرات والحفلات ، ومصاحبة الشباب والشابات ، وكذلك حب الكفار وحب الحضارة والمدنية الغربية وحب الغرب ؟؟!

أجابتها هند مشجعة وبكل ثقة : تتخلصين من كل ذلك رويدا رويدا .. فأصحاب رسولنا محمد (صلى الله عليه وسلم) كانوا أهل جاهلية ، ولقد كانت عندهم عادات قبيحة ، من أشهرها وأد البنات ، وإدمان الخمر ؛ ولكنهم بفضل من الله ـ عز وجل ـ وإخلاص الأفئدة له وحده ، أزالوا تلك الحواجز الرهيبة ، وأصبحوا سادتنا وقدوتنا وسلفنا الصالح

تنهدت فوز بعمق وقالت : أريد أن أتوب يا هند! ساعديني يا سيدتي !

كانت أسماء تسمع كلمات هند وفوز وهي في غاية الدهشة والاستغراب للانقلاب الذي حدث لفوز

من لقاءين فقط ، فوقع في روعها أنّ فوزا تمر في أزمة نفسية حادة ، وسوف تستيقظ منها بعد أيام ، وسمعت هند ترد على استغاثة فوز بحماس شديد : سأبذل قصارى جهدي لأنقذك من الظلام والضلال والجاهلية ، وسأكون لك أختا وأكثر ، وعليكِ بداية أن تتخلصي من غرورك ، وأنك ابنة رجل أعمال كبير .. مليونير أو أكثر .. تذكري أنك فتاة مسلمة ، وتحملين هذا الوصف العظيم .

همسات عن الإسلام

تجدد اللقاء بين هند وفوز ، وتعمقت الصداقة بينهما ، وما يمر يوم إلا وتزور فوز هندا ، وتسمع منها كلاما طيبا عن الإسلام ، وإن لم ترها بالعين المجردة فتحدثها بالهاتف بالساعات وهي تهمس لها " إن حديثك يا هند! له لذة في وجداني وكياني "

وما كاد يمضي شهران من العمر حتى عرفت الفتاة الإيمان ، وصفة الاغتسال من الحيض ، فهذا الفعل لا يمارس في البيت ، ولا تعرف أحكامه الشرعية ، وتعلمت الوضوء ، ونواقض الوضوء وهذا فعل لا يمارس في البيت أيضا ، وقرأت سورا من القرآن الكريم ، وقرأت عن حياة النبي (صلى الله عليه وسلم) ، وبعض صحبه الكرام ، وكيف انتقلوا من حياة الجاهلية الأولى لحياة الإيمان؟ وعلمت حجم وعظم التضحيات التي قدموها لدينهم ، وصبرهم على أذى أهليهم وقومهم ، وتحملهم الكثير من أجل تمسكهم بالإسلام .

فكلما وصل لذهن وعقل فتاة حكايتنا معلومات جديدة عن الدين الخالد كان يصيبها الانبهار لحد عظيم لهذه المعلومات الراقية ، وتتألم غاية الألم لجهلها الكبير هي ومن حولها من الأهل والأقارب والجيران بدينهم العظيم وإسلامهم الكبير.

فتتسأل بينها وبين نفسها : " لماذا كل هذا التجهيل بالدين في بيئتهم ؟!" وقد تقضي الساعات الطوال وهي تحاول الإجابة على هذا الاستفهام .

لقد كانت تتلقن من هنا وهناك ، أنّ الإسلام يحتقر النساء ، ويستعبدهن ويجعلهن خدما وجواري للأسياد ، ويحرمهن من القراءة والكتابة وطلب العلم ، ويمنعهنّ من الخروج من بيوتهنّ ، ويضيق عليهنّ في العمل والمهن ، وتلقنت أنّ الإسلام دين القتل والسفك والسيف ، وأنّه يهدر دم الكافرين به الذين لا يتبعونه ، ويأخذ الجزية والمال من اليهود والنصارى وغيرهم لإذلالهم ، وهو يرخص للرجل بالزواج بعدد من النساء في وقت واحد لمجرد العبث والمتعة . ولكنها اليوم ترى هندا تتعلم مثلها في الجامعة ، وهي في قمة التمسك بتعاليم الإسلام ، ورأت أختها تعمل معلمة في إحدى المدارس ، ولم تمنعها تعاليم الإسلام من

العمل والخروج ، وبينت لها هند أنّ الإسلام يهدر دم الكافر المحارب للإسلام ؛ وليس المسالم والمعاهد ، وأن التعدد في الإسلام ليس لمجرد الشهوة ، إنمـا لحكم وحاجات مهمة ، إن لم يكن ضرورة في بعض الأحيان فهناك الفتاة المطلقة ، الأرملة ، العانس ، والعرجاء ، والقبيحة .. فمن يتزوج هؤلاء النسوة إن لم يكن هناك تعدد ؟!

وعلمت من هند أنّ من فوائد التعدد المحافظة على المجتمع المسلم من الوقوع في الفواحش ، من زنا وشذوذ وانتشار الأطفال غير الشرعيين.. وعلمت فوز أنّ الإسلام لا يحتقر النساء كما يروج المفسدون في الأرض .. بل الله هو الذي كرم بني آدم المسلم والكافر الذكر والأنثى ، وزاد الإسلام المرأة تكريما وتعظيما ، فهو يحترمها ويوجب على والديها حسن تربيتها ؛ لتكون لهما سترا من النار ، ويوجب الإنفاق عليها حتى تنتقل إلى عش الزوجية حيث المودة والرحمة ، فيتحمل الزوج النفقة عليها ، ثم الأبناء حتى مفارقة الدنيا إلى حياة البرزخ .

وعلمت فوز أنّ الحياة الزوجية في الإسلام حياة مقدسة بمعنى الكلمة ، حياة طيبة هانئة ، حياة تفاهم وود وسكينة ورحمة ، وليست مشروعا تجاريا ، ولا حياة خليلات وعشيقات وخيانة زوجية .

وبينت هند لها أنّ العقوبات والحدود التي جاء ذكرها في القرآن والسنة والتي شرعها العزيز الحكيم ؛ ليست لمجرد القسوة والتعذيب إنما هي لحماية الفرد والمجتمع المسلم من الفساد للدين والعقل والمال والنفس والنسل .

لقد تعلقت فوز بهند تعلقا عجيبا ؛ كأنها وجدت كنزا وجوهرة نادرة ، فما يهبط المساء حتى تزورها وتنهل من علمها وثقافتها الإسلامية الواسعة ، وتسمع منها ، وتسألها عما يخطر لها من أسئلة، وإن لم تتمكن من الذهاب إليها تكلمها بالهاتف، وكانت تستعير منها الكتب المفيدة ، وتقرأها إلى أن كان ذات ليلة ، وبعد حديث مشوق عن عظمة الإسلام ، وعظمة أمة النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) وفضلها الكبير، قالت هند لفوز : ألم يأن للذين أمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله يا فوز ؟؟!

وقالت فوز وهي تمسح دموعها المتساقطة على وجنتيها تأثرا بكلام هند : بلى يا صديقتي!.. بلى يا منقذتي! أنت نور أرسلك الله لي .. لقد أحببتك يا هند ! ولكني خائفة من أهلي وممن حولي .

قالت هند مشجعة صديقتها للعمل : اخط الخطوة الأولى ، وسيكون معك الرب عز وجل .. ألم تقرئي ما واجهه الصحابة في أول الدعوة ؟.. فلن يكون أهلك مثل صناديد قريش الكفرة ، فأهلك أولا وأخرا مسلمون .. فلقد أخبرتني الخياطة أنّ

الجلباب الذي فصلته لـك قد جهز ، وهو هديتي المتواضعة لك أيتها الأخت الفاضلة !

فقالت فوز وهي شاردة اللب وتتصور موقف أهلها من توبتها وصلاتها وجلبابها : هل يقبل أبي وأمي أن ينهار ما غرسوه فيّ من بعد عن الدين ؟! وهل يتقبلون أن امتنع عن مصافحة الأصدقاء ، وعدم الجلوس معهم ؟! إنهم ينظرون إليّ طيلة الأيام الفائتة باستغراب ، ويعلقون عليّ التعليقات الساخرة ، وهم يعتقدون أنّ مرض صديقتي جميلة أثر عليّ ، وعلى أعصابي ، وغير أفكاري وأحلامي .

فقالت هند مقاطعة لفوز كأنها التقطت فكرة من كلامها : فوز! اجعلي من مرض صديقتك فرصة للتغيير والبداية ، هذه فرصة من عند الله ، استغلي هذه الفرصة وهذا الظرف وأعلني توبتك .. فهم سيعتقدون أنّ مرض صاحبتك هو الذي غيرك ، وأنـها ساعة عابرة ، ولسوف يغضون الطرف عن تصرفاتك الجديدة .. وأنت تكونين قد اجتزت الحواجز والخوف الجاثم عليك من التقاليد والعادات التي غرست فيك .. هي فرصة جيدة للبداية ، لا داعي للتردد .. مَن يكن مع الله يكن الله معه .. عندما تقطعين مع التوبة أياما ، ستتجمع فيك الشجاعة ، ويذهب الخوف الذي يضخمه الشيطان في نفسك .

ردت فوز بعد صمت عميق وتأمل بفكرة هند : فعلا يا هند! إنـها فكرة رائعة، وفرصة عليّ الاستفادة منها ، عندما آخذ منك غدا الجلباب الذي سأعتز به لأنه منك ، سأبدأ بالصلاة بإذن الله العلي العظيم .. اللهم قوي عزيمتي واشدد أزري.

ثم قالت بذهول وتعجب : عجيب أمري يا هند! كم كنت جريئة على المعاصي والسباحة أمام الفتيان دون حياء وخجل ؟! أما الصلاة فكلي خوف وتوتر وقلق ؛ كأني مقدمة على معركة .. يا الله! لقد كنت مجرمة وأنا لا أشعر يا أختي الغالي!

قالت هند : هوني عليك .. هي معركة فعلا يا فوز! وليست معركة سهلة ، ولا تنظري للوراء إلا للعظة والاعتبار .

لقد اجتازت فوز الخطوات الأولى ، فلبست الجلباب الشرعي للمرأة المسلمة ، وصارت تصلي ومرت الأيام الأولى في الفيلا ، ولم يجرؤ أحد أن يسألها عن عملها الجديد ، فلقد يسر الله لها الأمر كما تحب وتشتهي ، ووقعت الهيبة والرهبة في قلوبهم من مناقشتها والحديث معها في هذا التغير الجديد ، وكانوا يتوهمون أن هذا الانقلاب ، وهذا التغير حدث بسبب مرض صديقتها الخطير وخوف ورعب الفتاة من المرض ، فتركوها على راحتها ، وهي في نفس الوقت لا تمارس عملا محرما لتلام عليه ؛ ولكنه عمل غير معهود في البيت

منذ أكثر من أربعين سنة ، الأب سامي لا يعرف الصلاة ، وكذلك الأم ، وهو عمل يجفلون منه ، ولم يفكروا بممارسته يوما ما ، ربما يرونه من علامات التخلف والعادات البالية ، وسرت فوز لنجاحها الأولي ، وعدم معارضة والديها لخطواتها الجريئة .

فتاة في أول العقد الثالث من العمر ، متحررة لآخر درجة تخرج على تقاليد الأسرة على حين غفلة منها ، وتعود للعصور القديمة عصر الصحابة والتابعين والجيل الأول من المسلمين ، وتتخلى عن عصر الحضارة والمدنية التي تغمر الكوكب ، هذا أمر مهم وخطير ومزعج لهم ، فبدأت بنات العائلات ـ أصدقاء العائلة ـ ينفضضن من حولها ، ولم يعدن يفرحن بأحاديثها والجلوس معها ، وما عدت ترى فوزا في البيت إلا وهي تقرأ أو تسمع أشرطة كاسيت إسلامية وأعادت ترتيب حجرتها بما يتناسب مع هدايتها ، فمزقت عن جدرانها صور الفنانين والراقصين ، وتخلصت من أدوات الموسيقى ، ومن أدوات الزينة المختلفة ، وهي تقرأ بشغف وعشق كل ما تختاره لها هند ؛ لتعرف الإسلام الذي كانت تحاربه وتعاديه من غير أن تشعر وتدرك أنها كانت تقف مع أعداء الإسلام في خندق واحد للتربص بالإسلام الصابر العظيم .



ولقد تمنت فوز بعد أن قطعت شوطا مقبولا مع الهداية والتوبة أن تلتقي بتلك الفتاة الأمريكية المهتدية ، للتحدث إليها بفخر واعتزاز ، وتخبرها بأنها عادت وآبت لإسلامها، وندمت على سنوات الجهل والغي والسير وراء التيار الفاسد التائه.

أصبحت فوز بين عشية وضحاها حديث الجامعة ، وكليتها خاصة ، وعلاقتها الحميمة بأسماء وغيرها قد بردت وخفتت ، وكانت أوقات فراغها من محاضرات كليتها تمكثها عند هند في كلية الشريعة والعلوم الإسلامية ، وتعرفت على صديقات هند ، وسررن لتوبتها ، ودعون لها بالثبات على التوبة والفوز عند هبوب العواصف القادمة .

ومن الذين فرحوا جدا لانتصار فوز على واقعها الفاسد صديقتها المريضة جميلة ، وأعلنت هي الأخرى توبتها وندمها، واستسلمت لقضاء ربها بنفس مطمئنة ، وسألت الله حسن الختام وأن يقبلها ويجعلها من عباده الصالحين .

ولقد قامت هند وبعض أخواتها المسلمات بعيادة جميلة عدة مرات ؛ ليرفعن من معنوياتها أمام هذا المرض الهائل ، ويبينّ لها ثواب وأجر

الصبر على الأسقام ، وأنّ مرض المسلم الصادق كفارة لذنوبه وخطاياه ، وماتت جميلة وهي سعيدة بما أكرمها الله به في أواخر أيامها من التوبة والهداية وبكتها الصديقات الملتزمات ، وأكثرهن بكاءً وحزنا عليها كانت فوز ، ورجون الله أن يتجاوز عن ذنوبها وسيئاتها ، ويتغمدها برحمته الواسعة .

وموت جميلة المتوقع لاستفحال المرض ، والمرض ذاته ليس سببا للموت كما هو معلوم ، فالموت سببه انتهاء الأجل ، وكذلك لعجز الأطباء عن فعل أي شيء أمام أمر الله تعالى وقدره كل هذا زاد من تدين فوز ، وصغرت ملذات الدنيا أمام ناظريها ، فكانت تدخل عليها أمها فتجدها تذرف دموع الندم والتوبة ، فتتأملها لحظات ، وتخرج لا تتكلم معها كلمة واحدة ، وتظن أن ّكل هذا البكاء والحزن على فقد جميلة ، وازدادت الفتاة تمسكا بتعاليم الإسلام ، وما زالت تتردد مساءً على صديقتها هند ، بل أحضرتها لبيتها بضع مرات .

ولقد كان أهل فوز يرون أن الصدمة التي أصابتها بصديقتها جميلة هي التي دفعتها لهذه الأفعال والابتعاد عن السهرات والمناسبات والحفلات المنتشرة بينهم ، وحاولت بعض صديقاتها من بنات الحي انتشالها من وهدة الحزن والأسف على وفاة جميلة ، ولكن بعد الحديث معها وسماع كلامها وحوارها أخذوا يخشونها ويهربون من الجلوس معها ؛ لكثرة حديثها عن الموت والنار والعقاب ، بل اجتهد بعضهم وأدخل عليها طبيبا نفسيا لمعالجتها .

ومضت السنة الثالثة من الدراسة في الجامعة وفوز تحيا حياة جديدة حياة جادة ، حياة الإيمان والنور الإلهي ، حياة لها أهداف سامية راقية .. أليست الجنة هدفا عظيما للمرء المؤمن ؟! وهي الغاية الأولى للمؤمن

أمسى أهل أصدقاء فوز التائبة يحذرون بناتهم من الجلوس معها، والاستماع إلى مواعظها وحكاياتها عن الصالحين والتائبين ، ويتجنبون دعوتها لسهراتهم ومجونهم ، لقد باتت في نظرهم القاصر فيروسا يخشون أن ينتقل إليهم ، أو كابوسا يؤرق راحتهم ومتعهم ، أو وحشا كاسرا يريد أن يسمم متعهم وملذاتهم وشهواتهم وهواهم في الدنيا .

وكان الوالد سامي سبل يحاول وباستمرار كبح جماعها واندفاعها نحو التمسك بجذور الإسلام الأولى ، ثم يهرب منها أثناء المواجهة والمناقشة ، فهو خاوي العلم من ناحية الدين ، فهو يفهم في الإدارة والمال على الطريقة المادية الغربية ، أما الإسلام فهو مجهول عنده ، فتراه بعد كل حوار ومناقشة مع فتاته يكتشف أنه أمي وجاهل ، لا يعرف شيئا عن الدين ، فيترك النقاش ويدع الأمر للأيام ؛ لتعيد فوزا إلى ما كانت عليه من التمتع

بالحياة ؛ كأن المسلم لا يتمتع في نظرهم بدنياه ، فيواسي نفسه هامسا " لابدّ أنّ الأيام ستنسي الفتاة موت صديقتها العزيزة " ؛ ثم بعد حين يعيد الكرة آملا في الفوز والنجاح .. ولكن فوزا أنهت سنتها الثالثة في الكلية ، وهي ما تزال تشرق نورا وإيمانا ، وتزداد حبا وتمسكا في تعاليم دينها ، فانزعج الأب كثيرا حاول إقناعها برحلة إلى أمريكا أو أوروبا ، فرفضت العرض ، وبينت له أنها ملت من الرحلات والنزهات ، فلاح له أمل جديد بأن يزوجها لابن زميله في المصرف عمار ، فطلب من زوجته أن تعرض الفكرة على فوز ؛ ولكنّ الفتاة رفضت الحديث عن الزواج قبل إنهاء دراستها الجامعية وأن التعليم يجب أن يكون قبل الزواج ، وأضافت بأنها لن تتزوج إلا شابا مسلما ملتزما بالإسلام قولا وعملا .

ولقد كانت فوز عندما يحدث في منزل العائلة سهرة أو حفلة تهرب إلى بيت صديقتها هند ، وتتناجيان عن حلاوة الأيمان ، وزيادة الأيمان ، ومحبة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ، ولقد تيقن لفوز ضعف حجج دعاة تحرير المرأة في بلاد المسلمين ، وأنهم ينفذون مشاريع الكفر لتغريب المرأة المسلمة ، وإبعادها عن دينها الحق ، بدل أن يردوها لدينها الجميل الذي يراعي الجسم والروح في الإنسان، وتبين لها أن المرأة المسلمة ليست أمة لأحد من الخلق ، إنما هي شقيقة للرجل ، وأمة لله وحده ، وليس الرجل مالكا لها كسلعة ومتاع ، ولا هو جلادها ، ووضح لها وضوح الشمس في كبد السماء أنّ هؤلاء الدعاة إنما يدعون لعري المرأة المسلمة ، وإلى الفاحشة من زنا وشذوذ ، ويدعون للخلاعة والتهتك بكل صورها، والى العلاقات المحرمة بين الجنسين ، والى الاختلاط المحرم ، والإجهاض ، فهم يشجعون العلاقات الآثمة ، ويبيحون الإجهاض ، وينشرون أدوات منع الحمل بين فتيات الجامعات والمراهقات للاستهتار بالعلاقات الشرعية ، وتسهيل الوقوع في جريمة الزنا ، فهم في واقع الحال يدعونها للتحرر من التمسك بدينها وطاعة ربها ، فالمرأة لا يمكن أن تكون رجلا ، وكذلك الرجل لا يمكن أن يكون امرأة ، فالله هو القائل { ليس الذكر كالأنثى } ، فعلمت فوز أنّه خفف عنها من فريضة الصلاة لنقص خاص بخلقها ، وذلك من باب التيسير ورفع المشقة عنها والحرج ، وذلك ليس تحقير لها وإهانة ، فهذا عذر شرعي يناسب تكوينها ، وعذر متكرر ، فرفع عنها إعادة الصلاة لتكرره ، وبما أن الصيام عبادة سنوية أمرها الله بإعادة ما فاتها من الصوم بعذر الحيض أو النفاس وذا من فضل الباري سبحانه وتعالى ، من يفهم الإسلام حق الفهم وبنزاهة تامة يفهم لماذا جاءت بعض

الفروقات بين الجنسين ؟! فأسقط الله عنها الحج إلا بمحرم ، فالمرأة في السفر تحتاج إلى رفيق وخادم وإلى من يساعدها في عبادة شاقة ، وكذلك أسقط عنها فريضة الجهاد لضعف بنيتها البدنية ولرعاية الأطفال ، وخوفا عليها من الوقوع في الأسر في حال فرار الجيش وغير ذلك من الحكم ، وأكرمها الإسلام أما وبنتا وأختا وزوجة ، وتبين لفوز أنّ تصرفات جهال المسلمين وغفلتهم ليست حجة على دين الله ، فالحجة القائمة على العباد كتاب الله وسنة الرسول .

لابدّ من الزواج

أخبر الزوج سامي نصار شادية زوجته عن موافقة ابن صديقه عمار على الزواج من كريمته فوز وبعد تشاور وتفاهم بينهما قررا التحدث معها مباشرة في الموضوع ؛ ليجري كتب عقد الزواج في أسرع وقت ممكن، ومن ثم تبدأ الاستعدادات لزواجها ، وليكن ذلك أثناء وجود ابنتهم المهاجرة سميرة التي أرسلت لهم رسالة بأنها قادمة لمشاهدتهم بصحبة ابن خالها .

استقبلت فوز والديها بترحاب وحنان وحزن، ولما سمعت مشروعهما قالت الفتاة وهي تنظر لأمها بطرف عينيها: ألم تخبرك أمي برفضي؟! وعندما أتخرج من الجامعة نتكلم بمثل هذا الموضوع .

قالت الأم بضيق ونفرزة : أخبرته برفضك .

قال سامي بقوة وحدة، والضجر والغضب واضحان في عينيه ووجهه : الزواج لابدّ منه يا فتاتي!

قالت فوز بهدوء وأدب واحتجاج : يا أبي! ..أتريد إرغامي على هذا الزواج ؟ .. أبي! أين الحرية التي علمتموني إياها؟.. حرية الاختيار .. حرية التصرف .. حرية الرأي .. حرية الاعتقاد .. أين الحرية التي تتشدقون بها ؟!.. ألا تريد أن تنتظر وتصبر حتى أنهي دراستي وكليتي .

قطع الأب كلامها قائلا : تكملين الدراسة في بيت زوجك ، لقد اشترطت عليهم ذلك .

هزت رأسها عدة مرات رافضة الأمر، وقالت بقوة وتصميم وضغط على أعصابها : اعلم يا أبي العزيز ! أنني لا يمكن أن أعود للجهل والضلال .. أنا عرفت الصواب ، أبي !! إذا لم يعد لي مكان ومتسع في البيت أفارقه .. لا يمكن أن أعود للفسق والجهل بضغطك عليّ بهذه الفكرة .. الزواج أرفضه بشدة .

قال الأب والوجوم مرتسم على وجهه : فوز!.. حياتك هذه لا تعجبني نهائيا ..أتسمعين وتدركين ذلك ؟!.

همست كأنها تستغيث : إنها حياتي .

فتابع يقول بصوت قد ارتفع : نحن تركنا هذه الأشياء البالية منذ زمن بعيد، منذ غادرت هذا القطر أول مرة لم أعد أشاهد هذه الطقوس والتقاليد القديمة .. نحن خلقنا للدنيا فقط قال صلاة .. قال جلباب .. قال قرآن .. لم أعد أصبر واحتمل أوضاعك وأحوالك الجديدة هذا تخلف .. تخلف.

فرفعت فوز من نبرة صوتها هي الأخرى وقالت : أبي! هل طلبت منك ألا تشرب الخمر؟!..هل قلت لك يوما ألا تجلس مع النساء؟! ولا ترقص معهنّ ولا تخلوا بهن ..؟

قال واجما وساخطا : وهل أظل أنتظر حتى تقولي لي ذلك ؟!

فقالت: دعوني وشأني، أنا لا يمكن أن أتزوج ابن صاحبك عمار .. أنا أتزوج ممن أريد وأختار وأنا لا أريد زوجا مسلما بالبطاقة الشخصية ، سوف أتزوج مسلما بمعنى الكلمة .. مسلما يعرف ربه ودينه ..لا أريد أن أعود للكفر والجاهلية.

لقد كانت تتكلم الكلام الأخير بغضب ودموع حارة تتساقط على خديها فقالت الأم: عندما ترين ابن السيد عمار تبدين رأيك ، فسند شاب مكافح ، وتقول أخته نداء : " إنه يصلي ويصوم مثلك .. ولا يشرب الخمر " وهو كما قلنا لك ابن صاحب أبيك، وأخو صديقتك نداء ، وهو شاب جامعي لا يعتمد على ثروة أبيه ، فهو يشتغل في أحد المصانع الكبرى ، ويريد أن يكون ثروته بنفسه .

كانت فوز تهز رأسها وهي تسمع كلام أمها، وتمسح في نفس الوقت دموعها، ولما سكتت الأم من ذكر محاسن سند عمار ، قالت فوز: ولكنك يا أمي نسيت شيئا واحدا من صفات الأخ سند

صاحت الأم بغضب معتقدة أن فوزا تسخر من مدحها لسند: لم أنس شيئا، فهو شاب مناسب لك ولنا ، وهو يصلي حسب رغبتك.

فقال الأب الحائر : ما الذي نسيته أمك يا فوز ؟!

قالت فوز بحدة : نسيتم أن تذكروا أنه يتعاطى الهيروين .. نداء نفسها كانت تقول ذلك ، ولقد حاولت توريطي في تعاطيها ، إنه مدمن مخدرات يا والدي العزيز!

قالت الأم بوجوم ودهشة : مخدرات!!

وقال الأب مستغربا الخبر : مخدرات ..لا علم لنا بذلك !!

فقالت فوز: نعم يا أمي الحنون ! إنّ هذا العريس المختار يتعاطى المخدرات ، ويروجها أيضا، وأما الصلاة التي تظاهر بها فترة كانت لإخفاء أمره عن الفضوليين، هذا ما أعرفه عن الأخ سند .. ولولا الاضطرار ما تكلمت بذلك .

فقالت الأم ببطء : وهل يعرف أبوه بالأمر ؟!

فصاحت فوز: ولماذا لا يعرف والده؟! فنداء تعرف ، وتحاول بيعها بين الفتيات .

فقال سامي كأنه معتذر : صدقيني يا ابنتي ! أنني لا أعرف ذلك عنه .

قالت فوز بحدة وهي تنظر في وجه أبيها : وماذا تعرفون أنتم ؟! ..أنتم لا تفكرون إلا بقضاء شهواتكم وملذاتكم .. حياتكم خمر منكر نساء .. مللت هذه الحياة المرعبة .

اشتدّ الغضب بسامي نصار عندما سمع كلام فوز الجارح وقال : أنا ضال ..أنا مجرم .. أنا لا أريد هذه الحياة التي تعيشنها في بيتي .. نحن لا يناسبنا هذا .. نحن عشنا في أمريكا ، وعرفنا عادات لا نستطيع التخلص منها ، فأنت تخلصت من ذلك لصغر سنك ، ولم تقطعي شوطا طويلا فيها .. فالخمر لا يمكن التخلي عنها في يوم من الأيام ، وكذلك السيجار ، وكذلك الحفلات ، وغير ذلك مما لا يعجبك يا فوز! لا أحب كلما أراك أن أشعر بالندم والأسف .. لا أريد أن أتذكر أنني عاص .. لقد نسيت يا ابنتي ! هذه الطقوس التي تمارسينها .. لقد نسيت هذا الدين .. وأمك مثلي فهي ابنة الغرب وعادات الغرب .. نحن لا نحب هذا الأمور في بيتنا فرأيت أن زواجك خير لنا ولك .. دعينا نحيا حياتنا التي اخترناها بهدوء ، إنني أحرج أمام أصدقائي وزملائي المتحضرين منك ومن تصرفاتك .

قالت فوز وفي نبرتها رجاء وأمل: بل أنتم دعوني أعيش بسلام وهدوء ، تحملوني حتى أنهي دراستي وسوف أفارقكم .

فقالت أم فوز : اعقلي يا فتاتي ! ودعك من ثياب الغربان ، عودي للحياة الجميلة ، فكل صديقاتك متضايقات منك ، ويسخرن منك ، يقلن وهل تمنع الصلاة الرقص والغناء ؟! ساعة لله وساعة للترويح عن النفس ، كثير من الفتيات يصلين وهنّ يخرجن بالملابس الحديثة ويجلسن مع الشباب بلا حرج ، ويقلن أنّ فوزا أصابها جنون وهوس الدين .

وتابع الأب قائلا : لقد أصبحنا سخرية لكل الأصدقاء، ويقولون الدكتور سامي لم يحسن تربية ابنته ، ولا نستطيع السيطرة عليك ، وأنك لا تطيعيننا .. أين طاعة الوالد التي في دينك هذا ؟!

فضحكت فوز ضحكة قصيرة وأردفت تقول: رائع كلامكم ! .. طاعة الوالد ! .. طاعة الوالد في ترك الدين.. لا يا أبي ! .. طاعة الوالدين تكون فيما أحله الله وأباحه .

فرجع الأب للزعيق والهياج : فوز!.. عليك أن تتزوجي بأسرع وقت ممكن ، ولو من الشيطان أو تسافري خلال أيام ..أدرسي في أمريكا .. أو أن تتخلي عن كل الجنون والهبل الذي أنت فيه

فقالت باكية ضاحكة : أتريد مني أن أتزوج من مدمن مخدرات .. لم تجد لي إلا شابا فاسقا ؟!

قالت الأم: لا أحد يريدك ، كلهم يقولون إنك معقدة ومجنونة ..لا أدري كيف رضي وقبل ابن الأستاذ عمار بالقران منك؟! لولا ثروة أبيك ما اقتنع بك يا عزيزتي !

قالت فوز : أنا لا أريد الرد عليكم. والتفت لأبيها قائلة : أنتم ترون أن الزواج يبعد شبحي عنكم ..أنتم بذلك تتخلصون من صوت القرآن يدندن في هذا البيت .. تريدون أن يبقى البيت في ظلام الجاهلية .. أنا لديّ حل يا أبي العزيز إن لم يعد لكم صبر على الشهور القليلة الباقية لأتخرج من كليتي ...

فقالت الأم مقاطعة : وأين ستذهبين بعدها ؟! هل ستفارقين البيت؟ الزواج هو الذي يخرجك من البيت اليوم أو غدا ، واليوم خير من غدٍ .

فقال الأب هازا رأسه ومحبطا : عليّ بالحل ، أرجوك تكلمي ، لقد تصدع رأسي من كثرة الكلام

فقالت فوز بروية : أتريد أن أفارق البيت لترتاح من شبحي يا أبي العزيز؟! أعرف أنني أسبب لكم حرجا وضيقا أمام أصدقائكم ورهطكم .. سأخرج من حياتكم ولن أساوم .. لن أتخلى عن إسلامي وطاعة الله حتى تتوقفوا عن مشروع زواجي .. حسنا سوف أتزوج لأخرج من حياتكم ؛ ولكن أنا التي سوف تحضر الزوج والرجل الذي أريد .. سوف أحضر لكم رجلا يخلصكم مني ؛ ولكن هذا الرجل الذي أختاره لا تسألني عن فصله وأصله .. سأرتب الأمر مع نفسي ومع الرجل المختار، ونكتب الكتاب في هذا البيت وأتزوجه من غير عرس وحفل .. أترضى بذلك ؟؟

اعترضت الأم وقالت : من هو هذا العريس ؟؟!

أمعنت فوز النظر في عيني أمها قائلة ومدافعة عن نفسها : والله يا أمي ! ليس هناك رجل معين في حياتي الخاصة ، لست عاشقة ، وأنت أكثر واحدة متأكدة من ذلك ؛ ولكني سأحدث صديقتي هندا ؛ لعلها ترشدني لزوج صالح ، وهو مطمع كل فتاة تؤمن بالله واليوم الآخر أمهلوني بضعة أيام .. أقل من أسبوع بمشيئة الله تعالى .. ما تقول يا أبي ؟

فقال الأب باستسلام كامل لشروط ابنته : أقبل اختيارك لأي شاب ؛ لكن على أن يكون متعلما ومتخرجا من إحدى الجامعات ، فعندئذ أنا موافق .. هذه حياتك ، وافعلي ما ترينه مناسبا .. خلال أيام أريد أن أنتهي من هذه المشكلة .. أرجوك يا فوز !

مسحت فوز دمعات حارة تساقطت على خديها وهي تسمع ردة فعل والدها ، وقالت بتنهد عميق:

الخيرة فيما يختاره الله ..أيام يسيرة وسأحل مشكلتي أيها الوالدان القاسيان!

قال سامي ظانا أنه قد حقق الضغط الكامل على فتاته : اتركي ما أنت فيه من هذه الأحوال، واخلعي هذه الأسمال المقرفة المقززة ، وعودي للحياة الحلوة الجميلة نعرض عن الزواج .

فقالت فوز : صديقتي جميلة ماذا أصابها من الحياة الحلوة ؟! قل ..

فقال سامي مقاطعا وبنبرة حادة وغيظ : دعينا من جميلة.. وعجلي في الأمر الذي اتفقنا.. لم أعد احتمل جو هذا البيت .. حياة عصرية .. وصلاة وصوم لا تنسجم في بيتنا هذا هل تدركين ذلك ؟

قالت فوز : لم تعد تحتمل رؤيتي وسماعي .. ما أقسى قلبك ! أنا قد أعذر أمي وطباعها، فهي قد ولدت هناك ، ورأت تحلل أسرتها واندماجها في حياة الغرب، أما أنت فقد ولدت هنا وترعرعت هنا ، ثم تيسرت لك الدراسة في تلك البلاد فلماذا لم تحافظ على إسلامك ؟!

فهز الدكتور سامي رأسه ونهض قائما وقال : هيا بنا يا شادية !

وغادراها ولم يعقبا على كلامها الأخير .

وعند غروب شمس ذلك النهار ركبت فوز سيارتها منطلقة لبيت صديقتها هند ولما جلست معها روت ما جرى لها مع أسرتها ، وكانت هند قد علمت كثيرا من التفاصيل عن أسرة فوز ، وأحوالهم ورغبتهم العجيبة بتزويجها لإنهاء مشكلتهم مع توبتها وأوبتها ، وكل ذلك علمته من فوز نفسها ، فلما أنهت فوز حديثها عما جرى بينها وبين والديها، والاتفاق الذي تم بينهم ، وكانت تروي الخبر والدموع تتساقط من عينيها والنشيج يخرج من حلقها ، وهند تخفف من مصابها وهمها ومن الضغط النفسي الواقع عليها ، ثم خاطبتها قائلة: هوني عنك أيتها الأخت! فالإيمان تضحية واختبار وابتلاء ، ولا تكرهي شيئا ، فالأمور كلها بيد الله وحده ، المهم يا فوز أنّ أهلك يرغبون بخروجك من مجتمعهم الفاسد ، فقد أصبحت كابوسا يجثم على صدورهم إنّ الشيطان هكذا يصورك لهم ، لا أدري ما هي الحرية التي يتغنى بها هؤلاء الأغنياء ؟! هل تمسك الفتاة بدينها ينافي الحرية ؟! ولكنهم قد طمس على أعينهم المال وفتنة الدنيا وشهواتها ، وهل يوافق والدك على أيّ شاب ترضينه أنت إذا تقدم إليك خاطبا ؟ .

قالت فوز : المهم أن أبتعد عن البيت ، لا يريدون سماع كلام الله ،..إنهم لا يريدون سماع آيات القرآن تتلى في البيت أو أترك التدين.

قالت هند باستغراب: إلى هذه الدرجة لا يحبون شعائر الإسلام ! كنت أرى أنّ هذا النفور موجود

في شباب الأحزاب الشيوعية الماركسيين فقط ، أما العلمانيون كنت أظن أنهم لا يبغضون هذه الشعائر من الصلاة والصوم واللباس الشرعي .
قالت فوز بحزن وأسف : للأسف أنا أعرف أنّ والديّ ينفـران من هذه الأشياء من قبل أن أتوب إلى الله ؛ ولكن إلى هذه الدرجة فهذا لم يخطر في بالي.. لنا قريب شيخ كبير كان أحيانا يزورنا بصحبة ابن له يعمل في أمريكا ، فعندما يأتي هذا الابن من الغرب يجيء للسلام على والدي ، فيصحبه في هذه الزيارة أبوه الشيخ الكبير ، فيرفع الآذان من مسجد الحي ، فيقوم الشيخ للصلاة ، فأسمع أبي يعلق ساخرا : يا أبا ناصر! ما زلت تصلي ، لقد نسيت الناس هذه الطقوس .. ويأخذون في السخرية من الصلاة والآذان ومدفع رمضان ، كنت أظن الصلاة يومذاك تخلفا وجهلا ، وأنّ الصلاة للشيوخ الكبار فحسب .. استغفر الله .. مشاهد مؤلمة تمر في مخيلتي اليوم .. كنت لا أكترث لها يا صديقتي العزيزة ! .. هل من حل عندك يا هند ؟

قالت هند بصراحة وبعد برهة من التفكير والصمت : سأكلم أخي مهديا عنك أترضينه يا فوز؟!

حملقت فوز في عيني هند لحظات وقالت وهي في حالة اندهاش : أخوك مهدي ذاك الشاب المتشدد يرضى بي؟!..هل مثل هذا الشاب يفكر بالزواج ؟! هند أنا لم أنس ما فعلوه أمام الحاكم منذ شهور ، وما عرضوه عليه أثناء الاحتفال ، وطلبهم منه تحكيم القوانين الإسلامية والإسلام سلوكا وشريعة على العباد ، وغضب الحاكم عليهم يوم ذاك ، وقد سمعنا عن الشغب الذي حدث في ذلك اليوم .. مهدي يرضى بي أنا فوز نصار ؟!

فقالت هند : ومن ذلك اليوم وأجهزة الأمن السرية تطارده ، وكاد أن يقع بين أيديهم منذ أيام وهل الشرع يمنعه من الزواج ؟! ..صحيح أنه يحمل أفكارا لا تعجب حكامنا ؛ ولكنه إنسان له قلب .

فقالت فوز متفكرة متذكرة : لقد رأيته مرتين .. مرة عندما كنت أتردد عليك وأنا ألبس ملابس الكاسيات العاريات ، فدهش من رؤيتي وحياني بحياء ، ولما سألتك من هذا يومها ؟ قلت إنه مهدي شقيقك ، وكان يومها خارجا من البيت ، وأما المرة الثانية رأيته في الجامعة عندما جاءك لغرض ما.

قالت هند باسمة: نعم ، هو هذا مهدي مروان ، وسيدهش عندما أعرض عليه الزواج منك ، لقد كان يظن في أول الأمر يا فوز! عندما اقتحمت علينا حياتنا وبيتنا أنك تعملين مع أجهزة الأمن ، وأنهم دفعوك للتجسس علينا ، وأنك مجندة للأمن

السياسي .

فقالت فوز بدهشة : أوه ..هل هذا هو تفكيره ؟!

قالت هند : أنت تعرفين شباب الأحزاب الإسلامية ، فهم يخشون اختراقهم من قبل رجال الأمن ، فكان مهدي يذهب إلى ذلك التفكير ؛ ولكنه لما حدثته عن قوة توبتك ، وأنك جادة في التغير دعا لك بالثبات والنجاح .. وسوف تكون مفاجأة له عندما أخطبه لك .

فقالت فوز: أشكرك جدا ، فهذا دليل آخر على حبك لي حبك الكبير ، متى أسمع رده يا أختي العزيزة ؟

فقالت هند: فكما تعلمين أنه ما زال مطاردا منهم ، وبيتنا ما زال مراقبا ؛ ولكنه يتصل بي غالبا فعندما يتصل كعادته سأسر له بالأمر ، وأتصل بك لترتيب الأمر .. أمر هذا الزواج العاجل

فقالت فوز : كأنك واثقة من موافقته .

فقالت هند وهي تبتسم : ولـمَ لا يوافق ؟! فأنت فتاة جميلة وذات دين .. وتمرين بظرف صعب وهو يمر بظروف مماثلة ، وهو يسكن في منزل وحيدا فتسكنين معه حتى تكف الحكومة عنه ، ومهدي لي معزة خاصة في قلبه ، ومهما أطلب منه ينـفذ ، وأرجو من الله تعالى أن يتم هذا الزواج يا فوز ! فأنت تستحقين كل خير ومساعدة .. والحمد لله أنّ أباك موافق على زواجك ممن تختارين ، ولا يريد أن ينظر لمال أو غنى أو فقر.. ومهدي شاب جامعي فهو مهندس .. ومشكلته مع الحكومة سوف تنتهي بإذن الله .

وتعانقت الفتاتان ، ومسحت فوز ما تساقط على وجنيتها من دمع ، وبعد أن صلت فوز العشاء جماعة مع هند ، غادرت عائدة لمنزلها ، وقد خفت الثورة التي في قلبها التائب إلى مولاه عز وجل

هند تتحرك

بعد توديعها لصديقتها الجديدة عادت هند لحجرتها ، وقد استغرقتها مشكلة فوز وأهمتها المشكلة ، وشغلتها عن واجباتها الأخرى ، وكانت مستغربة لموقف أسرتها القاسي معها، ورعبهم من توبتها وإسلامها مع أنهم يحملون اسم المسلمين على كواهلهم وأوراقهم الرسمية، حتى أنهم يرغبون بتسفيرها خارج البلاد ، أو تزويجها بأسرع حين لئلا يشاهدونها تعبد الله وتسمع كتاب الله .. يخافون إيمانها؛ كأنها وباء أصاب البيت .. ألهذا الحد يصل النفور من الإسلام عند هؤلاء القوم ؟! لماذا يبغضون الدين ؟! أهذه هي العلمانية والحرية الفردية التي يترنمون ويتغنون بها ليل نهار؟! كان من الأجدر أن يروا ذلك نورا بزغ وأشرق في بيتهم وساحتهم .. هل الانغماس في اللهو والموبقات يفعل كل هذا الكره للدين ؟!

ولكن الناس في هذا الزمن يصدر منهم العجب

العجاب من الغرائب والأفعال والأحوال، وعندما تتحدث وتتحاور مع هذه الأنواع من البشر.. وتكلمهم عن الحرية وحرية العبادة والاعتقاد يردون عليك بصلف " أن التدين يشكل خطرا على العلمانية والحرية والديمقراطية والفن " .. لماذا ؟!

ها هم الغربيون الذين يقلدهم هؤلاء الناس ، ويتبعونهم يسمحون للناس بالعبادة وزيارة المعابد والتردد عليها وإظهار شعائر أديانهم إلا في بلاد المسلمين يشكل التدين خطرا على الحرية

ودارت في ذهنها ودماغها أفكار كثيرة ثم همست بصوت منخفض : أيقبل مهدي بالزواج وهو في مثل هذا الظرف؟! أيقبل بالزواج من الآنسة فوز سامي؟! هل هي الزوجة المناسبة للمهندس مهدي يا هند ؟! .. فتاة مثلها وفي سنها تترك الملذات والمال تستحق المساعدة .. كل المساعدة .. تستحق أن نقف معها ونشد أزرها .. حبيبتي فوز .. ألقيت حملك عليّ ..لماذا لا يتزوج ؟! ألم ينتهِ من الدراسة ؟ وهل يجب ويلزم العمل قبل الزواج ؟ .. وأمر الحكومة والاختباء سينتهي كما انتهى غيره من الاختباء والاختفاء .. وعندما يعتقل كما اعتقل كثيرا من المرات سيحبس بضعة شهور وينتهي الأمر .

هل هو الزوج المناسب لفوز؟ ربما قبلت اضطرارا وخجلا مني .. فهو شاب يحمل فكرا حركيا يسعى بقوة واندفاع نحو عودة الحياة الإسلامية للمجتمعات الإسلامية .. وكثير من شباب الإسلام في الشرق والغرب يسعون لهذا الهدف .. مجتمعات تعج بالأحزاب العلمانية من قومية واشتراكية لماذا لا يكون هناك أحزاب إسلامية ؟!

أمضت الفتاة ساعة أو أكثر وهي تدرس موضوع اقتران مهدي وفوز .. فظروف مهدي هذه الأيام صعبة وقلقة .. وفوز تمر في ظرف غريب وصعب إما التخلي عن التدين وإما الزواج .. فوز فتاة تابت من عهد حديث وهي بحاجة للدعم .. ولكن هل تناسب مهديا المتمسك بدينه وصلاته منذ نعومة أظفاره ؟.. أخي مهدي يسمع كلامي وآرائي .. وفوز طيبة ومحبة للتدين والدعوة رغم حداثة التزامها بأمر الله ونهيه.. لقد تركت كل هذا الإغراء والمدنية وراء ظهرها وتمسكت بالإسلام .. إنها تريد الإسلام الحقيقي .. لقد كانت سنة عاصفة ومهمة في حياتها .. صحيح أن مرض صديقتها جميلة وموتها أثرا فيها ودفعاها للتفكير بالمرض والموت والبحث عن السعادة الحقيقية ؛ ولكن تأثيرها بعد كل هذه الشهور لابد أنه خف وضعف .. فكم يمرض من الناس يوميا ؟ وكم يدفنون من الموتى ؟! .. إنها تريد الله سبحانه ! ..فزواجها من مهدي سيساعدها كثيرا في الثبات

والقبض على دينها .. الفتن كقطع الليل المظلم .. ولكن المشكلة ظروف مهدي وصراعه مع النظام والأمن

اتصلت بأخيها معتصم وطلبت منه إذا اتصل به مهدي أن يتصل بها لأمر هام ومثير .. والتقت هند بأخيها مهدي في منزل إحدى خالتها ، وترك لهم محمد ابن خالتهم حجرته ، فشرحت له سبب هذا اللقاء المهم والمشكلة التي تحاول حلها ، ورغبته بالاقتران من فوز وبينت له أن القضية ليست قضية شفقة وعطف .. والعرسان لدى والدها كثر؛ ولكنها ترغب بزوج صاحب خلق ودين لتحافظ على توبتها ودينها وأخلاقها .. وأنها قد ألقت حملها على هند ورأت فيها الصديقة التي تستطيع مساعدتها والوقوف بجانبها في هذه المحنة والتحدي .. وأبوها لم يشرط عليها إلا أن يكون العريس متخرجا من جامعة فقط .. وعندما يعلم الرجل باختيارها لمهدي سيقبل باختيار ابنته .

قال مهدي : ومشكلتي مع البوليس السري ؟

ـ فوز تعرف ذلك .. ولم تعترض على اختياري لك ، ولا على ظروفك .. إنها استبعدت قبولك أنت الملتزم والمتشدد في نظرها ونظر الكثير في الرضا بها قرينة .. الوضع ليس طبيعيا مائة بالمائة وبعد مناقشة الأمر من جوانب مختلفة .. والحديث عن حياته المضطربة هذه الأيام ، وقد يعاقب ويحبس هذه المرة أكثر من المرات السابقة .. وهونت عليه هند الأمر ، وأنها ستضع فوزا بالصورة القاتمة.. وأن المشاكل مع الأمن السري ستنهي يوما ما ، وأن الزواج مصير الكائن الحي ، وأن هذه الظروف لا تقف عائقا أمام مشروح الزواج العاجل.. وفي نهاية اللقاء استسلم مهدي لأفكار هند بالزواج من فوز في هذه الظروف .. وتناولوا الغداء مع خالتهم وابنها محمد الشاب الذي يدرس هو الآخر في كلية الهندسة .. ولما عرض الموضوع على محمد ، شجع بدوره مهديا على الزواج رغم ظرفه وقال أيضا : فوز فتاة شجاعة بما سمعت منكم عنها .. فهجر مغريات الدنيا في بيئة كبيئتها شجاعة يا مهدي .. وإن كنت تخشى ما يسمونه المستقبل ففوز لم تتلوث كثيرا ببيئتها .. فمن كلام هند عنها فهي جادة في الابتعاد عن حياة وطباع والديها وجيرانها .. فلا أعتقد أن هندا تتحدث عنها بعاطفة فحسب .

قالت هند : والله أنا أحببتها في الله عزّ وجل .. وأتمنى لها كل الخير.. ولم يخطر في بالي أن تكون زوجة لأخي الفاضل .. ولكن تسارع الأحداث بهذه العجلة ولجوئها إليّ ، ودموعها بين يديّ كل هذا دفعني لعرض الموضوع على مهدي .. فأنا صحيح أعرف كثيرا من الفتيات والصاحبات ولكني لا أعرف إخوانهن .. ولم يخطر في بالي

لحظتها إلا مهديا .. فحدثتها عنه فسرت ، ولم ترفض بل وافقت وقالت " متى يكون رده ؟! " فضحك محمد وقال: هذا من حبها وتقديرها لك يا هند .. لا أحد يتعرف عليك ويكرهك .. كلنا يعرف علم هند وتدينها وثقافتها . . إلى اللقاء

إن الْمُغيرَة أخْتَار هَذَا فدفعهُ إِلَيّ

حَدثنَا زيد بن أسلم عَن أَبِيه أَن عمر بن الْخطاب رضى الله عَنهُ اسْتعْمل الْمُغيرَة بن شُعْبَة على الْبَحْرين فكرهوه وأبغضوه قَالَ فعزل عَنْهُم قَالَ فخافوا أَن يرد عَلَيْهِم فَقَالَ دهقانهم إِن فَعلْتُمْ مَا أمركُم لم يرد علينا قَالُوا أمرنَا بِأَمْرك قَالَ تجمعون مائَة ألف دِرْهَم حَتَّى أذهب بهَا إِلَى عمر وَأَقُول إِن الْمُغيرَة أخْتَار هَذَا فدفعهُ إِلَيّ قَالَ فجمعوا لَهُ مائَة ألف دِرْهَم قَالَ فَأتى عمر فَقَالَ إِن الْمُغيرَة اخْتَار هَذَا وَدفعه إِلَيّ قَالَ فَدَعَا عمر الْمُغيرَة فَقَالَ مَا يَقُول هَذَا قَالَ كذب أصلحك الله إِنَّمَا كَانَت مِائَتي ألف قَالَ فَمَا حملك على ذَلِك قَالَ الْعِيَال وَالْحَاجة قَالَ فَقَالَ عمر للعلج مَا تَقول قَالَ لَا وَالله لأصدقنك أصلحك الله وَالله مَا دفع إِلَيّ قَلِيلا وَلَا كثيرا قَالَ فَقَالَ عمر لِلْمُغِيرَة مَا أردْت إِلَى هَذَا العلج قَالَ الْخَبيث كذب عَليّ فَأَحْبَبْت أَن أخزيه .

مكر ملك الروم

الْأَصْمَعِي قَالَ وَجه عبد الْملك بن مَرْوَان عَامر الشّعبِيّ إِلَى ملك الرّوم فِي بعض الْأَمر لَهُ فاستكثر الشّعبِيّ فَقَالَ لَهُ من أهل بَيت الْملك أَنْت قَالَ لَا فَلَمَّا أَرَادَ الرُّجُوع إِلَى عبد الْملك حمله رقْعَة لَطِيفَة وَقَالَ إِذا رجعت إِلَى صَاحبك فأبلغته جَمِيع مَا يحْتَاج إِلَى مَعْرفَته من ناحيتنا فادفع إِلَيْهِ هَذِه الرقعة فَلَمَّا صَار الشّعبِيّ إِلَى عبد الْملك ذكر مَا أحتاج إِلَى ذكره ونهض من عِنْده فَلَمَّا خرج ذكر الرقعة فَرجع فَقَالَ يَا أَمِير الْمُؤمنِينَ أَنه حَملَنِي إِلَيْك رقْعَة نسيتهَا حَتَّى خرجت وَكَانَت فِي آخر مَا حَملَنِي فَدَفعهَا إِلَيْهِ ونهض فقرأها عبد الْملك قَالَ فَأمر برده فَقَالَ أعلمت مَا فِي هَذِه الرقعة قَالَ فِيهَا عجبت من الْعَرَب كَيفَ ملكت غير هَذَا أفتدري لم كتب إِلَيّ بِمثل هَذَا فَقَالَ لَا فَقَالَ حسدني عَلَيْك فَأَرَادَ أَن يغريني بقتلك فَقَالَ الشّعبِيّ لَو كَانَ رآك يَا أَمِير الْمُؤمنِينَ مَا استكثرني فَبلغ ذَلِك ملك الرّوم ففكر فِي عبد الْملك فَقَالَ لله أَبوهُ وَالله مَا أردْت إِلَّا ذَلِك

رجل مشؤوم

أَتَى عبد الْملك بن مَرْوَان بِرَجُل كَانَ مَعَ بعض من خرج عَلَيْهِ فَقَالَ اضربوا عُنُقه فَقَالَ يَا أَمِير الْمُؤمنِينَ مَا كَانَ هَذَا جزائي مِنْك قَالَ وَمَا جزاؤك قَالَ وَالله مَا خرجت مَعَ فلَان إِلَّا بِالنّظرِ لَك وَذَلِكَ أَنِّي رجل مشؤم مَا كنت مَعَ رجل قطّ إِلَّا غلب وَهزمَ وَقد بَان لَك صِحَة مَا ادعيت وَكنت لَك خيرا من مائَة ألف مَعَك فَضَحِك وخلى سَبيله .

مواقف تربوية

ازدراء النعم

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ – ﷺ – « انْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَلاَ تَنْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَكُمْ فَهُوَ أَجْدَرُ أَنْ لاَ تَزْدَرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ ».متفق عليه

نعم الله لا تعد ولا تحصى كما أخبر الله في الكتاب العظيم ، كان بدر يرافق لبيبا ومطرا زملاءه في الشركة حيث يعملون ، وبينما هم يجتازون أحد الأحياء الراقية عمرانيا تعطلت السيارة التي يقودها فسب ولعن ، وقال ، وهو يتوقف رويدا رويدا : تعطلت أيها الأصدقاء!

ونزل منها وفعل صاحباه مثله ، وفتحوا غطاء المحرك ؛ لعلهم يصلحون العلة الطارئة ، وبينما هم يفتشون عنها ، قال مطر : أتدرون أننا نقف بالقرب من فيلا السيد حاتم ؟! إنها تلك البناية ـ وأشار بيده نحوها ـ لقد دخلت هذه الفيلا من زمن ليس بالبعيد أيها السادة الكرام .

فقال لبيب: وماذا رماك عليها ؟ ومن هو السيد حاتم ؟!

قال متحسرا أو حاسدا: جئت ذات يوم مع قريب لي ليصلح عطلا في الشبكة الكهربائية .. آه ! لما رأيتها من الداخل تمنيت أن أملك واحدة مثلها ؛ ولكني حسبت دخلي فوجدت أنني قد أحتاج لخمسين سنة أخرى لبناء طابق يا حبيبي .. عندما ترى السجاد والتحف والمناظر والأثاث تظن نفسك في قصور ألف ليلة وليلة التي يتحدث عنها القصاص .

فقال بدر مواسيا : قصرك في الجنة ـ إن شاء الله ـ أفضل وأحسن وأروع من كل فلل الدنيا يا رجل .. إن منديل سعد في الجنة خير من الدنيا وما فيها .

فقال مطر : يا عزيزي هذا يوم القيامة نحن نتكلم عن أحلام الدنيا .

فقال لبيب: تواضع في أحلامك "على قد فراشك مد رجليك"

ـ من أين يأتون بهذه الأموال لإنشاء مثل هذه القصور أيها الأصدقاء؟ لو معك أموال يا سيد بدر مثل هؤلاء أتركب سيارة مثل هذه ؟ كل يوم تتعطل .. وابحث عن ميكانيكي يقبل الإتيان إلى مكان العطل ومضاعفته أجرة التصليح .

ـ الحمد لله يا رجل الحمد لله ألف ألف مرة ، لها عندي أكثر من ثلاث سنوات .. وها هي تقضي المصلحة والله كريم !

ردد لبيب : الله كريم ! أنا كما تعلمون اضطررت أن أتخلص من سيارتي من كثرة الأعطال .. ولي فترة أفكر بشراء سيارة بالتقسيط عن طريق البنك ؛

لكن بعض الشيوخ ينكر هذا الأمر ، وبعضهم يجيزه ، وضعنا بين المحلل والمحرم .

فقال بدر: الله يفتح عليك .. صاحب هذه الفيلا اسمه حاتم يا مطر !

ـ نعم اسمه حاتم .. فقريبي بلال يعرفه جيدا ، واشتغل في أحد مصانعه كعامل صيانة ، وأولئك الأغنياء لولا حاجتهم لمثلنا في التصليح في الصيانة لما تعرفنا عليهم ؛ الأغنياء لا يحترفون مثل هذه المهن .

فقال لبيب موضحا : يا فهيم ولماذا يحترفون هذه الحرف والمهن ؟! وهم يملكون المال ويستطيعون فتح مصانع كبيرة .. هكذا الدنيا .. لقد شوقتنا لرؤية القصر من الداخل.. آ يا بدر ! هل سياتي الميكانيكي أم نستعد للنوم هنا ؟

ـ ننام في ضيافة السيد حاتم عند الضرورة ، وعدني بالمجيء وأعتقد أنه سيعرف المكان .. فهو صديق ، وكل العيلة تصلح سياراتها عنده فلابد أن يأتي .

فقال مطر : سيأخذ أجرة أكثر

ـ بالتأكيد يا صديقي! المهم أن لا نحتاج لونش يسحبها لورشته .

فقال لبيب : سأتحدث مع مدير الشركة واعلمه بالعطل والتأخير .

ـ افعل ، وعلينا أن نتحمّل غضبه عند العودة .

فقال مطر : لقد عادت إليّ كل المشاعر والأحاسيس والأحلام عندما زرنا هذا القصر ..كل هذا الحي على هذه الشاكلة .. بلال قال : لا تتعب قلبك بالحسرات

فقال لبيب : معه حق !

وظلت الخواطر والصور في قلب الشباب حتى أقبلت سيارة التصليح فهتف بدر : الحمد لله ..ها هو الشيخ قد لبى النداء!

وتقدم نحو السيارة الورشة التي توقفت خلف سيارته ، ورحب بالشيخ الميكانيكي وصافحه الفني ، وصافح الآخرين ، وجرى التعارف بينهم ، ثم تقدم الفني غسان نحو السيارة المعطلة وقال : ما الذي حدث يا عّم بدر؟

ـ كنّا قد غادرنا الشركة في مهمة ميدانية ، ولما دخلنا هذا الحي الرهيب شعرت أن السيارة ليست على ما يرام فأوقفتها ، وفتحت غطاء المحرك ، ولم أعرف سبب توقفها .

ـ جيد ! فعلا أعجبتني كلمة الحي الرهيب .. هذا من أكثر أحياء المدينة قصورا وفيلات كما نقول اليوم .

فقال مطر: هذا جميل من الخارج ..كيف لو أنك دخلت أحد قصوره مثلي؟ .. لي ساعة أتخيل حياة هؤلاء البشر

..كيف أتوا بالأموال لبناء مثل هذه القصور ؟
فقال غسان : هذا السؤال فعلا !!
فقال لبيب مجيبا عن سؤال مطر : من البنوك .
غسان مؤكدا : هذا صحيح من القروض الربوية والبنوك ؛ ولكن التسديد كيف ؟
فقال بدر : المصانع والمحلات الضخمة التي يملكونها .
فقال غسان لمطر: أي قصر دخلته ؟ نحن في الورشات نلتقي بمثل أصحاب هذه القصور لتصليح سياراتهم وتنظيفها .
أشار مطر لقصر السيد حاتم وقال: هذا القصر !.. رافقت قريبا لي لتصليح عطلا كهربائيا ..كانت سيارته في التصليح يومها ، وطلب مني نقله والذهاب معه وتكفل بالبنزين فاستحييت وجئت ويا ليتني ما جئت ..قضيت أياما في الحسرة والأحلام بامتلاك بيتا مثله حتى كدت أن أخسر المرأة من كثر ما حدثتها عنه .
فقال لبيب ساخرا : كيف لم نسمع بهذه الكارثة يا...؟
تابع مطر: قالت : يا رجل شوقتني لقصر مثله فلماذا لا نشتري قصرا مثله راتبي وراتبك ؟ فضحكت وقلت: راتبي وراتبك كم سنة ونحن نجمع ليكون لدينا قصر ؟ربما مائة عام .. فقالت: وما الفائدة من الحياة في قصر ولنا من العمر كل واحد مائة عواجيز ؟! هل سنتنعم فيه ونحن في هذه السن ؟ واشتد الجدل والنظر وصار شجار قبل أن تتدخل أمي وتعيدنا للواقع والحياة البسيطة التي نعيشها وألا نخسر بعضنا بسبب الأحلام الكبيرة .
فقال بدر : الحمد لله أن الوالدة تدخلت بالموضوع قبل الوصول للمحاكم .. وأنت يا شيخ غسان عمرك دخلت بيوتا مثلها .
ابتسم الشيخ وقال : شغل السيارة
كان الحديث يجري والرجل يمارس عمله ، ركب بدر السيارة ، وشغل المحرك فاشتغل ، وأخذ غسان يلملم عدته وأدواته ويضعها في سيارته .
فقال بدر وهو ينزل :خشيت أن اضطر لونش ونقلها للورشة .
ـ هي أرزاق .. العطل بسيط ، أوساخ أو شوائب من النفط أغلقت بعض الأنابيب أي خدمة يا أستاذ بدر ؟
ـ شكرًا يا معلم والمساء سأمر عليك وادفع الحساب .
ـ سلامة خيرك .. أنت زبون دائم ومعروف .. وكذلك أهلك وأقاربك .. ونحن في خدمة الناس الطيبين ..

سألتني هل دخلت أحد هذه القصور؟ الجواب نعم وفي هذا الحي قدر لي أن أدخل بعضها لتصليح سيارة توقفت فجاءة أو تعرضت لحادث وصلحتها وأحضرتها لصاحبها.. الله هو الذي قسم المعايش بين الناس .. فمنا من وسع عليه ، ومنا من ضيق عليه ؛ ليعمر الكون ، وهذا يعمل لهذا وهذا .. لا تصلح الدنيا إلا بهذا التوازن الغني والفقير وما بينهما .

قال لبيب: هذا صحيح .. وهل للإنسان خيار في ذلك ؟

ـ هو قدر ..الرزق مقدر ؛ ولكن فيه نوع من الخيار.. هناك من يغنى بالميراث .. وهناك من يغنى ببيع الأراضي بارتفاع أسعارها في مناطق معينة ..وأغلب سكان هذا الحي غنوا من ارتفاع أسعار الأرض التي ورثوها بسبب بناء مؤسسات كبيرة على أراضيهم .. وبعضهم من أقاربهم وأبنائهم في الخارج وأمريكا أو الخليج العربي.. أما مجرد رواتب موظفين مثلكم فإنها لا تكفي لبناء شقة صغيرة .

فقال بدر: علينا أن نذهب لأداء المهمة ..شكرًا لك يا شيخ غسان !

ـ لا شكر على واجب ؛ ولكن قبل أن نفترق أحب أن أذكر لأخينا مطر ولكم حديثا مهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ – ﷺ – « انْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَلاَ تَنْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَكُمْ فَهُوَ أَجْدَرُ أَنْ لاَ تَزْدَرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ ».

فقال بدر : رائع ! عظيم هذا الحديث!

فقال مطر : بالتأكيد رائع ونصيحة نبوية ما دام خرج من فم النبي ﷺ فقال لبيب : وضح لنا أكثر يا شيخ غسان .

ـ جميل ! يعني الإنسان السليم ينظر للمريض فيعلم كم هو في خير ونعمة ، والمريض بمرض معين ينظر للأشد منه مرضا فيحمد الله .. والذي يعمل موظفا مثلكم ينظر للموظفين الأقل منه راتبا ودخلا فيشكر الله .. فهذا أجدر أن لا يحتقر الإنسان النعمة .. فالعافية نعمة ، والقدرة على المشي نعمة.. وغيرك يتمشى على عجلة أو يمسك عصا ..أما في الطاعة والعلم فالإنسان ينظر إلى من هو أعلم منه .. وكلما حاول الوصول وجد من هو أعلم منه وأعبد منه.. والإنسان يحق له أن يتمنى أن يكون له مثل ما عند هؤلاء ؛ ولكن المحرم أن يتمنى زوالها عنهم.. دائما انظر إلى من هو أقل منك مالا صحة أخلاقا فستجد نفسك من السعداء المستمتعين بالحياة والراضين بما قسم الله لهم .

فقال بدر : حقيقة يا غسان أنت عسل وكلامك بلسم للنفوس عندما يشطح بها الخيال والحسرة.. نسأل الله أن يرزقنا القناعة والسلامة .

ـ أمين ! وشكرا لكم على صبركم على استماعي وإلى اللقاء .

وركب سيارته، وركبوا سيارتهم ،وهم يذكرون حديث النبي ﷺ .

مشاهد تربوية

نصيحة

{ إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ }(١٠) المجادلة

كانا يجلسان مروان وحماد على أريكة خشبية في إحدى الحدائق العامة ، فقال الأول لرفيقه : ألم أنبهك أكثر من مرة ألا تتناجى مع أحد دون الآخرين خاصة عندما تكونون ثلاثة يا حماد؟! عندما يراك زيد تناجي خالدا دونه يتضايق ، ويتألم منك ومن تصرفك.. عندما يكون الكلام سرا ومهما أخره حتى تكون أنت وخالد وحدكما ، فقال لي زيد: إذا كان بينهما حديث خاص وأسرار فلماذا يطلبان مرافقتي والسير معهما ؟ .. فليتحدثا قبل أن نلتقي أو بعد اللقاء .. فهذا أمر محزن يا مروان "

صاح حماد لائما لنفسه : كم أنسى !! كم أنسى يا أخي هذا !.. الأخ خالد يتحدث في مواضيع خاصة في مشاكل العائلة ، ويحب سماع رأيي ووجهة نظري فيها.. ولكني أوعدك أيها العزيز أن انتبه لهذا الوضع في المرات القادمة .. ولا أسمح له بجري لأحاديث جانبية ونحن مع الأصدقاء والزملاء .. أرجوك أن تعتذر له عني ، وأنا نفسي سأعتذر أيضا .. الأخ زيد صديق عزيز

فنهض مروان قائلا : عندما يكون لدى الأخ خالد مشكلة خاصة فأجلوا الحديث فيها لجلسة خاصة .

التقى حماد بزيد فقال: أعتذر إليك يا زيد عن الإساءة أو الإساءات التي لحقت بك من جهلنا وغفلتنا فأنا سمعت وقرأت حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ الذي يقول فيه " إِذَا اجْتَمَعَ ثَلَاثَةٌ فَلَا يَتَنَاجَى اثْنَانِ دُونَ الثَّالِثِ " .. ولسوف يتأسف لك خالد.. كنا نسبب لك الحزن بغير قصد ..وأطلب منك أن تحدث مروان باعتذاري .. لقد كان يعاتبني بغضب عن هذا التصرف فهو غاضب عليّ.. فهو يعزك ويقدرك .

قال زيد : لن يغضب مروان منك ، فأنا شكوت الأمر لمروان عرضا .. وأنا كظمت غيظي .. ولكن لما قال لي الأخ

مروان " إن حمادا يزعم أنك نافر منه ؛ وكأنك تتجنب الوقوف معه أثناء الفرصة " اضطررت أن أبين له سبب موقفي هذا " .. والحق أن تصرفكم وتناجيكم تكرر أكثر من مرة ، فرأيت أني لست أخا ثقة عندكم فانسحبت بهدوء .. وأنا أقبل اعتذارك .. وأنا ذكرت لصديقنا مروان عندما يكون بينكم حديث خاص .. لا داعي لدعوتي للجلوس معهم ومرافقتهم .. أو عندما أنسحب وأفترق عنهما يتناجيان بأسرارهم .

ـ آسف جدا جدا أيها الأخ الفاضل أرجو أن لا يتكرر منا هذا الفعل .. صدق يا زيد أنك عزيز على قلبي .. لكن الأخ خالدا لديه مشاكل أسرية ، وعندما يلقاني يطيب له الحديث حول مشاكله ليسمع رأيي ووجهة نظري ، فاضطر للانفراد به وأنصحه بالمناسب .. وأنسى وجودك معنا ، وأننا نتحدث وحدنا..

أنا أعلم أن النجوى من الشيطان .. ونعوذ بالله من الشيطان اللعين

فقال زيد : وأنت التمس لي عذرا .. واعذرني أيضا عن إزعاجي لك ولخالد .

ـ أبدا أنا مسرور من فعلك وعتبك ، فقد ذكرتنا أدبا نسيناه ، وغفلنا عنه أيها الحبيب .. والأخ مروان يستحق الشكر على شجاعته ، فهو شجاع ولا يهاب في بيان ونصح إخوانه .

وبينما هما يتسامحان أقبل نحوهما زميلهم خالد ، فرحبوا به وهم يبتسمون ، وبعد تبادلهم التحية همس خالد في أذن حماد : أريد الحديث معك على انفراد .

فضحك حماد وهو ينظر إلى زيد وقال : قبل دقائق كنت أعتذر لصديقنا زيد عن الأذى النفسي الذي سببناه له بمنجاتنا الخاصة .

غض خالد بصره وقال وهو يضرب جبينه بكفه : أنا آسف جدا يا زيد .. إنما هي قضايا عائلية يعرفها حماد .. أعتذر إليك سامحني يا أخي .. ونحن مغادرون المدرسة أتشاور معك يا حماد .

قال زيد : سامحك الله .. واسمحوا لي بالانسحاب .

صاح حماد : لن نتكلم بشيء خاص يا زيد .. أرجوك !

ولحق خالد بزيد وأمسك به وهو يردد قائلا : إذا لم تبق معنا.. معنى هذا أنك ما زلت متضايقا منا .. لا تؤاخذني..

أنا عندما أشرك حمادا بمشاكلي الخاصة ؛ إنما أفعل ذلك خشية إزعاجكم وتقولون ما لنا ومشاكل خالد .. فالأخ حماد قريب لوالدتي .. والمشاكل بين أبي وأمي .. فحماد يسمع بمشاكل الأسرة.. فأنقل له

الصورة الصحيحة .. لا تغضب .

وعن ابن عمر ﷺ : أَنَّ رسولَ الله – ﷺ – قَالَ : ((إِذَا كانُوا ثَلاثَةً ، فَلاَ يَتَنَاجَى اثْنَانِ دُونَ الثَّالِثِ)) . متفق عَلَيْهِ .

ورواه أَبُو داود وزاد : قَالَ أَبُو صالح : قُلْتُ لابنِ عُمرَ : فَأرْبَعَةً ؟ قَالَ : لا يَضُرُّكَ .

وعن ابن مسعود – ﷺ – : أنَّ رسول الله – ﷺ – قَالَ : ((إِذَا كُنْتُمْ ثَلاَثَةً ، فَلاَ يَتَنَاجَى اثْنَانِ دُونَ الآخَرِ حَتَّى تَخْتَلِطُوا بالنَّاسِ ، مِنْ أجْلِ أنَّ ذَلِكَ يُحْزِنُهُ)) . متفق عَلَيْهِ .

إلى من بعثت

قيل إن رجلاً ادعى النبوءة في أيام أحد الملوك. فلما حضر بين يديه قال له: أنت نبي. قال: نعم. قال: وإلى من بعثت. قال: إليك. قال: أشهد أنك سفيه أحمق. قال: إنما يبعث لكل قوم مثلهم. فضحك الملك وأمر له بشيء .

ما معجزتك

تنبأ إنسان فطالبوه بحضرة المأمون بمعجزة. فقال: إني أطرح لكم حصاة في الماء فتذوب. قالوا: رضينا. فأخرج حصاة من جيبه وطرحها في الماء فذابت. فقالوا: هذه حيلة. نعطيك حصاةً من عندنا ودعها تذوب. فقال: لستم أجل من فرعون ولا أعظم كرامة من موسى. فلم يقل فرعون لموسى: لم أرض بما تفعله بعصاك حتى أعطيك عصاً من عندي تجعلها ثعباناً. فضحك المأمون وأجازه .

صرة من الدراهم

سرق رجل صرة من الدراهم ومضى حتى أتى إلى المسجد فدخل يصلي. فقرأ الإمام: [وما تلك بيمينك يا موسى] وكان هذا اسم الأعرابي. فقال: لا شك أنك ساحر. ثم رمى الصرة وخرج هارباً

الرشيد مع البدوي

مما يحكى أن أمير المؤمنين هارون الرشيد خرج يوماً من الأيام هو وأبو يعقوب النديم وجعفر البرمكي وساروا في الصحراء. فرأوا شيخاً متكئاً على حمار له فقال هارون الرشيد لجعفر: اسأل هذا الشيخ من أين هو؟ فقال له جعفر: من أين جئت؟ قال: من البصرة. قال له جعفر: وإلى أين سيرك؟ قال: إلى بغداد. قال له: وما تصنع فيها؟ قال: ألتمس دواء لعيني. فقال هارون الرشيد: يا جعفر مازحه. فقال: إذا مازحته أسمع منه ما أكره. فقال: بحقي عليك أن تمازحه. فقال جعفر للشيخ: إن وصفت لك دواء ينفعك فما الذي تكافئني به. فقال له: الله تعالى يكافئك عني بما هو خير لك من مكافأتي. فقال: أنصت إلي حتى أصف لك هذا الدواء

الذي لا أصفه لأحد غيرك.
فقال له: وما هو؟ فقال جعفر: خذ لك ثلاث أواق من هبوب الريح وثلاث أواق من شعاع الشمس وثلاث أواق من زهر القمر وثلاث أواق من نور السراج. واجمع الجميع وضعها في الريح ثلاثة أشهر. ثم بعد ذلك ضعها في هاون بلا قعر ودقها ثلاثة أشهر. فإذا دققتها فضعها في جفنة مشقوقة وضع الجفنة في الريح ثلاثة أشهر. ثم استعمل هذا الدواء في كل يوم ثلاثة دراهم عند النوم. واستمر على ذلك ثلاثة أشهر فإنك تعافى بإذن الله تعالى. فلما سمع الشيخ كلام جعفر قال: لا عافاك الله يا صاقع الذقن. خذ مني هذه اللطمة مكافأة لك على وصفك هذا الدواء. وبادره بضربة على أم رأسه. فضحك هارون الرشيد حتى استلقى وأمر لذلك الرجل بثلاثة آلاف درهم .

العليل والناسك

نزل رجل بصومعة ناسك فقدم إليه الناسك أربعة أرغفة وذهب ليحضر إليه عدساً. فحمله وجاء فوجده قد أكل الخبز فذهب فأتى بغيره فوجده قد أكل العدس. ففعل معه ذلك عشر مرات. فسأله الناسك عن مقصده. قال: إلى الأردن. قال: لماذا. قال: بلغني أن بها طبيباً حاذقاً أسأله عما يصلح معدتي. فإني قليل الشهوة للطعام. فقال له الناسك: إن لي إليك حاجة.
قال: وما هي. قال: إذا ذهبت وأصلحت معدتك فلا تجعل رجوعك عليّ وقال:

يا ضيفنا لو زرتنا لوجدتنا
** نحن الضيوف وأنت رب المنزل

امرأة طويلة

قَالَ الجاحظ رَأَيْت بالعسكر امْرَأَة طَوِيلَة الْقَامَة جدا وَنحن على طَعَام فَأَرَدْت أَن أمازحها فَقلت انزلي حَتَّى تأكلي مَعنا قَالَت وَأَنت فاصعد حَتَّى ترى الدُّنْيَا .
قَالَ الجاحظ أَيْضا رَأَيْت امْرَأَة جميلَة فَقلت مَا اسْمك قَالَت مَكَّة فَقلت أَتَأْذَنِينَ لي أَن أقبل الْحجر الْأسود مِنْك قَالَت لَا إِلَّا بالزاد وَالرَّاحِلَة .

قتله وتزوج ابنته

عن خبيب بن عبد الرحمن، عن أبيه، عن جده، قال: شهدت مع رسول الله [ﷺ] ، فقتلت رجلاً، وضربني ضربةً، فتزوّجت بابنته بعد، فكانت تقول: لا عدمتُ رجلاً وشحك هذا الوشاح؛ فأقول: لا عدمت رجلاً عجّل أباك إلى النار.

التحقيق الجنائي والجريمة

وصية جديدة

الحلقة الثانية الأخيرة

الاجتماع

في الساعة السابعة من مساء يوم الجمعة كانت أسرة نارم على موعد لسماع وصية الميت ، فكان أفراد الأسرة مجتمعين في إحدى قاعات القصر ، كلهم حضر الجلسة ، وكانوا يجلسون صامتين في انتظار الضابط الذي أتى ومعه عدد كبير من الأفراد والضباط ، ومعه الشاب المحامي ، وأتى صبرت بدوره وهو يحمل حقيبته السوداء ، وجلس الجميع فوقف الضابط أمامهم وقال : أيها الأخوة الأفاضل دعوناكم إلى المنزل الذي حدثت فيه الجريمة لتسمعوا لوصية السيد نارم ومن ثم نلقي القبض على القاتل الأثيم الخائن اللئيم الموجود بينكم .

ثم طلب من المحامي صبرت أن يقرأ الوصية القديمة ، فلما انتهى من قراءتها طلب منه أن يقرأ أمامهم الوصية الخاصة به ، وبعد أن انتهى قال المحقق : أيها الأخوة السيد نارم لم يحتفظ بهذه الوصية لقد لغاها وأمر بوصية أخرى ، وهي صحيحة وقام على تحريرها المحامي الشاب زكي وهي المعترف بها في المحاكم الشرعية وغيرها سيقرئها عليكم السيد المحامي زكي .

فلما انتهى زكي من قراءتها عليهم صمتوا وتعجبوا من تخفيض حصة المحامي صبرت من خمسين ألف إلى عشرين ألف ، وبعد تمتمات وهمسات لزم الجميع الصمت ليعرفوا المجرم القاتل فابتسم الضابط وقال : أيها الأخوة سيقوم رجال الشرطة بتفتيشكم لإخراج ما تحملون من أسلحة .. والأحسن أن يسلم كل من يحمل سلاحا سلاحه بدون تفتيش .

لم يفعل أحد ، فقام رجال الأمن بإخراج الأسلحة النارية ، فوجدوا مسدسا مع السيد صبرت وآخر مع الابن الصغير لنارم مدمن المخدرات ، ولما انتهى التفتيش وقف الضابط يقول أمام أعين الناظرين : أيها السادة .. أعلن أمامكم أن القاتل والمدبر لهذه الجريمة .. هو ..

وسكت وتطاولت إليه الأعناق ثم قال : هو .. المحامي السيد صبرت..

فحدثت ضجة في القاعة واحتجاج ، ولكن الشرطة كانت تلقي القبض على المحامي المدهوش، وتابع الضابط الكلام : وقام بتنفيذ الجريمة البستاني فريد وبمساعدة السيدة شما .

فعندئذ صاح المحامي مقرا : نعم أنا الذي رسمت جريمة القتل .. وأن السيد فريدا هو الذي وضع السم ، وأن السيدة شما هي التي أسقته الكوب المسموم .

خيم الذهول على القاعة ، وبدأت العيون تنظر إلى القتلة وهم في دهشة كبيرة وقال المحقق : سأشرح لكم الآن التفاصيل وعلى المحامي صبرت تصحيح ما أخطئ به .. بدأ التخطيط للجريمة بسبب خلاف حاد بين السيد نارم والسيد صبرت.. السيد نارم كان يعتمد كثيرا على السيد صبرت في شئونه المالية والعامة والخاصة وفي سفره وعلاجه وإدارة منزله وحل مشاكله مع أفراد الأسرة .. وهو يتقاضى راتبا جيدا منذ خمس وعشرين سنة ألفي دينار في السنة مقابل هذه الخدمات ، وكل قضية قانونية يرافع فيها عنه يأخذ عليها مكافأة ، ولما تزوج السيد نارم من السيدة سها بعد وفاة زوجته الأولى وتخلص من باقي أعماله وتفرغ لمرضه أكثر خف عمل صبرت القانوني إلا من بعض الاستشارات والخدمات الخفيفة ؛ لذلك قلص السيد نارم راتب المحامي إلى ألف ومائتين دينار ، مائة دينار شهريا ، وقبل السيد صبرت المبلغ على مضض لأنه في الحقيقة لا يعمل لدى نارم وطمعا بالمبلغ الموصى له بعد وفاة السيد نارم الخمسون ألفا ..وبصفته المحامي الخاص والصديق للأسرة كان يطلع على مشاكل الأسرة ، وكان الأولاد يعتمدون عليه في إصلاح الود بينهم وبين أبيهم كلما توتر واشتد .. والمشكلة الكبرى التي دفعت المحامي للتفكير بهذه الجريمة أيها الأخوة .. هو تفكير السيد نارم بتطليق زوجته سها للزواج من أختها شها بعدما ترملت لعلاقة وقصة قديمة بينهما ، ولكن شها لما علمت بذلك انزعجت وصارحت المحامي بما يعرضه عليها نارم .. وخوفها على أختها من الصدمة والأسرة من الدمار والمشاكل ، فطلبت من المحامي أن يصرف نارم عن هذه الأفكار وكان المحامي الأرمل منذ سنوات قد وضع عينه على شها وأموالها التي ورثتها عن زوجها الميت ، فلما تدخل المحامي في الموضوع وأراد أن يمنعه من تطليق زوجته سها والزواج من أختها الأرملة الجديدة طلب منه إلغاء الوصية، وأنه سيحرر وصية جديدة فماطله صبرت ، ثم أخذ يدبر للجريمة والقضاء عليه قبل تغيير الوصية ، وطلب مساعدة شها والبستاني مقابل عشرة آلاف دينار سوى ما لهما في الوصية ، وشعر نارم بالمماطلة والمراوغة فذهب إلى المحامي زكي وحرر وصية جديدة عنده وأخفى علاقته بالمحامي الجديد عن الجميع إلا السائق بصفته سائقه الخاص، ولم يكن يعرف السائق بالطبع بالمشاكل بين صبرت ونارم ، ولم يعرف لماذا تردد نارم على المحامي الجديد ؟فهو غير مكترث لم يقوم به السيد نارم ، صبرت طمعا بالخمسين ألف التي تكاد تطير من بين يديه ، وشها للتخلص من الزواج من السيد نارم وعدم طلاق

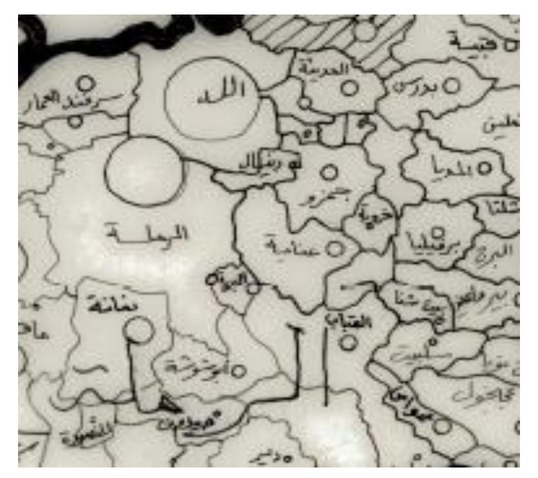
أختها، والبستاني الطمع بالثروة والاستفادة من الوصية قبل أن يموت قبل نارم ، ورتبوا الأمر أو رتبه المحامي لهم واختاروا يوم احتفال نارم بذكرى زواجه من أم الأولاد ، وقد أثار المحامي الأولاد على التخلص من أبيهم بطرق غير مباشرة بأن دفعهم للتفكير والتخطيط بالقتل لحل مشاكلهم المالية ، وهذا ما حصل نتيجة ظروفهم السيئة وتم ترتيب الجريمة .. أحضر المحامي السم للبستاني فريد ، والسم المستخدم هو مادة يستخدمها السيد لمعالجة عضلة القلب فاذا أخذت بكمية زائدة عن الجرعة المطلوبة فستؤدي للموت العاجل أو الغيبوبة قبل الموت ، والسيد صبرت يعرف تفاصيل مرض السيد نارم والعقاقير التي يتعالج بها ، أظهر البستاني للسائق حاجته لدخول الحمام بعد الأكل والشرب ، فتسلل للمطبخ ووضع السم في أحد الأكواب حسب اتفاقه مع السيدة شما ، وكانت الخادمة قد أعدت أكواب العصير للجميع والسيد نارم يعد له شراب خاص في كوب خاص ، قامت شما بإعداده وقدمته للسيد نارم بنفسها ، وكان التخطيط أن يتعرض السيد نارم لازمة قلبية ، فيظن أنها السبب وراء موته ؛ لأنه مريض بالقلب ويأخذ أدوية للقلب فيها بعض المواد السمية ولكنها بدرجات ضعيفة .. المهم أن لا ينتبه أنه مات مسموما ، فينسب الموت للأدوية ولكن يبدو أن كمية السم زائدة وقوية ، وظهرت أعراض السم على العيون والبدن واضحة .. وقد أدرك طبيب المستشفى أن الرجل مات بالسم ، وليس بالقلب فاضطر لتبليغ البوليس والباقي تعرفونه .. شما شاركت في الجريمة إنقاذا لأختها سما من الطلاق الذي كان على وشك الوقوع.. وأرملة خير من مطلقة ، وهناك دافع آخر فبعد أن تهدأ العاصفة تفوز بزواجها من المحامي صبرت ، والبستاني فاز بعشرة آلاف ، وكان عنده حقد قديم على السيد نارم ، فاستغله المحامي لوضع السم في كوب خاص بالسيد نارم ؛ لأنه خاف أن تضعف شما عن ذلك ، وأقنعه أنه دواء خاص للشفاء يرفضه السيد نارم ، وقد يؤدي لوفاته وقد يشفى شفاء كاملا ، ولما مات نارم تحدث مع المحامي فطلب منه لزوم الصمت ، وأنزل له في حسابه في البنك عشرة آلاف فلزم الصمت .. وأخيرا شكرا لكل من ساعدنا في معرفة هؤلاء القتلة ، وشكرا للمحامي زكي جميل على شجاعته وتعاونه معنا ، وشكرنا أيضا للسيد لطفي السائق الذي اطلعنا على كثير من المعلومات التي استطعنا بواسطتها الوصول للعقل المدبر لهذه الجريمة .. وهكذا الطمع في المال والغنى الفاحش دفعهم للقتل والإجرام ، وهكذا انتهت قصة مقتل السيد نارم . تمت بحمد الله

روايات قلب الوطن

قريتنا ...

الحلقة الثانية والأخيرة

أول الرحيل



الزراعة عماد حياة الفلاح الفلسطيني ، وعماد حياة البشر ، وسكّان القرى الفلسطينية جلهم مزارعون فلاحون ، ويتوارثونها جيلا بعد جيل ، وهي حياتهم ومعاشهم ، ويهتمون بوجود الدواب للحرث وللحمل وللنقل ، ويربون بعضها للحوم والألبان والأجبان والسمن ، والطيور للبيض والطعام ، فالقرية الفلسطينية أهم نشاطها الزراعة والحمضيات والخضار ، ونقلها للمدن الكبيرة لبيعها وشحنها للمدن الكبيرة والتصدير ، هكذا كانت مجموعة من القرى التابعة لمدينة الرملة المدينة الشهيرة في بلادنا ، فقراها تبلغ خمسون قرية ، منها دانيال البرية عنابة جمزو برفيليا القباب البرج خروبة ، وهي قريبة من خط قطار وطريق يافا القدس والإنسان الذي لا يملك أرضا للزراعة يشتغل عند عائلة زراعية أو يعمل راعيا لهم ، فلا يوجد بطالة في القرى والفلاحة ، فالعمل لدى الملاك لا ينقطع .

تزوج محمود علي أحد سكان القرية ذات العائلات والحمولات الكثيرة مرة أخرى .. وهذا شأن عادي في حياة الفلاح الفلسطيني ، وكانوا يسعون ويحبون المزيد من المواليد خاصة الذكور للأهمية لديهم من أجل تكثير الذرية للعمل والفلاحة ، فيتزوجون مرة وأُخرى للعزوة والفخر والعمل .. فالمطلقة تتزوج ، والأرملة تتزوج دون عائق اجتماعي أو شرعي، ولدت أمه فاطمة الكثير ، ولم يعش لها من زوجها قبل موته بحادث إلا واحدا سماه حسينا ، وهو اسم عربي إسلامي أصيل يحبه المسلمون ؛ لأنه اسم حفيد سيدنا محمد ﷺ ، ولصاحب البيارة محمود يونس المنسوبة للعائلة زوجات أنجبن عدة أبناء ، والزوجة الرابعة ولدت له ثلاثة أبناء وأنثى واحدة ، ولعم الطفل حسين الذي تزوج أرملة أخيه أربع بنات ولدن قبل ما سمي بالنكبة فقد أصبحت تاريخا قبل وبعد ، واحدة أو صغراهن ولدت من أم حسين ، فصار لليتيم حسين أخت من أمه ، ثم طلق العم بعد النكبة وتزوج أخرى رغبة بالأولاد ، فولدت ذكرين وعدة بنات ، واستقر العم في الضفة الغربية

حتى توفاه الله ﷻ .

كان حسين وحيد أبيه محمود ، وذكر وحيد لأمه ، فتربى في حضن أمه يتيما مع أخته من أبيه .. أخته لأمه لم تكن يتيمة ، هو وحده اليتيم .

مات والده وهو ابن سنتين على إثر حادث أليم قيل في انفجار بارود في محجر في البلد ، فتربى ونشأ يتيما وفي كنف عمه ، ولما حدثت الهجرة القسرية والنكبة الشهيرة كان غلاما يافعا .. ابن اثنتي عشرة سنة .

القرية كانت على طريق يافا القدس وخط السكة الحديد التي بينهما ، فكانت رحلة الهجرة والهرب من بطش عصابات الصهيونية باتجاه بيت دقو جهة القدس ، وأبناء محمود صاحب البيارة تجاه رام الله وظهرت مخيمات النكبة الخمسين أو تزيد ، فاجتازت أسر بيت دقو المهاجرة من ظلم وعدوان اليهود النهر نهر الأردن نحو مخيم الكرامة في غور الأردن الأوسط ، وبعضهم سار نحو مخيم الأمعري في رام الله ، وبعضهم مخيم الجلزون في رام الله أيضا ، وبعضهم إلى مخيم الزرقاء في شرق الاردن ، تشتت الشعب المهاجر شرقا وشمالا وجنوبا وغربا نحو مصر .

وسماهم العالم اللاجئين ، وأنشأوا لهم وكالة سموها وكالة الغوث الاونروا لإغاثة اللاجئين الفلسطينيين لإطعامهم ومساعدتهم للبقاء أحياء عالة عليها لليوم ، لذلك استأجروا لهم مخيمات لمائة سنة إلا سنة واحدة .

قضاء الرملة يزيد عن ستين قرية طرد أهلها منها ، ويزيدون عن ١٠٠٠٠ آلاف نسمة .

احتوى قطاع غزة ثمانية مخيمات جباليا النصيرات الشاطئ البريج خان يونس المغازي دير البلح رفح ، والضفة الغربية تضم ثلث مخيمات اللاجئين ١٩ مخيما ، مخيم عايدة عقبة جبر عين السلطان النعويمة الامعري دير عمار الجلزون قلنديا الدهيشة بيت جبرين الفارعة العروب بلاطة عسكر عين بيت الماء الفوار نور شمس جنين .

في الضفة الشرقية، مخيم الزرقاء ١٩٤٩ مخيم اربد١٩٥١، مخيم الحسين عمان ١٩٥٢ ، مخيم عمان واشتهر بمخيم الوحدات ١٩٥٥، مخيم سوف ١٩٦٧ جرش ، وأربعة مخيمات عام ١٩٦٨ الطالبية حطين الحصن غزة ، ومخيم البقعة قرب مدينة السلط.

كان للحزب العربي الذي أنشأه الحسيني جمال مقرا في تلك القرية ، وكانت قرية عنابة مقرا ومركزا لعدد من تلك القرى ، ولكن الفلاح الصغير الذي تعلم بضع سنين للسادس الابتدائي وحيد أمه كذكر بعيدا عن السياسة والأحداث الجسام .

ظهرت الأحزاب الستة المشهورة في فلسطين بعد عام ١٩٣١ م ، الحزب العربي لآل الحسيني

وأتباعهم ظهر كحزب ٣٥ ، وقبل هذا العام انشأ آل النشاشيبي منافسو الحسينية حزب الدفاع الوطني ، وقبلهم أسس عوني عبد الهادي النابلسي حزب الاستقلال ٣٢ ، والرابع حزب الإصلاح حسين الخالدي ٣٥، ويعقوب الغصين حزب مؤتمر الشباب ، والسادس حزب الكتلة الوطنية ، وهي أحزاب عائلية ورقية، لا تمارس ديمقراطية ، أحزاب عائلية عشائرية .

قريتنا صغيرة وادعة مثل سائر القرى المحيطة بها كالبرية وجمزو ودانيال ، تعلم حسين القراءة والحساب ، وقرأ المصحف ، وعمل في الزراعة ، وعاصر الصراع الدامي بين الفلسطيني والغازي الظالم والمغتصب الجديد في المدن والقرى الكبيرة ، القرويون يجهلون أبجديات الوطنية وعمق الصراع خلال تلك الفترة ، وكان أفندية المدن هم الذين يتصدرون المشهد سياسيا وإعلاميا ، حتى أن المصاهرات كانت شاقة وقليلة ونادرة بين سكان المدن والقرى .

ولما حدث التقسيم الظالم ١٩٤٧ وبدأت تلوح أخطار الحركة الصهيونية ومكشوفة للقاصي والداني كان قد فات الأوان كما يقال للم اللحمة الوطنية ، فقد كبرت الفجوة بين أهل المدن وأهل الريف ، كمل المشروع الصهيوني عام ثمان وأربعين ، وولدت دولة إسرائيل على أرض فلسطين في منتصف أيار ، وظهر الكيان الإسرائيلي على مسرح العالم كدولة صهيونية .

حلت أمريكا المتحدة مكان بريطانيا علنا كدولة كبرى راعية لدولة اليهود الوليدة المشوهة دولة عبرية وسط أمة عربية ، وحلت النكبة والتطهير العرقي وخطة داني .

ولد حسين علي في ست وثلاثين ، وولد يوسف محمود في اثنين أربعين ، وذهب المهاجرون قسرا لجهات شتى ، بعضهم جهة القدس ومنها لمخيم الكرامة الناشئ في غور شرق الأردن ، وذهب يوسف لرام الله الامعري ، ثم انتقل للكرامة في منطقة الغور .

خرج الكثير من الفلسطينيين من بلادهم وديارهم وهم يظنون أن العودة بعد أيام ؛ ربما تطول لبعض أسابيع ؛ فالجيوش العربية السبعة جيوش الإنقاذ دخلت فلسطين للإنقاذ لإنقاذ البلاد والعباد من جيش الهاغانا الصهيوني .

كانت الحياة حياة المخيم بسيطة في المخيم ؛ حيث يقطن كل أهل بلدة قرب بعضهم ، وكل عائلة مجاورة لعائلات من نفس العائلة الكبيرة ، وعمرت البلدة وأصبحت بلدة حية يقطنها آلاف الأسر والأفراد ، وأنا كاتب هذه الصفحات من تاريخ الأسرة لما ولدت فيها ، كنت أرى بيوت البشر من لبن الطين ، لم أدرك الخيم التي يتحدث

عنها المشردون الهائمون في البلاد ولدت بعد النكبة بعشر سنوات وكسر .

كنت تجد الجامع يجمع أهل القرى من يافا واللد والرملة مع أهل المدن ، كانوا في البؤس والشقاء سواسية ، لا فرق بين قروي ومدني إلا بالأسماء ، وتجد الزواج بين أهل القرى والمدن طبيعيا ؛ بل بين



أهل القرى والقرى الأخرى ، لقد تغير الوضع الاجتماعي والمصاهرات .

كانت عيادة صحية ومركز طبي لأهل المخيم أنشأته الوكالة يلتقي فيه أسر وعائلات من مدن وقرى فلسطين مختلفة ؛ كأنهم أهل بلدة واحدة ، لا أحد يفتخر ويستعلي على آخر .. كلهم سواسية في الفقر والتشرد .

يجتمع المهاجرون في عيادة الوكالة في الجامع في المقهى في مداخل البيوت في البيوت نفسها ، ويبدأ كل لاجئ ومهاجر يسرد مأساته ورحلة لجؤه ومعاناته ومعاناة عائلته الكبيرة ، وحتى أهل بلده وأماكن تشردهم في مخيمات اللجوء .

أوجدت الوكالة المدارس للجنسين ، أذكر أني درست سنة في مدرسة الكرامة ، وبعض الثانية قبل يوم الكرامة عام ١٩٦٨؛ حيث كان الخروج الثاني لأهل فلسطين نحو عمان والبلقاء ؛ حيث مخيم البقعة ومخيمات عمان والزرقاء ، اضطر أهل الكرامة للرحيل أمام القصف المدفعي الإسرائيلي عندما نشط العمل الفدائي وانتقل المخيم إلى مخيم البقعة ، كان المستقر البقعة حتى كانوا يسمون مهاجرة الكرامة ؛ لأنه قد سبقهم بعد احداث سبع وستين خروج عائلات من مخيمات الضفة الغربية ومن أهالي الضفة وغزة شرقا إلى مخيمات الأردن ولبنان .

لم يكمل حسين تعليمه درس ست سنوات ، عمل في الزراعة والفلاحة مع سكان المنطقة أنفسهم أو مع أثرياء البلاد المهاجرين الذين استطاعوا تملك المزارع .

كانت أحداث جسام تحدث وتعصف في بلاد الشام والعرب ، ظهرت الأحزاب القومية الكبرى كالبعث في سوريا ولبنان والعراق ، وحركة القوميين العرب ، الانقلابات العسكرية المتتابعة في سوريا والعراق . أخطرها انقلاب مصر ، وإلغاء الملكية الفاروقية في مصر ، وظهور الزعيم المصري جمال عبد الناصر كبطل عربي كبير ، والذي تصدر المشهد القومي والعربي وظهر المد الناصري ، وظهرت منظمة التحرير كبديل للوطن

فلسطين ؛ لأن العالم أعطى الضفة الغربية كجزء من الأردن ، وجزء صغير من غزة لمصر ، وإسرائيل امتلكت الباقي حسب قرار التقسيم ٤٧ ثم استولت على كل فلسطين عام ١٩٦٧ ، كان الصراع السياسي رهيبا وعنيفا في البلدان العربية شبه المستقلة ، الصراع على تصدر المشهد ، الفقر يغمر هذه الشعوب ، الأمية تضرب أطنابها في كل البلدان ، التخطيط لا تخطيط ، الاعتماد على المستعمر ما زال قائما رغم زعم الاستقلال .

معركة الكرامة ١٩٦٧

تعدُّ معركة الكرامة (٢١ آذار ١٩٦٨) أحد المفاصل التاريخية لحركة المقاومة الفلسطينية، إذ شكلت نقلة نوعية للعمل الفدائي الفلسطيني الذي بدأ يعيش عصره الذهبي في الأردن ، كما كانت إيذاناً بسيطرة حركة فتح على العمل الوطني الفلسطيني، وعلى قيادة منظمة التحرير الفلسطينية ، وقد كان من الواضح أن تصاعد العمل الفدائي المنطلق من قواعد له في غور الأردن قد دفع الكيان الإسرائيلي إلى القيام بهجوم واسع لتدميرها خصوصاً في منطقة الكرامة. غير أن صمود الفدائيين والجيش الأردني وما بذلوه من تضحيات، قد أدى إلى نتائج معاكسة تماماً لخطط الإسرائيليين، إذ وقعت خسائر كبيرة نسبياً في القوات الإسرائيلية، وانكسرت أسطورتها بأنها تملك جيشاً لا يقهر ، كما أدت إلى تصاعد شعبية العمل الفدائي ونفوذه خصوصاً في الأردن، وجعلت الكيان الإسرائيلي في حالة من الحيرة، إذ إن هجماته تزيد العمل الفدائي قوة وشعبية، كما أن سكوته يعطي هذا العمل فرصة للتوسع والتمدد.

تكتسب معركة الكرامة أهمية كبيرة في التاريخ الفلسطيني المعاصر، إذ تعدُّ نقطة تحوّل باتجاه سيطرة العمل الفدائي الفلسطيني ـ وخصوصاً حركة فتح ـ على الساحة السياسية الفلسطينية وعلى منظمة التحرير الفلسطينية، وقد أدت إلى ترسيخ الوجود الفدائي شرقي الأردن وأعطته زخماً شعبياً كبيراً فلسطينياً وعربياً ؛ كما أسهمت في تكريس خيار حرب العصابات وحرب التحرير الشعبية ضدّ الكيان الصهيوني، بعد هزيمة الجيوش العربية في حرب حزيران ١٩٦٧ واحتلال الصهاينة للضفة العربية وقطاع غزة والجولان وسيناء.

أدت حرب الأيام الستة في حزيران ١٩٦٧ بين العرب والكيان الإسرائيلي إلى كارثة كبيرة. فقد مُنيت الجيوش العربية المصرية والأردنية والسورية بهزيمة ثقيلة، واحتل الكيان الإسرائيلي بسرعة خاطفة الضفة الغربية التي كانت تحكمها الأردن ، وقطاع غزة الواقع تحت الإدارة المصرية ، وبذلك استكمل احتلال باقي فلسطين وفق حدودها

الحديثة التي وضعت في أثناء الاستعمار البريطاني، كما احتلت شبه جزيرة سيناء المصرية، والجولان السورية، كما أدت الحرب إلى تشريد ٣٣٠ ألف فلسطيني انتقل أغلبهم إلى شرقي الأردن، لقد كانت حرب ١٩٦٧ صدمة كبيرة للشعب الفلسطيني والشعوب العربية التي انتظرت بفارغ الصبر طوال ١٩ عاماً (منذ ١٩٤٨) ما كانت تَعِدُ به الأنظمة العربية من القضاء على الكيان الإسرائيلي، ولذلك أضعفت هذه الحرب الثقة بالأنظمة وجيوشها وبحاكم مصر، وسعى الفلسطينيون إلى أخذ زمام المبادرة بأيديهم، وعدم انتظار تحقّق شعارات الوحدة طريق التحرير وقومية المعركة التي كانت سائدة من قبل، فضلاً عن انحسار الآمال تجاه جمال عبد الناصر لتحقيق الوحدة والتحرير، وتكرست بشكل أكبر الهوية الوطنية الفلسطينية، وتطلعت الأنظار إلى المنظمات الفدائية الفلسطينية كبديل أفضل، وقد قامت حركة التحرير الوطني الفلسطيني فتح بإعادة ترتيب صفوفها في الضفة الغربية وقطاع غزة، وأعلنت انطلاقتها الثانية في ٢٨ آب ١٩٦٧ في بيانها الخامس والسبعين، وحسب مصادر فتح نفسها قام مقاتلوها خلال الفترة المتبقية من عام ١٩٦٧ بـ ٧٩ عملية عسكرية، أدت إلى قتل وجرح ٢١٨ صهيونياً. وقد أصبحت فتح ـ في تلك الفترة ـ العمود الفقري للمقاومة في الوقت الذي أخذت تتشكل فيه منظمات فدائية أخرى شاركت بدرجات متفاوتة في عمليات المقاومة.

وقد دفع الفدائيون بنحو ألفٍ من عناصرهم إلى الضفة والقطاع ليقوموا ببناء التنظيم السري والقواعد الارتكازية، وكان على رأسهم زعيم فتح ياسر عرفات الذي تولى إعادة تنظيم المقاومة في الضفة الغربية بنفسه، ولكن يبدو أن هذه المحاولة لم تنجح في إنشاء أيٍّ من القواعد الثابتة، بالرغم من الجهود المضنية التي بذلها الفدائيون، إذ إن الإجراءات العسكرية والأمنية الصهيونية العنيفة أدت إلى مطاردة مئات الفدائيين، واستشهد ما يزيد عن ستين فدائياً، واعتقل ألفٌ آخرون، وقد أدى هذا إلى توجه الفدائيين إلى إقامة القواعد الثابتة في الضفة الشرقية لنهر الأردن وأخذت القواعد السرية القليلة التي كانت موجودة شرقي غور الأردن تبرز إلى العلن في مطلع ١٩٦٨، في الوقت الذي أخذ فيه كثير من الفدائيين المطاردين في الضفة الغربية بالانتقال إلى الضفة الشرقية لنهر الأردن، وقد أدخل ذلك العلاقة بين الأردن والفدائيين في مرحلة جديدة، كما لفت أنظار الكيان الإسرائيلي لضرب القواعد الفدائية في شرقي الأردن مما صعَّد من احتمالات المواجهة مع الجيش الأردني، والقيام بهجمات انتقامية ضدّ مدن

الأردن وقراه، وضدّ بنيته التحتية والاقتصادية.

وقد لاحظ تقريرٌ للمخابرات العسكرية البريطانية في الشرق الأدنى أنه منذ حرب ١٩٦٧ حدثت زيادة كبيرة في أنشطة الفدائيين وفي عدد منظماتهم، وأشار إلى أن معظم العمليات الفدائية كانت تتم قبل الحرب من قطاع غزة وسورية، ويمرُّ الفدائيون أحياناً من لبنان أو الأردن، ولكن كل العمليات ضدّ إسرائيل بعد الحرب تمت عبر الأردن، ونتيجة لذلك كانت معظم انتقامات الإسرائيليين موجهة ضدّ الأردن.

وبينما كان الكيان الإسرائيلي يطارد العمل الفدائي في الضفة الغربية والقطاع ؛ فإنه كان ينظر بقلق إلى نمو وتجذّر قواعد الفدائيين في شرقي الأردن، وإلى الدعم الشعبي الذي يلقاه، بل وتغاضي أو دعم عناصر من الجيش الأردني للفدائيين، فضلاً عن دعم وحدات الجيش العراقي المتمركزة في الأردن.

. أعلن في ٤ كانون الأول ١٩٦٧ أنه منذ حرب الأيام الستة ؛فإن قوات الأمن الإسرائيلية قبضت على ٣٠٠ فدائي وقتلت ٦٠ آخرين.

وتقع قرية الكرامة في الجزء الشرقي من غور نهر الأردن وهي عبارة عن منطقة زراعية منخفضة جغرافياً اشتهرت ببساتينها الكبيرة وخضرتها الدائمة وكانت تسمى بمنطقة الآبار وذلك لكثرة الآبار الارتوازية فيها، وتسمى أيضا بغور الكبد باعتبارها جزءا من منطقة زراعية واسعة وتعتبر هذه المنطقة سلة الغذاء الأردني ، ويعتمد ٩٥٪ من سكان هذه المنطقة على الزراعة ، وفي مطلع سنة ١٩٦٨ صدرت عدة تصريحات رسمية عن إسرائيل، تعلن أنه إذا استمرت نشاطات الفدائيين الفلسطينيين عبر النهر ؛ فإنها ستقرر إجراء عمل مضاد مناسب ، وبناء عليه زاد نشاط الدوريات الإسرائيلية في الفترة ما بين ١٥- ١٨ مارس ١٩٦٨ بين جسر الملك حسين وجسر داميا وازدادت أيضا الطلعات الجوية الإسرائيلية فوق وادي الأردن تمهيدا للهجوم الواسع قامت إسرائيل بهجمات عديدة استخدمت بشكل رئيسي القصف الجوي والمدفعي، على طول الجبهة الأردنية طوال أسابيع عديدة سبقت بداية المعركة ، لقد وعيت هذا القصف والترهيب ، وكنا نغادر المدارس فور بدء القصف ، ونسير قرب الحيطان ويفزع الكبار لأخذ أبنائهم من المدارس ، وكنا نرى الطائرات العسكرية وهي تلقي قنابل النابالم وغيرها لإرهاب الناس والخروج من البلدة ؛ فخرجنا سيرا على الأقدام إلى جبال البلقاء نحو عمان ، وهجر المخيم كما مهدت إسرائيل لذلك بإجراءات واسعة النطاق في المجالات النفسية والسياسية والعسكرية عمدت بواسطتها إلى تهيئة المنطقة لتطورات جديدة يتوقعونها كنتائج

لعملياته العسكرية شرقي نهر الأردن ، وقد أعلن الكيان الصهيوني أنهم قاموا بالهجوم لتدمير قوة المقاومة الفلسطينية، والقضاء على حلم العودة لدى الشعب الفلسطيني.

بدأت معركة الكرامة عند الساعة ٥,٣٠ من صباح يوم الخميس ٢١مارس١٩٦٨ ، واستمرت ست عشرة ساعة في قتال مرير على طول الجبهة، قام الجيش الإسرائيلي بشن هجوم واسع في منطقة نهر الأردن من ثلاث أماكن ، جسر داميا وجسر سويمة وجسر الملك حسين حشد الجيش الإسرائيلي لتلك المعركة اللواء المدرع السابع ، واللواء المدرع ٦٠، ولواء المظليين ٣٥، ولواء المشاة ٨٠، وعشرين طائرة هيلوكوبتر لنقل المظليين وخمس كتائب مدفعية ١٥٥ ملم و ١٠٥ ملم، بالإضافة إلى قواته التي كانت في تماس مع القوات الأردنية على امتداد خط وقف إطلاق النار، وسلاحه الجوي الذي كان يسيطر سيطرة تامة على سماء وأرض المعركة، بالإضافة إلى قوة الهجوم التي استخدمها في غور الصافي، وهي كتيبة دبابات وكتيبة مشاة آلية وسريتا مظليين وكتيبة مدفعية، تم حشد هذه القوات في منطقة أريحا، ودفع بقوات رأس الجسر إلى مناطق قريبة من مواقع العبور الرئيسة الثلاثة، وقام بإنزالات جوية قرب الكرامة .

لقد لعب سلاح الدروع والمدفعية الأردني دوراً كبيراً في معركة الكرامة وعلى طول الجبهة وخاصة في السيطرة على جسور العبور ما منع الجيش الإسرائيلي من دفع أية قوات جديدة لإسناد هجومه الذي بدأه، وذلك نظراً لعدم قدرته على السيطرة على الجسور خلال ساعات المعركة، وقد أدى ذلك إلى فقدان القوات الإسرائيلية المهاجمة لعنصر المفاجأة، وبالتالي المبادرة، وساهم بشكل كبير في تخفيف زخم الهجوم وعزل القوات المهاجمة شرقي النهر وبشكل سهل التعامل معها واستيعابها وتدميرها، وقد استمر دور سلاح الدروع والمدفعية الأردني بشكل حاسم طيلة المعركة من خلال حرمان الإسرائيليين من التجسير أو محاولة إعادة البناء على الجسور القديمة وحتى نهاية المعركة.

طلبت إسرائيل ولأول مرة في تاريخ الصراع العربي الإسرائيلي وقف إطلاق النار في الساعة الحادية عشرة والنصف من يوم المعركة ، خسائِر الجيش الإسرائيلي فقد كانت فادِحة إذ بَلغ عدد قتلاهم ٢٥٠ جُنديا ، وجُرِح ما يُقارب ٤٥٠ جُنديا ، قد خَسِر الجيش الأردني ١٣ دبابة و٣٩ مَركبة مُختلفة، أمّا عن الجيش الإسرائيلي فقد خسروا ٨٨ مَركبة، و٧ طائرات مُقاتلة، الفدائيون قاتلوا ببسالة نادرة وقدموا حوالي مائة

شهيد ، فقد اشتركوا بكل بطولة وبروح معنوية عالية ، وقدموا تضحيات كبيرة حيث اشتبكوا مع الإسرائيليين في الكرامة بالسلاح الأبيض واستبسلوا وأبلوا بلاء حسنا، ويقول صخر حبش : إن إقدام إسرائيل على عبور نهر الأردن للاشتباك بمقاتلينا في الكرامة والكريمة، اللتين كانتا تكتظان بالفدائيين، وكان يقطنهما أكثر من ١٠٠ ألف لاجئ فلسطيني قبل شهرين من المعركة وقد هجرتها الجماهير بعد سلسلة القصف المتواصل بهدف الترحيل ، وكان من الطبيعي أن لا يتبع الفدائيون الهجرة مع المواطنين، لأنه في ذلك تكون النهاية؛ لذلك فقد اختارت الحركة المجازفة بعد أن اعتمدت على أن الموقف الوطني والقومي للجيش الأردني لا يمكن أن يقبل ويسلم بعبور القوات الإسرائيلية نهر الأردن لتضرب قواعد الفدائيين والقوات الأردنية في شرق النهر ؛ لتكون هناك هزيمة جديدة تضاف لهزيمة حزيران. واستطرد صخر حبش قائلاً: قبل أيام نشر قائد فرقة المظليين الإسرائيليين التي أنزلت خلف الكرامة على الجبال والمؤلفة من ٧٠ مظلياً، كانت مهمتهم الأساسية قتل الفدائيين، وكانوا يعتقدون أنهم سيهربون من الكرامة، أو يؤسرون، تحدث قائد الفرقة عن الخطة وقال : إنه وجد نفسه بين نارين، نار الفدائيين المتمترسين في مواقعهم ونار الفدائيين الذين قاتلوا كل القوات التي هاجمتهم، والمفاجأة الأكبر كانت مشاركة الجيش الأردني بمدفعيته الأمر الذي أذهلهم ويتحدثون الآن عن أضعاف أعداد الإصابات عما اعترفوا به في حينه.

وأضاف غنمت المقاومة بعض الدبابات الإسرائيلية، وخسرت إسرائيل ثمانية وعشرين جندياً كما أن بعض الجثث ظلت في ساحة المعركة، وبعد انسحاب القوات الإسرائيلية بدأت احتفالات فلسطينية بالنصر وامتدت إلى ساحات العالم العربي، وظهر اسم ياسر عرفات علناً بعد أيام على معركة الكرامة بصدور بيان رسمي عن اللجنة المركزية لمنظمة فتح يخول ياسر عرفات بإصدار البيانات باسم حركة فتح وأن يكون المتحدث الرسمي لها، وهكذا بدأ ألوف من الشباب الفلسطينيين في التدفق على قيادات ومعسكرات فتح في الأردن وفي بعض الدول العربية الأخرى، ولم يشكل مقتل أكثر من مئة من مقاتلي حرب العصابات في المعركة عائقاً أمام نشوء أسطورة الكرامة.

حياة اللاجئ

حياة بائسة تغمر سكان البلد الأصليين ؛ فكيف الهاربون واللاجئون واللاجئ الفلسطيني ؟! فرص العمل ضعيفة وهشة يوما بيوم تسمى مياومة ، الزواج هدف كل شاب ، فهو يشتغل ليلا

ونهارا ليكون زوجا وأبا ، وحسينا كسائر الناس يرغب بالزواج ، تزوج حسين من امرأة تعيش غرب النهر من مخيم الجلزون الكائن في رام الله تزوج امرأة من أهل بلده عنابة ؛ لكن من أسرة أخرى ، أهل البلد الواحد يحبون ويحرصون على مصاهرة أهل بلدهم قبل تغريب النكاح من بلدات وعائلات أخرى ، وتزوج يوسف من نفس الأسرة العائلة .

مارس حسين الأعمال الحرة في الزراعة ونقل الزبل والحصيد للقمح في موسمه ، وهذا المتوفر في الغور الأردني ، وكان التصييف في عمان والعمل فيها كعامل بناء رصف شوارع تحميل زبل للفلاحة ، سافر يوسف مدرسا للعربية في السعودية على شهادة الثانوية العامة .

نشط العمل الفدائي في المخيمات بظهور الحركات الفلسطينية المسلحة كفتح وجيش التحرير والفصائل الأخرى ، كثرت الحركات المسلحة في الأغوار ، بعد هزيمة النكسة وخفوت صوت ناصر والقومية والاشتراكية العربية ، وكانت العمليات لفدائيي الغور زادت بعد هزيمة الجيوش العربية وضياع كل فلسطين وأراضي من سوريا ومصر كما روينا بعض ذلك.

أصبحت الكرامة مرتعا لها ، فتعرضت للدك والمدفعية الإسرائيلية ، هرب الناس والأهالي نحو جبال السلط وجبال عمان .

لا أحداث شخصية مهمة في حياة الشاب حسين ، فهو شاب وديع معيل لزوجة وأطفال وأم وأخت ، كانت معركة الكرامة سنة ثمان وستين في شهر آذار ، وانتهى بها مخيم الكرامة كمخيم أصبح مرمى وهدفا لمدفعية اليهود ، هاجر الناس لمخيم البقعة ، اختفى المخيم من قائمة مخيمات الأونروا ، وهاجر سكانه من جديد ، هجرة تلو هجرة .

وهاجر حسين لحي جبل النزهة في عمان الملاصق لمخيم جبل الحسين ، وبعض العائلة لجبل النظيف ، وبعضهم لمنطقة ماركا الشمالية حيث مطار عمان أو ماركا ، وبعضهم لمخيم الوحدات تفرقت العائلة العنابية في أحياء عمانية، صرفوا نظرا عن مخيم البقعة الذي تحمل رحيل البشر من مخيم الغور الكرامة .

لما رحل السيد الوالد حسين لعمان كان عنده ولدان وابنتان وزوجة حامل وأم وأخت ، وعاد للعيش والسكن في الخيام ، والتنقل فيها بين مكان وآخر ؛

لأنه لم يسكن مخيم البقعة لأمر قدره الله، وحتى ابنيه درسا في خيم زرقاء خيم الأمم المتحدة قبل أن يثبتا في مدرسة ابتدائية في حي النزهة ، ثم يستقر الابن الأكبر في مدرسة مخيم الحسين ، حتى أنهى الابتدائية ويعود لإكمال الإعدادية في المدرسة التجارية في حي النزهة ؛ حيث كان التعليم الإعدادي في الوكالة تجاري وصناعي .

جبل النزهة أو حي النزهة جبل ملاصق لمخيم جبل الحسين ، وهو بين وادي الحدادة ووادي الحسين المخيم ، والمخيم لا وسع فيه للعائلات المهاجرة من مخيمات أخرى ؛ ولكنه يسمح باستلام الأطعمة والمؤن لمن ينقل بطاقته إليه .. فكانت الوكالة توزع الغذاء على اللاجئين حيث مهاجرهم ، وتعلمهم وتعالجهم علاجات أولية، ويحصل اللاجئ على هذه الخدمات بواسطة بطاقة كرت مؤن تصرف لمن تنطبق عليه مواصفات اللاجئ حسب نظام اللجوء الأممي .

استقر حسين بن محمود في منزل الزينكو قرب المخيم ، لأن الوحدات السكنية مبنية من وحدات الزينكو ، ولا يسمح ببناء الإسمنت ؛ لأن الأرض غير مملوكة للأمم المتحدة ، كثير من المخيمات مرت في أطوار بناء وإنشاء ، كانت الخيم أول الانشاء والسكن ، تحولت لألواح الزينكو والصاج ، ثم اللبن والاسمنت ثم الطوابق .

لم تكن في المخيمات بنية تحتية كالكهرباء والماء والصرف الصحي والهاتف والشوارع المزفتة ، ثم دخلتها تلك الخدمات الكهرباء والماء والهاتف والصرف الصحي بدلا من الحفر الامتصاصية.

وأخذ المهاجر حسين يعمل بتأجير نفسه مع عمال البناء في وسط المدينة حيث مركز تجتمع العمالة باليوم والساعة ، وهذا يخيل لي أتاح له تعلم مهنة القصارة ـ وهي طلاء الجدران بالطين الناعم بعد البناء لإخفاء اللبن وقبل الدهان ـ مهنة شاقة ، ولكنها تدر مكسبا لمن أتقنها .

يجتمع العمال البسطاء في ساحات أو شوارع معينة وأسواق العمالة فيأتي المحتاج لأيدي عاملة فيستأجرهم لإداء العمل المطلوب .

تضخم العمل الفدائي بعد الكرامة في الاردن بعد الدعاية الضخمة التي رافقت انكسار اسرائيل وفشلها في تحقيق أهداف العملية ، انتقل الصراع بين الفصائل الفلسطينية وبين الجيش العربي الاردني .

فحدث ما سمي بأيلول الأسود عام ١٩٧٠ ، فكانت المعركة بين الفصائل الفلسطينية ذات التوجهات المختلفة والجيش الأردني ، وصار شرخا بين شعب الأردن الشرقي وشعب الأردن الغربي .

وبعد عام ١٩٤٨ وسحق المقاومة وتهجير

السكان، بدأت تظهر فصائل فلسطينية ذات طابع سياسي، وبدأت تستخدم مصطلح الكفاح المسلح للإشارة إلى أشكال المقاومة المسلحة.

عام ٦٤ ظهر كيان سمي منظمة التحرير الفلسطينية ، وبعده بعام ظهرت منظمة فتح ٦٥ ثم الجبهة الشعبية وانشق عنها كيانات أخرى ، انهزمت هذه الفصائل وغيرها أمام الجيش الاردني وخرجت من عمان إلى جبال عجلون وجرش واستقرت في لبنان .

اعتقل حسين لمدة شهر في بلدة طبربور ، ثم أفرج عنه ؛ لأنه لم يكن فدائيا ولا مليشيا فلسطينية لم يكن ثوريا ولا مقتنعا بها كالكثير من الشعب الفلسطيني ، ورويدا رويدا بدأ العمل يعود في القطر ،وتعافت البلاد من الانفصام والدم الذي اريق على نزاعات شخصية وإن لبس ثوب الوطنية والتحرير .

الذرية تزيد والعمل نفسه ، ولما بلغ حسين الخمسين عمل في البلدية ، أما يوسف فدرس انتسابا لجامعة بيروت العربية وتحصل على الشهادة الاولى ، واستمر معلما في السعودية ..لمدة ربع قرن.

كانت دول الخليج دول النفط العربي في تحرر حديث وجهل وفقر ، فأصبحت مهوى الشباب الفلسطيني والعربي بشكل عام لتحسين الدخل المادي للأسر والعائلات ، فكنت تجد فيها الجنسيات العربية المختلفة .

أخبرني السيد العم يوسف أنه قضى في السعودية أربعا وعشرين عاما في التدريس يتنقل بين مدنها وقراها ، وأغلب ذريته ولدت في تلك الديار ، واستطاع أن يبني عمارة في حي ماركا وأن يمتلك مزرعة في مدينة الزرقاء وأراضي في السلط ، وغير ذلك من العقار والأرض .

عاد في مطلع الثمانينات وتحصل على ماجستير تربية ودبلوم ثم ماجستير لغة عربية ، وعمل مدرسا بضع سنين في الأردن ، ثم عاد للخليج محاضرا في احدى الجامعات الإماراتية ، ومكث فيها تسع سنوات وخلالها تمكن من الحصول على دكتوراه في اللغة العربية.

وشارك في حملة وإنشاء جمعية أهالي عنابة ١٩٩٢، ومثل عائلته فيها لعدة دورات وذلك في مطلع التسعينات ، فكان علما من أعلامها .

وأما حسين فقضى تسع سنوات في البلدية وحصل على التقاعد والضمان الاجتماعي ، ورحل في منتصف التسعينيات من منطقة النزهة إلى ماركا في عمان العاصمة ، ثم رحل للرصيفة ومنها لمدينة الزرقاء المعروفة .

كانت حياته وادعة هادئة طيبة ، وتزوج كل أولاده ذكورا وإناثا في حياته ورأى أحفاده شبانا بفضل من الله تعالى ، الحياة الشخصية لكل فرد مليئة

بالأحداث الشخصية أو السماعية والكثير منها لا يهم المطلع على هذا الكتاب أو الرواية ؛ فلذلك نوجز في هذه السيرة وفي تفاصيلها الكثيرة فكلا الرجلين تجاوز في السنوات السبعين .

ولكنهم أعزاء على قلبي ، فأحدهم والدي ، والآخر والد أهلي وقرة عيني ، وأنا أكتب للتاريخ والأجيال ، لم تكن رحلة الحياة هينة ، فهي حياة بؤس وشقاء وطرد من الوطن والإلف واقرأ ما قاله شوقي في منفاه:

وسَلا مِصْرَ هَلْ سَلا القلْبُ عَنْها

أَوْ أَسَا جرْحَهُ الزَمانُ المُؤَسِي

كُلَّمَا مرَتِ اللَّيالي عَلَيْه

رَقَّ والعَهْدُ في اللَّيالي تُقسِي

مُسْتطارٌ إذا البَواخِرِ رَنَّتْ

أوَّلَ اللَّيْلِ أَوْ عوتْ بَعْدَ جَرْسِ

رَاهِبٌ في الضُلوعِ للسُفْنِ فَطْنٌ

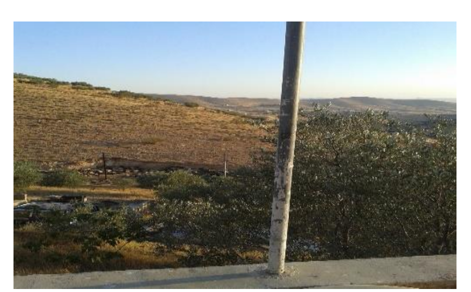
كُلَّمَا ثُرْنَ شاعَهُنَّ بنَقْسِ

وطَني لَو شغِلتُ بالخلدِ عَنهُ

نازَعَتني إلَيهِ في الخلدِ نَفسي

وهما مروا بحياة صعبة وقاسية ، صبيان يفارقان ديارهم قهرا وطردا يسيرون في الوديان ويصعدون الجبال ويهبطونها في شدة الحر ، ويعيشون في الخيم ، ويفقدون الطعام أثناء الانتقال من بلدة وأخرى أو يزدحمون لإخذه من المحسنين والصليب الأحمر ثم الأونروا .

هذا وغيره مؤلما ومذلا ، آه ! عندما ترى مشهد الناس عند استلام مساعدات الوكالة ، مشاجرات على الدور والانتقال من مكان إلى لآخر لآخذ عينات من طعام .. إنه لمشهد محزن ومبكي واختلاط رجال ونساء وبنات وأطفال .



صراخ سباب قذف ، كنت أتألم منه وأنا طفل صغير .. ذل الحاجة ! ذل الفقر! أبي كان يأخذ المساعدة ـ المؤن ـ بعد الرحيل لعمان من مخيم البقعة التابع لمدينة السلط محافظة البلقاء ، ثم تيسر نقله لمخيم الحسين في عمان فخفف المشوار .

أما العم فاعتقد أنه لم يأخذ هذه الإغاثة ، لأنه تزوج ، وعاش ربع قرن في السعودية معلما ، فربما دفعه لأقاربه الأقربين ؛ لأنه الحق لكل لاجيء في الأعطية والمعونة والدراسة تسع سنوات ثم الانتقال لمدراس الدولة المضيفة ، وبعد الثانوية العامة سيجد فرصة للقبول في معاهد الوكالة في البلدان المضيفة وحسب المعدل الثانوي الأعلى .

ثم توقفت الوكالة في منتصف الثمانينات عن هذه الاغاثة لكثير من الأسر ، واكتفت بالعلاج

والأدوية والتعليم ، يمكنك أن تقول بئس الحياة تلك الايام !

صبر الناس ، وذاقوا مرارة الفقر والحاجة ، ثم فتح لهم باب التعلم والوظائف والهجرة شرقا وغربا ، وصار بعضهم من الاثرياء والملاك والزعماء والمدراء .. إنها الحياة !

حسين تزوج في آخر الخمسينيات ، ويوسف في مطلع الستينيات، أنجب الأول اثني عشرة مولودا ، وفقد المولودة الأولى في حياته المديدة بعد وضعها بشهور ، ويوسف نفس العدد ، الأول انجبهم من امرأة واحدة فقط ، والثاني من ثلاث نسوة ، فقد تزوج على كبر امرأة وولدت طفلا واحدا ، والثالثة بعد الانفصال عن الثانية ولدت طفلة واحدة ، وبعضهم هلك صغيرا .. رغم علاقتي الجيدة مع حماي ، لم أعرف سبب طلاقه لها اشتغل عمي في التدريس مبكرا ، وفي الخليج ؛ حيث ظهر النفط والتطور والتحديث ، وقضى زهرة عمره في التدريس بين الطلبة والطالبات ، وسيدي حسين كان وحيدا لم يكن له اشقاء وعاش يتيما وفقيرا ، وكان عزيزا وعصاميا ومجاهدا .

في عام ١٩٨٨ تصاهر الرجلان فقد نكح ولده البكر احدى بنات حسين الاربعة ، وتزوج ابن حسين خريف ١٩٩٠ ابنة يوسف الكبرى ، فاقترب الرجلان من بعضهما أكثر وأكثر .

كان نكاحا بسيطا وبمهر زهيد ، والحمد لله رب العالمين ، سافر العم يوسف للعمل في دولة الإمارات كمحاضر في جامعة ، ورحل حسين من اطراف مخيم الحسين بعد ما يزيد عن عشرين سنة من العيش في النزهة ، وقضى بضع سنين في منطقة ماركا الجنوبية، ثم رحل تجاه مخيم حطين في لواء الرصيفة في إسكان الأمير ، ثم استقر في مدينة الزرقاء ، حياة كلها رحيل وتنقل ، وهكذا حياة الفلسطيني المطرود من وطنه وأرضه عليه أن يعيش عائما سائحا لينعم يهودي في موطنه ، سنة ٢٠١٢ توفي الحاج يوسف محمود ـ رحمه الله ـ عن سبعين سنة في شهر آب صباح ليلة القدر ذلك العام ، ودفن في مقبرة شرق عمان في بلدة سحاب أكبر مقابر العاصمة بعد سبع سنوات من السقم والضعف ، وبعده بسنوات ثلاثة ٢٠١٥ لحقه حسين مات بعد غيبوبة لمدة أسبوعين عن عمر ثمانين سنة ، ودفن في مقبرة سحاب رحمهم الله جميعا.


ضريح في مقبرة القرية (أيار/مايو ١٩٨٧) [عنابة]

عنابة فلسطين

موقعها في منتصف السهل الساحلي ، وعلى أول تضاريس الجبال الطبيعية، وتقع على ربوة قليلة الارتفاع شرق مدينة يافا بحوالي ٣٠ كم ،



حدودها من الغرب مدن الرملة واللد ، ومن الشمال قرى دانيال وجمزو وخروبة ، ومن الشرق برفيليا وبير معين والبرج والكنيسة ، ومن الجنوب القباب وأبو شوشة وصدون والبرية.

سكانها فلاحون معظمهم يعمل بالزراعة في أرضه المملوكة له ، أراضي البلد تقسم إلى قسمين أرض تدعى شيحا ، وتقع على الجانب الغربي من القرية ، والقسم الثاني يدعى أرض البلد وتقع على الجانب الجنوبي كان الموسم السنوي قسمين شتوي وصيفي ، مثلا شيحا كانت تزرع فيها الزراعة الشتوية ، وهي القمح والشعير والعدس والفول والحمص ، أما أرض البلد فكانت تزرع زراعة صيفيه مثل السمسم والذرة البيضاء وبعض الخضار ، وفي العام الذي يليه تتبدل الزراعة شيحا تزرع صيفي وأرض البلد شتوي.

كان المواطن في عنابة يخصص قطعة أرض لزراعة الخضروات من أجل مؤونته الخاصة، مثل البامية والبندورة والخيار والفقوس والبطيخ والشمام واللوبيا والكوسا والقرع وكان اسمها مقثا كانوا يأكلون مما يزرعون بأيديهم ، يزرعون القمح ويحصدونه وينقونه بأيديهم ويطحنوه دقيقا هكذا كان خبزهم ، وكذلك الخضار كانوا يزرعونها بأيديهم ويقطفونها بأيديهم ويطبخونها بأيديهم بزيت الزيتون أو السمن البلدي.

طعامهم الوليمة الرئيسية المفتول من طحين القمح البلدي ، والثريد عبارة عن اللحم والأرز وفتيت



خبز القمح والمحاشي والمطبق بالزيت البلدي والزلابية والمعجنات باللحم أو السلق أو السبانخ والبحتية الرز والحليب والسكر ، والخبيصة والجريشة قمح مجروش يطبخ باللحم ولا تنسى طبيخ العدس في البوشة داخل الطابون ، وكان اغلب الشجر المزروع شجر الزيتون والتين والعنب والخروب والصبر وبعض أشجار الفواكه مثل المشمش والرمان واللوز.

في أواسط الأربعينات من القرن الماضي حصلت طفرة اقتصاديه كبيرة ، وهي معامل الكلس الشيد حيث استوعبت عدد كبير من العمال والتي كانت تعمل مدة ٢٤ ساعه ، وكان عمال مهرة يقومون بعمل بناء الحجارة بطريقه خاصه داخل المعمل وكان المعمل عبارة عن بناية دائرية يبلغ ارتفاعها من ٨ إلى ١٠ أمتار وسعة قطرها من الداخل ٥ أمتار تبنى فيها الحجارة بأحجام متفاوتة وبطريقه هندسية إلى أن تمتلئ البناية وبعد ذلك يبدأ ضخ زيت الأفيون المشتعل بالنار داخل المعمل بطريقه مدروسة لمدة ثلاثة أيام بلياليها وبعدها تتحول الحجارة داخل المعمل إلى شيد.

أهل القرية أصحاب وأحباب يربطهم النسب والقرابة والمحبة والجيرة ، وسكان القرية عدد من العائلات والعشائر نذكر منهم وهدان، صالحية، عرموش، عبيد، الكسجي، شاهين، الخوار، طمليه، غيث، يحيى، محمود، قطاش، عباس، جابر، أبو عبده، ياسين، حسين حسن، بكر، الصوفي، يعقوب، عوض، جربوعة، صبح، سمارة، عابد، الحلو، الخالدي، الكفري، وعائلات أخرى.

أنشئت في عنابة في الثلاثينيات من القرن العشرين قبل النكبة ١٩٤٨ جمعية عنابة الخيرية ملتقى الشباب ويقوم على رعايتها نخبة من وجهاء وأعضاء القرية ، كانت الجمعية عبارة عن غرفتين أرضية مستقله عام ١٩٤٧ .

جاء إلى عنابة بطلب من جمعية عنابة الزعيم جمال الحسيني زعيم الحزب العربي ، والتقى في مهرجان جامع وحاشد مع الألوف الذين حضروا من المدن والقرى المجاورة ، دعا فيه للتصدي للمد الصهيوني والدفاع عن فلسطين ، ولقى حماسا وتشجيعا منقطع النظير ، وألقى بعض من أهل القرية خطابات دعوا فيها للمقاومة والدفاع عن الوطن.



كان إمام مسجد القرية الشيخ محمود عبد العزيز الجربوعة، وكان في القرية مدرسة قديمة اسمها مدرسة الشيخ عيسى ، وموقعها شرق القرية على منطقة اسمها العطن ، وكانت المدرسة مكونه من غرفتين الأولى تضم الصف الأول والثاني الابتدائي والغرفة الثانية تضم الصف الثالث والرابع الابتدائي ، وفي نهاية الأربعينات كان مدير المدرسة الإستاد علي حسين بدوان ، فقام بتأسيس مدرسة جديدة تقع جنوب القرية ، وكان اسمها المعدود ، وكانت مؤلفة من ثلاث غرف ، لم يتم فيها التدريس سوى عام واحد فقط وبعدها سقطت

القرية.

عام ١٩٤٤ ميلادي ولأول مرة في تاريخ القرية أقيم حفل تخرج طلاب الصف الرابع الابتدائي ؛ حيث دعيت إلى القرية من اللجنة المشرفة على التخريج فرقه موسيقية ، وقامت بزف الطلاب في أرجاء القرية ونذكر بعض الطلاب الذين تخرجوا عمر إبراهيم عبيد، عبد الرحمن مصطفى عبيد، شوكت علي عبيد، يوسف عبد السلام بكر، عمر أحمد أبو عبدو، محمد عبد العزيز غيث، موسى يوسف عبيد، صلاح شكري عرموش، محمد احمد ذيب جوده، يوسف موسى صالحيه، محمود سليم صالحيه، خليل حسن بدوان، حسين محمد زهرة، محمود أحمد عابد، جميل حسين يعقوب، خضر داود جراد، موسى يوسف انعيم، عبد الله أحمد الحاج السوقي، رمضان حسن الكفري، رمضان عودة عبد الحق، نعمان احمد الخوار، مصلح الخوار، عبد الرحمن محمد علي عباس، عمر عبدالله عباس.

كان في القرية ٥ مخاتير نذكر منهم عبد الرحمن حسين بدوان، احمد أمين ياسين، حسن محمود عبيد، محمود سليم الكسجي، مصطفى حسنة طمليه .

كان في القرية عدد قليل من الدكاكين منها دكان احمد عيسى صالحية ودكان محمد جابر صبح ودكان احمد إبراهيم عدي ودكان احمد قشاشة ودكان آل الصوفي للحلاقة ودكان علي الخطيب للحلاقة ، وكان يوجد معصرة زيت زيتون على الطريقة القديمة ، وكان يطلق عليها اسم البد، كان في القرية ثلاث بيارات مزروعة بالحمضيات ، بيارة آل ياسين وآل السوقي وبيارة الشيخ محمود يونس شاهين والد عمي يوسف محمود وعمر شاهين ، وبيارة الحاج سليم الكسجي وأولاده

هكذا كانت عنابة قبل ١٩٤٨ .



جواهر القصص الزمردة

الحلقة الثانية الأخيرة

جلد الأسد

آخر الحكاية

دخل صاحب الفندق يوما على حسن وهو يجلس وحده متحدثا : قال لي غلام الفندق يا سيد حسن أنك تبيع فراء الأسد .. فهل صحيح أنكم تبيعون مثل هذه الأشياء ؟! .. فأنا راغب بشراء فراء منكم .

دهش حسن لحديث الرجل وقال : وكيف عرف غلامك أننا نبيع الفراء .. فراء الأسود ؟!

ضحك الرجل وقال: غلام الفندق وهو ينظف حجرتكما وجد لديكم فراءين فظن أنكما تبيعان ذلك ، فذكر لي ذلك ، فهل أنتما تبيعان هذه الجلود أم تصطادان ؟ فهل لك أن تبعني أحد الثوبين ؟

صمت حسن مفكرا بعض الوقت ثم قال : نحن نعمل في هذه المهنة نشتري جلود الأسود والنمور والفهود وغيرها ونتنقل بين المدن لبيعها ، وهذان الثوبان اللذان رآهما غلامك ليسا للبيع فهما مباعان وقد أحضرناهما لما عدنا إليك في المرة الأخيرة ، وتأكد أننا في مرة أخرى سنجلب لك واحدا .. هل تريده جلد أسد أم فهد ؟

ولكن صاحب الفندق أصر على شراء أحد الثوبين ، فغضب حسن وقال : سنترك فندقك ونبحث عن نزل غيره .

فقال صاحب الفندق : يا هذا لا تغضب .. الحقيقة أنا لا أريده لنفسي ؛ ولكنّ صديقا من فرسان الحاكم سمع حديث الغلام معي عن الجلود التي تبيعونها فأبدى رغبته في الحصول على جلد منهما ، فلا تخيبني أمامه فقد وعدته بقدرتي على شراء واحد منكم فلم يدر بخلدي أنهما مبتاعان !

أظهر حسن غضبه مرة أخرى وقال : سوف نحضر لصاحبك الجندي ثوبا ، واعلم أيها المتطفل أننا سنترك خانك لخان آخر لابد أنك سمعت .

وبينما هما يتجادلان جاء غلام الخان يقول لسيده وحسن : لقد قدم فرسان يطلبون صاحب الجلود للسلطان .

فأسرع إليهم صاحب الخان مرحبا ومستقبلا ، فوجد صاحبه الجندي معهم ، فذكر له أنه روى لأصدقائه عن التاجر النزيل عندك الذي يبيع جلود الحيوان ، فوصل الخبر لمولانا الحاكم فرغب برؤية التاجر لشراء بعض الفراء ، فعض صاحب الفندق أصابعه ندما على إفشائه سر النـزيل حسن ؛ ولكنه أمام رغبة السلطان أطلع حسن على جلية الأمر ، فحمل حسن جلدي الأسود ، وانطلق مع الجنود لقصر السلطان ؛ ولكنه أوصى صاحب الخان بإخبار أخيه عن الموضوع ويحثه على عدم اتباعه إلى القصر ، ودخل حسن على السلطان

وتظاهر بأنه تاجر جلود واستقبله الحاكم ولما نشر الثوبان أمامه أصابته دهشة فعلق قائلا :إنهما يشبهان جلدي الأسدين اللذين كانا في الجب .

فنهض وارتدى أحد الثوبين ونظر إلى نفسه بالمرآة فإذا هو على صورة أسد ، فطلب الأميرة زوجته ، فلما شاهدته بثوب الأسد دهشت هي الأخرى وقالت : كأنك الأسد الذي اصطدناه ما الحكاية ؟!

فروى لها قصة بائع الجلود ، وأبدى رغبته بشراء جلدي الأسد بأي ثمن .. فعندئذ روى حسن قصته في الغابة وتربية الأسود له ، وما هو بتاجر فاستغرب السامعون لهذه الحكاية وظنوه يسخر منهم ، فأمر الحاكم بطرحه في السجن ، والبحث عن أخيه علام ، فقام حسن بتهديد السلطان من عاقبة ظلمه ، فغضب الحاكم واشتد غضبه على حسن ، فقال حسن : سوف تندم يا ملك الزمان .. أنت اليوم قوي ؛ ولكنك غدا ستصير ضعيفا فدعني أرحل عن بلادك بسلام.

فأمر الحاكم جنده بوضعه في جب القصر ، فقاده الجند بعنوة وطرحوه في الجب ، وفي المساء كان أخوه علام يجلس بجواره في الجب وهو يقول : أخبرني صاحب الفندق بالأمر ، فجئت أطوف حول القصر ، فعلمت ما أصابك ، فأخرجت صندوقي وأرسلت الطائر لملك الغابة وعدت للفندق ، فوجدت رجال الحاكم بانتظاري فكتفوني وألقوني عندك حتى يدخلوني على الحاكم في الصباح .

ولما التقى بالحاكم صباحا سأله عن حكاية الفراء فذكر له قصة الغابة فقال : هذه حكاية تافهة يا فتى! فالأفضل لكم أن تقبضوا ثمن الجلود وتنصرفوا عن بلادنا وأغض الطرف عن وقاحتكم وسخريتكم منا .

فقال علام : آسف أيها السلطان .. فقد سبق السيف العذل ، لقد أرسلت وراء الأسود ، فلابد أنها الآن في الطريق إليكم . فقهقه الملك وحاشيته استخفافا وسخرية وقال : لابد أنكما مجنونان خذوه للجب ، وبعد سبعة أيام أخرجوهما لعلهما يرضيان بما أدفع لهما .. فأنا صابر عليهما وللصبر نهاية .

وبعد أسبوع مثلا أمام الحاكم مرة أخرى ، عرض عليهما العفو مقابل بيع الجلود ، فأبيا ورفضا أشد الرفض فقال السلطان بسخط : ما أدري ما الذي يمنعني عن الفتك بكما ؟!

رسم حسن ابتسامة على وجهه وقال : الخوف .. لأنك خائف أن تكون حكايتنا صحيحة وتحضر الأسود التي أرسلنا وراءها فتأكلك واعلم أيها الظالم أنك ستندم .

وقبل أن يسمع حسن الجواب وصل الصراخ

والعويل للقصر بأن أعدادا كثيرة من الأسود دخلت المدينة ، وبعد قليل سمع حسن وعلام صوت العصفور وهو يحوم حول القصر ويزعق زعيقا غريبا .



وكان الشابان يبتسمان وهما ينظران للملك الذي بدأ وجهه مصفرا ، وقال حسن ساخرا : لقد وصلت الأسود يا ملك هذه المدينة !

وقبل أن يرد دخل جندي يقول : الحيوانات تحاصر القصر يا مولاي !

فصاح الملك مرتبكا : أين الفرسان والجنود ؟

فقال الفارس : الناس أغلقت منازلها ، ومنهم من هرب لأعالي الجبال ، فهذه مئات بل آلاف الوحوش .

فنظر الملك لحسن وعلام وقال : لا أدري ما أقول لكما ، لابد أنّ قصتكما حقيقة ! ويبدو أنني أسأت لكما أيها الشابان الطيبان !

قال علام : لا تغرنك قوتك فهذه حيوانات أقوى منك .. افتحوا الباب لملك الغابة .

وخرج علام وأمر الحرس بفتح الباب ، فهرعت الوحوش للداخل وهي تملأ المكان همهمة وزمجرة ، واقترب الأسد الكبير من حسن فقبله حسن من بين عينيه ، وفعل علام مثله أمام دهشة وخوف الحاكم ورجاله ، فقص عليه حسن القصة فزمجر الأسد غضبا وهم بالفتك بالملك وحاشيته ، فطلب حسن من الملك بأن يطلب العفو من ملك الغابة ، ففعل وقبل رأسه واعتذر له عن إيذاء ربيبيه وندم وأسف ، واعتذر للأخوين وأعطاهما جلدي الأسد ، وأكرم الأسود ثلاثة أيام ، فعجب الناس من هذه الحكاية ، ثم غادرت الوحوش إلى غاباتها ، وقد قص الأسد قبل المغادرة لحسن وعلام قصة والدهما سليمان ، وبأنه حضر للغابة باحثا عنهما فقررا العودة لبلدهم طمعا بلقاء والدهم بعد هذا الغياب الطويل جدا .

لقاء الأب

وبعد حين كانا في مدينة جديدة ، ولقد كان دخلوهم إليها وسط النهار ، فشاهدا أنّ الناس مندفعة بكثرة في طريق واحدة ، فاستفسرا عن سبب هذا التزاحم والتدافع فنظر إليهما الرجل مستفسرا ثم قال : كأنكما غريبان ؟ فأشارا أن "نعم"

فقال الرجل : واحسرتاه أيها الغريبان! إنهم يقودون رجلا إلى ساحة الموت وهو مظلوم ولا نصير له في هذه البلاد .

نظر حسن وعلام في عيون بعضهما بمعنى "هل يتدخلان في الأمر ؟" ، ثم قال حسن: ما الحكاية

أيها الرجل الطيب ؟.. لعلنا نستطيع مناصرة الرجل المظلوم .

فأطال الرجل النظر في هيئتهما مرة أخرى ثم أجاب : هل تستطيعان مقاومة القاضي ورجاله ؟

فشجعاه على الكلام ، فقال لهما وهو يعصر الألم في نفسه وقلبه : إنهم يقودون رجلا مظلوما إلى ساحة الموت.. هذا الرجل صاحبي وأخي ، وهو من بلاد بعيدة ، فكلما جاء لهذه البلدة نزل ضيفا عزيزا مكرما عندي ، فهو صديق طيب النفس ، كنا نسافر ونعمل ونتاجر معا ، فجاءني السنة وكان برفقته ثلاثة رجال ، فرحبت بهم ووضعت منـزلا تحت تصرفهم ، وعلمت من صاحبي أنه التقاهم في إحدى الغابات وهو يجتازها ، فأخبروه أنهم ضالون تائهون ، فصحبهم معه إلى مدينتنا ، وبعد أيام وجد صاحبي أن أحد الرجال أكبرهم سنا مقتول ، وأن الرجلين رفيقاه قد هربا ، فقمنا بإخبار شرطة القاضي ، فاتهموا صاحبي بالجناية ، وأن قصة الرجلين الهاربين حيلة ليتخلص من المساءلة ، وحاولت إنقاذ صديقي وبذلت مالي ولكن بدون فائدة ترتجى ، وقضوا عليه بالموت في ساحة الموت ، وها هم يقودونه للموت أيها الشابان الغريبان .

استمع الشابان لقصة صاحب هذا الرجل وتأثرا بها ، فقال علام : اتبعنا أيها الرجل سوف نـنـقذ صاحبك أين يقع بيتك ؟

فأرشدهما لبيته ، ومنه ساروا بسرعة وقوة إلى ميدان الموت ، وبينما رجال القاضي منهمكون في إعداد مشنقة لتنفيذ الحكم بالرجل الغريب ، لبس الشابان فراء الأسود وزمجرا وزئرا كما تفعل الأسود في عرينها ، فتعجب الرجل منهما ثم زحفا نحو مكان إعداد المشنقة ، فذعر الناس وبدأوا يتراكضون هربا من ظهور الأسدين في الميدان ، وسمع رجال القاضي الصراخ وصوت الناس تصيح : أسود أسود !!

فتركوا هم الآخرون الضحية ونجوا بجلودهم ، وما مضت ساعة من الزمان حتى خلا المكان من الناس ، فتقدم حسن وعلام وفكوا وثاق المظلوم وساقوه إلى بيت صاحبه ، وهناك خلعوا ثياب الأسود ، ثم حكوا الحكاية لهم ، فقام الرجل المظلوم يصيح : ولداي حسن وعلام !!



فأخذوا في البكاء والعناق وكانت الدهشة والذهول تخيم على الجميع ، وأكثرهم دهشة

صاحب سليمان ، فكان يقول : أهؤلاء هم أولادك يا سليمان الذين أخبرتني عن ضياعهما ؟!

رد سليمان والدموع ما زالت تنساب على وجنتيه : أجل .. أجل أيها الرفيق العزيز..الحمد لله أنني وجدتهم قبل الفراق الأبدي لهذه الدنيا .

وقص كل منهم قصته ، وقال سليمان : لما عدت من السفر ووجدتكما قد اختفيتما أصبحت الحياة سوداء أمام عيناي ، فطلقت زوجتي ووضعت جعلا سخيا لمن يرشدني إليكم ، وبعد حين جاء أحد الشريرين الذين شاركوا في خطفكما ، وأقر لي بدوره القبيح في الجريمة ومكر زوجتي وصاحبها المجرم بلعوم .

فمشيت للغابة وكلي يأس أن أسمع شيئا عنكما بعد تلك السنوات ، وكان قصدي أن تأكلني الأسود التي أكلتكما ؛ ولكن الأسود أكرمتني عندما عرفت أنني والدكما ، وبشروني بحياتكما وأرشدوني للمكان الذي تركوكما عنده ، وصرت أبحث عنكم ، فإما أن أجدكم أو أموت قبل تحقيق هذه الأمنية ، فبدأت أتنقل بين المدن ولكني لم أجد لكم أثرا ، فعدت لبلدتي لجلب بعض المال للاستمرار في رحلة البحث أو الموت ، وقد بشرت اخوتي بحياتكما ، وأمرت بإعداد القصر لمجيئكما ، وتابعت الرحلة إلى أن اقتربت من هذه المدينة التي نجلس فيها الآن ، وقبل دخولي إليها التقيت بغابة قريبة منها برجال ثلاثة يطلبون مساعدتي ، فرققت لهم لما علمت أنهم تعرضوا لقطاع طرق وسلبوهم أشياءهم ، فقلت لهم : " اتبعوني لهذه البلدة أعطيكم ما أستطيع من المال ؛ لأن لي بها صديقا طيبا " ـ وأشار لصاحبه ـ فرافقوني إلى هنا ونزلنا ضيوفا على صاحبي الطيب ، فأنزلنا في بيت جميل ، واستلفت منه بعض المال من أجلهم ودفعته لهم ، وفي الصباح وجدت أحدهم مقتولا وهرب الآخران ، والحمد لله الذي جمعنا بعد هذا الغياب الطويل .

فأعاد سليمان المال الذي استلفه من أجل الغادرين ورحلوا لبلدهم ووطنهم .

وأثناء رحلة العودة وبينما هم يستريحون في إحدى الغابات ليستأنفوا مسيرهم ؛ فإذا هم برجل جريح يتلوى من الألم ، فعرفه سليمان وقال لولديه : هذا أحد الرجلين اللذين قتلا صاحبهما واتهموني بالغدر به .

فاقتربا منه ؛ فإذا هو يقول : سيدي سليمان ! .. آه .. ساعدني أيها الرجل الفاضل.. تعال لأذكر لك الحكاية . اقتربوا منه وجلسوا حوله ، وسقوه قليلا من الماء ، وقال له سليمان : من فعل بك هكذا ؟

رد الجريح باختصار : الطمع .. سأعترف لك أيها الرجل الشهم لعلك تسامحني .. أعطوني كسرة

خبز لي أكثر من يومين لم أذق الخبز .
دفع له حسن كسرة خبز وطعاما ، وكان يأكل ويتكلم ويسأل : كيف نجوت يا سليمان من الموت.. من الفخ الذي نصبناه لك ؟!
رد سليمان بهدوء : بفضل من الله تعالى .. لم تحن نهايتي بعد .. تكلم أيها الشقي.. من الذي طعنك هذه الطعنة القاتلة .. تكلم ؟!
فقال الجريح بحسرة وندم وذل : غدر بي الغدار ، الرجل الذي اتخذته صاحبي ولكن هذا جزائي ، فاعلم أيها الرجل ـ وأشار بعينيه إلى سليمان ـ أن زوجتك المطلقة حصن علمت بأنك تبحث عن ولديك ، وأنهما حيان كما أخبرت أنت الناس في البلدة ، فأرسلت وراء بلعوم وأطلعته على الخبر ، وبلعوم هو الرجل الذي قتلناه أنا ورفيقي الغادر واتهموك ـ أهل البلدة ـ بمصرعه ، وهو نفس الرجل الذي رمى ولديك في الغابة ، وتركهما ضحية للأسود في غاباتها فلما علمت حصن بحياة ولديك ، قررت الخلاص منك ، فأرسلت بلعوم خلفك ، وأرسلتنا خلف بلعوم لنتخلص منه أيضا ، والتقينا ببلعوم في إحدى المدن وتظاهرنا بأننا أصدقاؤه ، وسرنا نحن الثلاثة نبحث على شخصك حتى وجدتنا في تلك الغابة ، وادعينا أننا قد تعرضنا للصوص وحاجتنا للمال ، فوعدتنا المساعدة عندما نصل البلدة القريبة التي فيها صاحبك ، فأمرنا بلعوم أن نؤجل قتلك حتى نكسب المال ، وكان لنا ذلك ، فسرنا معك حتى حصلنا على المبلغ الكبير منك ، فغدرنا ببلعوم وأخبرنا رجال القاضي بأنك أنت الذي قتلته ، واختفينا عن الأنظار حتى تيقنّا أنهم سيقتلونك فتركنا البلدة ، ولما وصلنا لهذه الغابة غدر بي شريكي في الإجرام ، وطعنني بهذا الخنجر وهرب ، هذه هي الحقيقة أعترفت لك بها وأطلب منك المغفرة والمسامحة ، فلابد أني ميت الآن أو بعد ساعات ، وأما أنت فأخبرني كيف نجوت من الموت ؟
فقص عليه سليمان قصة نجاته ، وحملوه معهم ؛ ولكنه فارق الحياة اثناء الطريق ، فمات فواروه التراب ، وتابعا السير تجاه الوطن .
وبعد مسير طويل وصلوا مدينتهم الشماء ، وفرح بهم الأصدقاء والخلان والأخوة ، وأصبحوا حديث أهل البلدة ، فالناس تزورهم مهنئة بالعودة ويسمعون تفاصيل الحكاية .
وجاءت رسالة من حصن لسليمان تطلب منه الصفح والعفو ، فأخبرها بعفوه عنها ، ولا يرغب برؤيتها ، وقد علم بخبثها وتآمرها على ولديه ، وإرسالها بلعوم لقتله ، وقد قتل بيد رجليها ، وقد قتل أحدهم الآخر ، ولابد أن يقتل الآخر ، وأهملها سليمان ، ولم يحاول الانتقام منها .

وبعد أيام من الفرح والراحة والأمان أبدى الأب رغبته بتزويج ولديه ، وتم ذلك خلال شهور يسيرة ، ولما تزوج الشابان ، ودعهما سليمان وبين لهما عزمه على السفر والرحيل في البراري والغابات ، وبعد معارضة وممانعة من الولدين رحل خفية كعادته في ماضي الأيام ، فهذه هي قصة جلد الأسد وما فيها من العبر والثمر .

تمت بحمد الله



شمس عمري

الحلقة ٢

أختي بدرية

اضطر ناصح الخابي لشراء قصر لزوجته الأرملة الشقراء ، وبعد زواجه بشهور تزوجت قمرية وتقرر أن يسكن جبر في الفيلا ؛ لأنه لا يجوز أن تخلو الفيلا من رجل ، وعلى أثر تلك التطورات في تاريخ الأسرة تم تغيير ديكور الفيلا ، ولما وصلت هذه الأخبار للسيدة مريم ـ التي رحلت إلى أمريكا قبل زواج طليقها من حسنائه الجديدة ، وقبل زواج ابنتها الكبرى قمرية ـ أرسلت وراء ابنتها بدرية تحثها على الرحيل واللحاق بها والحياة معها ، فوجد هذا الاقتراح هوى لدى بدرية، فقدمت استقالتها من شركة والدها ، وبدأت تتهيأ للسفر ، ولما تمت الموافقة على سفرها وأتتها تأشيرة الدخول لأراضي الولايات المتحدة فاتصلت بأبيها بالهاتف مودعة في آخر لحظات السفر ، وكان والدها لما أخبر برغبتها بالسفر لأمريكا الشمالية قد عرض عليها زوجا يعمل معه فرفضت واختارت اللحاق بأمها ، وودعت أختها وزوجها جبرا ، وسافرت بدون ضجيج ورفيق ، وفي ولاية فيرجينيا نزلت على أمها حيث يعيش ويدرس أخوها سمري للماجستير بعدما أنهى البكالوريوس في الإدارة والاقتصاد ، وتعانقتا وهما تبكيان ، ولما هدأت روحها سألتها أمها : ألم تسمعي خبرا عن عمري ؟

فقالت وباستغراب للسؤال : لا يا أمي ! ..ولم تسألين عنه بعد كل هذه السنوات ؟!

فقالت بحزن يشوبه ندم : أرى أنه خيركم يا ابنتي ! .. عرف اختيار الهدف .. لقد كانت حياتنا هواء وهراء وما كنا أحرارا كما نغني .. فقد وجدت أن أخاك متزوج من فتاة أمريكية لا اشتريها بفلسين .. لا أدري كيف تزوجها ورضي بها شريكة حياة ؟ ! إنها تكره العرب والمسلمين كما تقول وتزعم .. أما كيف رضيت بسمري لحتى اليوم لا أعرف ؟ ستعرفينها

فأظهرت بدرية الغضب وقالت : لماذا لم تخبريني بذلك قبل السفر ؟

فقالت كأنها معتذرة : إنني أشفقت على وحدتك فأنا على اتصال ببعض الصديقات .. ولن نبقى هنا ، لقد طلبت من سمري أن يجد لنا شقة قريبة منه لنرحل إليها ، وهذه الفتاة قد تزوجها من قبل حضوري بأيام .. صديقة له يدعي أنه زواج مصالح ..

استسلمت بدرية للواقع وبلعت الطعم على مضض وهي تقول لنفسها : لا أظن يا أمي أنك أشفقت على وحدتي بل أشفقت على وحدتك أنت

.. أرسلت ورائي تسلية لك .. أرجو أن أجد الوضع هنا خيرا من هناك .. ما أبشع حياتنا ! مع كل ما نملك من أرصدة وأموال .. نحن نعيش في تعاسة .. كل واحد يغني على ليلاه ..الأنانية ..كل يعشق نفسه .. منذ أن اقترنت قمرية بجبر ما دعتني لعشاء أو غداء معهما .. كأنني غير موجودة معهم في البيت .. أو لعلها خائفة أن أسرق جبرا منها ..!!

ولما سألتها أمها عن زوجة أبيها قالت : من يوم خطبة قمرية لم أرها .. تزوجها زوجك السابق في حفل صغير بناء على طلبها ، فاعتذرت عن الذهاب ، فلم يهتم ولم يلح ، ولا حتى جبر وقمرية أظن أنهما ذهبا ، أعتقد فقط أن عمي ناجحا وحده رافق الزوج الفحل في ذلك اليوم

ضحكت مريم صادق وقالت : من أين له الفحولة ؟ .. لقد كان يتعالج عند الدكتور بستان من الضعف الجنسي وغيره ..

قالت بدرية : دعينا منه يا أماه ! .. المهم فليعجل سمري بإيجاد شقة لنا ندفن أنفسنا فيها

فقالت الأم : الحياة هنا جميلة وممتعة .. سوف ترين ذلك حين ترتاحين من تعب السفر والطائرات

فعادت بدرية تحدث نفسها : من أجل ذلك بعثت ورائي ثم رفعت صوتها قائلة : سوف نرى ذلك على الطبيعة مع أنني لم أر شيئا حلوا في الحياة .. فزوجك بعد عشرات السنين استبدلك وأنت لم تتركي فتاة صالون ماهرة إلا وترددت عليها لتظلي غزالا في عين ناصح الخابي ..

فقالت الأم بحسرة : اكتشفت بعد فوات الأوان يا ابنتي أنني لم أكن أتجمل لأبيك بل لأصحاب أبيك .. فها هي امرأة أرملة شقراء عاقر تخطفه مني بلمح البرق .. الرجال ماكرون خادعون

فقالت بدرية : والنساء يا أمي .. أليست الشقراء امرأة ؟

عندما عاد سمري وزوجته ليلا رحبا ببدرية ، وكان سمري قد استقبل أخته في المطار ولما أدخلها مدخل العمارة تركها وعاد إلى جامعته ـ فهو يدرس الماجستير الأكاديمي ويشتغل عند والد سيزانا في متجر كبير ـ أظهرت سيزانا العطف والشفقة على بدرية ، ولما انتهوا من التعارف والمجاملات سألته الأم عن الشقة التي وعدها أن يستأجرها لها ، فذكر أنه اتصل بالمالك أو محامي المالك وسوف يوفران لهما شقة في أقرب وقت أو عند رحيل أول مستأجر ، وبعدما هبط الليل قال سمري: هيا بنا يا سيزانا نحتفل ببدرية في أحد المطاعم

فهبطوا للعشاء في أحد المطاعم الأمريكية ذات الصيت والسمعة العالمية ، كانت سيزانا ودودة

جدا مع بدرية ، وكانت تظهر النفور من أم بدرية
.

*****

بعد أن سكنت مريم وابنتها في شقة خاصة بها أخذتا حريتها أكثر من الحياة مع ابنها وزوجته الأمريكية ، ومنذ فارقتا سمري منذ اسبوعين لم يحاول دعوتها للغداء أو العشاء كأنه لا يعرفها وليستا أمه وأخته ، فكانت بدرية تقول : هذه حياة الأجانب التي كنا نركض لنصل إليها .. المهم نفسي .. إيه لقد كان عمري أصلح منه كثيرا .. أين أنت يا عمري ؟

وبينما هما تتذكران أيام عمري وتوبة عمري رن جرس الباب ، فدهشت بدرية وقالت : منذ سكنا هنا ما رن جرس الباب علينا في المساء إلا بائع الصحف أو اللبن في الصباح

ولما فتحت الباب فوجئت بسمري وزوجته فتصافح الجميع وقالت سيزانا : قلت لسمري زمان ما رأينا بدرية هيا بنا نسمر معها .. رغم تعبنا هذا النهار

وأخذت تشتكي من تعب العمل وإرهاق ساعات الدوام والدراسة ، وبعدما شربوا القهوة ، قال سمري لبدرية : وجدت هذه الرسالة لك يا بدرية وأظن أنها من الشغالة حسنية

أدركت الأم وابنتها حينئذ سبب زيارة سمري لهن ، كان يكتفي بالاتصال بهن في الهاتف ، وكانت قد نظرت في عيني أمها وابتسمت ابتسامة خاطفة لا تكاد ترى ، وتناولت بدرية الرسالة من يده الممدودة ، وفضتها فوجدت بداخلها رسالة ومظروف آخر من غير عنوان فتذكرت على الفور الرسالة القديمة التي وضعتها تحت الوسادة منذ شهور ولم تقرأها فقالت لنفسها بسرعة : أين ذهبت يا ترى ؟! وقرأت رسالة حسنية التي كانت تشتمل على السلام على الأسرة وأنها تلقت رسالة من مجهول لبدرية فلما انتهت من القراءة ، ذكرت لهم تحيات حسنية وعمران البواب وقمرية وجبر ، ولم تقرأ الرسالة الثانية بل وضعتها في جيب قميصها ، وبعد وقت يسير انصرف الزوجان ، ولما أغلقت بدرية الباب وراءهما قالت باسمة : هذا ما دفعهما لزيارتنا يا أمي وأخرجت الرسالة ثم تابعت الكلام قائلة : لقد تلقيت رسالة مثلها منذ سنة تقريبا .. اليوم تذكرت أنني لم أقرئها .. لقد ظننت أنها من شاب سخيف .. وها هو يكرر المحاولة

فقالت الأم : افتحيها واقرئيها لنرى ما بداخلها .. ومن هو السخيف الذي أرسلها ؟

مزقت بدرية الغلاف وأخرجت ورقة بيضاء مسطرة وعليها كتابة .. فقرأت بصوت مسموع

بسم الله الرحمن الرحيم

أختي العزيزة بدرية

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ...

فقالت الأم : ما هذا ؟!

ارتبكت بدرية وقالت : هذا خط عمري إنها رسالة من عمري .. ها هو توقيعه في ذيلها

خطفت الأم الرسالة وهي تقول بلهفة : عمري .. ولدي وضمتها إلى صدرها وقد سقطت قطرات دمع من عينيها وهمست : ما أقسى قلبك يا عمري ! .. ثلاث سنوات لم نرك ولم نسمع عنك خبرا

فقالت بدرية : على مهلك على الرسالة يا أمي .. إذن تلك الرسالة التي لم أقرئها كانت من عمري .. لا أدري ما مصيرها ؟! .. قد تكون حسنية ألقتها في سلة المهملات لكنها مغلقة سأكتب إليها لتبحث عنها وترسلها إلي .. هات يا أمي أقرأ ما كتب الأخ العزيز

قالت مريم : إقرئي يا بدرية .. أنت بصرك أصلح من بصري

أخذت بدرية الرسالة وقرأت بعد السلام

بسم الله الرحمن الرحيم

أختي العزيزة بدرية

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

لقد علمت بما صنع أبي المسكين ، ولقد أسفت لم حصل لأمي من طلاق وفراق ولكني حزنت عليك أنت كثيرا ، كنت أحب الناس اليّ في البيت ، كنت أريد أن أعيد لك الصواب لِم أرى من تعاطفك معي ، ومن قرائتك ما أقرأ وكثرة مناقشتك لي ، أحببت إنقاذك من النار ، وقد كتبت لك ذلك في رسالة سابقة ولم أتلق ردا عليها .. فلا أحب أن أزيد في التذكير .. كنت أود يا أختي العزيزة أن تعيشي معي ، فقد علمت بزواج قمرية وسكنها في الفيلا . وأنا وإن كنت بعيدا عنكم لكني معكم وأحبكم وأخاف عليكم .. فإذا أخذت طريق الهداية والحياة بكنفي وبعيدا عن الشرور والفجور فاكتبي لي على هذا العنوان (الريحانة ص. ب ٣١٤٥٦٧) وستجدينني بقربك .. ولقد حدثت صديقا طيبا لي بظروفك ، وهو طبيب فسره الاقتران بك ومستعد أن يكون لك زوجا وطبيبا ، إنني في انتظار جوابك أخوك المحب عمري محمود

وكان في ذيلها التاريخ والتوقيع .

وقرأت الرسالة مرة أخرى وقالت وهي تحلق في الخيال البعيد : هذه الرسالة كتبت قبل سفري بيوم واحد يا أمي

فقالت مريم : إنه لا يعرف بسفرك إلى هنا عند كتابتها وإلا ذكرني في الرسالة

ـ أجل يا أمي .. إنه أشفق عليّ شفقة حقيقية .. إنه يحبني .. سأكتب له رسالة إنني مشتاقة إليه أخي الحبيب .. وسأرسل وراء الرسالة الأولى لعلها لم تفقد بعد .. حبيبي عمري أرجو أن يكون نعم الأخ ..فها نحن قد عرفنا الأخ سمري ناصح

كتبت رسالة للشغالة حسنية تطلب منها البحث عن الرسالة القديمة وإرسالها على شقتها التي ذكرت رقمها واسم الشارع والحي ، وظلت على نار وهي تنتظر تلك الرسالة التي لم تقرئها منذ سنة ، ولكنها وصلت أخيرا ، فقد وجدتها حسنية الذكية بأغراض بدرية التي نـقلت لمخزن الأشياء القديمة والمهملة ، فلما تسلمتها بدرية من ساعي البريد شكرته ، وأغلقت الباب وكادت تطير من الفرح والسعادة ، وكانت أمها قد خرجت لزيارة الطبيب لألم ألم بها في صدرها وقبل أن تقرأ الرسالة قبلتها فرحا وجلست في الصالة تقرأ الرسالة القديمة .. وكان فيها :

بسم الله الرحمن الرحيم

أختي بدرية

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أخوك المحب يكتب لك من أعماق القلب .. يكتب إليك وكله شوق لمشاهدتك وسماع صوتك ومناقشاتك وتعليقاتك .

أيتها الأخت .. لولا حبي الكبير ما كتبت لك هذه الكلمات .. فالحياة جحيم من غير إيمان وتوحيد وتوبة .. لماذا خلقنا يا بدرية ؟! .. أخلقنا فقط للأكل والشرب والشهوات ؟ .. أليس هناك روح مستقرة في أبداننا ؟ وهذه الروح تحتاج لأكل وشرب وشهوات ، فطعامها العبادة كالصلاة والصوم ، وشرابها الذكر والدعاء والأخلاق ، وشهواتها التحليق في عجائب ملكوت السماوات والأرض ، فأكثر الناس حطب جهنم .. وجهنم مكان رهيب يمزق الأفئدة ويحطمها تحطيما .. فلماذا لا ينقذ المسلم نفسه من النار ومن العذاب الأليم ؟! فالنار مثوى الظالمين والكافرين .. انقذي نفسك أيتها العزيزة .

والإسلام لا يحرم ملذات الدنيا ، فهناك ملذات مباحة ، فالزواج بدلا من الزنا ، وجميع ألوان الطعام مباحة إلا القليل ، والكلام كثير .. ولكنك قد تتسائلين لماذا يكتب لي عمري بعد أكثر من سنة من الاختفاء وما الذي فطنه بي ؟! تيقني أنني دائم الفكر بكم وأتمنى أن أصحو من نومي وأجدكم حولي أسرة ثانية عائدين إلى ربكم .. ولكن هناك سببا آخر دفعنني للكتابة إليك وحدك .

فاعلمي أيتها الأخت الحبيبة .. أنني قد تزوجت من فتاة ، هي أحلى امرأة في العالم ، وأجمل من كل فتيات لندن ومرسيليا ، ومن تعرفين من بنات طبقتنا وأقاربنا ، وهي متاع صالح كما أشار نبينا محمد (ﷺ) ، تزوجتها أيتها العزيزة ومنذ أشهر أخبرتني بأنها حامل ، ففرحت فرحا عظيما لهذا الأمر .. والإنسان لا يعلم متى يأتيه الموت .. وهذا المولود القادم سوف يحمل اسم أسرة الخابي سواء كان ذكرا أم أنثى ، ورغم الأوراق الرسمية فقد أحببت أن تكوني بعلم بهذا الزواج حتى إذا حدث لأخيك المحب ما منه مهرب أن تقفي مع زوجتي وولدها .. من أجل هذا وذاك أكتب إليك .. وأرجو أن تكتمي أمر هذه الرسالة عن الأهل جميعا .. أنا خصصتك بها وحدك السلام عليكم يا أختاه .

أخوك عمري

تاريخ كتابةالرسالة

عنوان المراسلة

بكت بدرية أثناء تلاوتها لسطور هذه الرسالة ، ولم تكف عن البكاء إلا عندما سمعت جرس الشقة ، فذهبت وغسلت وجهها وفتحت لأمها ، التي لاحظت على الفور احمرار عينيها من كثرة البكاء فقالت بقلق : ما بك يا بدرية ؟

تنهدت الفتاة وقالت : وصلت رسالة عمري القديمة .. تخيلي يا أمي لو قرأتها قبل زواج أبي وطلاقك لما أتيت هذه الديار الواسعة ولكنها موحشة ، الإنسان بدون أهل وأحباب وأسرة وأصدقاء كأنه ميت .. نفرح لمن يطرق الباب علينا .. والله ما أدري ماذا كان يعجبنا بهؤلاء الأجانب .. لا أحد يطرق باب جاره .. ؟!

فقالت الأم : دعينا من الأجانب ومن عاداتهم وطباعهم .. إقرئي لي ما كتبه الابن العاق

قرأت بدرية الرسالة على أمها التي شاركتها البكاء ثم قالت وهي تكفف دموعها : لقد اختار حياته .. واستغنى عن مال أبي وأمه .. الله يسعده .. إني مشتاقة إليه يا بنيتي .. يجب أن تكتبي إليه وتخبريه بأحوالنا أنا ضقت ذرعا بهذه البلاد .. أنت من شهر أو شهران مللت فكيف أنا ! .. أكل وشرب ونوم .. كنا نظنها جنة الله في الأرض عندما كنا نأتيها سائحين ، كان يخيل إلينا أن هؤلاء الخلق أسعد البشر .. ولكننا لما أخذنا نقرأ صحفهم دهشنا من كثرة جرائمهم والحوادث عندهم .. لم نكن نراها في بلادنا .. لقد سمعت أثناء وجودي عند الدكتور قبل ساعات عن جريمة تقشعر لها الأبدان .. امرأة اغتصبها عدة رجال ، وبعد ذلك قطعوها بالسكاكين ، ثم حرقوها بعد ذلك .. والشرطة قد قبضت على

بعض القتلة الذين اعترفوا بفعلتهم الوحشية ، والبعض الآخر مازال طليقا .. والرجل هنا لا يستطيع أن يخرج في الليل بدون أن يحمل مسدسا أو رشاشا .. والمصيبة انتشار جرائم القتل والعنف في المدارس .. والله أشياء رهيبة تظهر على الشاشات والصحف بدأنا نعرفها عن هذه المدنية والحضارة !

فقالت بدرية : معك حق يا أمي ! نحن عندما كنا نأتي سائحين كنا نرى الصور الجميلة الملاهي المسارح .. السينما .. المسابح .. الحدائق .. كنا نرى الوجه الذي تقدمه لنا شركات السياحة .. أماكن الجذب السياحي .. أما اليوم فنحن نقلب صحفهم صفحة صفحة .. لدينا متسع من الوقت ؛ فلذلك نرى الحياة الحقيقية في المجتمع .. نرى ما فيها من جرائم قتل واغتصاب وأمراض جنسية وعنف وعنصرية

فقالت الأم : اكتبي لعمري الغالي لعلنا نرحل ونعيش في رعايته .. فالحياة مع سمري قاتلة ومظلمة

فقالت بدرية بنوع من الاستغراب :

أتستطعين الحياة مع عمري يا أمي ! .. الشيخ عمري فأنا أرسل لي ليزوجني من صديق له شاب متدين مثله إذا اخترت طريق الهداية والتوبة كما يقول أخي الحبيب.. يا الله كما أحلم برؤيته والحديث معه .. ؟ !

فعادت الأم تقول : الحياة مع عمري أظن وأتصور أنها خير من الحياة مع سمري وسيزانا الملعونة .. لا يستطيع الواحد أن يتكلم معها من تعاليها وانتفاخها وأخوك ذليل أمامها ..

ـ ألم يقل لك مرارا وتكرارا المصالح تتطلب ذلك ؟ .. العمل والحصول على الجنسية الأمريكية يا أمي .. دعيه .. سأكتب لعمري بكل أحوالنا وننتظر ماذا يرد علينا ؟!

رد عمري

بسم الله الرحمن الرحيم

الأخ الحبيب أخي المحب والشفوق عليّ عمري

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

اكتب إليك من حي { القديس يوحنا } فيرجينيا الأمريكية

أشكرك على حبك الكبير لي ، وأشكرك على السعادة التي تتمناها لأختك الضعيفة الضائعة الحائرة .. اعلم أيها المحب أنني للأسف قد قرأت رسالتك الثانية قبل الأولى ، قرأتها وأنا أسكن في شقة مع أمك المطلقة في أمريكا .. لقد وصلت اليّ بعد سفري بأيام .. ولو أنني تلقيتها قبل السفر ربما لم أهاجر إلى أمريكا روبنسون كوروزو وتمثال

الحرية وسوبرمان وحرب الاستقلال والشيخ والبحر ..

أخي الحبيب .. أبارك لك الزواج رغم التأخر في هذه التهنئة للظروف التي تعلمها ، وأظن أنك الآن قد رزقت بمولود آخر ، وسلامي الحار والدافئ لزوجتك أحلى امرأة في الدنيا .. لقد كان رحيلك عن البيت دمارا وسوادا ، حزنا ولم نمل من السؤال عنك ، وندم أبي وبكى على فراقك وبعدك ، ولكنّا أيقنا أنك اخترت الطريق المناسب لك ، كما كنت تحلم يا عمري نسيناك بعد حين أو تجاهلناك ، عادت الحياة كما كانت للبيت حفلات سهرات مقابلات رقص مجون سكر .. كل ما تعرفه عنا .. تزوجت نوال سبب كل هذه المشاكل ، ولما خطبت أختك قمرية ابن عمتك رباب الأستاذ جبر الذي استلم مكانك في مصنع السجاد والخيوط ، كان أبوك المحترم قد وقع في غرام أرملة شقراء زوجة الدكتور ساري إنك تعرفه لقد قام بمعالجتك عندما عدت من لندن منهارا مدمرا من الديون والقمار والشراب .. وقع أبوك في حبها وأبت أن تكون له عشيقة أو زوجة سرية ..أمك لم تتقبل الوضع ، وهي التي تردد مع نساء جمعيات حقوق النساء أن التعدد ضار ومنكر وحرام مما تعرفه عنها وعن نساء تلك الجمعيات والنوادي الفارغة أبي لم يتردد في طلاقها رغم توسلاتنا ، فتم الطلاق بسرعة مدهشة ، وهاجرت إلى بلاد العم سام إلى بلاد تمثال الحرية .. والحرية كما تسمع ونسمع .. عند ولدها الصغير سمري .. وبعد زواج أبي من أرملة الدكتور رحل عن البيت واشترى لها بيتا آخر قصرا كبيرا يليق بحفلاتهم وسهراتهم .. ثم تبع ذلك زواج قمرية وجبر وسكنا الفيلا .. فأصبحت بينهم غريبة ، لا أحد يتحدث معي .. الخادمة تدخل عليّ على خوف وقلق .. آكل وحدي .. فلما تلقيت دعوة أمي للهجرة إلى أمريكا فرحت ، ولما علم أبي بذلك عرض عليّ زوجا شفقة عليّ ، فرفضته ورحلت لبلاد الحرية والحب ، فوجدت أمي تريد من يفك وحدتها فكرت بالعمل ثم عكفت عنه .. كرهت هؤلاء الأجانب وعاداتهم وغرائبهم .

ووجدنا أخاك سمريا متزوجا فتاة أمريكية .. لا أشتريها بخمسة فلسات .. وهي لئيمة مع أمك وإن كانت تظهر لي بعض الود والميل .. المهم تركنا سمريا ونسكن شقة وحدنا .. مضى علينا فيها شهر وأيام ولم يطرق علينا الباب .. أحيانا يتحدث معنا بالهاتف .. مشغول بين عمله ودراسته للماجستير وزوجته أيضا .. إننا عندما حولت حسنية المخلصة رسالتك لنا إلى أمريكا كانت مفاجأة طيبة وبلسما لنا ..

أخي الحبيب

أمي مشتاقة لك وتريد أن تعيش عندك ، إنها تائهة حائرة .. بغضت مثلي لهذا المجتمع مجتمع التفكك الأسري .. نحن بحاجة إليك يا عمري .. انظر ما تراه مناسبا .. ونحن في انتظار ردك .. سلام إلى زوجتك الطيبة أحلى امرأة في العالم .. سلام إلى ابنك أو ابنتك .. تحيات وقبلات أمك للجميع .. لا تنسانا أيها الأخ الحبيب

أختك المحبة

بدرية الخابي

التاريخ

فيرجينيا ـ أمريكا الشمالية

ثم ذكرت عنوان المراسلة ورقم الهاتف .

****

قرأ السيد عمري هذه الرسالة ، وأخذه البكاء والنحيب ، وكان صاحبنا لما استلم الرسالة ترك عماله وعاد للبيت ، فاستغربت الزوجة الشابة زينب من عودته المبكرة قبل الغداء ، فقال لها مزيلا حيرتها : تلقيت رسالة من أختي الحبيبة .. فجئت اقرأها على هدوء ..

فصنعت له فنجان قهوة وتركته يقرأ وحده ، فلما سمعت بكاءه هرولت إليه من غرفتها وقالت بلهفة : ماذا حدث أيها الزوج الطيب ؟ ! أخبرني يا عمري ؟

فقال وهو يبكي ويتشنج : إقرئي هذه الرسالة يا زينب

تناولت الخطاب بقلق واضطراب وقرأتها ، فبكت كما بكى عمري وقالت بقوة وحزم : عليك بأن ترسل إليهن فورا بالمجيء .. فهؤلاء أهلنا وأحب الناس إلينا .. أسرع يا عمري بالكتابة إليهن .. إنهن يستنجدن بك .. بل اتصل بالهاتف فها هو رقم الهاتف مذكور في الرسالة .

لقد ذكرت بدرية رقم هاتفها في الرسالة ، فقام إلى الهاتف واتصل بأمريكا وبعد دقائق كان يتحدث مع بدرية فلما حياها وحيا أمه وبكى تحت سمعها واعتذر لها طلب بدرية ثانية ثم قال : إنني بشوق إليكن وأنا في انتظاركن .. اكتبي هذا الرقم ـ وأملى عليها رقم هاتف المنزل ـ وعندما تركبنّ الطائرة اتصلي بي فأنا لا أحتمل بعدكن عني .. وأنا في انتظار الاتصال

كانت الفرحة كبيرة لم يسعها قلب مريم ، وسرت من تلهف ولدها إليهنّ وبكائه ، فهو منذ قرأ الرسالة اتصل بهن ، فأخذت تدعو له بالتوفيق والرضا وتتحدث عن شوقها الكبير لرؤيته بعد كل هذه السنوات ، وقالت بدرية متأملة الموقف: أرأيت يا أمي ماذا يفعل الدين الحقيقي بأهله ؟! .. أنا ما زلت أذكر عندما عاد عمري من إنجلترا.. سلم علينا من طرف أنفه كأنه ما غاب عنا يوما

واحدا .. أما الآن كان يتكلم والدموع والشهيق في لسانه ولهجته الدين يرقق الأفئدة .. لا يريد منا إخبار سمري بمسيرنا إليه .. فنـقول له : إننا مللنا الحياة هنا وسنعود للحياة بين الأهل والأحباب وأظن أنه سيرحب بذلك سريعا ويفرح أيضا وهذا ما حصل فعلا ، فلما سمع سمري رغبتهن بالعودة للوطن أغلق الهاتف ، وأقبل إليهن

مسرعا ومعه سيزانا بالطبع ، فأخذت الأم تحدثه عن ضجرها من الحياة في المجتمع الأمريكي ، وأنها تفكر بالعودة للحياة عند أهلها وأحبابها ، وطفقت سيزانا تشجعها على العودة ، وبعد حين يسير تحمس سمري وبين لهنّ محاسن العودة للبلاد ، وخلال أسبوع كان سمري قد حجز لهن تذكرتين إلى نيويورك ومنها لأوروبا وبعد ذلك لأرض الوطن ، وليلة الرحيل اتصلت بدرية بشقيقها عمري وأخبرته بتاريخ السفر وساعة الرحيل ، وأنها ستتصل به من روما أو مدريد حسب رحلة نيويورك .. ولما أوصلهن سمري للمطار ودعهن بعجلة لكثرة أشغاله ، ولم ينتظر معهن لحين إقلاع الطائرة ؛ ولكنهن لم يكترثن بذلك ، فقد كان شوقهن لعمري كبيرا ينسيهن الانتباه لهذه المواقف.. وصلت الطائرة مدينة نيويورك عاصمة المال والتجارة العالمية ، ومنها إلى أوروبا ، وبعد يومين في أوروبا حجزن تذكرتين ، ولما رحلن من أوروبا كانت بدرية قد تكلمت مع أخيها عن تفاصيل الرحلة ، ووصلت الطائرة الجامبو مطار البلاد في الليل قبل الفجر ، ولما خرجن من الطائرة كان عمري في انتظارهن ومعه زوجته زينب وولداه اللذان تركهما نائمين في السيارة ، فلما أخذن الجوازات أخذن يتطلعن يمينا وشمالا فلم يعرفن عمريا ابتداء فهو كما يعلم القراء قد ترك لحيته على سجيتها وكان يضع على عينيه نظارات ملونة ، فلما اقترب منهن خلع النظارة واندفع نحوهن وهو يهتف : أهلا بأمي الحبيبة

وتعانقت الأم وولدها الذي هرب من البيت قبل سنوات قليلة ، وكانت الدموع تنساب من العيون وتسمع الزفرات والتنهدات ، ثم عانق أخته ، فلما انتهى من عناقهنّ والترحيب بهنّ ، وكانت زينب تقف خلفه ـ وهي في ارتباك وتأثر ـ فأشار إليها قائلا : زوجتي زينب يا أمي قبلت الأم كنتها واحتضنتها ، فسلمت عليها الأخرى بحرارة وقبلت يديها، ثم عانقت بدرية ، وكانت الحقائب قد وصلت فتناولها عمري وقال : الأطفال في السيارة

استيقظ الطفلان على فتح صندوق السيارة ، فعانقت الجدة حفيدها ذا السنتين وحفيدتها ابنة الأشهر وهي مسرورة مما وجدته من حرارة اللقاء ومن شوق وحنان لدى ولدها وزوجته .. وكان

عمري قد أحضر معه ساندويتشات وزجاجات العصير البارد فقدمها للجميع ، وكانت مريم قد انشرح صدرها كما قالت لكنتها الفتاة الرقيقة المجلببة ، وكانت قبل رحيلها لأمريكا إذا رأت فتاة تلبس الجلباب وغطاء الرأس تشمئز نفسها وتكاد أن تقيء من القرف والجهل من هؤلاء الفتيات اللواتي يلبسن هذه الأسمال ، أما الآن فلا ، فقد تهيأت زينب لهذا اللقاء ، قد كانت زينب طيبة ولسانها جميل وحلو كالعسل ، بل بدرية سرت منها ، ورأت أن أخاها صادق بوصفها بأنها أحلى امرأة في الدنيا ؛ لأن كلامها يشفي الجراح ، ويرفع من نشوة الروح ، فالمسافة بين الريحانة والعاصمة تحتاج لثلاث ساعات لقطعها ، ووصلوا مدينة الريحانة مع شروق الشمس، فقامت زينب على الفور بتهيئة الحمام للأم والبنت وانشغلت وزوجها بصلاة الفجر .

زينب

وكان عمري قد هيأ حجرة بأثاث جميل ، فيها سريران لحياة أمه وأخته معه ، فلما اغتسلن كانت زينب قد أعدت لهن الطعام ، ثم طلب منهن عمري الرقود والراحة وبعد الراحة والنوم يبدأ التفكير والحياة ، فكانت مريم تقول لبدرية قبل أن تستغرقا في النوم : إني لا أكاد أن أصدق ما أرى .. عمري صاحب هذه الأخلاق .. بل زينب هذه الفتاة الرائعة أكثر منه حنانا وعطفا وذوقا من غير إشعارنا بحرج أو ضيق .. لقد سحرتني بنبلها وأخلاقها وحبها مع أننا أول مرة نتقابل .. ولا أظنها تنافق لا يوجد ما يدفعها لذلك ..

فقالت بدرية : منبتها حسن يا أمي .. نحن كنا في جاهلية ..المرأة تحب زوجها وتخدمه وتخدم أهله وترى ذلك عبادة وقربى إلى الله أخي عمري محظوظ وقد عرف دربه .. وفقه الله

فقالت الأم بحسرة : علينا أن نتغير يا بدرية .. الدنيا ماكرة ولا تدوم على حال .. أنا في السنة الأخيرة عرفت الدنيا والناس أكثر من الخمسين التي مضت من العمر

فقالت بدرية:تحول الإنسان مثلنا يحتاج إلى إرادة وعزيمة قوية يا أمي

فعادت مريم تقول : والله يا ابنتي بعد تلك البهادل ما عاد في الدنيا شيء حلو .. فمنذ طلقني أبوك وأنا أحس بالمرار وأقول ليس للدنيا أمان ، فبعد عشرة أربعين سنة رماني كما يرمي الناس الجيفة .. فشددت ظهري بولدي البعيد ؛ فإذا هو غارق في دنياه وهواه ، ولا يستطيع الجلوس معي ساعة من نهار .. وها هي قمرية منذ سافرت إلى أمريكا لم تتصل بي وتواسيني وتشد من أزرى .. وأنت لأنك نفرت من الرجال قبلت العيش معي على مضض .. إنك تحبين الحياة والحركة وما زلت في

مقتبل العمر، فعندما يذهب عنك الذهول وصدمة الأحداث ستعودين لما كنت عليه .. لا تظني أنني جاهلة يا ابنتي ! .. الحياة تجارب وخبرة عندما يكون الشخص قويا الكل يحسب حسابه ، واعلمي أنه رغم معرفتي لحياة أبيك الفاسدة كان صمتي على ذلك لتسير السفينة .. فعندما غمزته امرأة تظاهرت بأنها تعشقه صدق نفسه أنها واقعة في هواه ، وغدا ستعلمين من أخبارهما ما يحزنك على والدك .. لقد حدثتني عنها إحدى معارفها فقالت : هي ثعبان أملس يحمل بين نابيه السم القاتل أبوك يظن أنه كسب امرأة ومالا فأخشى يا

بنيتي أن يخسر المال بعدما خسرنا ..

فقالت بدرية بحزن وأسف : ماذا سنفعل بالمال ؟! ها نحن نملك الأموال والأرصدة ولا نستطيع إلا أن نبحث عن رجل نحتمي به ونعيش في كنفه..

فقالت الأم : سنة الحياة .. لا الرجل يستقل عن المرأة ولا المرأة تستغني عن الرجل سواء الأب أو الأخ أو الابن .. طبيعة الحياة .. ومن يستغني عن ذلك يره جميع الناس شاذا .. المال لابد منه للحياة ولكنه ليس كل شيء

أمضت الأم وابنتها أسبوعا هادئا في كنف ولدها البكر عمري ، ورأت ولمست منه حنانا لم تكن تراه عندما كانوا يعيشون في بيت السيد ناصح ، وكانت زوجته في غاية المحبة والظرف معهنّ ، فلمست الأم السعادة والوفاق الذي يغمر هذه الأسرة ، فكانت زينب لا تخطو خطوة إلا بالاتفاق والتفاهم مع زوجها ، ذات يوم قال عمري : يا أمي ! .. إنني أبحث عن بيت واسع .. ليحلو لكم المقام معي .. فطاعة الأم بالمعروف واجبة وليس منّا أو تحميل جميل

فقالت مريم : في هذه الأيام القليلة والله يا ولدي إنك عوضتني عن كل الأيام التي قضيتها عند أخيك في أمريكا ، لم يحسسني يوما أنني أمه ، وكان يعاملني بخوف وقلق من أبيه كأن أباه معنا .. تصور يا ولدي ذات يوم قلت له يا ولدي إنني أملك ملايين الدولارات لا تخاف أن يقطع عنك أمواله .. فسخر مني وقالماذا تفعل ملايينك مع ملايين أبي ؟! .. والآن حان وقت سماع قصتك منذ رحلت عنا .. فلنا أكثر من أسبوع ننتظر

قص عليها قصته باختصار وسبب اختياره لهذه المدينة ، ومحاولته العمل في الشركات الخاصة ولم يستطع الصمود أمام الغش والتلاعب ، ففتح محلا لبيع الأثاث ، ثم فتح محلات أدوات منزلية .. ثم نزوله العاصمة بعد عام ، واتصل بصاحبه علي الحمد وحسن فوفقه الله بالزواج من أخت حسن ، وقد تزوجها بأقل من ألف دينار ، فباركت له الأم اختياره وتمنت له السعادة الدائمة وقالت :

يا ولدي الحياة بدون أولاد تعيسة ومؤلمة .. أيها الحبيب .. اشتري أكبر بيت في الريحانة فأموال أمك تحت تصرفك

فقال : الأمور تمام يا أمي .. لا أريد أن أشعر أنني احتضنتك لأجل الأموال التي معك

فأموالك لك .. فهذا البيت مناسب قبل مجيئكم فنحن بعد أسرة صغيرة .. وقد اشتريت قطعة ارض في ضاحية جديدة ستنشأ في الريحانة يا أمي ! وعندما يبدأ الناس بالبناء سأفعل مثلهم .. وأنا أبحث عن بيت أكبر من هذا من أجلكم ولتأخذوا راحتكم في البيت والمطبخ وأنا يسرني جدا أن تأكلوا من تحت يدي زوجتي ؛ ولكن قد لا يعجبكم اختيارنا لأصناف الطعام .. وزينب لا تتضايق أبدا من صحبتكم ومن أكلكم معنا

فقالت الأم متأثرة : صدق يا عمري يا حبيبي أن طهي زوجتك طيب ولذيذ .. ونحن كنا نأكل كما تعلم من طهي حسنية المسكينة ، فكيف زينب الأميرة الرقيقة الطيبة ؟! .. اسأل بدرية لقد أثنيت على حسن طعامها وإتقانه كثيرا .. إنها سيدة فاضلة وتحبك كثيرا وسعيدة بك هنيئا لك بها ..

فقال عمري : حق هذا يا أماه .. من أعماق قلبك أنت راضية عنا

قالت بفرح غامر : أجل يا حبيبي .. لقد بلغت الخمسين سنة ماذا جنيت من حياة الملاهي والسهر ؟ .. إنني طلبت من زينب أن تعلمني فروض الصلاة .. وأفكر بالحج يا ولدي لأعاهد الله على التوبة والندم .. إن كلام زينب بلسم .. تعرف واجباتها

ودينها وحقوق زوجها وأولاده وأقاربه .

فقال باسما : كل ذلك عرفتيه في أسبوع فردت باسمة : بل عرفته منذ التقينا بالمطار .. احرص عليها يا ولدي .. إنها فتاة مؤمنة .. يا عمري قبل أن تحضر بدرية وزينب ، أما حدثتنا عن الطبيب الذي أشرت له في رسالتك لأختك .. فإذا كان مناسبا زوجناهما ولا داعي للإنتقال من هذا البيت حتى تبني بيتك الجديد في الأرض الجديدة ..

فرد عمري فقال : عندما كنت أعيش في كنف أبي يا أمي .. كنت أحس وأشعر أن بدرية تريد أن تسير معي وتصلي ولكنها خائفة مترددة ليس لديها الشجاعة والتحدي للانعتاق من الخوف والقيود .. فلما أتيت الريحانة تعرفت على الطبيب فائز في المسجد ، فهو يعمل في مستشفى الحكومة هنا ، ووجدت أنه يسكن في حي الصخرة هذا الحي ، فتصادقنا وأحببته في الله ، وهو أحبني في الله سبحانه ، ومن حبي له ذكرت يوما حبي لأختي بدرية ومحاولة إنقاذها من النار ومن تقاليد العائلات ، ونتيجة الكلام أبدى رغبته بالزواج

منها حبا لي ولإنقاذ نفس من النار فإذا بدرية لديها استعداد للزواج فعلينا تدبير ذلك ، فالطبيب فائز إنسان لطيف وشاب ممتاز .. وهو صديق مخلص

فقالت : سأفاتحها بالموضوع .. يجب أن تتزوج فقد أصبحت ابنة ست وعشرين سنة .. والعمر يجري

ـ هناك مشكلة بسيطة إن شاء الله .. وهي أن البكر في بلادنا إذا أرادت الزواج تحتاج لموافقة والدها إذا كان على قيد الحياة .. فدبروا ذلك إذا رضيت بدرية بالزواج من صاحبي فائز لطفي وطبعا سوف استدعيه ليراها وتراه .. فالنظر مطلوب بين الخاطبين .. وهو منذ عرف بعودتكما وهو مشتاق للسلام عليكم ورؤية العروس ..

فقالت الأم : بارك الله فيك يا ولدي .. هذا من حبك لأختك وحرصك على طهارتها وعفتها هذه أشياء لم نكن نهتم بها كثيرا ونحن في بيت الأسرة .. والله إنني أسمع كلاما من زينب فأتعجب من جهلنا ومناداتنا بحرية المرأة العربية ، ومساواة الرجل والمرأة ، وإلغاء القوامة والتعدد ، ووضع التعقيدات في طريق الطلاق .. اكتشفت أننا نحارب الإسلام والدين ونحن جاهلون به ، لا نعرفه ، نظن أن أعراف الناس وعاداتهم كلها دين وهي بعيدة عن الدين .. فأتحفتنا زينب بقصص لطيفة عن زوجات النبي (ﷺ) ومشاجراته في البيت ومداعباته وحياته الخاصة ما يكاد يصدق .. حتى أنها تقول إنه تسابق مع زوجته عائشة مرتين هات لي رجلا يتسابق مع زوجته في عصرنا هذا ، ورخص لها وأذن لها بمشاهدة الأحباش يلعبون في المسجد بل هناك قصة أن إحدى زوجاته طلبت من ضرتها أن تركب هودجها لتسمع ما يقول الرسول (ﷺ) لعائشة.. قصص مدهشة لم نكن نسمع بها ونعرفها .. بل حدثتني عن هجر النبي (ﷺ) لأزواجه شهرا .. بل أيضا لما أراد طلاق إحدى زوجاته الكبيرات في السن تنازلت عن ليلتها في القسم والمعاشرة من أجل أن تبقى على ذمته وزوجته في الجنة .. قصص وحكايات حلوة وجميلة غير منتشرة بين الناس .. فزينب هذه رائعة .. بل تقول لو تزوج عليها عمري ثانية فلن تمانع ، وإن قد تتألم وتتضايق ابتداء لطبيعة النفس البشرية ؛ ولكنها طائعة لله ترضى بذلك .. وتقول إن الناس يظنون أن الحجاب والجلباب يفرضه الرجال على النساء .. لا .. إنما هو أمر الله فرض من الله .. والله لا يفرض شيئا ضارا ومشوها وفاسدا لأنه هو الحكيم الخبير العليم .. رائعة .. رائعة زينب ! ظهرت أمامها يا ولدي من أجهل الناس، لقد دهشنا أنا وبدرية من حكاياتها وفهمها لسيرة الرسول (ﷺ) تبكي يا ولدي نحن الذين

يجب علينا أن نبكي ، نحن لم نكن نعرف التربية نحن فقط نقلد ونتشبه ..

فقال عمري وهو يمسح دموعه : إنني سعيد بكل ما تقولين يا أمي .. فهذا يدل على أن الإيمان قد دخل قلبك وكبر .. أنت تسمعين ذلك بقلبك المؤمن فمن أجل ذلك تقبلت كلمات زينب فأنا سعيد ..

فقالت وقد تأثرت ببكاء عمري : يا بني كنا نعيش في الوهم ، وتظن الواحدة أنها ملكة ، وتظن أنها أفهم النساء بمعاشرتها لنساء وسيدات المجتمع .. ثم ترى نفسها يوما مدحورة مطرودة .. فهل تأسف على ملك زائل ؟ فامرأة شقراء أنست أباك عشرة عمر ، ورمى عليها يمين الطلاق بدون أسف وحسرة وندم .. أنا أحسدك على زينب مع أنها تركت المدرسة بعد الثانوية العامة فلم تدخل معاهد أو كليات ولكنها تقرأ جيدا وتفهم جيدا ..

- وأسرتها طيبة يا أمي .. أبوها ملتزم وأكثر أهلها كذلك وهذا عامل مهم في التنشئة .

*****

كانت بدرية هي الأخرى منشرحة الصدر لكلام زينب وتقارن نفسها ابنة الجامعة مع ثانوية زينب ، فترى أنها أمية درست أربع سنوات لتحمل شهادة ، وتعمل موظفة في شركة تكتب بعض الأوراق والملفات يدرسهن طفل في أسبوع ، وأما الدين الأمر المهم في حياتها الدنيوية والأخروية فهي فيه لا شيء .. لا تحفظ آية من كتاب الله ، وعندما تسأل عن دينها فتجيب السائل الإسلام أو أنا مسلمة ، وهي لا تعرف أبجديات الإسلام ، إذن صحبتها لزينب غيرت من نظرتها لدينها ، وأن الحياة ليست كلها لهو وعبث وقضاء شهوات ورغبات ، فعرفت أن الإسلام لا يمنع المرأة من طلب العلم ودراسة المحاسبة والسكرتاريا والإدارة والتجارة ، وجدت أن الإسلام لا يمنع الأنثى من الخروج للترفيه والبساتين والمياه ولا يمنعها من العمل وهناك مجالات للعمل تكون أفضل من غيرها للمرأة ؛ ولذلك قد عزمت على التمسك والتفقه بدينها ، واعتبرت أن الأحداث التي جرت كانت خيرا لها ولأمها ، وأن المال لا يغني عن الاهتمام بالحياة الأبدية بعد الموت ، فازداد حبها لأخيها وزوجته ، فلما فاتحتها أمها بموضوع الطبيب ، قالت بانبساط وسرور : أنا راضي باختيار أخي وراضٍ بصديق أخي .. وأرى أن الحياة في هذه المدينة جميلة وطيبة رغم أنها مدينة بحرية فتنظيم المدينة تنظيم ممتاز ومجاورة زينب فيها خير كثير فقالت الأم : على بركة الله يا حبيبتي .. وعليكما أن تنظرا لبعض كما يقول عمري .. فالنظر في هذا الموضع جائز بين الرجل والمرأة ، وإن كنت

أحسب أن الشاب موافق من قبل أن يراك لحبه لأخيك كما شعرت من كلام عمري رضي الله عنه ابتسمت بدرية وهي تسمع كلام الأم ، وأخذت تقارن بين صورة أمها في العاصمة وأمها اليوم في الريحانة ، وهمست : الإنسان عجيب! وأرسلت الأم وراء عمري وزينب وأطلعتهم على موافقة بدرية على الاقتران بفائز لطفي .

فقال عمري مسرورا : غدا بمشيئة الله سبحانه سيأتي ومعه أخته ، فأمه ميتة منذ زمن منذ كان طفلا ، وأبوه بعدما ربى الأولاد تزوج من امرأة تصغره بسنوات لتقوم على خدمته ورعايته .. فله أخت فاضلة متزوجة ولديها أطفال وغدا ستتعرفون عليها

تمت المشاهدة الشرعية بين الشاب والفتاة ، ووافق الاثنان على الزواج في نفس السهرة والجلسة ولكن عمريا طلب من صديقه أن يرد عليه بعد أيام ، وأن يـفكر بالموضوع على هدوء بعيدا عن الخجل والإحراج

زواج بدرية

كانت المشكلة التي تواجه العروسين هي موافقة الأب ناصح الخابي على هذا الزواج أو قل توقيعه على عقد الزواج ؛ لأنه لا يتم زواج البنت البكر في قانون الزواج إلا برضا ولي أمرها ، وهو ابتداء الأب وهذا مطلب شرعي أيضا ، فبعد تأمل ونظر قال عمري : عليك يا أمي باستئجار شقة مفروشة في العاصمة ، وعلى بدرية الاتصال بوالدها وتخبره بعودتكم ـ ولابد أن سمريا أخبرهم بذلك - وتخبره بأنها وجدت الزوج المناسب ، ثم نتفق مع الكاتب الشرعي المعين من قبل المحاكم الشرعية ، وفي اليوم المحدد يحضر والدك يا بدرية لوضع توقيعه ، وإن حاول الاعتراض قولي له لن أتزوج الا من هذا الشاب ، لا تحدثيه عني فلكل أجل كتاب

وبعد أن تدارسوا خطة عمري والموضوع من جوانبه وجدوه هو الحل الأمثل ، وإذا رفض ناصح هذا الزواج وصمم على الرفض ستلجأ بدرية للقاضي ليكون ولي أمرها ، فقام عمري وأسرته بزيارة العاصمة فترك زوجته وولديها عند أهلها ، واتصل بمكتب عقاري فحصل على شقة مفروشة لمدة شهر واحد ، ونزلوا فيها وعلى الفور اتصلت بدرية بقمرية التي عتبت عليها مجيئها البلد ولم تتصل بها لتكون في استقبالها ، فضحكت بدرية وقالت متهكمة : كم تلفون رن علينا في أمريكا ؟! .. المهم أنا ساكنة مع أمي .. وذكرت لها اسم الشارع والحي واسم العمارة ، وذكرت لها أنهن قضين عدة أيام في أوروبا ، ثم ذكرت أنها وجدت شابا مناسبا للأقتران به ، وطلبت منها أن

تتصل بأبيها وتخبره بموضوعها ، ثم ختمت حوارها قائلة : غدا سأتحدث معك

تحدثت قمرية مع والدها ، ثم قامت بزيارة أمها وأختها في الشقة المستأجرة ، وجرى بين الجميع عتاب ، وأبدت قمرية اعتذارها لأمها وأختها وأظهرت سرورها بعودتها ، ولما سألتها بدرية عن رأي والدها بموضوع الزواج فقالت : إنه راغب برؤيتك في الفيلا

ومشت بدرية للفيلا بزيارة ، وسلمت على حسنية والحارس عمران ، والتقت بجبر زوج أختها الذي أخذ يسألها عن العريس ، فقالت : هو طبيب وشاب جيد ومقبول

ولما جاء الأب تعانق الأب وابنته وعتبت عليه بدرية وقالت : يا أبي منذ سافرت لم تتصل بي ولو مرة واحدة ..

فتظاهر بالانشغال والنسيان ، ثم حدثته

عن الزوج الذي اختارته واتفقت معه ، وأنها وأمها لم تطب لهما الحياة في أمريكا فقررتا العودة ؛ ولكنهما امضيا ردحا من الزمن في ربوع أوروبا ومن يومين وصلوا المدينة ، ولما سألها كيف تعرفت على الشاب العريس ؟

قالت : أنا لم أعرفه إلا منذ وصلت فقط .. ونحن في فرنسا التقيت مع أسرة عربية سائحة وتصاحبت مع فتاة ، وخلال الكلام حدثتني عن أخيها الطبيب ، وأنه يبحث عن عروس منذ عهد وهكذا كانت البداية .. فلما استأجرنا الشقة حضر مع أخته واتفقنا .. وذهبنا للقاضي الشرعي فقال لنا يا بنية ما دام والدك على قيد الحياة فعليه بالموافقة والتوقيع على الـعقد الشرعي

فقال ناصح بنبرة غاضبة : كنت تريدين الزواج من ورائي ؟

فقالت بخبث ومكر : لا يا أبي إنما فعلت ذلك من أجل عيون أمي .. فأنا كنت أعرف ذلك فلما تيقنت أمي أن الزواج لا يتم إلا بموافقة الأب قالت لي افعلي ما شئت .. فاتصلت بقمرية لتخبرك بوصولي .. فأمي مسكينة يا أبي ! .. إنها بحاجة إليك وإلى عطفك وودك ..

فانتفخ رأس ناصح تيها وقال : الآن لا أستطيع أن أفعل لها شيئا .. وزوجتي الجديدة امرأة قوية ولا تقبل بعودة أمكم .. ولقد انتهى ما بيننا .. وأنت غدا ستتزوجين وتنسين أمك وأباك ولما يجهز المأذون اتصلي بي وسآخذ قمرية ونأتي اليكم لنضع التوقيع والموافقة على الورقة وألف مبروك يا ابنتي فهذه حياتك واختيارك وأتمنى لك السعادة ، وما دام هذا اختيارك فهو خير وسيكون بين يديك شيك بعشرة آلاف هدية العرس والزواج ووِدعهن وانصرف وعلى أثره انصرفت بدرية ، وقد أدركت أن والدها لم يبق لأمها في قلبه ذرة ود

أو عشرة ، فعجبت من ذلك ، وقالت معزية نفسها : لابد أن امرأته الجديدة مسيطرة عليه سيطرة تامة .. حتى من أجلنا لم ينافق ويداهن .. حسبنا الله ونعم الوكيل

فلما استمع عمري ما قصته بدرية اتصل بالدكتور فائز لطفي وحثه على المجيء غدا صباحا ، وذكر له عنوان الشقة ، وفي الصباح الباكر تحرك عمري ونسيبه حسن إلى المحكمة الشرعية، وهناك ذكر لهم الموظفون اسم المأذون الشرعي وعنوانه فساروا إليه واتفقوا معه وأعطوه عنوان الشقة ورقمها ، وفي الخامسة مساء كان المأذون الشرعي والطبيب وأخته ومريم وبدرية وصديقان لحسن في انتظار السيد ناصح الذي أتى حسب رغبة ابنته بدرية ، كان يريد زواجها تبرئة لذمته نحوها ولتنشغل في بيتها وذريتها ، فلما دخل الشقة وخلفه قمرية ، ورأى زوجته الأولى فحياها ببرود وغضب ، ولما عرف أن الطبيب صاحب اللحية هو صهره كاد يفرط الزواج ؛ ولكنه لما سمع هدير مريم ورغبة بدرية به واقتناعها به ، وقع على مضض ، وتمت كتابة عقد الزواج ، ثم شربوا مشروبات العقد ، وانصرف المأذون ومعه الشاهدان ، وعلى الفور قال ناصح : مبارك يا بدرية .. مبارك يا دكتور فائز

فشكروه على تعاونه وتساهله ، ثم تحرك للخروج بعدما ودع فائزا ومطلقته ، وخرجت بدرية تودعه ، وقبل أن تركب قمرية بجوار والدها قالت لها : أين عمري ؟

نظرت إليها بدرية : ماذا تقصدين ؟ !

فردت باسمة : أصابع عمري في هذا العريس .. سلام بدرية سلام

وفي الصباح الباكر كانت مريم تسلم مفتاح الشقة للبواب ، وأنهى عمري العقد مع صاحب العقار بحجة السفر العاجل ، وعادوا لحي الصخرة ، وخلال أسبوع كانت بدرية قد سكنت في بيتها المستقل ، وأصبحت حليلة شرعية للطبيب فائز لطفي .

وأما قمرية فقد حاولت الاتصال بالشقة فلا أحد يرد ، ولما ملت من الاتصال ذهبت للشقة بنفسها ، فأخبرها البواب بسفرهم المفاجئ .. فأدارت عجلة السيارة وعادت للبيت ثانية .

*****

استطاعت زينب الفتاة البسيطة المتدينة أن تفرض نفسها وشخصيتها المتواضعة وسلوكها الحسن على حماتها أم زوجها ، فاندمجت المرأتان معا ، وكانت زينب تعامل أم زوجها كأنها أمها فتعاملها برقة ورفق ، والسيدة مريم لم تكن بالمرأة العنيفة أو الشرسة ، فهي قد وجدت نفسها بحاجة لهذه

الحياة الهادئة ، فطابت لها الحياة مع ولدها عمري وزوجته ، وكانت تحب الطفلين وتستمع باللعب معهما .. ولما أتى موسم الحج حجز عمري لنفسه وأمه وزوجته وترك الأولاد عند أخته بدرية التي سرت ورحبت بصحبتهما ، ولما اقترب موعد السفر تحركوا إلى المطار وبالطائرة إلى جدة ومنها لمكة الكرمة ، فقاموا بأداء عمرة الحج ، وبعد يومين قضوها في ربوع مكة المكرمة مشوا إلى منى في اليوم المسمى يوم التروية ، وفي اليوم التالي المعروف بيوم عرفات صعدوا مع الصاعدين للجبل جبل عرفات ، وظلوا عليه يدعون مع الداعين حتى الغروب ، ثم انحدروا نحو المزدلفة حتى أصبحت وأشرقت شمس يوم النحر يوم الحج الأكبر ، فعادوا لمنى وشاركوا الناس فرموا الجمرة الكبرى بسبع حصيات ، فذبحوا هديهم ، وحلقوا شعورهم ثم تحولوا لمكة للطواف والسعي ثانية ، وفي المساء عادوا لمعسكرهم في جبال منى، وكانوا يتنقلون بين منى ومكة حتى انتهت أيام التشريق الثلاثة، ثم طافوا طواف الوداع ، وانتقلوا إلى مدينة الرسول الأعظم (ﷺ) فصلوا في مسجده وزاروا قبره وسلموا عليه وعلى صاحبيه أبي بكر وعمر ، وزاروا بقيع الغرقد ثم عادوا لمكة ثانية ومنها لجدة ثم عادوا للريحانة ، ورغم تعب السفر والمناسك ، فقد استفادوا شيئا جديدا وحققوا ركنا عظيما من أركان الإسلام ، وأخذوا شحنة كبيرة من الإيمان ، وتعرفوا على أماكن بدايات الدعوة العظيمة ودين الله الخالد ، ولما سمعت بدرية أمها تتحدث عن مكة والمدينة زاد شوقها إلى تلك الديار ، ووعدها زوجها برحلة حج في الموسم القادم ، وكانت مريم صادق تقارن بين رحلاتها الكثيرة إلى ربوع أوروبا وأمريكا وبين رحلتها الدينية إلى الصحراء والرمال والجبال الشاهقة ، فتلمس الفرق الكبير ، فترى أن الرحلة الدينية فيها انشراح صدر وابتهال وشوق للرحمن ، وأما رحلتها لفرنسا أو سويسرا إنما كانت للمتعة وإضاعة الوقت واللهو وتبذير المال ولتقول لمعارفها : زرنا باريس زرنا فينا زرنا زيورخ وجدت أن العبادة في الصحراء ممتعة ولها رهبة على القلب ، وفيها ذكريات عظيمة، في هذا المكان كانت دعوة إبراهيم وذبح إسماعيل وظهور نبي الإسلام محمد (ﷺ) فتمنت رحلة أخرى ، فتحمس ابنها عمري لحماسها وتشوقها لتلك البقاع المقدسة والمباركة فوعدها عمري بعمرة في كل سنة ، فلقد بدأت المرأة تتخلص من أدران الماضي ورواسبه ، وتحس بلذة وطعم الإيمان ، وتسر لسماع كلام وفتاوى العلماء ، وتقارن بين حالها في بيت زوجها ناصح وحالها في بيت ولدها ، فترى الفرق الكبير بين بيت النور وبيت الظلام ،

كانت عندما تفتح جهاز التلفاز وترى جلسة لشيخ أو عالم تقلب المحطة إلى أخرى أو تغلق الجهاز وهي تتمتم أما زال هناك من يسمع لمثل هذه البرامج ! .. أما الآن فمن أحب الأشياء إليها سماع الدروس العلمية والتثقف في دينها ، وكانت زينب تساعدها وتعلمها تلاوة القرآن ، بل قام عمري بإحضار معلمة خاصة لتعليمها حسن القراءة الصحيحة ، وبعد رحلة الحج التي تحدثنا عنها بشهور يسيرة أتمت البلدية لمدينة الريحانة تجهيز البنية التحتية للضاحية السكنية الجديدة ، فقد انتهت من إنشاء الشوارع وأعمدة الإنارة وخطوط الماء والهواتف والصرف الصحي (المجاري) ، فبدأ أصحاب الأراضي ينشطون بإقامة مساكنهم حسب ما هو مخطط لتلك الضاحية (ضاحية الصالح) ، وعلى الفور باشر عمري وصهره فائز بالبناء ، فقد كان لكل واحد منها قطعة يفصل بينهما شارع ، فأقسمت مريم على مساعدة الطرفين ورغم ترجي عمري لها أن لا تدفع أو تساهم ولكنها أصرت فأعطت لكل واحد منهما خمسين ألف دينار ، فقال عمري : عليك أن تعطي قمرية وسمريا مثلنا يا أمي ! فهم أولادك مثلنا .. والعدل بين الأبناء مطلوب

فقالت الأم : ما أخبار قمرية ؟

فقال : أرسلنا لها بعض الهدايا أنا وبدرية وبعضها باسمك مع أحد السواقين العاملين بين الريحانة والعاصمة ، وقد تحدثت معها بدرية في الهاتف ، وهي راغبة بالحديث معي ومعك .. سنتصل بها في وقت مناسب وهي بخير ، وقد قالت لبدرية إن صحتها مع الحمل صعبة وإنها تراجع الطبيب كل يوم

ـ من الضروري الحديث معها .. وعندما تبني بيتا بإذن الله تعالى سأهديها خمسين ألف يا ولدي كما أعطيتكم

ـ بارك الله فيك يا أمي ! فالمساواة في العطية سنة نبوية يا أماه .. الليلة سنسير للبحر فقد دعانا حبيبنا فائز للعشاء على شاطئ البحر في كازينو الريحانة وهو يترجاك أن ترافقينا

نجاح عمري

مضت عشر سنين على زواج بدرية وفائز لطفي ، وقد أصبح لديها ثلاثة أطفال ولدان وبنت وقد طاب لهم العيش في الريحانة وأصبحوا من أهلها ، وكثرت مشاريع عمري فاستثمر أمواله في مشاريع شتى ، في النقل والاستيراد وإعادة التصدير ، فأصبح من كبار التجار ، ثم قام بإنشاء شركة مقاولات وإعمار ، فلمع اسمه في المدينة الشيخ عمري محمود ، لم يكن يحب صاحبنا ذكر اسم الخابي منذ بدأ حياته في الريحانة ، كان يتفقد

أصحاب الحاجات ، ويقيل أهل الجوائح ويحسن للمساجد والمشافي ودور الأيتام ودور العجزة والمسنين ، وكان يرى أن الله سخره لخدمة هؤلاء الناس فلم يكن يبخل عليهم بشيء ، كان يرى أن الله ابتلاه وامتحنه بالمال ، ولقد استعان باخوة زينب في إدارة بعض المشاريع وأعمال الخير ، فالمال فيه حق لله وحق للضعفاء والفقراء ، فقد جعل موظفا خاصا لترتيب أمر الزكاة وتوزيعها ،كانت أمه تشجعه وتشاركه في العطف على المحتاجين ، وتفعل ذلك وهي مسرورة سعيدة ، وكانت تحس بروعة الإنفاق الصالح عندما تسمع دعاء أرملة فقيرة محتاجة أو طفل يبتسم أو شيخ فاني يمد يديه للسماء داعيا لها ولأولادها فقد عجبت لهذه المعاني والمشاعر التي تجتاحها اليوم لقد كانت غائبة عنها أثناء عضويتها لكثيرمن الجمعيات الخيرية أيام السيد ناصح ، فهناك لم يكن العمل لوجه الله ، إنما كان للدعاية والافتخار والقيل والقال ، كان عمري سيدا للمال ، ولم يكن عبدا له أو حارسا عليه ، كان يكره البخل والتقتير ، فكم كبوة كاد يسقط فيها أثناء الشحن للمواد والبضائع وغير ذلك من الحوادث فكانت الصدقات والدعوات ترفع البلاء وتخففه .

أنشأ عددا من المدارس الخاصة وقد استأجر لها المباني المناسبة، وكان يتكفل بدفع أقساط ومصاريف عددا من الأيتام والفقراء ، كان يحب أن يرى الابتسامة البيضاء على وجوه ذوي الحاجة ، وعندما ينصح بالاعتدال في الإحسان والنفقة يبتسم ويقول : لماذا ؟! لماذا ؟! أليس هو مال الله ونحن مستخلفون فيه ؟ وبتوفيق الله وفضله تحفظ الشاحنات والبواخر القادمة من الأحداث والأعطاب ، وإذا حدثت مصيبة يخفف الله عنا من الضرر والكارثة .. أو ليس في الإنفاق حسنات وخير وبر ؟

ولقد كان صاحبنا عمري محمود يمارس الصدقة الخفية التي لا تعلمها شماله ، ويعشق التعاون الجماعي والتآزر فلم يبخل على طلبة المعاهد الشرعية والعلمية .. وكان يحسن إلى بعض الطلبة الأذكياء الفقراء الدارسين في الجامعات ، حتى أن مريم كانت تحسد وتغبط ولدها على سخاءه وجوده ، وتتعجب من ذلك ، وتقارن بينه وبين شح والده وعمه في مثل تلك المواضيع ، لقد وجد نفسه محبا للأستثمار والتنمية ، فما يذكر له نشاط تجاري الا هم به واندفع اليه بقوة ، كما تقول القاعدة الاقتصادية التي تنص على أن المال يولد المال ، قام صاحبنا بإنشاء عيادات طبية بإشراف صهره فائز وبعض زملائه الأطباء ، ينفق عليها دواء وإدارة لمعالجة المحتاجين والفقراء والعاملين في مشاريعه المختلفة ولمن يطرقهم ، ثم تشجع فيما

بعد وأنشأ شركة طبية لاستيراد الأدوية والأدوات الطبية ، وكان شريكه فيها حبيبه وزوج أخته فائز لطفي وكذلك أخته بدرية وأمه ، ثم تطور الأمر فتم إنشاء مصنع دواء يديره الدكتور فائز بعدما ترك خدمة المستشفى الحكومي ، وقد بدأ في بناء وتأسيس مستشفى متوسط الحجم في المدينة ، فكلما كثر المال تكثر مشاريع عمري لا يحب كنز المال ، وقد سخر الله له أصدقاء ورفاق مخلصين متعاونين على البر والتقوى وبين أعينهم مخافة الله كل ما أشارنا اليه من نجاحات تحقق بعد مضي خمس عشرة سنة من تركه للعاصمة ، فتحت الدنيا على عمري الذكي ، فقد كبر ابنه محمود فأصبح ابن أربع عشرة سنة وعائشة تصغره بسنتين ثم أسامة ثم حسن ثم محمد ثم مريم .

ولقد كان كبار رجال المدينة وكبار التجار بالذات ورجال الأعمال يحثون ويرغبون عمريا في الاشتراك في التنافس على رئاسة وعضوية الغرف التجارية ، فيعتذر ، وحاولوا تشجيعه لترشيح نفسه لرئاسة وعضوية البلدية لمدينة الريحانة ، فيعتذر عمري أيضا ، بل حاول محبوه ترشيحه لمجلس النواب الوطني في أحد دوراته ، فيصر على الرفض ، فكان يحب أن يخدم بدون أن ينتظر جزاء من أحد أو طمع في سمعة وشهرة ورئاسة ، كان هو وأمه يديرون وينفقون على أكثر من سبعة دور أيتام منتشرة في المدينة وما حولها من القرى ، فسمعته الطيبة كانت تسمح له أن يفوز ويتقدم على الآخرين ؛ ولكنه كان يحب الآخرة وثواب الآخرة ، فلم يضعف أمام اغراءات الشهرة وحب الظهور والسعي للقاء الشخصيات السياسية الكبيرة .

وكانت قمرية قد عرفت منزل أختها وأخيها وأمها في الريحانة ، وأخذت تتردد عليهم بين الحين والآخر ، وكانوا هم يصلونها ، وكانت لا ترى والدها إلا في بعض المناسبات ، ولا يتحدث معها إلا بكيف حالك؟ وقبل أن يسمع الإجابة يأخذ بالحديث مع الآخرين ، ولا يوجد بينها وبين زوجة أبيها زيارات منذ تزوجت جبر ، وأما سمري فقد رجع من أمريكا يحمل شهادة الدكتوراه واشتغل مع والده بضعة أشهر ثم رحل ثانية إلى أمريكا حيث أولاده وزوجته الأمريكية ، فهو لم يندمج في الحياة العربية ، وخلال هذه الشهور التي قضاها في ربوع الوطن لم يسأل عن أمه أو أخيه أو أخته بدرية ، ولم يحاول الالتقاء بهم عيانا ، فقط تحدث معهم بالهاتف فتعجبت قمرية من ذلك البرود ، ولم تحاول الحديث معه في هذا الموضوع ، وقد نزل الفيلا بضعة أيام ، ثم نزل شقة مفروشة من عمارات والده ناصح ، وسافر غير مأسوف عليه من أحد من أفراد العائلة ، وطفقت

قمرية في السنوات الأخيرة تقنع زوجها بالرحيل إلى الريحانة وتضغط عليه للرحيل فيقول لها : نحن مع ناصح لم نتوفق ونتواصل فكيف مع عمري بن ناصح دعينا يا امرأة ؟!

فقالت : سمعت أن أبي يريد بيع هذه الفيلا .. وأمي تقول إن لي في ذمتها خمسين ألف دينار ، وأنت لك سنة تارك للمصنع ، فهناك نشتري فيلا صغيرة أو شقة ، وتعمل لك مشروعا وأخي عمري لن يقصر بمساعدتنا

وأخذت تحدثه بحماس واغراء عن الطبيب فائز زوج اختها ومشاريعه مع عمري ، وبعد طول جدال والحاح منها استسلم جبر لضغط الزوجة واقنع نفسه بترك العاصمة للريحانة ، ولما استشار والديه قالت أمه رباب : اذهب من غير تردد فعمري ولد مبارك .. فقد خسره ناصح فابن أخيك سعيد يقول عنه إنه كما يقال ملك غير متوج في الريحانة .. ينفق بسخاء غير معهود في آل الخابي ، وتدخل عليه الأموال من عدة جهات .. وابن أخيك سعيد يعمل محاسبا في إحدى مشاريعه الكبيرة .. ثم قالت بأسف وربما حسد : لقد خسره أخي خسارة كبيرة ! .. بل لما شاهدت أمه مريم ذهل قلبي من تقواها وعبادتها وإنفاقها .. ولم أصدق أنها كانت زوجة أخي ارحل يا ولدي .. فخالك لا يريد لأحد منا أن يكبر .. يريد أن نظل ونبقى عصافير صغيرة من غير أجنحة..

ثم تنهدت بعمق وهمست : عمري الخابي !!

تحدثت قمرية مع أخيها عمري بهواها ورغبتها بالحياة قربهم واطلعته على رضا زوجها بالمسير اليهم .. فقال بحماس وسرور : على الرحب والسعة .. والفيلا هدية مني والخمسون ألف افعلوا بهن مشروعا وأنا تحت أمركم .. المهم أن يأتي جبر وقد تاب إلى الله وخلع ثياب الجاهلية والإلحاد .. اليوم أهل الإلحاد والكفر تركوا هبلهم في بلادهم

ولما سمع جبر هذا الكلام الساخر تردد في الرحيل ؛ ولكنه استسلم ثانية لزوجته وقال : الله موجود .. أنا لا أنكر وجود الله !

فقالت ضاحكة : يا مجنون دعك كما يقول عمري من هذا الحمق والهبل .. أنت تعرف أن عمريا يحب المصلين ولو كانوا مخادعين فأول سوأل يسأله لمن يعمل معه هل تصلي

فقال جبر ساهما : بيني وبينك أنا من زمان وأنا أفكر بالتوبة .. زهقت من حفظ المصطلحات الكبيرة التي لقنني إياها أبواي منذ نعومة أظفاري .. معاداة الرأسمالية وحب الاشتراكية والشيوعية والعمال والفلاحين والحمراء والصفراء وغير ذلك من المسميات الساخرة .. لا تظني أنني أتكلم بهذا الكلام لإرضائك وإرضاء عمري .. أنا

ترددت على المسجد هذا ـ وأشار للمسجد المجاور للفيلا ـ أكثر من مرة ؛ ولكني أخاف من أبي ، فأبي ملحد كبير ، وجعل الإلحاد لنا دينا .. وقد عجبت من عمري عندما زار أمي قبل سنوات ، والتقى بأبي وأخذ يحثه على التوبة وترك الشيوعية لأصحابها والابتعاد عن الماديين وأهل الانحلال والفسق ، وأحسست يومها أن أبي سينهض مستسلما ويغتسل ويدخل الإسلام .. كان ينقصني التشجيع والدعم سنبدأ من الآن يا قمرية واعتقد أن صحبة عمري ستساعدنا على الثبات ..

فقالت قمرية بحماس : هذا هو الكلام العاقل .. أمي يا رجل التي تعرف من هي أصبحت من حبها للآخرة وزهدها في الدنيا ملكا من الملائكة .. تبكي عندما تحدثها زينب عن الجنة والنار .. أسمعت ؟! .. والله زينب هذه تحفة .. فعندما كانت تحدثني بدرية عنها أشم رائحة النفاق والمصالح وأسخر منها ، وأقول هذه الفتاة الأمية تعرف الكلام والوعظ .. ولكن فمن بضع جلسات كادت تقلب حياتي وتجعلني كرابعة العدوية التي نسمع عن زهدها وتصوفها .. إنها رائعة في ذكر القصص والأمثال وتستل الألفاظ والتعابير بروعة وحب .. تدفعك للإصغاء والاستسلام الكامل لها لولا أنفة النفس وعزتها لأصبحت درويشة .. فهي تقنعك ببساطة وسهولة أن الإسلام دين ممتع وليس دين فقر وعذاب وتسول .. بل هو دين ضحك وإمتاع ورياضة ومعروف وبذله .. إنها ساحرة .. وتقوم بواجبات البيت ورعاية أمي الكبيرة وأولادها وزوجها وضيوفهم من غير تقصير في واجب أحد .. وتقرأ وتقرأ إنها شغوفة بالقراءة تستغل كل وقتها في القراءة .. إنها تحسد يا جبر ..

فقال متعجبا من زينب ومن شغف قمرية بامرأة غيرها : شوقتينا لمعرفتها وستزداد معرفتنا بزينب يا أخت زوج زينب !!

لقد كانت زينب الفتاة ذات الثقافة التعليمية المتوسطة تترك انطباعا حسنا على كل من يجلس معها ، وذلك بفضل السجايا التي جبلت عليها من الطيبة والحنان وحب الناس والرحمة ، وثانيا مما تعلمته من أسرتها المكافحة الصابرة ، وثالثا قد وفق الله لها زوجا محبا تائبا ، ورابعا طلبها للعلم وحبه ، وميزات أخرى لا ندرك كنهها ، فكانت متاع صالح ، وفضل الله يؤتيه من يشاء فبعد أن اتخذ جبر وقرينته قمرية الخطوة الأولى وتعلما الوضوء والصلاة وقد استعانا بكتاب صغير ، كانت بدرية قد أعطته لقمرية في إحدى الزيارات ، فلما مسكا بطرف الخيط اتصلت قمرية بعمري وحدثته عن توبتها وصلاتها ، فسر الشيخ عمري وهو يسمع ذلك الكلام فقال بحماس : منذ تكلمت معي سابقا وأنا ابحث لكم عن فيلا حتى

وجدتها فمرحبا بكم .. الأثاث دعوه فهي فيلا مفروشة بكل ما تحتاجون إليه وما ينقص تجدونه في محلاتنا فقط الملابس والذهب .. والبيت في انتظاركم

فشكرته الشكر الجزيل ودعت له بالمزيد من الخيرات والنعم والعافية ، ثم خيرت حسنية بالمسير معها أو البقاء في الفيلا فاختارت البقاء ، فلما جهزوا أنفسهم استأجروا سيارة لحمل الحقائب والأمتعة التي أحبوا أخذها معهم ، وتركوا سيارة قمرية في موقف الفيلا ، وركبوا سيارة جبر وانطلقوا نحو الريحانة تتبعهم سيارة العفش ، ولما وصلوها بعد ثلاث ساعات كان بعض عمال عمري في انتظارهم أمام قصر عمري في ضاحية الصالح ، فنزلت قمرية وابنها وابنتها ـ فهي لم تنجب منذ تزوجت إلا ولدا وبنتا ، ثم أصابها مرض كان يؤدي للإجهاض ثم امتنعت عن الحمل لأسباب ودوافع طبية وصحية فاقتنعت بالولد والبنت ـ ضيفة على أمها وأخيها ، وأخذ العمال سيارة النقل وجبرا إلى الفيلا ، ودفع العمال الشباب المفاتيح لجبر بعدما فتحوا الأبواب الرئيسية وقاموا بإدخال الحقائب والأمتعة والكتب وانصرفوا ، ونقد جبر السائق خمسين دينارا وأغلق الفيلا بعد أن استلمها من عمال عمري ، وعاد حيث تسكن حماته وزوجة خاله قديما ، فقبل يدها فدعت له وباركت له البيت الجديد والعودة للأسلام ، وقالت : خيرا صنعت .. فالحياة بجوار الطيبين طيبة ومن جاور أهل السعادة سعد .. مرحبا بك يا بني

تم نقل ملكية الفيلا باسم قمرية بيسر وسهولة ، وتقبلت هدية أخيها بشكر وامتنان .. وعرض عمري عددا من المشاريع على السيد جبر صهره الثاني للاختيار منها ، وعرض عليه أيضا إدارة أحد المشاريع إذا لم يرغب بإنشاء مشروعه الخاص ، فطلب جبر التفكير والنظر .

قضية مخدرات

ذات صباح وبينما عمري يجلس في مكتبه الكبير يراجع بعض ملفات إحدى الشركات أخبره السكرتير أن ثلاثة رجال أمن يبغون مقابلته ، فأمر بإدخالهم ، وطلب لهم قهوة ، وترك كرسيه مستقبلا لهم بابتسامة ووجه طلق ، وأشار لهم بالجلوس ، ولما حيوه قال أحدهم : أستاذ عمري نحن بوضوح وصراحة ضباط أمن مخدرات .. وبصراحة فقد وجد رجالنا كمية من المخدرات في أحد مخازنكم

لمعت عينا عمري وتريث قليلا ولزم الصمت ، ولما لم يرد تابع الضابط قائلا : الحقيقة أن المدير استغرب ذلك لم عرف عنكم من الخير وحب الخير .. وسمعتكم الطيبة في كل مكان ؛ فلذلك

أرسلنا المدير لنسمع منك رأيك فماذا تقول ؟!
قال عمري باسما ومفكرا بما التقطت أذناه : جزاكم الله خيرا .. أنتم خير من يعلم أن كل ذي نعمة محسود .. فلا يخلو الإنسان ممن يحقد عليه ويكرهه ويحسده من غير أن يعرفه .. فأنا لا أريد أن أحلف أيمانا إنني لا أتعامل بالمخدرات .. فأنا الدخان والسجاير أكرهها وأبغضها ولا أحب أن تباع في محلاتنا ومتاجرنا سواء بالاستيراد أو التوزيع .. وثانيا أنا تحت أمر العدالة لأنه يهمني أن أعرف أعدائي ـ هداهم الله وأصلح الله قلوبهم
– فأخبروني بتفاصيل القضية ..
فقال الضابط منير : يا أبا محمود .. اتصل بنا مجهول فاعل خير ، وقال لنا إن المخزن في شارع كذا فيه مخدرات .. بالطبع نحن نأخذ أي إخبارية على محمل الجد وإن كانت كاذبة .. لأن كثيرا من الناس يخافون من الظهور في قضايا بوليسية ومحاكم .. فوضعنا المكان المذكور تحت المراقبة مدة أربع وعشرين ساعة ، ولقد تأكدنا أنه لكم فعلا ، والعجيب أنه مخزن مهجور .. بل لما دخله رجالنا وجدوا فيه كميات من أوراق الصحف رولات ورق بيضاء وعليها الأتربة والغبار
فقال عمري : عرفته ! .. مخزن في شارع الراية العربية .. مرت علينا فترة كنت استورد فيها أوراق طباعة الصحف والمجلات ، ثم صارت إشكاليات مع بعض الموردين فتركنا استيراد ذلك .. وهو فعلا مخزن مهجور .. أكمل يا حضرة الضابط وآسف للمقاطعة
ـ المهم دخلنا المخزن فوجدنا فيه الأوراق المكدسة والمتراكم عليها الغبار والعناكب وأثناء البحث وجدنا صندوق ورق كبير مملوء بأكياس البودرة .. تركناه لنرى من سيأتي ويأخذه وزادت رقابتنا للمكان على مدار الأربع والعشرين ساعة ، واستطعنا أن نلقط سيارة كانت تأتي في الليل وتأخذ بمراقبة الشارع ثم تنصرف ، المهم لما تكررت الحركة تابعناها وألقينا القبض على شابين فيها ، وأمام التحقيق اعترفوا أنهم من رجالك ، وأنهم مكلفون بإخراج البضاعة ونقلها لمكان آخر ، وذكروا اسم متجر في سوق الربيع وهو لحضرتكم ، وقد وجدنا معهم مفاتيح الأقفال للمخزن المهجور ؛ ولكنهم لشعورهم وإحساسهم بنا لم يقتربوا من أبواب المخزن
فقال عمري وقد اشتغل ذهنه بما سمع : قالوا إنهم من رجالي ويعملون معنا ؟ !
ـ أجل .. بل قال أحدهم إنك أرسلتهم لإحضار (الكرتونة) .
فتبسم عمري وهو يقول معلقا : أتصدق لو أنني كنت تاجر مخدرات أنني قد أتعامل مع رجال من هذه النوعية ، يقرون عليّ من أول صفعة .. أترى

أن تاجر المخدرات يسقط بهذه السهولة

فتبسم الضباط بدورهم وقال منير : هذا ما علق به المدير ونقول به ، فكبار رجال المخدرات لا يقعون بهذه السهولة كما في قضيتنا هذه ؛ ولكن غلطة الشاطر بألف .. ولكن نحن أيضا نقر أن السيد عمري معروف بالذكاء وبإدارة مشاريع متنوعة ومختلفة ومتشابكة وكثيرة

ـ جزاءك الله خيرا هذا من لطفك .. على كل حال أنا ذاهب معكم ، ولن يؤثر ذلك على سمعتي أنا لا تهمني إلا طهارتي ، ولا يهمني كلام الجرائد والخصوم والمنافسين .. فأنا لا أحمل ضغينة لأحد في قلبي .. هيا لنقابل المدير وهذين الشخصين

نهض الجميع بعدما شربوا القهوة ، وساروا نحو قسم الأمن في المنطقة ، وصعدوا إلى مكتب مدير مكافحة المخدرات في هذه المدينة البحرية ، وتقابل الرجلان وأبدى المدير اعتذاره الشديد وهو يقول : منذ أتيت هذه النقطة وأنا أسمع عن الشيخ عمري من الخير ومشاريع الإحسان والخير مما أدهشني من هذه الفرية ؛ ولكن لابد من الإجراءات يا أبا محمود

فقال عمري : نحن مع الأمن ومع الاستقرار .. وهذا واجبكم ، ولا أحد فوق القانون ، ولعل بين رجالي والعاملين معنا تجار مخدرات ويستغلون ثقتي وطيبتي يا عميد جلال

فقال العميد جلال : شايا أم قهوة ؟

ـ أيهما تشاء .. واسمح لنا برؤية أحبابنا فإني في شوق إليهما

طلب العميد الشاي للجميع ، وأرسل العميد جلال وراء الرجلين اللذين اعترفا وأقرا بأن عمريا كلفهما بنقل صندوق المخدرات ، أتى الرجلان ، فلما شاهدهما عمري نهض عن كرسيه وقال وهو يحد النظر في وجهيهما : أنتم تعملون معنا ؟! .. في أي مشروع تعملان ؟ .. بل اذكرا لي اسميكما ؟ إني لا أذكركما

فتضاحك أحد المتهمين وقال : أتريد أن تتظاهر بأنك لا تعرفنا يا سيد عمري؟! أتريد أن تتخلى عنا .. أنا عيد بوري .. العامل في مصنع الدواء الذي يديره صهرك زوج أختك الدكتور فائز وأختك بدرية محمود .. وهذا زميلي عبده سليمان يشتغل معي في المصنع أيضا

فقال عمري : رائع .. جيد يا عيد .. أمتزوج أنت ؟

ـ طلقت .. ولم السؤال ؟ !

ـ طلقت ! حسنا ، أنا يا سيد عيد طلبت منك إخراج المخدرات أو الصندوق من مخزن شارع الراية العربية ؟

فقال عيد بإصرار : نعم

فقال عمري وقد أدرك من نظره في عيني الشاب

أنه ساذج التفكير وجاهل : متى طلبت منك ذلك ؟ وفي أي مكان تحدثنا بذلك ؟

فكرر عيد : متى ؟ متى ؟ وأين وأين ؟ عبده تكلم مالك ساكت ؟

فقال عبده وقد أدرك غباءهما:سأتكلم ولكني سأتكلم بالحق

فصاح عيد : اسكت لا تتكلم

فقال العميد جلال ضاحكا ومكررا سؤال عمري لهما : في أي مكان كلفكما عمري بنقل الصندوق يا عبده ؟ .. في الشركة ، في المصنع ، في المكتب ، في الشارع ، في التلفون .. تكلم يا عبده وسيكون ذلك في مصلحتك ؟

فانهار الشابان على الفور وأخذا بالبكاء وقالا : لا ندري كيف خدعنا ذلك الرجل ؟ !

فقال العميد : واحد يتكلم

فقال عمري عندئذ : أتسمح لي يا سيدي بالانصراف أنا لا أحب أن أعرف عدوي حتى لا أحمل له في قلبي حقدا ويبدأ بيننا صراع وقتال

فقال العميد : من حقك أن تسمع أيها الرجل الطيب .. نحن أدركنا حمقهما من أول التحقيق

فقال عمري : أظن ـ يا سيدي العميد ـ أن الرجل الذي قابلهما وكلفهما بمراقبة المخزن ليروكم وأنتم تأخذون البضاعة ليس هو الخصم الحقيقي، وأيضا لابد أن أحدهم دفعهم لإثارة الشبهة حولي إذا وقعا بين أيديكم وأعطاهم مفاتيح مقلدة للمخزن .. وكان يغلب على ظنهم أنهم لن يقعوا في قبضة البوليس .. كانوا يرقبون أخذ رجالكم للبضاعة والانشغال بي ولكن ذكاءكم فوت الفرصة على محرضهم من النجاح .. وأما الرجل فقد توقع حدوث خطأ منهم فدفع لهم المفاتيح لتأكيد التهمة علينا والاعتراف بأني أنا الذي طلب منهما نقل البضاعة

فقال عيد : هذا ما أراده السيد عامر .. نحن لم نضع الصندوق يا سيدي .. إنما طلب منا المراقبة للمخزن ، ونرى متى تقتحمون المخزن وتأخذون الصندوق .. ولكنكم لم تأخذوه على الفور فأمرنا الرجل بالمتابعة ؛ ولكنكم قبضتم علينا من حيث لا ندري ، وكان الرجل قد قال لنا إذا قبض عليكم رجال المكافحة فقولوا إن عمريا هو الذي كلفنا بذلك ولا نعرف ماذا يوجد في الصندوق

فقال العميد : أتظنون الشرطة بهذه السذاجة ؟ ! .. نأخذ الصندوق ونطارد ونتهم عمريا بكل بساطة .. يبدو لي أنكما أحمقان مغفلان .. من هو عامر ؟

فأجاب عبده : رجل تعرف علينا في مقهى البحر الشرقي

فقال عمري : أظنه ـ يا حضرة العميد ـ قد اختفى منذ قبضتم عليهما .. وكم دفع لكما ؟

فقال عبده : أعطى كل واحد منا خمسمائة دينار ووعدنا بالمزيد وتعهد بمساعدتنا إذا وقعنا في قبضة الشرطة ، ولنا أربع أيام هنا ولم يظهر

فتبسم جلال وقال : وأرى أنه لن يظهر .. انتم أحمقان ، ولو اعترفتم من البداية عن الرجل لربما تمكن رجالنا من مطاردته .. ولكن ـ يا أخ عمري ـ التضحية بكمية كهذه من المخدرات يدل على أن العدو شديد .. على كل حال سنفرج عنكم ونضعكما تحت الرصد والمراقبة فلربما حاول الاتصال بكم إذا كان غبيا مثلكم .. نأسف يا أخ عمري عن هذا الإزعاج والإحراج .. ونحن كنا واثقين من براءتكم ، ولكن كان لابد من الحديث معكم لنستفيد جميعا من المعلومات وعليك

ـ يا صاحبي ـ أن تأخذ حذرك فهذه البداية

رغم ثبات عمري أمام هذه الطعنة وثقته الكبيرة بمدبر الأحوال سبحانه وتعالى فقد أحس وشعر بخطر يحوم حوله ، فذكاؤه يدفعه للانتباه والاستعداد ، فكل هذه السنوات مضت من غير منافسة قاتلة ، كان هناك تنافس طبيعي وسلمي ، أما دخول المخدرات فهذا ينذر بالخطر القادم ، وهو بنفس الوقت لا يريد إدخال الجانب الأمني في تعيين واختيار الأشخاص والعمال فهو لا يحب الجاسوسية فحينئذ تذكر نسرين غانم ومصنع والده ناصح ، وقال لنفسه : لم أسمع أخبارها منذ رحيلي ؛ ولكني سمعت من عهد قريب من جبر أنها نقلت من مصنع السجاد

سمح لتفكيره وذاكرته أن يقلبا الرجال الذين يمكن أن يتآمروا عليه .. ثم وجد أن السوق يتسع لاعمال كبيرة .. فلماذا يثيرون الشبهه عليه ؟! ويستغلون مثل هؤلاء العمال السذج البسطاء في آلاعبيهم .. عبد السلام رجل محترم وفاضل .. وهناك السيد مجدي براتوكا لا يحبنا كثيرا ولكنه لا يحب أن ينغمس في مشاكل ومقالب وفكر .. أخذ يعد ويستعرض أسماء كبار رجال المدينة والمنافسين ولم يستقر عقله على شخص لديه دوافع للخلاص منه أو ضربه في السوق ، فمجالات عمله متعددة .. مواد غذائية .. نقل .. استيراد .. أدوية .. تصدير ..

ملابس .. أثاث خشبي ومعدني .. أجهزة .. عقارات .. مدارس .. مستشفى على الطريق ..

طال تفكير عمري الخابي ولم يستطع تحديد من هو العدو والحاسد .. فلجأ إلى الله ثم الصلاة ، وكان صاحبنا الفاضل لا يترك صلاة الجماعة إلا لعذر قوي وشديد ، وكانت علاقته مع أهل العلم والمشايخ طيبة ، ويتعاون معهم في إيصال الزكوات لمن يستحقها ومن هم أولى بها من غيرهم ، وكان يحب أن تصل زكاته لأهل الإيمان والصلاة .. ويساهم في بناء المساجد ويتبرع لها .. وكان يشارك

في تنظيفها والتبرع لها بمكانس الكهرباء وفرشها بالسجاد والمدافيء .. وكان يتنقل في أداء الصلاة في عدة مساجد رفعا للحرج الذي يلقاه من الضعفاء عند مغادرته المسجد وهذا دفعه للإعلان عن مكتب خاص في مكان معروف وعام في المدينة لمن هو بحاجة مالية أو علاجية .

وبعد أيام يسيرة تحدث مع العميد جلال عن قضية المخدرات ، فأخبره العميد أن المدعو عامر شخص مجهول ، وقد اختفى عن المسرح، وأن الشابين تبين أيضا أنهما من أصحاب العقول الضعيفة ، وصادهما الرجل المجهول في مقهى البحر الشرقي ، ووضع المقهى تحت المراقبة ، وأن التضحية بكمية من المخدرات ليس بالأمر الهين ، وهذا يدل على أن المهربين يملكون كميات أكثر ، وقد تم تعزيز قوات السواحل ومتابعة المنافذ الفرعية والتهريب ، وأكد عمري بدوره للضابط الكبير عدم توصله لإتهام شخص معين أو جماعة ، وأن السوق واسع ويحتاج إلى رجال أعمال أكثر من الموجود ، فليس هناك من دافع تجاري لإزاحته عن الطريق ، ربما تكون أسباب شخصية وراء هذه الجريمة ، وشكر الضابط ووضع سماعة الهاتف وغرق ثانية في التفكير .

أدرك عمري أن قضية دس المخدرات في مخزن مهجور إما أن فاعلها يريد الانتقام منه لأمر يجهله ، أو شخص يريد التشويش عليه ويحرجه مع الشرطة ، ثم يسيء لسمعته عندما يجد رجال الأمن مخدرات في مخزنه ، والعوام تصدق كل شيء ، وسيقولون إنه يجمع هذه الأموال من تجارة المخدرات ، وما مشاريع الإحسان والصدقات إلا تغطية للملايين التي يلهفها من التجارة بالمخدرات والممنوعات ، فحمد الله على اعتراف الشابين السريع ، وعلى ذكاء رجال الشرطة ، وحسن تعاملهم معه ، وعدم استغلال القضية للدعاية والشوشرة والصحافة والإثارة ، وحمد الله ثانية على أنه ليس له خصوم بانتخابات الغرف التجارية أو النقابات أو المجالس النيابية وإلا استغلوها وعملوها موضوع تسلية وتشهير حتى وإن كانت كذب ، فهم يستغلونها لتهييج الناس عليه .. فقام وتوضأ وصلى لله ركعتين شكر ، فقد سلم الله من هذا المكر .

لم يمض على هذه الحادثة بضعة شهور حتى دخل مدير المشاريع عند عمري الدكتور الاقتصادي يوسف حسان ويخبره بخبر مزعج مفاده أن هناك أشخاصاً يضربون السوق بمواد غذائية رخيصة ، وكذلك مواد الإنشاء من الحديد والإسمنت مما يؤثر على أسعارهم ومستورداتهم ، فأدرك عمري حينئذ وزاد يقينه أن هناك من يكيد له ، ويريد تدميره شخصيا فطلب من مديره مسايرة السوق

رغم كل الخسائر التي ستترتب على ذلك ، واتصل به كبار تجار المواد الغذائية في المدينة فأخبرهم أنه مثلهم ضحية أناس حاقدين ومجهولين ، وأطلع بعضهم على تقارير وفواتير المشتريات والمبيعات ، وأنه يتعرض للخسارة مثلهم ، فاستغرب التجار كما استغرب مثلهم ، فعرفوا أن هناك خصوما لهم من خارج المدينة ، فقد أصاب عمري حساسية من قطاعات مختلفة ، فأصحاب المقاولات والبناء من شركات وتجار الإسمنت والحديد يثيرون حوله الشبهات والطمع والأراجيف ، وأصحاب الحبوب كذلك ، وحتى معارض الأثاث والأدوات المنزلية تعرضت للأذى وضرب وحرق الأسعار ومنافسات غريبة ، وعقد عمري اجتماعات ومعه كثير من التجار مع كبار رجال المدينة والمدير الإداري للمدينة فيقولون : إن هذا سوق فيه تنافس فينصرف التجار على مضض وغضب ، وعلى أثر فشل التعاون طلب عمري من مدير المشاريع وقف التعامل مع المواد الغذائية والأشياء المضروبة الأسعار عدة أشهر ، وقد تعرض الشيخ عمري إلى خسائر فادحة ؛ ولكنه تحمل ذلك عن رضا واستسلام لقضاء الله وحكمه ، وشعر بأن مؤامرة تحاك حوله ، ورجال البلد من حكومة وبلدية عاجزون عن وقف ذلك التدهور ، فاضطر أمام هذه الخسائر إلى إعفاء الكثير من العمال وخفض أعدادهم في مشاريع مختلفة ، وإغلاق عدد من المحلات والمتاجر إغلاقا تاما ، وبعضهم نقلهم للمشاريع التي لم تتأثر بهذه الحرب كمصنع الدواء والمستشفى الذي بدأ يعمل وقطاع النقل ، ورغم انسحابه من السوق ظلت الأسعار مضروبة وهابطة ، وعقد عمري اجتماعا مهما مع مدراء المشاريع المختلفة وتقرر فيه أن يفصل القطاعات عن بعضها البعض ، وتفصل الشركات عن بعضها البعض ، فكل شركة ومشروع وحدة واحدة مستقل عن المشاريع الأخرى حتى لا يؤثر أي قطاع يتضرر بغيره .. فالمدارس قطاع مستقل ، وكل مدرسة وحدة واحدة ، والدور الخيرية من دور رعاية الأيتام والمسنين والعجزة قطاع ، وكل دار مستقلة إداريا وماليا .. قطاع النقل قطاع مستقل فالسيارات الكبيرة وحدة واحدة ، والسيارات الصغيرة ونقل الركاب وحدة واحدة ، وهكذا أعاد عمري وصديقه يوسف حسان وسكرتيره أحمد ترتيب المشاريع ترتيبا جديدا ، وقد أوقف العمل بالمشاريع المضروبة التي تعرضت للصراع ، وقد أدرك وشعر عمري نتيجة هذا العام الذي مر أن محاربيه ومنافسيه من خارج المدينة ولكنه لم يعرفهم ولم يعلم لماذا فعلوا كل ذلك فترك ذلك للأيام وتجمل بالصبر ..

رصاص وخطف

دخل عمري ذات مساء أولا على أمه كعادته عندما يعود من العمل فسلم عليها وتناول العشاء معها ، هو وباقي أفراد الأسرة ، ثم جلسوا يتسامرون حتى أتى موضوع إغلاق كثير من المحلات فقالت الأم مريم مستفسرة منه : لقد حدثنا جبر ابن عمتك على أنك تواجه أزمة هذه الأيام فإذا كنت بحاجة لأي أموال فأموال أمك كلها تحت تصرفك ..

فتبسم عمري وقال : أشكرك يا أمي وجزاك الله خيرا !.. هذا سوق أحيانا يشتد التنافس على بعض الأصناف وتكثر هذه المواد في السوق فترخص الأسعار حسب قانون السوق العرض والطلب ؛ ولكن هذه المرة كانت الأسعار غريبة ، فهناك منافسون يحرقون الأسعار .. فلما رأينا أن الخسارة فيها كبيرة تخلينا عنها إلى حين ..

فالمشاريع كثيرة بفضل الله يا أمي

فقالت بتكدر وضيق : ولماذا يفعلون ذلك ومن هم ؟

فتبسم ثانية وقال : ربما يريدون الإيذاء الشخصي .. وربما يريدون افتعال معركة .. ولا داعي لأن نخوض معركة معهم ، نصبر ونترك لهم السوق ، فهم يريدون أن نندفع إلى هذه المعركة لتزداد الخسائر ، فهم يضحون بعدة ملايين مقابل تدمير خصومهم لأسباب مجهولة بالنسبة لي ولكني توصلت في تفكيري إنهم يقصدونني من غير أن أعرفهم

ـ ألا تعرفهم ؟!

ـ ليس مهما هذا .. فقد تركت لهم السوق ، وليس هذا هروبا أو جبنا بل لأني أدرك أن هذه زوبعة وحرب شخصية فتركت لهم الميدان لأنني أخاف على ديني وآخرتي يا أمي

فقالت الأم : الصبر جميل يا ولدي .. والحسد لا ينتهي .. وأبواب الرزق كثيرة

ـ أجل يا أمي .. أنا لا يحزنني ويؤلمني في هذا الموضوع إلا العمال الذين اضطررنا لصرفهم للظروف القاسية التي عصفت

ومرت بهذه المشاريع

ـ الله لن يتخلى عن عباده .. الرزق على الله يا ولدي فهو يتولاهم

ـ فقد قمنا بنقل بعضهم لمواقع أخرى حتى تتغير الأحوال .. وحدثها عن قضية المخدرات التي حاولوا توريطه بها .

ففزعت الأم وقالت : الله أكبر ! الله أكبر ! ألهذا الحد يكرهونك ؟ ! من هم هؤلاء الأشقياء ؟

فتبسم عمري ورد قائلا : لا تجزعي يا أمي .. الشرطة لم تصل للفاعل الحقيقي لأنه أذكى أن يقع لأول وهلة .. ولكن هذا يدل على أنني أنا شخصيا

مقصود بالعداء

فأخذت أمه تدعو له وتبتهل إلى الله أن يحميه ويقيه شر الناس والفتن ، وكانت زينب تسمع للحديث بين الابن وأمه وهي مندهشة ، فعمري من النادر أن يتحدث عن مشاكل العمل وهمومه أمامهم ؛ لذلك أخذتها الدهشة وقالت كأنها مستهجنة هذه المعارك : يا أبا محمود .. ألهذا الحد الشر في السوق ؟!

فابتسم عمري لزوجته الطيبة وقال : ألم تسمعي وتقرئي قول النبي ﷺ { خير البقاع المساجد وشر البقاع الأسواق } [1] .. وأن الشيطان ينصب راية في الأسواق .. ولكن لا مفر للناس من الأسواق .. لذلك هناك ذكر ثبت عن الحبيب محمد ﷺ ويسميه أهل العلم دعاء أو ذكر السوق وثوابه ملايين الحسنات والدرجات

فقالت زينب بفرح : صدقت .. وكلما ننزل أو نمر من السوق أنا وأمك الغالية نردده لنحصل على ذلك الثواب والأجر العظيم [2]

فقال عمري : نعم ؛ لأن السوق مكان شر وغفلة وحلف كاذب لإنفاق السلع ، فذكر الله فيه عظيم وكثير الأجر .. فالتاجر الصدوق يحشر مع النبيين والصديقين .. والسوق مكان الربا والغش والغرر والمكر والخداع والعينة ، من اجل ذلك هو مكان شر ولكن لابد منه للناس لشراء أقواتهم وحاجاتهم ولباسهم وشرابهم وبيع محاصيلهم وصوفهم ولبنهم وجبنهم .. نسأل الله سبحانه أن يرزقنا الرزق الحلال والطيبات من الرزق

فقالت زينب : والله يا عمري لازم تنتبه للحلال والحرام وما تضع في اجوافنا وأفواهنا .. فالحلال سبب مهم لإجابة الدعاء

فقال : لا أنسى ذلك بمشيئة الله سبحانه ، فإن الله طيب لا يقبل إلا الطيب .. ،، فالله خير حافظا وهو أرحم الراحمين ،، إنني أبذل أقصى جهدي لنأكل الحلال المباح .. وادعوا لنا أن يحفظنا الله من الغفلة والطمع والحرص

فأخذت الأم وكنتها زينب يدعوان له بذلك فقال باسما : ببركة دعائكما ورضا أمنا عنا سيحفظنا مولانا العظيم .. لا تقلقي يا أمي ، وأنا إن احتجت مالا سألجأ إليك

فقالت الأم : جبر ، كيف شغله ؟

---

١ – صحيح الترغيب "٣٢٧١ " عن ابن عمر رضي الله عنهما ، وهناك حديث {عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ أَحَبُّ الْبِلَادِ إِلَى اللَّهِ مَسَاجِدُهَا وَأَبْغَضُ الْبِلَادِ إِلَى اللَّهِ أَسْوَاقُهَا} مسلم .

٢ – قال عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَو : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ مَنْ دَخَلَ السُّوقَ فَقَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ بِيَدِهِ الْخَيْرُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ كَتَبَ اللَّهُ لَهُ أَلْفَ أَلْفِ حَسَنَةٍ وَمَحَا عَنْهُ أَلْفَ أَلْفِ سَيِّئَةٍ وَرَفَعَ لَهُ أَلْفَ أَلْفِ دَرَجَةٍ " ٣٣٥٠ الترمذي

فأجاب عمري قائلا : الأستاذ جبر مجال عمله لحتى الآن بعيد عن المعركة .. فهو يستورد الطابعات والأدوات والآلات التي تتعلق بها ، وهذه أول تجربة لي في مثل هذه البضاعة .. وهذه بداية يا أمي ..

التقى عمري من جديد مع كبار تجار المواد الغذائية في الريحانة بناء على رغبتهم ، ثم تكلم كبيرهم وقال : أيها السادة نحن في الآونة الأخيرة تعرضنا لمؤامرة رهيبة من أيد خفية ضربت قطاع المواد الغذائية المستوردة والحبوب والطحين والذرة والسكر والعدس والأرز .. وكلنا ثبت أنه ليس له يد في تدني الأسعار للحضيض والسوق السوداء .. فلذلك اجتمعنا هنا لندافع عن أنفسنا أمام خصمنا المجهول الخفي .. وهؤلاء التجار الصغار يريدون أن يكبروا في يوم وليلة ؛ لذلك سوف نستورد هذه المواد بالاتفاق والتفاهم ولن نسمح لأيدي غريبة أن تحطمنا .. ومصيرنا معرفة الجهات المجهولة .. والسيد عمري أبو محمود لا يحق له ترك هذا السوق بهذه الطريقة ..

فدافع عمري عن نفسه وأنه انسحب ليس لأنه لا يحب المخاطرة ، فالتجارة مخاطرة ؛ ولكنه لا يحب الغش والخداع والقتال بهذه الأساليب وإغراق الأسواق ببضاعة قديمة ومنتهية الصلاحية .. وأكد أن هناك أيدي خفية تريد الإساءة لجميع تجار المواد الغذائية والحبوب وغيرها ، والفائدة التي يريدها هؤلاء المنافسون ويرجونها غير واضحة ولا معلومة فالكل خسران .. وبعد ضغط شديد من كبار التجار وافق عمري على المساهمة في الاستيراد المشترك

وكان القصد من ذلك الاتفاق حتى لا يحاول أحد من كبار التجار التلاعب بالأسعار وحده وقد استطاع التجار بهذا الاتفاق من السيطرة على الموقف المضطرب ، ولم يسمحوا لصغار التجار إلا بالأخذ من مخازنهم الكبيرة ، فلم يستطع التجار الصغار الاستيراد من العاصمة بالأسعار الرخيصة لأن الكبار اتفقوا على أنه من امتنع من الأخذ منهم عدم التعامل معه .. المهم فقد استطاع التجار التخفيف من هذه المضاربة ، ويبدو أيضا أن الذين لهم مصلحة في ضرب هذه البضائع قد فشلوا بعد هذه الشهور من المغامرة ، فلما وقف تجار الريحانة وقفة واحدة أمام الدخيل استطاعوا أن يحصروا التجار الذين يجلبون بضائعهم من العاصمة لمنافسة أسعار الريحانة ، بل أصبحوا معروفين للتجار ، وتبين أنهم عدد قليل من التجار ومن المغامرين .. والغريب أنهم لا يدرون من هو المورد الأصلي لهم .. فاستردت تجارة المدينة عافيتها بعض الشيء وكان الإحساس لدى عمري يكبر أنه هو المقصود بهذه اللعبة أيضا .. ولكن لماذا ؟ !

.. فهو حائر ممن يكن له كل هذا العداء والبغض ويسعى إلى خراب بيته

ذات ليلة كان عمري وأمه وأصهاره يجلسون في حديقة الفيلا التي شيدها في ضاحية الصالح الضاحية الجديدة في الريحانة ، وقد تناول القوم طعامهم ، وجلسوا يتسامرون ويشربون المثلجات ويطعمون الفواكه فرحين بما أنعم الله عليهم من السكينة والإيمان والنعم ، وبينما هم على ذلك الانسجام والانبساط سمعوا صوت رصاصات تنطلق من قرب السور في اتجاههم أو قريبة منهم ، فذعروا واتصل عمري برجال الشرطة الذين هرعوا على الفور ، واستمع الضابط المحقق لأقوالهم ، وتحرك رجال البحث الجنائي نحو السور والجهة التي أطلق منها الرصاص فوجدوا آثار أحذية قرب السور وآثار عجلات سيارة ووجدوا أغلفة أو أظرفة الرصاصات التي أطلقت على الساهرين .. وبعد سماع أقوال الحاضرين انصرف رجال الشرطة وقرروا العودة في الصباح للبحث عن أماكن سقوط طلقات الرصاص ..

وكان عمري يقول لأمه : لي عدو أو أعداء مجهولون .. ماذا يريدون مني ؟ لست أدري .. ومن هم ؟ لا أدري يا أمي .. إنهم لا يريدون قتلي وإلا اختاروا موقعا أسهل من البيت أو الحديقة ولكني لا أذكر أنني أسأت لإنسان دفعه للحقد عليّ كل هذا الحقد القاتل .. فهم أو هو يحاول إشاعة الرعب والذعر حولي ويدفعني للخوف والانفعال الأحمق لأتصرف تصرفا أحمق ولكن بمشيئة الله سبحانه سوف أتحمل وأصبر ولن أشهر سلاحا ضده { لَئِنْ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ } ..يا رب ثبتني على الإيمان والتوبة

فقالت الأم : ما تقول في السفر ؟.. سافر يا ولدي ..أرح أعصابك

ـ أسافر؟! أسافر إلى أين ؟

ـ إلى بلد كبير تريح أعصابك فيه من هذه العداوات والحركات الإبليسية

ـ قد يلحقون بي

ـ تحرك بالسرية .. ولا يعرف أحد وجهة سفرك وأنت اتصل بنا .. والدكتور يوسف حسان نعم الأخ ونعم الصديق ، وأصهارك لن يقصروا في رعاية الأموال والأولاد

فقال : إذن نسافر أنا وأنت وزينب .. فماليزيا بلاد جميلة وساحرة لقد زرتها مرتين لعقد صفقات تجارية وفيها كثير من الصناعات اليابانية

فقالت : والأولاد .. والمدارس ؟

فقال : ألا تستطيع أم مالك القيام بهم أسبوعا أو أسبوعين ؟

فقالت الأم : تستطيع ذلك ؛ ولكن الأم أفضل وأنا

صحتي لا تساعدني يا ولدي ! فماليزيا بلد بعيد سافر وحدك حتى لا تنشغل بنا

فقال مستسلما لفكرة أمه : سأفكر بالأمر يا أمي .. أنا فعلا بحاجة لإراحة أعصابي والابتعاد عن المشاريع .. أشكرك على هذه الفكرة وقد أقضي شهرا فيها ثم أسافر إلى الحج فقد اقترب شهر ذي الحجة فأنا بحاجة لجرعة إيمان قوية ..

فقالت الأم وقد هفت نفسها للديار المقدسة ، فلا ننسى حب مريم القديم للسفر ولكن شتان بين سفر العبادة والقربى وسفر السياحة والمتعة : فكرة طيبة يا بني ! وقد نلقاك هناك إذا

وافق الدكتور المحترم فائز وناسب ذلك ظروفه

ـ جيد .. اقنعيه

أسر عمري لزوجته بهذا الحديث فوافقت زينب وتمنت له رحلة سعيدة فقال : هي ستكون رحلة لإراحة الأعصاب ، ولسوف أقوم بزيارة بعض المصانع والشركات الكبيرة لعقد عدد من الصفقات

فعمري ـ منذ توسعت مشاريعه التجارية وأصبح من رجال الأعمال الكبار ـ كان يذهب بنفسه للأقطار المختلفة لعقد الصفقات ومشاهدة البضائع ، فأمر السفر معروف لديه ؛ ولكنه هذه المرة أخفى جهته إلا عن ثلاثة أمه وزوجته ويوسف حسان فقط .. ويوم السفر كان مجهولا ، ولما أصبح في المطار اتصل بالدكتور يوسف وقال : أنا الآن مسافر

*****

بعد سفر عمري بأيام يسيرة تلقت الأسرة هاتفا مخيفا ، طلب المتصل السيد عمري ، فلما قالت الشغالة أم مالك إنه غير موجود سألها أين ؟ فقالت : مسافر .. إلى أين ؟ لا أدري فأخبرها المتصل أن ابنه حسنا في عداد المختطفين ، فذعرت الشغالة أم مالك ، وأعطت السماعة لزينب التي كانت تقف قريبا منها وردت بانزعاج : نعم .. أنا أمه .. مخطوف ولماذا ؟ ماذا تريدون ؟ حسبنا الله ونعم الوكيل

ووضعت السماعة وهي تردد حسبنا الله ونعم الوكيل .. إنا لله وإنا إليه راجعون .. لا حول ولا قوة إلا بالله

ثم اتصلت بأخيها حسن ، فهو يعمل مع نسيبه ، وهو المسؤول عن إدارة الشاحنات والبرادات الكبيرة ، فلبى النداء مسرعا ، وأخذ زينب وانطلق إلى مدرسة حسن ، فحسن ابن تسع سنوات وترتيبه الرابع بين أبناء الأسرة ، فدخلت الأم وحسن على المديرة وسألتها عن حسن فقالت المديرة بدهشة وهي قد لاحظت الذعر والتوتر عليها : انصرف ، ألم ترسلوا خلفه ؟ !

فقالت زينب بصبر وثبات : لا حول ولا قوة إلا

بالله .. لم يعد حسن للبيت يا أستاذة أم محمد

قالت المديرة بخوف وانتظار تفسير : ماذا قلت يا سيدتي الفاضلة ؟ !

روى حسن للمديرة الاتصال الغامض ، فقالت المديرة بقلق : عند العاشرة صباحا وقفت سيارة كبيرة وحديثة أمام باب المدرسة ـ وهي ترى من مدخل الادارة المرتفع عن باب المدرسة وكنت لحظتئذ أقف مع إحدى المعلمات ـ ونزل منها شخص يضع على عينيه نظارات حمراء وذي لحية كبيرة تملأ وجهه وكما قلت كنت آنئذ أقف أمام المدخل فألقى السلام وقال : أنا سائق عند السيد أبي محمود .. عمري محمود والد حسن أرسلتني الوالدة لأخذ حسن للبيت لأمر طارئ .. مع أن هذه أول مرة يرسل السيد عمري أحدا لأخذ أحد أولاده قبل انتهاء الدوام لم أشك في الرجل وحسن نواياه ، فكل أبناء العائلات يفعلون ذلك .. فدخلنا الإدارة وشربنا القهوة ، وأتى حسن ، فقلت له : هذا الرجل جاء من طرف أبيك يريد أخذك للبيت .. هل تذهب معه ؟ فقال الرجل لحسن : أرسلتني حضرة الوالدة أنا أعمل في شركة الدواء يا حسن أنا عمك خميس .. فقال حسن وإن بدا لي مترددا : أذهب .. هل من شيء ؟ إني تركت أمي بخير .. فرد الرجل لا شيء .. كأنها تريد أن تخرج مشوارا ..كنت مع زوج عمتك الدكتور فائز في بيتكم .. فأرسلني لإحضارك وخرجا والبواب تجدون عنده رقم السيارة كما هو معتاد في نظامنا .. فهل نتصل بالشرطة ؟

قال حسن : اتصلي

ضربت المديرة رقم شرطة المدينة ، وتحدثت مع ضابط القسم ، وبعد دقائق كانت دورية شرطة تقف أمام المدرسة ، ونزلوا حيث مكتب المديرة التي تشرب القهوة مع ضيوفها ، فتكلمت زينب مع الضابط عن الهاتف الذي حدث عند الساعة الحادية عشرة ونصف ، ثم اتصالها بأخيها، ثم مجيئهما المدرسة ، وتحدثت المديرة بدورها عن قصة الرجل والسيارة ، ثم أرسلوا وراء البواب الذي أتى ومعه دفتر كتابة أرقام السيارات التي تأخذ الأولاد ، ولما أخذوا المعلومات قال البواب مضيفا : لقد كان في السيارة رجل آخر على شاكلة صاحبه لحية ونظارات شمسية

مشى رجال الأمن وراء سيارة حسن إلى بيت السيد عمري ، فاستقبلتهم والدة عمري التي اطلعت على الأمر من أم مالك العاملة في البيت ، فلما عرفوا البيت طمأنوا الأسرة ووعدوهم بمتابعة الأمر ، وقال الضابط : يا حجة أم عمري .. قد يتصلون مرة أخرى لطلب الفدية إن كان قصدهم الفدية ؛ ولكن نريد الحديث مع الدكتور فائز لنتأكد أنه لم يرسل أحدا

فقالت زينب : يا سيدي الضابط ! الرجل ادعى أنني أنا التي أرسلت سائق المصنع الذي كان مع الدكتور فائز للمدرسة ..

فقال الضابط : أعرف ذلك يا سيدتي ؛ ولكن دعونا نتكلم معه عن طريق الهاتف ونسأله عن الرجلين

ضرب حسن رقم المصنع وطلب الدكتور ، وتحدث الدكتور مع الضابط ، ولما سمع بخطف حسن صاح : إني قادم انتظرني يا سيدي ووضع الضابط سماعة الهاتف وقال : إنه قادم .. والله ظننته أبا الطفل من لهفته وجزعه

ابتسمت مريم رغم قسوة الموقف والجريمة وقالت : إن ولدي عمريا محبوب ممن يعاشرهم يا سيدي الضابط .. يبدو لي أنك جديد على الدائرة

فقال الضابط باسما : نعم ، لي أسبوع أو عشرة أيام في هذه الدائرة

فقالت مريم : فولدي عمري معروف للجميع

فقال الضابط وهو يهز منكبيه متذكرا : آ .. تذكرت لقد قال لي مدير القسم اهتم بالموضوع فهذا ابن رجل مهم في المدينة .. أين والد الطفل ؟!

ـ مسافر

وما كاد الضابط ومساعدوه يشربون عصير الليمون المبرد حتى كان الدكتور فائز وزوجته ، وجبر وزوجته في البيت يسمعون الحكاية من السيدة مريم ، وبينما هم يستمعون دخل الدكتور يوسف حسان يسأل هو الآخر عن الأمر ، وقد سمع الضابط أقوال الجميع ، ولما لم يجد لديهم معلومة مهمة انصرف وهو يقول : سنضع هاتف المنزل تحت المراقبة فلابد لهؤلاء الخاطفين أن يتصلوا ليتضح لدينا هدف هذه الجريمة وأخذ رجاله وانصرف ، فقال يوسف حسان : ماذا سنفعل ؟

فقالت زينب بثبات وشجاعة : نشكر لكم حبكم لنا ووقوفكم معنا ؛ ولكن أرى أن تنصرفوا لأشغالكم فلا داعي لإثارة القلق والتوتر في الأعمال حتى تتضح لنا الغاية من خطف حسن

دخل الليل ولم يتصل الخاطفون ، وبينما الأسرة مجتمعة في بيت عمري على توتر وانتظار وترقب هاتف المجرمين فتح الباب الكبير للفيلا ودخل منه حسن .. فهرعوا إليه وقد لمحوا سيارة زرقاء قد ابتعدت عن البيت .

فاحتضنت الجدة حفيدها وقبلته وهي تبكي وتذرف الدموع ، فقال حسن لمن حوله : إنكم خائفون عليّ

ـ بالتأكيد يا ولدي

دخل الجميع بالطفل إلى الداخل ، وقام الدكتور بفحصه واطمأن على سلامته ، وكانت زينب قد

اتصلت بالبوليس فأتوا فورا ، ولما هنأ الضابط حسنا على سلامته ونجاته قال : أخبرنا أيها الشجاع عما جرى معك ؟

فقال حسن : أتى رجل إلى المدرسة وقال إنه من رجال أبي في المصنع، وإن زوج عمتي الدكتور فائز أرسله لأن أمي تريدني ، فصدقت وخرجت معه وأنا مستغرب ؛ ولكنه لم يترك لي وقت للتفكير ، فلما جلست في المقعد الخلفي وجدت أن هناك رجلا آخر يجلس في المقعد الخلفي ، ولما مشت السيارة قال الرجل الذي يجلس بجواري : قبل أن نذهب للبيت فلنمش إلى ميدان عيسى لأشتري ما طلبه الدكتور فائز ، وقبل أن نصل دوار عيسى أخرج الرجل زجاجة تشبه قناني العطر ورش على وجهي وأنفي فظننت أنه يريد تطيـيبي ؛ ولكن كما ظهر لي فيما بعد أنه مخدر فإني فقدت الوعي لأنني لما استيقظت وجدت نفسي في غرفة مغلقة فيها نور خفيف ، وقبل أن أدرك الوضع دخل الرجلان وقالا لي : هيا أيها الطفل وأمسك أحدهم بيدي وكانت ساحة البيت مظلمة وفتحوا الباب ، فوجدت سيارة زرقاء داكنة غير التي رأيتها في الصباح ، فدفعوني في المقعد الخلفي ، وكان شخص غير الذي رأيته صباحا يجلس مكان السائق ، وانطلقوا بي حتى اقتربت من البيت ، فطلبوا مني النزول فأتيت للبيت وأنا مذهول .. لم أسمع شيئا ولا أدري أين كنت ؟ !

فقال الضابط : رغم صغر سنك فأنت فتى ذكي وفطن .. ألم تعرف شيئا يساعدنا في الوصول إليهم ؟

ـ لا .. فما كدت أركب في السيارة حتى خدرني الملاعين ولم أكد استيقظ من التخدير حتى أعادوني للبيت

فقال الضابط : قصة عجيبة .. ولماذا اتصلوا ظهرا ؟ ماذا يريدون ؟!

فقال الدكتور فائز : أمر محير يا حضرة الضابط ! منذ الظهر ونحن ننتظر اتصال المجرمين

فقال الضابط متسائلا : قد يكون خطف بالخطأ ؟!

ـ ولكنهم لم يتكلموا معه ، ثم اتصلوا بنا ، فهم يعرفون هاتف البيت وأن حسنا ابن السيد عمري .. وأنني زوج عمته !

فقال الضابط : على كل حال سنأخذ اجراءتنا المناسبة اطمئنوا واسمحوا لنا بالانصراف

عمري في العاصمة

كانت حادثة اختطاف الطفل حسن غريبة في مكانها ؛ ولكن زينب وحماتها أدركن أن المقصود هو إيذاء عمري شخصيا ؛ ولما عرف الخاطفون بسفر عمري من الشغالة أم مالك انتظروا الليل ثم

أخلوا سبيل الفتى .. إذن استنتاج أوكلام عمري في موضعه الصحيح أن هناك خصوما يريدون إثارته وإزعاجه .. لماذا ؟! هذا مما لم تصل المرأتان إليه بشيء يذيب عنه كل هذا الغموض والظلام والعداء الخفي المخيف .. مخدرات .. ضرب السوق المحلي بالمواد الرخيصة الرصاص على البيت ثم الخطف .. أمضى عمري شهرا في ربوع ماليزيا وولاياتها الجميلة .. فماليزيا تتكون من اتحاد فيدرالي يضم ثلاث عشرة ولاية ، وفيها ولاية سلنجور دار الإحسان غربي ماليزيا عاصمتها شاه علم ، وقد أصبحت هذه الولاية قلعة الصناعة في ماليزيا ، وفيها أكبر ميناء بحري في الولاية ، وعموما تقع ماليزيا في قلب جنوب شرق آسيا ، وعلى هضبة في شبه جزيرة الملايو تقع العاصمة كوالالمبور ، في غرب ماليزيا على نهر كلانج ونهر جومباك ، ومليئة بالحدائق الوطنية والمحميات الطبيعية ، هناك حديقة تامان نيجارا على قمة جبل جوننج تاهان ، وحديقة تمبلر وتبعد ٣٠ دقيقة عن العاصمة ، وتوجد قريبا منها شلالات كانسينج ، ومحمية غابات سيرندا ، ومحمية غابات بوكيت لاجونج ، وتضم أماكن للتنزه بالقرب من الشلال ، وحديقة جوننج مولو وهي أكبر حدائق سرواك ، وماليزيا خليط من السكان المالِيز والصينيون والهنود والاورانج ، وهم السكان الاصليون لشبه الجزيرة ، ومهرجانات ماليزيا كثيرة حسب جنسيات شعوبها ، وفنادقها كثيرة بل فيها أطول برج في العالم برج بتروناس .. في ربوع تلك الجزيرة استمتع السيد عمري ردحا من الزمن ، ولما اقترب موسم الحج أو قل دخل شهر ذي الحجة سافر من كوالالمبور إلى الرياض عاصمة المملكة السعودية ، ومنها إلى جدة المدينة الساحلية المطلة على البحر الأحمر بحر المرجان ، واستقر في أحد الفنادق الضخمة وحجز جناحا منتظرا قدوم الأسرة من مدينة الريحانة ، وكله شوق لرؤية أمه وزوجته وأخته بدرية وصهره الطبيب فائز لطفي .. ولما اقترب الموعد نزل الأهل في الفندق فوجدوا عمريا في انتظارهم فتعانق الأحبة ، ولما استراحوا تجمعوا في إحدى الحجرات يسمعون أخبار بعضهم ، فذكرت زينب لزوجها حادثة الخطف فانزعج عمري قليلا ولكنه حوقل ثم قال : قاتلهم الله سوف يـسقطون يوما ما .. ونعرف من هم هؤلاء الأوغاد الأوباش القتلة ؟ !

ثم انشغل القوم بأداء العمرة وكان عمري قد سبقهم بأداء العمرة ، وبعد حين انشغلوا بمناسك الحج مع عباد الله ، وبعد انتهاء الموسم عادوا لجدة ، ومنها للريحانة بسلام وبمزيد من الإيمان .. لقد كان عمري يبذل جهدا كبيرا في عدم اشغال نفسه بعدوه الخفي إنه يخاف على إيمانه والدخول في

متاهات التجسس والتحسس والغيبة ، وكان عمري قد تعلم دروسا كثيرة مما تعرض له في السوق ، ومن إغلاق بعض المحلات والمتاجر ، وتوقفه عن التعامل بمواد البناء وغيره ، فلذلك بعد أن استراح من رحلة الحج وعاد الهدوء لنفسه وزادت ثقته بالله العظيم اتخذ قرارا مهما ، وبدأ يفكر في تنفيذه .. فهو يريد نقل بعض نشاطه إلى العاصمة حتى إذا ضرب ثانية في الريحانة تحول المواد إلى أسواق العاصمة فتباع فيها من غير خسارة كالتي أصابته في الريحانة ، ولما تشاور مع الدكتور يوسف حسان أعجبته الفكرة والتفكير والحل الذكي ، فعلق قائلا : رغم كبر أسواق الريحانة .. فالعاصمة سوق كبير لا يمكن ضربه بسهولة وإغراقه بالسلع ، ويمكننا أيضا أن نصنع أسواقا في مدن أخرى أو شركاء لنا في مدن أخرى ؛ فإذا تأثر سوق نتيجة المكر والخداع أو هبوط أسعار مقصود فنجد أماكن متنوعة لتوزيع البضائع والمواد وحتى شركة الإنشاءات يمكن تضخيمها إذا فتحنا فروعا لنا في العاصمة وعدد من المحافظات الكبيرة

لقد بدأ صاحبنا عمري يتطلع لعاصمة البلاد وتضخيم مشاريعه ، فقال عمري بعد موافقة الدكتور يوسف واقتناع سكرتيره احمد بأفكاره ووجهة نظره : الحمد لله رب العالمين .. إذن اتصلوا بكل إخواننا الذين اضطررنا للاستغناء عنهم نتيجة الأزمة الضارية ، فهؤلاء أولى الناس بالعمل معنا من وجوه عديدة .. وانظر يا يوسف من يحب منهم الرحيل للعاصمة وترك هذه المدينة .. وفكرا بالموضوع جيدا لنباشر العمل به قريبا جدا

سر كثير من العمال والموظفين الذين تم الاستغناء عنهم بسبب المشكلة منذ سنة لهذا الاقتراح واستبشروا خيرا ، ورغب الكثير منهم بالعودة والعمل مع السيد عمري ، وقد التمسوا له عذرا فقد خسر أموالا كثيرة تلك السنة ، فقد ذهبت مئات الالوف نتيجة المؤامرة .. فرحل الدكتور يوسف حسان للعاصمة برفقة عمري ، وأغرب شيء وجده وهو يبحث عن شقة أو فيلا صغيرة عند سماسرة العقارات ، فقد وجد عند أحدهم فيلا والده ناصح معروضة للبيع منذ سنة ، فتحدث عمري مع مدير المكتب عنها فقال الرجل : رغم أنها فيلا جميلة ولكنها قديمة بعض الشيء ، فهي من أقدم المنازل في ذلك الحي .. ولم يتقدم للسؤال عنها إلا أنتم وصاحبها قد طلب فيها مائة ألف ثم تنازل إلى خمس وسبعين

فقال عمري : قل لمالكها على خمسين فنأخذها اليوم قبل الغد

فقال صاحب المكتب : قد يوافق هي بناء قديم

عمرها أكثر من ثلاثين سنة
فقال عمري وهم يغادران المكتب العقاري :
سجلها باسمك يا يوسف
فاستغرب الدكتور ذلك الطلب ، فلما غادرا المكتب العقاري ، شرح عمري له الصورة فقال :
إنك مستغرب ، فهذه الفيلا لوالدي الذي حدثتك عنه .. وبعدما تشتريها يا يوسف من المالك وهو ابي ناصح سننقل ملكيتها لأمي .. سأتحدث معها الليلة هيا بنا إلى الفندق
بعد أن أكلا ما تيسر لهما في مطعم الفندق ، صعدا إلى الغرفة ، ثم اتصل عمري بوالدته التي وافقت على شرائها بعد أن رأت تشجيع عمري لها بفعل ذلك ، وفي الصباح ذهب الدكتور يوسف حسان مدير مشاريع عمري وصديقه إلى مكتب العقارات ، وكان الرجل قد تحدث مع محامي السيد ناصح الخابي وحدثه بعرض الدكتور يوسف ، فجاء المحامي عوض سامي إلى المكتب ، وبعد أخذ ورد استسلم لبيعها بخمسين ألف دينار بعدما أجرى اتصالا بالسيد ناصح وتمت الصفقة ، وذهبا لدائرة الأراضي وكاتب العدل لإجراء اللازم ، وكان عمري قد أعطى يوسف شيكا بالمبلغ المطلوب ، وكان عمري قد أودع المال المطلوب على حساب يوسف ، وعادت ملكية الفيلا بعد أشهر للسيدة الفاضلة مريم صادق .

المهم أن يوسف وعمريا قد وضعا نواة المشاريع التي ستقام في العاصمة .. مخازن لشراء الحبوب من قمح وذرة ، العمل بتجارة الأقمشة والملابس .. الأدوات المنزلية كالثلاجات والتلفزيونات وغرف النوم والمكاتب .. المعلبات المختلفة الأسماء والأشكال .. فخلال شهور قد بدأت الانطلاقة في العاصمة ، وكانا يقضيان آخر كل أسبوع الخميس والجمعة في ترتيب محلات وتجارة العاصمة ، وقد تم جلب كثير من الموظفين السابقين للعمل معهم في العاصمة وقد تمكنا من فتح معارض أخرى ومتاجر في بعض المحافظات القريبة من العاصمة ، فخلال سنة مرت استطاع يوسف وعمري والسكرتير أحمد نقل خبراتهم التي اكتسبوها في مدينة الريحانة لأسواق العاصمة المدينة الكبيرة ، وبدأت تظهر أسماؤهما في سماء العاصمة ، فأكثر من خمسين مشروع ظهرت خلال السنة التي انصرمت ، من أهمها المواد الغذائية الحديد الأسمنت تجارة السيارات الجديدة ، وكانت الخطة فصل المشاريع نظريا عن بعضها ، إدارة محاسبة مستقلة لكل مشروع ، وقامت مشاريع مشتركة مع كبار التجار الذين يعرفون عمري محمود ويوسف حسان قبل مجيئهم للعاصمة ، فسنة التأسيس كانت موفقه كما أخبر الدكتور يوسف الأستاذ عمري .. وبدأ التخطيط

لإنشاء عمارات وشقق سكنية تقوم بتنفيذها شركاتهم ، والإعداد لمستشفى خاص وعيادات طبية ، وإنشاء مصنع أدوية كالذي في الريحانة، وتم ترخيص عدد من المدارس ودور الأيتام .. هذا النجاح الصاعد كان يضغط على شخص أو شخصين أو ربما أكثر .

كانت أنعام تتحدث مع شقيقتها نوال – ولابد ان قارئنا الفاضل يذكر هذه الاسماء ، فهما بنتا عم صديقنا عمري محمود – فقالت : إيه يا نوال أتسمعين أخبار ابن عمك عمري ؟!.. لقد ظهر وبرز اسمه في مجتمع العاصمة ..فعمي ناصح يكاد يتميز من الغيظ ، وكذلك أبي .. يقول : هذا الصعلوك يتمدد ويتضخم .. كان لا يعرف إدارة مصنع سجاد .. فها هو يترك الريحانة للعاصمة

فقالت نوال : كفى يا أنعام ! إنني أنا أيضا أكاد أن أتمزق من الغيظ .. ألا يكفي أن قمرية تمزق افتدتنا بكلامها عن أخيها .. التقيت بها عند عمتي رباب ، ففقدنا عقولنا وتصدعت من كثرة إعجابها بأخيها وزوجته حتى جبر قال : إن العمل بجوار عمري سعادة وبركة الغيظ يكاد أن يقتلني .. أنا سبب كل هذا الخير .. لولاي ما ترك عمري البيت وحصل على كل هذا السعد لا تتأسفي على ما فاتك .. هذا نصيبه وقدره .. عمري تغير من قبل أن يخطبك .. ما أخبار زوجك المخمور ؟

فقالت بحزن عميق وتحسر : لم يصح بعد .. ينام على خمر ويستيقظ على خمر .. ملايين أبيه خسرها بالقمار والورق .. آه كم أكرهه وأبغضه ! أحيانا تراودني نفسي بقتله ! .. مرة تركني مع ضيوفه الرجال قائلا : هذه نوال معكم تابعوا سهرتكم إنني متعب أريد أن استريح .. لعين لا يهتم لشرف وعرض .. يغازل أي امرأة تعجبه أمامي لا يستحي مني ولا يراعي شعوري

فقالت أنعام : تستحقين ذلك .. ألم أقل لك يا بنية اصبري اصبري ؟! .. فها هي فتاة ثانوية عامة تملك كل هذه الملايين ، والكل يحلف بحياتها .. من كثرة ما حدثتني قمرية عنها على الهاتف اشتقت إليها ، ولولا غضب والديّ وزعلهما لزرتها في الريحانة ؛ ولكن قمرية كانت تقول أن عمريا بدأ بنقل مشاريعه للعاصمة ، وقد تعود العلاقات القديمة بيننا .. وها هو قد فعل .. أنا مشتاقة لبدرية وحتى لأمرأة عمي السيدة مريم صادق .. فتقول قمرية عن اختها : إنها ملكة بعد زواجها من الطبيب صديق أخيها ..

فهاجت نوال وقالت بحدة : أخوها .. أخوها .. أخوها .. صرعتم أرواحنا فيهم

فتبسمت أنعام وقالت : لا تغضبي .. عمري معجزة يا امرأة ! عرفت من جبر أنه يدير مئات المشاريع .. ماذا أقول لك أيضا ؟ ! يا أختي

المحترمة ! إنني لما سمعتهم يتحدثون عنه ظننت أنه عفريت من عفاريت ألف ليلة وليلة .. لديه أعمال وشركات قد يزيد عدد موظفيها عن عشرة آلاف إنسان ، إن لم يكن أكثر ، وقد دعتني قمرية لزيارتها في الريحانة.. ما رأيك أن نفعلها يا نوال ؟ .. نزور السيدة مريم وبدرية ونتعرف على الفتاة التي وراء عمري .. هل تصدقين أن قمرية ناصح تقول أن زينب تحث زوجها على الزواج عليها وهو يرفض

ـ ماذا قلت ؟!.. أمعقول هناك امرأة ترغب زوجها بأن يتزوج عليها ؟! .. لقد طلبت الطلاق من نادر ألف مرة ليته يطلقني وأتزوج عمريا

ـ أتقبلين ذلك وترضينه ؟ !

ـ والله إنني أقبل ما زال له في القلب لوعة وهوى .. قاتل الله الغضب والطيش

ـ وابنك الوحيد من نادر أفندي ؟

ـ أتركه لأبيه

ـ وتصلين وتصومين يا نوال ؟

فقالت وهي ساهمة الذهن : أصلي وأصوم يا أنعام .. لقد كبرت وقفزت عن الاربعين دخلت في العقد الخامس .. الزمن يقفز بسرعة

فقالت أنعام : إياك أن يسمع أبوك منك هذا الكلام ، فلك أكثر من خمس سنوات تطلبين الطلاق من زوجك ومن أبيك ، وهم يرفضان ، فكيف لو يسمعون مثل هذا التمني ؟! سينفجران في وجهك

فتنهدت بألم دفين وهمست قائلة : هو كلام .. لقد خسرت عمريا ونفسي قبل ذلك .. ورضيت بهذا المخمور الذي لا يصحو من الخمر ..

*****

كان ناجح أيضا يتحدث مع أخيه ناصح في صالة أحد الفنادق الضخمة في العاصمة ، فهما كانا في انتظار ضيف أجنبي ، فقال : أسمعت يا ناصح باشا أخبار ابنك المطرود والمفقود ؟

نظر ناصح الخابي في عيني أخيه وقال : لا تذكرني به يا ناجح .. أنا لما هجرت قمرية الفيلا استغربت ، ولما حدثت رباب بذلك ، قالت ساخرة إنها ذهبت لحضن أخيها .. لم تجد حضنا يتسع لها وللمرأة الشقراء ، فذهبت حيث الأم والأخ والأخت عرفت عندئذ مكان عمري ، فإذا هو سيد المدينة هناك .. الناس يا رجل يدعونه ويرغبونه لترشيح نفسه لمجلس النواب .. أرأيت ؟! .. إنني أبغضه أكرهه أتمنى موته .. إنه عاق حقير

فقال ناجح وهو يتذكر الماضي : والله إنها كانت ساعة مرة علينا عندما نزلنا به ضربا وصفعا هل يغفر لنا ذلك ؟! إنه قد فتح مشاريع كثيرة في المدينة ، واشترى الفيلا القديمة التي بعتها

فقال ناصح باستغراب : ماذا قلت ؟ ! اشترى

الفيلا .. أبدا لقد ذكر لي المحامي أنه باعها للدكتور يوسف حسان

فقال الآخر : ألا تعرف من هو يوسف حسان ؟

..هو يد عمري اليمنى ، مدير المشاريع رجل ذكي وخبير فطن .. ليس هذا فحسب يا ناجح بل أخبرتني رباب التي علمت من ابنتك قمرية وزوجها جبر أن الفيلا أصبحت باسم زوجتك السابقة مريم صادق

صاح ناصح وقد هاج : ماذا تقول ؟! ماذا تقول ؟! مريم تشتري الفيلا .. لعنها الله .. لعنه الله إنه ولد عاق سأدمره سأحرقه

ـ ماذا تريد منه ؟ هل أخذ منك دينارا واحدا ؟ ترك البيت هاربا فارا .. فدعه

فقال ناصح بحقد قديم : أنت السبب ،.. أنت السبب وابنتك الملعونة لعنها الله .. اسمع إنني أعرف كل شيء عن عمري من قبل أن يغزو المدينة ، لما رحلت قمرية أرسلت رجلين من رجالنا فجاءوني بكل شيء عنه ، فجننت من نجاحه .. فإنني مغلول ومعلول ومقهور منه .. فأرجوك يا أبا صابر أن لا تحدثني عنه ثانية .. أين هذا الرجل ؟ أليس هذا الفندق الذي ذكروا لنا ؟

ـ أجل .. أجل يا ناصح .. اصبر سيأتي .. ما أخبار الزوجة الشقراء ؟

ـ إنها فاتنة .. أنا صريع الشقراوات والحسناوات

فقال ناجح باسما : أنا سمعت أنها طلبت منك خمسة ملايين

غضب ناصح وهو يسمع الغمز وقال : ممن سمعت ؟

ـ سمعت كما يسمع الناس

فقال : لا أحد يعلم ويدري بالموضوع الا أنا وهي

ـ منها هي .. ارتحت يا باشا

ـ أنا لست باشا يا ناجح .. الباشا اليوم عمري محمود ! انتهت الحلقة الثانية يتبع

جحا الأحمق

ويكنى أبا الغصن، وقد روي عنه ما يدل على فطنة وذكاء

* قال رجل لجحا: سمعت من داركم صراخاً، قال: سقط قميصي من فوق، قال: وإذا سقط من فوق! قال: يا أحمق لو كنت فيه أليس كنت قد وقعت معه؟

* ومات جار له، فأرسل إلى الحفار ليحفر له، فجرى بينهما لجاج في أجرة الحفر، فمضى جحا إلى السوق واشترى خشبة بدرهمين وجاء بها، فسئل عنها فقال: إن الحفار لا يحفر بأقل من خمسة دراهم، وقد اشترينا هذه الخشبة بدرهمين لنصلبه عليها ونربح ثلاثة دراهم ويستريح من ضغطة القبر ومسألة منكر ونكير.

حديقة الازهار .. مواقف ارشادية

العيون الزرقاء



حنان أم طيبة ، وهي ككل الأمهات تحب أن تبث السرور والفرح في روح صغارها ، ولهذا فهي تبحث عن كل وسيلة طيبة لتحقيق مثل هذا الهدف النبيل ، ومن المعروف لدى العامة أنه من الوسائل المستخدمة لتحقيق ذلك ، إغراء الطفل بجائزة من الحلوى أو الفاكهة المحبوبة لنفسه أو بحكاية قصة لذيذة ، وبعض الناس يعده بزيارة محبوبة له أيضا كزيارة أبناء الجيران أو أبناء الأقارب ، ويمكن أن تكون الجائزة ريادة حديقة جميلة فيها أدوات لهو بريئة . وهناك وسائل أخرى شائعة لبث الفرح والغبطة في نفوس فلذات الأكباد مثل المكافأة بالمال والثياب الجميلة الخلابة والألعاب كالسيارات والقطارات والبواخر والصور الملونة .

نعود للسيدة حنان وبما أنها كانت في سوق المدينة ذلك النهار فابتاعت لابنتها الصغيرة "ريما" لعبة جميلة ، وهي مجسم لعروس ذات عيون زرقاء وشعر أشقر ولباس قصير وأذرع عارية ، دمية جميلة صناعتها متقنة ، تكاد تتكلم وتمشي ، أعجبت الأم بهذا الدمية ، وفرحت بها قبل فرح مالكة الدمية الناعمة ابنتها "ريما" ، وأما "رامي" ابنها الصغير فقد ابتاعت له فيلا متحركا بالتيار الكهربائي ، ومجموعة من الصور في دفتر جميل براق ، فـ"رامي " يحب الصور كثيرا .

وكم فرحت ريما عندما تسلمت عروسها الشقراء وأخذتها بالأحضان ؛ كأنها رضيع صغير ، وشكرت أمها حنان على اختيارها لهذه اللعبة الحسناء ، ولم يكن الصغير "رامي " أقل فرحا من أخته "ريما" فالفيل حيوان باهر وظريف ، وكذلك الصور صور الحيوانات والطيور الملونة وصور الأبطال أبطال الكرة والأفلام المتحركة ، وكان الطفلان في شوق كبير لعودة أبيهم من مكان عمله ليشاركهم فرحهم وسعادتهم في هذه الألعاب والهدايا .

وفي موعده المعتاد عاد الأب كريم للبيت ، ولما استراح وأكل طعامه مع أسرته ، وعلى الفور أحضر الطفلان ألعابهما الجديدة ليراها الوالد ، ويشاركهم السعادة والمرح ، فأبدى كريم سروره وإعجابه بهذه الأشياء الجميلة ، ولعب بها معهم ، ونظر إلى بعض

الصور ، ثم أمرتهم والدتهم بالذهاب إلى أسرتهم للنوم كعادتهم ، ولما انصرفوا للنوم قال كريم لزوجته حنان : أشكرك يا أم رامي .. على هذه الألعاب الحلوة ، ومع ذلك لابد من النصح في هذا المقام .. هداياك جميلة ورائعة ! ولكن يا زوجتي على المرء عند الشراء للأطفال مثل هذه العروس الانتباه لدينه وتقاليده .. فهذا اللعبة وإن كانت دمية فهي تخالف تقاليدنا وعاداتنا .. فهذه الدمية مجسمة لفتاة أوربية عيونها زرقاء وشعرها أحمر أو أشقر ولباسها غير محتشم .. فهذه لا تصلح لنشرها بين بناتنا .. فمثل هذه الألعاب تترك أثرا نفسيا سيئا في نفس الطفل في المستقبل .. فتجد طفلنا فيما بعد ينظر إلى هؤلاء بعظمة وإعجاب ورغبة في تقليدهم ومحاكاتهم والتشبه بهم والتعلق بهم ، ومثل ذلك ممكن أن تقوليه عن صور أبطالهم ومشاهيرهم ؛ فإنها تترك الأثر في نفس الصغير ، فتراهم يتحلون بصفاتهم وأسمائهم وألقابهم وطباعهم



البعيدة عن نور الإسلام .. فاعلمي أيتها الزوجة الطيبة ..أنه من الحسن حسن اختيار اللعبة التي يلهو به الطفل ، فذلك أمر مطلوب مراعاته عند الشراء .. وأظن أن ذلك من حسن التربية ومن التوجيه غير المباشر للطفل الصغير .. فعلى المرء منا أن يحسن اختيار الألعاب لأولاده .. هذه نصيحة أو ملاحظة أحببت أن أنقلها إليك أيتها الزوجة والأم الصالحة لتهتمي بها عند شرائك لمثل هذه الألعاب.

انتهت

حديقة الازهار ..

كلام المكاتب

مكتب الأمن

﴿يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيْأَسُوا مِن رَّوْحِ اللَّهِ﴾ ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا﴾

دخل مكتب الأمن مطلوبا بالإساءة إلى مديره ، واتهامه المدير بالجاسوسية ، فلما جلس قال مدير المكتب الأمني في البلدة : لأي جهة يتجسس المدير يا سيد زيد ؟ ! فمرؤوسك يتهمك بالإساءة وأنك تتهمه بالتجسس .

بعد صمت بدا طويلا : أنا لم اتهمه بالجاسوسية ؛ ولكنه دائما يتكلم عن الجواسيس وعن التنصت .. فقلت لما غضبت ؛

كأنك جاسوس يا رجل! دائما تتكلم عن التجسس و...

ـ أنت اتهمته بأنه جاسوس للعدو يا زيد ! فهل لديك أدلة على الاتهام ؟

زيد : هذه ليست مهمتي يا حضرة المدير ! هذه مهمتكم أنتم .

قال : يا سيد زيد أنت رجل فهمان .. فاتهام الناس بالتجسس والعمالة للعدو أمرا مزعجا .. والنظام ينزعج جدا من ذلك .. فالجاسوس أمره خطير على أمن البلد والمدينة والناس .. وأجهزة الأمن المختصة عندما تتجسس على بعض الناس تفعل ذلك بحدود معينة ، وشبهات ثابتة ؛ لأن اتهام الناس بذلك ينزع الثقة بين أفراد المجتمع وينشر الخوف والقلق .. فعلى المرء التروي وعدم إلقاء الكلام على عواهنه .. والرجل تقدم بشكوى ضدك بأنك تتهمه بالتجسس على الموظفين .. وأنت تعمل في مؤسسة حساسة .. وسمعتها مهمة يا سيد زيد !.. نحن نعلم المشاكل والعوائق التي تحدث من قبل الموظفين .. لكن الجاسوسية أمرها خطير في مثل هذه المؤسسة وتقول إنه يدس أنفه .. وهو يدس أنفه للمحافظة على النظام يا سيد زيد ليس للتجسس .. فالمدير مطلوب منه أن يعرف ما يحدث ويجري في دائرته وشركته من هموم ومشاكل وقضايا .. ليس بقصد التجسس والتخوين ؛ إنما القصد الإصلاح والعلاج وإدارة العمل ، وألا يكون كالأطرش في الزفة ، وآخر من يعلم .. فليس عندما يسأل شخصا عن أمر أو حدث يكون قصده التجسس ومعرفة أسرار المسؤول عنه .. فمدير المدرسة كيف سيعلم مشاكل المدرسين نحوه ونحو بعضهم البعض بغير دس الأنف والسؤال ؟ إنما يعلم بالحديث وسماع الأخبار لمعالجة الأمور .. نحن نعلم أن التجسس نهى عنه القرآن والاحاديث ؛ لكن لا غنى عنه أمام القادة يا سيدي! فالرسول الأعظم ﷺ استخدم العيون ومعرفة أخبار الخصوم والناس .. والقصص كثيرة في قصة بدر غزوة بدر وكان العباس عمه عينا له في مكة ..وكان يسأل الركبان والتجار عن تحركات أعداء الدعوة .. فالقائد الناجح يحتاج لعيون .. هل ترى كل الشعب على قلب رجل واحد ؟ كلهم صادقون .. مخطئ جدا إن اعتقدت هذا .. هناك مرضى ومفسدون في الأرض ، ومخربون في الناس .. لا أريد أن أبرر عمل الأمن ؛ لكن لابد منه لأمن البلاد والعباد .. لكل شعب ، ولكل

أمة ، لكل دولة أجهزة أمن داخلي وخارجي .. مخابرات وشرطة ودفاع.. أرجو أن تعذر رئيسك .. ولا تتهمه بالتجسس عليك أو على غيرك .. هو يريد أن يسيطر على مؤسسته وما يدور فيها.

قال زيد مستسلما : أنا سأعتذر له يا سيدي! ربما أخطأت في فهم تصرفاته وتحركاته غير المبررة .. فهذا مما دفعني لاتهامه بالتجسس .. وأقول له كأنك جاسوس ؛ لأن أفعاله مكشوفة ومثيرة .. أنا لم أمنعه من معرفة ماذا نفعل ؟ وكلنا يخطئ ويصيب .. وقد نفسر الشيء على غير ما يراد ويقصد به .. فعندما نجلس في مطعم المؤسسة فيكون بيننا بطريقة مريبة ومثيرة ..حتى إنا أحدنا لا يستطيع الحديث بحرية وتفصيل حتى في أمر عائلي خاص .. يريد أن يعرف ما يحدث في البيوت .. فعليه أن يتصرف بذكاء يجلس ويقول بماذا الشباب يتكلمون ؟ بماذا يتأمرون ؟ بماذا يفكرون ؟.. إذا قلنا أو تهامسنا سأل عندما نقول أمر عائلي يقول ولماذا الهمس ما دام الحديث عائليا ؟ .. هذا يريد أن نجهر بأسرار البيوت .. واحد منا تشاجر مع أمه زوجته أخته يفضح نفسه ويتكلم عاليا ليسمعه كل الحاضرين

قال : هذا الأمر معك حق فيه .. هذه قضايا يتحدث فيها ويستشار الخواص أو خواص الخواص ..

ـ السيد لا يحب أن يتكلم اثنان مع بعضهما ..يريدنا خرسا أو نتكلم بعيوننا

ـ على كل حال يا زيد اكتب لنا بما تراه من أخطاء أو تصرفات غير سليمة في مديرك حتى نناقشها .. فأنت كما قلت في أول الكلام رجل فهمان وذكي

ـ شكرا يا سيدي .. نحن نعرف أنه لا تخلو مؤسسة تابعة للدولة من رجل أو رجال أمن أو سمهم عيونا ..لكن عليهم العمل بخفة وإتقان ..

ـ الأخطاء والشخصنة لابد من الوقوع فيها ..نهض المدير قائلا: أرجو يا زيد أن تتناصح مع مديرك بالحسنى.

تصافحا وعاد زيد لمؤسسته أمام دهشة مديره الذي قال لأحد مساعديه : لقد عاد اللعين لقد كتبت فيه شكوى اعتقدت أنه سيقضي أسبوعا في التحقيق والتوقيف

اقترب منهما مسلما قائلا : اعتذر يا حضرة الدكتور مما وصفتك به !

فقال المساعد : هل انتهى الأمر يا زيد ؟

ـ تقريبا يا سيدي .. مجرد عتاب وطلب اعتذار للرئيس .. فأنا آسف لما بدر من لساني لشخصك الكريم ..ربما يتم

نقلي لدائرة أخرى

قال المدير المدهوش بعد : نقلك أم فصلك!

ـ ولماذا أفصل يا دكتور ساري ؟! أكنت تعتقد ذلك ؟

ـ لم اعتقد شيئا يا مهندس زيد ..لكن كانت إساءتك لي كبيرة تستحق عليها عقوبة كبيرة .

رن جرس الهاتف فرفع المساعد السماعة وقال : نعم .آ.. نعم موجود والمهندس زيد يقدم له الاعتذار .. سيصدر كتاب نقل المدير

خطف المدير السماعة : آ..ماذا هناك يا حيدر ؟!..إما أن أقبل النقل وإما أن أستقيل ..ماذا قال لكم اللعين ؟!

«إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ، وَلاَ تَحَسَّسُوا، وَلاَ تَجَسَّسُوا، وَلاَ تَحَاسَدُوا، وَلاَ تَدَابَرُوا، وَلاَ تَبَاغَضُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا»

جواهر القصص ..
حجر القمر

الحمار المسحور



كانت ساحرة تعيش في مدينة الشمس ، ولها قصص مزعجة للناس خاصة الرجال ؛ فإذا عشقت رجلا ظلت تطارده حتى يقبل بها قرينة وحليلة ، وبعد سنة أو أكثر بقليل يختفي الرجل من المدينة ، ولا يعرف أبناؤه وزوجته وأقاربه قبل خطفه علنا من قبل الساحرة أين اختفى ؟ ولما يشتكي أهل الرجل للشرطة تخبرهم الساحرة أنه ذهب في تجارة ولم يعد ، وعندما يسأل رجال القوافل التجار عنه لا يذكرونه، فتزعم وتكرر لهم أنه خرج في تجارة خاصة بها ، وهذا معروف عنها ، فهي بين الحين والآخر تستثمر بعض ماالها في التجارة .

ضاق الناس بها ذرعا ، وأصبح من الصعب أن يقبل بها أحد كزوجة من أهل المدينة ، فعمدت إلى الزواج من رجال أغراب عن المدينة ، وعندما يختفون لا يهتم باختفائهم أحد ظانين أنها طلقتهم، وعادوا لبلادهم ،فتركها الناس وشرورها.

ولما كانت تصطاد ذكرا كان الناس يحذرونه من سحرها وظلمها وكذبها ، ومن يصدق ينجو من براثنها وفتنتها ؛ لأنها كانت تظهر أمام فريستها بأجمل هيئة ؛ وكأنها فتاة صغيرة ، ولما ير الخطيب عقود الذهب والجواهر التي تزين نفسها بها والغنى الذي ينتظره يقع في غرامها ويزيغ فؤاده ، ويقع في شبكة العنكبوت فينسى أم أولاده وأولاده .

دخل المدينة شاب جميل سمع عن جمالها وشبابها من أحد

غلمانها ، فقرر الإتيان لمدينة الشمس والالتقاء بالساحرة ليمونة.

وكانت تستعد لهذا اللقاء ، فكانت بأبهى زينة وتبرج ، واستقبلته في قصرها الجميل ، فلما رآها لم يقدر على فراقها لهفة ورغبة ، فقبل بها زوجة ، ولم يسمع نصح ناصح ، ولم يصدق أنها تزوجت عددا من الرجال ، وعاش في القصر في غاية السعادة والحب ، طعام شراب خدم .

كان الناس بعد زواج الساحرة من الشاب لهفان في غاية الاستغراب بعد صبرها عليه ثلاث سنوات ، وكان يبدو للناس سعيدا بها ، والنساء يزعمن أنها قنعت به ، ولم ترغب بغيره من الرجال ؛ كما اعتادوا ذلك.

وكانت تقول لهن : إنه أفضل رجل التقت به ، وإنها تحبه حبا جما.

هذا ما لاحظه الناس والجيران من سعادتها ، وكان الشاب لهفان دائم المدح والثناء على زوجته ويزعم أنها لم تغدر بأي أحد ممن تزوجته ؛ إنما كانوا يهجرونها ويهربون منه ، ويختفون من حياتها بإرادتهم ومللهم .

ذات يوم زار رجل غريب بيت الساحرة ، وعرف الناس أن هذا الزائر شقيق لهفان وأنه قدم لأخيه يطالبه بزيارة أمه التي أصبحت على وشك الموت ، ولها شهوة ورغبة برؤية ابنها قبل فراق الدنيا ، ورفضت الساحرة سفر زوجها مع أخيه ، وأنها لا تستطيع فراقه، وقد بليت بهواه ، وأعاد لها حياة الشباب ، وحتى ورفضت السفر بمعيته وحل الحزن الشديد بقلب الزوج لرفضها طلب أمه ، فبدأت المشاجرات والشكوى من تجبر زوجته به ، وأنها تحرمه

من أمه ، وأقنعت النسوة الساحرة بالسفر معه حتى تضمن عودته ، وغادرا المدينة معا ،وقد استسلمت الساحرة للوم المقربات .

وبعد شهور غياب عن مدينة الشمس رجعت الساحرة بدون لهفان ، وعلم الناس منها بموته بعد مرض ، لم يمهله طويلا .

أكثر الناس لم يصدق موت لهفان ؛ بل اتهمها بعضهم بقتله والخلاص منه ؛ كما تخلصت ممن تزوجتهم قبله ؛ لأنه أجبرها على السفر لمقابلة والدته ،وأشاع بعض آخر همسا بأنه طلقها ، وأنها تزعم موته .

كان ضفير فلاح صغير يملك حقلا صغيرا أو أرضا صغيرة يحرثها ، ويزرع فيها الحبوب وبعض أنواع الخضار ، وكان لديه جحش اشتراه منذ أيام

بدلا من الحمار الذي هلك من عهد قريب، فكان هذا الجحش يقوم بحراثة الارض ونقل البضاعة الى سوق البلدة ، وكان هذا الحمار دائم البكاء والدموع مما أزعج ضفير حتى أنه فكر ببيعه والخلاص منه ، رغم تعلقه به حتى أن زوجته تقول هذا حمار خجول يا ضفير !

قال : كيف هو خجول؟ إنما هو حمار !

قالت : عندما أذهب لأضع العشب والعلف أمامه يبتعد عني ، ويظل يراقبني بطرف عينه حتى أخرج من حظيرته ، ثم يزحف للطعام ، واذا عدت يهرب لداخل الحظيرة .

قال : حمار عجيب !

قالت : نعم ، لا يحب أن يأكل وأنا معه في الحظيرة .

قال بضجر : أما أنا فيزهقني بكثرة دموعه، ونهيقه المحزن ؛ كأنه طفل يبكي!

فهتف الزوجة : فعلا عندما أسمع نهيقه أظنه يبكي !

فقال : لعله رجل!

هتفت بعجب وحيرة : رجل وحمار!

فقال محتارا مثلها: فكرت ببيعه ، فهو رغم شبابه يتعب بسرعة ؛ ليس كالحمار الذي فقدته ، كان حمارا قويا وجبارا

قالت مذكرة زوجها عن الحمار الهالك : لا تنسى أننا اشتريناه صغيرا يا ضفير ! وترعرع هنا ، مع الزمن سيُصبِح مثل قرينه.

تنهد بعمق وقال : نعم ، لا أنسى .. متى سيأتي ضيوفنا؟

أجابت : خلال هذا الشهر بمشيئة الرب تعالى .

قال مرحبا : على الرحب والسعة.

تمر الأيام والفلاح الشاب ضفير يعاني من الحمار ، ومن ضعفه وهزاله ، لم يعد يأكل بصورة جيدة وخشي عليه الموت كحماره السابق ، فنزل به السوق حيث تباع الحمير والحيوانات الانسية ، وبعد جهد جهيد قبل به أحد الناس.

وبعد يوم واحد تفاجأ به ضفير يقف أمام منزله راغبا بإعادة الحمار ، وأخذ الثمن وفي بداية اللقاء رفض ضفير الغاء البيع ، ثم لان عندما أخبره الرجل أن هذا حمار ضعيف على وشك الموت .

وفي الصباح ساقه ضفير إلى السوق من جديد ، وبينما هو يدلل عليه اقترب منه رجل شيخ في السن، وقال ويحك أهذا الحمار لك ؟!

رد ضفير بأسى : نعم ، يا أخي ! وثمنه بخس اذا كنّت به راغب.

قال الشيخ : إن نهيقه ليس بصوت حمار ! إنه يبكي أيها الرجل ؛ لعلك تتعبه.

قال : لا ، بستاني صغير ، وقد

ابتعته من عهد قريب.

قال الشيخ : هذا أيها الفلاح ما هو بحمار!

ضحك ضفير وقال نكدا : لعله قرد أيها الشيخ!

قال الشيخ : هذا إنسان مسحور!

قال فزعا : مسحور!!

قال الشيخ : نعم ، هذا رجل تعرض للسحر .

قال : عجيب !!

قال الشيخ : أنا واثق أنه مسحور .. انظر أنه يكاد ينطق ويقول لنا : أنا إنسان !

وكان الحمار يهزّ رأسه بقوة كأنه يقول : أنا بشر مثلكم.

وقال الفلاح وهو غير مصدق : ومن سحره وغير صورته؟!

تحدث الشيخ مع الحمار ، ثم قال : هل سحرتك زوجتك؟

فصاح الحمار مصدقا ومهتاجا ، فقال الشيخ للفلاح : أرأيت ؟

قال : كيف عرفت أنه مسحور؟

قال الشيخ : أنا لي زمن أبحث عنه أنا شقيقه.

قال : شقيقه ! أنت شقيق هذا الحمار ! وهل أنت سحرته؟!

قال الشيخ بهدوء مدرك صدمة الفلاح : لا ، سحرته زوجته ، لقد تزوج ساحرة فاجرة ، لما زرته في قصرها عرفت الأمر منه ، ومن الناس ، وسعيت لإنقاذه من براثنها ؛ ولكنه كان متعلقا بهواها وغرامها، وأنا عرفت ذلك لما زرته لرغبة أمي برؤيته قبل موتها ، ولما جاء إلينا لمشاهدة والدته المحتضرة ، جاءت معه الساحرة ، وعرفت أنني أسعى في طلاقها ، وإنقاذه منها ، وأثناء العودة لمدينة الشمس بعد زيارة أمي تشاجرا في الطريق لرغبته بالبقاء معنا حتى وفاة أمنا ، فاحتالت عليه ورجعت به لبلادها ، وقبل أن يصل لهفان سحرته ، وزعمت للناس في المدينة أنه مرض ومات متأثرا بسقمه ، وذهبت لزياته وإخباره بوفاته أمه ، وقد أوصت بأن يطلق الساحرة ، فعلمت ما قيل من أهل الحي والجيران ، وعلمت منها بأنها صورته وحولته لحمار لما هددتها بالموت والقتل ، فأخذت بالبحث عنه في أسواق الحيوان في المدن والقرى التي بين مدينتا ومدينة الساحرة اللعينة.. فهذا قصة الحمار المسحور.

قال : وكيف ستعيده لصورته الأولى؟!

قال الشيخ : سأشتريه منك ، وأذهب به لافك سحره .

وعانق الحمار وهو يبكي ، فقال الرجل : عليّ أن أصدق هذه الحكاية !

وابتاع الشيخ رزق الحمار ، ومشى به نحو بلاده ، وكان يهتم به ويرعاه ، وأفرد له حجرة نظيفة ، ويضع أمامه

أجود الشعير والخضار ، مما أدهش الأسرة والأقارب من أفعاله والاهتمام الزائد بهذا الحيوان حتى أن زوجته قالت : إنك تعامل هذا الحمار أفضل مني !

فيقول الشيخ : هذا أخي العزيز لهفان .

فقالت وقد ظنت خبل زوجها : هل أخوك أصبح حمارا؟!

فيجيب بـنعم: هذا الحمار هو أخي لهفان .

فتسخط وتقول : إنك تسخر مني يا رزق!

فيقول لتصدقه : لا أسخر منك.. انظري إليه كيف يتحاشى النظر إليك ؟ هل يفعل الحمار ذلك؟

قالت غير مصدقة : وهل يفهم الحمار؟!

فصاح : هذا أخي! قد سحرته زوجته اللعينة إلى حمار.

قالت : تلك المرأة الشريرة التي زارتنا قبل سنة !

هتف فقال : نعم ، إنها ساحرة خبيثة النفس ، رغبته بنفسها ، ولما تزوجها ملّت منه وسحرته ؛ وربما سحرت غيره من الأزواج ؛ كما علمت من جيرانها أنها تزوجت عددا من الرجال .

قالت بشك وريب : وماذا فعل أهلوهم؟!

قال الشيخ : لا شيء ، هم أغراب عن بلدها ، وتزعم للناس أنهم ماتوا وهلكوا في تجارة لها .

فقالت للحمار : أأنت لهفان؟!

فنهق بحزن وهزّ رأسا أكثر من مرة ؛ كأنه يقول : نعم ، أنا لهفان حبستني الساحرة بصورة حمار.

وقالت لزوجها شبه مصدقة : وما العمل يا رزق لفك سحره؟

قال الشيخ بحيرة : لا أدري ! لحد اليوم أفكر بالبحث عن ساحر أقوى منها.. أفكر بقتلها إن لم ترفع السحر عنه .. أفكر بالزواج منها لاستدراجها بكشف السحر.

فقالت بقلق : أخشى أن تفعل بك ما فعلت بأخيك ، وتحولك لقرد أو حمار.

قال الشيخ برعب : هذا ما أخشاه! إنها تصنع مركبات وطلاسم عجيبة ؛ كما يخبر من حولها.

قالت : ولماذا لم يقتلها أمير تلك المدينة؟!

قال الشيخ مجيبا : هي تتهم بالسحر والقتل السري ، لا أحد يثبت عليها الجرم .

قالت : إنها ساحرة فعلا ! وماذا سنفعل لهذا الحمار المسكين ؟!

قال الشيخ : هذا ما أفكر بحله ، أنتظر عودة شقيقك ملاك ، فهو رجل خبير وكثير السفر؛ لعله يرشدني لساحر أعظم وأقوى منها .

قالت : ملاك له مده خارج

البلاد ، طالت سفرته هذه السنة .

قال الشيخ : أعرف ، وأنا في انتظاره منذ وجدت أخي عند أحد الفلاحين ، يحرث عليه حتى هزل وضعف ، وأشرف على الموت .

قالت : يا للمسكين!!

قال الشيخ معتذرا عن الفلاح : هو اشتراه على أنه حمار ؛ ولكنه لا يستطيع بالقيام بواجبات الحمار الحقيقي ؛ فكان يقع كثيرا على الأرض ، ويهزل ، فذهب به للسوق لبيعه ، وهناك وجدته فعرفته .

أقبل ملاك شقيق زوجة رزق من رحلته وسياحته ، ولما علم بما حصل من السحر للهفان تألم كثيرا ، وأخذ يشحذ ذهنه ليتذكر رجلا أو إنسانا قادر على إنقاذ الشاب الجميل لهفان ، وتذكر بعد زمن يسير الحكيم نادر في مدينة الشفق ، فساق الحمار المسحور ورزق إلى مدينة الشفق ؛ حيث الحكيم نادر ، ولما وصلا قصره رحب بهم ، ونظر الحمار بعين العطف والحزن ووعد بالمساعدة ، وفك السحر الذي أصاب الشاب المسحور لهفان وبعد تفكير عميق قرر الذهاب لبلاد الشمس والتعرف على الساحرة ، ليعرف المواد التي ركب منها الداء والسحر ، وطلب من ملاك ورزق والحمار العودة لبلادهم حتى اذا تمكن من معرفة الدواء ، أتى إليهم ، فهم توجهوا لبلدهم ،وهو ركب بغلته البيضاء ، وحمل جراب الطب لمدينة الشمس لمقابلة الساحرة ليمونة .

ولما التقى بها بعد عقبات لا تذكر كشف له أمره ، وأنه حكيم مدينة الشفق وتوعدها بسحرها وتحويلها لدابة اذا رفضت كشف السحر الذي فعلته بزوجها لهفان ، فرفضت الاعتراف بحياته وأنها سحرته ، وأمام عنادها وإصرارها غادر المدينة إلى جبل الحكماء ، والتقى بكبيرهم ، وقص عليه قصة الشاب المسحور لهفان ، فقبل الحكيم الكبير مساعدة الحكيم نادر .

الساحرة لما تركها الحكيم نادر رغم تعجرفها واستكبارها شعرت بالخوف ، فهي تعرف الحكيم نادر ، فغادرت المدينة سرا ، وذهبت تبحث عن لهفان ؛ حيث باعته ولما وصلت بيت الفلاح ضفير الذي ابتاع الحمار منها بعدما سحرته ، أخبرها أن الحمار كان رجلا مسحورا ، أخوه أخذه منه، فقالت بخبث : أنا جئت لأني علمت ذلك.

ومشت إلى مدينة رزق ولهفان ، ثم علمت من زوجته أن الحكيم نادر أتى وأخذه لجبل الحكماء لعلاج من سحرها،

وقامت زوجة رزق وأقاربه بالاعتداء عليها بالضرب ورميها الحجرة ، وهي تتوعدهم بالويل والثبور .

ولما خرجت من المدينة تنفست الصعداء ، وتفقدت جسمها ومسحت الدماء التي سالت من رأسها ، وتخلت من البحث عن الحمار المسحور ، وبينما هي تتجول في المدن تقدم منها رجلان وأوثقاها وحملاها على بغلة شهباء إلى جبل الحكماء .

ولما التقت بالحكيم الكبير أنبها وأهانها وأذلها وأمر بحبسها حتى يشفى لهفان ويعود لحياته الإنسية ، ولما انتهى العلاج والدواء ، وعاد الوعي للرجل قابل زوجته في سجنها ، وأعلن طلاقها وعاد لبلده مع أخيه وصهر أخيه نادما على ما سببه لهم من نصب وتعب ، وأظهر ندمه على تصميمه من الزواج من ساحرة .

ولما استقر في المدينة ، وتعافى كليا من آثار السحر والسقم تزوج امرأة من وطنه وحمد الله على نجاته وشفائه .

جواهر القصص..

الجواهر العشر

المدينة البيضاء



البيضاء مدينة عظيمة من مدن الزمان القديم ، كانت عاصمة مملكة ، وكانت مهوى الفرسان والشجعان والطامحين للجاه والرئاسة والقيادة ، وكانت أيضا مهوى الفقراء والضعفاء والمتسولين لنيل المال والثروة ، ولقد كانت مهوى الأغنياء والتجار الكبار لجمع المزيد من الثروات ، وقد جعلها حاكمها زيد مهوى الأدباء والفصحاء والشعراء والرواة والعلماء ، فهي مدينة الكل ، وشهوة الكل ، وحلم الكل ، ومع عظمتها فلم تكن تخلو من المجرمين والمفسدين والفجار ، ففي هذه المدينة كانت قصة فارسنا عامر بن الحمادي .

كان الفارس عامر من فرسان الأمير الكبير المشهورين في البيضاء ، وكان أمير ألف فارس ، كانوا تحت قيادته ، ولقد كان من قدره أنه تزوج عدة نساء ولم يطعم منهن بذرية ، فكان هذا الأمر يؤلمه وينغص سعادته ويهز فحولته فيصاب بحزن مخيف ؛ ولكنه مستسلم لقضاء الله تعالى وطمع بالصبر والرضا ، ويجتهد على نسيان هذا الأمر قدر الاستطاعة ، وكان يفرح فرحا شديدا عندما يرسله سيده في حملة عسكرية ، فيعود بفضل ربه في كل حملة ظافرا مظفرا ، فيزداد مقامه عند

الأمير والناس ، وذات فجر عندما أتت الجارية لتنبهه لصلاة الفجر كعادتها ، وقد أتت معها بماء دافئ ، وبينما هي تسير بممر يقودها إلى حجرة سيدها الفارس اصطدمت بشيء في طريقها .. فنظرت إلى الشيء الذي تعرقلت به ؛ فإذا هي لفة من القماش فتعجبت من وجودها بالممر ، فتناولتها لترى ما هي ؟! فوجدت فيها إنسانا طفلا رضيعا ابن أيام ، فدهشت للأمر وحملت اللفة وسارت تجري إلى غرفة سيدها عامر . وأيقظته للصلاة ، وروت له قصة اللفة ، فاحتار لهذا الأمر وقال وهو ينظر للطفل الوليد وقال : اصدقيني القول يا جارية الخير .

فردت بعجلة وبخوف : يا سيدي ! .. أقسم بالله العظيم أنني قادمة إليك بالماء للصلاة فتدعثرت بشيء فإذا هو هذا الطفل .

قال : حسنا أشعلي السراج والشموع سنعرف الحق .

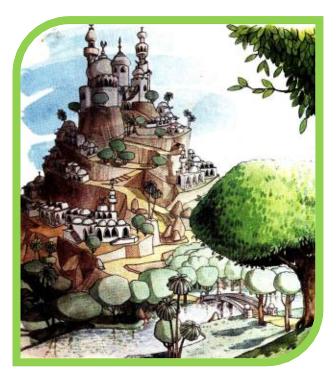
فقامت الجارية بإشعال السراج والشموع ، ثم أخذت الطفل من بين يدي سيدها على إشارة منه ، وقامت بفك القماط عنه ، ولما فعلت ذلك وجدت داخله رقعة من الجلد ، ففتحتها فكانت رسالة فأعطتها للفارس ، فقرأ فيها " أيها القائد الحمادي .. هذا الطفل اهتم به وارعه وأحسن إليه .. والسلام "

فازداد الرجل حيرة واستغرابا فأخذ يردد : هذا الطفل اهتم به وارعه وأحسن إليه والسلام ثم قال بصوت مسموع : أنا إذن مقصود بهذا الوليد ! .. يا أيها الحمادي .. من وضعه في البيت يعرفني ؟! وأمعن النظر في الوليد فأدرك أنه ابن أيام قليلة أيام معدودة فقال للجارية : اهتمي به وابحثي له عن مرضع حتى ينكشف لنا السر الذي وراءه ، إن لم يكن أسرارا .

وسار إلى المسجد فصلى الفجر مع القوم ، ثم مشى إلى بيت القاضي شعبان قاضي الحي ، وكشف له السر وأطلعه على الرسالة الموجودة مع الوليد ، فطلب منه القاضي أن يحضر ضحى ومعه الجارية والوليد ففعل ، فلما سمع القاضي القصة من الجارية قال : تكفل به أيها القائد واهتم به ، وسوف أكتب لك صكا شرعيا حتى يظهر لك أهله ، ونعرف منهم لماذا فعلوا ذلك ؟!

فأمر القاضي أحد الكتبة بكتابة الصك الذي يبين فيه أن القائد الحمادي كافل لهذا اللقيط ، وشهد على ذلك رجلان عدلان ، ولما تم ذلك عاد الحمادي والجارية إلى بيته الواسع وأمرها بأن ترعاه

وتهتم به حتى يصل إلى أهله .
قام الحمادي على حضانة الطفل ، فوفر له مرضعا



ومربية ، ثم أرسله إلى الشيوخ فتعلم القرآن والحديث ، وجلس في مجالس اللغة والأدب ، وكان نابغة في طلب العلم مما أدهش الحمادي وأصحابه ، وكبر حبه للفتى ، ولما اشتد عوده أراد أن يلحقه بفرقة الفوارس ؛ ليصبح منهم ، فرفض الغلام ذلك وأوضح لسيده وكافله رغبته في الاستزادة من العلم والرحلة في طلب العلم وبعد إلحاح شديد ورغبة جامحة من الغلام " سلمان " الذي كان الناس ينادونه بابن الحمادي رضخ الحمادي لرغبة الغلام ورخص له بالرحلة في الالتقاء بالشيوخ والعلماء في الأمصار والبلدان

الوزير سلمان

ورحل الشاب الصغير إلى الشام والحجاز وصنعاء اليمن والعراق وصحبه في هذه الرحلة العلمية خادمه ، وقضى أكثر من ست سنوات في التنقل بين هذه المدن الكبيرة ، ولما عاد إلى البيضاء كان قد اقترب سنه من الخمس والعشرين سنة ، وفرح الحمادي بعودته فرحا كبيرا ، وهو في كل هذه السنوات ما زال ينتظر يوما يعرف فيه سر هذا الرضيع الذي ألقي في منزله ، ولما عاد الشاب سالما عالما ألحقه الحمادي بديوان السلطان الكبير مع الكتبة الكبار ، ولم يمض به زمان طويل حتى أصبح من حكماء الملك زيد ملك المدينة البيضاء ، وبعد حين جعله الحاكم من حاشية ولي العهد الأمير حسان وما زالوا ينادونه بابن الحمادي .

ولم يكد سلمان يستقر ضمن رجال ولي العهد حتى أعلن عن وفاة السلطان وانتقال الولاية الكبرى للأمير حسان بن زيد ، فعين هذا الملك ابن الحمادي وزيره الأول ، فكان الوزير يجتهد للحكم بالعدل والسوية ، وينصح أميره بمعاملة الرعية بالإحسان والصدق ، ولقوة الصداقة بين الملك ووزيره كثر حساده ومعاديه ؛ ولكن محبة السلطان له كانت تمنع حاسديه من النيل منه وإيذائه ؛ ولكن الحال لا يدوم كما هو معروف عند السلاطين ، وكما قال الشاعر :

لا حُـزْنٌ يَدُومُ وَلا سُرُورُ
وَلاَ بُؤْسٌ عَلَيْكَ وَلاَ رَخَاءُ ..

فجاءت وشاية تقول : " إنه ليس بابن الحمادي وما هو إلا لقيط " ، فانزعج الوزير من هذه الوشاية ، فزار والده

بالكفالة وأسر له بذلك الدس ، فقال الحمادي : يا ولدي أنت أصبحت رجلا عظيما في هذه البلدة ولابد من ظهور حاسدين لك حاقدين .. وأنا لست أباك كما تعلم وهذا أمر لم أكتمه عنك .. فأنا والدك بالتربية والرعاية .

ثم أخرج له الرسالة القديمة وصك رعايته الذي ختمه القاضي شعبان ، فلما قرأ الأوراق بكى بين يدي والده بكاء حارا وقال : هل أنا ابن زنا يا سيدي الفارس ؟

قال الحمادي : ليس بالضرورة هذا يا ولدي ! .. قد يكون الفقر المدقع هو الذي دفع أهلك ليلقوك في بيتي لمعرفتهم بغناي .. واعلم وأنت خير العالمين .. أنه لا تزر وازرة وزر أخرى .. كل نفس بما كسبت رهينة .. وقد ترى قومك في يوم من أيام الدهر .. وأنا لم اقصر معك فربيتك وعلمتك وأدبتك كأنك ابني من صلبي ، ورحلت في طلب العلم والحج لبيت الله العتيق ، وها أنت يا ولدي وزير الملك حسان وتنسب للحمادي وقبيلته .. وأنا شيخ هرم على وشك الرحيل واللحاق بالملك زيد .. وأنت وصلت لهذه المراتب العلية بجدك ومثابرتك .. فلا تشغل روحك بوشايات الحاسدين ، فأنت أصبحت رجلا معروفا باجتهادك .

وبعد تفكير ونظر صبر سلمان على المصيبة التي ألمت به ، وفوض الأمر كله لله تعالى واحتسب واسترجع ؛ ولكن الألم والحزن بدأ تأثيرهما عليه لجهل نسبه ، فهو كان يعتقد أن أحد أقرباء الحمادي دفعه إليه ليكفله أثر موته في إحدى المعارك ، وما ظن أنه لقيط مجهول الأصل ، ولما وصل لهذه النتائج قال للحمادي : وكيف البحث يا سيدي عن أهلي ؛ بل أمي التي رمتني رمية جيفة ؟

قال عامر والألم يعتصر روحه : الأيام .. الأيام يا ولدي .. أنت وزير كبير وعليك واجبات كبيرة فانشغل بها ؛ فإذا كانت أمك على قيد الحياة قد تتصل بك يوما ما .

وبعد تفكير عميق رد سلمان : شكرا لك يا أبي الطيب .

ولما عاد الوزير إلى بيته اعتكف في بيته مدعيا المرض ، وبعد نظر عميق أظهر للسلطان الرغبة في الاعتزال والاعتكاف في البيت ، فأقاله الملك حسان من الوزارة ، وحبس ابن الحمادي نفسه طواعية في بيته ، ومكث على ذلك أشهرا ، وقد حاول والده بالكفالة إخراجه من هذه العزلة الاختيارية ، وبين له أن الاعتزال لا يفيد و لا يسمن

ولا يغني من جوع ، وليفترض موت والديه ، وحتى لو كانا حيين فالبحث عنهما بعد هذه السنوات الطوال ليس هينا وحثه على الاختلاط بالناس والاندماج في المجتمع ، وأن ذلك ينسيه همه وغمه ، وانتهى الحديث بينهم بقول الوزير : يا أبي أفكر بالرحيل إلى مكة لأداء فريضة الحج وزيارة مسجد الرسول الأعظم بيثرب الخالدة .

فقال أبوه بحماس : نعم الرأي يا ولدي ؟؟

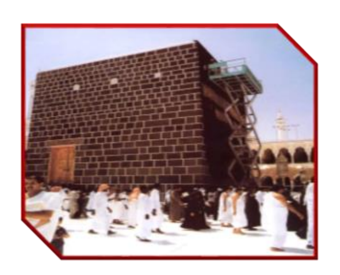


مجالس العلم

قام سلمان الوزير المقال بزيارة السلطان وأخبره برغبته في السفر للحجاز ، فبارك له السلطان الغاية وتمنى له السلامة والعودة للبيضاء سالما غانما ، فتجهز وجهز راحلة وحمل معه مالا كثيرا وغلامين والتحق بقافلة من القوافل السائرة إلى العراق ، ولما نزل العراق أمضى بها شهرا فكان يتردد على مساجدها ومكتباتها وخزانتها العظيمة ، وتفرج على مدارس العلم فيها وخص مسجد المنصور ببغداد بالاستماع لدروس العلم الوعظية فيه ، وبينما هو يستمع لأحد مجالس العلماء وقد أنهى الشيخ العالم موعظته وانصرف ، فنهض شاب صغير في العشرين من عمره وجلس مكانه وأخذ يتكلم بفصاحة عجيبة مما دفع سلمان للبقاء من جديد ، فكان حديث الواعظ الصغير عن الفتن وعن الخوارج ، وذكر من أشعارهم وآدابهم عن ظهر قلب كأنه يقرأ في صحيفة ، فأخذ سلمان الحمادي يحرص على مجلس هذا الشاب بعد صلاة العصر من كل يوم ، ثم تعرف عليه ودعاه لبيته الذي استأجره في بغداد ، وتوثقت الصحبة بينهما ، فكانا يتناشدان أشعار العظماء كالبحتري وحبيب بن أوس المشهور بأبي تمام وأحمد بن الحسين المعروف بأبي الطيب المتنبي ، وأشعار الجاهلية وفرسانها ، وأيام العرب ، وسلمان كان عالما وحصّل من العلوم وفنونها الكثير الكثير .

ذكر عبد الرحمن لصديقه سلمان أنه حدث أمه عنه كثيرا ، ولما علمت أنه من مدينة البيضاء رغبت بالحديث معه عنها ، فرحب سلمان بالفكرة وقال : يسرني التعرف على والدتك ، وإذا كان لها حاجة في المدينة البيضاء فأنا على استعداد لنقلها وقضائها يا صاحبي العالم الجليل .

ولما صليا المغرب رافق سلمان الشاب إلى منزله في وسط مدينة بغداد في حي متواضع ، ودخل سلمان الوزير فرحبت به المرأة أحسن ترحيب ،



وكانت قد أعدت لهما طعاما طيبا ، وتبين لسلمان أن لعبد الرحمن أختا حسناء عالمة مثله ، ولما انتهوا من الأكل وجرى بينهم الكلام والسؤال والجواب ، قالت أم عبد الرحمن : يا ولدي يا سلمان .. عندما كلمني عنك ولدي عبد الرحمن انعطف قلبي عليك وخصوصا لما عرفت أنك من المدينة البيضاء .. فأنا أعرف هذه المدينة الجميلة ؛ ولكني تركتها قديما فأحببت أن أسمع أخبارها منك فلي فيها ذكريات يا ولدي .

وغصت بريقها فناولها عبد الرحمن كوب ماء ، فقال سلمان للأم : ماذا تعرفين عن المدينة البيضاء يا سيدتي ؟!

بكت الأم فذرفت الدمع الكثير مما أدهش السامعين فقال سلمان : لعلك يا سيدتي تذكرت عزيزا فقدتيه هناك من أب أو أخ أو أم .. فالبيضاء ما زالت عامرة وما زالت مملكة قوية فقد كنت وزيرها منذ شهور وصديق ملكها السلطان حسان بن زيد

فقالت من بين دموعها : الله ! .. بالله عليك كنت وزيرا ؟

رد قائلا : أجل يا سيدتي .. كنت وزيرها الأول .

فعادت تقول : إيه !! .. فأنت إذن تعرف رجالها وفرسانها .

فقال وكله تفكير وحيرة من كلامها : بالتأكيد أيتها السيدة .. وأنا يمكنني خدمتك .. فتكلمي

فقالت وما زالت الدموع تتساقط على وجهها : يا ولدي .. أنا عشت سنوات عمري الأولى فيها قبل قدومي بغداد عاصمة الدنيا ..

فقال سلمان : وما زالت مدينتنا عظيمة يا سيدتي وتكاد تكافئ بغداد في العلم والأدب والصناعة والفرسان .

فقالت : على ذكر الفرسان .. فهل التقيت بسيد فرسانها الفارس الكبير عامر الحمادي ؟!

جفل سلمان لذكر هذا الاسم بالذات وتوتر فجأة وقال بصوت ضعيف : ومن لا يعرف الحمادي يا سيدتي الفاضلة ؟! .. وهو كما أشرت سيد فرسان البيضاء ولكنه اليوم شيخ هرم اعتزل القتال والحرب واعتكف في منزله .

فقالت : هو ما زال حيا يا ولدي ؟

فقال : أجل تركته حيا .. فهل

تعرفينه يا سيدتي ؟

فقالت : هذا الحمادي يا ولدي كان سيدي في يوم من الأيام ، وهو رجل كريم وفارس شهم ، وقد تزوج من النساء كثير آملا بأن يهبه الوهاب مولودا .. فهل يا ترى انجب ورزق البنين ؟!

فرد سلمان بألم : ما زال عقيما .. ولكن الله قد يسر له لقيطا منذ ما يزيد عن ثلاثين سنة فاتخذه ولدا ، فقام على تربيته أحسن تربية ، وأحب هذا الولد العلوم واللغة والرواية فرحل بين أمصار المسلمين ، ثم عاد إلى البيضاء والتحق بديوان الملك ، ثم ألحق بحاشية ولي العهد حسان ثم أصبح وزيرا له بعد وفاة أبيه ..

فأصبح ابن الحمادي وزيرا .

فقالت : ما شاء الله !.. وزيرا .. يا الله ! .. ما أعجب الأقدار يا ولدي من لقيط كما قلت لوزير فأنت تعرف إذن الحمادي جيدا يا ولدي ..

فقال سلمان : يا سيدتي .. ألم أقل لك آنفا إنني كنت وزيرا للملك ؟ فإذن لابد لي من معرفة الحمادي وكل رجالات الدولة .. ثم عرف هذا الوزير أنه لم يكن ابن حقيقيا للحمادي فضاقت به الدنيا فاعتزل الوزارة ، وخرج من البيضاء في رحلة إلى مكة ليتخلص من الهم الذي أصابه عندما علم أنه مجرد لقيط أحسنت إليه الدنيا .

فتنهدت الأم ، وكان عبد الرحمن يستمع للحوار ولم ينبس بأي كلمة ، ولما أنهت الأم تنهيدتها العميقة قالت : آه ! يا ولدي إنك تتكلم عنه كأنه صديقك .. مع أن من عادة السادة أنهم يتكلمون عن بعضهم بشماتة وحسد .

فقال سلمان : نعم هو صديقي .. لم تقولي لي قصتك مع الحمادي .

فقالت الأم : ذكرت لك أنني عشت في البيضاء جارية عنده ـ عند الحمادي ـ ثم باعني عندما خرج في إحدى غزواته ..

وفي هذه اللحظة الحاسمة قرع



الباب فنهض عبد الرحمن ليرى الطارق ، ولزم القوم الصمت فعاد يقول : أمير المؤمنين أرسل ورائي يا سيد سلمان .. فهناك مناظرة أدبية تجري في الديوان فهم يبحثون عن شاعر مجهول أو بيت شعر غريب .. فهل ترافقني يا سيدي الوزير إلى الديوان

ابتسم سلمان وقال : لا بأس يا صاحبي وداعا أيتها السيدة الفاضلة .

فقالت الأم بحنان : صدق أيها

الرجل أن قلبي تعلق بك دعنا نراك قريبا لنتحدث عن الحمادي وولده المسكين .. فلم تقل اسم ابن الحمادي .

فقال سلمان : قد يكون سلمان وترك الأم وخرج بصحبة عبد الرحمن ، وقادهما رسول أمير المؤمنين إلى مجلس أدب وجدل حول الشعر العربي بين يدي الخليفة ، فمكثا حتى نصف الليل ثم انصرف كل منهما إلى منزله

وبعد يومين على هذا المجلس وصل لسلمان رسالة من البيضاء تنعي له الحمادي ، فحوقل واسترجع واحتسب واستغفر له ، وبكى الدمع الحار على كفيله ووالده بالكفالة ، وأمام هذه المصيبة تغيب سلمان عن مجالس عبد الرحمن في جامع المنصور مما حدا بصاحبه أن يزوره مستفسرا مستخبرا ، فلم علم الأمر عزاه وواساه ، وأمضى معه مساء في أشعار الرثاء وارتجل له قصيدة قصيرة في رثاء الحمادي لشدة ما لاحظ عليه من حزن وبكاء ، ثم ودعه منصرفا لمنزله وهو يرثي لصديقه الجديد .

الأم والأب

وقبل أن يأوي سلمان لفراشه طرق الباب ، فنهض ليرى القادم حتى لا يقلق الخدم النائمين ؛ فإذا هو بعبد الرحمن فدهش وقال : ما الأمر يا أخي ؟!

فقال عبد الرحمن : دعني ادخل .

فدخل وأغلق الباب وراءه وقال : يا سيدي الوزير .. ذكرت لأمي موت سيدها القديم الحمادي وأن أجله أصابه ، وذكرت لها شدة أسفك وحزنك عليه .

فبكت بحرقة وألحت عليّ بأن أحضرك إليها ، فجئت إليك يا سيدي الوزير لتصحبني لأمي ، وكلي حياء وخجل منك من تصرفي هذا ؛ ولكنني أمام رغبة أمي رضخت وأتيتك يا سيدي وأعلمتني بأنها تحمل في صدرها سرا تريد أن تسره إليك لتنقله لصاحبك ابن الحمادي .

فخفق قلب سلمان بشدة وقال لنفسه : " هل يا ترى تعلم هذه الجارية أم ذلك اللقيط ؟! إنها جارية من جواري ذاك الفارس لعل عندها شيئا "

فقال بلهفة : حسنا يا أخي !

ارتدى ثياب الخروج وأيقظ أحد الخدم وأخبره بخروجه إلى منزل عبد الرحمن ، وكان قلبه يرتجف من القلق والتهيج ، وهو بين الفينة والأخرى يرفع العباءة التي تسقط عن كتفيه ويقول في نفسه : إنها تعرف سر مولدي .. هل هذا ما تريدني أن أخبر به صديقي ابن الحمادي ؟ .. آه ولكن الحمادي مات قبل أن يعرف

ابن من أنا .
كانت الأم في انتظارهما على أحر من الجمر ، ولما انتهوا من السلام القلق وعزته بصاحبه الحمادي ، قالت : يا ولدي .. الحمادي مات ولم يعلم أن له ولدا من صلبه .. فاللقيط الذي رباه الحمادي يا ولدي هو ابن له .
فبعد أن تمالك سلمان أعصابه أمام هذه المفاجأة التي كان ينتظرها قال : ماذا تقولين يا سيدتي ؟ وكيف تعرفين هذه الحقيقة ؟!
قالت وهي تبكي بكاء مرا : لا أقول إلا الحق والله شهيد على ما أقول .. يا ولدي فالرجل الذي رباه الحمادي والذي ذكرت لي أنه صديقك هو ابن الحمادي .
لم يحتمل قلب سلمان هذه الحقيقة أصابه إغماء ولما أفاق أمام دهشة الحاضرين قالت الأم بلهفة وقلق : يا ولدي أخشى أن تكون أنت ابن الحمادي . فصاح بصوت واهن : أنا هو يا سيدتي ابن الحمادي . فصاحت فجأة بعدما زال الشك من قلبها : أنت ولدي .. أنت ولدي !
وأغمي عليها وقام عبد الرحمن وأخته بالواجب ، وهما في غاية الدهشة ، فسلمان أصبح أخا لهما ، ولما انتهت الزفرات والغمغمات والتنهدات وهدأت العواصف والعواطف قال سلمان :
أنت أمي حدثيني كيف ذلك .. يا أماه ؟!
فلما خفتت دموعها وخفت ضربات قلبها واحتضنته وقبلته أكثر من مرة ثم قالت : آه يا ولدي الحمد الذي جمعني بك قبل أن أموت ، وقدر لي أن ألقاك بعد كل هذه السنوات سبحان ربنا سبحانه .. آه يا حبيب .. عندما باعني الحمادي كجارية اكتشفت بعد حين أنني حامل ، فاحترت بما أفعل فلو كشفت أمري للحمادي بعدما باعني فلن يصدقني ؛ لأنه تزوج كثيرا من النساء والجواري ولم ينجبن له ، وإن ظللت في حجري سيجعلك سيدي الجديد عبدا له ، فأخفيت أمرك حتى ولدتك ، وبعد أيام يسيرة تمكنت من وضعك بين يدي أبيك ، وتركت رقعة لأبيك ليهتم بك .. فالأحوال كانت تتطلب مني فعل ذلك يا بني .. فأنت ابنه من صلبه ومن ثم باعني سيدي الجديد لتاجر رقيق من بغداد ، ثم أصبحت ملكا لرجل من هنا فأنجبت له عبد الرحمن وأسماء ، وكان قد اعتقني لما ولدت له أخاك عبد الرحمن ، ولما مات هذا السيد الفاضل ترك لي مالا كثيرا فأنفقته على ولديه ، فقمت بتربيتهما

بأحسن ما يربي المربون ، وحببت لها العلم ، فهذه قصتي يا ولدي .

فاحتضنها سلمان وعانقها من جديد وقال : صدقت يا أماه ! .. الأمر كان صعبا عليك ، وقد قاسيت من الفراق ، ولم يكن للحمادي أن يصدقك لو صارحتيه بهذه الحقيقة .. رحمه الله تعالى وها هو قد مات



وهو يجهل أن له ولدا ...

وتعانق عبد الرحمن وسلمان وأسماء وتباكوا وتشاكوا ، ولما انتهوا من الحديث عن هذه المأساة وظروف الحياة القاسية قال سلمان : أماه ! .. سنذهب كلنا لمكة المشرفة لنحج بيت الله الحرام ، ثم نشد الرحال إلى مدينة الرسول الأعظم ﷺ ، ونجاور فيها إلى أبد الآبدين حتى نموت ، ولا يفرق بيننا إلا اللحد فالدنيا ساحرة ساخرة وهي ملعونة عند باريها وكما روينا عن نبينا ﷺ أنه قال : " الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما والاه وعالما ومتعلما " .

تمت الحكاية

حمامة ومالك الحزين والثعلب

قال الفيلسوف: زعموا أن حمامة كانت تفرخ في رأس نخلة طويلة ذاهبة في السماء، فكانت الحمامة تشرع في نقل العش إلى رأس تلك النخلة، فلا يمكن أن تنقل ما تنقل من العش وتجعله تحت البيض إلا بعد شدة وتعب ومشقة: لطول النخلة وسحقها، فإذا فرغت من النقل باضت ثم حضنت بيضها، فإذا فقست وأدرك فراخها جاءها ثعلب قد تعاهد ذلك منها لوقت قد علمه بقدر ما ينهض فراخها، فيقف بأصل النخلة فيصيح بها ويتوعدها أن يرقي إليها فتلقي إليه فراخها. فبينما هي ذات يوم قد أدرك لها فرخان إذ أقبل مالك الحزين فوقع على النخلة. فلما رأى الحمامة كئيبة حزينة شديدة الهم قال لها مالك الحزين: يا حمامة، ما لي أراكي كاسفة اللون سيئة الحال؟ فقالت له: يا مالك الحزين، إن ثعلباً دهيت به كلما كان لي فرخان جاء يهددني ويصيح في أصل النخلة، فأفرق منه فأطرح إليه فرخي. قال لها مالك الحزين: إذا أتاكِ ليفعل ما تقولين فقولي له: لا ألقي إليك فرخي، فارقَ إلي وغرر بنفسك. فإذا فعلت ذلك وأكلت فرخي، طرت عنك ونجوت بنفسي.

فلما علمها مالك الحزين هذه الحيلة طار فوقع على شاطئ نهر. فأقبل الثعلب في الوقت الذي عرف، فوقف تحتها، ثم

صاح كما كان يفعل. فأجابته الحمامة بما علمها مالك الحزين. قال لها الثعلب: أخبريني من علمك هذا؟ قالت: علمني مالك الحزين. فتوجّه الثعلب إلى مالكاً الحزين على شاطئ النهر، فوجده واقفاً. فقال له الثعلب: يا مالك الحزين: إذا أتتك الريح عن يمينك فأين تجعل رأسك؟ قال: عن شمالي. قال: فإذا أتتك عن شمالك فأين تجعل رأسك. قال: أجعله عن يميني أو خلفي. قال: فإذا أتتك الريح من كل مكان وكل ناحية فأين تجعله؟ قال: أجعله تحت جناحي. قال: وكيف تستطيع أن تجعله تحت جناحك؟ ما أراه يتهيأ لك. قال: بلى: قال: فأرني كيف تصنع؟ فلعمري يا معشر الطير لقد فضلكم الله علينا. إنكن تدرين في ساعة واحدة مثل ما ندري في سنة، وتبلغن ما لا نبلغ، وتدخلن رؤسكن تحت اجنحتكن من البرد والريح. فهنيئاً لكن فأرني كيف تصنع. فأدخل الطائر رأسه تحت جناحه فوثب عليه الثعلب مكانه فأخذه فهمزه همزة دقت عنقه. ثم قال: يا عدوي نفسه، ترى الرأي للحمامة، وتعلمها الحيلة لنفسها، وتعجز عن ذلك لنفسك، حتى يستمكن منك عدوك، ثم أجهز عليه وأكله.

جحد العقد

قال الْمُؤلف بَلغنِي أَن رجلا قدم إِلَى بَغْدَاد لِلْحَجِّ وَكَانَ مَعَه عقد من الْحبّ يُسَاوِي ألف دِينَار فاجتهد فِي بَيْعه فَلم ينْفق فجَاء إِلَى عطار مَوْصُوف بِالْخَيرِ فأودعه إِيَّاه ثمَّ حج وَعَاد فَأَتَاهُ بهدية فَقَالَ لَهُ الْعَطَّار من أَنْت وَمَا هَذَا فَقَالَ أَنا صَاحب العقد الَّذِي أودعتك فَمَا كَلمه حَتَّى رفسه رفسة رَمَاه عَن دكانه وَقَالَ تَدعِي عَليّ مثل هَذِه الدَّعْوَى فَاجْتمع النَّاس وَقَالُوا للحاجي وَيلك هَذَا رجل خير مَا لحقت من تَدعِي عَلَيْهِ إِلَّا هَذَا فتحير الحاجي وَتردد إِلَيْهِ فَمَا زَاده إِلَّا شتماً وَضربا فَقيل لَهُ لَو ذهبت إِلَى عضد الدولة فَلهُ فِي هَذِه الْأَشْيَاء فراسة فَكتب قصَّته وَجعلهَا على قَصَبَة ورفعها لعضد الدولة فصاح بِهِ فجَاء فَسَأَلَهُ عَن حَاله فَأخْبرهُ بالقصة فَقَالَ اذْهَبْ إِلَى الْعَطَّار غَدا واقعد على دكانه فَإِن مَنعك فَاقْعُدْ على دكان تقابله من الصُّبْح إِلَى الْمغرب وَلَا تكلمه وافْعل هَكَذَا ثَلَاثَة أَيَّام فَإِنِّي أَمر عَلَيْك فِي الْيَوْم الرَّابِع وأقف وَأسلم عَلَيْك فَلَا تقم لي وَلَا تزدني على رد السَّلَام وَجَوَاب مَا أَسأَلك عَنهُ فَإِذا انصرفت فأعد عَلَيْهِ ذكر العقد ثمَّ أعلمني مَا يَقُول لَك فَإِن أعطاكه فجيء بِهِ إِلَيّ قَالَ

فجاء إِلَى دكان الْعَطَّار ليجلس فَمَنعه فَجَلَس بمقابلته ثَلَاثَة أَيَّام فَلَمَّا كَانَ الْيَوْم الرَّابِع اجتاز عضد الدولة فِي موكبه الْعَظِيم فَلَمَّا رأى الْخُرَاسَانِي وقف وَقَالَ سَلام عَلَيْكُم فَقَالَ الخراساني وَلم يَتَحَرَّك وَعَلَيْكُم السَّلَام فَقَالَ يَا أخي تقدم فَلَا تَأتي إِلَيْنَا وَلَا تعرض حوائجك علينا فَقَالَ كَمَا اتّفق وَلم يشبعه الْكَلَام وعضد الدولة يسْأَله ويستخفي وَقد وقف ووقف الْعَسْكَر كُله والعطار قد أُغمي عَلَيْهِ من الْخَوْف فَلَمَّا انْصَرف الْتفت الْعَطَّار إِلَى الحاجي فَقَالَ وَيحك مَتى أودعتني هَذَا العقد وَفِي أَي شَيْء كَانَ ملفوفاً فذكرني لعَلي أذكرهُ فَقَالَ من صفته كَذَا وَكَذَا فَقَامَ وفتش ثمَّ نقض جرة عِنْده فَوضع العقد فَقَالَ قد كنت نسيت وَلَو لم تذكرني الْحَال مَا ذكرت فَأخذ العقد ثمَّ قَالَ وَأي فَائِدَة لي فِي أَن أعلم عضد الدولة ثمَّ قَالَ فِي نَفسه لَعَلَّه يُرِيد أَن يَشْتَرِيهِ فَذهب إِلَيْهِ فَأعلمهُ فَبعث بِهِ مَعَ الْحَاجِب إِلَى دكان الْعَطَّار فعلق العقد فِي عنق الْعَطَّار وصلبه بِبَاب الدّكان وَنُودِيَ عَلَيْهِ هَذَا جَزَاء من استودع فَجحد فَلَمَّا ذهب النَّهَار أخذ الْحَاجِب العقد فسلمه إِلَى الحاجي وَقَالَ اذْهَبْ .

المريض والخنفساء

حكى أن رجلاً رأى خنفساء فقال: ماذا يريد الله تعالى من خلق هذه. أحسن شكلها أو طيب ريحها. فابتلاه الله تعالى بقرحة عجز عنها الأطباء حتى ترك علاجها. فسمع يوماً صوت طبيب من الطرقيين ينادي في الدرب. فقال: هاتوه حتى ينظر في أمري. فقالوا: وما تصنع بطرقي وقد عجز عنك حذاق الأطباء. فقال: لابد لي منه. فلما أحضروه ورأى القرحة استدعى بخنفساء. فضحك الحاضرون منه. فتذكر العليل القول الذي سبق منه. فقال: أحضروا له ما طلب فإن الرجل على بصيرة من أمره، فأحضروها له فأحرقها وذر رمادها على قرحته فبرئ بإذن الله تعالى. فقال للحاضرين: إن الله تبارك وتعالى أراد أن يعرفني أن أخس المخلوقات أعز الأدوية .

سيد العرب

قال الأصمعي: رأيت بالبادية أعرابية تبكي على قبر وتقول:

فمن لسؤال ومن للنوال **ومن للمعالي ومن للخطب

ومن للحماة ومن للكماة ** إذا ما الكماة جثوا للركب

إذا قيل مات أبو مالك ** فتى المكرمات فريد العرب

فقلت لها: من هذا الذي مات هؤلاء كلهم بموته. فبكت وقالت: هذا أبو مالك الحجام ختن أبي منصور الحائك. فقلت: لا جازاك الله خيراً. والله ظننت إلا انه سيد من سادات العرب .

عبدالله البحري

قمر الليل



مرين أو مرينة مدينة ساحلية واقعة على ساحل البحر الكبير، ويحكمها ملك عادل من ملوك ذاك الزمان المجهول ، وهي مدينة الأسماك ذات الأشكال والألوان الباهرة الساحرة الصغيرة والكبيرة التي تدل على عظمة الخلاق العليم ، وكان لملك المدينة فتاة رائعة الحسن والجمال، قد بلغت من العمر الميمون خمسة عشر ربيعا ، وتتطلع إليها عيون الوزراء والأمراء لتزويجها لأبنائهم الشباب ، وكان من عادة الملوك في تلك المدينة تزويج بناتهم بعد بلوغهن السابعة عشرة وكان للوزير فتى يطمع بأن يتزوج من ابنة الملك عند بلوغها سن الزواج ، فكان يعد الأيام والساعات شوقا للتقدم إلى خطبة الفتاة قبل غيره من الأقران ، فالملك ليس له من البنات سواها فيرنو هذا الشاب أن يكون السابق إليها من بين أولاد السادة ، وكان غيره من الأبناء يستعد للمنافسة ، وما كان عندهم علم بما يقلق الملك ويثيره من أمر ابنته الوحيدة " قمر الليل " ، فمنذ سنوات انقضت أخبرته خادمة الطهي في القصر أن السمك يتكلم ، فكلما يوضع في مقلى القلي ينطق ويقول :"الأمير عبد الله البحري سوف يتزوج الأميرة قمر الليل، فانتظروا الأمير..!" تعجبت الخادمة من ذلك ، وتكرر الأمر ، فأخبرت سيدتها الملكة التي أخبرت الملك بذلك ، فاستغرب واحتار لمَ سمع وشاهد ، السمك يتكلم ويطلب يد ابنته لرجل مجهول فيتساءل "من هو الأمير البحري هذا؟! " هذا سر يتردد في أجواء القصر وقد بحث الملك بين صيادي البلاد عن الأمير عبد الله البحري ، فلم يجد أحدا يحمل هذا الاسم ، والأميرة علمت مثل غيرها من سكان القصر ، فعجبت منه وتتسأل بدورها " من هو عبد الله البحري؟!.. ومتى يظهر الأمير عبد الله البحري ؟! " فكان هذا الأمر يقلق الملك العادل وأسرته . وكان في المدينة صياد فقير الحال ، له زوجة وولدان أحدهما اسمه عبد الله ، وقد فقده منذ خمس سنوات، عندما سقط الطفل في البحر وغرق ، واختفت جثته ومات، فحزن عليه حزنا شديدا وللصياد كوخ حقير يسكن فيه بين أكواخ الصيادين ، وكوخه من شدة الفقر والحاجة لا

يستطيع تغييره ، وكان يمكث الساعات الطويلة في الصيد لا يصيد إلا سمكة واحدة أو اثنتين فيشتريها منه تجار السمك شفقة وإحسانا بدرهم أو نصفه ، فيشتري به خبزا ولحما أو جبنة ، فيذهب به لابنته ولزوجته الصابرة على شظف العيش والحال ، ولما زادت البنت على عشر سنوات كانت تذهب للخدمة في بيوت الأمراء والأغنياء؛ لتساعد والدها على قسوة الحياة والفقر ، وعندما يمرض الصياد الضعيف وما أكثر أمراضه لا يجد لقمة العيش إلا التي تجلبها البنت من عملها في خدمة البيوت من مساعدة في التنظيف والغسيل والخبز .

كان من العرف الشائع في مرين أنه إذا ولد مولود سواء كان ذكرا أم أنثى يؤخذ للواشم فيرسم عليه صورة ، وغالبا ما تكون من صور مخلوقات البحر تبقى مرافقة له حتى المات ، وكل عائلة تلتزم صورة معينة على الأولاد كلهم ، وكان الصياد قد اختار صورة طير يحب البحر رسمت على ظهر ولده وابنته ضحى ، وكان الصياد مع الأيام قد نسي ابنه الغريق وغلب على ظنه موته وهلاكه ، وهكذا كان هذا الصياد يعيش أيام حياته ، وكان أكثر ما يزعجهم عندما يطهون السمك يسمعونه يقول " أيها الصياد المسكين! .. عبد الله لم يهلك إنه حي يرزق يعيش في البحر"، ولما تكرر الحال امتنعوا عن طهي السمك؛ لأنه يذكرهم بابنهم عبدالله فيتجدد حزنهم وبكاؤهم ، ويعود الأمل في صدورهم بحياة ولدهم ، فكرهوا أكل السمك حتى لا يسمعوا هذه الكلمات ، ولا يتكلمون بذلك حتى لا تسخر منهم الناس عندما يقولون : إن السمك يتكلم ، فانحصر هذا السر بينهم ، وابنة الصياد الفتاة الفقيرة تعمل في بيوتات الأمراء والأغنياء فيشفقن عليها ويتقبلن عملها ، فلما بلغت خمسة عشر عاما أخبرتها إحدى السيدات أنها سترسلها للعمل في قصر الملك إذا أحبت ذلك ؛ لأن ابنة الملك أكملت الخامسة عشرة ، وتريد أن تجعلها وصيفة لها لأنها في مثل سنها ، فرضيت ضحى بأن تكون وصيفة لابنة الملك ، فأخذتها الملكة بعد أن رحبت بها وقد أعجبها شكلها وحزنها ، فقامت الخادمات بتنظيفها وتحسينها وإلباسها الثياب الجميلة ، وتعليمها الواجبات المطلوبة منها حتى تعرضها الملكة على ابنتها لتعمل وصيفة لها ، ولما تجهزت عرضتها الملكة على الأميرة قمر الليل فسرت بها ، فهي من جيلها وبنات سن واحدة ، وكان يسمح لها بقضاء يوم واحد مع أهلها بين الحين والحين، وفرح أهلها لعمل ابنتهم في القصر، وأحبتها قمر الليل ، وكانت ترافقها في جولاتها في الرياض والحدائق ذات البهجة ، وأحبت ضحى الفقيرة الأميرة قمر

الليل ، وسرت بخدمتها للأميرة ، وكانت الأميرة قد أشفقت عليها ، وطلبت من والدها أن يبني لهم كوخا جميلا بدل كوخهم الحقير، وكانت تقدم لها مالا لتعطيه لوالدها الصياد المريض إلى أن كان ذات يوم وقد جلست الأميرة تتناول الطعام الذي أحضرته لها ضحى ، وأمرتها الأميرة بالجلوس لتأكل معها ، وبعد تمنع شديد رضخت ضحى لرغبة الأميرة ، وجلست تشارك الأميرة في طعامها وكان الطعام من السمك ..

وقالت الأميرة ممازحة الفتاة : يا ضحى الجميلة .. هل عمرك سمعت سمكا يتكلم ؟! ..إن السمك عندنا يتكلم !.

ارتبكت ضحى عند سماعها لسؤال الأميرة ثم ردت قائلة : أجل يا مولاتي! .. وعندنا سمك يتحدث .

دهشت الأميرة وتوقفت عن الطعام وقالت : ماذا تقولين يا ضحى ؟ أعندكم سمك يتكلم ؟! ماذا يقول سمككم ؟!

أخذت الفتاة بالبكاء ، مما زاد من استغراب الأميرة قمر الليل ، فقامت تهدئ من توتر الفتاة ، وقالت وهي تتعجب من تصرف وصيفتها : ما الذي أبكاك يا عزيزتي ضحى ؟! .. لقد زاد حزني عليك !

فقالت الفتاة من بين دموعها : سامحيني يا مولاتي الأميرة غلبتني الدموع عندما ذكرت أن السمك يتكلم .. لقد ذكرتينني بأخي عبد الله ..

همست قمر الليل : عبد الله ! من عبد الله ؟!

قالت ضحى : سأقول لك عن السمك الذي يتكلم .. كان لي أخ يكبرني بسنوات اسمه عبد الله ، وكان يذهب مع أبي الصياد إلى البحر، فسقط في البحر أثناء الصيد ، وجرفه الماء ، وكان صغيرا ذا عشر سنوات فغرق ومات ، بل أخذه البحر ولم يعد جثته إلينا .. وليس لأبي إلا أنا وهو ، فحزن والديّ على موته، وشاخ أبي قبل الأوان من كثرة الحزن على عبد الله ، وكنا يا مولاتي الأميرة عندما نطهو السمك في البيت يقول " أيها الصياد المسكين .. عبد الله لم يهلك إنه حي يرزق يعيش في البحر " فيتجدد الحزن في البيت عندما نسمع كلام السمك.. ولكن من يصدق أن السمك يتكلم ؟!

ثم قرر والدي بعد ذلك عدم طهي السمك في البيت .. ولما سألتيني تذكرت أخي الذي أعرفه جيدا .. ولكن هل رأيت أنت سمكا يتكلم يا مولاتي الأميرة ؟

تعجبت الأميرة لم سمعت فقالت : أيتها الأخت العزيزة .. أتأكدتم من موت عبد الله الصغير؟

فقالت الفتاة : نعم ، يا مولاتي طفل صغير ماذا سيفعل مع الماء وقوة البحر؟

فقالت الأميرة وهي ذاهلة : ضحى .. نحن عندما

نطهو السمك يتكلم ويقول لنا ..ولكن حذار يا ضحى أن تقولي ما تسمعين مني لأحد حتى نبقى أصدقاء .

قالت ضحى : اطمئني يا سيدتي الأميرة لن أقول شيئا مهما كلف الأمر فماذا يقول سمككم

قالت الأميرة وهي ما زالت شاردة الذهن : يقول " الأمير عبد الله البحري .. سوف يتزوج الأميرة قمر الليل ، فانتظروا الأمير .. " هذا ما يقوله سمكنا أيتها الأخت وأبي في انتظار هذا الأمير الذي عرفنا اسمه ولم نره .. ومع سماعي لقصتك فإني أتعجب من هذا الأمر.. أتظنين أن الأمير عبد الله هو أخوك ؟

قالت الفتاة : أيمكن أن يكون أخي بعد كل هذه السنوات حيا أيتها الأميرة .

كان الصياد كلما تحسنت صحته رويدا يحمل شبكته الصغيرة، ويسير للشاطئ يلتقط رزقه ، فألقى الشبكة ذات صباح وبعد ساعة حركها وسحبها ، وقد شعر بثقل وهو يسحبها، فأصابه فرح كبير فمنذ عهد بعيد لم يصد سمكة كبيرة ، ولما خرجت الشبكة وسحبها على الرمل وجد فيها حيوانا بحريا غريبا يشبه الثعلب ، وسمعه يقول له : أيها الصياد .. خذني إلى قصر الملك وخذ هذا الذهب ـ وهبه كمية من الذهب الأحمر ، وفرح الصياد فرحا كبيرا وهو يمسك قطع الذهب ـ هيا أيها الصياد أخرجني من شبكتك .

فكه من الشبكة ، وحمله بين يديه وتذكر طلبه فقال : أيها الحيوان إنك تتكلم فماذا قلت أو طلبت مني ؟

تضاحك الحيوان البحري وقال : اذهب بي إلى الملك .

ومشى به إلى قصر الملك ، وسلمه للحرس وانصرف ، وأما الحرس فقد أصابهم الذعر والعجب من الحيوان الناطق بأفصح لسان مثلهم ، فاعلموا الملك بأمر هذا الحيوان العجيب ، فأمر بإدخاله عليه، فسلم الحيوان على الملك وقال له: أنا رسول ملكة البحر إليك.

فقال له الملك : وماذا تريد ملكة البحر منا أيها الرسول أيها المخلوق الغريب ؟!

قال الحيوان البحري : الملكة تطلب منك يد الأميرة قمر الليل للأمير عبد الله البحري أمير مملكتنا البحرية .

صمت الملك طويلا قبل أن يرد ، وكان يتذكر السمك المتكلم ثم قال : أيها المخلوق العجيب من هو الأمير عبد الله البحري؟! أريد أن أتعرف عليه قبل أن أزوجه وحيدتي .

فقال الحيوان : أيها الملك ! هل توافق على زواجها حتى اخبر مولاتي الملكة بالموافقة ؟

فصاح الملك : كيف أوافق قبل أن أرى مولاك

ومولاتك ؟! .

فقال الحيوان : أيها الملك ! مولاي لا يستطيع أن يخرج إلى البر الآن .. فهو لا يستطيع ترك البحر إلا بعد موت الملكة .

فتعجب الملك من كلام الرسول وهتف قائلا : ما قصتكم أيها المخلوق البحري؟!.. كلامك غريب وعجيب .

فقال الحيوان : المهم أن توافق أيها الملك ، وعندما تجتمع بالأمير عبد الله البحري يقص عليك القصة

فقال : وإذا لم نوافق ؟!

فأجابه قائلا : تغضب الملكة .. فهي تريد تزويج الأمير من إنسية.. فاحذر من غضبها عليك ؛ فإنك تخسر مملكتك.. وقد تخسر نفسك وابنتك أيضا .

فقال الملك : زواج بالقوة! .. حسنا وإذا وافقت فماذا أفعل ؟

رد الحيوان البحري : لا شيء سوى الوفاء بالعهد

احتار الملك من ذلك الطلب حيرة كبيرة ، وبعد تفكير أرسل وراء وزيره كرار يشاوره في الأمر، فحضر سريعا واستمع لقصة ثعلب البحر ، فكاد يصعق من هول الخبر، فهو كان يخطط ويدبر ويحلم بتزويج ابنه من ابنة الملك الوحيدة ، فلما استوعب القضية هدأت نفسه قليلا وقال : أيها الملك هذا أمر غريب! لم نسمع به من قبل ، بنات ملوك الأرض تتزوج من أبناء ملوك البحر .. فالأفضل أن تسجن هذا الحيوان أو تقتله ثم نرى ما يحدث بعد ذلك .

فأمر الملك بسجن الحيوان ، وحث السجانين على حسن وفادته من طعام وشراب ، وبعد أيام صاد الصياد الفقير حيوانا أغرب من الأول ، فهو يشبه الذئب وأعطاه ذهبا ولؤلؤا مقابل توصيله لقصر السلطان ففعل ، والتقى الملك بالذئب البحري، وسمع منه ما سمعه من الثعلب البحري ، فأرسل وراء الوزير الذي حث الملك على حبسه عند أخيه الثعلب ، وبعد أيام أحضر لهم الصياد حيوانا بحريا شبيها بالفهد بعدما أخذ منه الأموال ، ولما جلس الفهد بين يدي الملك كرر طلب الزواج وطلب الإفراج عن صاحبيه ، وكالعادة أخبر الوزير بالأمر فأقبل مسرعا، ولما سمع مطالب الحيوان طلب من الملك أن يحبسه مع صاحبيه ، وشجعه على قتلهم جميعا ، فصاح الفهد : سنخطفك أيها الوزير إلى البحر ، ونحاكمك عند قضاتنا على ظلمك لنا .. وأنت أيها الملك المشهور بالعدل .. أين العدل؟! ما نحن إلا رسل مولاتنا الملكة فاخرج الأخوة وإلا ستتعرض للعقاب والمحاكمة

وأخذ الوزير بالضحك والسخرية وهو يقول : تخطفني ، كيف ستخطفني أيها الحيوان الحقير؟!

خذوه أيها الحرس للسجن.. وغدا سأقتلكم أيها الأوغاد أمام عامة البشر .

فاستسلم الفهد البحري للحرس فسحبوه للسجن حيث التقى بالثعلب والذئب البحريين ، ولما أقبل الصباح جاء جنود السجن يخبرون الملك باختفاء الحيوانات الثلاثة ، فأرسل الملك

وراء كرار الوزير ، فجاءه الرسول يخبره باختفاء الوزير من ليلة أمس ، فقد جاءه ثلاثة في الليل وأخبروه برغبة الملك برؤيته ، فخرج معهم ولم يعد ، فأدرك الملك أنها حيلة لخطفه، فحزن على وزيره ، وخاف على نفسه، وقلق على ابنته ، فلما اختفى الوزير أخبر الملك الملكة بقصة الحيوانات الثلاثة ، ثم اطلع البنت على الأمر فقال : أيتها الابنة الغالية جاءنا رسول الأمير عبد الله البحري طالبا يدك للزواج .

وروى لها القصة ، ولما سمعوا قصة اختفاء الوزير كرار دب في قلوبهم الوهن وقالت الأميرة : يا أبي لماذا لم توافق ؟ أنسيت قصة السمك الذي كان يتكلم كلما طهوناه؟

قال بحزن : لا ، لم أنس يا فتاتي .. ولكني طلبت رؤية الأمير ؛ ولكنهم قالوا إنه لا يخرج إلى البر إلا بعد موت أمه الملكة ، ولم أفهم شيئا .. فهل توافقين على الزواج منه قبل أن يفسدوا علينا مملكتنا ؟

أجابت الفتاة ببساطة وطيبة :هذا قدري يا أبي !

فقال الملك : حكاية عجيبة !.. أيتها الأميرة .. سأنتظر عودتهم ، فلابد أنهم عائدون .

بعد أيام عاد الوزير وهو منهك القوى من الضرب والصفع واللطم الذي تعرض له، فقام الملك بعيادته فور سماعه خبر رجوعه، فلما شاهده أشفق عليه وحزن عليه

وقال : ما حدث أيها الوزير العتيد ؟!

بكى الوزير حتى أبكي الملك وقال : ماذا أقول يا مولاي ؟! .. فها أنت ترى ما بي .. زوجها لهم أعطها لهم .. أرجوك يا سيدي الملك ! لا تحشرني في هذا الموضوع .. لقد خطفوني كما هددوني وحاكموني بالضرب والصفع والعض إنه عقاب رهيب .. وحوش هجمت عليّ فأوسعتني ضربا وصفعا حتى كدت أن أموت فعفو عني ، وقالوا قل لسيدك أن يوافق على طلب الملكة البحرية قبل أن يشتد غضبها عليكم .. أرجوك أيها الملك وافق قبل أن نخسر أنفسنا .

خرج الملك من عند وزيره كرار وهو مرعوب خائف ، فلما دخل القصر أخبره الحرس عن حيوان بحري على صورة صقر أتى به الصياد وهو في انتظاره ، وكان الصياد قد صاده بشبكته

العتيقة ، وأعطاه الذهب ليوصله للقصر ، رحب



الملك ترحيبا قويا بالصقر ، واستمع لمطالبه وقال الملك في نهاية المطاف : إنني موافق أيها الصقر البحري على زواج ابنتي من الأمير البحري .

ففرح الصقر بالموافقة وشكر الملك ، وطار في الجو بعد أن وعد الملك بمجيء وفد لترتيب الأمر معه ، واجتمع الملك بالعائلة ، وأطلعهم على القصة ، واعترض أحد الأبناء وأحد الأقارب ، فأخبرهم الملك بما جرى على الوزير ، وطلب منهم زيارته وسماع خبره منه .

أصبح الصياد الفقير غنيا فقد ارتفع عنه اسم الفقر ، فاشترى بيتا جميلا له ولزوجته ، ولما علمت ضحى بذلك الأمر استغربت وتعجبت ، وفرحت للبيت الجميل ، وسمعت القصة من والدها قصة الحيوانات التي يصيدها ويرسلها لقصر الملك ويهبونه من المال الكثير ، فقالت : هو أنت الذي يحضر الحيوانات الغريبة للقصر .

وروت له ما صنعت الحيوانات بالملك والوزير فقال لها : يا بنيتي أنا صياد ارمي شبكتي في الماء فتخرج بها هذه المخلوقات الناطقة فتعطيني المال والذهب على أن أدلها على قصر الملك، فالحمد لله على هذه النعمة .. وإذا تزوجت الأميرة من الأمير المذكور فبيتك الجميل في انتظارك ، وسأبحث لك عن زوج صالح .

وأمضت ليلتها في بيت والدها الجديد وهي تفكر بقصة المال والحيوانات وأمير البحر الذي خطب الأميرة ، وهل ستذهب مع الأميرة كوصيفة أم تبقى في القصر أم تعود لمنزل والدها ؟ .

عجب الناس لغنى الصياد المفاجئ ، وانتشر خبره في المدينة ، وأنه يصيد حيوانات عجيبة تعطيه الذهب واللؤلؤ حتى وصلت أخباره للملك الذي أرسل وراءه، واستمع لحكايته فذكرها له من غير زيادة أو نقصان ، وعلم أنه هو الذي أحضر الحيوانات لقصره ، وعلم كذلك أنه والد ضحى وصيفة ابنته قمر الليل ، فأكرمه وصرفه بأحسن حال بعد أن طلب منه أن يستمر بالصيد في المكان السابق حيث يصطاد الحيوانات البحرية الناطقة بلسان القوم .

ولم يطل الانتظار فقد صاد حيوانا على صورة غراب فأخذ منه المال وسلمه لحرس السلطان ، ولما مثل بين يديه قال : إن الأمير عبد الله البحري يرغب في رؤية الأميرة قمر الليل .

وحدد له يوما للقاء ، وأن يكون في منتصف الليل على متن سفينة في عرض البحر قرب القصر الملكي

، وأن تكون الأميرة وأمها ووصيفتها فقط من غير رجال على السفينة ، وانصرف الغراب بعدما رتب اللقاء وصفته ، ولما جاء اليوم الموعود دفع الملك سفينة في وسط المياه القريبة من القصر ، ولما اقترب نصف الليل نقل البحارة النساء الثلاثة حيث السفينة ، ثم رجعوا للقصر ينتظرون انتهاء زيارة أمير البحر .

صعدت إلى السفينة سمكة كبيرة ، وأحاطت بالسفينة أعدادا كثيرة من الأسماك ، استقرت السمكة على سطح السفينة حيث تجلس النسوة يرتقبن أمير البحر ، ثم شاهدن السمكة وهي تتخلص من ثوبها ؛ فإذا هو إنسان جميل الهيئة حسن الصورة ، وقد حمل ثوب السمكة ، وتقدم نحوهن ، وألقى عليهن التحية ، ثم أشار إلى قمر الليل وقال وهو يبتسم : أنت قمر الليل ؟ فهزت رأسها بالإيجاب قائلة وبعض الخوف يسري في أوصالها : نعم أنا قمر الليل من أنت ؟!

تبسم مرة أخرى وقال : لا تخافوا ..أنا إنسان مثلكم .. أنا عبد الله البحري ابن ملكة البحر .. سأمكث معكم ساعة واحدة فقط حتى تروني وتطمئني لي أيتها الأميرة الجميلة ! .. ولقد أتيت لاستمع موافقتك وقبولك لي أهلا وبعلا .

فعندئذ قالت الملكة : وهل نستطيع أن نرفض أيها الأمير ؟!

فضحك الشاب البحري وقال : بالتأكيد تستطيعون رفضي .. فقد استأذنت أمي الملكة في ذلك وأنا طلبت هذا اللقاء الخطير والخروج على البر أي في الهواء من أجل سماع ذلك بصراحة أيتها الملكة .

فقالت الملكة : أيها الشاب لقد وافق الملك على هذا الزواج الغريب .. ولكن كيف ستتزوج الأميرة ؟!.. وكيف ستعيش الأميرة في البحر ؟!

فعاد الشاب للضحك وقال : كما تتزوجون أنتم .. فهي لن تعيش تحت البحر أو في مائه .. ستصنع والدتي قصرا عظيما في بلادكم ، نصفه في البحر، ونصفه الآخر في البر ، ونسكن فيه حتى تموت أمي الملكة ، ثم يؤذن لي بالرجوع للحياة في البر كباقي بني الإنسان .. فالأميرة لا تستطيع الحياة في البحر ..الإنسان لا يعيش في الماء .. حياة البحر صعبة وأشق من حياة البر عندنا الحروب والنزاع والفتن مستمرة .. والقوي عندنا يبلع الضعيف .. أما أنا فلي قصة ليس مقامها الآن .. هل الأميرة الجميلة راضية بي زوجا لها عن قناعة ورضا ؟

فقالت الملكة : أيها الشاب شوقتنا لسماع قصتك وحياتك في البحر .

فقال : لا أستطيع أن أتكلم بأكثر مما ذكرت أيتها الملكة .. هل تقبلين يا قمر الليل بعبد الله البحري شريكا لك في حياتك ؟.

كانت الفتاة تسمع الحوار بينهما وهي مشدوهة، فلما سمعت اسمها قالت : إنك إنسان حقيقي مثلنا وشاب حسن الصورة .. فنحن وافقنا على الزواج منك أيها الأمير كما أرادت أمك الملكة

وقالت الأم : ومتى سيكون هذا الزواج الغريب ؟

فعاد الأمير البحري للضحك والابتسام وقال : الحمد لله على موافقتكم .. فعندما تبلغين السابعة عشرة سوف يتم الزواج ، أليس هذا قانون الزواج عندكم ؟

فقالت : بلى .. سيطول انتظارك إذن .

فقال : سنة وبضعة شهور .. سيتم خلالها تشييد القصر .

فقالت الأميرة : كيف نراك خلال هذه المدة ؟

فقال بحزن : لست أدري أيها الأميرة .. المهم أحببت أن أسمع موافقتك بدون ضغط وقد انتهت مدة الزيارة فها هم ينادون عليّ .

وقدم إليهم جواهر وعقودا بحرية ، ووضعها بين أيديهم ، وارتدى ثيابه البحرية ، وسلم عليهم وألقى نفسه في البحر ، واختفى عبد الله البحري ، وتبعته الأسماك الأخرى ، ولما أصبح الصباح أقبل البحارة وساقوا السفينة إلى مرساها في القصر ، وكان في استقبالهم الملك ووزيره والأمراء على أحر من الجمر ، ولما رآهم الملك سري عنه الحزن والخوف وصاح فرحا : " ما وراءكم ؟!

فقالت الملكة أمام السادة : أتانا الأمير البحري؛ فإذا هو إنسان مثلنا ؛ ولكنه محكوم عليه بالحياة في البحر لأسباب لم يذكرها ، وهو شاب جميل معتدل القوام قوي البدن ، صورة وجهه قريبة من وجه وصيفتنا ضحى ـ التقت عيني ضحى بقمر الليل ـ وقالت ضحى : أيمكن أن يكون أخي المفقود ؟! ، وقالت قمر الليل : أيمكن أن يكون أخ ضحى المفقود ؟! وكانت الملكة الأم تتابع الكلام : وهو إنسان يتكلم بلساننا ، ولكنه يلبس ثوب سمكة كبيرة ، ويحيا في الماء مع قومه الأسماك وعند أمه الملكة .. وروت لهم الغاية من زيارته ، فتعجب القوم مما سمعوا .. وهي حياة إنسان مع حيوانات البحر .

فقال الملك : إنها قصة غريبة ! ومتى يعود هذا الأمير؟

قالت الملكة : لا نعلم .. فعنده حكاية غريبة إن عشنا سوف نسمعها بأذن الله .

انتشر خبر خطبة الأميرة قمر الليل على أمير من سكان البحر اسمه عبدالله البحري ، وسوف ينتظر حتى تبلغ الأميرة سن زواج بنات الملوك والأمراء ، الكل يتحدث بالقصة وهو في حيرة وتعجب واستغراب من هذا الأمر ، وبينما الناس مشغولون بالقصة صاد الصياد صيدا على صورة هر فأخذ منه المال وسار به نحو قصر الملك ، وفرح الملك

بوصول الهر ، فهم منذ لقاء الأميرة بالأمير لم يسمعوا عنه شيئا ، فبعد التحية والسلام قال الهر : أيها الملك الكريم أنا رسول ملكة البحر إليك .



فرحب به الملك واستمع له ، فابلغه أن عبد الله البحري يرغب ببناء قصر كبير نصفه في البحر ليقابل به إخوانه وأصدقائه من أهل البحر ، والنصف الآخر في البر ليعاشر به أهل البر، وترجوه الملكة البحرية أن يقوم بهذه المهمة ، وأن المال الكثير سيكون بين يديه لتنفيذ هذه المهمة ، وأن يكمل البناء خلال السنة حيث تبلغ الأميرة سن الزواج المسموح به في بلدهم ، فوافق الملك واستدعى الأميرة التي جلست مع الهر تسأله عن زوج الغد ، فذكر لها أمره ، وأنه محب لها ودائم الفكر فيها ، وهو ينتظر بناء القصر بفروغ الصبر ، وبلغها التحية والشوق من خطيبها ، فأعطته الأميرة هدية للأمير عبد الله البحري ، وأعطاها من اللؤلؤ ما يسر العيون وانصرف بسلام ، وبعد أيام يسيرة بدأت صناديق الذهب والفضة واللؤلؤ تنهال على القصر ، وعلى الفور بدأ العمل بتشييد القصر الجديد قصر العروسين ، فاستعان الملك بأمهر البنائين لبناء قصر ابنته الوحيدة وزوجها الغامض ، وقبل أن تدخل الأميرة في ربيعها السابع عشر تم الانتهاء من بناء القصر وزخرفته حيث أصبح تحفة للناظرين ، وقد كمل تجهيزه بالأثاث ، وزرعت فيه الأزهار والورود وأنشئت الأشجار ، ولما بلغت الأميرة سنة الزواج أعلنت الأفراح في المدينة ، وأقيمت للأميرة حفلة ملكية في قصر الملك ، ولما جاء الليل وأنيرت المشاعل والشموع الملونة ، أتى الأمير البحري حيث اقترب من القصر وخرج إلى الأرض وترك إخوانه الأسماك في الماء وخلع ثوب الحوت ، وكان في انتظاره الملك والأمراء فسلموا عليه فرأوه إنسانا مثلهم ، وقدموا له حصانا أبيض كما طلب ، فركبه وركب الأمراء خيولهم ومشوا نحو القصر ، واحتفلوا به احتفالا يليق بالأمراء ، ثم أدخلوه على زوجته الأميرة قمر الليل ، وكان قد اتفقوا أن يسكن الأمير البحري في النصف المبني في البحر ليستطيع الحديث مع أهله البحريين ، وقد ترتب بينهم أن يقضي الليل في قصره ، والنهار مع حيوانات البحر ، فنصف حياته في مملكة البر، والنصف الآخر في مملكة البحر، وفي الصباح أقبلت الأميرات يباركن للعروسين ، وقد عجبن لاختفائه فأخبرتهن أن زوجها إنسان مثلهم ؛ ولكنه يعيش في البحر لقصة غريبة حدثت معه وهو صغير، وقد وعدها

بالحديث عنها في أوانها المناسب.

يقضي عبد الله البحري الليل مع زوجته والإنس ، وقبل شروق الشمس يدخل البحر ، وسوف يستمر هذا الوضع حتى تموت أمه الملكة البحرية فيتحرر من أسر البحر إلى الأبد ، وكما قيل في الحكم والأمثال السعادة لا تدوم ، فالوزير السابق الذكر لم يعجبه هذا الحال ، وكان حقودا حسودا ، فصمم أن ينتقم من ملكة البحر بإيذاء ولدها عبد الله ثائرا لنفسه التي أهينت عندما اعترض على زواج الأميرة ، ذات صباح استيقظ عبد الله البحري مع الفجر، فأراد أن يلبس ثوب السمكة البحري حتى ينزل البحر كعادته ، فلم يجده فسأل الزوجة فقالت : في المكان الذي وضعته فيه !

فقال بحيرة وارتباك : لم أجده !.

أسرعت الزوجة تبحث عن الثوب البحري فلم تجده ، فانزعج الأمير وقلق وأخبر إخوانه البحريين أن أحدهم سرق ثوبه ، فاضطرب القصر والخدم والحرس لهذا الحادث ، وعجل حرسه البحريون يخبرون أمه الملكة بالأمر ، ولما أشرقت الشمس بدأ الأمير يختنق شيئا فشيئا ، وأغمي عليه فصرخت الأميرة ، وأرسلت وراء أبيها الذي أتى مسرعا ومعه الملكة الأم ودب الرعب في القصر ، أقبلت حيوانات البحر وأخذت عبد الله الفاقد الوعي، ونقلوه للبحر وغاصوا به في الأعماق، وأمر الملك بالبحث عن السارق ، وأصيبت قمر الليل بالحزن والألم على زوجها الأمير ، وقامت أمها ووصيفتها ضحى بالتخفيف عنها ومن مصابها ، واشتد غضب الملك مع مرض ابنته ، وأقسم بأنه سيقتل من وجد عنده الثوب البحري أو شارك في سرقته ، واختفت أخبار الأمير البحري عن أهل البر ، لا أحد يدري ماذا جرى له ؟ هل مات أم ما زال على قيد الحياة ؟! علم الملك بعد حين أن الأميرة حامل من زوجها الأمير فكان في فرح وحزن وعجبوا لانقطاع أخبار الأمير، وغلب على ظنهم أن عبد الله قد هلك ، وقد فشل الملك بالوصول للمجرم ، فاستدعى الصياد القديم ، وحثه على العودة للصيد في المكان الذي كان يصيد منه الحيوانات الغريبة بعد انقطاع عن الصيد منذ بدأ الملك بتشييد قصر الأميرة ، فمن ذلك الوقت انقطع عن الصيد ، ولم يعد يرى تلك الحيوانات الغريبة ، فترك الصيد وانشغل بالبحث عن زوج مناسب لابنته ضحى ليهبه البيت الذي اشتراه ، وقد تقدم إليها أكثر من شاب؛ ولكنها كانت ترفض رغبة في البقاء في الخدمة عند الأميرة ، فلما تحدث معه الملك بشأن العودة للصيد ، تشجع الصياد وطلب من الملك مساعدته بتزويج وحيدته ضحى حتى يطمئن عليها قبل رحيله عن هذه الدنيا ، فوعده

الملك بذلك وصرفه ، وقد طلب منه زيارته بين الفينة والأخرى ، وغادر الصياد القصر فرحا ؛ لأنه أصبح بإمكانه مقابلة الملك في كل حين ، وهذا شرف كبير له لم يكن يحلم به في يوم من الأيام الخالية ، وبعد حين يسير أتى الصياد القصر واستأذن على الملك ، فأذن له وأخبره أنه وجد شابا مناسبا لابنته فرجاه أن يساعده في مهمته ، فطلب الملك ضحى وتحدث معها أمام أبيها ، وأنه وجد رجلا صالحا يرغب بالاقتران بها ، وأتت قمر الليل وشجعتها بدورها على الزواج من ذلك الشاب الذي اختاره لها أبوها ، فقالت ضحى : كيف أتركك يا سيدتي وأنت في هذا الظرف وعلى وشك ولادة ؟

فقالت قمر الليل : لن تتركيني يا ضحى سنبقى أصدقاء .. وستزفين إلى عريسك من القصر الملكي إذا سمح مولاي الملك ..

فقال الملك : هذا أقل الواجب علينا .. فضحى مثل ابنتي تماما .

وفرح الصياد وهو يسمع كلام الملك والأميرة ، فقالت ضحى : سأوافق يا مولاي بعدما أرى هذا الزوج .

فقال الملك : بالطبع يا ضحى .. هذا حقك فانظري إليه ، ثم قرري أمرك .

فقال الصياد : أجل .. أجل يا ابنتي .. أنا رجل كبرت سني ، ورق عظمي ، ووهنت قوتي ، وأريد أن أزوجك رجلا نبيلا قبل الفراق الأبدي حتى ادع الدنيا وأنا مطمئن عليك .

وأخذها الصياد بعد أن استأذن من الملك والأميرة إلى بيته لتتمكن من رؤية القرين ، وهناك أرسل وراء الشاب الخاطب الذي أقبل مسرعا لتراه عروسه ، ولما شاهدته ، وتعرفت على أسرته وافقت على الاقتران به ، وفرح الشاب بموافقتها ، وكان فرحه أكبر عندما علم أن حفل زواجها سيكون في قصر الملك ، وتم ذلك الزواج كما دبر له ، ولكن كان هناك حدث آثار الأميرة قمر الليل ، وهو عندما كانت تشرف على تزيين العروس لزوجها لحظت على عضدها صورة طائر قد شاهدت مثله على ظهر زوجها عبد الله .. فتذكرت زوجها.. وتذكرت كلام ضحى عن أخيها المفقود ، ولمحتها ضحى وهي ساهمة تفكر فقالت : ما الذي يحزن الأميرة الصديقة .. لعلك ذكرت بعلك الأمير ؟

ابتسمت قمر الليل وقالت : نعم ؛ كأنك تقرئين الأفكار .. لقد شاهدت على عضدك صورة طائر .. وهي نفس الصورة المنقوشة على ظهر زوجي عبد الله .. فتذكرت حديثك عن السمك الذي كان ينطق في بيتكم .. ويخبركم بحياة عبدالله .. إنني أرى أن الأمير عبد الله هو أخوك المفقود يا

ضحى .. فهو شبيه بك أيتها العزيزة .. لو لا أنك تقولين أنه غرق فمات .. فيبدو أنه لم يمت يا ضحى ، ربما أخذته ملكة البحر وربته .. فالصورتان كأنهما رسم شخص واحد ..لا تبكي يا عزيزتي .. أنا آسفة .. فبعد الزواج بإذن الله سنعاود الحديث في هذا الموضوع الغريب .

وصلت الأميرة قمر الليل إلى هذه الحقيقة من قبل .. وزاد يقينها الآن أكثر فهي وصلت إلى ما نعرفه نحن .. وسنترك البر، وندخل للبحر لنرى ما حل بصاحبنا عبدالله البحري .

عبد الله البحري

قبل سنوات عندما كان عبد الله صغيرا ، وكان يرافق والده إلى البحر ، وفي المكان الذي اعتاد الصياد أن يصيد فيه ألقى الصياد الشبكة القديمة في الماء ، وملّ الصياد من الفشل ، فطلب من



عبد الله أن يمسكها قليلا آملا أن يكون حظه خير من حظه ، فأمسكها الفتى ، فشعر بعد حين بأنها ثقيلة ، فسحبها فلم يستطع فنادى على أبيه ، وقبل أن يصله أبوه ، كانت الشبكة تسحب الفتى إلى البحر، وجره الماء ، واختفى عبد الله في البحر ، صاح الصياد مستنجدا ؛ ولكن عبد الله قد اختفى ، فبكى وصرخ وحمله الناس إلى كوخه الحقير ، كان في الشبكة القديمة سمكة كبيرة فجذبت عبد الله ، لقد كانت هذه السمكة ملكة سمك البحر ، فأخذته إلى الأعماق بعد أن تخلصت من الشبكة حيث عادت إلى الرمال التي كان يجلس عليه الصياد ، فوجدها الصيادون فأرسلوها للصياد الفقير ، وقررت السمكة تربية عبد الله في البحر، فذهبت به إلى ساحر البحر الذي رضخ لطلبها ، وصنع لعبدالله ثوبا بحريا ، ولبسه عبد الله ليستطيع الحياة في البحر ، وأعلمها الساحر أنه لن يستطيع الحياة على البر إلا بعد موتها ، فوافقت الملكة البحرية على ذلك ، وأصبح عبد الله حيوانا بحريا ، وكان أبناء السمكة الملكة يعتقدون أنه منهم ، وأحاطته الملكة بالرعاية والحماية ، وكانت الملكة قد ربطت عودته للبر بحياتها ، فهو لا يستطيع العيش والحياة في البر ، وكبر عبدالله البحري ، وكانت الملكة تريد أن تضمن له حياة سعيدة بعد موتها وعودته للحياة مع أهل البر ، فقررت أن تزوجه من ابنة ملك مدينة مرين ليحيا حياة الأمراء والسلاطين كما هو عندها في الماء ، فكانت تأمر كل سمك يصاد ويطبخ في قصر الملك أن يخبر الملك بهذه الرغبة ، وطلبت من كل سمك يطهوه الصياد في بيته أن يخبره بحياة ولده ،

وأخفت هذه الحقائق عن عبدالله ؛ وكان عبد الله يكبر ، ولابد أن يعرف أنسيته ، وحتى لا يخونها أو يغدر بها قررت أن تغني والده وتعطيه من كنوز البحر وفعلت ذلك ، وخطبت له الأميرة قمر الليل ، ووافق الملك كما ذكرنا ذلك سابقا ، ولم علم عبدالله بذلك أبى أن يقبل حتى يسمع جواب الأميرة بنفسه ، فذهبت به الملكة لساحر البحر وأمام رجائها وضغطها سمح له بالتخلص من ثوبه ساعة يقابل بها الأميرة ، وحصل ذلك فعلا ، ولما بلغت الأميرة سن الزواج وتم بناء القصر ، وعادت الملكة تترجى شيخ البحر وساحره ، فسمح له بخلع ثوب البحر ليلا والعودة للماء قبل شروق الشمس حتى تقضى الملكة نحبها، ويتخلص من حياة البحر، وحصل ذلك؛ ولكن الثوب سرق كما علمنا ، ونقل الأمير إلى البحر وهو مخنوق مغمى عليه مشرف على الموت .

عاش عبد الله في البحر صغيرا ، وكان يرى المعارك والصراع الرهيب بين تلك المخلوقات ، وقد خاض المعارك وكثيرا من الحروب التي تنشب بين قبيلة الملكة والقبائل الأخرى ، وامتاز على كثير من الفرسان ، وأصبح سيد الفرسان في منطقته ، وكانت أمه الملكة به مسرورة وبقوته وشجاعته وبراعته في الغوص والقتل لوحوش البحر ، فكان فارسا صنديدا عنيدا في البحر لا مثيل له بين اسماك مملكته، فكان يغدو في مغامرة ويمسي في أخرى ، ويتنقل بين ممالك الماء، ويتعرف على الملوك والأمراء ، فكان مخلوقا عجيبا بالنسبة لمخلوقات الماء ، ومن مغامراته في البحر أن أخا له أراد أن يتزوج ابنة ملك من ملوك البحر، فذهبت الملكة لخطبتها ، فلم توفق ورفض ذاك الملك ، فطلبت الملكة من الفرسان والأمراء خطف تلك الأميرة ، فسار عبد الله ومعه اثنان من إخوته إلى تلك المدينة ، وخطفوا الأميرة بغفلة من حرسها ، وأخذوها لمولاتهم الملكة التي حبستها حتى يوافق والدها على زواجها من ابنها الأمير ، وثارت الحرب بينهم ، قتل فيها في ذلك الملك وبعض أبناء الملكة ، ولما انتصرت على خصمها دمرت مملكته وقتلت فرسانها ، وتزوج ابنها الأميرة رغم أنف قومها ؛ ولكنها أهلكت نفسها بعد حين فرموها على شاطئ البحر ليأكلها البشر وحيوانات الشواطئ ، وقد حارب عبد الله في هذه الحرب ببسالة

ومرة أخرى تعرضت الملكة للغدر والاغتيال فأنقذها عبد الله من الغادر، وتمت محاكمة الغادر بصرامة ، وقضي عليه بالموت ، وأن يؤكل إربا إربا ، فكبر حب عبدالله في قلب أمه الملكة البحرية الذي لم يكن يعلم أن حياته مربوطة بحياة الملكة ، وعلى أثر هذه الحادثة علم أن حياته كانسان متعلقة بموت أمه ، عرف أنه إنسي من البشر الذين

يعيشون في البر، ويتنفسون الهواء ، وأخبرته يومئذ بأنها سوف تزوجه من إنسية عظيمة في المستقبل .

تعرض هو نفسه للغدر والخيانة من بعض أبناء المملكة، ولكن أمه وقفت معه بحزم وأمرت بموت الغادرين الخائنين ، فأمسى عبد الله مرهوب الجانب ، فأمه تقدمه على الكثير ، وهو يستطيع حماية نفسه بكل قوة وشراسة ، ولكن الأشرار لا ينتهون من الكون ، فقد خاض معركة ضخمة مع سباع البحر في أعمق أعماق الماء ؛ وذلك عندما ذهب هو واخوته لإحضار كنز من أحد الجبال البحرية ، فمنعتهم السباع من الولوج إليه ، فجرت معركة فريدة من نوعها ، وحصلوا على الكنز بعد استسلام الأسود ، وكانت محاكمتها عند قضاة مملكة أم عبد الله البحري فحكموا عليهم بالموت على سطح الماء بتنفس الهواء ، وأفاد كل هذا عبد الله أنه لا يعيش في البحر إلا القوي الجبار.

مرضت الملكة ، ووصف لها ساحر البحر دواء متوفرا في جزيرة الصخر في قاع المحيط ، وهذه الجزيرة تحكمها مجموعة ضخمة من أسماك القرش ، وأن العلاج موجود في خزانة ملك هذه الجزيرة ، وهو حوت عملاق ، ولن يتم الحصول عليه إلا بموت الحوت العملاق ، فأرسلت الملكة رسالة مع عبد الله البحري للحوت العملاق ، فرفض إعطاءه الدواء ، فأمرت الملكة بتجهيز حملة من أشد الفرسان وأمرتهم أن لا يعودوا إلا بالدواء ، فتجهزوا بأشد الأسلحة الفتاكة والصخور الحادة وزحفوا إلى جزيرة الصخر أكثر من ألف فارس بينهم عبد الله البحري ونشبت بينهم معركة هائلة شابت لها رؤوس الولدان ، وقتل عدد كبير من الفرسان من الفريقين ، وأمام شراسة المعركة وحدة الصخور التي يحارب بها فرسان الملكة البحرية هرب السمك الشرس ، وظل الحوت العملاق وحيدا يقاتل ، وقام عدد من الفرسان على رأسهم عبد الله بالوصول إلى الخزانة ، وأخذ الدواء كله ، وكانت الفرسان قد أرهقت الحوت العملاق وأتعبته ، ولما علم بوصول الفرسان إلى خزائنه وأخذ ما فيها انفجر وتصدع قلبه فمات من شدة الغيظ والقهر ، واستولى فرسان الملكة الأحياء على كنوز الجزيرة ونقلوها لمملكتهم ، وتعافت الملكة بعدما شربت ذاك الدواء ، وبعد

هذه الحادثة جرت خطبة الأمير البحري على الأميرة البرية ، وسار بعد ذلك لمقابلتها وسماع رأيها ، فأخذته أمه لشيخ البحر فأعطاه قدرة على شم الهواء ساعة على البر ، ثم عاد للبحر ينتظر وقت الزفاف ، وذلك عندما تبلغ الفتاة سن التأهل للزواج في تلك المدينة ، وقامت الملكة بإرسال كنوز البحر من الذهب والجواهر إلى الملك العادل وخلال مدة الإنشاء هلك ساحر البحر بعد مرض عصف به ، واستلم أسراره ومكانه ابنه الكبير الذي جدد العهد مع الملكة بالمحافظة على بعضهما البعض ، حان موعد زفاف الأميرين ، وقامت الأم بترتيب كل شيء ، وأقامت له الملكة في البحر حفلا عظيما دعت إليه الكبار والصغار ، وكان الساحر الجديد قد رخص له بالحياة ليلا كبني الإنسان ، وفي النهار يعود لبني السمك حتى تموت أمه فيعود لحياة البشر ، وخرج في الليل لأهل البر فاحتفلوا به احتفالا كبيرا ثم ادخلوه على عروسه ، وبعد حين من الزواج سرق الثوب الخاص بحياة البحر وجرى له ما تعرفون ، فلما نقل للبحر حمل إلى شيخ البحر الساحر الجديد ، فقام بمعالجته وصنع له ثوبا جديدا ، وبعد زمن تعافى الفارس البحري ، وأخذت صحته تعود إليه من جديد ، وعلم أن أمه لن تسمح له بالخروج من جديد حتى لا يغدر به بنو البشر مرة أخرى فيهلك ، وقد بين لها الشيخ الساحر أنه لن يصنع له ثوبا آخر ، فحزن الأمير واشتد المرض عليه مرة أخرى ، ووصف له دواء من أحد الأماكن البعيدة فأحضره له إخوته ، وبعد زمن شفي من سقمه وترجى أمه أن تطلب من ساحر البحر أن يأذن له بالعودة لزوجته فرفضت قائلة : يا ولدي .. أخاف عليك الموت ، لقد ظننا أنك هلكت .. وشيخ البحر أقسم إنه لن يصنع لك ثوبا جديدا ، فأخاف عليك من غدر بني الإنسان .. فلتصبر يا ولدي حتى أفارق الحياة وتتحرر من ثوبك .. واعتبر نفسك أنك قد غرقت ومت قديما .. هذا حظك ونصيبك .. وسامحني يا ولدي .. لقد ارتبطت حياتك بحياتي فأنا أحببت لك الحياة فحصل ما أنت تعلم به .. أنقذك الساحر الأكبر من الغرق الأول وصنع لك ثوب البحر لتحيا في البحر .

فبكى عبد الله بين يديها بكاء حزينا ، وبكت الملكة لبكائه ، وبعد سنوات قليلة هلكت الملكة البحرية، وحزن عليها عبد الله ، بل كان أكثرهم حزنا عليها رغم قسوتها عليه في بعض الأحيان للمحافظة على حياته ، وكانت الرسائل متبادلة بينه وبين أهل البر ، وبعد أن انتهوا من نقل جسد الملكة إلى جبل دفن الملكات والعظماء، واستلمت المملكة ابنة الملكة الكبرى سنا، وهذه خيرت عبد الله في البقاء في البحر أم العودة للبر ليرى زوجته وولده وأمه وأباه

، فاختار البر حيث تكون حياة الإنسان من غير تكلف وثوب بحر ، وكانت الملكة البحرية الهالكة وهي تلفظ أنفاسها الأخيرة قد أعلمته بحياة أبيه الصياد ، وما فعلته معه ، وطلبت منه أن يبحث عنه ، فجرى له وداع كبير استمر بضعة أيام ، وصعدوا به سطح الماء ، ولما أصبح رأسه في الهواء أخذ بخلع ثياب البحر وتسلمها أحد أعوان الساحر ، وأعطى ثوبا جميلا ، ووعدوه بأنهم سيزورنه في القصر ومعهم صناديق وكنوز البحر ، فودعهم وأخذ يستنشق الهواء بحرية وقوة حتى وصل لبيت الصياد الجديد، فخرج له زوج أخته الذي كان يفتح له الباب فقال له عبد الله : أليس هذا بيت الصياد أبي عبد الله؟

قال الرجل : بلى ، وأنا صهره .. من أنت ؟ فهذا بيت الصياد أبي عبد الله!

فقال الأمير : أريد رؤية زوجتك ضحى والصياد ؟ أرجوك ضروري هذا أيها الشاب المحترم اخبر زوجتك وقل لها أمير البحر يريدها ؟

احتار الشاب فقال : انتظر أيها المجهول !

وبعد دقائق جاء الصياد ، ونظر إلى عبد الله قليلا فخفق قلبه وقال : ماذا تريد يا ولدي مني ؟

بكى عبد الله لما سمع كلمة ولدي وقال : نعم ، أنا ولدك . قالها في نفسه ثم قال : أيها الصياد المسكين أتذكر وحيدك عبد الله الذي فقدته منذ سنوات أتذكره ؟

فدمعت عينا الصياد وقال : نعم ، ولماذا هذا الحديث أيها الشاب .. ؟!

قال الأمير : أنا من طرف عبد الله ولدك .. فهو حي يرزق يعيش مع الأسماك في البحر، ألم تخبرك الأسماك التي تأكلها بحياته ؟!.

صعق الصياد وصاح : عبد الله حي .. عبد الله حي! .

فقال عبد الله : ألم تخبرك الأسماك بحياته ؟ وأنه مسجون مع حيوانات البحر إلى أجل مسمى .. فهو حي لم يمت .. هدأ من روعك أيها الوالد المسكين .

فقال الصياد والدموع تنساب على خديه المجعدين وهو يمسحها بيديه : هل صدق ما تفوهت به ؟!

فقال الأمير : ولماذا أكذب عليك يا أبي ؟

فنادى الصياد زوجته وابنته ضحى فأقبلتا مسرعتين وكان يهتف: عبد الله حي ..عبد الله حي فلما أقبلت ضحى ورأت عبد الله صاحت : أماه! .. الأمير عبد الله البحري !.

فقال الأمير دهشا : ضحى وصيفة الأميرة !.. أنت أختي يا ضحى .. يا والدي أنا ابنك عبد الله أنا ابنك عبد الله قد عدت إليك من السجن البحري

واحتضن أباه وهو يبكي ، واحتضن أمه وما زال يبكي ويتنهد ، واحتضن أخته وهو يبكي ، وعانق

زوج أخته وهو يبكي من دفء اللقاء ، كان لقاء لا يمكن وصفه بدقة ، لقاء حميا قبلات وتنهدات ، بعد يأس وعمر طويل يرى الأب فلذة كبده ، ومع دموعهم جميعا استمعوا لقصة عبد الله ؛ فكانت حياة عجيبة وغريبة في قاع البحر، وبعد أن هدأت العواطف ، قالت ضحى : يا عبد الله زوجتك الأميرة عرفت أنك أخي ، لقد ذكرت لي يوم عرسي بأنك أخي ، لقد رأت الوشم المرسوم على يدي ، فقالت يا ضحى هذا الوشم يشبه الوشم المرسوم على ظهر زوجي ، وكنت قد حدثتها عن السمك الناطق في بيتنا ، قالت كأن الأمير عبد الله هو أخوك المفقود .. فلم أصدق .. آه! كم شقيت الأميرة عليك أيها الأخ الحبيب ؟! .. لقد ولدت لك طفلا جميلا مثلك .

فقال الصياد : عظيم !! أنا الصياد الفقير أو الذي كان فقيرا .. صهرا لملك البلاد إن هذا لشيء عجاب .. إن هذا لقدر عجيب .

قالت ضحى : سأنطلق يا والدي الطيب لأخبر الأميرة ، لا ، لن أستطيع الصبر حتى الصباح فهي قد رفضت الزواج من بعدك .. كم كانت تسعد عندما يأتيها رسول من طرفك ؟.

فقال عبد الله : ترفقي معها في الحديث .

طارت ضحى إلى قصر الملك في ساعة لم تكن تأتيها بها ، وادخلوها إلى الأميرة قمر الليل التي استقبلتها بدهشة وفضول قائلة : ما وراءك أيتها الأخت العزيزة ؟! .. هل ألم بك مكروها ؟!

قالت ضحى : أيتها الأميرة عندي أخبار سارة لك هل تحتملين سماعها ؟

صفنت الأميرة قليلا وقالت وهي تضع يديها على صدرها : ماذا عندك ؟!.. هل عندك خبر عن عبد الله ؟!

قالت : نعم .. أتى عبد الله .. وهو أخي كما ذكرت لي ذلك ذات نهار مضى .

أغمى على الأميرة ، فصرخت ضحى ، فهرعت الجواري، وجاءت الأم وطبيب الملك وأتى الملك ؛ ليسمعوا خبر عودة عبد الله من البحر ، وسمع بعض القصة ، وذهب الملك بنفسه ، وأحضر الصياد وولده عبد الله الذي قص عليهم قصته وحياته في البحر ، وذكر لهم أنه الآن استرد حريته ، وتحرر من أسر البحر ، فعجبوا من حياة البحر وملوك البحر، وأحبه الملك ولم يتذكر أنه ابن صياد فقير، وساقوه إلى زوجته فقرت عينها برؤيته ، وعانق ولده الصغير ، وأمر الملك بتهيئة قصرهما الجميل، فأسرع الخدم للقيام بالمطلوب ، ودبت الحياة في القصر من جديد وسكن فيه الأمير ووالده وأمه ، ووهب الوالد الصياد البيت الذي يملكه لابنته ضحى وزوجها، وقام إخوته البحريون بزيارته وهنئوه بعودته لأهله وولده ،

وجلبوا معهم الكثير من الأموال البحرية ، فأهدى أكثرها للملك والملكة ، ووهب للأمراء والفقراء ، وعادت السعادة للبيت والمملكة ، ولما سكنت النفوس سأل الملك ختنه ذات ليلة : يا عبد الله البحري .. هل عرفت من سرق ثوبك؟ وكاد يهلكك ذلك اليوم الأسود !

فقال عبد الله : إن أمراء البحر كانوا يرون أن لوزيركم يدا في سرقته ، فقد أغرى بعض الخدم أو الجواري بسرقته أثناء نومنا .

فقال الملك : سنبحث في الأمر أيها الأمير عندما تطمئن القلوب .. فهنيئا لك يا قمر الليل عودة زوجك البحري .. إنها تحبك كثيرا أيها الأمير فقد أبت الزواج من بعدك وفاء لك أيها الأمير الطيب

فقال عبد الله : ستكون في عيناي وفؤادي أيها الملك ..وسأكون لها نعم الزوج .. أين ولدي الحبيب يا قمر الليل ؟!



مصرع المدير

الحلقة الاولى



الفصل الأول

١

كان الأخوان أحمد وعماد زكي يتحدثان في منزلها عن الجريمة الجديدة التي عصفت بالمصرف الذي يعملان فيه ، فهما محتاران في أمر هذه الجريمة ، والسبب أن القتيل في هذه الحادثة كانت تحوم الشبهات حوله في الجريمة الأولى ، وهنا يتردد السؤال " من القاتل في الجريمة الأولى ؟ ومن القاتل في الجريمة الثانية ؟! " ، وبعد حديث طويل جرى بينهما حول هذه الحادثة المثيرة للحيرة والارتباك أيضا قال أحمد : لقد وقع في فكري وظني أن فريجا له يد في مقتل عمه مرعي .. مع أن الشرطة لم تتهم أحدا في مقتل السيد مرعي!

فقال عماد : رغم التحقيق الشامل والدقيق كما يقول رجال البوليس فإنهم لم يصلوا للقاتل .. هناك نقص كبير في الأدلة الجنائية .. وها هو

شخص آخر يسقط من العائلة .. فمن يا ترى المجرم القاتل الرهيب في هاتين الجريمتين ؟! لقد دب الرعب في أوصالي ..فهذه أول مرة في حياتي أشاهد جريمة ، وأكون ضمن الأشخاص القريبين من مسرح الجريمة كما يقول رجال الشرطة عن مكان وقوع الحدث ، ثم أكون قريبا من جريمة أخرى ، ولسوف يعود رجال الشرطة للتحدث معنا مرة ثانية وسماع أقوالنا من جديد مع أن الرجل قتل عند مدخل شقته.. إنني أنفر جدا منهم إنهم مزعجون ..لا أدري لماذا ينتابني هذا الشعور من هؤلاء الرجال ؟!

فقال أحمد : هكذا الحياة !! مشاكل .. شقاء .. جرائم !! فعندما ذهبنا لنحضر الاجتماع الشهري التقليدي في قصر الأستاذ مرعي ما كان يخطر ببالنا أننا على موعد مع جريمة .. وأن هناك مجرما سفاحا يتربص بالرجل .. مع أن أجواء وأحوال ذلك اليوم كانت كئيبة وحزينة ، كان العمل في البنك غير طبيعي ، كان المدير متوترا .. وكان ابن أخيه الأستاذ فريج متوترا .. وحتى مازن الهادي بل حتى ماريا خليل قريبة المدير كانت متوترة ذلك الصباح .. تقول كأن الجميع اشترك في معركة فاشتدت أعصابهم .. لقد فكرت بالاعتذار عن اجتماع تلك الليلة .. ألا تذكر ونحن ذاهبان إلى هناك وأنا أقول لك ليس لي رغبة في حضور تلك الجلسة ؟!

فقال عماد متنهدا : آ .. والله ما زلت أذكر هواجسك تلك الليلة المشؤومة حتى أن أحاسيسك الموحشة انتقلت إليّ ليلتها ؛ ولكني قلت لك لم نتخلف يوما ما عن اجتماع المدير في قصره وشجعتك وتابعنا المسير .. وكان ذلك من حسن حظنا وإلا اتهمتنا الشرطة بمصرعه أو المشاركة في اغتياله .. ولكن من قتل المدير ؟! ومن قتل ابن أخيه ؟؟ مازن لا يطمع باستلام إدارة البنك ليمكر بهما بهذا الشكل الجنوني.

فقال أحمد : حتى فريج لم أشعر يوما بأنه طامع بأن يصبح مديرا للمصرف .. حكاية محيرة ! لعل الشرطة تخلصنا من التفكير في مثل هذه القضية .. لقد تعبت أعصابنا وأدمغتنا .. الإنسان أحيانا يقع في ظروف وأحوال لم تخطر له على بال.

ولما سكت أحمد خيم الصمت على المكان فترة ثم عاد عماد يقول : فنحن عندما نشاهد فِلما بوليسيا أو مسلسلا قد نتفاعل معه ؛ ولكننا لا نـفكر كثيرا بمعرفة المجرم ؛ بل نصبر ونتحمل حتى يصل المحققون للمجرم فنبدأ التعليق .. أما أن نعيش الجو البوليسي في حياتنا وأعصابنا فهذا شيء صعب ومؤلم .. اللهم لطفك . فرد أحمد قائلا : والله معك حق ..فهذه أجواء مرعبة ومثيرة ؛ الأستاذ خالد نصري يعمل بكل جد ونشاط ،

وعندما يجتمع مجلس الإدارة سوف يرشح مديرا تحت التجربة .. وأعتـقد بأنه سوف يصل لكرسي المدير.

فقال عماد متشككا : ولكنه لا يمت بصلة قرابة للمدير ، وأنت تعلم أن أكثر رأس مال المصرف للمدير مرعي وأقاربه.

وقال أحمد : لقد بدأت أفكر جديا بترك المصرف يا أخي العزيز.

فأجابه أخوه قائلا : رغم كفاءتك في عملك لن تجد مصرفا يدفع لك ما تتحصل عليه من راتب في مثل هذه الأيام الكاسدة .. وعليك ألا تفكر بذلك الآن .. فتثار حولك شبهات أنت في غنى عنها .. فانتظر حتى ينتهي أمر التحقيق الجديد ويكتشف الجاني اللعين.

فقال أحمد : ملاحظتك جديرة بالاهتمام والأخذ بها في مثل هذا الظرف .. فقد كنت أفكر بأن أطلب إجازة فسوف أؤخرها قليلا حتى نرى ما ينتهي به الحال والمآل.

دخلت عليهما أمهما ، فقطعت عليهما خلوتهما ، وكانت تحمل صينية فوقها إبريق الشاي وأكوابه ، فتغير مجرى الحديث وأخذوا بالحوار حول مواضيع عائلية اجتماعية ، وقالت الأم مخاطبة ابنها عماد : ألا تريد تطليق زوجتك ؟! .. فلها أكثر من خمسة شهور في بيت أهلها .. فإما أن تتصالحوا كالعادة المستمرة بينكما أو تطلقها وتخلص من نفقتها الشرعية .. فهذه المرة طال الفراق بينكما!

ودار الحديث عن مشاكل عماد وقرينته الغاضبة منذ شهور ، فرد عماد على أمه قائلا : يا أمي لا تتعبي نفسك في همومي .. لقد اعتدت على ذلك .. لما تتصل فيّ أذهب وأحضرها .. أما الطلاق فلا أفكر فيه حاليا .. لقد كلفني زواجها ما يزيد عن خمسة عشر ألف .. فلن تضيرني بضع مئات أخرى تنفقها على زينتها ..أما زواج جديد فمن أين أحضر له مالا جديدا .. أم تريدين أن يحصل معي كما حصل مع أحمد أفندي.

فقال أحمد : وماذا حصل مـعي يا أفندي ؟

فقال عمادا ضاحكا : ألم تتزوج أجنبية أمريكية أحضرتها معك من إنكلترا ؟! .. ولم تمكث معك سوى سنة أو أقل ثم عادت لبلادها، ولها أكثر من خمس سنوات هناك لم تحضر إلى هنا.

فقال أحمد : ولكنها في انتظاري ، وزرتها مرتين فلم تعجبها حياة الشرق ، لم يعجبها سحر الشرق .. وعرضت عليها الانفصال .. ولكنها ما زالت تعشقني وتنتظر هجرتي إليها في يوم من الأيام

فعقبت الأم قائلة : حياتكما عجيبة يا أولادي ! .. أنت تزوجتها من أيام دراستك في لندن ، وما زلتم من غير إنجاب ، وأخوك تزوج من ثلاثة أعوام وامرأته لم تنجب أيضا .. لماذا لم تنجبوا ؟!

فضحك أحمد وقال : كم مرة قلت لك يا أمي إننا رتبنا أمرنا على عدم الإنجاب.. لا أريد أبناء ولكنك تنسين كثيرا ؟

قالت الأم : لا، لم أنس .. ولكن الأولاد بين الزوجين من الأسباب المهمة والمشجعة على استمرار الحياة الزوجية ، فأمام حب الأولاد ورعايتهم يضطر الطرفان للتحمل والتضحيات وتستمر العلاقات الزوجية.

فقال عماد بعد أن تنهد ووضع الكوب من يده : أما أنا يا أمي فلي مشاكلي الخاصة ، وأنا أتداوى من أجل هذا الأمر؛ ولكن السيدة المحترمة لا صبر عندها .. فهذا نصيبي وقدري فماذا أفعل ؟

فقهقه أحمد ومال على أذن عماد وهمس : أنت لا تريد الخلف!

نظره عماد بغضب وأشار له بعينيه بالصمت وقال لأمه : أمي ما أخبار أم سامر هل ولدت ؟

فردت الأم على مضض : إنها في شهرها الأخير .. فأخوكم سعيد أفضلكم فها قد أصبح عنده أربعة أطفال ، وربما عندها ثلاثة وسوف تضع الرابع قريبا.

ولما انتهوا من شرب الشاي أخذت الأم الصينية والأكواب الفارغة وتركتهم إلى حجرتها ، ولما ابتعدت صرخ عماد في وجه أخيه : ويلك كدت أن تفضحني .. أنا أتعاطى ابر منع الحمل لأسباب خاصة بي .. وليس عندي تعلق بالأطفال فلا داعي لكشف سري .. واعلم أن زوجتي لا تعلم ذلك.. فهي تظن أنني مريض وأتعالج من أجل الإنجاب .. ولكن خطر في بالي أمر .

وسكت لحظات ثم قال : ونحن سائرون للاجتماع الذي قتل فيه السيد مرعي كنت تحمل مسدسا فما قصة المسدس الذي كان معك ؟ ولولا أنني شاهدتك تتركه في السيارة لظننت ليلتها أن لك يدا في الأمر.!

فضحك أحمد وقال بغضب : ويلك أأنا اقتل؟! .. وماذا أجني من القتل ؟ .. فلا ناقة لي ولا جمل في البنك .. المسدس الذي معي كالمسدس الذي معك.

فجحر عماد أخاه مرة أخرى وقال : أو تعرف به ؟ ! إنك خطير يا أحمد.

فأخذ أحمد بالضحك العالي وقال : الذي أعطاك المسدس هو الذي أعطاني المسدس.

فقال عماد : أمعقول هذا ؟! لم يكن مسدس عماد من نفس المصدر.

قال أحمد وقد سرح ذهنه في يوم الجريمة : صدق يا عزيزي أن أمر هذه الجريمة كان مدبرا ومخططا له تخطيطا تاما وماهرا ؛ ولكن ما يحيرني الآن هو مقتل الأستاذ فريج.

فقال عماد كأنه ملقيٌ قنبلة : أرجو يا أخي العزيز

أن لا يكون لك شأن في هاتين الجريمتين فالأمر جد محير ، مقتل السيد مرعي سعد الدين ، وبـعده بشهور قليلة قتل ابن أخيه فريج سعد الدين
فعاد أحمد للقهقهة وقال : اطمئن يا أخي ما ترجوه لي أرجوه لك ، فلقد كانت علاقتك بالأستاذ فريج جيدة جدا.
قال عماد : هذا ما يقلقني لولا أنني واثق من براءتي لوقع في نفسي أن لي يدا في هذه الجرائم.
فهمس أحمد وهو ينهض للذهاب إلى حجرة النوم التي تخصه : سوف يكشف رجال الشرطة هذه المرة الجاني ؛ فإن الصحافة تتحدث عنهم بقسوة هذه الأيام وتتهمهم بالبلادة والتهاون والغباء.

٢

لقد كان مصرع فريج صبري مرعبا لموظفي مصرف الرعاية ، فقد قتل على مدخل شقته ، فتح الباب للقاتل بنفسه قالت زوجته سارة : إن رجلا أو شخصا طرق الباب بعد ساعة واحدة من نصف الليل ، فترك فريج غرفة نومه .. فهو لم ينم بـعد ، فمن عادته التأخر في النوم .. فتح الباب .. ثم صرخ صراخا حادا .. فهرعت إليه ، ولم أكن قد استغرقت في النوم ؛ فإذا بزوجي مطروح على باب الشقة مضرجا بدمائه.. فأصابني الذهول والرعب .. اقتربت منه فكان يلفظ أنفاسه الأخيرة وكان مما سمعته وهو بين الحياة والموت "قتلني المجرم .. قتلني اللعين" ثم مات . فأخذت بالصراخ ، فاستيقظ الأطفال الثلاثة على الصراخ ، وهرع بعض الجيران من الشقق المجاورة على الصراخ المرعب ، اتصل أحدهم بالإسعاف الفوري ورجال الشرطة ، ولما حضر الإسعاف، وجدوا الرجل مفارقا للحياة ، فانتظروا رجال الشرطة الذي أتوا مسرعين ، وكان على رأسهم ضابط كبير ، وقام رجال البحث الجنائي بإجراءاتهم التقليدية فقاموا بالتصوير الفوتوغرافي والفيديو ، وقام رجال المختبر بما يهمهم ، وحضر بعض أهل الزوجة والزوج ، ولما انتهى رجال البحث الجنائي من عملهم أمروا بنـقل بدن الجريمة إلى المستشفى ليتم تشريحها ويوافيهم الطبيب الشرعي بتقريره ، وأخذت أقوال الزوجة المنهارة بسرعة ، ومن ثم أذنوا بنقلها للمستشفى لأخذ العلاج اللازم من الصدمة التي ألمت بها ، ونـقل الأطفال إلى بيت جدهم والد أمهم السيد " رملي شاهد " ، وتم التحفظ على الشقة ، ووضع شرطي على بابها يمنع دخول أي شخص من دخلوها.
كان موظفو مصرف الرعاية مذهولين للحادثة الجديدة ؛ لأنها كانت بعد مقتل مديرهم مؤسس المصرف السيد مرعي سعد الدين ، فلم يمض على الحادثة الأولى سوى أشهر قليلة ، فهذا ما أزعجهم وأقلق راحتهم ، وإلا فإن الجرائم تحدث يوميا ،

ففي مثل هذه المجتمعات الطبقية والمادية تتصارع الناس على جمع المال وتكديسه ، فيحدث النصب والاحتيال والغش والاختلاس والتزوير ، ولـقد اختفت القناعة والرضا والإيثار من بين الناس ، ولنقل إنها أصبحت نادرة وضعيفة من الناس.

ولقد علم الموظفون أن هناك تحقيقا جديدا سوف يحدث في المصرف، ويتعرض فيه العاملون للاستجواب من قبل رجال المباحث ، وقد يعاد التحقيق في جريمة مصرع المدير مرعي ، فدب القلق في نفوس الموظفين ذكورا وإناثا ، وممن انزعج جدا لهذه الأخبار المدير المؤقت للبنك الأستاذ خالد نصري ، فكان في صباح أحد الأيام يتحدث مع رئيس المحاسبة والموازنة في البنك الأستاذ فارس عبد الحميد في مكتبه الواسع في عمارة البنك قائلا : أستاذ فارس .. الأمر مزعج للغاية ومثير للشبهات نحن ما كدنا نتعافى من قضية قتل السيد مرعي .. تخرج لنا جريمة مقتل ابن أخيه فريج .. وسمعتنا حساسة لم نعد نستطع الرد على استفسارات كبار عملائنا ، الكل يسأل ما الأخبار ؟! ما الحكاية ؟ .. سمعة البنك حساسة.

رد فارس بعد أن رشف من فنجان القهوة : كان الله في عوننا فالعمل مضطرب منذ الأزمة الأولى ، والقلق والتوتر مسيطران على الجميع ، فالعاملون في توتر عصبي مكبوت، ونحن لنا ثلاثة أيام ننتظر رجال التحقيق الجنائي ولم يحضروا بعد، فلعل الموظفين بعد انتهاء التحقيق الأولى أن تخف حدة أعصابهم وينسحب بعض القلق من قلوبهم ، فتحقيقات البوليس مثيرة ومخيفة.

فقال المدير المؤقت بعد صمت قصير : لو أن الشرطة أنهت قضية مرعي ما حصلت هذه الجريمة .. فأنا أخشى من جريمة وضحية جديدة ، ولولا أن المصرف لا دخل له في معرفة الجاني لكلفت مكتب تحقيق خاص بمتابعة الموضوع ؛ لكن فريق المؤسسين لا يرون ذلك الاقتراح مهما بالنسبة لهم.

فقال فارس : بل يا سيدي أرى أن البنك له أثر كبير في هذه الجرائم.

فقال خالد نصري : وكيف ؟!

فقال فارس : هناك مبالغ للبنك في ذمة المرحوم فريج صبري.

فقال نصري : وما دخل هذه المبالغ في مصرعه أمام شقته يا عزيزي ؟.. نحن لم نطالبه بها !

فرد المحاسب المالي للبنك : ولكن الأستاذ مرعي ـ رحمه الله ـ حدثه بها وطلبها منه .. ولولا حادثة قتله لحصل المبالغ منه فقد قال له : إنه لم يعد يصبر على إسرافه وتبذيره.

فقال خالد : لم أفهم بعد ما علاقة موت فريج بديون البنك ؟! .. فالأستاذ مازن فريد في ذمته

أموال كثيرة للبنك ..ومع ذلك لم يقتل.

فقال فارس بخوف واضح في كلامه : صدق أنني أخشى من جريمة ثالثة.

فقال خالد بتوتر مرتفع : ويلك هل من خطر على الأستاذ مازن ؟!

فبعد تردد في الإجابة قال فارس : لا أدري ! .. ولكني أشعر بأن الأموال المستلفة من البنك هي سبب هذه المشاكل المخيفة.

فرد خالد : ولكن حياة البنك كما تعلم قائمة على إقراض الأموال .. فهل قلت هذا لرجال الشرطة أثناء تحقيقهم في الجريمة الأولى ؟

رد فارس : نعم ، نعم ؛ ولكنهم كما تعلم كانوا يشتبهون فينا جميعنا .. فكل الذين حضروا ذلك الاجتماع الملعون في تلك الليلة المشؤومة . . كانوا في دائرة الاتهام والشبهات.

فقال خالد باستسلام لقدره : أعصابنا تعبت ومللنا هذا الجو المفعم بالإرهاق والتعب النفسي فلابد أن يعرف القاتل ويكشف أمره .. أمعقول أنه يعيش بيننا في جوانب هذا المصرف سفاح ؟! .. لا أصدق ذلك.



قال فارس : لقد أشرت يا أستاذ خالد إلى محقق خاص فما رأيك أن نكلف مكتبا بكشف غموض هاتين الجريمتين ؟..فهؤلاء المحققون سريعو العمل.

فقال خالد : لا أرى ذلك الآن ، والمؤسسون لا يرون هذا أيضا، والمحقق الخاص يحتاج لمبالغ كبيرة للسير في هذه القضية .. والأمر مربك فلننتظر خطوات رجال المباحث فقد أخبرني أحد الضباط الذين أعرفهم جيدا أن التحقيق يجري على مستوى عال جدا .. فقد يكلف بمتابعة القضية أحد الضباط الكبار المهرة القادرين على حل ألغاز هذه الجريمة ، فقد قال لي إنهم قد يكلفون المقدم عزيز سالم في فك طلاسم هذه الجريمة ، وهذا الرجل كما قال صاحبي من أكفأ الضباط في التحريات وفك غموض الجرائم ، وله سمعة جيدة في مثل هذه القضايا ويكلف عادة في القضايا الاستثنائية لذكائه وشجاعته .. فقد همس في أذني صاحبي هذا أنه من المرجح أن يدفعوا إليه هذه القضية لدور الصحافة المزعج لهم .. وأنا لي معرفة قديمة بهذا المقدم .. فأرجو أن يكلف بها يا سيد فارس.

فقال فارس بارتياح لما سمع : حقيقة نحن بحاجة أن ننتهي من هذه القضية فوضعنا سيئ مع أنني غير متحمس لتحقيقات الشرطة فهي بطيئة ويتركون كثيرا من الملفات للصدف والحظ .. نرجو أن ينتهوا منها بسرعة.

٣

بالفعل كان مقتل السيد فريج على أثر مصرع عمه مزعجا للدوائر الأمنية ، فقد التقى وزير الداخلية بمدير الأمن العام وكبار ضباط الشرطة وكبار موظفي وزارته ، وعقد معهم اجتماعا كبيرا وهاما من أجل هذه القضية التي أزعجت المجتمع والرأي العام في البلد ، وأفسحت لرجال الصحف والجرائد المجال في الثرثرة والتعليق وحتى السخرية من قوى الأمن، ولما انتهى الاجتماع التقى وزير الداخلية بممثلي الصحف ووعدهم بـقرب حل غموض هذه الجرائم ، وأما مدير الأمن فقد أرسل وراء أكفأ ضباطه المقدم الشرطي عزيز سالم لما له من شهرة في تعقب ومتابعة الجرائم الذكية والتي يلفها الغموض ويهتم بها الرأي العام ، وقد عرف هذا الشرطي بذكائه الحاد فاستدعي من الدائرة التي يخدم بها ، وكلف بمهمة الكشف عن ملابسات جريمة مصرع المدير مرعي سعد الدين وابن شقيقه فريج ، وأثنى عليه المدير ثناء حسناء ومهما ، وتقبل المقدم عزيز الثناء بكل احترام وشكر ثقة الرئيس به وكذلك الوزير وعلى الفور انتـقل إلى مكتب الضابط الذي كان يحقق في القضية في الأيام الخالية ، فاطلع على ملف القضية وتـقرير الطبيب الشرعي ، وقرأ ملاحظات زميله ، وقرأ أقوال الزوجة " سارة رملي " وأقوال الجيران الذي هرعوا للبيت عندما سمعوا صراخ الأرملة وبعد أن استوعب كل ذلك قال لزميله النقيب زايد : ما رأيك في الموضوع يا سيدي ؟

فقال النقيب بـعد أن أبدى ترحابه بزميله وأنها فرصة للعمل معه والاستفادة من خبرته وفطنته : حسب المعلومات أن الزوج قتل بثلاث طلقات أخطرها التي أصابت رأسه وهي التي عجلت بوفاته .. ووقت حدوث الجريمة الساعة الواحدة ليلا وحسب أقوال الزوجة والمشاهدة أن فريجا قام بنفسه ليفتح الباب للطارق ، وحسب الآثار والبصمات فتح الباب ، وكأن القاتل عندما رآه أطلق عليه النار سريعا من مسدس وضع عليه كاتما للصوت ، والمسدس من نوع كولت عيار ٣٨ مم ولاذ بالفرار سريعا فمسافة القتل كانت قريبة .. صرخ فريج صراخا حادا ووقع على ظهره وقفاه ، وأخذ يتلوى ويصيح فجاءت الزوجة وهي مذهولة مصدومة وسمعته يقول "قتلني المجرم ..قتلني اللعين" .. وهذا الكلام يدل على معرفة بينهما سواء كان القاتل رجلا أم امرأة ولم يذكر اسما معينا كما تقول أو أنها لم تفهم عليه ؛ لأنها أخذت بالصياح وهو كان يلفظ أنفاسه الأخيرة.

قال عزيز : هل تشك فيها ؟

قال النقيب: لم يشعر أحد من سكان العمارة ، ولا حتى بواب العمارة بدخول رجل غريب .. وهؤلاء

كما تعلم ـ سيدي ـ غارقون في مثل هذا الوقت بالنوم أو ساهرون مع المحطات الفضائية والقاتل القادم للقتل يتسلل تسللا وبخفة.

فقال عزيز : أو أحدهم يعرف شيئا وليس عنده الشجاعة ليدلي به الآن.

ـ ممكن .. ولكن صدمة المرأة كانت كبيرة .. ولقد كنت مع كبار الضابط عندما ذهبنا لمعاينة الحادثة فشاهدتها وتألمت جدا لمرآها .. ولم نجد عندهم مسدسا من نفس عيار الرصاص الذي قتل فيه فريج ، فهذان الأمران يرفعان الشبهة عنها في الوقت الحالي.

ـ إذن وجدتم في البيت مسدسا ؟

ـ نعم .. مسدس للسيد فريج وجدناه في جيب جاكيت البدلة ، وهو مسدس مرخص ويحمله دائما.

ـ كيف كانت علاقة فريج بسكان الشقق الأخرى ؟

أجاب النقيب زايد : ظهر لنا أن علاقته بجيرانه باردة جدا لا معاشرة لا اختلاط .. وهو يسكن الشقة منذ شهور قليلة.. ونحن ما زلنا نتحرى عن السكان فردا فردا.

وسكت الضابطان بضعة دقائق ثم عادا للحوار فقال عزيز : أنت ترى أن للحادثة علاقة بالجريمة السابقة ؟

ـ نعم ، أرى ذلك رغم اختلاف الرصاصات القاتلة في الجريمتين ؛ ولكنّ القاتل محترف وجريء ، ويدل على ذلك أنه في الجريمتين لم يترك أثرا مهما يدل عليه .. وهذه الجريمة لم يظهر لها دافع واضح ، فهذا يشير على أنها مرتبطة بسبب الجريمة السابقة .. والجريمة الأولى كان الرائد حردان مسؤول عن متابعتها.

فقال عزيز : أريد كل ملفات القضية الأولى.. والضابط حردان شخصيا.

ونهض وهو يقول : أنا في انتظاركم في مكتبي .. علينا أن نتعاون أيها الأصدقاء ..لا تتأخرا عليّ

ـ أمرك سيدي المقدم.

وما كاد عزيز يستريح في مكتبه الذي خصص له في إدارة الشرطة الكبرى ويرشف فنجان القهوة حتى أدركه الضابطان سلموا على بعضهم البعض ، أخذ عزيز ملف القضية السابقة" ملف مصرع مدير مصرف الرعاية" لينظر فيه ، وقد طلب لهما من عامل الخدمة ما يرغبان شربه ولما انتهيا من شربهما كان عزيز قد قلب الأوراق الموجودة في الملف الخاص بجريمة مصرع المدير لمصرف الرعاية فقال عزيز : سيدي حردان ما انطباعاتك عن تلك الجريمة ؟

ـ يا حضرة المقدم .. تلك الجريمة لم تكن عشوائية أو بنت ساعتها، تلك الجريمة مدبرة ومخطط لها

بشكل جيد ..وتبين لنا أن القاتل كان من خارج القاعة المجتمع القوم فيها ..فالصالة أو القاعة أو قل غرفة الاجتماع أو مسرح الجريمة .. كان فيها سبعة أشخاص .. وهم معتادون على هذا الاجتماع وحريصون عليه باستمرار .. وهذا اجتماع شهري خاص يعقده المدير منذ سنوات في قصره أو فيلته في الأيام الأخيرة من كل شهر، ويكون قبل منتصف الليل بساعة .. في الحادية عشرة ليلا .. يلتقي المدير بمساعديه الكبار ساعة من الزمان .. وعند الثانية عشرة من شاء أن ينصرف انصرف ، ومن أراد السهر ظل ، ثم تدور عليهم كؤوس الخمور والفواكه والحلوى .. هذا غالب ما يحدث في اجتماعهم في بيت المدير .. وفي ليلة الجريمة .. حضر هذا الاجتماع كما قلت سابقا سبعة أشخاص قد يكون لأحدهم يد أو مشاركة في قتل المدير لأسباب مجهولة لدينا ولكن من المؤكد أن منفذ عملية القتل كان من الخارج لوجود آثار خفيفة لحذاء ، وأيضا كانت النافذة التي تلي ظهر القتيل مفتوحة .. وعملية الفتح للنافذة لا شك أنها تمت من الداخل .. والقاتل محترف للرماية ، واستخدم مسدسا مركبا عليه كاتم صوت ، كما في الجريمة الثانية .. وكان الشك يحوم حول السيد فريج؛ لكن لا أدلة كافية تثبت ذلك ؛ لأنه كان بجوار عمه ، وكان من الممكن أن تصيبه الرصاصات القاتلة .. وبعد مقتله أصابتني حيرة .. هل كان هو المقصود في المرة الأولى ؟ وأخطأه القاتل .. ولكن القاتل المحترف في الرماية من الصعب أن يخطئ هدفه ورمايته .. رصاصة في الرأس من الخلف والأخريتان من الظهر حيث القلب .. وأماكن الإصابة تقريبا هي نفسها التي أصابت فريج ولكن من الأمام .. وإذا كان القاتل محترفا كما يبدو لنا هل يمكن أن يخطئ في تحديد ضحيته وهدفه ؟ ولماذا أخطأ في المرة الأولى ؟! .. وقد أجرينا تحرياتنا عن كل شخص حضر تلك الجلسة .. ومن تخلف عنها كالآنسة منيرة يوسف سكرتيرة المدير .. والسيدة ماريا خليل موظفة في الإدارة ومن أقارب المدير.. وقد علمنا أنه كانت مشاكل بين المدير وابن أخيه فريج ومازن وحتى ماريا ، بينهم مشاكل ؛ ولكنها وحدها لا تدفعهم للقتل العمد ؟

فقال عزيز : عمال وخدم القصر ؟

فقال حردان : البواب رجل عجوز ضعيف السمع ، والخادم آسيوي ومعه زوجته وهم أشخاص بسطاء ، وليس بينهم وبين مخدومهم أي مشاكل.

ـ أين الزوجة ؟

فقال حردان : زوجة السيد مرعي امرأة أجنبية أمريكية ، وهي مسافرة من قبل مصرعه بأشهر ثلاثة .. ولا يوجد بينهما أولاد .. تعرف عليها أثناء

وجوده في أمريكا وتزوجا ، وهو رجل لا ينجب ، وتأكدنا من سفرها وعدم عودتها للبلاد ولو سرا.

ـ أشكركم .. حقيقة بين أيدينا معلومات كثيرة ومهمة ؛ ولكننا بالتأكيد بحاجة للمزيد من التحريات البوليسية .. وسوف نتعاون في حل غموض هذه القضية وسأقرأ أقوال الشهود في الجريمتين ، وأنت يا أخ زايد رتب لنا لقاء مع الزوجة سارة رملي أرملة فريج صبري.

ـ سأفعل يا سيدي ونحن أخذنا أقوالها .. فهل تظن أنها ستزيد عليها ؟ .. لقد انهارت أمام مقتل زوجها وأدخلت المستشفى .. على كل سأرتب لقاء معها إذا غادرت المشفى.

وقال عزيز : وأيضا أريد تحريات عن نزلاء العمارة كلهم ؛ لـعل أحدهم لمح القاتل وسوف نخرجه من خوفه ليحدثنا بما رأى .. ويلزمنا تقرير عن علاقة الزوجين سارة وفريج .. فمطلوب منا أن نصل للمجرم بأقصر وأسرع وقت لتتوقف الصحافة من غمزنا والاستهزاء من قدراتنا ، وكما تعلمون المدير العام مهتم بالموضوع شخصيا وكذلك الوزير ، وقد يكون هناك مستويات عليا تنتظر نتائج بحثنا فليقم رجالكم بالمطلوب منهم سريعا.

٤

كانت سارة زوج فريج قد غادرت المستشفى بعد معالجتها من الصدمة التي ألمت بها على أثر مقتل زوجها أمام شقتهم وعلى مسمع منها، وانتقلت بعد خروجها من المستشفى إلى بيت والدها حيث أولادها ، وقد اتصلت الشرطة بها وأبلغتها عن رغبة الضابط المحقق في قضية زوجها الحديث معها في هذا الموضوع ، فرغم الحالة النفسية التي أصابتها والتوتر والخوف وافقت ، فلما قرع جرس الباب ذلك المساء أدخلت الأم الضابط ورفيقه إلى صالة الضيوف وبعد دقائق أقبلت سارة وهي تلبس ملابس الحداد السوداء ، واستأذنت الأم بالخروج فقام الضابطان بالتعزية وذكر الألفاظ المناسبة لهذا المقام ثم قال عزيز : أنت تعرفين يا سيدتي .. أن زوجك مات في ظروف خاصة .. ولابد لنا من الكشف عن الجاني .. المجرم اللئيم الغادر فأرجو أن تعذرينا ولابد من القيام بواجبنا ونصل للمجرم .. لتهدأ نفسك وأنفس الأولاد والمجتمع كذلك ..فعلينا أن نتعاون لمعرفة خصمك وقاتل زوجك.. فأرجوك أن تتعاوني معنا بشكل جيد لتحقيق هذه الأهداف وبسرعة ..وعلى رأسها تقديم المجرم إلى العدالة لينال جزاء ما اقترفت يداه.

أحضرت الأم الشاي للضيوف وسكبته في الأكواب ثم خرجت ، وكانت سارة ترد على الضابط : أنا أقدر واجبكم .. وأنا تحت أمركم ..

ولكني رويت ما جرى لزميلك ـ وأشارت بيدها نحو زايد ـ هذا.

فقال زايد : أجل سمعنا منك صفة وقوع الجريمة ..ولكن لم تحدثينا عن أعداء زوجك ، ومن له مصلحة في القضاء عليه .. وعن أصدقاء زوجك .. فنحن نريد معلومات تساعدنا وتقربنا من المجرم.

فقال عزيز وهو يشرب من الشاي : سوف نسمع منك أجوبة عن بعض الأسئلة .. نأمل أن تساعدنا في تحقيق هدفنا جميعا وهو القبض على الفاعل الآثم.

ولما انتهى عزيز من شرب الشاي عاد للحديث فقال : سيدة سارة .. هل تتهمين أو تشكين في شخص ما له غاية في التخلص من السيد فريج ؟

قالت بثقة : لا أشك أو أتهم أحدا .. والحق أنني لا أعرف عن حياة زوجي الخاصة شيئا كثيرا إلا أنه كانت بينه وبين عمه المرحوم مرعي قبل وفاته عدة مشاكل بسبب قروض للمصرف علينا.

بعدما نظر الضابط في وجه المرأة لحظات قال : اسمحي لي بهذا السؤال .. فأشارت برأسها أن نعم فقال : كيف تزوجت السيد فريج ؟ .. آسف لهذا السؤال ولكن قد يفيدنا يا سيدتي في البحث والتحري.

فردت بسرعة : لا حرج عليك ، وأنا يهمني معرفة المجرم أكثر منك ـ ومسحت دموعا ترقرقت في عيونها ـ وقالت : يا سيدي أنا كنت عاملة في مصرف الرعاية .. ولما التحق فريج بالمصرف بعد عودته من أمريكا تعارفنا بسبب العمل ، وبعد سنوات تزوجنا ، ولما ولدت ابني الأول معروفا تركت العمل للتفرغ لرعايته .. ولي عشر سنوات لا أعمل في البنك .. هكذا تزوجت من فريج.

ـ شكرا لك .. أين كنتم تسكنون قبل السكن في الشقة الأخيرة ؟ .. فقد علمنا أنكم تعيشون فيها من وقت يسير.

ـ نعم .. لقد كنا نسكن مع أسرة زوجي .. في قصر أو فيلا السيدة حماتي .. فللمرحوم حماي قصر كبير .. فكنا نسكن في جناح منه ؛ ولكن بعد مقتل السيد مرعي سعد الدين كثرت المشاجرات بين حماتي وزوجي .. فاستأجرنا الشقة في تلك العمارة التي قتل على بابها زوجي المحترم وذلك كان من أشهر ثلاثة فقط . ومسحت من جديد دمعات متساقطات على خديها

ـ سيدتي المحترمة .. أصدقاء زوجك كيف كانت علاقته معهم ؟

ـ صدق يا سيدي .. أن زوجي ـ رحمه الله ـ لم يكن يأتي البيت بصديق من أصدقائه ، فلم يكن يزرنا منهم أحد ، فكل لقاءاته معهم تكون خارج البيت .. وهذا ليس فقط في شقتنا المشؤومة بل ونحن

نسكن قصر عمي لم أره يستقبل صديقا ..كان أكثر وقته في العمل ، وعندما يعود مساء يأكل وينام ساعة أو ساعة ونصف ، ثم يغادر للسهر مع أصدقائه في المقاهي والنوادي كما يقول لنا .. أحيانا نزور أهلي وإخوتي وأخواتي المتزوجين أو أخواته المتزوجات .. وهو وحيد أمه ..وإذا زارنا هؤلاء الناس فمن النادر أن يصدفوه في البيت.

ـ إذن أصدقائه خارج البيت.. ألا تذكرين اسما منهم؟ هل يتأخر في السهر معهم ؟

ـ للأسف لا يعود قبل منتصف الليل وأحيانا قبيل الفجر .. الحق أيها الضابط أن زوجي مولع بالشراب .. الخمر .. تعلق بها أثناء وجوده بأمريكا .. وكذلك أسرة عمي أهل زوجي يتعاطونها من غير حرج .. آسف لقول ذلك.

ـ فاعلمي أن التقرير الطبي أفاد أنه كان ليلة الجريمة شاربا لها.. متى عاد تلك الليلة يا ترى ؟

ـ قبل أن أجيبك على هذا السؤال اعلم أنني الآن لا أذكر اسم صديق له ، وإن سمعت بعض الأسماء يرددها على الهاتف .. نعم عماد نعم نعمان .. فليس بالضرورة أن يكون هؤلاء أصدقاء ربما كانوا عملاء أو أصحاب محلات يتعاملون معه.

ـ شكرا لك سيدتي ..متى عاد ليلتها ؟

قالت : المحير ليلتها أنه فعلا جاء البيت مبكرا ، إنني أذكر ذلك جيدا حوالي العاشرة والنصف ليلا أتى ـ ولم أكن نائمة بعد ـ وجلسنا في الصالة نتفرج على التلفزيون صامتين .. كان فريج قليل الكلام معنا .. وأثناء ذلك استيقظ أحد الأولاد فذهبت إليه أتفقده ، ولما عدت كان فريج يضع سماعة الهاتف فنظرت إليه فرد " تكلمت مع أمي وهي ترغب بلقائنا قريبا " وطلب كوبا من الشاي .. ثم جلسنا نتابع التلفزيون ، وعند نصف الليل تركته لأنام مع أني قضيت تلك الساعات معه بين النائمة واليقظة .. ولم يلبث بعدي إلا دقائق فإذا هو في الغرفة ، كانت حالته في الحق قلقة ؛ ولكنه لم يكلمني عن ذلك ، وبدوري لم أسأله يا سيدي .. نمت وكلما أصحا من النوم المتقطع على حركاته أجده جالسا ؛ كأنه يفكر في شيء يشغله ، فأعود للنوم ثانية إلى أن ارتفع رنين الجرس فصحوت ؛ ولكني لم أقم من الفراش ، أما هو فعندما سمع الجرس تحرك نحو الباب .. وأنا حقا لم أتعب نفسي بالتساؤل عن من يطرق الباب في مثل هذا الوقت من الليل؟.. ولكني قبل أن أغفى ثانية سمعت فجأة الصراخ فقمت مرعوبة ولما وصلت باب الشقة كان الباب مفتوحا وفريج على الأرض مطروحا والدماء تنزف منه وهو يقول بثقل "قتلني المجرم.. قتلني اللعين" فأخذت بالصراخ ، ففزع عليّ الجيران الساهرين على الفضائيات والباقي تعرفونه .. انهيار عصبي

ونـقلوني إلى المستشفى.

فقال الضابط عزيز وهو يقف : أتعبناك معنا .. فندعو لك بالشفاء الكامل من هذه الصدمة والحقيقة أنك أعطيتينا معلومات ممتازة .. وإذا تذكرت سيدتي أمرا مهما فاتصلي بنا على هذا الرقم ـ ودفع لها بطاقة خاصة عليها أرقام هواتفه ـ ثم تابع قائلا : أرجو أن نصل للقاتل بسرعة حتى تسكن النفوس وتعود لهدوئها.

ومشت معهم حيث باب البيت وهنا قال عزيز : نحن نرى يا أم معروف أن هناك علاقة قوية بين مقتل زوجك ومصرع عمه مرعي سعد الدين .. هل ترين من الممكن أن يكون هو المقصود في الجريمة الأولى ؛ ولكن القاتل أخطأه فأصابت الرصاصات عمه؟.

ظهرت المفاجأة على وجهها ولكنها قالت : لا أدري !

ـ ألم يتكلم معك المرحوم عن شيء من ذلك ؟.

هزت رأسها بالنفي ثم قالت بصراحة : فاعلم يا سيدي الضابط أن علاقتنا الزوجية في السنوات الأخيرة لم تكن دافئة أصابها كثير من البرود والفتور.

فقال عزيز وهو يحدق النظر في صاحبه زايد : أحقا ؟!

٥

كان الأخوان أحمد وعماد ينتظران رجال الشرطة في منزل الأسرة فما رن جرس الباب حتى هب أحمد مسرعا لفتح الباب ونظر إلى الساعة فكانت قريبة من العاشرة والنصف ، واستقبل الضيفين وساقهما إلى غرفة الاستقبال وبعد تعارف سريع بين عزيز وزايد وبينهما ، بدأ الحديث حول الجريمة الأخيرة فقال المقدم : هذه الجريمة لها علاقة بالجريمة السابقة .. فمن أجل هذا أحببنا الالتقاء بكم أيها الكرام ، هل كان فريج صديقا لكم خارج إطار العمل ؟

فتلاقت عيون الأخوين ثم أجاب أحمد قائلا : لم نكن أصدقاء نحن زملاء عمل فحسب .. ليس بيننا جلسات عائلية .. ولم نسهر معا إلا في جلسات اجتماع المدير ، والسهرة التي تتبع ذلك الاجتماع الخاص .. وأحيانا ننصرف قبل تلك الحفلة.. أما غير ذلك فمن النادر جدا جدا إلا إذا تصادفنا في نادي أو حفلة زواج أو أي احتفال لأحد الزملاء.

كان رجل الأمن عزيز يسمع كلام أحمد وهو يتابع وينـقل بصره بين الاثنين ، فلما سكت أحمد قال عزيز : أخ عماد هل تؤيد كلام أخيك ؟.. أكيد أنك لم تصحبه في رحلة في سهرة خاصة .. ألم تكن بينكم علاقات خارج نطاق العمل كما يقول أخوك ؟

تململ عماد قليلا وبدأ عليه بعض الارتباك من أسئلة الضابط ثم قال : كنا زملاء عمل فقط ولكني سافرت معه مرة واحدة إلى أوروبا .. رحلة عمل كانت في الأصل ، وذلك إن لم أنس منذ أكثر من خمس سنوات يا سيدي.

فقال عزيز : نافذة الصالة التي كنتم تجلسون فيها ليلة مصرع السيد مرعي في ذلك الاجتماع الأخير .. من فتحها ؟ وهل رأيتم أحدا يقترب منها ؟

فقال أحمد قبل عماد : تقصد النافذة التي أطلق منها النار ؟

رد عزيز : نعم ، يا سيد أحمد هل تذكر تلك الليلة ؟ .. لابد أنكما تذكرانها ؛ فإنها ليلة لا تنسى بسهولة ..هل كان المدعوون يجلسون حول الطاولة أثناء إطلاق النار من تلك النافذة ؟

تمهل أحمد قبل الإجابة ولزم عماد الصمت منتظرا إجابة أخيه وسمعه يقول وهو يـفكر :

كانت الساعة تقترب من الثانية عشرة ليلا ، ونحن على وشك فض الاجتماع .. وهذا الاجتماع التقليدي لأهم أعضاء المصرف في فيلا المدير يبدأ قبل منتصف الليل بساعة واحدة ويستمر ساعة واحدة فقط .. ثم تتبعه سهرة لمن شاء .. والحق سيدي الضابط أنني لم ألحظ أحدا ترك مقعده خلال الجلسة ، فالمدير لا يحب ذلك ؛ ولكن وصل يومها ابن أخيه متأخرا عن بداية الاجتماع حوالي عشر دقائق ، فأنبه عمه فورا ، وعدنا ننظر في الأوراق التي بين أيدينا .. كانت أثناء وجودنا في الغرفة نسمة باردة .. ولكن لم يخطر على بالنا أن هناك نافذة مشقوقة أو مفتوحة لأن الستائر السميكة تخفي ذلك .. وكنت أظن أن البرودة تأتي مع الخادم كلما فتح الباب وخرج بين الحين والآخر أقصد باب قاعة الاجتماع .. ولا أدري يا سيدي كنت تلك الليلة منقبضا ومتوترا ، وقد حاولت النكوص عن ذلك اللقاء.. ولكن أخي عماد بين لي أن التخلف عن هذه الجلسة فيه إساءة للمدير ولنا .. لقد كان مديرنا ذلك النهار متوترا وكأنه متشاجر مع أحد الناس..

فقطع عماد استرسال أخيه قائلا : يبدو أنه تشاجر مع السيد مازن فريد .. أو مع فريج .. وقد تخلفت عن حضور الاجتماع الأخير يا سيدي المقدم منيرة يوسف سكرتيرة المدير .

فقال عزيز : علمنا أنها اعتذرت للمدير عن جلسة تلك الليلة لمرض والدها ، وتأكدنا فعلا من مرض والدها وأنه أدخل المستشفى ، وكانت معه حتى وقت متأخر من الليل ..القاتل المنفذ أي الأداة في هذه الجريمة من الخارج ، ولابد له من مساعدة داخلية فله شركاء .. وأيضا لم تحضر اجتماعكم ذلك ماريا خليل .. وبينت لرجال التحقيق أنها غير مواظبة على حضور تلك الاجتماعات ..

وتقول عندما يصدف وتحضر جلسة تنصرف قبل سهرة الخمر والسكر .

فقال عماد المتوتر قليلا: هل تظن يا سيدي المقدم أن هناك علاقة بين الجريمتين؟

ابتسم عزيز وقال : ستظهر الحقيقة قريبا .. أليس كذلك نقيب زايد ؟

فهز النقيب زايد رأسه مؤكدا هذا المعنى وتابع عزيز حديثه : ولكن تعاونكم الجدي معنا يعجل الأمر .. سؤال مهم أيضا فهل تعتقدان بعد مقتل فريج أنه كان المقصود في الجريمة الأولى وأخطأه المجرم ؟.

فقال أحمد بكل صراحة ووضوح: كنت أرى وأظن أن للسيد فريج يدا في مقتل عمه، أما بعد مصرعه بعده بشهور قليلة فقد احترت .. وأنا ذكرت هذه الهواجس في التحقيق الأول ، ولم يكن لدي دليل معين .. لقد كانت الأمور في الأشهر الأخيرة قبل موت المدير متوترة فوق العادة بين المدير وأقربائه في البنك .. فوقع في فكري أن فريجا أراد التخلص من عمه طمعا في وراثته للخلاص من ديونه.. كان ذلك إحساس فقط ؛ ولكن بعد موته مقتول فأقول الحمد لله إنه كان إحساس .. لعله فعلا هو المقصود في المرة السابقة فلم تصبه طلقات المجرم .. أنا حائر لا أدري شيئا ولا أعرف شيئا !

فقال عزيز بعد صمت أحمد : أستاذ أحمد أنت متزوج من امرأة أجنبية .. ألم يكن زميلك فريج المتعلم في أمريكا يسهر معها ؟.. خصوصا بعدما سمحت لها بالسفر مع أخيك عماد وزوجته التي كانت خطيبة يومذاك إلى أوروبا ؟!

تكهرب الجو بـعد هذه المعلومات الخاصة واحمر وجه أحمد وحدق بالضابط برهة وقال بعد تفكير عميق : نعم أذنت لزوجتي الأجنبية " فلورا " بصحبتهم في تلك الرحلة .. هم رغبوا بالاستفادة من قدرتها على لغة قومها وبـعض اللغات الأوروبية.

فقال عزيز مجادلا : ولكن فريجا رفيقهم بالرحلة تعلم في أمريكا، وعاش فيها فترة لا بأس بها وهو يتقن اللغة الأمريكية ولا أظنه يحتاج لمترجم.

فرفع أحمد من صوته قائلا : ماذا تريد وإلى ماذا تريد أن تصل يا سيدي الضابط ؟؟

قال الضابط : أريد أن أصل إلى أن بينك وبين فريج علاقة أكبر مما وضحت لنا سابقا .. ولماذا لا تمتد سهرات الاجتماع الشهري إلى سهرات أخرى ما دامت الزوجة كانت على علاقة جيدة مع زميلك في البنك ؟ .. أكيد لم تكن زوجة فريج تسهر معكم.

فرد أحمد لا شعوريا : امرأة مـعقدة . وكأنه أدرك أنه تعجل في الرد فقال : أو مريضة نفسيا.

فقال عزيز : هل سبب هجرك لزوجتك هذه السهرات أم لعودتها إلى بريطانيا ؟ نحن نريد الحقيقة كل الحقيقة لترتاح أنت وغيرك واعلم أن هذه الأسرار وغيرها لا يعلمها إلا نحن والمصدر الذي ذكرها لنا .. سيد أحمد .. صدق أنني لا أرى لحتى الآن لك مصلحة تدفعك للقتل.

فصاح أحمد قائلا : نعم .. لقد خانتني اللعينة مع السيد فريج .. فمن أجل ذلك تركتها تعود لبلادها .. فهؤلاء الأجانب لا شرف عندهم .. وكنت أنا وفريجا أصدقاء ولكن ذلك قبل سنوات وقبل اكتشافي لعلاقته الآثمة مع ممن تسمى زوجتي.

كان عماد يحدق النظر في وجه أخيه وهو يسمع هذا الاعتراف الجديد على مسامعه ، وهو زنا امرأة أخيه الأجنبية مع فريج ، فكان مصعوقا مما يسمع

فقال عزيز : رائع هذا الاعتراف !.. لقد كنتم أصدقاء أنا أريد أن أعرف الأماكن التي كان يتردد عليها أيام صداقتكما .. أسماء النوادي الليلية .. الخمارات .. دور الدعارة .. المقاهي أسماء أصدقائكم في مثل هذه الأماكن.

ذكر أحمد الأماكن التي كان يتردد عليها أيام مجونه ورفقته لفريج ، ولما انتهى من اعترافه المهم والمفيد التفت الضابط المحقق نحو عماد قائلا : ألديك شيء تحب أن تبوح به ؟ صدقوا أيها الأعزاء إن كل شيء يصل إلينا يساعدنا في مثل هذه الجرائم .. كلمة .. ورقة .. اسم .. ملاحظة .. تصرف غريب.

فقال عماد : فريج شخص فاسد .. وهو مقامر .. وقد ورطني في هذه الألعاب .. وعندما سافرنا أوروبا كان أكثر الوقت يمضيه على موائد القمار أو ما يسمى بالموائد الخضر .. بل له أصدقاء هناك

فقال عزيز : وهنا!

عماد : وهنا .. وهو يتردد على نادي" فورمون " للعب القمار .. ومرات على ملهى "شوهو " للميسر.. وأنا تعلقت بالميسر وهو الذي علمني ذلك ؛ ولكن ظروفي وأحوالي المادية لم تكن تساعدني على الاستمرار معه دائما.

فقال عزيز : والسبب زوجتك .. تتشاجر معك كثيرا من أجل ذلك .. أليس كذلك ؟!

تنهد عماد تنهدا عميقا وقال : أرى أنكم تحريتم عنا هذه المرة جيدا .. فأخي أحمد لا يعرف أن سبب مشاكلي مع زوجتي القمار .. فالأسرة تظن أن سبب ذلك عدم الإنجاب..

فأكد عزيز قائلا : أكدت لنا السبب القمار وليس الإنجاب

فاعترف عماد قائلا : إنها الوحيدة التي تعرف أنني مولع بالقمار .. لأنني اضطررت مرة أن أقامر بعقد لها.

فكان أحمد يضحك وقال ضاحكا : لا يا بطل ..

أنا أعلم أنك مقامر صغير أحمق .. أنت مقامر غبي، فصاحبك فريج أخبر كثيرا من الزملاء، وأنا على رأسهم أنك مقامر، وبين لي أن له في ذمتك خمسة آلاف من الدنانير.

٦

عندما خرج رجلا الشرطة من منزل أسرة زكي ، وجلس المقدم على مقعد القيادة وأمسك بمقودها بعد أن أشعل شرارة الانطلاق قال لرفيقه ومساعده في التحقيق بهذه القضية : هذا الذي سمعناه الليلة يؤكد الترابط بين الجريمتين.

فقال زايد : كثير من المعلومات التي سمعناها اليوم لم تكن موجودة في ملف القضية الأولى.

اشتغل الماتور وانطلقت السيارة نحو هدفها وقال عزيز : كان التركيز في التحقيق السابق على السيد فريج المقتول.. ولم تكن زوجة السيد عماد غاضبة على زوجها عندما قتل مرعي المدير .. والناس لا يتكلمون كثيرا في مثل هذه الجرائم ، الكل عنده خوف وهمي من القاتل .. أو الشعور الوهمي أيضا "أنا لا أريد أن أضر أحدا " فتجدهم سلبيين مع التحقيق ، فعلى رجل الشرطة سحب ألسنتهم وجرجتـهم بالكلام ويأخذ منهم ما يخشونه ، وأحيانا عليه أن يشعرهم بأنهم متورطون بصمتهم القاتل .. وهكذا تخرجهم من صمتهم وخوفهم .. فانظر غضب الزوجة دفعها لتمدنا بمعلومات خاصة عن زوجها وأخيه .. ومعروف لدينا أن القاتل المنفذ لم يكن من الحاضرين الجلسة .. وبالتأكيد أن له شركاء شخص أو أكثر ، ومع ذلك ممكن أن يكون دافعه للجريمة من غير الجلساء ، ولكن الأرجح من الداخل .. شخص فتح الشباك سرا .. ولكن القاتل كيف حدد هدفه ؟! هذا ما يحيرني الآن ؟ أي كيف أصاب المدير دون غيره ؟! الإصابة كانت من الخلف بمعنى آخر أنه لم ير وجه الضحية ! .. وعدم اهتمام المحققين السابقين في الحياة الشخصية لهؤلاء الأشخاص ؛ لأنه لم يظهر الدافع الأساسي للجريمة .. المال .. الوارث للسيد المدير فريج صبري ابن أخيه وهناك الزوجة الأمريكية .. فريج كان مع الجلساء فكيف يوجه له اتهام بدون القبض على شريكه؟ أين دليل الإدانة؟ .. ولكن بعد الجريمة الثانية تغير مجرى التحقيق.. المتهم أو قل المشبوه قتل .. هل هو المقصود في المرة السابقة ؟ .. فقد كان يجلس بجوار عمه .. هل العم أراد التخلص من ابن أخيه لسبب ما فأخطأ القاتل ؟ فهو الذي يمكنه فتح النافذة قبل الاجتماع .. السيد فريج بعد مقتل عمه لم يرث شيئا ، ولم يعين مديرا عاما للمصرف .. بل زادت مشاكله وطردته أمه من بيت العائلة .. وزوجته ذكرت أنه لم يكن مهددا بقتل في يوم ما ، بل كان في نظرها ونظر أم

زوجها أن له يدا في موت عمه .. فمهمتك الآن يا سيادة النقيب اختراق الملاهي ونوادي القمار التي كان يتردد عليها المذكور لنتعرف على أصدقائه وخصومه في تلك البؤر الفاسدة.

فقال زايد : وهذان الأخوان ألا دور لهما في هذه الجرائم؟

قال عزيز : فالسيد عماد لا أرى أنه يقتل للخلاص من دين .. فالدين لا يسقط عنه بالقتل .. فهو مدين للبنك ببعض المال ومدان للسيد فريج وموت فريج لا يسقط عنه الدين سيدفعه ويسدده للورثة ، ولابد أن فريجا لديه وثائق تثبت هذه الدين .. فالآن علينا القيام بزيارة للأستاذ فارس عبد الحميد رئيس دائرة المحاسبة والموازنة فلابد أنه بانتظارنا رغم تأخرنا الكبير عليه.

فقال زايد : وأحمد هل هو بريء أيضا ؟

فرد المقدم : أظن ذلك الآن .. فهما حضرا الجلسة الأخيرة .. واستئجار قاتل يحتاج إلى شجاعة وجرأة فلا أرى أن أحمد يستطيع ذلك .. فاستئجار قاتل يحتاج لمال كثير .. ومعناه كذلك الحياة تحت تهديد دائم.

فقال زايد : معك حق ، وحكاية المسدسات التي وهبها مرعي سعد الدين لبعض موظفيه .. لماذا ؟؟

ـ هذا لغز أيضا .. ولكننا سنجد له حلا سريعا .. فالقاتل في الجريمة الأولى ليس من هؤلاء ، أما المدبر فالراجح أحدهم ، وأما في الأخرى فاحتمال أن يكون منهم ممكن ؛ ولكن القاتل في المرتين محترف في الرماية .. متدرب جيدا .. رصاصة في القلب وأخرى في الرأس .. وقول سارة" قتلني المجرم .. قتلني اللعين " يدل على أن فريجا يعرف قاتله جيدا.

كان السيد فارس في انتظارهم رغم تأخر الوقت وهو متوتر وقلق من هذا اللقاء وبعد ترحيب بارد قال المقدم : نحن آسفون لإزعاجنا لكم يا سيد فارس.. وإنما نفعل ذلك ليعود لكم الصفاء والهدوء..

فتمتم فارس : أرجو ذلك .. فأعصابنا متعبة جدا مما أصاب البنك وهذه الأسرة المحطمة.

فقال المقدم : الجريمة هذه لها صلة بالجريمة الأولى .. ونحن نعلم أن الشبهات كانت تحوم على السيد فريج ؛ لأنه هو صاحب المصلحة الأولى من مقتل عمه .. ولكنه لم يعترف بالقتل ولا يوجد دليل ضده .. وكلكم تعلمون أن المجرم قتله من خارج القاعة ، وكل شخص منكم ممكن أن يكون له علاقة بالقاتل الفاعل منفذ الجريمة الغادرة .. ومقتل فريج أكد أن هناك قاتلا يحسن الرماية بل رامٍ ماهر ؛ ولكن من يسير هذا القاتل ؟ فهذا ما نريد أن نصل إليه .. القاتل هو اليد .. فنحن نريد الوصول للعقل المدبر .. لديّ سؤالان أولهما وضع

البنك المالي الآن وعندما قتل المدير السابق .. والثاني لماذا أهداكم المدير المسدسات ؟

تنهد المحاسب تنهدا عميقا وقال : وضع البنك المالي حاليا صعب .. وقبل وفاة المدير كان الوضع على الأوراق لا بأس به .. فقد تبين لنا أن كل الأموال التي كنا نحولها للخارج قد اختفت .. كل استثمارات البنك الخارجية قد سحبت وأغلقت أكثر تلك الحسابات .. ولا أحد يدري أين تحولت ولما حولت ؟

فقال المقدم بقلق : سيدي .. كيف هذا ؟؟!

- نعم ، قلت كيف ؟! .. كل مال لا يمكن استثماره هنا في البلد .. كنا نحوله لبعض البنوك الكبيرة في أوروبا .. أو بمعنى آخر نستثمره هناك خارج القطر لنستفيد من أرباحه بدلا من تجميده هنا .. وهذا المال لا أحد يستطيع التصرف فيه سوى المدير الكبير للمصرف .. فكان مديرنا كل فترة من الزمن شهرين أو شهر ونصف على الأقل يغادرنا إلى هناك لمراجعة مصرف أو مصرفين من أجل حساباتنا عندهم فيقوم بإيداع أو سحب من الأرصدة .. وأحيانا يسافر وحده أو برفقة ماريا خليل موظفة مهمة في قسم الودائع .. والحق أنها من أقاربه يا سيدي وبعد عودتها يقدمان تقريرا سريا للإدارة العليا .. ولكن بعد موت المدير وانتهاء فترة التحقيقات البوليسية ذهب المدير المؤقت خالد نصري وأنا برفقته لترتيب الأمور المالية مع تلك البنوك وإخطارهم بموت المدير السابق .. تبين لنا أن الأرصدة مسحوبة وأن الأموال قد سحبها المدير مرعي ونقلها لبنوك أخرى مجهولة.. فلا نعلم أين وضعها؟ .. ولما سألنا السيدة ماريا عن تقاريرها ردت قائلة بأنها كانت تكتب ما يملأ عليها من قبل السيد المدير ويـقدم لها الأوراق والمستندات اللازمة.. وأنها كانت تقضي رحلتها في الفندق والنزهات ولم تدخل مصرفا مع المدير .. والسيد مازن ابن أخت المدير .. لا علم عنده بذلك بل تفاجأ بالأمر.. وكذلك السيد فريج؛ بل صدم عندما اكتشف أن عمه المقتول لا يملك باسمه دينارا واحدا في أوروبا أو أمريكا ؛ إنما هي بضعة آلاف وعقارات هنا ، فهو قد كان يعتقد أن عمه من أصحاب الملايين .. فوضع البنك بعد فقد هذه الأموال صعب .. فأكثر من عشرة ملايين من الدولارات في الخارج قد فقدت ..

فقال المقدم ببطء : غريب .. وما الإجراءات التي اتخذتموها على المدير؟

قال فارس : قدمت الدائرة القانونية ملفا مهما للبنك الرئيسي المركزي وملفا آخر موضوعا أمام المدعي العام .. وعلى أثر ذلك أمر بالتحفظ على أموال المدير وأملاكه حتى يتبين لنا أين اختفت

تلك الملايين ؟ .. فهناك يجري تحقيق سري للكشف عنها .. وظهر لهم أن أرصدته في الخارج كلها فارغة .. صفر .. وهذه معلومات يا سيدي كما تعلم غير قابلة للنشر من أجل
ذلك لم توزع تركة مرعي الموجودة هنا على ورثته
وبعد تفكير وصمت قال عزيز : من يرثه غير ابن أخيه وزوجته ؟

فقال فارس : الزوجة لا ترث لأنها على ملة غير ملته .. زوجته أمريكية كما تعلمون ولم تدخل الإسلام .. فهي لا ترث في قانون الميراث ؛ ولكن هناك وصية لدى المدير القانوني للمصرف ، فقد كتب لها مائة ألف دولار ومنزلا في ضاحية الأحلام ..وكتب أو أوصى بمبلغ لبواب فيلته بألف وخمسمائة دينار ، وهناك مبلغ للخادمين الآسيويين اللذين يخدمونه في القصر ، وألف دينار لسائقه جبري نعيم عند موته .. وقد أوصى بمبلغ خمسة آلاف دينار لجمعية خيرية ، وكان قد أوصى لابن أخته مازن ثم ألغاه ..والوارث الشرعي الوحيد له ابن أخيه فريج ، ولكنه لم يرث بعد ، وقد لا تنفذ الوصية إذا لم تظهر أموال البنك المختفية .. فالحقيقة أرى أن الجريمة تعقدت بعد مقتل فريج .. فلماذا قتل ؟؟

فقال عزيز : وسؤالنا الثاني .. المسدسات ؟؟

فارس أجاب : الغريب أن المصرف كان يمر بفترة توتر وشد أعصاب قبل موت المدير .. فكان المدير كثير الغضب .. واجتماعات مستمرة .. فشجار مع صبري .. وثاني مع مازن .. الوضع النفسي لمديرنا قبل الحادث بأشهر كان مقلقا لماذا لا ندري ؟! فهو مدير للمصرف منذ ثلاثين سنة .. أما المسدسات فقد أهداها أو اشتراها للموظفين الذين يلتقي بهم في بيته لحماية أنفسهم وحماية الأوراق التي معهم من اللصوص ، فذات مرة من سنوات تعرض الأستاذ خالد نصري لعصابة من اللصوص وهو منصرف من الاجتماع الشهري عند المدير وكادوا أن يسطوا على الأوراق التي معه، وهي مهمة بالنسبة للمصرف ؛ ولكن الله سلم فعلى أثرها اشترى هذه المسدسات وطلب من كل واحد منا أن يرخصها لدى مكتب ترخيص الأسلحة النارية والحرص على إحضارها معه عند الاجتماع .. فيكون الاجتماع عادة ساعة من الزمن ويتبعه ساعات من اللهو والسهر .. فهذا سبب حملنا للمسدسات والأكثر منا يتركها في السيارة لا يدخل بها القاعة.

فقال عزيز : المجموعة التي حضرت الاجتماع كلها تملك مسدسات ما عدا السيد عماد زكي ؟

فرد فارس : فالأخ عماد ضم لهذا المجلس منذ سنة واحدة تقريبا .. وكان ذلك بضغط من فريج وفي العادة يأتي مع أخيه ؛ فكأن سيادة المدير رأى أنه لا

يلزمه ذلك .. وعن نفسي كثيرا ما كنت أنساه في المنزل .. ولا أذكر أني أطلقت منه طلقة منذ رخصته.

عندئذ نهض الضابطان وقال عزيز وهو يصافح فارس : شكرا لك يا سيد فارس .. فمعلوماتك ثمينة وإلى لقاء آخر .

ـ أنا رهن إشارتكم .. مع ألف سلامة.

وقال لنفسه وهم يبتعدون : ولكن السيد عماد يملك مسدسا .



٧

وفي أثناء عودة الضابطين لمكتبهما في دائرة الأمن الكبرى قال عزيز لصاحبه : الأمور فيها نوع من التعقيد أيها الصديق .. إفلاس البنك .. أو قل إفلاس البنك في أوروبا .. لم يذكر في التحقيق السابق فهل يا ترى ليس له دخل في مصرع المدير ؟ هذه الأموال أين أخفاها المدير ؟ لمن حولها ؟ .. المسدسات كذلك لم يجر التحقيق بشأنها في السابق لماذا ؟!

فقال زايد : إنها مذكورة في التحقيق السابق .. عندما قتل المدير وجدنا مع بعض الجالسين أسلحتهم الشخصية .. وكان فريج يحمل مسدسا وكان ناقصا طلقتين مما أدهشنا أثناء التحقيق .. وفارس هذا الذي كان يتحدث معنا قبل قليل لم يكن معه مسدسه أثناء الجلسة ، ولم يكن في السيارة وجدناه فعلا في بيته .. والأستاذ خالد كان يحمل مسدسه ؛ ولكنه لم يستعمله ولو مرة واحدة ، والمدير نفسه مع أنه في بيته أو قصره كان يضع المسدس في درج الطاولة التي يجلس خلفها أقصد طاولة الاجتماع .. أما مازن وأحمد فلم يكونا يحملان مسدسيهما .. وبما أن الجريمة قد ثبت من تحاليل المعمل الجنائي أنها من الخارج فما كان هناك داع لمتابعة قضية هذه المسدسات والقانون يخول لكل شخص بالغ حمل سلاح مرخص ..فأعتقد أن الرائد حردان لم يكترث للأداة التي ارتكب بها المجرم جريمته .. وتقرير الأطباء الجنائيين أو الشرعيين بين أسباب وصفة الوفاة .. ونوع الطلقات القاتلة التي أدت للقتل وهي طلقات من نفس عيار المسدسات المضبوطة مع الموجودين.

قال عزيز : هذا كلام صحيح .. ولكن لم يذكر التحقيق أن هذه المسدسات كانت هدية من المدير .. هذا قصدي أيها الأخ العزيز غدا ـ إن شاء الله ـ سنزور المرأتين منيرة وماريا ، ولنا لقاء مع المدير الجديد خالد نصري .. ثم نأخذ مازن فريد إلى الفيلا إلى قاعة الجريمة فجهز لنا تصريح دخول

القصر.

ـ أمرك يا سيدي المقدم .

وقضى المقدم ساعة من الزمن في مكتبه وقام ببعض الاتصالات الهاتفية ، ثم أغلق المكتب

وعاد لبيته قبل الفجر بساعة ، وكان يقول لنفسه قبل النوم : " من المستفيد من قتل فريج ؟ فهو لم يرث شيئا عن عمه ليقتل من أجل المال .. وهو المستفيد الأفضل من موت عمه .. ولكن هناك الزوجة مستفيدة مبلغا مهما أيضا ..مائة ألف وفيلا .. وواقع الحال لا يدل على أن سارة هي القاتلة .. هل لها شريك .. أو عشيق ؟ .. ممكن ! حاول العشيق قتله في منزل عمه وفشل ..فهي تعلم بأيام الاجتماع من زوجها وتعرف الفيلا .. ولقد كانت موظفة في نفس المصرف ؛ ولكنها زوجة ولها أولاد .. هل فعل ذلك عشيقها من دون علمها ؟ .. هل يوجد عشيق فعلا ؟ .. إنها إنسانة طيبة .. جاءت طلقات القاتل بالمدير خطأ ؛ ثم أعاد الكرة فنجح هل تفعل ذلك تلك المرأة ؟ علمت أو لم تعلم ؟ هي المستفيدة الوحيدة من مقتل فريج لو ورث ..لابد من القيام بالمزيد من التحريات عنها .. ثم عاد يهمس : ولكن من هو هذا العاشق السفاح ؟ هذا إذا كان موجودا ..ماذا سترث عن فريج غير الديون ؟.. فلقد حزن فريج لاختفاء أموال عمه .. وعاد يقول : سارة امرأة وديعة ..صادقة .. هل كانت تمثل عليّ ؟!.. لا يبدو عليها الذكاء والفطنة لتخطط لمثل هاتين الجريمتين .. القاتل اللعين رام ماهر طلقة في الرأس وأخرى في الصدر هذا فعل رجل قناص متمرن .. والقاتل معروف لفريج .. أم أن سارة كاذبة في هذه العبارة التي نطق بها الرجل قبل الموت لتضليل الشرطة .. الجريمة الأول ، فأقوال الشهود وحتى أقوال فريج غير الواعية ترشد على أن له يدا في القتل ؛ ولكن لا يوجد بين أيدينا دليل قطعي .. إذن له شريك من هو هذا الشريك ؟ .. ثم غدر به هذا الشريك .. فعماد زكي جبان وكان موجودا في القاعة ليلة مقتل المدير .. وأخوه لا غيرة عنده فهو ابن أوروبا .. وفارس لماذا ترك مسدسه في البيت ليلة مصرع مديره ؟ ..عليّ معرفة أوضاعهم المالية .. قد يكون عليه ديون للمدير ليناموا عن أفعاله في أوروبا ..قد تكون هناك مصالح خفية بعد .. أين أخفى مرعي أموال البنك ؟ ولماذا السفر إلى أوروبا كل شهرين ؟ فوسائل الاتصال متقدمة ومتطورة .. إني على وشك الوصول للحقيقة .. عندما أسمع أقوال السكرتيرة منيرة يوسف قد نعرف أشياء جديدة ومهمة .. ماريا ما دورها في اختفاء أموال العم مرعي .. ولماذا كانت تسافر معه ؟ ملايين تضيع بسهولة .. إنه المدير!!

روايات قلب الوطن

الحلقة الثانية والأخيرة

هو أنت لاجيء



أحد المهاجرين

قال أحد المهاجرين واللاجئين : "بقينا نعيش حياة آمنة حتى العام ١٩٣٦، وعلمت بأن والدي ثائر ، ويجتمع مع الثوار في مغاور وأمكنة سرية حتى قبيل عمله في سلك البوليس ، في العام ١٩٣٦ بدأ الثوار يتقاتلون مع الإنكليز ، قرب صفد كجبل الجرمق ، وكان الثائر عبدالله الأصبح يتزعم الثورة في صفد ، وكذلك عبدالله الشاعر الذي كان معروفاً في ثورة عز الدين القسام. وتابع فقال : كما أذكر في هذه المرحلة ٤٨ ، أنه جاء إلى صفد ساري بك جميعان من الأردن من قبل الأمير عبدالله ممثلاً لـ"جيش الإنقاذ" ليتسلم موقع صفد قبل خروج الجيش البريطاني ، وبعد عشرة أيام سقطت صفد بيد منظمة الهاغانا".

" لم يكن السلاح في أيدي جميع الفلسطينيين، فعمد تجار فلسطينيون إلى شراء بنادق نصف أوتوماتيكية "برن" ورشاشات "ستن" من الزعيم سلطان الأطرش في سورية، وكان يصل سعر البندقية إلى مئة ليرة فلسطينية لذا كانت حكراً على المقتدر ، كان والدي يملك بندقية وكذلك عمه وابن عمه ، كان يهود الهاغانا يتجولون في الجبال الوعرة ليلاً، لم يكن يتعاطى معهم أحد ، كان لباسهم عادياً ومن طيبة قلوب الناس، لم يكن أحد يعتقد بأنهم سيرتكبون فظائع ومذابح في فلسطين، بقينا في صفد ،وتركناها إسوة بغيرها بعد مجزرة عين زيتون وصفصاف العام ٤٨، حيث اختار اليهود أربعين شاباً من خيرة شباب صفد ، وقتلوهم ذبحاً عند طلوع الشمس، وهو توقيت معظم مذابحهم "

قال المهاجر : "دفعت المجزرة العائلات في صفد إلى مغادرتها ، اعتقدنا بأننا سنغيب أياماً ونعود لذا تركنا كل شيء على حاله ، حملنا المال والذهب والأولاد والنساء وفراشاً على البغال، أقفلنا الباب ، واحتفظنا بمفتاحه وبحجج الأرض وشهادات الولادة ، توجهنا إلى "عين السمورة" في جبل الجرمق، بنينا فيها عرشاً خيمة من خروب وسنديان، وبقينا تسعة أشهر ، كنا نتسلل إلى بستاننا في وادي الليمون ، ونسرق منه الفواكه لأهلنا، أما حاجياتنا اليومية فكنا نشتريها من قرية "السموعية" التي يسكنها مسلمون ، ولم يكن

اليهود قد وصلوا إليها بعد ، وكانت خارج حدود التقسيم الأول لفلسطين الذي طال حدود طبريا في تلك المرحلة ، واجتاحها اليهود في ما بعد ، ثم حصلت معارك فاضطررنا إلى مغادرة عين السمورة " عانينا الكثير على مدى تسعة أشهر، ذل وبرد وشتاء ولا بيت يحمينا ، وتوجهت مع النساء إلى سعسع، لم نكن وحدنا، كنا نمضي في صف طويل وقبلنا آلاف الراحلين، إلى أن وصلنا إلى الحدود اللبنانية كما طلب والدي ودخلنا إلى قرية رميش في قضاء بنت جبيل، كانت المرة الأولى التي أزور فيها لبنان ، لحق بنا الأهل في ما بعد ، لكننا بدل العودة إلى صفد انتقلنا إلى الرشيدية حيث نصبنا الخيم ."

بعد إعلان التقسيم المشهور تحركت الأحداث سريعا ، الإنجليز يستعدون للانسحاب ، إسرائيل تستعد لإعلان الاستقلال بزعمهم والحرب ، والفلسطينيون تائهون وضائعون بين الوعود والعهود ، وبدا التهجير والتطهير ليقال أن فلسطين أرض بلا شعب وأن اليهود شعب بلا أرض .

بدأ الشتات الفلسطيني يزداد ، رحل أهل الجليل نحو الشمال ، والساحل نحو الضفة الغربية وغزة ، وبعضهم اجتاز نهر الأردن .

كان عامر في غاية الذهول والصدمة رغم وجوده ببيروت ، ومثله الكثير من الطلبة أبناء الأثرياء والتجار والعائلات الكبيرة ، كان الشاب في انتظار الأهل بدل العودة لصفد حيث مسقط رأسه ومثله معزول ، الذي كان يقول له بخوف وانزعاج : وماذا سأفعل بهذه المدعوة امرأتي .. سيفتضح الأمر أمام القريب والبعيد .

قال : هل أطلعت يعقوب على الأمر والأحداث ؟

قال بهز الرأس : قال ازعم لهم أنك أحببتها وتزوجتها .. لقد تورطت ! فكيف سأتخلى عن الزفت الذي ستلده قريبا سوف تجن أمي وحتى أبي ؟!

قال عامر : فعلا إنها ورطة ! والطلاق لا يحل المشكلة.. سيبقى الولد باسمك أمام القانون .. وموظف السفارة اللعين والده الحقيقي ما موقفه ؟!

قال معزول : تقول فاتن إنها لا تدري .. وهي لا تعرف اسمه الحقيقي ومهمته في السفارة ..

إنها زبون عنده .. وإنه يدفع كما أن يعقوب يدفع عني .. وأنت ماذا ستفعل مع نهى ؟

قال مفكرا : نهى بالنسبة لي كغيرها من مومسات بيروت .. سأتركها كما تركت غيرها عندما تصل أم جابر والأهل ، فهم في الطريق كما فهمت من خالي .. وقد أنشئ لهم مخيم بجانب البرج .

يقع مخيم برج البراجنة في الضواحي الجنوبية لبيروت على بعد نحو كيلومترين من مطار بيروت الدولي ، وتحيط به أحياء الرمل العالي وحارة حريك وبعجور وعين السكّة، ويبعد نحو ٩١ كيلومتراً عن فلسطين.

تأسس المخيم سنة ١٩٤٨ من خلال عصبة جمعيات الصليب الأحمر بغية إيواء اللاجئين الفلسطينيين الذين أُخرجوا من بلداتهم وقراهم في الجليل في شمال فلسطين، وتسلمت وكالة الأمم المتحدة لإغاثة وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين في الشرق الأدنى (الأونروا) أمور المخيم سنة ١٩٥٠، كانت مساحة المخيم عند إنشائه نحو كيلومتر مربع واحد ، لكن مع زيادة عدد السكان وتمدد المساكن إلى خارج المخيم، صارت مساحته تقدر حالياً بنحو كيلومترين مربعين.

كانت علاقات تجارية ربطت بين تجار بلدة برج البراجنة وبلدة ترشيحا في الجليل وصفد ، فهاجروا تجاههم "كانت أول خيمة تنصب في المخيم خيمة حسن الخليلي، ثم تبعته حوالي سبع خيم، قبل أن يصل العدد بعد أشهر إلى ثلاثين خيمة."

إذ وصل اللاجئون إلى المخيم في مجموعات متتالية، وأقاموا مساكنهم وفقاً للانتماء القروي ، وحرصت كل قرية على ضم عائلاتها في مساكن متجاورة حتى بدا المخيم وكأنه مجموعة من القرى الفلسطينية الصغيرة ، وبالتالي ظهرت أحياء وحارات سميت بأسماء القرى الفلسطينية التي جاءت منها العائلات ، وهذا شائع في كثير من مخيمات الشتات .

وتتوزع المساكن في المخيم تبعاً لأسبقية الهجرة من فلسطين، فقد سكن أهالي ترشيحا وهم كثر فيه وهم أول الوافدين في خط يمتد من شمالي المخيم حتى جنوبه بمحاذاة الشارع العام الذي يفصل المخيم عن منطقة برج البراجنة ، وتلاهم أهالي الكابري وكويكات والشيخ داود والقرى الأخرى وذلك في فترات زمنية متقاربة ، ولم يقتصر التضامن على السكن، بل شمل العلاقات الاجتماعية، وكل مجالات الحياة الأخرى الموروثة من فلسطين، والتي حملها السكان معهم إلى المخيم، ومن ضمنها العادات والتقاليد والانقسامات السياسية والنـزاعات الحزبية والتناقضات الاجتماعية.

ويذكر الحاج علي وقد ألف كتابا عن المخيم " أن من أبرز حارات مخيم برج البراجنة: العاملية مستشفى حيفا ؛ جيش التحرير؛ جورة التراشحة؛ الكفاح المسلح ؛ الهيدوس؛ الصاعقة ؛ الوزان؛ كويكات، وغيرها من الحارات ،

وللمخيم عدد كبير من المداخل، أبرزها: جواد زين الدين ، التعاونية، العاملية ، المشنوق، الصاعقة، أبو فيصل، الكفاح المسلح"

وقال الحاج علي : في العام ١٩٥٤ دخلت الكهرباء للمرة الأولى خيام اللاجئين الفلسطينيين في مخيم برج البراجنة .

عدد الذين اضطروا للمغادرة إلى لبنان بعد نكبة فلسطين تراوح بين ١٠٠ و١٣٠ ألف لاجئ ، قدم معظمهم قبل إعلان قيام دولة إسرائيل ، وجاء ٦٠٪ منهم من منطقة الجليل ، و ٢٨٪ من حيفا و١١٪ من مناطق يافا واللد والرملة ، وأقلية بلغت **١،٤٣%** من القدس وجوارها، انتشر المهاجرون في مخيمات أنشئت في لبنان وسوريا وغزة والأردن.

وزحف السيد حمدان وعائلته نحو بيروت وبرج البراجنة ؛ والسبب أن أصهاره من بلدة ترشيحا التابعة لعكا في الجليل ، وهي غرب صفد ، وتبعد عنها ما يقارب العشرين كيلو متر ، وأن أصهاره أخوال أولاده من تلك القرية ، وقد سبقوهم في الرحيل والخروج لتلك المدينة ، وإلى ذلك المخيم ، واستقبل عامر الأسرة الجريحة والأقارب بحزن عميق وتعاطف وألم ، وتفاجأ بولادة زوجته أثناء الطريق والزحف وبوفاة الطفلة التي كانت في رحمها ، فحزن على فقدها كما يحزن الآباء ؛ ولكن مأساة الرحيل والتشرد لم تدع له مجالا للحزن الكثير ، وقد قيل اذا عم البلاء خف ، وكانت زوجته تعاني من حمى النفاس والوهن ، فقبل نهاية العام ٤٨ كانت تفارق الحياة ودفنت في إحدى مقابر بيروت .

وقبل أن تنتهي السنة الثالثة في الكلية تزوج من فتاته نهى خالد أمام دهشة أقاربه ؛ ولكنهم تقبلوا الأمر على مضض ، وهو لم يحدثهم بالطبع عن علاقته الخاصة بها ، وانضوى هو ومعزول في حركة القوميين العرب التي ظهرت في بيروت وخاصة الجامعة الأمريكية بعد النكبة ، وكان من أهم شعاراتها استيعاب الصدمة الفلسطينية ، والدعوة إلى الوحدة القومية العربية .



الحرب الأهلية

أصيب معروف سعد زعيم تنظيم ناصري بإطلاق النار عليه أثناء مشاركته في مظاهرة لصيادي السمك في ٢٦ شباط ١٩٧٥ توفي متأثرا بجراحه في ٦ آذار ١٩٧٥ ، بقيت ملابسات الحادث غير واضحة ، وقد شكلت وفاته أحد أبرز العوامل

التي ساهمت في شحن الجو والتهيئة لاندلاع الحرب الأهلية اللبنانية.

لقد قام مجهولون بمحاولة اغتيال بيار الجميل رئيس حزب الكتائب في ١٣ آذار ٧٥ ، نجا الجميّل من المحاولة ، ولقى أربعة مصرعهم ، منهم اثنان من الحراس الشخصيين له ، ردت ميليشيات حزب الكتائب على محاولة الاغتيال بالتعرض لحافلة كانت تقل أعضاء من الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ـ القيادة العامة (جماعة احمد جبريل الضابط الفلسطيني السوري) إلى مخيم تل الزعتر مروراً بمنطقة عين الرمانة ، أدى الكمين الذي نصبه مقاتلو حزب الكتائب إلى مقتل ٢٧ فلسطينياً ، سميت الحادثة بحادثة البوسطة والتي كانت بمثابة الشرارة لبدء القتال في كل أنحاء البلاد ، بانتشار الخبر سرعان ما اندلعت الاشتباكات بين الميليشيات الفلسطينية والكتائبية في أنحاء المدينة.

عثر في ٦ ديسمبر ١٩٧٥على أربعة جثامين لأعضاء من حزب الكتائب ، فقامت الميليشيات المسيحية بوضع نقاط تفتيش في منطقة مرفأ بيروت ، وقتلت المئات من الفلسطينيين واللبنانيين المسلمين بناء على بطاقات الهوية (التي كانت آنذاك تدون مذهب حاملها) فيما عرف لاحقاً بالسبت الأسود ، أدت عمليات القتل لاندلاع الاشتباكات على نطاق واسع بين المليشيات ، فانقسمت بيروت ولبنان معها، إلى منطقتين عرفتا بالمنطقة الشرقية وأغلبها مسيحيون، والمنطقة الغربية التي كانت مختلطة مع أكثرية إسلامية ، كانت بيروت الشرقية محاطة بمخيمات الفلسطينيين المحصنة مثل منطقة الكرنتينا ومخيم تل الزعتر ، قامت الميليشيات المسيحية في 18 يناير 1976 باقتحام منطقة الكرنتينا ذات الأغلبية المسلمة والواقعة تحت سيطرة منظمة التحرير الفلسطينية والتي كان يسكنها أكراد وسوريون وفلسطينيون ، قتلت الميليشيات المسيحية ١٥٠٠ من سكان المنطقة ، ردت الميليشيات الفلسطينية بعدها بيومين باقتحام بلدة الدامور المسيحية، وقتل المئات من السكان المسيحيين هرب الآلاف من السكان بحراً حيث كانت الطرق مقطوعة ، كما تم في هذا اليوم تهجير بلدة دير جنين في قضاء عكار التي وقع فيها عدد من القتلى والجرحى .

جاءت رسالة قصيرة لنهى خالد ، تخبرها ابنتها بأنها تزوجت داني معزول ، ولا يهمها رأي ورفض عائلتها ، وتطلب منهم نسيانها وعدم البحث عنها ، لما قرأ عامر الرسالة لزم الصمت بضع دقائق ثم اتصل بجابر في مكتبه وأخبره برسالة نورا ، فحضر المحامي جابر وقرأ الرسالة فقال له أبوه :

أرأيت تزوجت رغما عنا ؟

قال جابر بسخط : سوف تعلم من نحن ؟ دعني أتصرف .

قال : فكر جيدا! .. وتذكر أننا اليوم في حالة حرب يا جابر .

قال بسخط : هم أيضا استغلوا استمرار العنف والصراع الدموي وتزوجوا .

قال أبوه : حياتك أهم كم تعلم من حياتها يا جابر !

غادر جابر بيت والده وعاد لمكتبه ، وحدث شريكته زوجته ووالدها بزواج أخته من الطبيب داني معزول دون قَبول من الأسرة ، ثم اتصل بمكتب يعقوب ، ولما سمعه قال : ألم أقل لك يا يعقوب أن هذه الزواج لا يناسبنا ؟

رد يعقوب : أنا لا دخل لي .. أنا في البداية رأيته مناسبا للصداقة التي جمعتني بأبيك وزوجته وأم داني .

قال جابر: هل تم الزواج ؟

قال يعقوب : سمعت أنه تم بناء على رغبة أختك ، وأنها أصرت على الزواج قبل انتهاء الجامعة .. فقد ملت حياة العشيقة .

قال : حسنا يا سيد ! أريد لقاء داني .

قال : ماذا تريد منه ؟ وأنا لا أستطيع ذكر عنوانها لك.. قابلها في الجامعة

قال جابر: لا أرغب برؤيتها .. أرغب بذكر كلمتين لداني .

قال : أنا أنقلهما له .

قال جابر: متشككا : لا أظنك تستطيع .. فأنت جبان وضعيف وقواد .

قطع الاتصال ، كانت الجامعة مغلقة بسبب أحداث بيروت العنيفة والاشتباكات التي تحدث بين الأطراف المتنازعة في لبنان ، ذات نهار اتصل داني بالمكتب ، ولما أعطي الخط لجابر قال داني : اخبرني يعقوب برغبتك بالحديث معي .

قال جابر: صحيح أنكما تزوجتما !

قال : هي أصرت على الزواج ، وليس لدي مجال للرفض .. ولا أدري لماذا ترفضون زواجنا ؟!

قال جابر: أنا أرغب باللقاء بك لأبين لك سبب رفضنا يا داني .. أين تحب أن نلتقي ؟

قال داني : في نادي **"فلور بلو"**

قال جابر: جيد الورد الأزرق ! .. الساعة التاسعة ليلا

قال : أنا في انتظارك

ذهب جابر لنادي الورد الأزرق ، وكان داني في انتظاره ومعه رفيق ، فسلم جابر وقال : أهذا حارس ؟

قال : زميل في المهنة يا جابر .. تفضل بالجلوس ماذا تشرب ؟

قال جابر : لا رغبة لي بالشراب .. قهوة لا بأس بها حضرت الطلبات والصمت يخيم على المكان، ونفثات لفالف الدخان ترتفع فوق الهامات فقال جابر : أتحب أن أتكلم أمام رفيقك وحارسك ؟

قال الرفيق : سأجلس قريبا منكم .

وجلس على مائدة قريبة يراقبها ، فقال داني : آ .. لماذا ترفضون زواجنا ؟

قال جابر : أنت تعتقد يا داني أن أباك مقتول .

قال دهشة : أبي!! وما دخل أبي في زواجنا ؟!.. لا أعرف بالضبط مقتول محبوس حي ميت !

قال بحدة : اعلم أن ما تعتقد أنه أبوك ليس ميتا ولا مختفيا إنه حي يرزق يعيش في فلسطين .

قال داني متشككا : يعيش في فلسطين لماذا ؟

قال جابر : لأنه ليس هو أباك ؟

قال مترددا : ومن أبي ؟!

قال بدون شفقة وخجل : أنت ابن زنا يا داني ! غير معروف الأب .. قبل أن تغضب اسأل أمك فاتن وزوجها يعقوب .

قال : والأوراق ؟

قال جابر: القصة عند أمك ويعقوب .. ومن أجل هذا كنا لا نرغب بزواجك من نورا ..أنت والدك موظف أحد السفارات ؛ لعل يعقوب يعرفه ، فهو القواد والعاهر يا داني ؟

قال : أنا أعرف أبي !

قال : أبوك في الورق ، أما أبوك الحقيقي فأمك لا تعرفه .

قال : وأما أنت فتعرفه !

ـ أنا لا أعرفه يا داني ! لكنني أعلم أن أم زوجتك كانت وأمك عشيقتان له .. يعقوب الذي يعرفه فحسب ؛ ولكن أمك تعلم أن معزولا ليس أباك .. فمن أجل هذا كنا لا نحب لك الزواج من العاهرة نورا .. إلى اللقاء .

لما اختفى جسد جابر اقترب رفيق داني ، وكان داني صافنا بما سمع وذاهلا مما كشف له عن والده وهو يقول : وأبي البطل الشهيد أو الأسير أين هو حقا ؟! ابن الشهيد .

ظهرت نورا أيضا بعد انصراف جابر وقالت : ماذا قال لك اللعين ؟

قال وهو يعود للواقع : قال لي لماذا يرفضونني كزوج لك ؟

قالت : لماذا ؟

قال بهدوء : لأنني ابن زنا ، لا أعرف أبي !

صاحت ذاهلة : ابن زنا !! ولا تعرف أباك ؟

قال : هذا ما قاله المجرم بكل ثقة وطمأنينة .. عليّ بالحديث مع يعقوب قبل تفصيل الحديث إليكما .

وتركها وخرج من النادي يبحث عن يعقوب ، اتصل ببيت أمه فأخبرته بأن يعقوب خارج البيت ، ذهب إليه في ناديه الليلي ، ولما التقيا قال : يعقوب

التقيت بجابر وقال لي كلاما خطيرا يا يعقوب !

ـ ماذا قال لك الشيطان ؟

قال : قال إنهم يرفضونني ؛ لأنني ابن زنا لا أعرف أبي ؟

قال بعد صمت : تعال اجلس يا داني .. أهو قال لك ذلك ؟ أتحدثت مع أمك في ذلك ؟

قال : قلت أسمع منك أولا .

قال : أتحب أن تسمع الحقيقة ؟ نعم ، معزول ليس أباك ؛ إنما قَبل أن يكون أباك أمام القانون .. ولما هرب من لبنان تزوجت أنا أمك مرغما .

قال : ومن أبي إذن !

قال يعقوب : أمك يا داني كانت فتاة ليل ؛ كما أم زوجتك زوجة والد جابر .. وأنت تعلم مهنتي الحقيقية .. ولما علمت بحملها كان عليّ بالبحث عن زوج لها أمام القانون ؛ فكان الطالب معزولا ولما انتهى من الجامعة ، وحدثت النكبة رجع لفلسطين ؛ فكان علينا أن نعلن عن موته من أجلك يا داني .. وكانت أم نورا مثل أمك وأحبها عامر ، ولما ماتت زوجته أم جابر تزوجها . قال : من أبي ؟

قال يعقوب : موظف أحد السفارات كما قال لي ، ولا أعرف أي سفارة ! أنا كنت أوفر له ولغيره بنات الهوى وشقق الدعارة مقابل المال .

قال : أمي لا تعرفه .

قال يعقوب : بالتأكيد لا تعرفه ؛ وربما لم يحدث الحمل منه يا داني ! لكننا زعمنا ذلك من أجل أن يتكفل برعايتك .. فأمك لم تكن له وحده يا داني .. كان الرجل من ضمن زبائنها ، فمنهم معزول والسيد عامر وغيرهم والرجل خشية الفضيحة قبل أن يصدق أنه العشيق الوحيد لها .

قال : إذن أنا مجهول الأب يا يعقوب !

قال يعقوب بكل بساطة : عليك أن تتقبل ذلك يا داني !

قال : عليّ أن أقبل ذلك ! ونورا

قال يعقوب : ستقبل ما دامت قد رضيت بك زوجا .. وفي الأوراق الرسمية سيبقى الأستاذ معزول والدك .

قال : كابوس رهيب يا يعقوب !

قال يعقوب : دعك من الأخلاق والشرف والابن الشرعي كلنا أولاد آدم .

قال متقبلا ومتهكما : أهناك الكثير مثلي عندك يا يعقوب ؟!

قال يعقوب : كان على أمك ما دامت تعمل في الدعارة ألا تحمل بك !

قال : ولكنها حملت بي وجعلتم لي أبا .. وبما أنك تعلم الحقائق لماذا سمحت لي بحب نورا ؟!

قال يعقوب مفسرا : هو هذا السبب الذي دفعني إلى دفعك إلى الزواج منها ، فهم أي أسرتها يعرفون

قصة أمك خاصة عامر ونهى وسيتقبلون الأمر ، وتعيش حياتك بسلام ، وتكفلت بدراستها من أجلك أنت ، هي بنت صديقة أمك وسيكتمون الحقيقة حتى ينجح الزواج، لم أكن اعلم أن جابرا يعرف هذه الحقائق من أبيه ، فلو تزوجت من أسرة غيرها وعرفوا هذا السر فسيحدث الطلاق.. هذه كانت وجهة نظري .

قال : ولكنهم رفضوني وكشفوا لي السر!

قال : ما كنت أظنهم يفعلون ذلك .. وما كنت أظن أن جابرا عارف بهذه الأمور .. وأن يجرؤ والده بالحديث عنها .. لكن يبدو أن حادثة اغتياله أو قتله خربطت دماغه .

قال داني متمنيا : أرجو ألا تؤثر هذه القصة على عملي يا عم يعقوب !

قال : لست الوحيد في بيروت مجهول الأب .. اهتم بعملك وحياتك ، وانسى جابرا وأباه .

قال : وهل ينسى الإنسان ذلك يا عم يعقوب ؟

الأم تتحدث

اتصل داني بزوجته نورا وبعد التحية قال : كلام جاير اللعين في مكانه .. أنا ابن زنا لا أعرف من أبي .. لا ادري لماذا أنثى تعمل بغيا وتحمل ؟ لماذا يا نورا ؟

قالت نورا: داني حبيبي الأمر لا يهمني كثيرا .. وأنت لا دخل لك بفعل أمك ، وأنا بحبك وكنت أخذ الموانع ، ولو حملت منك قبل الزواج الرسمي إما أن اقبل الحمل أو أتخلص منه لست منزعجة بمن أبوك .. وها هي الحرب تأكل الأخضر واليابس.. انس واهتم بعملك .

قال : عجيبة برودة أعصابك يا نورا ! أنا في غاية الغم والضيق .. لماذا قبلت باستمرار الحبل وهي لا تعرف من والده ؟ !وضحك يعقوب على معزول وجعله أبا ، ونفذ الأب الحقيقي

قالت نورا: لا تنسى يا داني أنك أمك جاهلة مثل أمي .. كلتاهما قرويتان هاربتان من بلدتيهما خوفا على حياتهما ، وكن صغيرات ويحتجن للمال للعيش والحياة عندما جئن بيروت الصاخبة وعلى مثل هؤلاء الساذجات عيش يعقوب زوج أمك .. والعجيب أنه تزوج أمك وأبي تزوج نهى .

قال داني معللا : الحياة معهنّ سهلة يا نورا ! والتخلص منهنّ أسهل .

قالت نورا: إذن عش حياتك ولا تتطلع إلى الوراء يا حبيبي !

قال داني : الناس لما تعرف أني دكتور من غير أب .. ابن زنا .. كيف سأعيش بينهم ؟! نحن لسنا في باريس أو برلين .

قالت نورا: تتعب قلبك بدون نتيجة .. دعنا نعيش حياتنا

قال داني: سأذهب أتحدث مع أمي.

قالت نورا: ماذا ستفعل لك أمك ؟

قال داني: لماذا لم تلد من يعقوب ؟!

قالت نورا: كأنني سمعت نهى تقول لا يرغب بالذرية ويكره الذرية والأطفال .

قال داني: أريد أن أعرف فقط لماذا حملت بي ؟ ولم تحمل من القواد يعقوب ؟

قالت نورا: حسنا نلتقي في الشقة !

قال داني: احذري الحمل قبل إنهاء الكلية

قالت نورا: حريص اكثر منك.

لما جلس قبالة أمه في شقة يعقوب قالت : اتصل بي يعقوب ، وحدثني ما أعلمك به الشيطان جابر اللعين.

قال داني: هون عليّ إطالة الحوار .. لماذا غلطت وحملت يا سيدتي؟!

قالت فاتن بهدوء واستعداد : غلطة يا داني ! مللت من التنقل بين الرجال ومن شقة لأخرى كان موظفا في السفارة وسخيا معنا أنا وأم زوجتك ؛ فحسبته شخصية ذات مقام رفيع يخشى الفضيحة قلت لو حملت لعله يتزوجني ليحمل الابن اسمه.

قال داني: أنت رغبت بالحمل لترك الدعارة .

قالت : نعم ، هذا ما فكرت فيه تلك الأيام ، ولما حملت لزمت الصمت أول الشهور ، ثم اطلعت يعقوب على ذلك السر فجن هو الآخر وأخبرته بعد أربعة شهور حتى لا يحدث إجبار على قتلك ، تعبت من العمل ، ورفض الرجل الاعتراف بك كما قال يعقوب ، ولم نعد نذهب إليه أنا وأم زوجتك ، ورتب يعقوب لحل المشكلة زواجا صوريا من معزول ، وتحمل أن يكون والدك لحاجته للمال لإكمال الدراسة وإقامة علاقة معي بدون مقابل ؛ وليس لي إلا أن افعل ما يريده يعقوب ، وتزوجنا صوريا وتركت الحانات ودور البغاء وعشت مع معزول حتى أنهى الجامعة وعمل قليلا مع الوكالة ، ثم ذهب مصر وإلى غزة ، وأمام دموعي ودون أهل وطفل عمره سبع سنوات تزوجني يعقوب من أجلك خشي أن أتخلص منك وتحقيقات وأعود للحانات لتدبير المال .. هذه قصتي مع معزول .

كان داني يعلم أن والدته بدون أقارب منذ وعى لعدم زيارة أب أو أم أو أخ أو أخت ، وسمع من يعقوب أنها كانت هاربة من بلدتها إلى بيروت وتعمل في الحانات ، وشفق عليها وتزوجها من هذا الباب بعد اختفاء والده معزول وذهابه للقتال في غزة أثناء العدوان الثلاثي أو حرب السويس ، ويعلم كذلك عن زوجة عامر أم نورا ما يعلمه عن أمه ، وأن أقارب عامر لما علموا بزواجه بنت هوى قلّ اتصالهم به ، واصبحوا مجرد أقارب، فلم يكن الأمر مقبولا لدى العائلات المحافظة أن يتزوج احد منهم امرأة دور البغاء والمراقص ، وكلاهما

يعقوب أو عامر لا يهمهم رأي الأقارب كثيرا حتى أن والد عامر حمدان لما عرف حقيقة نهى وعملها كبغي كان يرفض أخذ أي مال من ولده رغم الفقر والبؤس ، واذا حضر الرجل وزوجته بعد الاستقبال يتعذر حمدان بتعبه ببيع الترمس والحلوى على عربة ، ويدخل غرفته متمددا ويترك زوجته أم حازم مع ابنها وكنته ، وكان يتعجب من زواج عامر من ساقطة وما الذي أوقعه في حبها وهيامه بها وأنه لم يجد في بيروت إلا إياها، ويلوم الغربة والانفتاح الغريب عن بلاد العرب الأخرى ، فيسمع الجواب أن الأمر في بيروت اكثر إشهارا من العواصم الأخرى ، فالكحول تباع وتقدم دون مواربة في اغلب الدول العربية والإسلامية وشوارع الإباحية دون حرج ، ولكن حرية التعبير مسموحة في بيروت اكثر من غيرها من بلدان العرب والإسلام .

فصمت داني أمام الحقيقة والواقع المر ، ويسأل : لماذا تركني أبي واستعر مني ؟ هل لأنني ابن غير شرعي ؟ ما هو الشرعي؟ كيف يتزوج موظف سفارة فتاة ملهى ؟! تعبت أمي من الزنا فظنت بهذه السذاجة سيقبل السفير أو مساعده بالرضا بالزواج منها.. يعقوب هذا من هو ؟ هل هو ابن زنا ؟ لكن له عم يتزاوران.. أبوه أمه أسرته .. يبدو أنه مهاجر ، لا يتكلم ويفصح عن وطنه الأول.. وكيف قبل معزول أن احمل اسمه ؟ هل النكبة أثرت عليه؟ أنا لا اعرفه جيدا ؛ إنما اعرف صوره مع أمي ، ولماذا اختفى ؟ وهل حقا تطوع لمحاربة اليهود ؟ أي مبادئ يحمل ؟ ليتني استطيع الجلوس مع والد نورا وأسمع منه ؛ ولكته بعد نجاته وهلاك أطفاله اعتزل الناس والعمل .

سأل : كيف تزوجت يعقوب ؟

قالت: لست ابن يعقوب .. السيد طيب وأشفق عليّ وعلى نهى ، والتقيت به أثناء عملي في حانة جانتي .. كنت ساقية نادلة آتية من الريف .. وكان يتردد عليها، وعرف قصتي وقصة نهى ، فأصبح مسؤولا عنا ، وتعرفت على السيد معزول في حانة جانتي ، ثم اصبح يمارس الجنس معي ومع نهى مقابل المال والليرات ، وكان عامر والد نورا متزوجا قبل المجيء للجامعة في بيروت وكثير من طلبة الجامعة أبناء أغنياء وميسورين ، ويفيض معهم الدخل فيترددون على الحانات للسكر ، ويتواعدون مع البنات ، أو يدخلون دور البغاء ؛ كما ترى هنا عمارة قريبة منا يوجد فيها فتيات من بلاد شتى للدعارة ، عامر احب نهى رغم أنه متزوج قبل مجيئه إلى هنا، أما معزول كان ابن احد التجار الصغار في وطنه كان اعزبا ، كان السيد يأخذنا إلى رجال كبراء ، ولا يسمح لنا بمعرفة وظائفهم في الجيش في السفارات من البلدان

الغربية ولا هم يتكلمون عن وظائفهم ، كانت بيروت سويسرا العرب مشرعة لكل سائح ، ثم ترك يعقوب نهى لعامر وغيره وعلم منها أن عامرا سيتزوجها ، وأن أهله هلكت من مشوار الهجرة ، وكانت حاملا وماتت بعد الولادة ، وقبلت نهى به ، وتعهدت بترك الزنا ، وهو لم يتخلى عن ذلك ؛ ولكن قلّ وجوده في الحانات، وقنع معزول بالزواج مني ليكمل الدراسة فقد عجز أهله عن تدريسه بسبب الكارثة والمأساة الفلسطينية ، وكان وضع الناس صعبا وفقدت العائلات المهاجرة الشباب والزوجات حتى سقطت بعض نسائهم لفقرهن وموت معليهن بما سقطنا به.. الحرب كارثة يا داني .. تخرج معزول وهو زوج لي وعمل مع الوكالة وهل تعلم أنه منذ تزوجنا لم يقربني كزوجة ؟ ولم يمنعني من العمل ؛ كما فعل صاحبه.. تطوع للقتال في حرب خليج السويس ولتحرير غزة ، وغادر لزمن لمصر وقد سمحت مصر للفلسطينيين بالعمل ضد إسرائيل في غزة، وانسحب اليهود منها كما تعلم بعد ضغط الدول الكبرى ، ولم يرجع معزول ؛ بل سمعنا أنه انتقل للضفة الغربية التابعة للأردن للعمل الفدائي وأمام هذا الواقع قبل يعقوب أن أكون زوجته ، وسكنت في هذه الشقة ، وعلاقتي مع نهى انتهت منذ تزوجها عامر ، وتضايق أهله من زواجه بغانية ، ولكنه تمسك بحبه وهواه ، وولدت خمسة ، هلك ثلاثة منهم في غارة على مدرسة وذلك في مطلع الستينيات ، وبقي عنده جابر اللعين من الأولى ونورا وآخر من صديقتي القديمة نهى ، وأحب يعقوب زواجك منها وتكفل بتعليمها الطب كما علمك .

قال داني :لماذا فعل ذلك ؟

قالت بعد دقيقة تفكير : أقول بصراحة ؛ لعله يشك بأنها من صلبه .

قال داني :جنون هذا ! وعامر يعلم بهذا الشك .

قالت : كان يعقوب يضاجعها قبل زواج عامر منها ، ومن أول سنة زواج ولدتها ، ربما يشك فكان يعقوب له سيطرة علينا ، ويستغلنا حتى رغم زواج عامر منها ، كان يضغط عليها كان هو الآخر يحبها قبل أن يتعرف عامر عليها ..كانت جميلة في صباها ؛ كأنها أوروبية .

قال داني :يا الهي! يا للنساء !!

*****

قالت نورا: ألهذا الحد أزعجك كلام جابر الحقود؟

قال داني بنوع من الحسرة : جابر حر وابن شرعي يا نورا ليس مثلي لقيط .

قالت نورا: هو بعيد عنا ، ولم يتربى في بيت والديّ ، هو عاش في المخيم بين جده وأعمامه ونساء أبيه

وخالاته وأخواله .. كان يأتينا كزائر وضيف خشية أن يتشاجر مع امرأة أبيه ، ولم يكن يتصور أن زوجة أبيه فتاة ليل في أول شبابها ؛ لكن فتاة وحيدة في مدينة كبيروت دون أهل وأقارب ومال ماذا ستفعل في مدينة معاصرة يا داني ؟!

قال داني :وأمي نفس المشكلة .. الماضي مؤلم يا نورا ؛ لعل الحب الذي جمعنا يزيل الهم والغم

قالت نورا: لنعيش لأنفسنا

قال داني : أمي ليس لها إلا أنا.. شيء محزن !

قالت نورا: ويعقوب!

قال داني : يعقوب مجرم .. قواد .. بترون كما يقال هنا.

قالت نورا: اشفق عليهنّ.

قال داني بحدة : استثمرهنّ في دعارته .. لا شفقة ولا حنان عند القواد.

قالت نورا لتغيير المأساة : ألا نريد أن تقف التفجيرات؟

قال داني :لا أعتقد انتهاء الصراع وأنه سيقف .. هذه قوات متنافرة وحاقدة .. والثارات لا تتوقف .. وهناك من يستغل ويؤجج هذه الطوائف والأحزاب الكثيرة والمتناقضة في الغايات والأهداف.. وأكثرها يعمل لجهات خارجية وأجندات دولية .. دخل السوريون لوقف الحرب وحماية الناس.. ثم وقفوا مع الموارنة ، ثم انقلبوا عليهم ، وباع الموارنة خاصة الكتائب أنفسهم لإسرائيل ؛ كما تتحدث التسريبات في الصحف العبرية والدولية.

****

قال يعقوب لداني ونورا: كنا حريصين يا داني ألا نطلعك على حياة وبؤس أمك قبل زواجي منها ، وحق هي لا تعلم من هو أبوك البيولوجي ، وأخطأت خطأ كبيرا بالسماح لنفسها بترك موانع الحمل يا نورا ! فليس من السهل أن يقبل زان بقبول امرأة وطفل في رحمها وهي تتنقل بين الرجال، فهو لا يقتنع ويصدق بأن هذا المولود منه ، فهي لديها أفكار خاطئة عن الخواجات، فكان معزول مستعدا لتحمل اسمه لحاجته للمال لإتمام الجامعة والسنوات الأخيرة ، فقد خرج أهله من فلسطين بلا مال ، وقد قتل والده وأخوه الأكبر أثناء الأحداث ومع الثوار ونتيجة الانفجارات من قبل يهود صفد ، وكان لوالده اتصالات بحركة الثوار فتمت تصفيته كما قيل ومن نجا من العائلة جاءوا بيروت عالة على الصليب الأحمر حدثني والدك بظروفه ، وقبل الأمر وتخرج قبل أبيك من جامعة بيروت، ثم تحمس للعمل مع الناصريين وأتباع ناصر في بيروت ، وقبلهم مع القوميين العرب وديع وجورج فذهب لغزة لطرد اليهود منها متحمسا كغيره من الشباب الحاقد والثائر ،

وهناك كما علمت من أبيك أصابته رصاصة أو شظية ونقل للعلاج للضفة الغربية التي ضمت للأردن سنة ٥٠ ، وتزوج وشارك الفدائيين في الأغوار ، والتقى بأبيك فيها ، وقبل أحداث أيلول في عمان تسلل وعاد لزوجته ، وكأنه يسكن في رام الله مخيم الأمعري أو الجلزون .. فهو لا يمت لك بصلة نسب ترك بيروت إلى مصر ، وقد طلق أمك رسميا قبل المغادرة لغزة .

وجد داني أن زوج أمه يملك ذاكرة قوية ، ورغم انخراطه في دور البغاء والغانيات يقرأ ويتابع السياسة وحكايات الناس ، وأنه لا يعلم من أبوه ، وأن أمه لا تعلم ذلك ؛ لأنها كانت تبيع جسدها لأي دافع .

وسافر إلى مصر وحيدا ، ثم اختفت أخباره عن نورا وأمه ويعقوب ، ولم يذكر لهم إلا أنه ذاهب إلى مصر في جولة سياحية وترفيهية وأنه غير قادر على الحياة في بيروت، وبعد شهور قضاها بين الحانات والفنادق سافر أوروبا عن طريق تركيا ، وكانت نورا تقول ليعقوب: لم يحتمل العيش معنا ، لم يتقبل فكرة أنه ابن غير شرعي لأب مجهول ، ومنذ سافر لمصر انقطعت أخباره عني يا يعقوب ! وعليك أن تتحمل نفقة الشقة حتى أتخرج ، ولن أنسى فضلك .

قال: لماذا لا تعودين لبيت عامر ؟!

قالت: منذ تزوجنا لم أرهم .. بأي وجه سأقابلهم ، وقد تشددوا ضد زواجي .. وعرفنا سبب التشدد والرفض بعد العقد الرسمي .

قال: ما كنت أظن هذا التشدد ! فهل ترين أن والدك يجزم بأنك من صلبه يا نورا ؟

قالت: هذا لا يهمني يا يعقوب ! تحملني مما تبقى من شهور للجامعة ، ولا أنسى حقا فضلك ومصروفك عليّ.

قال: كان عليّ فعل ذلك من أجل داني وفاتن .

تخرجت نورا لما بدأت حرب الثورة الفلسطينية مع إسرائيل بما يسمى الاجتياح للعاصمة بيروت ، وفرض بشير رئيسا لجمهورية لبنان، ثم اغتياله قبل حفل تنصيبه ، وعلمت كطبيبة في عيادات وكالة الغوث التابعة للأمم المتحدة التي تعمل على مساعدة اللاجئين اجتماعيا وتعليما وصحيا ، وعانت بشدة نتيجة أحداث الحرب والخروج الفلسطيني لوقف الحرب فالتقت بآلاف الجرحى والقتلى والإصابات ورغم انسحاب مقاتلي الثورة استمرت الحرب الأهلية بين الطوائف ، وظهور حرب المخيمات بين الفلسطينيين والشيعة بحركة أمل .

اتصل جابر بنورا وأخبرها بوجود رسالة من داني فإذا تحب الاطلاع فلتحدد مكان للقاء فقبلت الطبيبة اللقاء ، وهي قد تصالحت مع والديها أثناء

الحرب وتعرض أمها لشظية فالتقتا في مستشفى بيروتي ، واهتمت بمداواة أمها ،والتقت بعامر أثناء عيادته لزوجته.

اطلعت نورا على رسالة داني التي وجهها لجابر فقالت بحيرة : لماذا أرسلها إليك ؟فكان الحق أن يرسلها لي.

قال جابر : لا ادري ! هل تقبلين الطلاق ؟

قالت: ألم نتطلق منذ هرب إلى مصر؟

قال جابر : طلاق رسمي

قالت: اكتب له بقبولي ذلك

قال جابر : ربما بعثها لي بصفتي محامي وأخ لنورا.

قالت: الله اعلم ! ما أخبار أبي ؟ منذ غادرت أمي المستشفى لم أرهم .

قال جابر : لا يخرجان من البيت.. أبي على وشك الانتحار .

قالت باستغراب : كان يائسا .. لماذا ؟!

قال جابر : صدقي لا اعلم .. اتصالنا ضعيف .. فهو تركني منذ ولدت عشت في بيت الجد

قالت: كيف زوجتك المحامية؟

قال جابر : محامية مثلي كما قلت ، وتهتم بالصحافة اكثر من القانون ، فوالدها رئيس تحرير جريدة الضوء الأسود .

قالت: الضوء الأسود ! أهنا جريدة بهذا الاسم ؟ أهناك ضوء وأسود ؟ لا وقت لديّ لقراءة الصحف ومشاهدة التلفزيون .. ساعات طويلة بين الجرحى والمرضى .

قال جابر : نعم ، كان الله بعونكم أهل الإسعاف ، وهذه الحرب لا تكاد تقف .

قالت: هل هي فلسطينية ؟

قال جابر : من صيدا.. لبنانية.

قالت: لعلكم متوافقون فقد جعلت الحرب شرخا اجتماعيا بين العائلات.

قال جابر : إلى حد كبير النساء سر عميق

قالت: النساء مسكينات وضعيفات

قال جابر : لا احد مسكين في هذه الغابة، ما يفعل الناس ببعض أشد وأقسى مما يحدث في غابة الأسود والذئاب .

قالت: هل سيطول انتظار الطلاق ؟

قال جابر : أنت لو قدمت طلب طلاق بعد اختفاء عشيقك ...

قالت محتجة : زوجي يا جابر

قال جابر مصرا : كان عشيقا قبل الزواج الرسمي ، هو قال لي ذلك لما تحدث عن زواج منك اعترف لي بعلاقتكم المحرمة ، وأنه ربيب يعقوب

قالت باستسلام : حسن! أنا لا احب إطالة الحديث معك.. لديّ صديق ينتظر طلاقي بفارغ الصبر .

قال جابر : صديق واحد .. نسمع عن موظفي

المستشفيات الشيء السيء

قالت: ما تسمعه صحيح .. هل تسمح لي بالانصراف؟

قال جابر : تفضلي.. تمنيت أن نكون أخوة بحق.

قالت: أنت المقصر .

قال جابر : أمك السبب ، وأنا عشت مع جدي وأعمامي وفي قلب المخيم .

قالت: أتمنى لك التوفيق

قال جابر : وأنا .

قالت: لا اعتقد!

قال جابر : لماذا ؟!لأني كشفت أمر داني لداني.

قالت بألم: هذا الأخطر .. حرمتنا من بعض!

قال جابر : يعقوب يعلم ، وفاتن تعلم ، وأمك تعلم ، وأبي يعلم، لم يكن سرا إلا عنه وعنك

قالت: أين يعيش داني؟

قال جابر : الرسالة جاءت من مصر حسب الطوابع ؛ ولكن قد لا يكون هو مصر .. أرسلها لصديق في مصر .. والصديق أرسلها على بريد مجلة الضوء الأسود ؛ ربما يكون داني يعيش هنا .

قالت: الراجح في أوروبا في فرنسا

قال جابر : إلى اللقاء شكرا على قبولك دعوتي .

هزّت رأسها ، واختفت من قاعة طعام الفندق الكارلتون

ماتت نهى بعد حين متأثرة بإصابتها بشظية أثناء وجودها في السوق حيث حدث انفجار أو سقوط قذيفة ، قامت الأسرة والمعارف بمراسم الدفن ، وحينئذ عزم عامر على مغادرة بيروت دون علم أي إنسان حتى والديه ، خرج لسوريا برا واتجه للشمال السوري ، وأثناء وجوده في احد الفنادق مات ، ولم يكن بينه وبين وفاة نهى سوى شهرين، ودفن على نفقة جمعية خيرية فلم يكن يحمل إلا هوية قديمة لبنانية ، وصعب على الجهات الرسمية البحث عن أهله بسرعة ولم يكن معه إلا بضع آلاف من الليرات اللبنانية والسورية وبعض الملابس .

وبعد شهر علم جابر عامر بموته في شمال سوريا وذهب لمدفنه وقرأ عليه الفاتحة ، وتسلم ما احتفظ له به من مال ، وألقى ثيابه في سلة نفايات ، وعاد لبيروت حزينا لنهاية والده وعزى جديه بوفاة ابنهم ، وقاموا بعمل عزاء مختصر ، ولم تشترك فيه نورا ولا حتى جابر ، وطلقت نورا رسميا عن طريق مكتب محاماة ، وأخذت تستعد للزواج من جديد ، فالحياة لا تتوقف بموت احدهم أو عيش احدهم .

واتصل بها يعقوب معربا عن وجود عريس مناسبا لها فقالت : سأتزوج ابن عمتي الدكتور إيهاب ، قد فقد ساقه خلال هذه الحرب، وكان قد عرض عليّ نفسه بعد تخرجي وعملي معه. في الوكالة ، فاعتذر لعريسك ولك ولأم داني .

قال يعقوب : ألف مبارك .. وهل من أخبار عن داني؟ أمه تموت حزنا وشفقة عليه.

روت له رسالة جابر ، فاستغرب الأمر ، وتمنى لها كل خير ، وفرح الدكتور إيهاب شريف لما علم بقبولها له رغم عجزه ومشيه بساق واحدة ... إنها الحرب !



روايات اجتماعية

أيتام الحداد

الحلقة ١

حزن خليل

توقفت السيارة الصغيرة على مدخل الشارع الصغير المؤدي لمنزل السيد فرفر ، فرغم صغر السيارة الأجرة ؛ فإنها لا تستطيع الاندفاع في ذاك الشارع للمشقة التي قد يواجهها السائق ، فالشارع لا يتسع إلا لسيارة واحدة فقط .. فتح الشاب الذي يجلس بجوار السائق الباب ونزل منها بعجلة ليفتح الباب الخلفي حيث قام بمساعدة الرجل المريض خليل فرفر وأنزله رويدا رويدا ، ثم نزلت زوجته جميلة التي كانت تجلس بجواره في المقعد الخلفي ، وقد اتكأ عليها الرجل المريض .. وكان الشاب اليافع يمارس العمل مع زوج أمه وهو يتمتم ويدعو له بالشفاء والصحة والسلامة .. ولما اتكأ المريض على أم الشاب قام الشاب بإغلاق أبواب السيارة ، ونقد سائق الأجرة أجره ، وشكره على تعاونه وصبره معهم ، ثم وضع يد المريض فوق عاتقه ليسير به ، وتهادى الرجل المريض بينهما حتى وصلا لمدخل البيت في نفس الشارع الفرعي الضيق ، ويبعد البيت عن الشارع شارع السيارات الرئيسي حيث توقفت سيارة التاكسي حوالي خمسين خطوة وقد تزيد قليلا .

وكان كل من مرّ عليهم من أهل الحي والشارع أثناء الوصول للبيت يحييهم ويدعو للسيد فرفر أبي أحمد بالسلامة ، حتى أن بعض النسوة فتحت أبواب بيوتهن يحيين أبا أحمد ويتمنين له العافية والسلامة .

ولما استقر الرجل الكهل في بيته وفي حجرته الخاصة حمد الله وشكر أولاد زوجته .. الابن مالك الذي كان برفقته عند خروجه من المستشفى .. وشكر زوجته أم الأولاد أم ربيع .

وجاء ربيع الشاب وسلم على زوج أمه ودعا له بالعافية والشفاء ، وكذلك أتت حنين أصغر أفراد العائلة وقبلت يد عمها زوج أمها ودعت له

بالشفاء والسلامة ، فهو بمقام الأب ، فشكرهم ودعا لهم ، وأثنى عليهم ، وتمنى لهم كامل السعادة والتوفيق في الدنيا والآخرة .. ثم خرجت الأم بعدما التقطت أنفاسها لتصنع لهم طعام الغداء .

ولما شرب الرجل المعافى بعض الماء سأل عن البنت البكر لزوجته جميلة صلاح أم ربيع

فقال الشاب ربيع : لم تعد يا عمي من الجامعة.. بعد قليل ستحضر .. أما أنا فقد أنهيت محاضراتي مبكرا حتى فكرت أن أذهب إليكم في المستشفى ؛ ولكن غلب على ظني أنكم خرجتم فعدت للبيت

فقال فرفر: جزاك الله خيرا يا ولدي ، تأخرنا لبعض الإجراءات ، ولما دفعنا الأجرة ، ولملمنا أوراقنا وحصلنا على الأدوية اللازمة عدنا .. وأحيانا إن لم يكن غالبا تأخذ هذه الإجراءات بعض الوقت .

فقال الشاب : الحمد لله على السلامة يا عم ! أذهب الله عنك البأس .. شدة وتزول بإذن الله .

ـ شكرا يا ولدي .. وبارك الله فيك ، وفي إخوتك ، لقد قمتم بالواجب وزيادة .

وقال كأنه متحسرا : أولاد أمي وأبي لم يفعلوا ما فعلتم .. بوركتم وبوركت أمكم .. لقد صبرت معي الصبر الجميل .. إنها بركتنا ..

وأغمض خليل فرفر عينيه ؛ وكأنه أنـهك وتعب من الكلام ، فسمع الأولاد يستأذنون بالخروج وتركوه ليستريح .. فتمتم ببضع كلمات وأخلد للنوم ، فقد تعب من مشوار الطريق ومن جلسة السيارة ، فقد كان البيت بعيدا عن المستشفى ، ولكنه تحمل وشكر الله وحمده على تخفيف المصاب الذي ألم به .

ولما دخل المساء والليل توافد الجيران على بيت أبي أحمد لتهنئته بمناسبة خروجه من المستشفى سالما بعدما أمضى فيه سبعة أيام بلياليها ـ وكان قد أغمي عليه أثناء وجوده بمحددته ، فنقله العمال إلى مستشفى الحكومة ، فوجدوا أن لديه مشاكل في الصدر والقلب والأوعية ـ رحب الرجل بزائريه وجيرانه وطمأنهم على صحته وشكر لهم خطواتهم ، ورغم البشاشة التي كان يظهرها لعائديه ، كان منقبض النفس، وتظهر بعض الأحيان لمحات الحزن والضيق عليه .

فلما انصرف العائدون وعاد السكون للبيت وانصرف أولاد زوجته جميلة لحجراتهم قالت له الزوجة : مالك يا أبا أحمد كنت تسرح وأنت تتحدث مع هؤلاء الناس والزوار .. أيوجعك شيء ؟!

فهرش رأسه وهو سارح الذهن وقال : الحمد لله على كل حال يا أم ربيع .. أنا بخير ؛ ولكن يؤلمني ويحز في نفسي أنني لم أر أحدا من إخوتي وأخواتي أو بنيهم يزورني في المستشفى رغم مكثي الطويل

.. حتى في المرض يا جميلة لم أرهم بقربي .. أنا لم أقصر في تعليمهم ، ولا في زواجهم ، ولم آكل من خيرات أبيهم مليما واحدا ..

فقالت الزوجة: يا أبا أحمد لا تشغل بالك ، ربما لم يسمعوا بمرضك ، فأنت تعلم أنهم يسكنون في أماكن بعيدة عن الحي ، ولا علاقة لهم بالحي منذ كبروا ورحلوا

- وأختي صبرية .. لا يبعد بيتها عن بيتنا هذا إلا بضعة شوارع .. أمعقول لم تسمع هي الأخرى بسقمي وقضائي عدة أيام في المستشفى؟! .. ابن عمي أبو شريف القاطن في آخر الدنيا سمع وزارني يا أم ربيع .

- الغائب يا ابن الحلال عذره معه .

- هذا ما يحزنني يا جميلة ويسرح بي في حال هذه الدنيا .. بارك الله فيك وفي أولادك لقد قمتم بالواجب وزيادة .

فقالت : الأولاد أولادك يا ابن الحلال .. فهذا أقل حق يقدمونه لك .. ألم تحضنهم صغارا وتستر على أمهم؟ .. أنت بركتنا يا أبا أحمد !.. شفاك الله وأبقاك لنا .

فقال وما زال الألم يسيطر عليه ، وكذا الحزن ويحز في نفسه: مهما كبر الإنسان يا جميلة ، ومهما ارتقى العلا في هذه الدنيا لا يجب أن يكبر على أهله .. هل لأنني أصررت أن أبقى حدادا يكرهونني ويقاطعونني ؟!.. فأبي كان سيد الحدادين في زمانه ؟! .. فهل الإنسان إذا تزوج ابنة عائلات انسلخ من جلده ؟! ونسي أخاه الأكبر منه .. الأخ الذي شقي وجاهد حتى يتعلم إخوته في الجامعة .. عيب يا زمن عيب ..!!

وتساقطت دموع خليل فرفر الحداد وهو يتذكر مقاطعة إخوته له أخذت الزوجة تمسح دموعه وتواسيه ، وتهون عليه الأمر ، وترفع من نفسيته المتعبة وتخفف من ألـمه ، ومن ثم قالت : يا أبا أحمد ما الذي ذكرك بهم؟ فهم منذ سنوات لم تلتقِ بهم وتتحادث معهم .. وصبرية ألم تتشاجر مع زوجها ؟ أنسيت أنك ضربته لما غلط عليك .. فهي معذورة ومغلوبة على أمرها يا أبا أحمد أتريدها أن تترك الأولاد اليوم ؟!

فقال وهو سارح الذهن في ماضي الأيام : أنا ضربت المنحوس من أجلها .. لم أحتمل دموعها فتضايقت منه لما صار يشتم فيها وفيّ من غير خجل ولا حياء .. آ .. كان باستطاعتها أن تخطف رجلها وتزورني في المستشفى .. حق الإخوة .. أنا عفنت هناك .. ولكنها لا تريد .. فأولادها اليوم شباب ، وبعضهم تزوج كما سمعت .. لا حول ولا قوة إلا بالله .. أمري إلى الله ..

بعد مضي أسبوع آخر قضاه خليل فرفر في البيت تعافى ، وعادت له صحته التي كان يباهي بها أهل

السوق والحي إلى ما كانت عليه قبل المرض ، وذلك كما أخبره الطبيب المعالج ، ورخص له الطبيب مزاولة العمل .. فعاد لمحددته في شارع (نهر الربيع) حيث تكثر الحوانيت والدكاكين لمثل هذه الأعمال .. ففتح المحل وقد وجد الشابين اللذين يعملان معه في انتظاره ، فهما بعد مرضه بأيام أغلقا الدكان لقلة أعمال الحدادة ، ولغياب المعلم خليل أحمد فرفر .

فهذه أول مرة منذ أكثر من خمس وثلاثين سنة مضت من حياته يضطر خليل أحمد لترك المحل كل هذه المدة ، وحتى هذه أول مرة يمرض هذا المرض ويدخل المستشفى ويبيت فيه ، فلذلك كان متألما جدا من عدم وجود إخوته وأخواته حوله ، فيبدو أن هذه أول مرة يشعر بأنه وحيد لا أهل له ، أو كأنه اكتشف أنه لا أهل له .. حتى أولاد مطلقته الأولى وزوجها عادوه وزاروه واطمأنوا على صحته ، فقد كان خليل قد تزوج قديما ، ولم تأكد له عدم قدرته على الإنجاب طلق زوجته التي تزوجت رجلا من رجال الحي ، وخلفت منه بنين وبنات .. وعجب أيضا من عدم زيارة أولاد إخوته له ، فأسف لهذا الوضع والحال ، وشعر أنه وحيد في هذه الدنيا .. وشكر الله أن سخر له أولاد زوجته جميلة للوقوف بجانبه في هذه المحنة الكبيرة .. فهو منذ سنوات

تزوج الأرملة جميلة على أمل أن تنجب له بنين وبنات ؛ لأنها ترملت على أربعة أطفال

لما ارتفعت شمس النهار بدأ يهل أصحاب المحلات المجاورة للسلام على المعلم خليل أقدم حداد في سوق نهر الربيع ، له تاريخ قديم في السوق منذ حياة أبيه أحمد .. فكانوا يهنئونه على سلامته وعلى عودته للعمل .. فشكرهم وقدم لهم المشروب المناسب ، وقضى يومه الأول في العمل في استقبال وتوديع الجيران في العمل .. ومع ذلك عندما عاد ليلا للبيت عاد مهموما حزينا .. وعاد للحديث عن أهله الذين تخلوا عنه في هذه الأزمة مما دفع زوجته جميلة لأن تقول : يا ابن الحلال .. انس من ينساك .. لماذا تشغل فكرك فيهم هذه الأيام ؟! فأنتم لكم سنون لا تلتقون .. وأنت يا خليل مقصر معهم .

فاحتد الكهل الحداد وصاح : أنا مقصر معهم يا جميلة ! .. من علمهم ؟ من رضي بالفقر من أجلهم .. خالد .. من علمه ؟ وأدخله الجامعة .. منير باشا من صرف عليه حتى صار باشا .. البنات فاطمة وسعيدة .. وصبرية .. !

ـ صبرية قلنا زعلانة لزعل زوجها .. وهي أحسن واحدة كانت معك رغم عتبها الدائم عليك أنك

لم تدعها تتعلم كما تعلمت أختاها ..

فقال محتجا : أنا .. لم أعلم فاطمة ولا سعيدة إخوتهن خالد ومنير هما اللذان صرفا عليهنّ .. كنت أريد تزويجهنّ بعد الثانوية .. ولكن الأخ خالد هو الذي علمهنّ .. فأنا لست مع تعليم البنات في الجامعات في تلك الأيام يا جميلة.. ثم أن صبرية تزوجت بعد وفاة أبي بفترة قصيرة حرام أن تلومني على التدريس .. ثم ما كنت أقصر معها في أي مناسبة أو في مال .. في أول حياتها الزوجية .. رحم الله أمي تعلم كما كنت أساعدها لتستقر حياتها الزوجية مع ذلك المعتوه جابر .. لنا أكثر من خمس سنين متشاجرين مع زوجها ، لقد حاول بعض أولاد الحلال بالصلح بيننا ؛ ولكنه أقسم الأيمان المغلظة على عدم الصلح وعلى عدم دخولي بيته ، وأنني إذا دخلت بيته سيطلق صبرية .. فهذا ما يمنعني من زيارتها يا جميلة .

فقالت : ربما حالف عليها أن لا تزورك .

فقال: ولكني مريض .. كدت أن أموت ولا أحد حولي إلا أولاد امرأتي .. يا عار ! يا عار على الأهل !

فقالت وكأنها يئست من إقناعه بعدم التأثر عن تفقد إخوته له : والله ما أدري ماذا أقول لك يا عزيزي؟! .. لا تشغل بالك كثيرا حتى لا تتعب ثانية .. فالهم يمرض القلب يا أبا أحمد .

فاستغفر خليل ربه واحتسب ثم قال : أنا أول مرة أشعر أنني وحيد في هذه الدنيا يا جميلة .. لا تزعلي من كلامي ، أنا لا أنسى فضلكم ووقفتكم معي يا أم ربيع ..

- يا رجل نحن أهلك وأنت أهلنا أنت زوجي وأبو الأولاد .. من علمهم ودرسهم ورباهم ؟ أولادي وإن لم يكونوا من صلبك ؛ ولكنك أبوهم بالتربية والتعليم .. هم أبناؤك أنا فقط راغبة أن أعرف لماذا أنت وأهلك أقصد إخوتك وأخواتك متعادين ومتخاصمين منذ تزوجنا بل من قبل أن نتزوج ؟! .. لماذا أنتم هكذا ؟! أما آن لك أن تخبرني بسبب هذه العداوة والهجر يا أبا أحمد ؟

فقال وهو يفكر بجواب جميلة : صدقي أيتها العزيزة أنه لا شيء في نظري لهذا الهجران والعداوة إذا كان هناك عداوة !



مصالحة

كانت صبرية أحمد فرفر تجلس مع زوجها جابر حامد في صالة البيت يتفرجون على التلفزيون عندما دخل ابنهم الشاب عدنان جابر ، وكان متجهم الوجه ، الضيق في محياه ، وقد لاحظ

الجميع ذلك ، مما دفع إحدى البنات الجالسات لتسأله عن سبب نكده وتجهمه ، فلم يرد وتجاهل السؤال ، وسأل عن العشاء ، فأشارت صبرية لإحدى البنات أن تذهب لتسخن الطبيخ والأكل فنهضت المشار إليها وهي تقول : اتبعني إلى المطبخ يا بطل .. واحد يجيء في نصف الليل ولا يتعشى في مطعم أو في السوق!

فقال بغضب : لم تتجاوز الساعة العاشرة يا ست الحسن بعد .. وإذا تريدون أن أتعشى في الخارج فلماذا تطبخون في الدار ؟!

فسمعوا جابر يقول : لماذا الصراخ يا أولاد؟.. خلونا نتفرج على هذا المسلسل بهدوء ..

فقال عدنان وهو يقف غضبا : ظلوا تفرجواألا تزهقون وتملون من الأفلام والمسلسلات ؟!

فصاح الأب جابر بغضب : أحسن من سماع أفلامك ومسلسلاتك يا ابن صبرية .

فتدخلت الأم صبرية وقالت : وما لها صبرية يا أبا الأسود ؟!

وخرج عدنان غير مبالي ، وترك الزوجان يتشاجران ويتناقران ، ولما أكل نصيبه من الطعام عاد لصالة البيت فقال له أبوه : آ ، يا عدنان ملئت كرشك !

فقال الشاب المتجهم الذي يبدو أن الطعام لم يذهب نكده وضيقه : طعام كالزفت .. لا أدري كيف نأكل هذا الأكل ؟!

فارتفع صوته أمه ثانية تقول : لا يعجبك طعام أمك يا ملعون .. تزوج كما تزوج أخوك .. تزوج أفضل طباخة في البلد .. أكل المطاعم أحسن من أكلي ..

واحتدم الجدال بين أفراد العائلة ، ثم سمعوا عدنان يقول في نهاية الجدل حول الطعام والطهي الجيد والسيىء : سأتزوج يا أمي الحبيبة ، وستكون زوجتي أمهر طاهية وطباخة في البلد ، ولن تروا وجهي بعدما أتزوج ..

فقال جابر محتدا: مع ألف قلعة .. على من ستطلع؟.. على أخوالك يا أستاذ.

ـ على أخوالي على أعمامي المهم أخلص !

فصاح الأب جابر : من الآن اخرج واغرب عنا .. لماذا تنتظر حتى الزواج ؟! .. اخرج من الآن يا ملعون .

فعاد عدنان يقول وهو يخفض صوته : ها هو نسيبك دخل المستشفى ، ومكث أياما فيها .. وكل أهل الحارة زاروه إلا أنتم .

فقال جابر كأنه كسب المعركة في جدله : لما يزرنا نزره !

ـ الناس تزور المريض .. وأنت حالف يمين أن لا يدخل بيتك .

ـ آ .. حالف يمين ! .. يا رجل خالك نذل .. يا

رجل في واحد في الدنيا يهين ويضرب زوج أخته ! صهره .. امش اخرج من هنا قبل أن ترى ما لا يسرك ..

فقال عدنان الغاضب : يا رجل الناس تستغل هذه المناسبات للتصالح والتسامح والتصافي .. يا عالم الكل يلوموننا على عدم زيارتنا لخالنا.. أولاد الأرملة يقفون معه ، ونحن أقرب الناس إليه حرمتمونا من زيارته .. اليوم التقيت به في السوق .. في البداية تظاهرت بأنني لم أره .. وهو فعل مثلي .. يا للعار!

فقالت صبرية : ماذا كنت تفعل هناك ؟!

فقال : ذهبت أصلح السيارة عند كراج خميس .. فهو قد فتح محلا قريبا من محددة أبي أحمد .. بينما أنا أجلس معهم أتى خالي ، فلما لمحني تظاهر بأنه لم يرني ، وأنا كنت من قبل قد فعلت مثله فتكلم مع المعلم خميس بأمر وخرج مسرعا ، وبعدها قال لي خميس أصحيح أن أبا أحمد خالك يا عدنان ؟ وقبل أن أجيب كان ابن ابن أخيك الذي يتدرب عنده قد قال : آ يا معلمي ، المعلم خليل خال الأستاذ عدنان بس لا يتكلمون مع بعض من زمان .. وكل الحارة تعرف ذلك .. حتى أنني سمعت أبي يقول إن المعلم خليلا دخل المستشفى وخرج منها ، ولا أحد من أهله زاره أو جاء يسلم عليه بعد طلوعه منها .. فعضضت على شفتي حرقة ، فقال لي خميس أصحيح ما قال الصبي يا عدنان ؟! أقررت بسوء العلاقة بيننا منذ عهد بعيد أيرضيكم هذا ؟!

فقال جابر بصياح : لماذا يضربني ويعمل عليّ عنتر؟!

ـ الناس تتشاجر وتتحارب وتتعادى ؛ ولكنهم في نهاية المطاف يتصالحون .. لا عداوة للأبد طيب أنت زعلان منه للأبد وامرأتك أخته لا تزوره .. هذا حال سيئ يا أبي! أمي أخته الشقيقة بنت أمه وأبيه .. وهو الذي رباها بعد وفاة أبيها وصرف عليها وزوجك إياها ..

فقال الأب بحقد واضح على خليل ومن غير وعي : كان يوما أسود !

فانفجرت الأم صبرية وصاحت هائجة غاضبة : يوم زواجنا يوم أسود يا جابر؟! .. آه منكم يا رجال !

ثم عادت وخفضت من صوتها قائلة: على كل حال لا أريد التدخل في الحوار بينكم ، لا أريد أن يكبر الموضوع ، فعدنان شاب متعلم ويعرف يتكلم ..

فتنهد عدنان وقال: ما فائدة التعليم ونحن لا نعرف أن نحل قضايانا ومشاكلنا وعلاقاتنا الاجتماعية؟! .. الحق أنني قد خزيت هذا النهار .. عليكم بتصحيح هذه العلاقة .

فقال جابر بهدوء : يا ولدي دعك من هذا الأمر ، فنحن قد طاب لنا العيش فلنا أكثر من خمس سنين مرتاحون من خليل وحمق خليل .

فقال عدنان مستنكرا : أنا لا أدري لماذا علاقة أخوالي وخالاتي ببعض سيئة وأي عداوة بينهم لماذا خالي خالد لا يزورنا ؟ ولماذا لا تزوره أمنا ؟!

فقال جابر معلقا أو متهكما : هؤلاء أولاد كبارات ونحن أولاد مقاطيع !

فقال عدنان هازئا : المعلم خليل أولاد كبارات .. هو رجل مسكين فقير لا يملك شروى نقير فهو مدين للمعلم خميس بخمسمائة دينار.

فقال صبرية بقلق ودهشة : مديون ؟! هو لا يشتغل ؟!

ـ لا ، هو يشتغل إنما توقف عن الشغل بسبب المرض، وقد عاد وفتح المحل؛ ولكنه احتاج المال كما أخبرني خميس ليكمل تعليم أولاد الأرملة أم ربيع .

فتسألت صبرية وكأنها تلوم أخاها لاستقراضه المال فقالت : وماذا يستفيد من أولاد الأرملة جميلة ليستدين من أجلهم ؟!

ـ ها هم احتضنوه خلال مرضه ، وما قصروا معه ، وغدا لما يتخرجوا من الجامعات ويتوظفوا سيعوضونه عن هذا ...

فدخل جابر على خط الحوار وقال بحقد واضح : غدا سيرمونه ، ولا يهتمون به، ويبحثون عن أنفسهم ويتزوجون وينسونه ..

فقال عدنان كأنه محتجا على حقد والده : لا يا أبي .. الناس يثنون على زوجته وعلى أولادها ، والبنت الكبرى للأرملة أنـهت الجامعة منذ أيام ، وقد علمت أنـها أنـهت آداب إنجليزي ولسوف تجد فرصة عمل بسرعة

كانت صبرية تنظر في عيني ولدها عندما قالت له : ومن قال لك كل هذه المعلومات ؟!

تبسم الشاب وفطن لغمز أمه فقال : المعلم خميس .. فهو صديق للمعلم خليل ، ويسمع منه أخباره وأخبار أولاد زوجته .. وهذا ليس سرا .. كل الناس في الحارة والحي يعلمون أن خليلا يعلم أولاد زوجته .. وهل في الأحياء الشعبية أسرار يا أمي ؟!

فقال جابر : صحيح .. وأنت ما الذي رماك على المعلم خميس ؟

ـ السيارة ! وأعطال السيارة .. أخو المعلم خميس زميل لنا في المدرسة وعرفنا على ورشة أخيه فكلما تخرب وتعطل العروسة نذهب إليه ونمكث عنده حتى يصلحها ، وخلال ذلك يجر الحديث بعضه البعض .. وغدا خميس يحدث أخاه بعداوتنا لخالنا ، والأستاذ جمعة ينشر الخبر في المدرسة بين الأساتذة ، فيقال الأستاذ المصلح عدنان جابر

حامد المرشد النفسي والاجتماعي في المدرسة متدابر مع خاله .. آخ إني أتألم لهذا الحال العجيب؟!

فقال جابر: ماذا تريدون أن نفعل؟!نذهب لخالك نعتذر له أم هو يأتي للاعتذار ؟ حلها يا ابن صبرية

فقال عدنان: لابد أن هناك حلا أو حلولا .. كان يجب أن نستغل هذه المناسبة لمرض خالي لتصحيح الوضع وفتح صفحة جديدة بيننا ؛ ولكننا سمعنا وأغلقنا آذاننا كالمعتاد .. كان عليّ أن أتصرف ، وإنها خشيت زعلكما وخشيت أن تتهم هذه ـ وأشار لأمه ـ أنها أرسلتني لخالي .. لماذا نحن نصلي ونعبد الحي القيوم ؟! .. وقلوبنا فيها بغض وكره لبعضنا البعض .

ـ لا تدخل الصلاة في الموضوع .. لا أدري ما الذي فتح علينا هذا الديوان؟! فخالك الملعون له شهر مريض فلم يعد الوقت مناسبا للزيارة فات الأوان ..

فتمتم عدنان قائلا: فات الأوان ولم يفت الأوان .. حتى أولاد أخوالي خالد ومنير وخالاتي فاطمة وسعيدة لا نعرفهم ولا يعرفوننا .. تقول أمي إنها كانت قديما تزورهم ثم انقطعت الزيارات منذ عهد بعيد .. لماذا هذا؟! خليل وتشاجر معك وأهانك .. والآخرون ما بيننا وبينهم ؟!

فقالت صبرية كأنها حالمة في المجهول : خليل هو السبب في العداوة بيننا وبينهم .

فقال الشاب دهشا ومستغربا : خليل! وهم أيضا كما نعلم لا يزورونه ، ولا أظن أن أولاده أيضا يعرفونه ! .. فأنتم متهاجرون .. هنا شيء غامض بينكم ! .. أتعرف شيئا يا أبي؟ أم أنكم لستم إخوة يا أمي ؟!

فقالت صبرية : ماذا تقصد ؟!

ـ لا أقصد شيئا .. عجيب أمر أسرتكم يا أمي ! .. والعجيب أنني أفكر بذلك اليوم .. لهذه الدرجة أثر فيّ عتاب الأخ خميس أم كلمات ذلك الصبي .. الصبي يعرف جفوتنا لخالنا .. كأنني كنت نائما واستيقظت ، سأتكلم مع أخي الكبير لعلي أجد عنده حلا مناسبا لمشاكل العائلة .

فقال الأب: يا ولدي هذه دفاتر قديمة لا داع لفتحها ، ودع أخاك في حاله، وخلينا نبحث لك عن ابنة الحلال وتستقر في بيتك .

فقال عدنان : وما دخل هذا في السعي في لملمة تشتت أولاد جدي أحمد وأحفادهم .. عار هذا ! عيب هذا! .. نحن مدرسون مربون أجيال! ألا يكفي كل هذا الزمن؟! ونحن نرى ولا نرى ونسمع ولا نسمع .. تمزق قلبي اليوم يا أبتي على هذا الحال .. أبناء الغريب يقومون بالمعلم خليل في هذه الأزمة ، ونحن وضعنا في آذاننا قطنا .. ولما كنت أسمع بعض جارات أمي يحدثنها عن مرض

أخيها كنت أظن أن المريض رجل آخر .. رجل لا يقرب لنا ، وليس بيننا معرفة ورحم وقرابة وجيرة .. قال المعلم خميس إن المعلم خليلا يبكي ويتكلم بحرقة لعدم وجود أحد من إخوته حوله في هذه الأزمة .. أثناء المرض هذا كلام خميس قاله ليس لي وحدي.. فقد جعلني الرسول والبريد بينكم وبين خالي ..

فقال جابر: لا حول ولا قوة إلا بالله .. افعل ما تراه مناسبا يا ولدي .. أنا ما كنت أظن يوما أن أسمع مثل هذا الكلام .. سأكفر عن أيماني المغلظة .. وسوف أتحدث مع شيخ المسجد واستفتيه في كفاراتها فقد مزقت قلبي رغم قسوته على المعلم خليل العيال كبرت يا صبرية !

فنهض عدنان وقبل رأس أبيه ، وبدأ مرتاحا لنجاحه فيما قصد وقال: بوركت يا أبي قال النبي محمد ﷺ أحبب حبيبك هونا ما عسى أن يكون بغيضك يوما ما وأبغض بغيضك هونا ما عسى أن يكون حبيبك يوما ما .. والآن يا أمي الحبيبة يا أمنا الغالية نريد أن نعرف سبب هذه العداوة المديدة بين الإخوة بينك وبين خالي منير وخالد وخالاتي فاطمة وسعيدة .. فالعداوة بينك وبين خالي خليل نعلم أن سببها المشاجرة الكبيرة التي حدثت بين أبي وبينه.

وظيفة لمنى

وقفت الشابة الحسناء منى ربيع على مدخل العمارة الضخمة ، وتلفت يمينا وشمالا ثم دخلت البوابة الرئيسية وتوقفت عند لوحة كبيرة تظهر عليها



أسماء ومواقع الشركات والمكاتب التي تشغل هذه العمارة في شارع ابن رشد الأندلسي ، فلما وجدت الاسم الذي جاءت من أجله إلى هذه البناية ، تحركت نحو المصاعد لتصعد حيث مكتب الشركة التي قرأت إعلانها في الجريدة وركبت المصعد إلى الطابق السادس ، ثم وجدت نفسها في رواق فاتجهت حيث رأت مكتب الشركة التي ترغب بتقديم أوراقها للعمل فيها ، وصلت للشقة التي تشغلها شركة التجارة العالمية .. كان باب الشقة مفتوحا .. فدخلت فرأت فراشا أو موظفا قد نهض عن كرسيه يسألها فقالت : أريد تقديم طلب استخدام فقد قرأت ..

فرحب بها الشاب وقال : حسنا .. ادخلي إلى هذه الغرفة .

وطرق لها الباب الذي أشار إليه فشكرته منى ربيع ، ودخلت الغرفة المكتب فوجدت فتاة تجلس وراء مكتب واسع ، فأشارت لها الفتاة بالجلوس على أحد المقاعد الموجودة في الحجرة ثم أخذت ترحب

بها ، وعلمت من الفتاة الزائرة الهدف الذي أتت من أجله للشركة وقالت منى : لقد قرأت في الجريدة حاجتكم لموظفة تجيد وتتقن اللغة الإنجليزية .

ـ نعم ، أيتها الآنسة .. ما اسم الأخت ؟

ـ منى ساعد ربيع .. خريجة آداب إنجليزي منذ شهرين تقريبا .

ـ أوه ! خريجة جديدة .. عزباء أكيد؟

ـ نعم .

ـ رائع آنسة منى .. يا هلا .

ـ شكرا

ـ أهلا وسهلا مرة أخرى .. هات أوراقك لأكتب لك طلب استخدام .. نحن الآن بحاجة لموظفة واحدة يا آنسة منى ، وقد تقدم لنا لحتى الآن خمس فتيات طيبات مثلك .. وخلال أيام

سنتصل بك لمقابلة المديرة أو نائبها .. ولكن لماذا لم تتقدمي بأوراقك للمدارس أو الوزارات ؟

ردت منى على فضول الفتاة قائلة : رأيت العمل في الشركات التجارية أفضل من التدريس .. وأنا أحب الترجمة .. فهذا ما شجعني للمجيء إليكم .

طلبت الفتاة الموظفة قهوة لمنى وخلال شربها لها أتمت إجراءات تصوير الأوراق والوثائق اللازمة وتعبئة طلب الاستخدام ، وتحدثت الفتاة حول نشاط الشركة وعملها في السوق .

ثم انصرفت منى عائدة لبيت زوج أمها ، وحدثت أمها بما فعلته من تقديم طلب استخدام ، وكان أخواها يرغبان بالتحاقها بالتدريس ثم دراسة الماجستير للعمل في الجامعات ، ودافعت منى بقوة عن وجهة نظرها ورغبتها للعمل بالقطاع التجاري ، وقد وافق زوج أمها خليل على مثل هذا العمل على مضض واستحياء، وكان يدعو الله ليلا ونهارا أن يتقدم للفتاة شاب وتتزوجه ، فالسيد خليل لم يكن يحب التدريس والعمل للبنات ما زال يحمل الأفكار القديمة والتقليدية .

لم يطل انتظار منى فقد دعيت لمقابلة المديرة وجرى الفحص اللازم لها وللفتيات الأخريات اللواتي تقدمن للعمل في هذه المهنة .. الترجمة .. وقد تقدمت إحدى الفتيات على منى فاعتذرت لها المديرة ، فعادت منى للبيت كاسفة البال حزينة ، ومضت أيام في ألم وقراءة للإعلانات من جديد ، وبينما هي على هذا الحال اتصلت بها الشركة للتجارة العالمية وتحدثت معها موظفة الشركة وطلبت حضورها ثانية لمقابلة المديرة ، فلبت الآنسة الدعوة ، وعلمت أن الفتاة التي تم اختيارها قد تركت العمل واعتذرت بعد أسبوع من الدوام ، وعجبت منى من ذلك ، ولم تعرف سبب ابتعاد تلك الفتاة بهذه السرعة ؛ ولكنها وافقت على العمل ، فأدخلتها السكرتيرة على

المديرة التي كانت تجلس مع شقيقها نائبها فرحبت بها المديرة ، وتحدثت معها عن النصيب والقدر ، ووقعت معهم على عقد العمل ، وعادت للبيت مسرورة مرحة تحمل الحلوى ، وتستعد لمباشرة الشغل .

كانت جميلة أم ربيع مسرورة لعمل ابنتها البكر ، بل أنها كانت تنتظر هذا اليوم بفارغ الصبر وبشوق وسعادة ، فهي تعرف ما يلقى زوجها خليل الحداد البسيط من معاناة من أجل تدريس وتعليم الأولاد ، وتعلم أنه يقترض المال من أصحابه ليصرف وينفق على ذلك القصد فهو منذ تزوجها قد تعهد لها بأن يبذل قصارى جهده وعرقه لتعليم أولادها ، وقد مانعت من الزواج بعد ترملها لهذه الغاية النبيلة ، وعلى هذا الشرط وافقت للزواج منه ، وهو عبء آخر على المعلم خليل سوى نفقات البيت والعائلة ، ومضت الحياة سعيدة حتى بلغت منى الثانوية العامة ونجحت نجاحا كبيرا ، فحاول خليل التملص من تعليمها لبغضه تدريس الفتيات ، وكاد يحصل شقاق بين الزوجين ؛ ولكنه استسلم وتذكر تعهده لها ، وواسى نفسه بأن البنت ابنة زوجته وليست ابنته الصلبية .. فقبل دخولها الجامعة مكرها أو مغلوبا على أمره ، ثم بعدها بعام نجح ربيع الذي يحمل اسم العائلة عائلة ربيع والتحق هو الآخر بالجامعة ، فزاد الضغط على جيب أبي أحمد ؛ وهو من أهل الوفاء فتحمل الديون عن رضى وصبر وأمل، وكانت أم ربيع تعلم قدر هذه التضحيات ، بل أفراد الأسرة كلهم يعرفون ذلك .. فلذلك لما باشرت منى العمل كانت الأم من أسعد الناس ، وصار لديها أمل كبير بتعليم الآخرين من غير الحاجة لأبي أحمد ومال أبي أحمد ، فلسوف تنتهي حاجته للاستدانة من ذا وذاك ، ولم تكن الفتاة الشابة قليلة الوفاء وناسية للمعروف ، فلما استلمت أول مرتب وضعته في حجر أمها الصابرة ، فأشارت عليها بأن تقدمه لزوج أمها ، وتقبل أبو أحمد هذه الحركة بسرور وتقدير وفرح ، وشكر البنت وأمها ، وبعد جدال تقرر أن يبقى المال مع الأم مع جميلة بعد أن يئست من قبول أبي أحمد له ، وأبى أيضا أن يسدد بعض الديون منه .

ولم تكد تمضي سنة ونصف على عمل منى حتى تخرج ربيع من الجامعة ، وبدأ هو الآخر يبحث عن عمل ، لقد درس في قسم الهندسة الكهربائية في كلية الهندسة ، وخلال أشهر يسيرة التحق بإحدى الشركات الكبرى العاملة في مجال الهندسة الكهربائية .. وكبر فرح جميلة ، فها هو جهادها وصبرها بدأ يؤتي أكله وثمره ، وعرضت على قرينها التوقف عن العمل وإغلاق المحددة والاعتناء بصحته، فقال لها خليل: صحيح أن

صحتي لم تعد كالماضي ؛ ولكن يا جميلة لا يليق بي الجلوس في البيت كالنساء.. فحتى بنات اليوم يشتغلن ، ولا يحببن البقاء في البيوت ولا تنسي يا عزيزتي أن الأولاد كبروا وبحاجة لكل دينار وقرش .. أولا لشراء أرض حتى يبنوا لهم بيتا ، وثانيا الزواج ألا تريدين أن يتزوج ربيع كما يتزوج خلق الله؟ .. والعمل الحياة بالنسبة لي يا جميلة ..

وقد حاولت جميلة إقناع خليل فقالت : ربيع لن يتزوج قبل إنـهاء مالك وحنين الجامعة ويعملان وبعد ذلك نفكر بتزويجه .. فأنت كافحت وجاهدت معنا وصبرت معنا يا أبا أحمد فالأولاد راغبون بأن تتقاعد وتستريح فهم يعلمون ويقدرون فضلك عليهم وجهادك معهم .

ـ أنا أقدر تعاطفهم ؛ ولا أستطيع يا عزيزتي القعود فالعمل حياتي .. منذ الطفولة .. وأنا ابن عشر سنين وأنا اشتغل في المحددة مع حياة المرحوم أبي ، ولما مات كنت شابا صغيرا وتحملت المسؤولية ، واستمريت في العمل ، وتعلم أخواي من وراء هذه المحددة ، وأحد أسباب زعلهم مني استمراري للعمل في محددة الوالد رحمه الله .. وسأبقى اشتغل يا جميلة حتى الموت فالأولاد عليهم أن يحافظوا على ثروتهم ويزوجون بعضهم .. ومن حقك عليهم الرعاية والمساعدة .. ولكني أرغب بالاستمرار بتعليم مالك وحنين والمساعدة في تعليمهم يا جميلة كما فعلنا مع ربيع ومنى كما تعهدت لك قديما .

ـ أنا أعرفك جيدا يا أبا أحمد .. بارك الله فيك .. كفيت ووفيت يا سيدي .. ولم تقصر معنا .. وجزاك الله عنا كل خير .. والأولاد لا يمكن أن ينسوا معروفك وفضلك وحسن رعايتك وحبك لهم .

ـ وأنا لا أنسى وقفتكم معي عندما مرضت قبل سنوات ، فكنتم نعم الأهل ، ونعم أهل الوفاء نسأل الله أن يديم علينا النعم والعافية .. الآن فلنفكر بشراء قطعة أرض لبناء بيت مناسب لربيع ولأخيه ثم يفكر ببنت الحلال .. خلينا نفرح بأبنائه يا جميلة ..

اعتدلت في جلستها وقالت جميلة : يا أبا أحمد! صبرية أختك منذ أيام قد التقينا وحدثتني عن منى وأنها ترغب بطلب يدها لابنها عدنان ..

فقال خليل : أنا تكلم معي عدنان مباشرة بهذا ، ونصحته بالابتعاد عنا ، وأنا يا جميلة لا أنصحك بتزويج ابنتك من ابن صبرية .. صحيح نحن تصالحنا بفضل هذا الولد ؛ ولكننا لم نرتح لنسبهم فأنا غير متشجع لذلك .

فقالت : ولكن عدنان شاب محترم ومدرس نشيط

فقال خليل : ما زلت لا أراه المناسب لكم .. وإذا تكلمت مع البنت في ذلك فأكدي لها أنني لا أرى

ابن أختي المناسب لها والبنات كثير .

ـ ما زال في نفسك شيء من صبرية ؟!

ـ لا شيء في نفسي نحوها ونحو زوجها جابر ؛ ولكن زوجها وعائلته لم أرتح لهم ، ولا أحب لكم أن تكرروا التجربة .. وعلى كل حال الأمر يعود لمنى، ولا أظنها ترضى به، فمنى تتطلع إلى فوق أكثر من اللازم .. وأتمنى لها التوفيق .

كانت جميلة قد فاتحت ابنتها بالموضوع قبل أن تفاتح زوجها بالموضوع ؛ ولكنها أحبت أن تسمع رأي قرينها .. وكانت الفتاة قد رفضته فعلا ، وادعت أنها مهتمة بتعليم أخويها والمساعدة في مصروف البيت .. وهل هذا صحيح ؟

الحقيقة أن أحلام منى كانت أكبر من عدنان ، ومن الاقتران بشاب في حي فقير أو يغلب على سكانه الفقر وقلة المال ، حي شعبي غير منظم أنشئ عشوائيا .. حي برقوقة .. كانت تتطلع إلى فوق إلى أعلى .. كانت على علاقة عاطفية مع نائب مدير الشركة الشاب حازم ناصر .. فقد سمحت لنفسها بالارتباط به عاطفيا وعلى وعد بالزواج ، وكان العائق أمامها ليتحقق الزواج منه حياتها في ذلك الحي المتواضع هكذا ترى منى .. وكان حازم هذا يخشى أن يرفضها أهله لأنها تسكن في ذلك الحي .. حي الضعفاء .. فهم يطمعون أن يقترن بفتاة أرستقراطية من بنات الأسر الغنية ؛ لذلك كان هناك قصة حب دافئة تجري فصولها داخل الشركة للتجارة العالمية .. وكانت المديرة أخت حازم تعرف ذلك ، وكانت تحاول كبح جماح أخيها من الاندفاع في عاطفته وتعلقه بالفتاة .. بل فكرت أن تصرف منى من العمل ؛ ولكن حازما كان يهددها ويصبرها .. فكانت تنظر للموضوع على أنها تسلية وقصة عبثية مصيرها الفشل للفارق الطبقي الكبير بين العائلتين .. فمن أين جاء الفارق الطبقي الاجتماعي ؟ الله أعلم .

وكانت منى ترى أنها ستصعد للطبقة الثرية وأصحاب الملايين على أكتاف حازم العاشق الولهان .. فكانت تنتظر الساعة التي سيرحل فيها المهندس ربيع من حارة الفقراء والتطلع إلى أعلى بفارغ الصبر .. وكانت تحركه وتثيره رويدا رويدا ؛ ولكنه أمام رغبة عمه خليل زوج أمه للبقاء في حي برقوقة ، ولتربيته لهم ونفقته عليهم صغارا أيتاما يضعف عن الرحيل ، ويعود ويطلب منها الصبر والتريث.. كانت منى ترى أن هذا العامل هو الذي يؤخر حازم من الارتباط بها رسميا .. فهو قد حدثها عن أهله وطبقته وصعوبة قبولهم للزواج من فتاة تعمل من أجل الراتب لتنفقه على أهلها .. وقد استرقت السمع على بعض مشاجرات الأخوين من أجلها .. فالشاب متمسك بها ، والأخت ترى أن منى ليست أهلا

للزواج من حازم .. وكانت تهدده بكشف الأمر لوالديها فيصبرها حازم ويقول : لما أتزوج أو ترين أني ذهبت للمأذون فتتكلمين مع أمي ..

رغم معرفة منى لهذا الكلام فقد أصرت على أن تكون صديقة للسيد حازم وكانت واثقة من ميله وحبه لها .. هذا السبب الرئيس لرفض منى ساعد ربيع للسيد عدنان جابر ابن أخت زوج أمها خليل ، كل شاب يتطلع للزواج من فتاة محترمة ، وكل شابة تتطلع إلى مثل ذلك .. وكانت منى تدفع حازما لمكاشفة والديه بحبهما عندما كانت تيأس من ربيع أخيها ، فذاك يصبرها حتى يتخرج مالك وحنين مثلهما ، وذاك يصبرها حتى ترحل من حي برقوقة أشهر حي شعبي ربما في العاصمة .. إلى الجزء التالي

المعتضد

عَن الْقَاسِم عَليّ بن المحسن عَن أَبِيه قَالَ بَلغنِي أَن المعتضد بِاللهَّ كَانَ يَوْمًا جَالِسا فِي بَيت يبْنى لَهُ يُشَاهد الصناع فَرَأى فِي جُمْلَتهمْ غُلَاما أسود مُنكر الْخلقَة شَدِيد المزح يصعد على السلاليم مرقاتين مرقاتين وَيحمل ضعف مَا يحملونه فَأنْكر أمره فَأحْضرهُ وَسَأَلَهُ عَن سَبَب ذَلِك فلجلج فَقَالَ لِابْنِ حمدون وَكَانَ حَاضرا أَي شَيْء يَقع لَك فِي أمره فَقَالَ وَمن هَذَا حَتَّى صرفت فكرك إِلَيْهِ وَلَعَلَّه لَا عِيَال لَهُ فَهُوَ خَالِي الْقلب قَالَ وَيحك قد خمنت فِي أمره تخميناً مَا أَحْسبهُ بَاطِلا إِمَّا أَن يكون مَعَه دَنَانِير قد ظفر بهَا دفْعَة من غير وَجههَا أَو يكون لصا يتستر بِالْعَمَلِ فِي الطين فلاحاه ابْن حمدون فِي ذَلِك فَقَالَ عَليّ بالأسود فأحضر وَقَالَ مقارع فَضَربهُ نَحْو مائَة مقرعة وَقَررهُ وَحلف أَن لم يصدقهُ ضرب عُنُقه وأحضر السَّيْف والنطع فَقَالَ الْأسود لي الْأمان فَقَالَ لَك الْأمان إِلَّا مَا يجب عَلَيْك فِيهِ من حد فَلم يفهم مَا قَالَ لَهُ وَظن أَنه قد أَمنه فَقَالَ أَنا كنت أعمل فِي اتاتين الْآجر سِنِين وَكنت مُنْذُ شهور هُنَاكَ جَالِسا فاجتاز بِي رجل فِي وَسطه هميان فَتَبِعَهُ فجَاء إِلَى بعض الأتاتين فَجَلَسَ وَهُوَ لَا يعلم مَكَاني فَحل الْهِمْيَان وَأخرج مِنْهُ دِينَارا فتأملته فَإِذا كُله دَنَانِير فثاورته وكتفته وسددت فَاه وَأخذت الْهِمْيَان وَحَمَلته على كَتِفي وطرحته فِي نقرة الأتون وطينته فَلَمَّا كَانَ بعد ذَلِك أخرجت عِظَامه فطرحتها فِي دجلة وَالدَّنَانِير معي يُقَوي بهَا قلبِي فَأمر المعتضد من أحضر الدَّنَانِير من منزله وَإِذا على الْهِمْيَان مَكْتُوب لفُلَان بن فلَان فَنُودِيَ فِي الْبَلدة باسمه فَجَاءَت امْرَأَة قَالَت هَذَا زَوجي ولي مِنْهُ هَذَا الطِّفْل خرج فِي وَقت كَذَا وَمَعَهُ هميان فِيهِ ألف دِينَار فَغَاب إِلَى الْآن فَسلم الدَّنَانِير إِلَيْهَا وأمرها أَن تَعْتَد وَضرب عنق الْأسود وَأمر أَن تحمل جثته إِلَى الأتون.

قَالَ المحسن وَبَلغنِي أَن المعتضد بِاللَّه قَامَ فِي اللَّيْل لحَاجَة فَرَأى بعض الغلمان المردان قد نَهَضَ من ظهر غُلَام أَمْرَد ودب على أربعته حَتَّى اندس بَين الغلمان فجَاء المعتضد فَجعل يضع يَده على فؤاد وَاحِد بعد وَاحِد إِلَى أَن وضع يَده على فؤاد ذَلِك الْفَاعِل فَإِذا بِهِ يخْفق خفقاناً شَدِيدا فركزه بِرجلِهِ فَقعدَ واستدعى آلَات الْعقُوبَة فاقر فَقتله .

قَالَ المحسن وبلغنا عَن المعتضد بِاللَّه أَن خَادِمًا من خدمه جَاءَ يَوْمًا فَأخْبرهُ أَنه كَانَ قَائِما على شاطئ الدجلة فِي دَار الْخَلِيفَة فَرَأى صياداً وَقد طرح شبكته فثقلت بِشَيْء فجذبها فأخرجها فَإِذا فِيهَا جراب وَأَنه قدره مَالا فَأَخذه وفتحه فَإِذا فِيهِ آجر وَبَين الْآجر كف مخضوبة بحناء قَالَ فأحضر الجراب والكف وَالْآجر فهال المعتضد ذَلِك وَقَالَ قل للصياد يعاود طرح الشبكة فَوق الْموضع وأسفله وَمَا قاربه قَالَ فَفعل فَخرج جراب آخر فِيهِ رجل قَالَ فطلبوا فَلم يخرج شَيْء آخر فَاغْتَمَّ المعتضد فَقَالَ معي فِي الْبَلَد من يقتل إنْسَانا وَيقطع أعضاؤه ويفرقه وَلَا أعرف بِهِ مَا هَذَا ملك قَالَ وَأقَام يَوْمه كُله مَا طعم طَعَاما فَلَمَّا كَانَ من الْغَد أحضر ثِقَة لَهُ وَأَعْطَاهُ الجراب فَارغًا وَقَالَ لَهُ طف بِهِ على كل من يعْمل الجرب بِبَغْدَاد فَإِن عرفه مِنْهُم رجل فسله على من بَاعه فَإِذا دلك عَلَيْهِ فسل الْمُشْتَرِي اشْتَرَاهُ مِنْهُ وَلَا تقر على خَبره أحدا قَالَ فَغَاب الرجل وجاءه بعد ثَلَاثَة أَيَّام فزعم أَنه لم يزل يتطلب فِي الدباغين وَأَصْحَاب الجرب إِلَى أَن عرف صانعه وَسَأَلَ عَنهُ فَذكر أَنه بَاعه على عطار بسوق يحيى وَأَنه مضى إِلَى الْعَطَّار وَعرضه عَلَيْهِ فَقَالَ وَيحك كَيفَ وَقع هَذَا الجراب فِي يدك فَقلت أَو تعرفه قَالَ نعم اشْترى منى فلَان الْهَاشِمِي مُنْذُ ثَلَاثَة أَيَّام عشرَة جرب لَا أَدْرِي لأي شَيْء أرادها وَهَذَا مِنْهَا فَقلت لَهُ وَمن فلَان الْهَاشِمِي فَقَالَ رجل من ولد على بن ريطه من ولد الْمهْدي يُقَال لَهُ فلَان عَظِيم إِلَّا أَنه شَرّ النَّاس وأظلمهم وأفسدهم لحرم الْمُسلمين وأشدهم تشوقاً إِلَى مكايدهم وَلَيْسَ فِي الدُّنْيَا من يُنْهِي خَبره إِلَى المعتضد خوفًا من شَره ولفرط تمكنه من الدولة وَالْمَال وَلم يزل يحدثني وَأَنا أسمع أَحَادِيث لَهُ قبيحة إِلَى أَن قَالَ فحسبك أَنه كَانَ يعشق مُنْذُ سِنِين فُلَانَة الْمُغنيَة جَارِيَة فُلَانَة الْمُغنيَة وَكَانَت كالدينار المنقوش وكالقمر الطالع فِي غَايَة حسن الْغناء فساوم مولاتها فِيهَا فَلم تقاربه فَلَمَّا كَانَ مُنْذُ أَيَّام بلغه أَن سيدتها تُرِيدُ بيعهَا على مُشْتَر قد حضر بذل فِيهَا أُلُوف دَنَانِير فَوجه إِلَيْهَا لَا أقل من أَن تنفذيها إِلَى لتودعني فأنفذتها إِلَيْهِ بعد أَن أنفذ إِلَيْهَا حذرها لثَلَاثَة أَيَّام فَلَمَّا انْقَضتْ الْأَيَّام الثَّلَاثَة غصبهَا عَلَيْهَا وغيبها عَنْهَا فَمَا يعرف لَهَا خبر وَادّعى أَنَّهَا هربت من دَاره وَقَالَت الْجِيرَان أَنه قَتلهَا

وَقَالَ قوم لَا بل هِيَ عِنْده وَقد أَقَامَت سيدتها عَلَيْهَا المأتم وَجَاءَت وصاحت على بَابه وسودت وَجههَا فَلم ينفعها شَيْء فَلَمَّا سمع المعتضد سجد شكرا لله تَعَالَى على انكشاف الْأَمر لَهُ وَبعث فِي الْحَال من كبس على الْهَاشِمِي وأحضر الْمُغنيَة وَأخرج الْيَد وَالرجل إِلَى الْهَاشِمِي فَلَمَّا رآهما انتقع لَونه وأيقن بِالْهَلَاكِ واعترف فَأمر المعتضد بِدفع ثمن الْجَارِيَة إِلَى مولاتها من بَيت المَال وصرفها ثمَّ حبس الْهَاشِمِي فَيُقَال أَنه قَتله وَيُقَال مَاتَ فِي الْحَبْس.

الاذكياء

من أكون؟

س: ما الذي يدور حول المدرسة ولكنه لا يتحرك

س: شيء تحت البحر وفوق النهر ما هو

س: ما هو الشيء الذي وزنه وهو مملوء يساوي وزنه وهو فارغ ؟

س: إذا خلعت جلدي لن ابكي بل أنت الذي ستبكي من أنا ؟

س: ما هو الشيء الذي يتكون من ثلاثة حروف ومع هذا نلفظه كحرف واحد ويكون مهما جدا في حياتنا ؟

س: لست حيا ومع هذا أنمو ليس لي رئتان ولكنني احتاج للهواء ليس لي فم ولكن الماء يقتلني من أكون ؟

س: ما هو الشيء الذي يسير بلا سيقان ويحمل بيته فوق ظهره ؟

س: إذا أردت أن تصبح ثريا لماذا يجب أن تغلق فمك ولا تتكلم ؟

س: شيء أصله من البحر ولكن إذا وضعته فيه هلك ما هو ؟

س: ما هو الشيء الذي لا نراه ومع هذا لا نستطيع الحياة بدونه

س: ما هو الحمام الذي تستمتع به دون ماء ؟

س: ما الذي يوجد في سنة وأسبوع وساعة ولكنه لا يوجد في يوم ؟

س: ما الشيء الذي يمكنه أن يسير نهارا وليلا وفي نهاية اليوم يرقد ولسانه خارجه

س: أنام بالنهار وأطير بالليل وليس لي ريش يساعدني على الطيران من أكون ؟

س: كلما حصلت على المزيد منه تقل قدرتك على الرؤية ما هو ؟

س: لي أربع أرجل ومع هذا لا أستطيع المشي من أكون ؟

س: ما الذي يرتفع إلى أعلى بينما تسقط الأمطار إلى اسفل ؟

س: تقدمه لشخص آخر وأنت تحافظ عليه ما هو

س: ما هو الشيء الذي يعد مصدرا لكل العواطف ومع هذا محبوس في سجن ابيض

انتهى الجزء الثاني



مشاهد تربوية
منشورات
المكتبة الخاصة
كلام المكاتب
جمال شاهين
منشورات المكتبة الخاصة
حديقة الازهار
مواقف ارشادية
الزمردة
حجر القمر
الجواهر العشر
غربتي وابنتي
قصص
المصباح المضيء
وهج الحرب
جمال شاهين
موقعة الثلاثة والعشرين
الفوارس
حصرم بن سلام
رُمان
القصر المهجور
قريشا ...
هو أنت لاجئ
عبد الله البحري
مملكة مالوئيا والملك بربار
الأميرة نهر الأحلام
قطبة بن سنان
الأمير جفر
التحقيق الجنائي والجريمة
صورة الأم
بصمة وراثية
رجل اسمه سنار
حسان والطير الذهبي
زهلول في أرض الجآن
وصية جديدة
مغامرة النادي
مصرع المدير
شارع البحيرة الخامسة
ليموت الماضي

جمال شاهين

قلب الوطن
حكايات الفوارس
روايات اجتماعية
روايات جنائية
حديقة الازهار
جواهر القصص
قصص اخرى

المكتبة الخاصة

قصص

المصباح

المضيء

الجزء ٣

٢٠٢٤

إعداد

جمال شاهين

قصص المصباح المضيء

الجزء الثالث

قصة هود

وقد وقعت مجريات قصة هود عليه السلام في منطقة اسمها (الأحقاف)، وهي منطقة تُعرف اليوم باسم (الربع الخالي) في أرض الجزيرة العربية، ما بين عُمان وحضرموت .محصل القصة أن الله سبحانه أرسل رسوله هوداً عليه السلام إلى قومه يدعوهم إلى عبادة الله الواحد الصمد، ويطلب منهم نبذ عبادة غيره من الأوثان والآلهة، فاستخف به قومه، وسخروا منه، واستمروا في طغيانهم يعمهون، فعاقبهم الله على موقفهم، بأن أرسل عليهم ريحاً قوية، استأصلت شأفتهم، وجعلتهم حصيداً، ونجَّا الله هوداً والذين معه من المؤمنين . إن الحقيقة الأولى التي واجه بها هود عليه السلام قومه هي تقرير أن المستحق للعبادة هو الله وحده، ولا أحد سواه يستحق العبادة، فها هو ذا يخاطب قومه بقوله : يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره، وقد كان خطابه لقومه عليه السلام خطاب الناصح المشفق عليهم، الذي يريد الخير لهم، ويتألم لما هم عليه من الشرك والضلال، يرشد لهذا قوله :(أبلغكم رسالات ربي وأنا لكم ناصح أمين)
ثم أعلن لهم مبدأ المفاصلة، فبين لهم أن موقفه منهم موقف المتبرئ من شركهم، والمتحدي لطغيانهم، والمعتمد على الله في الانتصار عليهم، وهذا ما عبر عنه بقوله: }إني أشهد الله واشهدوا أني بريء مما تشركون * من دونه فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون * إني توكلت على الله ربي وربكم{ ثم هو بعدُ يذكر قومه أنه لا يريد على دعوته جزاء ولا شكوراً، }ويا قوم لا أسألكم عليه مالا إن أجري إلا على الله{ ، فهو عليه السلام –كغيره من الرسل والدعاة الصادقين– يلتمس أجره من الله . ليس هذا فحسب، بل إن هوداً يذهب في دعوته أبعد من ذلك، فيبين لقومه أنهم إن تركوا ما هم فيه من الضلال والغي، والتزموا شرع الله، فإن الله سوف يفتح عليهم من خزائن رحمته، ويمدهم من فضله، ويزيدهم قوة إلى قوتهم، وغنى إلى غناهم، } ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يرسل السماء عليكم مدرارا ويزدكم
قوة إلى قوتكم وأردف ذلك بتذكير قومه بما أنعم الله عليهم من نعم، وما منَّ عليهم من منن، }واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم في الخلق بسطة{ وتخبرنا بعض الآيات الواردة، أنه عليه السلام بذل أقصى جهده في تذكير قومه بنعم الله عليهم، وتحذيره إياهم من كفرانها، وختم إرشاده لهم بأن بين لهم أنه حريص على مصلحتهم، وأنه يخشى عليهم إذا لم يستجيبوا لدعوته أن ينزل بهم عذاب عظيم،}أمدكم بأنعام

وبنين * وجنات وعيون * إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم{غير أن هذا التذكير لم يزيد قومه إلا إصراراً في غيهم، وعناداً في ضلالهم، حيث أجابوه بقولهم} :قالوا أجئتنا لتأفكنا عن آلهتنا فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين){ا ، وكان موقفهم من دعوته موقف المتكبر والمتجبر والمستعلي، حيث خاطبوه بقولهم} :إنا لنراك في ضلال مبين{وقالوا له أخرى} :إن نقول إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء{ ولما لم يفلح هود في ثني قومه عما هم فيه من الضلال والغي، واجههم بالعاقبة التي سيؤول إليها أمرهم، فقال لهم فيما حكاه القرآن عنه} : قد وقع عليكم من ربكم رجس وغضب وقد أخبر القرآن الكريم عن العذاب الذي حلَّ بقوم هود بعبارات متنوعة ومعبرة، ونجى الله هوداً والذين آمنوا معه، فقال}:فأنجيناه والذين معه برحمة منا وقطعنا دابر الذين كذبوا بآياتنا وما كانوا مؤمنين وقال } :وأتبعوا في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة ألا إن عادا كفروا ربهم ألا بعدا لعاد قوم هود{ ، وقال} :فأخذهم عذاب يوم الظلة إنه كان عذاب يوم عظيم {. وقال} :فأرسلنا عليهم ريحا صرصرا في أيام نحسات لنذيقهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أخزى وهم لا ينصرون {. وقال} :فلما رأوه عارضا مستقبل أوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب أليم * تدمر كل شيء بأمر ربها فأصبحوا لا يرى إلا مساكنهم){ وقال} :وفي عاد إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم){ وقال} :وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية){ا . وقال} :فصب عليهم ربك سوط عذاب {تضمنت قصة هود عليه السلام العديد من العبر والعظات، نذكر منها :

أولاً :أن الغرور والبطر والتباهي بالقوة وشدة البطش يؤدي إلى أسوأ العواقب، وأوخم النتائج؛ ذلك أن قوم هود كانوا يتفاخرون بقوتهم، ويتباهون ببطشهم، ويتطاولون بشدة بأسهم، }وقالوا من أشد منا قوة ، ويقولون لرسولهم وهو ينصح لهم} :سواء علينا أوعظت أم لم تكن من الواعظين){، فكانت نتيجة تكبرهم وغرورهم، أن أرسل الله عليهم ريحاً صرصراً، عصفت بهم عصفاً، وجعلتهم عبرة لمن يعتبر .

ثانياً :مداومة التذكير بنعم الله على عباده، وبيان أن هذه النعم تزداد بشكر الله، وتنمو بطاعته،}ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يرسل السماء عليكم مدرارا ويزدكم قوة إلى قوتكم{

ثالثاً :من المهم للدعاة إلى الله أن يجمعوا في أسلوب دعوتهم بين الترغيب والترهيب، ولا يقتصروا على أحدهما؛ إذ في الاقتصار على أحدهما قد لا تحقق

الدعوة الغرض المرجو منها، بل قد تأتي بعكس النتائج المرجوة منها .

رابعاً :من أعظم العبر المستفادة من هذه القصة، أن الداعي إلى الله عندما يخلص في دعوته، ويعتمد على الله سبحانه في تبليغ رسالته، ويغار عليها كما يغار على عرضه أو أشد.. فإنه في هذه الحالة سيقف في وجه الطغاة المناوئين للحق كالجبل الراسخ، الذي لا تنال منه ريح عاصف، ولا سيل جارف، بل يقف شامخاً برأسه، لا يلوي على أحد يعترض سبيل دعوته؛ لأنه يأوي إلى ركن شديد. وهكذا الدعاة المخلصين يبلغون رسالة ربهم، ويخشونه ولا يخشون أحداً إلا الله، ويغارون عليها، ويدافعون عنها بكل شجاعة وثبات، وبكل عزم وإصرار . *موقع إسلام ويب*

قصص من السنة

ثلاثة في غار

روى مسلم في صحيحه عَنْ عَبْدِ الله بْنِ عُمَرَ ﷺ عَنْ رَسُولِ الله ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «بَيْنَمَا ثَلَاثَةُ نَفَرٍ يَتَمَشَّوْنَ أَخَذَهُمْ الْمَطَرُ فَأَوَوْا إِلَى غَارٍ فِي جَبَلٍ، فَانْحَطَّتْ عَلَى فَمِ غَارِهِمْ صَخْرَةٌ مِنْ الْجَبَلِ فَانْطَبَقَتْ عَلَيْهِمْ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: «انْظُرُوا أَعْمَالًا عَمِلْتُمُوهَا صَالِحَةً لله، فَادْعُوا الله تَعَالَى بِهَا؛ لَعَلَّ الله يَفْرُجُهَا عَنْكُمْ». فَقَالَ أَحَدُهُمْ: «اللهمَّ إِنَّهُ كَانَ لِي وَالِدَانِ شَيْخَانِ كَبِيرَانِ وَامْرَأَتِي وَلِي صِبْيَةٌ صِغَارٌ أَرْعَى عَلَيْهِمْ، فَإِذَا أَرَحْتُ عَلَيْهِمْ حَلَبْتُ فَبَدَأْتُ بِوَالِدَيَّ فَسَقَيْتُهُمَا قَبْلَ بَنِيَّ، وَأَنَّهُ نَأَى بِي ذَاتَ يَوْمٍ الشَّجَرُ فَلَمْ آتِ حَتَّى أَمْسَيْتُ فَوَجَدْتُهُمَا قَدْ نَامَا. فَحَلَبْتُ كَمَا كُنْتُ أَحْلُبُ فَجِئْتُ بِالْحِلَابِ فَقُمْتُ عِنْدَ رُءُوسِهِمَا أَكْرَهُ أَنْ أُوقِظَهُمَا مِنْ نَوْمِهِمَا وَأَكْرَهُ أَنْ أَسْقِيَ الصِّبْيَةَ قَبْلَهُمَا، وَالصِّبْيَةُ يَتَضَاغَوْنَ عِنْدَ قَدَمَيَّ، فَلَمْ يَزَلْ ذَلِكَ دَأْبِي وَدَأْبَهُمْ حَتَّى طَلَعَ الْفَجْرُ، فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَافْرُجْ لَنَا مِنْهَا فُرْجَةً نَرَى مِنْهَا السَّمَاءَ». فَفَرَجَ الله مِنْهَا فُرْجَةً فَرَأَوْا مِنْهَا السَّمَاءَ. وَقَالَ الْآخَرُ: «اللهمَّ إِنَّهُ كَانَتْ لِيَ ابْنَةُ عَمٍّ أَحْبَبْتُهَا كَأَشَدِّ مَا يُحِبُّ الرِّجَالُ النِّسَاءَ وَطَلَبْتُ إِلَيْهَا نَفْسَهَا فَأَبَتْ حَتَّى آتِيَهَا بِمِائَةِ دِينَارٍ، فَتَعِبْتُ حَتَّى جَمَعْتُ مِائَةَ دِينَارٍ فَجِئْتُهَا بِهَا - (وفي رواية لمسلم أيضًا: فَامْتَنَعَتْ مِنِّي حَتَّى أَلَمَّتْ بِهَا سَنَةٌ مِنْ السِّنِينَ فَجَاءَتْنِي) - فَلَمَّا وَقَعْتُ بَيْنَ رِجْلَيْهَا قَالَتْ: «يَا عَبْدَ الله اتَّقِ اللهَ وَلَا تَفْتَحْ الْخَاتَمَ إِلَّا بِحَقِّهِ»، فَقُمْتُ عَنْهَا، - (وفي رواية للبخاري: فَقُمْتُ وَتَرَكْتُ الْمِائَةَ دِينَارٍ) - فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَافْرُجْ لَنَا مِنْهَا فُرْجَةً» فَفَرَجَ لَهُمْ. وَقَالَ الْآخَرُ: «اللهمَّ إِنِّي كُنْتُ اسْتَأْجَرْتُ أَجِيرًا بِفَرَقِ أَرُزٍّ، فَلَمَّا قَضَى عَمَلَهُ قَالَ: «أَعْطِنِي حَقِّي»، فَعَرَضْتُ عَلَيْهِ فَرَقَهُ فَرَغِبَ عَنْهُ، فَلَمْ أَزَلْ أَزْرَعُهُ حَتَّى جَمَعْتُ مِنْهُ بَقَرًا وَرِعَاءَهَا، فَجَاءَنِي فَقَالَ: «اتَّقِ

اللهَ وَلَا تَظْلِمْنِي حَقِّي»، قُلْتُ: «اذْهَبْ إِلَى تِلْكَ الْبَقَرِ وَرِعَائِهَا فَخُذْهَا، فَقَالَ: «اتَّقِ اللهَ وَلَاتَسْتَهْزِئْ بِي»، فَقُلْتُ: «إِنِّي لَا أَسْتَهْزِئُ بِكَ، خُذْ ذَلِكَ الْبَقَرَ وَرِعَاءَهَا»، فَأَخَذَهُ فَذَهَبَ بِهِ، فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَافْرُجْ لَنَا مَا بَقِيَ». فَفَرَجَ اللهُ مَا بَقِيَ، وَخَرَجُوا يَمْشُونَ». إِلَّا بِحَقِّهِ: بِنِكَاحٍ لَا بِزِنًا.

من عبر القصة:١ - يُسْتَحَبّ لِلْإِنْسَانِ أَنْ يَدْعُوَ فِي حَال كَرْبه، وَغَيْره بِصَالِحِ عَمَله، وَيَتَوَسَّل إِلَى الله تَعَالَى بِهِ؛ لِأَنَّ هَؤُلَاءِ فَعَلُوهُ فَاسْتُجِيبَ لَهُمْ وَذَكَرَهُ النَّبِيّ ﷺ فِي مَعْرِض الثَّنَاء عَلَيْهِمْ، وَجَمِيل فَضَائِلهمْ.٢ - فَضْل الْعَفَاف وَالِانْكِفَاف عَنْ الْمُحَرَّمَات، لَا سِيَّمَا بَعْد الْقُدْرَة عَلَيْهَا، وَالْهَمّ بِفِعْلِهَا، وَيَتْرُك لله تَعَالَى خَالِصًا.٣ - أَنَّ تَرْك الْمَعْصِيَة يَمْحُو مُقَدِّمَات طَلَبهَا، وَأَنَّ التَّوْبَة تَجُبّ مَا قَبْلهَا. ٤ - جَوَاز الْإِجَارَة وَفَضْل حُسْن الْعَهْد، وَأَدَاء الْأَمَانَة، وَالسَّمَاحَة فِي الْمُعَامَلَة.٥ - إِثْبَات كَرَامَات الْأَوْلِيَاء، وَهُوَ مَذْهَب أَهْل السنةِ والجماعةِ.٦ - فَضْل الْإِخْلَاص فِي الْعَمَل.٧ - الأثر الطيب للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فقد نَهَتْ المرأة ابنَ عمِّها ٨- فَضْل بِرّ الْوَالِدَيْنِ وَفَضْل خِدْمَتهمَا وَإِيثَارهمَا عَمَّنْ سِوَاهُمَا مِنْ الْأَوْلَاد وَالزَّوْجَة وَالْأَهْل وَغَيْرهمْ وَتَحَمُّل الْمَشَقَّة لِأَجْلِهِمَا.

صَوْتٌ فِي سَحَابَةٍ

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «بَيْنَا رَجُلٌ بِفَلَاةٍ مِنْ الْأَرْضِ فَسَمِعَ صَوْتًا فِي سَحَابَةٍ: «اسْقِ حَدِيقَةَ فُلَانٍ»، فَتَنَحَّى ذَلِكَ السَّحَابُ فَأَفْرَغَ مَاءَهُ فِي حَرَّةٍ، فَإِذَا شَرْجَةٌ مِنْ تِلْكَ الشِّرَاجِ قَدْ اسْتَوْعَبَتْ ذَلِكَ الْمَاءَ كُلَّهُ، فَتَتَبَّعَ الْمَاءَ، فَإِذَا رَجُلٌ قَائِمٌ فِي حَدِيقَتِهِ يُحَوِّلُ الْمَاءَ بِمِسْحَاتِهِ، فَقَالَ لَهُ: «يَا عَبْدَ اللهِ مَا اسْمُكَ؟» قَالَ: «فُلَانٌ»، لِلاسْمِ الَّذِي سَمِعَ فِي السَّحَابَةِ. فَقَالَ لَهُ: «يَا عَبْدَ اللهِ لِمَ تَسْأَلُنِي عَنْ اسْمِي؟» فَقَالَ: «إِنِّي سَمِعْتُ صَوْتًا فِي السَّحَابِ الَّذِي هَذَا مَاؤُهُ يَقُولُ: اسْقِ حَدِيقَةَ فُلَانٍ ـ لِاسْمِكَ ـ، فَمَا تَصْنَعُ فِيهَا؟» قَالَ: «أَمَّا إِذْ قُلْتَ هَذَا فَإِنِّي أَنْظُرُ إِلَى مَا يَخْرُجُ مِنْهَا فَأَتَصَدَّقُ بِثُلُثِهِ وَآكُلُ أَنَا وَعِيَالِي ثُلُثًا وَأَرُدُّ فِيهَا ثُلُثَهُ» (رواه مسلم) الْحَدِيقَة: الْقِطْعَة مِنْ النَّخِيل، وَيُطْلَق عَلَى الْأَرْض ذَات الشَّجَر. تَنَحَّى: مال وقَصَدَ. الْحَرَّة: أَرْض بها حِجَارَة سُود كثيرة. الشَّرْجَة: جَمْعهَا شِرَاج، وَهِيَ مَسَائِل الْمَاء فِي الْحِرَار. المِسْحَاة: آلة يدوية تستخدم في الزراعة، وَهِيَ كَالْمِجْرَفَةِ إِلَّا أَنَّهَا مِنْ حَدِيد.

من عبر القصة:١ - فَضْل الصَّدَقَة وَالْإِحْسَان إِلَى الْمَسَاكِين وَأَبْنَاء السَّبِيل.٢ - فَضْل أَكْل الْإِنْسَان مِنْ كَسْبه، وَالْإِنْفَاق عَلَى الْعِيَال.٣ - إذا رضي الله ﷻ عن العبد سخر له ما شاء من الأرض والسماء. ٤ - رعاية الله وحفظه للصالحين من

عباده. ٥ – الاتزان في أمور الحياة وإعطاء كل ذي حق حقه.

◐ { رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ، رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ، رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الأَبْرَارِ ، رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَّنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلاَ تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لاَ تُخْلِفُ الْمِيعَادَ}

◐ { رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ }

دعاء موسى

{وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ * قَالَ قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا}

عَنْ أَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَنْ قَالَ إِذَا صَلَّى الصُّبْحَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ عَشْرَ مَرَّاتٍ كُنَّ كَعَدْلِ أَرْبَعِ رِقَابٍ وَكُتِبَ لَهُ بِهِنَّ عَشْرُ حَسَنَاتٍ وَمُحِيَ عَنْهُ بِهِنَّ عَشْرُ سَيِّئَاتٍ وَرُفِعَ لَهُ بِهِنَّ عَشْرُ دَرَجَاتٍ وَكُنَّ لَهُ حَرَسًا مِنْ الشَّيْطَانِ حَتَّى يُمْسِيَ وَإِذَا قَالَهَا بَعْدَ الْمَغْرِبِ فَمِثْلُ ذَلِكَ . حم (لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ [ثلاثاً]، اللَّهُمَّ لاَ مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ، وَلاَ مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ، وَلاَ يَنْفَعُ ذَا الْجَدِّ مِنْكَ الْجَدُّ)

رواية شمس عمري

الحلقة ٣

ناجح في الريحانة

كانت عزيزة زوجة ناجح الخابي عندما تسمع أخبار عمري الخابي لا تصدق ما يقال عنه وعن مشاريعه وغناه والأيدي العاملة عنده ، ولما تسمع رباب تحدثها بذلك وتقسم لها ، تكاد تنفجر من الغيظ والقهر ، فهذا الخير في نظرها كان يجب أن يكون لابنتها نوال ؛ ولكنها تعود فتقول مواسية لنفسها : إنه رجل معقد مريض ؛ ولكن للأسف ها هي صحف العاصمة بدأت تبرز فيها صورة عمري ومدير مشاريعه يوسف حسان ، وأحيانا عندما تجلس مع ابنتيها ينحرف الكلام للحديث عن عمري الفتى الهارب قبل عشرين سنة تنقص قليلا ، فتأخذ أنعام بالحديث عن تقواه وصلاحه رغم كثرة المال الذي بين يديه ، وأنه بدأ من غير أن يأخذ من أرصدة والده شيئا فتمدحه ، وعزيزة ونوال ينهشن لحمه وينتقصنه ، وأنعام تزيدهن غيظا بالثناء عليه ورعايته للأيتام والفقراء

وأصحاب الحاجات ، وتختم كلامها وتمنيها بالجلوس معه وسماع صوته ، فهي منذ هجر بيت الأسرة لم تره ولم تتكلم معه ، فتزداد نوال حنقا عليها فقالت بتهكم : دعي قمرية ترتب لك لقاء معه ألست ابنة عمه ورحمه وأرملة ولديك أيتام ؟ .. فبدلا أن يصرف عليك ناجح الخابي فليصرف عليهن راعي الأيتام والفقراء

فقالت أنعام بغيظ واستياء من تهكم اختها : والله يا حبيبتي أبوك أولى بالصرف عليّ ، وأموال زوجي رحمه الله تكفي وإن ذهب أكثرها لوالديه .. وأنا أقبل أموال أبي لأنه هو يصرفها عليّ ، وزوجي كان موظفا عنده ومات أثناء العمل ، وصدقي سوف أحاول وأسعى للوصول إليه وأسمع صوته ليزداد حنقك وغضبك

وقامت بحماس وحمية واتصلت بقمرية ؛ ولكنها لم تجدها في بيتها فقالت لها نوال : مجنونة أنت خذي الإذن من أبيك

ـ وهل زيارة ابن العم تحتاج لإذن من الأب ؟ .. ومتى كان هذا في قانون العائلة ؟

فقالت عزيزة بغضب : لابد من ذلك .. فأنت تعرفين ما بيننا وبين عمري

فقالت أنعام بقوة وتحد : لا شيء بيننا وبين عمري ، هو أوذي من أبيه وعمه ليس منا

ونحن تألمنا لم حصل ؛ ولكنه كان خيرا كبيرا له ، ولم يخطبني لأثير الناس عليه كما فعل بعض الناس

فهاجت نوال واشتد غضبها وقالت : ويلك ما أقسى قلبك ! كنت جاهلة صغيرة .. أليس كذلك يا أمي ؟

فقالت عزيزة : دعينا من كلامك يا أنعام .. هل نامت بناتك ؟

قالت : لا ..صعدوا عند خالهم صابر عند أولاد خالهم

فقالت نوال : أما ابني فقد ذهب يلعب مع جدته قالت ذلك باستهزاء وتهكم .

فقالت عزيزة : ضروري يتعرف على جدته حتى إذا حصل طلاقك من هذا المخمور يستطيع العيش مع أم أبيه في المستقبل

فقالت نوال بحيرة : وأعيش بدونه ؟ !

فقالت عزيزة : ألا يكفي بنات أنعام ؟

فقالت أنعام : وما بال بناتي يا أمي .. أيزعجنك ويلعبن فوق رأسك .. اعتبريهن مثل أولاد وبنات صابر

فقالت نوال ساخرة : صابر ذكر يا أنعام ؟

فقالت أنعام ساخرة أيضا : لا فرق بين ذكر وأنثى في بيوت العائلات الكبيرة والمنفتحة على الشرق والغرب

فقالت عزيزة بغضب : أتسخرن مني ؟! انظري إلى نهى ونهال يحضرن لزيارتنا بدون أولادهن خوفا من إزعاجنا ومضايقتنا ، نحن كبرنا لم نعد نطيق شغب الأطفال ؟

فقالت أنعام : أولاد نهى ونهال شباب يا أمي ! نهى لديها ولدان ونهال مثلها ، ثم إن أولاد نهى لا يحبوننا يرون أنهم أبناء أسر عريقة في الغنى والجاه

فقالت عزيزة الغاضبة : ما أطول لسانك !

فقالت نوال : إنها تقول الحق يا أمي .. أهل أزواجهن لا يحبون لهم الاختلاط بنا

فقالت عزيزة : دعوهن في بيوتهن .. كأن والدكن أتى . طلت أنعام من الشباك ثم قالت : أجل سيارة أبي وصابر وراءه .. لقد أتى الديوك

فضحكت عزيزة وعادت تقول : ما أطول لسانك يا ابنة ناجح !

فقالت نوال : أمعهم زوجي الشجاع ؟ !

قالت أنعام ضاحكة ساخرة : لا .. ذهب لمقاتلة السكارى في حانات المدينة ليثبت لهم شجاعته وفروسيته يا امرأة الشجاع نادر

فصاحت نوال : فعلا لسانك يحتاج إلى تقصير .. ففيه طول أكثر من اللازم

فتظاهرت أنعام بالضحك ثم قالت : نكتة قديمة دخل ناجح وصابر وألقيا تحية الليل ، وقال الأب مداعبا : بماذا يتحدث الناس في بيتنا ؟

فقالت عزيزة : لا شيء .. بس عن لسان أنعام الطويل

وقبل أن يعلق أحد قال صابر : تصبحون على خير

فقالت أمه : مع السلامة يا ولدي ..أرسل بنات أنعام فهن مع أولادك

فقالت أنعام : مالك في بناتي .. ينزلن وحدهن يا أمي

ـ لا نريد أن يزعجن صابرا

ـ قلنا يا أمي لا فرق بين الذكر والأنثى أتتضايق منهن يا أخي العزيز ؟

فقال صابر وهو ينصرف : أبدا يا أنعام .. إنهن بنات أختي وصديقنا ماهر

فقالت نوال بمكر : ولكن فريدة لا تحب معاشرتهن لأولادك

فقالت عزيزة بحدة : دعينا من فريدة المرأة حرة فيما تفعل .. اذهب يا ولدي .. اذهب ..

صعد صابر للطابق الثاني حيث شقته .. وعادت عزيزة تسأل ناجحا قائلة : ما أخبار أخيك العزيز ؟

فقال ضاحكا : إنه مغلول ومقهور من ابنه عمري

فتظاهرت أنعام بالجهل وقالت: ولماذا هو مقهور ومغلول من ولده ؟ !

فقال ناجح باختصار مفيد : من نجاح ولده .. لا يحب له النجاح

فردت أنعام : عليه أن يفرح يا أبي .. هذا شيء يفرح القلب

فقالت عزيزة بضجر وامتعاض : عدنا لسيرة عمري ابن مريم .. هو لا يوجد في الدنيا إلا عمري يا ناجح ؟

فقالت نوال بخبث مرة أخرى : أبي ! .. أنعام العاقلة تفكر بزيارة السيد عمري .. تريد أن تسلم على ابن عمها نصير الفقراء والأيتام والأرامل

تنهد ناجح من أعماق قلبه ثم قال وهو يهز رأسه : يا ابنتي ! عمري ولد مبارك ، لديه مشاريع يحتار المرء بكيف يدير هذا الرجل تلك المشاريع ؟! .. مدارس .. أيتام .. استيراد .. بيع .. تصدير .. بناء .. سيارات .. أنا ذهبت اليوم بنفسي لمكتبه هنا في العاصمة لأصالحه وأرمم ما بينه وبين أبيه بعد كل هذه السنين من البعد والجفاء .. فلم أجده .. عمري منا ونحن منه .. والحقيقة أن لديه رجالا مخلصين ، وفهمت منهم أن شعار عمري .. لا كنز للمال .. المال يجلب المال مشاريع مربحة مقابلها مشاريع اجتماعية تكافلية .. المال يشتغل أناس تعمل وتكسب وتنفق

فقالت أنعام بحماس : ما رأيك يا أبي بأن نزورهم في الريحانة ؟ .. نزوره في البيت ، ونرى امرأة عمي والبنات ، قد يكون لزيارتنا في بيتهم وقع في نفوسهم وأثر في الصلح الذي تسعى إليه

ـ فكرة طيبة !

فقالت أنعام بنفس الحماس والاندفاع :

غدا نذهب .. نأخذ البنات معنا يا أبي .. سأتحدث الليلة مع قمرية لنعرف عنوان امرأة عمي مريم .. أتذهبين معنا يا أمي ؟

فردت بجفاء : لا .. أنا ونوال سنبقى هنا ، لما تتصالحوا مع عمري نتصالح معه .. أليس كذلك يا نوال ؟

فعلا ذهب ناجح لزيارة عمري في مكتبه في شارع قطز ، وجلس مع الموظفين وأخبرهم أنه عمه ، فرحبوا به وأحسنوا استقباله ودردش معهم ، وكان ناجح يفكر بجمع الولد مع أبيه بعد كل هذه السنوات ، وهو يتصرف بدون علم أخيه ناصح ، لذلك لما أصبح الصباح ولبست أنعام ثيابها هي وبناتها انطلقوا ، وأنعام منذ ترملت تركت التبرج السافر ، وبدأت تلبس ثياباً فيها بعض الحشمة ، وأحيانا تغطي رأسها بمنديل رقيق وتحاول المحافظة على الصلاة ، انطلق ناجح بحماسة نحو الريحانة، وهي مدينة معروفة له وتردد عليها كثيرا أيام الصبا ، وحتى أيام الشيخوخة ، وبعد ساعات ثلاث دخل المدينة وسأل عن الطريق المؤدية للضاحية الجديدة ضاحية الصالح ، ومشى نحوها حتى أوقف السيارة أمام فيلا السيد عمري محمود ، فقال ناجح وهو يطفيء

محرك السيارة : ابن عمك لا يذكر اسم الخابي على أوراق مشاريعه وشركاته ومتاجره .. هيا انزلوا

هبطوا من السيارة وضغطوا الجرس الكهربائي ، فسمعوا صوت الشغالة أم مالك ، فتحدث معها ناجح ، ففتحت الباب بضغطة زر ، فدخل ناجح وابنته وبناتها مدخل الفيلا فاستقبلتهم أم مالك ، وأدخلتهم لقاعة استقبال جميلة وقدمت لهم العصير البارد وهي تقول : إن والدة سيدي آتية بعد قليل

وبعد قليل ظهرت مريم من إحدى الأبواب ، وكان بين يديها عكاز، ولما رأت ناجحا هتفت : السلام عليكم .. أهلا بالسيد ناجح

فنهضوا يرحبون بها وأراد أن يصافحها مادا يده ، فقالت معتذرة : آسف يا سيد ناجح

فقال : عفوا يا سيدتي ! .. إيه لقد تغيرت يا مريم أم تخفين الشيب ؟

صافحت أنعام امرأة عمها سابقا وعانقتها وقبلت يدها ، وأظهرت ودها وحبها لامرأة عمها ورأت الهيبة والوقار والتورع في وجهها ، وفعلت الصغيرات كما فعلت أمهن ، فمسحت مريم على روؤسهن برفق وحنان ورحبت بهم ، ونادت أم مالك وقالت : اذهبي بهن ليلعبن مع أولاد عمري في غرفة الألعاب ، وأطعميهن من الفاكهة .. فالمشوار طويل

ولما انصرفن تابعت مريم قائلة : أنا حزين لك يا أنعام .. العمر الطويل لك ولبناتك

فقالت أنعام وقد عادت للجلوس : أشكرك يا أم عمري .. أين زينب ؟

ـ ستأتي بعد قليل لتسلم على عم زوجها .. أهلا بكم

فقال ناجح وهو يتأمل مريم : والله تغيرت يا مريم .. إنني أتذكر الصور القديمة وصورتك الآن .. والله عمري ولد مبارك يا مريم ..

ـ الحمد لله .. الشكر لله .. كان ضربكم لولدي خيراً كبيراً لنا ..

وتحدثا وتذكرا وأكلا الفاكهة ، ثم أتت زينب التي كانت ترتب أمر الغداء مع زوجها القادم ، وحيت الرجل بأدب وحياء وعانقت انعام بعاطفة وحب ، ثم سألت ناجحا عن صحته وأهله وسألته عن عمها ناصح، فتطلع إلى مريم فقالت : رد عليها يا ناجح .. أنا رأيت ناصحا بعد طلاقي ، عند زواج بدرية تقابلنا .. وهو والدها ، والمؤمن لا يبغض إلا أعداء الدين والعصاة المصرين

فعاد ناجح يتحدث عن إعجابه بهم وبإيمانهم ، فقالت مريم : أنت قد دخلت السبعين ماذا تنتظر ؟ لماذا لا تدرك نفسك ؟ فقال : يا ليت هذا يحدث يا مريم !

فقالت : باب التوبة مفتوح .. وما يمنعك ؟

فقالت أنعام : والله يا أبي عليك أن تسمع كلام الحاجة أم عمري

وأخذت مريم تتحدث مع السيد ناجح وزينب مع أنعام التي قالت لها: أحببتك يا أنعام مذ رأيتك .. لما أخبرتنا قمرية بمجيئكم سررنا وملأ الفرح قلوبنا .. وقلنا هذه خطوة لمصالحة عمي مع عمري .. مالك تنظرين إلى عمتي ؟ عمتي تدعو ليل نهار ليتحقق ذلك .. فعمي ناصح والد عمري بغض النظر عما جرى بين الأم وزوجها .

قالت أنعام بإعجاب : أنت رائعة يا زينب .. أنت شجاعة !

قالت زينب : أرجوك يا أنعام ! أنا لا أحب سماع مثل هذا الكلام ..

دخلت قمرية فصافحت عمها وعانقت أنعام بحرارة وشوق ، وعلق ناجح : والله يا مريم لملمت الأولاد حولك .فقالت : ذكرتني يا ناجح .. سمري ما أخباره ؟

فقال باقتضاب : لا أخبار .. أتى قديما وقضى كم شهرا بيننا ، ثم انصرف إلى هناك .. فلم نستفد من دراسته وشهادته شيئا .. وأسمع أحيانا أنه يتصل بوالده أثناء احتفال الناس بأعياد الميلاد

دعت مريم لولدها بالتوبة والهداية وتساقطت بعض دمعات من عينيها على ضياع ولدها سمري ، وبعدما تحدثت قمرية مع عمها قليلا اندمجت الفتيات بالحديث ، وعاد ناجح ومريم يتحدثون عن الماضي ، وكانت قمرية تخاطب أنعام فتقول بسرور واعجاب : هذه زينب التي كنت أحدثكم عنها عند عمتي رباب .. إنها قمر ونور لنا وبركة .. أهلا بأنعام .. أين البنات ؟

ـ مع أولاد زينب

توبة ناجح

وجد ناجح حفاوة كبيرة من أبن أخيه ، حفاوة لم يكن يتوقعها ، وكان يعتقد أن عمريا ما زال يحمل له أحقاد تلك الليلة المشؤومة كما يقول ، ولمس أخلاق ابن أخيه وحلاوة لسانه وصدق لهجته ، وهنأه على مشاريعه ونجاحه المشهود ، وتناول العم ناجح مع أسرة ابن أخيه وأختيه قمرية وزوجها جبر وبدرية وزوجها الطبيب فائز لطفي وأولادهم الغداء، مما أفرح قلبه وعرف معنى السعادة في الاجتماع والإيمان ، ولما اقترب موعد العودة أبى عمري وأصر وصمم على مبيت الجميع معهم في الفيلا ، وبعد تمنع رضخ ناجح للأمر ، وخلال السهرة كان ناجح يحدث عمريا عن الصلح مع أبيه ، فقال عمري بدون تشنج : أنا مستعد لذلك يا عمي إذا لم تمح كل هذه السنوات تلك الصفعات والإهانات ..فالإيمان الذي نحمله في قلوبنا يدعونا إلى ذلك .. أنت رتب ذلك وأنا جاهز .. وأنا في الغالب أقضي الخميس

والجمعة عندكم في العاصمة .. حتى أمي مستعدة لئن تكون علاقتها بأبي علاقة إنسانية طبيعية.. فالطلاق لا يعني الحقد والغل فالطلاق عندنا في الاسلام حل لمشكلة ولبقاء الإيمان .. فهل إذا طلق الرجل ابنة عمه يهجرها ولا يصلها .. لكل شيء حدود ونظام متناسق وواضح ، فالقريب يبقى قريبا ، والرحم تبقى رحما رغم المشاكل والمشاجرات .. قديما يا عم كانت المطلقة تتزوج مرة واثنتين وأكثر من غير أي إحراج ونظرة قاسية نحوها من قبل المجتمع ، فالرسول الحبيب ﷺ تزوج مطلقات ومارس الطلاق ، فهذا الصحابي زيد بن حارثة[1] ﷺ كان كثير الطلاق وكثير الزواج ، والأرملة كذلك هذه القضايا كانت سهلة الحل .. وأنا عرضت على أمي الزواج منذ أتت إلى هنا ؛ ولكنها قالت بكل صراحة لم يعد بي رغبة للرجال

فقال ناجح : أنت فعلت ذلك ؟!

من حقها يا عمي أن يكون لها زوج إذا رغبت ، فكما عند الرجل شهوة فعند النساء شهوة فكما من حق الأرمل أن يتزوج فمن حق الأرملة أو المطلقة أن تتزوج ؛ ولكن هناك نساء يصبرن عن الزوج ، وهناك رجال يصبرون عن الزوجة ، حسب قدرات وطاقات الإنسان

كان ناجح يسمع هذا الكلام وهو مبهور من ابن أخيه ، فلم يكن عمري كذلك قديما ، كان لا يسمح لنفسه بالحديث معه أو مع أخيه ناصح عشر دقائق على بعض ، ولما سمع كلام ابن أخيه عن الأرامل والمطلقات تذكر ابنته التي كانت تجلس مع البنات داخل الفيلا يتحدثن فتشجع ، وقال : يا ابن أخي كما ترى أنا رجل كبير وابنة عمك أنعام منذ سنوات وهي أرملة ، فكلامك هذا شجعني لئن أقول أمامك بكل صراحة أن تحاول إقناعها بالزواج من رجل من أصحابك ومعارفك الطيبين

فوعده عمري خيرا ، وأخذ يعيد الحديث عن التوبة والصلاة ، فقال ناجح لما سمع تشجيع عمري له مرة أخرى على التوبة : والله لما رأيت أمك يا بني أصابني ذهول .. لقد غيرت في عائلة الخابي .. عندما تتصالح مع أبيك بمشيئة الله سترى مني ما يسرك ، وسأقوم ببناء مسجد كبير من حر مالي

[1] – "كان النبي (ﷺ) قد زوجه مولاته أم ايمن فولدت له أسامة ولما تبناه زوجه زينب بنت جحش فلما طلقها للقصة المشهورة زوجه أم كلثوم بنت عقبة فولدت له زيد ورقية ثم طلقها وتزوج درة بنت ابي لهب ثم طلقها وتزوج هند بنت العوام أخت الزبير .. الإصابة ١ / ٥٦٤ "

فقال عمري : سأصبر على ذلك يا عمي رغم أن الموت لا ينتظر .. فنيتك بالتوبة مهمة يا عم

ـ كنت آتيا وكلي خوف وقلق من مقابلتك

ـ لأ ، يا عم .. أنت تظل عمي .. وسأزوركم قريبا إن شاء الله .. فلقد تملكت أمي فيلا أبي زوجها السابق ، ونحن نفكر بهدمها وبناء فيلا جديدة مكانها والسكن فيها أيام نزولنا للمدينة فقد بدأت مشاريعنا في العاصمة تكبر وتمتد حتى للمحافظات الأخرى ، وكثير من الإنشاءات أخذت تنتهي .. وابني محمود سيلتحق قريبا بالجامعة وهو راغب بدراسة الطب في جامعة ابن النفيس فربما نسكن فيها حينا من الزمن

ـ يا ألف مرحبا .. من المهم أن لا تنسى يا أبا محمود أختك أنعام ، فهي منذ فارقتنا وتكن لك المحبة والتقدير ، وكم نصحت أختها المنحوسة بالصبر والرضا بالمقدر .. فهي تسمع كلامك ، فرغبها بالزواج مرة أخرى ؛ وليكن رجلا صالحا من جماعتك وأصحابك

حاول عمري عند الصباح الضغط على عمه لقضاء عدة أيام في ضيافته ، فأبى ناحج وأثنى على ابن أخيه كثيرا وقال : والله يا عمري ! لقد غيرت من نظري نحو هؤلاء المشايخ وأصحاب اللحى .. فالذي يعرف عمريا وأم عمري يصاب بالدهشة ويقول سبحان الله ! لله في خلقه شئون لقد أضعنا عمرنا في الهواء والهوى .. الحق على والدينا .

فقال عمري مقاطعا لتأوهات عمه : أدرك نفسك يا عم ! التائب من الذنب كم لا ذنب له التوبة تجب ما قبلها

ـ إنني مقتنع بما تفوهت به يا ولدي ! ..سترى مني ما يسر قلبك .. أين أمك الحاجة ؟ نريد العودة قبل اشتداد الحرارة

ـ أتحب أن أبعث معك سائقا ؟

ـ لا داعي يا ابن أخي ، ما زال بي قوة لقيادة المركبة

وأتت مريم وزينب والأولاد فسلموا على عم أبيهم ، وحيوا بنات أنعام ، وأظهرت أنعام شكرها الكبير للسيد عمري وأمه ، ودعت لهم بطول العمر والصحة ، فشكرها عمري وقال مودعا : أنت رحمي يا أنعام .. وبناتك بناتنا .. ونحن لدينا مشاريع في العاصمة لرعاية اليتامى ومدارس أهلية .. وأنا أحب الأيتام وأعطف عليهم لقول النبي (ﷺ) أنا وكافل اليتيم كهاتين في الجنة وأشار بالسبابة والإبهام .. أنا أعرف ومتأكد أن عمي غير مقصر في رعايتهم .. وأنا لك أخ كصابر ..

فقالت : أنت عزيز يا عمري ورجل فاضل وشهم .. وزوجتك امرأة فاضلة أو كما تقول أختنا بدرية عنها أحلى امرأة في العالم

كانت زينب تخجل من كثرة كلام الإطراء لشخصها وأفعالها ، فهي طيبة بالسجية ، فأحنت رأسها بالشكر ، ولما ركب ناجح في السيارة وصعدت البنات في المقعد الخلفي ، وجلست أنعام بجوار أبيها بعدما عانقت أم عمري والنساء ، قالت مريم : يا أبا صابر .. حنن قلب ناصح على ولده واسعً بالصلح بينهما .. فعمري لا تكتمل سعادته في هذه الدنيا الا بالصلح مع ابيه وعودة المياه لمجاريها .. لا تقصر في هذا المسعى الطيب

فقال : هذا أمر يا أم عمري .. إني سعيد بهذه الزيارة .. سنلتقي قريبا . شكرا لكرمكم وضيافتكم وحبكم الغامر لنا

وانطلق بالسيارة وهو منشرح الصدر ويقول لأنعام : إيه يا أنعام ! .. أرايت العز الذي فيه القوم

فقالت : نحن عندنا أموال مثلهم يا أبي

فتبسم وقال : لا أقصد ذلك .. نحن ولدنا ونحن نأكل بمعالق الذهب ونشرب بأكواب الفضة العز الأمان .. الحب .. الصفاء .. الكل يحب الكل .. أنا مريم أعرفها منذ خمسين سنة ، عندما دخلت الأسرة كانت ماكرة ماجنة ساحرة ، أما الآن فنور الهداية يشع من بريق عينيها ، لقد غيرها نور الإيمان .. وعمري أنت تعرفينه وتعرفين أخباره هنا وأثناء وجوده في لندن وأوروبا وبعد عودته .. أما الآن فهو ملك وملاك ، ولا يظهر عليه ذلك ، أقول له يا ابن أخي هذه المشاريع كل هذه المشاريع كيف تتابعها وتراقبها وتديرها ؟؟ فضحك وقال تريد أن تحول اللقاء لدروس في الاقتصاد والتجارة الأمر هين .. القاعدة الأولى عندي عدم كنز المال ، طرحه في السوق ، فالمال إذا تحرك أنتج قد يكبو أو يخسر لكنه ينهض ثانية .. فالمال يزيد والناس تعمل وأما مراقبة المشاريع .. يكون باختيار كوادر وعناصر العمل الصالحة .. فإذا كان عندهم ضعف في الإيمان ـ لئن الناس تتفاوت في ذلك ـ تشحذ وتقوى ونحفز القوي .. وإذا وجدنا الضعيف لا يتقدم نغير موضعه .. والمراقبة تتم عن تقارير النفقات والمصروفات والإيرادات .. مقارنة الموازنة مع السنوات السابقة، ثم مقارنة الموازنة مع مشروع مشابه مع مراعاة الظروف والأحوال لكل مشروع ، ويكون ذلك بأيدي خبراء وثقات فبذلك نستطيع معرفة جدوى المشروع أو الشركة .. هذا ببساطة كلام دقيق ورائع منه يا أنعام وقال أيضا أما وضع الجواسيس وفصل التعاون بين الإدارة والعمال بقصد إثارة القلق والرعب بين الأطراف فهذا أسلوب أراه ضعيفا .. فالإنتاج يتبع راحة العمال وقناعاتهم

التامة بالعمل وتوفير أسباب التمكين والراحة لهم وحل مشاكلهم ومراعاة أحوالهم النفسية ، ووجود محسنات العمل ومكملاته عوامل مساعدة .. فالعامل مهما كان عندما يجد من يساعده إذا مرض ويصبر عليه إذا استلف فسوف يشعر بالمسؤولية وتجده محبا للورشة ومكان العمل ، وأن يقصد الإنسان بذلك وجه الله سبحانه وأن يكون الإحسان في المشروع .. أكيد سيتحقق النجاح ولا ينظر للخسارة على أنها كارثة ومصيبة .. بل عليه أن يراجع ما بينه وبين الله من صلات ودعاء ، وما بينه وبين العباد من عدل وظلم ودعاء مظلوم ..وترك الحرص والطمع وحب زيادة المال من غير فائدة ، فقط للزيادة وزيادة رصيد الحساب فحسب ..

قالت أنعام : كل هذا حفظته منه يا أبي ؟ !

ـ ألم أقل لك عمري عجيب ؟! .. بهذه الأفكار والخطوات تمشي المشاريع .. عنده فريق عمل مهمته دراسة المشاريع ورعاية مشاكلها ، وهناك مستشفى تابع لشركاته ، وهو يبني آخر في العاصمة ، فهو يوفر العلاج بشكل رمزي للفقراء وعمال الشركات والمحلات والمدارس فهو يملك مجموعة من المدارس الخاصة كل من أحب الدراسة فيها من أبناء العاملين معهم له تسهيلات خاصة ، وهناك دور الأيتام لمن يموت من العمال فتقوم الدور على رعاية أسرته إذا رغبوا بذلك .. مشاريع إنتاج مقابلها مشاريع خيرية إنسانية ، بل عندهم مشاريع ترفيهية نوادي تعليمية ورياضية متواضعة وحدائق ترفيهية للأطفال وفيها الحيوانات الممتعة .. عجيب هذا الولد عجيب .. لا أكاد أصدق .. لقد جاءنا من بريطانيا مسطولا .. ولكنه ذكي منذ صغره

فقالت أنعام بإعجاب : صدق يا أبي .. تقول امرأة عمي وزينب أن لديه رجالا يحبونه حبا كثيرا .. بالحب والتفاهم الكبير بينهم والأخلاق الإسلامية تدار كل هذه المشاريع

فعاد ناجح يسأل بعد أن أكد كلام أنعام قائلا : كيف رأيت زينب يا بنيتي ؟

فقالت باسمة : ماذا أقول عن زينب ؟ ! .. كلام لا يصدق .. عندما كنت أسمع عنها يا أبي كنت أظن أن الناس يكذبون أو لأن مصالحهم مع زوجها .. لكن في يوم وليلة تبين لي أنها مظلومة معهم .. أتصدق يا أبي أنها لا تتدخل في مشاريع زوجها ؟ !

فضحك أبوها وهو يقول : عمري نفسه لا يتدخل في مشاريعه

ـ معك حق .. المهم أن مهمتها العظمى رعاية زوجها وأم زوجها وأولادها ، وأنها تحب عمريا حبا لم ألمسه في امرأة أعرفها .. وأتذكر أمي وامرأة

عمي قديما عندما كن يحببن أن يدسسن أنوفهن بكل شيء ..

فضحك أبوها مرة أخرى وقال : صح كلامك .. المشكلة كن يحببن حشر أنوفهن في كل شيء ولا يفعلن شيئا .. إنما للحديث أمام نساء المجتمع بأسرارنا ومشاريعنا وأحلامنا .. آ .. أكملي يا أنعام

ـ زينب أدب راق !.. ثقافة رائعة .. تحدثك عن الدين والإسلام بكلام حسن ميسور واضح تلمس فيه الحكمة والموعظة ، تدهش للمعاني التي تراها من قصصها وحكاياتها .. أولادها كلهم أدب وتفاؤل .. وأعجب شيء علمته عنهم أن حماتها تقول إن زينب تعرض على زوجها الزواج من امرأة أخرى كصاحبه الدكتور يوسف حسان .. فهذا الرجل متزوج من ثلاث نساء ويعشن في عمارة واحدة وحدثتني الحاجة مريم عنهن كلاما جميلا وهو عجيب.. وتقول الأخت زينب أهم شيء يجب أن يكون في حياة الناس الحب .. لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه .. هذا كلام النبي (ﷺ) إنهم يحيون بالحب ، ليس كحبنا يا أبي .. فالحب عندهم غير الحب عندنا ، فلما سمعت كلام أم عمري قلت لزينب أمعقول هذا ؟ ! فهزت رأسها بالإيجاب وقالت هذا أمر عادي في عائلتها ، أبوها متزوج مرتين ، وكذلك اخوتها ، ولهم أخ عنده امرأة واحدة فهم يعيرونه ويعيبون عليه ذلك فلما سألتها لماذا ؟ قالت : إنهم يرون أن المرأة إذا كان لها شريك بزوجها .. تفكر مليون مرة قبل أن تزعله منها .. فهناك البديلة فتحفظ نفسها وتحفظ زوجها وتكسب الجنة .. لأن الرجل الزوج مفتاح دخول المرأة الجنة ، وذكرت لي جملة من أحاديث النبي (ﷺ) في حق الرجل على المرأة ، وختمت كلامها بأن التعدد لصالح الأمة وأباحه الله ، وهو هدي النبي وخلفائه الأربعة ، ولولا أن فيه خيرا للأمة المجاهدة المحسودة من أعدائها ومن كفار الدنيا ما شرعه الله ﷻ .. وكنت أحاول الدفاع عما كنت أسمعه من أمي وأم عمري فتضحك وتقول المسلمون يعددون بشرع الله ، والكفار يعددون بالزنا والشذوذ ومما هو منتشر في بلادهم حقيقة كلامها منطقي إذا لم يغلب الهوى والتعصب ، بل أردفت خاتمة الكلام أمام امرأة عمي والله أنت يا أنعام امرأة جميلة وابنة عم عمري ! .. وقد يكون اقترانه بك من مصلحة العائلة غير المصلحة الشرعية . فقلت وكلي استغراب أترضين بذلك ؟ فقالت بدون تردد : أرضى ولم لا أرضى .. كلام لا يصدق عندنا أليس كذلك يا أبي ؟

ـ بلى ولكن هؤلاء الشيوخ لهم أفعال وتصاريف مدهشة ومحيرة .. ولو فعلها عمري أتقبلين به وتكونين زوجة ثانية مع ضرة يا أنعام ؟!

فقالت : بصراحة قد لا أقبل الآن يا أبي ! ولكن عمريا لا يريد ، ورأي البنات مهم .. وعند الجد لا ندري ما يكون موقف أمي مريم وأمي عزيزة وأنت وأختي نوال وزينب نفسها

ـ أنا أرى أن أهم موافقة بعدك طبعا موافقة الحاجة مريم .. أنا بصراحة جرى بيني وبين عمري كلام بهذا الموضوع .. عن زواجك مرة أخرى ولكني لم أشر إليه .. بل أشرت لصاحب وصديق عزيز عليه .. مطلق أو أرمل .. أنت لست صغيرة يا ابنتي .. ولم يبق من العمر قدر ما ذهب والأموال لن تغنيك عن الزواج وابن الحلال .. تكلمي مالك ساكتة ؟

فقالت : ماذا أقول يا أبي ؟ نحن قدمنا لنتصالح أم نتزوج ؟ !

ـ الكلام جر بعضه بعضا يا أم سهام ، وهؤلاء الناس لا حرج معهم ولا تكلف يتكلمون ببساطة وحرية وحسن نية

فهتفت أنعام بفرح : صدقت يا أبي .. العفوية في تعاملهم ، لا يحبون تعقيد المسائل والكلام والأحاجي

وقضى الرجل الشيخ الطريق إلى العاصمة

وهو يتحدث عن عمري ومريم والأسرة ، ولما اقتربوا من المدينة قال : قد يغضب ناصح من هذا اللقاء .. فهو حاقد على ولده حقدا كبيرا ولكن كان لابد من هذه الخطوة يا أنعام

قالت : إنها خطوة شجاعة ومباركة بمشيئة الله

ـ لا تتحدثي عن الزواج أمام اخوتك حتى يتم الصلح الأكبر بين الابن وأبيه .. أيقظي البنات .. كأنهن لم ينمن الليلة

غضب الأب

قد علم السيد ناصح الخابي بزيارة أخيه ناجح للريحانة لمقابلة ابنه عمري ، عرف ذلك من عزيزة ، اتصل بها يسأل عن أخيه ، فذكرت له أمر الزيارة ، وناجح لم يطلب منها إخفاء جهة الرحلة ، فاجتاحته موجة غضب وهيجان على ولده وأخيه ، وأمرها أن تتصل به عندما يعود ودخل الليل ولم يعد ناجح كما يعلم القراء ، وقد كرر الاتصال في بيت أخيه عدة مرات ، ثم أخبرته عزيزة أن أخاه اتصل وأعلمهم بأنه سيقضي الليل عند السيد عمري ، فاستشاط غضبا وقهرا على ولده وأخيه، وأخذ يسب ويشتم مما لفت انتباه الأرملة الشقراء ، فسألته عن الأمر فاختصره لها فقالت : ولماذا أنت هائج كالثور وغاضب كالشيطان الرجيم ؟!

فصاح بغضب : كيف لا أغضب ؟ ابني يهجرني منذ عشرين سنة ، ويتخلى عني بسببه وسبب ابنته ثم يسير إليه على حسابي ، وقد حذرته من التدخل في هذا الموضوع ؟

فقالت وفي نبرة صوتها تهكم : عشرون سنة !
أعتقد أنها كافية لإصلاح ما بينكما ، فناجح راغب بإصلاح ما بينكم ، وها هو اتخذ الخطوة العملية الأولى .. وعمري كما علمت قد نـقل مشاريعه للعاصمة .. فالصلح مطلوب يا ناصح هذه الأيام
لن أصالحه .. إنني أبغضه .. لن اصالحه أبدا
فقالت : أنت تبغض نجاحه بدونك ، بدون أموالك .. فعمري اسم يتردد في المدينة منذ أشهر وبدون أن يكون للسيد ناصح الخابي يد في ذلك .. بل لا يعرف كثير من الناس أنه من آل الخابي عزيزي ناصح أنت رجل كبير ، لا تدع الحمق والجهل يتغلبان عليك ، فابنك الآن رجل كبير قد اقترب من الخمسين عاما ليس طفلا ..
ـ لماذا تدافعين عنه وأنت لم تريه ولم تعرفيه ؟ !
فقالت : أنا رأيته منذ شهر .. هو لم يعرفني بل قد يكون لم يرني .. كانت هناك حفلة خيرية في مدارس رزق الله حمالصي ، ودعي لها رجال أعمال معروفين بمشاريع الخير والبر والإحسان فكان من ضمنهم ولدك عمري ، وتخلل الحفل خطابات قصيرة لإثارة الحاضرين بالتبرع ، فتكلم رجل بضع جمل ترحيبية ، ثم أشار للسيد عمري ابن الريحانة الذي صعد للمنصة ، وتكلم بضع كلمات ونزل ، ثم علمت أنه تبرع للمشروع الذي أقيمت الحفلة من أجله بخمسين ألف دينار من ماله الخاص ..
فصاح ناصح مستهجنا هذا التبرع الكبير : أرأيت إنه ولد خائب ؟! .. ألا يكفي ألف دينار أو بضع مئات ؟ .. إنهم متسولون بأدب وحيل ناعمة؟
فعادت تقول : المهم رأيت عمريا .. الذي أسمع عنه منذ زمن بعيد .. وقلت صراحة خسارة أن يكون هذا الرجل ابنك
فصاح بها : لماذا يا عاقة يا ناكرة الجميل ؟ !
قالت ساخرة : لماذا ؟ .. أنت قبل قليل أجبت على لماذا ؟ .. إنك تعبد المال أو قل الأرصدة فقط ؛ لأن المال في البنوك هنا وهناك ، ولسوف تموت ولن تراه .. أرقام في دفاتر .. أما أنت فتتبرع بمائة دينار أو بخمسمائة ، أليس بينكم فرق ؟! .. اسمع يا ناصح إذا أتاك أخوك يصلحك مع ولدك فلا تتردد ولا تكابر هذه نصيحتي إليك وأنت حر
ـ إنه ابن عاق ومجرم ونسيته منذ عشرين سنة
ـ هذا شأنك وشأنه .. تصبح على خير ..
تركته حائرا منهارا غاضبا عليها وعلى ولده ؛ ولكنها لا تخشاه ، فهو كالخاتم في يدها لا يستطيع أن يمنعها من فعل شيء ـ مهما كان هذا الشيء ـ منذ تزوجها مدعيا حبه وولهه بها ، وهي أيضا تعامله باحتقار وإذلال ، ولقد نـقل إلى رصيدها أكثر من خمسة ملايين بدون أي كلام أو اعتراض

، وهي التي تسمح له بلقاء فلان أو فلان ، وإذا تمرد تهجره بالشهر والشهرين فيعود إليها باكيا ذليلا مدعيا إنه محب ولهان عاشق ، ومع كل ذلك وتلك السيطرة كانت الأرملة الشقراء لا تحرجه مع موظفيه والذين يعملون معه ، فقط تظهر سيطرتها عليه أمام أصدقائه وزوجاتهم ، ورضي بالذل والخضوع ، فكان يخشى من عودة ولده ، ويعرف بهذا الذل والعار ، فتصير المشاكل ، وقد يرغمه على طلاق هذه المرأة التي أذلت أمه ودفعته لطلاقها وذلها ، فهو خائف من لقاء ولده رغم ما كان فيه من القسوة والتعصب والحقد ، فلذلك لما اتصل به ناجح وأخبره بعودته قال : لا تخرج من البيت إنني قادم

وترك مكتبه وأسرع مسرعا إلى فيلا أخيه ، ولما التقيا أخذ يسب عليه ويشتمه ويعاتبه ، وناجح صامت ومتوقع لهذه الثورة والهياج من أخيه الأكبر ، فلما خفت صوت ناصح وأفرغ ما في جعبته من سب ولعن، خاطبه ناجح بهدوء : ماذا تريد ؟! أنا ذهبت لرؤية ابن أخي الذي أهنته في يوم من الأيام وضربته ، فذهبت إليه معتذرا نادما .. فأنا في أيامي الأخيرة

أخذ ناصح يضحك ويضحك ضحكا عاليا وقال ساخرا : نادم يا ناجح أنت تعرف الندم ؟

ـ ألست إنسانا ؟ .. ألا يندم الإنسان ؟!.. اعتذرت له وقبل اعتذاري وقبل رأسي ويدي وانتهى ما بيننا .. والولد راغب بالاعتذار إليك رغم ما فعلته به ؟

فصاح ناصح بغضب : لست راغبا باعتذاره وندمه ، فات الوقت .. أي اعتذار ينفع بعد عشرين سنة يا مجنون ! .. هو استغنى عنا فيجب أن نستغني عنه .. إنه ليس ابني .. إنه ابن مريم الشيخة مريم

وخرج ساخطا ناقما حاقدا ، فلم يكترث ناجح لذلك الغضب والخروج ، بل دخل حجرة النوم لينام من تعب الطريق الطويلة

*****

دخلت عزيزة وراء ناجح الغرفة بعد أن انصرف ناصح غاضبا ساخطا ، فقالت باستغراب لموقف ناجح مع أخيه : أغضبته يا رجل ؟ ! .. أنت تعرف غضب أخيك

فقال بغير اكتراث وشجاعة لم تعهدها فيه من قبل : لا تقلقي بعد اليوم .. لقد كان لقائي بابن أخي أعظم لقاء في حياتي .. لقد وعدته بالتوبة والصلاة ، فمن يرافق عمرياً لا يخشى إلا الله .. كفى طول أمل .. رائع للغاية ابن أخي ! لقد قلب حياتي رأسا على عقب في ليلة واحدة عرفت منه لماذا خلق الله المال ؟ ! .. الحلال طيب يا عزيزة .. اذهبي اغتسلي

وتوبي إلى الله .. اذهبي لإنعام لتعلمك الصلاة والتوبة

فقالت عزيزة باستغراب : مالكم ؟ ! أذهبتم إلى ساحر ؟ ! .. فأنت مذهول بابن أخيك ! وأنعام مفتونة بزوجة ابن أخيك وحماتها ! .. وها أنت لا تسأل عن غضب ناصح بل تتركه ينصرف غاضبا ولم تلحق به معتذرا متاسفا ؟ ؟ !

فقال وهو يهز رأسه وقد أدرك أن هذه أول مرة لم يبال بردة فعل أخيه: يا عزيزة ! لم يبق من العمر بقية ، ولو لم أفعل ما أردت قبل أخذ الإذن من ناصح ، فلن يقبل ، ولم أذهب ، وقد أخسر نفسي وإنقاذ روحي من النار .. اذهبي يا امرأة وافعلي ما طلبته منك لم نعد صغارا يا عزيزة

فقالت عزيزة وهي تغادر الحجرة : ماذا جرى لهؤلاء الناس ؟! .. ناجح يريد أن يصلي .. الله أكبر .. إن هذا لشيء عجيب .. نحن لو لم نر أنعام تصلي في هذا البيت بعد ترملها لحلفت وأنا صادقة أنني ما شاهدت أحدا يصلي في هذا البيت منذ خمسين سنة أو ستين سنة ؟ ! هذا مفتون بابن أخيه وتلك مفتونة بزينب وحماة زينب !

وقد جلست في الصالة تدير في ذهنها الصور الأخيرة التي مرت عليها خلال الأيام الأخيرة ، وسمعت أنعام تقول بنبرة فيها تهكم كما بدا لها : هل غضب عمي ؟

التفتت إليها وقالت : ألم تسمعي صراخه وسبه وشتمه وهياجه ؟! .. إنه ناصح إذا غضب وأنا خائف على أبيك منه .. ناصح حقود وحسود ولا يغفر الأخطاء .. والمصيبة أن أباك غير مكترث لسخطه وغضبه .. ولم يلحق به لإرضائه والاعتذار إليه كما تعودنا .. يبدو أن عمريا سحركم وقلبكم على ناصح

ضحكت أنعام لسذاجة أمها وقالت : وهل عمري ساحر أو حاوي يا أمي ؟! .. ذهب أبي الطيب لمصالحة ابن أخيه والاعتذار عن ذلك اليوم السيء ، ثم تشجيع عمري ابن أخيه على مصافحة أبيه .. وتحقق ذلك فقد سامح الرجل أبي ، ووافق على أي لحظة يسمح له والده بلقائه إنه راض بالصلح وتقبيل يدي والده وفرضت أخلاق عمري الحسنة نفسها على أبي .. أم صالحة ابن صالح .. زوجة صالحة .. أولاد صالحون .. أنت تعرفين من هو عمري قبل توبته ؟ .. وتعرفين مريم أيضا ؟ .. أما زينب فهي صالحة من بيت أبيها فقد ربيت على الإيمان والتقوى منذ نعومة أظفارها .. وفقهم الله وأسعدهم الله في الدنيا والآخرة

فقالت على استحياء ورهبة : أبوك يطلب مني الاغتسال والصلاة

ـ افعلي يا أماه .. وهل أنت طفلة ؟ ! ألم تشبعي بعد من متع الحياة وزينتها ؟ !

ـ إني خائفة ؟

ـ خائفة ؟ ! .. خائفة بما ستقول عنك العجائز .. كل واحدة مشغولة بنفسها يا أمي .. هيا أعلمك الاغتسال للعبادة

ـ وهل أنا لا أعرف الغسل يا شيخة ؟ !

ـ لا .. غسل العبادة يختلف عن غسل النظافة العبادة لها أركان وواجبات وسنن وآداب

رن جرس الهاتف فمشت عزيزة نحوه

وردت : آ .. نعم أهلا ناصح .. إنه نائم .. حقك عليّ تعب السفر .. لا ، لم يتغير إنما هو تعبان .. لا تزعل حقك عليّ .. مع السلامة

وضعت السماعة وقالت : عمك صدره كالمرجل على ناجح يقول والله يا عزيزة صار زوجك لا يهتم ولا يسأل عن غضبي ونكدي أسمعت ؟ أيعجبكم هذا ؟

فقالت أنعام بأسف : مسكين عمي !

فقالت عزيزة : أنا خائفة على أبيك من جنونه

فقالت أنعام غامزة : امرأته الشقراء موجودة

فقالت عزيزة وقد عاد لنفسها بعض الاطمئنان عندما ذكرتها أنعام بزوجة ناصح الشقراء كما يسمونها : صدقت .. عندي زيارة للست سعدية

ـ الدكتورة ؟! .. لمَ ؟!

ـ زيارة روتينية .. لا تقلقي لإجراء الفحوص الضرورية والاطمئنان على صحة القلب .. ومن ثم شراء الأدوية اللازمة هل تذهبين معي ؟

ـ لا .. خذي نوالا .. إنني أريد النوم فرأسي فيها صداع مؤلم

*****

كان السيد ناجح قد ترك ممارسة العمل منذ سنوات ، فقد دهمه مرض فسافر للخارج للعلاج ولما عاد معافى أعفاه ناصح من الدوام والعمل في المكاتب ، فهو له أكثر من خمس سنين لا يتردد على الشركات والمكاتب إلا كزائر وضيف ، ويتابع أعماله بواسطة ابنه صابر، فلذلك وجد أن كلام عمري عن التوبة وترك السيئات غير أنه حاجة ملحة له فقد وافق هوى في نفسه ، فلذلك تحمس للصلاة .. وأخذ يتردد على المسجد القريب من منزله ، ولما علم ناصح بهذه الأفعال زاد حنقه وغضبه على أخيه بل طلب من عزيزة أن تحثه على الذهاب للعمل وأن الشركة بحاجة إليه .. ولما علم ناجح بهذا غضب من أخيه ، واتصل به وطلب مقابلته ، ولما التقيا دار بينهما حوار حاد ومتشنج هدد على أثره ناجح بالانسحاب من جميع الشركات والمصانع .. فلم يتردد ناصح بقبول ذلك .. فقد زاده الحقد ضلالا ، فطلب من فريق المحاسبة على الفور إعداد أوراق الفسخ فسخ

العقود المشتركة بينهما ، فتحدث ناجح مع ابن أخيه حول ذلك ، وأن والده يصر على العداوة ، ولا يريد الصلح معه الآن بل يحاربه لأنه سعى في ذلك ، فطيب عمري خاطره ، وطلب لقاءه في مكتبه يوم الخميس في شارع قطز قص ناجح على ابن أخيه القصة منذ التقيا بالريحانة ..

فقال عمري : أنا معك يا عم ! ولست ضد أبي أيضا .. فأنا أعرف أبي وعناده وقسوته إذا قسى ألا يقبل الاجتماع بي ؟

ضرب ناجح رقم هاتف الشركة وطلب من عاملة المقسم السيد ناصح ولما رد عليه قال : ابنك يريد مقابلتك الآن

كان عمري يسمع السب والشتم من جهة أبيه ، ثم إغلاق السماعة بغضب فوضعها ناجح بحزن وأسف وقال : آسف يا ابن أخي .. يقتلك إن اقتربت من أبواب ومكاتب الشركة .. ويقول لي إن العقود الجديدة جاهزة

فقال عمري : تصرفات غريبة .. على كل حال الصبر مفتاح الفرج .. تصبر يا عمي ! .. فالقلوب بيد الله يقلبها كيف يشاء .. وأنا جد آسف لما سببته لك من متاعب وعداوة أبي

فقال ناجح : أبدا يا ولدي أنا أتيتك برغبة مني ، ولا تظن أنني حزين على فسخ عقود الشراكة والشركات .. أنا لم أكن أحب أن تكون هذه النهاية وبهذه الصورة القذرة بين أولاد الخابي .. لكنك أنت الآن أملنا ورجاؤنا .. أنت ابن مبارك .. سأعود للبيت ، وأحب أن تذهب معي للغداء ، وتلتقي مع ابن عمك صابر ، فهو منذ حدثت هذه المشاكل وهو معتكف وحابس نفسه في البيت ، ويلومني على زيارتي إليك بدون موافقة ناصح ..

اعمل خيرا تلق شرا

اتصل ناجح بالبيت وتحدث مع عزيزة ثم قال لابن أخيه : هيا

تحدث عمري مع السكرتير أحمد والدكتور يوسف حسان وذكر لهما رقم هاتف منزل عمه ، وكان ناجح قد ركب سيارته فأشار عمري لسائقه وحارسه وطلب منه السير وراء سيارة عمه ناجح ، وخلال نصف ساعة كانت السيارتان تقفان أمام الفيلا ، توقف عمري قليلا أمام الفيلا قبل أن يدخل من الباب كأنه يتذكر سنوات مضت وقال : كم من السنوات مضت لم أطرق هذا الباب يا عماه .. أما زال عميش عندكم ؟

سلم عمري على البواب أو الحارس عميش الذي لم يعرفه ابتداء ، واستغرب لدخول هذا الشيخ الملتحي مع سيد الفيلا ، فلما عرف أنه عمري ناصح عانقه ثانية عناق الأحبة والصداقة ودخل ناجح وخلفه عمري وسائقه وحارسه ، وكان عمري لا يحب اتخاذ الحرس ؛ ولكن بعد حادثة

إطلاق الرصاص عليه في منزله في الريحانة طلبت أمه منه أن يكلف رجلا بحمايته مع اعتقادهم أنه لا يرد من القدر شيئا ؛ ولكن الأخذ بالأسباب لا يمنع من ذلك .. في مدخل الفيلا كانت تقف عزيزة في انتظار وصولهما .. فلما شاهدت عمريا اضطرب قلب عزيزة هيبة من رؤيته .. فلما وصلوا إليها حياها عمري بتحية الإسلام وأشار لها بيده ، وأخذ يسألها عن صحتها وحالها وهي ترد بانبهار ورهبة وتقارن بين عمري القديم الشاب وعمري الشيخ الكهل ، ولما دخلوا صالة الاستقبال وجلسوا على المقاعد أتت الخادمة بالقهوة العربية المرة .. فأخذ السائق الدلة تيرموس منها ، وسكب للجميع ، وكانت الخادمة تحيي السيد عمري وتسأله عن أمه وأخواته فهي منذ الصبا وهي تعمل لدى الأسرة ، ولما شربوا العصير وحدث عمري امرأة عمه عن أخبار أمه وأنها تهديها السلام والتحية وتدعو لها بالخير والإيمان ، واستأذن السائق والحارس بالخروج والانتظار في السيارة ، فأذن لهم عمري وناجح ثم قال ناجح : أين صابر يا عزيزة ألا يريد تحية ابن عمه ؟

فقالت وهي تنهض : سأصعد إليه .. فالمسكين منذ بدأت المشاكل وهو لا يخرج من الغرفة

فقال عمري : أزمة وستمر يا امرأة عمي !.. وليس إغلاق شركة أو خسارة مشروع نهاية العالم ونحن أهل .. ولديّ بفضل الله سبحانه كما يعلم عمي مشاريع ضخمة في العاصمة وهي بحاجة لرجال طيبين مثل ابن عمي صابر .. لا تبكي يا امرأة عمي .. نحن أقارب وبيننا صلة رحم .. وأبي يتصرف بعصبية وغطرسة .. وإنا قبل أن نأتي إلا هنا تحدثنا معه لأزوره .. فرفض وهددني بالموت أليس كذلك يا عمي ؟

ـ بلى .. ولا أدري لماذا يتعامل معنا بهذه الصورة المخيفة ؟! .. ابن يريد مصالحة أبيه لماذا يعقد الأمور ؟ !

ـ الله أعلم ، الأيام ستظهر سبب شدة هذه العداوة .. توكلي على الله يا امرأة عمي وأرسلي لنا أخانا صابرا فأنا مشتاق لرؤيته

ولما انصرفت الأم للمجيء بولدها الوحيد ، وأثناء ذلك دخلت نوال وأنعام فألقتا السلام على أبي محمود وقالت نوال : كيف أنت يا عمري ؟

فرد بحياء وهو ينظر إلى الأرض : بخير يا ابنة العم كيف أنت ؟ كيف حالك يا أنعام ؟

فردت كلاهما أنها بخير ، وسألته أنعام عن أمه وزينب والأولاد وبدرية وزوجها وقمرية وجبر وعمري يرد عليها بإيجاز ، ثم أخذت نوال تعتذر عما سلف منها معه قديما فقال : أوه .. هذا شيء

ذهب مع الماضي يا غالية .. لولا الحساسيات لأتيتكم قديما .. فصلة الرحم مهمة في شرع الله .. أرجو أن تكوني سعيدة بحياتك

فبكت وذرفت الدمع ، مما أدهش صاحبنا عمري فاستفسر فقالت أنعام : لا تهتم بذلك يا أبا محمود .. هكذا هي

فقال ناجح بغضب : يا ابن أخي .. تريد الطلاق من زوجها بحجة أنه مخمور ولا يترك القمار وأنا لم أجبرها على الزواج منه .. فبعدما فارقتنا بسنة تقدم لها هذا الشاب نادر ، وهو من أبناء الأغنياء فهو غني بثروة أبيه وبثروته ، وفرحت به وسافر بها في عدة بلدان كما كانت تحلم، وهي تعرف أنه سكير ولاعب قمار قبل الزواج ، وكانت مقتنعة به وتظهر إعجابها به ، وأنجبت منه ولدا واحدا فقط ، ومنذ سنوات تدعي أنها تبغضه ولا تطيقه ، وأصبحت تقضي أكثر وقتها عندنا ، وخصوصا بعدما ترملت أنعام ، ولا تذهب للبيت إلا باليوم أو الساعات ، فيتشاجران فترجع ثانية ، ويأخذ الرجل ابنه إلى أمه ، وينصرف للزنا والحانات والنوادي الليلية ، وتريد الانفصال عنه ، وهو لا يريد وكذلك أهله يرفضون الطلاق ولا أنا أرغب فيه

أسف عمري لحالها ورثى لها ؛ ولكن مجيء صابر غير الموضوع، وتعانق أبناء العم ، ورحبا ببعضهما ، وأسفا لتدابرهما كل هذه السنوات وأبدا كل منهما عذره ، وبدأ الحديث عن صابر وغضبه من أبيه لإغضابه عمه ناصح ، وتكلم عمري بأحاديث كلها أمل وتفاؤل وحب، وأن الأمور كلها بيد الله يعز من يشاء ويذل من يشاء ويفقر من يشاء ويغني من يشاء ، وتحدث عن الرزق مما ترك أثرا حسنا على نفس وروح صابر ، فاندفع للبكاء وأن يعترف قائلا : أنت عظيم يا عمري ! .. لقد كافحت وصنعت لنفسك أمرا عجزنا عنه .. مع ما نملك من رأس المال والثقافة

فرد عمري : أشكرك ، فهذا كله بتوفيق الله وليس بشطارتي .. أليس هو الذي يلهمنا الأفكار الصائبة ؟ .. أنا إنسان فرد ولكن الله هو الذي وفق لي أصحابا ورجالا قاموا معي بإخلاص وتفان حتى تحقق هذا النجاح الذي تراه أو تسمع عنه .. فكل الفضل لله وحده .. هو يدبر الأمر وييسره سبحانه .. ونحن ندعوه ونسأله أن ييسر لنا الخير حيث كان ويديم علينا النعم ويحفظها بفضله ومنه وبركته عز وجل

كانت نوال جالسة بينهم – وقد كفكفت دموعها – تسمع وهي مفتونة بكلام ابن عمها ، وتنظر لإنعام بطرف عينها كأنها تقول لها إنك على حق بوصفك أن عمريا معجزة .. فهو في قمة التواضع والأدب وحتى النظر

ولما شرع صابر يستسلم لأفكار وخواطر عمري ، قالت الأم : هيا يا بنات ! فأم أحمد تقول أن الطعام قد جهز

فنهضت البنات وأمهن من المجلس ودخلن المطبخ .. وكانت عزيزة تقول لابنتيها : هل هذا عمري ابن مريم يا أنعام ؟!

فهزت أنعام رأسها ضاحكة ، وكانت تضع الأواني على مائدة المطبخ لتملئها بالطعام الذي أعدته الخادمة أم احمد : نعم هو عمري يا أمي ! .. ابن مريم .. لا يتحدث إلا عن الإيمان والذكر وحتى أثناء حديثه عن المشاريع يكثر من ذكر الله وأسماء الله وفضل الله وتوفيق الله وبركة الله ورضا الله وحب الله .. هذا عمري الخابي ابن عمنا ناصح !

فقالت نوال : يصلح أن يكون طبيبا نفسيا .. صابر لم يبتسم منذ شهر .. منذ عاد أبي من الريحانة

فقالت عزيزة : لا أكاد أصدق أن هذا الولد الشقي عمري الذي عرفناه .. لقد كنت أسمع شكاوي أمهات البنات لأمه من عبثه وطول لسانه وقذراته مع بناتهن ..سبحان مغير الأحوال ! .. إيه والله يا نوال لقد أفلت زوج باهرا من بين يديك

فقالت نوال : لم يفت الوقت يا أمي طلقوني .. ولسوف أجد ذرة حب في قلبه .. إنه يعرف أنه كان فارس أحلامي أيام الصبا

فقالت عزيزة : إنه متزوج .. وزوجته تحبه ويحبها .. وهي أحلى امرأة في الدنيا كما نسمع أترضين أن تكوني ضرة ؟

ترددت قليلا قبل الإجابة وقالت : قد أقبل يا أمي عزيزة

فضحكت أنعام وقالت : الله أعلم !!

صابر يستريح

كان من عادة عمري عندما يعود من سفر أو من العاصمة إذا دخل البيت تراه يبدأ بحجرة أمه فيسلم عليها ويقبلها وتقبله ، ويطمئن على صحتها ، ويجلس متحدثا معها ، وبعد حين تأتي الزوجة والأولاد فيسلمون عليه ، ويجلسون في حجرة الجدة مريم ، فلما سألته أمه عن أخبار الأهل والأقارب في العاصمة قال : الأمر لا يسر يا أمي!.. فأبي تشاجر مع عمي بسبب زيارته لي ومحاولته الإصلاح بيننا وقص عليها مشاكل عمه مع طليقها ، ولما وصل الكلام للقتل قالت الأم باستغراب : ولماذا كل هذه الحماقة ؟ !

فقال بحيرة : لا أدري يا أماه ، أنا ابتداء ظننت أن عمي أتى بتصرف وحركة من أبي لمعرفتي الشديدة أن عمي العزيز لا يفعل شيئا إلا بإذن أخيه الأكبر

سيد العائلة .. أنا رغم معرفتنا بكره أبي الشديد لزوج عمتي رباب ورباب نفسها لم أكن أتصور أن تكون العداوة والحقد والبغض في نفسه إلى هذا الحد الكبير

فقالت : كبر .. أبوك حقود .. أنا أعرف الناس به .. واستغفر الله من زلة اللسان ومن الغيبة ولكن القتل أمر مخيف يا ولدي .. لا تذهب إليه، لا تغامر قد يفعلها بحمقه

ـ إنني قلق .. هل تركت هذا السنين جرحا حادا في قلبه لهذا الحد عليّ .. أنا فكرت قديما وحديثا أن أتصالح معه ؛

ولكني أعرف بطر أبي للحق وعجرفته

ـ الأيام يا بني دواء لكل الجروح هو لم يحاول البحث عنك يوما ما

ـ أخشى أن يسيء لعمي أكثر فأكثر .. فالسيد صابر حزين مما حدث ، وأخشى أن أمد له يد المساعدة فيشتد حقد أبي علينا ، ويتصرف تصرفات حمقاء تفسد كثيرا ، وفي نفس الأوان لا أريد أن أدع عمي وابنه في هذه المحنة ولا أقدم لهما المساعدة والعون .. لا يجب أن يبقى صابر من غير عمل ، قد يجن فهو رجل هادئ ، ويحب الروتين ، فقد تعود على الخروج صباحا والعودة مساء منذ عشرات السنين هل من حل يا أمي ؟

ـ سيلهمك الصواب والحق مولاك العظيم يا عمري .. ماذا فعلتم بالفيلا القديمة ؟

ـ نعم ، لقد تم هدمها ، وقريبا سنبدأ بالبناء فقد أعد مكتبنا الهندسي الرسومات والتصاميم المناسبة وستكون الفيلا تحفة فنية وواسعة يا أمي إن شاء الله

فقالت الأم بسرور وإعجاب بولدها :

الجميل فيك يا عمري رغم المشاكل والقضايا الشخصية التي تعصف بك أن أعمالك لا تتوقف !

أشكر ثقتك بي يا أمي فلدينا رجال مخلصون ـ جزاهم الله خيرا ـ يفرقون بين العمل والقضايا الشخصية .. والحمد لله كثيرا .. التفاهم والألفة والتوفيق بيننا

فدعت الأم قائلة : دامت المحبة بينكم

ـ خلال أشهر يسيرة سيتم البناء الجديد .. وسوف ننتقل للعاصمة الكبيرة كما اتفقت مع الدكتور يوسف حسان ، وسنجعل ثلاثة أيام في الشهر نقضيها في الريحانة في بيتنا هذا .. حتى تكتمل مشاريعنا في العاصمة وتستقر ، ثم نختار المكان الأهدى للاستقرار والراحة بمشيئة الله فدراسة الأولاد في العاصمة ستغير من نمط الحياة بضع سنوات

كانت الزوجة زينب والخادمة أم مالك قد أعدتا مائدة الطعام ، فنهض الجميع إلى غرفة الطعام فأكلوا ما قسم الله لهم من الرزق والطعام والشراب ، وجلسوا يشربون الشاي والعصير كل حسب رغبته وصحته، ويتحدثون في أحوالهم ومشاكلهم وأحلامهم ، ثم انصرفوا للنوم آمنين ولربهم شاكرين حامدين .

التفكير يشغل قلب وبال عمري ، كيف يتجنب الصراع مع أبيه ؟ وفي نفس الوقت يكسب عمه التائب والذي رمى حمله عليه ، وهو لا ينقصه المال ؛ ولكنه يريد عملا لابنه صابر الذي صدم من أفعال أبيه معهم ، فوفقه الله إلى فكرة تتلخص بشراء مصنع من غير أن يظهر هو في الصورة ، هو ولا كبار أصدقائه وشركائه في المشاريع المختلفة ، فتحدث مع عمه في الفكرة ، وطلب منه عدم الحديث عن دوره أمام النساء أو حتى صابر نفسه ، فاقتنع ناجح بفكرة عمري وأظهر امتنانه وقال : فكرة صائبة .. فوالدك قد جن ..

تم شراء مصنع كبير بملايين الدنانير بمواده وعماله ، وكان ناجح وصابر هما اللذان يتحركان أمام الناس ، وعمري وفريق العمل معهما من وراء الكواليس ، وتم نقل ملكية المصنع إلى السيد ناجح وشريكه ابنه صابر ، وتسلم صابر إدارة المصنع الضخم .. ولما وصل الخبر لناصح أصابه الذهول فقد حاول قديما شراء هذا المصنع ففشل ، فكيف استطاع أخوه شراءه ؟ فأرسل رجاله وأعوانه وعيونه فلم يصلوا إلى ما كان يرجوه ناصح من أن لعمري يدا في الموضوع أو لأعوانه وقد حاول معرفة ذلك عن طريق عزيزة ، فأنكرت بشدة أن لعمري يدا في عملية الشراء ، بل أظهرت امتعاضها منه ، وأقسمت على ذلك ، وتحدث ناصح مع صابر مباركا ومتعسسا ، فأكد صابر عدم تدخل عمري في الموضوع ، وقال له : هي جهود أبي وعلاقاته القديمة قبل تقاعده في البيت

لم يطمئن ناصح بل ظل الشك في قلبه ، فهو يذكر كم محاولة بذلها لأصحاب المصنع حتى يتملكه ، وكانت عزيزة ونوال تظهران الغضب أمام ناجح على ابن أخيه عمري فيقول : يا عزيزة .. عمري ابن ناصح .. عليك أن تفهمي ذلك ، فهو بين نارين زعلنا وزعل أبيه .. ها أنت ترين اتصالات ناصح لما علم بشرائنا للمصنع ؛ لأنه حاول كثيرا تملكه وفشل .. فقلت لابن أخي دعنا نتصرف وحدنا فتصرفنا

أما أنعام فقد كانت تحس وترى أن عمريا له يد في شراء صابر للمصنع ، وأدركت كما أدرك والدها من قبل ثقل عمري في السوق ، واستنتجت أنه لا يحب أن يظهر في الصورة حتى لا يزيد من غضب وكره والده نحوه ، وصارحت أباها بذلك

، فابتسم واضطر أن يقر بفطنتها وطلب منها عدم التحدث بذلك أمام أحد سواء أمها أو أخيها أو أختها ، فوعدته بالصمت ، فكانت نوال تتعجب من ثبات أنعام على مدحها لابن عمها كلما يتحدثون عنه أو تأتي سيرته عرضا في أحاديثهم فكانت نوال تقول : رغم حاجتنا لمساعدة عمري خلال الأيام الماضية في شراء المصنع فابتعد عنا مدعيا أنه لا يستطيع مساعدتنا للحساسية في الموضوع

فقال أنعام بهدوء : أليس هو أباه ؟ وأبوه يريد أن يظل علينا واليا وسيدا، ونحن لن نتمكن من تدبير أمرنا بدونه .. أليس هذا ما يهدف إليه ناصح من حربه علينا ؟

- إنك تدافعين عن عمري بحماس وتعاطف كبير.. ما بينكم ؟ !

- ماذا تقصدين ؟ !

- أقصد هل عمري شريك لنا في المصنع ؟

- لا .. فالمصنع باسم أبي وصابر فقط

- أنا غير واثقة بكلامكم .. فأبي ما زال محبا ومعجبا بعمري .. وأنت كذلك ، وهذا ما يثير قلقي واستغرابي اصدقيني القول هل من مؤامرة ؟!

- لا .. ستثبت لك الأيام غير ما تظنين .. وعمري اعتذر لأبي كما تعلمين من التدخل في الصراع القائم بين أبي وأخيه وقد قبل أبوك العذر .. وعمك هو رحم عمري

*****

ولما علمت امرأة ناصح الشقراء بما حدث بين الاخوة حاولت التدخل ، فمنعها ناصح من ذلك وقال بحدة وسخط : أنا لا أحب تدخلك بيننا ، وقد انتهى ما بيننا ، فقد فضل ابني عليّ .. وأنا نسيت ابني الذي تخلى عني منذ عشرين سنة .. أنا ليس لي أبناء .. فأرجوك ألف رجاء لا تحشري نفسك بيننا .. أنا لا أهل لي

أخذت الأرملة الشقراء توبخه وتذمه وقالت في النهاية : ماذا فعلت لابنك عندما هرب ؟ لم تبحث عنه ؟ ادعيت أنه سافر للعلاج ألم يحصل ذلك ؟ أنا لن أتدخل بينكم ؛ لأنك رجل أحمق وأصلا أنا لا أحب كل أقاربك ولا أطيـق رؤيتهم والحديث معهم

فقال : جيد هذا جيد .. فلتظلي في مشاريعك وأوهامك وأحلامك أنت في واد وأنا في واد أنا بدأت أكرهك

ضحكت وصرخت فيه : تكرهني !! فأنا أكرهك منذ أصبحت ظلي يا رجل .. أنت رجل غبي .. إنني لا أدري كيف وافقت أن أكون لك زوجة؟

فأظهر غضبه عليها وغضبت هي الأخرى وتطاير الكلام البذيء بينهما ، ثم قالت : أنا مسافرة

سأغيب عدة أسابيع .. فحل مشاكلك مع أخيك .. وأرجو أن لا أسمع أحداً يتحدث بهذه المشاكل أمامي ..

ـ أين ستسافرين ؟

ـ لا يهمك أين سأسافر ؟

ـ مع من ؟

ـ مع نفسي

ـ أخشى أن أخنقك بيدي هاتين .. للصبر حدود يا ملعونة

أنت رجل هرم خرف .. منذ البداية وافقت وحلفت أنك لا تسألني مع من أجلس مع من أسهر مع من أسافر

ـ أنا لست حيوانا

ـ بل أنت أكبر حيوان

ـ إنك شر امرأة عرفتها

ـ ها أنت تدين نفسك بلسانك .. فكما سمحت لنفسك بالنوم مع العشيقات .. وأنا أعرف أغلب الشقق التي تقضي فيها شهواتك الحيوانية .. فأنا أسمح لنفسي بالجلوس والنوم مع المعجبين بي وعشاقي

كان يضغط على شفتيه من القهر والغل ؛ ولكنه يدرك أن كلامها صحيح ، ألم تدخل عليه ليلا في إحدى الشقق وقد وجدته مع صبية صغيرة قد استطاع إقناعها بالفاحشة والزنا ؟ .. فعاد يقول مستسلما : افعلي ما شئت يا ابنة الملاعين والشياطين

فقالت : نظف نفسك قبل أن تنظف غيرك

لقد أدمن الرجل رغم شيخوخته على ارتكاب الفواحش وزيارة علب الليل ونوادي الليل وتصيد الفاجرات وبنات الهوى ، فلذلك كان يخاف من عودة عمري إليه يخاف على هذه المتع والملذات .. فأشياء كثيرة يخافها من مصالحة ولده .. ولكنه مقهور ومغلول من نجاح ولده وكثرة مشاريعه، وتردد اسمه على الألسن رغم حداثة سنه في العاصمة .. وكان يعرف كثيرا من عشاق زوجته الشقراء ويجالسهم على مضض ويتظاهر بالانفتاح وعدم الضيق والغيرة .. ولكنه جبان ..

*****

مضت سبع سنوات أخرى وقد هلك في آخرها السيد ناجح ، وقد هداه الله في آواخر عمره على يد ابن أخيه ، وكانت عزيزة قد عرفت دور عمري في شراء المصنع لولدها صابر ، وكذلك صابر عرف ، اعترف أمامهم ناجح بعد سنوات بجهود ابن اخيه ، ووصاهم على محبته والسير في ركبه .. وقبل الموت طلب وترجى ناجح ابن أخيه أن يتزوج من ابنته الأرملة أنعام ، وقد وافق عمري على ذلك ؛ ولكنه أجل ذلك بعد شفاء عمه ؛ ولكنه كان مرض الموت .. ولما انتهت فترة الحزن تحدث

عمري مع عزيزة وأنعام عن موضوع الزواج وخيرها بالبقاء على ذمته أو الفراق ، فقبلت بالزواج منه وتحقيق رغبة ابيها والحياة معه في الفيلا ومع زوجته زينب المحبوبة التي لم تمانع بهذا الزواج .. وكان زواجا بسيطا حفلا صغيرا في الفيلا ، فانتقلت على أثره أنعام وبناتها للحياة مع عمري وأمه المريضة وزوجته زينب .. وكان محمود الابن البكر لعمري قد أنهى دراسته الجامعية وأصبح طبيبا ، والبنت الكبرى على الطريق وسافر محمود لأوربا للتخصص والدكتوراة فزوجه أبوه قبل سفره .. ورفض ناصح خلال هذه السنوات السبع كل التدخلات للجمع بينه وبين عمري ، ورحل لأمريكا وأمضى فيها سنة يتداوى ويتعالج .

سهام ابنة انعام

كان عمري يتمنى أن يصحب أباه معروفا في آواخر حياته ، وقبل رحيله إلى أمريكا للعلاج تحدث عمري مع أكثر من صديق لوالده ليسمح له بمرافقته في رحلة العلاج ، فأبى وأصر على السفر وحده ؛ لأن زوجته الشقراء رفضت السفر معه ، فهذا ما كان يقض مضجع عمري يومئذ وخلال السنة التي مضت لم ييئس عمري من المحاولات ، لقد كان على اتصال دائم بالممرضة الخاصة التي رافقت أباه ويطمئن عليه منها ، وقد حاول الحديث معه مرارا بواسطة الهاتف في لحظة ضعف ؛ ولكنه كان يصرخ في وجه الممرضة ويهدد ويتوعد بالويل والحقد .

كانت حياة السيدة أنعام مع زوجها الثاني حياة طيبة وهادئة ، وكانت ترى زينب أختا وصديقة لها فهما متقاربتان في السن ، لم تشعر بأنها ضرة لها ، وحتى بناتها الثلاث لم يشعرن باغتراب أو إحراج أو ضيق في بيت الأسرة الكبيرة ؛ ولكن الفتاة الكبرى سهاما كانت قد اقتربت من إنهاء دراستها الجامعية ، وكانت تظهر امتعاضها وألمها من اللباس الإسلامي ، فهي لم تلبسه إلا عندما تزوجت أمها من ابن عمها عمري .. وكانت لا تتحمل سخرية بنات العائلات وزميلات الجامعة من لباسها المحتشم .. وكانت تحدث بينها وبين أمها المشاجرات حول ذلك الأمر .. فالسيد عمري لا يتهاون في مسألة اللبس ، فكل بناته وبنات أختيه قد أصبح هذا اللباس لديهم أمرا طبيعيا ، أما سهام كبرى بنات أنعام لم تستطع الانسجام معه .. فكانت تتذمر منه كثيرا .. حتى فكرت أنعام أن تعيد ابنتها للحياة مع أمها عزيزة لتحررها من ذلك الحرج والضيق .. فالتربية ابتداء لم تكن إسلامية .. فمن المعروف أنهم أسر متحررة في هذا الأمر وإذا لم تقتنع الفتاة المتبرجة اقتناعا عقليا ووجدانيا فلن تستمر على ذلك .. وكان ذلك

يزعج أنعام ، وكان عمري يشعر بذلك الحرج والضيق ؛ ولكن فتح هذا الباب فيه إثم وحرج، وأيضا لم يستجب لفكرة إرسال البنت الكبرى والوسطى للحياة عند جدتهم عزيزة .. فرقابة الأم لبناتها وأسرتها في هذه السن ضرورية وحاجة ملحة ، ورأوا أن الزواج هو الحل الأسلم لذلك ولكن أين الزوج المناسب ؟ .. لقد كان في سيرة حياة سهام شاب يدرس معها في الجامعة وفي نفس الكلية ، وكان بينهما ود متبادل ؛ ولكنه لم يتطور إلى علاقة عاطفية حميمة .. صداقة كما يدعون ، وكانت الفتاة تخشى تطور ذلك إلى حب وغرام كما تفعل كثيرات من بنات الجامعة ، فزوج أمها رجل تراه متعصبا ومعقدا رغم حبها الكبير له ، فهي لم تنس ذلك اليوم الجميل عندما ذهبت مع جدها ناجح وأمها لزيارتهم في الريحانة ؛ ولكنها كانت صغيرة ابنة ثلاث عشرة سنة ؛ وكان زواجه من أمها كان مقبولا أيضا في البداية ومرحبا به .. فأنعام كانت معجبة بابن عمها وتراه الزوج المناسب لمن هي في سنها امرأة تجاوزت الأربعين .. هذا كانت الفتاة تدركه ولكن لما جاء الوقت كانت تدرس في الجامعة ، فعارضت ذلك الزواج ولكن بضعف ، إنها لا تريد أن تقف أمام سعادة أمها .. ولكن الذي كان يثير دهشتها أكثر حب خالتها نوال لعمري وكانت تريد الانفصال عن زوجها أملا في تحقق هذا الزواج والحلم القديم .. فشاء الله أن يلزم العم ابن أخيه وهو يموت بالزواج من ابنته الأرملة .. هذا كله كانت سهام تعلمه .

وكان صديقها في الكلية يضيق أيضا من لباسها الشرعي ويجعله مادة للسخرية والتخلف والعصبية .. فكانت حائرة وحتى أنه قال لها يوما : يا سهام ! لو تخلعين هذه الثياب قد أفكر بخطبتك وأرتبط بك

فتشرع بالحديث عن زوج أمها وتدينه ، وتظهر له المعزة في قلبها والاحترام ؛ وتخشى أن يرفضه بسبب عدم تقبله اللباس الشرعي ، فيتعجب من ذلك ويقول : أدبك رائع يا سهام وأخلاقك مع الشباب رائعة أيضا ، أهلي وخصوصا أمي لو تسمع أنني أرغب أن ارتبط بفتاة تلبس ثوبا طويلا لـتضربني وتقيم الدنيا عليّ ،إن أختي منالا تحبك ومعجبة بك وبتعقلك

ـ هذا من لطفك يا فواز ! ومن لطف أختك منال .. أنا لو لم أكن أعيش عند زوج أمي لخلعت هذه الثياب .. فأنا غير محب لها ؛ ولكن أمي تجبرني على ذلك ، وبنات خالتي زينب ضرة أمي يلبسن اللباس الإسلامي الشرعي

فيقول : على كل حال لنبقى أصدقاء .. السنة نتخرج من الكلية فتبدأ حياتنا العملية فلربما تيسر

لنا الزواج يا سهام .. فالبنات كثيرات معنا يا سهام ولكن جمالك وأدبك جذاب

ـ أذكر أنك قلت سابقا أن والدك يحب أن تدرس الماجستير والدكتوراه مباشرة بعد البكالوريوس

ـ هم يريدون ذلك ، وأما أنا أفكر بالعمل مباشرة والاستراحة من الدراسة .. مللت لي ثماني عشرة سنة أدرس يا سهام ألا يكفي ؟!

ـ أنا أيضا بدأت أفكر بدراسة الماجستير .. فخالي صابر قال ستعملين معنا وسيسمح لي بالدراسة على نفقته أيضا

ـ خالك هذا رائع يا سهام !

ـ شكرا لك أيها الصديق .. أفكر أحيانا بالحياة مع جدتي وابنها صابر ، ولكن زوج أمي يبدو لي أنه يعارض هذه الفكرة .. لذلك أمي لا تحبذ ذلك ولا تريد إغضابه .. فهي تراه ملاكا يمشي على الأرض

ـ هذا تعصب وتشدد

وأخذ الشاب يعيب على الشيوخ والمحجبات ، وتظهر سهام تأييدها وتعاطفها مع كلامه وتعليقاته الحادة .

كانت أنعام ترى زواج سهام حلا مناسبا ، ولكن من أين يأتي هذا الزوج ؟ .. وهل يوافق عليه عمري الشيخ المتدين ؟ .. لذلك كان يراودها شعور بالندم أحيانا من موافقتها على زواجها من عمري ، وترى أنها نسيت البنات في غمرة ميلها لابن عمها ، فتشجع نفسها لتطلب منه الطلاق ، ثم تضعف عن ذلك ، وكان هذا الهدف قد كبر في وجدانها عندما علمت أنها لن تحمل منه فعندها ضعف شديد في المبايض ، ومشاكل أخرى في الرحم ، وكان عمري مشغولا عن فهم ظروفها لاهتمامه ومتابعته لصحة والده ، ولديه إحساس أن والده قد يفارق الدنيا قبل أن يتسامحا ؛ وأما زينب الذكية كانت تدرك ما عند أنعام من هموم وصراع داخلي ، وهي حائرة بالخطوة المناسبة لأن أي حركة خاطئة ستدمر البيت ، وتثير حولها الشبهات والغيرة والحسد من ضرتها ، فكان جل اهتمامها تلك الأيام برعاية أمها مريم التي لم تعد تستطيع مفارقة السرير وحدها ، لها سنوات تعاني من أتعاب وأسقام الشيخوخة المبكرة .

وتخرجت سهام من الجامعة وفرحت أمها لها فرحا كبيرا ، وأقامت لها حفلة جميلة في الفيلا ، سمح لها عمري أن تدعو لها كل من تشاء من صاحبتاها ورفيقاتها وأقارب أمها وجدتها عزيزة

وحاولت سهام أن تدعو بعض أصدقائها الشباب ، فرفضت أمها بشدة هذا الأمر ، ولم يشارك في الحفلة إلا النساء والفتيات من أقاربها وبعض زميلات الجامعة ، وقد تألمت وحزنت سهام من

ذلك الموقف المتشدد ، كانت تود وتطمع بحضور فواز لهذه الحفلة ليتـعرف على أمها .. وقضت سهام بعد الحفلة ثلاثة أيام مريضة ومرهقة بدلا من الفرح ، وحضر الطبيب من أجلها ثلاث مرات .. حرارة صداع عدم رغبة في الطعام ، وقد احتار الطبيب في تشخيص المرض ، وأخذ يفكر بعمل التحاليل المخبرية لها ..

وتحدثت زينب مع أنعام فقالت : ألم تعرفوا بعد سبب المرض يا أنعام ؟

فقالت بحزن : للأسف فالطبيب لم يقل شيئا مهما .. ويفكر بإجراء تحاليل دم وبول وغير ذلك

فقالت زينب : اجلسي معها يا أنعام ! وتحدثي معها بصراحة فأنا أرى أن تعبها نفسي فعندها هموم ومشاكل شخصية

دهشت أنعام لتحليل زينب فقالت : ماذا تقصدين ؟ !

ـ المفروض أن تقابل سهام النجاح والتخرج بفرح وسعادة ؛ ولكنها كانت حزينة يوم الحفلة ولم تكن مسرورة ومرحة

ـ لاحظت ذلك ، وأظن أن ذلك سببه عدم موافقتي على مجيء بعض زملاء الكلية

أحسنت يا أنعام .. كانت سهام ترغب بذلك ، فلابد أن سببا مهما دفعها لذلك ، ولما فشلت بتحقيق ذلك المطلب أصابها المرض والانهيار

ـ ماذا تقصدين مرة أخرى يا زينب ؟!

ـ أقصد أن هناك شابا في حياتها ربما كانت ترغب أن يتـعرف عليك بهذه المناسبة

ظهر الضيق على وجه أنعام فقالت : وما يدريك ؟ ! هل صارحتك بذلك ؟ ..لم تحدثني بشيء من ذلك خلال السنوات الأربعة التي مضت يا زينب

فقالت زينب بهدوء وثقة : لا .. لم تصارحني بشيء ؛ ولكن إصرار البنت على حضور الشباب أو الزملاء تلك الحفلة ، وتشاجرها معك وإغلاقها الغرفة على نفسها عدة مرات محتجة يدل على أن في حياتها شابا و ..

فصاحت أنعام وهي تظهر الغضب : ولماذا لا يتـقدم لخطبتها هذا الشاب ؟

ـ هذا ما يجب أن تعرفيه منها .. دعيها تفتح قلبها لك

ـ والله يا زينب أنت تتكلمين كلاما غريبا

ـ يا أنعام الطيبة ! .. بنت ليس عندها مشاكل عائلية خاصة .. وأسباب الراحة متوفرة لها فلماذا تبدو حزينة متألمة وسارحة ومهمومة؟!

تبرمت أنعام وقالت : تعالي يا زينب لنتحدث معها .. أنا حقيقة مندهش ومستغرب وأعجب

من كلامك الغريب .. سهام تحب شابا ولم تخبرني بهذا ؟ !

ـ اذهبي وحدك

ـ لا .. اذهبي معي

سارت المرأتان إلى سرير سهام ، فقبلتها زينب ودعت لها بالشفاء والعافية ، وذكرت بعض أحاديث وأدعية عيادة المريض ، ثم قالت أنعام : يا ابنتي لك ثلاثة أيام راقدة .. لا تأكلين إلا القليل .. والطبيب لا يرى تحسنا في صحتك هل أنت غاضبة من تلك الحفلة ؟

هزت رأسها نافية ذلك ، فتطلعت أنعام بزينب ثم قالت : بصراحة يا سهام ! أمك زينب تقول إنك متضايقة ومتعبة لعدم موافقتي على حضور أصدقائك الحفلة ؟

فأغمضت عينها ولم تتفوه بكلمة فعادت أنعام تقول : يا حبيبتي ! أنا رفضت ذلك لأننا لسنا في عالمنا الماضي .. وعمك عمري الطيب يضيق بذلك ، وأنت لست في بيت أبيك ـ رحمه الله ـ ولا في بيت جدك .. فالاختلاط هنا ممنوع .. وإذا كان لك صديق أو زميل يحبك ويرغب بك فليأت من الباب ..

ففتحت عينيها وقالت هامسة : كنت أحب أن يتعرف عليك إنه ..

نظرت أنعام لزينب وهي مصعوقة وقالت مقاطعة بتوتر : أحدثت خالتك بشيء من ذلك ؟

فقالت زينب : لا .. أبدا يا أنعام .. يا حبيبتي يا سهام أنا أعرف الحيرة التي تعيشين فيها في هذا البيت .. هذا بيت طباعه وعاداته تختلف عن عادات بيت جدك ناجح .. ومن حقك أن تحبين وتهوين .. فإذا كان هذا الشاب يحبك حبا صادقا وراغبا بك زوجة فليتحدث مع عمك عمري أو أمك مباشرة

فقالت الفتاة : لم يصل بيننا الحب إلى هذه الدرجة يا خالتي ! هو صديق لي كان يسمح لنفسه بأن يحدثني عن الخطبة والزواج ولكن هناك أشياء أخرى ..

فقالت أنعام بقلق : حبيبتي سهام .. هل خنت ثقتي بك ؟

ـ لا .. يا أمي .. أنا ابنتك ، لا يذهب عقلك لشيء قبيح

فقالت زينب : الحمد لله على سلامتك يا سهام .. تأكدي أننا نحبك ولا نضغط على حرية اختيارك .. فإذا كان الشاب فقيرا فنحن لا ننظر إلى المال

فقالت : لا .. بل هو شاب ثري .. أخ لمنال لقد عرفتك عليها يا أمي

فهزت أنعام رأسها بنعم .

فقالت زينب : تكلمي بكل آلامك لأمك يا حبيبتي.. فسوف يرتاح قلبك ويصح بدنك إنني ذاهبة إلى أم عمري

فقالت أنعام : أشكرك يا زينب ..والله أنا ما خطر في بالي مثل هذه الأفكار لأنها لم تحدثني يوما عن علاقتها بشاب

فقالت الفتاة بحدة : لا توجد علاقة يا أمي .. مجرد زميل

ـ حسنا .. مجرد زميل .. حدثيني عنه

تركت زينب ضرتها مع ابنتها البكر ، ومشت نحو حماتها تشرف على أحوالها .

*****

فلما عاد عمري مساء من العمل ، وتعشى مع والدته كعادته ، وتحدث وسمر الجميع في حجرتها طلبت أنعام من زوجها الحديث على انفراد فاستغرب عمري طلبها ، فقالت موضحة السبب امام السامعين : سأتحدث معك عن سهام

فقال قـلقا : قد مررت عليها ، فهي طيبة ، وأحسن حالا من أمس .. عن إذنك يا أمي

فأشارت له برأسها أن نعم ، اذهب ، فخرج إلى مكتبه الواسع في الفيلا الجديدة ، فوجد ابنته عائشة التي تدرس في كلية الطب تجلس فيه ، فقال بعد السلام : عفوا عائشة أنت هنا .. لماذا لا تجلسين في المكتبة ؟

ـ أهلا أبي الحبيب ، وعليكم السلام .. أهلا خالتي .. أحببت الجلوس هنا يا أبي

ـ أتسمحين لنا بالحديث هنا وحدنا ؟

أخذت تلملم الكراسات والأوراق والأقلام وقالت : أنا آسفة

ـ المكتب تحت أمرك ؛ لكن خالتك أنعام تريد أن تحدثني بموضوع خاص فهذا سبب إزعاجنا لك

فقالت وهي تبتسم : أبدا .. إنما هو تغيير جو ، أنت تعلم أنني أحب القراءة والجلوس في المكتبة الرائعة التي كونتها يا أبي

فتبسم وقال : الفضل لزينب بعد فضل الله سبحانه

قبلت الفتاة رأسي أبيها وخالتها ، وأغلقت الباب وراءها ، وقد سمعت والدها يقول : لتصنع لنا أم احمد القهوة يا عائشة

قالت أنعام : أنا لا أدري يا سيدي كيف أبدأ ؟ !

فضحك عمري وقال : أنعام الحبيبة حائرة من أين تبدأ ؟! .. ابدئي من حيث شئت .. أليس الموضوع بشأن سهام كما قلت .. فابدئي من حيث تشائين من الأول من الآخر .. فأنا أحب سهاما وهي كابنتي عائشة

قصت عليه حكاية الفتاة وبغضها للملابس الشرعية والجلباب ، وحدثته عن زميلها فواز

ورغبته بخطبتــها لولا خوف أهله من هذه الثياب وبغضهم للزي الشرعي .. ولما انتهت أنعام من تفصيل قصة فواز وسهام لزمت الصمت ، تنتظر كلام عمري الذي لزم الصمت بدوره منذ بدأت الحديث ، وإن كان يتغير لون وشكل عينيه ووجهه وجبينه أثناء سرد القصة ولم يتكلم رغم صمتها ، فقالت أنعام : أسمعت كل ما قلت ؟

فهز كتفيه قائلا : سمعت بالطبع .. هذا يؤرق الفكر والقلب .. الشاب لا يريد التقدم إليها إلا إذا خلعت هذه الملابس

ـ هكذا هي تقول .. شاب معجب بها ، وكذلك أخته ؛ ولكنهم يبغضون هذه الثياب ..

ـ والصلاة .. هل يعرف أنها تصلي ؟

ـ لم تذكر من ذلك شيئا

فقال : هي الآن أنهت الكلية .. كيف ستراه ؟

ـ سألتها عن ذلك ، فردت أن هنالك أخته ستنقل له الصورة الجديدة لها ، من خلعها الثياب الطويلة وعودتها للبس البنطال والثياب القصيرة .. فتقول إذا وجدتها تفعل ذلك ستشجع أخاها على الاقتران بها

فقال عمري بعد تدبر : يطلبها ويكتب كتابها ، ولما تنتـقل لبيته أو بيت أهله يلبسها ما يشاء أما أن تفعل ذلك قبل الزواج فأنا غير مطمئن لذلك ولا ارتاح لمثل هكذا شرط .. أنا ليس من حقي أن أفرض عليها شيئا؛ ولكن هنا نظام عام في البيت علينا مراعاته .. فأنا صحيح فقط زوج أمها لست أباها ، وأعرف أن زواجنا قد أثر على نفسيتها ، وأنا لم أحب أن تعيش في بيت عمتي عزيزة حبا لها ، وعدم إبعادها عن حضنك ورقابتك وعن أختيها

فقالت : وما الحل في نظرك ؟

قال : الحل سهل .. يتـقدم لطلب يدها إذا كان صادقا في إعجابه وعواطفه نحوها ثم يقترنان نحن فعلنا ما يليق بها وبنا .. أو نصبر شهرا أو شهرين ؛ فإذا اندمجت في العمل واندمج فواز بذلك قد ينساها وتنساه ، وإذا كانا متمسكين ببعض ستحدث تطورات .. فالبعد يحدث النسيان والجفاء ، ومن ثم تظهر حقيقة المشاعر

ـ إنها لا تريد العمل الآن

ـ لا بأس ، فخالها صابر في انتظارها..وكل شركاتنا ترحب بها ، فالشاب بعدما تبتعد عنه سيظهر صدقه من كذبه ، ومن حقها أن تختار من يرتاح له قلبها .. أما التـعري في البيت لا تساهل فيه .. وهذا ليس تعصبا ، ولكن هذه مملكتنا قد بنيناها وشيدناها بصبر وجهاد طويل وأنا أيضا على استعداد لاستقبال هذا الشاب والتعرف عليه

ـ إذن الحل الزواج

ـ هل من حل غيره ؟

ـ أسكن أنا والبنات في فيلا أخرى .. نستقل عنكم

وقف عمري غضبا ونهضت قائمة مثله وقال : ويلك ، ما هذا الكلام ؟! أتعيشين وحدك وأنت ذات زوج ؟ .. لو كان هناك ابن أو أخ لربما رضيت بذلك ..

ثم خفض من صوته محاولا إعادة الهدوء لنفسه متابعا كلامه : سيدتي يا أنعام ! .. المشكلة ليست بهذا التعقيد .. الدين أولا ، ومهم في حياتنا ، وأنت خير من يعرف هذا ، ولا يجوز أن نستسلم لنفاثات الشيطان ، ونفخات الجهل ، وأنا قلت قديما واليوم إنه لا سلطة لي على سهام وأختيها ، ولست محملا لهن جميلة لحياتهن معنا في هذه الفيلا ، فمن حقهن العيش والحياة مع أمهن .. ولكني اليوم لهن بمقام الولي والوصي

فقالت أنعام والدموع تنساب من مقلتيها : إنني حائرة يا ابن عمي

ـ ولم الحيرة ؟! .. وهل إذا خلعت ثياب الحياء والدين تزول الحيرة والمشكلة ؟! .. دعيها تتصل به ليقابلنا أنا وأنت ، ونجتمع به هنا في هذا المكتب ونتعرف على حضرته؛ فإذا كان جادا فلسوف يأتي

ـ اطلب منها ذلك

ـ هيا يا عزيزتي .. اذهبي اغسلي وجهك .. أما أن تسكني وحدك وبدوني فهذا لا يجوز ولا يحل يا عزيزتي

بعد أن غسلت وجهها ، ذهبا سوية إلى حجرة البنات ، فوجدا سهام وحدها نصف نائمة ، فالقيا التحية ، وقالت أمها : يا سهام استيقظي .. فهذا عمك أبو محمود قد حدثته بكل شيء

فمسحت الفتاة عينيها الذابلتين وقالت بخجل وصوت ضعيف : تأكد يا عمي أنه ليس بيني وبينه شيء يشين .. إنما تعارف وزميل في الكلية وليس بيننا حب عنيف أو قصة حب فقط إعجاب وميل وتفاهم ورغبة بالاقتران وأنا أحبك يا عماه وأحترمك وأسمع كلامك

ـ بوركت يا بنية ! فأنا بمقام والدك ـ رحمه الله ـ وتأكدي أنني لست طاغية أو جبارا في الأرض ولا أنكر هذه العواطف والهوى بين الناس ، وسمعت كل ما قلتيه لأمك ، فقلت لها مقترحا أن تتصلي به ويأتينا لنتفاهم ونتفق بعدما نتعارف .. فأنت ابنتنا كما أنت ابنة أنعام .. وأعلمي أن أحق شخص له الموافقة على زواجك إخوة أبيك أو جدك والد أبيك .. فهؤلاء هم أولياؤك الشرعيون .. ولكن سؤال بسيط خطر على بالي .. هل يعلم هذا الفواز أنك تصلين ؟! اصدقيني القول ؟

فقالت : لا أدري .. ولكن أخته منالا تعرف عني ذلك ولا بد أنها حدثته عن ذلك .. ولكن لماذا هذا السؤال ؟

ـ فالصلاة مهمة جدا في حياتنا كما تعلمين ، وهي أهم وأخطر من اللباس .. فبعض الناس من الفساق وتاركي الإسلام وراء ظهورهم ينفرون ممن يصلي ويصوم ويذهب للمسجد ، فقلت ربما لو عرف أنك تصلين لابتعد عنك .. فعلى المرء أن يتأكد من عواطف الناس نحوه في أحيان كثيرة .. وأنا قلت لأمك أن تتحملينا شهرا أو شهرين .. فإذا الرجل يودك ويرغب بك شريكة حياته سيديم جسور الوصل والاتصال معك .. لأن البعد ينسي العواطف المزورة يا سهام .. فأنت بالخيار ، أخبريه بموافقتنا على مقابلته والجلوس معه والتعرف عليه .. أو تتركين الموضوع إلى حين من الزمن .. فكري بما قلت .. سامحيني يا بنيتي عما نسببه لك من ضيق وحرج .. تحملي هذه الظروف والفرج قريب

فشكرته سهام وقد تناولت يده وقبلتها وهي تقول : أعرف أنك سيد فاضل .. كريم .. إنسان رائع .. أعرف حرجك من خلعي لهذا الجلباب ؛ ولكن يا عماه لا تلمني قد تعودت على السفور والتبرج ، وقد مرت عليّ هذه السنة والنصف كأنني اصعد جبالا شاهقة

الموت لا مفر منه

بعد اللقاء الصريح البين بين عمري وبنت زوجته انعام الآنسة سهام، تشجعت الفتاة وتحدثت مع منال وشقيقها فواز بالهاتف ، ورحب فواز بلقاء زوج أمها واستعد لهذا التعارف ووعدها أن يتصل بها ليحدد يوما للتعارف ، وقد حدث ـ قبل أن يتصل فواز هاشم بسهام لتعيين يوم للتعارف بأهلها ـ أن تلقت أسرة عمري هاتفا من الدكتور سمري ناصح الخابي المغترب منذ عقود في أمريكا ، وكان الاتصال يطلب من عمري السفر لأمريكا لأن والده يريد مشاهدته قبل أن يلفظ أنفاسه الأخيرة ، لما علم عمري بذلك تحدث مع سمري على الرقم الذي تركه لهم وكانت ممرضة ناصح قد أخبرت عمري بسوء حالة والده قبل اتصال أخيه ، وقد ذكرنا سابقا أن عمريا قد كان يتصل بها بين الحين والآخر .. حصل عمري على التأشيرة لدخول أراضي الولايات المتحدة الأمريكية ، لم يكن ناصح الخابي يعالج في فيرجينيا حيث يعمل ويحيا سمري إنما كان يعالج في ولاية تكساس الجنوبية وقد دفع آلاف الدولارات للدواء ولإعادة الصحة فلم ينفع ذلك ، تتحسن أحواله أياما ثم تنتكس أحيانا أخرى ، قضى أغلب تلك الأيام على أسرة المستشفيات الأمريكية ، أمواله الكثيرة لم تمنع من تدهور صحته وانحداره نحو

الموت .. أخبر بهذه الحقيقة .. ظهرت على بدنه آثار الكحول والدخان والمعاصي ، فطلب سمري وطلب منه أن يرسل وراء أخيه عمري ، أتى سمري بعد حين من الأيام وسمع من أبيه كلاما قاسيا وجارحا ، وأخبره أنه سيحرمه من الميراث ومن أمواله إذا لم يأخذ إجازة ويظل هذه الأيام عنده فوق سريره .. بداية لم يكترث سمري لهذا التهديد ؛ ولكن سيزانا حثته على البقاء بجوار أبيه حتى يلفظ أنفاسه الأخيرة .. وتيسر سفر عمري إلى أمريكا فدخل تكساس بعد أيام قضاها في السفر ، ذهب إلى المستشفى الراقد فيه ناصح الخابي يتلقى العلاج والعناية الطبية ، وجد الأب عودا أو هيكلا عظميا ، لقد ذابت اللحوم والشحوم ، والتقى الأخوان عند سرير الأب المريض بعد أكثر من عشرين سنة ، فتح الأب عينيه على عناق الأخوين فهمس الأب الواهن : عمري !

حيا عمري الممرضة الخاصة ، وانحنى فقبل جبين أبيه والدموع تنسكب على خديه وقال

بحرقة وتأثر : كنت أتمنى يا أبتي أن أراك وأنت قويا وفي غير هذا الظرف والحال

أشار الأب لسمري والممرضة بالابتعاد والخروج من الحجرة ، وقال بصوت واهن

: أنت قتلتني تخليت عني .. اخترت أمك

فقال عمري الباكي : لا تتعب نفسك بالكلام والعتاب .. دعوت الله أن ألقاك يا أبي قبل أن نفارق هذه الدنيا الفانية العاجلة .. ولكن لم أحب أن يكون اللقاء في مثل هذه الحال والظرف

ـ كرهتك يا ولدي بقدر ما كنت أحبك .. تمنيت موتك .. ودمارك ، غرت منك وآلمني نجاحك الكبير .. كنت أنا ناصح الخابي خائفا منك .. لا أريد قربك .. أردت توريطك في المخدرات لتعود إليّ ذليلا مهانا صاغرا .. أنا الذي أحببت خسارتك فأغرقت أسواق الريحانة ببضاعة معدومة

ـ أنت فعلت ذلك ؟! لماذا فعلت كل ذلك يا أبي ؟ !

ـ حسدت نجاحك بدوني ، حسدت استغناءك عن ثروة أبيك .. حسدت إيمانك ، وخشيت أن تبعد عني امرأتي الفاجرة المومس التي ابتليت بحبها ، فخشيت إن تصالحنا وتتعرف عليها وأحوالها أن تفرق بيننا وتعيد إليّ مريم .. الملعونة .. ولكني طلقتها قبل سفري الأخير بساعات تزوجتني لأكون غطاء لفجورها .. هذا كنت لا أريدك أن تعرفه عني يا ابن مريم .. والآن ما أخبار أمك ؟

ـ إنها في أيامها الأخيرة ..سامحها يا أبي

ـ وأنا في ساعاتي الأخيرة .. لما علمت أنك تعيش في الريحانة ، وكان ذلك بعد رحيل قمرية جن جنوني .. ولما علمت بنجاحك الكبير هناك فقدت عقلي ، وصممت على تدميرك لتعود إليّ ذليلا ، ففشل أعواني بتلبيسك قضية المخدرات .. نظافتك حمتك وكثرة مشاريعك حمتك من ضرب الأسواق في الريحانة .. وأما الرصاصات التي أطلقت على بيتك .. لم نقصد بها قتلك .. إنما كان ذلك لإزعاجك والتشويش عليك .. وخطف الرجال ابنك حسنا لإيذائك وقذف الرعب في قلبك .. فلما علمنا من أهل بيتك بسفرك أعادوا الصبي .. وأنا أرسلت وراءك لأقل لك كل هذا وغيره .. ثم أقول لك نم هادئا .. فقد هلك عدوك .. واغفر لأبيك الحسود الحقود وقل لأخواتك أن يسامحنني .. وكذلك أولادكم لم أسمح لهم برؤيتي ومقابلتي رغم سعيهم المتكرر لذلك .. كنت أنانيا ومتكبرا ومحبا لنفسي وكارها لكل من يقف في طريقي ولا يرضخ لحمايتي .. قل لأمك أن تسامحني يا عمري .. ولو بنيت عن روح والدك مسجدا لعل الله يقبله ويغفر له ذنوبه التي لا تحصى .. كم من الناس أفسدتهم ،كم من البنات أفسدت ، كم شربنا من الخمر .. أهلكت عمري في الفجور والشرور .. واعلم الآن وأنا أموت يا ولدي أن زوج أنعام التي زوجها لك أخي ناجح أنني أنا السبب في قتله .. لـقد اكتشف بعض الوثائق الخطيرة وأراد اللعين ابتزازي .. فدبرنا التخلص منه ..

فكان عمري مدهوشا ومصعوقا لم يسمع؛ ولكنه يدرك أن هذا اعتراف مودع فهمس رغم شدة الكلام : هل كان عمي ناجح على علم ؟

ـ ناجح ليس بالرجل الحازم الفطن ، فهو كابنه صابر ينفذ ما يؤمر به ؛ ولكنه شك فيّ ولزم الصمت ؛ وهو ضعيف أمامي .. هو يعرف غضبي وسطوتي .. وجرائم كثيرة ارتكبتها يداي خلال كل هذه السنوات .. هل يغفر ربك يا عمري ؟!

ـ نعم إنه يغفر .. يغفر كل شيء إلا الكفر

ـ أمعقول هذا ؟!

ـ معقول ونصف

ـ عمري أريد أن تظل بجواري حتى تفيض روحي ، فالأطباء لا يرون أن بقائي سيطول فالأورام انتشرت في جميع البدن ، وضعفت الأدوية عن أداء مهمتها

ـ سأبقى بجوارك يا أبي .. رغم ما أسمع منك من الأهوال والذنوب .. واستغفر ربك وتب إليه وأكثر من قول لا اله إلا الله محمد رسول الله ، لـعل الله يرحمك ويختم لك بها .. سأتركك تستريح الآن وأذهب للحديث مع سمري

ـ المهم ألا تسافر قبل موتي .. أنا أرسلت وراءك لأقل لك هذه الحقائق التي فعلتها معك ليهدأ بالك ، وتتابع مسيرتك وأنت مطمئن .. وسأقول لك الكثير في يوم آخر حتى لا يستغلك الرجال الذين تآمروا معي خلال السنوات الهالكة ، وتكون على حذر منهم .. سيدعون أشياء
كثيرة فلا تصدق إلا ما أتفوه به
ـ سامحك الله يا أبي .. لم يخطر ببالي أنك سبب كل الأذى الذي لحق بي وإن أشارت أمي ذات مرة إليك ، فقد قالت قد تكون هذه أفعال أبيك فاستغربت من قولها فهي قد صدقت
ـ إنها تعرفنني ، وتعرف ماذا أفعل إذا حقدت على شخص أو كرهته ؟ سلم لي عليها إذا أدركتها حية كما تقول .. انصرف وعد غدا .. ودع رقم هاتف الفندق الذي تنزل فيه مع الممرضة وعند استعلامات المستشفى
لم يكن عمري يتصور في يوم من الأيام أن أباه بهذه الوحشية والإجرام ، فهو كان يسمع عن قسوته وشدة معاملته لموظفيه وخصومه ، وكان يظن أن ذلك من طبيعة العمل ، ثم سافر لبريطانيا للدراسة ، فلم يعد يسمع جنون وطيش أبيه والتهى بالمدنية الغربية ، ولما رجع بعد الدراسة وقضى معه خمس سنوات ، لم يكتشف خلالها شيئا مخيفا في حياة والده لعدم اهتمامه بحياة وأسرار والده ، وأمه لم تكن تتحدث بشيء من ذلك العنف ، أو أنها تجهل ذلك كله ، أو تراه تنافسا بين أفراد ورجال شركات ، ولم يطفو منه شيء على صفحات الجرائد والصحف ثم هربه وخروجه من حياة الأسرة واجتهاده في بناء بيئة جديدة .. فلذلك لما عاد للفندق بما سمع من اعترافات ناصح كان مصدوما ومذهولا، وإن بدا متماسكا أمام الرجل المحتضر ، فذرف الدمع الغزير .. فقد رآه وحشا هائلا ، أو لا يعي ما يقول ، ولكن الأحداث التي جرت معه كقضية وضع المخدرات في مخزنه المهجور تدل على عقلية إجرامية ماكرة .. وكذلك إغراق الأسواق ببضائع زهيدة الثمن للانتقام يؤكد صدق الاعترافات ، وأن له يدا ومعرفة بذلك .. ويدل على ذكاء وتخطيط وتفكير .. وإطلاق الرصاص عليه في البيت .. هل هو صادق بأنه لم يشأ قتله إنما أراد تخويفه كما ادعى ؟ .. الواقع يدل على صدق هذا الادعاء ، وخطف الصبي بضع ساعات لماذا كان ؟ .. فحسن يذكر أنهم لم يتحدثوا معه .. فيبدو أنهم كانوا يرغبون بكسب المال تعويضا لخسائرهم في المخدرات والبضائع وإرهابنا .. وهمس وأنا متألم لمقتل زوج أنعام ابنة عمي .. آه ما أقساك يا سيد ناصح !.. تمزق قلب عمري وهو يسمع ويكرر هذه الاعترافات بين حناياه وفؤاده .. وأدرك أن أباه لم

يحن للصلح والمصالحة وإنما أرسل وراءه من أجل هذه الاعترافات الرهيبة ، وتمنى أنه لو لم يأت لسماع هذه الأخبار المخيفة .. وحمد الله أن أنقذه من هذه الظلمات ، ولم يكسب عن والده شيئا من طباعه وإجرامه .. وقد اغتم قلبه وحزن حزنا شديدا وهو يتأمل بكل ما سمع ، ودهش من وحشية بني آدم .. ما أقسى الإنسان ! وما أصبر الرحمن على هؤلاء العصاة الأشرار ! .. فكر بالهرب والعودة قبل سماع المزيد ؛ ولكنه رأى توسل رجل يحتضر ، وهو أبوه رغم كل هذا الإجرام والوحشية ، ولما آفاق من ذهوله سأل في الفندق عن سمري ، فقيل له إنه غادر إلى فيرجينيا وسوف يعود .. قضى عمري الساعات ساهما حزينا ذارفا للدمع وداعيا إلى الله أن يغفر لأبيه العاصي الفاجر وقال بألم شديد : يا ليتني لم آت إلى هنا لأسمع هذه الاعترافات المرعبة ..

ولما ذهب في اليوم التالي للمستشفى وجلس بجوار أبيه ، وقد تظاهر أمام والده بالثبات والصبر ولكن والده قال له : لا تحزن يا عمري على ما سمعت من سيرة والدك المحتضر فأنا كنت في غابة كلها وحوش ، فكان عليّ أن أصير وحشا مثلهم وإلا أهلكوني ، ولما درست أنت في بريطانيا ، ولا درس أخوك في أمريكا ، ولما سكنت في فيلا كبيرة ، ولما ركبت سيارة أو طائرة ولما احتضنت فتاة أو خائنة ، ولما أحنت لك الرؤوس رأسها ..اغفر لأبيك يا عمري .. كنت أريدك أن تكون مثلي وحشا إنسانيا ؛ ولكنك نجوت وعرفت الطريق فتولاك مولاك .. وانتصرت على أبيك وعلى أفكار ابيك .. وكسبت كل من حلق حولك .. كنت أعجب من أفعالك والتفاف الخيرين حولك .. كنت أرى أن كل الناس شر وشياطين ولا خير في الدنيا .. إنما هي صراع وقتال ومال وقوة .. قتلتني من الداخل بنجاحاتك .. هزمت مبادئي التي ترعرعت عليها وشبت عليها .. أدركت أنني كنت أعيش على الوهم والمرض والشهوة .. اغفر لأبيك جنونه ووحشيته .. سلم على بدرية وقمرية وكل أحفاد ناصح محمود الخابي .. لا تبكي أمامي أنا أبغض الضعفاء

ـ اسأل الله أن يغفر لك ، هو وحده غفار الذنوب .. سوف أسلم لك عليهم .. إنهن بشوق إليك وحمّلنني كثيرا من السلام والتحيات .. غفر الله لك يا أبي ! ما كنت أعرف كل هذا الشر عنك

ـ ألم أقل لك إنك نجوت ؟ ارسلت لبلاد الانجليز لتكسب جبروتهم وقسوتهم وطباعهم الانجليز حكموا العالم مع قلة عددهم .. كنت أريد أن ترث كل شيء عني ؛ ولكنك فلتّ بسبب تلك الفتاة .. وبسبب ذلك الجامع الذي أنشي قريبا منا

ـ لا حول ولا قوة إلا بالله

كان عمري لا يحب سماع اعترافات أبيه وهو متضايق من معرفة المزيد ؛ ولكن الأب عندما يراه لا يحلو له إلا الحديث عن قبائحه وسيئاته، كم امرأة أفسدها على زوجها ! كم رجل تخلص منه إما قتلا ذكيا أو إعاقته ، كم امرأة ادعى حبها وضجر منها ! كم عملية احتيال ونصب مارسها فوجد أو اكتشف في هذا اللقاء الذي كانت تهفو نفسه اليه منذ سنوات طوال أن أباه كتلة شر ، وأن الثياب الجميلة البراقة التي يرتديها كانت تخفي وراءها إنسانا شريرا ثعلبا ماكرا .. ذكر أمامه أسماء مديرين وموظفين وموظفات تعاونوا معه .

قضى عمري شهرا صعبا علقما ، كل جلسة عند سرير أبيه يتجرع فيها سما زعافا ، فما صدق أن لفظ الرجل أنفاسه الأخيرة .. لـقد أوهى قلبه ومزق روحه بما أفاض أمام ولده من الاعترافات والغدر والخيانات .. فاستعان ببعض المسلمين الموجودين هناك ، وقام بما يلزم الميت المسلم ، وقد سوى حسابات المشفى ، ونـقد المرضة أجرها وصرفها للبلاد ، وأرسل لأخيه سمري برقية يعزيه بأبيه ، وبعد أيام قليلة ركب الطائرة عائدا لبلاده ، وهو يحمل هموما كالجبال من الصفحات السوداء التي قدمها والده بين يدي الله .

خطبة حسن

قبل أن يحط عمري قدميه في بلاده تلقى وهو في إيطاليا نبأ وفاة أمه منذ أيام ، كان عمري قد نزل إيطاليا ليقضي فيها أسبوعا من الاستجمام والراحة ، ولما استراح من تعب الطائرات اتصل بالبيت فأخبر بالخبر ، وأنهم اتصلوا بالفندق بتكساس ، فعلموا أنه قد غادر الفندق ، فتـقبل تعازي الأسرة واسترجع وذكر دعاء مصيبة الموت ، وأخبرهم بدوره بوفاة والده ودفنه هناك في مقابر الجمعيات الإسلامية ، وحدثته زوجته زينب بعدما عزته بوالديه أن الدكتور يوسف حسان قام بكل إجراءات الدفن والعزاء ، وحثته على البقاء حيث هو ليريح أعصابه قبل نزوله المدينة ، فشكرها واثنى عليها وعلى الأخ يوسف حسان صديق الريحانة والمشاريع ، كان تعب عمري الحقيقي مما سمعه من أقوال أبيه ، فقد قتله في أحلى اللحظات التي ينتظرها من مصافحة ومعانقة والده ، استدعاه ليقول له تلك الصفحات السوداء من حياته ، وكان السؤال المهم ماذا يفعل من أجل أبيه ؟ممن أساء لهم أبيه ؟هل يفتح دفاتر أبيه وملفاته العتيقة ؟ فوجد أن الوضع مـعقد وبعض القضايا مضى عليها عشرات السنين .. فقضية زوج أنعام ماذا يستطيع أن يفعل إن نبشها ؟ أبوه لم يتحدث عن تفاصيل الحادثة .. ولماذا ؟ ! وما هي الأوراق الخطيرة التي عجلت بقتله وتدبير مكيدة له ؟ ! ..

وبعد نظر وتدبر وتفكير عميق رأى أن أفضل حل لما سمع أن ينساه .. فالاعترافات وحدها لا تكفي .. أين هم الذين شاركوا في هذه الجرائم ؟ الأعوان مسؤولياتهم التفصيلية ، هل هم عصاة لليوم ؟! أم تابوا بعد ذلك ؟ أم هل هم أحياء ؟ .. ليس هناك تفاصيل واضحة أستطيع الاستفادة منها .. ذكر أسماء رجال أحياء وأعوان ونساء مجهولات .. ولكني لا أعرفهم شخصيا .. فليس من السهل نبش أي قضية .. فبعد عشرة أيام من التفكير والتدبر والنظر اتخذ قرارا مهما وحاسما ، وهو عدم فتح ملفات الماضي وتسليم أمرها لله ؛ ولكن إن صدف والتـقى بضحية من ضحايا أبيه سيحاول التكفير عنه .. وسينفذ وصية والده ببناء مسجد عن روح والده ، فبعدما انشرح صدره لهذا الرأي نزل البلاد ، وما كاد يجلس في البيت حتى أقبل الأصدقاء والمعارف لتعزيته في والديه ، فتقبل التعازي وقدم الشكر لصديق العمر الدكتور يوسف حسان وولديه على ما بذلوه من جهد على جنازة أمه من غسل وتكفين ودفن والقيام بواجبات الميت ، وقدم الشكر لسكرتيره العتيد احمد ، ولأخوة زينب ولصديق العمر الأخ حسن ، ومكث عمري أياما يتقبل عبارات المواساة والصبر في البيت وفي العمل .. ثم شرع بتصفية شركات أبيه ، وحصر أمواله لتسديد ديونه وتنفيذ وصاياه وتوزيع ميراثه ، وعرضت عليه البنات ضم شركات أبيه إلى شركاته فرفض ، وقال : يجب أن يعرف كل وارث حقه وحصته

وأيضا لم يرض بشراء أي شركة أو مصنع من مصانع وشركات ناصح الخابي ، فكان يرى أنها مغموسة بالظلم والدم والحرام ، فكلها عرضت للبيع أو التصفية ، وكذلك تم حصر ثروة أمه ودفع ما عليها من ضرائب ومستحقات للدولة ، وتم توزيعها على الورثة للذكر مثل حظ الانثيين ، وتم تحويل حصة سمري إلى أمريكا الذي أعادها لعمري معتذرا عن قبولها ، وطلب منه أن ينفقها على مشاريع خيرية عن روح أمه ، وحثه على التعجيل بحصر ثروة أبيه وارسال حصته له ، فوعده عمري خيرا .. وقبل أن ينتهوا من حصر ثروة الوالد وتصفية شركاته قام بتشييد المسجد عن روح والده من ماله الخاص ..

وذات مساء عاد مبكرا للمنزل ، والتـقى بسهام في حديقة الفيلا فحياها ، وجلس يتحدث معها ويسألها عن صحتها وأخبارها ، ورغب أن يدخل السرور على قلبها ، فسألها عن فواز ، فاستغربت ذلك السؤال واعتقدت أن وقته غير مناسب ، فقال باسما : الموت والأحزان لا توقف الحياة يا حبيبتي ! فأنا كما أفكر بنفسي أفكر بكل من هو في فلكي ، وصدقي أنك لم تغيبي عن بالي خلال هذه الشهور

التي انقضت ، وأنا في أمريكا وإيطاليا وهموم الإرث وبيع أموال أبي وأنا ما زلت انتظر اللقاء

فقالت بحياء : لقد تحدثت معه قبل سفرك الأخير ، ولما اتصل بي لتحديد موعد لم تكن أنت هنا ، ورفضت أمي مقابلته بدونك .. فاضطررت أن أشرح له الموقف وأعتذر له

فقال : لا بأس .. خيرا إن شاء الله ! .. ألم يعلم بمجيئي بعد ؟ فإذا كان الشاب راغباً بك زوجة سيتصل ثانية وثالثة .. أو اتصلي به

فقالت : أخبرت منالا بعودتك .. لا تتعب نفسك معي يا عمي

ـ يا بنية هذا واجب ، نحن يهمنا سعادتك واقترانك بشاب يحبك لتدوم الحياة الزوجية .. فالحب الحقيقي سلاح يقضي على كثير من المشاكل الزوجية ، فتوكلي على الله سبحانه ولا تحملي الهموم والنكد من الآن

وبينما هما يتحدثان أقبلت نحوهما أنعام ـ فإنها لما سمعت أن زوجها يجلس في الحديقة مع ابنتها لبست ثيابها ، وخرجت إليهما ، وقد تبعتها الخادمة بفناجين القهوة ـ فرحبوا بها وقالت أنعام لما أخذت موقعها وجلست بالقرب من عمري : سهام تحبك كثيرا يا عمري ! .. وترى أنك في هذه الشهور عوضتها عن رعاية الأب وحنانه ، وهي معجبة بثباتك وعدم جزعك وعدم تظاهرك بالمبالغة بالحزن رغم وفاة والديك في زمن متقارب ، فهي تذكر ما حدث عندما مات جدها ناجح ، وما فعلنا من اللطم والصراخ والبكاء والحداد ؛ ولكن عندما ماتت الحاجة مريم - رحمها الله تعالى وغفر الله لنا ولها ـ لم يظهر صراخ في البيت وعويل وندب ، فقد كانت زينب سيدة الموقف .. حزن ودموع وبكاء هادئ ، وبالمثل فعلت بدرية وقمرية والبنات ..لم يفعلوا كما فعلنا من النوح واللطم ..

فقلت لها يا بنية هؤلاء قوم مؤمنون يتحرون السنة ، سنة النبي ﷺ في أفعالهم وأقوالهم ، وذكرت لها قصة حزن النبي ﷺ على وفاة إبراهيم ابنه ، وموت ابن ابنته ﷺ ، وعمه حمزة رضي الله عنه ، وأن الصراخ والبكاء المرتفع من فعل الجاهلية ، وأكثره نفاق ومجاراة ومماراة أمام الآخرين .. فقد سرت من ذلك التواضع وعلقت يومذاك الحزن في القلب هو الحزن الحقيقي

قالت سهام كأنها تذكرت ذلك الحديث : أجل يا عمي !.. الحزن حزن القلب ، وإن يظهر على الوجه بعضه ، ولكن هل هذا الحزن حقيقي أم وهمي متكلف ؟ ولما حضرت وعزيناك كنت طبيعيا لم تظهر أمامنا بحزن مزيف وأنك وأنك ..

فابتسم عمري وقال معجبا بكلامها : دقيقة الملاحظة يا بنية .. فأنا بكيت أبي هناك ، وفي إيطاليا بكيت أمي إن العين لتدمع وإن القلب ليحزن ولا

نقول ونتكلم إلا بما يرضي الله سبحانه .. فالإنسان عارية مستردة .. كتاب مؤجلا ففي فعلنا الصواب نأخذ الثواب والحسنات ، وفي اللطم وضرب الخدود وقد الجيوب نأخذ السيئات ، ونؤلم الميت ، ونتشبه بأهل الجاهلية .. فأيهما خير ؟

.. أنا قلبي ممزق على أبي الضال يا سهام ! كنت أتمنى وأحلم ليلا ونهارا أن أراه مهتديا تائبا .. فأمامنا درب طويل بعد الموت .. وهذا الدرب يحتاج لزاد ، وخير الزاد التقوى، ويتحصل عليه المرء في سنوات هذه الدنيا ، فالتزود بالتوبة وهدي نبينا محمد ﷺ سيساعدنا على قطع الطريق ، والنجاة من النار ، وأنفاس النار، والموت غاية ونهاية كل كائن حي .. وفقك الله يا سهام الطيبة وأطال الله عمرك

رعش قلبها لكلمات عمري الدافئة ، وتمتمت الفتاة بالشكر ، وقالت أنعام : أخبرتني أمي أن السيدة نوالا قد رفعت طلبا للقاضي بطلب الطلاق من زوجها نادر ، وقد غضب صابر منها لو تتدخل يا ابن العم يا أبا محمود

فقال عمري : طلاقها خير لها يا أنعام ! عمي كان يمنع ذلك ، ولا يريده لاعتبارات الصداقة الحميمة بينه وبين والد زوجها .. والرجل ليس ممن يتاجر به ..

ـ والله لو تسمع هذا الكلام لتتعلق بعنقك وترحل إليك وتأخذك مني

فضحك عمري وسهام ، فهم يعرفون تعلق نوال القديم بعمري ، فقال : لا تخافي إنها لا تحل لي .. لا يجمع بين أختين في إسلام .. ولكن لعلنا ننقذها من ذلك المخمور .. ساعديها يا أنعام وليتركها صابر تفعل ما تشاء .. أبوه وقد مات ، وابنها قد كبر ودخل الجامعة ، وهو لا يحبها ، وهو يعيش مع عماته وجدته

فقالت سهام : هذا رأيك يا عمي ؟

فقال ملتفا إليها : رأي ورأي الشرع .. فالشرع إذا كان الزوج فاسقا يحق للمرأة أن تطلب التفريق إذا خشيت على دينها ونفسها .. ثم هي ليست المرأة الوحيدة في حياته ، فله كثير من الخليلات وبنات الهوى .. فهؤلاء المتغربون للأسف لا يرون الزنا عيبا وذنبا وعارا بل هو متعة ولذة منشودة .. المهم موافقة الطرفين على الفاحشة

ـ شيء مقرف ومهين

فقال عمري : لكل ذي لب وعقل كبير ، وأما من يحيا حياة الحيوان فلا .. حتى أن بعض الحيوانات تأبى ذلك .. فطلاقها خير لنفسها ولدينها .. وهي تبغضه وتراه جلادا لها .. تحدثي يا أنعام مع صابر وانقلي له قولي ورأيي .. فأنا مشفق عليها

فقالت أنعام : إنني أغار من هذا الكلام .. أخشى

أن تسلبك مني
فقال عمري مستنجدا بسهام : اسمعي أمك يا سهام ! .. ويحك ! .. كبري عقلك فنوال أكبر منك وقد تجاوزت الخمسين على ما أظن .. فهل يطمع فيها رجل ؟!
كانت سهام تبتسم وهي تسمع أمها وزوج أمها يتحدثان أمامها بهذا الكلام ، وعادت أنعام تقول : كلما التـقي بها تقول لي سرقت عمريا مني ألم تكوني تعلمين أنني سأصل إليه ولو آخر يوم في عمري فقالت سهام : والله يا عمي إنها تتكلم بذلك ، وتكرره أمامنا بدون خجل أو حياء
فقال : الكلام ليس له ثمن .. أنا أنعام رغم معزتها في قلبي كنت أخجل أن أتقدم إليها كزوج ولولا وصية عمي ناجح لما تجرأت على الزواج ثانية .. فأنا أخاف النساء
فقالت أنعام ضاحكة ضحكة قصيرة : يبدو أنك فعلا نسيت سنوات المراهقة ولندن ومرسيليا
فقال ضاحكا : أيام جاهلية وجهل .. أسأل الله أن يعفو عني كنت ابن أبي .. ما أروع طهر الإسلام يا أنعام ! ونظافة الإسلام وعفة الإسلام !
وقضى الثلاثة سهرة ممتعة في حديقة الفيلا ، بل طلبوا العشاء فيها، فحضر باقي أفراد الأسرة ومعهم السيدة زينب ، وسمروا وانبسطوا بتلك الجلسة العائلية ، ولما رأت زينب حبور القوم وسعادتهم ، وقبل انقضاء السهرة العائلية وانفضاضها ، أحبت أن تزيد الفرح بينهم ..
فقالت فجأة وبدون تمهيد : يا أبا محمود .. ابنك حسن راغب بالزواج
التفت الجميع لزينب وقالت أنعام : حسن .. أين حسن ؟ وكانت تبحث عنه ، فلم يكن حسن موجودا ، وبينما أنعام تبحث وتتسأل عن حسن ، نهضت ابنة أنعام الصغرى الآنسة ريهان مغادرة ـ وهي تنظر لامرأة زوج أمها بنظرات فيها تهديد خفي باسم ـ فقالت زينب مخاطبة لها وهي تبش في وجهها : أين يا ريهان ؟ !
فقالت والخجل يملأ وجهها : سأقضي أمرا في البيت السلام عليكم
كانت أنعام تنقل نظرات عينيها بين زينب وريهان وأحست أن بينهما كلام فقالت لزينب بهمس : ما الأمر يا حبيبتي ؟
فقالت زينب هامسة : الآن ستعرفين الأمر
فلما عاد الهدوء للمجلس بعد انصراف ريهان ، قال عمري : يا زينب لم تكملي كلامك عن حسن.. هل حقا صارحك عن رغبته بالزواج ؟ .. هل بلغ ثمانية عشر ربيعا ؟
فقالت : هكذا سمعته يحدث خاله حسنا وهو يقول يا خال علمت أنك تزوجت صغيرا قبل أن تبلغ العشرين سنة هل صحيح ذلك ؟ فضحك

أخي حسن وقال أتريد الزواج يا حسن ؟ فقال حسن الصغير بدون تردد نعم يا خالي ! .. عسى أبي أن يزوجني فقال أخي حسن عاشق يا خال ؟ من هي سالبة لبك ؟!

فقال عمري : وهل أتى حسن اليوم ؟

فقالت أجل أتى ومعه زوجته وبعض الأولاد وانتظرناك على الغداء ؛ ولكنك اعتذرت لقيامك بزيارة مريض كما قلت في المستشفى .. كيف حال مريضك على ذكره ؟

ـ بخير إن شاء الله .. عامل سقط عليه قضيب حديد فشج رأسه ، ووضعه مؤلم ومحزن ولكن الطبيب أخبرنا فقال : إنه تماثل للعافية وزالت مرحلة الخطر .. ونسأل الله سبحانه أن يشفيه ويذهب البأس عنه والأمر بيده سبحانه .. آ .. أكملي من هي معشوقة الشاطر حسن ؟ !

فعادت زينب تقول : فلما أقر حسن بذلك أمامنا صراحة قلت له والله يا حسن كبرت وصرت تفكر بالبنات والزواج .. أخبرنا من هي فتاة أحلامك ؟! ـ ثم نظرت لإنعام نظرة ضاحكة التي قالت ضاحكة: ويحك !

زينب تضحك ثانية وهي تقول ريهان .. ريهان يا أبا محمود !! ؟

وأكدت زينب بابتسامة رقيقة : نعم الآنسة ريهان فأخذت الفتيات بالتعليق الهاديء على هذا الحدث اللطيف ، وقالت الطبيبة عائشة التي أنهت دراسة الطب وتستعد للتخصص : هذا آخر خبر أن تدور في الفيلا قصة حب ونحن نائمون

فقال محمد وهو صبي أصغر من حسن : لا تظلموا القوم .. حسن يحافظ على الفروض ، وكذلك ريهان ؛ ولكن بينهما انسجام وإعجاب

فقالت زينب بجد : لم أغفل عنه يا عمري ! فهو ابنك وتربيتك ، وحسن طيب ، وهو كما قال محمد أصابه ميل لريهان ، فقال لي : يا أمي زوجوني من ريهان أنا قلبي يميل إليها وهي لا ترفضني .. فقلت له يا ابني أنت ما زلت صغيرا على الزواج غدا لما تدخل الجامعة سوف تقابل بنات أخريات فقد يتغير هواك فاصبر ؛ ولكنه مصر على حب ريهان ، فقلت أكشف لكم الأمر قبل فوات الأوان وهو من أجل ذلك رفض أن يشاركنا العشاء ؛ لأنني قلت له سأخبر أباك ، فقال أخبريه وأرجو أن يوافق .. ومن أجل ذلك انسحبت ريهان الجميلة غاضبة مني ..

فقالت أنعام ضاحكة : والله يا حسن ! أليس هذا الولد الذي خطف صغيرا يا زينب ؟!

فقالت زينب : بلى .. وهو لليوم لا ينسى ذاك الحادث

فقال عمري لنفسه وهو يسمع ذلك : كيف لو يعرف ويدري أن جده هو الذي خطفه ؟! وأن

جده شارك في الخلاص من والد الفتاة التي يهواها .. يا لله من هذه الدنيا !

وقالت زينب : أين سرحت يا أبا محمود ؟

فقال : نعم الفتاة ريهان .. وهذا الأمر يعود لها ولإمها أولا ، وقبل أن نتوسع في ذلك ننتظر حتى ننتهي من موضوع سهام الغالية .. وقد نكتب كتابهما الشرعي إذا رغبا بذلك ، ونؤجل الزواج بعد انتهاء امتحان الدراسة الثانوية فقد بقي بضعة أشهر للامتحان النهائي أليس كذلك يا عائشة ؟

فردت عائشة : بلى .. والله يا حسن تريد أن تصبح عريسا وزوجا !

فقال عمري : والله يا ابنتي كان الناس قديما يزوجون أولادهم صغارا ، وكذلك بناتهم ؛ ولكن أحوال الناس في هذا الزمان وخصوصا أهل المدن تختلف عن ظروف وأحوال ذاك الزمان ، وكذا تختلف أحوال أهل البادية والقرى عن أهل المدن .. والتعلم والجامعات والمال والمهور كل ذلك يؤخر سن الزواج هذه الايام

فقال محمد وهو ينهض : سأذهب لأبشر حسنا وريهان ، فلابد أنهما يجلسان في المكتبة ينتظران النتيجة

فقالت زينب : لم نسمع رد أم سهام بعد ؟

فقالت أنعام باسمة : ويحك يا حبيبتي !.. لقد قلتم وفصلتم فهل يبقى لي كلام ؟ .. والكلام الأول والأخير للبنت ثم عمها عمري .. أما أنا فأقول إذا كان لها رغبة بالزواج ومؤهلة لذلك تتزوج .. فريهان لا تحسن صنع كوب من الشاي أو فنجان من القهوة

فقالت أحلام ضاحكة : ولماذا تصنع الشاي أو القهوة يا أمي والشغالة أم احمد موجودة ؟ ثم تتعلم .. فامرأة عمي ماهرة في الطهي فسوف تلقنها ذلك .. عقبال عندي يا أمي

فقالت عائشة بعدما ضحك القوم على تعليق أحلام : لا تخافي يا حبيبتي ، سوف يأتي العريس وفارس الأحلام .. فابن عمتي بدرية ينتظر إنهائك الجامعة ليطلب يدك من خاله العزيز ..

فقالت أنعام مقطبة : والله أنا هنا كالأطرش في الزفة كما يقولون يا أبا محمود فقال عمري ضاحكا : وأنا مثلك

فقالت عائشة شارحة خبرها : هو قال لنا ذلك يا أبي ! منذ زمن عندما ذهبنا مرة للريحانة ودعتنا عمتنا بدرية للغداء معهم ، وكانت أحلام معنا في تلك الزيارة ، فلما رآها ادعى أنه رأى أجمل امرأة في العالم

فتبادلت أنعام وزينب وعمري النظرات والابتسامات وتذكروا عباراته الخالدة في زينب أحلى امرأة في العالم ، ثم رسموا على وجوههم الضاحكة ابتسامة أخرى ، وقالت زينب : سنة

الحياة سبحان الله ! .. أدام الله علينا العافية والسعادة والنعم وبارك الله لنا في كل ذلك بفضله وجوده

فرددوا جميعهم آمين

وانصرفت الشابات إلى حجر النوم ، وظل عمري وزوجتاه يتأملون القمر المكتمل في نصف رجب وتمتم عمري قائلا : من عاش رجب شاهد العجب . يتبع في الجزء التالي .

عقاب قطاع السبيل

وَذكر مُحَمَّد بن عبد الْملك الْهَمدَانِي فِي تَارِيخه أَنه بلغ إِلَى عضد الدولة خبر قوم من الأكراد يقطعون الطَّرِيق ويقيمون فِي جبال شاقة فَلَا يقدر عَلَيْهِم فاستدعى أحد التُّجَّار وَدفع إِلَيْهِ بغلاً عَلَيْهِ صندوقان فيهمَا حلوى قد شيبت بالسم وَأكْثر طيبها وَترك فِي الظروف الفاخرة وَأَعْطَاهُ دَنَانِير وَأمره أَن يسير مَعَ الْقَافِلَة ويظْهر أَن هَذِه هَدِيَّة لإحدى نسَاء أُمَرَاء الْأَطْرَاف فَفعل التَّاجِر ذَلِك وَسَار أَمَام الْقَافِلَة فَنزل الْقَوْم وَأخذُوا الْأَمْتِعَة وَالْأَمْوَال وَانْفَرَدَ أحدهم بالبغل وَصعد بِهِ مَعَ جَمَاعَتهمْ إِلَى الْجَبَل وَبَقِي المسافرون عُرَاة فَلَمَّا فتح الصندوقين وجد الْحَلْوَى يضوع طيبها ويدهش منظرها ويعجب رِيحهَا وَعلم أَنه لَا يُمكنهُ الاستبداد بهَا فَدَعَا أَصْحَابه فَرَأَوْا مَا لم يروه أبدا قبل ذَلِك فأمعنوا فِي الْأكل عقيب مجاعَة فانقلبوا فهلكوا عَن آخِرهم فبادر التُّجَّار إِلَى أَخذ أَمْوَالهم وأمتعتهم وسلاحهم واستردوا الْمَأْخُوذ عَن آخِره فَلم أسمع بِأَعْجَب من هَذِه المكيدة محت أثر العاتين وحصدت شَوْكَة المفسدين .

الوشاح الأحمر

عَنْ عَائِشَةَ، أَنَّ وَلِيدَةً كَانَتْ سَوْدَاءَ لِحَيٍّ مِنَ العَرَبِ، فَأَعْتَقُوهَا، فَكَانَتْ مَعَهُمْ، قَالَتْ: فَخَرَجَتْ صَبِيَّةٌ لَهُمْ عَلَيْهَا وِشَاحٌ أَحْمَرُ مِنْ سُيُورٍ، قَالَتْ: فَوَضَعَتْهُ - أَوْ وَقَعَ مِنْهَا - فَمَرَّتْ بِهِ حُدَيَّاةٌ وَهُوَ مُلْقًى، فَحَسِبَتْهُ لَحْمًا فَخَطِفَتْهُ، قَالَتْ: فَالْتَمَسُوهُ، فَلَمْ يَجِدُوهُ، قَالَتْ: فَاتَّهَمُونِي بِهِ، قَالَتْ: فَطَفِقُوا يُفَتِّشُونَ حَتَّى فَتَّشُوا قُبُلَهَا، قَالَتْ: وَاللَّهِ إِنِّي لَقَائِمَةٌ مَعَهُمْ، إِذْ مَرَّتِ الحُدَيَّاةُ فَأَلْقَتْهُ، قَالَتْ: فَوَقَعَ بَيْنَهُمْ، قَالَتْ: فَقُلْتُ هَذَا الَّذِي اتَّهَمْتُمُونِي بِهِ، زَعَمْتُمْ وَأَنَا مِنْهُ بَرِيئَةٌ، وَهُوَ ذَا هُوَ، قَالَتْ: «فَجَاءَتْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَسْلَمَتْ»، قَالَتْ عَائِشَةُ: «فَكَانَ لَهَا خِبَاءٌ فِي المَسْجِدِ - أَوْ حِفْشٌ -» قَالَتْ: فَكَانَتْ تَأْتِينِي فَتَحَدَّثُ عِنْدِي، قَالَتْ: فَلاَ تَجْلِسُ عِنْدِي مَجْلِسًا، إِلَّا قَالَتْ:

وَيَوْمَ الوِشَاحِ مِنْ أَعَاجِيبِ رَبِّنَا ***

أَلاَ إِنَّهُ مِنْ بَلْدَةِ الكُفْرِ أَنْجَانِي

رواية ليلة عرس

الحلقة ٣ والأخيرة

حدث في ليلة الزفاف

هذا ما فعلته هند بعد أن انصرفت من عندها صديقتها فوز التي رمت حملها على هند ، أما ما حدث لفوز بعد لقائها الأخير بهند ، فقد دخلت عليها شادية في الصباح التالي ـ بعد انطلاق سامي سبل إلى مكان عمله ـ دخلت حجرة ابنتها فوز فوجدتها تقرأ القرآن ، فألقت عليها تحية الصباح ، ثم جلست على كرسي في غرفة فوز الخاصة ، فأغلقت فوز المصحف ، ورحبت بوالدتها ، وأخذت بالاستماع لحديث والدتها التي قالت : لقد اعتذر والدك للأستاذ عمار عن الزواج أمس ، وذلك بعد أن بين له رفضك الشديد ، وأن ابنه يتعاطى المخدرات القاتلة ، فأنكر الأستاذ عمار أولا ثم اعترف أنّ ولده أدمن عليها فترة ، ثم أقسم لأبيك أنّه تركها وما عاد يتعاطها ؛ ولكن أباك تمسك بالرفض والاعتذار ، وأنه عندما وافق مبدئيا كان يجهل ذلك الأمر وتعلمين أنّه فعل ذلك من أجل أن

ترضي عنا .. وأنت ماذا فعلت ؟.

وضعت فوز المصحف الذي بين يديها على مكتبها وردت على أمها فقالت: أمي!.. أما فكرت يوما بالتوبة يا أماه؟!..أما فكرت بترك حياة اللهو والمجون؟!

فصاحت الأم بغيظ: فات الأوان يا بنيتي! يكفي أننا تركناك تفعلين ما تشائين، ونحن نريد أن نثبت لك أننا مع حرية المرأة الكاملة ، ورخصنا لك باختيار زوجك هل دبرت أمرك ؟.. نريد أن نخلص من هذه المشكلة قبل مجيء سميرة وابن خالك فارس الدكتور مازن .

قالت فوز: أنتم الذين صنعتم من التزامي بديننا مشكلة ؛ كأنني دخلت في الإسلام من جديد نعم يا أمي! الحمد لله ، دبرت أمري ، وكلمت صديقتي هندا في الموضوع .. فلها أخ متدين جدا وهو متعلم .. مهندس قد تخرج حديثا منذ أشهر يسيرة .. ووعدتني هند بأنها سترتب الأمر معه ، وأرجو من الله أن يوافق ، فهو شاب شجاع وجريء ، ويقربني من هند أكثر.. آه يا أمي! كم أحببت هذه الفتاة !

تنهدت الأم وقالت: آه! .. وكم أكرها وأبغضها وأحقد عليها! لأنها سبب فسادك وتمردك علينا

فابتسمت فوز وقالت: ألانها أنقذتني من النار؟!

أتحبين أن أكون وقودا لنار جهنم يا أمي ؟!

قالت شادية وهي تصر على أسنانها : أيٌّ تفكير تفكرين ؟! كيف تفكرين يا فوز؟!

قالت فوز : هناك حساب بعد الموت ، ولمَ تهربين من الحقيقة ؟!

هزت الأم كتفيها ثم رسمت ابتسامة على وجهها ؛ وكأنها فطنت لشيء خفي من اختيار فوز لشقيق هند : فوز ! ألم ترتبي الأمر مع هذا المهندس من قبل ؟! .. ألا يوجد بينك وبين هذا الشاب علاقة عاطفية ؟! حكاية ما ، وهي التي غيرتك وبدلتك وقلبت كيانك .

قطعت فوز استرسال أمها بالكلام والشك والاتهام قائلة : لا ، يا أمي ! .. لم أتب من أجل أن أصل لقلبه .. بل والذي خلقني وخلقك ما رأيته إلا مرتين ، وما تكلمت معه أبدا ولو كلمة واحدة .. وأجلوا أمر الزواج ، وأنا سأعتذر لهند وله ؛ لأثبت لك أنني لا أهتم بالزواج الآن ، بل أنا أنتظر رده

فقالت الأم بسرعة وبكشرة : لا تفعلي ذلك .. فأبوك يريد أن ينتهي من الموضوع بسرعة ، فهو متضايق منك جدا .. المهم رضاك علينا ، والزواج أبوك مصمم عليه ؛ لأنه يئس من عودتك لحياة المرح والفرح والرحلات .. فأي إنسان ترينه مناسبا لك ..فنحن موافقون عليه .. نحن يا فوز! لسنا قساة القلوب ، ولكن نمط الحياة التي تعودنا عليها منذ أربعين سنة ، لا يمكن تغييرها من أجل صدمة أثرت عليك ، فكم من الصديقات مرضن بالسرطان وغيره ، أو متن بحادث سير مرعب ، فلم يؤثر فينا ذلك إلا بضعة أيام ، وعدنا للحياة ، فوالدي العزيز مات بسرطان الكبد من كثرة ما شرب من الكحول ، ثم نسيناه ، فالفرح والمتعة أفضل من الحزن واليأس من الحياة .

همست فوز قائلة : الدين لا يمنع الفرح والمتعة ، ولا يقيد الحرية كما يشاع ..ألا تؤمنون بالآخرة ؟! الدنيا تحتاج والحياة الثانية تحتاج .. ربنا طلب منا ألا ننس نصيبنا وحظنا من الدنيا هناك زواج ، فلماذا الزنا ؟! وهناك الشراب المباح ، فلم الخمر ؟! هناك الطيبات ، فلم الخبائث؟! .. فالمؤمن ليس أنانيا ، فهو كما يحب الخير لنفسه ، عليه أن يحبه للآخرين ، فأنا أحب لكم الخير والفوز برضا الله .. ألستم أبواي ؟!

ردت الأم بغير مبالاة كطبيعتها التي تأقلمت وتكيفت عليها : لا تشغلي قلبك علينا ، نحن اخترنا طريقنا وحياتنا، ونحن لن نتخلى عنك ، فستبقين ابنتنا الغالية، فاحيي حياتك كما تشائين وترغبين ، ونحن نعيش حياتنا كما نشاء ونشتهي.. متى سترد عليك الآنسة هند هذه ؟

قالت فوز : اخبري أبي أن الأمر سينتهي قريبا .. أنا متألم ومتضايق للغاية من تصرفكم ، وأكره حياتكم الماجنة وضلالكم .

أجابت شادية بجفاء : لو تركت هذه الخزعبلات التي تمارسينها ، لما جرى ما جرى ، ولا يهمنا كرهك لحياتنا وفسقنا كما تقولين، كلٌ يحيا الحياة التي يرتاح إليها، وعلى الصورة التي تعجبه ويحبها .

وتركت الأم غرفة ابنتها ، واتصلت بزوجها واختصرت له ما فعلته فوز، وعند الغروب تلقت فوز مكالمة هاتفية من صديقتها "هند مروان" تزف لها الموافقة والبشرى ، واستعداد مهدي للزواج رغم الظروف الصعبة المحيطة به ، واتفقتا على يوم يتعارفون فيه ، ويتحدثون مع والدها في الموضوع ، ليتم ترتيب يوم عقد الزواج والزفاف .

ولقد قام مهدي وأخوه معتصم وزوجته أم محمود وأخوهم الكبير محمد وزوجته وهند بزيارة ليلية إلى بيت السيد سامي ، وجرى التعارف بين سامي وصهره مهدي ، ورحب بهم الرجل ترحيبا كبيرا ، وأبدى الدكتور سامي ترحيبه الكبير بمهدي وأخويه ، وبارك له هذا الزواج ، واعتبر اختيار فوز لهذا الشاب اختيارا موفقا ، فهو في قرارة نفسه كان يخشى أن تأتيه بشاب غير متعلم في جامعة فقير معدم طامع بثروته ؛ ولكنه لما تعرف عليهم سر لاختيار هند وفوز ، وخلال أيام قليلة التقوا أمام إحدى المحاكم الشرعية ، وعلى يد قاضي المحكمة تم عقد القران حسب الأصول والأنظمة المرعية ، وتقرر أن يقوم أهل فوز بحفل عائلي متواضع جداً ، حفلة وداع لفوز مساء يوم اتفقوا عليه ، ثم يأتي المهدي ومعه عدد يسير من السيارات ، ويأخذون العروس من غير صفير وتصفيق ، ومن غير ضجة وضجيج ، وبدون أبواق ونفير بناء على رغبة العروسين .

ولما علم أقارب سامي بهذا الزواج الغريب والعاجل دهشوا ، وتقولوا حوله الأقاويل ، واعتبروه زواجا سريا وشاذا ، فهم كانوا يرون الدكتور سامي يحتفل بعيد ميلاد فوز سنويا في فندق ذي خمسة نجوم أو نادي خاص ، وجن جنونه عندما رفضت فوز الاحتفال بعيد ميلادها العام الماضي ، واعتبرت فوز هذا الاحتفال تقليدا للغرب ومحاكاة للنصارى ، ولم يفعله المسلمون الأوائل .

ولقد جهز المهندس مهدي مروان بيته المستأجر بالأثاث المناسب ؛ وذلك بمساعدة والده وإخوته للظروف التي تلم به، وقد أحس بها القراء في مطلع القصة، وفي مساء يوم الخميس ، بعد صلاة العشاء ، خرجت ثلاث سيارات صغيرة من بيت مروان والد مهدي ، تحمل أفرادا من أسرة مروان لإحضار العروس من بيت والدها لبيت الحاج مروان ؛ ليتم الاحتفال بالزواج ثم ترسل العروس بعد الاحتفال لمنزل مهدي المستأجر ، وقد خطط

ليكون حفلا بهيجا من أجل خاطر فوز ، وستقوم صديقات هند وأهلها بالواجب .

ولما ابتعدت السيارات عن منزل الحاج مروان ، غيرت إحدى السيارات طريقها نحو مسكن مهدي المختفي فيه عن عيون رجال الأمن السري ، فوجد سائق السيارة التي غيرت خط سيرها باتجاه منزل مهدي مهديا في انتظاره ، فحيا مهدي ابن عمه مالك عبد العزيز الذي طمأنه أنّ الأمور تسير على خير ما يرام ، فشكره مهدي ، ولحقوا بالسيارتين الأخريين قبل وصولهما لقصر الدكتور سامي ، وهناك أمام القصر الكبير وقفت السيارات ، فهبط معتصم وزوجته ، وأخوه هلال وزوجته سماء من السيارة الأولى ، ونزلت من السيارة الثانية هند وأحد إخوتها وبعض أخواتها ، ونزل من السيارة الثالثة مهدي وابن عمه مالك ، ودخلوا القصر ، وكان في استقبالهم الدكتور سامي المالي الكبير ، وكان معه في الاستقبال شقيقه سمير، وتقدمهم الدكتور إلى قاعة واسعة في القصر حيث يجلس ضيوفه من الأقارب والأصدقاء المقربين ، وصعدت هند والنساء اللواتي برفقتها إلى الطابق الثاني حيث تحتفل شادية ولفيف من النساء بوداع العروس .

وقد قام سامي أمام لفيف الأقرباء بتعريف سريع للمهندس مهدي مروان ، وبارك له الأقارب والمدعوون بهذا الزوج ، وتمنوا لهم التوفيق والسعادة ، وبعد أن شربوا قهوة العرس ، كانت النساء قد هبطت من الطابق العلوي وهن يمشين خلف العروس الجميلة التي كانت تمسك بيد هند ، ولما صرن في القاعة الكبيرة وقفن برهة من الزمن يودعن فوزا ، ويدعون لها بالبركة والتوفيق ، ويباركن لأمها بهذه المناسبة التي ما رؤيت باسمة خلال ذلك الحفل .

ووقف مهدي وإخوانه يشكرون الدكتور سامي وأقاربه، ويتهيئون للخروج، عندما تقدم رجل أشيب فجأة مندفعا نحو مهدي ، ووضع يده على كتف مهدي أمام دهشة الجميع ، وهو يقول بتوتر ووجه عابس : أنت كما قيل منذ دقائق تدعى مهدي مروان .. طالب في كلية الهندسة وكان تخرجك قبل شهور .. أليس كذلك ؟

التفت إليه الجميع واجمين ، وقد خيم السكون على المكان ، وقال مهدي بهدوء : نعم يا سيدي أنا هو المذكور ؟!

فقال الرجل الأشيب بصوت عال نوع ما ، ومسموع لكل من في القاعة ذكورا كانوا أو إناثا : أنا العميد زكريا داود من مرتب الأمن السري .. ألقي القبض عليك باسم الحاكم الكبير للقطر لإثارتك الشغب وإهانة السلطات والحكومة .

ثم صاح بصوت مزعج وبانفعال شديد : أيها الناس ! هذا رجل مطارد ، ولنا مدة نبحث عنه ارتبك الحاضرون للمفاجأة ، وظهر الذعر والقلق على هذا الحفل المتواضع فقال مهدي بهدوء أعصاب : أتريد القبض عليّ .. أنا بين يديك ؟!

طلب العميد زكريا من ابنه أن يتصل برقم ما على الفور ، ويطلب سيارة أمن لاعتقال الشاب وكان سامي في غاية التوتر والقلق والحنق لهذه المفاجأة ، وكان ينظر لفوز بحنق وغضب يكاد أن ينفجر في الجميع

وفجأة تركت فوز يد هند وقالت العروس أمام ارتباك الحاضرين: أيها السادة ! هذا زوجي أولا ، وأنا أعرف أنه مطارد من رجال الأمن والشرطة .. أتعرفون لماذا هو مطارد؟.. لأنه يطالب هو وثلة من أصدقائه حاكمنا العتيد بتطبيق شريعة الله على العباد .. هو ليس لصا أو مرابيا أو

سكيرا أو متعاطيا للهيروين ..إنه شريف يقول الله ربي .

فقالت هند متأثرة بدفاع فوز ومعجبة بها وبشجاعتها : أحسنت يا فوز! وبوركت من الرب عزّ وجل ، وجزاك الله خيرا .

وهنا قال مهدي بصوت مرتفع : يا فوز ! اذهبي مع أهلي ، فأنت زوجتي ، وأنـتم يا معتصم! أتموا الفرح وحفل الزواج كأنني بينكم ، ولن تطول غيبتي ـ إن شاء الله ـ في مظالم وظلام هؤلاء الأتباع ..هيا خذوا فوزا وانصرفوا .

لم يتكلم والد فوز بل لزم الصمت ، وخرجت فوز والأخوة أمام صمت وذهول الجميع ، وركبت فوز مع هند ، وفي ذلك الحين وصلت سيارات الأمن ، وقبل أن يبتعد أهل العريس بعروسهم ، كان ضابط الأمن الذي اقتحم شقة معتصم منذ أسابيع يترجل من سيارته ، ويستلم مهديا من العميد زكريا وهو في غاية الدهشة مما جرى ، وتمنى النقيب ساري كما همس في أذن مهدي "أن لا يكون قد قبض عليه في يوم كهذا" .



وأدرك الضابط أن الصحافة أو صحافة المعارضة ستعمل من الحدث دراما ، يتحدث عنها الناس أياما وليالي ، وسيكتبون مانشتات صحفية مثيرة .

والد مهدي

كان والد مهدي الحاج مروان قد أمر بتجهيز غرفة مهدي في بيته الكبير لتسكن فيها العروس حتى يخرج مهدي من معتقله ، ومع ما كانت فيه العائلة الكبيرة من ضيق وهم من اعتقاله وتوقيفه ، فقد كانوا مسرورين من عروسه ومن شجاعتها وثباتها ؛ فإنها لم تحاول البقاء في بيت والدها ريثما

يخرج الزوج المعتقل .. أما هم فقد اعتادوا على المضايقات التي تحصل لهم بسبب نشاط مهدي وحماسه نحو الدعوة إلى عودة الحياة الإسلامية في المجتمعات المسلمة ، وبروز أحكام الشريعة الغراء في حياة الناس، والابتعاد عن مظاهر محاكاة وتقليد الكفار والغرب.

استقبلت فوز وفدا من طالبات كليتها أتين لتهنئتها بمناسبة زواجها من مهدي ، وكان من ضمن الوافدات أسماء قريبة هند كما يعرف القارئ المحترم ، فاستقبلتهن فوز في صالون البيت بيت والد مهدي .. وبعد الترحيب وتبادل التهاني المعتادة أخذن في الثرثرة حول ظروف هذا الزواج العاجل والذي جرى ليلة زفاف العروسين من القبض على العريس واعتقاله ، حتى أن إحدى الفتيات همست في أذن فوز قائلة : "إنهم يشيعون في الكلية والجامعة أن أهلك شاركوا في مؤامرة القبض على مهدي .. وبعضهم يتهمك بالتواطؤ في عملية الاعتقال!"

ضحكت فوز لهذه الإشاعة السخيفة وقالت معلقة وبصوت مسموع للفتيات الزميلات كلهن: وكان زواجي من مهدي مروان من ضمن اللعبة أو المؤامرة .. عقول سخيفة !.. الأمر حدث صدفة إذا جاز استخدام هذا التعبير .. قدر الله وما شاء فعل ..أصلا يا عزيزاتي أهلي لا يعلمون عن مهدي إلا أنه شاب متدين ، وأخ لهند ومتخرج حديثا من الجامعة ..لا يعلمون أنه من شباب الحزب الإسلامي .. على كل أنا سأعود للدوام والحضور مطلع الأسبوع القادم، وأسمع كل هذه الشائعات بنفسي .

فقالت أسماء : والله ألف مبارك يا عروس .. قصة زواج مثيرة .. لم تخبرينا بشيء قبل الزواج .

أجابت فوز باسمة ومعتذرة في نفس الوقت : حدث الأمر بسرعة وعجلة .. وعتبك أنت ليس عليّ إنما عتبك على هند ابن عمتك .. بل الأولى أن يكون على أختك سماء .. زوجة هلال

ضحكت أسماء وقالت: لقد سمعت بذلك في البيت ؛ ولكني لزمت الصمت لظرف مهدي ؛ ولانشغالك بالتجهيز ؛ ولكثرة غيابك خلال الأسبوع الفائت .. أين هند؟ .. كل هؤلاء الحسناوات أتين للتهنئة أولا ثم لرؤية الأخت هند والتعرف عليها.

قالت فوز: أهلا وسهلا .. أخبرتها بأمر هذه الزيارة ، وهي مع عمتي مشغولة بالمطبخ وستأتي بإذن الله .. يا مرحبا بصديقات الكلية .

قالت أسماء وهي تنهض قائمة : اسمحن لي أيتهن الزميلات بالدخول للسلام على عمتي .

وانصرفت للسلام على عمتها أم محمد والدة مهدي .

ولما عاد الهدوء للغرفة قالت إحدى الفتيات : إن شاء الله ، يا فوز ! أن تكون حياة سعيدة ، متى الغداء لقد شبعنا من هذه الفواكه .. لقد أنبأتنا أسماء بأنك هيأت لنا غداء خاصا .

كانت فوز قد أعدت الفاكهة والعصير والقهوة المرة ووضعتها في الصالون قبل مجيء صويحباتها حتى لا تنشغل عن صاحباتها بالذهاب والإياب لإحضار الضيافة والشراب .. كررت فوز الترحيب بهن ثانية وهي باسمة المحيا وقالت : سنتغدى إن شاء الله .. اصبرن رويدا !

ردت الفتاة التي استعجلت الغداء : إنني يا فوز مستعجلة في الانصراف لشأن .. فهذا ما دفعني للحديث عن الأكل.. وأنا لم أحب التخلف عن هذا اللقاء الجميل.

فقالت فوز : الشكر لكنّ جميعا .. اصبري قليلا .. ألا تحبين أن تري هندا ؟

وأخذت فوز تحدثهن عن قصة زواجها العاجل وملابسات هذا الزواج ، وبينما هن يصغين لحديث فوز دخلت عليهن هند تحمل عددا من الأطباق الفارغة فقمن يرحبن بها ، ووضعت هند أطباق الطعام على مائدة كبيرة ، واستدارت ترحب وتسلم عليهن بعد أن أخبرتهن فوز قائلة وقد بدت مسرورة من وجود هند: هذه هي العزيزة هند .. حبيبتي هند !

فتعرفت عليهن هند ، وأظهرت شكرها وامتنانها لهن على مجيئهن ، ودعتهن لأكل المزيد من الفاكهة ، وبينت لهن محاسن تقديم أكل الفاكهة على الطعام ، واختصرت لهن آداب الطعام والضيافة في الإسلام والسنة ، وذكرت لهن طعام أهل الجنة ولباس أهل الجنة ونعيم الجنة باختصار مبين .. فهند فتاة تجعل من كل مجلس لها مع الناس مجلس دعوة وعلم وتذكير .. وفوز مسرورة منها ، وتعرف هذا الأسلوب منها ، فكانت تبتسم رغم المحنة التي تحيط بها .. وتحدثت هند في ذلك الموضوع مدة عشر دقائق ، كان فيها من التشويق والترغيب مما أسال اللعاب إلى تلك الجنة التي فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ..

وأقبلت أم محمد تحمل بعض الطعام وخلفها أسماء تحمل المزيد منه ، وخلال دقائق كانت الأفواه تشتغل بأكل الطيبات ، وقد تعرفن على حماة فوز السيدة أم محمد خلال تناول الطعام التي سرها اللقاء بهنّ وتمنت لهن السعادة في الدارين .

ولما انتهين من الطعام وفرغن منه ، قالت لهن هند ضاحكة : الآن اسمعن أيتهن العزيزات الغاليات هذه الحكمة ..

فالتفتن إليها مصغيات ، فقالت وما زالت باسمة الوجه: يروى أن أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب ـ

رضي الله عنه ـ قال لابنه الحسن ـ رضي الله عنه ـ يوما: " لا تجلس على الطعام إلا وأنت جائع ، وقم عنه ونفسك تشتهيه ، وجود المضغ ، وإذا نمت فاعرض نفسك على الخلاء (الحمام) .. ، فإذا استعملت هذا ، استغنيت عن الطب " .. هذا نصيحة بهذه المناسبة ، وأنا لم أقلها حتى فرغتن من الطعام ، حتى لا تقلن إن هندا روت لنا هذه النصيحة حتى لا نأكل كثيرا ونشبع بسرعة .. وتتهمنني بالدعوة للبخل .

فسرى بينهن الضحك والبسمات وقالت إحداهن : والله مشكورة يا هند .. أنت فتاة دمثة .. أنا اعبر لك عن امتناني لكم وإعجابي بك وبفوز .

وأخذ الحديث هذا المجرى حتى فرغن من نقل الصحون والأوعية للمطبخ ، وعادت هند بهن للإسلام والتمسك به والعمل بتعاليمه الثمينة .

ورجعت فوز للدوام في الجامعة ، وقد مرت أيام وأيام على اعتقال مهدي ، وهو قابع في سجن الأمن السري ، حتى ينتهوا من التحقيق معه ، وقد منعوا عنه زيارة الأهل والمحامين ، وذات مساء كانت هند وفوز جالستين تتحدثان في الأمر.

فقالت هند : أتذكرين أول مرة التقينا فيها يا فوز !..كنت تجلسين على حافة سيارتك ، تتكلمين مع ابنة خالي أسماء ، وقد التقينا في ذاك اليوم بتقدير من الله يا عزيزتي ! هل كنت تظنين أنك ستصبحين من أسرتنا وزوجة لأخي مهدي؟! إنّ قدر الله فيه العجب العجاب .

فهمست فوز وكانت ساهمة النظر والفكر

تفكر في ذاك اليوم الذي التقت به بهند لأول مرة ، وتفكر بزوجها القابع في سجن الأمن الخاص : مسكين مهدي ! .. نحن نجلس على الفراش الوثير ، وهو الآن مطروح في زنازين النظام الحاكم ..

وتابعت تقول كأنها مواسية لنفسها : ولكن على المرء أن لا يكره شيئا " رب ضارة نافعة " كما يقول المثل ..

ثم عادت لما سمعت من هند فقالت : يا هند! إنّ اللحظات التي تذكرينني بها لا أنساها أبدا ؛ ذاك يوم أصبح خالدا في مسيرة عمري ، لقد كنت في ضياع وحيرة .. الإنسان لا يحيا من غير غذاء الروح .. فأنا أرى أنّ أكثر الناس الضالين يلجئون للخمور والمسكرات للفراغ الروحي الذي يعانون منه ، ولضعفهم أمام معالجة مشاكلهم في الحياة .. أختي العزيزة هند! لقد اتصلت بي أمي أمس ، وباركت لي زواجي بعد كل هذه المدة من الحرد ، وأخبرتني أنّ أختي الكبيرة سميرة قد تصل الليلة من باريس ، فهي قد وصلت إليها بصحبة ابن خالي قادمين من أمريكا .

قالت هند : بالسلامة إن شاء الله تعالى .. كيف حال والدتك يا فوز ؟!

ابتسمت فوز وقالت: تقول إنها بخير ، ولا أدري ما هو الخير الذي ينشدونه من حياتهم! .. هداهم الله ، وأخبرتني أيضا أنّ والدي طلب من أحد محاميّ المصرف الاهتمام بقضية مهدي ، وأن يتعاون مع المحامي الذي كلفه والدي العزيز الحاج مروان الأستاذ القانوني إسماعيل أبو حسن

ردت هند : شكرا لوالدك العزيز .. لقد تعودنا ـ يا فوز ـ على حبس مهدي بين الحين والحين الآخر ، وأنت سوف تتعودين على هذه الآلام ؛ ولكنهم هذه المرة كما علمت من أبي قد يحاكمونه ولا يكتفون بتوقيفه بعض الوقت ، لقد أساءوا للحاكم مباشرة في ميدان الاحتفال الكبير ، ورفعوا يافطات تطالب بتحكيم القوانين الإسلامية ؛ وذلك دون إذن إدارة الجامعة ، ووزعوا بيانا على المشاركين في الاحتفال يندد بالظلم ، وترك شريعة الله ، كان يوما مثيرا ، فبعض الشباب اتهموا الحاكم بموالاة الكفار، والتعاون معهم على سحق دعاة الإسلام ، ومهدي من زعماء الطلبة في ذلك اليوم الغريب ؛ ولكن لهم الله ، ولن يصيب المرء إلا ما كتبه له الله.

فأخذت فوز بالدعاء لمهدي بالصبر والثبات ، ثم قالت بعدئذ : أنت عزيزة على قلبي يا هند ! وأنا أحببتك في الله.. وأرجو أن تكوني معي صريحة .. هل يتضايق والداك من خروجي للتسليم على أختي ، ونحن نمر في هذه الظروف القاسية .. أرجوك أن تتكلمي بصراحة ومن دون حرج

تطلعت هند في عيني فوز برهة من الوقت ، وابتسمت لها ابتسامة واسعة ، وهتفت قائلة : أنت مؤدبة جدا يا فوز ! وألفاظك مختارة بدقة ، فعندما تذكرين أبي تصفينه بوالدك العزيز ، فهذا لطف وأدب كبير منك ، وعندما تذكرين زوجك الذي لم تختل به أكثر من بضع دقائق منذ أن تعارفتم تغرقين بالدعاء والابتهال له ؛ كأنك عاشرتيه منذ عشرات السنين ، حقيقة أنّ والديك أحسنا تربيتك على اللطف والمجاملة ، فقط الدين قصروا أن يغذوك به .

قالت فوز : شكرا هند .. الدين وحده هو الذي أدبني يا هند! وهو الذي حسن أخلاقي .. أيُّ تربية في لبس الملابس العارية؟! .. والاختلاط مع المراهقين ومشاركتهم في المسبح ، فأيّ تربية يا عزيزتي ؟! أنا تعلمت منك وحدك يا هند ! أنت قدوة حسنة للفتيات وتتكلمين بأدب وحساسية ورقة ...

قطعت هند استرسال فوز قائلة : بارك الله فيك دعيك مني ، فأنا أحبك في الله يا فوز!

وتعرفين ذلك منذ تصاحبنا ، وأما بالنسبة لاستفسارك عن ضيق الوالدين من خروجك للسلام على أختك ، فاعلمي يا أختي العزيزة ! أنك لم تعرفينا جيدا بعد ، نحن لا نتعامل بحساسية زائدة في حياتنا الاجتماعية وعلاقتنا مع الآخرين .. نحن علمنا الوالد منذ الصغر أن نـقدم حكم الله وحكم الرسول ﷺ علي أي تقليد وعادة وعرف ؛ فلذلك قد تكون بعض تصرفاتنا قد بدت لك غريبة ؛ ولكنها موافقة لدين الإسلام .. فالإسلام لا يمنع الابن أو الابنة من طاعة ورعاية والديهما الكافرين فكيف بالعاصيين ؟!..اذهبي إليهما وزوريهما في كل وقت ترينه مناسبا ، وهذا كلام أبي وأمي .. وليس بالضرورة أن تشرفنا أسرتك بالزيارة لنسمح لك بزيارتهما ، لكل ظروفه وأحواله الخاصة .. هل لأن والديك لم يحضرا لتهنئتك بالزواج يغضبنا هذا ؟ .. صدقي يا أختي العزيزة ! أننا لا نعتب على والديك ولا نعتبر ذلك تقصيرا ، ولا نكرههما ، ولا نحقد عليهما .. فظروف هذا الزواج كما تعلمين كانت غريبة ، والتطورات التي جرت غريبة أيضا ، فالأمر غير عادي .. هيا بنا إلى حجرة الوالدين لتسمعي منهما ، واعلمي أنّ القبض على مهدي في منزل أبيك ، ومن قريب والدك العميد زكريا ليس ذنبك ، ولا ذنب أبيك ونحن متأكدون أن الأمر صدفة وقدر ، والأدق أنه تقدير الله سبحانه ، ولا نشك ولو يسيرا أن لك دورا في ذلك الأمر ، ولا لأبيك يا فوز ! وتأكدي أن مهديا يرى ذلك مثلنا يا فوز! وكان لابدّ من مسكه في يوم ما ، فهو مطارد كما تعلمين منذ آخر الفصل الماضي ، ونحن حمدنا الله كثيرا أن مشكلته مع الجامعة والنظام جرت بعد انتهائه من مواد الفصل ، وكان ذلك آخر فصل له في الجامعة .. ومهدي مسرور بك جدا مع أنه لم يجالسك إلا بضع دقائق ؛ ولكنه شكرني كثيرا على اختياري لك ، مع أنّ الظروف هي التي جمعت بينكما ، وقبل كل ذلك تدبير وقدرة الله تعالى

قالت فوز وهي تنهض قائمة ، وقد مسحت دموعا تساقطت على وجهها تأثرا بكلمات صديقتها هند : كم أسر وأنا أسمع كلامك العظيم ! وأتمنى لك السعادة يا أختي ! ويسر لك المولى زوجا صالحا تقر به عيناك

ردت هند بحياء المرأة المسلمة : أشكرك .. هيا بنا لوالديّ ليطمئن قلبك، وتتأكدي أنهم مسرورون بك أيتها العزيزة ! ويحبونك محبة الآباء لذراريهم، ويقدرون شجاعتك وموقفك الكبير ليلة العرس !

رحب الوالدان بالفتاتين، وأبدى الشيخ الكبير أبو محمد وزوجته أشد الترحيب بفوز ، وقال الأب والبشر والفرح مرتسمان على وجهه ، ويلمعان في

عينيه : أنت عزيزة وغالية علينا كلنا يا ابنتي! .. نحن قوم لا نحب التشاؤم ، فالذي حدث قدر من الله ، ونحن نؤمن بقدر الله ، فلا تنظري إلى نفسك وقدومك علينا نظرة شؤم ، حاشا لله يا بنيتي ! أن نتطير من دخولك علينا ، يكفي أنك خرجت معنا ، ولم تبق في بيت والدك ، وربما يحق لك ذلك ، فهذا موقف كبير عندنا فعزيزتنا هند حدثتنا عنك ، وعن أحوالك عندما عرضت علينا موضوع الزواج .. وهذا من فضل الله الكبير عليك أن انتشلك من ضلال الدنيا المفتوحة لك من أوسع أبوابها وحماك من فتنتها .. فنحن أهلك وعزوتك ، وكنت أود أن أقدم لك شيئا تسر به نفسك ونفوسنا ؛ ولكني كما علمت من هند تملكين الكثير منه ، وأعلمي يا بنيتي الغالية! .. أنّ مالي كله تحت تصرفك.. أتبكين يا ابنتي ؟!

سالت دموع فوز من جديد عندما لامست كلمات الحاج مروان قلبها ، ولمست الحنان الذي يكنه مروان لشخصها ، والسعادة التي يظهرها لها ، وأخذت الأم وهند تمسحان دموعها المتساقطة ، وأخذ الحاج بالثناء عليها ، وعلى شجاعتها ، ويدعو لها بالثبات على التوبة في هذا الزمان الصعب ، وأثناء سماع فوز لكلام والد زوجها قامت بتقبيل يده أكثر من مرة ، وهو يرجوها ألا تفعل ، وكذلك أبدت أم محمد حنانها ومشاعرها الصادقة وسعادتها لكنتها الجديدة

ثم قال الأب منفعلا بالمشاعر التي ظهرت في هذه الجلسة الدافئة : سأهديك شقة يا بنيتي! في عمارتنا الواقعة في شارع البحر الأزرق ، عندما تزورون بيت أبي محمود سوف ترين العمارة التي تفضل الله علينا بإنشائها ، وعندما يخلي أي مستأجر شقته ستكون تحت تصرفك ، وسأكتبها باسمك لتبقى ذكرى من عمك أبى محمد .

ازدادت فوز شكرا لعمها وقالت بحرارة وحياء : ما أكرمك يا عماه ! .. بوركت يا عماه! .. أنا لا أريد شققا ولا عمارات .. أنا لا يهمني إلا الإفراج عن زوجي وإسعاده

ورؤيته بقربي .

فقالت الأم : بارك الله فيك يا ابنتي العزيزة ! وإن شاء الله ستفرحان وتسعدان بحياتكم ، ويهبكم الباري سبحانه البنين والبنات .

وابتهل الجميع بالدعاء لها ولزوجها ، وترضىّ عليهما الوالدان ، ولما انتهى الوالدان من حمد الله وشكره ، قالت هند : أبي الحبيب ! إنّ فوزا الرائعة ترغب بزيارة أهلها .

فقال الأب بعجلة ودهشة : وهل هناك ما يمنع من ذلك ؟!

قالت هند : هي ترى أنّ الظروف المحيطة بنا ، وأنها زوجة بلا زوج ، ترى في ذلك حرجا لنا .

قال مروان: أبدا يا ابنتي ! لا عليك ، ولا يوجد أيّ حرج .. فهؤلاء أهلك أمك وأبوك ، ففي أي وقت اذهبي لزيارتها يا ابنتي !

قالت فوز : الصدق يا عماه ! أنا لست مشتاقة لهم ؛ ولكنّ لي أختا قادمة من أمريكا الشمالية ، قد تصل الليلة ، فأود التسليم عليها ، فهذا سبب الزيارة ، فلي زمن لم أرها .

ردت الحاجة أم محمد : لا حرج يا بنيتي ! زوري أختك وأمك وأهلك ، فنحن ليس بيننا وبين أهلك أيّ شحناء وبغضاء ، وليس لهم يد في القبض على مهدي، وكان لابدّ أن يمسكوه في يوم من الأيام .



قالت فوز : أشكركم جدا ؛ كأنكم تنطقون عن قلب واحد ، لقد خشيت أن أسبب لكم حرجا أولا للظروف التي أحاطت بزواجنا ، وثانيا لم جرى لمهدي في بيت والدي ، على يد قريبه ، وثالثا لغياب عزيزنا مهدي لنأخذ منه الأذن الشرعي بالخروج أليس كذلك يا هند ؟!

تبسمت هند ، وقال الأب : بارك الله فيك يا ابنتي ! ..الحق أنك ذكية ولطيفة وطيبة ، وأتمنى لك من كل قلبي السعادة الأبدية في الدنيا في حياتك معنا .

واستأذنت الفتاتان من الوالدين، وعلقت فوز وهما تمشيان نحو حجرة فوز : أهلك طيبون جدا يا صديقتي !

ردت هند شاكرة: هذا من لطفك يا عزيزتي ! .. وسلمي لي على والدتك وأختك واطلبي منهم أن يسامحونا على الإزعاج الذي سببناه لهم .

تبسمت فوز ولم تعلق بشيء .

شرق ... ... غرب

انطلقت فوز في ضحى النهار التالي بسيارتها إلى قصر والدها ، لتحيي وتسلم على أختها القادمة من بلاد الغرب ، فأختها سميرة بعد نجاحها في الثانوية ، أرسلها سامي لدراسة الطب في إحدى جامعات الولايات المتحدة الأمريكية ، ولما التقت الأختان تعانقتا عناقا حارا وبعد الكلام التقليدي المعتاد في مثل هذا المقام ، قالت سميرة متبسمة الوجه في وجه أختها : أوه .. يا فوز! عندما كانت تحدثني أمك عن جلبابك وصلاتك ، كنت أقول لها " أظن يا أمي ! أنها نزوة عابرة أو سحابة صيف زائلة "، لقد كنت مشتاقا لسفرك إلينا ،

لقد تغيرت كثيرا .. أنت تغيرت فعلا يا فوز المشاكسة ! ..

ثم قالت مقطبة الجبين: والزواج الغريب والعجيب الذي حدثتني عنه أمك ..لا أدري كيف ترضين بهذا الزواج أو بهذه الحياة ؟!..ما الذي جرى لك أيتها البنت؟!

فنهضت فوز قائمة تتمشى أمام أختها وهي تقول باسمة : ألست جميلة بهذا الثوب الذي يغطي جسدي؟!.. جسدي كله ، ويخفي محاسني عن عيون الناظرين المراهقين ..لا تبحلقي فيّ الحسن والجمال لم يخلق في المرأة ؛ ليكون عرضة لكل الناس .. هو هبة ربانية ، ومن حق الزوج وحده النظر إليه يا أختي! ما أجمل ديننا يا دكتورة !

ثم عادت للجلوس والتحديق في وجه أختها وأمها .

فقالت الدكتورة متجهمة: أمرك مدهش.. فوز عاشقة الملابس الحريرية الثمينة ، والأغاني الغربية تتخلى عن كل ذلك ؟!

أجابتها فوز بسرور وثقة : الحمد لله رب العالمين ، لقد أدركني الله قبل السقوط الكامل في مهاوي الإباحية والمدنية الغربية .. لقد اخترت طريقي واخترت زوجي .. وضميري الآن مرتاح كل الارتياح .. ما أصعب الفراغ الروحي ! ، وأتمنى لك أن تتعرفي على حياة الإيمان والصلاة .. وما أروع المناجاة للرحمن !!

قالت سميرة بجفاء ونفور: لا تتمني لي ذلك .. تمني لي إنهاء دراستي والتخصص في جراحة القلب أو أي جراحة .. المهم أن أكون جراحة .. قليل من النساء من يتخصصن في الجراحة .. آه ! لو يراك مازن الآن لشبع منك سخرية وضحكا ؛ ولكنه مازال نائما ، ولا يحب أن يوقظه أحد

وتحدثت فوز مع أمها بضع دقائق ، وعادت تتحدث مع أختها ، وتسألها عن حياتها وأخبارها في الغرب الأمريكي ، فأخذت سميرة تتكلم عن الغرب والحياة في أمريكا بكل حماس وحمية ، وتصف الحياة هناك بأنها جنة عدن ، وأن حياة الشرق كلها ظلام وفقر وجهل وتخلف وأمراض وتنمية ضعيفة للبشر والبلاد ، وحكام لا يحترمون الحرية الفردية ، ولا يهتمون بها هدفهم الأمثل المحافظة على كراسي الحكم التي يتربعون عليها بالقوة ؛ وليس باختيار الشعب لهم ، فهم يذلون شعوبهم إذلالا .

ولما انتهت سميرة من مدح وبيان فضائل الغرب الأمريكي في نظرها ، وبينت عدالة الأنظمة والقوانين في تلك البلاد ، وتساوي الناس هناك أمام القوانين صغيرهم وكبيرهم .

ردت فوز قائلة ، فهي كانت تحمل قبل أقل من سنتين مثل هذه الأفكار: هذه مأساتنا نحن المسلمين، ندافع عن الغرب أكثر من الغربيين أنفسهم؛ لأننا لا نحاول أن نرى عورات المجتمعات الضالة ، فيوجد في كلامك حق ، وفيه باطل كثير .. فحياتنا كلها ظلام هذا ليس صحيحا ، فالمتمسكون بدين ربهم بإسلامهم يحيون في نور وسعادة ، والدين لا يمكن أن يكون ظلاما ، بل حياتي السابقة كلها ليل وغفلة ، هدفها الأسمى إماتة الوقت في لهو ومتع زائلة ، والحياة من أجل الحياة ، وهل لهذا خلق الإنسان؟!..

وأما الكفار مهما كان عندهم من نور الدنيا ، فهم في ظلام وحياة ضنكا ، وأما الفقر ففي أمريكا فقر وفقراء وجياع ، ومع قوة أدوات الحماية عندهم فالجرائم الكبيرة والصغيرة شائعة في مدنهم وكل يوم تتناقل وكالات الأنباء عن فظائع الأجرام هناك ، لا تنكري ذلك ، يكفي أن أغنياء تلك البلاد يمشون ولهم حراس أمنيون يتبعونهم في خطواتهم ، فأيّ حياة هذه الحياة ؟! العلم الأرضي هم حقا متقدمون فيه ، ولا يمكن إنكار تفوقهم بذلك ، وهناك أيضا دول في آسيا متقدمة فيه مثلهم ، بل تنافسهم وتسبقهم في بعضه ، وأما تأخر المسلمين فيه فله أسباب متعددة من أهمها تبعيتهم لدول الاستكبار والاستعمار ، أما علوم الدين والنجاة من ظلام الدنيا ، فالمسلمون لهم السبق في ذلك ، فتراثنا فيه خيرات وميزات ، نجهل الكثير الكثير منها، وهناك الفرص متاحة للأفراد للتميز أكثر من هنا ؛ لصلاح أنظمتهم السياسية ، فقد ابتعدوا أو انتهوا من الثورات والانقلابات ، وأما تواريخهم الماضية فكلها ثورات وحروب عالمية ، وأما الأمراض فهم حقا متقدمون في علاجها ، وبلاد العرب لا تخلوا من تقدم فيها ، وعندهم أمراض وعندنا أمراض .. وأما ظلم الحكام فهذا لا ينكره أحد ، فما زالت بلاد العرب والمسلمين تعاني من تسلط الحكم الديكتاتوري ، وهذا سببه لعلمك الاستعمار والاستعباد الذي خيم على بلاد العرب والمسلمين ، وأكثر هؤلاء الأوصياء من بقاياه .. فإسلامنا العظيم ما زال في صدور الرجال والنساء فقط ، أما في واقع الناس فهو مغيب ، والأدلة كثيرة ، وأشهر هذه الأدلة أنّ المحاكم التي تحكم في قضايا الناس وحاجتهم مـختلفة الأنواع والأسماء .

قالت سميرة سامي التي كانت تسمع لأختها هذا الكلام الكبير والطويل بانبهار شديد : والله يا فوز ! إنك تغيرت واستقام لسانك الأعوج .. أما زلت تحفظين أغاني الشرق والغرب ؟!

ردت فوز: أتسخرين مني؟ .. الحمد لله رب العالمين ، لقد نسيتها كلها ، وقد أبدلني الله خيرا

منها ، فقد حفظت سورة البقرة والأجزاء الأخيرة من كلام ربنا من القرآن الكريم .

قالت سميرة : لقد ذكرتيني بفتاة زميلة لي في كلية الطب من أسرة مسلمة تقطن أمريكا ، وهي من أسرة متدينة ، وهي تحفظ كما تدعي القرآن الكريم ، وهي مثلك متحمسة لدينها ؛ بل كثير من فتيات الغرب في الجامعة صححن أفكارهن عن الإسلام بعد مجالستها ..

ثم رسمت سميرة ابتسامة ساخرة على وجهها ، وهي تلتفت إلى أمها الجالسة منذ بداية اللقاء بصمت وقالت : ألم تهدي أمك يا فوز؟!

قالت فوز: أدعو لها ولك بالهداية ، والهادي هو الله ، فالهداية والتوفيق بيده وحده ، يهدي من يشاء إلى ملكوته ، نحن علينا بالدعاء والدعوة وبس .

وهنا قالت سميرة : والآن ، ما قصة زوجك المحبوس ؟!

ردت فوز : شاب متحمس لدينه ، يرغب أن يرى أحكام الشريعة تطبق على مجتمع المسلمين ، فمن أجل ذلك هو محبوس .

ونهضت قائمة وهي تقول: وأريد أن أستأذن، وسوف أتصل بك ، وأنا مستعد لاستقبالك في بيتي إذا رضي والداك .

قالت الأم معترضة على اقتراح فوز : لا داعي لذلك ، فها أنت قد رأيتها ، ولما تشتاقي إليها فالبيت مفتوح لك ، فهذه أول مرة تزورنا منذ تزوجت .

فقالت سميرة : ما دام زوجك البطل مسجونا ابقي عندنا .

ابتسمت فوز وهي تقول : آسف جدا يا أختي الدكتورة ! فلي بيت وأهل ، أتريدين أن أضايق أبي العزيز ؟!.

فقالت سميرة وهي تنظر إلى قسمات وجه والدتها : سوف أزورها يا أمي ! لأرى هندا صاحبتها التي كانت تحدثني عنها في بعض رسائلها الجميلة ، إنها تحب هندا كثيرا .

فقالت الأم بامتعاض : هذا الأمر لأبيك !

وخرجت سميرة تودع أختها الصغيرة ، ولما وصلتا باب القصر قالت: يا فوز ! لم تسلمي على ابن خالك .

قالت فوز : سأكلمه بالهاتف .

قالت سميرة وهي تصافح يد أختها وتشد عليها: أنا بشوق كبير إليك يا فوز! لعلك تقضين بضع ليال معنا .

قالت فوز: أبوك لا يرضى ، ولا يحب رؤيتي ومجالستي ؛ لأني أذكره بمعاصيه وآثامه ، حتى لم يدعوني لطعام منذ خرجت من هذا البيت ، وأنا أرحب بك في غرفتي الخاصة .

ضحكت سميرة لقول فوز "غرفتي الخاصة "

وقالت : في غرفتك! أليس لك شقة ؟!

قالت فوز: لي شقة ؛ ولكنها مغلقة، وأنا الآن أعيش عند أهل زوجي المسجون ـ فك الله كربه ـ يا حبيبتي! على كل حال إذا وافق أبوك لك على زيارتي فاتصلي بي ، وأنا أرحب بك ، وأسرة مهدي يرحبون بك ، وسأطلب من حماتي العجوز الطيبة أن تصنع لك طعاما لذيذا ، لم نأكل مثله في كنف والدنا العزيز، استأذني والدك وأخبريني ، على الأقل تتعرفين على أهلي الجدد .. أناس يعرفون الحب الخالص .

قالت سميرة بمرح وحماس: سوف أفعل أيتها الحبيبة! .. إنك تحبينهم حبا ظاهرا عليك يا فوز!

ردت فوز: أناس طيبون! وبيئة إيمان راقية ، الكبير والصغير ملتزم بالإسلام قولا وفعلا بدون جبر وإكراه ، مجتمع صغير محافظ ، الكبير يرى أنه قدوة للصغير والصغير يحاكي الكبير.

قالت سميرة وفوز تجلس في مقعد السيارة : أنت شجاعة! لقد انتصرت على هواك وشهوات الشباب وهوسه في هذا الزمن المغري .. الزمن الصعب !



حكم القاضي

حكم القاضي في قضية المهندس مهدي مروان ، بعد ستة شهور من اعتقاله والتحقيق معه ، بحبسه واعتقاله خمس سنوات مع التنفيذ ؛ لأثارته الشغب والفتن في مدرجات الجامعة ، ويبدأ تنفيذ الحكم منذ أول يوم أوقفته فيه أجهزة الأمن ، وتلقت فوز وأسرة مهدي الحكم بصبر، صبر المؤمنين ، صبر الابتلاء ، وما كاد والد فوز يصل إليه هذا الحكم في زوج ابنته حتى اتصل بها ، وعرض عليها أن تفارق زوجها السجين ، وتطلب الطلاق منه ، فرفضت العرض بشدة وغضب، وأصرت بالبقاء على ذمة زوجها المتحمس لدينه وإسلامه .

وكان مهدي قد علم قبل جلسة الحكم في قضيته من لقائه بمحاميه أن التهمة ثابتة ، وأنه مذنب فلذلك طلب فوزا ، وعرض عليها الفراق ؛ ولكنها رفضت فكرة الطلاق ، وأصرت على أن تبقى حليلته ، وأن تقف بجانبه ، وأن ما يتعرضان له ، هو من الابتلاء والمحنة المقدرة على عباد الله المؤمنين ، والله بين أنّ العاقبة للمتقين.

وحاولت أسرة فوز أمها وأختها إقناعها بالطلاق والخلاص مما تورطت فيه على حد قولهم ، وأرسلت لها أختها التي تتعلم في أمريكا رسالة تحثها على فراق زوجها ، والسفر إلى أمريكا ، أو العودة لبيت الأسرة ، بعد أن حاولت إقناعها بذلك العرض على الهاتف ، وأيضا والد مهدي لمح لها بعد صدور الحكم بالطلاق من ولده بمثل هذه الفكرة ؛ ولكنها قالت بعزيمة وثبات: أنا ما زلت على مقاعد الدراسة، ودعوني أبقى بينكم ، فقد أحببتكم ، ووجدت لديكم الدفء الأسري ، فلا تحرمونني من ذلك ، وهذا قدري ، ولن أتخلى عن مهدي إلا إذا كان هو لا يريدني وتخلى عني .

فأثنت الأسرة ثناء حسنا على الفتاة الشجاعة إزاء هذا الموقف الكريم ، وانشغلت فوز وهند في الأيام الأخيرة من دراستها ، وهما تدعوان في جوف الليل وثلثه الأخير بأن يهون المولى سبحانه ظلم السجن وظلامه عن العزيز مهدي .

وأثناء تقديم فوز لاختبارات الفصل الأخير من الدراسة ، مرضت والدة فوز وعادت إليها بعض الأوجاع التي عانت منها في الماضي ، وسافر بها والدها للعلاج في مشافي أمريكا ، وعندما كانت فوز تستقبل نتائج الدراسة والفصل الأخير وتتهيأ لحفل التخرج السنوي ، جاءها نعي أمها التي ماتت في تلك البلاد حيث ولدت قبل خمسين عاما ، ماتت وهي على ضلال وجهل ، فذرفت فوز عليها الدموع الغزيرة ، ودعت الدعوات الحارة من أجل روح أمها الهالكة ، وقد علمت فوز من رسالة تلقتها من أختها سميرة أنّ أمها ماتت وهي تود وترغب في رؤيتها ؛ ولكن والدها رفض تلبية هذه الرغبة ، وحال دون تحقيقها ، ومع صعوبة الداء الذي ألمّ بها ، كان يرى سامي أنّ الموت ما يزال بعيدا عنها ، ولا يعلم أنّ الأجل إذا جاء لا يتأخر ساعة ، ولو كان حول المريض مائة طبيب وممرض

وقام أهل مهدي بمواساة وتعزية فوز والتخفيف من ألمها وحزنها ، وصبرت ورضيت بقدر الله ، ولما أهل العام الدراسي قدمت أوراقها اللازمة للعمل في إحدى المدارس الأهلية الكبرى ولما علم مالك المدرسة أنّ فوزا ابنة المالي الكبير السيد سامي سبل مدير أحد البنوك المهمة في البلد ، لم يتأخر في تعيينها في إحدى المدارس التي
يملكها ، واندمجت الفتاة في وظيفتها .

وكانت فوز بعد سفر والدتها للعلاج في أمريكا قد خفت علاقتها بقصر أبيها ، ولقد أرسلت لها سميرة دعوة من واشنطن لمشاركتها في حفل تخرجها طبيبة ، وكذلك اعتذرت لأخيها فريد عندما دعاها لحفلة تخرجه من الكلية الشرطية ، وقد أصبح ضابطا برتبة ملازم ، ثم جاءت رسالة

لفوز من سميرة تخبرها أنها قررت البقاء في أمريكا للعمل في أحد المستشفيات، ومتابعة الدراسات العليا ، والتخصص في طب القلب أو الكلى ، وعندما تزوج فريد من ابنة أحد الضباط ، دعيت فوز لحفل الزواج ، فاعتذرت عن المشاركة في الحفلة التي أقيمت في أحد الفنادق الكبار ، ثم بعد العرس بأيام ذهبت وباركت لأخيها وزوجته بزواجهما ، في بيت والدها الذي استقرا فيه ، وتمنت لهما السعادة والتوفيق .

وكانت تقضي وقتها بعد عودتها من المدرسة مع كتاب الله ، والأحاديث النبوية ، وأحيانا ترافق هندا في زياراتها لأخواتها أو أقاربها ، وكم شعرت بالألم والحزن مع فرحها الشديد لهند عندما تزوجت وفارقت بيت والدها ! فقد تزوجها ابن عمها مالك عبد العزيز ، وما كادت تمضي الأيام حتى ولدت هند ، وفوز ما زالت تنتظر زوجها القابع في السجن بفارغ الصبر والرضى ، وبعد أن وهبت هند المولود الثاني بأيام ، خرج مهدي من السجن الذي أمضى فيه ما يقارب أربع سنوات ، وفرحت الأسرة الكبيرة بعودته بعد عذاب السجن .

ولكنه خرج وكله إيمان وقوة ، وقد تمكن من حفظ كتاب الله تعالى ومعرفة الكثير من تفسيره ، وقراءة الكثير من كتب الإسلام العظيمة ، وبعد أن انتهى من استقبال الأهل والأصحاب المهنئين بخروجه من الحبس ، انتقل للسكن في الشقة التي أهداها والده لفوز في عمارة البحر الأزرق

وكانت فوز قد حفظت أكثر من نصف القرآن في فترة غياب زوجها في السجن ، الزوج الذي لم تجلس معه إلا بعض الوقت قبل الزواج ؛ ولكنها كانت ترى أنّ ذلك اختبار وامتحان لها من الله عز وجل ، فصبرت صبر الموحدين على الفراق ، ولما خرج مهدي من سجنه ، حمدت الله حمدا كبيرا وكثيرا ، ورأت أنّ السعادة قد أقبلت إليها من جديد .

***** ****

بعد خروج مهدي من السجن بأشهر يسيرة جرت في البلاد فتنة ، فقد قام أحد أفراد الأحزاب العلمانية المتطرفة بمحاولة اغتيال أحد كبار رجال الحاكم ، فوجه الاتهام بادي الأمر لشباب الأحزاب الإسلامية ، واقتيد مهدي من شقته في جوف الليل إلى دائرة التحقيق ، ومكث فيها أسبوعين ، وهو يخضع لقسوة العذاب والإهانات والظلم ، حتى تمكن رجال الأمن والشرطة من الوصول إلى بعض المتهمين في محاولة القتل ، فأفرج عن مهدي وزملائه ، فبعد هذه الحادث الصادم قرر مهدي الخروج من وطنه إلى وطن فيه أمان وحرية أكثر.. فقد أصبح العاملون للإسلام

في ظل الأنظمة الحاكمة في بلاد الإسلام موضع اتهام في كل ظرف وحين .. فتعاقد مع إحدى الشركات الكبرى في أحد الأقطار الإسلامية الغنية ، ولما استقر في عمله الجديد هنالك انتقلت إليه زوجته فوز ، وطابت لهم الأيام والهدوء في بلاد الغربة .. وكانت تأتيهم أخبار الوطن المحروق ، فقد تولى مقاليد الحكم والسلطة فيه دعاة القومية والعلمانية ، فازداد التضييق على الشباب المسلم الملتزم في شمال الوطن وجنوبه ، وكثرت حركة الاحتجاجات الشعبية هنا وهناك ؛ ولكن لا حياة لمن تنادي ، فلقد أصبح الوطن في ضنك شديد من هؤلاء المتسلقين .

وأمضى الزوجان عشر سنوات في الغربة ، وهما ينعمان برغد من العيش والسعادة والأمن ، وقد وهبهما الوهاب ولدين خلال تلك السنوات ، وعلم مهدي بعد كل هذه السنوات من السعادة والراحة أنّ والده مروان مريض وهو في أيامه الأخيرة كما يخبر الأطباء ـ وعلم ذلك عند الله تعالى ـ ولكن الأمراض والشيخوخة قد اشتدا عليه ، فأنهى عقد عمله ، وعاد للوطن إلى مسقط رأسه ، وعادت الأسرة لوطنها بعد هذه السنوات الطوال ، وهم مطمئنون ؛ ولكنهم ما كادوا يستقرون في الوطن حتى استدعت أجهزة الأمن مهديا ، وبعد استجواب طويل ، طلب منه إما المغادرة وإما تحمل ما يتعرض له من مضايقات ، فبين لهم مهدي دوافع حضوره لبلده ؛ ولكنهم أصروا على أنه رجل غير مرغوب ببقائه في وطنه ، ووضع تحت المراقبة الدائمة ؛ لأنه تبين لهم أنه كان على اتصال دائم برفاقه وأصحابه أثناء غربته ، ولديهم صور عن عدد من الرسائل التي كان يرسلها لأصدقائه يشجعهم فيها على الثبات والصبر على أذى الطواغيت ، لقد وقع بعضها بين أيدي أجهزة الدفاع عن الحاكم وأعوانه

وبينما صاحبنا مهدي يفكر وينظر بالتحذير الذي تلقاه من رجال الأمن السري ، قد قام أحد المسلمين المتعصبين الناقمين على النظام بإلقاء قنبلة على مركز أمني ، فاضطربت البلد وقامت وما قعدت ، فقامت الحكومة الحاكمة باعتقال أعداد كثيرة من الشباب المتدين والمتردد على المساجد ، وبينما صديقنا مهدي يجلس بين أهله في وسط بيته وحوله زوجته وولداه الصغيران وعنده أخوه معتصم وزوجه وبعض أطفالهما ، وهم يتسامرون في ذلك المساء ، قرع أحدهم الباب باب الشقة ، فنهضت فوز لتنظر الطارق معتقدة أنه أحد أبناء معتصم يريد الدخول ؛ ولكنها لما فتحت الباب فوجئت بأخيها الضابط فريد سامي ، ومعه عسكريان ، وهم في عرض الباب ، فأصابتها

الدهشة ، فهذه أول مرة تراه منذ أكثر من عشر سنوات .

فقال : مساء الخير يا فوز!.. كيف أنت ؟

فقالت ببطء وقلق : أهلا فريد .. ما الأمر ؟ فلا أرى أنك زائر.

قال بهمس واضطراب : الحق نعم ، ولسوف أزورك .. أنا لست زائرا أيتها الأخت المتمردة أنا أرسلوني للقبض علي زوجك.

فرددت قائلة وبدهشة : القبض على زوجي !! ويلك ! ويلك ! .. ألم يجدوا غيرك ليرسلوه ؟ حسبنا الله ونعم الوكيل .. ما التهمة هذه المرة ؟!

أجاب قائلا وهو ينكس وجه في الأرض :

لست أدري!

ولحظ مهدي تأخر فوز عند الباب ، فاستأذن من أخيه لينظر من تكلم فوز فإذا هم رجال شرطة يقفون بالباب ، فقال : صبرا آل ياسر! .. ما الأمر يا حضرة الضابط ؟ .

فنظر إليه الضابط قائلا : مطلوب .. ولا أدري ما التفاصيل ؟ إنما كلفوني بإحضارك أيها السيد

فقالت فوز وكلها خجل واضطراب وامتقاع وجه : يا أبا عبد الرحمن ! .. أترى هذا الضابط الذي يقف أمامك ؟! ..إنه أخي فريد ..إنك لا تذكره على ما أعتقد !

فقال مهدي والدهشة مرتسمة على محياه : هذا أخوك ؟! للآسف إنني لم أره على ما أذكر إلا مرة أو مرتين .. لقد نسيت شكله .. معذرة !

قالت : نعم يا سيدي العزيز ! هذا أخي البار .

قال فريد بخجل وارتباك : أيها السيد ! أنا أقوم بواجبي .

فقال مهدي : تفضلوا .. سوف ألبس ثيابي وانطلق معكم ، فقد تعودت على استدعاءاتكم وتحقيقاتكم ، لا أدري ما الذي يخيف حكامنا من إسلامنا ؟! .. فها هم المتعصبون من النصارى والطوائف الأخرى يتمتعون في بلادهم بحرية ، ويتحركون ويتشددون ، ويعملون ولا تمنعهم سلطاتهم من العمل لمذاهبهم .

قال فريد بنبرة فيها حدة : أرجوك ..لا داعي لأي كلام .. البس ثيابك فقط ، وامش معنا ، وذلك من أجل خاطر أختي العزيزة ، وإلا فالمفروض أخذك بأي صفة وجدناك عليها .

رد مهدي مداعبا : لست سارقا ولا مجرما ولا قاتلا .

أجاب فريد وهو يتصنع الغضب: أنت أخطر على أمن البلد من كل ما ذكرت، البس بسرعة ولا تكثر من الرغي أيها الفارس !.. أعتذر إليك يا أختي !

فقالت فوز بحدة وضيق : لا عليك ، ما أنت إلا عبد لأسيادك أيها السيد !

صعق فريد لكلمات أخته الحادة ، ثم التزم الصمت ، وقال لنفسه : نعم ، أنا عبد
لأسيادي .. ولمَ لا أكون عبدا لهم ؟!

أطلع مهدي أخاه معتصما على جلية الأمر، وقال : لابد من الذهاب معهم ، خذ بالك من فوز والصبية ..

وسكت قليلا ثم قال بشدة وغضب : سأترك هذا القطر إن نجوت منهم هذه المرة .. إنني فكرت أو بدأت أفكر بالرحيل لبلاد الغرب والكفر ، فأنا أسمع أن فيها حرية لجميع الناس ولجميع الأديان .. يا رجل ! لم نفعل شيئا يضر البلد ، ومع ذلك يضيقون علينا في العمل ، وفي الحركة ، وفي النوم .. قاتلهم الله أنى يؤفكون ألهذه الدرجة يبغضون الدين والعاملين للدين ؟! .. يا أخي العزيز ! .. حتى الرسائل التي كنت أبعثها للصحاب والأحباب ، لقد اطلعوا عليها وصوروها ، وجواسيس الكفار والأعداء يرتعون في بلادنا ، ولا يستطيعون فتح رسالة أو طرد لهم .. حسبنا الله ونعم الوكيل !

فقال معتصم مواسيا: لابد لليل من نهاية! .. فهؤلاء العلمانيون ما صدقوا وهم يتسلطون على الناس والبشر ؛ ولكن فشلهم قريب .. فهم مبغضون من كافة الخلق ؛ واعلم أنّ الله مع الصابرين .

وانطلق مهدي مع نسيبه فريد إلى مركز الشرطة ، وهناك جاءت سيارة من سيارات الأمن السري ، وأخذوه إلى دائرة التحقيقات السرية ، وبعد أيام قضاها عندهم في سؤال وجواب تركوه ليعود إلى شقته ، ولما استراح من عناء ما وجده في ظلمات وسراديب النظام الحاكم قال لفوز ذات ليلة فجأة : يا فوز العزيزة ! .. ما أخبار أبيك .. عمي .. حماي المحترم ؟ .

حملقت فوز في عيني مهدي لحظات ، فقد دهشت لسؤال مهدي المفاجئ عن والدها وقالت : أبي ! ..إنه بخير كما أخبرتني سميرة آخر مرة .

فقال : أما زالت تكتب إليك من أمريكا ، ما أخبارها الآن ؟.

ردت فوز ، وهي ما زالت حائرة من حديث مهدي المفاجئ عن أبيها وأختها : طيبة ، وإنها بخير ، وكما تعلم ، فهي قد تزوجت هناك من أحد أقاربنا ، وما زالت تشتغل هناك ، ولسوف تستقر هناك على ما أعتقد للأبد .. وأما أبي العزيز المحترم يا محترم ! منذ تزوج بعد وفاة أمي لم يكلمني إلا بضع مرات ، أظن أنها تعد على أصابع اليدين.. فلا أعلم أخباره التفصيلية .. فكل المدة التي قضيناها

في الغربة لم يتصل بي مرة واحدة ؛ بل أنا التي كنت أكلمه ..

ورسمت ابتسامة على وجهها وهي تقول : هل من شيء تريده منه يا سيدي المحترم ؟!

فقال وهو ساهم النظر: نعم يا سيدتي المحترمة !.. فأبوك رجل أعمال كبير ، ومعروف في البلد وفي وسط رجال المال .. وها هو أخوك ضابط كبير أيضا رتبته رائد رتبة لا بأس بها.

فقالت : المهم ماذا تريد منهما ؟!

فتغير وجهه وتجهم ، وخيم الحزن عليه وهو يقول : فوز ! ..أريد أن أغادر هذا الوطن ، ألا يمكنه مساعدتنا للسفر إلى ألمانيا أو هولندا .. أوروبا مثلا.

فصمتت فوز صمتا طويلا ، وتأملت طلب مهدي بحيرة واستغراب ، ثم نظرت إليه وقالت: والأولاد أليس عليهم خطر في بلاد الكفر والضلال ؟!

فقال مهدي: لقد فكرت في ذلك يا عزيزتي ! وقد علمت أن بلاد الغرب تحسنت أحوالها مع الجاليات الإسلامية ، وثانيا أنّ هناك مدراس إسلامية تتبع للجاليات ، وثالثا نحن بحمد الله أطفالنا ذكور ، ولم نوهب الإناث بعد ، فالخوف على الفتيات أكثر من الذكور في تلك المجتمعات ، والخطر موجود لا أنكره ، ولن يكون احتكاكنا بهؤلاء القوم كثيرا .. وتنهد وهو يقول : وأخيرا لم أعد أطيق الحياة هنا .. وعندما تتحسن أحوال بلادنا نعود إليها .. فأنا مخير بين الرحيل ، أو الاندماج في حركة تمرد لا يعلم مداها إلا الله .. فاعلمي أن صدور شباب الإسلام

تغلي ، فما أحدثه هذا المتهور إلا شرارة صغيرة ، قد تشتعل بعدها النار والانفجار.

قالت فوز وهي تعمق الفكر والتدبر في كلام زوجها وحججه : فالأمر خطير تراه إذن !!

همس قائلا : كما ترين اعتقالات مستمرة ..إهانات مذلة .. فالبركان يكاد أن ينفجر .. والغضب في الصدور شديد .. وأنا أريد الهرب من هذه العاصفة القادمة .. فأكثر قيادات الفكر الإسلامي الآن شباب مندفعون ، وفي صدورهم كبت واحتقان مما يلقون من السلطات ووقت التغيير للأفضل لم يأت بعد .

وبعد حين من الصمت العميق بين الزوجين قالت المرأة : أمقتنع بما تفكر ، وبما تريد يا سيدي المحترم ؟!

رد الزوج المحترم قائلا : لست جبانا يا فوز ! وأنا منذ خرجت من السجن ، وسافرنا للعمل خرجت من قيادة الحزب الإسلامي وأنت تخبرين ذلك ، بل خفت علاقتي بالتيار الحركي ، بل لما ألقي بي في غياهب السجن خمسة أعوام نزعت مني

القيادة الفرعية ، وأعطيت لشخص آخر وأصبحت شخصا ثانويا ، ولما سافرنا للخارج أصبحت عضوا مناصرا ..اعلمي يا سيدتي المحترمة ! أنه ما زال الخلل فينا ، فعندما كنت على مقاعد الدراسة كنت عضوا فعالا ومهما ، ولما طرحت في السجن أصبحت عضوا خاملا غير فعال ، فنحن بحاجة لإصلاح وتقويم ، فالأرض التي نقف عليها ليست صلبة، فالجهل بين شبابنا ما زال موجودا .. فالحماس وحده لا يكفي للتغيير .. والقدرة على التحمل لدى الكثير من الشباب ضعيفة .. القيادات مهتزة .. وأيضا هذا الحكم تحميه أيدي خفيه عالمية.. فجمهور الأحزاب الحاكمة جمهور ضئيل ومصطنع فما زالت قوى الاستكبار تربض وتتحكم في مقدرات البلاد بأشخاص منا!.. وأجهزة الأمن عندنا لا تريد أن تقتنع أني شخص عادي مثل كثير من خلق الله ، فهي ما زالت ترى أني رأس مهم في الحزب .. فالخروج من الوطن في هذه الفترة يبدو لي أنه مهم .. هذا دفاعي عن نفسي أمامك .

قالت فوز مستسلمة لدفاع زوجها : سأكلم والدي ـ إن شاء الله ـ قريبا يا سيدي المحترم !

فقال مهدي : بل زوريه .. فهو والدك.. وما أساء إليك منذ فارقتيه .. وأما قصة وفاة أمك ورفضه ذهابك إليها هناك ، فهو معذور ؛ فإنه لم يكن يرى الموت قريبا منها .. فهؤلاء كما تعلمين يا عزيزتي! أكثرهم يهربون من حقيقة نهاية الحياة .. ورحم الله أمك ، وهدى الله أباك.

فقالت : حسن .. سأفعل وأزور أبي الذي لا يسأل عني ، منذ أن سافرنا لم أره .. فكلما أذهب إلى قصره خلال الإجازات التي كنا نقضيها هنا ، لا أجده ، وتصرفني زوجة أبي وتعدني بأنه سوف يتصل بي ، وتنتهي الإجازة ولم أره أو أسمع صوته ، ولم يحاول الالتقاء بي .. وحتى لا أظلمه كما أذكر كلمني مرتين أو ثلاث عن طريق الهاتف .

قال مهدي : ولكنه كان يرد عندما تتصلين به من هناك.

قالت: نعم ، عندما أتصل به أنا ، أما هو لم يتكلم معي إلا بضع مرات .. سامحه الله ، لا يقع في قلبك أني أكرهه .. هو أبي ؛ لكن ما خرج من قلبي هو عتب على تقصيره نحوي .

قال مهدي : لكل ظروفه وأحواله ، وهو قد اتخذ منك موقفا قاسيا منذ البدايات الأولى لتوبتك وهدايتك .. فيا سيدتي الغالية ! .. اذهبي إليه في مكان عمله في البنك .

فقالت: سأفعل يا أبا عبد الرحمن ! وأريد أن أخبرك بأمر حدث أثناء التحقيق الأخير معك .

فقال : تكلمي فكلي آذان تسمع .

قالت : أشكرك !.. وأعلم ما تعاني من آذى نفسي

على الأقل ، بعد اعتقالك بيومين اتصلت زوجة أخي فريد فيّ ، وأخذت تتعذر لي عن تصرف فريد معك ؛ فكأن فريدا أخبرها خبرك ، فقالت لي معتذرة "كان على فريد أن يعتذر عن هذه المهمة " ، وهي تعتذر إليك وتتأسف لعدم لياقة ولباقة زوجها .

فقال مهدي باسما : بارك الله فيها ، وقبلت اعتذارها .. وفريد كما قلت له ما هو إلا عبد لأسياده فهو كما يقول الضعفاء أعوان الطغاة دائما " ما أنا إلا عبد مأمور ".. فعليه أن يطيع أسياده طاعة عمياء ..عفا الله عن الجميع ، وعن أخيك المحترم

وقالت فوز: وهناك أمر آخر .. فزوجة فريد والدها ضابط كبير في الجيش .. ووعدتني يومها أن يهتم والدها بأمرك ؛ ولكنك ـ والحمد لله ـ لم تمكث طويلا لديهم .. وهي ترغب بزيارتي

رد مهدي وقد عاد يضع رأسه على المخدة : على الرحب والسعة .

قالت : ولكنها أجلت ذلك يومذاك ريثما تخرج من المعتقل ، وها أنت قد خرجت فهل أتصل بها ادعوها ؟

رد قائلا وهو يفكر ويتأمل بما أخبر : افعلي .. ثم رسم على جبينه ابتسامة ، وتابع قائلا كأنه قد تذكر شيئا بعدما تأمل في كلام فوز الأخير : آه ! .. فعلا يا فوز! بعد يومين من التحقيق الصارم معي تغيرت معاملة المحققين والحراس معي ، لم يعودوا يقذفونني بالنعوت القذرة ، يا ابن كذا وكذا ، بل حسنوا من نوعية الطعام المقدم لي ، وسمحوا لي بمخالطة المعتقلين ، والحديث معهم ، بعد أن كنت في زنزانة انفرادية ..آه !.. الآن أدركت سر هذا التغير! .. أوه لابدّ أنّ والدها ضابط كبير ومهم أيضا .. لها الشكر الجزيل ولوالدها ، ورحبي بها ، وجزاها الله خيرا .

الرحيل عن الوطن

لقد أصاب مهدي اليأس والإحباط من ظلم ذوي القربى ، وأراد أن يأخذ بنصيحة رجال الأمن والتخلص من الاعتقالات المتكررة ، ومن ثم البحث عن السكينة في بلاد الكفر والغرب ، ومما دفعه وشجعه للهرب أيضا تشرذم التيارات الإسلامية العاملة لعودة الإسلام حاكما للأمة ، ومما دفع صاحبنا للهرب تدافع وتصارع الأحزاب الإسلامية مع بعضها البعض ، وكل ذلك يصب في مصلحة بقاء الحكم الفاسد ، وبقاء الأحزاب الإسلامية ضعيفة أمام العلمانيين والقوميين

وغيرهم ، فلذلك كان القرار الحاسم من مهدي بمغادرة البلد من جديد إلى بلاد الغربة ، إلى بلاد يقال أنّ فيها حرية ؛ ولكن ضمن القانون الذي يسودها .

وفوجئ السيد سامي سبل برؤية ابنته في انتظاره أمام مكتبه في البنك الكبير الذي يديره ، وبعد كلام بارد وفاتر وعتاب خفيف بينهما استمع الأب لمشكلة ابنته، ثم قال شامتا أو متأسفا لحالهم : هذا اختيارك يا جميلتي ! ..أنت التي اختارت كل هذا العذاب .. فأنا لم أقس عليك يا بنيتي!.. فأنت التي اخترت دربا غير دربنا ، ولقد حاولت إنقاذك مما أنت فيه من الأحلام وأوهام القرون الوسطى ، فلا تكرهيني ولا تلوميني .. الناس تتقدم وأنتم ترجعون للوراء .

ولما رأى أنّ فتاته صامتة قال : سأدبر أمر سفركما .. أمهليني أسبوعا واحدا ، وسوف تكون تأشيرات دخول ألمانيا بين أيديكم .. أرسلي جوازات سفركم ، وأرجو منكم قبل سفركم أنّ أراك أنت والأولاد وزوجك الثائر الذي يحلم بأن يكون خليفة للمسلمين .

كانت الفتاة تسمع لكلمات السخرية والتهكم من والدها وهي واجمة صامتة ، فهي تعلم أنّ الجدال والتعقيب على كلامه لا جدوى ولا فائدة منه ، فلا حياة ، ولا فكر له إلا الازدياد من الأموال والكسب المشروع في قانون أهل الدنيا .. قانون الاستعمار والظلم .

وبالفعل لم تمض الأيام السبعة حتى كانت تأشيرات الدخول لدولة ألمانيا الأوروبية بين يدي فوز وزوجها مهدي ، وقال لهما مدير مكتب السيد سامي ، وهو يسلمها لهم : إن الوالد المحترم قد حجز لكم أربع تذاكر إلى هناك ، ويود أن يراكم قبل سفركم ، فهو مساء يوم الأحد القادم موجود في البيت في انتظاركم .. الساعة الثامنة مساء لا تنسوا ذلك .

تعجب أصدقاء مهدي لما علموا برغبته بالهجرة والسفر إلى ألمانيا ، فتحدث معه أكثر من صديق معترضين على فكرة سفره ورحيله .. ثم نشط لزيارته ثلة منهم يتقدمهم صديقه نمر حميد ، وقد صحبتهم زوجاتهم في هذه الزيارة الخطيرة ، وبعدما تصافح القوم وأخذ كل واحد منهم مجلسه في غرفة الاستقبال قال له نمر مغضبا : أزعجتني جدا .. أنا لست مستوعبا لهجرتك الجديدة والمفاجئة!

وقال آخر : نحن نعرفك شجاعا ومقداما وقويا يا أبا عبد الرحمن!

وقال الثالث : نريد أن نعرف الحقيقة والدوافع لهذا الفرار يا صاحبي ؟!

مسح مهدي جبينه من قطرات العرق التي تجمعت

عليه وقال بألم وتخاذل : أنا متألم حائر ومتعب وفي غاية الضيق .. رغم غربة عشر سنوات .. وبروز قيادات جديدة في الحزب ما زالت قوى الأمن تنظر إليّ على أنني زعيم كبير في الجماعة .. وهم أيها الأفاضل يضغطون عليّ ويصرون على رحيلي من البلد .. أنا عدوهم الوحيد على ما يبدو ..

ضحك أحد الأصدقاء وقال : يا رجل كلنا يحدث معه هذا! .. حرب نفسية .. حقد حسد كبر هم يرغبون باختفائنا للأبد .. فالكل منا متضايق منهم .. ولكن بفضل الله ما زال الشباب الناشئ ينضوي تحت لواء الجماعة رغم العذابات والألم الممارس علينا .. يا رجل! الإسلام يسري في دماء الأمة .. مهما بذلوا وحطموا سيبقى الإسلام .. الأمة بخير .. لكن الهرب والانزواء لا يحل مشاكلنا .. أنسيت سنة التدافع الإلهية؟! .. فهؤلاء الناس يدعون أنهم يقومون بواجبهم لحماية الديار والعباد منا .. نحن حملة الرايات الإيمانية .. هل جلبت العلمانية والقومية للأمة أي خير؟ نحن سقم لهم .. فقرار السفر يا صديقنا غير سليم .. وما يحدث لك يحدث لنا أنا لما أخبرني نمر باستعدادك للرحيل لأوروبا صدمت! .. الكل يهرب ويخاف .. أوروبا أوروبا أليست أوروبا وراء كل مصائبنا ومآسينا ؟! .. يا صديقنا ! يا زعيمنا القديم ! مع كل الاضطهاد والإزعاج والخنق لقوانا مازال ـ كما قلت آنفا ـ الشباب يتجمعون تحت راية الإسلام .. الناس تريد الإسلام .. الإسلام لن يهزم يا صديقي .. أخي مهدي فكر من جديد في قرار سفرك .. ها أنا كم مرة أرسلوا لي لمراجعتهم ؟! أحيانا كثيرة يأتيني البلاغ على المدرسة التي أعمل بها .. وأتعطل عن التدريس وأسبب إزعاجا للمدرسة من إدارة وطلاب .. وأحيانا أخرى أقضي بضعة أيام في ضيافتهم .. ومع ذلك ما فكرت بالرحيل والهرب .. السجن والاعتقال لقد تعودنا عليهما .. وأنت أيضا قد قضيت سنوات عمرك وشبابك في السجن .. ألم تعتقل ليلة زفافك؟! وكنت جبلا ونموذجا شجاعا لشباب الفكر الإسلامي الحي..

قد خيم الصمت والوجوم على الجميع ، وهم يسمعون عتاب زميلهم لمهدي .. وعاد الصديق يقول بعدما لعق لعابه : إذا كانت زوجتك أم عبد الرحمن التي عهدناها شجاعة قد تغيرت فاسمح لنسائنا يتحدثن معها .

عندئذ قال مهدي مدافعا عن زوجه : صدق أن فوزا غير متشجعة للرحيل والهجرة أنا الذي ضغطت عليها لتدبر لنا أمر السفر .

فغر الأصدقاء أفواههم دهشة وتمتموا بغمغمات غير واضحة ثم قال نمر : مهدي .. صديقي أنا أسمع كلاما مدهشا! .. والله أنا وقع في قلبي أن أم

عبد الرحمن هي التي تشجعك على الهجرة والسفر .. عندما أعود وأتذكر لأيام زمان أيام الجامعة ونشاطك المحموم أستغرب مما أسمع .. يا أخي كلنا تعرضنا للعذاب والهوان .. يا رجل أصحاب الفكر الدنيوي يثبتون على فكرهم العفن ويقاتلون من أجله .. وأنت سافرت للخارج وبقيت سنوات .. لماذا هذه الهزيمة؟! ما دامت السيدة الفاضلة غير متحمسة وغير مريدة للهجرة لماذا تسافر؟! .. فكر بروية وتأنٍ .. أنت صديق العمر! .. هؤلاء الخصوم سيذوبون كما ذاب غيرهم .

دخل عبد الرحمن مهدي بالشاي الساخن ووضعه على منضدة صغيرة ، وأخذ يسكبه في الأكواب ، ثم قدمه لأصدقاء أبيه ، وأثناء ذلك قال أحدهم : نخشى أن تخسر أبناءك في الغربة يا ابن الحلال .. تلك المجتمعات فيها حرية زائدة .

صاح آخر : بل حرية مدمرة قاتلة !

كان مهدي يسمع وينظر لولده ولم ينطق حتى انصرف الفتى فقال : المسلمون اليوم في أوروبا أحسن حالا يا رجل! إنهم يتحركون بحرية .. يكتبون بحرية .. ألا تقرأ ما تأتينا به صحف العرب المهاجرة من أخبار ومعلومات؟! .. يعبدون بحرية .. يتنقلون بحرية ..

فقال أحدهم قاطعا الحديث : هذا وهم يا رجل .. هؤلاء الناس ما زالوا يبغضون الإسلام والدين .. ولا تنظر لحسنات القوم فحسب.. فالسلبيات كثيرة لا تكاد تحصى .. وكم من الأقارب هاجروا إلى هناك خلف المال والحرية والوهم ! ولكنهم ضاعوا وذابوا وفقدوا السيطرة على زوجاتهم وأبنائهم وبناتهم .. انظر إلى عمك والد زوجتك مدير البنك عندما درس في أمريكا وعاش بها ردحا من الزمن ماذا أصبح ؟! وغيره كثير ..

فقال مهدي كأنه غير مقتنع بما يسمع : وهل للآباء سيطرة على أولادهم هنا في بلاد المسلمين.. الكل يقلد الغرب .. يقلدونهم في اللباس والعمارات والمجون ..

ـ يبقى الأمر أخف من هناك .. ما زالت التقاليد الإسلامية موجودة وتراعى يا أخ مهدي .. وما زال الفرق شاسعا بيننا وبينهم .

قال مهدي : الفرق صغير ..

قال آخر : أنت مرهق جدا .. كلك إحباط !

رد مهدي معترفا بضعفه : الوضع عندي ليس سليما ، لا أنكر ذلك أيها الأخوة .. لديهم مساجد كما لدينا مساجد .. لديهم دور لهو بصورها المختلفة ومثل ذلك عندنا .. المدارس التي تعلم الأبناء لا تختلف كثيرا عنهم .. دروس التربية الدينية ضئيلة عندنا ؛ ربما تكون دروس التربية الدينية عندهم أكثر مع يقيننا أن دينهم منسوخ .

أخذ الشباب الكهول يذكرون ويرون قصصا

وأمثلة عن ضياع الأسر المهاجرة إلى العالم الغربي حتى ضجر مهدي مما يسمع فقال : يا قوم ! يا إخوان ! بقائي هنا ماذا يفيد المسلمين ؟! أوراقي كلها محروقة .. إنما أزيد هموم أمي وأبي .. أزيد هموم الأطفال الصغار .. كل اعتقال ولو كان إزعاجا وحربا نفسية ضدنا كما ندعي ونقول .. أليس في ذلك هم وغم ومضايقة للوالدين والأبناء ؟! وركض إخوتي هنا وهناك ، أليس كل هذا يؤلمهم ويضايقهم ؟ وإن لم يقولوا بألسنتهم ؛ ولكن عيونهم تتكلم ! كلما يحدث همٌّ في البلد يحضر رجال الأمن في الليل وفي النهار للقبض علينا كأننا مجرمون ولصوص .. وهناك نسمع كل الألفاظ القذرة .. نحن كبرنا .

ضحك أحدهم وقال : الذي يسمعك يظن أننا بلغنا الخمسين والستين يا رجل .. أنت تتكلم بيأس وإحباط شديدين.. هذا ما عهدناه فيك .. أنت لم تكمل السنة بيننا منذ عدت من الغربة ومع ذلك أصبت بكل هذا الوهن .

وقال ثانٍ: أنت تعودت على الراحة والسكينة والحياة العائلية الهادئة .. يا أخي كلنا لنا أهل وآباء وإخوة وزوجات .. فيؤجرون ويثابون على مشاركتنا همومنا وأحلامنا.. أليس نسعى من أجلهم لتعود حياة المجتمع إسلامية؟!

فعاد مهدي يقول : وهل كنا في غربتنا في راحة ؟! .. كل الدول تتعاون على محاربتنا ومعاداتنا صحيح أننا لم نعتقل أثناء وجودنا هناك .. ولكننا تحت العين .. الرسائل مكشوفة .. الاتصالات مراقبة .. تحركاتنا تحت المجهر.. علينا بالصمت ..عدم الحديث في السياسة والإسلام الحركي

وقال نمر حميد : ومع كل ذلك الهروب ليس هو الحل الوحيد ! مهدي أيها الصديق الحبيب ! لابد من الصبر والتصبر.. إن الفرج مع الصبر .

دخل الشاب الصغير يخبر والده أن طعام الغداء قد جهز وأعدت المائدة .. فدعا مهدي الأصدقاء إليه ، فعلق أحدهم وهم يسعون إلى غرفة الطعام فقال : إنك تريد يا مهدي! أن تحرمنا من هذه الجلسات

ـ دعوني أجرب أوروبا.. أنا لا أخشى السجن فقد جربته .. والاعتقال الإداري فقد جربته .. دعوني أجرب الهجرة !

ـ عجيب أمرك يا أخ مهدي !.. لا أعتقد أن الحاج مروان يرضى لك هذا الاغتراب .. وأنت عدت من الغربة لشيخوخة والديك .. فكيف تبتعد عنهما ؟!

فقال مهدي : أنا أرهقهما بكثرة حبسي وتوقيفي والتحقيق المتتابع معي .. إني أحس بالألم الذي أسببه لهما في سنهما هذه .. كلما يسمعان بأمر نقلي للأمن ينزعجان ويتحدثان مع المحامين.. تعب عليهم أيها الأعزاء .. لا أحد يستطيع إخفاء الخبر

عنها .. صدقوا هذا أيها الأخوة.

وتابع الأصدقاء ومن غير ملل ، ولا كلل المناقشة حول سفر مهدي المزمع على مائدة الطعام ، وأصر مهدي على الهجرة ولو لبضع سنين ، مدعيا أنه سيخدم الدعوة والدين من خارج الوطن ولن ينقطع عن التواصل معهم ومع الحزب .. وكشف لهم أنه حاول إنشاء شركة خاصة صغيرة وأن أجهزة أمن النظام حذرته من فعل ذلك ، فقال معقبا على هذا الكشف : أرأيتم ؟! إنهم يتمنون لنا الموت .. بل هؤلاء العلمانيون ربما يعتبروننا أمواتا .. علمانيو الغرب أصلح من هؤلاء التعساء .

قال أحد الأصدقاء : إذا على الشغل أنا مستعد أن أدبر لك عملا في شركة لأحد الأقارب .

قال مهدي : ستسبب له المضايقة والعذاب .. هم يا رجل يضيقون عليّ لأخرج من البلد .

ضحك أحدهم وقال : يا رجل أنت رجل مسالم .. منذ خرجت للعمل في الخارج ولم يوجد لك نشاط خطير ..

فأجاب مهدي: ملفي أسود .. أخذوا عني فكرة رهيبة .. كلما ينظر ضابط التحقيق في ملفي ويجده ضخما يظن أنني أكبر مجرم في العالم .. لا يوجد عندهم تبييض ملفات ، كما نسمع بتبييض السجون .. كل مقالة نشرتها لي الصحف حتى خارج البلد مصورة وموضوعة في الملف ، وأنني أهاجم فيها الحاكم والوزارة والأمن والشعب النائم .. علاقة سيئة بيني وبينهم هذه دول تحارب الدين رغم أنها تتدعي أن دينها الإسلام ..أي إسلام ؟ لا أدري ! هل نعود لتعداد مساوئ حكومات الدول الإسلامية وبما فيها العربية ؟!

قال أحدهم : الرحيل يا مهدي خطأ كبير!

قال مهدي بحدة : سأعود .. هل سأقضي العمر في ألمانيا ؟.. ألم يرحل الصحابة للحبشة مرة ومرتين ؟!

قال نمر بحزن وألم : هذا موقف شديد السلبية منك يا أبا عبد الرحمن .. نحن نصحنا لك كل النصح .. وبقاؤك في البلد خير لك ولأهلك ولأولادك .. هنا تجد القريب والأب والأم والأخ والعم والخال .

قال آخر وبنغمة آسفة أيضا : نحن يعز علينا فراقك .. فقد صحبناك منذ أيام الجامعة والهندسة ونحن لما أخبرتنا بأنك شبعت غربة فرحنا ، وقلنا ستعود أيام الشباب والنشاط .. أيام توزيع المنشورات وقيادة المظاهرات والاحتجاجات .

ـ أنتم تعلمون أن وجودي في الحزب اليوم شكليٌ .

ضحكوا وقال أحدهم : حتى لو شطبوا اسمك من قائمة الأعضاء .. ستبقى ابن الجماعة ابن الإسلام .

فقال مهدي وقد شربوا القهوة بعد تناول الغداء :

يا قوم ! " قطعت جهيزة قول كل خطيب " فتأشيرات الدخول لألمانيا جاهزة وتذاكر السفر قد هيئت .. دعوني أعيش هذه التجربة الجديدة دعوا الحاج مروان أبا محمد ينام بهدوء ويرحل بسلام ورحمة من الله .. كلما أخرج من توقيف واستجواب وأذهب للسلام عليه يتمزق قلبي حزنا وبكاء .. أرجو أن لا تطول الغيبة .

ـ شيء مؤلم يا مهدي.. نحن بذلنا كل الجهد في ثنيك عن الهجرة إلى أوروبا التي قهرتنا بجيوشها واستعمارها .. وها هي اليوم تستقبل شبابنا ورجالنا وعلماءنا ومهندسينا ومفكرينا بكل صدر رحب .. يا للعجب كم نحب من استعبدنا ؟! يبدو بأنك بدأت تحلم مثل الكثير بالحصول على الجنسية الغربية .

تبسم مهدي وقال : وهل الجنسية الغربية تحمي الناس؟.. إنها تحمي ذوي الأصول الأوربية أما نحن فلا .. صدقوا هذا!

ثم غرق مهدي فجأة في الضحك المرتفع حتى دهش الأصحاب من ضحكته فقال لهم : جن مهدي ، قولوا ذلك ، لا حرج عليكم !



وفي مساء الأحد المذكور التقى الأب بابنته فوز وزوجها مهدي لأول مرة ، منذ رأى رجال المخابرات يقبضون عليه في يوم فرحه وزواجه من ابنته ، وعانق الجد حفيديه عبد الرحمن وأحمد وأظهر فرحه برؤيتهما ، ودفع لكل واحد منهما شيكا بقيمة عشرة آلاف دولار أمريكيا، وأمضى الوالد ساعة من الزمن مع صهره وابنته، ولم يتكلم معه في مشاكله وهمومه ؛ ولكن مضى الحديث بينهم عن الحياة في أوروبا ، وتمتع الناس هناك بحقوقهم المدنية الكاملة ، ومدى احترامهم للقوانين والأنظمة التي صنعتها الأجيال .. ثم غادر مهدي وأسرته قافلين لبيتهم .

وكان الأب أثناء المغادرة قد أعطى ابنته شيكا بمبلغ كبير من المال، وأعطاها بضعة عناوين يمكنها الاتصال بها هناك لمساعدتهم في حياتهم في ألمانيا.

ولما تهيأت الأمور للسفر أصاب مهديا اكتئاب ، وتردد في الرحيل ، وقد فكر كثيرا بإلغاء الرحيل ؛ ولكنه كلما يهم باتخاذ هذا القرار يتذكر جلد الجلاد ، وصفع الجنود ، والبصق على وجهه ، وصور الإذلال المختلفة التي يتعرض لهم المعتقل في سراديب الأمن السري ، وإنه لا فائدة من البقاء هنا ، في هذا الوقت عزم على الرحيل ..إنه يتذكر ، كلما يرتكب متدين عملا أو شغبا يعتقل مهدي مروان ؛ فكأنه مسئول عنه ، وما زاد الطين بلة في نظره تفتت وتصارع الأحزاب الإسلامية مع بعضها

البعض .. فغادر بطلي قصتنا هذه أرض الوطن إلى أرض الغرب يلتمسان الهدوء والسكينة وراحة البال .. فبلادهم لا إسلام يمارس فيها ، ولا علمانية الغرب تطبق فيها .. نظام حسب الهوى والمزاج .. وفي ألمانيا استقرت الأسرة المهاجرة حتى تتحسن الظروف والأحوال في الوطن ، فلعلهما يعودان إليه مرة أخرى .. وذلك علمه عند رب العالمين . انتهت رواية ليلة عرس

" تمت بحمد الله "

قصص وحكايات الفوارس



الحلقة ٣ والاخيرة

الملك حسان

ومضت مركب القوم تجوب عباب البحر يمينا ويسارا ، وصمدت أمام الرياح والعواصف حتى ألقت بها موجة كبيرة في رمال جزيرة خضراء ، ولكنهم خافوا أن تكون الجزيرة مسكونة بالأشرار ويحدث لهم ما حدث معهم سابقا ، فمع بزوغ الفجر دفعوا المركب حيث الماء، وما كادوا يبتعدون حتى لمحوا أناسا يركضون نحوهم ويصرخون عليهم ، فلم يهتموا بهم ومضوا يقطعون المياه قطعا ، وقد ساعدتهم الريح بالابتعاد عن الجزيرة ، ولكنها ألقت بهم مرة أخرى بجزيرة بوسط البحر ، وقد تحطمت المركب عندما اصطدمت بصخرة صلبة ضخمة ؛ ولكنهم سقطوا على الأعشاب الخضراء ، ولما أشرقت الشمس وجد حسان أحد الرجال ميتا ، وآخر مغمى عليه ، فقاموا بعلاجه ثم دفنوا الميت في الأرض ، ودفن صندوقه في مكان معلوم لديه ، وكان حسان يحمل الصندوق أثناء سير المركب على وسطه خوفا من ضياعه لطارئ ما وبينما هم منشغلون بلملمة جراحهم أحاط بهم رجال يحملون رماحا قصيرة ، وساقوهم لسيدهم ملك هذه الجزيرة وسيدها ، وكانوا محطمين متعبين من أثر الرضوض التي أصابتهم ولما وصلوا بهم للملك سر بهم وأعلن الاحتفال بمقدمهم ، وسمع لحكايتهم وحديثهم وأمر أعوانه بمعالجتهم وخدمتهم حتى يستردوا صحتهم وقوتهم ، وبعد حين من الزمان تم شفاؤهم شفاء تاما ، فاجتمع بهم الملك وطلب منهم قص حكايتهم مرة أخرى ، فلما سمعها ثانية فقال الملك لحسان العربي : أيها الشاب سأجعلك نائبا لي تحكم هؤلاء القوم .. سأقوم برحلة تستغرق وقتا طويلا .. فعليك أن تحسن الحكم وتعدل بينهم حتى أعود .. وإياك والهرب ، وسآخذ بعض أصدقائك معي .

اعلم ملك الجزيرة شعب الجزيرة بأنه جعل حسان

نائبا له ريثما يعود وعليهم بطاعته ؛ لأنه سيزور ابن عم له في جزيرة أخرى ، فأصبح حسان السيد المطلق في الجزيرة حتى يؤوب الملك من زيارة ابن عمه ، سافر الملك وحمل في مركبه عددا من أصحاب حسان الصينيين ، عند الفجر وحسان يصلي الفجر سمع صراخا أمام القصر ، فلما أنهى الصلاة نظر من غرفته إلى الصراخ ، ثم أمر حارس الباب بإدخال الناس عليه ، ودخل معهم رئيس الحرس فقال له حسان : ما هذا الصراخ أيها الرجل ؟! ..

فقال رئيس الحرس : مولاي الملك ! .. امرأة تقول أن زوجها قتل .. وتريد محادثتك .. فذكرنا لها أن الملك نائم ومع شروق الشمس نأذن لك بالدخول .. فأخذت بالبكاء والصراخ..

فتبسم حسان لقول الحارس له " مولاي الملك " فخاطب نفسه متهكما منها " هل يعقل أن أكون ملكا ؟ ولماذا لا أجرب الملك يوما ؟!

ثم أجاب رئيس الحرس قائلا : أيها الرجل .. في كل وقت ليلا ونهارا ادخل من يريد مقابلتي ولا تؤخرهم البتة .. دعها تدخل .

وقفت المرأة الباكية بين يدي الملك الجديد أو نائب الملك فصاحت:مولاي الملك قتل زوجي !

فقال لها بهدوء : اهدئي واذكري قصتك وشكايتك بالتفصيل .. ومن قتل زوجك ؟

مسحت دموعها وقالت : أبناء عمه .. جاءوا الليلة الماضية إليه وقتلوه .

فقال حسان : ولماذا قتلوه ؟!

فقالت : قتلوه لأنه رفض أن يقرضهم من ماله فتشاجروا فذبحوه حتى الموت ..

فقال حسان مخاطبا رئيس حرسه : حسنا أيتها المرأة ، يا رئيس الحرس أحضر لي أبناء عم زوج هذه المرأة .

فقال رئيس الحرس : أنا ابن عم زوج هذه المرأة .

فقال حسان بدهشة : آنت ابن عم زوجها؟ .. أسمعت ما قالت ؟!

رد الحرسي فقال : نعم .. يا مولاي سمعتها وهي صادقة فيما قالت ، تشاجر زوجها معنا فقمنا بذبحه لأنه لم يقرضنا مالا .

فقال حسان : أكنت معهم ؟ قال : نعم .

فقال حسان : وتركت حراسة القصر وذهبت لتشارك في قتل زوجها ؟

فقال الحرسي : مولاي .. ذهبت لأساعدهم في الحصول على القرض ، ثم تشاجروا ولو لم يقتلوه لقتلهم .

فنهض حسان وتمشى في الغرفة قليلا ثم قال : أريد أن أرى جثة القتيل .. هيا بنا أيتها المرأة إلى بيتك.

وانطلقوا إلى بيت المرأة فلم يجدوا جثة القتيل ، فسأل الجيران عنها فقالوا : ألقيناها في البحر

كالعادة .
فدار حسان حول كوخ المرأة وتفحص الأرض ثم قال لرئيس الحرس ومن معه من الحرس : ما حكم القاتل عندكم ؟
فقال أحدهم : القاتل يقتل .
فقال حسان : يا رئيس الحرس احضر لي أبناء عمك الذين شاركوا في قتل زوج هذه المرأة ، وائتوني إلى القصر لأنظر في الأمر عجل بذلك ولا تتأخر .
وبعد ساعة من الزمن كان أهل البلد يتجمعون أمام القصر ، وحضر الرئيس وأقاربه أمام الملك الجديد، وسألهم عن سبب قتلهم لابن عمهم ، فذكروا ما ذكر رئيس الحرس فقال حسان : أعندكم قضاة ؟
فقالوا : لا .. الملك هو السيد المطلق يقضي ويحكم ويزوج وكل الأمور بيديه .
فقال حسان : أيها السادة .. أعندكم سجن ؟
قالوا : نعم . فقال : اسجنوا المرأة في السجن حتى يعود الملك الكبير ويقضي في قضيتكم .. وكذلك اسجنوا رئيس الحرس وأبناء عمه حتى يعود سيدكم فقد قضيت بينكم .
فقام الحرس باعتقال رئيس الحرس وأبناء عمه ووضعوهم في السجن، ووضعت المرأة في سجن خاص ، واشتغل حسان بقضايا الناس وحل مشاكلهم ومشاجراتهم والمشاركة في تزويجهم ، وفكره مشغول بالهرب والنجاة من هذه الجزيرة ، فلا يجد فرصة فالعيون عليه ، ولا سفينة نزلت بهذه الجزيرة منذ أن تحطمت سفينتهم على شواطئها ، واستمر في الحكم على مضض ، وقد طالت غيبة الملك ، فآتاه أهل البلد وطلبوا منه العفو عن السجناء كما أفرج عن المرأة .
فقال لهم : أنا لم اعف عن المرأة .. إنما أخرجتها من السجن حتى يعود الملك ويرى فيها رأيه .. وعلى كل حال سأطلق سراحهم حتى يأتي ملككم .
وسمع صراخ على باب القصر فسأل عنه ، فقيل له أن سفينة جنحت على الجزيرة ، فأصدر أمره لهم بعدم التعرض لها بسوء، وخرج بنفسه لمشاهدة السفينة، وكان الناس قد أحاطوا بركاب السفينة وهم يحملون رماحهم وعصيهم ، وأولئك خائفون منهم ، ثم سمعهم يصيحون ويصرخون : جاء الملك .. جاء الملك !!
فقال في نفسه " ويحي هل أصلح أن أكون ملكا ؟"
افسحوا له الطريق فنزل عن الجواد ، ثم قال مخاطبا الناس : ابتعدوا عودوا لعملكم وليبق الحرس فقط ثم قال : من ربان السفينة ؟ .. لا تخافوا أيها البشر نحن بشر مثلكم !
فتقدم رجل غليظ وقصير البدن وقال : أنا صاحب

هذه السفينة يا سيدي الملك .
فقال حسان : من أي البلاد أنت قادم ؟!
فقال : من بصرة العراق .
خفق فؤاد حسان وصاح : من البصرة ؟!
فقال الرجل : أتعرفها أيها الملك ؟!
فقال حسان وهو يتراءى البصرة والأميرة البصرية : نعم أعرفها أيها السيد ..أأنت بصري ؟
فقال الرجل : أنا من أهلها ؟
فقال حسان : وهؤلاء ؟
فرد الربان قائلا : هؤلاء مسافرون إلى الهند ..ثلاثون رجلا وامرأتان .. دفعت بنا عاصفة ورياح قوية للجنوح إلى هذه الجزيرة .
فقال حسان : أيها القوم أنا نائب ملك هذه الجزيرة .. وإنني أرحب بكم في قصر الملك أم تحبون الرحيل ؟ ولكني راغب بالحديث معك أيها البصري .. فمر بحارتك بإصلاح الأشرعة والاعطاب حتى أسمع منك أخبار البصرة ؟
وأمر الملك الحرس بالعودة إلى القصر، ثم أخذ البحارة بإصلاح الأشرعة والصواري ، وسار حسان بالبصري حتى ابتعدا عن الجميع ثم قال: حدثني عن البصرة وكيف هي ؟
فرد البحار : بخير .. هل تريد أن تعرف أخبار شخص ما ؟!
فقال حسان : أتعرف جعفر الموج ؟
فصاح الرجل بفرح وتهليل : ومن لا يعرف التاجر جعفرا ؟
فقال حسان: هو صديقي .. وهل تعرف أميرة البصرة بدور ابنة والي وأمير البصرة ؟
فكان البحار في دهشة فقال : لكأنك بصري أيها الشاب ..ومن لا يعرف تلك الأميرة يا سيدي ؟
فقال حسان : ما أخبارها ؟ هل تزوجت أم ما زالت تطلب الطير الذهبي مهرا لها ؟
فصاح الرجل من جديد : إنك تعرف البصرة وقصصها أكثر مني أيها الملك .. هذا ما تشترطه تلك الأميرة على من يريد الاقتران بها ؛ ولكنها اليوم قد تركت البصرة وذهبت من سنتين أو أكثر ..
ارتفع خفقان فؤاد العاشق وقال : ذهبت إلى أين ؟!
فقال الربان : ألك بها معرفة يا سيدي ؟
فقال حسان بشوق : أعرفها جيدا وجلست معها وسمعت حديثها .
ثم قال: والآن لا تقلق . قل لي ما أخبارها ؟.. لتسافروا قبل عودة الملك وتتعرضوا للأذى؟
فقال البحار البصري : هذه المرأة قد مات والدها الوالي منذ سنوات فعين ملك بغداد عاملا جديدا مكانه فغادرت وهاجرت إلى بغداد .. وقد سمعنا أن أحوالها قد تغيرت منذ قدم شاب مصري من

مصر وطلبها من أبيها ، وكعادتهم أرسلوه ليأتي لهم بالطير الذهبي من بلاد الصين وسافر ولم يعد بعد .. وقالوا إن الأميرة بعد سفره ندمت وإنها وقعت في هواه ، فبحثت عنه لتتزوجه من غير قيد أو شرط ولكن المصري أسرع بالسفر .. وبعدما مات والدها نزلت وأهلها بغداد وانقطعت أخبارها عن البصرة ؛ ولكننا سمعنا أن أحد أبناء الوزراء أو الأمراء تزوجها والآن قل لي ما علاقتك بهذه الحسناء ؟

بلع حسان ريقه ثم قال للربان : جزاك الله خيرا .. أنا الشاب المصري الذي رحل للصين لجلب العصفور الذهبي ..وقد تيسر لي جلب هذا الطير ولكن المركب تحطمت ورمتنا على هذه الجزيرة وقص عليه بعض قصته ثم قال : ولكن قدر الله كان مقدورا .. فإن عدت للبصرة فسلم لي على سيدي الشيخ جعفر وأخبره أن حسان المصري يهديه أفضل السلام .. وأسرع بالرحيل عن الجزيرة قبل عودة الملك ..ولو كنتم ذاهبين للبصرة لرافقتكم وهربت معكم .. عاد حسان للقصر بعدما ركب الركاب وانطلقوا في البحر ، ودخل حسان القصر حزينا لا أحد يستطيع الحديث معه ، فدخل غرفته وأخذ بالبكاء حتى سمع بكائه كل من في القصر ، وهم لا يعرفون سبب بكائه إلا أنهم رأوا ذلك بعدما جلس مع ركاب السفينة ، ثم قال مواسيا لنفسه : لي أكثر من خمس سنوات مفارق للبصرة ، وقد اتفقنا على سنتين وقد مضت السنتان ، فهي معذورة إذا نكحت رجلا غيري ؛ وإن قدر الله لي رؤيتها سأهبها الطير ، وأبارك لها في زوجها ، والحمد لله على كل حال .

عاد الملك بعد رحلة طويلة ، فخرج الناس لاستقباله وعلى رأسهم حسان ، وبعدما وصل الملك لقصره ، وجلس على كرسيه ، فأخبره حسان عن أحوال الجزيرة، وحدثه بما جرى منذ غيابه ، وذكر له قصة القتيل ورئيس الحرس ، وتجاهل قصة السفينة البصرية التي جنحت على ساحل الجزيرة ؛ ولكن الملك علم بها ، وسأل حسان عنها، ولماذا لم يسترقوا رجالها ؟ فرد عليه حسان بغيظ : ألم أكن الملك ؟! فقد عفوت عنهم .

فصاح الملك قائلا : هذا ليس من حقك كان عليك أن تحتجزهم حتى أعود .

فرد حسان بتحد : أشفقت عليهم .

فصاح الملك من جديد : نحن قلوبنا لا تعرف الشفقة على الأغراب .. هذا خطأ كبير وستعاقب عليه .. ولقد فتكت بأصحابك

الصينيين الذين رافقوني في رحلتي .

فصاح حسان بحدة : ولماذا ؟!

فرد الملك بتعجرف : لقد أغضبوني فطعنتهم بخنجري هذا فماتوا ..

خطف حسان الخنجر منه وطعنه به فأرداه قتيلا، وقتل من تمرد من أعوانه، وأعلن نفسه ملكا على البلاد ، وكان حسان قد استمال رجالا من الحرس قبل عودة الملك ، وكان قد استعد لمثل هذا اليوم ، وخضعت له الجزيرة ، فوهب رجاله المال والنساء ، وكان قد استمال كثيرا من الغرباء للوقوف معه ، وبعدما هدأت عاصفة مقتل ملك الجزيرة ، وقد نجح حسان في السيطرة على الجزيرة ، واستولى على مركب الملك ، وجهزها للرحيل ، واستعد من ظل حيا من البحارة الصينيين للرحيل معه ،



وأعلن في اجتماع عام لأهل الجزيرة برغبته في الرحيل وهجر الجزيرة ، وأعلن أيضا أن كل شخص يريد السفر وترك الجزيرة فليستعد لذلك ؛ فكل الغرباء ابدوا رغبتهم بالرحيل معه وترك هذا المكان ، فعين لهم ملكا جديدا ممن ساعدوه في السيطرة على الجزيرة ، وكان حسان قد نشر تعاليم الإسلام التي يعرفها بينهم ، فعلمهم الصلاة والصيام وبعض سور القران ، ثم ودعهم وداعا حارا خاصة الذين أحبوه وأحبهم ، فتركهم يعبدون الله ويحبون الدين الجديد ، وسافر على دموعهم الحارة على فراقه ، وأوصى ملكهم الجديد على إكرام كل مركب أو سفينة تنزل بلادهم، وحثه ورغبه على عدم ظلم الرعية والإحسان للجميع الذكر والأنثى والصغير والكبير .

وطارت بهم السفينة بين أمواج البحر الهائلة ، وكان حسان قد استخرج صندوقه الدفين صندوق الزجاج ، واستمرت الرحلة عشرة أيام بدون مشاكل وعواصف أو نقص بالماء والطعام حتى رسوا على شاطئ مدينة ساحلية ، فوجدوا أن أهلها مسلمون ففرحوا بذلك فابتاعوا طعاما ، ولم يمسهم أحد بسوء ، وسألوا عن طريق البصرة ، ثم استأجروا ربانا ومساعديه ليستطيع أن يقودهم للبصرة وسواحل الخليج وقال لهم حسان : دلونا على العراق سالمين ولكم هذه السفينة جزاء وفاقا وكان بعض الغرباء نزلوا المدينة وتركوا أهل السفينة ، وبعدما تزود أهل السفينة بالقوت والماء الطيب دخلوا عرض البحر متجهين للعراق عن طريق الخليج العربي ، وكانت السفن في ذلك الزمان تعتمد في قطع الأميال على قوة الرياح واتجاهها ، وبالطبع البحر كثير العواصف

والأخطار وارتفاع الأمواج ، فخاضت سفينة حسان عواصف هوجاء ، واصطدمت بسفينة في عرض البحر ؛ ولكنها لم تتعرض للانشطار ؛ وإنما اتخذوا قرارا بالهبوط في أقرب مكان لمعالجتها وإصلاح الأضرار التي لحقت بها جراء الصدمة ، فاقتربوا من أحد السواحل ، فقام الربان ومساعدوه بتصليح العطب الذي أصابها ، ولما تم لهم ذلك عادوا إلى جوف البحر يواصلون الرحلة إلى سواحل الخليج التي لم يبق للوصول إليها سوى بضعة أسابيع وشاء القدر أن يضرب البحر إعصارا ، فاندفعت السفينة إلى وسط البحر الكبير وارتفع الدعاء والاستغفار والتوبة للواحد القهار ، ونجت السفينة بفضل الله من الدمار ؛ ولكنها رست في وسط جزيرة بحرية كثيرة الثمار ، فهبطوا إلى الأرض لشكر الملك الجبار ، واتفقوا على البقاء فيها حتى تخف حدة الإعصار ويستطيعون غوص البحار ، وكانت الجزيرة جميلة وكثيرة الخضرة والأزهار والأشجار ، وكالعادة دفن حسان صندوقه الزجاجي خفية عن الركاب ، وقام الركاب بالتفرج على الجزيرة بالقرب من السفينة ، فشاهدوا الأطيار الكثيرة والغريبة الأشكال والأصوات ، وتمتعوا بأكل الفواكه والطيبات ؛ ولكنهم فجأة سمعوا زئير سبع الغاب ، فتراكضوا إلى السفينة قبل ظهوره مسرعين خائفين

، وتسلق حسان إحدى الأشجار فأحاطت به الوحوش من كل مكان ، فاستغفر الرحمن وطلب النجدة والعون على نوائب الأيام من رب الكون الحكيم العلام ، وأمضى ليله بين أغصان الأشجار، ولما أشرقت الشمس أخذت تلك الحيوانات تنسحب من حول السفينة والأشجار إلا سبعا واحدا نام تحت شجرة حسان ولم يتحرك كباقي القطعان ، فأسقط عليه ثمرة فزمجر زمجرة تردد صداها في كل الجزيرة ، فكرر الرمي لعله ينصرف ، فابتعد وهو حانق على هذا الجاني ، ومشى حسان بين الأشجار والأغصان حذرا من غدر ذلك السبع حتى وصل إلى القوم المتحصنين في السفينة ، وذهب حيث الصندوق الزجاجي وأخرجه بقلق وتوتر وقفز بسرعة إلى الماء ، وقد شعر به ذلك السبع فانقض عليه؛ ولكن بعد فوات الأوان ، وحسان قد غطس في الماء ، فنجا من بين براثن الأسد وإلا لتغذى عليه وافترسه ، وانتشل البحارة حسان وإلى المركب رفعوه ، وفكوا الحبال فعادت السفينة للبحر ، ووقفت الوحوش تنظر إليهم من أطراف الماء ؛ كأنها مودعة لهم أو نادمة على أنها لم تكسب ضحية منهم، وابتعدوا عن الوحوش الضارية التي تملا هذه الجزيرة ، وحسان يعجب لقدرة القادر وخالق هذه الأكوان ، ففي بعض الجزر يتعرضون لخطر بني الإنسان، وأخرى يأتي

الخطر من الحيوان، وسارت السفينة بهدوء لسكون الإعصار ، وسعدوا وفرحوا عندما دخلوا الخليج ، ونزلوا على أحد الموانى للتزود بالقوت والماء الصالح للشرب ، وبعد حين ركب من ركب معهم إلى العراق ، وبعد أيام كان حسان في الميناء القريب من مدينة البصرة فخر ساجدا حامدا للرحمن على عودته لهذه المدينة العربية سالما بعد بضع سنوات، وودع القوم ودفع المركب للربان وزبانيته، واستأجر حمارا إلى البصرة وإلى سوق التجار ، وهو في شوق ليرى صديقه جعفر الموج ، وكم سر ذاك عندما رآه حيا يجلس في باب الدكان ! فسلم عليه سلام الأحباب بعد طول غياب فقال جعفر الموج : والله هذا الصوت ليس غريبا عني .. من ؟ حسان المصري ! .

وتعانق الرجلان واحتضنه حسان ورحب جعفر به وقال : الله أكبر ! أما زلت على قيد الحيات؟!.. لقد قطعنا الأمل منذ سنوات .. ألف ألف الحمد لله على السلامة .

بكى حسان وقال : جئت إليك مسرعا من البحر، وكلي شوق إليكم ، لي أكثر من خمس سنوات مضت في البحار والقفار والأمصار .

فقال جعفر ورنة الحزن في صوته : أهلا وسهلا .. فلنذهب إلى البيت وتستريح ثم نسمع منك كل الأخبار .

وأخذه معه للبيت ، وأدخله الحمام فأزال أدران السفر وتناولا الطعام ، وسمح له بالنوم حتى يرتاح من وعثاء السفر ، وفي ثاني الأيام كان الشيخ جعفر الموج يستمع لأخباره الغريبة في رحلته البعيدة ، وعندما وصل الكلام للطير الذهبي أراد أن يخرجه من صندوقه الزجاجي فلم يجده فصاح : سرق العصفور يا سيدي جعفر أعندك جواد ؟

فقال جعفر : ما الأمر ؟!

فقال حسان : أريد أن أصل البحر عاجلا قبل فوات الأوان .

أعطاه جعفر جواده فأسرع عليه حيث تتجمع السفن وبحث عن سفينته، فلم يجدها فقد قالوا له إنها تحركت قبل قليل .. فاستأجر قاربا ولحق بالسفينة وبعد ساعات كان يصعد عليها فدهش الربان لما رآه وقال: ما الذي حدث يا سيدي حسان ؟

فقال له : من أجل خاطري ارجع للبصرة فورا لأمر مهم.. لقد سرق مني العصفور الذي دفعت سنوات من عمري للإتيان به أرجوك أسرع .

أمر الربان مساعديه بإدارة دفة السفينة للبصرة ثانية ، وبعد ساعات كانوا يرسون مرة أخرى في ميناء البصرة ، فقال حسان لركاب السفينة : يا قوم من أخذ منكم العصفور من الصندوق الزجاجي ؟ لا أحد .. هل نزل أحد منكم غيري البصرة ؟

فقال القبطان : رجلان فقط .

فقال حسان : أيها القوم أنا مستعد أن ادفع عشرة آلاف درهم ثمن العصفور .. من يعرف عنه شيئا فليتكلم ؟

فقال أحد مساعدي القبطان : أنا رأيت العصفور ـ وأشار لأحد الرجال ـ مع الرجل القصير وظننته له .

فتقدم منه حسان وقبض على عنقه بعنف وقال : ماذا فعلت بالعصفور ؟

فقال الرجل وهو يرتجف: دعني سأقول لك دعني أشم الهواء.. لقد حيرتني بصندوقك منذ أن خرجنا من الجزيرة التي كنت ملكا عليها وأنت حريص على الصندوق ، كاد الأسد يفترسك من أجل الصندوق فوقع في نفسي أخذه ، وعندما وصلنا البصرة استغفلتك وأخرجت العصفور من صندوقه الزجاجي فوجدته قطعة من الذهب ، ولكن بعد انصرافك نطق العصفور ، فخفت منه وظننت أن في داخله شيطان ، وشاهده أحد الرجلين الذين نزلا البصرة فبعته له .

فقال حسان: انزل لنبحث عنه .. وأنت يا صاحب السفينة لا تتحرك قبل أن أجد العصفور .. فانزلوا في أي خان على نفقتي الخاصة ولما أودعكم سأحدثكم بقصة هذا العصفور .

فقال القبطان : عليك بتجار الذهب يا ريس حسان .

حسان يعرف صورة الرجلين ولكن أمر البحث عنهما في مدينة كبيرة كالبصرة ليس أمرا هينا ، وتمنى لو أن الأميرة بدور ظلت أميرة في البصرة لاستعان برجال الشرطة في البحث عنه ؛ ولكنه قال في نفسه : سأعتمد على الله الفرد الصمد .

وذهب يسأل عند باعة الذهب والجواهر، ولم يطل البحث فقد وجد ضالته عند أحد الجوهريين ووجد أن الرجل قد باعه لهم بخمسمائة درهم ، وكان الرجل قد اشتراه من الرجل السارق بخمسين درهم ، والأعجب من ذلك أن الصائغ الجوهري كان في خوف من الطير ، وظنه طيرا مسحورا بداخله عفريتا من الجن ، فقال حسان : هو ما تقول ، ولن أكثر معك الكلام سأعطيك سبعمائة درهم .

فوافق الرجل الصائغ على الفور ، وأخرج الطير وأعطاه لحسان ، وقبض المبلغ ، وعاد حسان للميناء وشكر ربان السفينة وصفح عن السارق ، واختصر له حكاية الطير، وودعهم ، وعاد لدكان جعفر الذي كان في انتظاره على أحر من الجمر، فابتسم له حسان وأخبره بما فعل ، وأن الله رد عليه عصفوره الذي أضاع سنوات من العمر من أجله ، وأمسك الشيخ جعفر بالطير ، وقلبه أكثر من مرة ، فهو عصفور مصنوع من الذهب والفضة ، وكان

فمه مفتوحا ورأسه يتحرك ، فقال لحسان: أهذا هو الطير الذهبي الذي كانت الأميرة بدور ترغب بتملكه ؟! .. ما عليه من الذهب لا أظن أنه يعادل مائة درهم ؛ لأنه مخلوط بالفضة.. وربما النحاس أيضا .

وبينما جعفر مسترسل في الكلام والتعليق على العصفور ضحك العصفور وهو بين يديه فطرحه أرضا ، فقد جفل منه ، ثم بكى الطير ، فتناوله حسان وهو يضحك ، فأخذ العصفور بالصفير المحزن .. وكان جعفر يقول : أعفريت بداخله ؟! وكأن الحزن خيم على الوجوه على بكاء طفل مصاب ، فتعجب جعفر لهذا الطير، وروى حسان حكايته من جديد حتى تمنى جعفر أن يكون هذا العصفور ملكه ، فقال جعفر : إنك بطل يا حسان!.. فعلا بطل .. هل كانت الحسناء البصرية تعرف سر هذا الطائر ؟!

فرد حسان : لابد أنها تعرف ذلك .. فلقد ذكرت أنها قرأت عنه .. ولكن ما أخبارها فلقد علمت أن والدها هلك ورحلت لبغداد دار السلام .

فقال جعفر بحزن وتأثر: هذا الكلام نتحدث فيه في البيت ، اركب حصانك وأنا خلفك وأوصى جعفر الموج غلمانه وأولاده على العمل ، وهناك في البيت دار الحديث بينهم عن رحلة حسان لتلك البلاد ، وكان جعفر يبدي إعجابه بحسان عند كل قصة يسمعها ثم قال : إن رعاية الله كانت معك وترعاك فهذه دعوات والديك ورضاهما عنك .. أصبحت تدعى الملك حسان في تلك الجزيرة .. وتركت الملك باختيارك .. أهذا من أجل الحب والعشق ؟

فقال حسان: تركت كرسي مملكتي بعدما عرفت بأخبار بدور المحزنة التي سأسمعها منك ثانية ومفصلة .

فقال جعفر : أهنئك مرة أخرى بعودتك سالما ظافرا .. وحمدا لله على سلامتك .. إنها حكاية تستحق أن يسمعها الخليفة وأن تكتب بماء الذهب .. أما بدور الأميرة فبعد رحيلك أرسلت جاريتها لتراك مرة أخرى وتجتمع بك ثانية ؛ ولكنك كما تعلم أسرعت بالرحيل ، وكانت كلما تدخل السوق يوم الجمعة تجلس عندي بضع دقائق وتقول بأسف وندم " يا عم جعفر .. عشقت ذاك الشاب ، وأسفت عن عدم تراجعي عن طلبي ، وندمت على فقده " وتنصرف ، وأقول لك إنها كانت صادقة ، فكانت كلما تراني تذكر لي ندمها وشوقها ، وتتمنى أن تعود لها ؛ ولكن إرادة الله حكمت وغلبت لا مرد لها ، مضت الأيام وانتهت السنتان وما سمعنا بأخبارك فقلنا أصابك ما أصاب الذين سبقوك ، وانقطعت أخبارهم منذ فارقوا البصرة ، ثم فقدت والدها وعين أمير

جديدا للمدينة ، فهاجرت هي واخوتها إلى بغداد ، وكلما كانت تزور البصرة تزورني ؛ ولكن لها أكثر من سنتين ما جاءت البصرة ، وسمعنا أنها تزوجت من أبناء الأمراء في بغداد ؛ وهذا خبر صدقني غير مؤكد .. وبما أنك أتيت سالما يا ولدي سننزل بغداد سوية ونسأل عنها وعن أخبارها ؛ فإن كان لك نصيب فيها ستراها ، وإن لم يكن فلا حول ولا قوة إلا بالله .

فقال حسان : متى يكون السفر ؟

رد الشيخ جعفر : وقتما تشاء .

فقال حسان: بأقرب وقت يا سيدي جعفر وأعجله .

فقال جعفر: ابشر أيها الأخ العزيز مع أول قافلة ـ إن شاء الله ـ نرحل إلى دار الخليفة .. وأنت ضيف عندي حتى نرحل .

لقاء الأميرة بدور



رتب جعفر أموره وبعد يومين رافقا إحدى القوافل السائرة لبغداد ، وبعد أيام وصلاها بسلام ودون اعتراض ، فنزلوا على أبي ماجد الذي سعد للغاية برؤيتهم واستقبلهم كأعز الأصحاب وقد تذكر الفتى حسان ، وأتى ماجد مسرعا واعتنق صاحبه المصري ، وهو لا يصدق أنه يراه حيا يرزق ، وساقهم ماجد لبيته ، وقد أعد لهم وليمة عظيمة ، وكان القوم في شوق لسماع قصة حسان ، فترك الشيخ جعفر يسردها على مسامعهم بالتمام والكمال ، مما سحر الجميع ، وأدهش حسان نفسه حتى ظنه يتحدث عن بطل آخر ، فعقب قائلا : إنك حفظتها أكثر مني هذا يا سادة ما حصل لي من أجل هذا الطائر .

وأخرجه من صندوقه الزجاجي ليشاهدوه فلما قلبوه شمالا ويمينا ، فما كان في نظرهم سوى تحفة فنية ؛ ولكنهم لما سمعوا ضحكه وجموا بداية ثم ضحكوا ، ولما بكى دمعت العيون ، فلما أخذ بالصفير المحزن هجم على وجوههم الحزن ، وكانوا قد ظلوا ينتظرون وقته أي وقت صوته فعندئذ غيروا رأيهم بهذا الطير، وأقروا بأعجوبته وسحريته وقالوا : إنه تحفة نادرة تستحق أن تهدى لأمير المؤمنين لتبقى في القصور العامرة !

ثم جاء دور الحديث عن الأميرة كيف سيعرفون أخبارها ؟ وكيف يتصلون بها في هذه المدينة الكبرى عاصمة الدنيا ؟

فوعدهم ماجد ابن بغداد بأن يعرف أخبارها ، ويتحرى عنها وعن أسرتها ويعرف مصيرها وأين

تسكن فقال : هذا الأمر علينا أيها الأصدقاء الأفاضل .. فأنا سبب هذه القصة .. وأسأل الله أن أجمع بينكم ، ونرجو الله أن لا تكون قد تزوجت كما سمع والدنا جعفر.. فغيبة البطل حسان طالت وزادت عن موعد الاتفاق للأحوال التي مرت به أثناء الرحلة إلى الصين .. وقد مات والدها أثناء ذلك .. ففي خلال تلك السنوات تحدث أشياء وأشياء .

وقام ماجد بالسؤال عن أسرة الأميرة وأهلها وبعد حين جاء بالخبر اليقين ، فقد تبين لهم فعلا أن الأميرة بدورا قد تزوجت من أحد أبناء الأمراء ؛ ولكن حياتها الزوجية لم تطل وتم الطلاق بعد أقل من شهر ، وهي الآن نزيلة دمشق الشام مع أخيها الكبير الذي عين عاملا وأميرا على الشام منذ سنة من الزمان ، فودعهم حسان أحر الوداع ، وانتقل يسابق الريح إلى بلاد الشام ، وقد ارتحل معه صديقه ماجد ليساعده في الوصول إليها وليشهد نهاية القصة كما بدأت به ، وبعد أيام كانوا ينزلون دمشق مدينة بني أمية وحاضرة ملكهم أيام خلافتهم للعباد ، وكان دخولهم ليلا ، فقضيا ليلتها في خان ، وحسان مضطرب ومشدود الأعصاب وكله شوق وأحلام ، ولما سألوا عن الوالي الأمير فأخبروا بأنه خرج إلى الحجاز لأداء فريضة الحج ، وأخذ معه الكثير من أسرته ، ومنهم الأميرة بدور ، فما عليهما إلا الانتظار بضعة شهور ، ريثما يعودون من الديار المقدسة ، وما أطول الأيام كما تعلمون على أهل العشق والغرام !

وتعرف فارسنا على دمشق ومياهها وبساتينها ومساجدها وأهلها ، وفي ذات نهار بعدما عاد ماجد من العراق ؛ لأنه لما رأى الوقت طويلا نزل العراق ثم عاد ، فبينما هما يجلسان عند صديق لماجد من أصحاب الدكاكين الكبيرة والذين يبيعون الثياب الحريرية الجميلة ـ وكان الوقت ظهرا ـ دخلت الحانوت ثلاث من النسوة المتلفعات بمروطهن السوداء ، فاقتربت إحداهن من حسان وقالت بصوت غض واهن : أمصري أنت أيها الشاب ؟

نظر إليها الرجال الثلاثة وقال حسان : نعم يا أمة الله .. أتريدين مني شيئا ؟!

بكت المرأة حتى سمعوا بكائها ، فعجبوا لها ، وأخذت بهم الظنون هنا وهناك ، فأحضروا لها مقعدا وطلبوا منها الجلوس وقدموا لها الماء ، ولما هدأت قليلا ومن خلال دموعها سمعوها تقول مرة أخرى : اسمك حسان بن عبد الرحمن ؟

خفق قلب حسان بشدة فهمس : بدور الأميرة بدور ؟!

قالت بحياء وبكاء : نعم .

وفقدت الوعي فقد أغمي عليها تأثرا ، فقامت

النسوة اللواتي برفقتها بمعالجتها برش بعض الماء على وجهها ، ثم نقلوها إلى بيتها ، وجميع من رأى المشهد يعجب للذي حدث وقال ماجد : ألم يقولوا أنها ذهبت مع أخيها إلى الحج ؟!

فقال حسان بضعف وخوف : سوف نسأل الجارية .. مسكينة لقد أصبحت هزيلة يا ماجد .. إنني أتذكر أول مرة رأيتها فيها عندما رأيتها بسوق البصرة على سرج الجواد .

وبعد حين يسير أتت جارية تشكرهم وقالت لحسان : أين تسكن أيها المصري ؟

فذكر لها اسم الخان وسألها ماجد : ألم تذهب سيدتك للحج مع أخيها ؟

قالت : بلى ؛ ولكنها مرضت أثناء الطريق فأمر بعودتها ، وكانت قادمة لشراء بعض الثياب ، فلما دخلنا المكان التفتت ورأت هذا الشاب ـ وأشارت لحسان ـ فعرفته من أيام البصرة .

وانصرف ماجد وحسان وعادوا لصاحبهم الحانوتي ، وقص عليه ماجد بعض القصة وانصرفوا للخان بأمان الله ، وأما بدور فلما استيقظت وخف وجعها سألت جاريتها عن حسان فقالت الجارية : انصرف الرجلان منذ وقت فقد ذهبا للخان ، فنحن في الليل يا سيدتي الأميرة

فتساءلت الأميرة : هل هو حسان الذي أتانا في البصرة يا أميمة ؟ .. لقد عرفته بعد كل هذه السنوات .. الحمد لله أنه مازال حيا يرزق .. أريد أن أراه .. افعلي شيئا يا أميمة ؟

فردت الجارية على سيدتها : كيف أفعل ؟ في الصباح نرسل إليه أو نذهب إليه.. ها هو حبيب القلب قد ظهر يا سيدتي .

فقالت الأميرة بأسف : ليتني تزوجته من ذلك الزمن ؛ ولكن قدر الله وما شاء فعل .. فلنصبر حتى ينجلي هذا الليل الطويل.. كنت أحدق فيه وأنا غير مصدقة .. قلت إنه شبيه به شبها كاملا ولكني تجرأت ووجدتها فرصة سانحة عليّ أن أكسبها قبل أن يضيع ..

فقالت الجارية مقاطعة سيدتها : اطمئني سيدتي إنه هو قادم يبحث عنك ، فهم كانوا يرون أنك مع أخيك في الحج .. وهم في انتظار عودتك من الحج ..

فقالت بهوى وصبابة العشاق : أريد أن أراه الآن يا أميمة .. قلبي يهتز بقوة في صدري رغم مرور كل هذه السنوات الست .. آه .. آه . يا أميمة !

فقالت الجارية : الصبر طيب يا مولاتي ، وهو مفتاح كل ضيق وحل لكل مشكلة .. وما الصبح ببعيد ؟!

وبالطبع جفن حسان لم يعرف النوم في تلك الليلة .. لقد عادت به الذكريات إلى البصرة عندما وقف

ينتفض كالعصفور المبلول ينظر إليها من عتبة دكان جعفر الموج في سوق البصرة الكبير تذكر لقاءهما في بيت الشيخ جعفر .. ثم يوم طلبها للزواج ..

ولما استيقظ ماجد من نومه وجد صاحبه مصفر اللون محمر العينين ساهي الطرف فصاح به : وي كأنك لم تنم الليل ولم تذق طعمه ؟!

فقال حسان وهو ساهم الفكر: يا صديقي العزيز تجدد الأمل والأحلام .. واستيقظ العشق الذي بليت به من جديد .. هل يا ترى ـ يا ماجد ـ تمضي الأمور ميسرة وأتزوج فتاة الأحلام بدون عسر وعقبات ؟

فقال ماجد وهو يحاول تخفيف القلق عن صاحبه المصري : إن شاء الله ستتزوجها قبل أن تخرج من الشام ، وتذهبا سوية إلى أهلك الذين لابد أنهم يعتقدون أنك قد فقدت أو مت وقد اختفت أخبارك .. قم صلي الفجر ثم نم حتى الضحى .. لنذهب لزيارتها والاجتماع بها لعل أعصابك المشدودة وأحلامك تهدأ وتستقر .

ولما استيقظ حسان من نومه القلق كانت جارية بدور في الخان تتحدث معه لتخبره بشوق سيدتها الكبير له ورغبتها بلقائه خفية ، فتم الاتفاق أن يكون اللقاء في بيت من بيوت أصدقاء ماجد في الشام ، وكان ذلك اللقاء المنتظر فقد جاءت الجارية بسيدتها للبيت المذكور ، ومن ثم أتى حسان وماجد وصاحب ماجد وجلس حسان مع بدور وأميمة ، وجلس الرجلان في إيوان البيت في انتظار انتهاء اللقاء بين العاشقين بتدبير أمرهما ، فكان أول اللقاء دموعا ونحيبا بين الطرفين حتى أن ماجدا وصاحبه سمعا صوت البكاء والنشيج ، واعترفت الفتاة بشجاعة أمام الفتى بحبها له وبندمها على إرساله إلى الصين ، وقصت عليه أخبارها ، وقص عليها أهم أحداث رحلته بتأنٍ وإسهاب وأراها الطير الذهبي بكل وله وغرام وقال : هذا مهرك يا ابنة الأجواد .. عندما يأتي موعد كلامه ستسمعينه وتسرين به

رفضت وتمنعت بادئ الأمر أن تأخذه فقال لها : يا سيدة الحسن والجمال .. فقد يسر الله لي إحضاره وأن أعود بسلام .. فكيف سيكون الزواج ؟

فقالت : عندما يعود أخي أمير الشام وأهلي من رحلة الحج سأحدثهم بالأمر .. فهم يعلمون هذا الموضوع منذ أيام البصرة يا سيدي الفارس الجميل !

فقال : ما أطول الانتظار أيتها الأميرة الجميلة ! كيف سأصبر عن بعدك هذه الأيام أما من حل آخر ؟

فردت بشغف العاشقين المعروف : سأدبر الأمر مع أميمة .. وسأراك في كل وقت حتى يرجع أخي

من الحجاز والآن إلى اللقاء .
وخرجت مع جاريتها ، وأخذت العصفور في صندوقه الزجاجي لتسمعه، فقدم حسان وماجد الشكر الجزيل لصاحب البيت الذي تطوع بخدمتها ، وما بخل عليهما باللقاء والاجتماع .
سرت بدور من الطير الذهبي ، وأعجبت به كل العجب وقالت : إنه تحفة نادرة من تحف الزمان !
وقد عجب منه أهل البيت جميعهم عجبوا من الطير الصيني ، وقد حاولوا معرفة الطريق التي وصل فيها الطير للأميرة ، ومن أتاها به أم كيف اشترته ليحصلوا على مثله ؟
عاد الوالي من أرض الحجاز إلى دمشق الشام ، وبعد أن استراح من وعثاء السفر الطويل ، وقدم الناس وهنئوه على العودة سالما حاجا، مباركين له الحج ، أخبرته بدور بقصة الطير الذهبي وأرته إياه ، فأصابه العجب هو الآخر، وتذكر قصتها وأيامها في البصرة ، وذكرت له مجيء حسان بهذا الطير، وأنه الآن في دمشق في انتظاره ، فأرسل وراءه فأتاه حسان بأسرع من الطير ، فاستقبله الأمير وسمع لحكايته ، وبشره بتحقيق رغبته بالزواج من الأميرة بدور بدون معوقات وتم عقد الزواج سريعا ، وقد حضره السادة والأعيان ، وفرح حسان بزوجته الأميرة ابنة والي البصرة التي سمع بذكرها في مجلس بمصر ، فوافقت هوى في نفسه ، فشد رحله للعراق وخطبها بالبصرة وتزوجها بدمشق الشام ، وبعد شهر من الزمان أخبر حسان الأمير برغبته المسير لبلاده مصر والأوطان ؛ ليحظى برؤية الأم والأب والاخوة ، وليباركوا هذا الزواج بعد غياب طويل عنهم ، فما اعترض صاحب الشأن وأوصاه على الأميرة خيرا ، وأبان له أنها غريبة وبعيدة عن الأخ والعم والصديقة ، فتعهد له حسان بحسن المعاشرة والمحافظة عليها ، وذكره بقطعه المسافات والأميال ليحظى بقربها والزواج منها فلن يفرط فيها ، وسيكون لها الزوج والأخ والقريب ، ولن يحرمها من زيارة الشام ، ثم أوصى الأمير أخته على زوجها ومراعاة حقوقه الشرعية عليها ، وحثها على دوام المخابرة والاتصال ، وكان ماجد العراقي بعد زواج صاحبه المصري من الأميرة بدور قد عاد للعراق ليذكر لاخوته وأصحابه نهاية القصة ، وأن الفارس المصري تزوج من الأميرة ، وأنه يستعد للسفر لبلاده مصر في أسرع زمان .
وجهزهم الوالي بقافلة وحرس من جنده ليصلوا مصر بسلام ، فمروا بطريقهم على بيت المقدس ليصلوا بربوعه صلوات لرب السموات والأرض، وقد أمضوا في ربوعه أياما وساعات ، وفي غزة كان لهم مقال وقصة وأخبار ، فقد تعرضت الأميرة بدور للخطف والاغتيال ، وكما

قال الرواي : كانت الأميرة وجاريتها في بيت من بيوت غزة هاشم ، وذهب حسان للسوق مع الغلام الذي أهداه له أمير دمشق لشراء بعض الحاجات للبيت ، وكان الجند الذين رافقوا حسان قد عادوا عندما وصلوا بيت المقدس ، فقد رغب حسان أن يبعد عنهم الأنظار فوجود الجنود يلفت نظر الناس ، وبينما الأميرة والجارية في البيت دخل عليهن ثلاث نسوة متخفيات وسألن عن الأميرة بدور، فأدخلتهن الجارية على الأميرة بحسن ظن واطمئنان ، فطلبن منها الطير الذهبي بدون مماطلة ، فأنكرت الأميرة وجوده معها ، فهددها أحدهم بالموت والوبال ، فقد كان أحد النسوة الداخلات رجلا ، فدفع الأميرة فألقاها أرضا دون شفقة ورحمة ، وفتش البيت والمتاع هو والنساء اللواتي معه بأسرع من عفريت سليمان ، وهددها ثانية بالموت والخطف إذا لم يحصل على الطير الذهبي، ولما رأت الجارية الخطر المحدق بسيدتها ، وأنها قد تذبح دفعت إليه الطير ، فأخذوه وانصرفوا مسرعين مختفين عن الأميرة والمدينة ، ولما رجع حسان من السوق ووجد الأميرة أرضا تبكي والدماء تنزف منها وعلم القصة فقال : يا مولاتي لاتتأسفي على الطير ، وسيكون عندك قبل أن ننام .. اهتمي بسيدتك يا أميمة .. ولا تحاولي منعي من إحضاره يا ابنة الكرام .

دخل حسان على حاكم غزة هاشم وأخبره بما جرى لأخت أمير دمشق زوجته الأميرة بدور ، وطلب منه المساعدة في العثور على المجرمين قبل مغادرتهم غزة ، وبالفعل غضب الأمير لهذا الاعتداء السافر في مدينته ، وأمر الجند والشرطة بالبحث عن السفلة الأنذال ، وأصر على رئيس الشرطة إحضارهم قبل هبوط الظلام .. وسار حسان لباعة الذهب والجواهر ، وتحدث معهم بشأن الطائر ، فما وجد عندهم أي خبر عنه ، فعاد للبيت وسأل زوجته بعد أن حدثها بما فعل قائلا : ونحن في بيت المقدس هل سمع أحد صوت الطائر ؟

فقالت بدور: حدثت معي حكاية ونحن في بيت المقدس ، ولم أعطها الاهتمام الكافي .. وهي كما تذكر لما نزلنا بيت المقدس الشريف ، وعرفت بعض النساء أنني أخت والي دمشق ، فأخذن يترددن عليّ للسلام والحديث معي ، وفي ذات يوم وبينما نحن نسمع لصوت العصفور دخلت امرأة علينا فعجبت منه ومن صنعته وطلبته مني ولو بمائة ألف دينار ، فقلت لها بعض قصته ، وأنه ذكرى جليلة القدر عندي ، فأبت إلا أخذه ودفع ثمنه ، فاعتذرت لها بأدب وأنه ليس للبيع ولا للأهداء، فأكدت رغبتها العظيمة في امتلاكه ، فغضبت منها وطردتها ، فهددتني بالويل والهلاك

.. ولم أحب أن أذكر لك هذه القصة خوفا من الفتن والمشاكل .

فقال : أتعرفينها يا ابنة الاجواد ؟

فقالت وهي تنظر إلى أميمة : أتذكرين من هي يا أميمة ؟

فقالت: إنها زوجة من .. يا أميمة .. كما أذكر أنها زوجة أحد وجهاء المدينة .. لكني نسيت من هو زوجها .



فقال حسان : حسنا سنعود إلى بيت المقدس ، وسوف نغير من ملابسنا ، ونظهر الفقر وضعف الحال .. وذلك غدا صباحا ـ إن شاء الله ـ فهذه المرأة لابد أن لها يدا في الخطب ؛ لأن الذين جاءوك جاءوا من أجل العصفور .

غادر حسان غزة عائدا لبيت المقدس ، واستأجر مسكنا أنزل في زوجته والخدم ، وبدأ في السؤال عن المرأة المذكورة التي لم تكن الإ زوجة أخ حاكم بيت المقدس ، إنها زوجة سرحان فوضع حسان خطة للتأكد من أن لها علاقة بالعصفور أم لا، والخطة أن تذهب إليها أميمة خادمة بدور وتسألها مباشرة عن الطير وترى ما هو رد الفعل عندها عندما تفاجئها بالأمر .

فقالت بدور: إنها تعرف أميمة يا حسان .. ما رأيك أن تخبر الأمير زيدان حاكم المدينة المقدسة ؟

فقال : فكرت بذلك ؛ ولكني لا أريد أن أثير بين الاخوة أي مشكلة ، أريد أخذه بهدوء وكأن شيئا لم يحدث .. فأميمة عندما تتحدث مع المرأة قد تستطيع أن تحصل على شيء ما ثم أتصرف

ذهبت أميمة وزارت زوجة سرحان التي تفاجأت برؤيتها فعرفتها وارتبكت فقالت لها : ما الذي أرجعكم ؟!

فقالت أميمة : لقد تعرضت الأميرة للاغتيال ، وسرق منها الطير الذهبي الذي تعرفينه جيدا وقالوا إن السارق في بيت المقدس فعدنا .

فقالت المرأة : ومن قال ذلك ؟!

فردت الجارية : عرفاء الشرطة في غزة ، وسيأتون للأمير زيدان لمتابعة البحث عن اللصوص وعن عصفور الأميرة .

فقالت المرأة : وأين الأميرة ؟!

فقالت الجارية : بقيت في غزة بحماية أميرها ..وأتيت وسيدي للمساعدة في معرفة اللصوص لأنني رأيتهم يوم الحادثة .. وأنا التي دفعت إليهم بالطير ؛ ولأن سيدتي قد أصيبت بأذى منهم

وعادت الجارية لحسان وقصت عليه الحوار، فشكرها على حسن عملها وفطنتها وقال : من كلامك معها ومن ردة فعلها المرتبكة تدل على أن لها علاقة بالجريمة.. وسأفعل حيلة بسيطة تخدعها ونحصل على العصفور .

لبس حسان ثوبا يشبه ثياب حرس الأمير المقدسي ، وذهب لبيتها وطلب الحديث معها على أنه رسول من عند الأمير زيدان قائلا : أرسلني الأمير وقد عرف أنك أرسلت لصا وامرأتين لأخذ الطير وسرقته من الأميرة بدور البصرية أخت والي وأمير دمشق الشام ، وزوجها لا يرغب في الفضيحة وانتشار الأمر ، فأرسلي الطير معي بدون حرج .

فقالت للجندي بغضب وإنكار: قل لسيدك لا طير عندي وسأخبر زوجي بذلك

فرد الجندي بثبات : سيدتي .. الأميرة بدور أخت والي دمشق اتهمتك بذلك ، وأنك حاولت شراءه منها أثناء إقامتها ببيت المقدس ، فرفضت فهددتيها بالويل والهلاك ..والأمر إليك ؟

فضحكت الأميرة وقالت بسخرية: قل لسيدك أيها الجندي إنه لا طير عندي واتهامها باطل وافتراء .

خرج حسان مسرعا وعاد للبيت خائبا وهو يقول : الملعونة لا تفرط به .. حسنا سأفعل شيئا ما

طلب حسان من بدور أن تذهب بنفسها وتحاول معها لعلها تستسلم وتقر بجرمها ، ذهب الثلاثة في الصباح لبيت تلك المرأة ، ودخلت بدور وظل الاثنان في الخارج ينتظران خروجها ، وعندما دخلت قابلها رجل فلم يعرفها ؛ ولكن بدورا قد عرفته من صوته الرجل الذي تكلم معها وهددها بالقتل والموت ودفعها ، والذي تناول الطير من الجارية فقالت له بجرأة من جرأتها المعهودة : متى أتيت من غزة أيها الفارس ؟!

فقال وهو ينظر إليها : من أنت يا سيدتي ؟!

فقالت له : المرأة التي أخذت منها الطير عنوة .. قل لسيدتك الأميرة بدور تريدها فورا .

ارتبك العبد وخاف واضطرب وأسرع لسيدته ، وأسرعت بدور بالخروج واختفت من الشارع هي وزوجها والجارية ، وشاهدوا العبد من مكمنهم يركض في الشارع بحثا عنها وقالت لزوجها : هي السارقة .. وهذا العبد هو الذي دفعني وأخذ الطير .. عليك أن تخبر الأمير قبل فوات الوقت .

فقال : أمتاكدة من ذلك يا سيدتي ؟

قالت بأسف : نعم يا زوجي الحبيب .

ذهبوا لدار الأمارة واطلع حسان الأمير زيدان أمير بيت المقدس على ما حدث لزوجته في غزة من إهانة وضرب وسرقة الطير العجيب ، وكان الأمير زيدان منصفا وعادلا ولا تأخذه في الله لومة لائم ، فقال للأميرة : أواثقة أنت مما قال زوجك أيتها

الأميرة ؟
قالت : أقسم بالله العظيم على ما قلت ، وسيعترف العبد بدوره .. وأرجوك يا سيدي أن تعجل بالقبض عليه قبل أن يهرب .
طلب الأمير زيدان أخاه سرحان وزوجته وعبيدها لتراهم الأميرة بدور، فذهب
الأمير سرحان وبعض الجنود إلى بيته وتحدث مع زوجته بغضب شديد ، فأنكرت ولم تقر بشيء فقال لها : البسي ثيابك أنت وجواريك وعبيدك وإلى دار الأمارة ولا تبق أحدا .
دخل الجميع في دار الأمارة ، وأتى القاضي في البلدة ، واستمع للقصة ، وطلب من الأميرة البينة والشهود ، فذكرت قصتها وما تعرضت له من الأذى في مدينة غزة ، ولم يكن معها شاهد سوى خادمتها أميمة ، واتهمت العبد بالاعتداء عليها وإسالة دمها ، وأخذ الطير الذهبي بالقوة والتهديد ، ثم نظرت في عبيد سرحان وقالت للقاضي والأمراء : إن العبد غير موجود وأنا لا أعرف اسمه .
وأنكرت زوجة سرحان أمام القاضي ، فقامت بدور بوصف العبد أمام القاضي مما اضطر الأمير سرحان أن يقول: هذه صفة العبد سعيد فعلا عندنا عبد شرير لئيم أين هو يا زوجتي ؟
قالت : لا أدري .

فقال سرحان : أيها القاضي انظرني يوما واحدا حتى أنظر في الأمر ، وأنا بنفسي سأحضر الطير الذهبي للأميرة .
أمرهم القاضي بالانصراف وقال : يجب أن يحضر العبد سعيد لتراه الأميرة والجارية وتعالوا غدا أيها القوم .
اختفى العبد سعيد ، فصمم حسان بنفسه بالقبض على العبد الآبق ، وسار يراقب الشارع على صورة متسول ليلا ونهارا حتى رأى المرأة تخرج من البيت وجاريتها ، فتبعهما ومشى خلفهما من شارع إلى شارع وزقاق إلى زقاق ، ودخلت بيتا وجاريتها معها بعدما تلفتتا يمينا وشمالا ، واقترب حسان من الباب المغلق ، ودار من خلف البيت ، فوجد جدرا قصيرا ، فقفز عليه بخفة ودخل من بين الأشجار والتصق بأحد الغرف يسمع ويصغي فسمع العبد يهدد زوجة سرحان ويتوعدها بالذهاب إلى القاضي والاعتراف .
فصرخت فيه قائلة: اصبر أيها الحمار .. ألا يصلك الطعام والشراب والمال ؟ .. ولسوف أكافئك مكافأة كبيرة عندما يسافرون ويخرجون من البلد .
فصاح العبد : يا سيدتي ! لي أسبوعان محبوس هنا ضقت ذرعا بالمكان .. لم أعد أطيق الصبر .
فقالت بحدة: عليك بالصبر والتحمل ولسوف يبتعدان ويرحلان إلى مصر ، وستأخذ جزاءك هذه

آخر مرة آتيك فيها ، إذا احتجت لشيء فاطلبه من الجارية ، ولا تطلب مقابلتي ، هل سمعت أيها الغبي ؟ وإلا قتلتك وارتحت منك .. اصبر وصاحت بجاريتها : هيا يا سوسن هيا بنا .

وخرجتا مسرعتين، وحسان سمع آخر الحديث ففكر بما يفعل ، فخرج بخفة وعلم البيت والمكان ، وعاد للبيت وارتدى ثيابه ، وذهب للقاضي وطلب منه بعض رجال العسس ، فأخذ رجلين منهم وساقهم للبيت المطلوب ، وطرق الباب وفتح سعيد الباب ظانا أن الطارق الجارية قد عادت لأمر ما ففتح الباب فدخلوا عليه وأوثقوه وسلموه لرئيس الشرطة الذي قال له : أين كنت هاربا أيها العبد ؟

وأدخلوه على الأمير والقاضي ، وجاءت الأميرة بدور وأقسمت على أنه هو الذي ضربها وهددها بالقتل، وأخذ عصفورها منها ، وشهدت الجارية بذلك، فاعترف العبد سعيد بفعلته بأنه هو الذي تبعهم لغزة لسرق العصفور، وأن مولاته الأميرة هي التي أمرته بذلك ، وأغرته بالمال والزواج من الأمة سوسن التي ذهبت معه لغزة مع جارية أخرى، واحتالوا بالدخول على الأميرة بدور التي تعرفها سوسن جيدا ، وتم الحصول على الطائر بالتهديد، وأن العصفور عند سيدته ، وجيء بها فحضرت وأمام اعتراف عبدها وجاريتها اعترفت بجريمتها وبينت أن السبب في ذلك حبها للطير الغريب وحقدها على الأميرة ، وأحضر الطير الصيني وتمعن فيه القوم فلم يروا به شيئا عجيبا ، ووجدوا أن ثمنه زهيدا ، وبينما هم يتعجبون من هذا الصراع القاتل على هذا الطائر الصغير أتى موعد ضحك العصفور فضحك فبكى فحزن فدهش الحاضرون لهذه الآلة الغريبة ، فحكم القاضي بعد ذلك بحبس زوجة الأمير سرحان وعبدها وجاريتيها ، وشكر حسان الأمير زيدان لوقوفه بجانبه رغم حساسية الأمر ، وقدم شكره للقاضي، وأخذ الطير ومن ثم سافروا على الفور إلى غزة هاشم، ولما نزلوها مكثوا فيها بضعة أيام ، ورحلوا منها للعريش ، ثم إلى بلاد مصر بلاد النيل ، وبعد أيام أخرى من الرحيل دخلوا المدينة فطفرت الدموع من بين عيني حسان لما رأى الوطن الذي غاب عنه كل هذه السنوات ، وعادت به الذكرى للوالد الحبيب والأم الرؤوم والأخوة والأصحاب ، كانت الدنيا ليلا عندما اقترب حسان من باب البيت بيت الأسرة نفس الباب لم يتغير ، قرع الباب فسمع صوت غسان أخيه يقول : من يطرق الباب ؟

فقال حسان بوجل : أخوك حسان .. افتح يا غسان .

فقال غسان كأنه غير مصدق ما يسمع : من حسان

؟!

فصاح حسان : ويحك! .. أنا أخوك حسان بن عبد الرحمن .

فتح الباب وهو يصيح : أخي حسان ! وتعانق الأخوان ، وأسرع بالدخول مخبرا أهل البيت وهو يصيح: عاد حسان يا أبي! عاد حسان يا أمي ! عاد حسان يا عبدالكريم .. حسان حي .. حسان حي!!

فقام الصياح والبكاء والدموع والفرح حتى فزع الجيران ، وكانت ليلة عجيبة من ليالي الشوق والأنس على اجتماع الشمل بعد طول غياب ، وفرح الجميع بعودة حسان ، وقضت الأسرة أياما تستقبل الأحباب والأصحاب والخلان ، وكلهم يستمعون لقصة وأخبار حسان ، وما جرى له في العراق وجزر البحر وعند ملك الصين ، ورأوا الطير الذهبي وسمعوا سحره ، وصنع عبد الرحمن وليمة كبيرة للتجار والجيران اشتهرت أخبارها في بلاد النيل ، وما أن يسمع قوم بأعجوبة الطير إلا وطلبوا سماعها وهم متعجبون من صنعته وحكاية صاحبه حسان ، فطار خبره في الآفاق حتى أن حاكم مصر طلب حسان لمشاهدة هذا الطير الذهبي ، فأخذه حسان إلى قصر الحاكم لبلاد مصر والسودان وما حولها من الأطراف ، فأعجب به كسائر الخلق ، فأهداه حسان للأمير الذي فرح بهذه الهدية فرحا شديدا ، وقبلها بكل امتنان، وبذلك تخلص حسان من إزعاج الناس والزائرين ؛ ولكن بعد أيام طلبه الحاكم ثانية ، فذهب لقصر السلطان فأخبره صاحب القصر أن الطير سكت عن الكلام وما عاد ينطق ، فسأله حسان هل عبث به أحد أو حاول فكه ؟ فذكر الأمير أن إحدى بناته حاولت فكه فأخرجت منه قطعة ثم أعادتها ، وبعدها لم يسمع له صوت ، فقص حسان للحاكم قصته مع هذا الطير وسر صناعته ، فتعجب الملك من حكاية حسان أكثر من إعجابه بحكاية الطير ، وهكذا انتهت أعجوبة هذا الطير، وما عاد الناس يسمعون عنه أخبارا وأحاديث إلا في الكتب والأقاصيص ، وهل حقا كان هذا الطير يضحك ويبكي ويحزن من يراه ويسمعه أم هو محض خيال ؟ جادت به أفكار الرواة لإثارة السامعين والشعار .. فهذه يا اخوتي قصة حسان والطير السحري الذي أتى به من بلاد الصين واستقر في بلاد النيل في قصر الأمير بضعة أيام ، ثم مات حتى كأنه لم يكن هناك طير يتكلم عنه القصاص والرواة ، أما الأميرة بدور فكانت جميلة وأديبة وعاقلة ، والنساء يتحدثن عن حسنها في ذلك الزمان ، وكما ذكر الرواة للقصص والأخبار أنها ولدت لحسان سبعة من البنين والبنات ومضت السنون والسنوات وكبر الأولاد وإلى بلاد أمهم اشتاقوا ، فسافر بهم

حسان إلى دمشق بعدما استقر بها أخوالهم الأمراء وكم فرحوا برؤية أختهم بدور بعد كل هذه السنوات ، وكان أخوها قد دخل في الشيخوخة وانتظار ساعة المات فعاتبها قائلا : أما تذكرتينا كل هذه السنوات أيتها العزيزة ولو حتى بكتاب فيه ذكريات .. فهؤلاء كل أبنائك يا أميرة البصرة فاعتذرت لأخيها بأعذب اللفظ وقالت : نعم يا أخي جئت لأزوج البنات فهل عندك أولاد صالحون ؟

فبكى الأمير وقال: ما بقي لأخيك على قيد الحياة إلا عبدالله ، ولكن أخاك الصغير عنده ولد في سن الزواج فأعطيه إحدى بناتك حتى تمتد الصلة يا أختي العزيزة .

أمضت بدور وذريتها سنة في دمشق ، وقد أنكحت ابنتها الكبرى من ابن أخيها الصغير ، وفي أثناء عودتها للديار المصرية مرضت بفلسطين وقضت نحبها ودفنت فيها ، وعاد حسان لمصر والحزن يغمره ، فلما وصل مصر أخبر أباه بموت الأميرة بدور في فلسطين ، وأنه زوج ابنته من ابن خال لها ، وعاش حسان سنوات قبل أن يفكر بالزواج من جديد .

واستغفر الله استغفارا كثيرا ، وأسأله العفو عن زلات النفس والقلم ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، وهي مجرد قصة فيها التسلية والعبر، وهي خيال جادت به قريحة كاتب عاشق لمثل هذه الحكايات والنوادر ، والحمد لله الذي تتم بنعمته الصالحات ، وصلى الله على النبي الأمي الذي ذكره ما فات ، وعلى آله وصحبه ومن سار على دربه إلى يوم المات . انتهت الحكاية

مالك بن دينار واللص

قِيْلَ: دَخَلَ عَلَيْهِ لِصٌّ، فَمَا وَجَدَ مَا يَأْخُذُ، فَنَادَاهُ مَالِكٌ: لَمْ تَجِدْ شَيْئاً مِنَ الدُّنْيَا، فَتَرغَبُ فِي شَيْءٍ مِنَ الآخِرَةِ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: تَوَضَّأْ، وَصَلِّ رَكْعَتَيْنِ. فَفَعَلَ، ثُمَّ جَلَسَ، وَخَرَجَ إِلَى المَسْجِدِ، فَسُئِلَ: مَنْ ذَا؟قَالَ: جَاءَ لِيَسرِقَ، فَسَرَقْنَاهُ.

حائط مائل

حدثنا القاضي أبو مروان بطرطوشة قال: نزلت قافلة بقرية خربة من أعمال دانية فأووا إلى دار خربة هناك فاستكنوا فيها من الرياح والأمطار واستوقدوا نارهم وسووا معيشتهم، وكان في تلك الخربة حائط مائل قد أشرف على الوقوع، فقال رجل منهم: يا هؤلاء لا تقعدوا تحت هذا الحائط ولا يدخلن أحد في هذه البقعة فأبوا إلا دخولها فاعتزلهم ذلك الرجل وبات خارجا عنهم ولم يقرب ذلك المكان، فأصبحوا في عافية وحملوا على دوابهم، فبينما هم كذلك إذ دخل ذلك الرجل إلى الدار ليقضي حاجته فخر عليه الحائط فمات لوقته.

عقيل والصياد

قعد عقيل يستريح تحت ظل شجرة عملاقة ، فله أكثر من نصف نهار يسير على قدميه حتى انتهى إلى هذه الشجرة التي تقع على حافة إحدى الغابات ، جلس يستريح من النصب الذي أصابه ، وأخذ يفكر في أمره وحاله ثم استلقى على ظهره فنظر إلى أعلى الشجرة فشاهد رجلا ينظر إليه من بين أغصان وأوراق الشجرة ، فعاد للجلوس ثانية وصاح قائلا : أيها الرجل ماذا تفعل فوق الشجرة؟! ..انزل .. تعال .

فرد الرجل بقلق : بل ..اصعد أنت على الفور .. لقد كان أسد مكانك قبل قليل..اصعد قبل أن يعود .

فلما سمع عقيل باسم الأسد تسلق الشجرة فورا حتى وصل إلى الرجل وحياه ، فقال له الرجل : من حسن حظك أن الأسد قد ابتعد ، لابدّ أنه ذهب إلى بئر الماء ليشرب ، فلقد افترس اللعين صاحبي ؛ ولولا انشغاله بصاحبي وصعودي مسرعا إلى هذه الشجرة لكنت الآن بين فكيه .. فالحمد لله على سلامتك يا عقيل .

فقال عقيل : وما الذي أتى بكم إلى الغابة ؟

فقال الرجل: نحن صيادون ـ أشار إلى قوس معلقة على غصن ـ أرأيت هذه القوس ؟ نحن نصيد الوحوش ونأخذ جلودهاونبيعها لأهل المدينة ، وأما هذه المرة فلم نشعر إلاّ والأسد بيننا ، ولم نتمكن من صيده فقفز على صاحبي وانشغل به ، فلما زال الخوف والرعبة عني هربت إلى هذه الشجرة ، فتبعني اللعين ؛ ولكني كنت قد تعلقت بأغصانها وبحركات بهلوانية كنت هنا ، وزمجر وأرغى وأزبد ثم ذهب يلتهم صاحبي ثم انصرف لعين الماء ، عليه غضب الرب وسخطه .

فقال عقيل : إنها مهنة قاسية يا صاحبي !

فقال الصياد : لنا عمر يزيد عن عشر سنوات نعيش ونرتزق على جلود الوحوش ، لقد صدنا عشرات الأسود والفهود والنمور والضباع ؛ ولكن لا ينفع حذر من قدر ، فسقط صاحبي ؛ ولكن أنت ما الذي رمي بك على هذه الغابة ولا سلاح بين يديك .

فأخذ عقيل نفسا عميقا وقال : خرجت باحثا عن صديق مخلص ، فالصديق المخلص الصادق غير موجود في مدينتنا ، فغادرتها أبحث عن صديق صادق .

فقال الصياد باستغراب : الله أكبر مدينة لم تجد فيها صديقا صالحا !



فقال عقيل : صدقني أيها الرجل الغريب ..لقد صحبت بشرا كثيرا ؛ فإذا أحدهم لص والآخر سكير ، وتعرفت على ثالث فإذا هو محتال ، ورابع دجال ونصاب ، وخامس غدار وغشاش ومدلس ، وسادس نمام ويأكل الحرام ، والتقيت بسابع فإذا مجلسه لا يخلو من كذب وغيبة وحقد وحسد ، فشكوت أمري لرجل حكيم فأرشدني بالسفر إلى مدينة الجمال والكمال قائلا : قد تجد بغيتك هناك ، فأنا أبحث عن صديق مخلص ، وهذه المدن تقع بعد هذه الغابة الخطيرة .

فقال الصياد : ما رأيك بأن تتخذني صديقا في رحلتك هذه لعلي أن أكون الصديق المخلص .

فقال عقيل : عرض جميل ؛ ولكن قصتك مع الأسد لا توحي بأنك صديق مخلص ، فلقد تخليت عن صاحبك وتركته فريسة للسبع ليأكله

فرد الصياد مدافعا : ولكن كان هجوم السبع علينا فجأة

فقال عقيل : ولكنك تركته ليأكله ولم تحاول الفتك به وتكرم صاحبك بدفنه في بطن التراب بدلا من بطن الأسد .

فرد الصياد : معك حق ؛ ولكن الدهشة والخوف شلا فكري .

فقال عقيل : سأقبل صداقتك إذا قتلت السبع .

فرد الصياد : فلسوف ترى .. يا عقيل .

وما أنهيا اتفاقهما حتى أقبل الأسد يتهادى نحو الشجرة ، فشد الصياد الماهر قوسه وسدده نحو عنق الأسد ثم رماه به فإذا الأسد يصيح ويزأر ويضرب رأسه بقوة في الشجرة .

فقال الصياد مفتخرا : سوف يموت فالسهم مسموم .

فقال عقيل : أحسنت ! سأقبل صداقتك وصحبتك إلى مدينة الجمال والكمال .

فقال الصياد : قبلت الصحبة والدعوة هيا بنا نغادر الغابة قبل أن تتجمع الأسود حولنا



ثم هبطا الشجرة العالية واجتازا الغابة بحذر شديد خشية الوقوع بين أنياب الوحوش الضارية ، ولمّا خرجا من الغابة حمدا الله كثيرا ، فإذا هم على ضفاف نهر عريض .

فقال عقيل :كيف سنجتاز هذا النهر يا صاحبي .. فأنا لا أحسن العوم والسبح ؟؟

فقال الصياد : وأنا مثلك ، فلنجلس نفكر في حل هذه

المعضلة .

وبينما هما حائران يتأملان صفحة الماء ، ظهر لهما في وسط النهر قاربا زاحفا اتجاههم .

فقال عقيل : قارب يزحف نحونا ..فقد حلت مشكلتنا .

ولبثا ينتظران القارب وهما يلوحان له ببعض ثيابهما ، ثم تبين لهم أنه رجل واحد يسوق القارب نحوهما ، ولما وصل الرجل الضفة ربط قاربه بصخرة ومشى نحوهما وحياهما بالسلام ، ثم قال : هل ترغبان بالانتقال إلى الضفة الأخرى ؟.. لقد لمحتكما من هناك فجئت إليكما مسرعا

فقال عقيل :مـاذا تعمل ؟؟

فقال صاحب القارب : أعمل على ظهر هذا القارب الصغير.. أنقل الناس من هنا إلى مدينة الجمال والكمال .

فقال عقيل فرحا : المدينة تقع بعد هذا النهر؟!

فقال صاحب القارب : أمسافران إليها ؟ هيا اركبا .

فقال عقيل :كم ثمن النقل إليها ؟



فرد الرجل : لا شيء ..سوى ذكر الله .

فقالا : لم نفهم كلامك ؟!

فقال : الأجرة أن تذكرا الله مائة مرة فأنقلكما إلى الضفة الأخرى .

فحملهما صاحب القارب بعدما ذكرا الله مائة مرة إلى الضفة الثانية ، وهناك واجهتهما مدينة ويقف على أبوابها حراس ، فتناولوهما من البحار وساقوهما على الفور إلى سيد هذه المدينة ، فأمر بإرسالهما إلى الحمام وأن يغسلوهما أحسن غسيل ، ولما أزالوا عنهما أوساخ سفرهما كسوهم أنعم الثياب ، ثم قادهم مرافقوهم إلى مطعم فاخر فأطعموهما من أجمل الأصناف و أزكاها وألذها ، ثم أخذوهم إلى قصر الأضياف ، فأمضيا ليلتهما في ذلك القصر الجميل ، وحولهم الخدم ينتظرون أي إشارة منهم

وفي الصباح الباكر جاءهم مرافقوهم وساقوهم إلى قصر الحاكم الذي أحسن استقبالهم ولقاءهم ، وبين لهم أنّ الأكل والشرب والنوم والشراء والركوب في هذه المدينة يكون بذكر الله سبحانه ، فإذا أردت شراء طعام طلب منك البائع أن تسبح الله عددا من المرات ، وهكذا الشرب والبيع والإجارة ، وبين لهم الحاكم خطر الكذب والغش والنفاق والرياء والشر في مدينة الجمال والكمال ، وحذرهم من التدخل فيما لا يعنيهم ، وبين لهم أنه من

حسن إسلام المرء تركه مالا يعنيه ، وحذرهم كذلك من غلبة الفضول ، فعليهم أن يتمتعوا في هذه الخيرات والنعيم حتى يملوا منها فيعودون لديارهم .

وخرجوا من قصر السلطان وهم لا يكادون يصدقون ما يسمعون .. مدينة لا يوجد فيها كذب ولا نفاق ولا غش ولا قتل ولا فساد ولا غيبة ولا نميمة ، إن هذا لشيء عجاب .

دخل عقيل و الصياد أحد أماكن الطعام فأكلا وشربا ما شاء الله لهم مقابل عدد معين من التهليل والذكر ، ثم مشوا إلى فندق فطلبوا غرفة يسكنون فيها فحمدوا وكبروا ، فأعطوا مفتاح غرفة جميلة الرياش والأثاث فيها أسرة ناعمة ومفروشة بزرابي حسان .

فقال الصياد : أظن يا أخي عقيل أننا في حلم من أحلام اليقظة .. أيمكن أن يكون في الدنيا مثل هذه المدينة الرائعة ؟!

ولمّا استراحا بعض الوقت ، فارقوا الفندق نحو ميدان الخيل ، فاستأجرا حصانين بأذكار ربانية ، واشتركا مع الفرسان في الركض واللعب ، وفي المساء رجعا لغرفتهما تغمرهم السعادة والغبطة ، وامضوا يوما آخر في مشاهدة الطيور وثالث في ركوب البحر .. الناس هنا في سلام ووئام وخير وحب لا يوجد شر في تلك المدينة ، الناس كلهم هنا ضاحكوا الوجوه ، لا حزن لا ألم لا سقم ، الناس هنا يتخاطبون بأدب واحترام ، لا أحد يتدخل في شأن الآخرين إلا بأذنه ، فقضى عقيل والصياد عشرة أيام من عمرهما وهما في سعادة وسلام ، ويظنان نفسيهما في جنة من جنات الخلد .

وكان الصياد يقول لعقيل : ليتنا نعيش أبد الآبدين في مثل هذه المدينة الهادئة الآمنة المطمئنة .. لا نسمع ولا نرى فيها شرا وكفرا ولا فسادا ، كلٌ في عمله وسوقه ونعيمه .

فقال عقيل : مدينة تدهش العقول ، إنها مدينة السكينة والراحة والعافية نحتاج لزمن حتى نتأقلم مع هذه المدينة الخالية من الشر والضرر .. الحياة بدون مشاكل مملة ـ أيها الصياد ـ أكل شرب نوم لهو .

فقال الصياد : ماذا ؟! .. هل تفكر بالمتاعب ؟! ألست أنت الذي كنت تشتكي أنك لم تجد صديقا واحدا مخلصا في مدينتك الكبيرة ؟ ها هم كل الناس هنا أصدقاءوك وأصحابك ، احذر أيها الصاحب أن نخسر هذا

النعيم .. لقد كنت أخرج من الفجر الصادق حتى الليل وأنا أدور بين الوحوش والأدغال حتى أعود بجلد أسد أو فهد أو نمر أو ثعلب .. أرجوك دعنا من الشقاء .



فقال عقيل : الحق هو ما تقول ، علينا المحافظة على هذه النعمة والسعادة ؛ ولكن ما رأيك أن نستأجر قصرا فهذه الغرفة أصبحت ضيقة ومملة .

فرد الصياد : أما هذا فلا بأس به ، التغيير مطلوب .

ولما أصبحا ذكرا لصاحب الفندق رغبتهما في الحياة والسكن في قصر كبير ، فأرشدهما إلى وكيل القصور ، فلما وصلا إليه رحب بهما ، ولما قاموا بالذكر المناسب للحياة في القصر أنزلهما في قصر واسع يحتوي على عشرين غرفة مؤثثة بأحسن الأثاث والمتاع ، ومحاط بحدائق غناء ، وأجاز لهم الاستمتاع بكل الحجرات إلا بحجرة واحدة حذرهم من دخولها ، وانصرف الوكيل وقد تركهما تحت الامتحان والفضول والملل .

"الحجرات الممنوعة "

ومضت الأيام وشاهدا كل الحجرات واحدة واحدة ، وكلما يقتربان من الغرفة الممنوعة يعودان لحجرة نومهما وهما في شوق لمعرفة سبب إغلاق هذه الحجرة عنهما ، وكان الفضول والبحث عن المجهول قد دفعهما لكثرة الحديث عن الحجرة المغلقة ، فوقع في نفسيهما أنه لابد لهما من معرفة ما فيها ، وبعد تردد وصراع نفسي صمما على فتح الحجرة واكتشاف ما فيها من أسرار وخفايا .

فلما هبط الليل واشتد ظلامه تحركا نحو الغرفة الممنوعة ، ووقفا على بابها بعض الزمن مترددين ، ثم حركا المفتاح وفتحا الباب فإذا هي غرفة مظلمة على خلاف غرف القصر الأخرى ووجدوا أنفسهم في ظلام دامس ، لا يكاد المرء يرى إصبعه من حلكته ، فدخلا ثم فكرا بالعودة فوجدا الباب مغلقا .

فقال الصياد : لقد ظلمنا أنفسنا يا عقيل .. فما العمل الآن ؟؟ إني لا أراك

فقال عقيل : هات يدك ولنبحث عن الجدار ونلتصق به .

وتشابكت أيديهما و أخذا يلتمسان جدران الحجرة ، فكانت يد عقيل تتطوح في الفضاء تبحث عن الجدار ولكن لا جدار و لا نور .

فقال عقيل : كأننا في بئر أو نفق أيها الصديق فلنمش إلى الأمام .

ومشيا في الظلام ، واستمرا يمشيان ولكن بدون نهاية حتى تعبا ، فقال الصياد : لقد فتنتني ياعقيل..أغويتني.. .لقد تعبنا من المشي في هذا الظلام الدامس ..ألا يوجد نهار هنا ؟

فقال عقيل : الشيطان ضحك علينا ..فلنتب إلى الله ونستغفره .

فابتهلا إلى الله بالتوبة والاستغفار والندم والتسبيح ، ثم تابعا المسير وهما يستغفران ، ثم ناما ورقدا حيث هما من شدة التعب .

ولمّا استيقظا من نومهما وجدا أنـفسهما على ضفة النهر من جهة الغابة حيث ركبا في القارب أول مرة ، وكان النور ساطعا فنظرا حولهما وتفقدا أنـفسهما ، وقال الصياد : هل كنا في علم أم حلم ؟!..ألم نكن في ظلام دامس .. يا عقيل ؟!

فرك عقيل عينيه وقال : يا هذا ..ألم نجتاز هذا النهر ؟! وذهبنا إلى مدينة الجمال والكمال ورأينا كذا وكذا ..وأكلنا كذا وكذا .

فأجاب الصياد المحتار : لابدّ أننا كنا نحلم ..فلنصعد إلى هذه الشجرة قبل أن يشعر بنا سبع فأنا ما زلت أحمل القوس وقال عقيل : وها هي دراهمي نفسها كأننا لم ننتقل من هذا المكان إنه لأمر غريب .

وقضيا ليلة على أغصان الشجرة يفكران بطريقة يجتازان فيها النهر إلى مدينة الجمال والكمال ، ولمّا أشرقت الشمس هبطا إلى الأرض فتقدما إلى شاطئ النهر فإذا قارب وبحار على ضفته ، وبعد أن رد على تحيتهما قال : أترغبان بالانتقال إلى الضفة الأخرى ؟

فقال عقيل : يا حبذا ذلك ..أيها البحار ..هل سبق لك أن رأيتنا ؟

فرد سائق القارب : لا ، هذه أول مرة يقدر لي رؤيتكم.

وحملهما إلى المدينة بذكر تفوها به ، وعلى الضفة الأخرى كان في استقبالهم حرس الأبواب ، فقادوهم إلى حاكم المدينة ، فظهر لهم أنه حاكم أخر غير الذي رأوه في المرة الأولى ، فأصابتهم الحيرة من جديد ، ورجح لديهم أنهم لم يقطعوا النهر قبل هذه المرة ، وبعد أن تعرف الحاكم على أسمائهم ، أمر بإرسالهم للحمام لإزالة الأوساخ عن جلودهم وكسوتهم أجمل الثياب ، ومن ثم إطعامهم أزكى الطعام ، وأمر بمبيتهم في قصر الضيافة وفي الصباح الباكر كانوا بحضرة الحاكم ، فرحب بهم أجمل ترحيب وذكرهم بالأحكام السارية في المدينة ، وبين لهم أن عاقبة الإثم والحرام الطرد من هذه المدينة

وحثهم على عدم التدخل في ما لا يعنيهم من الأمور ، وعلموا منه أن الحصول على الأشياء والمنافع يكون بالصلاة على النبي محمد بن عبد الله ﷺ خير العباد والأنام ، ثم انصرفوا من عند السلطان بسلام .



ونزلا في فندق بعد أن صلوا على النبي محمد ـ ﷺ ـ عشر مرات عن كل يوم وليلة ، وعندما يحتاجون للطعام يدخلون مطعما فيصلون على النبي عددا من المرات فيأكلون أفضل الطعام والشراب ، وهكذا يكون لحصولهم على كل الرغبات .

وضجرا بعد حين من سكنى الفندق ، فاستأجرا قصرا جميلا وأذن لهم وكيل القصر دخول كل حجراته ما عدا حجرة واحدة حذرهم من فتحها ، فوافقا على ذلك ، وكانا ما يزالان يعتقدان أن ما جرى لهما سابقا مجرد حلم أو وهم ، فكانا يرتعان في القصر ليلا ، ويسيحان في المدينة نهارا وهما في غاية السعادة والبهجة ، يوما في البساتين والرياض النضرة ، ويوما في سباق الخيل على ظهور الجياد ، وغير ذلك من فنون اللهو والمتعة ، حتى دب في قلبيهما الملل والضجر من الهدوء والسكينة ، وأمام ضعف النفس والفضول غامرا بفتح الغرفة المحذورة ولكن في وسط النهار ، فوجدا غرفة فارغة لا أثاث فيها ولا متاع ،وكانت قبيحة الجدران على غير غرف القصر فتجرأا على اقتحامها ، فلما أصبحا في وسطها أغلق عليهما الباب الذي دخلا منه بصوت عال حتى جفلا خوفا من حدة الصوت ، فحاولا العودة ولكن الباب أبى الانفتاح فاعتراهما الأسف وتذكرا ما جرى لهما سابقا ولكن بعد فوات الأوان .

فتقدما نحو باب آخر في الغرفة ؛ ولكن قبل الوصول إليه ، فتحت الأرض تحت أرجلهما ؛ فإذا هما يهويان إلى أسفل بضع ثوان ، فأصبحوا داخل غرفة تشبه البئر ، وفي إحدى الجهات منه مجموعة من القضبان الحديدية تشكل بابا ، تطل على ساحة مليئة بالوحوش المختلفة تتقافز على القضبان تحاول الوصول إليهم ، وأصواتها تقذف الرعب في الأفئدة ، فانخلعت قلوبهما من الخوف فأغمي عليهم من شدة الرعب ، ولما أفاقا وجدا أنفسهما على ضفة النهر حيث كانا قبل أن يركبا في القارب ، فأخذتهما الدهشة والحيرة مرة أخرى ، ولقد كانا

يرتجفان من الخوف والصياد يقول : هيا نصعد على الشجرة .. لقد كانت الأسود حولي لا تعد ولا تحصى يا له من حلم مزعج ..أيها الصديق !
فأسرعا يصعدان ويتسلقان الشجرة وعقيل يقول : يا رجل ألم يحصل معنا كذا وكذا ؟!



فقال الصياد وما زال الذهول والذعر يملأ نفسه : لست أدري يا صاحبي .. هل تركنا نحن هذا المكان ؟! ..لا ..إنه حلم أوله جميل وآخره سقيم ..يا للهول ! ..ألم تر الأسود وهي تتقافز نحونا ؟ ! ..ألم نكن في بئر مشيدة ؟!
وأقاما ليلة أخرى على الأغصان ، ولما أصبح الصباح مشيا إلى حافة النهر ، فوجدا رجلا ومعه قارب ؛ ولكنّه لا يشبه صاحبيّ القاربين اللذينِ مر ذكرهما آنفا ، فأخذا يتأملان بعضهما البعض ، فسمعا صاحب القارب يخاطبهما قائلا : هل تريدان العبور إلى الجهة الأخرى ؟
فرد الصياد فقال : نعم يا هذا ولكن ألم تحملنا قبل الآن ؟!
فابتسم الرجل وقال : هذه أول مرة أراكما في حياتي .
فصعدوا إلى المركب الصغير والحيرة تنتابهم مما جرى معهم ، وكانت الأجرة عددا من الأذكار ، ولقد ساقهم الرجل إلى باب المدينة وسلمهم لحراس الأبواب ،وهؤلاء بدورهم نقلوهم إلى مقر الحاكم ،
الذي قال لهم : ما معكم من الأموال ؟؟
فرد الصياد : يا سيدي الحاكم ..أنا لا أملك شيئا وكذلك صاحبي ورفيقي عقيل .
فقال الملك الحاكم : نحن عندما يدخل بلادنا ضيف أو غريب مثلكم ، وكان فقيرا نكرمه بخمسين ديناراً ، حتى يجد عملا يقتات منه . ومنحهما مائة دينار وصرفهما .
فلما أصبحا في الشارع قال الصياد لصاحبه همسا : إنها لمدينة تعيسة أين الحمام ؟! أين الطعام أين الأنهار والأشجار ؟!
وأخذا يتلاومان على ما فرطا في المدن السابقة ، كلٌ منهما يتهم الأخر بما وقع لهما ، حتى قال عقيل : لندع الأسف والندم فنحن جائعان ..هيا بنا ندخل مطعما .
فدلهما الناس على مكان الطعام ، فدخلاه فإذا هو مكان مكتظ بالجماهير ، فمنهم الداخل ومنهم الخارج ، فجلسا على مائدة بعد انتظار قصير ، وأحضر لهما عامل المطعم ما

طلباه من أصناف الطعام .
ولما انتهيا من الأكل والشراب ، وأرادا أن يدفعا قيمة الطعام فلم يجدا الدنانير التي أخذاها من الحاكم ، ففتشا بعضهما وشك كل منهم في الأخر ، وتعذرا لصاحب المطعم بضياع أموالهما ، فاتهمهما بالنصب والاحتيال ، وأحضر لهما رجال الشرطة فحبسوهما بضعة أيام ، ثم أخلوا سبيلهما ، فأخذا يدوران و يبحثان عن مأوى وطعام ، وانتهى بهما المطاف إلى العمل في محجر ، فاشتغلا فيه عدة أيام فحصلا على عدد من الدراهم ، فانتقلوا للعمل في سوق الدباغة ، وأمضوا أشهرا يتنقلون من عمل إلى آخر حتى أصابهم الجهد والتعب ، وتمنوا الخروج من تلك المدينة ، ودعوا الله مخلصين بأن يخلصهم من هذه ا لبلدة على خير ، فشكوا أمرهم لرجل عجوز ، وبينوا له رغبتهم في ترك هذه المدينة ، فقال لهما: سأرشدكم على مخرج .. ابحثوا عن رجل اسمه كنعان عنده قصر فيه غرفة من دخلها خرج من هذه المدينة .
فانطلقوا يبحثون عن كنعان ، فلما وجدوه دفعوا له كل ما يملكون من النقود على أن يأذن لهم بالمبيت في قصره ، فرحب بهم وأنزلهم في قصره وحذرهم من ولوج الغرفة الممنوعة .
ولكنهم لم يهتموا لتحذيره ، فما كاد يبتعد عنهم حتى فتحوا تلك الغرفة ودخلوها مسرعين ، وأغلق الباب وراءهم وانطلقوا يمشون في سرداب طويل ، ولما وصلوا نهايته بعد تعب شديد كان في انتظارهم قارب يجلس فيه رجل فلما رآهما هتف قائلا : أهلا وسهلا ..إلى أين أيها السادة ؟
فقال الصياد : إلى الغابة حيث ركبنا أول مرة ..يا سيدي .
فقال لهم : ما بكم ؟
فروى له عقيل كل ما حدث معهم في المدن الثلاث ، فلما سمع الحكاية قال : الآن اركبوا وسأقص عليكم الأسرار ..أيها الأخوان الطيبان .
وانطلق بهم المركب نحو الغابة حيث اجتمع عقيل والصياد لأول مرة ، وقال لهم : أما المدينة الأولى فهي مدينة الإيمان والتوحيد ومحبة الرحمن ، فالناس لا يصبرون عليه ، فينتقلون إلى ظلام الشرك والأثام ، وأما المدينة الثانية فتمثل دين الإسلام واتباع الرسول محمد ـ ﷺ ـ ويترك الناس هذا الدين القويم إلى أديان ومذاهب شتى ، وأما المدينة الثالثة فهي رمز للدنيا وما فيها من شقاء ، وخير وشر ، ففيها الصالح وفيها

الباغي .

وعندئذ وصلوا الضفة الأخرى للنهر حيث الغابة فقال لهم سائق القارب : اذهبوا الآن وحدثوا الناس بما شاهدتم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

فقالا : وعليك السلام يا قارب الحياة .

تمت بحمد الله

زهرات نبوية

حسن الخلق

قَالَ ﷺ « الْبِرُّ حُسْنُ الْخُلُقِ وَالإِثْمُ مَا حَاكَ فِي صَدْرِكَ وَكَرِهْتَ أَنْ يَطَّلِعَ عَلَيْهِ النَّاسُ ». رواه مسلم عن النواس بن سمعان

كان عفيف محمد يشتري بعض الأشياء من الدكان ليأخذها معه للأطفال ، وذلك وهو عائد من عمله للبيت ، فسمع صوتا يلقى عليه السلام ؛ فإذا هو والده محمد ومعه صهرهم محمود ، فحيوا بعضهم بعضا ، وقال: أغراض لأهل البيت .

فقال والده: كنت أنا ومحمودا متجهين إلى مخيطة أبي عسل عندما لمحك محمود تدخل البقالة ، فقال: ها هو عفيف راجع من الشركة .

ـ أهلا وسهلا بكم ، لم انتبه لكم .

وبما أن الزمن زمن صيف طلب لهم شرابا باردا ، فقبلوه شاكرين ، وبينما هم يشربون ويستمتعون بالشراب واللقاء سُمع صوت عاليا في الشارع العام ، وازداد الصراخ ، فقال صاحب المتجر: إنه حابس ! أكيد أنه تعربش أحد المارة .. هذا الشر مجسم في هذا الشارع!

خرج الرجال من الدكان ينظرون القضية والضجة ، ووجدوا حابسا ، وقد أحاط به ثلاثة شبان ويحاول الناس المارة إبعادهم عن بعضهم البعض ، وعلموا من أحد المارة أن الشاب الشرير حابس حاول ضرب أحد الشباب الثلاثة ، فما كان منهم إلا أن هجموا عليه ، وأوسعوه ضربا وركلا .. وأخرج هو سكينا من جيبه ، وحاول طعن أحدهم ، فبطحوه أرضا ، وخلصوا السكين منه ، وانقذه الناس منهم ، وهم ينتظرون سيارة الشرطة ، وعقب الرجل بعد أن شرح القصة لأبي عفيف ومن معه : هذا الرجل شرير وسيء الأخلاق دائما يتشاجر مع الناس ؛ ولكنه هذه المرة وجد من يلقنه درسا ؛ لكن هيهات هيهات أن يستفيد منه !

ـ أليس قبل فترة تعرض لطعنة سكين وانتشر خبر موته؟

ـ هذا بسبع أرواح ..ولن يرتاح الناس منه حتى يموت .

ـ الدنيا لا تخلو من الأشرار

والشياطين .
ـ ها قد جاءت النجدة .
قال عفيف: هيا بنا إلى الدكان
محمود : سنتابع المسير إلى المخيطة
دخل عفيف وصاحب البقالة البقالة ، ومشى محمد ومحمود جهة المخيطة المقصودة ، وكان محمد يقول : الشر والخير يتصارعان في الدنيا حتى تقوم الساعة حتى يتمايز الناس ، ويعرف الصالح من الفاسد ، المحترم من الشيطان ، الطيب من الخبيث ، صاحب الخلق الحسن والخلق السيء يا ولدي
ـ صدقت يا عمي ..فهذا الشاب الضال ليس هو الوحيد في هذا الشارع .
قال محمد : هو أحدهم .. ومن حظ الشباب الثلاثة أنه وحيد هذا المساء وإلا كبرت المعركة ، وكثرت الخناجر والإصابات .. سيأخذونهم إلى المخفر ويتصالحون ومع السلامة .. ماذا سيفعلون أكثر من ذلك ؟! كان الله في عون رجال الشرطة .
ـ لكل إنسان وظيفة في هذه الدنيا ..والأمن مطلب كل الأمم والشعوب
وصلوا باب المخيطة ، ووجدوا الخياط يقف أمام المحل يتحدث مع أحد الناس ، فسلموا عليهم وصافحوهم ، وقال الخياط : أخونا أبو يحيى يحدثني عن طوشة حابس هذا المساء ..ويعلمنا أن السيد حابسا شيطان الشارع تعرض لعلقة كبيرة
فقال محمد: هكذا سمعنا وإن رأينا بعض المعركة ؛ ولكننا لا نحب الاقتراب من المشاجرات لما يحدث فيها من الآثام والسب والشتم والقذف للأعراض .
قال الخياط :فعلا معك حق يا أبا عفيف ..تفضلوا للداخل أنا في انتظاركم حسب الاتصال ..تفضل معهم يا أبا يحيى
ـ السلام عليكم .. حياك الله يا أبا عفيف .. لدي عمل شغلتني المعركة .
جلس الخياط وزبائنه محمد ومحمود ، وبعد ترحيب بهما من جديد اشتغل بصنع الشاي ، قال لهما أثناء ذلك : نحن تعودنا على مشاجرات هذا السعدان يا أبا عفيف .. هؤلاء الأشرار حياتهم بائسة ..كل يوم صراخ وصياح ..لا أدري لماذا ينتهج هؤلاء الشبان هذه الحياة من ضرب وطعن وحبس ؟!
محمود : مشاكل الشباب كثيرة في هذا العصر ، والكثير منهم لا يميز بين الأبيض والأسود ، وبين الخير والشر ، والحلال والحرام .
فقال الخياط : فعلا هناك عمى لدى الشباب ، تقول له يا ابني اعقل واتبع الخير يقول لك

شرب الخمر شر ..فأنا بشربي أنسى همومي .. وأكف شري عن الناس

محمد : يا إلهي من هذا التعليل الساذج والجاهل!

ـ يا أبا عفيف كيف نعرف الخير من الشر ؟

ـ سؤال كبير ! وأنا لست عالما أو فيلسوفا .. لكن ما يضر الإنسان في عقله وبدنه وروحه وحياته فهو شر .. وللأسف بعض الأمم تعرف أن الخمر شر وأن الربا كذلك وتسمح بهما؛ فلذلك جاء الدين والشرع عندنا ووضح لنا الخير والبر والطاعة.. وبين لنا الشر والحرام ، وأمرنا بفعل الطاعة وترك المعصية .

ـ لكن مرات لا يستطيع المرء أن يميز كل معصية ..خاصة إذا شاعت وكثرت في المجتمع دون إنكار ونهي كما نرى في تعاطي السجاير وغيرها .

ـ صحيح هذا ؛ ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم ساعد في إزالة هذه الغمة.. أتاه أحد الصحابة الكرام يسأله عن البر والإثم فَقَالَ صلى الله عليه وسلم « الْبِرُّ حُسْنُ الْخُلُقِ وَالإِثْمُ مَا حَاكَ فِى صَدْرِكَ وَكَرِهْتَ أَنْ يَطَّلِعَ عَلَيْهِ النَّاسُ ».

فقال الخياط : البر حسن الخلق والإثم ما حاك في الصدر .

ـ نعم، هذا ضابط للإنسان التقي ؛ لأنه لا يتبع الهوى ؛ فإذا اشتبه في حل شيء توقف حتى يتبين له الحق .. ويسأل أهل الذكر .

محمود: فعلا الإنسان ذو الضمير الحي يدرك الإثم ويبتعد عنه .. دع ما يريبك إلى مالا يريبك .

محمد : أحسنت يا محمود ! أما أن أفعل الشيء ثم بعد حين أبحث عن حله وحرمته ، فهذا يضر بدين وتقوى المتدين

قال الخياط : ما حرمه الإسلام هو الإثم .

ـ أكيد أكيد .. الإسلام لا يحرم شيئا إلا فيه مصلحة للناس .. فالشريعة من أهم مقاصدها بعد تحقيق العبودية تحقيق مصالح الاتباع .. والآن نتحدث عن هدفنا من هذه الزيارة .

ـ تريد أن تفصل بذلة للسيد محمود .

ـ نعم ، هكذا أخبرتك بالتلفون .

ـ أنا جاهز هات قطعة القماش يا محمود .

أخرج محمود قطعة من القماش اشتراها ليصنع منها بذلة وتناولها الرجل منه .

قام الخياط المعلم بأخذ المقاييس للشاب محمود ، ولما انتهى القياس اتفقوا على الأجرة ، ومتى عليه أن يستلم البذلة ؟ وغادرا المحل لبيت السيد محمد ووجدوا عفيفا في انتظارهم مع أفراد الأسرة ،

وعاود عفيف الترحيب بمحمود .

وبعد تقديم الشاي الساخن لمحمود والسيد محمد قال محمود : ماذا حدث في معركة الشارع ؟

ـ عدت للدكان وقبل أن أغادره سمعت أن الشاب السيء هرب من سيارة الشرطة ، وقال بعضهم إن الشرطة أطلقت سراحه ، ثم أطلقوا الشباب الآخرين قبل وصولوهم لنقطة الشرطة فلم يكن هناك إصابات تستدعي إطالة التحقيق كما فسر ذلك صاحب الدكان .

قال محمد : هذا تفسير جيد .. السجون ملأ بالمجرمين .

محمود : هؤلاء الأشرار لا يعرفون الحياة والعيش بين الناس بدون مشاجرات ومعارك يا عمي .. يخرجون من الحبس ثم يعودون إليه .. ويقولون نحن كالسمك إذا خرجنا من السجن متنا .

عفيف : هذا ديدنهم للأسف .. الإصلاح يحتاج لجهد ووقت ..فضعف الخوف من الله يدفعهم للتمادي في فجورهم وعصيانهم .. هم لا يعرفون أو لا يدركون أنهم يسيئون للمجتمع والأسرة والنَّاس .

قال محمد : البر حسن الخلق ؛ ولكنه لا يباع في المتاجر ..إذا ذهب حسن الخلق من بين الناس أصابهم القلق والاضطراب والاشتغال بمشاكل الدنيا من فوضى ونزاع وتحرش الناس بعضهم ببعض .

ـ ربما لا يمكن القضاء على السيئات والسوء .

قال محمد : هذا مستحيل بالطبع ! ..لكن يجتهد الأخيار للتقليل منه وإضعافه بين الناس ..والشر لا ينتهي أبدا ليمحص بين الحق والباطل ، والجيد والسيء ..القضاء على الشر نهائيا صعب إن لم يكن من المستحيل !

ـ هذا الشاب الذي يزعج الشارع بمشاجراته كم قضى في السجن من عمره .. ومع ذلك لم يتعلم لم يرتدع؟!

قال محمد : مهما كان الإنسان قويا وعنيفا سيأتيه من هو أعنف وأقوى منه .. إنما أعتقد أن تربيته سيئة .. ونشأ في بيت فاسد على الأغلب .. القرآن يقول:" كما ربياني صغيرا" كما ربي نشأ .. نسأل الله العافية .. التنشئة لها دور مهم وخطير في حياة الإنسان!

قال محمود : علمت أن أحسن الناس أخلاقا في الدنيا من أقرب الناس مجلسا ومجاورة للنبي صلى الله عليه وسلم والصديقين في الجنة .

قال محمد : نعم ، صحيح هذا يا محمود .

مصرع المدير

الحلقة الثانية والأخيرة

الفصل الثاني

١

في صباح اليوم التالي كان المقدم عزيز ومساعده النقيب الشرطي زايد يجلسان مع الآنسة منيرة في مكتبها في مبنى المصرف ، ولما تمت المجاملات التقليدية همس عزيز قائلا : أنت سكرتيرة المدير السابق وموظفة في البنك منذ ما يزيد عن عشر سنوات ، وأصبحت السكرتيرة الخاصة من قبل سنتين وأشهر ، وقد كنت ثقة المدير ، ويعتمد عليك بترتيب أموره كثيرا كما قيل .. فيا آنسة كانت هناك مشاكل في الآونة الأخيرة بين فريج والمدير وبين مازن والمدير وبحكم موقعك ووظيفتك لابد أنك سمعت وعلمت شيئا من هذه المشاجرات ؟!

نظرت الفتاة في وجه المحقق وقالت : أحب بداية أن أوضح لك يا سيدي فأنا علاقتي بالمدير علاقة عمل فقط وأثناء العمل فحسب ، وأحيانا أشارك في مؤتمراته وندواته وحفلاته المتعلقة بالعمل.. هذا ما أحب أن تفهموه .. علاقات عمل وبس .. وفي بعض الأحيان أحضر اجتماعهم الشهري المنزلي وأنصرف فور انتهاء الاجتماع لا أشاركهم السهر نهائيا .. والسيارة التي أملكها هي هدية من المدير وذلك منذ سنوات حتى لا أتأخر في الوصول لمكان العمل .. وقد تأكد رجال الأمن من مرض والدي ليلة مقتل السيد المدير .. وتأكدوا من وجودي معه في المستشفى .. هذا ما عندي يا سيدي .

وكانت تتكلم بسرعة وتدافع وتعب فلما انتهت قال الضابط وهو يبتسم : أحسنت على هذه التوضيحات !.. أنا سألتك يا سيدتي العزيزة عن مشاكل المدير مع أفراد الأسرة .. الأقارب ؟

قالت : بصراحة فريج مدين للمصرف بحوالي سبعة عشر ألف دينار .. وكذلك الأستاذ مازن وقد تكون ماريا أيضا مدينة ؛ ولكن لا أعلم عنها شيئا .. قبل شهور من موته طالبهم فريجا ومازنا بتسديد ديونهم ملمحا لهم أن البنك يمر بضائقة مالية فعليهما بإبراء ذمتهما نحو البنك فغضب فريج واعتذر عن السداد لإفلاسه فأشار عليه عمه أن يبيع الفيلا التي ورثها عن أبيه صبري فاحتد وقال : سدد عني أنت واخصم من راتبي . فأجابه المدير : راتبك .. نحتاج عشرين سنة حتى يسدد ما عليك دبر نفسك .. المهم جرى بينهما حديث حاد .. هذا حصل ولكني لم أسمعه يهدده بالموت أو القتل .. وطلب من ابن أخته مازن تسديد الدين الذي عليه وهو حوالي عشرة آلاف فوعده

بالتسديد قريبا .

فقال الضابط : هل جرت هذه المشاجرات أمامك ؟!

ـ طبعا .. لا .. ولكن من مكتبي هذا يمكنني سماع ما يجري في مكتب سيادة المرحوم .. وبعد ذلك توترت العلاقات داخل البنك .. قل المزح والمداعبة بين الزملاء .. الكل صامت يراقب الوضع عن كثب .. فأصبح يخيم على الوجوه النكد والوجوم .. وكرر المدير أكثر من مرة الطلب على السيد فريج ببيع الفيلا وهو يقول إن والدته وأخواته والورثة لا يريدون البيع ويرفضون هذه الفكرة بشدة .

فقال الضابط : هل تظنين أن يقتل فريج عمه للتخلص من هذا القرض ؟ .

فكرت الفتاة قليلا وقالت : لا .. فلو قتل عمه فلن يتخلص من الدين ، فهناك أوراق مكتوبة عليه وعلى مازن .. إلا إذا ورثوا ثروته ؛ ولكن ظهر بعد موته أنه لا يملك شيئا .. فكل الحسابات الأوروبية صفر ، وهناك تحقيق سري حولها .

فقال الضابط : أخلاق فريج كيف هي ؟

قالت : هو هادئ أثناء العمل يدخل مكتبه في قسم القروض ولا يفارقه حتى انتهاء الدوام إلا لمهمة.. وهو قليل الكلام .. ولكنه يشرب الدخان بشراهة .. وأسمع من الزملاء أنه يعشق الخمر والنساء .. ولا أعتقد أنه يحترم الحياة الزوجية .. واعلموا أنه قبل أن يتزوج الزميلة سابقا سارة كان بيني وبينه مشروع خطبة ؛ ولكنه لما التقى بسارة تحول إليها وانتهى مشروع زواجنا، وحاول أن نبقى أصدقاء فرفضت .

ابتسم عزيز لهذه المعلومة الأخيرة وقال : كنت أريد أن أسألك فعلا عن هذه الخطبة ..الحق أنني تحدثت مع فراش قديم في المصرف تسمونه " أبا موسى " عن الموظفين العاملين هنا .

فقطعت الكلام قائلة : نعم هو أقدم فراش ..استمرت فترة التعارف بيننا حوالي ستة أشهر ، ثم أحب سارة وتزوجها ، وابتعدت عن حياته ، وما زلت عزباء يا سيدي .

قال المقدم مشجعا : أنت متعاونة جدا إجابات صريحة وواضحة من غير لف ودوران .. حدثينا عن السيد مازن .

قالت : هو الآخر نشيط في عمله ، وهو الآخر يحب الخمور والسكر وقد تورط فترة بالمخدرات ولكن تم إنقاذه منها .. ولا أعلم له مغامرات نسائية .. وهو يخاف من خاله جدا ويبدو لي أنه يعلب القمار .. لقد سمعته يتحدث عن خسارته مرة مع الأستاذ عماد زكي .. موظف عندنا في قسم الكمبيالات .

فقال عزيز : والسيد فريج صبري يمارس القمار .؟

سكت منيرة وحملقت في وجه الضابط لحظات ثم تكلمت وهي تهز رأسها : الحق أنني أسمع بذلك من همسات العاملين ولم أسمع ذلك منه ..

وتحدث معها الضابطان في أمور أخرى حول البنك والحياة الخاصة للمدير الميت ، وبعد ذلك طلبا الموظفة الأخرى ماريا التي جاءت بعد وقت يسير ، وبعد ترحاب بارد وتعريف سريع تركت الآنسة منيرة لهم المكتب وخرجت ، فلما أغلق الباب قال لها عزيز : أنت كنت تسافرين مع المدير إلى أوروبا ..ماذا كان يفعل هناك؟ .. أين يذهب؟ أين يمشي ؟؟

فردت بتكبر وعجرفة : أنا جئت لتسألني عن مقتله هنا .. فهو لم يقتل هناك كما أعلم !

فنظر الضابطان إليها بدهشة وقال عزيز : قد يكون لاختفاء الأموال من بنوك أوروبا شأن في مصرعه يا سيدتي العزيزة .

فقالت بقوة : لا أعتقد ذلك .. فقاتله من هنا .. لا أعداء له هناك .

ـ الله ! .. أواثقة مما تقولين ؟ أعندك برهان أيتها السيدة الفاضلة ؟!

فقالت : أنا لا أعرف قاتله ولكن أحوال الأيام الأخيرة والصراع في داخل العائلة كان يوحي بوقوع شيء .

ـ ولكن القتل وإثبات جريمة القتل يحتاج إلى أدلة مادية قطعية واعتراف صريح من غير ضغط أو تأويل ليس وحي وعلامات وقرائن فقط .. فهل يعقل أن يؤدي الصراع على القروض بينه وبين أقربائه إلى القتل والجرائم ؟! .. وقد يكون لفريج يد في قتل عمه ؛ لأنه هو المستفيد الوحيد من مصرعه طمعا بميراثه .. أما مازن فلا يرث فكيف يتخلص من قروض البنك بموت خاله ؟ .. ثم إن السيد مرعيا لم يترك شيئا كبيرا مهما وراءه ليتنازع عليه يا سيدة ماريا ..

فقالت : القصر والعقارات الأخرى .

ـ ولكنها مجمدة للمصرف ..وهل قيمتها تساوي عشر ملايين ؟

فقالت : قد تظهر في يوم ما ..

ـ لم تجيبي عن نشاط المدير أثناء سفركما ؟ حسنا .. يوم مقتل المدير الساعة الحادية عشرة وخمسون دقيقة ليلا أين كنت ؟

ضحكت وقالت بنبرة تهكمية : في البيت أتفرج على فضائية فرنسية .. أنا أتقن اللغة الفرنسية جيدا ..جيدا

فقال مقاطعا : وماذا شاهدت ليلتها ؟

فردت بسخرية : لا أذكر .. بل فِلما عن مقتل مدير بنك زراعي .

فقال الضابط باسما: رائع ! لا أريد معرفة اسم هذا الفِلم ولا من هي القائمة بدور البطلة ؟ هل كان

معك أحد في البيت ؟ فنحن نعلم أنك تسكين في شقة وحدك .

فقالت : نعم ، أسكن وحدي ولكن عندي خادمة .. فأنا قد تزوجت قديما من شخص اسمه " يوسف قدا " كان موظفا في البنك ، ثم انتقل بعد انفصالنا إلى عمل آخر ، ولي منه ولد عمره الآن تسع سنوات ، وهو في رعاية والده ، ويزورني هذا الابن نهاية كل أسبوع .

فقال : أنت الآن من غير زوج ؟

ـ أجل .

فقال عزيز : ليلة الحادث أكان ابنك عندك والخادمة ؟

قالت بتردد : لا أدري أنا كثيرة النسيان .

فقال : جيد.. لماذا لم تحضري الاجتماع تلك الليلة أتخافين من رؤية الدم والموت ؟

صعقت المرأة لهذا التلميح وقالت بحدة وهي تنظر في عيني المقدم : تتهم ! .. أنا قلت في التحقيق السابق لماذا لم أحضر الاجتماع ارجع إليه .. ولكن لا بأس أنا لا أريد أن أتعبك .. أنا تخلفت لأن المدير طلب مني عدم الحضور .. واعلم أنني لا أستطيع التصويب في المسدس رغم أنني أضع في حقيبتي مسدسا ..

ـ المسدس هدية من المدير .

قالت : نعم .

فقال عزيز : الخادمة شهدت بأنك كنت في البيت ليلة مقتل السيد مرعي .

قالت بغضب : رشوتها لتقول ذلك .

قال بهدوء : ممكن .. سيدتي .. هل تستفيدين من موته ؟!

ـ لا إلا إذا جعلني في قائمة الوصية .

ـ ألم تطلعي على وصيته ؟ .

ـ بأي صفة ؟

ـ هل تتهمين فريج صبري بالتآمر على حياته ؟

ـ كما قلت أنت سابقا .. الأمر يحتاج لدليل قاطع

ـ هذا اتهام له !

ـ المهم أنا لست قاتلة ولم استأجر قاتلا .. ولا يفيدني موته العاجل .

ـ صارحينا بشكوكك لدينا معلومات كثيرة .. من قتل فريج ؟

ـ لست أنا ، ولم أقتله .

ـ أشكرك يا أم فريد .. هل ترغبين بإضافة ملاحظة كلمة ؟

ـ اعلم أن أوروبا لا دخل لها في مقتل السيد مرعي ، بل لو كانت أخبار أوروبا معروفة في البنك ؛ لربما لم تحدث أي جريمة .

هتف الضابط فرحا وهو يقف : صح .. هذه معلومة ممتازة لآخر درجة ؟؟ ولكن ما الدليل أن فريجا هو القاتل ؟

قالت وهي تقف مودعة لهم وتبتسم : هذه مهمتك يا سيدي.. فأنا لست شرطيا ولا محققا !

فقال عزيز: ولكن قد يكون المقصود فريجا في الجريمة الأولى وقتل مرعيا بالخطأ ؟

ضحكت وقالت بقلق : فريج المقصود بالقتل! وفكرت قليلا ثم أردفت : والله ممكن ! .. ولكن لماذا يقتل ؟!

فقال باسما : ولكنه قتل ؟!

ـ على كل سوف تصل للقاتل إني أراك نبيها فتابع أعمالك .. وإذا تذكرت شيئا أرى أنه يفيد التحقيق سأقوله لك.. هات عنوانك هاتفك.

انصرفت وتركت الضابطين مذهولين من جرأتها على الاتهام ، فقال عزيز وهو يقعد ثانية : امرأة تتظاهر بالكبر والتعالي .. هذه المرأة تحتاج لمراقبة رجالك يا زايد ، ونريد المزيد من المعلومات الخاصة عن حياتها الخاصة لديها كلام.. فلنتحدث مع السيد مازن فريد .

وأرسلوا إليه ، فجاء بعد دقائق ودخل وهو يدخن والاضطراب والخوف واضحان على وجه فبعد ترحيب معتاد قال عزيز بصوت هامس : كيف أنت يا أخ مازن ؟

رد بعجلة : بخير .. اسأل .. اسأل ما بدأ لك .

ـ هل عندك معلومات تفيدنا في البحث والتحري عن الجاني ؟

ـ لا معلومات زيادة عما قلته في التحقيق السابق ..

فبينما نحن نستعد لإنهاء اجتماعنا انطلقت رصاصات ، فرأينا المرحوم مرعي ينقلب أو ينحني على المكتب .. فاتصل الأستاذ خالد بالإسعاف والشرطة على الفور.

ـ ما رأيك بأن تذهب معنا لموضع الجريمة لتصف لنا المشهد بالتفصيل .. أم لا تحب ذلك ؟

فقال مازن : أنا تحت أمرك .

فقال عزيز : شكرا لك .. فلنأخذ المدير الجديد أيضا معنا .. وبعد ربع ساعة كانوا يغادرون المصرف برفقة الأستاذ خالد نصري ونائبه مازن فريد إلى قصر السيد مرعي سعد الدين ..

وتنفس العاملون في المصرف الصعداء لخروج المحققين من المصرف .

٢

كان قصر السيد مرعي منذ مصرعه تحت حراسة الشرطة ، وما زال البواب والخدم في أعمالهم والبستاني ما زال يتفقده باستمرار ، والبنك يصرف لهم معاشاتهم وأجورهم حتى يتم تصفية تركة المدير ، إما بالمصادرة لصالح البنك أو إلى الورثة ، وقبل أن تصل سيارة المقدم عزيز إليه كانت سيارتا أمن في انتظارهما في واحدة منهما الرائد حردان الذي خاطب المقدم عزيز قائلا : آثار أقدام المجرم تدل على أنه دخل من الباب الخلفي

الصغير للقصر .. وأكد البواب يومها أن المفتاح الذي معه لم يأخذه منه أحد ، ومنه نسخ أخرى مع السيد مرعي ، ووجدنا مفتاحا مع السائق وآخر مع الخدم والباب لا يستعمل كثيرا .. ولم يوجد أي عنف أو خلع لتجاوزه .. ويقول البواب من الممكن تركه مغلقا من غير المفتاح وذكر لنا أنه لا يذكر ليلة الحادثة هل كان مغلقا أم لا ؟ وذكر الخادمان مثل ذلك ، والبستاني كان في نهار الجريمة قد دخل منه ومعه المهندس الزراعي ، ومكثا ساعة من الزمن ، ثم غادرا منه ورداه ورائهما.. ومن عادة البستاني الدخول والخروج منه منذ أكثر من عشر سنوات .

فقال المقدم عزيز : لا تهمنا الآن قضية المفتاح والباب .. المهم آثار حذاء القاتل تؤكد دخوله منه وسار نحو قاعة الاجتماع .

فقال حردان : آثار الأقدام تدل على أنه دخل منه وخرج منه ، ومن جهة النافذة التي تم إطلاق الرصاص منها على المدير لا توجد إلا أقدام شخص واحد يلبس حذاء خفيفا كأحذية الرياضة الخفيفة .. وبتتبع هذه الآثار من النافذة تنتهي عند الباب الصغير .. ويقول خبير الآثار إنها تدل على أن الرجل يعرف المكان الذي يسير فيه ، خطوات متتابعة ومستمرة وضغطها خفيف على الأرض .. فلا توقف في الخطوات ..ومن الصعوبة أن يشعر الخدم أو البواب بخطوات ذلك الحذاء فهي غير مسموعة وقياس درجة هذه الحذاء بين ٤٢ و ٤٤ كما بينها الرسام .. دخل المجرم من الباب الصغير بخفة كما نتصور وسار جهة المطبخ ومخزن الأثاث القديم ـ وأشار لهم الضابط إلى المطبخ ـ وكانت هنا خطواته واضحة .. ولما وصل نهاية المطبخ من الخارج واجهه فراغا صغيرا ثم أتى طرف قاعة الاجتماع ..وهناك مقعد قديم قريب من النافذة تبين لنا أنه صعد عليه وأزاح الستائر والنافذة كانت مفتوحة من الداخل وغطاء النافذة الخشبي كانت مفتوحا أيضا ، وهذه الأشياء في الغالب لا تفتح إلا من داخل الفيلا .. والخدم بينوا لنا أنهم لا يفتحون هذه النوافذ إلا في الصبح بضع ساعات ثم يغلقونها بقصد تجديد الهواء في الغرف ، ويذكر الخادم أنه فتحها في الصباح كالمعتاد ، ويؤكد أنه أغلقها بعدما نظف ومسح الغبار عن مقاعد وطاولات القاعة .. وكل هذا يا سيدي يدل على أن هناك ترتيبا مدبرا .. وأتصور أن المجرم عندما وقف على المقعد القديم ـ وأشار لمقعد بالقرب من جدار النافذة التي تم إطلاق النار منها للداخل ـ حرك الستائر بإحدى يديه بخفة وصوب مسدسه على رأس ضحيته فأصابه من الخلف ثم رصاصتان أخريان في الظهر أصابت واحدة العمود الفقري فانقلب الرجل على المائدة وقد

مات فورا ..طبعا القاتل كان يضع كاتم صوت على مسدسه ..والذي ساعده في سرعة الإصابة أن المقاعد التي كان المجتمعون يجلسون عليها لها مساند ظهر قصيرة .. فرأس الضحية يرى من الخارج وخاصة إذا وقف على الكرسي .. المهم في القضية كيف عرف وميز المجرم ضحيته من بين كل هؤلاء الرجال ؟

عزيز : سنعرف هذا بعد قليل .

دخل الضباط القاعة التي كانت مسرحا للجريمة الأولى ، فشاهدوا طاولة مكتب كبيرة من الطاولات المخصصة للاجتماعات ، ويدور حولها مقاعد وثيرة ولكن مساند الظهر قصيرة لم تكن مرتفعة مما ساعد القاتل على إصابة الهدف ، وأشار الرائد حردان إلى مكان وقال : كان هنا يجلس المدير وظهره للنافذة وعن يمينه قدر نصف متر كان فريج يجلس على مقعده ، وعن يساره يجلس ابن أخته الأستاذ مازن .

فهز مازن رأسه مؤكدا قول الرائد ، وتابع حردان الوصف وكان على يمين فريج مقعد فارغ ثم عماد وأخوه أحمد وكان في مقابل المدير يجلس خالد نصري وبجواره فارس .. ودخل عليهم الخادم مرة بفناجين القهوة ثم انصرف .. ونهض فريج مرة أو مرتين نحو الحمام وشهد الخدم أنهم رأوه يدخل المرحاض ، وعلل ذلك بأنه مريض ويصيبه بول كثير ، وقال الشهود إن غيبته لا تطل أكثر من بضع دقائق، ولما كانوا يستعدون لفض الاجتماع .. أطلقت النار على المدير فلم يفق الحضور من الصدمة حتى كان المجرم قد أصبح خارج المبنى من الباب الصغير الخلفي .. والعجيب يا سيدي المقدم أن البواب يشهد أنه لم ير فريجا في القصر منذ أكثر من أسبوع ، وكذلك الخدم لم يروه إلا ليلة الاجتماع لنقول إنه فتح الشباك للمجرم إن كان متآمرا معه كما يشك الكثيرون .. وكان السؤال المهم كيف عرف القاتل شخص المدير من وراء ظهره ! .. هذا ما عندي يا سيدي المقدم .

فقال عزيز : إنها جريمة محكمة التدبير والتنظيم ، مخطط لها قبل الاجتماع بدقة .. لا يوجد عند النافذة إلا أقدام شخص واحد ؟

ـ نعم يا سيدي .. وشاهدوا الجلسة اتفقوا جميعهم على أن أحدهم لم يقم بفتح النافذة أثناء الجلسة تحت أي ذريعة من الذرائع .

ولم يزد خالد نصري ومازن شيئا على إفادة الرائد حردان سوى أنهم قالوا بأنهم كانوا يهمون للقيام حيث يسهرون ويروحون عن أنفسهم فقال مازن : قمت .. فإذا بالمدير ينكفئ على الطاولة وتتطاير منه الدماء وسمعنا أزيز الرصاصات الغادرة فأصابنا الهلع والخوف ، فقام خالد بالاتصال بالإسعاف السريع والشرطة ، ولم يتحرك أحد منا

من الغرفة حتى أتى رجال البوليس وقاموا بالإجراءات اللازمة .

فقال عزيز موجها الخطاب لمازن : هناك مشاكل مالية بينك وبين خالك ؟

ـ نعم للبنك عليّ عشرة آلاف دينار ، وكان يطالبني بها في الآونة الأخيرة باستمرار ولكن ظروفي لم تكن تسمح بالتسديد ، وخالي يعلم ذلك ولكنه كان يصر على تسديدها .. والحقيقة أنه في الشهور الأخيرة كان كثير الغضب والعصبية .. ولكن لم أفكر بالقتل يا سيدي لحل مشاكلي ..وأنا مديون للمصرف .. ولا استفيد من موته بأي شعرة .. وبعد موته تمكنت من تسديد نصف المبلغ ، ويخصمون الباقي من مرتبي .

فكر الضابط قليلا ثم قال : هل من أسرار تعرفها عن خالك يا سيد مازن ؟

فرد مازن بقلق : خالي كله أسرار ؛ ولكنه لا يثق بإنسان ليكشف له خزانة أسراره .. واعلم أن علاقتي الشخصية لم تكن على ما يرام مع السيد الخال .. وحتى مع أسرتي كلها ، وقال بغضب مكبوت : فهو شخص أناني وحقود وأضف حسود .. ولا أحبه يا سيدي ومع ذلك ما تمنيت موته في أي لحظة .

ـ علمنا أنه أوصى لك ببعض المال ثم ألغاه .. أكنت تعرف ذلك قبل موته ؟

ـ لا يهمني ذلك لست بحاجة لمال منه ، ولكنه هو نفسه حدثني بذلك قبل موته بأيام فشكرته وبينت له أنني بغنى عن ماله .

ـ أوروبا ؛ هل تعرف عن أسراره في أوروبا شيئا ؟

ـ أكيد له أسرار فيها ولكني لا أعرفها .. فرفيقته في السفر السيدة ماريا خليل

ـ ولكنها لا تعرف شيئا .

رد مازن بسرعة : تعرف الكثير ؛ ولكنها لا تريد الكلام .. بل تدعي أنها تعرف قاتل السيد مرعي .

ـ أخيرا سيد مازن علمنا أنك تلعب القمار .. في أي محل تمارس هذه الهواية ؟!

رد مازن بقرف مثير : أحيانا أمارس هذه الرغبة المجنونة في نادي الكلب الذهبي لصاحبه صبحي موسم .

فقال الضابط : هو أحد الأماكن التي يلعب بها فريج القمار .

ـ نعم ؛ ولكنه يلعب في نادي شوهو أكثر ..

شكر المقدم مازنا والتفت للسيد خالد قائلا : سيدي المدير ما تقول في هذه الجريمة أو الجرائم ؟

فقال خالد بتمهل : حقيقة أرى أن الجريمة بعد الثانية تعقدت أكثر وأكثر .. فكنا نرى أن مقتل السيد المدير يصب في مصلحة فريج ومصلحة زوجته ؛ ولكننا بعد مقتل فريج ذهب بنا التفكير

بأنه قد يكون هو المقصود في الأولى ؛ ولكن مقتله لمصلحة من ؟ فهذا ما يحير بالتأكيد !



تحرك عزيز في الغرفة قليلا ثم قال : هيا نخرج وقريبا جدا ـ إن شاء الله ـ ستعرفون الجاني القاتل الذي رتب لهذه الجرائم .

وأشار المقدم لأحد سائقي سيارات الشرطة بأن يوصل الرجلين لمكان عملها ، وقال لزميليه زايد وحردان : علينا أن نحل لغز النافذة .. أي كيف فتحت وهيئت للمجرم ؟ ولغز كيف عرف ظهر المدير دون الآخرين ؟ ..كيف فتحها المجرم أو من فتحها له ؟ ..عليك يا أخ زايد أن تلتقي بخادمة السيدة ماريا التي شهدت بأن ماريا ليلة مقتل السيد مرعي كانت في البيت فعلا ، وتضغط عليها لتأخذ منها معلومات مهمة حول العلاقة الخاصة بين ماريا والمدير ما نوعها وأهميتها .. وأنت يا سيد حردان اجتمع بصاحبي النوادي التي كان يلعب بها فريج القمار .. شوهو .. الكلب الذهبي .. والنادي القديم فورمون ..اعرف منهم أصدقاء فريج ومع من كان يكثر الجلوس واللعب ؟ .. وغدا نلتقي في مكتبي لنحل هذه الألغاز .. وسأقوم الآن ببعض الزيارات الخاصة .

وركب سيارته وحيدا وانطلق بها إلى مكان ما أو أكثر .

٣

في صباح اليوم التالي اجتمع مدير الأمن العام بالضابط عزيز واستمع له ، فأوجز المقدم له نشاطه منذ استلم القضية وقال في النهاية : يوم أو يومان بإذن الله يكون المجرم بين يدي العدالة وبين يديك ملف كامل حول القضية التي شغلت الصحف والأخبار .

فرد عليه رئيسه : أنا واثق بذكائك مقدم عزيز .. أرجو أن تظفر بالقبض على المجرم سريعا .

وانصرف عائدا لمكتبه فوجد صاحبيه في انتظاره ، فلما جلس خلف المكتب قال لهما : وعدت المدير أن ننهي القضية اليوم أو غدا على الأكثر .. هات ما عندك يا زايد ؟

فقال زايد بانفعال ظاهر : عندي مفاجأة حقيقية .

قال المقدم بحماس : تكلم أيها الصديق ؟

رد الضابط وما زال في انفعاله الظاهر : تبين لنا من الحديث الحاد مع خادمة ماريا أنها خادمة جديدة تعمل عندها من بعد مقتل السيد مرعي بأيام .. فقد صرفت القديمة وأتت بأخرى جديدة .. فمشينا إلى القديمة ...

الضابطان : فعلا إنها أخبار مدهشة . . رائع نقيب زايد !

فقال عزيز: أين المفاجأة يا صاحبي ؟
رد زايد: المفاجأة أن الخادمة بعد كلام مثير اعترفت لنا أن السيد مرعيا كان متزوجا من ماريا خليل سرا .. سرا عن زوجته الأمريكية وسرا عن الأهل والأقارب وقل عن موظفيه . وقبل مصرعه بشهرين تقريبا انفصل عنها وطلقها
وقال المقدم مفكرا: الآن أدركت لماذا لم يذكر لها شيئا في الوصية مع أنها قريبته ؟ .. مرعي تزوجها سرا .. كم مكثت زوجة له ؟
قال زايد : إنها لا تدري ، فالخادمة قضت عندها سنة ومنذ عملت عندها وهو يتردد عليها كزوج .. ثم حصل الطلاق والفراق .
فقال حردان متسائلا : هل تكون قاتلة لسبب ما ؟! ومن أجل ذلك أشاعت أن فريجا هو القاتل ؟
فقال عزيز :علينا بالقبض عاجلا على الفاعل المنفذ ليحل لنا هذه الألغاز .. وأنت يا رائد حردان ما الجديد عندك ؟
أجاب الرائد حردان قائلا : العمارة التي قتل فيها فريج ، تبين لنا أن هناك شقة أسفل شقة فريج كان يسكنها رجل وحيد ، ومنذ مقتل فريج لم يظهر في العمارة ، ويقول حارس العمارة إنه مهندس كيميائي ، ولا أحد من الجيران يعرف عنه شيئا ، ولا حتى موضع عمله ، وقد استأجرها لمدة شهرين ؛ ولكنه قبل الحادث بيومين لم يره أحد ، وكان من عادته أن يلقي التحية على البواب كل صباح ؛ ولكنه قبل الجريمة لم يظهر للبواب ، وذكر لنا أوصافه ودخلنا شقته فلم نجد بها شيئا مهما سوى أكوام الصحف والمجلات السياسية الأجنبية وعلب طعام فارغة ونحن مستمرون بالبحث عنه .
ـ مفتاح الشقة أما زال معه ؟
ـ أجل ، وهو غائب وقد انتهت مدة الإيجار من قريب كما أخبرني البواب ، ويريد أن يعرف هذا البواب هل نشمع الشقة أم نسمح لهم بتأجيرها ؟
ـ ما دمت قد ألقيت نظرة عما بداخلها.. دعهم يحتفظوا بما في الشقة من أشياء في مخزن ثم ينظفوها ويؤجروها. . واستمروا بمراقبة العمارة وإجراء التحريات عن سكانها، واعلموا أني علمت من السيد خالد نصري مدير المصرف الجديد أن السيد أحمد زكي كان صديقا لماريا ، وقد أراد الزواج منها بعد أن هجرته امرأته ، وأن المدير مرعيا اعترض على هذا الزواج .. فقد اتصلت به لأسأله عن ماريا وأخلاقها وطباعها فذكر لي هذه القصة .. وها أنتم جئتم بخبر عجيب .. سنقوم بزيارة لها في بيتها .. فخذوا لنا معها موعدا وقبل ذلك سنمر على المصرف ونتحدث مع بعض الموظفين وأرى أحمد وزكي .. النوادي .. نوادي القمار ما فعلت فيها ؟
قال حردان : تحدثت مع مدير نادي الكلب

الذهبي فجمعني مع المسؤول عن صالة القمار فأخبرني أن فريجا فعلا كان يتردد على صالة القمار ويلعب مع المقامرين ، وكان يحضر مرات قليلة بصحبة السيد عماد زكي وأكثر مع مازن ، وأحيانا مع شخص اسمه شاهر براعمي الشهير بالمكار ، وهو مقامر بارع .. هؤلاء فقط يحضر مع أحدهم .. وأكثر الوقت يأتي وحيدا ويأتي النادي في كل أسبوع مرة أو مرتين ، أما نادي شوهو لا يكاد يمضي نهار إلا ويدخله يلعب أو يتفرج ، فنادي شوهو صاحبه رجل إنجليزي أو مؤسسه أما المدير الحالي السيد برصوم فقد قال : إن فريجا من زبائن النادي الدائمين لا يكاد يمر يوم إلا وشاهدناه بيننا ، فإن لم يلعب يعاقر الخمر ثم ينصرف مع نصف الليل ، وكل رواد الملهى يعرفونه وقد حزنوا لمقتله ، وكان أكثر الناس صحبة له صاحبه شاهر براعمي ، فهما صديقان حميمان في النادي .. والبراعمي هذا رجل أعمال فاشل ، ورث عن أبيه ثروة عظيمة .. وقال لنا برصوم : إنه كان ضابطا في الجيش ، فلما ورث الثروة الكبيرة ترك الجندية ، وكثر تردده على الملاهي والخمارات ، وسمي بالمكار لخبثه وبذاءته ، فهو يعتبر من أكثر الناس جلوسا مع فريج ؛ ولكنه قبل مقتل السيد فريج كما علمنا من برصوم أراد السفر إلى باريس ، وقبل سفره مرض وسقط في الملهى فنقل إلى المستشفى ومن يومها لم يظهر في النادي ، ولا أحد يعرف مكان عمله ؛ لأنه لا يعمل ، ولا حتى مكان سكنه بالضبط إلا أنه يسكن في حي ليلى أما البيت فلا يعرفه أحد .

ـ هذا الشخص يجب أن نلتقي به ما دام هو من أكثر الناس صحبة لفريج في مثل هذه الأماكن ..اذهبوا إلى المستشفى الذي كان نزيلا فيه واعرفوا صفة مرضه ومتى خرج وهل سافر إلى باريس ؟ اعرفوا ذلك عن طريق رجالنا في المطار الدولي .. فنحن بحاجة لمثل هذا الصديق لفريج .. قوموا الآن بواجباتكم ودعوني أزور البنك ورتب لي يا زايد لقاء هذا المساء مع السيدة ماريا وليكن في بيتها لن أتحدث معها في المصرف ، وسوف أمر على بواب القصر وأتحدث معه ومع الخادمين علينا التحرك بسرعة للوصول إلى الجاني اللعين قبل أن يرتكب جناية جديدة .. نسيت أن أسألكم عن سارة ما أخبارها ؟

أجاب زايد : هي تحت المتابعة الأمنية لم تخرج من بيت والدها سوى بضع مرات لمدارس الأولاد وتعود إلى البيت ثانية .. راجعت العيادة مرة واحدة ثم عادت إلى البيت تحدثت مع حماتها مرتين وكان كلاما مقتضبا وحول مصاريف الأولاد .. أمور عادية والمراقبة مستمرة .

عزيز : الليلة بعد لقائنا بماريا سنضع تصورنا لهذه

الجريمة .. فلدينا معلومات كثيرة سأقوم بترتيبها جيدا .. السلام عليكم وإلى لقاء .

٤

رحب المدير خالد بالمقدم عزيز ترحيبا حذرا والذي استفسر منه عن أموال البنك الضائعة في الغرب ، ثم تركه بعدما سمع الإجابة، ثم التقى بالسيد مازن وسأله عن سبب حذف اسمه من وصية الخال فقال مازن : خالي رجل مزاجي عندما يكون راض عن شخص والعلاقات طيبة تأخذ منه ما تشاء وإذا ساءت العلاقة يغضب ويتحامق .. السبب يا سيدي أنه تشاجر مع والدتي أخته ؛ لأنها تدخلت في موضوع القرض الذي بيني وبين المصرف وعاتبته في الأمر فنـقم منا وغير وصيته .. وهذه ليست أول مرة .

قال المقدم عزيز : هل تعلم أن خالك .. وسكت لحظات ثم أردف قائلا : كان متزوجا من ماريا خليل ؟

فغر مازن فمه استغرابا وحدق في المقدم بدهشة وقال : سيدي ماذا قلت ؟! .. وضحك قليلا وقال : خالي متزوج من ماريا .. هل هذا ممكن ؟!

ـ أمعقول أنك لم تعرف هذا وأنت تشتغل في البنك ؟

قال مازن : هذه أول مرة أسمع بذلك .. ولا أظن أن أحدا يعمل في هذا البنك يعرف ذلك ! لابد أنك تسخر مني يا سيدي وتريد أن تصل لشيء .

ـ أبدا ، لقد تزوجها بسرية تامة وطلقها بسرية تامة

ـ آه ! .. تذكرت الآن لماذا ؟

ـ ماذا تذكرت ؟

ـ ذات يوم أراد السيد أحمد زكي الزواج من ماريا ..فالأخ أحمد متزوج من فتاة غربية ؛ ولكنها تركته وعادت لوطنها ، ثم التف حول ماريا وبعد قصة حب من طرف واحد ابتعد عنها، وعلمنا أن المدير أو الخال أوقف هذه المهزلة .. فهذا سبب معقول لابتعاد ماريا المطلقة عن أحمد .. ثم نسينا الأمر.. وماريا هي التي كانت تصاحب المدير في رحلات أوروبا .. ولكنك قلت إنه طلقها .. هل لهذا دخل في مصرعه؟

أجابه المقدم عزيز : ليس بالضرورة .. تحياتي لك سيد مازن وشكرا على تعاونك معنا .

وغادره إلى مكتب رئيس قسم المحاسبة والموازنة السيد فارس واستفسر منه "هل كان يصرف السيد المدير أموالا إضافية على السيدة ماريا ؟ "

فقال : لا .. راتبها المقرر شهريا فقط ؛ ولكنه كلما عاد من أوروبا يأمر بصرف مبلغ خمسمائة دينار فقط لها على سبيل الأتعاب التي سببها لها السفر والمكافأة أيضا .

ـ هل لديكم رصيد شخصي للسيد مرعي في البنك ؟

ـ مبلغ بسيط حوالي عشرة آلاف .. كان يحب ادخار أمواله في الخارج .

ـ هل لديك علم عن علاقته مع زوجته الأجنبية ..هل كان بينهم مشاكل غير طبيعية؟

ـ الحق .. نعم .. كثيرا ما يتشاجران .. حتى أنهما كانا يتشاجران عندما نكون معه في البيت أثناء سهرنا معهم فنسمع مشادات بينهما ، وكانت دائما تعيبه وتعيره بعقمه ، فلقد كان الرجل عقيما وقد يئس من العلاج هنا وهناك ولم يتحقق له المطلوب ، وكانت امرأته تضغط عليه ليتبنى طفلا ولكنه رفض ولم ينحنِ للضغط .. على الإجمال لم تكن حياته الزوجية سعيدة .. فأحيانا تشكو لنا من سوء أخلاقه معها ؛ ولكننا لم نكن نرى ذلك فيه .. إنما السبب هو عدم الإنجاب بينهما ورفضه لفكرة تبني طفل أو طفلة.. أنا أعرفه قديما ، فقد كانت تتركه وتسافر إلى أمريكا بالسنة أحيانا وبالشهور ولا يكترث لغيابها ومع ذلك يرسل لها أموالا ومصروفا .

ـ ألم تطلب منه الطلاق ؟

ـ حسب معلوماتي لا ..وهو أيضا لم أسمعه مرة يفكر بالطلاق .

ـ هل تصدق أن السيد مرعيا كان متزوجا من قريبته ماريا سرا ، ثم طلقها قبل حادث مقتله بشهرين أو ثلاثة ؟

تظاهر فارس بالدهشة وقال : حقا ! هذا شيء جديد .

ابتسم عزيز وقال : ولكنك لم تفاجأ بالخبر كثيرا ؟

قال فارس : الحق أنه كانت لديّ شكوك في ذلك .. ولم أحاول تأكيدها فعلاقات المدير الخاصة لا تهمني ، نحن أصدقاء عمل في الغالب يا سيدي ..وقد تردد من سنتين تقريبا تهامس بين الموظفين أن المدير يتقرب من ماريا .. ثم خفت الموضوع .. وعندما أراد السيد أحمد زكي الاقتران بها منعه المدير بشدة ، ولم نعر الأمر اهتماما فظنّنا أنها شكت له فأوقفه عند حده ثم انتهى الأمر عند هذا الحد وعادت ماريا للهدوء بعد قصة عاطفية قصيرة من قبل السيد أحمد .

ـ العلاقة الشخصية بين فريج وعمه مرعي كيف كنت تراها ؟

ـ لم تكن حميمة .. ولكنها صحبة كأس وميسر .

ـ المدير يلعب القمار ؟!

ـ هو متعلق بها أشد من أقربائه يا سيدي المقدم .

ـ أين يمارس هذه القمار ؟

ـ هنا في هذا القطر .. لابد أنك تعلم أنه يوجد نادي خاص في البلد لا يدخله إلا علية القوم للعب القمار .

فقال المقدم : وما أدراك به ؟

ـ لقد حاول جر رجلي كما يقولون لهذا الوكر

..ابتليت بها قديما ؛ ولكني أبغضها اليوم بشدة مع شدة ابتلائي بالشراب اللعين .. ما استفدنا من تعلمنا في الغرب إلا التعلق بمثل هذه الموبقات .

ـ ما اسم هذا النادي؟

ـ لقد رافقته إليه بضع مرات .. إنه يقع في الشارع السابع .. عمارة الغراب .

ـ لقد عرفته .. فعلا هناك ملهى لرجال المال الكبار .. فهذه أول مرة أعرف أنهم يلعبون الميسر .. كنت أظنه مشربا للخمور والجلسات الشاعرية .. شكرا سيد فارس .

وتركه ليتحدث مع السيد أحمد زكي الذي انزعج لما رآه وقال هامسا : نعم أيها السيد .. إنني لا أحب الجلوس والكلام مع رجال الشرطة والأمن .

ـ الضرورة لها أحكامها .. لولا وجودك على مسرح تلك الجريمة لما وجدتنا بقربك أيها البطل

ـ أنا لست بطلا .. ماذا تريد مني اليوم ؟

ـ جئت لأتحدث معك عن علاقتك بماريا .. وقصة الحب التي كانت بينكم .. ولماذا منعها المدير من الزواج منك ؟؟

فرد أحمد بدون تفكير : لأنه يحبها!

نظر المقدم في عيني أحمد وقال : يحبها .. ومن أعلمك أنه يحبها وهو أكبر منها بأكثر من عشرين سنة ؟

ـ هي أخبرتني بذلك .. صارحتني بعشق المدير لها

ـ وهل تعلم أنه تزوجها ؟

ـ قالت لي ذلك بعد أن أمرني بالابتعاد عنها .. جعلتني مطية لتتدلل عليه .

ـ وهل تعلم أنه قبل أن يموت بفترة قد طلقها ؟

قال أحمد بدهشة : هذه أعلمها منك يا سيدي !

٥

كانت السيدة ماريا خليل العاملة في مصرف الرعاية في ذلك المساء على موعد هام مع رجال الشرطة في قضية زوجها السابق السيد مرعي سعد الدين مدير المصرف الذي تعمل فيه ، ولما دق الباب كانت الخادمة تفتح لهم باب الشقة وتدخلهم إلى غرفة الاستقبال أو الزوار ، وما كادا يستريحان حتى أقبلت عليهم بثوب جميل وزينة كاملة ترحب بهم وبعد السلام والكلام المعتاد أمرت الخادمة بإحضار القهوة لهم ، قالت موجهة الكلام للسيد عزيز : عجبت لك حضرة المقدم .. فأنت اليوم كنت في البنك وتكلمت مع السيد فارس والسيد مازن والسيد المحترم أحمد ولم تأت إليّ لتسألني ما دمت كنت تريد الحوار معي .. فقد انتظرتك في مكتبي .. فلم تحضر .. نعم أنا كنت زوجة للسيد مرعي منذ سنتين وهو الذي اشترى لي هذه الشقة التي نجلس فيها الآن وكتبها باسمي .. كان المسكين يأمل أن ينجب ولدا يرثه .. مع أنه

كان موقنا أنه عقيم ، فقد عرض نفسه على كل أطباء أمريكا وأوروبا وحتى اليابان ، كان يرى أن زوجته هي المريضة ولا تستطيع الحمل .. ولما علم بأنني أنا المطلقة التي لديها ولد أريد أن أتزوج من السيد أحمد اشتد غضبه واعترف بحبه لي .. وأعطاني هذه الشقة وخمسين ألف دينار رصيدا في أحد البنوك .. على القبول به زوجا ؛ لعل الله يرزقه ولدا مني فوافقت .. بيت ومال وزوج .. ولكنه أراد أن يبقى هذا الأمر في غاية الكتمان عن أقاربه وزوجته .. وهذا ما حصل

ـ ولماذا انفصلتما ؟

ـ لما يئس من حملي وزاد يقينه أنه هو العقيم بردت العلاقة بيننا ..فلما عدنا من فرنسا في المرة الأخيرة ، وكنا قد تغاضبنا هنالك طلبت منه الطلاق ولكنه رفض .. فشتمته وعيرته بعقمه كما تفعل زوجته الأمريكية ، وهددته بكشف أمر زواجنا فوعدني بالطلاق على شرط أن لا أتزوج السيد أحمد زكي فوافقت .. ولما عدنا تم الطلاق خفية عن الأصحاب والمعارف كما كان الزواج خفية .. ولكن زواجي موثق في أوراق دائرة الزواج والطلاق .. إنه زواج شرعي وطلاق شرعي

ـ سؤال آخر أيتها الحسناء .. القمار هل كان زوجك أو طليقك يقامر في باريس لندن ؟ .

ـ هو مدمن خمر وقمار ..أما في أوروبا فعندما كنا ننزل في فندق يتركني أفعل ما أشاء ، وينصرف لأعماله ، فلا يحب صحبتي في تحركاته .. ومن النادر أن تتجاوز رحلتنا الثلاثة أيام أيها المقدم .

اعتدل المقدم وهو يأخذ القهوة من الخادمة ويرشف منه رشفة ثم يضعها أمامه ، ولما انصرفت الخادمة قال : سيدة ماريا .. نحن وضح لدينا أن السيد فريج صبري قد شارك بقتل عمه، وله دور مهم في الجريمة ، فقد تبين لنا أن السيد المذكور دخل قصر عمه ليلة الجريمة قبل الاجتماع المذكور ..وفتح له الخادم الآسيوي ، وكان عمه يجلس في مكتبه ، فقد ذكر لنا هذا الخادم بعد التدقيق والتحقيق أنه ترك السيد فريجا في صالون الفيلا ؛ لأن من عادة المدير أنه لا يخرج للاجتماع إلا في الوقت المحدد بالضبط عندما ترتفع دقات الساعة معلنة الحادية عشرة ليلا ، وبعد أن تركه الخادم قليلا ناداه فريج وقال له : إنه نسي صندوق السجائر في السيارة .

ففتح له الباب وخرج فريج ، ويبدو أن السيد فريجا في هذه الدقائق التي دخلها دخل قاعة الاجتماع وفتح النافذة والأباجور الخشبي غطاء الشباك ـ وهو يعرف القصر جيدا ـ وتظاهر للخادم بأنه نسي صندوق السجائر.. فهذه الدقائق لم يذكرها أحد في التحقيق ؛ لأنه لا ينتبه لها أحد ولم يشاهدها إلا الخادم .. خرج من الباب الخلفي

للقصر ويبدو أنه دخل منه؛ لأن البواب لم يذكر أنه رآه عندما دخل أو خرج لجلب صندوق الدخان .. قد تبين لنا أنه يملك مفتاحا للباب الخلفي فقد ترك الباب الخلفي مفتوحا ، ودار حول القصر حيث الباب الكبير حيث ركن سيارته أمام الفيلا وسلم على البواب ، وكانت الساعة قد زادت عن الحادية عشر فدخل قاعة الاجتماع متأخرا ، فظن الحاضرون أنه قدم متأخرا ، وعاتبه عمه على هذا التأخير ، فلم يذكر أمامهم أنه دخل وخرج بل تظاهر أنه تأخر فعلا .. فهذا هو حل لغز النافذة .. ولما رفع رجل المختبر الجنائي البصمات عن حافة الشباك ورفعوا البصمات لم يجدوا له أي بصمة .. فهذا يؤكد أنه كان يخطط لهذه الجريمة مع شريك آخر يعرف المدخل جيدا .. قد يكون فريج دخل به القصر من الخلف بدون أن يشعر بهم البواب العجوز قبل الجريمة بفترة مع أن الخادمين لم يروهم لأنهم في العادة مشغولون بالداخل ولو سمعوا حركة ظنوا أنه البواب أو البستاني .. لأن آثار القاتل تدل على حركة رجل يعرف المكان .. ولم يذهب فريج في الآونة الأخيرة للفيلا للمشاكل التي بينه وبين عمه ولتنفيذ الجريمة المدبر لها بإتقان ، فلما تعين يوم الاجتماع نفذ فريج الدور المطلوب منه وهو تسهيل مهمة القاتل .. والشريك سوف نصل إليه قريبا فهو تحت المطاردة .. والراجح أنه شاهر البراعمي وهو مختف من قبل مصرع فريج بأيام .. وهو من أهم أصدقائه على موائد القمار .. سيدة ماريا ما الذي دفعك لاتهام السيد فريج ؟

قالت : هل يعني هذا أنك لا تشك بي ولا تتهمني بمقتله ؟

فقال المقدم باسما : نحن لم نتهم أحدا بعد .. نحن ليس لدينا دليل ملموس على القاتل .. إنما هي تخيلات تصورات من المعلومات المتوفرة بين أيدينا .. دائما المستفيد الأول من جريمة القتل هو موضع اشتباه ..والمستفيد بعد التمحيص في هذه الجريمة إن ثبت أن الهدف هو المال هو السيد فريج وزوجته وثبت لدينا أن زوجته منذ غادرت البلاد لم تعد .. ويظهر أن فريجا هذا لم يكن يعرف باختفاء ثروة عمه قبل قتله وإلا غير رأيه وخططه ، المهم أنه قام بالجريمة بالاتفاق مع قاتل محترف أو شخص محترف بالرماية كالسيد شاهر .. ثم تنازعا فقام الشريك بالتخلص من فريج لتضليل العدالة وحماية شخصه أو الانتقام من فريج الذي خذله ولم يدفع له أجره إذا كان قد طمعه بميراث عمه .. أعندك دليل على ضلوع السيد فريج بالجريمة ؟

قالت : دليل مادي .. فأنا لم أشاهده يقتل ؛ ولكني سمعت فريجا يهدد عمه بالقتل إن لم يكف عن المطالبة بالقرض .. وذلك كان في بيتي قبل طلاقي من السيد المدير .. جاءني فريج بحكم القرابة التي

تربطنا وطلب مني مالا سلفة .. فهو مقامر خاسر دائما ، وبينما نحن نتحدث أتى السيد مرعي ، ولما علم بغرض فريج من هذه الزيارة زجره وشتمه ورغبه ببيع البيت الكبير الذي ورثه عن أبيه لسداد ديونه بدلا من التسول ، واحتد النقاش بينهم وارتفع الصياح فغضب فريج وهدد وتوعد عمه بالقتل ؛ ولكننا لمعرفتنا بضعف شخصية فريج لم نحمل كلامه على محمل الجد ونسينا الأمر ؛ ولكن لما قتل مرعي احترت هل اتهم فريجا أمام الشرطة ؟ ولكنّ فريجا كان مع الحاضرين الاجتماع ، والمشاجرة التي حدثت عندي لم يسمعها إلا أنا فلزمت الصمت هذا ما أعرفه .. وليس كل شخص يهدد شخصا بالموت لابد أن يقتله .

٦

رجع المقدم عزيز لمكتبه المؤقت بدائرة الأمن الكبرى ، وأخذ يقلب بالأوراق والمعلومات التي جمعها من الأشخاص الذين شاهدوا الجريمة الأولى والثانية ، وكان قد أحضر له ملف سيرة ذاتية عن السيد شاهر البراعمي أثناء خدمته في الجيش ، فلما قرآه بإمعان ودقة قال لصاحبيه : هو ضالتنا المنشودة ، فحل الألغاز كلها عنده ، والأدلة اعترافه الذي لابد منه .

قال حردان بعدما تحدثوا حول الجريمتين : ليلة مصرع السيد مرعي كان شاهر في المستشفى .. فهو يعاني من آلام في الكبد ، وسببها إدمانه الكحول ، وعنده أمراض أخرى .. وهو يسكن في شقة وحيدا ، لم يتزوج لليوم مع أنه زاد عن الخمسين ومخالطته لأهله قليلة .. وبالفعل قد ورث ثروة كبيرة عن أبيه نمر البراعمي الذي أدخله الجيش ضابطا ، وبعد عشر سنوات من الخدمة استقال على أثر وفاة أبيه ، وأهمل أعمال أبيه ، ثم تخلص منها وباعها ، وبعد سنوات ماتت أمه ، فلم تعد له علاقة بالأقارب ،ولم يختلط بهم ، فهو يقضي وقته بين الخمارات والمقاهي ، وقد تعرف على فريج من سنوات يسيرة في خمارة، فجرفه فريج إلى نوادي القمار ، هذه المعلومة عرفناها من عماد زكي ، وقد تأكدنا منها .. وبيته تحت المراقبة والمثير أنه ترك المستشفى يوم مقتل فريج .. لقد صرفه الطبيب صباحا بناء على رغبته وقال لهم إنه مسافر إلى فرنسا ، ثم عاد في صباح اليوم التالي وهو في وضع صحي صعب كما قال الدكتور المعالج ، وأمضى ثلاثة أيام أخرى ثم غادر المستشفى بعد ذلك .

قال عزيز : لم يسافر إلى باريس ؟

رد حردان : لم يغادر البلد عن طريق المطار شخص يحمل الاسم شاهر نمر البراعمي من قبل تاريخ مقتل فريج بأسبوع إلى اليوم هذا إلا شخصا واحدا اسمه الأول شاهر فقط .

قال عزيز : هذا الرجل يجب أن نقبض عليه فورا

.. فالأدلة تشير أن له يدا في الجريمتين .. فهو ذو أخلاق سيئة في وحدته العسكرية ، وهو ممن يجيدون الرماية بالمسدس ، وكان قد رشح مرة لحماية الشخصيات الهامة ، ولولا سوء سلوكه لسمح له بذلك العمل ، فتصوري للجريمة هكذا ..فريج بعد مشاجراته المتكررة مع عمه ، وفي كل مكان يلتقيان فيه يتنازعان ، فكر بقتله وقد يكون تحدث بهمومه أمام البراعمي أو عنده معلومات عن شاهر، فرتب معه صفقة .. وصفة قتل السيد مرعي .. ذهب فريج ليلة الجريمة إما وحده وإما معه القاتل حيث الفيلا ، طبعا وصل قبل الموعد دخل من الباب الخلفي للفيلا فهو معه مفتاح له قد وجدناه ضمن مفاتيحه ، وهو لم ينكر ملكيته للمفتاح كما في التحقيق الأول معه ، فهو بصفته مساعد عمه يدخل ويخرج كما يشاء ..وقد يكون الباب مفتوحا أصلا لدخول البستاني أو خروج الخدم منه دخل الفيلا واستقبله الخادم وكان عمه في المكتب يستعد للاجتماع ، فلم يتقابلا فجلس بالصالة ، وتركه الخادم وعاد لمطبخه أو غرفته فتسلل فريج حيث قاعة الاجتماع ففتح الغطاء الخشبي بواسطة السحاب وضغط زر النافذة الزجاجي أو شقها والستائر السميكة تخفي ما فعل وعاد لمكان الجلوس ، ثم تظاهر للخادم بأنه نسي صندوق التبغ وخرج من باب الفيلا الخلفي وتركه مغلقا من غير مفتاح ، ودار بالسيارة حول القصر ثم جاء من الباب الرئيسي كباقي الشباب وجاء متأخرا عشر دقائق حتى لا يثير الشبهة حوله لو جاء أولا لربما شكوا بأنه سبقهم وفتح النافذة .. فجاء القاتل في الموعد المتفق عليه بينهما ، وهو كما قلنا يعرف طريقه جيدا ، وصعد المقعد القديم الذي يستعمله البستاني ، وأزاح الستائر شيئا فشيئا وأطلق الرصاص على الهدف وهرب سريعا .

فقال زايد : قلنا هذا حل لغز فتح النافذة .. ولكن كيف عرف السيد مرعيا من بين هؤلاء الرجال ألا يحتمل أن يخطئ فتصيب رصاصته رجلا آخر ؟

رد عزيز : هذا أيضا لغز مهم .. ولكن الأمر رتب له ، السيد فريج يجلس على يمين السيد مرعي فيكون مرعي على يساره ، فلابد أن فريجا كان حريصا على هذه الجلسة والذي فهمته من كلام مازن وغيره أن فريجا دائما يجلس على يمين عمه ليتناول أي ورقة أو ملف من الزملاء ويضعه بين يدي عمه .. وهناك علامة أخرى كما علمت من بعض الحاضرين السيد فريج يلبس جاكيتا سوداء فعندما دخل القاعة متأخرا متظاهرا بالحرارة من الجو والعجلة فخلع الجاكيت فظهر قميصه الأبيض ، وقبل نهاية الاجتماع كان يحرك يديه يمينا ويسارا بضع مرات متظاهرا بالإرهاق ، وكان القوم يستعدون للانصراف ينتظرون دقات الساعة

نصف الليل ؛ ولكن الرصاصات انطلقت قبل دقات الساعة ، فهكذا عرف المجرم هدفه وهو لا يبعد عنه سوى ثلاثة أمتار ..هذا ما تذكره السيد خالد نصري وعماد زكي عن لباس فريج وحركاته ، وارتبك القوم من المفاجأة ، وانصرف القاتل بكل هدوء ، وأنا لا أرى أن فريجا هو الذي رتب هذه الخطوات ، فهو من مجمل كلامهم ليس بالذكي الفطن ، فلابد أن شريكه هو الذي رسم له كل هذا الرسم ، فاعتراف هذا الشريك هو الفيصل في هذه القضية .. اتصل يا زايد بالسيدة سارة وأنت يا نقيب حردان ابحث عنه في المستشفيات قد يكون غير المستشفى فهو رجل مريض فهو مفتاح هذه الجرائم .

خرج حردان لينفذ تعليمات عزيز ، واتصل زايد بالسيدة سارة ولما أصبحت على الخط قال لها إن المقدم عزيز يريد أن يتكلم معها .

ودفع السماعة للمقدم عزيز الذي ألقى عليها تحية المساء مع الاعتذار الشديد لهذا الاتصال الليلي فقال : سيدة سارة مع أسفي الشديد لهذا الإزعاج .. ليلة مقتل السيد فريج ذكرت أنه تحدث بالهاتف .. ألم تسمعي شيئا ؟ .. هل هو الذي اتصل أم رن جرس الهاتف فرد عليه ؟ تذكري جيدا يا سيدتي الفاضلة .

قالت : الحق يا سيدي أنني لم أسمع صوت جرس .. فعندما خرجت من غرفة الأولاد لمحته يضع السماعة ، قد يكون تكلم أو لم يتكلم ؛ ربما كان يعبث ولكن وضعه يؤكد أنه كان يتكلم وأنهى المكالمة لما شعر بخروجي من غرفة الأولاد وادعى أنه يكلم أمه .

ـ شكرا سيدتي سؤال أخير؟ .. لماذا تركتم البيت بيت أم فريج ؟ .. أرجوك صارحيني بالإجابة نحن على وشك القبض على القاتل الحقيقي .. قاتل زوجك !

فردت : آسفة يا سيدي الضابط .. ليتك توجه هذا السؤال لزوجة عمي أم فريج .. هي التي طردتنا .

فقال : وصل الجواب يا سيدتي شكرا لك ووضع سماعة الهاتف وقال : إنها تشك بأن زوجها قتل عمه والأم تشك بذلك .. فزر يا زايد هذه الأم وتحدث معها غدا .

وبينما هما يتحدثان أقبل حردان متهلل الوجه قائلا : لقد صدق حدسك يا سيدي العزيز فلقد قام رجالنا بالاتصال بعدد كبير من المستشفيات في آن واحد فذكر لنا موظف الاستقبال في مستشفى النهضة أن لديهم نزيلا بهذا الاسم ، والمستشفى مستشفى خصوصي وكبير ويقع في ضاحية الأصدقاء الخضر .

فقام عزيز وهو يقول: عجلوا بالذهاب إلى هناك قبل أن يشعر بكم هذا اللعين .. "ألم يقل فريج

قتلني المجرم قتلني اللعين ؟!" إنه يعرف قاتله .. فريج لم يدفع له ؛ لأنه لم يرث شيئا، فخاف الرجل فقتله ليضلل العدالة وأيضا لينتقم لنفسه .. أسرعوا أرجو أن يكون الساعة أمامي .. فسوف يتحدث معه موظف الاستقبال عن حسن نية أن أحدهم اتصل يسأل عنك أو يقول له الشرطة تسأل عنك فسيدرك أننا وصلنا إليه .

٧

بعد ساعتين كان وزير الداخلية يتلقى مكالمة مهمة من مدير الأمن العام يعلمه فيه بإلقاء القبض على القاتل في جريمتي مقتل السيد المدير مرعي والسيد فريج ، فاتصل الوزير بدوره عن طريق سكرتيره بعدد من كبار الصحافيين يعلمهم برغبته بعقد مؤتمر صحفي لكشف ملابسات مقتل مدير مصرع الرعاية وابن أخيه في العاشرة صباحا في قاعة المؤتمرات الصحفية في مبنى وزارة الداخلية .

ذهب رجال الشرطة مسرعين إلى مستشفى النهضة للقبض على السيد شاهر نمر ، فلم يجدوه في غرفته فقد غادر سريره ، واعترف لهم موظف الاستعلامات أنه تكلم معه عن طريق الهاتف وسأله عن سبب سؤال الشرطة عنه ، فتظاهر أنه لا يدري وقطع المكالمة .. وشاهدته إحدى الممرضات العاملة وهو يغادر غرفته متسللا فأخبرت أمن المستشفى فورا ، فأدركوه قبل أن يقفز عن سور المستشفى وقبضوا عليه ، وهم يعتقدون أنه يحاول الفرار للتهرب من دفع الأجرة المستحقة عليه ، فاتصلوا بالمسؤول في المستشفى فقال : احجزوه حتى أحضر .

وقد حاول إغراء ورشوة الموظفين ورجال أمن المستشفى ليدعوه ، ولكنهم لم يفلتوه ، وبينما هم يتحاورون معه أتى مدير المستشفى ، وكان رجال الشرطة قد أتوا لغرفته فلم يجدوه ، فأخبرتهم الممرضة التي لمحته وتعمل في ذلك الجناح بأنه حاول الهرب ، وقد أمسك به رجال أمن المستشفى ، وبعد دقائق معدودة كان رجال البوليس يستلمونه من المدير ، وبعد حديث يسير مع المقدم عزيز أدرك أن الشرطة تعرف عنه كل شيء فاستسلم قائلا : سأعترف لكم .. بدأ تفكيري بالقتل .. من كثرة شكوى فريج من عمه .. وضغطه عليه لتسديد ديونه وإلحاحه عليه باستمرار ببيع بيت العائلة وأخذ نصيبه من الميراث لتسديد ديون البنك .. فكثر شجاره مع والدته من أجل ذلك ، وذات مرة بعد خسارتنا مبلغا كبيرا على مائدة القمار جلسنا نتحسر فقال فريج : آه .. لو يموت عمي مرعي قد أورث عنه بضعة ملايين .. إنه يملك ثروة هائلة في بنوك أوروبا !

فسألته : وكيف سترثه وهو عمك ..وأغلب

الميراث يذهب للأبناء؟ فأخذ بالحديث عن عقم عمه ، فلما انتهى من الحديث عن عمه همست بأذنه قائلا: نحن نعجل بموته .
فبعد صمت ممل قال: وكيف ؟؟ .. فقد أخذت موافقته على اغتيال عمه مرعي .. والسبب الخمر والقمار هما أساس الإجرام .. المهم أننا أخذنا نخطط للقضاء على المدير المليونير ليرث فريج هذه الملايين ويعطيني نصيبي منها .. وأي نصيب ؟! .. فرسمت له الخطة بعد أن عرفت معلومات عن عمه .. ونفذ فريج ما طلبته منه بالتفصيل .. زرت القصر أكثر من مرة لمعرفة المكان .. وتم تنفيذ عملية القتل كما خطط .. أنا مريض دخلت المستشفى ، فريج داخل القاعة كغيره من الموجودين لم يطلق الرصاص .. القاتل من الخارج .. القضية ضد مجهول.. وهذا ما حصل فعلا ؛ ولكن بعد الجريمة ظهر لنا أن السيد مرعيا قد أخفى أمواله وأموال البنك المدخرة في أوروبا ؛ ولكن فريجا يعتقد أن عمه قد خسرها في أندية قمار أوروبا ، المهم خرجنا من الجريمة من غير شيء ديون فريج ما زالت باقية ، نصف الميراث الذي وعدني به تبخر في الهواء ، الشرطة تشك فيه ، الأسرة تتهمه بالغدر في عمه حتى أن أمه قد طردته من البيت ، فأصبح يشكل عليّ خطرا فرسمت خطة للقضاء عليه .. اسودت حياتنا بعد موت عمه ، وكان كثيرا ما يبكي بين يدي ويظهر ندمه ، فخشيت على نفسي ، وسولت لي نفسي بالخلاص منه لحماية نفسي .. فتعرفت على العمارة التي سكن فيها ، وكذلك الطابق الذي ينزل فيه ، والشقة التي يحيا فيها ، وأخذت أتحين الفرصة لاقتناصه وإزاحة كابوس الخوف منه على روحي المجرمة إلى أن كان ذات ليلة اتصل بي وحدثني عن ضيقه فقلت إني قادم إليك فلا تحدث زوجتك بشيء قد لا أحضر .. فريج من الناس الذين لا يتكلمون أمام زوجاتهم بشيء عن أصدقائهم .. وكانت الأمور في العائلة متوترة وسيئة كما كان يقول لي .. بعد منتصف الليل ذهبت إليه بسيارتي وركنتها في مكان بعيد عن العمارة ثم تسللت خفية، وفتحت الباب الخلفي للعمارة بهدوء مظهرا أنني لا أريد إزعاج البواب إن لم يكن يغط في سباته، وصعدت بخفة الفهد إلى شقته .. ولما فتح الباب كان يقول : " شاهر إنني متعب لا أريد الخروج " وما كاد ينطقها حتى واجهته بطلقة في جبهته واثنتان في صدره من مسدس قد وضعت عليه كاتما للصوت وهبطت سريعا وقد تناثرت عليّ بعض الدماء ، ولما وصلت الشارع سمعت صراخا عاليا ؛ ولكني كنت قد ابتعدت وركبت سيارتي إلى بيتي ، وكنت في صباح يوم ارتكابي لجريمة مقتل صاحبي قد غادرت المستشفى مدعيا أنني أريد السفر لباريس

للعلاج .. فلما حدثت الجريمة رجعت للمستشفى ثانية مدعيا بأنني أصبت بنكسة جديدة ، ولا أستطيع السفر فعدت إلى نفس الغرفة والسرير، ومن لا يدقق في الأمر لا يظن أنني قد خرجت ، وكنت أتابع مجريات التحقيق عن طريق الصحف .. لقد قتلت أول مرة من أجل المال والثروة ومن أجل القمار والخمر ، وقتلت في الثانية لحماية نفسي وخوفا من ضعف صاحبي ..ولكن ما يدهشني كيف عرفتم أنني القاتل .. أنني المجرم ؟

قال المقدم: أنت كشفت نفسك بنفسك ، نحن تيقنّا منذ البداية أن لفريج يدا في مقتل عمه ، ولكن من هو شريكه ؟ والحق أنه حدثت ملابسات أبعدتنا من الوصول إليك عاجلا ، وقد يكون اختفائك عن الملهى هو الذي وضعك في الشبهة ، فأنت المنفذ والمدبر ، والعدالة لا يمكن الهرب منها وإن طال الزمن فإن هرب الإنسان من عدالة أهل الأرض فهناك عدالة رب السموات والأرض التي لا مفر منها .. المهم كنا مقتنعين أن فريجا له شريك ، وهذا الشريك لابد أن يكون محترف في الرماية ولديه قوة قلب ، وأنت كنت محترفا فملفك العسكري واختفائك عن مسرح الأحداث بعد مقتل فريج ساعدا في الوصول إليك .

وشكر مدير الشرطة العام الضباط الثلاثة على جهودهم الكبيرة ومحاصرتهم للمجرم ، وفي الصباح كان وزير الداخلية يتحدث أمام الصحفيين عن إنجازات رجال الشرطة وكفاءتهم ونشاطهم .

وكان المقدم عزيز يحمل حقيبته السوداء الصغيرة ، ويركب سيارته منطلقا بها إلى الدائرة التي يعمل فيها في محافظة أخرى حيث كان يدير شؤون الأمن فيها .. فالمقدم عزيز لا ينتظر حتى يأتي المشتبه بهم إلى مكتبه ؛ بل مكتبه متحرك هو يمشي إليهم .. فهذه إحدى الجرائم التي ساعد في الكشف عنها المقدم عزيز فإلى لقاء آخر في قصة بوليسية أخرى .

تمت قصة جريمة مصرع السيد المدير

قصص وحكايات الفوارس

رُمان

الحلقة ١

الحياة صراع عجيب ، ربما يدفع هذا الصراع المرء لحياة الأشرار ، فيصبح شريرا يشار إليه بالبنان في الشر والعدوان ، وقد يستيقظ الشرير ذات حين فيعود رمزا للخير وإغاثة الضعيف والملهوف وقصة رمان فيها هذه المعاني ، فهو يعتبر السرقة والنشل والخطف بطولة ورجولة ومجالا للفخر، ولسماع مدح الشعار، وكان يرى في سرقة الأغنياء نوعا من العدالة ، وأخذ حقوق المساكين والفقراء ، فصار محترفا للصوصية ولصا يشار له في ذلك ، وكان يسمى هذا اللص عند إخوانه اللصوص والزعانف والزعران الشاطر رمان ويلقب بـ

غضب الليل ، ويسميه رجال الشرطة بسيد الحرامية والزعران ، في مدينة كسروان ظهر الشاطر رمان ، وبدأ حياته الأولى ، وهي من المدن العظام في ذلك الزمان ، بدأت حكايته منذ عهد الطفولة ، هجم على البيت رجال وخطفوا أباه من غير رحمة وحنان ، يتذكر رمان بن سنمار أنه كان صغيرا دون السنوات العشر الأولى من العمر ، بكى أمام الخاطفين ، وتوسل إليهم أن يدعوا أباه ، فرفسوه بأقدامهم إلى الأرض بكل قسوة وعنف ، ولطموا أمه عدة لطمات ، وضربوا أخاه الأصغر منه عدة صفعات ، وأخذوا الأب من بينهم واختفوا ، قيل إنهم لصوص ، وقيل إنهم من رجال الحاكم حاكم مدينة كسروان كبر الحقد والكره على المجتمع في قلب الصغير .. تزوجت الأم بعد سنوات، لم يطق رمان الحياة عند زوج الأم ، فكان يهجر البيت بالأيام والشهور ، ادخله زوج الأم الكتاب مرات ؛ ولكنه لم يصبر على تحصيل العلم ، فكان حلمه وهمه أن يكبر ويثأر من خاطفي أبيه ، وينتقم من كل أشرار الدنيا أحب المال وزوج أمه كان فقيرا ، فذهب لسوق العمل .. فعمل حينا عند حداد ثم تركه ، وعمل عند بزاز وباع ثوبا ، فأنكر ثمنه فصرفه البائع بسلام .. اشتغل حمالا في البحر فكان كثير العراك مع الحمالين والغلمان ، فضرب يوما أحد أبناء الأغنياء فقادته الشرطة وأوسعته ضربا وإيذاء ، فكبر الحقد والحسد ، وحاول العمل في الشرطة والجيش فرفضوه بزعم عدم الحاجة لمزيد من الشرطة والجيش .. شرب الخمر يوما فقضى في السجن أياما مع الضرب والإذلال ، فما أصبح له من السنين خمسة عشر عاما حتى كان من زعران كسروان ، اعتادت أمه وزوجها على غيابه، فلم يعودوا يكترثون له ولمشاكله .

كسروان مدينة ممتدة على ساحل البحر ، وهي مجموعة عملاقة من الجبال، وتقع دار الحاكم والإمارة في أقصى المدينة على جبل عال ، وفي وسطها تقع الأسواق المتعددة ، والبيوت منتشرة على الجبال وأطراف الوديان ، وساحاتها كثيرة وكبيرة وحدائقها كثيرة ، فبعد أن فشل رمان في العمل وجد راحة في النشل والسرقة والنصب والدجل فعمل مع سواح ، وهذا الرجل كبير مجرمي المدينة، فهو مجرم محترف يحسب له رجال الشرطة ألف حساب ، التقى به رمان في أحد الأسواق ، فعرض السواح هذا على رمان اتباعه والعمل مع زمرته ، وأخذه إلى أحد البيوت القريبة من الجبال وقال له : هذا بيتي .. وأنا زعيم عصابة من اللصوص وقد أحببت أن أضمك إلينا ، فنحن مملكة داخل مملكة ، فقد ذكرك لي بعض الرجال الذين يعملون معي فسعيت للقائك ،

فتنكرت ونزلت السوق أراقبك ورأيتك في سوق الليمون وأنت تنشل ذلك الرجل المسكين فأمسكت بك ، ولما ذكرت اسمك تذكرتك ..فما تقول بالعمل تحت إمرتي أيها الغلام

قهقهة رمان وقال: لست غلاما أيها السيد الكبير! وقد سمعت بك ، وسمعت أنك تقتل الناس

فضحك سواح وقال : أيها الفتى .. الذي يعمل مثل هذا العمل لابد أن يتعرض لهذه الأمور.. لا تخاف الدم .. أنت قوي البنية والبدن.

فقال رمان : فتى ..لا بأس.. الآن أصبحت فتى أتريد يا سيد سواح أن تقاسمني ما نشلت اليوم ؟

أخذ سواح يضحك عاليا ثم قال : لا.. مبارك عليك ما نشلت .. نحن نسرق المنازل والجواهر.. أموال كثيرة .. أنت تسلب دراهم .. فأريد أيها الفتى أن أضمك للفريق.

صمت رمان فترة ثم قال : سأقبل العمل معكم ولكن كيف؟ وما دوري؟

فقال سواح الزعيم : أيها الغلام الكبير سأسميك غضب الليل ، فعليك أن تنسى ما سماك به أهلك .. وهذا البيت الآن بيتك ، في المساء يأتي الرجال من أعمالهم ومن ثم تتعرف عليهم وتعرف عملك معنا .. اذهب إذا أحببت إلى النوم ..قد يكون الليلة عندنا خبطة هنا أو هناك .

في الليل بدأ أفراد العصابة يتوافدون على المنزل ، كانوا حوالي عشرة من الرجال ، وبينهم صبي واحد من سن رمان ، اجتمع بهم سواح وبين لهم انضمام العضو الجديد رمان ، فرحبوا به ، وكان أسعدهم به الغلام الآخر لأنهما متقاربان في السن فتعاطفا سريعا ، وبعد ذلك سألهم سواح : ما الأخبار ؟

فقال أحدهم: أيها الزعيم الكبير.. الشرطة ما زالت تبحث عنك لم يهدأ الوضع بعد ، فقد علمت أن الأمر وصل للحاكم ، وأنه طلب من الشرطة القبض عليك بأي وسيلة وصلبك .

الذي تكلم هو نائب الزعيم واسمه عازل، وصمت الكل لما سمعوا كلام عازل، ولم يتكلم سواح، فتلفت رمان في الجميع ثم قال: هذا أمر خطير أيها الزعيم ما القصة؟!

لم يغضب سواح بل ضحك وقال: أيها الفتى .. لا تكن فضوليا .. عليك أن تأكل وتشرب وتنام.. وتطيع الأوامر.. ولا تسمع ولا تتكلم .. إنني أعذرك لأنك عضو جديد لا تتكلم إلا أن يؤذن لك .

لكن رمان كأنه لم يستوعب نصائح الزعيم فتبسم وقال : هذا تقييد للحرية أيها الزعيم فأنا أفضل أن أعمل وحدي .

فقال سواح بهدوء عجب له أصحابه : اصبر يا رمان ..آ .. يا عازل اكمل .

فأدرك رمان أن الحكاية لم تنته ، فعاد عازل يقول : علمت من بعض رجال الشرطة ما قلت لك.. إن الأمر جد خطير.. والحاكم يشدد في القبض عليك ، فعليك أن تحتاط كثيرا هذه الأيام أما بالنسبة للرجال الذين سقطوا في أيدى الشرطة فقد أوصلنا لهم الرسالة بعدم الكلام وإلا الموت الزؤام

فقال الزعيم مبررا لجريمته : لو لم أقتل ذاك الرجل لقبض عليّ مثلهم .. مالي أرى الرجال تتناقص من بيننا؟!.. في الضربة السابقة خسرنا رجلين ، وسجن أربعة ..وهذه الضربة ألقي القبض على أربعة آخرين .. فهل كبرنا وهرمنا ؟! ولم نعد نحسن العمل والتنفيذ! كم بقي من الرجال عندنا ؟.. هؤلاء الرجال عشرة ، وثمانية في السجن .. وأنا وأنت .. وهذان الغلامان اثنان وعشرون .

تناول الرجال الطعام والشراب ، ثم عادوا للجلوس حول الزعيم الذي خاطبهم قائلا : صندوق المجوهرات كيف نحصل عليه ؟؟..هل نرسل رمان للمحاولة يا عازل ؟! .. فالرجل ما زال يطلب الصندوق ، وسيدفع مالا كثيرا ، لقد قابلته في سوق الجواهر، وبينت له فشلنا ، فقال : إن العرض ما زال قائما بيننا .. ما تقول يا رمان ؟

فرد رمان بقوة وحماس واستعلاء واستعداد : أنا جاهز لأى ضربة ما دمت قد رضيت بالعمل بينكم ومعكم .. رغم جهلي بأسرار الشغل عندكم .

ضحك الزعيم وقال : عازل .. اشرح له أصول العمل عندنا.. والنظام المراعى بيننا والمقامات وارسم له خطة لمحاولة سرقة الصندوق الذي فشلت أنا بنفسي بالحصول عليه ؛ لعل حظه خير من حظي .. انصرفوا .

لقد كان رمان ذكيا وفطنا وناقما ؛ ولكنّ ذكاءه وقوته ظهرت في عالم الشر والفتن ، استمع إلى كلام كثير من عازل ، وعن تقاليد العصابة المتبعة، وعن نشاطها وأهدافها ، واقتنع ببعضها ، ولم يقتنع بأكثرها ، وخلاصتها الإخلاص والولاء الكامل للزعيم في الدرجة الأولى ، ثم للعصابة في الدرجة الثانية ؛ وقال لنفسه في نهاية الحديث : العمل مع هؤلاء خير وأفضل من العمل بمفردي .

وبعدما انتهى عازل من تعليم رمان آداب وتعاليم العصابة ، ذكر له قصة الصندوق الذي يقصدون سلبه ، وفقدوا أربعة من رجالهم وغيبوا غياهب السجن ، فقال عازل : تاجر ذهب ومجوهرات في سوق الجواهر طلب من الزعيم سرقة هذا الصندوق الممتلئ بالجواهر النادرة مقابل مبلغ ضخم من المال .. أرشدنا على بيت صاحب الصندوق ، وترك لنا حسن التصرف ، ذهب الزعيم ومجموعة من الرجال قبل أيام لسرقة الصندوق ، وهم في دهاليز البيت اكتشف أمرهم

، وتمكن الزعيم سواح من الهرب بعدما قتل أحد الرجال الذين اعترضوه ، وأما الرجال الآخرون فقد قبض عليهم مثل الفئران الصغيرة .

فقطع رمان استرسال عازل وقال : وهل المنزل محروس ؟! ومن صاحبه ؟

رد عازل قائلا : المنزل بعد المغامرة الفاشلة علمنا أنه لأميرة من بلد آخر، وهي في ضيافة الحاكم وهي هاربة من بلادها لاضطرابات وقلاقل وفتن ، فتركها زوجها هنا وعاد لبلاده للقتال والحرب ، وكانت قد عرضت جواهرها على تجار السوق ، ولم يدفعوا لصاحبتها المبلغ المناسب فطمع فيها صاحبنا الجوهري ، ولنا علاقة طيبة معه ، ويشتري منا ما نسلبه ونسرقه فعرض الأمر على شيطاننا سواح ، وقمنا بالهجوم المفاجئ لنسطو على المجوهرات ، فيبدو أن حرسها كان مدركا لخطرنا، ففتحوا لجماعتنا الطريق ثم حاصروهم ، فدارت معركة استطاع الزعيم أن يفلت منها؛ ولكنه اضطر للقتل من أجل النجاة .. وسلم الآخرون للشرطة ، ووصل الأمر للحاكم .. والرئيس ما زال يرغب في الحصول على الصندوق .. ولا أدري أيها الشاب الصغير كيف ستحصل عليه ؟! ولكن يبدو أن الزعيم يثق بذكائك.

التزم رمان السكوت إلى حين ثم قال : هذه أول مرة أحاول أن أغامر مغامرة كبيرة كهذه ؛ ولكني سأحاول ، ولا تنظر لسني .. لقد مللت الشرطة في البحر وفي الأسواق .. اعلم أن أسهل عمل وجدته هو السرقة والنشل ، وأنا اكره الشرطة والحكام منذ الصغر ، ولابد أن اثبت لكم ذكائي وقدرتي، فلابد لي من سرقة هذا البيت؛ ولكن يا ترى هل بقي الذهب والمال في المنزل المقصود بعد فشلكم الذريع؟!

فقال له عازل :هل لديك خطة للعمل؟! ولا أدري كيف يثق بك الزعيم ؟!

قهقهه رمان لحظات ورد فقال : مع الصباح سأجد خطة ..الآن دعني أنام لأفكر جيدا.

مع الصباح كان رمان يعرض خطته أمام الزعيم سواح ، واعجب بها الرجل أيما إعجاب ، وطلب منه تنفيذها على الفور ، فأخذه عازل وخرج به من بيت الزعيم ، وكانت الخطة أن تذهب به امرأة أحد هؤلاء اللصوص إلى منزل الأميرة ، وتبيعه لهم على أنه رقيق حتى يجد فرصة يسرق بها المجوهرات ، وأخذته امرأة على أنه غلام استغنت عنه لحاجتها للمال فأرشدها الناس إلى بيت الأميرة ، وبالفعل اشترته الأميرة بمائة درهم فقط ، فقد كانوا بحاجة لغلام يخدمهم في البيت ولشراء حاجاتهم من السوق ، وبعد أسبوع من العمل كخادم صغير زادت ثقة الأسرة بالغلام الجديد ، واطمئنوا إليه أكثر، وهو يرصد تحركاتهم ،

ويبحث عن الصندوق بخفة تامة؛ ولكنه لم يعثر عليه، ولم يسمعهم خلال الأيام الماضية يتحدثون عنه، وكان على اتصال بالعصابة أثناء شرائه الخضار والفواكه من السوق ، ذات ليلة سمع الأميرة تتحدث مع أحد رجالها عن المال، وكيف سيحصلان عليه لترسله لزوجها المحارب؟ وعلم أنها ستخرج بعض الجواهر لبيعها ، فاستطاع رمان بخبثه أن يعرف مكان إخفاء المال من غير أن يحسوا به ، ولما خرجت الأميرة بصحبة حرسها لتبديل بعض الجواهر بالمال ، قام رمان بسرقة الصندوق وما تبقى فيه من الجواهر، وخرج متعللا بشراء حاجة تخصه ، وأتى المساء ولم يعد ، وغاب أياما فلم يظهر رمان في البيت ، وبعد حين اكتشفت الأميرة ضياع مجوهراتها ، فصاحت وصرخت، وأخبرت الحاكم بالحيلة التي فقدت فيها كنزها ، فغضب الحاكم لها وقال لرئيس الشرطة: لم تقبض بعد على قاتل حارس الأميرة ..وها هم يسرقون مالها أمهلك أسبوعا واحدا لتعيد المجوهرات .. وراقب تجار الذهب والجواهر .. قد تجد الجواهر لدى أحدهم .

فرح الزعيم سواح لنجاح رمان في سرقة الصندوق، وكبر مقامه عند الزعيم ، وتعجب الآخرون من شجاعته وحيلته ، ولما نظر الزعيم للمجوهرات الموجودة في الصندوق دهش منها وأعجبته، وفكر بأن لا يبيعها للجواهري، ويحتفظ بها ويهديها لعشيقاته ثم قال :لا يستحققن لبس هذه العقود العظيمة.

ثم دفعها للجواهري الذي عهد إليه بسرقتها، وقبض مبلغا كبيرا زاد عن عشرة آلاف دينار، وقال لنفسه : هذا المال خير من الجواهر التي تحتاج لحماية وخزن .

وقسم على رجاله فتات المال ، ومنح رمان خمسمائة دينارا ، وطلب من رجاله الاختفاء بضعة أيام ، وطلب من عازل جمع الأخبار ، بعدما أخذ رمان المال الذي كسبه من سرقة مجوهرات الأميرة المهاجرة ، استأجر له عازل بيتا وفرشه واسكنه فيه، وقال له : هذا بيتك .. وكن على اتصال بنا.. وسيكون سادر نزيلا معك فهو من سنك فما تقول ؟

- يسرني ذلك .. وافعلوا ما شئتم رغم أني أحب سكنى المغارات والجبال .

أتى سادر وسكن مع صاحبه رمان ، وفرحا بحياتهما سوية ، وانسجما في الشراب والخراب ، ودخل عليهما يوما النائب عازل وهو مصفر الوجه

مضطرب الكلام ، يهذي هذيانا لم يفقها منه شيئا ، فصاحا به : ما بك يا مجنون؟!
فأجلساه وقد بدأ الارتباك ينتقل إليهم ، فصاح فيهما : تسكران والشرطة قد قبضت على الزعيم وخمسة من الرجال!.
فطار من عيونهما السكر والخمر لهول ما سمعا .. وصاحا : ويلك! اخبرنا بالأمر.. وكيف أمسك به رجال الحاكم ؟.
فقال عازل متذمرا : أنا هذه اللعبة من أولها وأنا خائف منها ومتشائم !.. نصحت الزعيم بترك صندوق المجوهرات، فلم يسمع وصمم على سلبه .. فلو سمع لما تعرض الرجال للقبض ، وما قتل الزعيم ذاك الرجل .. فمن ذلك الفشل والأمر يسير ضدنا ويسير لصالحهم.. كنت ذاهبا كالعادة للقاء الزعيم لتلقي التعليمات والعمليات الجديدة ، وذلك في المساء، فوجدت الحي ممتلئا برجال الحاكم ، ثم شاهدتهم وأنا مختف يأسرون الزعيم وخمسة من الرجال ، فجئت إليكم لأخبركم ، ثم ابلغ الخطب لباقي الرجال حتى لا يذهبوا لبيت الزعيم فيقعوا بأيدي رجال الحاكم والعسس.
في الصباح التالي كان الخبر ينتشر في مدينة كسروان ، وهو القبض على زعيم وكبير اللصوص في المدينة ، وعلم الناس أن الحاكم أمر بصلب سواح من غير حكم القاضي ، وعلم الناس بوقوع الجواهري بقبضة الشرطة ، ووجدوا بحوزته مجوهرات الأميرة المسروقة ، فأعيدت المجوهرات للأميرة ، وأصبحت العصابة بعد سقوط سواح على كف عفريت ، وطلب عازل من رجال العصابة الاختفاء سريعا ، وعلم رمان وصديقه سادر أن الزعيم سقط بعدما اعترف عليه أحد الرجال السجناء الذين سقطوا في المحاولة الأولى ، ولم يكترث بهم ولهم سواح فأرشد الشرطة حنقا وغيظا لمنزل سواح مقابل العفو عنه ، وبعد تفكير ونظر طلب رمان من النائب جمع الرجال ليضعوا خطة لإنقاذ سواح قبل صلبه وقتله ، وبعد تردد جمع عازل الرجال وهم سبعة في بيت رمان وسادر ، فخاطبهم قائلا : أيها الرجال علينا أن نفكر بإخراج سواح من السجن ، فهو زعيمنا فلابد أن نغامر من أجل إنقاذه أو نموت معه.. فليس مطلوب منا أن نجلس كالعجائز نندب حظنا .. فما عندكم من أفكار لتنفيذ هذا الأمر الخطير؟! .
خيم الصمت عليهم للوهلة الأولى ، ثم بدأت التمتمات بينهم ، ثم صاح عازل : هل لديك خطة معينة يا شاطر رمان ؟
قال رمان: عندي خطة .. منذ علمت بأمر سجنه .. وأنا أفكر بطريقه أخرجه بها من الحبس والقيد .. أفكر بضربة قوية ، وفكرت وفكرت فوجدت أن الحل صعب، ويحتاج إلى جراءة وشجاعة

وإقدام وقلوب قوية .. فهل أجد هذه الصفات عندكم أيها الرجال ؟

فصاح أحدهم متحمسا: نحن رجالك .. أراك تصلح زعيما لنا بدلا من عازل الذي لم يحرك ساكنا

فصاح رمان : نحن زعيمنا سواح .

فقال عازل : لن أرد أيها الرجل .. أنا اعترف أن مخي شل عن العمل !.. تصرف يا رمان.. فأنت الزعيم والمخطط لنا في هذه المحنة حتى ننقذ زعيمنا سواح .

فقال رمان : ليس المهم من يكون زعيمنا الآن ؟ المهم إخراج الرئيس من سجنه .. اسمعوا سأدخل السجن أنا وسادر الليلة.. سأذهب أنا وإياه إلى القرب من السجن، ونتشاجر أمام حرس السجن.. فيدخلوننا السجن حتى الصباح ، ثم سيعرضوننا على القاضي صباحا كما هي العادة .. ولكننا تلك الليلة سنقوم بتخدير رجال السجن كلهم ، سنحصل على ملبس مخدر ، ثم سأقوم بتوزيعه على الحراس والجنود ، وأنتم مع منتصف الليل تكونون في انتظارنا أمام السجن بكل السلاح من السيوف والمدى ، ونأخذ الزعيم ورجالنا ونهرب به وبهم .. فقد يكون لا يستطيع المشي ما تقولون أيها الرجال ؟

وبعد صمت طويل قال عازل : هذه ضربة صعبة وتحقيقها صعب! .. وليس لنا إلا السمع والطاعة

فقال الشاطر رمان : إذن احضروا لنا ملبسا محشوا بنجا.. اذهبوا للعطار سلمونة في سوق البخور ، واحصلوا على البنج ثم إلى صانع الحلوى لهلوب ليصنع لكم ملبسا بذلك البنج.. والليلة سأنفذ هذه المغامرة ما تقول يا سادر؟

قال سادر بحماس : أنا معك انفذ كل ما تريد وتدبر.



ولما هبط الظلام واشتد مشيا نحو سجن المدينة الأكبر ، وبالقرب من حرس السجن جرى بينهما شجارا وصراخا وضربا ، على أثره هرع حرس باب السجن وحبسوهما في غرفة على باب السجن حتى يرفع أمرهما لقاضي الحاكم أو أحد من نوابه ، واتصل رمان بسواح أثناء مشيه لمكان قضاء الحاجة ، ففرح سواح لخطة رمان وجسارته وقال : إنك أجرأ من وقعت عليه عيني هل أحضرت الملبس المخدر معك ؟

فقال : نعم إنه في سروالي .

ولما عاد لحجرته المحبوس فيها ، قام بتوزيع الحلوى على الجنود والحراس موهما إياهم أنه بائع هذا النوع من الحلوى ، وبما أنه محبوس ولا يعرف

ما سيجري له عند مثوله عند القاضي فقرر التخلص منها ، ووزع كمية على السجناء المستيقظين ، ومع انتصاف الليل كان كل من أخذ حبة حلوى يغط في سبات عميق ، وخرج سواح ورجاله بعد أن فتك سواح بالرجل الذي فسد عليه ، ولما أصبحوا خارج السجن كان رجال العصابة في انتظارهم ، فأمرهم سواح بالاختفاء في الجبال ، ولما أصبح الصباح كانت المدينة مقلوبة رأسا على عقب لهروب عدد كبير من السجناء ، وعجب الحاكم لقوة هذه العصابة التي تسكن بلده ومدينته ، وعجب لجسارتهم واقتحامهم السجن وإنقاذ زعيمهم ، فاشتد غضبه على رجال شرطته ، وأمر كبار قادة الجند والشرطة بالبحث عنهم بأسرع وقت ؛ ولكن الرجال قد اختفوا في أعالي الجبال والكهوف ، وكان حدثا مرعبا للجميع للحرس وللناس والشرطة ، شهر كامل مضى وسواح ورجاله مختفين في أوكارهم الجبلية ، فاحتاجوا للمال بعد نفاد ما بين أيديهم في شراء الأقوات ، فطلبوا من الشاطر رمان أن يدبر لهما مالا ، فقال لهم بكل غرور : سأشغل المدينة بحدث كبير ثم أسرق خزنة الملك.. سوف أقوم بسرقة بيت القاضي الذي حكم على الزعيم سواح بالموت

أخذ رمان رفيقه العزيز سادرا ، ونزلا المدينة تحت جنح الظلام الحالك ، وعند انصرافه قال سواح لرجاله : هذا شاب جريء وقوي ! ومثل هؤلاء لا يعيشون طويلا .

كان رمان بن سنمار قد ابتاع ملابسا له ولسادر تشبه ملابس حرس السلطان الحاكم ، وفي عتمة الليل البهيم مشيا إلى بيت القاضي قاضي السلطان وقرع الباب فسمع صوتا يقول : من على الباب ؟ فصاح رمان : أنا رسول مولانا الحاكم إلى مولانا القاضي احمل له رسالة عاجلة .

فلما أخبر القاضي بذلك أمر الغلام بفتح الباب ، ولما فتح الباب دخل رمان وخلفه سادر ، وسار أمامهما الخادم نحو القاضي الذي بادرهما قائلا : ما وراءكما ؟

فقال رمان : السلطان يريدكم لأمر عاجل وخطير.. فاذهب يا سيدي والبس ملابسك.

بالطبع الليل وضوء الشموع لا يعين على التحقق من شخصيتهما، وخاصة وهم يرتدون ملابس تشبه ملابس حرس الحاكم ، فأسرع القاضي لحجرة الثياب لارتداء ثياب الجلوس بين يدي الحاكم ، فقاموا على الفور بالغدر بالغلام وتوثيقه وتكميم فمه، وأسرعا خلف القاضي الذي كان يظن أن غلامه خلفه، ففعلا به مثل الغلام ، ووضع السكين على عنقه أو يرشدهما لماله ، فأدرك أنهم لصوص احتالوا عليه ، ولما أحست الزوجة

بخطرهم أرشدتهم للمال ، فقام رمان بأخذه ، وسحبا القاضي حيث الباب خشية غدر الغلمان الذين استيقظوا على الضجة ، وأمام الخوف على حياة القاضي لزموا الصمت ، ولما أصبحا في الشارع أسرعا بالهرب والاختفاء وأخذ القاضي يلملم جراحه وهلعه ، وفي الصباح التالي افتقد الملك القاضي فأرسل خلفه ، فجاءه الرسول بالخبر العجيب ، فازداد عجب الملك وغيظه من جرأة ووقاحة اللصوص في بلده ، يعتدون على الأميرة ضيفة الملك والبلاد ، وعلى السجن .. وها هو قاضيه الأكبر يتعرض لسطو اللصوص ، فعزل رئيس الشرطة مرة أخرى ، وعين بدلا منه محاربا وفارسا كبيرا ، والذي اندهش أكثر من الملك الملك سواح زعيم اللصوص ، فهذه جراءة لم يعهدها في رجاله منذ صار زعيما لهم ، فلما التقى برمان قال : أيها الفتى أرى أنك أصبحت أقوى مني وأشطر وأخطر ! أنا بقوتي وشجاعتي ما فكرت يوما بمهاجمة أعوان الحاكم ورجاله .

فاستغرق رمان بالضحك ولما استرد أنفاسه قال : أفكر بسرقة الحاكم !.. بدار خزنة الحاكم فكثير من الأموال المكدسة فيها مأخوذة ظلما وتجبرا .. فلنأخذ نصيبنا منها .

فصاح سواح والرجال دهشة مما سمعوا وقال الزعيم : هذا والله التحدي الأكبر!!.. وهل تستطيع ذلك ؟! .

فقال رمان بتحد وغرور : سأفعل ذلك من أجلك أيها الزعيم حتى تعرف من هو رمان ؟! من هو غضب الليل ؟! .



بعد أيام نزل رمان وسادر عن الجبل حيث تختفي العصابة ، وبعد انصرافهم قال سواح لرجاله : أرى صاحبنا قد ازداد غرورا وشراسة !.. ونحن تركنا المهنة وما عدت أسمع لكم بنشاط أو همة للعمل .. أتحبون أن تظلوا عالة على رمان وسادر؟ فلنخطط لخبطة كبيرة.. عازل ما عدت أسمع مشورتك.

فقال عازل : الخطر كبير يا مولاي ! ..فالملك منزعج من قوة اللصوص ، نخشى أن يهاجموا الجبال بالجنود .. فلنتريث خيرا من العجلة .. فما زال الخطر قائما، والشرطة والجنود يبحثون عنا وقد علمت أنهم صلبوا عددا من المجرمين وقطاع الطرق في ساحة الموت ليعيدوا الثقة بقوات الشرطة في قلوب البشر .. وأنا أفضل يا سيدي الزعيم أن نبتعد عن رجالات الحكم كالماضي فكل هذه المشاكل التي تطاردنا عندما سرقنا أموال

تلك الأميرة الغريبة ، فكيف ولو كانت قريبة للسلطان؟ .. لا تفسر كلامي بالخوف والجبن ، إنما هو الحذر ، فهؤلاء الحكام والأمراء يتهاونون في أمرنا إذا كنا بعيدين عنهم ، أما إذا اقتربنا منهم فهم

يتوحشون ، ولن يرحمونا إذا صادونا .

ضحك سواح من كلام معاونه عازل وقال : ما تقولون أيها القوم بما سمعتم من عازل ؟!.

وهناك قال سادر : يا رمان أنت تعمل في الميدان .. وهؤلاء القوم رضوا بالنوم .. وهم يأخذون نصيب الأسد .. ونأخذ نحن الفتات .

ابتسم رمان وقال : بدأت تفكر أيها الصديق .. اصبر اصبر فنحن بضربتنا للقاضي .. وضربتنا القادمة للسلطان نصبح السادة رغم أنوفهم .. فيحسبون لنا ألف حساب ، سيخاف منا سواح .. فهذه الأعمال الكبيرة لصالحنا أكثر منهم ، ولسوف ننشق عنهم إذا ظلوا في أكل وشرب ونوم وخوف من رجال الشرطة .. المهم أن تكون أنت مخلصا لي وأنا مخلص لك .

فقال سادر : لقد رضيت بك زعيما لي وقائدا .. فأنا معك وافعل بي ما شئت .

فقال رمان : سنبقى أصدقاء وأخوة في هذا البحر ، ولن يفرق بيننا إلا الموت.

وتعاهدا على الوفاء ، وأقسما على الإخلاص لبعضهما ، والمحافظة على بعضهما ، استقرا في بيت رمان يخططان لسرقة خزنة الملك ، وهناك على طعام جلسا يفكران بملعوب في الملك تتحدث عنه كسروان لسنوات ، وقررا أن يعملا متسولين ويدوران بالقرب من القصور حتى يعرفا أخبار الموقع ، ويعرفان كيف الوصول لخزينة الملك وتحديد موقعها وصفة الوصول إليها بكل دقة ؟ واستمر البحث والتنقيب أسبوعا من الزمن وقد استطاعا بواسطة التسول هنا وهناك من معرفة مقر الخزنة، وعدد حراسها ، فوضعا خطة العمل، ولم يكن الحرس كثيرا حول دار الخزنة ؛ ولكن الحصول على المفاتيح هو المشكلة التي تؤرق فكرهما ، فوجدا أن العنف هو الحل وأما الحرس فقذف كرة بنج بينهم سوف تفقدهم الوعي بضع ساعات ، فتقرر أن يذهب رمان بعد منتصف الليل بوقت على شكل متسول متسكع نحو الجنود ، فيقذف بينهم كرة بنج ، ثم يختفي ويراقب مفعولها ؛ فإذا ناموا ، فيدخل إلى الخزنة ، وقبيل الفجر يوافيه سادر ببغلة ، وينتظر عند باب الخزنة ، اقترب رمان من الجنود بملابسه الرثة ، وهو يغني متظاهرا بالسكر ، فناداه أحد الجنود قائلا :

أيها الشحاذ تعال .. أتشحذ في الليل ؟! ألا يكفيك النهار أم السكر جعل ليلك نهارا ؟.

فقال رمان وهو يقطع الغناء : أيها العسكري .. أنا صحيح أني شحاذ ؛ ولكن لا بيت لي يأويني فأنام في الشارع في الكهف على أبواب الدكاكين .

وأخرج شمعة من جيبه وقال : انظروا إلى هذه الشمعة الجميلة التي حصلت عليها اليوم .. أمعكم نار حتى تشموا رائحتها الجميلة؟ .. فهي من إحدى الحسناوات

وكان رمان قد فرك أنفه بمادة تمنع تسرب البنج



لبدنه، فقام أحدهم فأشعل الشمعة وأخذوا يستنشقون الرائحة الجميلة ، وهم يثنون على المتسول ، وقال أحدهم : إنها رائحة عجيبة وغريبة يا متسول الليل؟

فتضاحك رمان وقال : إنها شمعة من إحدى الحسناوات .. وداعا .

ابتعد عنهم ، فلما رأى أن رائحتها استقرت في أجوافهم ، وسقطوا نياما وكلهم ينشد النوم ، فلما ظهر غطيطهم أسرع موثقا له بالحبال ومكمما أفواههم، وفتشهم فلم يجد معهم أي مفتاح ، وأقبل سادر على بغلة سوداء ومعه أداة قوية تساعدهم على خلع وكسر الأقفال، وتم لهم ذلك بسهولة ، ودخلوا الخزنة ، وبعد كسر عدد من الأقفال سرقوا صندوقين من مال السلطان ، وحملوهما على البغل وساروا إلى جهة البحر ؛ ليوهموا من يراهم أنهم يحملون أحمالا إلى البحر إلى إحدى السفن التي تريد الرحيل ؛ ولكن لم ينتبه لهم أحد ، ولم يصدفوا أحدا ، ثم افرغوا الصناديق بأكياس ، وحمل كل منهم كيسا على ظهره ، ثم ساروا لبيتهم فأخفوا الأموال فيه، وأسرعا بالهرب نحو الجبل بعد أن أخذ كل منهم قليلا من المال للحاجة ، ولما وصلا إلى الجبل لم يجدا سوى رجل واحد في الجبل فصاح رمان : أين الرجال أيها الفارس ؟!

فقال الرجل :أيها الشاطر نزلوا المدينة منذ يومين ، ولم أسمع لهم خبرا .

فقال سادر : وسواح معهم .. هل الزعيم معهم ؟

فقال الرجل : ليس هنا إلا أنا .

فقال رمان بقلق : ربنا يستر .

علم حاكم مدينة كسروان بالاعتداء على قصر الخزنة ، فانزعج وقال لحاشيته : أرى الأمر وصل للسلطان ! أخشى يا قوم أن يسطو اللصوص عليّ في غرفة نومي .. أين الأمن يا رجال الشرطة يا صاحب الشرطة ماذا تفعلون ؟؟ نيام .. نيام !

فتمتم صاحب الشرطة بصوت مرتجف : مولاي الملك ! .. امتلأت السجون من اللصوص والزعانف والشطار والزعران .

فضحك الملك ضحكا عنيفا ساخرا : اسمع وزيرنا شاوركا ما يقول صاحب شرطتنا .. امتلأ السجن من المجرمين ، وليس بينهم الذين اعتدوا على كبير قضاتنا ، ولا الذين هربوا من السجن ولا الذين سرقوا خزنة الملك ، ولا الذين اعتدوا على الأميرة صفاء.. أنا مستغرب من ضعفكم وتهاونكم.. قل ماذا أفعل يا وزير شاوركا ؟!

فنهض الوزير ومهونا من شأن المجرمين وقال : أيها السلطان .. صبرك على رجالنا ، فالمجرمون أولاء غير معروفين للشرطة ؛ ولكن من متابعتي للأمر ولهذه القضايا .. أعتقد أن المجرم والمخطط لهذه الجرائم واحد ومعه أعوانه .. ففي جريمة السجن كان السجين الكبير سواح مسجونا .. وهو من كبار اللصوص والمجرمين في بلدنا .. والذي أنقذه أحد أعوانه بحيلة رهيبة .. وفي جريمة القاضي كان اللص بلباس حرسك الخاص يا مولاي .. إنهم يحسنون الحيلة.. وفي جريمة الخزنة كان اللصوص متنكرين رغم أن الحرس لم يروا إلا شخصا واحدا قد خدعهم وخدرهم .. ولكن سرقة الصناديق تحتاج إلى أكثر من شخص ، فالواقع مما سمعت وعلمت فالمجرم شجاع وذكي وجريء ، وهذا لم يعهد في بلدنا ؛ فلذلك يقف رجالنا عاجزين أمامه .. ولكن لابد أن يخطئ ويسقط .

فصاح الملك : بعد خراب مالطة !.. أريده حالا .. لقد نفد صبري ..

فقال الوزير مخاطبا صاحب الشرطة : فعليك يا صاحب الشرطة أن تنشط رجالك وتبثهم بين الناس وبين اللصوص .. فليرتدوا ملابس الناس ويندسوا بينهم .. وسأقوم يا مولاي بنفسي بمتابعة هذه العصابة .. فهدئ من نفسك ، وسوف ترى ما يسرك ، ويعيد ثقتك برجالنا المخلصين .

فخفض الحاكم من صوته وقال : أريد أن أرى هذا المجرم بين يدي بسرعة .

فقال الوزير: سأبذل كل جهدي .. ولا أستطيع أن أعدك فهو مجرم خطير وذكي؛ ولكنه سيسقط بين فكيّ .

فقال الملك بغيظ : ماذا أقول أيها الأمراء؟! .. ليس أمامي سوى الصبر والانتظار .. تصرف أيها الوزير وكلي ثقة بذكائك .. فاصنعوا له صيدا لعله يقع .

عندما رجع سواح ورجاله للكهف والتقى برمان وسادر فقال وهو يصرخ فرحا وإعجابا : هل حقا انتصرت على رجال الحاكم وسرقت الخزنة ؟!.

وتعانق الرجال ، وقال رمان وهو يضحك ومزهوا

بنفسه: أتشك بقدرتي أيها الزعيم ؟ .. أين كنتم ؟

فقال الزعيم : نزلت والرجال نبحث عنك إلى أن سمعنا خبر سرقة خزنة الحاكم، فقلت للرجال : فعلها غضب الليل ..هذا اسمك الجديد حقا أنت غضب الليل .. أنت ملك الليل وسيد كسروان في الليل !.. وصديقك سادر ابن الليل .. فهو لا يقل عنك شجاعة .. اخبرني أين المال ؟

فقال رمان : سرقنا صندوقين من مال السلطان.. فلابد أن مولانا السلطان اشتد غضبه علينا والموت في انتظاري .. بدأت أفكر بالموت وأخافه أيها الزعيم .

فصاح الزعيم : دعك من حديث الموت .. كلنا سيموت .. علينا أن نحيا قبل الموت المهم أين المال؟! أين أخفيتم الصناديق ؟

فقال رمان وهو يضحك : المال موجود .. وأنتم هل فعلتم شيئا في هذه النزلة للمدينة؟

فقال سواح : لم نفعل شيئا يذكر.. بعض السرقات الخفيفة.. نحن هرمنا تركنا العمل للشباب أين المال الملكي؟ .

ضحك رمان عاليا وقال : ما عندك صبر يا زعيمي .. لا أدري كيف قبل بك هؤلاء الرجال زعيما؟.

فصاح سواح بغضب : ويحك! لا تتطاول عليّ .. أنت ما زلت غلاما مغرورا .

فازداد ضحك رمان وقال : بعد كل هذه الضربات ما زلت غلاما ! سأعطيك المال أيها الزعيم حتى لا تفقد أعصابك .. وصاح محتدا: عازل صناديق المال في بيتي.

فقال الزعيم : ألا تخاف عليها ؟! تركتها في بيتك .

فقال رمان ساخرا : ومن يجرأ على سرقتها ؟ إنها أموال الملك ! ومن يظن أني أضع مالي فيها ؟.

فضحك عازل وقال لرمان : يا غضب الليل احذر الغرور والعجب .

وقال الشاب سادر : أيها الزعيم المال في بيتنا .. وافعلوا به ما شئتم .. وغضب الليل يفكر بسرقة جديدة .

فقال الزعيم كأنه متهكما : بمن تفكر الآن ؟؟

فرد رمان بغضب وغرور وحيرة : أيها الرئيس .. أصبحت لا أحب الجلوس من غير حركة وفكر ، لا أحب تعطيل عضلي وعقلي .. هل عندك من أحد تريد سرقته ؟

وقبل أن يرد الزعيم قال عازل : أقول لك أنا يا غضب الليل من تسرق ؟.

فقال سواح : قل يا عازل .. هذا الفتى كبر في العمل ، وطاقة مهمة علينا استغلالها ، مع أنني أخشى أن لا أسيطر عليه غدا .

فأجابه رمان متملقا : أيها الزعيم إذا أحببت أن اكف عن العمل افعل .. وإذا أحببتم أن أعود للميناء والنشل أفعل .

فصرخ فيه سواح قائلا : ويلك! وهل نستطيع التخلي عنك يا بطل ؟ .. فقد قررت صرف الرجال لبيوتهم وأزواجهم وسندعوهم عند الحاجة فأنت تسد عن مائة .

فانتفخ رمان غرورا من مدح الزعيم وتمسكه به ، فقال رمان : كم بقي معنا من الرجال أيها الزعيم ؟

فقال الزعيم : سبعة عشر رجلا مغوارا .. سأصرف عشرة ونبقي سبعة هنا .. ومهمة العشرة الذين ينزلون المدينة رصد الأخبار ومراقبة أماكن الصيد وتبليغها لعازل .. اصرف يا عازل من رجالنا من أحب ذلك ، وأعطيهم ما يكفيهم من المال ولتكن أنت حلقة الوصل بيني وبينهم .. ثم اجلبوا المال المخبأ في بيت رمان وسادر .. وعندي ضربة جديدة للبطل رمان وضربة عازل لتؤجل .

فابتهج رمان وصاح فرحا : هذا المطلوب عمل حركة .

أخذ عازل الرجال العشرة الذين رغبوا في الجلوس في بيوتهم ، ونزلوا المدينة ، وكان معه رجلان لمساعدته في نقل المال للجبل ، ولما ابتعد صوت الرجال ، قال سواح لرمان لغضب الليل كما سماه : هذه المرة .. لا تسرقا مالا .. ستقوما بسرقة جواد ولما شاهد دهشتهم عاد يقول : اتصل بي أحد الرجال، وطلب مني سرقة حصان أحد الفرسان وأعطاني ثلاثة آلاف دينارا مقابل ذلك ، وهو مبلغ غير يسير فما قلتم ؟

قال رمان : المهم اشرح لنا سبب سرقة هذا الحصان ؟

فبعد صمت عميق قال سواح : سأذكر لكم ذلك .. حدرد أحد فرسان كسروان ، وحصانه زعل حصان قوي وقادر على الفوز بالمسابقات ، وصاحبي الذي سيشارك في المنافسة والسباق عنده فرس جبارة، ولها تجارب كبيرة في ذلك؛ ولكن حصان حدرد يسبقها ، بل سبقه أكثر من مرة ، وهو طامع بالفوز بهذه المسابقة في هذا الموسم ، ويكون ذلك بحرمان حدرد من جواده زعل ، ونحن حصلنا على المال لتنفيذ هذه المهمة .. فماذا تقولون أيها المغاوير الكبار؟

ولزم السامعون السكوت حينا ثم قال رمان : وبعد أن نسرق الجواد أين نذهب به يا زعيمنا ؟

عاد الزعيم يقول : ستخرج به من كسروان لبيعه في مدينة أخرى .. قد تكون هروان .. أتعرفها يا رمان ؟

فقال سادر: أنا اعرفها أيها الزعيم ! هي غرب كسروان يفصل بينها وبين كسروان النهر الغربي فأمرهما سواح بعد سرقة الحصان بالذهاب إلى هناك وبيع الحصان ، وقضاء شهر في الفرجة على هروان ، ثم قال : ليكن لقاؤنا هنا بعد شهر ..

وسأذهب معكم للمدينة .. وأدلكم على بيت حدرد الفارس حدرد .

جمعوا معلومات لازمة عن البيت المراد سطوه ، فوجدا أن اصطبل الفارس حدرد مستقلا عن



البيت في أقصى مزرعة الفارس ، والأرض مسورة بسور عال فمن الصعب دخول البيت وسرقة الجواد ؛ وأثناء المتابعة لاحظا أن الفارس حدرد يذهب كل صباح مع سطوع الفجر في جولة على ظهر الحصان زعل تستغرق ساعة من الزمن ، يسير فيها نحو البرية ثم يعود، ولما تأكد لهم أن الحصان الذي يركبه هو زعل صنعا كمينا له في الطريق وغدرا به ، وتركاه على الأرض مبطوحا يئن من الغدر، وأخذا زعلا الذي ملأ الدنيا صياحا وهياجا على صاحبه، فقاما على ضربه وتلجيمه وتشميمه قليلا من البنج حتى هدأ ، ثم سارا به نحو هروان ، كما خطط لهما سواح ، ولما وصلا تلك المدينة قاما ببيع الحصان بثمن زهيد ، وسكنا غرفة في خان كبير، وقد صمما التعرف على المدينة وأهلها وساحاتها وشوارعها؛ ولكن قبل تنفيذ هذا المخطط تعرضا للقبض عليهما خلال فترة وجيزة من استراحتهما ، فقد جاءت الشرطة ومعها الرجل الذي ابتاع منهما الحصان متهما إياهم بخداعه، وأن الحصان مريض لا يأكل ، فقالا للرجل : سنعيد له ماله ، ونأخذ حصاننا ، ولن نبيعه إلا بألف درهم .

فمشيا مع رجال الشرطة ، وأخذوا الحصان وردوا ثمنه للمشتري ، وعادوا للسوق لبيعه مرة أخرى ، وأمضيا شهرا في هروان ، فوجداها مدينة هادئة وسكانها قليلون مقارنة مع كسروان ، وعلما أن حاكم هذه المدينة صهر لملك كسروان ، فمضى الشهر وهما يتنقلان من ملهى إلى آخر ثم حان موعد العودة لكسروان كما اتفقا مع سواح ، فاستأجرا عربة تنقلهما حتى النهر الفاصل بين المدينتين بدرهمين عن كل نفر ، وعند الجسر ودعا السائق، ودخلا كسروان ، فركبا عربة أخرى تنقلهما لقلب كسروان بدرهمين عن كل واحد منهما ، وأثناء الطريق فتحا الحديث عن كسروان ، فقال السائق : الوضع في كسروان متوتر منذ شهر.. والبلد كأنها في حالة حرب وقتال .

فقال رمان : لماذا أيها الأخ ؟

فقال السائق ببساطة : إنهم يبحثون عن مجرمين اثنين أحدهما يسمى رمان ، والآخر سادر .

نظر الرجلان في بعضهما دهشة وقال رمان : وماذا فعل هؤلاء المجرمان؟!

فقال السائق بحماس : أمسكت الشرطة بزعيم العصابة التي تثير الخوف في المدينة ، وهذا المجرم الكبير يسمونه سواح ، واتهموه بالاعتداء على بيت القاضي وخزنة الملك ، وجرائم أخرى ، أنكر، ولكنهم وجدوا معه أموال الخزنة المسروقة ، فأقر بمن فعل ذلك زاعما أن رمان وسادرا هما السارقان

في هذه اللحظة كانوا قد قطعوا نصف الطريق فطلبا من السائق النزول ، فأوقف العربة وقبض أجرته وتابع مسيره ، ثم سارا نحو الجبال خوفا من الوقوع بأيدي الشرطة ، ثم يحاولان الاتصال بأحد رجال العصابة لسماع الأخبار الحقيقية، فوضعا خطة للتنكر ، فغيرا من أشكالهما ، ثم دخلا المدينة متنكرين ، فاجتمعا مع أحد اللصوص المعروفين لهم ، فلما عرفهما اللص قال : ويحكما.. أمجنونان أنتما؟! .. اهربا من البلد على الفور .. فزعيمكما سواح في السجن .. وقد اعترف بين يدي الحاكم بما فعلتماه وهم يبحثون عنكم .

فقال رمان : قل كيف وقع الرجال ؟

فقال اللص : علمت أن عازل سقط بين يدي الشرطة ، ومع العذاب الذي أصابه اعترف بالأمر وأرشدهم إلى سواح ، ولما وقع هو الآخر أقر أمام الملك بأنك أنت الفاعل .. فاسمك الآن على كل لسان بالمدينة .. ومطلوب القبض عليكما فورا .. وأنا أرجوكم أن تبتعدوا عني .. وإلا تعرضت للقتل مثلكما .. فكل من يتستر عليكما يعتبر شريكّم .. وأنا منذ أيام خرجت من السجن بعد عذاب شديد

فودعاه وانصرفا وجلين ، وقال رمان لصاحبه : علينا أن نغير تنكرنا قبل أن يكشف الرجل أمرنا .. وما العمل يا صاحبي ؟

قال سادر : لدي اقتراح صعب وقاس .. ولكني أراه مناسبا .

قال رمان : تكلم أيها الصديق .

فقال سادر : صديقي .. لا تصفني بالخوف والجبن ؛ بل هو الحيطة والحذر .. فأمرنا مكشوف وسواح سقط وانتهى ، وأصبح عجوزا ؛ فإما أن نهرب إلى الجبال أو نترك كسروان حينا من الدهر حتى ينسانا الناس فنعود إليها بوجوه جديدة .. فما الجواب عندك أيها الصاحب ؟

خيم عليهما الصمت القاتل ثم تكلم رمان قائلا : اقتراحك جيد أيها الصديق .. فلنهرب إلى إحدى المدن القريبة .. فهذا الحل الأمثل والأصوب في مثل هذا الظرف وبعدما سقط أكثر الرجال .. هل نعود لهروان أم نسير لمدينة السلام ؟

رد سادر فقال : مدينة السلام تبعد عن كسروان سبعة أيام فهي أبعد من هروان وهناك يمكننا العمل والشغل .

سافرا إلى مدينة السلام ، ولما دخلا البلاد كان

الناس يحتفلون بزواج ملكهم، فانخرطا في سلك المحتفلين حتى انتهى الحفل ، وانصرف الناس لبيوتهم ، فبحثا عن خان يباتان فيه حتى الصباح بدآ ينشلان من ثاني الأيام ليستطيعا العيش ، وقاما بالنصب والاحتيال على الضعفاء والمساكين وصادقا بعض اللصوص في المدينة ، وذات يوم وهما في السوق يلبسان ملابس الحمالين اقتربت منهما امرأة وقالت لهما : أيها الشابان معي كيس فيه أشياء وصندوق من الزجاج .

فمشيا معها ، فسادر حمل الكيس الممتلئ بالخضار وغيره ، ورمان حمل صندوق الزجاج فقالت لهما المرأة : اتبعاني ..

وكانت قد وعدتهم بعشرة دراهم ، وظلت تسير بهم حتى وصلت لدرب متراص بالبيوت فاجتازته وهما خلفها ، ودخلت بهم درب آخر حتى وصلوا لبيت عتيق فقالت : هنا.

طرقت الباب ففتح لها ، ودخلت والرجلان يتبعانها ، وبعد أن وضعا الأشياء في الداخل ، قادتهما المرأة إلى رجل يجلس تحت ظل شجرة كبيرة ، وقالت له : ها هما الرجلان يا سيدي .

فناداهما فاقتربا منه ، ووجدا كرسيين فجلسا عليهما وهما منهكان من التعب ، فقال لهما: أراكما متعبين وأنتم ما زلتما شابين قويين ؟

فقال رمان : المسافة بعيدة أيها السيد الكبير .

فقال : على كل حال حمدا على سلامتكم.. قبضتما أجركما ؟

سادر : بعد يا سيدي؟

فقال الرجل : أتعرفان من أنا ؟!

قالا : لا ، لم يقل زمرر لنا عنك كثيرا ؟.

فقال الرجل : زمرر أحد رجالي .. وأخبرني عنكما .. وأنكما تحبان العمل في هذا البحر المظلم .. فطلبت رؤيتكما بعد أن أثنى عليكما زمرر وأعلمني أنكما لصان بارعان محترفان.

فقال رمان : ليس كما قال.. ولكننا نعمل في هذا العمل منذ وعينا على هذه الحياة.

ففكر الرجل قليلا وقال : سأجربكما أريد أن اسرق .. وسكت .

فقال سادر مقاطعا : أيها الرجل ما عرفتنا بنفسك

فقال بقوة : ما علمتاه من زمرر يكفيكما.. المهم أن تأخذا أجركما على كل خبطة .. وأنا أحميكم من اللصوص والمجرمين بقدر استطاعتي .

فقال رمان : حسنا .. اطلب ما شئت نحن تحت أمرك .

فقال الرجل : لي فترة أفكر بسرقة كتاب عظيم من مكتبة الحاكم ..وقد حاولنا أكثر من مرة .. وقد فشلنا .. وهذا الكتاب يهمني كثيرا .. إذا استطعتما إحضاره لي فلكما ألف درهم .

فأخذ رمان يضحك ويضحك حتى أفزع الرجل

الذي يجلس أمامه فصاح فيه : ما الذي أضحكك أيها الشاب ؟ أكلامي يضحكك لهذا الحد ؟!

سكت رمان حتى استرد أنفاسه وقال ساخرا : أرسلت لنا هذه المرأة ، وحملنا الأحمال كل هذه المسافة لنسرق كتاب؟ ألا تستطيع تكليف نساخ بنسخه أيها الرجل بأقل من هذا المبلغ ؟

قال الرجل بغضب : اسمع أيها اللص .. أنا طلبتك لتنفيذ ما تسمع .. لا أحب أن أسمعك تضحك أمامي مثل هذا الضحك مرة أخرى وإلا أرسلتك للسجن .. عليك بالأدب يبدو أن زمرر ما أحسن بإعطائك الآداب اللازمة .. أنا قلت سأجربكما ولكن يظهر لي أنك أكبر مغرور واجهته .. واعلم أن الحصول على هذا الكتاب ليس سهلا كما تخيلت أيها اللص ..ولا تنسى أنك غريب في مدينة السلام .

قال رمان بحدة : كفاك كلاما وآدابا أيها السيد .. قل أين الكتاب ؟

فقام الرجل غاضبا : انصرفا قبل أن تأكلا .. واذهبا إلى زمرر وستجدان التفاصيل والأوامر عنده غادرا المكان .

ونادى الخادم الذي طردهما شر طردة ، فانطلقا إلى زمرر في سوق الحرير غاضبين ناقمين ، واجتمعا به وقصا عليه ما حصل لهما ، فقابلهما بالابتسام وقال : لا عليكما .. سيذهب بكما عادل الآن إلى المكتبة لتنظرا إلى الكتاب المطلوب.. ثم تصرفا وخططا وأنا سأدفع لكم الألف درهم .

فسار بهما غلام زمرر نحو المكتبة ، وشاهدا الكتاب الموضوع في صندوق زجاجي محاط بالذهب الخالص .. وتفرجا على المكتبة ، وانصرفا للبيت الذي استأجراه منذ تركا الخان ، وهناك قال سادر لرمان بقلق : ما رأيك بأن نترك هذه المهمة أشعر أن القوم يبيتون لنا شرا ؟

فقال رمان : لماذا؟

فقال سادر :هذا زمرر لص ! ويملك هذا المحل الكبير في السوق ، وذاك الرجل الذي يسكن في مسكن كبير وهادئ وخدم لص أيضا !

فقال رمان : فكرت كثيرا بأمرهم ، وبما انتبهت له وما لاحظته .. فهم لصوص على مستوى كبير ونظيف ، ويتظاهران بالشرف .. أما ترى منذ بدأنا العمل في هذه المدينة .. ويعرض علينا اللصوص الصغار العمل مع زمرر الذي رحب بنا ، وذكر لنا أن له سيدا كبيرا ، وقبل أن ينظم شخص للعصابة عليه أن يزور الرأس الأكبر بالطريقة التي وضعت لنا ، وهذا ما حصل معنا هل يريب هذا ؟!

قال سادر بعد سكوت طويل : لست مطمئنا لهؤلاء الرجال .

قال رمان : نغامر هذه المرة ثم ننظر ما يحصل لنا بعد ذلك .

وبعد أن تناولا الطعام الذي أعداه ، عاودا الحديث حول سرقة الكتاب من المكتبة الملكية ، فقال سادر : هل سنسرق الصندوق بالكتاب أم الكتاب وحده ؟



فقال رمان وهو يتخيل الصندوق المسور بالذهب أمام عينيه وبين يديه : لاحظت أن الصندوق محاط بالذهب فبعد أن نسرقه كاملا نساوم على المطلوب .. الليلة قبل الفجر بساعة سنأخذ حبلا ، وأتسلق الجدار ، وأدخل المكتبة من الطاقة القريبة من السور .. وأنت تنتظر تحتها ، ثم أدلي لك الصندوق بواسطة الحبل ومن ثم نعود للبيت .

نفذا الخطة كما رسماها ، وسرقا الصندوق الذي فيه الكتاب المطلوب ، ومع الصباح كانا يجلسان في البيت ، وما كادا يستريحان حتى سمعا طرقا على الباب ، فقام سادر بفتحه ، فدخل رجال الشرطة ، ودهموا البيت وأخذوا الصندوق وقبضوا عليهما ، فقال سادر : ألم اقل لك إن الأمر مبيت لقد وقعنا في الفخ ؟!

قال رمان : اصبر أيها الصديق .

وساقتهما الشرطة إلى السجن وألقتهما فيه، وبعد سبع كانا بين يدي القاضي قاضي مدينة السلام وكم كانت دهشتهما شديدة عندما عرفا شخص القاضي ؟! لقد كان القاضي هو الرجل الذي قادتهما المرأة إلى بيته الواسع في ضواحي المدينة ، الرجل الذي طلب منهما سرقة الكتاب ، فقابلهما القاضي بالابتسام وهو يقول لهما : مرحبا برمان وأهلا بسادر!.. لقد نجحتما بسرقة الكتاب والصندوق معه .. ولكنني أراكما أمامي الآن .. فأنتما متهمان بالاعتداء على مكتبة الملك .. هل تقران بما فعلتما ؟؟

صاح رمان بغضب شديد : نعم نقر أيها القاضي المحترم .

فقال القاضي بهدوء وسكينة أمام الكتبة والعرفاء والشرطة : لقد أمسك بهما رجال الشرطة وهما يحتفظان بما سرقا ، وهاهما اعترافا بجرمهما ، وقد علمت أنهما لصان غريبان دخلا المدينة للسرقة والنشل والاحتيال ، وقد قاموا ببعض الأعمال القذرة من الضحك على البسطاء من الناس ، فقررت سجنهما خمس سنوات بالتمام والكمال .

وعلى الفور ساقتهما الشرطة من جديد إلى السجن الذي كانا فيه ، وكان شغلهما الشاغل أن يجدا طريقة يهربا بها من السجن والبلد ، وفي صباح اليوم التالي الذي حكم عليهما القاضي فيه أصبح الناس يتحدثون أن القاضي الشهير طعن بخنجر في ظهره ، وهو يرقد في بيته للعلاج ، والشرطة

تبحث عن المعتدي ، وبعدما استرد القاضي بعض عافيته سأل عن السجين رمان ، هل ما زال في السجن هو وصاحبه ؟ فأخبره كبير العسس أنه ما زال يقبع في السجن تحت الحراسة المشددة ، فاحتار القاضي فيمن حاول قتله والغدر به ؟! فيمن دخل عليه البيت في الليل وضربه بالخنجر ، وهرب قبل أن يمسك به الخدم ، ففكر بزيارة السجن ليتحدث مع غريميه ، وقام بالزيارة فعلا ، وحاول القاضي أن يتأكد أن أحدهما حاول اغتياله ، فلم ينجح ، بل سمع رمان يقول : الحمد لله أيها القاضي أننا كنا في سجنك الصغير وإلا لاتهمتني بها كما فعلت بنا في سرقة الكتاب .. لن أعفو عنك .. والحمد لله الذي انتقم لنا منك .

خرج القاضي وهو حائر خائف .. السجن الذي حبس به الرجلان عبارة عن حجرتين فقط وغرفة ثالثة مستقلة للحرس ، ولا يوجد في السجن إلا هما ورجل ثالث متهم بقتل زوجته ، وقبل الاعتداء على القاضي ، لم يكن يحرسها إلا رجل واحد ، فأقنعه رمان عند الليل بمبلغ من المال على أن يسمح له بالذهاب لبيته ليحضر بعض الأشياء ، وطلب منه أن لا يخبر الحراس الآخرين الذين يرقدون في غرفتهم ، وقال له مطمئنا : وصديقي سادر عندك يضمن لك عودتي

قبل الحارس عليها المال ، وأذن له بالخروج خلسة ، فذهب للبيت وتخفى ، ثم سار إلى بيت القاضي وطعنه بالخنجر، وعاد للسجن بسرعة من غير أن يعرف أحد بخروجه ، فوجد الحارس نائما فأيقظه، وأدخله الحارس عند صاحبه، وطلب منه رمان أن لا يذكر لأحد أنه أخرجه من السجن ولو ساعة واحدة، ولما علم الحارس بما أصاب القاضي خاف ولزم الصمت، وأقسم هو والحراس أن أحدا منهم لم يخرج من السجن ، ولما جرت محاولة قتل القاضي شددت عليهم الحراسة ، ولما سكنت الأوضاع كان سادر يقول لرمان : الهرب سهل من هذا السجن .. سجن غريب لا يوجد فيه مساجين .. هل يعقل أن تخلو مدينة من مجرمين ومحتالين ؟! .. اللصوص الذين تعرفنا عليهم ألا يوجد سجناء بينهم ؟! .

فقال رمان ساخرا : كلهم يعملون مع القاضي .. والبلدة صغيرة ، والناس قليلون أيضا ، والحارس قال لنا إن السجين الذي يحاول الهرب ويفشل يكون عقابه الموت العاجل من غير عرضه على القاضي ، فإذا حاولنا الهرب فإما النجاة وإما الموت ، وكما ترى السجن يقع في قلب المدينة ، وأبوابها تغلق من أول الليل ، ولا خروج إلا بتصريح من القاضي نفسه .. فنحتاج ليوم مناسب يوم ينشغل فيه الناس بعيد واحتفالات فنهرب .. ولكني أفكر بالانتقام من زمرر الذي خدعنا وأوهمنا بالعمل

مع عصابة ، وعملوا علينا تلك الحيلة حتى يتهموننا بالسرقة ، ويزجوننا في هذا السجن ليخلو لهم العمل وحدهم فقد خافوا من منافستنا لهم .

قال سادر : أيها الصاحب الهرب من هنا خير لنا من الانتقام .

ذات مساء نادى عليهم أحد الجنود ، فهرع إليه الثلاثة فقال لهم : لقد أصبح القاضي سلطانا للبلاد .. فقد عزلوا الملك الصغير ونصبوا القاضي مكانه فقال رمان : لماذا عزلوا الملك الصغير ووضعوا القاضي مكانه ؟!.

فقال الجندي : علمت ذلك من رئيسي عندما مرّ عليّ قبل قليل بهذا التغيير .. فأحببت إخباركم بذلك ؛ لعل عفوا يصدر بحقكم بمناسبة هذا التغيير



سبب هذا التغيير أن المدينة معرضة للاحتلال من قبل صاحب مدينة أسد دار الذي أرسل رسالة لملك مدينة السلام يهدده فيها بالاحتلال إذا لم يدفع لخزينته كل سنة مائة ألف دينار ، ولصغر سن الملك رتب القاضي الوصي الأمر مع الأمراء والأجناد على خلع الملك الصغير وتنصيب القاضي مكانه ، ورفضوا طلب ملك مدينة أسد دار.

بعد هذه الأحداث ، حدث أن زار زمرر رمان وسادرا في سجنهما بإذن من القاضي الحاكم الجديد للمدينة ، فعاتبه رمان بشدة على غدره وخداعه ، فاعتذر زمرر قائلا : نحن أيها الفارس مدينة يعيش الناس فيها بأمان وسلام .. لا يعيش بيننا لصوص ومجرمون وليس عندنا سوى هذا السجن الخالي إلا منكما ، وهذا الرجل الذي قتل زوجته وينتظر مصيره ، ولما بدأتما تسرقان وتحتالان على الناس علمنا بذلك من الرجال الذي احتلتم عليهم ، وممن حاولتم استدراجهم للغواية معكم، فعلمنا أنكما غريبان ، فرتبنا لكم ما تعرفونه حتى نقوم على علاجكم ونصلحكم ونبعدكم عن مرض اللصوص بالسجن خمس سنوات، وهي كفيلة بتغييركم ، ثم نمنحكم المواطنة الصالحة في بلدنا ، فهذه نوايانا فلا تعتبوا علينا ، فنحن مدينة السلام والأمان والحب والوئام ، ويجب أن يعم فيها السلام ، فهذا ما جرى منا نريد تخليصكم من دائكم ، واعلم أن القاضي متأكد بأنك حاولت قتله ؛ ولكنه غض عن الأمر لعدم توفر الدليل القاطع ضدكما .

ولما انتهى من توضيح هذه الأسباب والمبررات ،

قال سادر : والآن جئت لأمر ما فما هو؟
رد زمرر باسما : نعم .. جئت لأمر مهم لكم ولنا.. أصبح القاضي سلطانا لهذا البلد، وملك مدينة أسد دار طامع فينا ، فهو يهددنا بدفع الجزية له أو امتلاك المدينة ، فسيدي الحاكم يرغب منكما أن تخطفا ملك أسد دار ، واطلبا منه ما شئتما من المال والمناصب والزواج من بنات مدينة السلام .

خيم الصمت على المكان بعد هذا العرض المثير، وكان رمان يقلب بصره بين سادر وزمرر وسقف السجن ، وكان سادر ينظر في وجه صاحبه ويتساءل هل من خدعة جديدة ؟ وفجأة سمع رمان يقول : مهمة جيدة مع من نعقد الاتفاق ؟

قال زمرر بفرح لنجاح مهمته بسهولة : مع الحاكم نفسه .

فعاد رمان يقول : سأقبل بهذه المهمة رغم أنني لا أحب الحكام .. وقد ظلمنا هذا القاضي .

رد زمرر : كان قصدنا خيرا لكما ولبلدنا .. فلا تدعوا هذه الفرصة تفوتكم لتصبحوا من علية القوم ..

ودفع زمرر لحراس السجن كتابا خاصا بإطلاق سراح الرجلين ، وكان أسعد الحراس بالعفو عنهما الحارس الذي تواطأ مع رمان في أول يوم دخل السجن بعد صدور الحكم ، وأذن له بالانطلاق لبيته .

اجتمعا بالقاضي الحاكم وبين لهما سبب حبسهما ، وكرر على مسامعهما أن هذه مدينة آمنة مدينة سلام وسعادة ، والكل يحيا فيها بسلام والمجرم يُقوم سريعا ، ولما ظهرا في المدينة أصاب الناس إزعاج قاتل ، وكان المقصود من عقابهما تربيتهما فقبلا الاعتذار ، فقال القاضي الحاكم : أرغب منكما بإحضار حاكم مدينة أسد دار بالقوة حتى نستطيع أن نريه بأسنا ، ونتفق معه على كف الحرب والشر عن مدينة السلام ، فهو أمير طائش استلم الحكم منذ سنة مضت بعد وفاة والده الذي كانت علاقتنا معه طيبة وودية ، ولما تسلطن الشاب بدأ يثير الحروب هنا وهناك ، وطلب منا الجزية مائة ألف كل عام ، ولما كان حاكمنا صغيرا خلعناه ، وقد رأينا أنه يميل لدفع الجزية لخصمنا ، فرأى القوم خلعه حتى يكبر ويستطيع تحمل مسؤوليات الحكم والسلطنة .. ونحن لا نرغب في الحرب .. وفي نفس الوقت لن ندفع الجزية لحاكم أسد دار .. فتشاورنا واقترحت أن نخطف الملك الشاب من بين جنده وأنصاره ؛ ليعترف بقوتنا.. وأننا قادرون على اغتياله ، فقد ترتدع نفسه ونتفق على السلم ، ومن معرفتي بشجاعتكما اقترحت أن تحاولا ذلك ، ولكما ما شئتما متى تعودان سالمين ولكما الخيار بالاعتذار عن هذه المهمة .

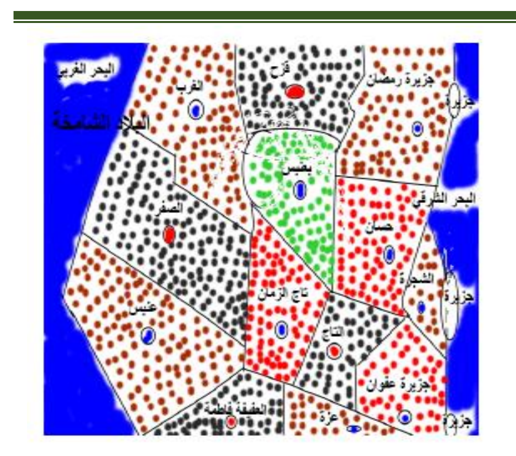
أصبحا ضيفين كريمين على السلطان ، ينامان على

فراش الأمراء ، ويأكلون في قصر الحاكم ، وأعطيا التعليمات اللازمة والمال اللازم ، وتحركا لهذه المهمة ، ولما أصبحا خارج المدينة قال سادر : ما رأيك بهذه المهمة ؟!

فقال رمان : مهمة كبيرة !.. ذكرتني بمغامراتنا في كسروان .. هذا القاضي ذكي وخبيث .. فبإرسالنا نحن يرفع الشبهة عنه وعن أهل مدينة السلام إذا فشلت المهمة ، وإن نجحنا يستفيد هو شعبية أكثر في عيون الناس بإنقاذهم من دفع المال .. وكما ترى فباستطاعتنا الهرب إلى مدينة أخرى .. وبما أننا لا نستطيع العودة لكسروان فلنعمل عند هذا السلطان ، فيصبح لنا سندا في يوم من الأيام إذا هرمنا .. وضاقت بنا الدنيا وصحبة الملوك ليس كلها ضرر .









أحياء مدينة بعنبس

عيادة نسائية

جلس "رشيد علي" على مقعد من مقاعد الانتظار داخل عيادة الدكتورة المعروفة لكل نساء الحي في حي بعنبس الكبير في المدينة البلاد الشامخة ، فالدكتورة وردة نجيب طبيبة توليد وجراحة وأمراض النساء ، معروفة على مستوى الحي والمدينة وهي طبيبة مشهورة لدى أهل المدينة بسبب تجرئها على فعل عمليات الإجهاض غير القانونية ، فلديها الزبائن الكثر ، وأسباب شهرتها

بين قرنائها كثيرة ، سيتم ذكر بعضها بإذن الله خلال صفحات وحوارات أشخاص هذه الحكاية وهي أنثى وهبت من الحسن ما يلفت إليها عيون الجنسين فور لمحها ؛ فكيف مع اللباس والزينة والعطر ؟! كانت فتنة في الجامعة ، وفي الشارع، والنوادي الاجتماعية والمراكز الثقافية والحزبية

كاتبة العيادة نوال كانت مستغربة من جلوس الرجل بدون مصاحبة أنثى في العيادة النسائية ، لا زوجة ، ولا بنت تصحبه ، فردت السلام ، وهي تحملق في عينيه وهمست مذكرة : إنها عيادة نسائية يا سيدي!

ابتسم في وجهها وقال : أعرف يا آنسة ! الدكتورة موجودة .

ـ نعم ، في غرفة الفحص عندها مراجعة .

ـ حسن ! .. أخبريها بوجودي الدكتور رشيد.

ـ حسنا يا سيدي!

دخلت نوال غرفة الفحص مخبرة للطبيبة وردة عن الدكتور رشيد.

فسألتها : أمعه أحد ؟

ـ الدكتور رشيد بس.

ـ ضيّفيه حتى أنتهي من السيدة العزيزة مرام .

أغلقت الكاتبة باب غرفة الفحص ، واتجهت ناحية مطبخ العيادة الصغير ، وصنعت فنجان قهوة للزائر ، ثم وضعته أمام الدكتور : تفضل يا دكتور!

فشكرها برأسه ولسانه، فقالت: عندما تنتهي من الزبونة يا دكتور وفحصها .

اشتغل الدكتور الزائر بالتدخين ، وشرب القهوة ، وهو يتابع بعينيه الفتاة الكاتبة فقال بعد صمت لدقائق : كم لك تعملين عند الدكتورة؟

ـ عشرة أيام يا سيدي الدكتور !.. أعمل مؤقتا هنا.

ـ أين كنت قبلا ؟

ـ كنت سابقا عند الدكتور إميل طبيب أثيني في نفس هذا المجمع .

ـ رجل عجوز !

ـ صحيح ؛ ولكنه طيب .. وله زبائنه من عشرات السنين .

قال : أعرفه يا ...

قالت باسمة : نوال ، اسمي نوال أمين.

قال : تشرفنا بك .. ماذا درست ؟

ـ أنهيت الثانوية العامة دون نجاح ، وأخذت عدة دورات في أعمال الطباعة والسكرتاريا .

قال : جيد!

خرجت المراجعة مرام ، وكانت خلفها الدكتورة وردة تودعها ، ثم أخذت ترحب برشيد مصافحة وعناقا ؛ كأنهما صديقتان مما أثار دهشة نوال .

فقالت وردة : إنه ابن خالي العزيز .. متى عدت ؟

قال : من يومين فقط.

ـ ولماذا لم تتصل بي ؟!

ـ كنت أنتظر تلفونك ، فلما لم يأت ، قلت أمر أسلم عليك ، وأخبرك بعودتي .

ـ لديّ شغل كثير هذه الأيام هنا ، وفي المستشفى .. الحوامل كثر ، والولادات أكثر .. يبدو كل نساء بعنبس حوامل إلا أنا.

ـ الدكتورة علم في بعنبس يا نوال !.. ما أخبار الزوج عصام البطل؟

ـ بخير .. يمكنك نوال المغادرة .. ما دام الدكتور شرب قهوته سنغادر معا لأتعشى بمعيته .

ـ في البيت أم المطعم .

قالت : في المطعم طبعا .. بيني وبين عصام مشاكل ونزاعات هذه الأيام .

ـ مشاكل ! لماذا ؟ وما هي ؟

قالت : على الطعام والبيت والطفل جوهر.

قال مجاملا : عصام دكتور جيد ! تمسكي به.

ـ هو الذي عليه أن يتمسك بي بعدما مرض .

قال : هو بالتأكيد متمسك بك بسبب المرض .. الكل معرض للمرض يا سيادة الطبيبة وردة .

غادرت نوال العيادة بعدما رتبت العيادة ، وعقمت الأدوات وهي تقول : السلام عليكم .

قالت : سلام يا نوال !

قال : ألم ينجح معه العلاج ؟

ـ تحسن قليلا يا ابن خالي .. علاج الشلل يحتاج لوقت .. فكثير من فقراته تأثرت بالحادثة ، حتى الشغل قلّ ذهابه إليه .. إنه يذوي كالشمعة.

قال حزينا : شفاه الله .. المرض يهد البدن ؛ لكنه نجا حتى أصابنا العجب .

قالت : نعم ، نجا ؛ كما يقال بأعجوبة، ولم أترمل بعد .. كيف رحلتك ؟

ـ كغيرها .. قبرص بلد الأجداد بالنسبة لي

ـ اليوم قبرص قبرصان.

ـ التاريخ والسياسة اللعينة .. كم أكره السياسة والكذب ! كل السياسيين أبطال وعمالقة .. قبرص جزيرة متوسطية جميلة يا وردة!

ـ أعرفها وزرتها مرات .. وأقاربك هناك أقاربي .. زرتها وحدي ، ومع أمي.

ـ هل حصل أن رافقت أمك إليها بعدما كبرت ؟

ـ أنا فترة الجامعة قلّ سفري إليها.. ذهبت مرة أو مرتين...

ـ مرة على ما أذكر كنا معا .. أنت وأمك وأبي وأمي وعمتي إكرام .

قالت : نعم ، أذكر تلك الرحلة .. أمي لها ذكريات حلوة ومرة في تلك الجزيرة يا رشيد .. وأنت تعلم السبب الأهم .. هناك فقدت أبي نجيبا .. وما زلنا نجهل مصيره .. وغمزت وهي تسأل : كيف وجدت نساءها في هذه الرحلة ؟!

ضحك لغمزها وقال : لم أقربهن .. كان معي زميل في الجامعة .

ـ معقول يا رشيد !

ابتسم وقال : معقول ونص .. الناس أخذت عني فكرة سيئة نحو النساء والبنات .. صحيح هناك حانات توفر هذه الخدمة للسياح وللشعب .

ضحكت وردة وألقت سيجارتها وقالت: لماذا لم تتزوج يا رشيد؟

ـ ما زلت صغيرا على فتح بيت وتكوين أسرة.

زاد ضحكها وارتفع ، وقالت متهكمة : فعلا أنت طفل لم يبلغ الرشد! عمرك قريب من الأربعين.

ـ الإنسان يبلغ عقله الكمال في الأربعين ؛ كما سمعنا.

– أنت تكبرني بثلاث سنوات على ما أذكر.

قال: تقريبا .. أين سنتعشى؟

قالت : سندخل سينما أولا .

قال : هل من أفلام جديدة ؟

قالت: سمعت من نوال الكاتبة عن فلم أمريكي جديد في سينما النجوم .. فلم أمريكي جيد .. وفيه مشاهد إباحية قد تروق لك .

ـ هيا بنا نتجول في شوارع بعنبس ، ونأكل حلوى ، ثم نحضر الفلم العاطفي والعشاء بعده.

قالت: هيا يا ابن الخال علي .

بيت الزوجية

فتحت الخادمة أو المربية الأجنبية بعد منتصف الليل باب الفيلا لسيدتها الدكتورة وردة نجيب فمسّت عليها : مرحبا .. عصام نائم!

قالت: إنه مستيقظ سيدتي!

تأوهت تعجبا : أوه!

ألقت حقيبتها الصغيرة على مقعد ، ودخلت المرحاض والحمام البيتي ، واغتسلت ثم مشت لغرفة النوم ، فوجدت عصاما جالسا يقرأ في كتاب .

فقالت: مساء الخير.

ـ مساء الخير .. أهلا وردة ، كم الساعة ؟ وكان ينظر للساعة المعلقة على أحد جدران الحجرة

قالت باستهزاء بين : أعتقد بعد الواحدة .. أراك سهرانا!

ـ كنت انتظرك.

قالت بدهشة : واي ! تنتظرني لماذا ؟!

قال متجاهلا استغرابها : لماذا ينتظر الزوج امرأته ؟!

رددت : امرأته ! أنا امرأتك! لقد نسيت هذا يا ابن عمي ! كيف عمي اليوم؟

قال: لا أدري ! ..لم أتحدث معه اليوم.. أين كنت ؟ ومع من كنت؟

ردت بجفاء : أصدقائي كثر كما تعلم .

ـ حسن ! اجلسي

جلست على حافة التخت وقالت: ماذا تريد ؟
ـ أريد !.. ماذا يريد ويحتاج الرجل من زوجته؟!
ضحكت وقالت: تكلم بجد .. ماذا تريد ؟! لتسهر لهذا الوقت ولحد هذه الساعة ؟ كنت في السينما .. سينما النجوم .. فهم يعرضون فلما جديدا (...)
قال: قرأت عنه في الجريدة .. وحدك .
ـ كان معي رفاق من الحزب ، لا يحلو السهر بغير رفاق .. ماذا تريد لفتح هذا التحقيق على غير العادة؟!
اشعل سيجارة وقال : أفكر بالسفر إلى باريس.. أوروبا .. للعلاج ، سأرسل صور ملفي إلى الدكتور " ناصر عواد " في باريس ؛ ليعرضها على زميل له .
ـ لقد سافرت أمريكا ، ولم ينجح العلاج .
ـ الدكتور ناصر أكد أن الشفاء ممكن ، وسيتحسن الجهاز العصبي كما يقول.
هزت رأسها إنكارا وقالت: الدكتور ناصر يواسيك يا عصام ! أنت عندك شلل كبير في بعض الأعصاب.. أعصاب مضروبة وكسور أو تفتت في عدد كبير من الفقرات .
قال متذمرا : هل أنسى يا وردة ؟ جوهر نام بعد أن تعب من انتظارك .
ـ سأدخل عليه وأقبله .. عصام .. هل حزمت أمرك بطلاقي؟ أنا أنثى بحاجة لرجل بعد ثلاث سنوات من التحمل ومن عجزك .
قال : فكرت مائة مرة ومرة بطلاقك ؛ ولكنّ الأمل بالعافية والسلامة لم تذهب .. إنني أحبك
ـ وأنا أحبك ، وأنت والد ابني الوحيد ؛ ولكني أنثى وتشتاق كسائر نساء العالم .. هل يرضيك أن أذهب للزنا والعشاق ؟.. أنت غير قادر على هذه العلاقة .. وأنا ما زلت شابة ، وأرى الكثير من الرجال .
تنهد وقال بحسرة وحرقة وذل : حقك يا وردة ! ولا تظني أنني أصدق أنك لم تنامي مع رجل أو أكثر طوال هذه السنوات ..لا تضحكي على لحيتي .. أنا كنت أشك فيك، وأنا بكامل قوتي بل أنا متأكد يا دكتورة !.. أنت غير متدينة لأعتقد أن الدين يمنعك .. فضعفي وعجزي هو الذي يجعلني أجعل من نفسي جاهلا .. أنت ملحدة كما تزعمين .. وأخلاقك معروفة .. وأبي جنى عليّ عندما أصر على زواجنا .
ـ أتعتقد ذلك يا عزيزي ؟!
ـ أنا أعرف من أنت ؟ ولي أذن .
ـ من أنا ؟ ما دمت تعرف من أنا ! لماذا لم تطلقني لليوم ؟
ـ أكبر غلطة أنت يا وردة!
ـ أكبر غلطة لم أفهم !

قال بألم وذكرى : تزوجتك بأمر من أبي حبيب عمك .. وأنت قبلت وتعجبت .. وافقت على أمل أن ترفضي لحبك لابن خالك رشيد كما انتشر في العائلة.

ـ ولماذا لا أقبل بك وقد أراد والدك ذلك ؟!.. ورشيد مجرد قريب وأمي عمته .. كان رشيد صديقا عزيزا ، ودائما أو كثيرا في بيتنا .. كان يدخل علينا في كل وقت يا عصام ؛ وليس ذلك يدل على علاقة غرامية بيننا .. هو صديق وقريب .. صحيح كان يظهر لي حبا وعشقا بين العائلة ولا يعني هذا أنني أبادله نفس الحب والغرام .

قال : الكل كان يتحدث عن غرامكما ، وأنه يؤخر طلب يدك حتى تنهي كلية الطب لتتزوجا.

ـ كنت أحبه ، وما زال يحبني ، ولم يتزوج من حبه لي ؛ لكن أمي قالت : أنت أولا وأولى .. أنت ابن العم ومقدم على ابن الخال .

ـ امرأة عمي منذ اختفى زوجها في قبرص وهي في تيه وضياع.

قالت مكررة : نعم ، هي في ضياع .. كانت متعلقة جدا بأبي يا دكتور .. وما دمت لا تثق بحبي لك ، وتراني خائنة ؛ فهذه ظروف تسمح لك بطلاقي دون تدخل من أحد .. أنا شابة لا أحب أن ألوث سمعتك وشرفك ..تخلص مني قبل أن تحدث أي فضيحة يا ابن عمي.



زكية ونجيب

كانت السيدة زكية حسني تذهب إلى جزيرة قبرص لقضاء أسبوع أو أكثر تقضيها في فندق (الشواطئ) منذ أكثر من عشرين سنة ؛ وذلك منذ اختفى زوجها نجيب عارف بظروف غامضة سيأتي الحديث عنها في صفحات قادمة .

ففي شهر آب اللهاب من كل عام تزور ذاك الفندق ، تسافر صيفا لاستعادة تلك الذكريات الأخيرة من حياتها ، ولديها أمل أن زوجها سيعود ؛ ويظهر في ذاك الفندق .

كان حادث الاختفاء أو الخطف قد حدث عام ١٩٨٢، عام حصار بيروت من قبل الجيش الإسرائيلي ، عام صبرا وشاتيلا .

كما هو معروف تاريخيا أن شارون الصهيوني هاجم لبنان في سعيه للقضاء على منظمة التحرير الفلسطينية بدعم أمريكي ، ومؤازرة وتسهيل من موارنة لبنان خلال الحرب الأهلية التي عصفت بذاك القطر ، وكان من أهم نتائجها خروج مقاتلي المنظمات الفلسطينية إلى بقاع شتى ففي ذلك العام

اختفى الطبيب نجيب عارف أثناء تواجده في قبرص .
لم يظهر أي خبر عن خطف أو قتل عنه ؛ فكانت تسافر وحدها أو برفقة أخيها هاشم أو علي أو غيره أو زوجها الثاني بلص فيما بعد ، وكانت أحيانا تصحب بناتها واحدة أو الاثنتين أو أحد الذكور الثلاثة ، وذلك قبل أن يشبوا ، عندما اختفى نجيب كانت وردة ابنة عشرة أعوام تقل شهرين أو ثلاثة ، وقد ولدت زكية من زوجها خمسة مواليد عارف وسالم وجهاد ، والبكر وردة والصغرى جريدة ، ومن زوجها الثاني بلص زكور ولدت طفلا ، ومات بعد شهور ، ثم توقفت عن الحمل ، وكانت قد اشترطت عليه عند طلبها كزوجة أن لا يمنعها من طقس زيارة قبرص كانت تأمل أن يعود ؛ لأن عقلها اللاشعوري لم يتقبل فكرة موته وقتله .
السيدة زكية حسني أجدادها قبارصة من أيام ما كانت بلاد الشام والعراق والحجاز ضمن أملاك الدولة العثمانية ؛ كما هو معروف تاريخيا ، وهي متعلمة ومتخرجة من جامعة تركية ، عملت فترة قصيرة في التعليم والتدريس في ثانوية بعنبس ، ثم تزوجت نجيبا أثناء زيارة لها للشام ولبنان ، ولما اختفى زوجها عملت في التجارة والاستثمار ، وهي اليوم تدير شركة خاصة في تجارة السيارات الألمانية ثم اليابانية ، وتتاجر في قطع السيارات والإطارات وأشياء أخرى متعلقة في السيارات ، ولها أسهم في شركات وبنوك في البلد وخارج البلد ؛ خاصة قبرص واليونان .
كانت تجلس في مكتبها في شارع الأزهار حي الطيارة الذي يقع بين شارع المحطة وشارع رمانة ويطلق عليه آخرون حي السوق لوجود أسواق الخضار واللحوم فيه في مقاطعة بعنبس ، حي ضخم في البلاد ، ومعها ابنها عارف الابن الأكبر ، ويلي وردة في الولادة ، وهو طبيب كأبيه ، ويعمل في مستشفى حكومي في بعنبس ، فكان يقول لها : هل اتصل بك ابن أخيك علي ؟
وضعت السيجارة في المنفضة وقالت : تحدث منذ رجع من قبرص ؛ حيث يمارس دعارته.
ـ هو ينكر هذا .. لا أدري لماذا لم يتزوج ؟
ـ كان يرغب هو وأبوه بالزواج من أختك ؛ ولكن عمك حبيب رفض ذلك الأمر ، وزوجها لابنه فور تخرجها من الجامعة ؛ بل كاد يفعل ذلك وهما في الجامعة ، وأجبر الرجل ابنه على الاقتران بها.
قال: أمس كان مع وردة في العيادة ، ورافقها للسينما وتعشيا معا.
ـ ما زالت وردة تحلم به كزوج .
ـ علاقتهما خبيثة يا أمي لا يرتاح لها المرء .. عصام لا تعجبه صداقتها برشيد .. ودائما يشكو منهما ؛

بل سمعته يتهمها بإقامة علاقة جنسية معه دون خجل .

قالت : عصام ماتت طبيعته في الحادث ؛ فأصبح عاجزا عن معاشرتها .. وأختك صغيرة وحولها ذكور كثر .. في العمل في النادي في الحزب اليساري

ـ وردة ليست صغيرة يا أمي ابنة ثلاثين سنة وخمسة .

ـ وهذا العمر عمر صغير .. ولها سنة تلح على الطلاق .. مهما يكن السن فالمرأة تحتاج لذكر يا عارف !

ـ لا أدري لماذا لم يطلقها لليوم ؟! ما دام غير قادر على الجماع ، وعاجز عن القيام بواجبه الجنسي .. فوردة امرأة لعوب منذ مراهقتها .. وهل تظنين أن رشيدا يستطيع الحياة معها ؟

قالت : لا أدري ؛ لكنه يسافر لقضاء رغباته في أوروبا ؛ خاصة بعد فضيحته مع إحدى طالباته التي سلمت نفسها له ، وحملت منه سفاحا رغم أنفه حتى يتزوجها رغم أنفه .

قال : نعم ، هي أرادت ذلك .

ـ القصة ، فسخر منها ، وأرغمها على الإجهاض قبل الزواج ، وأختك قامت بعملية الإجهاض سرا .

ـ عرفنا ذلك ،كل الأقارب علموا بهذه الفضيحة وانتقل بسببها إلى جامعة أخرى .

قالت : الجامعات كلها فضائح في هذا الزمان ، وقصص الفجور لا تخلص فيها ، إنهم يحبونها أن تكون خفية كما تخبر .. سمعة سيئة بسبب أننا مجتمع شرقي ، في أوروبا لا تثير الفضائح الجنسية لغطا كبيرا .. ساعات وانتهى الموضوع .. فنحن شرقيون وعائلات تزعم المحافظة .

ـ هو الحمل الذي فضح العلاقة .

ـ هي أرادت الحبل ، وامتنعت عن أخذ الموانع والأدوية ، قال لي : هل أصدق يا عمتي أنها لم تضاجع رجلا غيري؟! أنا عرفتها في السنة الأخيرة لها في الجامعة وهي على وشك التخرج ، وظنت أني صيد سهل .. صيد سهل!

العائلات الثرية تستطيع الاشتراك في نوادي خاصة اجتماعية ثقافية رياضية علمية يلتقون فيها للسمر والترفيه وقضاء وقت الفراغ ونقل الأخبار .

كانت وردة ورشيد يجلسان في نادي العائلة ، وكانت السيدة تحب أن تكون في النادي وخارج المنزل بأجمل الثياب ، وأغلاها ثمنا وحسنا ، وكانت تمتاز بإظهار أروع الروائح من العطور المستوردة من أوروبا ، فكل من يمر بالقرب من مجلسها يستنشق الريحة سريعا ، ويبحث بأنفه وعينيه عن مصدرها .

كانت تجلس سافرة متبرجة ؛ كأنها تقول للعيون

تمتعوا بحسني وشبابي ، وبجوارها أختها الطبيبة ، وصديقها شهاب زميلها منذ كلية الطب ، ثم زوجها ، وكما ذكرنا بدأت الجلسة برشيد ووردة ، وكملت بشهاب وجريدة .

فقالت جريدة نجيب بعد جلوسها وشهاب : كيف كانت رحلة قبرص يا دكتور رشيد ؟

أخرج رشيد السيجارة من فمه ورحب بها ، وشرب من كوب الماء المركون على الطاولة ، ومسح فمه وقال مجيبا : رحلة ممتعة على شواطئ قبرص خاصة بصحبة زميل معي من الجامعة وبعض الجميلات .. هناك فتيات جميلات حقا ؛ ربما أكثر من بنات بلادنا في بعنبس أو تاج الزمان أو حتى البلاد كلها .

التفتت جريدة لشهاب قائلة: ابن خالي .. له جذور في قبرص من جهة أمه .

ـ وأنت وشهاب ما آخر أخباركما ؟ هل ستصبحان زوجين سعيدين ؟

رد شهاب باسما: نحن زوجان سعيدان هنا وهناك يا دكتور رشيد !

قال : أتحبان بعضكما ؟!

قالت جريدة ساخرة : وهل الحب شرط للزواج يا وردة ؟

قالت وردة : قد يكون هذا مقياس الدكتور في السعادة أو علامة على حدوث ذلك.

قال شهاب : نحن عشاق وزيادة درجة فقط ، جريدة زوجة غالية على قلبي فحسب .. وأمها لا تراني الزوج اللائق بابنتها .. تقول: وردة تزوجت طبيبا وتتزوج جريدة طبيبا هذا غير لائق ولا مناسب .

قال رشيد مداعبا : والله وجهة نظر يا وردة !

قالت وردة : أول مرة أسمع بوجهة النظر هذه يا جريدة !

ـ لم أعتبر كلامها شيئا .

قال رشيد : وأنت معك حق ؛ لكن يا شهاب هل كان هذا دافعا لرفضك ؟

ـ أبي اشترى سيارة من معرضها واكتشف أنها قديمة .

ضحكوا وقال رشيد : يعني التجارة أثرت عليكما

قال شهاب وهو يحدق بصره بوردة : الدكتورة كئيبة !

ابتسمت له ورمت سيجارتها وقالت : لست كئيبة ؛ لكن زوجي قد يحقق لي رغبتي بالطلاق .

قال رشيد فرحا : أخيرا اقتنع بأنه لم يعد ذكرا !

قالت : لم يقتنع ؛ ولكنه يشك شكا كبيرا أن بيني وبينك علاقة حميمة.

ـ أنا وأنت .. هل عيونه سليمة ؟!

فقال شهاب: هذا الأمر خطير يا دكتورة !

قالت: ليس خطيرا يا دكتور ! ولكنه كما تعلم

جريدة وغيرها أنه منذ ذلك الحادث اللعين أصبح المسكين عاجزا عن المعاشرة الزوجية ، وضعيفا حيالي .. فكلما يراني متبرجة ومتعطرة وخارجة للسهر والحياة يظن أنني ذاهبة للقاء عشيق ويغلب على ظنه أنني سألتقي برشيد حبيبي العانس أيام الجامعة .. إننا ما زلنا أحبابا .. المهم يرى أنني ذاهبة لموعد غرامي ، وليس للنادي فحسب .. قبل أيام رافقت رشيدا للسينما والمطعم ، فخياله رآني أمارس الدعارة معه ولما سألني عن سبب تأخري قلت له الأمر بكل صدق ، فرفع صوته واتهمني بالزنا والتعري لغيره.

فقال رشيد : أنت شابة ، ومن حقك التمتع بحياتك الخاصة والإنجاب.. فمن حقك أن يكون لك زوج سليم .

جريدة ساخرة : يا ترى أنت الرجل السليم ! أنت كبرت يا رشيد ؛ ربما عصام أقوى منك .

فقال شهاب مكملا : يا جريدة يا حبيبتي ! ولماذا يذهب الشاب ابن خالك إلى قبرص بين الوقت والآخر ؟ لماذا لم تتزوج لليوم يا دكتور؟

قالت جريدة مجيبة : كان الرشيد يحب وردة ، وكنا نرى أن زواجهما سيتحقق .. وما زال عاشقا على ما أعتقد .. ولما تزوجت حرم على نفسه الزواج .. واليوم الظرف يتغير يا شهاب !

اعترف رشيد قائلا : نعم ، نعم ، كرهت الزواج ، ولم أكره النساء يا دكتور شهاب!

قول حبيب

دخل المهندس حبيب عارف بيت ولده الكبير عصام حبيب ، وبعد السلام والمصافحة والتقبيل قبلة اليمين وقبلة الشمال جلس على أحد المقاعد ، وسأل عن صحته وأحواله كالمعتاد بيننا نحن العرب ، قال : كيف أمورك اليوم؟

تنهد عصام وقال بنغمة حزن : تعبان يا أبي ! الحياة أتعبتني ، والمرض جعلني ضعيفا ، لم أعد أستطيع العمل في العيادة .. عضلاتي عاجزة .. وشريكي تماري بدا يضجر ، ويشكو من كثرة غيابي .

ـ والحل!

ـ الحل أن أموت .

قال الأب مستهجنا : تقتل نفسك ! وهل هذا حل ؟! ولو كل مريض قتل نفسه لأغلقت كل هذه العيادات والمستشفيات والصيدليات ومصانع الأدوية .. ولماتت إرادتنا عن المقاومة والصمود .. وما اشتغلت أنت وغيرك ، ولما تعلم الناس الطب والصيدلة .. أنت إيمانك ضعيف .. إنك بعيد عن الله .. أنت وزوجتك تقلدون الغرب ، وما هب ودب ؛ فلذلك لا صبر لديكم .. لو هي مرضت وعجزت أتتركها يا عصام؟! هذه الحياة هبة ومنحة من الله .. منذ أيام الجامعة وأنا أقول لك كن مع الله .

قال بسخط وغيظ : سمعت مثل هذا الوعظ والكلام الكثير .. وما الحل لعجزي ولرغبتها برجل ينام في حضنها ؟

قال: حقها ! هل تريدها بغيا ؟ اعلم أنك لست أول مريض في الدنيا .. وحوادث السيارات لا تنتهي؛ بل هي القاتل الأول في أنحاء العالم اليوم .. فالحل يا أبا جوهر ... أين هو ؟

ـ خرج مع مربيته .

ـ الحل أن تغلق العيادة أو بعها لشريكك .

ـ ثم ...

ـ ثم .. تعمل في الاستثمار ، تدير صيدلية ، تدير مجمع طبي ، تملك مصنع دواء .. تذهب بضع ساعات ، تشرف على العمل .. الدنيا واسعة يا ولدي .. تزيد من شراء الأسهم في الشركات الكبرى .. تبتاع من سندات الدولة والخزانة ؛ بما أنك لا تبحث عن الحلال ؛ لأن العلماء يحرمون شراء السندات الحكومية .. ممكن أن تملك أسهم من بورصات دولية .. الشراكة مع أصدقاء ومعارف .. أنت تملك رأس المال .. جرب في قطاع الصيدلة .. تستطيع أن تباشر بنفسك أو عن طريق الشركاء وتستثمر الأسهم .. تعمل من خلال البيت وتتابع العلاج .

قال عصام : أفكار جيدة منك يا أبي ! سأسعى إلى امتلاك صيدلية في بعنبس أو تاج الزمان أو حتى العاصمة .. هل ستساعدني بقرض بدون فائدة ؟

ـ وقد أشاركك اذا أحببت .. المهم لا تفكر بقتل نفسك والموت ..كلنا سيموت لا بقاء لنفس بعد انتهاء أجلها .. فكر بالعودة لدينك ، وانظر إلى سامي وحسن.

قال نادما ومعتذرا : تأثرنا بمدرسينا الملحدين .. لعنة الله عليهم .. والآن ماذا ستفعل مع ابنة أخيك ؟



قال بألم : كلامك عنها خطير وسيء ! وهي أم ولدك ، ومن حقها أن يكون لها زوج قادر على النوم معها ، ومن أجل ذلك خلقت النساء .. فهل ترى في طلاقها فائدة لك ولجوهر ؟

قال وهو ينظر إلى مزهرية على طاولة صغيرة : أنا لي ثلاث سنوات في العلاج والرعاية ، ولا طاقة جنسية عندي ، ضعيف جنسيا للغاية بسبب الإصابات العصبية والكسور .. وتصل لي إشارات وأخبار جنسية عنها .. وهي منذ سنة وأكثر تلح عليّ بالفراق والانعتاق .. وتكثر من الخروج والسهر مع ابن خالها رشيد .. وأنت تعرف قصة حبهما القديمة أيام الجامعة .

ـ أعرف أعرف ذلك الحب المزعوم ..أنت كيف

ستعيش بدون امرأة قربك ؟!

ـ أنا منذ خروجي من العلاج أعيش بدون امرأة ..

يا أبي هي ليست قربي .. تخرج لعيادتها ونسائها .. تذهب لناديها ونواديها ولحزبها الفاشل حزب النسوان .. وتقضي لياليها في المسارح ودور السينما مع المدعو رشيد علي ، تأتي البيت بعد منتصف الليل .. وتتعامل معي ؛ كأنني غير موجود .. المهم أنها تعود لتنام بعد فراغ شوارع بعنبس من الناس .

أخذ حبيب نفسا عميقا ثم قال : لا أخفي عليك ، وصلتني أخبار سيئة عن ابنة أخي وانحلالها للأسف ، كنت أظن أن يخف وجعك وتتعافى مع الوقت .. فالمرأة الشابة لا تستغني عن ذكر يقوم بما شرعه وأباحه الله ؛ خاصة اذا كانت منحرفة عقديا ، وتجاهر بإلحادها لا دين يضبطها ، ولا أخلاق تردعها عن فساد أو فسق، وأنت أيضا ملام بشدة ببعدك عن دين آبائك وأجدادك ولا تنسى قذارة أمها وتربيتها السخيفة ، وأخي المختفي أو الميت فهو اختفى ملحدا ضالا .

قال : حماتي لا تتدخل في أمرنا .

قال : تأكد أنها تتدخل من تحت إلى تحت ، وما زلت أعتقد أن لها يدا في فقد أخي في مدينة قبرص ، ولعبت لعبة ما .. فكان أخي يتوجس منها خيفة كما همس لي ؛ ولكن يبدو أنها كانت تعمل ضده بجهل وغباء ، فاضطرت أن تعمل نفسها ضحية ، وتكرر زيارتها السنوية حيث فقد بزعم الوفاء والأمل .. كانت لعبة وتحولت لجريمة .. فرغم مرور ربع قرن لم ننس أمره .. فهي تعرف كيف اختفى أو قتل .. وزوجها بلص زكور أيضا شيطان رجيم .. لعبة صارت جدّا ، وأعتقد لإسرائيل يدا فيها .

ـ هل أحزم أمر الطلاق ؟

قال: أنا أرى ذلك، قبل أن تعلن وتفشو فضائحها ؛ ولعلك تجد امرأة تقبل بك.

قال بحدة وسخط: لست بحاجة لامرأة يا أبي ! فلقد تعودت على العيش بدون زوجة حتى يقضي الله أمرا كان مفعولا .. من اليوم سأتوب ، وأباشر الصلاة ، وأعود إلى ما قبل الجامعة ..

أنت لم تقصر في تربيتنا على الدين والأخلاق.

ـ هذا واجب على الأب والأم .. رحم الله أمك كانت أكثر حرصا مني على تأسيسكم دينيا وإيمانا

ـ رحمها الله كانت تبكي لما انحرفت وتغيرت .. سأدفع لها الطفل يا أبي وأستأجر خادما أو خادمة لخدمتي ومساعدتي.

ـ خادم أحسن لسمعتك .

قال : هذا ما فكرت فيه ، واذا خف السقم أتزوج من جديد .

قال حبيب مواسيا : إن شاء الله .. الأمراض إما أن

تزول أو تتضاعف ..والشافي هو الله وحده المهم أن تنشط عملك التجاري .. فابدأ بشراء صيدلية أو أكثر في بعنبس وتاج الزمان والأحياء الشعبية ؛ لتعيش حياة طيبة.

ـ أرجو ذلك ، والله الموفق .

قال : دع حملك على الله .. وسامي وزوج أختك نوار رجل فاضل وماهر ومحترم وسيخدمك

ـ هو ما قلت ، سأتحدث معه بعد قضية الطلاق بإذن الله

قال حبيب : وشقيقك سامي ابن سوق ، ولن يقصر معك .. الصبر الصبر يا عصام ، وهو دواء لكل داء!

ـ صدقت يا أبي ! زمان ما أصغيت لنصحك وبرك.

لقاء عائلي

اتصل الدكتور عصام بابني عمه جهاد وسالم للقاء خاص حول طلاق وردة بناء على طلبها ، فقد عاش الشابان في رعاية مباشرة من أبيه وفي بيتهم منذ اختفى والدهما ، فلبى المحامي جهاد النداء ،وشقيقه المهندس سالم مدير مصانع وشركات في الداخل والخارج .

عقدت الجلسة في صالة بيت عصام ، وقد رحب بهم ، وعبر لهم عن امتنانه لقبولهم دعوته لمناقشة موضوع وردة .

وكان معه شقيقه المهندس سامي حبيب ، وهو صاحب شركة مقاولات من الدرجة الأولى تملكها عن طريق خاله شقيق أمه خاله مراد يوسف ، وشريكه والد المهندس حسن تنازلوا لهم عنها.



تناول الأربعة طعام الغداء المعد في أحد مطاعم بعنبس الشهيرة والكبيرة في حي بعنبس ، ثم انتقلوا إلى صالة البيت حيث الكنابيات الفخمة والأجنبية ، فعصام يملك هذه الفيلا من قبل الحادث بزمن يسير ، وقد ورث بعض المال عن أمه ساعده في إنشاء هذه الفيلا الحديثة .

قدمت لهم الخادمة المربية الشاي العربي الساخن ، وأشعل المدخنون سجائرهم كسالم وعصام وقال الأخير: مرحبا بكم جميعا ! الموضوع كما قلت لكم على التلفون حول الفراق بيني وبين أختكم الدكتورة وردة .

فقال سالم: سمعنا من قبل أن تحدثنا يا عصام ! وسمعنا أنها تطلب الطلاق منذ عام .. وهذه الأيام شاع الأمر .. وتلح على ذلك ، وهل من حل آخر

قال جهاد بدون اعتبار : امرأة فاسدة حقيقة! أنت ابن عمها وأب ابنها ومبتلى ؛ فكان الأفضل أن تتحمل وتصبر .. تزعم أمام الخواص أنها لا تستطيع الحياة بدون ذكر .. هذا هو السبب المتداول، وهذا تخبرنا به أمنا ، ورددته جريدة الوقحة .

فقال سامي: اهدأ يا أبا عبد الله ! يحق لها طلب ذلك شرعا وعرفا .. وأنت الشيخ الكبير في الأسرة .. الإسلام لا يمنع ذلك .. ليس كل النساء لديهن الصبر عن الرجل خاصة لمن في سنها هي من عمر الدكتور خمسة وثلاثون عاما .. ليس كل النساء عمتنا فاطمة .. فأنا فاتحت شقيقي قديما في هذا الأمر الحساس والحرج .. فعصام اليوم ضعيف وغير قادر على الجماع والمباشرة .. وأخبارها وقد سمعتم ببعضها لا تسر ولا تطمئن ؛ فربما كان جهاد يتحدث عنها بقسوة .. يا سالم بنات ٢٠٠٧ لسن كبنات ثلاثين أو أربعين سنة مضت .. فاليوم للأسف تقضي أغلب سهرها ووقتها ليلا مع ابن خالكم دكتور الجامعة .. والناس لها أعين وسمعتنا مطلوبة .. كلنا تهمه سمعتنا .. واليوم أخي عصام أعلن توبته وصار يصلي مثلنا .

قال جهاد مسرورا : حق يا أبا جوهر!

ـ أبي طلب مني ذلك ، وأنا مقتنع بذلك .

قال سالم معبرا عن فرحه : الحمد لله أنك صحوت من غفلتك أخيرا يا ابن عمي ! خبر جميل حقا ؛ لعل وردة تتوب مثلك !

عاد سامي يقول : أمين ! أنتم نوارة العائلة بالتزامكم الديني، فمنذ الحادث الأليم والسيدة تكثر من مرافقة ابن خالها والذهاب للسينما والمسرح والنادي وحتى تجره معها إلى حزبها اليساري الاجتماعي .. وهذا الفعل يثير الريب والشيطان .. فوافق عصام على الطلاق ؛ ولتنكح السيد رشيد علي .. لم يعد الدكتور يحتمل سهرها وتبرجها وعطرها ، وتتركه في البيت ليلا ونهاره قلنا النهار عمل ، ولابد منه .. تخرج مرة ليلا مرتين .. أما كل الأيام فالفراق أفضل يا جهاد .

ـ الطلاق حل!

قال سامي : تحدثت مع أمكم لما اشتكى لي عصام ، قالت لي أمكم إنها لا تستطيع مفاتحتها في حياتها الخاصة ، لم تعد طفلة يا سامي !

قال سالم : هذا صحيح يا سامي ! أنتم تعلمون من هي أختنا وسوء لسانها .. ولا تعمل إلا بما في مخها ، لا تقبل نصحا ولا وعظا ولا إرشادا .. كنت أتعجب من سيطرة عصام عليها .. فمن ناحية جنسية هي شابة ، وهي في سن الشباب ، فتحتاج كما أشرتم إلى رجل .. فهذه الرغبة مجنونة ، ولا يسيطر عليها إلا بالزواج كما هو معلوم .. لا أحد

منا أنا أو جهاد يستطيع أن يحثها على الصبر والبقاء ما دامت ترغب بالطلاق .. ماذا سنفعل لها يا سامي ؟! لا تبكي يا عصام سيعوضك الله خيرا منها ـ إن شاء الله ـ عصام يا حبيبي كن قويا ! هذا قدر الله، وصدق مع أنها أختي ؛ لكنها لا تساوي عندي بصلة .. والخيرة فيما يختاره الله لك .. ستلمس ذلك بعد حين .. ستشفى بإذنه تعالى .. كن مع الله وستنتصر .

ـ لم أستطع كظم دموعي .. هل يستطيع رجال اليوم تأديب النساء ؟

قال جهاد : أنا حزين من أجلك يا عصام ! أنت تعلم سوء علاقتي بزوجتك وتعتبرني متخلفا معقدا ؛ لأنني مطلق لحيتي هذه .. وأني رجعي ، والقاب لا أدري من أين تأتي بها ؟ ولم يعد لدينا قدرة على نصحها ، ولو بالتي هي أحسن .. مشكلة الغرور والمغرور .. كلامي وبس .. أنا لي شهر إن لم يكن أكثر لم أسمع صوتها .. وقبل زمن يسير ضربت على رقم الخلوي الخاص بها أقفلت الخط ، قلت مشغولة لما تنهي ما بيدها ستتصل .. كان عامل معنا امرأته حامل ومحتاج لمساعدة .

علق سامي : لأنك باختصار متدين ، وهي من غير دين .. أليس هذا هو السبب الحقيقي ؟

ـ أكيد هذا السبب ،لا تحب سماع الكلام عن الله والإسلام والرسول ﷺ ، هؤلاء الحمقى يظنون أنهم أفهم وأعلم من النبي ﷺ ، كان عمر يحكم دولة شاسعة شرقا وغربا ، يحكمها بالعدل والشورى ، وليس هناك برلمان وقاعات اجتماعات وندوات ودفاتر ومترجمون .. نحن في نظرها سفهاء وجهلاء .. أما أفكار لينين ونيتشة وانجلز وفلاسفة أوروبا هم العقل الكامل .. مرة أو مرات سألتها ما تقصدون بيساري اجتماعي .. وأنتم لا تهتمون بصلاح الأسرة .

قال سامي : تسمع منها ، ومن غيرها كلام فارغ لا معنى له.

قال سالم : هي شكلت أو دعيت للحزب مع عدد من منظرات الحركة النسوية من أيام الجامعة حزب فارط ومؤسسة الحزب دكتورة نبيلة مزم أسوأ مثال للمرأة العربية ، حولها رجال شهوانيون ، لا هم لهم إلا أجساد النساء والإباحية ، لقد هجرت الحزب عدة نساء ، وفضحن خبايا هذا التجمع الخبيث .. سوالفهن عن الحرية للبنات في الفواحش ، وعقاب الأزواج الذين يضربون النساء والأطفال ، ويساري يقصدون الاقتصاد للجميع ، فهم يجمعون بين أفكار الشرق الملحد كروسيا والصين ، وأفكار الغرب في حرية النساء .. يزعمن كما قرأت عنهن أنهن ضد العنف الأسري .. كلنا ضد العنف الأسري والإيذاء .

قال جهاد مكملا ساخرا : يعني انحلال دون

معاقبة .. باسم أنا حر .. علاقة دون زواج صحيح فساد وإباحية.

قال سامي: إلى حد كبير .. محامي جهاد .. ونحن لا يهمنا أفكارهم وجهلهم وإباحيتهم .. فالدكتور عصام أراد مشاورتكم بطلاق أختكم حتى لا يذهب الود بيننا بسبب هذه القضية .. والدكتور مرغم على اتخاذ هذا القرار ، ولا نخسر علاقتنا بالانفعال ، ويبقى الحب والنبل بيننا خاصة أنتما!

قال المهندس سالم : نحن لا نستطيع منع الطلاق ، فلا طاعة لنا على وردة ، ولا سلطة .. نحن لو نستطيع منعه فعلنا ؛ لكن ما دمت يا عصام قبلت به فنحن معك .. وأنت شريف لا تحب الفضائح .. وهي ترغب به وبالذرية كما تشيع .. وسمعت من جريدة مثل هذا الكلام ؛ لكن كيف ستعيش في هذه الفيلا الجميلة بدون زوجة تشاركك السرير والطعام والغسيل؟

قال بحزن بين : أنا بعد حين أبحث عن أرملة تخدمني مقابل صرفي عليها وعلى أطفالها اذا وجدت ..وسأستأجر خادما يعمل على خدمتي .. وأبي وافق على مساعدتي لفتح مشاريع استثمار دون مباشرة للعمل .. وسيكون ابني معها ؛ ولتتزوج رشيد علي اذا كان محبا لها حقا.

قال جهاد : نرجو لك التوفيق والثبات على التوبة والصبر على البلاء يا عصام ونحن معك أكثر من أختنا .. أنت عزيز علينا!

الطلاق

قبلت العائلة الفراق بين عصام حبيب ووردة



نجيب بعد عشر سنوات زواج ، نتج عنه طفل واحد فقط ، وعمره خمس سنوات ونصف.

وكما تلي في القرآن قضي الأمر الذي فيه تستفتيان .. تنازلت وردة بموجب الاتفاق على الطلاق عن مؤخر صداقها ؛ كما كتب في العقد الشرعي الذي ربط بينهما ، فالعقد الشرعي الموثق في المحاكم الشرعية في البلاد الإسلامية يقسم المهر فيه إلى ثلاثة أقسام أو اثنين ، مقدم الصداق ، ومؤخر المهر ، وتوابع المهر من أثاث وطلبات مباحة .. حصلت على قسيمة الطلاق برضا العائلة .

كانت وردة قبل الاحتفال بقضية الطلاق قد تملكت شقة في شارع من شوارع بعنبس ، حي المحطة ، وسمح لها عصام بأخذ ما تشاء من أثاث الشقة ؛ لكنها اكتفت بأخذ ثيابها وعطورها وكتبها وأدوات تبرجها ، وبعض التحف الخاصة بها والهدايا .

ولما تسلمت وثيقة الطلاق من كاتب المحكمة قالت لعصام وشقيقه والمحامي الذي أشرف على معاملة الطلاق : لا تعتب عليّ يا أبا جوهر ! أنا تحملت ثلاث سنين ، لم يبق لديّ صبر .. عليك أن تعذرني في رغبتي بالطلاق.. ولما تشتاق وترغب برؤية جوهر اتصل بي .. اعتقد أن رقمي سيبقى على تلفونك .. فنحن أبناء عم وأقارب .. فأنت أبوه وأنا أمه .

ـ لا بأس ، أتمنى لك حظا طيبا ، وزوجا طيبا وأحسن مني .. وكما قلت نحن أقارب وأبناء عمومة .

ـ شكرا لك ، شكرا سامي ، والشكر أيضا للمحامي عدنان ؛ ربما كانت أسهل قضية طلاق لديك يا أستاذ عدنان!

ـ فعلا يا دكتورة ! التفاهم دائما يسهل حل المسائل.

ركبت سيارتها ولوحت بيدها مودعة ومتجهة إلى العيادة الخاصة ، وهي تكاد تطير من الفرح بالخلاص من الرجل العليل ، كانت عيادتها في مجمع زهرة الربيع وسط بعنبس ، وأثناء الطريق رنت على رشيد أستاذ الاقتصاد في جامعة عرب بعنبس ، اتصلت مخبرة بحصولها على قسيمة الطلاق الرسمية ، وعليهم الاحتفال الليلة بهذه المناسبة في أهم وأحسن مطعم في المدينة فرحب رشيد بهذه الدعوة ، وبارك لها الطلاق ، وتحدث عن طلب يدها بعد انتهاء العدة المشروعة والمفروضة بالقانون ، والتي تمتد ثلاثة أشهر كما أخبرها القاضي ، والقانون يلزمها بذلك ، ولا يستطيع العقاد أن يعقد عقدا قانونيا قبل انقضائها.

فلما تحدث عن الخطبة قالت ساخرة : أنت على قد الزواج يا رشيد من وردة!

ـ وهل أنت تختلفين عن جنس حواء يا جميلة ؟!

ـ فكر جيدا خلال هذه الشهور .

قال : سأكون محظوظا اذا حصل ؛ لعلي أتوقف عن الرحيل والترحال وملاحقة الحسان والجمال

ـ يقولون من شب على طبع شاب عليه.

قال : الإنسان يتغير .. أنا ابتعدت عن الزواج لمثل هذا الأمل .

ـ إلى اللقاء الليلة .

استدرك فقال : لماذا لا نتعشى في شقتي أو شقتك

ضحكت وقالت : أنا عصفورة تعشق الحرية ، وتكره القفص والشقة ..



نلتقي ليلا ..أخشى أن يتطور العشاء إلى مغازلة .. هل ما زلت تتعاطى أدوية ومنشطات في حياتك ؟

ـ لا غنى عنها اليوم لإرضاء رغباتهن .

قالت : إلى الملتقى أيها الغزال ويا حبة العين .

العشيق

جلست وردة ليلا في مقهى النادي الأدبي التابع للجامعة الفرنسية في بعنبس ، وبقربها الدكتور رشيد وامرأتان يعرفهما رشيد قليلا بحضوره بعض ندوات وردة وحزبها المجهول" العصبة النسائية" هكذا اسم الحزب اليساري الاجتماعي هاتان المرأتان من حزب العصبة المنشق عن حزب "نهضة المرأة العربية" حزب علماني، فكره الاقتصادي يميل لليسار والاشتراكية ، واجتماعي يدافع عن حرية المرأة على طريقة النظم الغربية ، ويحمل أفكار ومعاهدة التمييز ضد المرأة التي صدرت عن الأمم المتحدة سنة ١٩٧٩ ويشار إليها باسم سيداو .

وبعض الصحف تسميه حزب المطلقات ؛ لأن مؤسسة الحزب مدام نبيلة مزم طبيبة محاضرة في كلية طب الجامعة ، وعملت في مستشفاها ، وهذه الأنثى طلقت مرتين ، وهي الآن بدون زواج ويغلب على الحزب الفتي النساء ، وأكثرهن مطلقات وعوانس ، وتعرفت عليها وردة أثناء الدراسة ، واقتنعت بأفكارها المختلطة والمتناقضة ، المهم حرية المرأة وعدم تعرضها للضرب والإهانات .

ففي هذه المعاهدة المنتشرة سيداو المادة رقم ٢:

تنص هذه المادة على أن كل الدول التي تصدق على هذه المعاهدة يجب عليها إظهار نيتها الحقيقية للمساواة بين الجنسين في دساتيرها المحلية ، وأن يتم إلغاء كافة القوانين التي تسمح بالتمييز بناء على الجنس ، وأن تسن هذه الدول قوانين بهدف الحماية من أي تمييز يتم ضد المرأة ، الدول المُصدقة على الاتفاقية يجب عليها إنشاء محاكم ومنظمات مجتمعية بغرض ضمان حماية فعالة للمرأة ضد أي ممارسات تمييزية ، ويجب عليها أيضًا اتخاذ خطوات حقيقية تجاه الأفراد، والمؤسسات، والمنظمات التي تمارس التمييز ضد المرأة .

وأما المادة رقم ٦ : فتتضمن هذه المادة إجبار كافة الدول المشاركة في الاتفاقية «أن تتخذ كافة الإجراءات اللازمة - متضمنًا تشريع القوانين - للحد من جميع أشكال الإتجار بالمرأة واستغلال المرأة في البغاء القسري .

ورقم عشرة من المعاهدة : من متطلبات المشاركة في هذه الاتفاقية توفير فرص تعليم متساوية بين الطالبات والطلبة ، وأيضًا التشجيع على التعليم المشترك المختلط ، مدارس للفتيات والفتيان معًا ، وليس لكل جنس منهما مدارس مستقلة بذاتها .

كما تتضمن توفير فرص متساوية بين الجنسين للألعاب الرياضية ، والمنح ، والمكافآت وأيضًا تطلب العمل على خفض معدلات الانقطاع عن

الدراسة لدى الفتيات .

ومن أبرز البنود التي ترفضها مؤسسات شعبية إعطاء المرأة حق التصرف في جسدها، والتحكم في الإنجاب عبر الحق في تحديد النسل والإجهاض، وإلغاء العدة للمرأة (بعد الطلاق أو وفاة الزوج)، لتتساوى بالرجل الذي لا يعتد بعد الطلاق أو وفاة الزوجة.

وتمنع الاتفاقية تعدد الزوجات ، من باب التساوي بين الرجل والمرأة التي لا يسمح لها بالتعدد وإلزام الدولة الموقعة عليها بإبطال جميع الأحكام واللوائح والأعراف التي تميز بين الرجل والمرأة من قوانينها، حتى تلك التي تقوم على أساس ديني مهما كان مسمى الدين .

كان رشيد يمني النفس بالزواج من ابنة عمته بعد فشل زواجها من ابن عمها ووالد ابنها ، فكانت هذه العدة الشرعية ؛ كأنها جبل أمامه ، ويظن أن زواجهما سيحدث فور انتهاء الأشهر الثلاث أو الحيضات الثلاث ، ويتحقق الحلم الذي انتظره أكثر من عشر سنوات .

فلما بدأ يرشف القهوة التفت إليها وقال: لي فترة أرى هذا الشاب معك هنا وهناك في النادي وغيره ما اسمه ؟

ابتسمت ابتسامة ماكرة وقالت: إنه وائل زياد !

قالت فاتن المرافقة لهم : هذا يا حضرة الدكتور سكرتير الجمعية أو حزبنا ، وهو طبيب مثل وردة ، فهو مساعد الدكتورة نبيلة زعيمة الجمعية .. هل دعوت يا دكتورة السيد رشيد لمؤتمر الحزب القادم ؟

قالت فكيهة : لماذا لا تنضم لحزبنا يا دكتور ؟.. أنت رجل حر وأكاديمي ومناصر للنساء ضد المتدينين الوحوش ، وضد المتخلفين.

ـ أنا لي حزبي .

ـ سمعت أنهم طردوك بعد قضية تلك الطالبة التي فضحتك وشهرت بك.

ـ لم يطردوني يا دكتورة !.. حذروني وابعدوني عن الهيئة المركزية للحزب .. وابتعدت عن اجتماعاتهم الشهرية .. المهم أن هذا الدكتور يزعجني حضوره يا وردة وأتضايق من غزله الوقح لك !

قالت وردة مستفزة له : لا تنسى أني أطرب من سماع الغزل والكلام الجميل منك ومن غيرك فهذا الطبيب صديق من أيام الجامعة ، وهو مختص في طب الأطفال وهو نشيط في الحزب ، ويدافع عن العصبة بقوة وذكاء ضد كل المناوئين ، ويرد على شبهاتهم واتهاماتهم .. ومدافع أول عن حق النساء بالعيش بدون زواج شرعي ، واتخاذ الأطفال دون ولادة .

ـ هذا كله لا يهمني ، الذي يزعجني اهتمامه بك وبلباسك وجمالك وعطرك وشعرك وصالونك

قالت فاتن: ولماذا أنت منزعج من اهتمامه ؟

قالت وردة بسخرية : الدكتور يا فاتن ! راغب بالزواج مني ، مع أني لا أفكر بالزواج .. سأعيش مثلكن .

قالت فكيهة : هو متزوج يا دكتور !

ـ هو أكيد مطلق مثلكن .

ـ نحن عندنا الطلاق فضيلة ، ودليل على فشل نظام الأسرة الساري والمعمول به في بلادنا .

ـ أنا لم أجرب هذا النظام لليوم ، فلا أستطيع التعليق عليه.

قالت وردة: هو درس معنا ، والتحق بالحزب فور تأسيسه منذ سنوات.. وهو صديق عزيز عليّ يا رشيد .. ونحن لا شيء بيننا لتغار منه ؛ كما يبدو من كلامك ونظرك .. وصدق لم أحسم أمر زواجي منك أو من غيرك .. وهو مثلك يرغب بإقامة علاقة حميمية معي بزواج ودون زواج .

ـ لاحظت ذلك منذ ظهوره في سهراتنا .. أراه كالكلب يحوم حولك .. اذا تواعدنا في النادي أراه أمامي .. في المسرح في السوق حتى كدت أفقع منه وأطق.

قالت فكيهة : هو رشيد يرغبك زوجة .

ـ هو صديق عزيز وغالي ، وابن خالي ، وحبي الأول قبل زواجي من عصام ، هو حبيبي الحقيقي وقد يكون رشيد هو الذي دفع عصام للخلاص مني.

قالت فاتن بمكر وخبث : علمنا أن السبب سبب آخر .

ـ هو السبب يا فتون ! كثرة خروجي والتقائي برشيد في أماكن مختلفة سرّع الأمر

ـ وهل سيكون هو الزوج ؟

قالت : لم أحسم الأمر ، ولم أعد أحدا بزواج .. وأنا أفضل أن أقوم بعلاقات عابرة بين الفينة والأخرى كأيام الدراسة .. ولست بحاجة لزواج لارتباط وغيرة وطلاق من جديد .. كما تفعلن أو كما تفعل الكثيرات من نساء العصبة .. فالطلاق عقدة ودمار لنا .. وأنا تركت عصاما كما تعرفن ، ويعرف رشيد ؛ لأنه عاجز عن الجنس والجماع .

قالت فكيهة: نظام الأسرة اليوم فاشل .. أين كنت ؟ أين ذهبت ؟ مع من نمت ؟ والتعليقات الشنيعة والوقحة ؛ كأن الأزواج أطهار وأشراف ، ولا يغازلون النساء ولا تكاد أعينهم تكف من البصبصة ، وهم ليل نهار يشاهدون أفلام البرنو والصور العارية ، ويتابعون أخبار الفضائح الجنسية والنسائية بشره وشغف ..المغنية فلانة فعلت كذا ، والممثلة صورت فلم إباحي .

قال رشيد معقبا : ولماذا يا حسناوات العصبة والحرية تتبرج النساء في الجامعات والشوارع والأسواق ؟! فهل نغلق أعيينا عن زينتهن

وعريهن ؟! ولماذا يقمن بتصوير أبدانهن وعريهن؟! أمن أجل أن تنظر النساء إليهن؟! أنت عندك حرية أكثر من المعتاد يا سيدة فكيهة!

ـ هذا هو الواقع يا سيد رشيد .

نادت الحركة النسوية العالمية بعد فترة الستينيات إلى شعار مؤداه "أن المرأة تملك جسدها" وهذه الدعوة الخطرة تقتضي أموراً منها الدعوة للإباحية الجنسية ، ولا تسمى العلاقة خارج عقد الزواج زنى وفاحشة ، ومن المشكلات التي خلفتها هذه الظاهرة أمهات غير متزوجات ، وأغلبهن في أعمار المراهقة ، ومنها أيضًا التبرج الشديد والتعري .

العلاج

أنهى عصام الطبيب علاقته مع شريكه في العيادة المشتركة أيضا ،وحل محله طبيب آخر ، ودفع له مبلغا من المال قبله ، وخلال أسابيع يسيرة امتلك



جهاز تنفس اصطناعي إلكتروني

صيدلية متوسطة الحجم في أحد شوارع بعنبس بمساعدة من شقيقه سامي ، وزوج نوار شريك سامي في شركة المقاولات العالمية المهندس حسن .

وكان الطبيب الفرنسي الذي حدثه عنه صديقه المهاجر ناصر عواد قد رأى الصور الطبية والتقارير الطبية ، وطلب منه القدوم والسفر لباريس للمعاينة الحية ، والقيام ببعض الفحوص والصور ، فرتب له سامي وحسن زوج أخته نوار الطبيبة العاملة في مستشفى الجامعة الأوراق والحجز .

وكان عصام قد بدأ يقرأ في كتب الإسلام منذ حسم أمر الفراق من قرينته، وتعلم الصلاة الصحيحة عن طريق ابن عمه المحامي جهاد ، وساعده في فهم الإسلام الصحيح ، فهناك تشويه متعمد للدين من الكفار والملحدين، ومن أبناء المسلمين الجهال ، وساعده في دفع الشبهات ووصم الإسلام بالعنف والإرهاب؛ كما يزيف الكفار والعلمانيون من أفراخ الغرب والإلحاد .

وكان جهاد المحامي يزوده بالكتب البسيطة والصغيرة عن تعاليم الدين الحنيف وكل بداية حقيقية تكون صعبة ، وتحتاج إلى مجاهدة ؛ ولكن صدق النية والتوبة والعزيمة يسهل ويهون العودة إلى دين الله الخاتم .

تعلم مسائل مهمة في العقيدة والصلاة والطهارة والغسل من الجنابة والوضوء وحضور الجمعة كما كان يفعل يافعا قبل دخول كلية الطب والالتقاء بأصحاب الفكر المنحرف من ملحدين وإباحيين حتى ضل الطريق .

توجه عصام حبيب إلى باريس في أوروبا ،

واستقبله زميله أيام الجامعة الدكتور الفازياني ناصر عواد الطبيب المهاجر إلى الغرب .

وقام رفيقه بالسعي معه إلى طبيب وجراح الأعصاب الفرنسي ، وتنقل بين عيادة ومختبرات اختصاص أمراض الأعصاب والدماغ والعظام والتجبير ، وقضى شهرا بين الفندق والمراكز العلاجية والصحية والتصوير ، وفي النهاية أخبره الفرنسي الطبيب أن العلاج ممكن ، وأن نسبة الشفاء من آثار الحادث كبيرة ، ورتب معه موعدا في العام القادم ٢٠٠٨ ، وذكر له أسماء أدوية أوروبية عليه أن يتعاطها ويداوم عليها قبل عودته لفرنسا .

وعاد إلى أرض بعنبس ، وكله أمل في العافية والشفاء ، وموقن بأن الشافي الحقيقي والأول هو الله ﷻ ، وأن هؤلاء الأطباء والأدوات من الأخذ بالأسباب .

وفور وصوله للبلد سافر مع جهاد والأسرة لأداء العمرة ؛ كما اتفق ورتب معه من باريس ؛ حيث كانوا على اتصال دائم .

تعرف عصام على بلاد الحرمين المكي والمدني بصحبة ابن عمه جهاد وسامي وحسن زوج أخته نوار حبيب ، الطبيبة في مستشفى الجامعة التي تعلمت فيها .

كان يقضي جل وقته في الحرم المكي يقرأ القرآن ، ويتنفل ويظهر توبته وندمه ويتأسف على الأيام التي أضاعها في الجاهلية والسفه ، ويدعو ربه أن يقبل توبته ، ويثبته على طاعته ، ويطهره من أدران الإلحاد والتيه والجهل .

ورجع للبلد منشرح الصدر ، متخفف من الماضي المؤلم ، نادم على الأوقات التي قضاها في مجالس الغناء والشراب والإباحية ، ويشكر ربه على توفيقه للتوبة والأوبة ، وبارك لوالده الذي شجعه ووجهه إلى الدين ، الوالد بدوره تمنى له الثبات والشفاء ، ودعا له بكل خير وفلاح ، وأن يستغيث بربه في كل حين ،وفي ثلث الليل الآخر خاصة ، وعصر الجمعة ، وأن يشفيه ويرزقه الزوجة الطيبة والذرية الصالحة قبل الذهاب إلى باريس العام القابل .

وكان كلما اشتاق لجوهر يتحدث وينسق مع وردة ، فتذهب المربية اليونانية الأصل به لرؤية أبيه فيتناولان الطعام ، ويلعب معه حتى المساء ، ويغادر إلى شقة أمه .

الحسم العسكري

في العام ١٩٩٤اقيمت السلطة الفلسطينية ، وتسلمت حكم بعض مدن الضفة الغربية وقطاع غزة ، زاد الشرخ بين حماس وفتح بتنفيذ السلطة حملات اعتقالات واسعة ، تركزت على قيادات حركة حماس وعناصرها وجهازها

العسكري بعد كل عملية ضد الاحتلال.

فكانت فصائل الجهاد التي برزت على الساحة أثناء الانتفاضة الأولى في حرب مستعرة مع الجيش الإسرائيلي ، تشتد وتسكن ، وكان من نتائجها ظهور سلطة أوسلو إلى الساحة الفلسطينية .

وفي ٢٥ شباط عام ١٩٩٦ أعلنت الأجهزة الأمنية التابعة للسلطة عن قيامها بأوسع حملة اعتقالات ضد عناصر حركتي حماس والجهاد الإسلامي في الضفة الغربية وقطاع غزة ، واستمرت عدة أشهر ، وقد تزامنت الحملة مع حملة مداهمات للاحتلال ، ولم تتوقف حملة السلطة على نشطاء حماس والجهاد ؛ وإنما وصلت حتى القيادة السياسية للحركة ، فاعتقلت الأجهزة الأمنية التابعة للسلطة عدة قيادات في حماس على رأسها الرنتيسي من كبار زعماء الحركة ، وقد أعلن قائد شرطة غزة آنذاك "أن قواته عاقدة العزم على تدمير الهياكل المدنية لحماس فضلاً عن جناحها العسكري " وصل عدد المعتقلين إلى أكثر من ٩٠٠ معتقلا .

٢٨ أيلول ٢٠٠٠ بدأت انتفاضة الأقصى ، ومع بداية الانتفاضة الثانية توقف الاعتقال ، وشكل انطلاق انتفاضة الأقصى مرحلة جديدة من النضال ، إذ توحّد الفلسطينيون ضد الاحتلال ، وشرعوا في حوارات داخلية انتهت باتفاق القاهرة بين الفصائل في آذار ٢٠٠٥ .

في أول العام ٢٠٠٦ نظمت ثاني انتخابات تشريعية فلسطينية ، واهتم بها العالم ، وهي أول انتخابات شاركت فيها جماعة حماس والتيار الإسلامي التي حققت مفاجأة كبيرة ومهمة بحصد أغلبية المقاعد في المجلس التشريعي ، ليسارع قادة في حركة فتح إلى التصريح بأنه من العار على فتح المشاركة في حكومة تقودها حماس في حين دعا الرئيس الذي خلف عرفات الحكومة القادمة إلى الالتزام باتفاقات منظمة التحرير الفلسطينية ، وأهمها الاعتراف بدولة إسرائيل ونهج السلام.

رفضت الفصائل العلمانية المشاركة في حكومة حماس ، شكّلت الحركة حكومتها برئاسة إسماعيل هنية في آذار ، الحكومة الإسلامية الفائزة في انتخابات المجلس التشريعي قوبلت بحصار إسرائيلي مشدد عرقل عملها، وبمحاولات فتحوية داخلية للإطاحة بها من خلال سحب كثير من صلاحياتها ، وإحداث القلاقل الداخلية والانفلات الأمني طوال عام ٢٠٠٦.

ونظرا لرفض الأجهزة الأمنية التي صنعتها اتفاقية أوسلو التعاطي مع الحكومة الجديدة والانصياع للقيادة الجديدة ، شكّل وزير الداخلية آنذاك سعيد

صيام قوة مساندة تعرف بـ"القوة التنفيذية"، لكن حركة فتح شنت عليها حملة واسعة وصلت لحد الاصطدام مع الأجهزة الأمنية الأخرى، وذلك بالتزامن مع حملة اغتيالات في غزة.

وفشلت وساطات عديدة في تهدئة الأوضاع ، فقد قُتِل نتيجة الانفلات الأمني خلال الفترة المتراوحة بين كانون الأول وتشرين الثاني ٢٠٠٦ نحو ٣٢٢ فلسطينيا منهم ٢٣٦ في قطاع غزة و٨٦ في الضفة الغربية.

دعا الرئيس عباس إلى عقد انتخابات أخرى لمجلس تشريعي فلسطيني جديد ، لكنّ عددا من قيادات الفصائل الفلسطينية في دمشق رفض الدعوة ، وانفجرت الأوضاع مجددا ، وتعرض وزير الداخلية سعيد صيام لمحاولة اغتيال فاشلة في العاشر من كانون الثاني ٢٠٠٦

استهدف الدكتور إسماعيل هنية بمحاولات اغتيال ـ فاشلة ـ اثنتان من حركة فتح ، وواحدة من الاحتلال الإسرائيلي.

ففي عام ٢٠٠٣ وبعد عملية استشهادية قام الطيران الصهيوني بغارة إسرائيلية لاستهداف قيادة حماس وجرح هنية في يده ، أصيب بجروح طفيفة إثر الغارة الإسرائيلية التي استهدفت مؤسس الحركة أحمد ياسين.

وفي ٢٠ أكتوبر ٢٠٠٦ عشية إنهاء القتال بين فصائل فتح وحماس، تعرض موكبه لإطلاق نار في غزة ، وتم إحراق إحدى السيارات ، لم يصب هنية بأذى .

وقالت مصادر في حماس أن ذلك لم يكن محاولة لاغتياله ، وقالت مصادر بالسلطة الوطنية الفلسطينية أن المهاجمين كانوا أقرباء ناشط من حركة فتح قتل خلال الصدام مع حماس.

في ١٤ ديسمبر ٢٠٠٦ مُنِع من الدخول إلى غزة من خلال معبر رفح بعد عودته من جولة دولية فقد أغلق المراقبون الأوروبيون المعبر بأمر من وزير الأمن الإسرائيلي عمير بيرتس ، وتعرض في ١٥ ديسمبر ٢٠٠٦م لمحاولة اغتيال فاشلة بعد إطلاق النار على موكبه لدى عبوره معبر رفح بين مصر وقطاع غزة؛ الأمر الذي أدى لمقتل أحد مرافقيه وهو "عبد الرحمن نصار" البالغ من العمر ٢٠ عاماً وإصابة ٥ من مرافقيه من بينهم نجله "عبد السلام" ومستشاره السياسي أحمد يوسف ، واتهمت حماس قوات الحرس الرئاسي قوات أمن الـ١٧ التابعة لـحركة فتح بقيادة محمد دحلان التي تسيطر على أمن المعبر آنذاك.

في ٢٨/ ٧/ ٢٠١٤ وأثناء معركة العصف المأكول قصفت طائرات الاحتلال منزله في مخيم الشاطئ للاجئين الفلسطينيين غرب مدينة غزة بعدة صواريخ أدت إلى تدمير المنزل كليا، وسيأتي السرد

عن هذه الحرب . وقعت حماس وفتح على ما بات يعرف بـ" اتفاق مكة "في شباط ٢٠٠٧، وكلف الرئيس محمود عباس ، إسماعيل هنية بتشكيل الحكومة "حكومة الوحدة الوطنية"، إلا أن الاتفاق فشل بعد عدة أشهر رغم الأجواء الإيجابية التي رافقت الإعلان عنه. بعد اتفاق مكة بأسابيع تجددت الاشتباكات بين مسلحي فتح وحماس، وهو ما انتهى بسيطرة حماس على قطاع غزة فيما عرف باسم "الحسم العسكري"، ليتحول الانقسام الجغرافي إلى انقسام سيطرة سياسية كامل يوم ١٤ حزيران ٢٠٠٧ م. واستخدم مصطلح صراع الأخوة للصراع في غزة بين القوة التنفيذية المؤلفة من عناصر كتائب عز الدين القسام ، الذراع العسكري لحركة المقاومة الإسلامية حماس من جهة وبين قوات الأمن التابعة للسلطة الوطنية الفلسطينية، حيت تتمتع فتح بنفوذ قوي فيها من جهة أخرى.

أحتدم القتال بينهم في منتصف شهر أيار من عام ٢٠٠٧ ، واستمرت عمليات القتل والخطف المتبادل بين الجانبين حتى ١٤ حزيران سنة ٢٠٠٧ حين سيطرت حماس على كل المواقع الأمنية في قطاع غزة الذي وقع بذلك تحت السيطرة الكاملة لحماس، كما فرَّ قادة الأجهزة الأمنية وأعضاء من فتح إلى الضفة الغربية ومصر وإسرائيل عن طريق مراكب أبحرت من مقر الرئاسة الفلسطينية . شكّلت الأجهزة الأمنية التابعة للسلطة الفلسطينية والتي توالي حركة فتح حجر الزاوية في الفلتان الأمني الذي شهده قطاع غزة قبل أحداث الرابع عشر من حزيران عام ٢٠٠٧.

ووصل القتل العشوائي في شوارع القطاع على اللحية وعلى الهوية، كما تسبب تردي الأوضاع الأمنية في إغلاق كل الشوارع والمحلات وتردي الحالة الاقتصادية. وفي رام الله أعلن الرئيس الفلسطيني إقالة حكومة هنية ، وكلّف فياضا بتشكيل حكومة جديدة ، وقد رفضت حركة حماس على لسان الناطق باسمها تكليف فياض تشكيل حكومة طوارئ واعتبرته "انقلابا ضد الشرعية وتجاوزا لكل القوانين الفلسطينية"، وقال إسماعيل هنية : إن حكومته جاءت «بإرادة شعبية ديمقراطية» ، وأنها «ستمارس عملها ولن تتخلى عن مسؤولياتها»، ووصف القرارات التي اتخذها الرئيس الفلسطيني بإقالته وإعلان حالة الطوارئ في الأراضي الفلسطيني بأنها «قرارات متسرعة»، وأكّد أن حركة حماس لا تعتزم إعلان دولة في قطاع غزة ، وأوضح أن «قطاع غزة جزء لا يتجزأ من الوطن الفلسطيني العزيز وشعبنا في القطاع جزء لا يتجزأ من شعبنا في كامل أماكن وجوده ، واستمرت الأمور بحكومتين واحدة في

الضفة وأخرى في غزة. شكّلت المعركة ذروة الصراع بين فتح وحماس، وتركزت على النضال من أجل السلطة ، بعد أن فقدتها حركة فتح في الانتخابات البرلمانية لعام ٢٠٠٦.

نجح مقاتلو حماس في السيطرة على القطاع والإطاحة بمسؤولي فتح ، واستتب الأمن إلى حد كبير في القطاع . قدرت اللجنة الدولية للصليب الأحمر أن ما لا يقل عن ١١٦ شخصاً لقوا مصرعهم أثناء الصراع ، وأصيب أكثر من ٥٥٠ خلال خمسة أيام من القتال.

ذكريات نجيب عارف

عارف تزوج امرأة ولدت له نجيبا ، وبعد سنوات لما رأى عجزها عن الحمل تزوج امرأة ولدت سعيدة وفاطمة ثم حبيبا .

تعلم نجيب الطب في الجامعة الأمريكية في بيروت التي أسست في القرن التاسع عشر كقاعدة أمريكية ؛ لنشر التنصير بثوب العلم ، وعمل طبيبا بشريا عاما في بيروت بضعة شهور ، ورجع لبعنبس ، وتخصص في طب العظام والكسور .

رجع لبيروت قبل هزيمة عام ١٩٦٧ من رام الله هاربا من مخابرات الصهيونية ، وفي مطلع عام ٧٢ ١٩ بينما كان يوما في العيادة كالعادة ، أحضرت مصابة في حادث سقوط أدى إلى كسر في القدم اليسرى ، فقام بالعلاج ، وجبر القدم بالجبس ، وعالج الرضوض ، وكانت هذه الفتاة طالبة متخرجة حديثا من جامعة تركية قدمت ووالدها لزيارة أقارب لها يعيشون في لبنان ، وهي من أهالي بعنبس مسقط رأسه ، وأهلها من أغنياء تلك البلاد ، فأحبها وتزوجا بموافقة والدها الذي كان برفقتها فرجع إلى بلده بها إلى بعنبس ، وكان الزواج الذي أثمر عن خمسة أبناء ولم يكن قد تزوج من قبل .

كان عمره عند الزواج خمسا وثلاثين سنة ونصف ، وهي تصغره بأقل من عشر سنوات ، وكان مولد الطبيب نجيب عارف ١٩٣٦.

منطقة الشرق الأوسط منطقة ساخنة ومتفجرة منذ دخلت الحرب الكونية الأولى نشبت فيها الثورة العربية في الحجاز والشام ، وخضعت للاستعمار الغربي ، واستمر حتى الحرب الكونية الثانية ، فانحسر الاستعمار العسكري ، وتكونت دول كثيرة ، وفي عام ١٩٤٨ أنشئت دولة إسرائيل الصهيونية على تراب الساحل والسهل الغربي لفلسطين حسب تقسيم الأمم المتحدة التي أسست بعد الحرب الكبرى ، وضمت الضفة الغربية للأردن في نيسان ١٩٥٠، وضمت غزة الصغرى إلى مصر.

ومن نتائج النكبة ١٩٤٨ إقامة دولة إسرائيل ، وتشرد مليون عربي في مدن فلسطينية وعربية ،

وظهرت عشرات المخيمات الفلسطينية للتاريخ .
أسس العرب منظمة التحرير الفلسطينية عام ١٩٦٤ لتحرير فلسطين ، وناطقا رسميا باسمهم وبعدها ظهرت على الأرض حركات نضالية فلسطينية كانت تعمل بالخفاء للعلن وتناوئ وترفض خط المنظمة ، فظهرت حركة فتح وغيرها من الحركات اليسارية الفلسطينية

هزم العرب والمنظمات مرة أخرى بما يسمى حرب الأيام الستة ١٩٦٧؛ حيث تمكنت إسرائيل احتلال سيناء المصرية ، وقطاع غزة الجزء الباقي من منطقة غزة ، وجبال الجولان السورية ، والضفة الغربية الجزء من المملكة الأردنية ، واختفت فلسطين التاريخية .

كان نجيب قد فتح عيادة خاصة في منطقة رام الله قرب مخيم الجلزون قبل هزيمة ٦٧ ، وهو عضو مهم في فصيل فلسطيني شيوعي ، وصدم كغيره من المثقفين العرب بالهزيمة .

كان الشاب قد لحق بإحدى الحركات اليسارية الصغيرة العاملة بالضفة بأمر قيادي من بيروت حيث تنشط مجموعته الثورية ، وكان عينا لهم عن طريق العيادة ، فقد جنده قريب له للعمل معه لمناهضة النظام الأردني .

حدثت معركة الكرامة في غور الأردن الأوسط ، وظهرت أجنحة عسكرية للتنظيمات اليسارية رحلت الفصائل الفلسطينية عن الأردن بعد هزيمة أيلول ٧٠ إلى لبنان وسوريا .

لما اكتشف الشاباك أمره في رام الله خرج متنكرا إلى عمان ثم بيروت ، والذي دفعه للهرب أن شريكه في الخلية قتل ضابطا إسرائيليا ، كشف سره وقبض عليه ، فلما علم نجيب بإلقاء القبض على "أكرم البس" هرب كما قلنا ، وبعد وصوله لبيروت تزوج من زكية وطلق العزوبية ، ثم حدثت حرب تشرين عام ١٩٧٣ .

وبعدها أصبحت بيروت شعلة حرب بين الفلسطينيين والمناضلين اللبنانيين والمتطوعين من العرب والعالم وإسرائيل ، وتجمع جواسيس العالم والسفارات في بيروت.

دخل لبنان في حرب أهلية ، شاركت الفصائل المنضوية تحت المنظمة فيها ، ودخل السوريون فيها لنصرة أحزاب النصارى ضد فتح وعرفات ، ثم اجتاحت إسرائيل في ٦ حزيران عام ٨٢
أغلب لبنان ، وحاصرت بيروت لشهرين .

خرج أغلب مقاتلي المنظمة إلى سبع دول ، فترك نجيب العيادة خفية إلى سوريا ، وعاد الأولاد الخمسة إلى بعنبس برفقة علي حسني شقيق زكية ، ثم سافر نجيب وزكية إلى لارنكا في قبرص هربا من الموساد ، فهو متهم بالمشاركة في قتل ضابط موساد أو شاباك قبل هربه لعمان ثم بيروت

كان نجيب يتردد على لارنكا القبرصية منذ صار طبيبا وقبل زواجه وبعده ، إما استجماما وإجازة ورحلة لقربها من الشام ، وعرفها منذ جاء بيروت



لدراسة الطب ، ثم فيما بعد لزيارة أقارب زكية ، فوالدتها قبرصية تركية الأصل ، فلما أخذ الفلسطينيون المحاربون بالخروج حسب اتفاق الخروج خرج وحيدا خشية الاغتيال .

نزل وزكية بعد أيام من وصولهم للفندق إلى شاطئ الفندق لمشاهدة السباحة المختلطة ، وبينما هما جالسان على شاطئ الفندق يدخنان ، ويشربان كأسا خمر اقترب منهما رجلان وامرأة ، ونظروا إليهم أي يقصدونهم ، وقال أحدهم بلغة إنجليزية : لو سمحت كلمة يا دكتور . فنظر لزوجته ، وقام قائما وهو يفكر " ماذا يبغون؟ " وظنهم من زبائن الفندق ؛ كما بدا لزكية عندما أخذت تتذكر ذلك المشهد فيما بعد وقال المشير له بصوت تسمعه زكية : لدينا فتاة مريضة ، وقالوا لنا في الاستقبال إنك طبيب .

وتحدث مع زكية عن الأمر ، ورافقهم بحجة مشاهدة المريضة ، ولم يظهر بعدها . بعد حين نهضت زكية لداخل قاعة الاستقبال ، وجلست تراقب الناس ، وتنتظر ظهور نجيب ، وطلبت قهوة ، وهي تدخن ، ثم تحدثت مع موظف الاستقبال عن المريضة .

فدهش الموظف من سؤالها وفسرت له فقال محتارا : لم نخبر عن مريضة يا سيدتي! ربما من خارج الفندق .. فساحة الشاطئ لها مدخل آخر يأتي ناس لتناول مشروب بدون دخول الفندق

ولما هبط المساء ارتفع القلق والخوف ، وتحدثت مع الأمن الذي طلب منها الانتظار ؛ لعله ذهب لمعالجة حقيقية أو حيلة للقاء امرأة وبائعة هوى ، فهي تعلم أن زوجها لا يوفر غانيات ، وله علاقات خارج بيت الزواج .

مضى الزمن والأيام دون معرفة ما حدث ، حضر علي حسني للارنكا ، ولم تكتشف الشرطة الحقيقة ، ولم تظهر جثة نجيب .

منظمة التحرير

نقلت منظمة التحرير الفلسطينية قاعدة عملياتها إلى بيروت في أواخر الستينات بعد الاشتباكات الدامية التي حدثت في الأردن وأدت إلى انسحابها من هناك.

كان وجود القوات الفلسطينية بفصائلها المتعددة ، وأفكارها المتناقضة أحد الأسباب الرئيسية التي

أدّت إلى نزاع نصراني ـ إسلامي في لبنان في ٧٥ ـ ٧٦ انتهى باحتلال لبنان من قِبَل قوّات حفظ السلام من عِدّة دول عربية ، منها سوريا . اكتسب السوريون ومنظمة التحرير في لبنان قوة تفوق قدرة الحكومة اللبنانية الرسمية ، وطوال هذا الوقت كانت هجمات المدفعية والهجمات الصاروخية تُطلق ضدّ إسرائيل.

تبنّت الأمم المتحدة وقف إطلاق نار في عام ١٩٧٨، ومرة ثانية عام ١٩٨١ وأوائل عام ١٩٨٢، وسُحِبَت القوات الإسرائيلية المرسلَة إلى لبنان لتقليل هذه الهجمات.

كان الوضع في لبنان في بداية عام ١٩٨٢ يشكل امتداداً لأوضاع الحرب الأهلية اللبنانية التي بدأت عام ١٩٧٥، وهي صراع مستمر بين كتلة اليسار اللبناني والمقاتلين الفلسطينيين ومنظمة التحرير ، والحزب التقدمي الاشتراكي من جهة واللبنانيين اليمينيين من المسيحيين وحزب الكتائب اللبنانية وإسرائيل من جهة أخرى ، واستمر النزاع المسلح خلال النصف الأول من عام ١٩٨٢ على شكل صراعات عنيفة بين هذه الأطراف .

قام سلاح الجو الإسرائيلي في ٢١ نيسان ١٩٨٢ بقصف موقعا لمنظمة التحرير في جنوب لبنان فقامت منظمة التحرير في ٩ أيار ٨٢ بالرد بقصف صاروخي لشمال إسرائيل، وتلى هذا القصف المتبادل محاولة لاغتيال سفير إسرائيل في بريطانيا.

قامت إسرائيل في ٣ حزيران ، وكرد على عملية الاغتيال هذه ، بقصفٍ لمنشآت ومواقع تابعة لمنظمة التحرير في قلب بيروت ، وفي اليوم التالي من محاولة الاغتيال قامت منظمة التحرير بقصف شمال إسرائيل مرة أخرى ، وقتل في هذا القصف إسرائيلي واحد.

بدأت إسرائيل في الخامس والسادس من حزيران قصفا جويا ومدفعيا كثيفا على مدينة صيدا وقرى النبطية والدامور وتبنين وقلعة الشقيف الاستراتيجية .

ودخل الجيش الإسرائيلي الأراضي اللبنانية في ٦ حزيران ، وتم اجتياز المواقع التي كان يشغلها جنود تابعين لقوات الأمم المتحدة بكل سهولة.

قدم الرئيس الأمريكي رونالد ريغان وقتها الغطاء الكامل لإسرائيل في هجومها ، حيث أعطى لإسرائيل الضوء الأخضر لتدمير منظمة التحرير ، وأكدت إسرائيل للأمريكيين أنها ستدخل لبنان لمسافة لا تتجاوز ثلاثين كيلومترا ؛ لتحقيق أمنها والدفاع عن نفسها.

كان ريغان لا يمانع في القيام بعملية سريعة تكون بمثابة درس قوي لمنظمة التحرير

ولسوريا حليفة الاتحاد السوفيتي الشيوعية ؛ حيث بأنه لم يكن هناك مقاومة قوية لخطط أرئيل شارون في واشنطن ، وإن الولايات المتحدة لم تستطيع منع إسرائيل من الهجوم.

ويرى البعض أن عملية أبي نضال لاغتيال السفير الإسرائيلي في لندن جاءت في اللحظة المناسبة تماما بصورة غريبة ومريبة . قاد العمليات المجرم الشهير أرئيل شارون وزير الدفاع الإسرائيلي في ذلك الوقت في الحكومة التي رأسها المجرم المعروف والشهير مناحيم بيغين .

قامت إسرائيل بغزو لبنان عام ١٩٨٢ بعد محاولة اغتيال سفيرها في لندن ، على الرغم من علمها بأن مَن قام بالهجوم كانت منظمة أبو نضال المنشق عن منظمة فتح قبل ثماني سنوات ، التي كانت في حالة حرب مع منظمة التحرير التي يتزعمها ياسر عرفات .

كان مجرم الحرب أرئيل شارون مهندس هذه الحرب ، قد قدمها إلى الحكومة الإسرائيلية كهجوم محدود في جنوب لبنان؛ لكنه أخذ قوَّاته إلى بيروت. سمّى الاحتلال العملية ، عملية الصنوبر أو السلام للجليل ، وكان الهدف هو إضعاف أو طرد منظمة التحرير ، وفرض الماروني بشير الجميل ، رئيس حزب الكتائب المسيحي، كرئيس للبنان .

وغزَت القوات الإسرائيلية لبنان في هجوم مُكوّن من ثلاثة شعب ، تَحرّكت مجموعة واحدة على طول الطريق الساحلي إلى بيروت ، وهدفت الأخرى إلى قطع طريق بيروت دمشق الرئيسي ، وتحرّكت الثالثة على طول حدود لبنان مع سوريا، من أجل حجب التعزيزات أو التدخل السوري.

تقدمت القوات الإسرائيلية على عدة محاور تجاه العاصمة بيروت حوالي الساعة العاشرة والنصف صباح اليوم السادس من حزيران ؛ ولكنها واجهت مقاومة عنيفة من قبل مخيمات اللاجئين الفلسطينيين في الجنوب اللبناني ، وتعرض الجيش الإسرائيلي إلى مقاومة شرسة وعنيدة عند محاولته احتلال قلعة شقيف الاستراتيجية ، والتي قام مناحيم بيغن بزيارتها شخصيًا بعد بسط السيطرة الإسرائيلية عليها نظراً لأهميتها.

وبعد أيام سقطت صيدا وصور والدامور ، معاقل منظمة التحرير ، الواحدة تلو الأخرى أمام التقدم الإسرائيلي وبدأ الجيش الإسرائيلي بالتقدم نحو الطريق الرئيسي بين بيروت ودمشق مخترقين منطقة الشوف الواقعة في الجزء الجنوبي من جبل لبنان ، اشتبك الجيش السوري في ٨ حزيران لأول مرة مع الجيش الإسرائيلي . بعد خمسة أيام فقط من الاجتياح تمكنت القوات الإسرائيلية من بسط سيطرتها على ثلث الأراضي اللبنانية

وصل الجيش الإسرائيلي في تسعة حزيران إلى مشارف بيروت ، وفي نفس اليوم تمكن سلاح الجو الإسرائيلي من تدمير عدة مواقع للدفاع الجوي السوري ، وكانت معركة سهل البقاع التي تعد أكبر معركة جوية في التاريخ وقعت بين القوات الجوية السورية ١٧٠ طائرة وسلاح الجو الإسرائيلي ؛ حيث دمرت في هذه المعركة حوالي ٩٠ طائرة سورية من دون تدمير أي طائرة إسرائيلية ؛ كما شهدت هده المعركة أول مشاركة في معركة حقيقية للطائرات بدون طيار وقد أثبتت فعاليتها واعتماديتها ، وقد شهدت هده المعركة تدمير أغلب بطاريات الدفاع الجوي السوري (١٥ من أصل ١٩) من نوع سام ٣ وسام ٦ وسام ٧ ، ودامت العملية الإسرائيلية ساعتين فقط ؛ حيث فشلت القوات السورية في تدمير أي طائرة إسرائيلية لأنها أصبحت قديمة وغير قادرة على مجاراة سلاح الجو الإسرائيلي الذي تطور أكثر عما كان عليه في حرب ٧٣ ، كان من نتائج هذه المعركة انسحاب القوات السورية من معظم مناطق لبنان وترك حلفاؤها يقاتلون إسرائيل بالوكالة. الجيش السوري أعاد تمركزه خارج منطقة الشوف دخل الجيش الإسرائيلي في يوم ١٤ حزيران شرق بيروت ذات الأغلبية المسيحية ، وطوقت القسم الغربي من بيروت الذي كان معقلا رئيسيا للفصائل الفلسطينية .

مع اقتراب نهاية شهر حزيران كان هناك مائة ألف جندي إسرائيلي في لبنان ، بينما وصل عدد القوات السورية إلى أربعين ألف ، وكان هناك ١١٠٠٠ مقاتل فلسطيني محاصرين مع ياسر عرفات في غرب بيروت .

في مطلع شهر تموز قام الجيش الإسرائيلي بفرض حصار على غرب بيروت قاطعا وصول المواد الغذائية والماء إلى تلك المنطقة ، وتم منع الانتقال بين شطري بيروت واستمر القصف الإسرائيلي لغرب بيروت بصورة متفاوتة طوال الشهر .

في ١٢ آب ومع الاقتراب من الوصول إلى اتفاق وشيك حول آلية مغادرة المقاتلين الفلسطينيين لبيروت قامت إسرائيل بشن أعنف قصف جوي ومدفعي وبحري على بيروت استمر لعشر ساعات متواصلة ، وأدت هذه الحركة غير المتوقعة إلى إثارة غضب ريغان الذي اتصل هاتفيا مع مناحيم بيغن معربا عن استيائه الشديد من ذلك التصرف .

توصل الطرفان إلى اتفاق لوقف إطلاق النار في ١٨ آب بوساطة المبعوث الأمريكي فيليب حبيب ، وفي يوم ١٩ خففت إسرائيل من

حصارها لغرب بيروت ، وسمحت لإمدادات الصليب الأحمر بدخول بيروت الغربية.

بالطبع فوجئ الجميع بحجم الاجتياح ، قامت القوات الإسرائيلية ومليشيا بشير الجميل بمحاصرة بيروت واستمر هذا الحصار إلى ٢٨ آب .

قدم ريغان ضماناً شخصياً للمقاتلين بالحفاظ على أمن عائلاتهم إذا ما غادروا إلى تونس ، واضطرت إسرائيل إلى الموافقة على خروج المقاتلين تحت حماية دولية مكونة من ٨٠٠ جندي أمريكي ، و ٨٠٠ جندي فرنسي و ٤٠٠ جندي إيطالي. غادر ١٤٦١٤ مقاتلا فلسطينيا بيروت إلى تونس تحت الحماية الدولية ، تغيرت الخريطة السياسية اللبنانية بصورة جذرية بعد الغزو الإسرائيلي.

فبالرغم من أن الميليشيات المسيحية اللبنانية لم تشترك فعليا في القتال إلى جانب الجيش الإسرائيلي إلا أنها انتشرت وسيطرت على المناطق التي كانت تحت سيطرة إسرائيل ، وخاصة في الجنوب اللبناني ، وقامت إسرائيل أثناء الغزو بنزع سلاح المجموعات الدرزية التي كانت في صراع مسلح مع حزب الكتائب .

تمكنت حركة فتح في الختام من أسر ستة جنود إسرائيليين ، تمت مبادلتهم لاحقًا بخمسة آلاف معتقل لبناني وفلسطيني ، تم احتجازهم في معتقل أنصار في جنوب لبنان.

بعد الحادي عشر من حزيران اكتسبت إسرائيل تفوقاً جوياً بعد إسقاط عدد مِن الطائرات السورية ؛ فدَعت سوريا إلى وقف إطلاق نار ، وهَرب أغلبية فدائيي منظمة التحرير من صور، صيدا، ومناطق أخرى إلى بيروت.

تَمَنّت إسرائيل إكمال الحصار بِأسرع ما يمكن؛ وكان هدفهم من غَزو لبنان هو نصر سريع وحاسم ، وكلما استمر الحصار أطول ، كانت قدرة عرفات على المساومة أعظم ، لسبعة أسابيع، هاجمت إسرائيل المدينة بحراً وجواً وأرضاً، وقطعت إمدادات الغذاء والمياه والكهرباء، واحتلت المطار وبعض الضواحي الجنوبية، لكن بدون تحقيق أهدافها الكبرى، وكما هو الحال مع معظم الحصارات، عانى آلاف المدنيين من سكان المدينة بجانب فدائيي منظمة التحرير ، واتّهمت إسرائيل بقصف المدينة عشوائياً بالإضافة إلى الإجراءات الأخرى التي اتخذتها لإضعاف المنظمة الفلسطينية.

لم يستطيعوا أَخذ المدينة قبل عقد اتفاقية سلام ، وافقت عليها سوريا في السابعِ من آب ، ووافقت الولايات المتحدة ، وإسرائيل ، ولبنان ، ومنظمة التحرير الفلسطينية عليها في الثامن عشر

من آب ، وفي ٢١ آب وصل ٣٥٠ جندي مظلات فرنسي إلى بيروت، وتلاهم ٨٠٠ جندي بحرية أمريكيين ، وجنود حفظ سلام دوليين إضافيين ـ بقوة إجمالية ٢١٣٠ للإشراف على إزالةَ منظمة التحرير ، أولاً بالسفن وبعد ذلك براً إلى تونس واليمن والأردن، وسوريا.

نجحت إسرائيل في النهاية إنهاء الهجمات الصاروخية لفترة قصيرة جداً، وإخراج المنظمة من لبنان، لكنها أخفقت في تحرير لبنان من السيطرة السورية ، وأخفقت في إضعاف المنظمة الفلسطينية عموماً. قدَّرت صحيفة النهار اللبنانية المنشورة في بيروت أن مجموع ضحايا أفراد الجيش والمدنيين في حملة لبنان حتى الحصار وأثنائه كان ١٧٨٢٥ شخصا باستثناء ٢٠٠٠ قتيل سوري ، ١٤٠٠ من منظمة التحرير الفلسطينية و١٠٠٠ـ ٣٠٠٠ مدني قتلوا في الحملة الجنوبية ١٠٠٠ من منظمة التحرير الفلسطينية قتلوا في الحصار ، و ٣٦٨ من جيش الدفاع الإسرائيلي .

هذا العدد يستثني ٣٠٠٠ لاجئ فلسطيني قتلوا في مذبحة صبرا وشاتيلا ، التي ارتُكِبَت عندما اقتحمت إسرائيل غرب بيروت بعد اغتيال بشير الجميل ضاربة باتفاقية السلام التي وقعوا عليها عرض للحائط ، وسمحت لقوات الكتائب بالدخول إلى المخيم .

بعد حصارِ بيروت ، انتقل عرفات إلى اليونان ، وبعد ذلك إلى تونس، مؤسساً مقرا جديدا. تابع مقاتلو المنظمة القتال من دول المنفى بالإضافة إلى الأراضي الواقعة تحت السيطرة الإسرائيلية .

قامت القوات الإسرائيلية مساء ١٦ أيلول بمحاصرة مخيمات صبرا وشاتيلا للاجئين الفلسطينيين، وسمحت بدخول حوالي ٣٥٠ عنصرا مسيحيا إلى المخيمات تحت ذريعة البحث عن مقاتلين فلسطينيين ، وتم ذبح ما يقارب ٣٠٠٠ مدني أعزل بالرغم من التعهدات الأمريكية بحماية المدنيين الفلسطينيين بعد خروج المقاتلين الفلسطينيين من لبنان .

طقس قبرص

لما دخلت إسرائيل بيروت خرج الطبيب نجيب عارف خفية وتسللا إلى الشام ، ثم ركب البحر إلى لارنكا خوفا من الوقوع في قبضة الموساد ؛ حيث انكشف أمره السري في رام الله ؛ وبما أنه تسبب بمقتل صهيوني ظل ضمن أهداف الجهاز السري اليهودي الموساد ، استطاع العيش في لبنان بحماية المنظمات الفلسطينية ، وعصبته المنظمة اليسارية ، ولما تقرر الخروج من بيروت عام ٨٢ بمعاهدة سلام رعتها أمريكا خرج وحده ، ثم تبعته أسرته التي عادت لبلدهم الأصلي بعنبس ، وأخذ زوجته المناضلة إلى قبرص ، وحط رحله في فندق الشاطئ

في لارنكا .
ولما اختفى نجيب أمام عيون زكية ، ولم تظهر جثته ، ولم تخبر جهة بخطفه وأسره دفعت الشرطة للإعلان أنه اختفى برغبته وإرادته ؛ ولعله تزوج سرا .
ولم تقتنع زكية بهذا القول ، وعادت لبلدها حيث أخبرت أهل زوجها باختفاء نجيب ، وشك حبيب بهذا الاختفاء ، وأشاع أنها تخلصت منه لمشاكل كانت بينهم أخبره بها زوجها في عدة رسائل واتصالات هاتفية ، ورفضوا التسليم بقتله وإقامة عزاء له .
أخذت زكية وأخوتها كل عام يذهبون لقبرص وإلى فندق الشاطئ لإحياء ذكرى الرجل ، وتحجز نفس الغرفة ٣١٣ ويتعاطف معها أصحاب الفندق ، وتمكث أسبوعا ، تعيش فيها ذكريات الأيام الأخيرة من حياتها مع نجيب .
بعد حين قلّ اهتمام إخوتها بمرافقتها ، وكبر الأبناء ، وبدأوا يدخلون الجامعة الواحد تلو الآخر بعد عشر سنين استسلمت لفقد نجيب ، فتزوجت من بلص رجل يعمل موظفا في متجر أو معرض زكية درا لقيل وقال ، وافق بلص على استمراها بالسفر إلى لارنكا ؛ بل رافقها في بعض الأعوام ، وحاول مرة ثنيها فقالت الطلاق فورا .
فعاد للركون والصمت ، ولم تلد له إلا طفلا مات فور ولادته ، وقالت له يوما : اذا ترغب بالزواج من أجل الطفل فافعل .
وكان قد تزوج خفية عنها قبل عرضها ، ولم ينجح بالولادة وانفصل خفية ، وكان يظن جهل زوجته بمغامرته ؛ ولكنها علمت وتظاهرت بالجهل ، ما دام هو صامتا ثم علمت بطلاقه منها وكأن الأمر لم يكن .
وظل هو جاهلا علمها بزواجه الخفي ، وظلت هي تتردد على فندق الشاطئ ؛ حيث اختفى نجيب في شهر آب .

زواج وردة

كانت الأسرة تتوقع زواج وردة بعد تركها لعصام من ابن خالها رشيد الذي عرف بالعاكف عن الزواج ؛ لأن وردة تزوجت ، وفضلت ابن عمها عليه .
مضت شهور العدة ، ولم يحدث الزواج ؛ بل ظهر في سماء وردة طبيب معروف لهم اسمه وائل وتوقع ورجح بعضهم أنه الزواج الثاني لها .
فكان رشيد مساء مع عمته زكية ، فقالت : لم تتزوجا!
ـ لم نتفق على الزواج يا عمتي ! بنتك لا تريد الزواج الشرعي خشية طلاق جديد غير واثقة من الرجال .
قالت مستذكرة دوافع وردة لطلب الطلاق :

كانت تكثر أمامي من قول أنا شابة وعصام مريض وأنا بحاجة لزوج ذكر .. تعني أن عصاما لا يستطيع غشيانها ، ويلبي رغباتها.

قال بغضب مكبوت : معزوفة للخلاص منه.. فحزبها حزب المطلقات .. كل مطلقات الجامعة وكلية الطب أعضاء في حزبها .. والعوانس منهن يكتفين بلقاءات عابرة دون ارتباط شرعي للقضاء على الرغبة والشهوة .

قالت مرددة وبحيرة : الرغبة والشهوة ! وهل تضمن الواحدة سلامته من الأمراض .. وهو يتنقل من فاجرة إلى أخرى .

ـ ذكر وعلى الماشي .. مثل بنات أوروبا .. لماذا أسرة وأطفال ؟

قالت : وتفعل وردة ذلك !

ـ أعتقد ولماذا تختلف عنهن ؟!

قالت بصراحة فاجأته : هل نمت معها ؟

قال بحزم : لا ، إشاعات فقط ؛ لتصل لعصام ،ويعجل بتركها .. قد جعلت مني واجهة .. وأعتقد أنها تمارس الدعارة من زمن مع سكرتير رئيستها المدعوة نبيلة الفاجرة رئيسة العصبة النسائية .

ـ معقول !

علق بقسوة وغيظ : طبعا معقول ونص.. ما هو الحزب نادي دعارة يا عمة ! ليس بحزب سياسي ومطالب وحكم وسلطة .. وهل تظنين أن ابنتك تصبر عن الرجال خلال مرض عصام الذي طال؟

ـ كنت أظن أنها كانت ترسم لإحياء حبها القديم ، وأنك الهدف.. فوردة معقدة يا رشيد !.. أعلم سوء أخلاقها منذ صغرها ، ونحن في بيروت لا يحلو لها اللعب والجلوس إلا مع الذكور وكذلك أيام جامعتها .. كلما نلتقي تعزف سمفونية عصام مريض أنا ليس عندي إلا جوهر .. العمر يمضي أريد طفلا آخر فأصدق .

نطق بتأفف : لا أدري ! منذ حصلت على قسيمة الطلاق تغيرت من ناحيتي وأصبحت صفرا على الشمال .. بعض المجاملات والابتسامات .. وأصبح دكتور الأطفال سكرتير جمعيتها هو الرفيق والظل الدائم .. وائل زياد هو المفضل في سهراتها ومجالسها ونزهاتها .. فاضطررت للابتعاد .. مهما يكن الشخص فله كرامة ، ولا أعلم ما الذي يعجبها فيه ؟! معرفة أيام الكلية بيني وبينك إنها تسمح له بزيارتها في الشقة وليلا . وغمز

قالت: عمرها قريب من الخمس والثلاثين لا استطيع فعل شيء معها ، ولا نصحها

ـ أعرف ، أعرف يا أم عارف ! المهم أنا أصبحت خارج اهتمامها ، خارج الموضوع استخدمتني لإرغام عصام على طلاقها لمعرفته بحبنا القديم

المزعوم.

قالت : أمرها محير ! وهل تغني اللقاءات العابرة عن الزواج ؟ لا أراها تروي ظمأ أو تشبع غريزة.. والجنس حاجة فسيولوجية فينا حسب هرم ماسلو.

قال بحقد : هي في شلة تقبل ذلك ، وحتى يقبلون التصور عراة باسم الحرية الشخصية .. والأجساد ملكهم .. هؤلاء أفراخ الجندر والسيداو .

ـ معقول هذا يا رشيد!

ـ لا أخلاق لديهم تردعهم ، ولا يهمهم نظرة المجتمع إليهم والناس.. المهم على زعمهم حرية المرأة المطلقة .. والزنا بالتراضي لا يعتبر زنا في عرفهم .. رفاهية ومتعة وتحقيق حاجة موجودة فيهم ؛ كما أشرث إلى ابرهام ماسلو في نظرية الدافع البشري.

قالت : تتكلم بحقد وغل وضغينة عنهم !

قال مخففا من حدة صوته : لا حقد ولا فحش .. أنا خير من عرفهم يا عمتي .. ثم أردف مبينا : لا تأخذ الأمومة حيزًا كبيرًا عند الجندريين ، حيث تقول عالمة الاجتماع سيمون : "إنَّ الأمومة خُرافة، ولا يوجد هناك غريزة للأمومة، وإنما ثقافة المجتمع هي التي تصنع هذه الغريزة ؛ ولهذا نجد أنَّ الأمومة تعتبر وظيفةً اجتماعية"، وهذا الكلام الرديء لزانية هو ما ولّد مصطلحًا جديدًا وهو "الصحة الإنجابية"، والذي يهدف إلى معالجة الإشكاليات الناتجة من وظيفة المرأة بوصفها أمًّا على مستوى الإنجاب، والتي قد تقف عائقًا أمام ممارستها لدَوْرها الجندري المساوي لدور الرجل، ومن هذه الإشكاليات أيضًا الحملُ والرَّضاعة ، وغيرها من الوظائف الفيزيولوجية للمرأة، ومن هنا فلها الأحقية المطلقة في الإجهاض.

وبعد أخذه نفسا زاد بيانا وقولا : وفقًا لمفهوم الجندر عندهم في العصبة ومثليتها على مستوى العالم والأمم المتحدة ولكتاب "الأسرة وتحديات المستقبل" من مطبوعات الأمم المتحدة ؛ فإنَّ الأسرة يمكن تصنيفها إلى ١٢ شكلاً ونمطًا، ومنها أُسر الجنس الواحد ؛ أي: أُسر الشواذ وتشمل أيضًا النساء والرجال الذين يعيشون معاً بلا زواج .. وهذا ما تفكر به ابنتك ـ يا عمة ـ خشية الطلاق والوساوس وتناقشنا في ذلك ، وهناك النساء اللاتي ينجبن الأطفال سفاحاً .. جماع عابر في نادي ليلي مع سائح مع مجهول ، ويحتفظن بالمولود وينفقن عليهم، ويطلق على هذا الشكل اسم الأسرة ذات العائل المنفرد ، وتسمى الأم بـ(الأم المعيلة).. وهذا التغير في شكل الأسرة يعني فيما يعنيه ضمن النسق الجندري تغيير الأنماط الوظيفية المعهودة للأب والأم في الأسرة.

ـ هذا خطير يا رشيد !

قال : هذا واقعهن ، وما يهمسن به ، لقد دعونني بدل المرة مرات ومرات لنداوتهن وحفلاتهن

ودعونني للانضمام لجمعيتهم .. ذات ليلة من عهد قريب طرقت بيتي امرأة منهن ـ عرفتني عليها وردة ـ زاعمة أنها أتت تسأل عن وردة في بيتي .. فتظاهرت بأنني خارج للقاء ثقافي في أحد الأندية الأدبية . . ولم أدعوها للدخول ، فقالت لي وردة بعد يوم أو يومين :لماذا هربت من فكيهة ؟ فكيهة تقصد زائرة الليل ، فأجبتها لا طاقة لديّ لغشيان النساء .. ماتت طبيعتي ، فسخرت وقالت : ترغب بالزواج مني ؛ لنعود لمرض عصام وعجزه ، فقلت لها عصام سافر باريس للعلاج ، وزوجك السابق عاد للدين والصلاة .. تخلص منك ومن إلحادك، وترك الأفكار الإلحادية ، فلم تصدق بتوبته يا عمتي .. عصام أسلم وعاد لدينه ، وذهب للعمرة مع شقيقه وصهره وابنك الشيخ جهاد .. أصبح متدينا كما يقول سالم وجهاد ؛ بل يسعى جهاد لضمه للتيار الحركي الإسلامي .. وهذا التيار هو مكون من عدة أحزاب منها السلفي ، والإخواني ، والجهادي ، والصوفي ، والتبليغي ، والتحريري ، والرسمي ، تمتلأ بعنبس والبلاد العربية والإسلامية بمثل هذه الأسماء ؛ كما هي ملآ بالأحزاب والجمعيات العلمانية .

ـ عرفت بعضهم أيام حياتنا وعيشنا في بيروت ، كانوا ضعفاء أمام الزخم القومي والوطني واليساري .. عرفنا أحزابا ومنظمات كثيرة من خلال عمل نجيب كطبيب .. فمر علينا أجسام وحركات كثيرة .

وختم اللقاء وهو يخمد نار سيجارته وقائما ومصافحا يدها الممدودة وهمس : أنا نسيت وردة وأفلام وردة .

الملك والوزير وحكمة العجوز

يحكى أن أحد الملوك قد خرج ذات يوم مع وزيره متنكرين، يطوفان أرجاء المدينة، ليروا أحوال الرعية، فقادتهم الخطا إلى منزل في ظاهر المدينة، فقصدا إليه، ولما قرعا الباب، خرج لهما رجل عجوز دعاهما إلى ضيافته، فأكرمهما وقبل أن يغادره، قال له

الملك : لقد وجدنا عندك الحكمة والوقار، فنرجوا أن تزوّدنا بنصيحة

فقال الرجل العجوز : لا تأمن للملوك ولو توّجوك

فأعطاه الملك وأجزل العطاء ثم طلب نصيحة أخرى

فقال العجوز: لا تأمن للنساء ولو عبدوك

فأعطاه الملك ثانية ثم طلب منه نصيحة ثالثة

فقال العجوز: أهلك هم أهلك، ولو صرت على المهلك ، فأعطاه الملك ثم خرج والوزير .

وفي طريق العودة إلى القصر أبدى الملك استياءه من كلام العجوز وأنكر كل تلك الحكم، وأخذ يسخر منها ، وأراد الوزير أن يؤكد للملك صحة ما قاله العجوز، فنزل إلى حديقة القصر، وسرق بلبلاً كان الملك يحبه كثيراً، ثم أسرع إلى زوجته يطلب منها أن تخبئ البلبل عندها، ولا تخبر به أحداً وبعد عدة أيام طلب الوزير من زوجته أن تعطيه العقد الذي في عنقها كي يضيف إليه بضع حبات كبيرة من اللؤلؤ، فسرت بذلك، وأعطته العقد .

ومرت الأيام، ولم يعد الوزير إلى زوجه العقد، فسألته عنه، فتشاغل عنها، ولم يجبها، فثار غضبها، واتهمته بأنه قدم العقد إلى امرأة أخرى، فلم يجب بشيء، مما زاد في نقمتها، وأسرعت زوجة الوزير إلى الملك، لتعطيه البلبل، وتخبره بأن زوجها هو الذي كان قد سرقه، فغضب الملك غضباً شديداً، وأصدر أمراً بإعدام الوزير

ونصبت في وسط المدينة منصة الإعدام، وسيق الوزير مكبلاً بالأغلال، إلى حيث سيشهد الملك إعدام وزيره، وفي الطريق مرّ الوزير بمنزل أبيه وإخوته ، فدهشوا لما رأوا، وأعلن والده عن استعداده لافتداء ابنه بكل ما يملك من أموال، بل أكد أمام الملك أنه مستعد ليفديه بنفسه .

وأصرّ الملك على تنفيذ الحكم بالوزير، وقبل أن يرفع الجلاد سيفه، طلب أن يؤذن له بكلمة يقولها للملك، فأذن له، فأخرج العقد من جيبه، وقال للملك، ألا تتذكر قول الحكيم: لا تأمن للملوك ولو توّجوك ، ولا للنساء ولو عبدوك ، وأهلك هم أهلك ولو صرت على المهلك .

وعندئذ أدرك الملك أن الوزير قد فعل ما فعل ليؤكد له صدق تلك الحكم، فعفا عنه، وأعاده إلى مملكته وزيره مقرباً .

فطن ابي حنيفة

دَعَا الْمَنْصُور أَبَا حنيفَة فَقَالَ الرّبيع حَاجِب الْمَنْصُور وَكَانَ يعادي أَبَا حنيفَة يَا أَمِير الْمُؤمنِينَ هَذَا أَبُو حنيفَة يُخَالف جدك كَانَ عبد الله بن عَبَّاس يَقُول إِذا حلف على الْيَمين ثمَّ اسْتثْنى بعد ذَلِك بِيَوْم أَو يَوْمَيْنِ جَازَ الِاسْتِثْنَاء وَقَالَ أَبُو حنيفَة لَا يجوز الِاسْتِثْنَاء إِلَّا مُتَّصِلا بِالْيَمِينِ فَقَالَ أَبُو حنيفَة يَا أَمِير الْمُؤمنِينَ إِن الرّبيع يزْعم أَن لَيْسَ لَك فِي رِقَاب جندك بيعَة قَالَ وَكَيف قَالَ يحلفُونَ لَك ثمَّ يرجعُونَ إِلَى مَنَازِلهمْ فيستثنون فَتبْطل أَيْمَانهم فَضَحِك الْمَنْصُور وَقَالَ يَا ربيع لَا تعرض لأبي حنيفَة فَلَمَّا خرج أَبُو حنيفَة قَالَ لَهُ الرّبيع أردْت أَن تشيط بدمي قَالَ لَا وَلَكِنَّك أردْت أَن تشيط بدمي فخلصتك وخلصت نَفسِي .

ايتام الحداد
الحلقة الثانية

زواج رغم أنف الجميع

لم يمض بضعة أشهر حتى تلقت عائلة خليل بطاقة دعوة لحضور حفل زواج عدنان جابر من ابنة أخت السيدة جميلة صلاح السيدة عزيزة صلاح الآنسة الفاضلة حليمة توفيق ، فقال خليل لزوجته بعدما انتهى من قراءة بطاقة الدعوة : ها هم اتفقوا يا جميلة .. لقد كان أخوك عمار رافضا لهذا الزواج .. لا أدري لمَ؟! فوالد الفتاة كان راضيا وموافقا وقابلا وحتى أختك عزيزة وحتى الفتاة نفسها كما علمنا كانت راضية بالزواج من ابن أختي إلا عمارا لماذا ؟! أسمعت شيئا ؟!

فقالت جميلة الأرملة التي ترملت على أربعة أطفال ، وتزوجت من صاحبنا الحداد خليل المحروم من الذرية لعلل فيه، قالت مجيبة لأسئلة زوجها: عمار رفض؛ لأننا نحن رفضنا أن نزوجه من منى مع أنه ابن أختك ، فظن أن في الشاب عيبا نعلمه نحن ولا نريد إظهاره .. فكيف جميلة زوجة خليل أخو صبرية يرفضون عدنان؟! لابد أن هناك شيئا منعهم.. لم يقتنع أن البنت ترفض الزواج .. فهذا سبب رفضه ومعارضته وإصراره على الرفض .. والله عدنان ولد جيد نحن أبناء حارة واحدة ونعرف بعضنا بعضا .. فهذا حسب علمي سبب الرفض .

ـ هو زارني في المحددة أكثر من مرة راغبا بمعرفة سبب رفضنا لعدنان قريبي فقلت له ما قلت الآن ؛ ولكنه كان يخرج ثم يعود بعد أيام ليسأل نفس السؤال ..

ـ الحمد لله رب العالمين أنه وافق في النهاية .. فعمار مجنون وموسوس مع أنه ليس والدها ولا أخاها وكاد أن يفض السامر .. هداه الله .

ـ العجيب في الموقف يا جميلة أن جابرا والد عدنان لم يغضب ولم يثر وصبر وتحمل .. فجابر رجل عصبي وسريع الغضب والحقد .

ـ جابر كبر يا خليل .. لم يعد جابر الذي تشاجرت معه وحرد عليك سنوات .. الناس تتغير والأولاد أصبحوا كبارا ، وقد أصبح جدا لقد ولدت زوجة ابنه البكر علي .. وهل سيسكن عدنان بعروسه مع أهله ؟

ـ لا ، حدثني بأنه سيستأجر بيتا ، هنا في حي برقوقة .. لا يريد أن يخرج كما فعل أخوه .

ـ كل شيء نصيب وقدر .. أنا كنت أحب أن تتزوج منه منى ، فهو شاب وأستاذ محترم ؛ ولكنها تتدعي أنها لا تفكر بالزواج ..ولن تتزوج حتى يتخرج مالك وحنين من الجامعة .

فقال خليل كأنه محذر من سن زواج الفتاة : كبرت البنت يا جميلة .. المهندس ربيع يستطيع القيام بالواجب وأنا .. فالزواج محمدة وستر يا جميلة .

ـ أعرف يا خليل ؛ ولكني ربيتهم على الحرية والاختيار والقناعة .. فلا أريد أن أهدم ما بنيت فكذا امرأة من الجارات طلبنها لأولادهن وهي لا تريد الزواج .. وقد فهمت من كلامها أنها ترغب برجل من خارج هذا الحي ، ولم يقسم النصيب بعد ..

تبسم المعلم خليل وقال: أحلام منى الكبيرة !..على كل حال وفقها الله ويسر لها ابن الحلال حتى تحقق أحلامها .. فالبنات هم يا جميلة.. ومالك بقي له سنتان ويتخرج ، وحنين السنة تنهي الثانوية العامة بنجاح إن شاء الله .

بعد هذا الحديث بأيام يسيرة كانت سيارة حديثة وفخمة تدخل سوق الربيع وتقف قريبا من محل خليل الحداد ، فلما توقفت تماما هبط منها شاب أنيق ممتلئ البدن يلبس ثيابا تدل على أنه من أبناء الذوات أي الأغنياء سكان الأحياء الراقية جدا ، ومشى نحو دكان خليل وقال : السلام عليكم.

وكان خليل والعاملان اللذان يعملان معه يرمقونه بأعينهم منذ وقفت سيارته الأمريكية ؛ فوقع في نفوسهم أنه زبون قد أتى لحاجة ، فردوا التحية بأحسن منها ورحبوا به ، وتقدم منه خليل مستقبلا ومرحبا فقال : نعم يا أخي .

خلع الشاب نظارته الشمسية وتطلع في شخص خليل ـ خليل تجاوز الأربعين عاما وهو بدين الجسم إلى حد ما ، منتفخ الوجه يغلب عليه السمرة ، وخفيف شعر الرأس وليس طويلا ـ وقال الشاب بعد تأمله لهيكل المعلم خليل الذي يرتدي ثياب الحدادة : المعلم خليل .. أليس كذلك ؟!

بحلق خليل ثانية في الرجل الذي يراه أول مرة ويعرف اسمه فقال : نعم .. أنا خليل يا أخ ؟!

ـ أنا اسمي حازم .. أنا أتيت إليك في موضوع خاص يا أخ خليل .. لا أريد صنع باب ولا شباك

ـ لا بأس .. أهلا وسهلا كيف عرفتني ؟!

قال الشاب: سوف تعرف .. أين تحب أن نتكلم ؟

دهش خليل وقال : أين نتكلم ؟! هنا .. تكلم .

تلفت الشاب حوله وقال: هنا يا سيدي! .. ألا يوجد مطعم هنا أو مقهى ؟ موضوع خاص يا أخي العزيز ؟.

ـ أعرف وأنت ذكرت أنه موضوع خاص .. ألا ينفع الكلام فيه هنا ؟ .. هيا نجلس في مطعم حسني يا أخي .

وألـقى بعض الأوامر على العاملين وساق الشاب حازما نحو مطعم حسني .. إنه مطعم سوق وورشات فنية متنوعة ، يوفر للعمال داخل السوق الحمص والفول والخبز والشاي وغير ذلك من

المأكولات السريعة النقل .. لما جلسا على إحدى موائد المطعم العتيقة قال حازم: أنا آسف لإزعاجك يا أخ خليل ..أنا صاحب الشركة التي تعمل فيها منى ربيع ابنة زوجتك أم ربيع .

استغرب خليل وعرف أنه يعرفهم جيدا ، وظن أن شيئا جرى لمنى، ووضع وهيئة الشاب لا يوحي بذلك ، وكذلك أدرك لو أنه حصل لمنى مكروه لاتصلوا بالبيت فهاتف البيت معروف للشركة ، فلابد أن الأمر أهم من الاتصال ، فلزم الصمت فعاد الشاب يقول لما رأى خليلا قد صمت ولم يرد بشيء: أنا يا سيدي لديّ رغبة بالاقتران بها ، ولما حدثتها بذلك طلبت مني الحديث معك ؛ لأنك أنت بمقام والدها ـ رحمه الله ـ فهذا سبب زيارتي إليك ومعرفتي بك بشخصك الكريم واسمك الفاضل .

فكر خليل لحظات بما سمع وقال : هي أرسلتك إليّ ؟ .. هل يعني هذا أنها موافقة على الزواج منك .. يا أخي ؟!

ـ أكيد ؛ ولكنها تكن لك الود والاحترام ، فجعلت الأمر إليك ، وسأكلم والدتها وأخاها ربيعا أيضا ؛ ولكنها أحبت أن أبدأ بك .

فتمتم وغمغم خليل ببضع كلمات ثم قال : عرفنا بنفسك وبأهلك ، ثم فليأت أهلك للحديث معنا في البيت ..هكذا الأصول يا ابن الأصول !

ـ منى ربيع لها ثلاث سنوات تعمل معنا في الشركة يا أخ خليل ! فنحن نعرف بعضنا بعضا من سنوات .. فهي ستذكر لكم شيئا عني وعن أهلي وستتعرف على بعض أكثر يا أخي أبي أحمد

تبسم خليل ابتسامة كلها امتعاض وقال : تعرفون بعضا بعضا .

ـ نحن زملاء عمل لا يذهب ظنك بعيدا يا سيدي .. نحن أشراف لا نحب العبث والتغرير بالبنات.

قال خليل : آ .. أكيد الإنسان عندما يسمح لأخته أو ابنته بالعمل والشغل لابد أن يدرك أنها تزامل وتصاحب الشباب وتختلط بهم .. أكيد .. حسنا أيها الشاب بارك الله فيك .. سأتكلم الليلة مع منى وإخوة منى وأم منى .. والنصيب هو الذي يغلب في النهاية .

قام حازم وهو يصافح الحداد خليلا قائلا : أشكرك يا سيدي ، وقد سهلت عليّ الكثير من الأمر تأكد يا أخ خليل أن منى فتاة محترمة وطيبة وذكية .

هزّ خليل منكبيه وهو يصافح الرجل وقال : أكيد .. أيضا .. بارك الله فيك عندما يأتي أهلك ونتفق سندعها ترد بنفسها عليك .

خرج الشاب من المطعم شاكرا وزائحا عن كتفيه عبئا كبيرا ؛ لأنه أخذ يجفف عرق جبينه وهو يسير نحو سيارته ، وظل خليل يهز رأسه مرات ومرات

وهو يتابعه بعينيه وقال متبرما : بنات اليوم أمرهن عجيب يخطبن في العمل! .. لماذا لم تطلب منه أن يرسل أهله للبيت اختصارا
للوقت ؟! .. أيام وسأكتشف لغز هذه الزيارة .
تعمد المعلم خليل أحمد التأخر في العمل ذلك المساء ، ودخل البيت بعد صلاة العشاء ، ولما تناول العشاء مع أم ربيع جلسا في صالة البيت ، وتناسى موضوع منى وتشاغل بالحديث عن آخر أخبار العالم من انقلابات وثورات وحوادث جسام ، وبعدما انصرف الأولاد لحجراتهم ودراستهم تطلعت جميلة بعيني خليل بضع مرات ثم لم تعد تصبر فقالت : يا أبا أحمد أزارك أحد اليوم ؟!
كان خليل يدرك أنه آخر من يعلم في موضوع منى ، وكان يرى أن جميلة هي التي طلبت من ابنتها أن تطلب من حازم أن يذهب إليه ويجامله ، كان لديه إحساس قوي أن الأمور جاهزة ، وأن جميلة تعلم ، وأنهم يريدون مجاملته وإشعاره بأنهم لا يعملون شيئا إلا بإذنه ؛ ولكنه يعرف حجمه وأنه هو مجرد زوج لأمهم ، والأمر كله بأيديهم أو لمنى نفسها ؛ لأنها منذ تخرجت واشتغلت وأصبحت تملك المال وتحملت المسؤولية ظهرت شخصيتها المتمردة والآمرة ، وكان خليل يتجنب الصراع العائلي ، وكان حكمته أنها أيام وسينصرف كل مخلوق لحياته ودنياه ، ستتزوج منى وحنين وربيع ومالك وسيصفي البيت خاليا منهم خلال سنوات ، فهو والدهم بالتربية والنفقة ، فتظاهر خليل بالتجاهل عندما سمع السؤال ؛ ولكنه أمام إلحاح زوجته قال: أتقصدين شخصا معينا يا جميلة؟ فأنا زارني عشرات الأشخاص والناس .. من جيران العمل وأصحاب شغل كما تعرفين .
ـ ليس هؤلاء .. قالت منى إن صاحب العمل أو الشركة التي تشتغل فيها راغب بالزواج منها وإنها أرسلته ليتحدث معك .
ـ آ .. الأخ حازم ! نعم لقد أتانا هذا الشاب صاحب السيارة الأمريكية الفارهة .. نعم تذكرت لقد جاء يا جميلة وقلت له لما نتشاور؛ ولكني أرى أن الأمر لا يحتاج لمشاورة .. فالبنت ما دامت قد بعثته إلينا فهي موافقة ، وقد قال لي إنه صديق أو زميل لها منذ ثلاث سنوات.. والأمر لكم يا جميلة .. أنا كل هذه اللفلفات لا أحبها .. ما دامت هي منسجمة معه وتراه مناسبا ، فلماذا لم تطلب منه أن يرسل أهله لنتفق ونخبر أعمامها وأخوالها ونخلص الموضوع ؟
قالت بارتباك واضح في كلامها : ما المشكلة هي في أهله يا خليل !
ـ أهله ما لهم ؟!
ـ الشاب راغب بالاقتران بمنى ، ومنى لا تمانع

بذلك ؛ ولكنّ أهله وأخته مديرة الشركة يرفضون هذا الزواج ويعارضونه .. لأننا من سكان حي برقوقة .. أسمعت بمثل هذا العيب والعذر يا خليل؟! .. شهادة البنت لا تكفي عند هؤلاء البشر.. وهل الناس بأماكن معيشتهم ومنامهم ؟!

فقال خليل وهو ممتعض مما يسمع : هؤلاء الأثرياء يا جميلة لا يعتبروننا بشرا مثلهم ، كما نحن لا نحبهم ، فالأفضل للإنسان أن يلبس من ثوبه .. شبان الحي أفضل وأحسن .. وأنا لو منى ابنتي لا أقبل لها الاقتران بمثل هذا الرجل ، فهؤلاء ينظرون إلينا من فوق.. وما دام أهله ممانعين وغير قابلين للزواج فلتنساه وتشتغل في مكان آخر ..

ـ المشكلة الكبرى أن منى تريده ! .. وتريد الزواج منه بدون موافقة أهله .. كما هو مصر ويتحدى أهله ..

فاستغرب خليل من هذا المنطق وقال بنبرة غاضبة : يا سلام!.. يا سلام!.. أنا أرفض هذا الزواج بهذه الطريقة .. أهله يجب أن يأتوا لطلبها منا ومن إخوتها حسب عادات الناس .. هل شاورت المهندس ؟!

ـ المهندس محتار وترك الأمر لك فأنت أبو العائلة ؟

ضحك خليل كأنه سمع نكتة وقال: لي!.. أنا زوج أمها لست وليها ، فأولياؤها إخوتها وأعمامها

ـ دعنا من أعمامها .. اليوم سيصير لها أعمام! أنت عمها وخالها وأهلها .

ـ إذا جاء أهله يخطبونها ربما نوافق يا جميلة! زواج من وراء الأهل غير صحيح وخطأ كبير لا يقبل به عاقل سليم المخ ..

ـ أنا تكلمت معها بكل هذه الأفكار ؛ ولكنها تتدعي أن سعادتها ستكون مع ذاك الإنسان ..

صاح فقال : أي سعادة يا امرأة ؟!.. نحن في مجتمعات شرقية .. للأسر دور في حياة الزوجين فكل خلل سيعود علينا ؛ لأنها ستعود إلينا .. ففشل هذا الزواج سيكون كارثة للبيت ولنا .

ـ قالت إن الأوراق الرسمية تحفظ الحقوق والتبعات.

ـ أي حقوق؟! السمعة يا امرأة سمعتنا ! .. أنا غير مقتنع بزواج بدون رضى والديه وأسرته ..

الأم قلقة وخائفة فقالت: تقول منى إن الحياة تتطورت، والمهم رضا الزوجين ، وهو له زمن يحارب أهله ويتحداهم ، وهو متمسك بها ، وله زمن طويل يقنع فيهم وهم متمسكون برأيهم

ـ نصيحتي لك ولابنتك أن تنسى هذا الزواج .. حتى لو عاشا في بيت بعيد عن أهله .. فالحياة الاجتماعية ستكون لصيقة بهم زيارات مناسبات أعياد .

تحدثت منى مباشرة مع زوج أمها لما نقلت لها أمها رفضه على الزواج بدون مجيء أهله لطلبها وحاولت إقناعه بوجهة نظرها بالزواج بحازم الذي تحدى أهله من أجلها ، فلم يقتنع خليل بكل حججها، وغضب منها حتى اضطرته أن يرفع صوته فيها ، وتكهرب الجو في البيت مما دفع المهندس أن يستسلم لرغبتها عندما سمعها تهدد بالزواج منه دون موافقتهم فوقف معها ، فزاد التوتر داخل البيت وعلى أثر ذلك قرر المهندس أن يرحل من البيت ، وحاول مالك وحنان تهدئة التوتر والغضب ؛ ولكن منى رفضت الانصياع لرغبتهم ، وأصرت على الزواج بالطريقة التي تناسبها دون تدخل من أحد .. وأمام هذا الواقع الجديد انفعل خليل ورمى يمين الطلاق على جميلة وخلال أيام يسيرة رحلت الأسرة من الحارة من بعد أن تتطورت الأمور بين خليل الحداد وجميلة التي لن تتخلى عن الحياة مع أولادها .

ثم تزوجت منى من صديقها في الشركة الشاب حازم ناصر شاكرني .

لقد اختارت جميلة الأولاد على زوجها الذي كافح معها حتى علم لها أولادها .. هل هذا وفاء أم عقوق؟ أم أن الظروف قست على الجميع؟

وليس القبول بطريقة منى بالزواج مقبول لدى المعلم خليل .. هل هذا السبب ؟!



اهتز حي برقوقة لطلاق الحداد خليل وجميلة ، فقد كان ينظر لهذه الأسرة بعين الاعتبار والمثالية وكانوا يقولون عن أولاد جميلة أيتام خليل فقد رعاهم صغارا وأنفق عليهم حتى شبوا ودخلوا الجامعات ، فقد كان الانفصال ضخما هزّ الناس ، ولاموا أيتام خليل عن تخليهم عنه والانصياع لرأي أنثى .. ولكن أمام هول الحدث في نظر خليل كان لابد من الفراق .. الأم اختارت الأبناء لا يربطها بخليل أي رباط إلا رباط الزواج ، فليس بينهما أولاد يربطونهما معا ، فضحت بزوجها من أجل خاطر أولادها .. وقد لامها كل أهل الحي حتى أخواتها ، وعابوا زواج ابنتها بدون رضا وعلم أهله .. وهم رضخوا للأمر الواقع خوفا من الفضيحة ، وتمرد منى على تعاليم الأسرة ، ورميها التقاليد والاعتبار لفلان وفلان في عرض الحائط ، فهي مصممة على الزواج من السيد حازم معتقدة أنها مضحية مقابل تضحية حازم وتمرده على رفض أمه وأبيه ، أمام هذا الإصرار والعناد استسلم المهندس ربيع ساعد ربيع لزواج أخته من حازم ناصر شاكرني ، وأمام عناد خليل كان الانفصال بين الزوجين ليتم زواج أخطر من

طلاق جميلة عندهم ، فالأولاد لا يمكن لهم الحياة بدون أمهم ، فبلع خليل الضربة والتضحية ، وعاش مصدوما بضعة أيام ؛ ولكنه في قرارة نفسه انتصر لكرامته وتقاليده ، ولا يقول عنه الناس إنه إمعة لا رأي له .. وبدأ حدادنا يبحث عن امرأة جديدة ، فلم تكن جميلة الزوجة الأولى في حياة المعلم الحداد خليل .. فمشكلته الكبرى عدم قدرته على الإنجاب ، وكان سببا لزواجين فاشلين قبل جميلة ، سعى بعض الأصحاب والأحباب والجيران لتزويجه لما رأوا حزنه على فراق الزوجة والأولاد الذين كانوا يطلقون عليهم أيتام خليل لحبه لهم وتربيته لهم ، وقد رفض الحداد الخضوع للواقع والاستسلام لزواج مثير وقلق، فكان يقول لمحبيه قدر الله وما شاء فعل .. الذل كفر وملعون ولم تمضِ على تطليقه أم ربيع بضعة شهور حتى كان أهل الحي قد زوجوه من امرأة اقتربت من الخمسين ؛ لتقوم على رعايته وخدمته وتغسل ثيابه وتصنع طعامه ، فعادت الحياة رتيبة وطيبة في بيت خليل ؛ وكأنه نسي مأساته أو تضحيته بجميلة ، ولم يندم على أي فلس أو قرش أنفقه عليهم جميعهم ، فقد احتسب كل ذلك عند الله ، فهو عندما تزوجها قصد كفالة أيتـامها

وكان وضع خليل وقصته مع أيتامه يشف صدر شخص حقود وناقم على خليل ، وهذا الشخص معروف لكم وهو جابر والد الأستاذ عدنان ابن أخت خليل ، وقد مر ذكرهم الذي كان يقول لابنه عدنان : أرأيت يا ولد ما فعل أولاد الأرملة بخالك ؟ أرأيت البررة ؟! ألم أقل لك غدا سيرمونه وينبذونه نبذ النواة .. خالك رغم قوته مسكين طيب ومغفل كبير .

فيجيب عدنان : مأساة! بل كارثة كبرى هزت كل حي برقوقة .. وعلى كل حال خالي جمل المحامل يا أبي .. لقد علم إخوته وكبرهم وأنكروه ولم يتعرفوا عليه .. قلّ الوفاء في هذا الزمان يا أبي .. لقد صدمت وأنا أسمع أخبار خالي .. ولكنه صبر صبر الرجال .. إنه جبار يا أبي .. هذه الفتاة التي فكرت يوما بالزواج منها دمرت العائلتين .. الحمد لله الذي نجاني منها .

ضحك جابر وقال : يا ولد لا تنسى أنك متزوج ابنة خالتها فانتبه لنفسك .

- ليس كل الناس واحدا يا أبي .. والله الأمر عجيب وغريب ! .. كانت جميلة مضرب المثل في الحارة يا أبي وكذلك أولادها .. البنات مشكلة وبلاء !

فأعجب جابر بتعليق عدنان فقال منفسا عما يكتمه في النفس عن البنات : البنات يا ولدي يقصمن الظهر.. والاختلاط بالرجال وأصحاب المال يفعل المصائب، والقصص والحكايا كثيرة ؛

ولكن خالك العرة تزوج هذه المرة من امرأة لا أولاد لها .

ـ هي عاقر كما يقال ، تزوجت من قبل ثلاث أو أربع مرات ، ويقال إنها امرأة محترمة ومتدينة ولكن صحتها ليست كما يرام.

ـ خمسون سنة ولا تكون متدينة! مسكين أبو نسب ! مسكين يا أبا أحمد والله مسكين! .. أنا لا ألوم البنت منى .. فالهوى غلاب كما يقال ؛ ولكن أخوتها ربيع ومالك كيف رضخوا لرغبتها وهواها .. أين الرجولة ؟!

ـ يا أبي هم خشوا الفضيحة أن تتزوج رغم أنوفهم ودون مشورتهم.. فالفتاة كما فهمت من بعض الناس وحتى زوجتي كانت مصرة على الاقتران من المدعو حازم تحديا لأهله وتمسكا به فالشاب يريدها مع شدة رفض أهله من زواجه من حي برقوقة .. كأن حي برقوقة من دنيا أخرى وسكانه من كوكب المشتري .. وأيضا يقال إنهم أصدقاء وعشاق منذ أول يوم اشتغلت فيه بنت جميلة في الشركة .

ـ الناس يا عدنان تسمع وتتحدث.. وربك هو الستير.

ـ ما هم إلا جيراننا وأصدقاؤنا ، وربيع مجروح ، والله يوفقهم ، وقد رحلوا من الحارة ، ولكن قصتهم للأسف على كل لسان ولم ترحل معهم..

فالناس لا ترحم ولا تعذر .. فتقول زوجتي إنهم استأجروا فيلا في شارع الخضر في حي رحمات وهو من الأحياء الحديثة والراقية في العاصمة الكبيرة.. سهل الله لهم الأمور.



تزوجت منى من الشاب حازم ناصر في حفل صغير ، حضره قليل من الأصدقاء والمعارف ، فهم يعرفون ظروف هذا الزواج ، فلم يحضر والداه ولا إخوته وأخواته حتى أخته عبير مديرة الشركة لم تستطع أن تحضر وتخالف أوامر الأم فاطمة ، ولا أحد من أقارب الزوج ، وذكرنا أن خليلا تزوج من امرأة اسمها حسنية طلقت بضع مرات ، وذكرنا تزوج عدنان من ابنة أخت جميلة ، وكان زواجه خلال العاصفة التي عصفت ببيت الحداد خليل .

ولما تزوجت منى رحلت لبيت زوجها ، وهدأت المشاكل والكلام الحاد الذي كان يجري بين مالك وحنين من جهة ومنى من جهة أخرى ، ويتهمونها بالأنانية والنرجسية ، وكان الشاب ربيع يفكر بعد زواج منى بإعادة المياه لمجاريها بين والدته والسيد خليل فرفر ؛ ولكنه لما علم بزواج خليل قفل على الموضوع والتهى بشغله وتعليم مالك وحنين ، ولما علمت جميلة من ابنة أختها التي تزوجت عدنان

ابن أخت خليل بزواج خليل أحست بغلطتها الكبيرة ، وشعرت بالندم وأصابها الاكتئاب والألم ، فهي كان عندها أمل بأن خليلا بعدما يسمع بزواج منى سيأتي ويصالحها وتعود معه لحي برقوقة ، فهي قضت معظم عمرها فيه ولادة وزواج وأولاد.. وأنه بعد زواج منى لا يلومه أحد بإرجاعها لذمته وعصمته ، ولكنها مع انتشار خبر زواج خليل تباطأت بالمصالحة ولزمت الصمت والحزن .. فهي تدرك كم من التضحيات قدمها خليل لها ولأولادها حتى يكبروا ، بل منى أكثر واحدة أنفق عليها حتى تتعلم لأنها البكر.. أعمامهم تخلوا عنهم، وأخوالهم ساعدوا بالشيء اليسير.. خليل كان لهم نعم الأب والرجل .

كانت تفكر بطريقة ترد له الجميل والمعروف ، ورغم ما شجر بينهم لم يقل لهم هاتوا ما أنفقت عليكم من مال .. فكرت ولم تتوصل لطريقة لائقة ، فخليل رغم طيبة نفسه ؛ ولكنه عنيد وعزيز النفس ، وأمام هذا الهم الذي غمر تفكيرها فاتحت ولدها ربيعا لعل لديه طريقة ما يردون له بعض المال مقابل المعروف الكبير الذي تركه في أعناقهم فقال: كنت أفكر يا أمي بأن أردك إليه عندما تسكن العاصفة التي صنعتها منى ؛ ولكن أهل الحي وأصدقاءه أسرعوا فزوجوه ، ولو أرسلنا له مالا فلن يقبله، فأنت تعرفين عزة نفس المعلم خليل يا أمي .. لا أعلم طريقة أو حيلة نرد له فيها بعض فضله علينا .

ـ فكر يا حبيبي ـ رضي الله عنك ـ بطريقة بحيلة بوسيلة .. أنا لست نادمة على الطلاق ، فأنا بعد وفاة والدكم رفضت الزواج ، ولم تعد بي رغبة للرجال يا ولدي.. كنتم أنتم حياتي ودنياي ولما تعهد لي خليل أمام إخوتي بتعليمكم وافقت على الاقتران به والزواج ثانية ؛ ولكن أختك وضعتنا في موقف حرج وصعب.. على كل حال هي تزوجت.. الله يستر عليها ، وأتمنى لها ولكم التوفيق ؛ رغم أن هذا الزواج الغريب حصل ما زلت أجد في نفسي منه قلقا وخوفا .. فأخشى أن يجبره أهله بعد حين على طلاقها، ويعتبروها نزوة شاب وانتهى الموضوع بالنسبة لهم ، وتبقى منى ونحن بحسرة هذا الزواج القلق.. فهؤلاء الأثرياء ليس عندهم أمان .. فهم ينظرون إلينا من أعلى .. ولكن منى مفتونة به ؛ كأنه لم يخلق رجل غيره في الدنيا .

تنهد المهندس ربيع ربيع وقال: سامحها الله يا أمي .. وهذا الشعور يراودني أنا أيضا يا أمي .. فمنى تعتبر حازما سلما للصعود لطبقة رجال المال والأعمال ، لو اشتغلت بالتدريس وبحثت عن زوج وبيت هادئ لكان خيرا ..هي لا تفكر بالأمومة والأولاد تحلم بالفلوس الكثيرة

والطائرات .. أنا كنت أظن أن هذه أحلام يقظة ومراهقة ، عندما كانت تحلم أمامنا بالقصور والعمارات وأخبار رجال المال في المجلات والصحف .. على كل حال يا أمي زوبعة ومرت ، وسامحينا عما سببناه لك من ألم وجرح خلال هذه الشهور الصعبة .. فلم أجد أمامي إلا أن أقف مع منى .. فمنى كانت ستتزوج من المحترم حازم شئنا أم أبينا .. فلو رفضنا وتزوجت رغم أنوفنا .. فسيكون عار علينا أشد مما حصل ، وسيلازمنا طول حياتنا .. فهذا ما دفعني للتحيز لها أمام والدنا أبي أحمد وأعمامنا وأخوالنا وحتى مالك وحنين ، قد وضعتنا في موقف حرج للغاية .. فخليل أحمد ركب رأسه رغم أنني ترجيته ألف مرة ، وحاولت تهدئة ثورته وإقناعه بالحسنى ؛ ولكنه غلط في حقنا ووصف هذا العمل بالزنا والفاحشة .. زواج بدون رضا الأهل ما هو بزواج في رأيه وكان يقول هل نحن في أوروبا في أستراليا في أمريكا ؟!

مسحت جميلة دمعة نزلت على خدها وقالت : كانت أيام صعبة يا ولدي.. وليس أمامي إلا اختياركم والانحياز إليكم .

ـ منى كانت وجهة نظرها أن حازما قد ضحى من أجلها تضحية كبيرة ، تحدى أهله وأصر على الزواج منها ألا يستحق أن تضحي هي من أجله وترفس كل التقاليد والعادات البالية ؟

ـ المهم يا ابني ألا تترك هذه الزيجة في نفسك شيئا نحوها ، فأنت الكبير وسيد العائلة ، فمالك ما زال صغيرا خبرته بالدنيا قليلة .. فالبنات تغلبهنّ العاطفة .. فهي رأت تحدي الشاب لأهله أمرا كبيرا وخطيرا .. فهو في عينها قد رفض الاقتران من بنات أصحاب والده المليونير ولا من قريباته .. هؤلاء الأغنياء الكبار وأصحاب الملايين كما نرى في المسلسلات والتلفزيون لا يحبون الفقراء والزواج منهم .. فنحن عندهم قوم متخلفون جرب وهم آخر طراز أو موديل أدعو الله تعالى أن تستقر في حياتها الزوجية ؛ ولكن يا أمي يا حبيبي أموال أبيه وأمه لا يستطيع أن يتخلى عنها من أجل امرأة ..

رد ربيع : هذا ما يقلق .. ميراث كبير لدى أبيه وأمه ! ولا شيء لدى منى منها !

ـ سلم أمرنا إلى الله .. هي التي اختارت ورضيت رغم الحجج والأمثلة التي سردناها على مسمعها أنا وخالاتك وعماتك ولكنها أبت أن تسمع ..

سقوط الحلم

كانت منى ربيع الشابة الحسناء ذات الخمس والعشرين سنة ترى نفسها فتاة مثقفة خريجة جامعة لغة أجنبية ، عانت من الفقر وظلم المجتمع عند وفاة أبيها ، أهل أبيها تخلو عنهم إلى حد ما ؛ لأنهم فقراء مثلهم ، والوالد تركهم من غير ثروة وميراث ، فكانت تحلم بأن تصنع مستقبلها بيدها، وأن لا تعمل موظفة في مدرسة براتب محدود ، وهي كانت تنتظر تخرج أخوها من الجامعة لتبدأ في تحقيق بعض ما رسمته في مخيلتها ، فلما التقت بحازم ابن مدير إحدى الشركات التي يملكها والده رأتها فرصة لأن تصير شيئا ما في هذا المجتمع الذي يحترم أصحاب المال ، بل في كل زمان لأهل الثروة احترام وتبجيل .

كانت تريد أن تتحدى التقاليد التي درج عليها الناس ، وكانت ترى أن حازما المحب لها قد تحدى أهله الأثرياء ملاك الأموال الكثيرة ، وأنه قد عاداهم من أجلها فلماذا لا تكافئه على الأقل بالخروج على التقاليد؟ وقد بادلته الحب ، فهي تقول لنفسها إنها لم تر أنها تعشقه العشق الذي يتحدث عنه العشاق والشعار ؛ ولكنه في نظرها مشروع زواج جيد ، ويضعها على طريق تحقيق الأحلام الكبيرة وتزوجت بفتى الأحلام .. وكان الشاب الذي قضى ثلاث سنوات بقربها محاولا أن يعيش معها قصة عشق وغرام قد فشل في ذلك ، وأن لا سبيل له على جسدها إلا بالزواج الشرعي .. وكان حازم في أول الأمر عند الزواج بعدما سكنت نفسه إليها مقدرا لها هذه الشجاعة والقوة ؛ ولكنه كان في قرارة نفسه يخشى ردة فعل العائلة أمه وأبيه .. أمه فاطمة كانت أشد رفضا لزواجه من فتاة فقيرة مع أنها لم تكن فقيرة عند الزواج ، كان لها ثلاث سنوات تعمل في شركتهم.. ووافق قول أمه هوى في نفس أبيه ناصر .. فهو ابن رجل ورث الثروة والمال الكثير عن الأسرة .. فوالده صاحب مشاريع وصناعة ، وهو كان دكتورا يدرس في الجامعة ثم استقال من التدريس وبدأ يعمل في السوق .. وكان قد تزوج امرأته فاطمة أخت أحد أصدقائه الكبار وأحد زملائه في الجامعة عندما كانا يدرسان معا ، وهي أيضا تحمل شهادة عليا .. فزادت ثروته وثروة العائلة ، فكل إخوته يماثلونه في الشهادات العلمية والمال .. فكانت فكرة زواج أحد أبنائه الأربعة من فتاة بسيطة موظفة لديهم فكرة عقيمة وسيئة .. ولم يقتنع بوجهة نظر ابنه فنفرت العائلة من هذا الزواج ، واعتبروا الفتاة صائدة رجال طامعة في مالهم ، وأنها افترست ولدهم حازما .. فحاولوا صد ومنع هذا الزواج بالحوار والجدال .. ولكن الشاب المتعلم لم يقتنع بأي حجة لهم ، وأصر على

أخذ حريته الكاملة في الاختيار لشريكة العمر .. وتم الزواج كما ذكرنا آنفا رغم أنف الأسرة ولم تشارك العائلة ولو مجاملة بفرح حازم حتى أقاربه وأعمامه فهم ليس على استعداد لعداء ناصر وفاطمة فقاطعوا حفل الزواج .. فغضب حازم منهم ، وكان يظن أنه عندما يضعهم تحت الأمر الواقع سيستسلمون وينصلح الحال .. فاستمر العناد من الفريقين ، وظل على تحديه للكبار وتزوج فتاة الأحلام ، واستأجر شقة واسعة في إحدى الضواحي .. ولما حصل الزواج ، ورأت العائلة ذلك الواقع فاعتبروا ذلك هزيمة لهم .. طلب الوالد ناصر الغاضب منه بعد حين من زواج ولده بأن يترك العمل في الشركة وكل شركاته الأخرى ، ففصل هو وزوجته .. فقامت منى باختلاس زيارة للوالد في عمله فطردها شر طردة واتهمها بسرقة ولده ، ولم تجدِ دموعها نفعا .. وقام حازم بفتح شركة باسمه الخاص مصنع مواد غذائية .. استأجر أرضا وأنشأ عليها مخازن كبيرة واشترى ماكينات وسيارات نقل وتوزيع .. ولكن هذه الشركة بعد أشهر تعثرت ، فهو وإن وجد المخازن والمال فالاستثمار ليس هينا ويحتاج إلى صبر ودراية ؛ وعندئذ بدأت عواقب تحديه للعائلة تظهر أمامه .. هل يستسلم للعائلة ولوالديه ؟ .. حاولت منى قدر استطاعتها أن تقوم مع زوجها بما يلزم ، بذلت كل أموالها لمساعدة حازم ، وكانت تقترض من أهلها وخصوصا أخيها ربيع ، ولما انهارت الشركة ذهبت الأموال .. وصل الأمر بين الزوجين للانفصال .. ولكنهما أصرا على العناد ، فكابرا وفكرا بالهجرة إلى أمريكا الشمالية .. وأخذ حازم يسعى في ذلك ، وبواسطة قريب له هناك تمكن من الرحيل وحده .. وترك منى عند أهلها بعد أن أخلى الشقة التي عجز عن سداد أجرها لبضعة شهور.

كانت جميلة وأولادها يتعجبون من تصرفات أسرة حازم وتعاليهم وعدم وقوفهم مع ابنهم ، وفوق ذلك كان الشاب حازم يرفض فكرة الإنجاب المبكر، فلم تحمل منى خلال هذه السنة والشهور الصعبة .. فبعد سفر زوجها إلى أمريكا عادت تبحث عن عمل مؤقت حتى يرسل لها حازم أمرا بالسفر ويرسل لها تأشيرة دخول تلك البلاد .

وقد استفادت منى خلال شهور الزواج ، ومن عشرتها لحازم شرب الخمر والتدخين.. فلما استقرت في البيت عند العائلة وقف أهلها ضد هذه الأفعال الخبيثة بشدة .. ولما أصرت على ذلك طلب منها أخواها مالك وحنين الحياة وحدها بأن تستأجر بيتا وتسكن وحدها .. وفعلا استأجرت

شقة بعدما استلمت عملا يدر عليها دخلا .. وكانت الشقة المستأجرة قريبة من بيت إخوتها .. وكانت منى ترى أحلامها تتحطم ، وأن الصعود على أكتاف حازم قد فشل .

كانت جميلة حزينة وحائرة في أمر ابنتها وما وصلت إليه من الضعف والهزال والكآبة ، وما تحمله من هم ، ولم تفرح بزواجها الذي ضحت من أجله ، فهي حزينة لحزن ابنتها وجرحها الأليم وحائرة في تصرفاتها وتعلقها بالخمر الذي لم يعهد في بيتهم من قبل زواجها ، وبين الأولاد الذين لا تعجبهم تصرفات منى ، فهي حائرة ماذا تفعل ؟!

وبعد رحيل منى وحياتها في شقة وحدها قريبة من بيت أمها في حي رحمات .. سافر المهندس ربيع بعد أن عقد قرانه على ابنة خاله سعيد .. فتاة تعمل مُدرسة في مَدرسة .. فقد سافر إلى إحدى دول البترول العربي للعمل في إحدى الشركات .. فهل هو يهرب من مشاكل العائلة أم بحثا عن دخل أفضل ؟

فلما كانت منى تزور أهلها بعد سفر ربيع لم تعد تلقى الترحيب الذي كانت تلقاه من ربيع ، فكان مالك يقابلها بوجه متجهم يتكلم معها بنبرة غاضبة إن لم يكن فيها احتقار ، وهذا تراه أيضا من أختها الصغيرة حنين ، وجل كلامهم يدعوانها للعودة للصواب وترك التبغ والخمر والسكر ، فتثور وتنفعل وتطلب منهم بحدة وضيق أن لا يتدخلوا في حياتها وأن ذلك شأنها ، ثم تغضب في نهاية الجلسة وتنصرف لشقتها ودعوات جميلة تلاحقها داعية لها بالهداية والسكينة

كل زيارة مشاجرة ، وتحتج عليهم بأنها تصرف على نفسها وشهواتها من مالها وتعبها ، ولا تأخذ منهم مليما واحدا ، ويغضب منها أيضا الأخوان حتى أن مالكا في إحدى المرات لطمها على وجهها وهو يقول غاضبا : أنت أنانية ودمرت حياتنا وسمعتنا بزواجك المهين والتعيس .

فتبكي وتهيج ثم تحرد على البيت بضعة أيام أو أسابيع ثم تعود.. وكانت جميلة ترى ما يحدث لهم عقابا لهم لنبذهم خليل وتخليهم عنه.. فتلزم الصمت والبكاء .



وكانت أخبار حازم المهاجر التي تأتي لا تسر بعد ، فهو لم يوفق في عمل مناسب.. وتعلق الشاب بالمخدرات والنساء حتى أن حالته الصحية تدهورت بسرعة وساءت ، فأرسل قريبه أخباره لوالديه ، ثم هو أرسل يستجدي والده وأمه أن يصفحا عنه.. فصم الوالد العنيد أذنيه وأرسل إليهم قريبهم ثانية أخباره السيئة وتعلقه

بالمخدرات والماريجوانا وعصابات المخدرات فطلبت فاطمة الأم بعد صمم من ناصر التصرف.. فوافق الوالد على عودته وعلاجه إذا تخلى عن زوجته منى وطلقها قبل عودته للبلاد.. ولما علم حازم بذلك الشرط وافق عليه .. وعاد للبلد بعدما أرسلت ورقة الطلاق لمنى عن طريق المحامي .

تلقت منى ورقة الطلاق بهدوء وسكينة فهي كانت تتوقع هذه النتيجة ، وكادت أن تحصل قبل سفره ؛ وذلك عندما فشل مشروع الشركة الذي أغرق حازما بالديون ، فهو قد كان يحملها مسؤولية فشله ومعاداة والديه لهما.. ولكنهما كانا يكابران ويعاندان .. أما الذي تأثر وتألم كثيرا بطلاق منى أمها جميلة مع إحساسها القديم بذلك ؛ فهي التي ذرفت الدمع الغزير.. أضحت الأم مطلقة والبنت مطلقة .. وعرفت حينئذ معنى إصرار خليل أحمد على عدم زواجها بدون موافقة والديه ومجيئهم بأنفسهم لطلب يدها .

منى لم تعرف أن حازما قد عاد من أمريكا ليعالج من المخدرات والكحول التي أفرط فيها ، فهي ظنت أنه طلقها وظل هناك عند قريبه ومعارف أبيه ؛ ولأن إجراءات طلاقها قام بها محامي ناصر شاكراني .

حاول مالك الشاب الذي تخرج من كلية الحقوق حديثا ليكون محاميا انتشال منى أخته من صدمتها ، وفتح صفحة جديدة مع الحياة والعائلة ؛ ولكنها أبت العودة للبيت والحياة مع مالك ومواعظه وتوبيخه وحتى تجريحه وسخريته.. ورفضت ترك الخمر والدخان والسهرات وأصرت على الاستقلال بحياتها ، ولو كانت وحيدة .. وقد أرسل إليها ربيع عددا من الرسائل المواسية والحاثة على التوبة وترك المكابرة والعودة للبيت ، ولكنها اعتذرت لأخيها ربيع بلطف لم تكنه له من احترام خاص ، وأعلمته أنها ستبقى مستقلة عنهم عن الأسرة ، وعرض مالك عليها عرضها على طبيب نفسي فرفضت بشدة ، وزاد غضبها منه مع أن قصده شريف وهو مساعدتها للخروج من أزمتها النفسية .

وذات يوم وبينما هي في مقر عملها في إحدى الشركات دخلت أخت طليقها حازم عبير ناصر وبينما عبير تبحث بعينها في أطراف القاعة تفاجأت المديرة السابقة لمنى برؤيتها ؛ ولكنها أمام الموقف حيتها وابتسمت لها ، فتركت منى مقعدها وخرجت ترحب بها وتسلم عليها وصافحتها قائلة : كيف حالك يا عبير ؟ ما أخبار حازم اليوم ؟ وكيف أمريكا ؟!

ردت عبير قائلة : الحمد لله .. كيف أنت ؟ وهل لك زمان تعملين هنا ؟

ـ الحمد لله أنا بألف بخير .. أعمل هنا فقط منذ سافر أخوك أمريكا ..

ـ مسكين حازم يا منى! .. لقد دمر وهلك .. ألم أنصحك يا منى أن تبتعدي عنه؟! .. أنا أدرى منك بأمي وأبي يا منى .. ولكنك للأسف شديدة العناد والتحدي إذا صممت على شيء لم تكوني الفتاة الأولى في حياة حازم .. ولكنك استطعت أن ترغميه على الزواج منك .. لا تنكري أنا في البداية كنت أظن أن السيد يعبث بك كما عبث بغيرك .

كانت منى مقهورة مما تسمع وتغض من طرفها وهي تسمع عتاب ولوم عبير الحاد ثم قالت منى محاولة تغيير الحديث : مضى وزال ومات يا عبير .. أي خدمة تريدين ؟

ـ أشكرك .. أنا على موعد مع مديرك شفيق حسين .. اعلمي أن حازما هنا في البلاد لقد رجع محطما منهكا من الكحول والمخدرات ، وأدخل مركزا لعلاج السموم البيضاء أو السوداء .. وهو اليوم مريض طريح الفراش ..

لقد تفاجأت منى بوجوده فقالت بدهشة : حازم هنا ؟!!

ـ نعم هنا وهو سقيم .. وأرجو ألا تفكري باللقاء به أو الكلام معه بالهاتف .. هو ما زال يردد ويهذي باسمك ويلوم والديه على إجباره على تطليقك ..

حاولت منى تكلف الابتسام فقالت : لقد انتهى حازم من حياتي يا عبير! .. وأتمنى له الشفاء والصحة.. شكرا على هذه المقابلة اللطيفة وعلى النصائح وعلى المعلومات التي سمحت لي بسماعها .

ـ لا شكر على واجب.. أنت عملت معنا سنوات يا منى ! لا يمكن نسيانها بسرعة .. كنت أتمنى لو ظللنا أصدقاء ؛ ولكنك خربت كل شيء بزواجك من حازم .. شكرا .

ـ قدر الله وما شاء فعل .. سلام . تذكرت هذه العبارة التي كانت تسمعها كثيرا من مالك يقولها وهو مواسٍ لها .

ـ قبل انصرافي نصيحة أخيرة يا منى .. لا تلبسي ثوبا أكبر منك ولا يناسب مستواك الاجتماعي حتى لو استمر زواج حازم منك فمصيره الفشل .. أنا أعرف من أخي ومن هو حازم ؟؟! مع السلامة .

كانت عبير كما يعرف قارئ هذا السفر لا تستحي من منى منذ أيام عملها موظفة في الشركة وهي ما زالت تنظر إليها على أنها مجرد عاملة بسيطة في الشركة العالمية للتجارة .. موظفة في قسم الترجمة .. ورغم الأحداث العاصفة في حياة منى التي تعرفها عبير لم تكترث لقسوة الكلام الذي تفوهت به .. فهي المديرة وتلك مجرد موظفة لديها عادت منى لمقعدها منهارة ، وقد أخذت تدخن ،

وربما مسحت دموعا سالت على مكياجها وزينتها التقليدية ، وتتذكر تفاصيل علاقتها مع عبير ، ثم همست مخاطبة نفسها : إنك ملعونة كنت تريدينني مجرد عشيقة وخليلة لشقيقك ! .. حازم في المدينة ويعالج من المخدرات والكحول .. ناس مجرمون .. قساة القلوب !! تنهدت وقالت : لقد دمرني معه ..هو يجد من يعالجه أما أنا فلا .. الكل يتفرج عليّ .. على مأساتي .. أكيد زوج أمي خليل شامت بما جرى لي لابد أن ابنة خالتي زوج السيد عدنان جابر تنقل لهم كل شيء عني .. بل ما زال ربيع وعدنان أصدقاء .

تنهدت ثانية ومسحت دموعها التي سالت على خديها وقالت : يا الله ! ماذا أفعل ؟! إني جريحة وأمي جريحة وكانت تحدثني بخوفها من هذا الزواج .. اعتقدت أنني أتعامل مع رجل مع بطل لا أدري لماذا هؤلاء الناس يكرهوننا ؟! .. هل نحن في عصر الظلمات والعبيد والهنود ؟! نحن في قرن الحريات وحقوق النساء .. ألم تتزوجي يا منى كما شئت ومن اخترت؟! أليست هذه الحرية التي تنشدها النساء؟! دخان .. سكر .. حفلات .. سهرات ورحلات ونزهات مع الرجال والأغراب .. ألم أفعل كل ما أراده حازم؟! ومع ذلك أهله لم يقبلوني.. لماذا لماذا يخافون مني ويكرهونني؟!.. هل أنا حقا صائدة رجال ؟! هل كان حازم يحبني حقا ؟ أم لحظة ضعف واشتهاء جسد ؟! لقد قاوم معي وتحدى أهله وخسر أمواله من أجلي من أجل حبنا وحياتنا.. ولكنه كان يرفض الأولاد .. لا يريدني أن اخلف .. هكذا عادتهم كان يقول .. الأولاد بعد حين .. لابد أنه كان متوقعا وحاسبا لهذا الفشل ؟ سنتان مكثت على ذمته ولم أرَ أمه .. يا لها من امرأة قاسية القلب! لم تشفق على عواطف ابنها ، لم تفكر مرة بزيارة ابنها لتفتح معه صفحة جديدة .. وتتقبل الأمر الواقع .. تتعرف على كنتها ..إنها أقسى من ناصر والد حازم ! من أي عائلة هذه المرأة المجرمة؟! ألسنا بشرا مثلهم؟! عبير هذه التي دخلت على مدير المحل .. لماذا هي عانس لليوم؟ لماذا لم تتزوج بعد رغم الثراء العريض المحيط بها ؟! وهي جميلة ليست دميمة لابد أن أهلها وراء عنوستها ، هي أكبر مني ببضع سنوات .. كان حازم لا يحب الكلام عنها إيه كنت أتمنى أن اقتحم هذا العالم وأصعد بسرعة الصاروخ للمال والجاه ؛ ولكنهم وقفوا سدا أمام دخولي لعالمهم .. هل أنا أخطأت بحق إخوتي وأمي وزوج أمي ؟! أنا كنت أرى السعادة مع حازم إنهم لا يرون ما أرى .. ألم يكونوا يريدون تزويجي؟ وتذكرت ابنة خالتها فرددت بين جوانحها هل ابنة خالتي سعيدة مع عدنان الذي سعى ليكون لي زوج ؟ .. سأعمل لها

زيارة وأنظر حياتها في حارة برقوقة .. لا داعي لذلك .. انتهى حي برقوقة من حياتنا وأحلامنا.. لماذا كان هذا المكان سببا في عدم قبولهم زواجنا ؟! ..أليس هو مكان كغيره من الأماكن ؟ والله إن فيه أغنياء ربما عددهم أكثر من أحيائهم !

وبينما هي مستغرقة بهذه الأفكار والتساؤلات رأت عبير تشير إليها مودعة .. فانتبهت إليها في اللحظة الأخيرة ، ورفعت يدها محيية بالإشارة ، وعادت تفكر بحياتها وأحوالها .



زواج حنين

لما رجع ربيع من سفرته الخليجية في موسم الصيف كعادة المغتربين قضى أيام الإجازة يعد للزواج من ابنة خاله أمينة ، وخلال هذه الفترة حاول إقناع أخته بالعدول عن العادات السيئة التي تعلمتها من حازم بترك الدخان والخمرة والعودة لبيت الأسرة ، وأن الطلاق والفشل في مشروع لا يعني هذا نهاية الدنيا ، وحثها على عدم المكابرة ، فلم تر منى من كلام أخيها شيئا جديدا ، فقالت لكم حياتكم ولي حياتي

وقبل سفره بأيام تزوج ، ومكث ثلاثة أيام ، ثم سافر وصحبته زوجته لشغله في تلك البلاد .

تخرجت حنين من الجامعة ، وقد درست مثل أختها في كلية الآداب تخصص إنجليزي ، وقبل أن تبحث عن عمل كان أخ لصديقة لها اسمها عائشة يتقدم لخطبتها من أهلها.. فقد رآها عدة مرات وهي تزور أخته ، فأعجب بها وبحسنها وأدبها ، وكان قد تحدث مع أخيها مالك المحامي وكانت حنين تحب عائشة كثيرا خلال فترة الجامعة ، وجرى بينهم كلام أثناء الجامعة في موضوع الزواج ، وأمهلوهم حتى تنتهي من الجامعة.. وكان مالك على علم بذلك ولم يبدِ أي معارضة.. وقبل أن تبحث حنين عن عمل عقد قرانها على الشاب سعد الدين .. وأرادت منى أن تفسد هذا الزواج الذي لم يرُق لها بحجة أن الشاب غير متعلم في الجامعة، واتهمته بالجهل والأمية ؛ ولكن حنين رفضت حجة أختها منى ، وقالت لها كما أنت اخترت زوجك أو من كان زوجك حسب هواك ، فأنا لا اعتراض لديّ على سعد الدين .. فأهله أناس طيبون ، وأعرفهم ووالده رجل ميسور ، ولهم محلات كبيرة تبيع مواد الإنشاء والكهرباء والماء .. والشهادة في نظري ليست كل شيء

لم تقتنع منى بحجج حنين ، وتكلمت بكلام قاس بحق زوج أختها ؛ ولكنهم كتبوا الكتاب الشرعي رغم شدة كلامها وثرثرتها ومعارضتها وسخطها

، وترجونها أن لا تتدخل في شأنهم كما هي تحب أن لا يتدخلوا بشأنها ، فلم تقبل هذه المعادلة وحاولت دفع الشاب للابتعاد ؛ ولكنه اتخذ قراره ، وكان يعرف عقدة منى وقصة زواجها وطلاقها، فتحمل سلاطة لسانها ، وصمم في قلبه أن يمكر بها مكرا يمنعها في يوم من الأيام التدخل بحياة أختها وحياته .

وبالفعل لما رجع ربيع من سفره ـ وكان بين يديه طفل صغير ، فرحت به جميلة فرحا كبيرا ـ تم زواج حنين من سعد الدين ، وكان والد سعد الدين يملك عمارة مؤلفة من عدة طوابق في شارع إبراهيم حي الجزيرة ، وكان هذا الرجل كلما تزوج ولد من أولاده أسكنه في شقة من شقق العمارة بعد رحيل مستأجرها.

ولقد وجدت حنين ربيع الاستقرار والهدوء في بيت زوجها ، وهذا ما تنشده المرأة العاقلة .

كان سعد الدين يعمل ويشتغل مع والده في محله الكبير ، وكان موفقا والعمل مزدهر، وكان محبا لزوجته حنين ، ويرثي لم حصل لأخت حنين من زواج فاشل ، ويأسف لم هي عليه من خمر لأن أسرتها أسرة كريمة لا يوجد بينهم هذه الحاجة .. فحتى الدخان وإن كان يجد قبولا لدى الناس اليوم ، ففي أسرة منى لا أحد يدخن ، فيُرى الأمر مستهجنا وشاذا ، وبعد تزوجه حنينا ذهب الخوف منها ، ومن أن تفسد مشروع زواجه ، فأخذ يحاول إقناعها بالسير على خط العائلة ويشجعها للعودة إلى حضن الأسرة الدافئ ، حضن الأم جميلة .. فتسخر منه ، فهو في نظرها رجل جاهل عامي لم يستطع النجاح في الثانوية العامة ، وكانت تغتاظ من حنين كلما تذكرت ذلك ، كيف ربطت نفسها بهذا الإنسان ؟! .. يبدو أن للشهادة العلمية في نفسها شيئا كبيرا .. ثم تنهره وتصده أن يتحدث معها ناصحا مرشدا ، وتترجاه في بعض الأحايين أن لا يتدخل في شأنها ، فيستحي الشاب من فظاظتها ويعتذر لها، ويلزم الصمت ، ورغم تدخل حماته لصالحه فيتضايق ثم يختصر الزيارة ، وينصرف ومعه زوجته التي ربما تتكلم بكلمة قاسية مع أختها .

وكان كلما فتح موضوع منى أمامه يظهر حزنه لحنين ورغبته في إنقاذها وإخراجها مما هي فيه ، فيقول بحزن وألم : هي معقدة أو هي عقدت نفسها .. هي ليست أول امرأة تتزوج وتتطلق .. وليست أول امرأة تفتح مشروعا ويخسر ويفشل .. آلاف الرجال والناس يعملون في مشاريع وتغلق وتدمر .. هكذا قانون التجارة والصناعة والزراعة ـ هي التي عقدت نفسها .. إنها تشعر بعقدة الذنب ؛ لأنها لم تسمع كلامنا ونصحنا .. ليس لفشلها في الزواج وتحطم أحلامها الكبيرة التي

بنتها على الزواج من ابن مليونير .. إنها تشعر بعقدة الذنب ؛ لأنها كانت السبب في طلاق أمها من السيد خليل أبي أحمد .. الرجل الوفي الذي ساعدنا حتى كبرنا ، وأنفق علينا حتى تعلمت منى وتخرجت من الجامعة ، وشارك في تعليم ربيع الهندسة .. فلما جاء زمن الوفاء والجد خذلته، ودفعته لطلاق أمها من أجل الزواج من حازم نائب المديرة في شركة التجارة العالمية .. لقد عشنا يا سعد أيام مؤلمة ومرهقة للأعصاب ومتعبة .. لقد كان أخي ربيع يفكر بعد زواج منى وهدوء العاصفة التي عصفت بنا أن يصالح أمي على زوجها خليل ؛ ولكن أهل حي برقوقة يحبون المعلم خليلا فعجلوا بزواجه من امرأة من حيهم ، سمعنا من ابنة خالتي التي تزوجها ابن أخت خليل أنها مريضة وأكثر دخل خليل ينفق على علاجها .. لقد حزنّا كثيرا لم حصل ؛ ولكننا كنا ضعفاء أمام تمرد منى على تقاليد الأسرة والناس .. تعودنا أن نحسب ما سيقول الناس .

ـ لله الأمر من قبل ومن بعد يا حنين! وكما هو معلوم أنه لا يأس مع الحياة .. فالإنسان يكبو ويسقط ويتعثر ويقوم من كبوته وسقطته وتعثره .. وهذه الخمر والسهرات لا تغني ولا تسمن من جوع ، فالحياة مجاهدة وكفاح وتعب ونجاح وفشل .. أنا سعيد بك يا حنين ولا أنسى موقفك معي عندما حاولت أختك عرقلة زواجنا بكل ما أوتيت من قوة ، حتى أدهشتني ، حتى كنت أظن كأنني سأتزوجها هي .. أنا لم أتعلم لأنني لم أكن أحب المدرسة والدراسة ، وأنا ما صدقت وأن أنهي الإعدادية ؛ ولكن الأهل دفعوني بقوة حتى وصلت الثانوية ولم أفلح .. فليست الحياة كلها دراسة وجامعات وشهادات .. هذه أقسام وأرزاق ، فأنا دخلي من المحل يا حنين كما تعلمين أكثر من دخل مهندس حكومة أو طبيب حكومة ودولة .

ـ يا سعد الإنسان بأخلاقه وطيبته ، والمال وسيلة لتحقيق أهداف وغايات صالحة .. فها هو خليل أحمد زوج أمي السابق حداد بسيط وقديم .. استطاع أن يصرف علينا كل هذه السنوات كانت منى أكبر إخوتي عندما تزوج أمنا ، عمرها عشر سنوات أقل أو أكثر قليلا بدخله البسيط صرف علينا طعاما وشرابا ومدرسة ولباسا ، ما كنا نشعر بأننا أيتام ، كل عيد يكسونا أحسن الثياب ، وعند دخولنا المدارس يكسونا ويشتري لنا الحقائب والدفاتر والمصروف المدرسي ، ولم نسمعه يمن علينا بذلك يوما ما ، قدم لنا الكثير دون أقاربنا من أعمام وأخوال ، مع أننا نسكن في نفس الحي ؛ ولكن ظروفهم صعبة .. وتعلمت منى سنواتها الأربع من جيبه وحده ، وكان يستلف دون علمنا

ليكمل تعليم منى وربيع ، وكان يعتبر ذلك من العهد الذي قطعه لأمنا عندما تقدم للزواج منها بعدما ترملت بسنين .. ورغم حرمانه من الأولاد وابتعاد أهله عنه أقصد إخوته وأخواته إلا واحدة وهي أم عدنان زوج ابنة خالتي كان شاكرا لله صابرا محافظا على الفرض والعبادات ، ويحبنا ولا يبخل علينا بشيء .. تكلمت أثناء المشكلة يا سعد ؛ ولكنني يومذاك كنت صغيرة غير مسموعة الصوت .. وقد كان الوضع حرجا جدا .. منى مصممة على الزواج كما تشاء ولو احترقت الدنيا كلها وخربت مائة مالطة ، كانت مصممة على الزواج بدون موافقة وطلب أهل حازم .. وخليل أبى ورفض ولما رأى ربيع الأمر المعقد اختار الوقوف مع منى ؛ لأنه الكبير وولي الأمر حتى لا تتزوج بدون إذنه وخشي الفضيحة .. ولما بكيت أمام منى لتصرف النظر عن هذا الزواج ، فكانت تدفعني بعنف وتقول: أنت صغيرة يا حنين ! .. لما تكبري وتعرفي تعذريني .. فلما كبرت كما ترى منى حتى رأيتها مطلقة ، وذهب الزوج الذي قاتلت من أجله .. وأغرقت ربيعا بالديون أي عذر أعذرها به اليوم لا أدري ما هو؟ فقط أقول إنها متأثرة بأفكار حرية المرأة والخروج على التقاليد والمناضلة لأخذ الحقوق المزعومة .. فهل إذا تزوجت المرأة رغم أنف أهلها أصبحت حرة ومتمدنة ؟ .. هناك جهل كبير في فهم الحقوق والحرية .. المرأة ألا تعمل ؟ إنها تعمل وتشتغل وتدرس وتُدرس وتربي وتزرع وتحصد .. فهل كل رجل يصلح لعمل كل شيء ؟ لا ، هناك أعمال لا يقوم بعملها إلا بعض الناس ، فكذلك أعمال النساء .. وهناك أعمال بالتأكيد لا تناسب بعض النساء.. تناسب البعض ولا تناسب البعض .. فهل هذا تمييز بين النساء؟! .. فرجل يعمل في الجيش ورجل آخر لا يرتاح للعمل في الجيش .. امرأة تشتغل ممرضة ، وأخرى لا تميل إلى ذلك العمل ..أتفهم عليّ ؟

ضحك سعد الدين وقال : أنا أفهم قصدك .. لا يعني أنني لم أصل للجامعة لا أعرف القراءة

أنا أعرف القراءة والثقافة والحسابات والمبيعات والمشتريات .. الأخت منى متأثرة بما حصل معها ، فعندما تعرفني جيدا ستحسن استقبالي والحديث معي يا حنين .. أنا لست حاقدا عليها البتة .. أقدر ظروفها وحالتها النفسية .. وأنا سعيد بكل ما أسمع منك .. كانت عائشة تحدثني عنك كثيرا ، وعن أدبك وأخلاقك وتواضعك رغم ذكائك المشهود في الكلية.. كنت أخشى أن تكون الجامعة حاجزا بيني وبينك وترفضينني ؛ ولكن الأخت العزيزة كانت دائما تطمأنني على موافقتك ، وأنك لا تنظرين للشهادات والمال نظرة علو وتكبر .

ـ الحمد لله الذي وفقنا يا سعد .. فأمك امرأة فاضلة وطيبة لقد أحببتها قبل أن يخطر ببالي الزواج منك .. وعائشة تعرف ذلك.

ـ وهل تغير هذا الحب بعد الزواج ؟!

ـ أبدا ، يوميا أشرب معها القهوة ، فبعد خروجك للمحل أذهب إليها ونجلس معا .

ـ أنا حزين لأمك فهي دائما حزينة تبتسم رغم عنها .

ـ أمي حزينة من أجل ما حصل لمنى ، وما حصل منا نحو السيد الكريم خليل الذي بذل كل شيء من أجلنا ، فإنها لا تستطيع نسيانه ليس كزوج فحسب وإنما كرجل ربانا ، حتى أن أهل الحي كانوا يسموننا على اسمه فيقول أيتام الحداد خليل .. أمي مشغولة جدا تبحث عن طريقة ترد له معروفه ، ففكرنا أن نهبه مالا ولكننا نعرفه فلن يقبله ؛ لأن ما قدمه لنا من باب الواجب والعهد والثواب فلا يرتقب ثوابا منا .. وهذا أيضا يزعج الأخ ربيع يريد أن يعطيه شيئا .. ومتألمة لم حدث من طلاق لمنى ، ولتمرد منى على طباع الأسرة ، والانحراف الخطير الذي تسير فيه .. لقد حاولنا ، وأنت حاولت إقناعها بالحياة مع الأسرة مع أمها ومالك وترك الفسق من خمر وسهر وأفلام وحفلات .. نترجاها بالأوبة لحياتنا الماضية الهادئة ، حياتنا القديمة ولتبدأ من جديد .

هنا وهو يسمع شكواها من منى خطر لسعد فكرة كانت راودته قديما منذ اصطدم بمنى فقال : لي صديق ماهر وحاذق في التعامل مع البنات والنساء لعله يستطيع نشلها من الأوحال التي دخلتها ؟

فكرت حنين للحظات وقالت : ماذا يفعل معها ؟ ومن هو؟!

ـ من هو؟ هو برهان صاحبي وغير متزوج مع أنه قريب من الثلاثين سنة .. لا أدري هل تعرفينه؟ هو لم يزرنا هنا زارنا عند أمي ، جاء مع أمه ليبارك لنا .. فأمه صديقة لأمي .. كنا جيرانا قبل أن نعمر في هذا الشارع .. إنه شاب ذكي ، وله قدرة على مساعدة الناس وعلى حل المشاكل .. فربما لو التقى بمنى استطاع إصلاحها وإقناعها بالعودة لبيت أمك .. وعلى كل سأتشاور معه في القضية التي تؤرقنا ، فنحن خائفون على منى من السقوط في براثن الرذيلة يا حنين .. والبنت أن تعيش وحدها بدون أهل أو زوج هذا عيب عندنا كما تعلمين .. صحيح هي قريبة من بيت والدتك .. ولكن ألسنة الناس لا ترحم ..

ـ كل هذا فكرنا فيه أنا ومالك وأمي .. فسمعتنا أغلى شيء عندنا يا سعد

ـ ربما استطاع الأخ برهان أن يصل لقلب منى ويتزوجها ، فمنى جميلة ليست بشعة ، وإذا لم يوفق

لذلك الزواج قد يستطيع إبعادها عما هي فيه .. فهي تمشي للضياع والدمار!

ـ عرفني عليه قبل أن يتصرف أي شيء يعود علينا باللوم يا عزيزي سعد.

ـ آخر مرة التقينا بها حدثني أنه يفكر بالزواج مثلي ، وأنه يبحث عن عروس ، قد تكون أختك يا حنين ! ونصبح عديلين بعد الصداقة والجيرة القديمة.

كان سعد يعلم قصة منى قبل زواجه من حنين عن طريق أخته عائشة التي كانت حنين تطلعها على مشاكل البيت والعائلة لتسمع رأيها ومشورتها .. ولكنه لم يشعر بخطر منى على زواجه إلا عندما اعترضت على الزواج بشدة ، وأحس بخطرها ومرضها ، ولما تزوج حنينا أدرك أنه نجا من تمردها ؛ ولكنه ما زال خائفا منها ويخشى من أي مشكلة تحصل بينه وبين زوجته كما يحصل مع أغلب الأزواج إن لم يكن كل الأزواج ، فتتدخل فيها منى وتتدخل في حياتهم.. لذلك أحب أن يفاتح حنينا بما جال في فكره خوفا من حدوث أي تطور لا تحمد عقباه ويحسب عليه .. فهو يعرف قدرات صديقه برهان وسرعة تكوينه علاقات عاطفية مع البنات والنساء ورغم ذلك لم يتزوج لليوم .. فهو يريد أن يدفعه للزواج من منى ، ربما تمكن من الحياة معها وإيعادها لحظيرة العائلة وتخليصها من عقدة الطلاق .. هكذا فكر سعد الدين وكان جادا بفكرته ، فلما طلبت حنين التعرف على برهان أخذ يفكر بالموضوع جديا وعقليا .

فلم تذكره حنين ولا تذكر أنها رأته منذ تزوجا فقال لها : سأناقشه بدوري في الموضوع ، قد يوافق المحترم على الزواج منها إذا وفق في الوصول لقلبها ورضيت به، لعله يساعدها في محنتها فهي في محنة وعذاب صامت .

ـ لقد حاول ربيع ومالك إقناعها بالدخول على طبيب علاج نفسي لكن نفخة الكبر التي لديها تمنعها من الاعتراف بأنها مريضة نفسيا ، والله أنا أحب لها الزواج والاستقرار ببيت بزوج محب لها .. فحياتها بين الخمر والحفلات والسهرات والمسارح حياة لا تسر الصديق قبل العدو ، ونخشى خشية حقيقية أن تنزلق للفجور والفاحشة .. فماذا سيحدث لأمي وأخواي إن سقطت في الرذيلة ؟! .. فالخمر كما هو معروف مفتاح كل شر وخبيث .. فنحن لليوم لا نعلم لها مثل هذه الأفعال الشنيعة ولكن الأيام والانهيار مرعبان .. ونحن لا نستطيع أن نراقبها كطفلة صغيرة طول اليوم .

ـ الله يستر! .. على كل حال الحافظ هو الله وهو صاحب الستر.

ـ السقوط مريع يا سعد .. أتمنى من كل قلبي أن

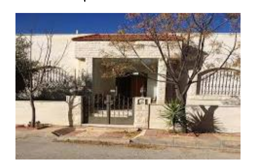
تعود أختي منى لحيويتها وواقعها .. لقد حلمت بأن تكون من رجال الأعمال وأصحاب الملايين بسنوات .. كانت ترى بزواجها من حازم الدرجة الأولى والمهمة للصعود في سلم الثراء الفاحش .. هل أنت واثق من صاحبك هذا ؟ ومن أخلاقه ؟!

ـ كل الثقة ، برهان أمره عجيب مع الحسناوات اللاهيات طبعا ، ما وضع نفسه في طريق فتاة إلا هويته وعشقته ، فكثير من أصحابنا قديما كانوا يحذرون من إدخاله بيوتهم لم يتركه من أثر على قلوب الفتيات .

ـ أمعقول أن يوجد إنسان فاتنا للنساء بهذه الصورة كما تقول؟!

ـ برهان بهاء وحسن وطول قامة ووسامة مثيرة حقا ، ولولا أخلاقه وأسرته المحافظة لفسد منذ زمن .. ولعل منى تكون من نصيبه وترضى به .

ـ أنا أبدو خائفة على منى منه يا سعد ! أخشى أن تتعلق به كما تصف وتقول ثم لا يتزوجها .



برهان صاحب سعد هو شاب جميل الصورة حقا قوي البنية ذو عيون خضر أبيض اللون جميل الشعر ، هو صاحب صورة حسنة فعلا ، ومنذ كان في المدارس الثانوية وهو مقبول من قبل المراهقات المتحررات ، وله قصص طريفة معهن، ولما انتسب للجامعة استغل هذه الصفات في التفاف البنات حوله ؛ ولكنه لم يدع أنه يحب واحدة منهن أو يعشقها .. إنما هنّ صديقات وزميلات ، فهذه إحدى مساوئ الاختلاط في الجامعات ، ومع عبثه معهنّ فلم تتمكن فتاة لعوب من إقناعه بالزواج ، وقد تخرج من كلية التجارة بمهنة محاسب ، واشتغل في أحد البنوك وحصل له من موظفات البنك العزباوات الطامعات بالاقتران به مثل ما حصل له في أيام المراهقة والثانوية والجامعات ، وكان يستغل هذه الخصلة للعبث بهن والتسلية ، كان يدعي أنه أفهم رجل في نفسية وطبيعة النساء ، وكان سعد الدين قد اشتكى له وحدثه عن منى وأحلامها وأوهامها ، ولم يترك شاردة وواردة يعرفها عنها لم يذكرها له حتى يقنعه بهذه المغامرة الحساسة كان سعد يرغب بأن يقوم برهان بدور فارس الأحلام الجديد في حياة منى لعلها تنسى فشلها في الزواج وتقترن به أو حتى بغيره .

هو كان يعرف أن صاحبه يدعي أنه لا يريد الارتباط بامرأة ، وأنه ما زال صغيرا على الزواج مع أنه يقترب من الثلاثين سنة ، وأصابه فرح لما لمح له في اللقاءات الأخيرة بأنه بدأ يفكر في الزواج ، فشجعه على هذه المغامرة الكبيرة والخطرة ، وصارح زوجته بفكرته خوفا من تطورات سيئة

فيجد لديها العذر ، فهو يعرف قدرة صاحبه وغروره وتصميمه .

وكانت حنين تحب إنقاذ أختها ، وكانت تخشى عليها الانزلاق في مغامرات ولهو قبيح ، والسقوط في براثن الفجور والشرور ، ومع ذلك كان متوجسة من حيلة سعد أو خطته ، فاللعب والعبث بالعواطف البشرية ليس أمرا محمودا وهينا وسهلا .. فمنى لم يعهد عليها الحب والهوى ، فلولا المصلحة والحلم الكبير الذي كانت تحلم بتحقيقه من وراء حازم ما قبلت به زوجا ، فقد كانت تراه درجة لعالم المال والغنى ورجال الأعمال وغير ذلك من الأسماء الكبيرة فمنذ دخلت في سن المراهقة في حي برقوقة لم تسمع لها حكاية أو عبث مع شباب الحي ، بل كانت تحتقر كل فتاة تجعل ذلك هدفا ووسيلة للتسلية .. وحتى عندما التحقت بالجامعة وصحبتها لزملاء الكلية لم تتحدث يوما ما عن غرام وعن إعجاب بشخص ما .. كانت حياتها جادة ولديها أحلام ومشاريع .. ولما بسط سعد الدين المسألة لزوجته فرضيت بهذه المغامرة حرصا على عودة أختها لما كانت عليه قبل الزواج ؛ ولكنها مع قبولها للفكرة كانت قلقة أن تصبح هذه الحيلة حقيقة وينسحب برهان ولا يتزوج بمنى.. جرى لقاء قصير بين برهان وحنين وسعد وأعطته فكرة عن أختها وقصتها ، ووعدها الشاب إن تعلقت به ورضيت به زوجا سوف يتزوجها حقا ، وعلى أثر هذا الاتفاق قام سعد الدين ذات مساء بانتظار منى حتى خرجت من مكان عملها الذي اشتغلت فيه بعد سفر زوجها إلى أمريكا ، وكان يجلس هو وبرهان صديقه في سيارة .. فلما مشت نحو سيارتها الخاصة ـ أشار إليها ـ قائلا : هذه العروس يا سيد الفرسان !

فتأملها برهان من بعيد حيث تقف سيارتها ، ولما اختفت الفتاة وعد صاحبه خيرا .. وهو يقول مطمئنا صاحبه: إن ارتاحت لها النفس يا سعد سأفكر بالزواج منها ..لا تنسى يا سعد أنها امرأة مطلقة.

وافترق الرجلان بعد ذلك ، كان هدف خطة برهان خدمة سعد والفتاة أيضا، وأما الزواج فتركه للظروف والقناعة .. وكانت الخطة في فكره التعرف على منى كما تتعرف على الآخرين ثم يأتي دور العاشق المحب ، قد يتزوج وقد لا يتزوج ، هذا واضح بالنسبة له ولسعد ، أما حنين فكانت ترى أنه دور للزواج من أختها .

كان عليه أن يتعرف على الفتاة ثم يقوم بدور المحب ليقوم على تغيير أفكارها نحو الرجال والمال وأن تترك الخمر والعادات السيئة التي تعلمتها من زواجها بالسيد حازم.. المغامرة دقيقة

وحساسة هـي تدخل في المشاعر والعواطف.
استهوته المغامرة التي أوحى بها سعد الشاب ، فهو دائما المحبوب المطارد من قبل الجنس الآخر أما أن يحب هو فهذا لم يحدث معه من قبل .. فبدأ يدرس القصة والموضوع ويسأل عن عمل الشركة وتفاصيله ومحاولة التعرف على بعض أفراد الشركة ، وقبل أن يباشر المهمة التي كلف بها .. أخبره سعد بتردد زوجته وتخشى تعلق أختها ببرهان حقيقة ، ثم يظهر لها أن هذا مكر وحيلة إذا لم يحصل زواج ، فتصاب منى بصدمة جديدة مدمرة تقضي عليها وأنها ترجوه أن يكف عن فعل أي شيء .
فقال برهان وقد استوعب مخاوف حنين : أنا راغب بالزواج ولكن قد لا تكون هي المناسبة لي ومع أنني كما تعلم لم أوكد رغبتي بالزواج ، ربما هذه الفتاة تحقق لي هذه الحاجة والرغبة وأعزم على الزواج .. وكما تعلم يا أخي الفاضل أن كل إخوتي تزوجوا ، الأكبر والأصغر والذكر والأنثى ولم يبق إلا أنا ، والكل ينتظر الساعة التي أتزوج بها .. فصدق يا سعد! لو أن السيدة منى ربيع أخت زوجتك الفاضلة أحبتني فعلا ، وتأكد لي هذا الحب وقبلت شروطي فسأعقد قراني عليها .. وأنا متأكد يا صاحبي لو أن الفتاة أحبتني كما أريد ستترك ما هي عليه من خمر ودخان وسهر وملابس عارية .. قل لزوجتك أنا مستعد للزواج منها حقيقة .. لا أدري لماذا اعترف بذلك ؟ هل هو الغرور يا سعد والتحدي أم الحمق والجنون ؟!
ـ وعد أن تتزوجها ؟!
ـ وعد أن أتزوجها فعلا إن حدث اتفاق ووفاق .. هي ليست بشعة كما نظرتها وليست جميلة جدا .. هي مقبولة لديّ ، صدق ذلك ، وهي مغامرة حلوة بالنسبة لي ، أنا لديّ أحلام كبيرة ربما تتحقق على يد هذه المخلوقة التي دمرت ولم تعط الفرصة المناسبة .. مما سمعته منكم عن زوجها
فهو شخص ضعيف ومتردد ، ولم يحسن المغامرة والمخاطرة .
وعاد سعد يقول : وأنا قلق على النتائج التي ستحدث .. لقد كبر الخوف في نفسي أيها الصديق أتعدني ثانية أنك إذا فزت بقلبها أن تتزوجها فعلا ولم تدعها يا برهان؟
فكر برهان لحظات وقال : لا أستطيع أن أعدك يا صاحبي بشيء إلا إذا رضيت بالشروط التي ذكرتها لك .. فربما لا تعجبني أفكار البنت ، وأن يكون عنادها شديدا.. فأنا أقول إن صار بينا ود وتفاهم أحسم أمر الزواج .. فأنا التقيت بكثير من النساء اللواتي يشربن الخمر والدخان والحبوب المخدرة ويقضين حياتهن في اللهو والمسارح والسهر والمهرجانات ومع ذلك ما زلت عفيف

الفرج يا صاحبي .. أنا الظروف إذا جاز الاحتكام إليها حكمت عليّ أن أكون فاتنا ومقبولا لبنات حواء ؛ ولكنّ أخلاقي لا تسمح لي بالتغوط في علاقات محرمة .. وأنت أكثر الناس يعرف ذلك عني رغم ما أثير حولي من قصص وإشاعات!

قال سعد كأنه يتذكر شيئا : ربما كلام أختي عائشة عنها ، ثم أثناء خطبتي لحنين ، وعندما يتحدثون عن طباعها وحياتها الخاصة كنت تخطر في بالي وأتسأل هل يستطيع برهان تكوين علاقة عاطفية مع هكذا امرأة ؟! .. امرأة تنفر من الرجال مع أنها تعيش وسط الرجال وترفض الزواج ثانية .. ألحت عليّ هذه الفكرة فحدثتك عن تلك الفتاة المتمردة ، ولما شرحت فكرتي لزوجتي تحمست بداية ثم بدأ القلق والخوف يتسرب لقلوبنا .. وأن تعرف منى بهذا العبث فتدمر حياتنا .. أرأيت كيف اندفعنا في هذا الأمر من غير أن نتروى؟ من أجل هذه الخواطر وغيرها أطلب منك صرف نظر يا أخي العزيز .

ـ أنت تحرجني يا سعد ! .. على كل حال أنا لم أبدأ بعد أمهلني بضعة أيام أعيد تفكيري في الأمر ، أنا لا أستطيع أن ألزم نفسي بزواج غامض وغريب فعلا .

ـ فكر يا صديقي ، الزواج مسؤولية وليس لعبا.. والله أن أسرة زوجتي أناس طيبون ويستحقون كل خير ، وأشعر بالضيق والحرج الذي تسببه لهم تلك الأنثى بتصرفاتها الانفعالية فنحن بعدما فكرنا بالمغامرة خشينا إن صدقت منى بالزواج والحب ولم تحسم أمرك أن تصاب

هذه المنحوسة بانهيار عصبي فوق ما هي فيه من اكتئاب وتمرد .. خوف في محله.

ـ حسنا أيها الصاحب سأفكر أمهلني يومين أو ثلاثة .

بعد أيام عاد برهان يقول لصاحبه سعد الدين : انتهى الأمر أيها الصديق .. قل لزوجتك إنني أنسحب من هذه المهمة ، لا أستطيع أن أربط نفسي بزواج قد لا أرتاح له ثم يفشل ؛ فسيكون دمارا على منى وعليّ أيضا.

شكر سعد صاحبه برهان عن تخليه عما اتفقا عليه، وأخبر سعد زوجته بانسحاب برهان عن طريق منى.

وهل حقيقة صرف برهان نظرا عن القضية وما كان يخطط له من اصطياد قلب منى ربيع ؟!



برهان لم ينسحب كما ادعى وزعم لصاحبه ، فهو أحب المغامرة وحده وأن يعمل بدون مراقبة ومتابعة من سعد وزوجته ، لقد أعجبته المغامرة

وربما غروره استيقظ نحو ما كان يراه من تهافت بعض الفتيات حوله ، وأحس براحة كبيرة عندما علم وتأكد أن سعدا وزوجته اقتنعا بتركه ما اتفقوا عليه ، فهو يعرف ضعف النساء وقلوبهنّ المتقلبة والكثيرة التبدل في الآراء والقناعات ، وهو يعرف حب سعد لحنين، فكم كان يحدثه عنها وعن هواه لها وتمنيه ورغبته بالزواج منها والحياة معها؟! .. فالمغامرات تحتاج لقلب قوي ولعدم تردد واقدم إذا حق اللقا في الأول .. فلماذا لا يغامر؟ كان يرى أنه لن يخسر شيئا إذا صدته منى ورفضت هواه ، وربما يستطيع أن يفوز بقلبها وإنقاذها بهذه الطريقة الغريبة قبل أن تسقط من كبرها وتعجرفها في حفر النوادي الليلة والخمارات ، لو أنها اصطدمت برجل صاحب مال ووعدها بمال كثير ربما سقطت وهوت ثانية.. إنها مغامرة وقال : أحس بأنها مغامرة جديدة بالنسبة لي في السابق كنت كالمصباح الملتهب تحوم حوله الفراشات ، أما الآن فستكون منى ربيع المصباح وأنا أحوم حولها، فهي مغامرة من نوع جديد.. عليّ أن أعطي نفسي مزيدا من الوقت قبل الدخول في هذه المغامرة الغريبة ، وسأتابع جمع المعلومات عن البنت قبل أن أضع نفسي في طريقها .. هي صحيح فتاة مطلقة ألا تفكر في الزواج ثانية ؟! أيعقل هذا ؟! ألا تحلم بأن تصير أما ؟ أليس كل أنثى تحلم بأن تكون أما ولها أطفال؟! إذن لابد من رجل .. ومن أجل ذلك يبحث الرجل عن أنثى ، والأنثى تبحث عن رجل .. وليس كل فتاة يطرق بابها الرجل المناسب وإلا تعقد الزواج في حياة البشر .. ومنى أليست أنثى مها حاولت التشبه بالرجال؟!.. ربما لو كان عندها ولد من طليقها لصرفت النظر عن الزواج الجديد والرجل الجديد ألا يقال ظل رجل ولا ظل حيط .. نحن نسمع ونقرأ أن نساء متزوجات يسقطن في الحب والعشق .. ألم تترك فلانة زوجها الذي خلفت منه ست أولاد من أجل غمزة وهمسة من رجل ادعى الوله بها؟! خصوصا إذا لم يكن هناك أخلاق وقيم عزيزة وكبيرة عند أولئك النسوة .. سأتابع دراستها ثم أغامر هذه المغامرة منى ربيع اسم جميل .. لها أخ مهندس يعمل في الخليج اسمه ربيع .. ولها أخ آخر اسمه مالك محامي غير متزوج ، وحنين زوجة لصاحبي سعد الدين.. وعاشوا أيتاما تحت رعاية رجل حداد اسمه خليل أحمد .. رجل فاضل محروم من الخلفة والذرية مع تزوجه أكثر من مرة ..وبسبب زواج منى من ابن الثري ناصر أحد أصحاب الأموال الكثيرة في البلد طلق خليل الحداد أم الأولاد التي تزوجها ليكفل أولادها ، وعاشوا سعداء حتى تخرجت منى من الجامعة وتبعها ربيع .. وهذه الشركة التي عملت

بها منى أعرفها وأعرف مديرتها ، ولهم معاملات وأرصدة في البنك الذي أعمل فيه مجرد محاسب متوسط ، لست صغيرا معي بكالوريوس محاسبة من جامعة معتبرة في البلاد بسبب هذا الزواج في نظرهم طلقت الأم ثم البنت .. ثم .. ثم ماذا؟ أتتزوجها يا برهان وتطلقها ؟! .. يا لها من كارثة !! بدأت أرجف من هذه المغامرة أو اللعبة .. الفتيات كثيرات يا رجل فابحث عن حليلة بينهن ودعك من مطلقة.. هل الطلاق جريمة ؟ بالتأكيد لأ دعك من هذا الخيال الذي يمخر دماغك ويذهب بك شمالا وشرقا .. منى ربيع ولم لا تكون زوجتي ؟! هل لأنها مطلقة ؟! فالمطلقات كثر هذه الأيام .. هل لأنها انحرفت عن عادات الأسرة وجارت زوجها فتعلمت السكر والدخان لا أتزوجها ؟! .. فتاة لها أحلام كبيرة .. لماذا لا تحلم؟ هل الحلم فقد خاص بالرجال ؟ الطموح أليس هو ممدوح في نظر العقلاء ؟ آه! كم أتمنى أن أجلس معها وأسمع أحلامها وأفكارها ربما تلاقت مع أفكاري وأحلامي وعبثي لابد من الوصول لقلب منى ربيع وأتعرف عليه.. قد تكون نصيبي في هذه الدنيا وتكون زوجة الغد أنا أول مرة أفكر بالدوران حول امرأة ! كانت الإناث تدور وتلف حولي.. يا سعد قلبت كياني.. ما زلت على البر أيها الإنسان .. اذهب لوالدك محمود صالح وقل له يا أبي اذهب واطلب لي يد منى ربيع .. قد ترفض وتطردنا ، فسعد أعطاني فكرة رديئة عنها .. أقول له يا أبي أريد أن أتزوج ، ابحثوا لي عن فتاة ، تحركي يا أمي يا أختي يا عمتي يا خالتي.. برهان الذي تنتظرون زواجه يريد الزواج .. ابحثوا لي عن عروس مللت حياة العزوبية .. أريد الاستقرار.. الاستقرار ما هو الاستقرار؟ .. هل إذا تزوج الإنسان استقر؟! بل المسؤوليات العظام تزداد.. مصروف زيادة .. مراجعات للأطباء زيادة .. مناسبات اجتماعية زيادة .. زيارة فلان وفلانة .. الاستقرار.. ربما يقصدون فيه العودة من العمل للبيت ، ومن البيت للعمل.. لا سهرات ولا حفلات .. ولعلهم يقصدون السكن النفسي وعدم النظر إلى هذه وإلى تلك .. وقد يقصدون بالاستقرار أشياء أخرى .. لا ، سأذهب للبحث عن قلب منى ربيع .. الفتاة المطلقة أخت حنين زوج صاحبي وجاري القديم سعد الدين.. الله يا ملهم الناس التوفيق وفقني لم فيه الخير؛ فإن كان الطريق إلى قلب منى خيرا فيسره لي يا الله !



الحلقة ١

أحلام الأولاد

الحلم حق مشروع لكل الناس ، فكانت الأم وزوجها يسمعان أحلام أولادهم الثلاثة ، فكان الابن الأكبر يحلم قائلا : إنني أحلم بأن أكون شخصا مشهورا ومعروفا بين الناس ، أجلس مع الأمراء والملوك وعلية القوم .. هذا ما أحلم به .

وقالت البنت الوسطى : هذا حلم صغير يا أخي يا مروان ، أما أنا فإنني أحلم بأن أكون زوجة أمير أو فارس عظيم ..فهل يتحقق هذا الحلم يا أخواي ؟!

وقال الفتى الصغير مالك : أما أنا فأحب أن أصير بطلا مقاتلا مدافعا عن بلدنا وأهلنا .

فهمس الأب في أذن أم الأولاد قائلا : وهل الفقر يؤدي إلى تحقيق هذه الأحلام يا أم مروان ؟ ..فكم حلمنا وحلمنا ؟! وما زلنا فقراء يحسن إلينا السعداء ..احلموا يا أولادي احلموا !

قالت الأم بيقين وأمل : إن الله على كل شي قدير ..دعهم يحلموا يا أبا مروان .

هذه أسرة فقيرة بالكاد تأكل رزقها كفافا وعلى إحسان أهل الخير والجود ، ولكنّ الأيام تمشي وتكبر أحلام الصبية في قلوبهم البريئة ، فقد كبر مروان وأصبح شابا قويا يشارك والده في عمله ويعود في آخر النهار بدرهم واحد أو اثنين ، فتـفرح الأسرة بزيادة دخلها اليومي .

كان لأبي مروان أخ أصغر منه سنا ، وكان أحسن حالا منه ، وكان هذا الأخ يرى ما فيه ابن أمه وأبيه من ضيق ذات اليد ، فأتاه ذات مساء وقال : يا أخي ..إنني قاصد إلى بلاد الصين في تجارة لأحد التجار أبيعها له هناك ، وأشتري له أخرى ..وأنت حالك لا تسر الـقلب فما رأيك بأن تدفع لي أبنك الصغير مالكا ليرافقني في هذه الرحلة ويقوم بمساعدتي وخدمتي ، وهذا أفضل من أن أشتري عبدا ..أو استأجر خادما ..فيتعلم وينتفع ببعض المال .. فما تقول ؟

فقال الأب : مالك صغير لم يخرج من البلد منذ ولد يا أخي .. وأخشى عليه الطريق وطول الرحلة .



رد الأخ الرحال مغريا لأخيه الكبير : يتعلم ..يستفيد ..قد يكون حظه خيرا من حظك ..فالحياة فرص ومغامرات .

قال الأب : لماذا لا تأخذ مروان ؟!

رد الأخ : مروان شاب كبير ..وهو يساعدك في عملك وأنا أحتاج لصبي من جيل ابنك مالك .
فقال الأب وهو ينظر لزوجته : ماذا تقولين يا أم الصبي ؟
قالت : افعل ما تحب ..فالأمر كله بيد الله ، لعله كما يقول عمه تفتح الدنيا على يديه ويتحسن الحال على يديه يا أبا مروان .
بالطبع مالك الفتى ذو الثلاثة عشر ربيعا رحب بالفكرة والكلام الذي سمعه ، ولما تجهزت القافلة التجارية التحق مالك بعمه مع دموع والديه واخوته فهذه أول مرة يفارقهم منذ أن اجتمعوا على وجه الأرض.
لقد سر مالك بعد أيام في رحلته هذه ، فقد وجد كثيرا من الفتيان مثله في القافلة وتعرف على الكثير منهم ، ومضت القافلة الضخمة نحو الشرق ، وكانت تتنقل من مدينة إلى أخرى ، فبعضها ينفصل في إحدى المدن الكبيرة ، والبعض الأخر يتابع المسير ، فنهاية الرحلة بلاد الصين في أقصى شرق الأرض .
بعد رحيل مالك بسنين تعرضت البلدة إلى غزو من القبائل المجاورة ، فهرب الناس كعادتهم إلى الجبال والوديان وأعالي الأشجار خوفا من بطش الغزاة ، وممن هرب مع الهاربين أسرة أبي مروان ؛ ولكن من غير مروان ، فلما جرى الهرب من أمام الغزاة بين الرعاع لم يكن مروان موجودا مع الأسرة ، فلذلك كانوا في خوف عليه من بطش الغزاة والقبائل ، وقد أمضى الهاربون أسبوعا في البراري والعراء قبل أن يعودوا لمنازلهم المنهوبة .
وأهل هذه المدينة يتعرضون بين الفينة والفينة لطمع الطامعين من البرابرة والقبائل الصحراوية ، فلما عاد الناس لمدينتهم وجدوها قد نهبت وتعرضت للسلب والنهب ، فقام الناس بدفن موتاهم وقتلاهم ومداواة جرحاهم ، فبكى من بكى وحزن من حزن ، وعادت الحياة للبلدة من جديد ، وعلم أبو مروان أن حاكم المدينة وقع في يد الغزاة وأعدموه الحياة هو وحاشيته وجيشه ونهبوا قصورهم وأموالهم ، ومن ثم تسلم السلطة على العباد أحد أقارب السلطان المقتول ، وعاد الناس لإعمار بلدتهم من جديد ، وأسرة أبي مروان عندما عادت لم تجد مروان فظنوا أنه قد مات أو أخذ أسيرا ؛ ولكنهم لما فقدوا جثته ترجح لديهم أنه قد أسر ، فصمم أبوه متابعة البحث عنه ولو خسر حياته ، وحاولت الأم والابنة ثنيه عن ذلك

المطلب فلم تستطيعا ، فأوصى عليهما من بقي حيا من جيرانه ، وانطلق يتتبع الجيش الغازي باحثا عن فلذة كبده بين تلك القبائل التي تعيش على النهب والسلب والفتك في القرى والمدن الآمنة .

واجتمع والي وسلطان البلدة وجمع كبير من الأهالي والتجار وأصحاب الأموال ليضعوا حلا لمثل هذه الاعتداءات المتكررة بين فترة وأخرى ، وكان السلطان الجديد رجلا ذكيا وخبر الدنيا ، فأشار على قومه والناس بأن يبنوا سورا عظيما حول المدينة ويجعلوا للمدينة بابا واحدا أو اثنين ، وإقامة أبراج حراسة دائمة ، ويساهم الجميع في الإنفاق على الحرس ، وكذلك إنشاء جيش قوي ليدافع عن المدينة وسكانها ، وارتاح الناس لأفكار سيدهم الجديد ، وبدأ العمل في عمل سور عال ومرتفع حول المدينة ليصد الغزاة والأعراب ، ونتركهم يبنون ويجددون وسائل الأمن والأمان ونتذكر مروان .



الحق أنّ مروان لم يمت في الغزو الذي تعرضت له المدينة الآمنة ، ولم تأسره القبائل الغازية ، فعندما علا الصراخ في المدينة كان مروان في ضيافة أحد أصدقائه ، فلما سمعوا الصراخ هربا نحو الجبال كما فعل الناس ، وفكر بالبحث عن أسرته ولكن لظلام الليل وحب النجاة فلم يتيسر له ذلك البحث ، فتابع صعوده إلى أعلى الجبل ؛ ولكنه تدحرج عن صخرة ملساء فتعرضت رجله للرض والالتواء ؛ ولكن حب الحياة دفعه لمعاودة الهروب والصعود ؛ ولكن الألم اشتد عليه ومنعه من الاستمرار في الصعود ، فدخل في أقرب مغارة صادفها فألقى بنفسه فيها ، وحاول معالجة قدمه المصابة واستمر يصارع الوجع والألم حتى أتى الصباح وقد أصابه عطش شديد وإرهاق كبير ، ولما تسلل ضوء النهار للمغارة ووضحت له الرؤية ، تفحص جدران الكهف وسقفه بعينيه الثاقبتين ، فلمح في جوف الكهف حيوانا فإذا مجموعة من الأرانب ، فتحركت شهوته للأكل والطعام فتحامل على نفسه وبدأ يقفز ويتحرك في جوف المغارة على أمل أن يصيد أرنبا يسد به ربقة الجوع ، فهربت الأرانب من أمامه فتبعها دون جدوى ؛ ولكنها ما زالت أمامه تتراكض ، والألم زاد في قدمه فهمس قائلا : لابدّ أن أحشرها في آخر الكهف ليتني

أمسك واحدا منها ، لحقها حتى لم يعد يرى شيئا ، وقد ازداد الظلام فلا يرى إلا بريق عيون الأرانب ، ورغم اشتداد الظلام كلما توغل في الكهف ، كانت عيناه قد ألفت الرؤيا في الظلام ، دخلت الأرانب جحورها ، وبينما هو يقترب من أحد الجحور تدعثر ووقع في حفرة صغيرة ؛ فإذا رجله تصطدم بجرة من الفخار ، فحقق النظر في الحفرة والجرة ، فرفع بعض التراب عن الجرة لعله يجد أرنبا في الحفرة والجرة ، فوجد بين يديه قطعا من الذهب ..فخفق قلبه وقال : ذهب !..مال ! فحفن مرة أخرى فصاح : ذهب ! ..مال ! ثم صرخ : كنز .. يا حظي السعيد .

نسي جوعه وعطشه والقرية وأهله ورجله والأرانب !

ولما عادت إليه روحه من جديد قال : يا حسرتاه! .. ماذا أفعل بالذهب الآن وأنا لا أجد شربة ماء ولقمة خبز ؟!

أعاد المال إلى الجرة ودفنها بالتراب ثم قال : الثروة .. الغنى ..أصبحت غنيا يا أبي ..جاءت السعادة يا أمي .. أين السعادة ؟! وأنا مختبئ في هذه المغارة هاربا من القبائل والبدو .. مال من غير أمان ماذا يفيد ؟.. مال وخوف مصيبة .. مال بدون طعام وماء لا ينفع .

عاد يزحف لمدخل الكهف ، وفي خلال رجوعه وجد بعض الأعشاب النابتة في أطراف الكهف فمضغها وواسى نفسه بها ، وقد قرر المخاطرة عند حلول الظلام في النزول إلى الوادي للبحث عن قطرة ماء يبل بها جوفه من إحدى العيون .

قضى الأيام السبعة يأكل الأعشاب والحشرات التي تقع بين يديه كالجنادب وغيرها ، وفي الليل يتسلل إلى عين الماء الصغيرة ويشرب منها ، وفي الليلة السابعة وجد رجلا يملأ قربة من عين الماء ، ففي الوهلة الأولى ظنه من الأعداء ، ثم تبين من هيئته وملامحه أنه من أهل المدينة فكلمه فتأكد له أنه من أهل بلدته .. فسلم عليه ثم قاده الرجل معه لداره ، ولما علم أنه مصاب قال الرجل : لي معرفة بالعلاج والدواء ، فأخذ بمداواته وتطبيبه ـ وكان هذا الرجل يسكن في طرف القرية ـ وبين له أنّ المشي يضر بقدمه ، وعليه أن يخلد للسكينة والراحة التامة عددا من الأيام ، ووعده بالنزول للمدينة للبحث عن أهله ليطمئن على حياتهم ويطمئنهم عليه ، وبعد يومين هبط الرجل على المدينة يبحث عن أسرة مروان ، وعاد يقول لمروان : يا سيدي

لم أجد أهلك ؛ ولكني علمت أنهم أحياء يرزقون ، فتركت لهم خبرك عند أحد جيرانهم ببقائك حيا فدهش الجار وأعلمني أن والدك لحق بالغزاة باحثا عنك ظانا أنك أسير لديهم .

فقال مروان وكله جزع : وأمي وأختي ؟!

فرد الرجل مزيلا قلق مروان : قالوا إن أمك ومعها أختك ذهبت تسكن عند أخيها فأخبرت جاركم هذا ببقائك على قيد الحياة ، واشتريت بعض الطعام وعدت إليك يا ولدي .

وصنع الرجل طعاما وقدم مرقه للشاب المصاب ، وبعد أسبوعين تحسنت قدم مروان فغادر بيت الرجل ونزل إلى المدينة ، وقد ساعده الرجل في الوصول لبيت الأسرة ؛ ولكنه لم يجد أمه ولا أخته ، فنزل في بيت الجار الذي أخبره أن أمه وأخته قد ذهبتا لبيت خاله بضع ساعات ، ثم سار برفقة معالجه إلى منزل خاله ، وهناك التقى بأمه وأخته ، وانصرف الرجل المعالج وقد حثه مروان على زيارته بعد أنّ قدم له جزيل الشكر والثناء .

تم الجزء ١

مشاهد تربوية

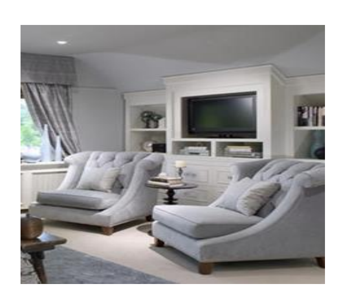
هدى

أغلق ناصر التلفاز ، واستدار نحو أخته التي كانت مستغربة من فعله ، وتنظر إليه بدهشة ؛ كأنها محتجة على إغلاق التلفاز وقال باسما: أتسمعين عن التطير ؟

حدقت به في عينيها الناعستين مرة أخرى وقالت : امتحان ؟!

تبسم وقال : لا .. إنما لي زميل في العمل كثير التطير .. كل يوم حديثه عن الطيرة والشؤم..

فعندما نجلس في المكتب ويبدأ الحديث بيننا حتى يقول : يا رجل تصبحت اليوم بفلان .. وأشعر أن هذا اليوم سيكون نكدا وسيئا .. فاحذره من



التشاؤم المتكرر.. فيقول " إنك لا تفهم يا رجل .. ما رأيت هذا الشخص يوما في الصيف في الشتاء إلا أصابني شيء .. هكذا ألاحظ .. تخرب السيارة .. يموت شخص أعرفه .. أسمع نبأ كارثة نكبة جريمة للأسف بعض الأشخاص في حياتي يدفعونني للتطير والتشاؤم " .. هكذا يردد ويعزف .

فقالت الأخت وقد شدها حديث شقيقها لهذا الصنف من البشر : ألا ذكرته بأحاديث الرسول ﷺ التي تنهى عن التطير والطيرة والشؤم ؟ .. لا

طيرة ولا عدوى .. وأن التطير صفة أعداء الرسل {قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ } وأنه فعل الكفار والمجرمين { قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ}.. ألا ذكرته يا سيد ناصر بأن الأمر كله بيد الله ﷻ ، والقدر كله من الله ﷻ خيره وشره

ـ يسمع .. ولكنه يستهزئ بي ويقول ساخرا " لو حصل معك ما يحصل معي لغيرت رأيك في قضية التشاؤم من لقاء بعض الناس " .. قد صرت أذكر له قصصا وأخبارا حدثت له منذ حين من كثرة روايتها لي .. وعلمت الأسماء التي يتشأم منها .. حفظتها يا أختاه من كثرة ربط قصصه بها .

ـ هلا أخبرته أن التشاؤم كفر وشرك بالله .. وعليه أن يستغفر ويتوب .

ـ أتعلمين أنه يتشأم من أقرب الناس إليه ؟ يقول " إذا خرجت من البيت ـ وهو يسكن في شقة من عمارة أبيه ـ والتقيت بأبي على باب ومدخل العمارة أتطير منه يا ناصر .

ـ أوه !! .. فظيع هذا ! من أبيه يتطير!

ـ وهذا يحدث له منذ تزوج والده بعد وفاة أمه كما يزعم .

ـ هذا مريض .. فليعرض نفسه على طبيب أمراض نفسية خيرا له .. يتطير من أبيه !!.. شيء رهيب في نظري !

ضحك ناصر وهو يقول : هو فعلا مريض وذكرت له هذا الاقتراح .. فقال " أنت المريض " لأني لا أعتقد بوجود التشاؤم .. بل يتطير من زوجته كما روى وحدث .. من يا ترى المريض أنا المجبر على سماع خرافته أم هو ؟!

ـ وكيف يعيش معها ما دام وصل به التطير لهذه الدرجة ؟!

ـ هو يتطير منها فقط إذا استيقظ ووجدها مستيقظة قبله لتعمل له كوب الشاي الصباحي .. فيقول" أشرب ذلك الشاي وأنا أشعر بأن أمرا شاقا سيحدث لي هذا النهار " .. لذلك يحرص على سبقها بالاستيقاظ ويعمل الشاي بنفسه .. فتدعه يفعل ذلك بضعة أيام ، ثم تحاول سبقه في أيام أخرى .. وهو صارحني فقال " بصراحة يا ناصر أنا لم اخبرها بأني أتشأم منها وإلا طلقتني لكن أظهر انزعاجي من سبقها لي .. ويخرج للعمل قبل صحيانها .. فهي امرأة تعشق النوم .

ـ صاحبك مجنون فعليه أن يدخل مستشفى المجانين .

ـ أنا عاجز حقيقة عن مساعدته وإخراجه من هذه العادة أو هذا المرض .

ـ معك حق .. خذه لأحد العلماء الشيوخ .. الشيخ

مالك الأزهري سمعته جيدة فهو عالم بالسنة والأثر .. رتب له زيارة معه .. وزوجته أم همام صديقة لي ، سأتحدث معها ، وأسمع رأيها في مثل هذه المصيبة ..ولعلها تشاور زوجها في قصتك هذه .

- خدمة كبيرة تقدميها لي ولهذا الرجل .. لقد سعيت لأنتقل إلى مكتب آخر بدون أن أشعره بذلك لأنتهي من قصصه وتشاؤماته ..أخشى أن تصيبني عدوى التطير .. وأتطير منك يا أختاه

ضحكت الأخت وقالت : حذار .. حذار من ذلك ..ألم تعلم أن الرسول ﷺ شرع للأمة صلاة الاستخارة ؛ لئلا يقعوا في التطير والتشاؤم ، كما كان يفعل العرب القدماء في العصر الجاهلي فقد كان التطير شائعا بينهم.

- أشكرك يا أختي الفاضلة .. عليك باللقاء بأم همام لعلها تخبرك بشيء نستطيع به معالجة صديقي في المكتب الوظيفي .

عَنْ عَبْدِ اللهِّ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهِّ ﷺ :" الطِّيَرَةُ شِرْكٌ وَمَا مِنَّا إِلَّا وَلَكِنَّ اللهَّ يُذْهِبُهُ بِالتَّوَكُّلِ " مسند أحمد

عَنْ أَنَسٍ أَنَّ النَّبِىَّ –ﷺ- قَالَ « لاَ عَدْوَى وَلاَ طِيَرَةَ وَيُعْجِبُنِى الْفَأْلُ الصَّالِحُ وَالْفَأْلُ الصَّالِحُ الْكَلِمَةُ الْحَسَنَةُ ».د

مواقف ارشادية

صفعة خد

صحب رفيق الصغير أخاه الأكبر عدنان زائرين لبيت عمر ، صديق عدنان في



المدرسة الثانوية ، ورفيقه في الفصل الدراسي .

ودافع عدنان لهذه الزيارة غياب عمر عن الدراسة صباح هذا اليوم ، فلما التقوا به أعلمهم أنه كان مريضا ، وقد زار عيادة الطبيب للمعالجة ، ولما اطمئن عدنان على صحة زميله شرعا في الحوار عن التلاميذ والدروس ، فسمع رفيق عمر يسأل أخاه عن شخص اسمه فادي قائلا : ما أخبار الغبي فادي ؟ وهل أحضر أباه لمدير المدرسة ؟ وأخبرني عن نهاد الأحمق هل خرج من المستشفى بعد تلك المعركة ؟

وسمع أخاه يرد قائلا : أما الغبي فادي فما زال غبيا ، فقد أتى والده المدرسة والتقى بالمدير ، وهو يحرض "علي أحمد" ويشجعه للاعتداء عليك وضربك أمام كل طلاب المدرسة في ساحة المدرسة ، هذه أخبار فادي الغبي .. أما نهاد الأبله فكما نبأني ابن عمه مراد أنه لا يزال راقدا على سرير الشفاء في المستشفى ، فقد شج رأسه

شجا عميقا ، وقد أصيبت يده بكسر خفيف ، وقد تطول غيبته عن الفصل .

ومضى الوقت وهما يتقولان عن فلان وفلان ، ورفيق الصغير صامت لم ينبس كل هذه الفترة التي أمضياها بالكلام والثرثرة سوى ببضع كلمات نعم ..لا .. شكرا .. ثم ودعوا عمر على أمل الاجتماع به في المدرسة قريبا .

ولما أصبح الأخوان وسط الطريق إلى مسكنهما ، قال رفيق لأخيه الأكبر بجرأة وغيرة وحرارة : يا عدنان أنت ثرثار !

فصاح به الآخر ؛ كأنه محتجا على هذا الوصف : لماذا ؟!

فقال رفيق ناصحا : أنت كثير الكلام ، وكذلك لا تراعي آداب الكلام واللسان ولا حتى أدب زيارة المريض .

فصاح فيه أخوه المدهوش : تكلم ماذا تقصد بكلامك ؟ وما الذي تريد أن تصل إليه يا غبي ؟!

ابتسم الأخ الأصغر وقال : لقد أكثرت أثناء حديثك مع صاحبك من الغيبة والنميمة ، فلقد أسأت لأغلب زملائك في المدرسة وبعض مدرسيك .. هذا غبي وهذا أبله .. وهذا يريد ضربك ..

فراح عدنان بالضحك ثم قال : ألم أقل لك إنك غبي ؟ .. أنا عندما أعلمته عن فادي أحببت أن أحذره وأنبهه من غدره .. فأنت تعرف فادي فهو يكره عمر كرها مدهشا ، ويقوم بتحريض بعض الفتيان ليضربوه .. وعمر صديقي العزيز يا غبي .

فرد الأخ الأصغر : يا حبيبي يا عدنان ! من المفروض أن تصلح بينهما لا أن تحرضهما على بعض ، وتزيد النار اشتعالا .

توترت أعصاب عدنان واحتد وقال : أنت كلامك أكبر منك .. وأنا لست نماما .. فأرجوك لا ترافقني مرة أخرى في أي زيارة .. أرجوك ..

فتبسم رفيق وقال : صدقني أنني لا أحب صحبتك ولا مجالسك ، وأنني اغتاظ منها ، فكلها غيبة وفساد وفتنة وبطولات وهمية ...

وفوجئ رفيق بصفعة عنيفة تسقط على خده ، وصوت عدنان الغاضب : آ .. لقد طال لسانك عليّ .. اغرب عن وجهي .. لا ترني وجهك ، قبحك الله ، لم يظل إلا أنت حتى تعلمني الأخلاق والآداب .

وضع رفيق يده على خده ، وجحر أخاه بعينيه بغضب ودهشة ، وقال من بين دموع تكاد تنفر من عينيه : غفر الله لك .. سامحك الله .. أنت أخي الكبـير !

وشرع يعدو مسرعا نحو

بيتهم .

ووصل البيت سريعا وذهب لحوض الاغتسال ، فغسل وجهه ، ثم استعد لصلاة المغرب في المسجد القريب ، فشاهدته أمه فقالت : مالك مقطب الجبين ؟ هل أزعلك



أحد ؟

فقال متصنعا الابتسام : أبدا يا أمي .. أنا طبيعي لم يغضبني أحد .. فقد تعبت من الركض على ما يبدو ، فقد تركت عدنان ، وأتيت مسرعا لأدرك الصلاة في المسجد ، وهمس لنفسه : استغفر الله .. إن بدأ في كلامي الكذب .. عليّ أن أصبر على آذى عدنان ، فهو أخي الأكبر وأكبر مني .

ولما دخل عدنان البيت ، استفسرت الأم منه عن زعل رفيق ، فقال ضاحكا : لقد صفعته صفعة حادة على خده الجميل .. هل اشتكى وبكى إليك ؟ لقد أغضبني يا أمي .

فتنهدت الأم بعمق ثم قالت : إذن أنت أغضبته ..أبى أن يصارحني بشيء مع أن الأسف والغضب مرتسمان على تقاسيم وجهه .

فقال عدنان متعجبا : لم يشكُ ..لم يخبركم !! ..رفيق فتى طيب يا أمي .. أين هو سأعتذر له ؟

فقالت الأم : أرغب بمعرفة الحكاية وفهمها ؟

فأجابها عدنان قائلا : ألقى عليّ محاضرة عن الأخلاق والصدق والغيبة والفساد ، فتضايقت منه ، وما شعرت إلا وأنا أرفع يدي وأصفعه .. لم أتمالك غضبي وتوتر أعصابي ..

فقال لي غفر الله لك وانطلق يعدو نحو البيت .. هذه هي القضية يا أمي .

فقالت الأم : سأصلح بينكما قبل أن يعود أبوكما من زيارة أخته .. فهو يحب رفيقا ويعجبه أدبه والتزامه بالسلوك الديني ، ولا يعجبه كسلك وعضلاتك وعصبيتك وطول لسانك .

فتبسم عدنان وقال لأمه : رفيق لم يصارحك أنت بالقصة ، فكيف سيصارح أبي ؟ فسلوكه الديني لا يسمح له بذلك . فصاحت به الأم : ما هذا الكلام ؟ فأبوك يحبك كذلك .. ولكنه يشجع رفيقا ليستمر على الخلق الطيب ..فلو حسّنت من نفسك ، ستظهر لك محبة أبيك واضحة ، ولسوف تتأكد من صدق كلامي.

فقال : لا أريد أن أضحك على نفسي يا أمي .. إنني أكسل عن أداء الصلاة والمثابرة عليها .. أصلي فرضا وأترك آخر ..

فهذا ضحك على النفس .

فقالت : ولماذا الكسل عن الصلاة يا بني ؟ فالصلاة فرض وواجب لازم على الإنسان المسلم ، والنبي ﷺ أذن للوالدين بعقاب الولد إذا بلغ العاشرة من العمر وهو لا يصلي ، فمن أجل ذلك يغضب أبوك .. ألا ترى كيف يكون والدك مسرورا منك عندما يراك في شهر رمضان تصوم وتصلي ؟

فقال : سوف أفكر بالأمر .. المهم الآن أن أتصالح مع أخي رفيق .

ولما عاد رفيق من الصلاة في المسجد ، تكلمت معه الأم برفق وحنان وبينت له محاسن العفو والمسامحة والمحبة بين الاخوة ، فقال رفيق بعد أن انتهت الأم من النصح والإرشاد : يا حبيبتي يا أمي لقد انتهى الأمر .. لقد سامحته .. فعدنان أخي الكبير .. لقد أسأت له بنصحي له وتذكيري



له بالأثام والمعاصي .. فهذا كان من غيرتي عليه .. ولعلي لم أحسن التصرف معه بأدب.. والصفعة إياها هي امتحان واختبار لي ولصبري قال تعالى (وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ) واطمئنوا لن أحدث أبي بشيء حتى يطفح الكيل .. وأرجو ألا يطفح هذا الكيل .

فقبل عدنان رأس أخيه رغم بعض العبارات القاسية الساخرة التي بدأت في كلامه وهمس قائلا : آسف يا أخي العزيز ، لقد تعجلت فاقبل تأسفي .

فقال رفيق : قبلت اعتذارك ورضيت بشفاعة أمي .. غفر الله لنا جميعا يا أخي الكبير ، علينا أن نتنافس في أمور الآخرة والخيرات ونتجنب الحسد والبغضاء .. فنحن إخوة في الإيمان وفي الرحم .

ضحك الجميع وقالت الأم : ما أحلى كلامك يا رفيق ! كالشهد .. ألا تريدنا أن نعجب به يا عدنان !!

فقال عدنان : نعم ، يا أمي إن كلامه أكبر منه ، عندما يتكلم رفيق أشعر بأنني أستمع لأستاذ التربية الإسلامية .. سامحني يا رفيق أرجو أن لا أصفعك مرة أخرى .

انتهت

كلام المكاتب

مكتب الفتوى

{وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ}

جلس المفتي زيدان عبد الرحمن في مكتبة في ديوان دائرة الإفتاء في مدينتنا العامرة

بملايين الناس ، وبعد مباشرة عمله دخل مراسل المكتب ناجي هامسا قريبا من أذنه بأن رجلا يرغب بمقابلته ليسأله عن التوبة .

فاستغرب المفتي من الذي يطلب التوبة ، ويريد أن يسمع المفتي بجواز توبته ، فقال لجليس معه : رجل يريد أن يتوب ويطلب الحديث مع المفتي .. أليس هذا غريبا فالتوبة لا تحتاج لمفتي أو وسيط أو فتوى ؟!

فقال الجليس: لعله يريد فتوى !

زيدان : دعه يدخل يا ناجي!

دخل رجل رث الثياب ، ضئيل البنية ، قدر في الأربعينات من عمره كما بدا للمفتي وجليسه ، ورحب به وأشار له بالجلوس ، ولما جلس قال: مما ترغب فيه التوبة ؟

فأظهر شكره لهما وقال : ناجي اخرج وأغلق الباب .

استغرب الرجلان من تصرفه وقال المفتي : افعل يا ناجي ! وما يمنع عنك التوبة يا سيد ...

قال : أنا اسمي عدنان نفير .. وأعمل في كوخ بيع في مجمع النقل والحافلات بين العاصمة ومدينة الديوان .. أنا أريد أن أتوب فعلا .. وأعتقد أن توبتي لن تقبل ..فذنبي صعب ..فهل يتاب منه أيها السادة العلماء ؟

قال زيدان موضحا : المهم أن نتوب .. قَبول التوبة هذه أمرها إلى الله .. نحن نأخذ بشروط وضوابط التوبة .. والقَبول أمره إلى الله رب العباد .. وصحة التوبة لله يا سيد عدنان ! ولماذا تزعم أن الله لا يقبل توبتك .. فربنا يقبل توبة الكافر والفاجر والضال والمشرك .. فهو يغفر كل الذنوب إلا الشرك الأكبر .

قال : أعرف كل هذا ؛ لكن إجرامي يجعلني أشعر أن لا توبة لي .

ـ القاتل له توبة ، وبما أنك مثقف كما يظهر لي .. فالرسول أخبر عن توبة قاتل مائة نفس ظلما وعدوانا .. أسمعت بهذا الحديث والقصة ؟

ـ قال لي بعض المشايخ ذلك .

فقال الجليس : اسمعنا مشكلتك يا سيد عدنان التي مهما عظمت كما قال الشيخ فالتوبة مطلوبة وبابها مفتوح !

تنحنح الرجل وقال : أنا أفسدت ودمرت أكثر من عشرة آلاف إنسان .

المفتي دهشا : عشرة آلاف !! كيف يا أخي ؟! لقد شوقتنا لسماع حكايتك ؛ ربما زعيم دولة لا يستطيع ذلك تكلم.

قال : القصة أنني كما قلت لكم في بداية الكلام أني أعمل في كوخ صغير في موقع حافلات وسيارات كبير ..

وفي هذا الكوخ تباع الحلوى والسكريات والسجائر والمطعومات والمشروبات .. ومن خلال الكوخ نبيع المخدرات والحبوب المخدرة خفية .. وقد أفسدت بيوتا وشبابا وفتيات .. وطلقت نساء وطالبات .. وانتحر رجال وبنات خلال ما يزيد عن عشرة أعوام .. فهل لي من توبة بعد كل هذا الإجرام ؟!

قال الجليس : ذكرنا بقصة تلك الممرضة في قسم الولادة التي كانت تبدل المواليد من خلال عملها في ذلك المشفى.

قال المفتي : رغم الإجرام الذي تفوهت به وفعلته ، وفعلته تلك المرأة ، والقس الآسيوي الذي استطاع فتنة خمسين ألف مسلم وتنصيرهم عن الإسلام ثم أسلم بعد ذلك .. يا سيد عدنان التوبة مقدورة ومطلوبة ، وأما القَبول فهو على الله العزيز المتعال .. الله هو الذي يقبل التوبة عن عباده .. فلا أرى يا دكتور جهاد إغلاق باب التوبة في وجهه.. عليك بالندم فالندم التوبة وترك هذا الإجرام ، والعزم على عدم العودة إليه عسى الله أن يقبل توبتك .. ويتوب عليك ، ولا تستسلم للشيطان.. والتوبة النصوح تكفر السيئات ، وتتبدل إلى حسنات .. والله يفرح بتوبة عبده يا عدنان .. المهم ألا تستلم للشيطان وتبقى في حالة يأس .

قال : يعني هناك أمل .

ـ بل هناك أمل كبير يا سيد عدنان! .. كل الذنوب يغفرها ربك إلا الكفر إذا مات عليه الإنسان .. باب التوبة لم يغلق بعد ، باشر بالتوبة والأعمال الصالحة .. فالحسنات يذهبن السيئات .

ـ كم هو صعب عليّ الكلام !.. فتيات بريئات كنت أضع لهن المخدر في الساندويش حتى أدمن بعد حين ، ودفعن الغالي للحصول على المخدر .. وتنازلن عن عذريتهن وشرفهن وكرامتهن كيف سيسامحنني أيها الكرام ! ومنهن من قتلت نفسها ..الأمر صعب .. دفعتهنّ للعمل في الدعارة وترويج المخدر بين رفيقاتهنّ

ـ إن الله يغفر الذنوب جميعا

فتح الباب بناء على جرس من المفتي ودخل ناجي : نعم سيدي !

ـ هل من أحد يحتاج لفتوى ؟

قال : هنا صبية تريد الإفتاء .. تعال يا عدنان!

كرر عدنان شكره للمفتي وجليسه وغادر ، ووصل السيد عدنان للباب ؛ ولكنه بدخول الصبية توقف وقال بدهشة : من ؟ سعيدة !

تطلعت الصبية في وجهه وقالت : من ؟ رجل كوخ

المحطة عدنان نفير.. ماذا تفعل هنا ؟

ـ ماذا تريدين من الإفتاء ؟

ـ أريد فتوى لإجهاض هذا .

وأشارت لبطنها الحامل .

قال عدنان : إنه ابني !

قالت : إنه ابن حرام فلماذا يعيش ؟!

ـ يا الهي .. هذه إحدى ضحاياي سيدي المفتي !

" قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ فِيكَ وَلَا أُبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ، وَلَا أُبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقِيتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا لَأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً "

الزمردة

عمتي زاهرة

الحلقة ١

الجحود

على سرير الموت كان والد علي يحتضر ، وجلس علي الفتى الصغير بجواره ينظر إليه وهو يكلم عمه ويوصيه عليه ، والعرق الغزير يتصبب من جبين المحتضر فسمعه يقول :

عدنان يا أخي أوصيك على صغيري علي فكن له أبا ؛ وليكن أولادك له أخوة ، واهتم بتربيته أحسن تربية ، وعندما يكبر ويشتد عوده ادفع له البستان، وزوجه إحدى الحسان ، وإن كانت إحدى بناتك فذلك خير لك وله ، ولا تطمع يا أخي العزيز بأمواله وبستانه ، وإياك والظلم والعدوان ، فعاقبته مُظلمة في الدنيا والآخرة .

ووعده عدنان خيرا ، وأنه سيعتني بعلي عنايته بأولاده ، فلما سمع المحتضر هذا الوعد ابتسم ابتسامة الوداع ، ثم التفت لولده فقال : يا ولدي يا علي كن لعمك طائعا ، ولا تحزن عليّ كثيرا ، فأخي بمثابة الوالد لك .



وأخذ يكيل المديح والثناء على أخيه ، وقد اطمأن باله على ولده الصغير ، ثم خرج عدنان بعدما تحمل الوصاية على ابن أخيه ، فالتصق علي بوالده أكثر ، فوضع الوالد الميت يده على رأس وشعر ابنه يداعبه بها وهو يقول : كن رجلا يا ولدي ، واصبر على مصائب الدنيا ، ولا تجزع لحوادثها ، وها أنا قد أوصيت عمك عليك ، وعاهدني على الإحسان إليك ، ومع ذلك فأخي عدنان جشع حسود ،

فأخاف أن يأكل أموالك ، فإن حصل ذلك فارحل لمدينة القمر ، وأسأل عن امرأة اسمها " زاهرة "، فهي ستنفعك إن ضاقت بك الدنيا ، لا تنس يا ولدي مدينة القمر والمرأة زاهرة ، فهي عمة لك ، وهي تعرف كيف ستعيد لك حقك إن ظلمك عمك العزيز ؟.. وأنا أرجو الله العزيز الحكيم أن لا يظلمك ويخذلك .. فابن آدم فيه طمع فعانق الولد والده بصمت حزين ، ولم يأت المساء حتى كان عمران يلفظ أنفاسه الأخيرة ، وفارق الدنيا تاركا ولده وحيدا ، ليس له إلا الله العظيم وحده ، وبعد أن انتهت الأتراح بدفن عمران ، انتقل علي للسكن في بيت عمه عدنان مع أولاده كفرد منهم ، وقد فرح له الأولاد وحاولوا رفع الحزن عن قلبه بقدر المستطاع ، وتركوه مع حزنه ، واستمر ذلك شهرا من الزمان وكما هو معلوم أن الحزن يخف ويذهب مع الأيام ، فكيف بحزن فتى صغير ؟! فدخل عليه العم قائلا : يا ابن أخي كفاك حزنا وأسفا على والدك ، وهذا حال الدنيا ، أناس تولد وأناس تموت ، فاهتم بنفسك وعافيتك ودع الضعف والخور عنك واستعد غدا لتذهب معنا إلى الحراثة

ونهض علي مبكرا مع عمه وأولاده واشتغل معهم في حراثة الحقول ، فأتقن الحراثة وراء الدابة وكان يرفع الماء من جوف البئر ، ويشاركهم في قطف الثمار وعصر الزيتون وإطعام الأبقار والأغنام ، وأحيانا يرسله عمه مع الرعاة فيذهب بدون أناة ، وأحيانا يرافق الحطابين للغابات لجلب الحطب ، فكان الفتى يعمل بجد ونشاط دون كلل أو ملل ، وظلت حاله على هذا المنوال حتى بلغ سن الرشد ، فذكر لعمه رغبته بالاستقرار بمال والده عمران ، فزجره عمه وادعى أنه ما زال صغيرا لم يبلغ مبالغ الرجال ، ولا يستطيع تحمل المسؤولية ، فصبر علي سنة أخرى وطلب حقه من عمه ، فغضب عليه وأنبه وقال : لي أكثر من سبع سنوات أطعمك وأسقيك وأكسيك فإن كان لأبيك مال فقد أنفقته عليك .

رد علي قائلا : يا عمي حقي أكثر من ذلك .. بستاني ودوابي ألا تزيد على ما أنفقته عليّ ؟ .. هل نسيت العهد الذي قطعته على نفسك عند موت أبي ؟

ضحك عمه وقال : لم أنس يا ابن أخي ، وهل قصرت معك كل هذه المدة ؟ ومن أين صار لك هذا الجسم وهذا العضل ؟ يا ولدي أموالك أنفقتها على العناية بك فلم يبق لك في

ذمتي إلا الشيء اليسير.
فرفع علي صوته قليلا وهو يقول :يا عماه ! ..حرام عليك أن تأكل أرضي ومالي ، الظلم ظلام.. وهل أمضيت السنوات الطوال نائما يا عمي لقد أمضيتها في العمل ؟!
فلما سمع عدنان هذا الكلام غضب واحتد وصفع الشاب على وجه وهو يقول : تأدب أيها الشقي ! أنا آكل مال الأيتام هذا جزاء اعتنائي بك ، ولو أهملتك وتركتك تعمل عند الناس أجيرا بقوت يومك لكان هذا خيرا لي .. اغرب عن وجهي أيها العاق .
وضع علي يده على خده المصفوع ، وقد طفرت الدموع من آماق عينيه ، وهرب في البساتين ، ودخل عدنان البيت غاضبا ، وهو يزمجر ويشتم ويلعن ، وأما علي فإنه جلس تحت شجرة يبكي ويناجي آباه على ما حل به من عمه ، وبينما هو كذلك سمع صوتا ناعما من خلفه يقول بخوف وحذر : علي .. علي يا ابن العم لا تحزن واصبر على الأذى .
التفت خلفه فرأى ابنة عمه سعاد فقال : سعاد أنت هنا ! .. أبوك يا سعاد .. يريد ..
فقاطعته قائلة : سمعت كل شيء يا علي ، وإنني آسفة لك ومتألمة عليك .. فأبي طامع في أرضك وهو من زمان كان ينتظر أن تكلمه في ذلك .
فقال بحزن عميق : يا سعاد فكيف ولو خطبتك من أبيك فماذا حل بي ؟
قالت : الأمور تحتاج لصبر وانتظار يا علي .



وضع يده على خده وقال : صفعني أبوك يا سعاد ظلما .. صدقني لو كنت مذنبا وفعل ذلك لعذرته .. سعاد ماذا أفعل ؟؟
سكتت برهة ثم قالت : الحق لا أدري ماذا تفعل ؟ .. ولكن يا علي ما رأيك أن تطلبني منه لعله يغير رأيه عندما يرى أن الأموال لن تخرج من حيز الأسرة ؟
فكر علي قبل الإجابة ثم قال : لا أدري كيف سأفعل ذلك ؟ كنت أريد أن أخاطبه بذلك ؛ ولكني خفت هذا الأمر وقلت آخذ ميراثي ، ثم أكلمه بعدئذ في هذا الشأن .. سعاد دعي أمك تحدثه بشأن زواجنا .
فتساقطت الدموع من عيني الفتاة وتنهدت بعمق ثم همست : آه يا علي ما أقول لك لقد صارحت أمي برغبتك هذه ؛ ولكنها نفرت وقالت بأنك شاب فقير لا حول لك ولا قوة ، فقلت لها إنه رجل قوي العضل نشيط الحركة يستطيع الكسب وله بيت وأرض وحيوان ،

فنفت ذلك فهي من صف أبي .. حاول يا علي مع أبي لعله يشفق عليك .

فقال : سأفعل ذلك من أجلك يا سعاد ؛ لأنك تشفقين عليّ دون إخوتك ، كنت تحسني إليّ بالطعام ، وتجلسين مع هذا الغلام اليتيم .. ولكني سأغيب عن البيت أياما حتى تسكن الأوضاع ثم أخاطب والدك على أمل الرضا .

فقالت : وإن لم يرض .

فقال : سأدع البلد وسوف أذكر لك يومها سرا ، فاعلمي يا سعاد أن أبي وهو يموت بين لي طمع وجشع أبيك من أجل ذلك أخذ عليه عهدا وأوصاه كثيرا بي ، أما الآن فسأذهب إلى أحد أصدقائي لأنام عنده بضعة أيام.

ودعها علي وشكر لها وقوفها بجانبه في همه وغمه ، وانصرف إلى بيت صديقه جعفر .

علم أهل القرية بقصة علي وعمه عدنان الذي جحد ميراثه ، فلام الناس العم ، وتكلم جعفر مع كبير القرية وطلب منه التشفع لعلي عند عمه ، وأن يخطب ابنته سعاد لعلي ، وأبدى له رغبة علي بمصاهرة عمه والتقرب إليه ، فزار شيخ القرية بصحبة جماعة من أهل الخير السيد عدنان ولكنه أنكر أي حقوق لعلي عنده ، وأنه بذلها عليه خلال السنوات الماضيات ، فذكروا له موضوع الزواج من ابنته لتعود المياه إلى مجاريها الصحيحة ، فغضب على ابن أخيه واستصغره وحقره أمام الوفد ، ورفض أي مصاهرة أو صلح بينهما ، وتأسف لهم بعدم التجاوب معهم ، وأخبر الشيخ الكبير جعفرا وعليا بفشل مهمته ، وأكد لهما جحود العم بأي حقوق لعلي ، ورفضه أي نسب بينه وبين ابن أخيه ، فلما سمع علي كلمات الشيخ الكبير ، ذكر لهم كلمات أبيه له وهو على فراش الموت ، وفي اللحظات الأخيرة له من هذه الحياة ، ثم أخبرهم بعزمه على المسير إلى مدينة القمر للبحث عن عمته زاهرة كما أوصاه والده ، فدهشوا لهذه الوصية وخافوا عليه غوائل الطرق والهجرة ، وحثوه على الصبر والتأني لعل الله يحدث أمرا ، ووعدوه بالمساعدة حتى يتحسن أمره ؛ ولكنه أصر على السفر ولقاء عمته ليتعرف عليها ، وطلب من صاحبه أن يوصل خبر رحيله لابنة عمه ويحثها على الإنتظار ، واستلف من صاحبه جعفر ثلاثة دراهم ، ومع انشقاق الفجر كان يغادر القرية متوجها إلى مدينة القمر .

حـوادث في الطريق

وبعد مسير طويل في إحدى الطرق توقف عند بئر ماء

يستريح ، فأخرج ما تزود به من الزاد فأكل ثم شرب ثم ملأ القربة الصغيرة التي يحملها ، وبينما هو يهم بالمسير فإذا بكلب أحمر ضخم يقترب من البئر ، وهو يلهث بشدة من شدة العطش ، فدلى علي الرشاء في البئر ونزح له ماء فسقاه ، وألقى إليه كسرة خبز



، فشكره الكلب على معروفه ، وأعطاه بضع شعرات من جسده وهو يقول : يا هذا هذه الشعرات هدية مني إليك ؛ فإذا احتجت لمساعدتي في يوم من الأيام فاخرج شعرة منها واقذفها في الهواء أو احرقها فسوف تصلني هذه الشعرة أو رائحتها وتخبرني بمكانك ، وأكون عندك في الوقت المناسب .

أخفى علي الشعرات في ثيابه ، وشكر الكلب الأحمر على معروفه ، وانصرف كل لغايته ، فسار علي متجها إلى مدينة القمر .

كان علي إذا أدركه الليل ولم يدخل قرية أو مدينة يبات فيها يبحث عن شجرة كبيرة ويصعد عليها ليرقد بين أغصانها خوفا وحذرا من سباع البر ، فأدركه الليل ذات ليلة وهو في أحد الوديان فتحرى عن شجرة عالية يقضي ليلته عليها ، فلما وجد ضالته تسلقها وعلى أحد الأغصان الغليظة جلس وأسند جسده على جذعها الضخم ، وهيأ نفسه للنوم ، وما غفى قليلا من الوقت حتى سمع في سكون الليل البهيم كلاما بشريا ، فأصغى رأسه بعد أن تنبهت حواسه جيدا ؛ فإذا الصوت يأتي من أسفل الشجرة التي يرقد عليها ، فقلب رأسه للأسفل واستمع ، وقد شاهد فانوسا ورجالا يتحدثون حول الشجرة التي يرقد فوقها فتوترت أعصابه وهمس لنفسه



" لعلهم مسافرون جلسوا يستريحون تحت هذه الشجرة الكبيرة " ؛ ولكنه بعد أن سمع بعض كلامهم غير رأيه ، وأدرك أن هؤلاء عصابة من اللصوص ، وقد سمع أحدهم يقول : أيها السادة .. اخبرني حرب عن الموضع الذي يضع الأمير فيه أمواله من ذهب وفضة ، فعلينا أن نزحف إلى البلدة بعد نصف الليل ، فنكون على طرف المدينة بعد ساعتين من المسير ، وهناك سنجد حربا في انتظارنا ، ونزحف للبيت الذي يضع الأمير فيه أمواله وسنجد حارسين فنتخلص منهما إما

بالموت وإما بالتقييد وهو الأفضل ونسرق ما نستطيع حمله ونعود إلى هذه الشجرة .

ولما انتهى الزعيم من توضيح خطته قام أحد أفراد العصابة بوضع طعاما وشرابا أمام الرجال ، وانكمش علي جيدا حتى لا يخرج منه صوت يفضحه أمام هؤلاء المجرمين ، وبعد نصف الليل ابتعدوا عن الشجرة فاحتار علي بما يفعل .. هل يهرب قبل أن يعودوا ؟ أم يتبعهم ويفسد عملهم ؟ .. أم ينتظر حتى يعودوا ويعرف مكان دفن الكنز ؟ .. فاختار الرأي الأخير وهو الانتظار وقضاء باقي الليل على الشجرة ، ثم يتابع مسيره إلى مدينة القمر .

ومع إشراقة الشمس الأولى عاد رجال العصابة ، وهم يحملون أكياسا محملة بالأموال الذهبية ، ولما استراحوا من المشي تقدم حرب من زعيم العصابة وقال : سوف أعود للمدينة أتابع الأخبار ، وكما ترى فإن الضربة تمت حسب الاتفاق ، أليس كذلك أيها الزعيم ؟

وجاء بعد حين رجال يحملون الطعام ، فأكل القوم وانصرف حرب تجاه المدينة ، وقال الزعيم : فلنصعد حيث الكهف ، ونخفي فيه الأموال وننتظر ماذا سيفعل حاكم المدينة قبل اقتسام هذا المال الكثير ؟



وصعدوا الجبل ، وكان علي يفكر بأمره وأمر هذه العصابة ، يفكر بالخطر المحدق به إذا رأوه ، ويخشى في نفس الوقت إن لم يسارع في تسليمهم للعدالة أن يزدادوا عتوا وفسادا في الأرض ، فشجع نفسه ورأى أن يعرف مكان الكهف مكان إخفاء المال ، ومن ثم السير للمدينة وإخبار أمرهم للحاكم ، فهبط عن الشجرة وأخذ يزحف وراء القوم حتى عرف الكهف الذي أخفوا المال فيه ، وكر عائدا جهة المدينة ، وعند دخول الظلام كان يدخلها ، وبدأ يسأل عن مكان يأوي إليه ، فصدف رجلا في الطريق فاستضافه الرجل في منزله وقال : تعال عندي أيها الغريب من أي البلاد قدمت ؟

فذكر له علي أنه مسافر إلى مدينة القمر زائرا لعمة له هاجرت إليها منذ سنوات طويلة ، فقدم له الرجل المائدة وسامره بعض الليل ، ثم تركه ينام .

وفي الصباح أتى المضيف مسلما ومرحبا فقال له علي : يا صاحبي يا شمر سأقص عليك حكاية صدفتها في

الطريق .

وروى له قصة اللصوص ، ولما انتهى علي من كلامه قال الرجل : لم نسمع بسرقة خزانة الأمير ولكن لي صديق يعمل عند أمير البلاد ، سوف أزوره وأسمع منه ، ثم أجمعك به إن كان هناك مال مسروق من خزانة الأمير .. فاذهب وتجول في المدينة وعند الظهيرة نلتقي هنا في هذا البيت فاحفظ المكان جيدا يا ولدي .

وافترقا على أمل اللقاء ظهرا ،



وقام علي بالتمشي في أسواق المدينة حينا من الوقت ، ثم قفل عائدا لبيت مضيفه على حسب الاتفاق بينهما .

فوجد شمرا يجلس مع رجل آخر ، فسلم عليهم ، ولما عادوا للجلوس قال شمر : يا ولدي يا علي هذا صديقي جيزان يعمل في ديوان الأمير ، فقد ذكر لي أن قصتك صحيحة ، وأن ثلاثة أكياس فقدت من خزانة الأمير ، ولما كشفت له أمرك دخل على الأمير ، وأخبره بأمرك وكلفه بالذهاب معك لإحضار المال خفية بدون أن يشعر سكان المدينة بالأمر لخطورة الأمر ، وحتى لا يشعر اللصوص باكتشاف خبرهم ، فالسيد جيزان سيهتم بالموضوع ودفع جيزان عقدا من الذهب والخرز البراق لعلي وهو يقول : وهذا العقد هدية من الأمير لك أيها الشجاع جزاء على الشجاعة التي تتصف بها يا أخ علي .. فإذا استطعت أنا وشمرا إحضار الأكياس ، فبها ونعمت ، وإن رأينا الأمر يحتاج لفرسان الأمير ، سأعود وآخذ كوكبة منهم

وحتى لا نؤخرك عن زيارة عمتك سنتحرك في المساء نحو الوادي ثم الجبل.

وعلي شاب طيب يحسن الظن بالناس كثيرا ، وقد اطمئن لمضيفه شمر ، وقد أكل من طعامه وبات في بيته ، فسار بهم حيث المغارة التي أخفى اللصوص فيها المال ، وتابع رحلته مع الفجر إلى ديار عمته زاهرة ، وبينما هو يسير قريبا من إحدى الغابات التي في دربه سمع صراخ فتاة تستغيث ، فاقترب بخفة نحو مصدر الصوت ؛ فإذا رجلان وبينهما فتاة شابة صغيرة مقيدة بالحبل ، وهي تصرخ والرجلان يحثانها على الصمت ، وأنه لا أحد في الغابة سواهم والحيوانات وقال لها أحدهم : سيأتي ابن عمك فهد ، وينتهي دورنا أيتها الفتاة فتعقلي وكفي عن العويل والبكاء ، فقلوبنا صماء لا تعرف الشفقة .

فازداد صراخ الفتاة ، وأدرك علي أن هذه الفتاة مخطوفة وأن هذين الرجلين خطفاها لقريب لها اسمه فهد ، ففكر بمساعدتها والوقوف إلى جانبها ، وفكر بالانقضاض على الرجلين ؛ ولكنه خشي أن يتفوقا عليه ، فهيئتهما تدل على أنهما مجرمان عتيدان أو ربما يحضر صاحبهما المجهول ، فقرر التريث ومراقبتهما حتى يجد فرصة سانحة ، ملأ الظلام المكان فسمع أحدهم يقول : تأخر الأمير فهد بالمجيء ما العمل يا كركم ؟ .. هل تظن أنه ضل الطريق ؟ .. ما رأيك بأن تذهب وترقب الطريق وتنظر يمينا وشمالا لعلك ترى شبحه قبل أن يشتد الظلام أكثر من ذلك ؟

وقف المدعو كركم وقال : أمرك يا صاحب .. بس احرص عليها جيدا .. فالحق أن الأمير فهدا تأخر كثيرا ، فلها بين أيدينا نصف نهار وأنا طهقت من عويلها ونباحها .

جاءت الفرصة السانحة لعلي فبعد ابتعاد خطوات الرجل قليلا بدأ يستعد للهجوم ؛ ولكنه قبل أن ينفذ الخطة سمع خطوات الرجل مرة أخرى فهمس :" هل جاء فهد ؟! " ؛ ولكنه سمع الرجل المدعو كركم يقول لصاحبه : لا أحد في الطريق يا جدعو فسأتقدم للأمام أكثر لعلني أجده في الطريق أو لعله تعرض لحدث أعاقه .

صاح جدعو : افعل ما تراه مناسبا .. ولكن لا تنس أنني هنا ، وأنا لا طاقة لي على طول الانتظار هل تسمع ؟

ابتعد كركم من جديد وقال علي : الفرصة تتحسن أكثر .

فسمع الرجل يقول للفتاة : سأنام قليلا يا مي أرجوك لا تزعجيني بصوت بكائك وصراخك

شاهده علي وهو يتمدد على الأرض ، وقال : الحمد لله ، فالله يهيئ لي الفرصة لإنقاذ هذه المظلومة

وتقدم نحوهما فسمع شخير الحارس أو الخاطف ، فشعرت به الفتاة فأشار لها إشارة بالصمت حتى اقترب منها فحل وثاقها ، وقام بتربيط الرجل به الذي استيقظ فوجد القيد حول قدميه ويديه ، ثم قال علي للفتاة : اتبعينني قبل أن يأتي صاحبه حتى أوصلك لأهلك .

ثم خطر على باله أمر فنفذه



سريعا ، وضع خرقة في فم الرجل ، وكمم فاه وألقاه في مغارة ، وأخذ الفتاة وهو يقول : أنا غريب أرجو أن تساعديني بتوصيلك لأهلك ولا تخافي مني .

فتشجعت الفتاة وشكرته وقد اطمأنت على مقصده ، فساروا نحو بلدتها ، وفي الطريق عرضت حكايتها على منقذها علي التي تتلخص بأنها ابنة أحد الأمراء ، ولها ابن عم يهيم بها عشقا وهوى وراغب وطامع بالزواج منها ؛ ولكنها صدته أكثر من مرة ، فاتفق مع هذين الوغدين على خطفها ، فساقوها إلى هذه الغابة حتى يحضر الأمير الوغد ، ويسير بها إلى بلدة أخرى ويرغمها على الزواج منه ، وأعلمته أن طريقة خطفها تمت في أحد بساتين عمها السلطان والد فهد .

ومع الصباح أشرف بها على أهلها الذين فرحوا بعودتها سالمة بدون أن تمس بأذى ، ولما شرحت لأبيها القصة حنق وضاق صدره على ابن أخيه ، ودخل على أخيه يشتكي له فعل ابنه القبيح ، فتوعد الرجل ابنه بسوء العقاب ، وقاموا بالثناء على علي وعلى غيرته وشجاعته ، وسمعوا بعضا من قصته ، فمنحه السلطان جوهرة ثمينة ونادرة المثال وسيفا مرصعا بالياقوت والذهب ووهبه والد مي حصانا عربيا أصيلا ، فشكرهما شكرا تاما وودعهما ، وقال له الأمير وهو يغادر البلدة : أيها الشاب الشجاع إن احتجت لشيء فلا تنسى أن تذكره لنا .. فنحن لا ننسى جميلك معنا أبد الدهر .. ولا ما فعلته مع ابنة أخي من حفظ لكرامتها وكرامتنا .

تم الجزء الأول

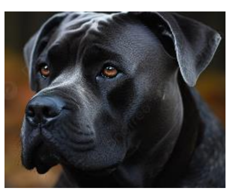
حجر القمر

وحش الغابة

الطيبة مدينة فعلا اسم على مسمى ، كما يقال الحب والود شائع بين الناس، الصغار يحترمون الكبار ، والكبار قدوة الصغار ، الأمن سمة البلاد ، والغني يشفق ويساعد الفقير ، والضعيف لذلك لو حدث مصيبة في المدينة الطيبة يتأثر بها كل أهل المدينة ، وينزعجون ويفزعون لحلها أو التخفيف من آثارها وحدتها.

وهذا ما حدث عندما كان شهاب الدين عائدا من زيارة شقيقته ذات ليلة ، وكان يصحبه زوجته وطفليه ، وكان وقت دخوله المدينة عند أول طلوع الفجر ، وما زال الليل قائما عندما لمح جسما ممددا في دربه .

فقال لزوجه بقلق فطري مشيرا إلى الجسم الملقى على الأرض : لماذا هذا الانسان نائما في الطريق ؟!



فقالت واجست خيفة : لعله مريض أغمي عليه!

فقال مضطربا :وماذا يفعل في

هذا الوقت؟
اقتربوا من الجسم ؛ فإذا هو رجل فنادى شهاب : يا هذا ! يا رجل! دنا منه أكثر وحدق فيه وقال برعب :كأنه ميت ! حركه فلم يتحرك فقال : ميت ؛ بل ها هي دماؤه تملأ الأرض تحته ! ما العمل ؟!
قالت باضطراب شديد : عليك بإخبار العسعس!
فقال : أين سأجد العسعس ؟ وكيف سأترككم ؟!
قالت : أنت سر لبيت العسعس ، وأنا أسير إلى بيتنا .
أقر قائلا : نعم ، لا يمكنك البقاء مع هذا الميت.
حضر العسعس للمكان ، وتأكدوا من موت الرجل ، وتبين أن أحد الوحوش تعرض له ، وقتله ؛ ولكنه لم يأكل من جسده قطعة ،فقال لشهاب : فقد هرب ؛ ربما لما شعر بكم اختفى.
فقال شهاب بتردد : وحش مفترس يترك فريسته بعد أن قتلها ؛ ليهرب منا .. نحن لم نسمع همهمة أو خيال حيوان.. ولماذا لم يهجم علينا ؟ ولماذا لم يعد لفريسته عندما ذهبت إليكم ؟
قال العسعسي : المهم أن الرجل ضحية ذئب أو ضبع .. علينا أن نعرف أسرته وأقاربه.
شيعت المدينة الضحية إلى قبرها ،وحزن الناس على الرجل ، ولم يكد الناس يفيقون من صدمة موت الرجل طحلب ، حتى اكتشف الناس ضحية جديدة امرأة شابة تأخرت في العودة لبيت والدتها ، فصرعها وحش من عنقها ، كانت عائدة لبيتها بعد وقت العشاء بزمن يسير ؛ كما روت أمها ،لأنها خرجت لقضاء حاجة عاجلة وتعود .
كان اغتيال المرأة محزنا ومؤلما لأهلها والجيران ، وسخط الناس على الشرطة من عدم كشفهم الحيوان الذي قتل طحلب ، ولو أنهم طاردوه ، وبحثوا عنه لما حصلت هذه الجريمة الوحشية ، وما قتلت رحمة .
الأهالي لهم سنوات وسنوات لم يسمعوا عن وحش يعتدي على أهل المدينة الطيبة فمن أين جاء هذا الوحش ؟ حتى رواد الغابة من صيادين وحطابين لم يحدث لهم قتل واغتيال ، زعم بعض الشباب والصيادين رؤية ثعالب وضباع في عمق الغابة أو قرب عين الغابة ؛ ولكن لم يخبر أحد أنه اصطاد حيوانا منها ، فمن أين أتت الذئاب لتقتل بشرا؟! فقيل وقيل ، فزعم البعض أن الوحش مختبئ في أحد البيوت ، وأنه يغافل صاحبه ويخرج يتجول ليلا في شوارع وأحياء المدينة الهادئة ، فالناس ترقد

مبكرا في هذه المدينة الطيبة . ولكن هذه الإشاعة لم تثبت ، لا أحد يعرف شخصا يملك مثل هذه الحيوانات بعضهم لديه كلاب صيد أو كلاب ماشية ورعي.

ذهب الهدوء والتسامح بسبب هذين الحادثين ، وقبل أن يعالج الناس الجرائم قتل طفل أثناء عودته بعد غروب الشمس بقليل ، ذهب بطعام لبيت شقيقته المتزوجة في نفس الحي أعدته أمه ولما قفل راجعا التقى بالوحش الخفي وعضه حتى مات ولما تأخر في العودة خرج شقيقه يرقب الطريق ، ثم سمع صراخا ، ثم تجمهر الناس ، فذهب نحو الجمهرة فوجد أن شقيقه أسعد مضرجا بدمه ، فهرعت الأسرة إليه باكية صارخة .

وحضر زعيم الشرطة وعلى نور المشاعل نقلت الجثة لبيت الأسرة ، وأصاب الشرطة الوهن والدهشة حتى وصل الأمر لوالي المدينة الذي سخط على رئيس شرطته ، وطلب الأمير ربيعة الذي كان سيد الشرطة قبل عشرات السنين ، وقص عليه حكاية الجرائم الثلاثة.

فقال الرجل : ثلاث جرائم قتل خلال أسبوعين في بلد كبلدنا ! هل مواقع الجرائم متقارب يا أيها الوالي؟

رد رئيس الشرطة : حدثت في أماكن قريبة في الجهة الشمالية القريبة من الغابة ولكن لم تأكل هذه الحيوانات المفترسة شيئا من أي الجثث .. قتل بالأنياب فحسب كما بان على الجثث ، لم تقتل لتأكل.

قال ربيعة مستفسرا : وهل يفعل المفترس ذلك؟!

رئيس الشرطة : هذا ما يحير !

قال ربيعة مقررا : إذن القتل للقتل ، وهذا ليس فعل الحيوان الغريزي .

رئيس الشرطة مؤكدا : نعم ، هذا بين يا سيدي ربيعة!

عاد ربيعة يقول : معنى ذلك أن هذا الوحش يعمل كوحش الصياد يصيد لصاحبه ..فهل لدى الصيادين فهود للصيد ؟

رئيس الشرطة مجيبا : حسب علمنا أن صيادي المدينة لا يصيدون بهذا النوع من الحيوان ، يصيدون بالباز والصقر .

قال ربيعة : وما الغاية من هذه الجرائم العنيفة؟

رئيس الشرطة بحيرة : لم نعرف غاية أيها السادة!

قال ربيعة : عليك بمضاعفة العسعس في تلك المنطقة من المدينة طوال الليل .

وأكد الوالي بعد سماعه الحوار بين قادة الشرطة على تنفيذ ذلك ، ومضت أسابيع دون وقوع أي حادث قتل في المنطقة والمدينة ، وسبب ذلك المزيد من القلق والرعب

للسكان ، وأكد أن عدوا يتربص بهم من داخل المدينة .
كان السخط والغضب يعم المدينة ، فكيف يسقط ثلاث ضحايا ؟ ولم يعرف الجاني القاتل كل هذا الزمن ، أمام هذا الرعب المخيم على المجتمع تعهد ثلاثة شباب بالبحث عن الوحش ، ومعرفة المكان الذي يأتي منه لداخل المدينة ، وقاموا بهذا التعهد بينهم ، فأخذ هؤلاء الشباب يتمشون ليلا في المنطقة التي حدثت فيها الأحداث ، وبعد مرور عدة أيام من السهر والتعب لمحوا شبحا يخرج من الغابة فكمنوا له ، ورأوا رجلا يقود كلبا أسود ضخما ، ورأوه يدخل أحد الطرق ، وظل يتمشى ساعة من الزمن، ثم عاد للغابة ، فتبعه الرجال عن بعد ، ولما أصبح في وسط الغابة اختفى عن أعينهم ، وظلوا يرقبون المكان، ولم يظهر الرجل ذو الزِّي الأسود والكلب الأسود ، وعند الفجر رأوا رجلا يدخل الغابة ، وهو يتلف قلقا فاستيقظت حواسهم ثم اختفى الرجل دون أن يعرفوا مكان اختفائه .
فقال عصر : هنا مكان خفي ، فالرجل الأسود اختفى هنا ، ثم هذا الرجل الذي اعتقد أنه أتى من المدينة.
راقب الشبان الثلاثة عمق الغابة عدة ليالي ، وعرفوا بيت الرجل الذي يزور الغابة عند الفجر ، وعلموا أنه تاجر جوال ، وأن الرجل طحلب الذي قتل رفيقه في التجارة ، وهم يأخذون البضاعة ويذهبون للقرى والبلدات المجاورة ، وعلموا أن بينه وبين القتيل نزاع على بعض المال ولم يكن نزاعهم داخل المدينة الطيبة وترجح لديهم أنه هو الذي تسبب في سفك دمه بواسطة رجل وكلب الغابة .
وعلموا أن السر وراء هذه الجرائم عند وحش الغابة صاحب الكلب ، وأن عليهم أن يوقعوا بوحش الغابة ؛ لعله يعترف لهم .
وضعوا خطة لصيد رجل الغابة ، وهي مراقبة بيت التاجر السواح ، ولما قدم رجل الغابة ليقابله تبعوه ، وهو يدخل البيت بعد أن وضعوا للكلب مخدرا في قطعة لحم ثم تسللوا لحجرة اللقاء واقتحموا الغرفة بدون إذن ، وتم تربيط الرجلين قبل أن يستيقظا من دهشتهما ، ولم كمل ذلك ، قال عصر : الآن عليكما بشرح جرائمكم.
قال التاجر : أي جرائم ؟!
قال عصر : جريمة قتل صاحبك .
قال التاجر : أنا لم اقتله ، ولم يقتله أحد منا ، الكلب اعتدى عليه ومات.

قال عصر : من دفع الكلب للاعتداء عليه؟
قال التاجر : كنّا نسهر معا ، ولما عاد لبيته تعرض له الكلب دون علمنا فألقيناه في الطريق ، وخشينا إخبار الشرطة ، واهله ، هو ليس له أهل هنا ، هو غريب عن المدينة ؛ ولكنني أعرف أخته فنبأتها بموته.
قال عصر : والمرأة !
قال التاجر : كان صاحبي هذا قادما لزيارتي فتصادف ذلك بوجودها ، فلم ندركها الا بعد أن قتلها الكلب .
قال عصر : والطفل حدث معه ؛ كما حدث للمرأة !
قال التاجر : صحيح .
قال عصر : لكنكم لم تعترفوا للشرطة بذلك ، وسكتّم عن الامر .. ومالي أرى صاحبك صامتا هل هو أخرس؟!
رد صاب الكلب بحدة : لست أخرس أيها الشاب ! من أنتم؟!
قال عصر : نحن لنا زمن نراقبكم ، وعرفنا مكانك في الغابة ، وعلاقتك بهذا السيد.
قال التاجر الكهل: أنا لم أقتل أحدا ؛ إنما فعل ذلك الكلب.
قال عصر : كان عليك قتل الكلب لما اعتاد على ايذاء الناس، وإبلاغ الشرطة عن شخصية القتيل .
قال التاجر : هل أنتم من رجال الوالي؟
قال عصر : نعم ، نحن من أعوان الوالي ، ولسوف يحضر قائد العسعس لاستلامكم منا ، وسنذهب إلى الغابة لأسر الكلب وإعدامه .
قال شبح الغابة: الكلب قد مات .
قال عصر : مات ! وكيف هلك ؟
قال شبح الغابة : هلك ؛ كما تنفق المخلوقات كلها.
قال عصر : يعني أنك لم تفتك به.
قال شبح الغابة : هلك من نفسه مرض ، ومات.
قال عصر : ليس مهما ، سنذهب إلى مكان اختبائك ، ونريد ان نعرف لماذا أنت تعيش في الغابة ؟
قال شبح الغابة : طول عمري أعيش في الغابة منذ كنت طفلا
قال عصر : وكيف تعرفت على هذا الخائن؟
قال شبح الغابة : حضر للغابة وأعطاني ثيابا ، وهو يفعل ذلك من زمن وعهد بعيد وحدثني قبل أسابيع عن مشاجرته مع شريكه ورغبته في الخلاص منه
فصاح التاجر: لا تتكلم أنك تضرني.
قال شبح الغابة : لن أتحمل الجريمة وحدي .
قال التاجر : إنهم يسخرون منا ، وما هم من الشرطة.
صفع أحدهم الرجل ، وقال: اخرس أيها الخائن ، نحن نعلم

بغدرك لصاحبك جاره نفيس في بلدته حدثنا عن ذلك ، وصرح بأن صاحبه أخبره أنه اذا قتل غدرا أنت الفاعل يا جعلان ؛ ولكن الذي ساعدك على عدم القبض عليك أنه قتل هنا ولم يتعرف عليه أحد إلا أنت ، وزعمت أنه تاجر مثلك ، ولا تعرف مسقط رأسه تكلم يا جسار بها تعرف

قال شبح الغابة : المهم أن الرجل طلب مني المساعدة ، ورسمنا قصة مصرعه بواسطة الكلب الأسود ، ونجح الكلب بعضه حتى مات.

قال عصر : والمرأة لماذا قتلتموها؟

قال شبح الغابة : رأتنا وهي عائدة لبيتها ، كنّا نتحدث أو قل نتشاجر ومرت بالقرب منا خفنا منها ، وآثار هذا الرعب منها في قلبي ، فأطلقت عليها الكلب فصرعها واختفينا .

قال عصر للتاجر : وأنت لماذا قتلتها ؟

قال التاجر : كما قال صاحب الكلب كنّا نتشاجر أثناء قربها منها ، فوقفت تتسمع علينا مما آثار خوفنا ورعبنا كان حديثنا بصوت عال.

قال عصر : والطفل الصغير.

قال التاجر معترفا : جريمة تجر لجريمة ، القاتل يرغب بقتل كل الناس حتى يحمي نفسه ، لما اضطررت لقتل شريكي أخذ هذا الصعلوك يطلب المزيد من المال والاشياء ، وكثرت لقاءتنا ، وكنت منتظرا له ذات ليلة ليأخذ بعض المال ، ولا أدري إلا أنه قال لي لقد اعتدى الكلب على شاب صغير دون اراداتي ، فغضبت من جنونه وطردته حتى نرى ردة فعل الناس ، ثم زارني طالبا للمزيد من المال ، وأن أزوره في الغابة ، ولما زرته دفعت له ، وقتلنا الكلب ، قد أحضرت له طعاما مسموما فمات أو قتل الكلب ، وجاء اليوم يطلب ثمنه أيها السادة ! وعلينا أن نسلم أنفسنا لكم .

فهذه قصة وحش الغابة

معن بن زائدة

كَانَ الْمَنْصُور قد طلب معن بن زَائِدَة الشَّيْبَانِيّ طلبا شَدِيدا، وَجعل فِيهِ مَالا.

فَحَدث معن بِالْيمن، أَنه اضْطر لشدَّة الطّلب أَن قَامَ فِي الشَّمْس، حَتَّى لوحت وَجهه، وخفف من عارضيه ولحيته، وَلبس جُبَّة صوف غَلِيظَة، وَركب جملا من جمال النقالة، وَخرج عَلَيْهِ ليمضي إِلَى الْبَادِيَة، وَقد كَانَ أبلى فِي الْحَرْب بَين يَدي ابْن هُبَيْرَة بلَاء حسنا، فغاظ الْمَنْصُور، وجد فِي طلبه.

قَالَ معن: فَلَمَّا خرجت من بَاب حَرْب، تَبِعنِي أسود، مُتَقَلِّدًا سَيْفا، حَتَّى إِذا غبت عَن الحرس، قبض على خطام الْجمل، فأناخه، وَقبض عَليّ.

فَقلت: مَالك؟ فَقَالَ: أَنْت طلبة أَمِير الْمُؤمنِينَ.
فَقلت: وَمن أَنا حَتَّى يطلبني أَمِير الْمُؤمنِينَ.
قَالَ: أَنْت معن بن زَائِدَة.
فَقلت: يَا هَذَا اتَّقِ الله، وَأَيْنَ أَنا من معن بن زَائِدَة.
فَقَالَ: دع عَنْك هَذَا، فَأَنا وَالله أعرف بك مِنْك.
فَقلت لَهُ: فَإِن كَانَت الْقِصَّة كَمَا تَقول، فَهَذَا جَوْهَر حملته معي بأضعاف مَا بذل الْمَنْصُور لمن جَاءَ بِي، فَخذه، وَلَا تسفك دمي.
فَقَالَ: هاته، فَأَخْرَجته إِلَيْهِ.
فَنظر إِلَيْهِ سَاعَة، وَقَالَ: صدقت فِي قِيمَته، وَلست قابله حَتَّى أَسأَلك عَن شَيْء، فَإِن صدقتني أطلقتك.
فَقلت: قل.
قَالَ: إِن النَّاس قد وصفوك بالجود، فَأَخْبرنِي هَل وهبت قطّ مَالك كُله؟ قلت: لَا.
قَالَ: فنصفه؟ قلت: لَا. قَالَ: فثلثه؟ قلت: لَا، حَتَّى بلغ الْعشْر.
فَاسْتَحْيَيْت، فَقلت: أَظن أَنِّي قد فعلت ذَلِك.
قَالَ: مَا أَرَاك فعلته، وَأَنا وَالله رَاجل، ورزقي مَعَ أبي جَعْفَر عشرُون درهما، وَهَذَا الْجَوْهَر قِيمَته آلَاف دَنَانِير، وَقد وهبته لَك، ووهبتك لنَفسك، ولجودك الْمَأْثُور بَين النَّاس، ولتعلم أَن فِي الدُّنْيَا أَجود مِنْك فَلَا تعجبك نَفسك، ولتحقر بعْدهَا كل شَيْء تعمله، وَلَا تتَوَقَّف عَن مكرمَة، ثمَّ رمى العقد فِي حجري، وخلى خطام الْبَعِير، وَانْصَرف.
فَقلت لَهُ: يَا هَذَا، قد وَالله فضحتني، ولسفك دمي أَهْون عَليّ مِمَّا فعلته، فَخذ مَا دَفعته إِلَيْك، فَإِنِّي عَنهُ غَنِي.
فَضَحِك، وَقَالَ: أردْت أَن تكذبني فِي مقالي هَذَا، وَالله لَا أَخَذته، وَلَا آخذ لمعروف ثمنا أبدا، وَتَركنِي وَمضى.
فوَاللهِ لقد طلبته بعد أَن أمنت، وضمنت لمن جَاءَنِي بِهِ مَا شَاءَ، فَمَا عرفت لَهُ خَبرا، وَكَأن الأَرْض ابتلعته.

سَبَب رضَا الْمَنْصُور عَن معن بن زَائِدَة

وَكَانَ سَبَب رضَا الْمَنْصُور عَن معن بن زَائِدَة، أَنه لم يزل مستترًا، حَتَّى يَوْم الهاشمية، ووثب الْقَوْم على الْمَنْصُور وكادوا يقتلونه، فَوَثَبَ معن وَهُوَ متلثم، وانتضى سَيْفه، فقاتل، وأبلى بلَاء حسنا، وذب الْقَوْم عَنهُ، والمنصور رَاكب على بغلة ولجامها بيد الرّبيع.
فَقَالَ لَهُ: تَنَح، فَإِنِّي أَحَق بلِجَامِهَا فِي هَذَا الْوَقْت.
فَقَالَ لَهُ الْمَنْصُور: صدق، ادفعه إِلَيْهِ، فَأَخذه، وَلم يزل يُقَاتل، حَتَّى انكشفت تِلْكَ الْحَال.
فَقَالَ لَهُ الْمَنْصُور: من أَنْت لله أَبوك؟ فَقَالَ: أَنا طلبتك يَا أَمِير الْمُؤمنِينَ، معن بن زَائِدَة.
فَقَالَ: قد أمنك الله على نَفسك

وَمَالك، وَمثلك يصطنع، ثمَّ أَخذه مَعَه، وخلع عَلَيْهِ، وحباه، وقربه.

ثمَّ دَعَا بِهِ يَوْمًا، فَقَالَ: إِنِّي قد أهلتك لأمر، فَانْظُر كَيفَ تكون فِيهِ؟ فَقَالَ: كَمَا تحب يَا أَمِير الْمُؤمنِينَ، فولاه الْيمن، وَتوجه إِلَيْهَا، فَبسط فيهم السَّيْف، حَتَّى اسْتَووا.

قَالَ مَرْوَان: وَقدم معن بن زَائِدَة بعقب ذَلِك على الْمَنْصُور، فَقَالَ لَهُ، بعد كَلَام طَوِيل: قد بلغ أَمِير الْمُؤمنِينَ عَنْك شَيْء، لَوْلَا مَكَانك عِنْده، ورأيه فِيك، لغضب عَلَيْك.

فَقَالَ: وَمَا ذَاك يَا أَمِير الْمُؤمنِينَ؟ فوَاللهِ مَا تعرضت لسخطك، فَقَالَ: عطاءك مَرْوَان بن حَفْصَة، لقَوْله فِيك:

معن بن زَائِدَة الَّذِي زيدت بِهِ ** شرفًا إِلَى شرف بَنو شَيبَان

إِن عدّ أيّام الفعال فإنّما ** يوماه يَوْم ندى وَيَوْم طعان

فَقَالَ: وَالله، يَا أَمِير الْمُؤمنِينَ، مَا أَعْطيته مَا بلغك، لهَذَا الشّعْر، وَلَكِن لقَوْله:

مَا زلتَ يَوْم الهاشميّة مُعْلنا ** بِالسَّيْفِ دون خَليفَة الرَّحْمَن

فمنعت حوزته وَكنت وقاءه ** من وَقع كلّ مهنّد وَسنَان

قَالَ: فاستحيا الْمَنْصُور، وَقَالَ: إِنَّمَا أَعْطَيْت لمثل هَذَا القَوْل؟ فَقَالَ: نعم، يَا أَمِير الْمُؤمنِينَ، وَلَوْلَا مَخَافَة الشنعة، لأمكنته من مَفَاتِيح بيُوت الْأَمْوَال، وأبحته إِيَّاهَا.

فَقَالَ الْمَنْصُور: لله دَرك من أَعْرَابِي، مَا أَهْون عَلَيْك مَا يعز على النَّاس وَأهل الحزم.

موضع الدفن

أَن رجلا جَاءَ إِلَى أبي حنيفَة فَشَكا لَهُ أَنه دفن مَالا فِي مَوضِع وَلَا يذكر الْموضع فَقَالَ أَبُو حنيفَة لَيْسَ هَذَا فقهاً فاحتال لَك فِيهِ وَلَكِن اذْهَبْ فصل اللَّيْلَة إِلَى الْغَدَاة فَإنَّك ستذكره إِن شَاءَ الله تَعَالَى فَفعل الرجل ذَلِك فَلم يمض إِلَّا أقل من ربع اللَّيْل حَتَّى ذكر الْموضع فجَاء إِلَى أبي حنيفَة فَأخْبرهُ فَقَالَ قد علمت أَن الشَّيْطَان لَا يدعك تصلي حَتَّى تذكر فَهَلا أتممت ليلتك شكر الله ﷻ

**

وقال المغيرة بن شعبة: لم يخدعني غير غلام من بني الحرث بن كعب، فإني ذكرت امرأة منهم لأتزوجها، فقال: أيها الأمير لا خير لك فيها، فقلت: ولم؟ قال: رأيت رجلا يقبلها، فاعرض عنها، فتزوجها الفتى، فلمته، وقلت ألم تخبرني أنك رأيت رجلا يقبلها؟ قال: نعم رأيت أباها يقبلها.



انتهى الجزء الثالث



مشاهد تربوية
منشورات المكتبة الخاصة
كلام المكاتب
جمال شاهين
منشورات المكتبة الخاصة
حديقة الازهار
مواقف ارشادية
زهرات نبوية
جمال شاهين
منشورات المكتبة الخاصة
الزمردة
جمال شاهين
منشورات المكتبة الخاصة
حجر القمر
الجواهر العشر
جمال شاهين
منشورات المكتبة الخاصة
غربتي وابنتي
جمال شاهين
منشورات المكتبة الخاصة
قصص المصباح المضيء
جمال شاهين
منشورات المكتبة الخاصة
وهج الحرب
جمال شاهين
منشورات المكتبة الخاصة
جمال شاهين
منشورات المكتبة الخاصة
موقعة الثلاثة والعشرين
جمال شاهين
منشورات المكتبة الخاصة
الفوارس
حضرم بن سلام
جمال شاهين
الفوارس
رُمان
جمال شاهين
منشورات المكتبة الخاصة
الفوارس
القصر المهجور
جمال شاهين
قريشا ...
جمال شاهين
منشورات المكتبة الخاصة
هو أنت لاجئ
جمال شاهين
الفوارس
عبد الله البحري
جمال شاهين
منشورات المكتبة الخاصة
الفوارس
مملكة مالوتيا والملك بربار
جمال شاهين
الفوارس
الأميرة نهر الأحلام
جمال شاهين
منشورات المكتبة الخاصة
الفوارس
قطبة بن سنان
جمال شاهين
الفوارس
الأمير جفر
جمال شاهين
منشورات المكتبة الخاصة
التحقيق الجنائي والجريمة
جمال شاهين
صورة الأم
منشورات المكتبة الخاصة
التحقيق الجنائي والجريمة
جمال شاهين
بصمة وراثية
منشورات المكتبة الخاصة
التحقيق الجنائي والجريمة
جمال شاهين
رجل اسمه سنار
منشورات المكتبة الخاصة
الفوارس
حسان والطير الذهبي
جمال شاهين
منشورات المكتبة الخاصة
الفوارس
زهلول في أرض الجآن
جمال شاهين
التحقيق الجنائي والجريمة
جمال شاهين
وصية جديدة
منشورات المكتبة الخاصة
التحقيق الجنائي والجريمة
جمال شاهين
مغامرة النادي
منشورات المكتبة الخاصة
التحقيق الجنائي والجريمة
جمال شاهين
مصرع المدير
منشورات المكتبة الخاصة
التحقيق الجنائي والجريمة
جمال شاهين
شارع البحيرة الخامسة
منشورات المكتبة الخاصة
التحقيق الجنائي والجريمة
جمال شاهين
ليموت الماضي
منشورات المكتبة الخاصة

جمال شاهين

قلب الوطن

حكايات الفوارس

روايات اجتماعية

روايات جنائية

حديقة الازهار

جواهر القصص

قصص اخرى

المكتبة الخاصة

قصص

المصباح

المضيء

الجزء ٤

٢٠٢٤

إعداد

جمال شاهين

قصص المصباح المضيء

الجزء الرابع

قصة النبي صالح

أرسل الله نبيه صالحاً عليه السلام إل قبيلة ثمود، وهي من قبائل العرب، وكان صالح واحداً منها، وكانت مساكنها بـ (الحِجْر) ، وكان قوم صالح عليه السلام قد أنعم الله عليهم بمظاهر الحضارة من العمران والبنيان، بيد أنهم كانوا جاحدين لأنعمه، منكرين لوحدانيته. وقد طالبوا نبيهم بمعجزة تثبت أنه رسول من الله إليهم، فأتاهم بالناقة. وأمرهم أن يتركوا الناقة وشأنها، ولا يمسوها بسوء، غير أنهم لم يلتفتوا لأمره، وقتلوا الناقة، فعاقبهم سبحانه شر عقاب، ونج نبيه صالحاً والذين آمنوا معه.

العنصر الأول :دعوة النبي صالح عليه السلام قومه إل عبادة الله وحده والإخلاص له، ونبذ كل معبود سواه، سواء أكان المعبود صنماً، أم وثناً، أم غير ذلك. وقد تعددت الآيات الواردة في تقرير هذه الدعوة، منها قوله تعالى } :قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره وقوله عز وجل} :إذ قال لهم أخوهم صالح ألا تتقون . ومنها أيضاً قوله سبحانه} :أن اعبدوا الله وقوله عز من قائل : }فاستغفروه ثم توبوا إليه وقوله تعالى } :لولا تستغفرون الله لعلكم ترحمون

العنصر الثاني :ذِكْر المعجزة التي جاءهم بها، تصديقاً لرسالته، وانقياداً لدعوته، جاء ذلك في قال تعالى :قد جاءتكم بينة من ربكم هذه ناقة الله لكم آية) . وقوله سبحانه: وآتينا ثمود الناقة مبصرة وقوله ﷻ قال هذه ناقة لها شرب ولكم شرب يوم معلوم

العنصر الثالث: تذكيرهم بما أنعم الله عليه من نعم، وما منَّ عليهم من مِنَن، جاء في ذلك قوله عز من قائل } : واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبوأكم في الأرض تتخذون من سهولها قصورا وتنحتون الجبال بيوتا وقوله سبحانه} :هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها)

العنصر الرابع :الإنكار عليهم لما هم عليه من فساد عريض وطغيان كبير، وإيثار للحياة الدنيا عل الحياة الآخرة، نقرأ في ذلك قوله تعالى :فاذكروا آلاء الله ولا تعثوا في الأرض مفسدين) وقوله سبحانه} :وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا آمنين) وقوله عز وجل} :أتتركون في ما ها هنا آمنين * في جنات وعيون * وزروع ونخل طلعها هضيم * وتنحتون من الجبال بيوتا فارهين . وقوله عز من قائل} :يا قوم لم تستعجلون بالسيئة قبل الحسنة

العنصر الخامس :موقف قوم صالح عليه السلام من دعوته نحا منح السخرية والتكبر والاستعلاء في الأرض، وهو ما أشارت إليه الآيات التاليات: قوله سبحانه} :فعقروا الناقة وعتوا عن أمر ربهم

وقالوا يا صالح ائتنا بما تعدنا إن كنت من المرسلين وقوله تعالى} :قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا أتنهانا أن نعبد ما يعبد آباؤنا وإننا لفي شك مما تدعونا إليه مريب. وقوله سبحانه : }وآتيناهم آياتنا فكانوا عنها معرضين) . وقوله عز وجل} :قالوا إنما أنت من المسحرين * ما أنت إلا بشر مثلنا فأت بآية إن كنت من الصادقين وقوله عز من قائل} :قالوا اطيرنا بك وبمن معك وقوله تعالى} :فقالوا أبشرا منا واحدا نتبعه إنا إذا لفي ضلال وسعر * أؤلقي الذكر عليه من بيننا بل هو كذاب أشر

العنصر السادس :بيان عاقبة المعرضين عن دعوة الله، والمنكرين لها، وعاقبة المستجيبين لها، والمنقادين لأمرها، وهو ما عبرت عنه الآيات الآتية: قوله تعالى} :فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين} وأخذ الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا في ديارهم جاثمين * كأن لم يغنوا فيها ألا إن ثمود كفروا ربهم ألا بعدا لثمود . وقوله سبحانه} :فأخذتهم الصيحة مصبحين) وقوله عز وجل} :فلما جاء أمرنا نجينا صالحا والذين آمنوا معه برحمة منا ومن خزي يومئذ وقوله تعال : }فأخذهم العذاب إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وقوله عز وجل} :فانظر كيف كان عاقبة مكرهم أنا دمرناهم وقومهم أجمعين * فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا إن في ذلك لآية لقوم يعلمون وقوله تعالى } :فأخذتهم صاعقة العذاب الهون بما كانوا يكسبون) وقوله سبحانه : }فأخذتهم الصاعقة وهم ينظرون * فما استطاعوا من قيام وما كانوا منتصرين) وقوله تعالى } :فأما ثمود فأهلكوا بالطاغية) وقوله عز وجل } :فدمدم عليهم ربهم بذنبهم فسواها ويلاحظ أن الآيات الكريمة عبرت عن} العذاب الذي أصاب قوم صالح عليه السلام، تارة بـ} الصيحة، وتارة بـ }الرجفة، وتارة بـ } الصاعقة ، وتارة} بالطاغية، ولا تعارض بين هذه التعبيرات؛ لأنها متقاربة في معناها، ويكمل بعضها بعضاً، وهي تدل عل شدة ما أصابهم من عذاب .

وعل العكس من ذلك، فقد كانت عاقبة المؤمنين النجاة والتأييد من الله رب العالمين؛ وذلك ببركة تقواهم، وخوفهم من عذاب خالقهم، واتباعهم للحق الذي جاءهم به، قال تعالى} :نجينا صالحا والذين آمنوا معه برحمة منا ومن خزي يومئذ . وقال عز وجل} :وأنجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون). وقال سبحانه} :ونجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون) فصلت:١٨). وفي هذا البيان تأكيد لسُنَّة من سُنَن الله التي لا تتخلف ولا تتبدل، ألا وهي عقاب الظالمين، ونجاة المؤمنين . قصة النبي صالح عليه السلام مع قومه –كسائر

قصص القرآن- غنية بالعبر، وزاخرة بالعظات، نذكر منها :

أولاً :أن صالحاً عليه السلام بذل مع قومه غاية ألوان الترغيب والترهيب، وهو يدعوهم إل عبادة الله، ونبذ كل شيء سواه. وقد داوم عل هذه الدعوة دون يأس أو ملل إل أن بلَّغ رسالة ربه عل الوجه الأكمل

ثانياً :أن العقلاء من الناس يعتبرون بآثار الظالمين، ويربؤون بأنفسهم عن أن يسلكوا، أو أن يسكنوا مساكن الذي ظلموا أنفسهم؛ خوفاً أن يصيبهم ما أصاب أولئك الظالمين .

ثالثاً :أن الإيمان إذا خالطت بشاشته القلوب، واستقر في النفوس، ولَّد فيها الشجاعة، والقوة، والإقدام، والصراحة .رابعاً :أن العقلاء المخلصين يستعملون دائماً في دعوتهم الأساليب المنطقية الحكيمة مع غيرهم، وهذا نراه واضحاً في جدال صالح عليه السلام مع قومه، كما تجل ذلك في قوله سبحانه} :لم تستعجلون بالسيئة قبل الحسنة لولا تستغفرون الله لعلكم ترحمون).

وأن صالحاً سلك في دعوته لقومه أحكم الأساليب وأقومها وأقواها. خامساً :أن النعم التي يُنعم الله بها عل عباده، إذا لم يُحْسِن العباد تسخيرها في طاعة الله، فإنها تنقلب عليهم نقماً .

قصص من السنة

أحبَّه الله لِحبِّه لأخيه في الله

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ: «أَنَّ رَجُلًا زَارَ أَخًا لَهُ فِي قَرْيَةٍ أُخْرَى، فَأَرْصَدَ اللهُ لَهُ عَلَى مَدْرَجَتِهِ مَلَكًا، فَلَمَّا أَتَى عَلَيْهِ قَالَ: «أَيْنَ تُرِيدُ؟» قَالَ: «أُرِيدُ أَخًا لِي فِي هَذِهِ الْقَرْيَةِ». قَالَ: «هَلْ لَكَ عَلَيْهِ مِنْ نِعْمَةٍ تَرُبُّهَا؟» قَالَ: «لَا، غَيْرَ أَنِّي أَحْبَبْتُهُ فِي الله ﷻ». قَالَ: «فَإِنِّي رَسُولُ الله إِلَيْكَ بِأَنَّ اللهَ قَدْ أَحَبَّكَ كَمَا أَحْبَبْتَهُ فِيهِ».(رواه مسلم)

نِعْمَة تَرُبُّهَا: أَيْ تَقُوم بِإِصْلَاحِهَا، وَتَنْهَض إِلَيْهِ بِسَبَبِ ذَلِكَ. من عبر القصة:١ - فَضْل الْمَحَبَّة فِي الله تَعَالَى، وَأَنَّهَا سَبَب لِحُبِّ الله تَعَالَى الْعَبْد. ٢ - فَضِيلَة التزاور في الله ﷻ ٣ - أَنَّ الْآدَمِيِّينَ قَدْ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَة. ٤ - فضل الإخلاص.

سَقي كَلْبٍ

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «بَيْنَا رَجُلٌ يَمْشِي فَاشْتَدَّ عَلَيْهِ الْعَطَشُ، فَنَزَلَ بِئْرًا فَشَرِبَ مِنْهَا ثُمَّ خَرَجَ فَإِذَا هُوَ بِكَلْبٍ يَلْهَثُ يَأْكُلُ الثَّرَى مِنْ الْعَطَشِ، فَقَالَ: «لَقَدْ بَلَغَ هَذَا مِثْلُ الَّذِي بَلَغَ بِي». فَمَلَأَ خُفَّهُ ثُمَّ أَمْسَكَهُ بِفِيهِ، ثُمَّ رَقِيَ فَسَقَى الْكَلْبَ؛ فَشَكَرَ الله لَهُ؛ فَغَفَرَ لَهُ». قَالُوا: «يَا رَسُولَ الله، وَإِنَّ لَنَا فِي الْبَهَائِمِ أَجْرًا؟» قَالَ: «فِي كُلِّ كَبِدٍ رَطْبَةٍ أَجْرٌ». (رواه البخاري) فِي كُلّ كَبِد رَطْبَة أَجر: أَيْ كُلّ كَبِد حَيَّة، وَالْمُرَاد رُطُوبَة الْحَيَاة، أَوْ

لِأَنَّ الرُّطُوبَة لَازِمَة لِلْحَيَاةِ فَهُوَ كِنَايَة، أَيْ الْأَجْر ثَابِت فِي إِرْوَاء كُلّ كَبِد حَيَّة.

قَالَ الدَّاوُدِيُّ: الْمَعْنَى: فِي كُلّ كَبِد حَيّ أَجْر، وَهُوَ عَامّ فِي جَمِيع الْحَيَوَان. وَقَالَ اِبْن التِّين: لَا يَمْتَنِع إِجْرَاؤُهُ عَلَى عُمُومه، يَعْنِي: فَيُسْقَى ثُمَّ يُقْتَل لِأَنَّا أُمِرْنَا بِأَنْ نُحْسِن الْقِتْلَة وَنُهِينَا عَنْ الْمُثْلَة. بَرَكَة التَّسْلِيم وَالرِّضَا، وَذَمَّ التَّضَجُّرِ بِالْقَضَاءِ كَمَا قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: لَا تَقْطَعُ الْخِدْمَةَ وَلَوْ ظَهَرَ لَك عَدَم الْقَبُول.

أَحْمَقُ مِنْ هَبَنَّقَةَ

واسمه يزيد بن ثَرْوَان أحدُ بني قيس بن ثعلبة، وبلغ من حُمْقه أنه ضلَّ له بَعير، فجعل ينادي: مَنْ وجَد بعيري فهو له، فقيل له: فلم تَنْشُده؟ قال: فأين حلاوة الوجْدَان!؟ ومن حُمْقه أنه جعل في عُنُقه قِلادة من وَدَع وعِظامٍ وخَزَف، وهو ذو لحية طويلة، فسُئِل عن ذلك، فقال: لأعرف بها نفسي، ولئلا أضل، فبات ذات ليلة وأَخَذَ أخوه قلادتَه فتقلَّدها، فلما أصبح ورأى القلادة في عنق أخيه قال: يا أخي أنت أنا فمن أنا؟. ومن حُمْقه أنه كان يرعى غنم أهله فيرعى السِّمَان في العشب ويُنَحِّي المهازيلَ، فقيل له: ويحك! ما تَصْنَع؟ قال: لا أفسد ما أصلحه الله، ولا أصلح ما أفسده.

أَحْمقُ مِنْ جَهِيزَةَ

قال ابن السِّكِّيت: هي أم شبيب الحَرُورى ومن حمقها أنها لما حملت شَبيبا فأثقلت قالت لأحمائها: إن في بطني شيئاً ينقر، فنشرن عنها هذه الكلمة، فحمقت. وقيل: إنها قعدت في مسجد الكوفة تَبُول، فلذلك حمقت. وزعم قوم أن الجهيزة عِرْسُ الذئبِ، يعنون الذئبة، وحمقها أنها تَدَعُ ولَدَها وترضع ولد الضبع، قالوا: وهذا معنى قول ابن جِذْل الطِّعَان

كمُرْضِعَةٍ أولاد أخْرَى، وضَيَّعَتْ ❊❊ بنيها، فلم ترقع بذلك مَرْقَعَا

ويقال هي الدبة.

أَحْمَقَ مِنْ نَعَامَةٍ

وذلك أنها تنتشر للطعم، فربما رأت بيضَ نعامةٍ أخرى قد انتشرت هي له، فتَحْضُنُ بيضَها وتنسى بيض نفسها، ثم تجيء الأخرى فتَرَى غيرَها على بيض نفسها فتَمر لِطِيَّتِهَا وإياها عَنَى ابنُ هَرْمَةَ بقوله:

كتاركَةٍ بَيْضَها بالعَرَاء ❊❊ ومُلْبِسَةٍ بيضَ أخْرَى جناحا

وقال ابن الأعرابي: بيضة البلد التي قد سار بها المثلُ هي بيضة النعامة التي تتركها فلا تهتدي إليها فتفسُدُ فلا يَقْرَبها شيء، والنعام موصوف بالسخف والُموقِ والشِّرَاد والنِّفار، ولخفة النعام وسرعة هُوِيِّها وطَيرانها على وجه الأرض قالوا في المثل : شَالَتْ نَعَامَتُهم، وخَفَّتْ نعامتهم، وزَفَّ

رَأْلهُم، إِذا تركوا مواضِعَهم بجلاء أو موت.
وزعم أبو عبيدة أن ابن هَرْمَةَ عنى بقوله "كتاركة بيضَها" الحمامةَ التي تَحْضُنُ بيضَ غيرها وتضيع بيض نفسها.

أَحمَق من شرنبث

وَقيل شرنبذ وحرنبذ ومرنبذ وَهُوَ رجل من بني سدوس جمع عبيد الله بن زِيَاد بَينه وَبَين هبنقة وَقَالَ تراميا فَرَمَاهُ الشرنبث وَقَالَ طيري عِقَاب وأصيبي الجراب حَتَّى يسيل اللعاب فَأصَاب بطن هبنقة فَانْهَزَمَ فَقيل أتنهزم من حجر وَاحِد فَقَالَ لَو أَنه قَالَ طيري عِقَاب وأصيبي الذُّبَاب فَذَهَبت عَيْني مَا كنت أصنع (وذباب الْعين السوَاد الَّذِي فِي جَوف الحدقة) وَذَهَبت كلمة الشرنبث مثلا فِي تهييج الرمي

وأحمق من حجا

وَكَانَ من فَزَارَة وَمن حمقه أَنه دفن دَرَاهِم فِي صحراء وَجعل علامتها سَحَابَة تظلها وَدخل على أبي مُسلم وَمَعَهُ يَقْطِين فَقَط فَقَالَ يَا يَقْطِين أيكما أَبُو مُسلم وَمَات أَبوهُ فَقيل لَهُ اذْهَبْ فاشتر الْكَفَن فَقَالَ أَخَاف أَن أشتغل بشرَاء الْكَفَن فتفوتني الصَّلَاة عَلَيْهِ ، وَرَآهُ رجل يعرج فَقَالَ لَهُ مَا شَأْنك فَقَالَ أَظن أَن غَدا تدخل فِي رجْلي شَوْكَة .

وأحمق من أبي غبشان

وَهُوَ رجل من خُزَاعَة كَانَ يَلِي الْبَيْت الْحَرَام فَاجْتمع مَعَ قصي بن كلاب بِالطَّائِف على الشّرْب فَلَمَّا سكر اشْترى مِنْهُ قصي ولَايَة الْبَيْت بزق خمر وَأخذ مِنْهُ مفاتيحه وطار بهَا إِلَى مَكَّة وَقَالَ : معاشر قُرَيْش هَذِه مَفَاتِيح بَيت أبيكم إِسْمَاعِيل ردهَا الله عَلَيْكُم من غير غدر وَلَا ظلم.
وأفاق أَبُو غبشان فندم فَقيل (أندم من أبي غبشان وأخسر من أبي غبشان وأحمق من أبي غبشان) فَقَالَ بَعضهم

باعت خُزَاعَة بَيت الله إِذْ سكرت **
بزق خمر فبئست صَفْقَة البادي
باعت سدانتها بِالْخمرِ وانقرضت **
عَن الْمقَام وظل الْبَيْت والنادي

ثمَّ جَاءَت خُزَاعَة فقاتلت قصياً فَغَلَبَهُمْ

دعاء

«اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِوَجْهِكَ الْكَرِيمِ وَكَلِمَاتِكَ التَّامَّةِ، مِنْ شَرِّ مَا أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهِ، اللَّهُمَّ أَنْتَ تَكْشِفُ الْمَغْرَمَ وَالْمَأْثَمَ، اللَّهُمَّ لاَ يُهْزَمُ جُنْدُكَ، وَلاَ يُخْلَفُ وَعْدُكَ، وَلاَ يَنْفَعُ ذَا الْجَدِّ مِنْكَ الْجَدُّ.
«اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ سَمْعِي، وَمِنْ شَرِّ بَصَرِي، وَمِنْ شَرِّ لِسَانِي، وَمِنْ شَرِّ قَلْبِي»
«اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ زَوَالِ نِعْمَتِكَ، وَتَحَوُّلِ عَافِيَتِكَ، وَفُجَاءَةِ نِقْمَتِكَ، وَجَمِيعِ سَخَطِكَ»

وهج الحرب

الحلقة الثانية

آب قبرص

رحلت زكية دون رفيق إلى قبرص في الأواخر الأخيرة من آب كما هي معتادة من ربع قرن ، وكان ذلك بعد حديثها الطويل مع الدكتور رشيد لقضاء طقس الرحيل المتكرر .

لم يعد أحد يهتم أو يكترث منذ زمن باختفاء نجيب ، فقد مرت سنون وسنون على الحدث ، والناس أبناء يومهم ، والأبناء لم يعد لهم اهتمام بأفعال أمهم المعقولة وغير المعقولة .. كل يعيش حياته ؛ كما خطط وبرمج ، فقد ترجح لديهم مقتل أبيهم ، واختفت جثته في ماء البحر الأبيض وتشوهت اذا وجدت في مكان ما أو أكلتها دواب البحر .

نزلت في فندق الشاطئ في نفس الحجرة التي شاركت زوجها فيها آخر الأيام بعد تركهم بيروت بعد خروج مقاتلي المنظمات الفلسطينية ؛ كما فصلنا آنفا ، وهذا العام الخامس والعشرون للاختفاء .

إدارة الفندق المعاصرة تعرف قصة هذه المرأة ذات التصرف الغريب ، فرغم تغير الإدارات فكلهم على معرفة بقصة اختفاء نجيب .

رحب بها المدير ومساعدوه كعادتهم ، وهي اليوم تحجز الغرفة عن طريق الأجهزة الإلكترونية والتكنولوجيا المعاصرة وشبكات الإنترنت العالمية فمدير الفندق يحجز لها الغرفة ٣١٣ في الطابق الثالث لسبع ليال ، وهي تحول المال عن طريق البنك القبرصي الذي تضع فيه بحسابها الخاص مالا .

وصلت جوا في أواخر آب ٢٠٠٧ ، وقام عمال الفندق بحمل حقيبة ملابسها للغرفة المحجوزة ودخلتها بعد منتصف الليل ، وطلب موظف الاستقبال الطعام لها حسب نظام خدمة الغرف والشراب الذي طلبته .

فزكية امرأة ثرية ، وتدفع بسخاء للعمال خلال هذه الرحلة ، وبعد الطعام شربت كأسا من الكحول ، وكانت تدخن بشراهة ، ومعروف هذا عنها ، وأحيانا تتعاطى السيجار الكوبي .

في الصباح التالي بعد تناولها الإفطار في قاعة الطعام تذهب للشاطئ ؛ حيث كانت تجلس اللحظات الأخيرة مع نجيب ، يتمتعان بمنظر البحر ، ويدخنان ويشربان الخمر ، وكان حديثهم ذلك الصباح عن معركة بيروت والقصف والقنابل والمتفجرات ، ثم تتخيل اقتراب الرجلين والمرأة الحزينة نحوهم ، وأشار أحد الرجلين لنجيب فاستأذن ومشى نحوهم ، ثم عاد يقول : لديهم

بنت مريضة وأن رجال الفندق دلوا عليه ، ومشى معهم ، ولم تعرف هل دخلوا الفندق ؛ كما غلب على ظنها بداية أم خرجوا من الفندق من خارج الفندق كما بان فيما بعد ؟!

إنها ما زالت تتذكر تلك اللحظات ، وتلك الوجوه ، فهمت أن لديهم مريضة في إحدى غرف الفندق ، بعد حين تركت المكان لما ارتفعت الشمس أكثر ، دخلت قاعة الاستقبال ، وجلست تدخن وتنتظر نزول نجيب ، ولما طال الانتظار تحدثت مع الاستقبال ، فدهش العامل مما قالت وقام بعدة اتصالات والاستخبار عن مريضة.

قال الموظف مخاطبا : مريضة ! لم يخبر أي نزيل عن مريضة ، لم نسمع يا مدام زكية ؛ لعل المريضة خارج الفندق ، ولم يسألني أحد عن طبيب ، ولا أعرف السيد نجيبا كطبيب.. نحن نعرف أنه نزيل في الفندق .

لم يظهر الطبيب ، وطال الانتظار ، وأخبر الأمن ، ولم يجدوا الطبيب ، قالوا أولا لعله ذهب مع أنثى .

قضت زكية طقسها على الشاطئ ، ثم داخل الفندق ، وصعدت لحجرتها ، بكت بعض الوقت وهي تخاطب نجيبا رفيق شبابها ، وهي تفكر بتلك الساعة الرهيبة .

وزارت بعض الأقارب لأمها وجدتها ووالدها ، وقدمت لهم المال والهدايا ، وبعد أسبوع غادرت الجزيرة ، فوصلت مطلع أيلول .

كلما عادت السيدة زكية من رحلة قبرص رحلة الوفاء ؛ كما تسميها تقيم حفلا في أحد فنادق بعنبس الفخمة ، وتدعو ما يقارب مائة نفر ؛ لتناول الطعام عن روح نجيب وهؤلاء من الأقارب والأصدقاء طبعا ، وتقدم لهم الطعام أو ما يسمونه البوفيه المفتوح والمشروب والعصير لمن لا يتعاطى الكحول .

زكية تملك متجرا لبيع عدد من ماركات السيارات الصغيرة والمتوسطة ومحلات لبيع قطع السيارات ومحطة تصليح كبيرة تابعة للشركة ، وتملك أسهما وبعض العمارات المؤجرة كشقق مؤثثة للزوار والضيوف والسياح ، تستثمر أموالها بشكل جيد .

تحدث أحد أعضاء المكتب من السكرتاريا مع عصام يدعوه للوليمة كالمعتاد فاعتذر ، وأخبره أنه لم يعد يشارك بمثل هكذا احتفالات ، وأنه التزم بالدين ، وعليه أن يحذفه من قائمة المدعوين من اليوم فصاعدا .

واتصل بامرأة عمه ، واعتذر لها ، ولم يحضر دعوة هذه السنة إلا ابنها عارف واعتذرت وردة وجريدة . كانت المناسبة في فندق (الأزرق الكبير) وهو من أضخم فنادق بعنبس ، وأحدثها .

حضر لفيف من الأصدقاء والشخصيات ورجال المال والأعمال المهمين في البلد ودكاترة الجامعة ،

وبعض زعماء الأحزاب المعروفة لها ، فهي فرصة للقاء والدعاية والأخبار والشائعات

جلس رشيد وحوله عدد من الزملاء ، تطلع يمينا و يسارا وإلى جميع الجهات فلم ير وردة ، فسره ذلك ، فهو حفل يقام على ذكرى والدها ، وهي أكثرهم معرفة به ، فكانت ابنة عشر سنوات سنة ضياعه .

ولما التقى بعارف خلال السهرة سأله عنها، فأخبره أنها خارج البلد في سويسرا أو النمسا في رحلة استجمام ، وقال مستغربا : ألم تخبرك ؟! لماذا لم ترافقها ؟! فأنت من عشاق السفر ؟

ـ من متى؟

قال : من أسبوع وأكثر.

ـ وحدها !

ـ تقريبا.

ـ ما معنى تقريبا ؟

قال مفسرا قصده بتقريبا : سافرت وحدها ، وستلتقي بطبيب أطفال اسمه وائل .

هزّ رشيد رأسه ، وقال لنفسه "دعارة في الخارج "وعاد لمقعده ، وهو يلعن النساء واليوم الذي عرف فيه النسوان وقال : يا لها من فاجرة !.. امرأة شيطانة .. ! لقد فاز عليّ عشيقها القديم العشيق الخفي .. سخرت مني أمام طليقها، وأوهمته بأني عشيق لها تجدد حبنا .

فقال له والده علي وقد رأى شدة غضبه ، وتحديثه لنفسه ، ولما جلس: مالك غضبان ؟!

ـ وردة ابنة أختك ضحكت عليّ .

ـ كيف ؟!

قال متنهدا بعمق : خلال مرض زوجها كنت الصديق الوحيد الحبيب المؤنس الحبيب الأول وإنني سأكون الزوج الأخير اذا قبل عصام طلاقها ، وأخذت تشيع أخبارا عن عجزه الجنسي وإنها لم تعد تتحمل الحرمان الجنسي والزوج العاجز غير القادر على جماعها ، ولما حصلت على المطلوب ، وطلقت رمتني كخرقة وفوطة حيض أو طفل رضيع ، وتعلقت بطبيب يعمل معها في الحزب أو أظهرت غرامها به للعلن .. كنت مغفلا حننت لأيام الحب العذري .. لابد أنها على تفاهم معه ، وتعيش معه خفية.. حقيرة .

ـ هل تزوجا ؟

ـ لا ، لا تريد الزواج .. تريد أن تعيش حياة الحيوان .. لا تريد بيت ولا أسرة .. يوم مع هذا وآخر مع غيره .

ـ مومس !

ضحك رشيد قليلا وقال : لا ، لا .. تريد أن تكون مثل بنات أوروبا حتى يملوا من بعض .. بوي فرند .. بيت بدون عقد .

ـ وأنت لماذا زعلان ومتوتر وغضبان ؟!

ـ النساء إخوان الشيطان .

ـ من باعك بعه ، لا أمان عندهن يا رشيد في نظري .. سريعات في خون العيش .. وأنت قلت لي إنك خبير نسوان !

قال : لا أحد خبير نساء ..كلنا يزعم ذلك .. تثق فيها ، ثم تجدها تعاشر كلبا .. الشيطان كيده ضعيف معهن .. سأتزوج يا أبي أخيرا ؛ لعل وعسى أرتاح من البحث هنا وهناك والبحلقة في هذه وتلك .

ـ افعل ؛ لعلك ترتاح فعلا .

ـ قل لأمي قد بلغت الرشد ، وسأتزوج قبل نهاية هذا العام ؛ لعلي أتخلص من التفكير فيها.. هل ينفع هذا الدواء المر يا أبي!

العصبة النسائية

عقدت الدكتورة نبيلة مزم زعيمة حزب العصبة النسائية جلسة في مقر الحزب لأعضاء الهيئة المركزية للجمعية لمناقشة قضية طارئة وجريئة تهدد بقاء الحزب ، وممن حضر الجلسة فاتن وفكيهة وسمير وآخرون ، والقضية المعروضة والمزعجة هي رحلة وردة نجيب ووائل زياد لأوروبا للاحتفال بزواجهما من قبل حركة نسائية تدعم جمعيتهم سرا ، ولها نفس المبادئ الإباحية ، والعصبة نسخة منها كسائر الأحزاب والجمعيات الحزبية العلمانية .

قالت مؤسسة الحزب وجمعيته الدكتورة نبيلة مزم : أنا حذرته من إقامة علاقة علنية مع الدكتورة وهذا العمل والجهر لم يحن وقته بعد ، وحذرتها نفسها من إشهار أمرهما .. رهبتهما من العيش تحت سقف واحد بدون عقد شرعي ، وأن هذا الفعل غير مقبول في بلد كبلدنا ، ولتبق علاقتهما الجنسية دون إعلان وإشهار ؛ كما يفعل الكثير منا .. نحن لسنا في أوروبا وأمريكا .. أولئك قوانينهم تبيح ذلك ، ويعتبرونه نوعا من الزواج المقبول.. لم نصل نحن بعد لهذه المرحلة .. الناس ما زالت لا تتقبل الكثير من مواد السيداو الثلاثين ..هناك تحفظات على أشكال كثيرة من الزواج .. هل وصلنا لمرحلة أن تشارك المرأة بإيجار البيت كالزوج ؟ .. النساء أنفسهن يرفض المساواة ، ويرفضن أن تصرف وتنفق نصف مالها للبيت كالرجل .. عندنا التريث والعمل رويدا رويدا لتحقيق الهدف .. النظام يقبل الزنا بالتراضي ، ولا عقوبات .. أما إظهار هذا للعلن ونشره في الصحف الأجنبية والتباهي به ؛ فهذا تسرع ولا تسجيل سبق .. وها هي المجلات المحلية ومقالات الصحف تهاجمنا بحقد ، وتزعم أن هذا نتيجة تهاوننا في الأخلاق وتشجيع الإباحية بحجة دعم المرأة ، وحرية المرأة ، ويلفقون القصص والكوارث والحكايات عنا .. وكم من البيوت

خربنا ؟.. ورفعنا نسبة المطلقات .. وهددنا نظام الأسرة المتوارث من آلاف السنين أرأيتم كم جلبت علينا الفعلة المتسرعة من الأذى ؟! يجب قطف الثمرة في وقتها أيها السادات والسادة ..ويكتبون هذه هي النتيجة التي تسعى إليها حركة العصبة النسائية .. الجنس وأولاد غير شرعيين أو إرسالهم لقرى الأيتام والملاجئ .. علاقات إباحية خشية الطلاق وضياع الأطفال .. طلبت وردة الطلاق ؛ لتعيش مع رجل على طريقة الزواج الغربي زواج لقضاء الشهوات .. هذا يخالف نظام الأسرة العربية وحتى الشرقية .. وها هي تعلن قبولها العيش مع رجل دون زواج قانوني .. هذا ما يريدون الوصول إليه هؤلاء الشواذ .. وغدا سيطلبون أن تعيش المرأة مع المرأة كزواج .. وكذلك الذكر مع الذكر .. زواج المثليين هذا ما يريدونه .. هل بهذا الانحلال تتقدم الأمم؟! هل بهذا سنغزو الفضاء؟! أرأيتم ما جلبت علينا تلك الدكتورة المتصابية والعاهرة ؟! ولن يتوقف هجوم الآخرين علينا .. نحن نعلم وهم يعلمون كم من العلاقات قائمة خارج عش الزواج؟ لكن لا يقبل العامة هذا علنا ، وكذلك التيار الإسلامي بكل فروعه ومسمياته السياسي وغير السياسي .. وفي الختام بعد إسماعكم ما قالته الصحف وكتابها قررنا فصل الدكتورة علنا ، وسينشر في بعض الصحف هذا الإعلان ، وفصل الدكتور وائل زياد ، فلم يعد الحزب بحاجة لهما ولخدامتهما .. ونظام الحزب واضح .. نحن لا يهمنا العلاقات الشخصية والأفعال الشخصية الفردية ، وقد جعلت من نصري الهاني سكرتيرا جديدا بدلا من وائل الذي استغل الحزب للإيقاع بوردة حتى طلقت ؛ ليقيم معها علاقة كزوجين دون وثيقة رسمية .. وسيكون الهاني الناطق الرسمي للحزب .. وأرجو لمن له علاقة قوية معهم أن يدعوهم للتراجع عن هذا القرار المتسرع ، وأنه خطأ في زمن كهذا.. نحن نعيش في بعنبس .

قالت فاتن بعد سكوت الرئيسة : وهل هذا التصرف يسيء للحزب حقيقة يا دكتورة نبيلة؟

قال سمير برهم : لا يسيء هذا الفعل للحزب كحزب ؛ لكن وقته غير مناسب .. نحن نسكت عن العلاقات العابرة بين أعضاء الحزب ومع ناس خارج الحزب .. فليس من مهام الحزب منع ذلك .. هو ضد منعها بالقوة بالقانون أو الدين.. فالبلاد دينها الإسلام .. أما إقامة علاقات علنية بهذه الصورة أمام الصحف والإعلام لا يقبله الحزب البتة .. فهذا أصلا يخالف نظام الحزب والجمعية ..فهذا سيجلب على الحزب والجمعية شرورا ستتعبنا ، ونصبح في موقف ضعيف في الشارع وحرية المرأة .. فنحن بغنى عن هذه المشاكل ..

سيقال ويشاع أننا نشجع العيش بين رجل وامرأة دون عقد على طريقة الغربيين ، وهذا الهدف والغاية التي سمحت الدولة لنشر الحزب أفكاره ، للقضاء على الأسرة العربية والمسلمة .. وسنجد أنفسنا بعد حين بيننا أطفال غير شرعيين بدلا من أطفال وأبناء مطلقين .. ولا تنسوا أننا حزب صغير وحديث وكلنا يعلم أننا لسنا ضد علاقتها بوائل .. فكلكم يعلم أنهم أصدقاء وشركاء فراش منذ نشأ الحزب ؛ وربما من قبل.. فالحزب لا دخل له في القضايا والعلاقات الخاصة .. نحن تركيزنا في هذه الفترة على حقوق النساء ، وعدم تعرضهن للضرب والتعذيب بسب علاقاتهن الجنسية وغيرها خارج بيت الزواج سواء بالقتل أو سوء المعاملة أو زواج القاصرات أو زواج الصغيرة بالرجل الكبير .. الحكومة لن تعترف بزواج وردة ووائل .. وما هو بزواج .. لم نصل لمرحلة تكوين أسرة بدون عقد شرعي .. رويدا رويدا نصل إلى الزواج المدني وغيره من أشكال الزواج هو الزنا ماذا يفرق عن الزواج ؟ هو كله إقامة علاقة جنسية بين طرفين.. الفرق فقط الورقة التي تسمى عقدا .

قالت فكيهة : أنا قلت لها ما أنت على علاقة معه، وتستطيعين أن تعيشي معه أو هو يسكن معك بدون إظهار هذا ؛ كما يفعل الكثير منا أو كل واحد يعيش في بيته، ولما تحتاجون للجنس تلتقون

قالت نبيلة : هذا ما كانوا يفعلونه، وهذا ما كان عليهم الاستمرار عليه.

وتم في هذه الجلسة كتابة بيان الفصل بعد إصدار القرار ، وعلى السكرتير الجديد نشره في أهم صحف المدينة ، ويعلن براءة الحزب من هذا الفعل ويرفضه ، وليس هو من أهداف الجمعية ؛ إنما كان تصرفا فرديا وشخصيا منهما ، ولم نمول رحلة أوروبا لإظهاره ، وابعث لها نسخة ولوائل مثلها .. فنحن في غنى عن خدامتهما وطلبت وردة اللقاء بي لما أعلمتها بخطتنا الاستغناء عنها ، فرفضت أي لقاء بها في الوقت الحاضر ؛ لأن الإعلام يتربص بنا . .ولن يصدق فصلهما اذا التقينا .

ـ ووائل ما كان رده .

قالت : لم يرد ، ولم يتصل ، وأنا منذ زاد نشاطه ولقاؤته بها بعد مرض زوجها عصام نصحته بأن يخفف من ممارسة الجنس معها ، وهي على ذمة رجل زميل لنا في المهنة والنقابة ، فقال : هي تعشقني وتريدني ماذا أفعل لها ؟ وأنا امرأتي هاجرتني، فقلت له : واذا علم زوجها بفجورها، فقال: هو طرطور ، لا أظهر معها بوجوده .. إنها امرأة شريرة رغم براعتها في الطب وشهرتها.

ـ جاءتها الشهرة من عمليات الإجهاض الخفية التي تقوم بها يا مدام نبيلة.

ردت عليه : أولئك الخادمات المستوردات يفرطن بفروجهن فيحملن ؛ لعل من مارس معهن البغاء ، يخشى أن يتزوجهن قانونا بوجود الحمل .

الأم وابنتها

ذاع وشاع خبر علاقة وردة ووائل الشاذة في المدينة بالحياة كزوجين دون عقد زواج ، وكانا أعلنا عن هذه العلاقة في مركز الإباحية في سويسرا في جمعية كجمعية العصبة ، ونقلت صحف البلاد الخبر ، بعضها بتعليق ونقد ،وبعضها خبر بدون تعقيب . وواجه النبأ استنكارا عائليا واجتماعيا ، وفصلا من عصبة النساء ، فهذا الفعل مخالف لتقاليد وعادات الناس ، ومستهجن أن يصبح الزنا أمرا مقبولا ، وتبرأت علنا جمعيتها من فعلتها ، وأن الجمعية بينت للعموم أنها لا توافق على هذا الفعل ولا يدخل في باب الحرية التي تدعو إليها الجمعية والعصبة النسائية ، ونشرت موقفها الصارم في عدة صحف ومجلات ومحطات فضائية ، وبينت أنها تدعو للزواج الشرعي والقانوني ، وأفكارها تدور حول حرية المرأة بالتملك واختيار الزوج والاستثمار ومحاربة الإيذاء الجسدي والبدني ، ولا تجبر على الزواج من الكبار والأغنياء دون مراعاة فارق السن ، وأن يسمح للمرأة المنحرفة بالعلاج المجاني ، والفحوص من الأمراض الجنسية دون تشهير وإساءة ، وتدعو إلى احترام المرأة وحقها بالحياة الكريمة ، وبينت أنها ليست ضد العلاقات الجنسية خارج بيت الزوجية ، ولا يحق أن تشنع وتقبح المرأة بسبب ذلك ، فهي مثل الرجل قد تزني برضاها كما يزني الرجال ، ولا يحق لأهلها معاقبتها وتعذيبها ؛ كما لا يعاقبون الذكور ، وأقسى ما يحق للزوج هو طلاقها بدون أذى وشوشرة ، هذه غايات حزب العصبة النسائية ، وليس أن يعيش الرجل والمرأة في بيت واحد كأزواج دون عقد موثق ، وأكدت لأعضاء الحزب بسبب هذه القصة أن الحزب لا يحرم الزنا كما تحرمه الشرائع ، والأمر في ذلك ، كما يحصل في فرنسا والغرب عامة أن يكون بالرضا ، ويحرم الاغتصاب والتحرش الجنسي للأطفال والنساء .

جن جنون وردة لما كثر تردد فعلها واسمها في الصحف والمقالات ، وأنها خدشت حياء المجتمع بفعلتها ، وكسرت نظام الأسرة من بداية التاريخ ، وأسفت للتشهير الذي حل بها وبعائلتها واستقبح الكثير من أهالي بعنبس فعلها ، وخروجها القبيح عما اعتاد عليه الناس بصورة علنية

طلبت زكية اللقاء مع وردة لمناقشة الأمر ، وأسباب فعل ذلك . جاءت وردة لبيت أمها تلبية لدعوة أمها التي من النادر أن تتدخل في شؤونها هي أو أشقائها ، ودخلت معها لمكتبها المنزلي

فقالت الأم بغضب مكتوم : لماذا فعلت ذلك الجنون ؟!

ـ إنني أحبه ، ولا أريد أن أقيد نفسي بزواج رسمي ، ثم طلاق وانفصال .

قالت : نحن في مجتمع شرقي.. لسنا في هولندا وفينا يا وردة ! أنا أعلم أنك عاهرة من زمان منذ أيام الجامعة ، لا تظني أنني مغفلة عن مجونك وفحشك ، ولا يحق لي أن أمنعك عن الزنا .. أنا نفسي لا أهتم بذلك .. حياتك وأنت حرة فيها .. هناك آداب تجب مراعاتها ، وشعور نحو المجتمع .. هل نخلع ثيابنا في الشارع ونسير عراة بحجة الحرية ؟ وأنا أعلم أن ابن أخي نال منك قديما أيام الجامعة ؛ ربما هو أول رجل فض بكارتك .. هذه قضية لا تهمني كذلك .. تفجرين باسم الإلحاد وإنكار البعث بعد الموت .. وشعاركم الحياة للحياة .. هذا أمر أنت حرة فيه آمنت بالله أو لا تؤمني هذا شأنك .. ما دمت لهذه الدرجة مغرمة فيه هاجروا إلى أوروبا أو كندا وعيشوا كيفما شئتم .. قوانينهم تسمح بذلك .. أنظمة البلد لا ترى صحة ذلك.. المجتمع لا يقبل هذه الصورة من العلاقات الجنسية .. وها هو حزبك المنحط رماك أنت وصاحبك وتبرأ منكما ومن فعلتكم حتى لا تلصق به الفعلة .. عليكم بإظهار الزواج بعقد زواج من المحكمة الشرعية ؛ لتكف كل الصحف والمقالات التي تقذف نحونا ونحو فسادنا .

قالت بتمعن: ثم يصادف امرأة أخرى ويطلقني .

ـ هل كان عصام يعلم بفجورك وخيانتك لفراشه ؟!

قالت : هو يعلم بأنني لما تزوجته بأنني لست عذراء بكرا ؛ وربما ظن أني صارحته بذلك ؛ لينصرف عن زواجه مني .. يعلم أنه كان لي أصدقاء أكثر من أصدقاء كنا في نفس الكلية .. كان يسبقني بعام واحد .. ويعلم ما يدور بين الطلاب وبين المدرسين العلمانيين .. والفضائح الجنسية كانت كثيرة في أيامنا ؛ لكن بعد الزواج لا أعتقد أنه يعلم بمعاشرتي لرجال غيره أو يعلم ويصمت .. عصام طيب ومسكين ، لما كنت أخونه الحق كنت أشعر أنه يحس بذلك ويكتم ربما أنا سقطت في براثن الإباحية كما قلت أيام الكلية .. كان جمالي مثيرا للرجال والذكور ولم يفض بكارتي رشيد ، ولم يعاشرني معاشرة كاملة أبدا .. كانت مجرد قبل ومداعبات .. كان يخافك ، ويخاف والده .. أول رجل ضاجعني كزوجة دكتور أحد مدرسي في بيته .. ذهبت إليه بحجة مناقشة مسألة ، وكانت زوجته في سفر عشت معه مرات ، ثم مات .. كنت أحب إغراء الرجال خاصة المتزوجين .. وكثير منهم سقط .. ومع ذلك لم أمارس الجنس مع أكثرهم .. ووائل عرفته أيام

الكلية كان يتقدمني بفصول وسنوات ، ومن يومها تعلقت به ، وجرى بيننا عدة لقاءات ، ولما التقينا في الجمعية تجدد الحب بيننا ، فعرض عليّ الزواج اذا طلقني عصام ، وسعيت لذلك وتحقق .. ونبيلة كما أخبرني عاشرها عدة مرات ومن أجل ذلك جعلته سكرتيرا لها ، ولكنها كبيرة لا يتمسك بها عشاقها كما يقول .. فهذا سبب غضبها الحقيقي .. فهو أحد عشاقها .

ـ المهم اليوم أن تتزوجوا رسميا ،وافعلوا ما شئتم ، لا يحق لي بالتدخل بحياتك وغرامياتك وبدنك ؛ ولكن إخوتك في غضب ، وصبوا غضبهم عليّ أنا ، وأخشى عليك من عقولهم ونقمتهم .. فقد سمعت منهم كلاما قاسيا في حقك .. وهم كما قالوا يعلمون بفحشك ومطاردتك للرجال وهوسك بهم .. ابتعدي عنه اذا رفض العقد .

ـ لا أستطيع

ـ بل تستطيعين

ـ لنتريث قليلا حتى تهدا الحملة الخبيثة ، والحزب لا يبكى عليه.

كان وائل على علم بطلب زكية لوردة ، فلما رجعت لشقتها بعد سماعها لتعنيف أمها الشديد ، وكشفها لكل عيوبها وعلاقتها الجنسية من عهد بعيد ، وكانت تغض الطرف ؛ لأنها تمجد الحرية والليبرالية ، والأمر في النهاية لا يعنيها ؛ لكن هناك تقاليد مجتمعية عليها أن تراعيها ، ولا يهمها جسد ابنتها ومن يعبث به ، وأما الحياة مع رجل دون عقد زواج فهذا عيب وغير مقبول في نظر مجتمع بعنبس ، وأغضب أشقاؤها حتى عارف استعر منه ، وأصبح فعلها حديث الإعلام منذ ظهر ، وأصبحت العيادة بدون زبائن ، وتلاحقها النظرات في النادي وغيره ، وتتسأل ما الفرق بينه وبين البغاء هنا أو هناك ؟ كله جنس ، وملايين البشر على هذه الصورة يشبعون رغباتهم ثم يفترقون ، وليسوا بحاجة لمحكمة ومحامي وعقد وطلاق .. كل في بيت أهله .. ومليارات من الناس تشاهد أفلام الجنس ، وفيها من الهيئات والأوضاع ما لا يصدقه أحد ، لولا أنه مصور.

فلما سمع وائل سؤال عشيقته القديمة الجديدة قال : هل اذا مارس أحدنا الجنس في شقتي مقبول ومرة أخرى في شقتك مقبول أم جريمة ؟ نحن نعشق بعضنا ونمتع أجسادنا بشيء مخلوق فينا ثم صرخ غيظا : عقول متخلفة .. نحن لا يهمنا عادات وتقاليد الناس يا وردة .. أنت ما رأيك ؟ صمتت طويلا ثم تأملت عينيه : الأمر مربك ! وتركت الشراب وقالت بحزم : يكفي شهر يا وائل ! إما أن نعقد زواجنا كما تريد أمي أو نفك الشراكة الجسدية .. أنت تعلم أن أمي متحررة أكثر مني ؛ ولكن هذه الصورة غير مقبولة عند

العائلة تقول أمي : افرضي زرتك أو زارك خالك أو عمة أو عمك ووجدنا الرجل الغريب في بيتك ماذا ستقولين لنا ؟! فعلينا بالزواج الشكلي ونظهره للناس ولنبيلة وعصابتها وإما أن نفترق يا وائل نهائيا .

ـ أتستغنين عني عن حبك القديم الجديد كما تقولين ؟

ـ استغنيت عن الكثير ..الكثير من العشاق يا دكتور ! وأنت تعلم أنني لا أحب التوقف عن اصطياد الرجال وإذلالهم حتى ولو تزوجنا قانونا.

قال : نعم ، أعرف ، وذكرت ذلك وحذرتيني من الغيرة .

ترك كأس الشراب فارغا ، وسمعها تقول: كنت أعجب من صمت عصام عن خيانتي له ،

ويتظاهر بالجهل والعمى.

قال: ربما فعلا لا يدرك أو كان يخونك يا حلوة ؛ فلذلك عامل نفسه أعمى .. لقد التقيته بضع مرات ، كان يأتي للحزب للقاء بك أو التقينا في نادي العائلة أو ندوة فأنا أعرفه من أيام الكلية تغير السيد .. علمت أنه اليوم أصبح شيخا ومتدينا ،

وسمعت أن جهادا شقيقك ضمه لحزب

الحركة الإسلامية ؛ ليشارك في حملات الطب التي نقيمها الحركة في البلد وخارجها.

همست باستغراب : لكن عصاما مريض .

ـ كمشرف وإداري لا يمارس العمل بيده.

ـ لقد علمت من جريدة أنه سافر فرنسا ، وعاد بكيس أدوية . وموعد في آخر الربيع القادم .. بـبـبجد ..اسمع هل أنت مستعد لعقد زواج قانوني؟

حك رأسه وملأ الكأس خمرا ، وأشارت له وردة بألا يصب لها وقال : أنا عندي زوجة باسمي كما تعلمين ،وهي ما زالت على اسمي وذمتي ، فلا هي زوجة ولا هي مطلقة .

أشعلت سيجارة جديدة وسألت : لماذا ؟

قال : لماذا ؟لماذا ؟ نعم لماذا ؟ تركتني بعد زواج عامين ، وعادت لبيت أبيها ، ولم تطلب الطلاق ولا أنا أريده ؛ لأنها ستأخذ مالا كثيرا .

قالت بحيرة : مالا كثيرا ! كم هو المال الكثير؟

اغتصب ضحكة صفراء وقال : خمسون ألفا كتبته مؤخرا لها .

ـ يا! عجيب يا وائل ! لماذا قبلت بذلك ؟!

قال: يبدو أنك لا تعرفين قصة زواجي .. نسيت بنت من هي ؟!

قالت: صدق أنني ناسي .. نحن انقطعنا فترة طويلة حتى التقينا في الحزب ، ولما صرت السكرتير عادت أمجادنا وحبنا .

ـ أكيد أنت ناسية .. أبوها كان مسؤول الأمن السياسي في الجامعة ، ثم أصبح مديرا عفوا نائبا

لمدير المخابرات العامة .. المكتب الثاني المكتب الأول الأمن العسكري .. وتقاعد على رتبة لواء ركن .. اللواء جعلونة .

ـ آ ! أعرفه ، طلبني مكتبه في الجامعة مرة .. بس ناسي تلك القضية .. قل سمعت به ، لم أقابله هو .. قابلت أحد معاونيه .. نعم ، كان المسؤول عن القلم السياسي في جامعتنا أيام ما كنا هناك

ـ صحيح ، كنت سابقك بعامين ، تعرفنا على بعض أثناء عملنا التدريبي والعملي في المستشفى الجامعي .. عرفتك من خلال الدكتورة نبيلة أيام عملها في أحد أقسام الجامعة ، وكان حزبها الحالي ضمن حزب النهضة العربية التي لم تنهض لليوم .. الكل يتقدم وينهض إلا العرب ما زالوا عاجزين عن النهوض والقيام ، ولما تخرجت حدث انشقاق حزبها باسم العصبة النسائية للدفاع عن المطلقات والعوانس وحريتهن في ممارسة الجنس مع من شئن ، ولا يحق للأولياء بمنعهن وقتلهن باسم الغيرة والشرف .. وتلك الأيام الجميلة عرفتك ، تعرفت على الحسن والشباب ، وجرى بيننا ما جرى وخشيت على بكارتك ، فقلت: لا تهتم ، لست الأول ، ومارسنا الحب في غرفة المرضى الفارغة ، ثم تجدد لقاؤنا العابر عندما عملت معكم في الحزب وها نحن اليوم ننام في شقة خاصة بنا .. عشنا لحظات جميلة من شبابنا .. كانت ابنة اللواء خميس جعلونة طبيبة في المستشفى .. عرفتها عند تدريبي العملي وعند الاختصاص في قسم الأطفال حيث كانت تعمل هناك كانت المسؤولة عن ذلك القسم ، وزادت معرفتي بها بعد إنهاء البكالوريوس تزوجت أثناء عملي في القسم لنيل الاختصاص ، وأنجبت طفلتين ، ثم علمنا بطلاقها ، وزوجها ابن ضابط صديق لوالدها ، أخذت بتعقبها ، وعرض نفسي عليها ، ولو أنها مطلقة.. فبعد حين لانت ، وحنت كما يقال لرجل .. وتزوجنا ووضع عليّ المؤخر المؤجل العالي حتى لا أفكر بطلاقها في يوم ما ، وعشنا سنتين معا ، ثم لم أعد احتمل الحياة معها .. كانت مغرورة ومتكبرة ابنة ضابط أمن كبير ، وعذرت زوجها بانفصاله عنها ، ولم تلد مني برغبتنا .. كان هذا قبل خمس أو ست سنوات .. ابتعدنا عن بعض دون طلاق ، ورفضت التنازل عن المال أو عن جزء منه .

ـ الآن فهمت يا لئيم لماذا لم ترغب بالزواج المعتاد ؟!

ـ الأفضل أن نبتعد ؛ ولعلنا نلتقي كلما تشتاقين إليّ .

نشرت الأخبار في بعنبس خبر زواج الدكتور رشيد علي دكتور كلية الاقتصاد ودكتورة في نفس

الجامعة ، والكلية الدكتورة حنان جابر دكتوراه في المحاسبة ، وكان بينهم حديث عن الزواج من سنوات يسيرة ، فالدكتورة أم لطفلين ، وقد فقدت زوجها بمرض عضال ، وكان بينها وبين رشيد محاولة للزواج ، فهي ترددت بحسم الأمر ، والدكتور كانت تلعب به وردة ، وتعده بأنها اذا طلقت ، واذا تركها عصام بعد مرضه الخطير، قد تكون زوجته ؛ لإحياء حبهم القديم .

عاد إليه الأمل ، وكان يرقب الأحداث ، وفعلا نجحت وردة بترك عصام بكل هدوء ، ولو طال الوقت لمدة ثلاث سنوات . ولما جد الجد ، وجد رجلا آخر ظهر من السر والخفاء في حياة محبوبته ، ولما علم بسفرها إلى أوروبا ، واجتمعت بوائل ، وأظهرت أنها اتفقت مع صديقها وائل على الحياة كزوجين دون عقد قران ومحكمة ، صدم كما صدم غيره ، وتشتت ذهنه فعاد يحادث حنان ورغبته بالزواج منها وأنه ملّ من العزوبية ، فقبلته ، وحسمت ترددها وكتب العقد الشرعي ، وأخذوا بالاستعداد لحفل الزواج في أحد فنادق تاج الزمان الحديثة .

سعت وردة للحديث معه ؛ فكان يغلق الخط ، ويرفض سماع صوتها، وأرسلت له رسالة الكترونية ، فرد عليها برسالة بعدم رغبته بالحديث معها أو رؤيتها ، وانتهى ما بينهما إلى الأبد ، وأعلمها بعدم رغبته بدعوتها لحفل تاج الزمان .

ونشرت صور حفلة الزواج في المجلات الاجتماعية بتعليقات مختلفة ، وكان الرجل يأسف للوقت الذي قضاه مع وردة وتلك الأحلام الوردية .

وبعد زواجه بأيام نشرت بعض الصحف عن فراق وائل ووردة ، وفشل مشروعهما القبيح بسبب عدم تقبل المجتمع لمثل هكذا علاقة ، ولحفظ تقاليد العائلة والمجتمع، ووجدت معارضة شديدة من أهلها وأمها .

تحدث رشيد مع عصام واعتذر له عن إساءته له وتسببه بطلاقه من وردة ، فقبل عصام اعتذاره وأخبره أن وردة انتهت من حياته ، ولم يعد يربطه بها إلا جوهر ابنه الوحيد ، وحاول نقل حضانته إليه ؛ ليبعده عن مجونها وسكرها ، وبارك له الزواج وتمنى له السعادة .

تلقى رشيد هاتفا من عمته زكية حسني باركت له فيه الزواج، وانتهاء فترة العزوبية ، وتحدثت مع قرينته حنان وهنأتها بالزواج ، ودعتهم للعشاء الخاص بهما، وأعلمته أنها دعت والده علي وأمه ، وعمه تيسير وحليلته ، فقبل الدعوة المقامة على شرفه هو وزوجته ، وطلب منها بكل صراحة أن لا تدعو ابنتها وردة ، فقالت : لم أدعو إلا من ذكرت لك وعارفا.

مشى رشيد وقرينته إلى منزل العمة تلبية لدعوة للعشاء حسب الاتفاق ، تناولوا الطعام ، قدمت لهم الشراب ، فدخلت عليهم حينئذ وردة ، فتوتر الدكتور وقالت زكية: صدق يا رشيد أنني لم ادعوها .

قالت وردة شارحة ظهورها : علمت الأمر من عارف .. أحببت أن أراك وأبارك لكما بالزواج يا ابن خالي .. مبارك يا دكتورة حنان!

ـ شكرا دكتورة وردة .

فقال : مبارك طلاقك الجديد!

ابتسمت قائلة : طلاقي ! وهل أنا تزوجت؟ !



خرج سامي وحسن من مسجد عمار في أحد شوارع تاج الزمان ؛ حيث كانا يتابعان العمل الإنشائي الضخم الذي يشيدانه ، وهو عبارة عن مجمع تجاري مكون من عدد كبير من البنايات ، هما يقومان بإنشاء عمارتين ، كل بناية تزيد عن عشرين طابق فوق الأرض .

ولما فارقا الجامع دخلا مطعما صغيرا للغداء قرب المسجد قبل المسير إلى موقع العمل والبناء ، فهما يديران ويملكان شركة مقاولات" أكبر تاج الزمان العالمية " فقد أنجزا مشاريع عمرانية خارج البلاد وداخلها.

كان حسن يسأل صهره ونسيبه عن صحة شقيقه عصام ، فقد ألمت به من أيام وعكة صحية أدخل بسببها المشفى ، فقد شعر بألم شديد في صدره ، وخشي عليه من جلطة قلبية ، فقال سامي : الحمد لله ، خرج بعد مبيت ليلة واحدة ، كان صدره متعبا قلقا مهموما على ولده ، فقد رفضت طليقته التخلي عنه ، رغم فضائحها وهوسها بالحرية الجنسية ، والعيش مع رجل بدون عقد ، فلما قرأ وسمع أخبارها القبيحة خشي على الولد من فسادها ، فلما ير جوهر الزناة يدخلون عليها سيتأثر ويصاب بالعقد .. فكيف سيشب المسكين ؟ رفضت وأعلمته أنها تركت عشيقها وهي لا تتخلى عن ابنها فأصابه الضيق والألم .

ـ سابقا أمر أخيك محير ، أنا كنت قليل الاختلاط به ، لم تكن نوار تُكن له تقدير واحترام ، ولا تحب زيارته وحتى الاتصال به .. زوجته قبل الطلاق لم تكن مقبولة من نوار أيضا .. فقد فعلت منكرا رهيبا .

قال : اسمع يا حسن ! نحن نعرف ابنة عمنا جيدا .. هي وعصام وأمثالهم يظنون بعنبس منطقة في أمريكا .. أنت تعرف ساحاتها وملاهيها وخماراتها وحاناتها ومراقصها .. فهم يعتقدون أنه حي من

أحياء أمريكا ، فيحق لهم أن يعيشوا على طريقة الغربيين.. نحن نعرف وردة وسقطاتها من أيام الكلية ، وعاشت ونشأت أول حياتها في أكثر البلاد العربية حرية وفتنة بيروت .. وعصام للأسف مثلها وهو كان يسبقها بعام ، وكلاهما في نفس الكلية ، وكلاهما ملحد لكثرة الملحدين في الكليات العلمية.. للأسف بدل أن يقربهم العلم إلى الإيمان والدين ابتعدوا .. وأنا وأنت يعلم أن ذلك من أجل اطلاق غرائز الجنس قضاء الرغبات والشهوات دون أن يؤنبهم ضميرهم ويضبطهم دين ، ولا تنسى أن بين أطباء جامعة بعنبس أجانب لا دينيين ، وإن لم يكونوا ماركسيين شيوعيين .. أصر أبي على زواج عصام الملحد من الملحدة وردة .. فهو سيء السمعة وهي مثله ؛ لعلهم يتفاهمون ويتعافون من أمراضهم الفاضحة .. أبي يبغض زكية امرأة عمي وأهلها ، وحتى لا يتزوجها رشيد ابن أخيها دكتور الجامعة تمسك بزواج عصام منها .. حاولت معه دون فائدة ، فقال أبي : دعه ، الأيام دواء ، ولما قرر والدي زواجها كان قصده استكانتها ويهدآ .. فأبي لا يقتنع بتربية امرأة مثل زكية امرأة عمي نجيب .. فهذا العم علمنا لما كبرنا أنه قطب من أقطاب الشيوعية العربية واليسار العربي ، وعاش ردحا من الزمن في فلسطين ثم هرب لبيروت ، ثم هرب لقبرص واختفى لحد اليوم .. الشرطة القبرصية تزعم أنه هرب مع أنثى إلى أمريكا اللاتينية بشخصية أخرى حسب تحقيقات شرطة قبرص .. وزكية المتصابية ترى أنه خطف من موساد إسرائيل .. والصليب الأحمر أكد أنه لا يوجد في إسرائيل أحد باسمه.. لماذا خطف ومن خطفه ؟ لا أحد يعلم .. والزواج والهرب لا أدلة عليه .. فكل سنة تذهب زكية زوجته إلى قبرص ، وتنزل في فندق الاختفاء أسبوعا عشرة بزعم الوفاء ، ثم تعود وتعمل وليمة ودعوة في فندق عن روح نجيب الحية .. فهي مثله ضالة ؛ ولكنها تؤمن بالله ولا تؤمن بدين وصلاة ، ولابد أنك سمعت شيئا عنها من نوار أو أبي .. نحن علاقتنا بهم رسمية أو أقل من رسمية .. متحفظة .. علاقة أقارب .. علاقتنا مع سالم وجهاد هي الأقوى وتربوا معنا .. وهم بحكم تدينهم بعيدون عنها إلا بحدود البر المطلوب.. وقل سبحان الذي يخرج الحي من الميت الخلاصة أنهم أسرة مفككة يا حسن ! وأبي لليوم يتهمها بقتل نجيب أو المشاركة باغتياله ، وأنها تتظاهر بالوفاء ، وأنه خطف بطريقة بسيطة ، ولتعلم أن أبي وعمي كل واحد منهما من أم .. فهذه قصة زواج عصام من وردة محاولة للستر عليها وعليه.

ـ هل كان يعلم بأن زوجته تخونه ؟ ولها عشاق .. رأيتها مرة متبرجة لآخر درجة فتعجبت من

صمت أخيك ، فقلت لمن كل هذا التبرج والسفور والمكياج ؟!

ـ في فترة ما قلت له طلقها يا عصام ! ودعك من حرية المرأة .. تجاهل غمزي وإشارتي .. هو يعلم أنه تزوجها بغير بكارة وتحدث بذلك ، وظن أنها صارحته بذلك حتى ينصرف عن زاوجها ؛ للآن أمها تكره أبي ؛ كما يكرهها هو ؛ لكنّ عصاما كان مثلها له عشيقاته ومومساته ويتظاهر بأنه جاهل بخيانتها .. نحن نعرف.. فكيف هو ؟ مأساة بحق ! لما يزيغ المخلوق عن الفطرة السليمة يرى الباطل هو الحق ..انظر إلى ما أصابه بسبب ذلك .. وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم .. أنا فرح جدا بتوبته وصلاته .. هو في الآخر أخ لي .. ربك يمهل ولا يهمل " سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ " نسأل الله وحده العفو والمغفرة يا أبا محمد .. سيدنا الحسن كان ينادى بأبي محمد.

ـ أمين أمين يا أبا عبدالله !

إجهاض

اتصلت زكية حسني بابنها جهاد ، وطلبت منه المرور عليها لحديث خاص ؛ فكان يكره الذهاب لبيتها خشية أن يلتقي بوردة وجريدة ، فهو لا تعجبه اختياراتها الفكرية ، فهما في نظره منحلتان غاياتهما المتعة من أجل المتعة ، ويقلل من الزيارة " زر غبا تزد حبا " ونفس الحين لا يكون عاقا ، ولا يرغب أن يراها تشرب المسكر مع أصدقائها وضيوفها ، أو تدخن أو يرى السافرات الكاسيات العاريات بحضرتها أو يقابل زوجها المسطول بالخمر والإدمان ، لم تكن أمه متدينة أو حتى عامية في الدين ، كانت ملحدة منذ التقت بأبيه في لبنان ، واستمرا على ذلك لا دين لها

فقال : أنا وحدي!

فهمت قصده وقالت : اذا أحب سالم أن يرافقك .. فمرحبا بكما .

سالم رجل أعمال وتاجر كبير وأغلب نشاطه في الخليج العربي ، ويتردد باستمرار على البلد لمصانع وأعمال خاصة ينشط بها في البلاد وبعنبس ، وكان له شقة فوق شقة جهاد في نفس البناية فهو يقطن الطابق الثاني ، والأول الأرضي لجهاد، وزوجته شقيقة زوجة سالم ، تزوجا في وقت واحد ، تحدث جهاد مع سالم عن رغبة الأم بالحديث معه ، ولم تذكر الموضوع ورحبت بصحبته للمرور عليها.

وافق سالم على الزيارة والمصاحبة ، واستعد لها ، كانت زكية اذا زارها سالم أو جهاد تخفي قوارير الخمر عن الموائد لاتفاق بينهم ، وحتى تراها تلبس ثوبا طويلا حسب اتفاق جرى قديما ، وعادة قبل أن يمر عليها أحدهما يخبرها بالهاتف لتسعد للقاء ، واذا كانت وردة أو جريدة يسهران عندها تنصرفان بعجلة ، فتعليقات جهاد جارحة ومؤلمة

رحبت بها وصافحاها وعانقاها واطمأنا على صحتها وسير عملها ، وقدمت لهما خادمتها القهوة والماء ، وأشعلت سيجارتها وقالت : هناك مشكلة حدثت لوردة أختكم .

أسرع سالم قائلا باندفاع معروف فيه : مع عشيقها !

نظرت إليه ؛ كأنها تلومه على الوصف وقالت بحدة : تركها عشيقها ، وتزوج رشيد زميلة له فأصبحت بدون أحد .. زوج طلقها كما تعلمون .. رشيد يأس منها على غير ما توقع .. كان يتوقع من إلحاحها ورغبتها بترك عصام أن تتزوجه .. أنا قلت لعلها تريد رشيدا .. والعشيق تبين أن على ذمته امرأة ؛ لها سنتان هاجرته ومبتعدة عنه .. فلما عرفت ذلك تركته ، وبقصة أعرف أنكم لا تحبون سماعها.

قال جهاد: ما هي المشكلة والقضية الجديدة ؟

ـ أنتم تعلمون أن من أسباب شهرة وردة هنا عملها عمليات إجهاض خارج القانون.

لم يتكلم أحد ، فتابعت تقول : قامت بعملية من أيام ، والمرأة أصيبت بنزيف فنقلت إلى مستشفى .. والرجل حبس ، والد الجنين الذي أجبر المرأة للخضوع للعملية بعد أن علم بحملها ، وهي حاولت إخفاء الحمل عنه .. وحبست وردة ليلة واحدة ، وخرجت بكفالة ، وتحتاج إلى محامي ذكي وبارع في مثل هذه القضايا فاتصلت بك ؛ لتشير علينا بمحامي مناسب

قال سالم : ذكرت بعض الصحف القصة أو الخبر دون التصريح بالأسماء .. ذكرت حروفا من أشخاص القضية .. إذن القصة مع وردة ، والمريضة ما زالت في المستشفى.

قالت : توقف النزيف وأعطيت دما .. فالنزيف هو الذي كشف وفضح عملية الإجهاض.. آ يا جهاد ! عرفني ببعض الأسماء التي تتولى مثل هكذا قضايا بمهارة .

قال : اذا تعافت المرأة لا يبقى إلا الحق العام ، وتعويض بسيط لها .. والأخطر أن تمنع وردة من مزاولة عملها لمدة من الوقت ؛ ربما عام أو أكثر حسب القاضي والتحذير من تكرار مثل هذه العمليات .. وتكثر هذه العمليات بسبب الفجور والزنا العام والطام .. لقد كثر اللقطاء في البلد!

ذكر لها بعض أسماء المحامين الذين يعالجون مثل هذه القضايا الجنائية.. فدوافع جرائم الجنس كثيرة منها الفقر والحب والاندفاع مع الغريزة والجهل والحالة النفسية والاجتماعية سوء المعاملة للزوجة التفاوت الكبير في السن الضعف الجنسي وعدم القدرة على الجماع المال .

اشتهرت الدكتورة النسائية وردة نجيب بعمليات الإجهاض الممنوعة قانونا ، فكثير من

الحوامل عالميا يسقطن الحمل بسبب إعاقة خلقية في الجنين ، مشاكل صحية لدى الحامل أدت إلى نزوله تلقائيا ، وبدون عملية إجهاض ، فيحتجن لعملية كشط وتنظيف رحم لحمل جديد فهذه العملية يسمح بها القانون ؛ لأن الجنين ميت أصلا ، ولا عقوبة عليها ، وتقوم بها المستشفيات العامة والخاصة .

أما الإجهاض المتعمد بقصد قتل الجنين في أي شهر كان فهذه جريمة يعاقب عليها الفاعل في بلاد المسلمين ، وبعض الدول تغض الطرف عنها ، كما تفعل وردة في بعنبس .

قد يكون الإجهاض مقصودا ومتعمدا لإنهاء حياة مخلوق لأسباب متعددة ، وإجهاض مشروع لضرر على صحة وحياة الأم .

الكشط أو التنظيف للرحم هو إجراء طبي يهدف إلى إزالة الحمل الذي لا يحدث بشكل طبيعي ويتم إجراء عملية الإجهاض عندما لا يكون مرغوباً بهذا الحمل، أو بسبب التخلق غير السليم للجنين ، تتم عملية الكشط من أجل تفريغ الرحم من محتويات الحمل حتى بعد الإجهاض الطبيعي ، الذي لم يتم بالكامل. عملية الإجهاض تتم عن طريق إدخال أداة طبية إلى داخل المهبل عبر عنق الرحم لداخل الرحم ، لإزالة أنسجة الجنين والحمل خارج تجويف الرحم.

قبل انتهاء الشهرين من للحمل من الممكن تناول أقراص من شأنها أن تتسبب بإجهاض الجنين أو فعل حركات رياضية عنيفة تسبب سقوط الحمل ، ثم عمل عملية تنظيف للرحم خشية تلوثه من موت الجنين .

ومن بعد الأسبوع الـ ٢٦ من الحمل يتم إخراج الجنين بواسطة الولادة أو عن طريق الولادة القيصرية. الإجهاض حتى الأسبوع ١٥ يمكن إجراء هذه العملية عن طريق سحب محتوى الحمل من داخل الرحم بواسطة الشفط بالتخلية ، ومن بعد ذلك يصبح اسم هذه العملية التوسيع والكشط .

المشكلة الخطيرة في إجراء هذه العملية في الأسابيع المتقدمة من الحمل تكمن في خطورة حدوث ثقب في جدار الرحم حيث المشيمة. قبل القيام بهذه الجراحة يجب على المريضة القيام بفحص جسدي شامل، وكذلك فحص نسائي يقوم به طبيب النساء ، يجب القيام بفحص بالأمواج فوق الصوتية من أجل التأكد من عمر الحمل الدقيق ومنطقة غرس الجنين .

يتم إنهاء الحمل تحت تأثير التخدير الشامل ، وينبغي على المرأة أن تصوم لمدة ٨ ساعات تامة قبل الجراحة. قبل إجراء الكشط يتم إدخال مادة إلى عنق الرحم التي تقوم باستيعاب السوائل مما يجعل

هذه المادة تتوسع، وهكذا يتم توسيع عنق الرحم بشكل تدريجي.

يقوم طبيب النساء بإجراء هذه الجراحة ، بداية يتم تعقيم منطقة مدخل المهبل، ومن بعد ذلك يتم إدخال أداة طويلة ودقيقة عبر المهبل، والتي تهدف إلى توسيع مدخل عنق الرحم ، ومن ثَم يتم إدخال أنبوب موصول لمضخة إلى تجويف الرحم وعن طريق هذا الأنبوب يتم ضخ أو شفط محتويات الحمل.

في الأشهر المتقدمة من الحمل، يجب استعمال أدوات جراحية عبر الاستعانة بجهاز الأمواج فوق الصوتية ، من أجل التمكن من تفريغ تجويف الرحم (هذا الجهاز يدعى الكاشط) يتم الانتهاء من الجراحة عندما يتيقن الطبيب بأنه أفرغ كل تجويف الرحم من محتويات الحمل.

للإجهاض مخاطر: عدوى عنق الرحم أو عدوى داخل الرحم والتي من الممكن أن تسبب الإصابة بالمرض الالتهابي الحوضي ، وقد تؤدي لحدوث مشاكل في الخصوبة مستقبلاً أي العقم يؤدي الإجهاض إلى نزيف في منطقة الجراحة جراء تعرض الأنسجة في الرحم للكشط قد يحدث النزيف مباشرة بعد الجراحة ، وقد يحدث بعد ٢٤ ساعة من انتهاء الجراحة وقد يحدث النزيف بعد عدة أسابيع ، في حال كان النزيف شديداً يجب إيقافه عن طريق القيام بجراحة ربط الأوعية الدموية التي تنزف .

قد تكوّن ندبة في أنسجة الرحم في معظم الحالات ، قد تكون الندبة صغيرةً ولا أهمية لها ؛ ولكنها تسبب مشاكل في الخصوبة مستقبلاً، هذا في حال تم إجراء العديد من عمليات الكشط ، ومن المخاطر إصابة ثقب جدار الرحم ، وأيضا بقاء بعض محتوى الحمل في الرحم؛ في بعض الحالات هنالك حاجة لإجراء عملية جراحية من أجل إزالة بقايا محتوى الحمل.

ومن الضرر فشل عنق الرحم إذ قد تتضرر أنسجة عنق الرحم، الأمر الذي قد يؤدي إلى الولادات المبكرة في حالات الحمل المستقبلية. في بعض الحالات قد يحدث هبوط خطير في ضغط الدم ، على المريضة أن تبقى تحت المراقبة لمدة ساعات ، حيث أنها تمكث في المشفى لمدة يوم ، بعد إجراء الجراحة، في معظم الحالات بإمكان المريضة العودة إلى البيت في يوم الجراحة.

من المتوقع أن تشعر المريضة بآلام في البطن لعدة أيام ، بسبب تشنج عضلات الرحم ، يمكنها تناول مسكنات الألم بحسب الحاجة ، وقد يظهر نزيف مهبلي مع خثرات دموية لمدة أسابيع من بعد الجراحة، والتي ستختفي بشكل تدريجي ، من المتوقع عودة الدورة الشهرية لسابق عهدها في

مرحلة لاحقة. فليس من السهل التهاون في إجراء الإجهاض ، فمخاطره وآثاره نفسية وبدنية فلذلك اشتهرت وردة في بعنبس بإجراء عمليات الإجهاض خارج القانون للحمل غير المرغوب فيه .

كان خميس جعلونة الضابط المتقاعد من زمن قريب يجلس في فيلاته ، وقد تناول العشاء مع زوجته أم سليم وابنته علا زوجة وائل زياد ، وبسمة الأصغر منها فجلسوا في الصالة يتسامرون فقال موجها الكلام بداية لعلا : أكيد سمعت أو قرأت عن آخر فضائح زوجك السيء الذكر الحقير السافل ابن زياد.

قالت بغل وضيق : لعنه الله ، أكبر جريمة فعلتها أني عرفته وتزوجته ، كان يوما أسود يوم التقيت به في المستشفى الجامعي ـ ومسحت دمعة ـ كانت عينه زائغة ، لا أنثى تسلم من عينيه ومن بحلقته وجَحره .. ولما طلقني أحمد محمود كما تعلمون أصبت بصدمة كبيرة .. وقف بجانبي مظهرا عطفه وحزنه ، ولسانه الشيطاني جعلني أفكر فيه بديلا عن احمد .. وأتذكر تلك اللحظات يوم حدثني عن الزواج .. وأنت يا أبي لم تعترض كثيرا .

قال : كان فشل زواجك صدمة لي ، دفعني الفشل إلى عدم التوازن ، وصار أكبر همي أن تتزوجي ؛ لتنسي الجرح .. كنت أرى احمد محترما وطيبا ، وتفاجأت من تسرعه في الطلاق ، وعدم التأني لتتدارك الأمر ، وكان مؤلما لأمك كذلك.. لليوم لم أعرف سبب الطلاق الحقيقي بعد ولادتك لطفلتين .. هل تعرفين شيئا يا رباب أو أنت يا بسمة ؟ فعُلا لم تقل لي شيئا مقعنا لليوم.

قالت الأم موضحة : الذي فهمته من علا ـ وها هي تسمع ـ أن أمه كانت ضيفة في بيته نزيلة عنده ، وحدث بينهم خلاف بين احمد ووالدته .. وكان مسموعا لعلا على قطعة أرض معروضة للبيع ، وحشرت علا نفسها بينهم ، ويبدو أن علا رفعت صوتها على حماتها ، فانصرفت الحماة غاضبة ساخطة ، رفضت الصلح مع ابنها إلا بطلاق علا .. هذا ما عرفته سببا للطلاق من علا ومن خالة احمد .. هذا ما قلناه اليوم وأمس يا خميس !

قالت بسمة : هذه هي القشة التي قسمت ظهر البعير يا أبي ! الحق أن علا لم تعرف أن تتفاهم مع الابن ، وقفت معه ضد أمه ، نسيت مقام الأم عند الولد مهما تكهرب الجو .. لم تعرف إتقان التفاهم مع احمد منذ زواجها ، والموازنة بين العمل وحاجات احمد .. صدف أن حضرت عددا من المنازعات بينهما ، وقمت بإصلاح ذات البين بينهما .. كانت علا ـ وها هي تسمع الآن ، وسمعت مني تلك الأيام مثل هذا الكلام ـ ترفع دائما صوتها عليه

، وتكثر من ترديد أبي ضابط مخابرات ؛ فكان يتضايق ويشعر كما قال لي بأنها تهدده بأبيها وهو زوجها بدل أن تحتمي بعمي خميس تحتمي بي ، ثم حدثت قصة نزاعه مع أمه ،وحشرت نفسها بينهم قال : ما رأي علا؟

ـ أنا ندمت كثيرا ؛ لكن بعد فوات الأوان .. فأنا مسؤولة القسم ،كنت أعود مرهقة من الدوام والنسوان والتوليد ، فلا أحتمل كلامه ، وكنت أرى أن يخدم البيت كما أخدمه ، نعم ، فشلت في فهمه .. كنت صغيرة وطبيبة وهو مدرس ، فكانت نظرتي إليه خاطئة ، وأراه أقل قيمة مني مع أنه يحمل كما تعلمون ليسانس من كلية التربية ، أنا لما تزوجت وائلا عرفت قيمة احمد ، فوائل يحمل شهادة مثلي عرفت الفرق بينهما كان وائل ندا لي ؛ ولكنه لم يكن شريفا وذا كرامة .. كنت أعلم بعلاقاته مع ممرضات القسم وطبيباته ؛ لكن لم يخطر في بالي أنه يمارس الفاحشة مع بعضهن ، كنت أراه مجرد غزل وتحرش ، ووقفته المعنوية في أول طلاقي جعلتني أحس بأنه لطيف مقبول كزوج ،كان حذق اللسان والكلام ، تشعر أن عمره مائة سنة وصاحب خبرة .. كانت خبرتي ضعيفة ، وتغلبني العاطفة والانفعال ، ولما تزوجته لم يتحسن ووجدته يشرب الخمر ، ويستضيف النساء للسهر ولعب القمار ، وحاولت منع العبث فرفض الانصياع ، ويزعم أنهن صديقات الحزب السيء الذكر ، وأن الحزب سبب كثرة صحبته للنساء .. أنا لم أفهم معنى الحزب ، وسألت كذا مرة عنه ، ولم تفدني المسألة كثيرا .. فقلت له لماذا تزوجت وعندك كل هؤلاء النسوة ؟ رد أنا حزنت من أجلك ، وضايقني طلاقك.. أنا أتعاطف جدا مع النسوان وأنت تعرفين مغامراتي النسائية لماذا قبلت بي ؟ أنا لما وقفت معاك لم أكن أعلم أن أباك ضابط مخابرات .. أنا علمت أنه ضابط عسكري أو شرطي .. ولما لم يتوقف عن شبقه قررت الابتعاد عنه .. فالبيت موبوء ، وهوكما تعلم يا أبي يرفض الطلاق منذ عامين للمبلغ المكتوب عليه .

ـ أنا وضعت المبلغ العالي حتى لا يحدث طلاق آخر معك فتتعقد حياتك .. وهو وافق دون تردد ، لم يعترض على الخمسين ألف .. وأنا في الحقيقة لم أرتح له ؛ ولكنه طبيب وأنت طبيبة في نفس المستوى العلمي ، وتعرفينه أكثر مني بحكم العمل في مكان واحد .. كثير الكلام والبرم وكثير السؤال عن العمل في الجيش ويفكر بالخدمة الطبية العسكرية ، ويهتم بالتسليح والحروب والرتب .. وها هو يعمل فضيحة جديدة .. يريد أن يعيش مع أنثى بدون عقد زواج .. فكر أننا في الغرب ، وأمام اشتهار الأمر المجنون أنهت علاقتها به ، بسبب الحملة الصحفية عليهما وعلى

جمعيتها الإباحية .. ترك طبيبة الإجهاض السري في بعنبس وردة نجيب.. هذه المرأة اطلعت على ملف أبيها .. فوالدها مناضل فلسطيني قديم ، كان يعمل جاسوسا للمنظمات الفلسطينية اليسارية في فلسطين ، وشارك في قتل ضابط ارتباط صهيوني مع رفيق معه .. قبض على الرفيق ، وهرب هو لبيروت تحت حماية المنظمات ، وعمل طبيبا حتى حدثت حرب اثنين وثمانين فهرب لسوريا ثم قبرص .. وهناك اختفى ، واحتار الناس وأجهزة المخابرات والأمن باختفائه، إسرائيل نفت أسره وعقابه ، وزوجته ما زالت تنتظر عودته .. رأيت ملفه عندنا ملف نجيب عارف.. وأعرف أخاه حبيبا .. وقلت له لا معلومات مفيدة عنه عندنا .. لم يكن له نشاط ضد النظام هنا .. حياته كانت في رام الله وبيروت وهو قريب من مذهب ماركس ولينين ؛ وكذلك ابنته وردة ، له أولاد جيدون وشيوخ وأصحاب أموال وشركات .

****

تلقت علا خميس بعد هذا الحديث العائلي الذي ذكرناه بأيام تلفونا من السيد وائل يعلن فيه رغبته بالصلح وعودتها للشقة ، فكان جوابها الرفض وبشدة ، وليذهب إلى شقة عشيقته وردة التي شاع أمرها في الصحف وبين الناس والمدينة .

عرض عليها اللقاء للتفاهم في مكان عام مقهى مطعم حديقة ، فقالت بضيق وغضب مكبوت في صدرها : حياتنا يا وائل سيئة .. عشنا سنتين مع بعض .. لا احترام ولا قدسية لبيت الزوجية دائما لقاءات خارجية زيارات .. أصبحت الشقة وكرا لحزبك ، وكرا للدعارة وترتيب مواعيد الفحش والغرام .. أنا من البداية قلت لك سمعتك في المشفى رديئة ، واذا حدث نصيب عليك أن تفتح صفحة جديدة صفحة بيضاء ، ولا أقبل المغامرات النسائية، وعدتني؛ بل أقسمت أنك سوف تتغير ، وقد مللت حياة العزوبية .

ـ أنا بحاجة إليك اشتقت لك.

ـ ولماذا أنت بحاجة إليّ والنساء حولك كثير مثل الرز كما كنت تهرف؟ خسرت كثيرا من سمعتي من أفعالك الدنيئة .. لما تعقل وتصير بني آدم أفكر بالعودة .

ـ دعينا نتطلق ، وتنازلي عن المؤخر المرتفع .

ـ حقي ، وعليك بالدفع أليس هذا حقي ؟!

قال : أنا قبلت به مجاملة وعربونا عن الحب وصدق غايتي .. بهذا المبلغ يعاشر الرجل كل نساء العالم .. أنا لا أدري لم يتزوج الناس ويدفعون كل هذه الأموال؟!

ـ الحلال غالي يا رخيص .. ابن بالحلال خير من الدنيا .. أنا حمدت الله مائة ؛ بل ألف مرة أنني لم

أحبل وأحمل منك.
ضحك قهقهة وقال : كنت تأخذين مانع حبل .
ـ خشيت أن أحمل ويحدث الطلاق مرة أخرى .
قال : على كل حال فكري بإصلاح حياتنا والعودة ؛ لأنني أصبحت بلا عمل وأفكر بالهجرة ؛ بل قدمت طلبا إلى كندا رغم أنها بلاد باردة ، وقدمت إلى نيوزلندا وأستراليا .
ـ يسر الله أمرك .. ترتاح نسوان وفاجرات بعنبس منك .. جرب لعل الحياة عندهم أفضل لك خاصة مع العيون الزرق والشعر الأشقر .
قال بتوسل : اذا عدت سأصرف نظري ، ونبدأ من جديد .. أنا كلمت بسمة ، ووعدتني بالتشفع لي ، ثم نصحتني بالحديث مع أبيك مباشرة .
ـ أبي لا يقبل بعد ضغطي عليه لأتزوجك .. يا لعين لم يرك الزوج المناسب .. وكان رافضا بشدة ؛ لكني أنا صدقت تعهدك وأحلامك .
ضحك وقال مستفزا : لا يا علا .. أنت لم تصدقيني .. أنت جسدك حن للرجال لم يطلبك ويتقدم إليك أحد بعد طلاقك .
قالت هازئة : حتى لو صح ذلك من مريض مثلك مهووس بالجنس ..فها أنا لي أكثر من سنتين من غير تيس أو حمار ينام معي .
ـ الله أعلم ! أنا لا أثق بامرأة ، ولا أعتقد أنه يوجد هناك امرأة شريفة وغير خائنة.
سخرت وقالت: هذا شأنك ومرضك ، ولا يهتم به أحد .. أنت مريض وتظن كل الناس على شاكلتك .. أنت فاشل ونجس !
ـ سأتزوج وإما نتصالح .
قالت بحقد : تزوج يا لعين .. أنت أكبر غلطة ارتكبتها في عمري يا نذل!

ــــــــ

في نهاية العام ٢٠٠٧ كانت وردة تشعر بين اليوم والآخر بألم بأسفل البطن ، وتظهر بثورا حول أعضائها التناسلية كفتحة المهبل وفتحة الشرج ، تظهر وتغيب وتصاب بحكة في نفس المناطق والفخذ والعجز ، وهذه أعراض ظاهرة تشير إلى مرض معين ، وسببها ممارسة الجنس مع زوج أو شريك مصاب بمرض جنسي ، وتظهر الأعراض بعد أسابيع كسائر الفيروسات التي تأخذ فترة حضانة ، تعرف هي ماذا ترسل من رسالة مزعجة ؟ فأصابها القلق والخوف من مرض تناسلي ، ومن فضيحة جديدة ، وكما نفرت النساء عن العيادة إلى حد كبير ، سينفر العشاق الذين هجروها أصلا ، كانت علاقتها بوائل دمارا عليها ، فضاقت أفكارها وهي الطبيبة المختصة بالولادة والأمراض التناسلية ، فهي تعاني من شيء ما ، بدا يظهر داء الاستهتار بالاتصال بالرجال دون ضابط ، وأخذت تفكر ممن جاءتها العدوى ؟ من أين انتقل

لها الداء ؟ ولم تنفع ، بدا لها الاحتياطات الجنسية بأكثر من ذكر ، فهي منذ تركها وائل خفت علاقاتها الجنسية ، وتعيش في حيرة ، فقد قل عشاقها الأغنياء ، وقلّت هداياهم ، فكلهم يخشى على سمعته ، ويخشى صورة من صحفي متربص أو عشيقة مهجورة . . خاصة مع أجهزة الخلوي وقدرتها على التصوير خفية وعن بعد .

اتصلت بوائل وحدثته بما تعاني وتشك ، فاعترف لها أنه أيام عمله في مستشفى الجامعة كمتدرب أولا وثانيا موظف وطالب الاختصاص في طب الأطفال كان له علاقات مع ممرضات وموظفات منحرفات ، وعانى يومها من فيروس الهربس فيروس تناسلي مزعج وتعالج منه ، فلما سمعت ذلك تأكد لها ما خمنت فقالت : ارجع وافحص منه؛ فإني يبدو لي الآن أني أعاني منه فلديّ حكة تخف وتقوى ودمامل صغيرة وبثور حول المهبل تظهر وتموت وتعود إلى اللقاء وشكرا على صراحتك.

أدركت وحسمت أن عشيقها وائل نقل لها العدوى التي ظهرت عليها هذه الأيام ؛ لأنه الوحيد الذي كانت تسمح له بممارسة الجنس معها بدون واقي ذكري ، الذي انتشر وشاع استعماله بعد ظهور مرض الإيدز الشهير من عقود ، وتنصح به منظمة الصحة العالمية ، وتسبب وأدى إلى الوفاة لكثير من المنحرفين والشواذ في العالم .. نسأل الله العافية .

قالت: أصيب به أثناء شغله في مستشفى كلية الطب ، يذهبن للتدرب على الطب والعلاج ، ويتدربن على ممارسة الحب على رأي الغربيين .. وخطر في ذهنها علا خميس ، وتسألت هل هذا سبب بعده عن علا زوجته أم هي التي ابتعدت عنه لما علمت بمرضه هذا أو أصيبت به فانكشف أمره لها ؟ .. قاتل الله الرغبة والشهوة ! كم يضعف الناس أمامها .. ولماذا وجدت هذه الأعضاء وهي في أقذر الأماكن ؟

الهربس مرض جنسي من بين خمسة وعشرين مرضا متعلقة بالاتصال الجنسي بين الناس ، فمنها بكتيري ومنها فيروسي ، واذا شُخص جيدا سهل علاجه كما تعلمت ودرست خاصة في بدايته كأغلب الأوجاع اذا عولجت مبكرا ، وأشهر علاماته البثور حول الشفران والعانة وحتى الأرداف أو الشرج أو الشفاه اذا مورس الجنس الفموي والشرجي .. حياتنا جنس في جنس .. النهار عمل ومكاتب ، والليل صخب وزنا وإباحية .. وهذا المرض يصيب أعضاء الأنثى والذكر ، ويشوه الوجه والشفاه ، ويعالج بالحبوب مثل السيلان ، وله أدوية خاصة .. كم تستفيد شركات صناعات الأدوية من شهواتنا

الإباحية ؟!

أسرعت وردة إلى عيادة متخصصة بمعالجة الأمراض الجنسية ، وقامت بالفحوصات المخبرية والتحاليل ، وكشف عليها طبيب العيادة والمركز الخاص وثبت لها أنه في أوله ، وانتبهت له مبكرا ، ثم صرف لها زميلها المختص بمثل هذه الأمراض الدواء المناسب ، ونصحها الطبيب بالابتعاد عن العلاقات الجنسية حتى ينتهي ، ولا تنقله لشريكها في الفراش لمدة أسابيع .

فلما عادت لعيادتها التي لم تعد تعمل كسابق عهدها بسبب تلك الفضيحة والتشهير ، فقد ابتعدت الكثيرات من الحوامل والمريضات عن العيادة وهي تردد : الدكتور يحذرني من نقل العدوى لشريك الفراش حتى لم يقل لزوجك.. الكل يعلم تهورك .. أصبحت امرأة إباحية في نظر المجتمع الفاسد .

قالت نوال : مالي أراك كئيبة يا دكتورة ! الحمد لله على السلامة.

ـ الحمد لله على السلامة . وكانت تتطلع في عيني نوال باستغراب ، ثم بكت وعلمت أنها لم تهتم بالوقاية من أمراض الجنس والعلاقات العابرة ، واستهانت بالواقي الذكري مع وائل، لم تكن تقدم له واقيا كغيره حذر الإيدز وغيره ، كانت تركز معه فقط على عدم الحمل بتناول الحبوب يوميا ، ولما انتهى تأملها وبكائها .

قالت : كيف عرفت أنني مريض؟!

ـ عرفت منك يا دكتورة!

ـ مني ! كيف؟!

ـ لما تأخرت الصبح اتصلت فقلت سأذهب إلى عيادة ومختبر ينال ، ففهمت أنك مريضة.

ـ نعم ، معك حق.. آسف شكرا لاهتمامك .

اتصل بها وائل قائلا: ما أخبار الهربس؟

ـ تعالجت أو بدأت العلاج بحبوب ومراهم .. وحذرني من نقل العدوى لغيري ، يعرف أنني عاهرة.

قال ساخرا : سمعتنا الحسنة تملأ البلد يا أميرة !

ـ البعد عنكم حتى أشفى تماما .. هل فحصت أنت ؟

قال : يبدو أنه رجع .. أين فحصت ؟

ـ عند الدكتور رائق، فعنده مختبر وشعاع وعيادة.

ـ بالسلامة يا أروع وردة !

ثلاثة عرسان

جلست وردة في بيت أمها على موعد مسبق بينهن ، وبعد شربهن الشاي ، وقطع الكعك المحلى اشتعلت السجائر ، قالت وردة: ها أنا قد جئتك يا أم عارف ! هل من شيء؟

قالت بقلق وهي تمعن التحديق في عيون وردة : أراك متعبة وبدون مكياج ، ولا أشم رائحة عطرك

! هل من شيء؟

قالت وهي تتصنع الضحك: الحياة قبيحة يا أمي ! ملل زهق !.. زبائن العيادة قلوا بعد تلك القضية والحملة الشعواء وتشويههم سمعتي وشرفي علنا .. وصحتي من فترة على غير ما يرام من إنفلونزا ورشح وصداع ؛ كأنني كبرت مائة سنة خلال الشهر الأخير .. وأنت كيف صحتك ؟

لم ترتح لكلامها فردت : تمام .. ما بك؟!

ـ تعب بدني وحالة نفسية سيئة .. أفكر في هذه الدنيا .. كيف مضت في جنون ؟! عمل طول النهار ، وفسق طول الليل .. حياة قرف.. هل هذه الدنيا ؟!

ـ وائل لا يؤسف عليه يا وردة ! لو كان صادقا في حبك وميله لحوّل عقد الهواء إلى عقد حقيقي إلى أوراق رسمية ، وانتهت الفضيحة والكلام الجارح ؛ لكنني قمت بالسؤال عن حضرته ، فاكتشفت أنه حقير وماجن ، وله زوجة هاجرته من سنوات أتعرفين ذلك ؟

قالت بألم : بعضه ، وهو راغب بطلاقها من زمان ؛ لكنهم ألزموه بخمسين ألف مؤجل زواج يا أمي ، يقول ساخرا : إنه بهذا يجامع كل نساء العالم.

صاحت : تفكير منحط يا وردة ! لا يوجد إنسان عنده قدرة على ذلك الفحش .. الحيوان يتعب ويضعف .. فالديك الأعجم له سن معين ، ثم يصبح ضعيفا ، كلما كبر الرجل والمرأة تقل رغبتهم الجنسية .. فالدراسات الموثقة تبين أن قدرة الشاب البالغ تختلف عن قدرة الرجل الكهل والشيخ .. هذا زعم هازل منه .

عقبت وردة فقالت : أنا أعلم الكثير من المعلومات .. وكثير من الفتيات الشابات يشكون من ضعف أزواجهن الجنسي ، ومن أكثر أسباب انتشار ظاهرة الطلاق الضعف الجنسي .. يتزوج الشاب على كبر بعد الثلاثين ، فيجد نفسه لقضاء الرغبة بالعوز للحبوب المقوية للدم والجهاز العصبي .

ـ زوجته طبيبة محترمة ، وأبوها رجل مهم قبل تقاعده .

قالت : عرفت والدها اللواء المتقاعد خميس جعلونة من ضباط المخابرات العامة كنت أسمع اسمه من أيام الجامعة .. كان مسؤول الأمن أيام دراستي .. المهم لماذا طلبتيني.. هل من شيء؟

ـ جواب سريع قبل أن ندخل في التفاصيل.

ـ جواب سريع تفضلي!

قالت زكية : الزواج هل تفكرين فيه؟

ـ الزواج ممن ؟

قالت : هل ترغبين بالزواج الصواب ؟

ـ أنا في حيرة بعد فشل علاقتي بوائل !

قالت ممتعضة : الدنيا ليست وائلا فحسب !

ـ نعم ، من حدثك عني؟

ـ يعني لك رغبة بالزواج العادي والطبيعي والتقليدي .

– ما زلت صغيرة .. من حدثك عني ؟

قالت: اثنان بل ثلاثة .

قالت: ثلاثة يطلبون يدي !

قالت : الزواج مطلوب ولو شكلا .. هل تظنين أني تزوجت فارس الأحلام بعد أبيك .. صدقي أنني وزوجي بلص لا نمارس الجنس إلا كل ثلاثة أو أربعة أشهر ، هو انتهى كذكر منذ حملت منه ومات الطفل .. وأنا قبلته كزوج ديكور ، كان من جيلي وسني لما تزوجنا ، أنا منذ اختفاء والدكم لم أذق حلاوة الجماع ؛ لكن لابد من زوج أمام المجتمع والناس حتى لا يقال ويقال .. عندما تجلسين مع رجل مع زوج تخاف امرأته عليه ، ويكثر الغمز واللمز ؛ لكن عندما نكون في ظل رجل وزوج شكلي يلزمن الصمت .. الناس تنظر للعزباء الصغيرة أو الكبيرة بريبة ، ويهمسون بأشياء سيئة والأقاويل الحقيرة والشائعات .. لو رافقت مجهولا في مقهى أو مطعم أو سفر سيقال ويقال .. لو زارني غريب بالنسبة لهم سيقال عشيق .. وزوجي راضي بحاله ؛ لأنه عارف حاله ؛ بل المضحك تزوج سرا عليّ.

ـ معقول !

ـ أنا أعلم أنه تزوج عليّ طمعا بالخلفة ، لو حملت المرأة التي تزوجها لطلقني .. إن الإنسان يحب الذرية مهما حاول التظاهر بغير ذلك .. ولما عجز عن الحمل طلقها وأنا تظاهرت بعدم المعرفة

****

زار حبيب عارف ابنه عصاما وتحدثا بمناسبة دخول السنة الجديدة ٢٠٠٨ عن موعد السفر لفرنسا ، فقال عصام :إن شاء الله في آخر نيسان بعد أربعة أشهر تقريبا .

قال : تكلمت معي زكية امرأة عمك حماتك سابقا.

ـ ماذا تريد ؟

ـ عن جوهر ، وهو كما تعلم دخل المدرسة الفصل أو السنة الأولى .

قال قلقا : ما به ؟ كان الأسبوع الماضي كالحصان الأصيل .. لقد تناولنا الغداء معا ، وهو مبسوط ، وكلما يزورني يعبر عن رغبة البقاء عندي ، ولا يرغب بالبقاء عندها ، وذهبت به الخادم إلى المنتزه الوطني قبل الغداء ، وشاهد الحيوانات الأليفة في حديقة المنتزه ، وسعد برؤيتها وحدثني عنها .. هل من شيء؟!

– لا تقلق ولا تخاف .. هو سليم ؛ لو ألم به ألم ووجع ؛ لتحدثت معك ابنة عمك فهذا من ضمن اتفاق الطلاق ألا تخفي عنك عن صحة الصبي

شيئا ، ولو صغيرا .
عاد الهدوء لنفسه ، واستأذن أباه بإشعال سيجارة وقال : ماذا تريد زكية ؟!
قال ببطء : زكية تقول لي يا حاج حبيب ما رأيك بأن تعود وردة للحياة مع زوجها بعقد جديد من أجل الطفل ؟ ويبدو أن وردة بعد الفضيحة المدوية عادت لرشدها .
ردد عصام بارتباك : عادت لرشدها ! كيف عادت لرشدها؟!
قال: يعني سكرانة وصحت ، قالت أخطأت نحو المجتمع وأصابتها لوثة بعد الانفصال عن عصام ؛ ولعلها استيقظت يا حاج حبيب ! كان الخطأ كبيرا وقبيحا مهما انحل الناس وفجروا فهناك تقاليد صعبٌ ذهابها حتى أصبحت عيادتها فارغة، وقامت بعملية إجهاض جديدة أدت إلى نزيف المجهضة ، وكلفها ذلك غاليا ، وحبست ليلة ، والمرأة المجهضة ما زالت تعاني وتحدثت شخصيا معي وردة عن العودة إليك ، فقالت لأمها : إن رضي عصام بهذا سأقبل .
تنهد وقال: ستقبل ! وماذا تفعل عندي ؟ فأنا لست ذكرا ، ما زلت ضعيفا جنسيا وهي ناضجة شبقة ، لا تستغني عن الذكور .
قال: قلت لها سأتشاور مع عصام ، قالت فكر يا حاج من أجل الصبي ؛ ولعلها تعلمت خلال شهور الانفصال بينهم ، وعرفت نتائج الانحلال، فقلت لها: يا زكية عصام اليوم شيخ وتدين وملتزم ، غير ما قبل الطلاق يا أم عارف وابنتك كافرة ملحدة ، لا تعرف ربا ولا نبيا ولا محمدا ، فردت كما تغير عصام تتغير وأحب لها ذلك ، ويمكنها التغير .
ـ صدق يا أبي أني أخرجتها من حياتي ، وسأربط نفسي بامرأة بعد العودة من باريس.. فإذا في مجال للحياة الزوجية سأتزوج .
قال حبيب : إنها تظل ابنة أخي يا عصام ! قصرت بالعناية بها ، تركتها لزكية وإخوانها .. صحيح أن سلوكها مسيء للعائلة ؛ ولكننا أهلها مهما تهربنا من أفعالها السيئة .. هذا أحد أسباب قبولي بمفاتحك بأمرها .. واذا سيطيب لها العيش معك على حالك ، واستيقظت من أحلامها خيرا لنا ذلك.. فهي تعلم يقينا أكثر منا أنك لا تصلح للنكاح .. فكر بابنك الذي يعيش ببؤرة فساد .. فماذا سيستفيد من رؤية العشاق والعشيقات؟ إني حزين من أجله فقط ماذا يتعلم منها ؟
قال متخوفا : أخشى يا أبي من حياتها معي أن تجعل من بيتي عش غرام في أي لحظة أغادر فيها المنزل لمتابعة الأعمال .. أنا قبل الطلاق كنت أغرش وأتجاهل تبرجها وتلفوناتها وخيانتها لأني كنت خائنا مثلها .. البيت لا قدسية له عندي

كانت لي صديقاتي قبل مرضي ونجاتي من الحادث.. كما تدين تدان ..كانت مستهترة وأنا مثلها.. لم أكن أعرف الله كما أعرفه اليوم ، فاليوم لا أتحمل فجورها وإهانة فراشي .. فالدين لا يسمح لي بالصمت على خيانتها.

ـ كما قالت زكية : إنها خائفة على ضياع الصبي أكثر من خوفها على ابنتها .. امرأة عمك مع كفرها وكرهي لها وحسب علمي بها لم تمارس الزنا والبغاء .. كانت في ذلك شريفة ، قالت تقدم لوردة ثلاثة رجال ، ولكن وردة قالت لها بدأت أكره الرجال وغدرهم .

قال متشككا: وردة تقول ذلك .. وتكره الرجال .. كانت تتبرج والسفور وتدخل أماكن التجميل من أجل الرجال.. وإلا لماذا تفعل ذلك للنساء ؟

قال حبيب لإقناعه : الناس تأتيها لحظة تراجع مبادئها وأفكارها .. الناس تتغير للأحسن أو الأسوأ .. ولما ذكرت لزكية أن وردة قالت إن عصاما عاجز عن غشيانها ، ولم يتغير شيء بعد قالت هي تعلم.

قال : الأمر غريب ومثير للحيرة ! هل من شيء أصابها يا أبي ؟

ـ لم نسمع .

مخرج دعاية

كانت عيادة وردة تباشر عملها من التاسعة صباحا حتى الخامسة مساء ، تتخللها فترة استراحة من الثانية عشرة ونصف حتى الواحدة .

فتخرج نوال كاتبة العيادة إلى مقهى في المجمع الطبي تتناول ساندويشا أو تدخل مطعما لأكل وجبة كاملة ، وتشرب مثلجا أو ساخنا وتعود للعيادة ، هذا الترتيب سيتغير قريبا .

في مطلع العام الجديد ٢٠٠٨ ، وقد احتفل العالم بدخوله شرقا وغربا ، فهو عطلة رسمية في بعض البلدان العربية والإسلامية .

كانت نوال وراء طاولة الاستقبال في غرفة الانتظار ، وقد اقترب الوقت من نهاية اليوم عندما زلف رجل طويل القامة نحيل البنية له لحية قصيرة ، وألقى السلام وسأل : الدكتورة موجودة أليس كذلك ؟

ـ نعم ، إنها موجودة .. زوجتك معك .. ظنت نوال أن زوجته أو ابنته في السيارة وصعد ليتأكد من وجود الدكتورة.

تلفت الرجل يمينا يسارا خلفا وقال مستغربا : لا أحد معي.. أين زوجتي؟ .. أنا ما زلت أعزبا أريد الحديث مع الدكتورة وردة بموضوع خاص جدا.

قالت ؛ كأنها تعتذر : ظننت أن أحدهم معك ، وجئت تتأكد من وجود الطبيبة تفضل بالجلوس حتى أخبر الدكتورة .. أقول لها مين ؟

وأشارت إليه بالجلوس ، وخرجت من خلف المكتب إلى مكتب الدكتورة وأخبرتها بوجود رجل ير غب بالحديث معها ، فأطفأت سيجارتها، ونهضت قائمة وهي تقول : من هو ؟وماذا يريد؟

ردت : سألته عن اسمه فجعل نفسه ؛ كأنه لم يسمع ثم سبقتها ، وقالت للرجل : إنها قادمة.

وقبل أن تنهي جملتها كانت وردة تنظر في وجهه ولم تعرفه : أهلا تشرفنا!

فنهض النحيف الطويل مسلما ومصافحا قائلا : أنا صبحي نايف!

قالت وهي تحاول تذكر شيئا عنه : تفضل بالجلوس . وهمت بالجلوس وهي تعرف بنفسها: أنا الدكتورة وردة ! أعندك مريضة ؟

قال: لا ، جئت أعرفك بنفسي.

رافقتها الدهشة : أهلا ومرحبا ! جئت تعرفني بنفسك لماذا؟!

ـ ممكن نتكلم في المكتب . وهو ينظر للكاتبة ؛ كأنه يعتذر عن عدم رغبته بالحديث أمامها .

قالت : آ ! تفضل .. ماذا تشرب قهوة أو شاي ؟

ـ أي حاجة.. كله مثل بعضه.

ـ شاي يا نوال !

دخلت المكتب الصغير يتبعها صبحي ، وقالت: تفضل بالجلوس يا سيد صبحي!

وأشارت إلى كرسي ، وجلست على كرسي مكتبها محدقة فيه . وهي تقول : أهلا وسهلا .. أنا تحت أمرك أي خدمة يا سيدي؟!

قال : أنا صبحي نايف ! ألم تخبرك أمك من أنا ؟ وألم تحدثك عني؟

– تخبرني عنك وتحدثني ، ماذا تريد؟!

ـ أنا اتصلت بالسيدة زكية ، فقالت لي اذهب وقابل وردة في العيادة قبل أن تغلقها في الخامسة بعد الظهر اذهب في آخر الوقت.

قالت : لماذا ؟!

قال : كنت حدثت أمك عن الزواج.

ـ الزواج ! تريد الزواج مني أنا!

ـ أجل .

ـ نحن لم نلتق قبل هذه اللحظة طبعا عرفني بنفسك وعملك ووظيفتك في هذا العالم وسنك !

ـ جيد ! أنا مخرج أفلام قصيرة .. أفلام إعلانات .. متخصص في الإعلان المرئي والمسموع ..

وقمت بفعل أكثر من دعاية لوالدتك ، وتزوجت أكثر من مرة.

ـ أكثر من مرة .. يا ترى كم مرة ؟!

ـ ثلاث مرات ، وأنا الآن عازب ، لا زوجة ولا ذرية .

قالت: أنت مخرج إعلانات تلفزيونية .

ـ نعم ، هذا عملي الرسمي .

قالت : وهل هناك أعمال غير رسمية ؟ هل

صورت أفلام البرنو الجنسية ؟

قال : يعني

ـ وتريد أن تتزوج الرابعة وهي أنا .

ـ نعم

قالت: من قال لك إني أريد زوجا ؟ لا أذكر أني أعلنت عن ذلك !

ـ سمعت أو قرأت عن قصتك مع المدعو وائل ، فقلت لعلك تقبلين بي.

قالت : بعقد أو غير عقد !

ـ كما تشائين .

ضحكت للحظات : كما أشأ أنا ! حتى لا أطيل عليك الحوار والمقابلة الخفيفة اللطيفة يا أستاذ صبحي ما زلت مصدومة ، ولا أرغب بالزواج .. الزواج هم وغم ونكد.

قال: صحيح ! هو هم وغم ونكد ؛ لكن لابد منه

ابتسمت وردة ، وقالت: أنا لا أحب أن أكون المطلقة رقم أربعة.

ـ نعيش معا بدون عقد فلا نحتاج لطلاق وقاضي

ـ أهكذا حدثتك أمي ؟!

قال : لا ، تحدثت معها عن رغبتي بالزواج منك ، فقالت اعرض نفسك عليها.

قالت : أتقبل بي وأنا مريضة جنسيا ؟

ـ مريضة ! أنت مريضة!

قالت بتهكم : مريضة جنسيا عندي إيدز .. ألم تقل لك أمي عن هذا الخطر ؟

تأوه وقال : أوه ! هذا أنت على وشك الموت.

ـ نعم ، ما رأيك أن تموت معي؟!

****

وقد سميت متلازمة نقص المناعة المكتسبة" إيدز" أو سيدا ، تمييزاً لها عن مرض نقص المناعة الوراثي الذي يظهر لدى بعض الأطفال منذ الولادة ، أي أن نقص المناعة حصل نتيجة الإصابة بالمرض ؛ وليس لأسباب وراثية.

الفيروس كائن يتغير سريعاً جداً ، وهو بسهولة قادر على التهرب من العديد من مضادات الجسم ، وهو نوعان ، لكل واحد منهما فروع ، فيروس نقص المناعة البشرية ١ ، وفيروس نقص المناعة البشرية ٢ .

عندما يحدث اتصال بين الإفرازات الجنسية لشخص مصاب مع الأغشية المخاطية الموجودة في المستقيم أو الأعضاء التناسلية أو الفم لشخص آخر يحدث المرض .

الاتصال قد يكون من خلال اتصال جنسي طبيعي مهبلي أو شاذ شرجي ، ولا يمكن اعتبار الجنس الفموي آمنًا ويؤدي الاعتداء الجنسي الاغتصاب بشكل كبير إلى زيادة خطورة انتقال الفيروس ، وكذلك التعرض لدم ملوث بالمرض ، وقد ينتقل الفيروس من الأم الحامل لطفلها.

تحدث الغالبية العظمى من حالات الإصابة بفيروس الإيدز من خلال الاتصال الجنسي ، ولا علاج قاطع له .

إحدى النظريات تقول أن أول تسجيل لظهور مرض الإيدز في الخامس من حزيران عام ١٩٨١ ويوجد رفض اجتماعي وثقافي تام يرتبط بالإصابة بمرض الإيدز .

لما غادر صبحي العيادة مرعوبا فزعا خائفا من الزواج بأنثى مصابة بالإيدز ، المرض الخطير المرعب المسمى بفيروس نقص المناعة المكتسبة جلس في أقرب مقهى صادفه ، وطلب شايا وماء ورن على زكية وقال ساخطا مستنكرا : ماذا فعلت لك حتى تريدي أن تورطيني مع ابنتك ؟!

ـ ما لها ابنتي التي أريد أن أورطك معها ؟ هل مشيت إليها ؟

قال : أنا خارج الآن من عيادتها ، وما زلت أرتجف مما علمت من لسانها يا سيدة زكية!

ـ رفضتك .

قال : لا ، لم ترفضني.. الآن عرفت لماذا تخلى عنها الدكتور وائل ؟

ـ ماذا حدث أيها اللعين ؟

قال : تقول إنها حاملة لمرض الإيدز .. هذا المرض الخطير المخيف !

ضحكت قليلا وقالت : إيدز يا صبحي ! ويلك هي قالت لك ذلك .

ـ يا سيدتي اعترفت لي ، وقالت اذا أحببت أن تموت معي سأكون الرابعة وأهلا وسهلا .

ضحكت زكية وقالت: إيدز ! وردة تحمل الإيدز ، وكشف ذلك وصدقتها !

صاح : ولماذا لا أصدقها ؟! ووجهها الحزين والأسود يشي بذلك.. إنها منهكة القوى .. سفريها للعلاج في أمريكا قبل أن تفقديها .

ـ منهكة القوى وحزينة يا صبحي .. ماذا أقول لك؟ أنا أول مرة أسمع عن مرضها الخطير .

قال : وإلا لماذا خوفتني وأطلعتني على سرها وسبب هرب وائل عنها؟

قالت : حتى لا تتزوجها أيها الصديق إنها ترفضك

قال متدبرا كلامها : هكذا ظنك يا أم عارف ! هل هي سليمة ؟ لا أصدق .. تأكدي من صحتها يا سيدتي !

ـ ربما تستحي أن تكشف الأمر لي .. سأتحقق على كل حال من الوضع الليلة.

عاد يردد : كانت جادة يا أم عارف ، حتى لو كانت ساخرة فأنا غني عنها ، ولا داعي للمغامرة لابد أنها مريضة .. هيئتها شحوبها ذبولها شكلها يدل على ذلك تأكدي وطمأنيني .. السلام عليكم.

ـ مع السلامة.

وضع الهاتف على مائدة المقهى حيث يجلس ، وهي تركت الهاتف على منضدة حيث كانت تجلس مع زوجها وابنها عارف الذي يسكن معها في البيت الواسع قالت : كثير الكلام المخرج صبحي !.. وردة معها إيدز ! هذا خطير اذا صح ما نقله لي مخرج الإعلانات صبحي نايف ! وخاطبت نفسها : لماذا تكشف الأمر له وقد رحبت بالعودة لعصام ؟ .. زوج دون جماع ومعاشرة .. زوج لا يقربها كما علمنا حتى لا تنقل إليه الفيروس.. لكن لم نسمع بذلك المرض ولم نخبر بأنها تتعالج .. قبل أسابيع قالت إنها مريضة ..وآخر مرة التقينا بدا عليها القلق والتوتر والذبول والحزن.. لم يخف ذلك عني كما قال صبحي.

اتصلت برقم وردة وقالت : هل ما ذكرتيه لصبحي صحيح ؟

سمعت قهقهة عالية ، ولما انتهت من القهقهة قالت : هذا الفحل الذي تريدين أن تربطينني فيه يا أم عارف! متزوج من ثلاث ، ويظن نفسه قوي الباءة .

ـ المهم كلامه غير دقيق.

قالت : أكيد ، لو معي إيدز لوجدتينني في المستشفى يا أمي أتلقى العلاج والعزل .

اتصل عصام بوردة ليلة الأثنين طالبا الولد للغداء معه كما يفعل كل أسبوع ، فهو يخصص له صباح الاثنين أو الثلاثاء ، لأن الاتفاق أن يراه كل أسبوع مرة حسب قانون المشاهدة للآباء المطلقين ؛ فإذا أراد استقباله يتصل ليلا لتهيئه هو والمربية جوليا ، فجوهر ابن ست سنوات وقد دخل الصف الأول ، المربية جوليا يدفع عصام نصف أجرتها ؛ كما اتفقا أثناء ترتيب الطلاق ، فلما انتهى الحديث عن الطفل قالت بصوت واهن : حسنا يا عصام ! سأبعثه غدا .. اسمع يا ابن عمي .. هل كلمك الوالد العزيز بشأن الولد؟!

همس : الزواج من جديد !

قالت بذل وندم : نعم ، أنا بعد هذه الشهور من المعاناة والجنون أشعر بأنني ظلمتك عندما تخليت عنك في هذا الظرف ، المحتاج أنت فيه لكل دعم مادي ومعنوي ، يبدو أنني أخطأت ، وذهبت وراء الرغبة .

ـ سمعت هذا الكلام من أبي ، وفهمت أن أمك فتحت معه الموضوع .

قالت : هي كلمت عمي أولا ، وسمعت رأيه ، ثم أخذت رأيي ، ثم تناقشت أنا معه فهو عمي .. عمي أخو أبي يا عصام !

قال : لكني كما تخبرين لا أصلح للنساء ، وأنت ما زلت شابة بحاجة لرجل شاب سليم .

قال بشبه اعتذار : أسفت مما أشهرته .. لست

جاهلة أمرك .. وأنا جرحتك وأسأت لمشاعرك بنشري هذا الأمر بين أفراد العائلة .. حقيقة إنني ندمانة . ذرفت دموعا انسابت على وجنتيها وهي تعترف بخطأها ، وسمع عصام شهيقها وأحس بدموعها ، وعجز عن الاستفهام ، خشي أن يبكي مثلها.

ـ ألست بحاجة لرجل لتلدي أخا لجوهر ؟

ـ نحاول عن طريق الأنبوب .. الحيوان المخصب في الخصتين يا عصام ليس في العضو التناسلي

قال متأملا : طفل الأنبوب فكرة ! ولكنني لم أختبر حيواناتي ؛ لعلها ميتة.

ـ هذا أمره عند الله .. نسلم أمرنا له يا عصام ! أنا فعلا ندمانة .

قال: عند الله ، نعم ، عند الله ؛ ولكني من يوم الفراق تغيرت ، أمنت برب لهذا الكون ، تركت عبادة الطبيعة والصدفة وطفرات دارون .. أنا اليوم أصلي وأصوم ورحت مكة ، وأقرأ القرآن لم أعد أسمع الأغاني والموسيقى والسمفونيات وأرقص واختلط بالفتيات ، ولا بار عندي .. الدخان فقط وعلى وشك الخلاص منه.

قالت بوهن : لعلي أصير مثلك .. صدق لا أدري ما الذي عاد يجذبني إليك غير جوهر ! أليس يقال رحمة الله وسعت كل شيء ؟ فمن مصلحة جوهر أن يعود الوئام بيننا ، وأن يكبر بيننا يا عصام ! أنا ندمت بعد تجربتي المجنونة مع وائل استيقظت يا عصام ! سأخدمك بعيوني وبقلبي كن معي حتى أتغير ؛ كما تغيرت ، وسأكون معك في العلاج سواء نجح أو فشل .

قال وكأنه يسمع امرأة غير وردة : أمرك عجيب يا وردة ! قبل الطلاق كنت دائما تتذمري من ضعفي الجنسي ، وتعودين من بيوت عشاقك عند الفجر ، وتزعمين أنك بحاجة لرجل، وأني لم أعد للنساء ذكرا.

قالت بخنوع لا يعهد بينهما منذ تزوجا : هذه الشهور الجنونية علمتني الكثير .. علمتني الندم وأنني تافهة ألهث خلف الشهوات والجنس .. صدق أني أحببت الطلاق وأنا أحبك ؛ ولولا أنني أحببتك حقا ما قبلت بك زوجا ..ولا أحد يجبرني على الزواج .. أنا فكرت عميقا بابننا الوحيد عندما يشب بدون حضن أمه وأبيه سيضيع مني .. سيحتقرني عندما يعي يا عصام أني تركتك من أجل شهوة ستذهب لذتها بعد انقضائها ..عليّ أن اضحي من أجلكما .. كرهت الزنا والفاحشة .. أنا بحاجة إليك اليوم يا عصام !.. يكفي هذا التيه.. كانت الفضيحة مدوية دفعنني لمراجعة أفكاري ومبادئي السيئة.

صمت ، فقط أنفاس مرتفعة على الموبايل فهمس : والصلاة!

قالت بنفس النغمة التي تتعذب : كما صليت أنت أصلي ، وأتعلم وأفعل ما تريد لا أريد أن أتزوج غيرك ... أنت الأول والأخير .. أمي تعرض عليّ عرسان وأنا أرفض .. من أيام طلبني مخرج أفلام إعلانات تلفزيونية من معارف أمي .. جاءني خاطبا في العيادة .

همس متأثرا فقال بحب وحنان : أنت تعلمين أنني طلقتك مكرها بناء على رغبتك وإلحاحك وتعلمين منذ تزوجتك وأنت أحب الأشياء لروحي ، وكنت أغض الطرف عن خيانتك ، وأجعل نفسي غبيا لا يرى ؛ لأنني فاسد مثلك ، ولا يصح أن يحاسب فاسد فاسدا وخائن خائنة ولكن دعيني أفكر وأشاور ساميا وحسنا وسالما وجهادا.

قالت بارتباك : تشاور إخواني لماذا؟!

قال : لأنني تشاورت معهم عند طلاقنا .

قالت : شاورت إخوتي !

قال : نعم .

قالت : وبماذا أشاروا ؟!

قال : قالوا من حقها المعاشرة والزواج ، وكنا نرى أن عيناك على الدكتور رشيد علي .

———

زار سامي وحسن وزوجاتهم بيت عصام للعشاء ، والتشاور في شأن وردة ورغبتها بالصلح مع زوجها الذي تخلصت منه من بضعة شهور .

بعد الطعام جلسوا في صالة البيت يتسامرون ويتبادلون الأخبار حتى قال سامي: لماذا أنت بحاجة لسماع رأينا في حكاية وردة ؟

تكلم عصام عن مجيء أبيه يرغبه بإعادة وردة إلى ذمته من أجل الطفل جوهر ، وتحدثت وردة لما اتصل بها لترتيب أمر مجيء جوهر للغداء معه كما هو مرتب بينهم ، وتحدثت بصراحة غريبة عن رغبتها بالعودة إليه كزوجة ، وأنها مستعدة للتوبة والتغير ودخول الإسلام ، وبينت أنها ندمانة لتفريطها به وبشرفها وكرامتها ؛ وكما تغير هو تحب أن تتغير ، وتعلمت خلال هذه الشهور عن سوء الدنيا وأن لوثة أصابتها ، وكانت فضيحتها مدوية وبجهل عميق جعلتها تستفيق من جنونها وغفلتها وحمقها ، وأن زبائن العيادة قلّوا ، وأصبحت منبوذة في النوادي ، ويجالسها الرجال على حذر من زوجاتهم ، والنساء يجلسن معها متوجسين خيفة أن تسرق منهن رجالهن ، فعرفت عاقبة الخروج عن أعراف وتقاليد المجتمع.

قال حسن صافنا بما سمع : الضال هذا ما يجنيه يا سامي !

قالت نوار : والله نتمنى لها الخير ! وأن تعود لحضرة الدين والتوبة بعد سنين التيه والجهل والسفاهة .. والله يغفر الذنوب جميعا يا عصام ؛ لكن من

يضمن تحسن أخلاقها وصفاتها وألا تعود لسيرتها الأولى .

قال عصام بحيرة : العجيب ! أنني لم يتغير فيّ شيء في بدني .. هذا ما يقلق ويزعج .. الولد له الحق أن يعيش بين أبويه اذا كان ذلك ممكنا ، وأن أضحي من أجله .. وأنا حقا أخشى ضياعه وفساده في وكرها وبين عشاقها .. للأسف هي ابنة عمنا .. هل يمكن أن تتغير وردة وتقبل بي على علاتي ؟

فيلا عصام حبيب



قال سامي : هناك شيء غامض في الأمر ، قتلت نفسها على الطلاق وفضحتنا من أجله ، عندما يقال لها اصبري ، تقول صبرت بما فيه كفاية من حقي أن يكون لي رجل يشبع رغبتي ، ثم راحت وتزوجت عاهرا عهره معروف ، لكن الكلام المعسول يطرب النساء ويفسدهنّ على أزواجهن .. والله منانا أن تصبح ابنة عمنا امرأة صالحة نشرف بها وتشرف بنا ، وكما تعلمون وبكل وقاحة ، وما هي بصراحة أنها ركزت بحبها للطلاق على عدم قدرة عصام على المعاشرة الزوجية ، ولم يتغير شيء في بدنه فما الذي تغير فعلا ؟

قالت نوار : تغيرت روحه أصبحت مسلمة .

قال سامي : صحيح ! وهذه أعظم نعمة أن يصير العاقل مؤمنا من أتباع محمد ﷺ بحق .. نحن ننتظر سفر عصام بفارغ الصبر ؛ لنزوجه بعد رجوعه بصاحبة النصيب .. سواء تعافى أو ظل عطيلا .. سنزوجه امرأة على الأقل تخدمه .

قالت هناء زوجة سامي: العقل يقول إن طلبها العودة وهي على علم بصحة عصام غريب ومحير هناك إنَّ كما يقال .. هل ندمت حقا ؟! الخلق بين إصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء يا جماعة الخير أعطوها فرصة ما دامت تريد العودة برغبتها وإرادتها.

قال حسن: في رأيي أن يصبر عصام حتى يرجع من العلاج ؛ ربما سمعت بقصة العلاج ، وأنه سيشفى، فأرادت أن تسبق الحوادث والشفاء إن شاء الله .. أنت يا عصام ما رأيك ؟ عشر سنوات زواج لا تنسى بسرعة يا أحباب .

قال عصام : أنا مثلكم **"متوغوش "**حائر بهذه الرغبة بالعودة وتشفع أبي لها .. منذ كلمني أبي وأنا في اضطراب وارتباك ، تكلم أبي في الصلح

منذ شهر يقل قليلا ، واتصلت بها لترتيب مجيء جوهر كالعادة ، ففتحت قلبها لي ، وبينت بحرارة رغبتها بالعودة والزواج مني ، وقالت إنها تحدثت مع أبي عن ردي على شفاعته ، وأن يصلح بيننا من أجل جوهر .

قالت نوار: حدثك أبي أنها تحدثت معه!

ـ أمها حدثت والدي العزيز بداية فنقل لي كلامها ، ثم هي سألت أبي عن رأيي ، وأبي يميل إلى عودتها من أجل الصبي ، ومن أجل أنها ابنة أخيه ، وأنه قصر في رعايتها عندما اختفى أخوه .. وطلبت منها التغيير فرحبت بذلك وقالت : أنا مستعدة للتوبة ، وأن أصلي وأقرأ القرآن ، وأنها تركت السفالة والخمر .

قال حسن بحيرة : قالت ذلك وتحب التوبة .. والله يا جماعة شيء خطير!

قالت هناء: كلام طيب ! وماذا قلت لما قبلت التغير والإيمان ؟!

ـ قلت لها توبي وصلي وسوف أفكر بعد رجوعي من رحلة العلاج ، عسى الله أن يلهمني الصواب.

ـ وما كان قولها؟

ـ قالت سأنتظر وستجدني أصلي مثلك .

عاد سامي يقول: فعلا والله غريب ! وليس على الله شيء بعزيز ؛ ربما كانت حادثة وائل قاسية وصدمة عنيفة لها .. وكيف رأت مخاصمة الصحف لها ؟ وتخلي الحزب عند الجد عنها ، وضعف عمل العيادة ، وخشية الأزواج والزوجات من أفعالها الرديئة .. ما الذي غيرها بعد هذه الشهور من السفالة والضياع والفجور العلني ؟! هل قلبك مطمئن يا أخي ؟

قال عصام : أنا لم أفهم شيئا حقيقيا لهذا العرض والندم .. هل ندمت فعلا كما تزعم ؟! لم يتغير في بدني شيء يدفعها للعودة كما تعرفون؛ بل تحدثت أننا يمكننا أن نحاول أن تحمل وتخصب بالأنبوب الصناعي اذا كان الحيوان المنوي صالحا للإخصاب والتلقيح.

قال حسن فرحا وصائحا : صدقوا أنها ترغب بالعودة حقيقة وواقعا.. هذا شيء مدهش حقا يا جماعة الخير! هذا يعني أنها تعلم بأن عصاما لم يتغبر في بدنه أي تغيير ومصرة على الصلح .. وهل تصبر على عدم قدرتك على المعاشرة التي جننت الدنيا من أجلها ؟ وفضحتك وشهرت بك من أجلها ، وزعمت أنها صبرت ثلاث سنوات ، وأنها ترغب بالذرية والاستمتاع مثل نساء الدنيا .. كنا نسمع كلاما يخدش الحياء ، ونضطر للكلام فيه، البنت تتغير حقيقة ندمانة فعلا .

قال سامي: النساء أمرهن عجيب، والذي سيدهش أكثر منا سالم وجهاد سيدهشون من كلام أختهم أكثر منا فهي بالنسبة لهم كالشيطان لا

يحبون سماع أي حديث عنها .
قال عصام: لقد استغربت لما علمت أنني تناقشت بأمر طلاقها معهما.
قالت هناء : هناك يا جماعة أمر غيّر قريبتكم وقلب كيانها خاصة بعد ابتعاد وائل عنها ، كانت تسيطر عليها أفكار الجمعية التي كانت تعمل معها والتشدق بالجندر والحياة الجنسية الحرة.
حقيقة كان أمر انقلاب وردة محيرا في ذلك الوقت ، من امرأة متحررة ماجنة ، لا تقيم وزنا للعلاقات العائلية ، ومن أنصار الإباحية سرا ثم علنا ، وقامت بحملة تشهير بزوجها رغم تساهله مع علاقتها الإباحية خارج بيت الزواج ؛لأنه هو على نفس المنوال ، هو نفسه خائن لحرمة وقدسية العلاقة الخاصة بين الزوجين ، وأسفرت تلك المعركة عن طلاقها بكل هدوء عامة .
واليوم مطلع العام الجديد هي شغل العائلة الكبيرة والمعارف ، ورغبتها الجامحة بأن تعود زوجة لرجل ضعيفا جنسيا ، ولا يصلح لمعاشرة امرأة.
كان جوهر من الأمور المهمة ؛ لتراجع نفسها وتهورها الإباحي ؛ فكان كلما رجع من عند أبيه يسألها لماذا تعيش هي في بيت وأبوه في بيت ؟ ولماذا لا يرى أباه إلا في الأسبوع نهارا واحدا ؟ فكان دائما يذكرها بأبيه ، وكلما ذهب إليه يستقبله بالبكاء ، ولما يسأله عن الدموع يرد أمك تريد ذلك ، ولما يأت رجال غرب للبيت تدخله المربية غرفته ، وتغلق الخادم عليه الباب ، وتمكث عنده حتى ينام ، فتذهب إلى منامتها ، ويضيق وهو يسأل عن قوارير الخمر الملونة فتخبره المربية أنها شراب يخص الكبار ، وممنوع أن يشربه الصغار ، وكان الطفل يضيق من وجود وائل ويزعمان له أنهما زوجان ، ويحتج بتصرفات عصبية تثير وائل ، ويكسر صحنا أو كوبا إغاضة لأمه وعشيقها ، وهي أحيانا تفكر بإعادته لأبيه ، فقد كان العشيق الدائم يضيق منه حتى ترك تقديم أي قطعة شوكولاتة له ، فقد فعلها مرات في البداية فيرميها عليه أو يضعها في سلة المهملات فقطع هذا العرف .. هذا سبب آخر من دوافع العودة لعصام .
والأمر الثاني الذي صدمها ودفعها للتفكير في حياتها ومبادئها سرعة فصلها من الحزب بكل احتقار ، واعتبروا علاقاتها بوائل خارج نظام وأفكار الحزب مع أن كل نساء الحزب مطلقات ولهن عشاق حتى أن وائلا كان وقتا عشيقا لزعيمة الحزب ، واعتبرت الجمعية الجنسية في نظرها أن فعلها شاذ ومرفوض من الحزب والمجتمع ، والحزب لا يدعو لمثل هكذا علاقة ، واعتبر حزبها الفتي المناصر للنساء ولو كن منحرفات ، لا يدعو إلى أسر على هذه الشاكلة ، بيت وزواج دون عقد شرعي رسمي ، وهاجمها المجتمع واحتقرها ،

ووصف فعلها بتعدد الأزواج في آن واحد حتى فرغت عيادتها من الزبائن .

والأمر الثالث هو ظهور مرض جنسي على بدنها رغم كل الاحتياطات والتحصينات التي تأخذ بها ، والدكتور المعالج نصحها بقلة الممارسة الجنسية مع الزوج أو الشريك حتى حين ؛ لأنه قد يعود ثانية ؛ ولأنه فيروس يكمن ويعشش في البدن ، ثم يثور في جسمها ، وتعود للعلاج ، والحياة بدون عقد وزواج شرعي ستبقى ضعيفة ومنبوذة ، وفي أي لحظة ستهدم ، ويجد العشيق غيرها، وتصبح عملة قديمة ، وأما اذا عادت لزوجها المريض فسيعتبرها الناس أنها ضحت تضحية كبرى من أجل ابنها الوحيد ، ومن أجل زوجها العليل المحتاج لها في ضعفه . والاهم لها من تلك الدوافع تلك الأيام التوبة ، لماذا تبقى ملحدة مترددة خائفة من الدين ؟وها هو عصام يتمتع بحياة طيبة ؛ كأن لم يكن زانيا ضالا ، ألا يكفي كل هذه السنين من لا شيء ؟! عصام تغير في أقل من سنة.. أصابها ملل وفتور من حياة الإباحية والدعاية لها .. الكل يطارد جسدها فحسب .. الجسد فقط .. لذة في مكان قذر من الجسد ، مكان البول والحيض ومني الجماع ، لذة لا تدوم إلا لحظات ودقائق ، وهي مجهدة للبدن ، ونتنة الرائحة ، وعندما تنتهي العلاقة والجنون ؛ كأنهم شياطين يهربون من البيت قضوا شهوتهم في دقائق وانتهى الأمر .. ساعدوها على قضاء رغبتها الجامحة .. وهي نفسها عندما تنتهي عملية الاتصال تحس بضيق ووحشة وندم .. ومنذ ظهور علاقتها بوائل قلّ وندر عشاقها وجدوا غيرها من العشيقات والزانيات .. عمر الزنى قصير .. يملّ الذكور بسرعة ، ويجدون أجمل وأصغر منها.. أصبحوا مجرد تحية وسلام دون موعد للغرام وسهرة ودعوة .. وخانها وائل الذي سمحت له بمعاشرتها دون واقي ذكري ، ونقل لها مرضه الذي لم يخبرها عنه منذ اجتمعا على الزنا ، ظهر أنه مريض به قديما .. يتعاشران دون حماية وأدوات وقاية .

وبدأت تشعر بضعف الرغبة للرجال لما ظهر الهربس ، واعتبرته إنذارا لتهاونها بعلاقتها بالزناة رغم تزويق الأسماء ، فهي منذ ظهوره على بدنها لم تجامع ذكرا فلماذا لا تعود لعصام العاجز جنسيا ؟ ولن تفضح ويكتشف مرضها ؛ ليشمت بها الشامتون الذين يحذرون الشباب والشابات من أمراض الجنس الكثيرة الشائعة في العالم .

وأيضا سيتوقف جوهر حبيبها وقرة عينها من ترداد أبي أبي أبي فعل إليّ عمل لعب معي اشترى لي أهداني ، أما هي فتقضي وقتها في سهرات وعشاءات وخمور وكؤوس والملاهي حتى أنها تسببت بنزيف قاتل لتلك المرأة التي أجبرها

عشيقها على إجهاض ابنها ، لا يريد ابنا غير شرعي ابن زنا .. هذه كانت آخر عملية لها، وما زالت المرأة تعاني والعشيق يدفع ..لم تكن تهتم بقصة الطفل المجهض وسبب الإجهاض مهمتها العملية فقط ، وأخذ المال .. لماذا الإجهاض ؟ المهم العملية وأخذ الأجرة .

هذه بعض دوافع توقفها عن الفواحش والغراميات ، كانت تروج في ذهنها هذه الأفكار حتى طلبت من أمها أن تحدث عمها حبيب عارف بالضغط على عصام وتجس نبضه ؛ ليقبل عودتها بعدما ذكرت لها أمها تلك الفكرة ، وبينت لها أن الزوج سترة ولو بغير قدرة على الجماع ، وسمعت منها غايات قبولها ببلص .. وهي تعلم أن لعمها كلمة حاسمة عند أولاده ، فهم يرون قوله مقدسا ، تقبل حبيب الفكرة بصدر رحب من أجل جوهر ابن ابنه الوحيد ، فعصام ليس له إلا هو ، وعمها عطوفا عليهم ، وكان يهتم جدا بشأنهم بعد موت أخيه نجيب ، ومجيئهم من بيروت ، وكان مستاء من انحرافهم عن الدين وسعيدا بسالم وجهاد ، وبقبولهم العيش تحت عنايته وفي بيته ، ويدافع عنهم ويحميهم ويتفقدهم رغم الجفاء الحاد بينه وبين أمهم ، كانوا لا يطيقون بعضا ، أمها لا تحب أن يدس أنفه في تربيتها وبيتها ، وهو يرفض أفكار التحرر والانحراف والإلحاد ؛ ولكنهم كانوا فوق الاعتبار حتى أصبحوا شبابا وأصحاب أسر ، وكثيرا ما دعاها وعصاما لترك الإلحاد والجهل ، فقالت لنفسها : كنا أكبر جهلة في التاريخ يا عماه!

الصفحة الدينية

كانت الدكتورة توفر صحف اليوم المحلية في العيادة ؛ ليشتغل بقرأتها روادها أثناء انتظارهم لدخولهم غرفة الفحص والكشف ، وأكثر زبائنها الحوامل ، ولديها جهاز مراقبة الجنين ، وكانت تقوم بعمليات الولادة في أي مستشفى حسب ترتيبات خاصة وحسب رغبة الزبون ، وكذلك تقوم ببعض الفحوص ومشاكل النساء الجنسية الخفيفة ، والأمراض التي تصيب أعضاء النساء التناسلية مثل الالتهابات ، ثم تحولهم لمختبرات وعيادات كبيرة أو مستشفيات متخصصة بالنساء وكانت المراجعة تجد كذلك بعضا من المجلات الصحية وكتالوجات العلاج ومراكز العلاج والأدوية والزينة والملابس المناسبة للحوامل ، وحتى مجلات اجتماعية وسياسية ؛ لأن للناس أذواق متنوعة.

والصحف اليومية المحلية كثيرة ، كانت وردة تهتم بثلاثة منها ، الصحف تمتلأ صفاحاتها بالإعلانات والتعازي والنعي ، والصفحة الأولى صفحة أخبار الرئيس والحكومة ، وأهم الأحداث العالمية ، وكذلك الأخيرة ، والتفاصيل في الغالب داخل

الجريدة ، وتجد في الصحيفة صفحة للمحليات والمحافظات ، وصفحة للاقتصاد والرياضة ومرات ملحق رياضي اقتصادي مستقل ، وكل صفحة نصفها إعلانات صغيرة وكبيرة ، وتجد صفحة دينية وثقافية ونعي ومقالات حرة أو مترجمة، نكتب هذا الكلام ؛ لأن الدكتورة وردة بعد الفضيحة المدوية ودعوتها لإقامة علاقات جنسية بدون مأذون أو محكمة ونتيجة لفعلها قلّ مرضاها صار لديها وقت ؛ لتصفح الجرائد ، فكانت تركّز على الصفحة الدينية التي لم تنظر إليها منذ ولدتها أمها ولا حتى في الجامعة ، وتكره المتدينين ، ولا تصافح طبيبة ملتزمة إلا بالخطأ سواء أيام الكلية والعمل في مستشفى الجامعة ، وتنفر من علاج المتدينات.

أخذت تقرأ وترى ماذا يكتبون في هذه الصفحة الصفحة الدينية ؟ فتجد مناقشات بين الأحزاب الدينية المنتشرة في البلاد ، وردود وتعليقات ، فتاوى وأسئلة ، تفسير آيات من القرآن تراجم وقصص عن السابقين ، وقرأت مقالا في جريدة فجر الأمة اهتمت به ، بعنوان كيف يتوب العاصي ؟ لأحد كتاب الصفحة ففتح المقال أمامها باب التوبة ونسيان الذنوب ، حتى أخذت الجريدة للشقة لتكرار القراءة للمقال والاحتفاظ به ، وأخذت تداوم على الصفحة لا شعوريا ، ثم قرأت مقالا آخر بعد حين لنفس الكاتب جمال محمود بعنوان كيف ندخل الإسلام ؟ وهكذا كان لها رغبة بالتوبة والعودة لعصام ، وتأملت في تعليق على آية تبين أن الزواج آية من آيات والبيت سكينة وسكن للزوجين ومودة ورحمة .

المقال الأول

فجر الأمة — الصفحة الدينية — العدد ٣٤٣٣ عام ٢٠٠٨

الصفحة الدينية

دعوة العاصي للتوبة

الإنسان لم يخلق عبثا ولا هملا ، والإنسان جبلت فيه غرائز وشهوات ، والإنسان ليس ملكا يمشي على الأرض .. ففيه الخير والشر ، وفيه من صفات الجماد والحيوان والنبات .. وهو مخلوق ضعيف [عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَذَهَبَ اللهُ بِكُمْ، وَلَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ، فَيَسْتَغْفِرُونَ اللهَ فَيَغْفِرُ لَهُمْ»] م

فالخطايا لابد منها في حياة المسلم ؛ ولكن عليه أن لا يستسلم لها ، أن لا ييأس من رحمة الله ﷻ ولا

يقنط ، ولو بلغت ذنوبه عنان السماء .. ومهما أسرف الإنسان المسلم في الذنوب فرحمة الله وسعت كل شيء{ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ } [الزمر: ٥٣]}

الله هو الغفور الذي يغفر ذنوب عباده ، والرحيم الذي يرحمهم .. على المسلم الذي أكرمه الله ﷻ بالإسلام ، وجعله من خير الأمم التي أخرجها الله للناس أن لا ينسى عذاب الله والنار .. فلذلك شرع الله التوبة النصوح والعودة إلى الله مهما ارتكب المسلم من الذنوب والشرك والمعاصي والعدوان والآثام{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ} [التحريم: ٨]}

فالتوبة فيها تكفير وغسل وتطهير لهذه المعاصي والآثام .. فيها الندم على التقصير في حق الله وطاعته .. فالترغيب مطلوب كما جاء في القرآن بذكر الجنة وأوصافها.. والترهيب مطلوب كما ذكر في القرآن من نارها وزقومها ولباسها.

ماذا فعل أخوة يوسف ؟ من العقوق والرغبة في القتل لأخيهم الصغير والضعيف .. ولما تابوا تاب الله عليهم .. فالله يحب التوبة ويفرح بها .. فمهما ضعفنا أمام الشيطان وشهوات النفس علينا أن نعود إلى الله ونتوب إليه .. ولا نستسلم استسلاما كاملا للشيطان ورغبته في قتلنا وإفسادنا .. فهو أول من يتبرأ منا في الدنيا ويوم القيامة يقول ﷻ { كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ} [الحشر: ١٦]}

وقال الحق سبحانه وتعالى عن تبرأ الشيطان عن أتباعه يوم القيامة{ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ } [إبراهيم: ٢٢] }

أخيرا .. التائب من الذنب كمن لا ذنب له. والله تعالى اعلم


فجر الامه الصفحه الدينيه العدد ٣٤٣٧ عام ٢٠٠٨

الصفحة الدينية

بقلم: جمال محمود

كيف ندعو لدين الله؟

المقال الثاني

كيف ندعو لدين الله؟

جعل الله ﷻ الإسلام دينه الخاتم ، والدين عند الله الإسلام ،والإنسان لا يفوز بجنة الرضوان إلا بدخوله هذا الإسلام ، فلن يقبل عمل خيِّرٌ إلا بالإسلام وقال ﷻ { هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ } التغابن إذن الناس صنفان ، مسلم استسلم لأمر ربه ، وكافر رفض الإسلام والاستسلام لخالقه سبحانه أو لم يسمع بالإسلام .. والكفرة أصناف ، فمنهم من له دين ؛ ولكنه منسوخ كاليهودية والنصرانية، ومنهم من له دين وثني شركي كالمجوسية والبوذية والهندوسية .

فعند الدعوة لدين الله ﷻ فمن المهم معرفة معبود المدعو .. فمعرفة معبود المدعو عامل مهم في الدعوة لدين الله ﷻ .. فدعوة الوثني تختلف عن دعوة اليهودي والنصراني .. ودعوة العامي البسيط تختلف عن دعوة المتعلم والمثقف .

وأساليب الدعوة متنوعة .. والقرآن الكريم ذكر لنا صورا منها .. كيف دعا نوح قومه ؟ كيف دعا موسى فرعون وقومه ؟ .. والرسول الكريم ﷺ كان يدعو الناس للإسلام بعرض الإسلام وقراءة القرآن .. وممكن للمسلم أن يدعو بالحديث عن إعجاز القرآن العلمي في هذا الزمان .. إعجاز في السموات والأرض والجبال والبحار .. إعجاز في خلق الإنسان والحيوان والنبات.. فإذا بهر السامع بقدرة الله تعالى في ترتيب وتنظيم كونه وملكوته .. واستسلم لعظمة الله سبحانه وإرادة الله .. أدرك المدعو عظمة هذا الإله ، وأنه وحده المستحق للخضوع والعبادة والإيمان .

فحينئذ نذهب بالمدعو إلى رسالة النبي ﷺ لأن هذا الإله العظيم الذي تعرفنا عليه يريد منا عبادته وطاعته.. فكيف نطيعه ونعبده ونخلص له ولا نشرك به شيئا؟!

فنحن بحاجة لمعلم .. لرسول يعلمنا العبادة والطاعة لهذا الإله العظيم.. فكان محمد هو المعلم والرسول لنا .. فبواسطة الرسول المبين عن ربه ، نتعلم الصلاة والوضوء والأعمال التي نتقرب بها لهذا الإله المعبود { هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ } [الجمعة: ٢]

خلاصة الكلام .. تعريف بالله ﷻ بقدرة الله سبحانه بعظمة الله تعالى .. يكون إيمان بالله ﷻ ثم رسول يوضح ويبشر ويعلم هذا الإيمان الصحيح السليم وكيف نشكر الله ﷻ ؟ {لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ } [البقرة: ٢٧٢] والله أعلم

فتضرعت وتضرعت : اللهم اهدني وتب عليّ ، كما هديت عبدك عصاما ،وتبت عليه وصاحت

أمين أمين .

أخرجت مصحفا اشترته من أيام ، قرأت الفاتحة ، وسمعتها على الموبايل وقالت : لماذا لا أتوب ؟! بكت وبكت بضع دقائق حتى إن جوهرا اقترب منها تتبعه المربية : تبكين يا أمي! احتضنته وقالت : حبيبي كم أموت فيك يا جوهر !

الأعرابيان

خرج أعرابي قد ولاه الحجاج بعض النواحي فأقام بها مدة طويلة. فلما كان في بعض الأيام ورد عليه أعرابي من حيه. فقدم إليه الطعام وكان إذ ذاك جائعاً فسأله عن أهله وقال: ما حال ابني عمير. قال: على ما تحب قد ملأ الأرض والحي رجالاً ونساءً. قال: فما حال أم عمير. قال: صالحة أيضاً. قال: فما حال الدار. قال: عامرة بأهلها. قال: وكلبنا إيقاع. قال: قد ملأ الحي نبحاً. قال: فما حال جملي زريق. قال: على ما يسرك. فالتفت إلى خادمه وقال: ارفع الطعام. فرفعه ولم يشبع الأعرابي. ثم أقبل عليه يسأله وقال: يا مبارك الناصية أعد على ما ذكرت قال: سل عما بدا لك. قال: فما حال كلبي إيقاع. قال: مات. قال: وما الذي أماته. قال: اختنق بعظمة من عظام جملك زريق فمات. قال: أو مات جملي زريق. قال: نعم. قال: وما الذي أماته. قال: كثر نقل الماء إلى قبر أم عمير. قال: أو ماتت أم عمير. قال: نعم. قال: وما الذي أماتها. قال: كثرة بكائها على عمير. قال: أو مات عمير. قال: نعم. قال: وما الذي أماته. قال: سقطت عليه الدار. قال: أو سقطت الدار. قال: نعم. فقام له بالعصا ضارباً. فولى من بين يديه هارباً .

ابن صغير

كان للفرزدق نديم يسمى زياداً الأقطع. فأتى بابه فخرج ابن له صغير فقال له: ابن من أنت. قال: ابن الفرزدق. قال: فما بالك حبشياً. قال: فما بال يدك مقطوعة. قال: قطعت في حرب الحرورية. قال: بل قطعت في اللصوصية. فقال: عليك وعلى أبيك لعنة الله. ثم أخبر الفرزدق بالخبر. فقال: أشهد أنه ابني حقاً .

حمار ثمامة

قال ثمامة: دخلت إلى صديق أعوده، وتركت حماري على الباب، ولم يكن معي غلامٌ يحفظه، ثمّ خرجت، وإذا فوقه صبيّ، فقلت: أركبت حماري بغير إذني؟ ! قال: خفت أن يذهب فحفظته لك؛ قلت: لو ذهب كان أحب لي من بقائه؛ قال: إن كان هذا رأيك فيه، فاعمل على أنّه قد ذهب وهبه لي واربح شكري؛ فلم أدر ما أقول.

دعاء

﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ [آل عمران: ٨]

ايتام الحداد

الحلقة ٣

الخطوة الأولى

كان عدنان جابر على اتصال دائم بالمهندس ربيع رغم كل المشاكل التي مرّ ذكرها، وكان يلتمس دائما لصاحبه عذرا بما جرى، وكان عدنان يرسل زوجته حليمة إلى زيارة خالتها جميلة باستمرار وحسب الظروف ، فما زال بينه وبين ربيع ود قديم من أيام الحي وبسبب مصاهرتهم لأقرباء جميلة ، فعدنان متزوج من ابنة أختها، وربيع متزوج من ابنة أخيها ، فكان بينهما مراسلات ومجاملات وعلاقات أسرية ، وكان ربيع قد كاشف عدنان برغبته بمساعدة خاله خليل بأي طريقة لرد بعض جميله ومعروفه القديم عليهم ، فيصبره عدنان ويقول له دع ذلك للأيام.

فقد جاءت الأيام ، فذات ليلة اتصل عدنان بربيع المتغرب بالهاتف وأخبره أن زوجة خاله خليل في المستشفى وتعاني من مرض شديد وقديم .. فالموت في انتظارها كما تنتشر الشائعات في الحي ، وكان عدنان قد سمع من ربيع مرة أو أكثر يقول لو لم يتعجل خالك بالزواج لكنت رددت أمي إليه .. فهي تشعر بأنها ظلمت الرجل بتركه من أجل ابنتها منى .. ولكن الظروف حكمت يومها

وكان عدنان عندما يلتقي بخاله يحدثه عن أخبار جميلة ، ويلمس في نفس خاله الحنين لهم ، فأحب أن يعرف رأي ربيع إذا حدثت وفاة امرأة خاله المتوقعة ، وهل لدى أمه الرغبة بالعودة لخاله خليل

فقال ربيع: لا أدري - يا عدنان - بعد هذه السنوات رأي أمي!.. سوف أتحدث مع أخي مالك ليجس نبض أمه ورأيه أيضا.

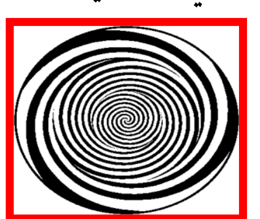
- ومتى؟

- لا تهتم ، فهي اختارت الانفصال عن العائلة ، وتتصرف تصرفات حمقاء ، فنحن ننتظر حتى تتدعثر بابن الحلال وتعود إلى حياة العائلة ، كلنا مستاؤون من سلوكها وانتقامها من نفسها.. لا يهمنا رأيها .. المهم رأي أمي يا عزيزي .. ولنبقَ على اتصال ، فخالك رجل لا يمكن نسيان فضله ، وهو معذور جدا بما فعل وتصرف تلك الأيام ، وأنا بينت لك ضعفنا وحرجنا الشديد يومئذ في ذلك الموقف الغريب .. أشكرك على هذا الاهتمام

وما تحدث به عدنان عن تعب زوجة خاله كان صحيحا ، فبعد هذه المكالمة بأيام قليلة رحلت تلك المرأة من الدنيا إلى دار خير منها ، وتلقى خليل قضاء الله بروح المؤمن الصابر، وتقبل فيها العزاء ، وعاد يعيش وحيدا في البيت الذي ورثه عن والده منذ عقود ، وبعد حين يسير فاتحه عدنان بما همس به في أذن ربيع.. فرفض خليل الحديث في هذا الموضوع ابتداء ، ثم بدأ يفكر ويسأل ابن أخته

عدنان هل يمكن تحقيق ذلك ؟.
فوعده عدنان خيرا وأنه سيتكلم مع ربيع ومالك في الموضوع ، فبعد تمنع رضي خليل بأن تعود له زوجته جميلة إذا رضيت بالعودة إلى برقوقة ، فهي أكثر امرأة عاشت معه ، فنشط عدنان جابر في الموضوع ، وفعلا استطاع ربيع ومالك أن يقنعا والدتهم بالعودة للسيد خليل ، وجرى تصالح بينهم وعتاب ، ودافع كل شخص عن وجهة نظره وتصرفه تلك الأيام ، ثم تم عقد زواج خليل من جديد على زوجته السابقة جميلة ، وعادت للحياة من جديد في حي برقوقة ، وقد حاولت منى بدورها إفشال هذا المشروع ؛ ولكن مالكا وقف أمامها بحدة وقوة وساندته حنين بذلك ، فتركوا حي الرحمات وهجروه وعادوا لحيهم القديم..
وأما منى بعدما فشلت من صرف أمها من العودة لخليل فرفضت العودة للحياة والسكن في حي برقوقة ، وظلت تسكن في الشقة التي تستأجرها .. وقد بذل مالك جهده الجبار لتعود للحياة معهم ، وأن العم خليلا ليس بينهم وبينه ثأر فأبت أشد الإباء ، وحاول عدنان زوج ابنة خالتها معها ، ووعدها بأن يسعى بالبحث لها عن زوج صالح مناسب لعل الله يهبها منه ذرية طيبة يعيد لها نضارتها وشبابها فكانت تحدثهم بحدة وغضب وعدم احترام أحيانا ، ولم تسمع لكلامهم وأفكارهم الضعيفة ، وسخرت منهم ومن كل الرجال ، وختم مالك حواره معها في النهاية قائلا : ماذا أفعل لك يا أختاه؟! تزوجت كما شئت وسكتنا.. وهل حازم هو آخر الدنيا وآخر المطاف ؟ والذي خلق حازما لم يخلق غيره؟ .. وبذل الربيع كل ماله ومدخراته لمساعدتكم في المصنع الفاشل
وسكتنا.. وها هو حازم قد تزوج بعدما تعالج من المخدرات ، وسمعنا أنه خلف ولدا
فصاحت ضجرة : أعرف كل ذلك.. وحازم انتهى من حياتي .
ـ إذن انظري أنت لحياتك ومستقبلك.. فالحياة ليست ضيقة بهذا الشكل .. افترضي هلاكه وموته .. تفكري في نفسك يا أختي! ها هي حنين قد أصبح عندها طفل .. فنحن أناس يحيون على سمعتهم وشرفهم .
فقالت بحدتها : أنا شريفة يا سيد مالك .
ـ وأنا لم أقل غير ذلك .. وأطمئن من هذه الناحية
ـ وأنا أعرف الشرف أكثر منكم .. اسكن في برقوقة ، وكن مطمئنا من هذه الناحية ، أنا لا يمكن أن أدخل رجلا لشقتي خلسة .. إنني اكره كل الرجال والناس فدعوني .
وحاولت حنين إقناعها بأن تعرض نفسها على طبيب نفساني وتتعالج عنده ، فرفضت وأصرت

أنها في عافية ، ولا أمراض نفسية تعاني منها، ولا تحتاج لطبيب نفسي ولا بدني .



هذه الأحداث الأخيرة في حياة الأسرة علمها برهان محمود من صديقه سعد الدين ، فكان يرى أنها تصب في صالح المغامرة التي هو مقبل عليها ؛ ولكن الذي يخيفه في هذه المغامرة أن تتعلق به منى تعلقا حقيقيا رغم ما يقال عنها من قسوة قلب أو بغض لجنس الرجال ، وأنها لا تدع العاطفة تملكها وتسيطر عليها.. فالطموح إذا كان لدى الأنثى لا يدفعها للتصرف كالرجال .. المرأة تبقى امرأة مهما حاولت محاكاة ومشابهة الجنس الآخر بقص شعر ولبس بنطال وتدخين سيجارة .. فكل ذلك تمثيل وتزوير وتشبع بما لم يعط .

لما اكتملت خطة برهان في ذهنه كان قد حسم أمره فقال لنفسه : إذا جرى بينا قبول وانسجام وتعلقت بي هذه الفتاة سأحقق حلم صديقي سعد الدين وأتزوجها .. ألم يحلم ذات يوم بأن أكون عديله ؟ رغبتي أن تكون عديلي يا برهان ، أنت صديق غانم هكذا تمنى يوما .. ثم إنها تتحدى غروري وجمالي .. سوف أتزوج وستوافق أمي وكذلك أبي .. مطلقة مطلقة لن يعترضا على اختياري.. سأبدأ بتنفيذ الخطة .

لما انصرف برهان من البنك بعد الظهر اتجه إلى الشركة التي تعمل فيها منى ربيع ، فكانت شركة للتجارة العامة ، كانت الشركة تتعامل بأشياء كثيرة ؛ ولكن أكثر نشاطها في استيراد الأثاث المكتبي الأوروبي والثريات الضخمة والفخمة التي تعلق في المساجد والصالات الكبرى وصالونات البيوت الكبيرة والواسعة اسمها شركة شفيق للتجارة العامة .. الشركة ضمن بناية تتكون من عدة طوابق تشغل الشركة بعضها .. كان مكتب منى في الطابق الأرضي وهو في قسم المراسلات التجارية .. دخل برهان الشركة واتجه حيث تجلس منى مباشرة وحياها ، وكان يتظاهر بأنه جاهل لأي مكتب يسير ويتجه ، وعرفها بنفسه قبل أن تفكر بسبب دخوله عليها دون الآخرين ، وحدثها برغبته بشراء أثاث لمكتب وشقة سيتخذها مكانا لعمل خاص به ، هو وبعض شركائه سينشئها حديثا .. بالطبع دهشت منى لمجيئه إليها مباشرة حتى أن العاملين والعاملات في نفس القسم ظنوه صديقا ومعرفة لمنى ، وهي قد ارتبكت بداية ، ولم تفكر أن هذا المجيء كان مقصودا ، فرحبت به وقبلت السيجارة التي دفعها إليها من غير تردد

فبعد أن شرح لها حاجته التي ذكرنا بسرعة قال

مبررا دخوله عليها : لما دخلت القاعة تطلعت هنا وهناك فلم أر نفسي إلا وأنا مندفع اتجاه مكتبك.. فأريدك أن تفيديني بالأثاث المناسب والأرخص .. أنا أريد أثاثا جيدا وأنيقا لأنني في بداية مشروعي ورأس مالنا على قد الحال .. فمن الجميل والمستحسن أن لا يدفع الإنسان الكثير منه على أثاث ربما لا ينجح المشروع .

فقالت وقد تمالكت أعصابها : نعم هذه ملاحظة جديرة بالاهتمام .. ماذا تعمل وما نوع العمل الذي ترغب به ؟!

ولما مرّ الفراش قريبا منهم طلبت منى منه قهوة للزبون ، فشكرها برهان وهو يحس بنفسه أنه اجتاز الخطوة المهمة .. فشرح لها طبيعة عمله في البنك وأنه مجرد موظف صغير ولديه أمل بفتح مكتب تدقيق محاسبي خاص به مع بعض الشركاء ، أبدت سرورها منه وتمنت له التوفيق ، وطلبت من إحدى زميلاتها مجموعة من دفاتر الإعلانات ويسمونها الكتالوجات للأثاث المكتبي ، فقال برهان مستدركا موهما لها بجهله عندما دخل عليها دون الآخرين : إذا لم يكن هذا عملك فأذهب إليها أنا آسف يا سيدتي أنا قصدت النصيحة والاستفادة من خبرتك .

تبسمت منى لاعتذاره اللطيف وقالت : أبدا أنت رجل لطيف .. كلنا في خدمة الشركة.. أنا عملي هنا الترجمة والمراسلات التجارية للشركات الأوروبية أو الصينية والمحلية .. وأهلا بك

ـ أنا اسمي برهان محمود الدين .. كما قلت لك موظف في بنك المدينة الخضراء .

ـ أهلا وسهلا اشرب قهوتك .

لما أقبلت الفتاة التي تقوم بعرض الأثاث على الزبائن ، تناولت منى منها كتيبات الإعلان والنماذج وشكرتها بهز رأسها ، وأخذت تقلب الصفحات أمام برهان الذي قال : أرجو نصيحتك بإخلاص.

ـ أكيد سأساعدك قدر الإمكان .. وسوف أتكلم مع مدير المبيعات من أجلك فأنا أشكر ثقتك بي.. فكل هذه العيون تنظر إلينا يظنون أنك قريب لي وتريد أن توسطني في شراء أثاث

لاحظ برهان نظرات العيون إليهم ، وهو كان يقصد ويسعى لهذا المعنى الخفي فقال شاكرا : بارك الله فيك .. آسف لإزعاجك

وأخذ يقلب الصفحات وهي تحدثه عن هذا الأثاث وثمنه وذاك حتى استقر على أثاث معين وقال : قد يكون هذا مناسبا .. ما رأيك ؟

تأملته لحظات وقالت : جيد وأعتقد أن ثمنه مناسب لمكتب متواضع .

ـ أيوجد مثله في معرض الشركة ؟

ـ ممكن .. سوف أسأل .

نهضت عن مكتبها حيث الشخص المختص بالموجودات مما يعرض في هذه النماذج ، فقالت الفتاة المسؤولة عن ذلك بعدما نظرت في أوراقها : الآن لا يوجد من هذا النموذج يا منى ؛ ولكن كما أعلم أن صفقة منه في الطريق ربما وصلت الميناء وبقي إجراءات التخليص ثم الشحن

فقال برهان: ألا يوجد هنا معرض يا آنسة بدلا من النظر إلى هذه الكتالوجات والصور؟

ردت منى : يوجد يا ... في الطابق الثاني معرض كبير ؛ بل لدينا عدة معارض منتشرة في العاصمة سوى العملاء .. تفضل إلى فوق .

لا شعوريا أرادت منى أن يبدو لزملائها أن الشاب الذي دخل مكتبها دون مقدمات قريبا لها أو صديقا، فاستأذنت شركاءها في المكتب بضع دقائق ، وصعدت ببرهان إلى الطابق الثاني حيث المعرض الكبير لنماذج وعينات من الأثاث المكتبي والكريستال الثمين والتحف.. وتفرج برهان وتأمل ثم هبطا ثانية وهو يقول : شكرا .. سأمر ثانية .

وعدها بالمجيء ثانية بعد أيام قد يكون وصل النموذج الذي اختاره فوعدته منى خيرا ، وعندما يستقر على الشراء سوف تساعده وتتحدث مع مدير وصاحب الشركة ليعطيه نسبة خصم.

وعاد للبيت مسرورا من مغامرته، وأخذ يفكر بكل ما جرى بينه وبين الفتاة المعقدة ، فوجدها كغيرها من الفتيات ، فقد تعاملت معه بلطف وأدب وهدوء ، وليس كما تصورها من كلام أختها وزوج أختها سعد الدين ، فقد تقبلته سريعا ومن غير نفور ، صحيح أنها تعاملت معه كزبون ، وتعاطفت معه معتقدة أنه إنسان بسيط وساذج يحتاج لخبرة الآخرين ، متحمس لشراء أثاث أنيق ولائق بمكتبه .. ولم تحاول إرشاده لمن يهمهم الأمر للتخلص منه ، بل حاولت خدمته كغريق لجأ إليها ، وبعد أن تذكر كل المقابلة والحركات والكلمات قال : هناك ملاحظتان على هذا اللقاء .. الأولى أنها فتاة لطيفة كأي فتاة عرفتها تحب المساعدة والتعاون ، لم تكن متكبرة ولا متعجرفة هي عاملتني بأنني إنسان ضعيف ، وليست عنده خبرة شخص يريد شراء أثاث مكتب مناسب ورخيص .. والثانية أنها كانت مشغولة بنظرات وحركات زملائها في القاعة والذين في نفس مكتبها .. هل هو قلق المطلقات ؟ فهؤلاء يظنون أن كل من تحدث معها عريس المستقبل .. وهي تحسب لنظراتهم ومراقبتهم أمرا .. الآن عليّ الاستعداد للجولة التالية .. هل سأضطر لشراء أثاث فعلا أم اعتذر بأي حجة ؟ لابد من الاعتذار .. زيارة ثانية وثالثة وينتهي الموضوع ، إما أن نصبح أصدقاء أو أعداء .. فسلم أمرك يا إنسان

لخالق الأكوان صاحب الشأن الله العلي المتعال .

هذه خطوة برهان الأولى ، لقاء سريع مع منى حول الشراء والبيع والأثاث وفتح مشروع أو الحلم بفتح مشروع ، ألم تحلم هي بفتح مشروع ؟ بل فتحت مشروعا ولكنه فشل .. لماذا فشل ؟!



تجدد اللقاء

منى ربيع هل ترك في نفسها هذا اللقاء العابر شيئا ؟! إنها تلتقي في العمل الكثير من الرجال والنساء والعاملين ..هل ساءلت نفسها عنه عندما انصرف هذا العابر أم انتهى من فكرها بمجرد مغادرته المتجر؟ .. هو أحبها أن تكون وسيطة وناصحة له.. وهي أبدت استعدادها لذلك رغم أن هذا ليس من اختصاصها في أعمال المتجر المختلفة.. هل كانت تنتظر عودة برهان إليها ثانية كما وعد ؟ .. هل ذكرها طموحه بعمل مشروع بمشروعها القديم ؟ .. هل ذكرتها لفظة آنسة عندما لفظها أثناء الحوار بشيء؟.. يبدو لنا أن السيدة منى لم تحمل هذا اللقاء أكثر مما يحتمل .. فهي لم تكترث لهذا اللقاء الذي اعتبرته صدفة وعابرا وعارضا وغير مخطط له بدقة وعناية وتأن وصبر .. فلو كل شخص تلتقي به في المحل أو الدكان أو المسرح ستجعل من لقائه سببا فسترهق بدنها ونفسها منشغلة به وبأحواله وتؤلف له قصة وتفكر بها فلن تنته من ذلك.. ويؤكد لنا أن شيئا من هذا الاهتمام والاحتفاء بهذا اللقاء لم يحدث ، وأن اللقاء تجاري فحسب فإنها لم تحاول معرفة هاتف الرجل وعنوانه ، وحتى عنوان المكتب الذي سيفتحه ، أو سؤاله أي سؤال شخصي سوى معرفة عمله واسمه ، ولم تعلق على أحلامه ومشروعه بأي كلمة مهمة إنما كان همها مساعدته في شراء الأثاث ، ومحاولة الظهور أمام العاملين بأنه معرفة أو أرسله إليها شخص تعرفه ؛ لتستطيع مساعدته عند عقد الشراء وتحصل له بعض الخصم التجاري.. فحتى عندما صعدت به لمعرض الأثاث في الطابق العلوي كان كل كلامهما حول الأثاث والمواصفات التجارية للمنتج والأنسب لمكتب صغير ومن صنعه؟ أصناعة محلية أم كلها أوروبية ، ومن الأجود ؟ وانتهى كل شيء بالنسبة لمنى بخروج الرجل من مكتبها .

ومنذ تزوجت أمها ثانية ، وعادت لحي برقوقة لم تزرها ولم تحاول الذهاب إليه ؛ كأنها على عداوة وحقد وبغض لهذا الحي ومن فيه ، مع أن الحي لم يفعل لها شيئا .. لماذا تكرهه؟! لذلك كانت كلما تحدثت معها الوالدة تدعوها لزيارتها والسلام على

عمها خليل ، وتتسأل عن عدم مجيئها للسلام على الرجل الذي رباها وصرف عليها حتى تعلمت وتخرجت من الجامعة ، فتعتذر وهي غير مهتمة برضا أحد ، وتدعوها لزيارتها هي ومالك ، فتسكت الأم وتدعو لها بالهداية وتسلم وتغلق الهاتف ، وكان خليل يرغب رغبة أكيدة بعودة منى لتقر بأنه كان على حق في معارضة زواجها من حازم ناصر بدون موافقة أهله .

فلما تكلمه جميلة عند نهاية الاتصال تراه يبدي رغبته بعودتها ، ويبدي استعداده للذهاب إليها ومصالحتها ، فتشكره جميلة على هذا الاستعداد والهم وتقول له: إن منى التي كان يعرفها وديعة أليفة قد تغيرت بعد الزواج والطلاق .

فيلوذ الأب الروحي لمنى بالصمت ، ويعودون للحديث عن مالك وحثه على الزواج والارتباط بفتاة تقر بها عينه ، فيحدثهم مالك عن رغبته ببناء بيت واسع كبير ، وهو يفكر بشراء بيت قديم وهدمه وإنشاء مكانه عمارة كبيرة من عدة طوابق ، وأنه يتشاور مع ربيع في هذا الموضوع ويطلب من عمه زوج أمه أن يساعده في البحث عن بيت في الحي معروض للبيع ، فيعده خليل خيرا وأنه سيبذل قصارى جهده .

لقد كان الهدوء يسم حياة مالك وأمه وخليل ، فقد عاد الصفاء والود القديم ؛ ولكن خلا البيت القديم من ثلاثة أنفار ، ربيع تزوج وسافر للخليج العربي ، وحنين تزوجت وتسكن عند أهل زوجها ، وبقيت منى تعيش وحيدة في حي رحمات .

ولكن كان يقلقهم ويزعجهم عناد منى وإصرارها على الحياة بعيدة عنهم ، وحياة المرأة وحيدة من غير بعل وأهل في بيت مستقل كان يعتبر عيبا في عرف الأسر المحافظة التي ما زالت متمسكة بأهداب التدين ، فمن العيب أن تعيش المرأة العزباء بعيدة على الأقل عن بيت أقاربها وأهلها درءا للشبهات والقيل والقال ، ودفعا للحرج عن سمعة العائلة وشرفها فكانوا يرون حياة منى المطلقة في شقة وحدها أمرا غير طبيعي وغير سوي فهذا ما يزعج الأسرة الصغيرة ، والإنسان الشريف عنده سمعته وشرفه وكرامته تعادل حياته فأي انزلاق يحدث في أسرة مسلمة أو عربية ولو كانت بعيدة عن الدين الحقيقي سيترك أثره على سمعة العائلة كلها ، وليس الفرد الذي قام بالعمل المشؤوم وخصوصا أهل الأنثى.. فهذا مثير للخوف فعلا في بيت خليل ، الحياة طيبة ، خليل يخرج في الصباح لمحددته التي ورثها عن والده ، وينطلق مالك إلى شركة المحاماة التي يعمل فيها ، وهو يفكر بفتح شركة خاصة مع بعض الزملاء عندما يشتد عوده في سوق المحامين ، وتبقى الأم جميلة لتنظيف البيت وإعداد الطعام ،

وتجلس تشاهد التلفاز أو تستقبل بعض الجارات للثرثرة ونقل الأخبار أو تقوم هي بالذهاب لبيوت الجارات أو تزور أخواتها القاطنات في الحي حي برقوقة ، وأحيانا أخرى تزور صبرية أخت خليل أو تستقبلها ، وقبل عودة مالك تعود للبيت وكان مالك يغادر دوامه بعد الظهر بساعتين .



ذهب برهان للشركة التي تعمل فيها منى ربيع كما وعدها بعد يومين، واتجه كالمرة السابقة إلى حيث تجلس منى ، وكان دخوله هذه المرة في الصباح قبل الظهر، فقد أخذ إجازة قصيرة من البنك ، فوجدها تتحدث مع شخص ، فحياها فرحبت به وأذنت له بالجلوس على أحد الكراسي التي أشارت إليها فجلس ، وعادت تتابع حديثها مع الرجل الذي قطعه برهان بدخوله عليهما ، فسمعها تعد الرجل بالمساعدة قدر الإمكان ، فصافحها الرجل وانصرف شاكرا ، ثم استدارت إلى برهان وقالت : أهلا بالأستاذ .. آه لقد نسيت اسمك يا أخي .

ـ إنك تذكريني على كل حال .

ـ أذكرك بالطبع ، لقد جئت راغبا بشراء أثاث لمكتب تدقيق حسابات مالية ولكني للأسف نسيت اسمك فقط لما يمر علينا من كثرة الأسماء .

ـ لا حرج عليك يا أختي العزيزة اسمي برهان محمود .. لقد رأيت في المرة الماضية أثاث مكتب جميل ومناسبا لمكتبي الناشئ في أحد كتالوجات الإعلان ا لتي عرضتيها عليّ ، ولما سألت الموظفة المسؤولة عن ذلك النوع قالت لا يوجد الآن منه ، وبعد أيام سيكون موجودا ويصل من الشحن والتخليص للمعرض .. فأسرعت إليكم ربما يكون قد وصل وأكون زبونا .

ضحكت منى وقالت : أهلا وسهلا .. انتظر لحظات حتى أسال لك عنه

غابت بضع دقائق ثم عادت تقول : للأسف لم يصل بعد يا أخ برهان .. على كل حال أعطني رقم هاتفك ولما تصل الكمية وتجهز للبيع أتصل بك .. ما رأيك ؟

ـ أخشى أن يكون في ذلك إزعاج لك .. وأخشى أن تنسيني أثناء أشغالك الكثيرة .. لا بأس سأمر عليك مرة ثالثة ..

ـ أبدا لا تعتذر عن إزعاجي .. نحن في خدمة الناس المحترمين يا سيد برهان .. لا يكلفني الاتصال شيء ، فأنا أحببت خدمتك ونصحك كما طلبت مني، والنسيان وارد ولكني سأبذل جهدي ألا أنساك. وكتبت شيئا على ورقة أمامها .

وأخذ الشاب يشكرها ، ويثني على خلقها وتعاونها ، ويتعذر من إزعاجه لها، وهي أيضا تبادله التعذر، وأنها تقوم بواجبها ولا تنتظر جزاء ولا شكورا ، إنما تقصد المساعدة والمعونة والنصيحة وتظاهر بأنه لا يريد إعطاءها رقم الهاتف ، مبديا استعداده للمرور كل يومين أو ثلاثة مرة ، فأصرت منى على أخذ رقمه وأنها ستتذكره فور وصول هذا النوع من الخشب والأثاث للشركة فأعطاها رقم هاتف البنك حتى تتصل به في النهار ؛ لأنه لا يكون في البيت أثناء عملها لتتصل به ، وذكر لها أنه أعزب بعد ، فعندما ينهي عمله يذهب هنا وهناك مبررا لها بذلك عدم إعطائها هاتف منزله ، وقدم لها السيجارة وأسقته هي القهوة مرة أخرى ، وحاول الاعتذار عن شربها ، ولما رأى ترحيبها وإصرارها تظاهر بالاستحياء ، وشرب القهوة وغادر الشركة وعيون الموظفين ترمقه باستغراب ، ولما انصرف قالت إحدى العاملات لمنى : من هذا ؟!

تطلعت إليها منى بطرف حاجبها وقالت : صديق يا عزيزتي أمل .. معرفة موظف في بنك

المدينة الخضراء يريد تأثيث مكتب ، له أصدقاء يحاولون إنشاء مكتب تدقيق حسابات .. فأرشدته لأثاث معين عندنا ؛ ولكنه للأسف غير متوفر هذه الأيام .. لا أدري لماذا ؟!

ـ أنا آسفة إذا ضايقتك بالسؤال .

ـ لا يا حبيبتي ، أنا كما تعلمين ليس من اختصاصي البيع والعرض ؛ ولكنه يخصني فيأتيني فأنا أقوم على خدمته مجاملة للمعرفة فلا تشغلي فكرك

ـ أشغل فكري ! أنا متأسفة مرة أخرى يبدو أن الحديث معك معصية.. سلام.

ـ مع ألف سلامة يبدو أن الصراحة قاتلة سلام وخبري الجميع بما قلت .

ـ أنت حساسة أكثر من اللازم يا منى .. أنا لم أقصد سوءا عندما سألت عنه قد يكون الفضول آسف .

ـ حياك الله .. قصدك سوءا أو خيرا حياك الله

ـ والله أنت عجيبة يا منى وتتعصبين بسرعة !

وأخرجت علبة الدخان وأشعلت سيجارة وتظاهرت بأنها مشغولة بأوراق أمامها فتيات اليوم يدخنّ كالرجال ، وربما أكثر من الرجال، فتقليد الرجال أصبح لديهن دين وتقدم ، حتى لو كان التقليد قتل النفس، فلم يكفيهنّ التقليد باللباس وقص الشعر، فتقليدهن بأشياء كثيرة بالدخان والخمر والسهر ولعب الورق وكرة القدم .. عافانا الله وإياكم من الجهل والتقليد الأعمى .

انتظر برهان ثلاثة أيام أخر ولم تتصل به منى ، فأدرك أنه لم يترك لديها أي تأثير حتى ولو للثرثرة

فهي تتعامل معه بحدود الصفقة والعرض والزبون ، فقال مفكرا : أنا ظننت أنها طلبت رقم الهاتف لتبدأ علاقة جديدة معي .. صداقة .. أنا فعلا مغرور.. أنا لاحظت اختلاس نظراتها نحوي وأشرت لها بأنني عازب .. كل هذا لم يحرك ساكنا في قلبها .. أنا لم أتعود أن أطارد الفتيات ، تعودت أن تطاردني الفتيات يدرن حولي .. لماذا لا تحوم هذه حولي؟! هل تعرف عني شيئا؟ هل حدثتها حنين بهذه الفكرة الجنونية وأنها تعرف أنني ممثل ؟ لا تفعل حنين ذلك ، فهي تخاف أختها بل مرعوبة منها.. فعندما تتحدث عنها كانت تتحدث وكأن وحشا أمامها .. تتكلم عنها بخوف وقلق.. أنا وإياك والزمن طويل كما يقولون .

ظهر اليوم التالي اتصل برهان بالشركة من البنك ، وطلب منى وذكرها بنفسه فقالت : أهلا بك ولكن كيف عرفت اسمي ؟!

تضاحك وقال : سألت أحد العاملين عندما كنا في المعرض في الطابق الثاني عندما لاحظت أنك لا ترغبين بتعريفي بنفسك .. أنا آسف إذا أزعجتك ولكن لي ثلاثة أيام أنتظر الاتصال فلم يحصل فظننت أنك نسيتيني من تكاثر العملاء.

ـ لو حصل شيء يا أخ برهان لاتصلت بك ، فأنت أصبحت معرفة وصديق .. أهلا وسهلا وإذا وصلت تلك البضاعة سأتصل بك .. سبحان الله ! اخترنا شيئا فإذا هو غير موجود .. ما رأيك أن تختار نوعا آخر من الموجود ؟ وسوف ادع أبا محمد شفيق أن يخصم لك ويساعدك على أنك قريب لي.. نحن المشكلة عندنا أننا لا نبيع بالقسط يا أخ برهان

ـ أشكرك يا أخت منى حتى لو لم نشترِ من عندكم ، فتكفينا معرفتك وصداقتك وشهامتك أشكرك الشكر الجزيل ، وعندما نفتح المكتب إذا أحببت أن أدعوك لحفل الافتتاح المتواضع فيا مرحبا بك فلن أنسى مساعدتك .

ضحكت على الهاتف وقالت : لم أفعل شيئا يا أخ برهان ، أنت رجل محترم ، وأنا في خدمتك ، على كل حال ابحث في معارض الأثاث الأخرى قد تجد ما لم تجده عندنا ، وإذا لم توفق فاتصل بي حتى إذا جاءت الشحنة المنتظرة سأتصل بك .. أما إذا كنت تريد نموذجا غير الذي شاهدناه في الكتالوج .. تعال وسأساعدك عند صاحب الشركة شفيق .

ـ لا ، أنا أعجبني اختيارك ومتفائل به ، فشكله جميل وحجمه جيد ورخيص في نفس الوقت آ .. أأدعوك لحفل الافتتاح الذي سيكون قريبا إن شاء الله .. فأنا عاجز عن شكرك .

ضحكت ثانية وقالت : أنا لم أفعل شيء بعد

ـ لا ، لقد فعلت الكثير ، يكفيني أنك لم تكشري

في وجهي ، وهل أنسى فناجين القهوة التي قدمتيها لي .. لا أعتقد أن أي زبون يدخل عليكم يحصل له ما حصل لي .

ضحكت منى أيضا وقالت: هذا لطف منك يا سيد برهان ! على كل حال معرفتك مكسب كيف سيكون هذه الحفل الذي تدعوني إليه ؟

ـ كما يحتفل الآخرون .. ولكن حفلنا سيكون صغيرا ومقصورا على بعض الأصدقاء من أصحاب الشركات والمصانع .. وأنت اعتبري نفسك منهم .

ـ شكرا أخجلتني يا برهان! .. كأننا نعرف بعضنا منذ سنوات.. إنهم يريدون الهاتف آسف يبدو أن الحديث طال .. هات رقم بيتك سأكلمك في البيت .. شكرا لك وربما أدعو نفسي لحضور حفل الافتتاح ـ نقلت الرقم ـ شكرا .

ووضع كلا الطرفين السماعة ، وأخذ يمسح العرق المتصبب عن جبينه ، وهل هذا بداية علاقة غرامية؟.. لحتى الآن لا ندري ، ممكن أن يكون ذلك ، وممكن أن يكون غير ذلك .. فالكلام كله يدور حول العمل والأثاث وحفل الافتتاح .

دعيت منى لمكتب المدير وعاتبها على طول مدة الاتصال ، فتأسفت له وأخبرته أن المكالمة أتت إليها من الخارج ، ليست هي المتصلة ، وأنها استحت أن تقطع الحوار ، فصرفها المدير منبها على اختصار المكالمات سواء الواردة أم الصادرة ، أما برهان فكان الاتصال عبر مقسم فلم يثر إزعاج لدى البنك ، ولما عاد الهدوء لنفس برهان قال : هل وقعت السمكة في السنارة أم لا ؟ الأنثى ستبقى أنثى .. أي صبية من غير زوج يحلو لها الكلام والحديث مع رجل ، ولو لم يكن في الهوى والغرام والزواج .. أعود للسؤال الكبير.. هل أتزوج من تلك المرأة ؟ من تلك المطلقة؟ من سيعترض من الأهل والأصدقاء؟

بعد أيام من الاتصال الأخير اتصلت منى ببيت برهان ، ولم يكن في البيت تلك الساعة ، ولم تترك له لحتى الآن رقم هاتف بيتها ؛ فإنها ما زالت المكالمات متعلقة بالتجارة والبيع وفتح المكتب.. لما أنهى أعماله في الصباح التالي في البنك اتصل بالشركة واعتذر لها عن عدم وجوده في البيت ، فقبلت اعتذاره وقال لها: إنه سينتظر مكالمتها في التاسعة ليلا حتى لا يطيل عليها .

فرحبت بذلك وأغلقت الهاتف وهي مسرورة بهذا التصرف ، فهي خشيت أن يطول الحديث كالمرة الماضية ويحدث إحراج وإشكال .

في التاسعة ليلا كانت منى تتصل ببرهان وأخبرته أن الأثاث المنشود قد وصل بعد أن سألت عن أخباره وصحته فلما قالت ذلك ، قال بنغمة حزن : هذه الأيام حدث إشكال ، ربما يتأخر

فتح المكتب وشراء الأثاث بضعة أيام ، ولما سألت عن سبب ذلك .

قال لها : إن أحد الشركاء انسحب ، فبقي هو وشريك آخر وقال أيضا : إن تأخير هذا الأثاث كان خيرا لهم ، ولو اشتروه لأصبح من الصعب انسحاب الشريك الثالث لظرف طارئ يمر به.. فنحن كما تعلمين يا أخت منى بالكاد دفعنا الإيجار لنصف سنة وخلو رجل المأجور .

فأبدت أسفها لما حدث وعقبت قائلة : كما يقال كل تأخيرة فيها خيرة ..

ـ يظهر هذا .. أنا قد قمت بإجراءات ترخيص المكتب ، وعلى وشك الحصول على التصريح اللازم لمزاولة المهنة .. على كل نحن نبحث عن شريك ثالث ، فنحن نحاول إقناع زملائنا في البنك ، كان يسرنا أن تشرفيننا في حفل الافتتاح الذي كنا نحلم به.. أحيانا الأحلام لا تتحقق بسهولة ويسر يا أخت منى

ـ أكيد

ـ ولكني استفدت من هذا المحاولة أنني تعرفت عليك يا أخت منى .. رغم أنني لم أرك إلا مرتين ؛ ولكنها تركت في نفسي أثرا لا ينسى يا آنسة منى

ضحكت منى وقالت : أنا لم أفعل شيئا يا أخ برهان ولكنك شاب نبيل .. أنا مستعدة لأي خدمة ، ولو كان لديّ معرفة بالمحاسبة لربما شاركتكم في مشروعكم .. فعندما تستقر أموركم فأنا على استعداد لأي مساعدة تطلبونها مني وشكرا .

ـ انتظري يا أخت منى! أنا راغب بشكرك بطريقة عملية إذا تكرمت عليّ بالموافقة على عشاء بسيط في مكان جميل .

عشاء عمل

منى لقد كان لقاؤها بالسيد برهان بالنسبة لها أمرا طبيعيا ، فهي لم تفكر بعلاقة عاطفية .. كانت تراه صديقا وزميلا مثلما كانت تفعل أيام الجامعة وأيام عملها في شركة عبير ناصر ، فهي مهيأة لقبول أي صداقة بريئة ، ولم تنظر لبرهان على أنه يدور حولها أو يقوم بدور معين لتحبه وتهيم به .. فكلامهم كله حول العمل والصداقة .. فهي منذ التقت بزوجها السابق حازم وهي تعرف الذهاب للمطاعم والمسارح ، فمنذ أن أصبحا صديقين كما يقولان وهي ترافقه وتصحبه بزيارة لبعض مصانع والده ، وأهلها لم يحاولوا الاعتراض ، فكانت ترى هذا من طبيعة الانفتاح على الجنس الآخر ، ولا فرق بين رجل وشاب ما دام كل شخص ملتزما حدود الصداقة ، فهي لم تعتد لبس الثوب الشرعي بل تخرج سافرة متبرجة ، لم يكن التدين وتحكيم أمر الله نبراس الأسرة فهم كعامة الناس متساهلون في حدود الدين بل يمكننا

القول أن التدين أضحى أمرا شخصيا فقط ، كتبت هذا الكلام ليعرف القارئ أن قبول منى للعشاء مع برهان وغيره أمر اعتيادي.. فهي منذ دخلت الجامعة ودخلت سوق العمل وتقابل وتتحدث مع الرجال دون حرج وتمييز وحتى لما أحبها حازم نائب مدير الشركة تعاملت معه بعاطفة باردة ، وإنما كان حبها له مصلحة وأملا وهي لم تنكر ذلك ، ولما اقترنت به كانت تجلس مع أصحابه وزوجاتهم وتتقبل دعواتهم وسهراتهم ، فلم تكن تشعر بحرج وضيق وتردد .. فتجلس مع الرجال وتتحدث معهم براحة تامة ، بل تعلمت منهم الدخان والسكر واللهو والرقص ، فهي لما تلقت دعوة برهان وقبلتها كانت عندها من هذا الباب .. دعوة صديق وليس دعوة غرام وعشق ، فهي لم تكن حتى هذه اللحظات تدرك أنها تسير إلى قصة حب وزواج .. فلقاؤها بالرجال منذ سبع وثمان سنوات أمرا غير مثير لها.. فالاختلاط مباح وحتى الخلوة ليس لها اعتبار عندها.. فكما هو معروف للإنسان إذا اعتاد الجلوس والحديث مع الجنس الآخر ذهب الحاجز النفسي والخوف من هذه اللقاءات .

لذلك ذهبت للموعد المضروب بينهما بكل ثقة وطمأنينة ، وعلى إحدى موائد المطعم التقيا ، وجرت بينهما المجاملات التي تحدث بين الأصدقاء منذ زمن بعيد .. وبذل برهان قصارى جهده ليقدم لها أفضل مأكول ، وهي مستغربة لهذا الكرم والجهد في الحقيقة .. فهي لم تعمل له شيئا مهما سوى أنها حاولت مساعدته في شراء أثاث مكتب ، وعندما وصل الأثاث المعين تأجل أمر شرائه ، وتقبلت الأمر دون ريبة وشك ، حتى لم تفكر بالطريقة التي دخل عليها برهان ابتداء هل هي صدفة أم مرتبة ومقصودة ؟ .. ودار الحديث بينهما أيضا أثناء الأكل حول المكتب والمشروع ، فعاد يشكو لها انسحاب أحد الشركاء والشريك الآخر ازداد تردده بعد انسحاب الزميل الثالث فسمعته يقول : يبدو لي أنه يفكر بالانسحاب ولكنه مستحي مني للزمالة والصداقة ولبعض الأموال التي قمنا بدفعها .. فأنا بدأت أفكر بتأجيل المشروع وأن أتحمل جميع الخسائر وأصبر بضع سنين أخرى وأفتح مكتبا وحدي .. فالشركة تركة .. أليس هكذا يقول أصحاب الأمثال ؟ مع أن أكثر الشركات اليوم شركات مساهمة فيها آلاف الشركاء .

ضحكت منى لخاتمة كلامه وقالت : هذا مثل موديل قديم قبل أن يعرف الناس البنوك والشركات المساهمة الكبيرة .. ولكن شركتك ينطبق عليها مثلك القديم

فتبسم الشاب وقال : جائز .

فتابعت منى قائلة : الشركة اليوم مهمة ، فالمشاريع غدت ضخمة بل هناك شركات تتكون من مجموعة من الشركات .. الآلة كبرت المشاريع ؛ ولكن ضبط الإدارة والنظام والتعليمات يؤدي كل ذلك لحسن الإدارة والنجاح .. المهم الإدارة القوية.. وألا تكون تحت ضغط الشركاء فقد تنجح يا سيد برهان .. ولولا قلة ما أملك يا سيد برهان وجهلي بالمحاسبة لشاركتك ، فأنت إنسان محترم وقد ارتاحت نفسي إليك ، وأنا أحب الشباب الذي لديه طموح ، ولا يكتفي براتب آخر الشهر والراحة .. ولولا أنني لا أحب القروض البنكية لنصحتك بأخذ قرض من البنك ولكن القروض إذا لم يوفق الإنسان في البداية وسريعا تكون عليه نقمة وعبء شديد ؛ ربما تحرقه وتدمره .. هذه البنوك وأنت ابن البنوك تعلم أكثر مني أنها لا ترحم العميل إذا خسر أو فشل العمل .

تظاهر برهان بمعرفة خطر القروض البنكية وقال : أعرف ! .. كم بكى بعض العملاء عندما خسروا مشاريعهم وعقاراتهم وأحلامهم عند المدير .. فالقرض البنكي إذا لم يسدد حسب الاتفاق يزيد ويتضاعف ومن ثَم المحاكم .. فتحجر على عقار الشخص وأملاكه وماله .. فالقروض البنكية مصيبة.. وأنا شاكر لك جدا نصيحتك .. فأنا أقول أن أكبر فائدة استفدتها من محاولة فتح المكتب القانوني .. المكتب الحلم هي أنت التقائي بالأخت منى ، وتعرفي على إنسانة مثلك.. مع عدم معرفتنا السابقة لبعض أبديت أريحية لمساعدتي والتعاون معي دون سابق لقاء .. وأنا أيضا أعبر لك عن سعادتي لهذا اللقاء وقبول هذا الغداء المتأخر.. فأنا أحب حقيقة سد بعض معروفك .

ابتسمت منى وقالت : يا رجل ، أنا لم أفعل شيئا لأسمع الكثير من الشكر ، وأنت لم تشتر الأثاث ولكن كما قلت أحسن فائدة من وراء هذه المحاولة أن تعارفنا.. وأنا ليست لديّ عقدة للتعرف على الرجال والنساء .. فأنا اشتغلت في شركة غير التي تعرفنا من خلالها ، وكذلك فتحت مرة مشروعا كالذي تحلم به ؛ ولكنه خسر وتورطنا مع بعض الشركات والبنوك .

كان برهان كما نعلم يمثل ويكذب ، ولم يشرع في أي مشروع ، إنما اتخذ المشروع ذريعة لفتح حوار مع السيدة منى ربيع ، وقد نجح في ذلك وها هو يدعوها لغداء أو عشاء فسمه ما شئت أيها القارئ العزيز فتقبل ، فلما أشارت منى لمشروعها الفاشل تساءل صاحبنا برهان متصنعا الدهشة فقال: مشروع وفشل ! فإذا لم يكن لديك مانع فإني أحب أن أسمع .

سردت عليه قصة المصنع الذي أنشأته مع زوجها

السابق حازم ، ولما انتهت القصة ، قال برهان متصنعا الدهشة ثانية لأنه يعرف الجواب : أمتزوجة أنت ؟!

نظرت إليه وصمتت لحظات وقالت : كنت !.. فشل المشروع الذي بنيت عليه آمالا كبارا ، وفشل الزواج الذي أيضا بنيت عليه آمالا كبارا أيضا .. هؤلاء الأثرياء الكبار عندهم حقد وحسد مخيفان

ـ لك حكاية يا أخت منى ..وهل أفهم أنك تعيشين من غير زوج ؟

ـ لقد أجبره أهله يا سيدي على طلاقي ، أنا آسف لحديثي معك في أمور خاصة ؛ ولكن توقف مشروعك آثار أشجان عندي أيها الصديق .. فأحيانا العجلة وعدم التفكير المتأني في المشاريع الكبيرة والأحلام الكبيرة يفسدها ولا تحقق المرجو منها.. الصناعة تحتاج يا أخ برهان إلى معرفة شاملة بالمشروع .. وتحتاج لفهم جيد ومتقن للتسويق .. ربما أمور المكاتب المحاسبية تختلف عن الاستثمار الصناعي ، حتى لا تعتقد أنني أحاول إحباطك عن مشروعك أو حلمك كما تقول .

ـ أكيد فالمكاتب لا تحتاج إلى آلات كثيرة وكبيرة .. هي طاولة وخزانة وهاتف وقطع من الكراسي وآلة كاتبة وعلاقات عامة مع الأصدقاء وأصحاب الشركات وقليل من الدعاية والسمعة .. ورأس مال صغير .

نهضت منى بعدما وضعت علبة سجائرها وقداحتها في حقيبة اليد النسائية وهي تقول : شكرا يا أخ برهان على هذا الطعام والغداء بالنسبة لي ، وربما يكون عندك عشاء ـ وضحكت ضحكة قصيرة ـ والآن اسمح لي بالعودة للعمل والشركة

ـ تتأخرون في الدوام ؟

ـ للتاسعة ليلا في أيام الصيف هذه .

فنهض برهان وهو يقول : شكرا لك أيضا على قبول غداء العبد الضعيف برهان .. وأنا أرغب فعلا أن نصبح أصدقاء إذا لم يكن لديك مانع .

ضحكت وقالت : ها نحن قد صرنا أصدقاء .

ـ قصدي أن يتكرر اللقاء.. فربما استفدت من أفكارك وخبرتك ، وربما تشاركنا معا في مشروع

ـ أنت تعرف عنواني ، وعندما تحتاج لمشورتي وخبرتي كما تتدعي فاتصل بي إن شئت .

ـ أنا ممنون لك يا سيدتي !

ـ إلى اللقاء ..

ـ أهلا بك وشكرا مرة أخرى على قبول الدعوة .

انصرفت منى إلى عملها وهي تعتقد أنها اكتسبت صديقا جديدا أضافته إلى قائمة المعارف والأصدقاء ، وعاد برهان لبيته مفكرا بما حصل من تطورات ، وهو يقول محدثا نفسه: إنها تحب

الحديث عن المشاريع والعمل أكثر من الزواج والعواطف ألا تفكر بي عاطفيا؟! .. لم ألحظ شيئا في هذا الاتجاه ، هي أقرت أنها مستعدة لعمل أي صداقة مع أي شخص يروق لها وليس مع برهان وحده .. فهل أنا مجرد رجل في حياتها ؟! ألم أترك في نفسها أي أثر عاطفي ؟! أعندها برود عاطفي شديد ؟! .. لم تتحدث عن حب وزواج وكيف تزوجت حازما ؟ المشاريع إنها تفكر بالمغامرة معي بالمشروع ؛ ولكنها مترددة بحسم الأمر .. هل أصارحها بأمر المشروع ؟ وأن المكتب ليس مشروعي الآن ، وإن راودني حلم أن أفعله ذات يوم ، وأقول لها إنك أنت مشروعي الحقيقي ؟ هل تتقبلني وتغفر لي هذه الوسيلة للوصول لقلبها ؟!

بعد هذا اللقاء على الغداء اتخذ برهان فرصة للمراجعة والانتظار عدة أيام لحسم الأمر معها ، لقد قرر الزواج منها إذا قبلت به زوجا .

هل ترك هذا اللقاء وهذه الدعوة وما قبلها من مقابلات في المحل واتصالات أثرا في نفس منى؟ هل خطر على بالها الحب والزواج من برهان ؟ هي تحدثت عن زواجها الفاشل ولو باختصار ، ولم تبدِ نقمة وحقدا إلا على والديّ زوجها ، وهي تحملهم فشل الزواج وفشل المصنع .. أراد الانتظار بضعة أيام لينظر ويرى هل ترك هذا اللقاء الطويل أثره على السيدة منى ربيع؟ هل تتصل به منى وتسأل عنه وعن أخباره أم أنها نسيته وتجاهلته بعد خروجها من باب المطعم؟!

مضت عشرة أيام ولم يحصل ويحدث أي اتصال بينهما ، هو لم يتصل بالشركة ، ومنى لم تتصل به في البيت ؛ لأنها تعرف رقم هاتف البيت ، ولم تتصل به في البنك ، فعقب برهان على هذا بعد هذا الصبر فقال لنفسه : أنا مجرد رجل عابر سبيل كأي رجل التقته في سنواتها الماضيات.. لم أترك لديها فكرا .. هل تعرف شيئا عن علاقتي بسعد الدين زوج أختها وتمثل دور الجاهل والماكر معا ؟ هل أتصل أنا ؟ يبدو أن الطبخة لم تستوِ ولم تنضج الثمرة .. المشكلة أنني أريدها هي أن تحدثني عن الحب والهوى كما كانت تفعل بي الفتيات من قبل .. ولكني المرة هذه أنا الذي يريد إيقاعها في حبي .. دنيا ماكرة ..الصبر جميل .. هذا زواج أيها الإنسان وليس قصة غرام أو مسلسل في تلفزيون .

وانقضت أيام أخرى ولم يأت الاتصال المنشود والذي يتوقعه برهان ، وقد يكون حلم به أيضا في منامه ويقظته .. أليس هو فارس الصبايا والوسامة والمصباح الذي تحوم حوله الفراشات لتحترق؟! .. إذن منى فكرت به كصديق فحسب ، فقرر أن يتصل بها ؛ ولكن قبل أن يتخذ القرار الجازم توعكت صحة أمه ، ودخلت المستشفى، فأجل المغامرة النهائية .. قضت الأم أكثر من عشرة أيام

في المستشفى .. ومع مرور هذه الأيام العشرة لم يحدث اتصال من منى ببرهان ؛ ولكن ذكرت له إحدى أخواته مرة أن امرأة اتصلت تسأل عنه مساء ولم تذكر اسمها ووعدت بالاتصال ثانية .. فوقع في نفسه أنها منى ربيع فظل على أمل الاتصال .. وقد شعر فارسنا شعورا غريبا وهو أن وسامته وجماله اللذين كانا محل افتخار وغرور منه لم يؤديا ما يطمع منهما .. فمنى غير كل البنات اللواتي صاحبهنّ والتقى بهنّ ..فهما لم يؤثرا بتلك المرأة مع أنها مطلقة فها هو شهر يكاد أن ينصرم ولم تسأل عنه.. ولم تفكر بالاتصال به .. ربما فكرت ولكنها مستحية وهو يقاوم .. وفي قرارة نفسه كان سعيدا بفعلها هذا ، وأن منى ليست ساذجة وسهلة الاصطياد ، ورغم ما تمارسه من انحلال فلديها جدية .. وبعد أن هدأت عاصفة مرض والدته وخرجت من المستشفى سالمة وانشغالهم بها كل هذه الأيام.. التقى بسعد الدين الذي عتب عليه لعدم إخباره بوجع أمه ، فاعتذر له برهان بالنسيان والانشغال ، وظن أن بعض أخواته لابد أنها تحدثت مع والدته لمَ بينهم من الصداقة والجيرة وإن تباعدت المساكن منذ سنوات .

وساق برهان الحديث عن منى وأخبارها ، وهل تزوجت ثانية ؟ فأعلمه سعد أنه منذ رحل أهلها من حي الرحمات ، وعادوا لبيت خليل في حي برقوقة لم يرها ولو مرة واحدة .. لأنها رافضة الحياة معهم وترك ما هي فيه من سكر وسهر وسينما .. فلم يعد يصادفها كما كان يحدث معه في حي رحمات .. لأنه كلما كان يذهب بزوجته لزيارة أمها وأخيها ، تحضر منى للسلام والجلوس مع أختها فيلتقيان .. فأخبارها كما هي ؛ ولكنها مازالت عازمة ومصرة على الحياة بعيدا عن أهلها أو حي برقوقة بالذات لماذا؟ لا أحد يعلم سبب حقدها على برقوقة .

ثم أخذ يحدثه عن الحداد خليل وطيبته وبساطته وسماحته ، وكيف ربى أولاد أم ربيع ، ودرسهم حتى كبروا وصاروا يعتمدون على أنفسهم؟ وما زال لا ينتظر منهم جزاء ولا شكورا.. وحدثه عن حي برقوقة وحب الناس فيه لبعضهم وتعاطفهم مع بعض بشكل ملفت للنظر، وحدثه عن مالك شقيق منى وحنين زوجته وانشغاله بشراء بيت لإنشاء عمارة كبيرة عليه.. ولما انصرف سعد بوالدته التي كانت تقوم بزيارة أم برهان التي تعافت من سقمها ، قال برهان لنفسه : لا جديد في حياة منى ، لا أخبار عنها .. حسنا يا ابنة الكرام ! سأستمر في هذه اللعبة

لم يأتِ الاتصال من الفتاة التي حدثته عنها أخته ، فذهب ظنه أنها فتاة أخرى لم تكن منى .. فاستعد للقاء آخر مع منى ربيع الفتاة المتمردة على تقاليد

العائلة ، وتحاول أن تستفيد من الحرية التي شاعت بين نساء القرن العشرين بأكبر مساحة وطاقة .. ثلاثة لقاءات وعدة اتصالات لم تحدث شيئا .. اتصل كعادته من البنك ، وجرت المجاملات والاعتذارات اللازمة ودار الحديث من جديد حول المشروع التجاري الذي يرغب السيد برهان بإنشائه ، وادعى أنه وجد شريكا ثالثا وهم يستعدون لفتح المكتب من جديد وربما يشترون الأثاث المزعوم قريبا ، وأنه اتصل بها ليعلم إذا ما زالت راغبة بمساعدتهم على الحصول على ذلك الأثاث السابق الذكر ، وفي نهاية الحديث دعاها لغداء آخر، فحاولت الاعتذار ابتداء ولكنه أصر وأنه سيتحدث معها في موضوع مهم.. فرحبت بذلك .. ولما طال الحديث تعرضت لعتاب جديد من صاحب الشركة وغادرت الشركة غاضبة وهددت بتقديم استقالتها ..

وكان أبو محمد شفيق قال لها : أنت عصبية أكثر من اللازم اليوم يا منى .. هذا شغل .. لو كل مكالمة منا أو مستقبلة تأخذ هذا الوقت لتعطل الشغل .. وإذا أنت غير مرتاحة للعمل معنا قدمي استقالتك وبدون تهديد ، واذهبي لحسام وخذي حسابك.. نحن نقدر ونحترم قدرتك على العمل ومتابعة المراسلات أرجو أن يكون كلامي واضحا لك .

ولما انصرفت غاضبة مكثت يومين غائبة عن العمل ، ولما رجعت سألها المدير عن سبب تغيبها، فزعمت أنها كانت مريضة ، واعتذرت له عن سبب عصبيتها قبل يومين وعن تصرفها ذلك .. فقبل الرجل عذرها وطلب منها العودة لمكتبها، كانت منى تحلم بالاستقلال عن العمل كمخدومة ، وأن يكون لها مشروعها الخاص ، وأن تكون هي صاحبة المصنع أو الشركة ؛ ولكن المال الذي تملكه لا يكفي لمغامرة جديدة ، حتى ولو باعت سيارتها الصغيرة ، وما حصلت عليه من مؤخر صداقها بعد طلاقها لا يكفي في نظرها للمخاطرة من جديد ، فإنها ما زالت مدينة لربيع ، فهو لليوم لم يطالبها لا هي ولا زوجها بدرهم واحد .. لذلك لما التقت بالسيد برهان نفست له بمشاكلها في الشركة ، وتعاطف معها برهان وحثها على الصبر وعدم الاستقالة ، وكانت هذه أول مرة تحدثه عن مشاكلها الخاصة شاكية له همها ، فسر من ذلك واعتبر أنها بدأت تثق به ، وتطمئن إليه أكثر، واعتبر ذلك تقدما.. ولما انتهت من عرض مشكلتها مع المدير الذي يضيق عليها عند استعمال الهاتف بحجة ضيق وقت العمل .. ثم تحدث برهان من جديد عن المشروع الخاص ووجود الشريك الثالث ، وأنهم قريبا سيفتحون المكتب المحاسبي ، وأنهم إذا نجحوا في مشروعهم ربما

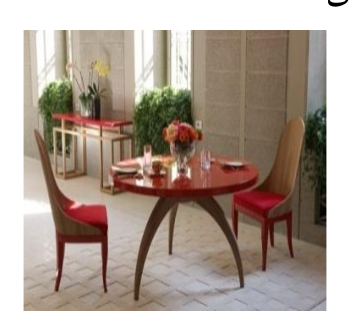
يستعينون بها في إدارة المكتب والقيام بأعمال السكرتاريا إذا لم تمانع في ذلك .

فقالت ضاحكة من فكرة برهان التعاطفية مع مشكلتها الخاصة : عندما يحين الوقت سوف أفكر ، أنا قرفت من شفيق ومعاملته ، هو يفكر بأنني بنت صغيرة .. فعندما يقف مشروعكم الحلم على قدميه ويشب قائما سأفكر بالعمل معكم وربما أساهم معكم بمبلغ معين إن نجح مشروعكم

ـ على الرحب والسعة يا أخت منى .. أنا سعيد باللقاء بك ثانية يا أخت منى .. لقد انشغلنا بمرض أمي ، فقد مرضت ومكثت أياما في المشفى ، وكل أولادها متزوجون إلا أنا.. الصغير متزوج والكبير متزوج وهي تريد تزويجي قبل موتها ومغادرتها الدنيا.. وحدثها عن الأسرة ثم قال في نهاية الحديث عن الأسرة والزواج : أليس حولك فتاة تقبل بي زوجا ؟ .. فأنا لا أريد فتاة من العائلة .

غرقت منى بالضحك قالت : هذه المهمة الوحيدة التي لم اشتغل بها يوما يا برهان .. على كل حال أذكر لي مواصفات الفتاة التي تحلم بها زوجة لك ، رغم اختلاطي بالفتيات والعوانس لم يخطر ببالي أن يطلب مني أحدهم شيئا مثل هذا..

ـ فليكن أنا أول طالب .. فتاة جميلة ، فتاة عاملة ، أنا صحيح لست بحاجة لدخلها ؛ ولكن الحياة كما تعلمين اليوم مشاركة ومصروف وتحمل مسؤوليات وإيجار بيت وغير ذلك مما تعرفينه ، وأنت خبرت الحياة الزوجية كما ذكرت لي المرة السابقة .. قبل شهر .. هذا هو الموضوع المهم يا أخت منى !



اعتراف منى

لما عادت السيدة منى لبيتها بعد لقائها الأخير ببرهان همست لنفسها كأنها أول مرة تفكر بالزواج ثانية: هل يخطبني من نفسي هذا الشاب؟! وأنا لم أفكر بذلك منذ التقينا.. ولكني ذكرت أمامه أنني متزوجة ، وبعدها لم يعد يخاطبني بآنسة التي تشير وتدل على العزوبية في عرف الناس .. ثم أخذت تتذكر وتعيد صور التقائها ببرهان منذ البداية .. أفعال بريئة! وقد التقى بي في مكان العمل.. وتعرفنا من أجل شراء الأثاث ، وعرفني على مكان عمله .. وعلى هاتف أهله ..هل يقصدني أنا بالزواج؟ .. إنه يعرف أنني امرأة تزوجت وطلقت ؛ ولكني ذكرت له أيضا أن سبب فشل زواجي أهل الزوج وليس مني .. برهان الذي لم يسبق له الزواج يتزوج مني أنا ! .. ما موقف أهله بالزواج من مطلقة ؟! هل

يرضونني لابنهم زوجة ؟ لماذا يريدني أنا زوجة ؟ هل خلت الدنيا من النساء؟ أوه! هل عنده مشكلة معينة أو عيب ما ؟ الأسئلة كثيرة يا منى .. هو أخبرني أنه لم يتزوج من قبل ولا حتى خطب فترك .. هل أكرر تجربة الزواج ثانية ؟ حازم أين أنت يا حازم؟! لقد تزوج بعدما تخلص من المخدرات .. وولد له كما علمت ؟ لقد نسيني تماما وقد نسيته ، ليس هناك أمل ولو ضئيل بأن يعود إليّ حتى لو قبر والديه .. فهو قد تزوج ابنة خالته .. عندما يموت أبوه ربما ذكرني .. أمه ستمنعه .. عندما تموت أمه سيذكرني ويتذكر أنني ضحيت بكل شيء من أجله .. تزوجته رغم أنف أهلي .. ورغم رفض والديه للزواج .. قدمت له كل ثروتي وثروة أخي ربيع .. عبير تكرهني ووقفت ضد زواجنا .. ستمنعه أيضا .. فلمَ لا أنساه كما نسيني؟! ولم يكترث بي ، لم يتصل بي ليعتذر عمّا سببه لي من دمار وجرح .. منذ افترقنا لم يحصل بيننا أي لقاء .. بإمكانه أن يتصل ويعتذر ويأسف ويشكو ضعفه .. لابد أنه يحملني سبب شقائه .. انتهى هذا المخلوق من حياتي ، قالت ذلك وهي تضغط على أسنانها غلا وقهرا سأذكر لبرهان أنني امرأة مطلقة مرة أخرى حتى يقطع أمله من التفكير بالزواج مني .. هو يعرف ذلك .. ولسوف أوكده له .

تنهدت بعمق وعادت تردد : الزواج والحب .. أيحبني برهان وأنا لا أحس؟ .. لم نقف قليلا عند الحب .. رجل دخل المتجر لشراء أثاث .. جاهل بالسوق فالتجأ إليّ .. فعظم عنده تعاطفي معه وعدم طرده من مكتبي أو أنني اعتذرت وقلت له ليس هذا من اختصاصي اذهب إلى ... تنهدت مرة أخرى وقالت: هو والله رجل حسن الهيئة ، بل جميل جدا .. لماذا لم يتزوج بعد وهو بهذا الحسن والبهاء ؟! الناس أمرها غريب .. وهو موفق بالعمل وله أخ طبيب وأخ مهندس لقد تحدث معي عن الأسرة .. أكيد أنه يتحدث عن الزواج مني .. لست حمقاء ليطلب مني أنا أن أبحث له عن زوجة .. ماذا الذي أعجبه فيّ ؟ انفتاحي على الجنس الآخر .. جمالي .. لست بالفاتنة بل هو أجمل مني إذا كان الجمال بالبياض .. أخلاقي .. أي أخلاق؟! وهم يرون جلوسنا مع الرجال حرام وعيب .. لعله ليس منهم .. لم يعلق يوما على شربي للدخان أو على لبسي البنطلون وقص شعري .. هما لقاءان في المطعم كيف سيسمح لنفسه بمثل هكذا نقد؟! .. أمر هذا الزواج غريب .. ربما فعلا يقصد امرأة غيري .. ولكن ما أدراه أني أعمل خاطبة.. فهذا لم يحدث بيننا ليقع في ظنه شيئا من ذلك .. عيناه كانت تخاطبني أنا .. كانت تتكلم ؛ ولكنه أراد أن يترك

فرصة للتفكير بما أشار إليه .. شاب ذكي ولطيف .. منى ساعد تتزوج من جديد !.. إنني أشرب الخمر .. هل هو سكير مثل صاحبي القديم ؟ آه! هذا ما جنيته من صحبة حازم وأصحابه الخمر .. قارورة الخمر في ثلاجة البيت باستمرار .. آه !.. حنين عندها ولد ، وبعد حين سيأتي الثاني ، وأنا البكر والكبيرة في عائلة ساعد ولم اخلف بعد لم أحب الأمومة التي يتحدثون عنها .. لا ، لأنك لم تجربيها.. الأمومة فطرة يا منى .. لا تكابري في هذه .. الدابة تحب الأمومة .. إنني أحب الأفلام والسهرات والاختلاط ولعب الورق ، ولا أتحرج من اللعب والجلوس مع الرجال.. هل يقبلني الرجل بهذه الصفات ؟!

أخذت تتذكر أحداثا جرت بينها وبين برهان ، وأعادت التفكير مرات ومرات .. وهمست لنفسها : كان رزينا معي مؤدبا، وكما كنت أنا كذلك ، لم يكن بيننا تهتك ليطمع بي ..

قررت الاتصال به ودعوته لعشاء ليلي ومصارحته بأمرها مفصلا.. وقبل برهان الدعوة بسرور ورضا ، وتعجب أن تكون قد وجدت له عروسا بهذه السرعة .. فلما التقيا وأنهيا الطعام ورفعت الأواني ، وأحضر لهم العامل أو النادل الشاي ، سألته منى عن مشروع المكتب فلما حدثها عن ذلك الحلم بضع جمل قال باسما: لا أعتقد أنك دعوتني وخسرت هذا المبلغ لتسأليني عن المكتب الحلم هو حلم .. يبدو أنه يريد أن يتعثر من جديد .. الناس تخاف ولا تحب الإقدام والمخاطرة .. أنا توقعت أن تحدثيني عن الطلب الذي طلبته منك في آخر مرة التقينا وحتى أنني ظننت أنك أتيت بالعروس معك .

تأملته لحظات وقالت باسمة : العروس ستأتي قريبا إن شاء الله ، وربما خلال هذه الجلسة .. وأنا أحببت أن أكرمك كما تحب إكرامي ، وليس دفع الأموال من أجل الأصدقاء خسارة يا سيد برهان .. فأنا كما تعلم متزوجة .

ـ ذكرت ذلك وأنك قد طلقت بسبب والديه .

ـ لقد ذكرت لك فشلي في الزواج وفي المشاريع .. فأنا أحمل لقب مطلقة يا أخ برهان إذا كنت تفكر بالزواج مني.. أنا لما عدت للبيت فكرت بطلبك الغريب والمفاجئ أن تطلب مني أنا أن أبحث لك عن عروس .. فماذا كنت تقصد بطلبك؟! ألم تقصدني أنا ؟!

كان برهان يتابعها بعينيه بانبهار، ولما سألته سكت لحظات ثم قال : أنت صريحة جدا وشجاعة

ـ الصراحة راحة .. أنا فكرت بكلامك اللطيف ، وحديثك عن أمك ورغبتها بتزويجك وأسرتك أيضا ، ثم طلبك الأخير مني ، فلما تأملته وقع في

نفسي أنك تخطبني بطريقة ذكية وغير مباشرة ، وقلت لنفسي ربما أنك خلال الشهر الذي لم نلتقِ فيه قد نسيت أنني متزوجة وفاشلة في الزواج .. فكان لابد من هذا اللقاء لأذكرك .

ـ ذكرت أنك فشلت في زواجك ولم انسَ ، وذكرت أن أهل زوجك رفضوك، وأن هؤلاء الأثرياء لا يحبون الفقراء الذين يحلمون بالصعود لفوق .. اسمعي يا أخت منى.. إن طلاقك لا يعيبك بشيء .. ولا يجب أن ينظر للطلاق دائما أنه شر.. ولكن تعقد المجتمعات المعاصرة لكثرة مشاكل الحياة اليومية والاستهلاك وأمور أخرى عقدت قضية الطلاق في حياة الناس ، مع أن الطلاق كما هو معروف للجميع حل لمشكلة تعقدت بين الزوجين .. المهم أنا لا أرى أن هذا عيب فيك .. وأنا معجب بك منذ أول مرة رأيتك فيها.. لا تقولي حب من أول نظرة أنا شاب مثقف ومتعلم ولست مراهقا.. والأحداث تطورت وأعلم أنك من غير زوج .. ولي رغبة حقيقية بالاقتران بك إذا وافقت ؛ ولكنني خجلت أن أصارحك بذلك في المرة الماضية.. خشيت أن تظني أن ذلك شفقة وعطف عندما حدثتيني بمرارة عن صاحب المعرض وأنك فكرت بالاستقالة .. خشيت أن تفهميني أنني أخطبك عاطفيا ومتأثرا بما رويت وليس بعقلي وفكري وإنما طلبي ردة فعل لضيقك .. وبما أنك تحبين الصراحة فأنا أطلبك من نفسك قبل أن أقابل والديك أو أهلك .

التزمت الصمت وهي تسمع هذه الكلمات والتبريرات وبعد لحظات من سماعها طلب برهان قالت متسألة: أأنا أتزوج مرة أخرى؟ لا أدري ماذا أقول لك أيها الإنسان ؟ أأنت حر مثلي ؟

قال دهشا: حر؟!

ـ نعم

ـ وهل أنا رقيق؟!

ـ لا أقصد الرق القديم .. أنا فتاة أدعي أنني متحررة يا برهان .. وجلوسي معك أكثر من مرة وقبولي دعوتك للغداء أكثر من مرة يؤكد لك هذه الحرية .. وقد لا تعلم يا برهان أنني أشرب الخمر .. لم تفاجأ بالخبر؟!

هزّ رأسه ضاحكا ، ولم ينبس بكلمة فتابعت شرح حريتها : وأحضر آخر الأفلام .. وألبس ما أشاء من الثياب الطويلة والقصيرة .. وأقص شعري حسب الموضة .. وأضع على وجهي كل المساحيق والبودرة والمكياج كما ترى عليّ الآن

ضحك ولم يعقب فتابعت قائلة : والدخان ، إنك تعلم أنني أدخن وأكثر من مرة أشعلت لي السيجارة ، وأنت تدخن سيجارة وأنا أدخن عشرة مقابلها.. وسأقص عليك شيئا من أمري أنا

أكبر أفراد الأسرة .. عائلتي .. مات أبي وأنا صغيرة قبل سني المراهقة ، وولدت ونشأت في حي قديم من أقدم أحياء العاصمة ، ونشأ الحي فوضويا واسمه حي برقوقة، ربما على اسم شخص أو عائلة سكنت فيه ، كان المهاجرون من المدن والقرى الأخرى يسكنون فيه لرخصه وعدم تبعيته لبلدية حتى كبر.. وهو من أشهر أحياء المدينة التي تكبر كل يوم .. أنشئ من غير نظام ثم تطور وتحدث بعد ذلك .. تزوجت أمي رجلا حدادا من الحي بعد وفاة أبي بسنين ، وقام هذا الرجل فينا مقام الوالد.. مشكلة حي برقوقة في نظري أنه لا أسرار فيه ، فالناس يعرفون عن بعض كل شيء.. لا أسرار داخل البيوت وخارجها .. المهم أن هذا الحداد بعد أن وافقت أمي على الزواج منه بعدما طلبها من إخوتها الذين يعيش بعضهم في حي برقوقة ، كان قد تعهد لها بتعليمنا إذا كبرنا ونجحنا في الثانوية العامة حتى نتخرج من الجامعات .

اقترب منهم جرسون فقال برهان مقاطعا : أتشربين شيئا آخر؟

ـ لا ، شكرا ، دعني أعرفك بنفسي أكثر ؛ لأن هذا الكلام سيكون له ما بعده يا أخ برهان .

طلب لنفسه قهوة ولما ابتعد العامل قال : تابعي ، إنني مصغ إليك .

ونحن نعلم أن الذي ستقوله منى يعرفه برهان أو يعرف أكثره من سعد الدين صديقه ، بعد هدوء يسير قالت منى : تزوجت أمي الحداد خليلا، وأخذ سكان الحي يسموننا بـ أيتام الحداد خليل، وانتقلنا معها إلى بيت خليل أحمد عامل حدادة قديمة.. وكان الرجل عند كلمته فقام برعايتنا أحسن رعاية ، وكان يعتبرنا أولاده لأن المسكين قد حرم من الخلفة والذرية .. فكنا كأبنائه حقيقة .. المهم نجحت ودخلت الجامعة رغم معارضته بداية للأفكار السيئة التي يحملها عن الجامعات وتعليم البنات والأشياء التي تسمع بها ونعرفها نحن أليس كذلك ؟

ـ بلى ؛ ولكن لابد من الدراسة .

ـ ولكنه أمام ضغط أمي والعهد القديم وأنا أول الوفاء بالعهد تكفل بالصرف والنفقة على تعليمي حتى تخرجت من الجامعة .. وبعدي بسنة دخل أخي الأصغر مني الجامعة .. فالحق أن الرجل بذل وسعه وجاهد معنا ، وخلال شهور يسيرة كنت موظفة في شركة وتحملت عبء المساعدة في تدريس أخي حتى يتخرج من كلية الهندسة ، وظل الرجل يشارك في تعليم أخي ، ويصرف هذا الحداد الفاضل على البيت ويتحمل تكاليف الحياة دون شكوى وأنين .. ولما عملت في إحدى الشركات الكبيرة التقيت بابن صاحب الشركة ،

وصار بيننا انسجام خلال شهور .. وأنا كنت فعلا متحررة ، ولا تهمني التقاليد والعادات ولا حتى الاعتبارات ، وقد عشت قصة حب معه حتى تخرج أخي من كلية الهندسة.. وفعلا أصبح أخي ربيع مهندسا وخف العبء أكثر عن خليل وعني .. وكنت خلال هذه السنوات أرفض أي زواج بحجة تعليم أخي والعائلة.. والصحيح أني كنت مرتبطة بمن أصبح زوجي السيد حازم .. هذا الرجل كان فعلا يريدني زوجة صالحة ؛ ولكن أسرته ترفض فكرة الزواج من فتاة معدمة مثلي لا ثروة ولا رصيد لديها .. مع أنني أحمل شهادة مهمة آداب إنجليزي ، وجهدي كان واضحا في الشركة ؛ ولكن مديرة الشركة التي كنت أعمل بها وهي أخت الشاب الذي يرغب بي زوجة كانت من رأي والديها في رفضي دخول عالمهم الغني . وبعد ثلاث سنوات لا أذكر بالضبط وافقت على الزواج والارتباط الجسدي بحازم يا أخ برهان .. كان يريد الزواج مني دون موافقة أهله ، فهم مصرون على رفضي رغم أنهم لا يعرفونني بشكل جيد ربما رأوني أثناء سنوات العمل .. وأمام هذا الموقف الشجاع منه في نظري وافقت أنا على الزفاف منه دون رضا أهله كلهم، ودون اعتبار لتحذيرات أخته مديرتنا أنا وإياه .. قابل الشاب أهلي، ورفض زوج أمي الزواج بهذه الصورة ، وأصر على حضور والديه لخطبتي كما يخطب البشر.. ولكن أمي وأخي المهندس خوفا من زواجي دون أمرهم ورضاهم وافقوا ، فاضطر خليل الحداد أن يطلق أمي ، ورحلنا لحي الرحمات أحسن أحياء المدينة تلك الأيام ، فطلقت أمي من أجل زواجي أنا يا برهان .. وتم زواجي رغم أنف خليل وأنف والديّ زوجي وأخته .. ولكنهما أصرا العناد والتحدي ودفعوا حازما للابتعاد عن شركات والده .. فلحبه الكبير لي ، وربما للتضحية التي قدمتها له من أجل الزواج دون موافقة أهله وتطليق أمي من خليل بعد عشرة تلك السنوات ، وما بذله الرجل من أجلنا أصر على بقائي على ذمته .. وجمعنا ما نملك من مال ، واقترضتنا من بعض البنوك التي لحازم علاقة ومعرفة بها ، وفتحنا مصنعا ولكنه لم يكمل السنة فقد خسر وانكسر وفشل المشروع وكثر الدائنون.. فدفعنا ما فوقنا وتحتنا لبقاء عش الزوجية ، وكان قد طلب مني من أول الزواج عدم الإنجاب المبكر .. فهؤلاء الأكابر لا يحبون الولادة مبكرا كما نحب نحن البسطاء .. المهم يا برهان أمام ذلك الواقع المؤلم راسل ابن عم له في أمريكا ليسافر إلى هناك ؛ فهو لم يحسن تدبير نفسه، فقد كان هنا يعتمد على سمعة أبيه وأعمامه وأخواله الكبار ولكنّ أباه دمره وحطمه ، وهو كان وراء فشل مشروعنا بمكره

وخبثه.. وأنت تعلم أن بضاعة لا تسوق ولا تجد لها زبائن ستفسد إن كان مواد غذائية المهم أيها الأخ برهان سافر صاحبي البطل في نظري إلى أمريكا بعدما غرقنا في الديون ؛ ولكنه اشتغل هناك كما علمت بالمخدرات والهيروين .. فمرض بسرعة ولم يتحمل جسده المخدرات واستسلم لأمر والديه وضعف لطلب والديه وطلقني من هناك ، ودفع لي أحد محامي والده مؤخر صداقي وزادني خمسة الآلاف دينار أخرى لتسهيل إجراءات الطلاق .. وعاد الزوج من هناك دون أن أعلم ، وعالجوه هنا ، وفور تعافيه زوجوه ليقطعوا الأمل لديه بالعودة إليّ ، ولم يحاول الاتصال بي ولو للاعتذار؛ ولكني علمت من أخته عبير وبعض أصدقائنا أنه تزوج فتاة من العائلة ، وأنجب منها ، وهو اليوم مجرد موظف في إحدى شركات أبيه وأمه .. عايش على الهامش يأكل ويشرب ويسكر .. لا رأي ولا مال .. فهو دمر وحطم وذهبت أنا في الرجلين

ولما سكتت وطال الصمت هنيهة قال : يا لها من أيام عصيبة عليك يا أخت منى !

ـ لم تنتهِ القصة يا برهان .. المهم أنني تعلقت بعادات سيئة في نظر أهلي إخوتي وأمي .. الدخان والخمر واللباس العري .. والأنانية فلما طلقت وعدت للحياة معهم بعد إخلائي الشقة التي عشنا فيها .. حاولوا إعادة تأهيلي كما يقول مالك أخي ، ولما أرادوا منعي مما تعودت عليه خلال حياتي مع الزوج حازم صارت مشاكل عائلية اضطررت بعدها للحياة في شقة وحدي ؛ ولكنها قريبة من شقتهم في رحمات .. ثم سافر أخي المهندس للخليج للعمل هناك وتزوج من ابنة خالي وتزوجت أختي الصغيرة رابع العائلة .. ثم أعادوا أمي لزوجها الحداد ورحلوا لحي برقوقة ، وأنا رفضت العودة لبرقوقة لما كان من أثره السيئ على مسيرة زواجي ، فتعقدت منه وزاد بغضي له .. فأنا اليوم فتاة مطلقة تسكن في شقة وحدها ولديها عادات سيئة كثيرة ويصعب فراقها.. والآن بعدما أسمعتك سيرة حياتي الخاصة .. ادع لك التفكير فيها ؛ فإن رأيتني بعد ذلك المرأة المناسبة لك وللحياة مع أسرتك سأفكر أنا للاقتران بك.. أنا صريحة معك للغاية يا أخ برهان.. واعلم لليوم أنني لم أفكر بك عاطفيا .. فيبدو أن ما يسميه الناس اليوم الحب قد مات في قلبي ربما يتغير ذلك فيما بعد أو كما يقولون حب بعد الزواج .. وأنت إذا أحببت أن تحدثني عن نفسك أكثر فأنا مستعدة للسماع والجلوس معك لآخر الليل .. وأما إذا أحببت أن لا تتكلم بشيء حتى تفكر بما سمعت مني عن نفسي فلك ذلك أيها الصديق .

ـ فعلا أنت صريحة وشجاعة يا منى والصراحة

راحة .. نحن نكره النفاق وأنا لا أحبه سأفكر بكل كلمة نطقت بها ، ولي عندك طلب صغير ..
ضحكت منى وقالت : الخمر ؟!
ـ نعم الخمر .. أنا لا أبخس ذكاءك أيضا .. أنا قد أغفر كل شيء لزوجتي إلا الخمر .. أنا لم أشرب الخمر وعمري كله ما شربتها ولا فكرت فيها ولو على سبيل المزح ومجاراة الأصحاب.. فهل تعدينني بالتفكير في هذا الأمر؟ ويمكنك التخلص من الخمر.. وباقي الأمور هينة وقد أقبلها وندعها للأيام ، وأعدك أن لا أجبرك على ترك أي شيء تحبينه من هذه العادات .. دخان سينما سهرات رقص .. الخمر يا منى حتى احسم أمري الذي كان محسوما بالزواج منك .
ـ أنت فعلا لطيف يا صديقي العزيز .. لا تتخيل أيها الإنسان إنني مدمنة خمر .. إنما هي أمر عادي في حياتي بعد زواجي من حازم .. ولتعلم أنني لم أتعلم شرب الخمر أثناء العمل معه في الشركة لم أكن أشربها البتة ، لا هي ولا حتى الدخان .. إنما حصل ذلك بعد الزواج ، لقد كانت رائحته كريهة جدا فجاريته حتى لا أتأفف منه ومن رائحته النتنة فتعاطيت الخمر والدخان.. ولما حصلت المشكلة وتبعها الطلاق عن بعد زاد تعلقي بهما أكثر ظانا كما يظن الكثير أنهما يزيلان الهموم والغموم ، وما ذلك إلا ضحك على اللحى كما يقولون .. إنما هما شهوة كباقي الشهوات السيئة .. على كل عندما أسمع رأيك الحاسم فيّ ربما أعدك بترك الخمر .. أما الحب إذا كنت تنشده عندي فهو لليوم غير موجود .. إنني أبغض الرجال رغم ما تراه من صداقة بيني وبينك.. ربما لوالد حازم وما فعله بي عندما دخلت عليه مكتبه بعد مطاردة شاقة ، وقد ترجيته أن يصفح عن ابنه وكلي دموع واستجداء ، فما كان منه إلا أن طردني وحطمني ودمرني .. إنه يوم شؤم ..
رق برهان لما تعرضت له من الإهانة والطرد فقال : يبدو أن هذا موقف عنيف لا ينسى .
ـ من يومها كرهت جنس الرجال مع أنني موقنة أنهم ليسوا سواء .. الذل والهوان دمار للإنسان يا سيد برهان .. أنا ليست لديّ عقدة قديمة نحوهم ، وإن بدا لك ولغيرك أنني أحب تقليدهم في قص الشعر ولبس البنطال وغير ذلك .. على كل سيكون لنا كلام إذا حدث توافق بيننا ؛ ولكن قبل الانصراف ليفكر كل منا بالآخر لماذا أنت لليوم غير متزوج ؟! رغم أنك قريب من الثلاثين يا سيدي .
ـ فعلا قريب من الثلاثين .. بالضبط ثمانية وعشرون إلا أشهرا .. وأنا التقيت بمئات الفتيات سواء في الجامعة أو البنك أو في الحياة كلها .. لليوم لم أتزوج ربما لتكوني قدري ونصيبي أنت يا منى .

ـ أوه! .. أنا .. أنا لم أكن أظن أن أحدا سيفكر بي كزوجة يا برهان .. ولكني أبيت أن أعيش عشيقة أو خليلة.. ورغم خوف أهلي عليّ من الانزلاق والوصول إلى ذلك .. فقد حاول البعض الحياة معي هكذا ، فرفضت لم أقبل أن أعيش كدابة .. وإن كنت غير مبال بالتقاليد والطقوس فللشرف شأن عندي رغم طول علاقتي بحازم الزوج السابق لي قبل الزواج ، فهو لم يستطع لن ينال مني ولو قبلة واحدة رغم محاولاته الكثيرة .. مع تأثري ببنات أوروبا وأمريكا في هذا الجانب لم أتهاون وأتحلل .. وأنا ذكرت لك سبب تعلقي بالخمر والدخان ، ولا أقول هذا الكلام مبررا لك ومشجعا لك للاقتران بي .. صدق حتى لو لم يحصل بيننا ما عرضت عليّ من زواج سأحتفظ بك صديقا حتى أنت تخرج من حياتي أو تطلب مني هجرك

ـ اسمعي أنا أريد أن أقول لك أنك أول فتاة أو امرأة تؤثر فيّ .. لا أدري لماذا؟! أنا منجذب إليك بقوة مع ما ذكرته عن نفسك من صفات وعادات لا تروق لي.. ومع أن الناس لا يحبون الوضوح والصراحة في مثل هكذا قضية ولكني معجب بصراحتك وشجاعتك ، رغم أن العقل قد يعتبر ذلك فضائح ؛ ولكننا نعيش ظروفا خاصة ، وقد يعتبر هذا مبررا لهذه الاعترافات الخاصة .. وخط دفاع في المستقبل .

ـ أنا كانت أحلامي كبيرة يا برهان .. كنت أحلم بأن أكون ملكة غير متوجة كما يقال .. كنت عندما التقيت بحازم ناصر اعتبره الدرجة الأولى في سلم الوصول للتاج .. ولكنه دمر أحلامي وأعادني لحي برقوقة .. فتاة لا أحلام لها ولا طموح .. كان الزواج عندي مجرد عادة وتقليد وديكور لابد منه ..

ـ والآن؟!

ـ والآن .. أمل في الحياة من جديد .. أمل في تحقيق الأمومة التي تتحدث عنها النساء والأمهات لي أخت متزوجة وإنها ما لقيتني إلا حدثتني عن حلاوة الأمومة وضم رضيع إلى صدر أمه.. إنها تحاول بذلك تشجيعي على الزواج من جديد .. أنا لم أُبدِ لهم اعتراضي يوما على الزواج ثانية إنهم يريدون تزويجي من أي رجل وهذا لا يصح عندي يا برهان .. طال الحديث أيها الصديق لا أنكر أنك هززتني في المرة الماضية بعرضك وهذه المرة ، وها نحن وضعنا النقاط على الحروف وعلينا التفكير بروية بما جرى بيننا.. هيا ننصرف وأشكرك كل الشكر على إصغائك لي .. وأنت أول رجل يسمح لي بسماع همسات قلبي وقصة هلاكي .. لعلك الملاك المرسل لإنقاذي أيها الصديق .. إلى اللقاء .

منى تعرف الحقيقة

دخل برهان بيت العائلة ودخل حجرته الخاصة ، وأغلق بابها بالمفتاح على غير العادة ، وذهب في تفكير عميق في نهاية مغامرته ، وأن الفتاة تنتظر رده بعدما أعاد إليها الأمل في السعادة من جديد .. الزواج حدث كبير ، ومن أهم الأحداث الخاصة في حياة الإنسان مهما حاول البعض من التقليل من أهميته وشأنه .. هل يضحي ويتزوج من مطلقة؟ عاداتها القبيحة هل تتخلص منها ؟.. إنه يريد امرأة صالحة.. منى لديها بذرة وخامة طيبة .. ستعود أنثى طبيعية.. ستتخلص من تفكير الرجل .. من سيعارض هذا الزواج من العائلة ؟! .. أمه ستعارض هذا الزواج .. كيف يتزوج فتاة مطلقة ومن سنه؟ أما أبوه فإقناعه سهل وميسور .. وهل يتزوج بدون موافقتهم كما حصل مع زوجها السابق؟!.. هو يختلف عن حازم.. فهو مستقل في عمله ومصروفه وحركته .. لا يتدخل أبوه في حياته الخاصة .. ترك لهم حرية التصرف .. المهم عنده احترام الناس.. أمه ستعارض الزواج بس لأنها امرأة مطلقة ، ولسنها القريب من سنه وربما تكبره بأشهر .. أو ستعارض لأنه لم يطلب منها البحث عن عروس ، بحث بنفسه وطلب من منى أن تبحث عن عروس ، كان يمهد بذلك لطلب يدها ، وأدركت أنها المقصودة بطلبه ، وفتحت له قلبها وقصت عليه أخطر أحداث حياتها ليكون على بينة من ماضيها ؛ ولتكون الحياة بينهما واضحة وضوح الشمس ..وهي صادقة لم تحدثه عن حب وغرام وغزل ، فمنى لا تعرف ذلك ، واعترفت له أن حياتها وزواجها لحازم لم يكن عن حب وعشق إنما لمصلحة وبحكم العادة .. إنما المحب كان حازم .. واليوم المعجب والمحب برهان لقد طمعت بالزواج مني ، ولها رغبة بذلك ؛ ولكنها تحب أن تعطيني فرصة للتفكير ، لا تريد العجلة ثم نندم .. إنها تريد أن تكون أنثى وأم .. وهذا تفكير جيد وطبيعي .. وقال : إذا رفضت الزواج منها بعدما زرعت الأمل في قلبها من جديد سيدب في قلبها اليأس ، وسأساعد في تدميرها بعد ذلك الأمل الذي كان يلمع ببريق عينيها .. إنها فتاة عاشت في أحلام وأوهام الثروة ، ولما اصطدمت في الواقع الصعب أحست أنها وقعت في بئر عميقة ولا تستطيع الخروج منها .. فأصرت على التمرد والعناد والبقاء على عادات السوء .. كيف سأقنع أمي بها ؟ ليس بعد الصراحة راحة .. الصراحة راحة .. أنا عن نفسي ليس لديّ مانع من الزواج من منى ربيع حتى ولو كانت مطلقة أمي العقبة الآن !

قضى أياما وهو يقنع والدته بمنى ، وهو يريد أن يحقق لها أمنيتها ورغبتها بزواجه ، وأعلمها أنه تعرف على فتاة وأعجبته غاية العجب ؛ ولكنها

تزوجت من قبل وطلقها زوجها بعد سفره إلى أمريكا.. وهي تشتغل براتب جيد ، وليس لديها أولاد من زوجها .. وأخطر ما قاله لأمه أنه اعترف بأن قلبه يميل إليها .. وأنه يرى سعادته معها وإذا لم يتزوجها لن يتزوج أبدا ..

وبعد تردد ورفض من قبل أمه ، وقد رأت أم عبد القادر والدة برهان عزمه وتصميمه استسلمت لرغبته .. وأحبت أن ترى هذه الفتاة المطلقة التي أسرته وجذبته ودفعته ليتفوه أمامها بهذا الكلام الخطير والتهديد الصريح .. وأن تتعرف على أهلها .. والأب محمود الدين لم يعترض فقد ترك الأمر لولده ، وأنه هو الذي سيتزوج وهذه حياته ، وكان برهان يعرف والده وسياسته .. فوالده لا يحب تعقيد الأمور .. وكان برهان يريد صناعة منى من جديد ، وتعود ابنة صالحة للمجتمع، ولا تظل متعلقة بالغرب والانفلات ، واعتبر هذا الهدف غايته المهمة .. وإن أعجب بها وحريتها في الاختيار ؛ ولكنه يجب لها أن تختار الأجمل والأحسن ، وليس فقط التشبه بالرجال لتصبح من رجال الأعمال وأصحاب الشركات .. المرأة يجب أن تبقى المرأة .. فهل الحرية فقط أن ألبس وأسهر ؟ فقال ساخرا : يتشبهنّ بالرجال بلبس البذلات وقص الشعر والاجتماعات .. ثم يضعن أدوات الزينة على حواجبهنّ وخدودهنّ وأجفانهنّ .. قاتل الله الجهل !



رتب صاحبنا برهان أمر الأسرة قبل أن يحسم الأمر مع منى ، ثم اتصل بصديقته منى وحدثها عن سبب تأخره في الرد .. فسرت من رده ومن موافقة أمه وأبيه ، واتفقا على عشاء آخر ، وكالعادة وفي نفس المطعم الذي دخل تاريخ حياتهما التقيا ، وبعدما تناولا الطعام ورفعت الصحون والأواني وأحضر الشاي كالعادة أيضا قالت منى وهي تحاول أن تظهر طبيعية ، وليست منفعلة أو قلقة لأن برهان أعلمها بالهاتف موافقته : هل فكرت جيدا يا برهان باختياري زوجة لك وكنة لأمك ؟!

ـ فكرت بعمق يا أخت منى ، وقضيت الأيام الثلاثة أقنع أمي .. فزواج شاب أعزب لأول مرة من امرأة مطلقة مرفوض شيئا ما لدى الأسر كما تعلمين .. فمن الشائع لدى العوام أن المطلقة يتزوجها أرمل .. كبير في السن .. أو رجل متزوج امرأة ويريدها ضرة .. وغير هذا .. الناس يحبون أن يتزوج البكر بكرا .. ووالدي كما ذكرت لك على الهاتف لقد ترك للإخوة وحتى الأخوات أن يتزوجن حسب رغبتهنّ ، ولحتى الآن لم تطلق

واحدة من زوجات الإخوة ولا الأخوات .. فالمهم أن تكوني أنت مقتنعة بي وميل القلب سيأتي فيها بعد .

ـ أنا لم أكن أتصور أن تصل هذه المعرفة بيننا إلى هذه النتيجة ، ربما لأن الرجال كانوا يمرون في حياتي كأرقام وأعلام ..وقلت لك سبب تعاستي وحقدي على جنس الرجال والد حازم .. لقد كان قاسي القلب معي .. فتراودني صورة وخيال .. أن أكون سيدة كبيرة ومهمة في البلد فيدخل عليّ الرجل مستعطفا متوسلا .. فأذكره بنفسي ثم أطرده شر طردة .. أه !

وقال برهان مقاطعا : وقلب أمه ألم يكن قاسيا ؟ أم حازم .

تفكرت لحظات وقالت : ممكن !!.. هي كانت رافضة كما علمت من حازم وأخته عبير .. فأنا لم أرها يا سيدي ولم أفكر بمقابلتها .

ـ قد تكون هي التي قست قلب زوجها عليك .

ـ هي لا تعرفني .. وكما أعلم فهي لا تتدخل في عمل زوجها ولا عمري رأيتها في الشركة .. ومع ذلك لم يخطر في بالي أن أقابلها ..غيرة .. تكبر .. ممكن .. كنت أعتقد بأنني سأفتح الصين والهند كما يقال بمسكي بزمام حازم .. في رأيك كان عليّ أن أحقد على النساء أيضا .. فلماذا أحمل والد حازم كل الفشل ؟ لا أدري.. كنت أحلم بغرور .. كنت أرى أنني سأصبح سيدة ثرية وصاحبة مال كثير أنا والسيد حازم ، ربما الجلسات الشاعرية لم تدعني أعرفه جيدا ، هو يحدثني عن الحب والنساء ومغامراته الكثيرة مع البنات المتزوجات ، وأن أحدثه عن الشركات والأموال .. كنت أراه درجة في الصعود إلى هؤلاء الكبار أصحاب الملايين .. غدا سأجلس مع المليونير ناصر ومع المليونير فلان وفلان .. ولكنني سأصعد اليوم على كتفيّ السيد برهان لا أدري إلى أين ؟ إلى أين يا سيد برهان ؟

ـ على الرحب والسعة ، فكتفايّ قادران على حملك لتري العالم من فوقهما .. لن أقصر يا عزيزتي سأضع كل ثروتي التي لا تتجاوز عشرة آلاف بين يديك .. وربما أنفقتها على زواجنا .

ـ والمكتب ؟!

ـ المكتب !! المكتب !! .. منى! منى ! هل أنت جادة بالزواج مني وموافقة وراضية بي ؟

دهشت منى للسؤال وللحركات التي بدت منه بعد كل هذه الحوارات واللقاءات فقالت بدهشة : ماذا تقصد أيها الإنسان؟! تسرب لقلبي قلق من سؤالك .. بعد كل هذا الكلام تسألني عن الرضا والموافقة ؟!

ـ أسمعي يا منى ولابد أن تسمعي ، أولا أحب أن أقسم لك يا عزيزتي بأنني راغب بك زوجة على كتاب الله وسنة نبيه محمد ﷺ

اضطرب قلب منى لهذا القسم وقالت: إنك تثير الحيرة والخوف في نفسي ! ما الأمر ؟! .. إن قلبي يدق بعنف؟! وكانت قد وضعت يدها على صدرها .

ـ مهلا أيتها العزيزة .. أنا سأكشف لك سرا وأرجو ألا يتغير رأيك فيّ ..

ـ أوه إنك تخيفني الآن وارتفعت دقات قلبي !!

ـ أنت شجاعة وصاحبة تجربة .. أحب أن تعلمي يا منى حتى لا تتفاجئي في يوم ما بأنني مخادع ومنافق وكذاب ومحتال ..

وكان لون وجهها يتغير مع كل كلمة يتفوه بها برهان ، وزادت دقات قلبها ، كانت تنتظر مفاجأة قاسية ، فقالت باضطراب وقد حاولت أن تبدو هادئة : سر! .. قل ما هذا السر! .. هل أنت تسخر مني بالحديث عن الزواج وموافقة أمك وأبيك؟!

ـ يا عزيزتي .. أنا تعرفت عليك ودخلت حياتك من أجل الزواج منك ! .. ولم أكن أريد فتح مشروع أو مكتب تدقيق وإن كان هذا حلمي حقيقة .. ولكني فعلت ذلك لأصل لقلبك والزواج منك .. اهدئي لا تغمضي عينيك ..

فتحت عيناها وحدقت به وقالت بحيرة : لم أفهم منك شيئا بعد .. أين الخداع ؟!

ـ حسنا ستفهمين إن أصغيت إليّ جيدا .. أنا أريد أن أقول لك ذلك حتى إذا جرى الزواج الذي رسمت له وخططت له ، وتكتشفين فيها بعد أنه بدأ مزحا وأصبح جدا فتقولين عني مخادع منافق .. أوكد لك رغبتي بالزواج منك زوجة شرعية ، ولم أفكر يوما بأن أضحك منك واتخذك خليلة أو عشيقة ثم غيرت رأيي بعدئذ .. أتسمعين من البداية وتغفرين إذا كان في الأمر أي خطأ شنيع ؟!

أشعلت سيجارة وأخذت تنفث عليها بتوتر وما زالت ممتقعة الوجه وقالت: عجيب أمرك الليلة يا برهان !.. لقد سقط قلبي بين قدمي .. تؤكد لي بأنك راض بي زوجة وتقول أن هناك سرا .. اكشفه .. تكلم .

ـ سأتكلم .. كان باستطاعتي يا منى أن أتابع الزواج معك بدون كشف السر ووضع الحقيقة بين يديك ؛ ولكني رجل أخاف من الغد ومن كلام الناس غدا ..

ـ إنك ما زلت تضعني في دوامة ولغز .. تكلم يا إنسان ولا تخش شيئا

ـ سأتكلم بصراحة لأن الصراحة راحة كما قلت قديما.. أنا منذ مراهقتي ويراني الأصدقاء والأصحاب فتنة للنساء .. كثير من مراهقات الحي تعلقن بي وأغرقنني بالرسائل والهدايا .. ولما انتقلت للجامعة حصل لي مثل ذلك ، التفت حولي فتيات كثيرات من سنوات مختلفة ومن كليات

مختلفة ، فكنت بين معارفي ألقب بفاتن النساء وأحيانا أخرى المصباح لتساقط بعض البنات عليّ أملا بالزواج مني .. لا ينقصني جمال وشباب وقامة ومال أيضا .. ومع ذلك لم أتزوج لليوم واحدة منهنّ ، وأنا شريف مثلك يا منى ، ولا تسمح لي أخلاقي أن أكون زير نساء .. ولا تسمح لي أخلاقي وإن كان فيها سوء بالزنا والفاحشة ، فهذا أمر قبيح لدينا في الأسرة ، ولم يحدث أن وقع فيه أحد من إخوتي ولا أخواتي ..ولا نرضاه لأخواتنا وأهلنا ولا نقبله لبنات الناس .. حدثني أحدهم عنك وأنك عاصية على الرجال بعد طلاقك من السيد حازم فقبلت التحدي وعرفني عليك .

ـ عرفك عليّ .. متى ؟!

تبسم برهان وقال: أشار إليك وأنت مغادرة من الشركة والمعرض .. هكذا سار وهكذا كانت البداية .. ثم خاف الشخص عليك وسحب التحدي فيما بعد ، وخشي أن تتعلقي بي كالمراهقات التي ذكرت لك أمري معهن ، ثم أصدمك بعدم الزواج ؛ ولكن المغامرة استهوتني وأظهرت له أنني انسحبت وجرى الذي تعرفين تفصيله .. أنا دخلت حياتك عن علم ومعرفة وإرادة وتخطيط .

طرحت السيجارة وقالت : أمعقول ما أسمع ؟!

ـ ولمَ لا يكون معقولا ؟!

ـ يعني أنك رسمت وخططت ووصلت لهذه النتيجة .. أريد شراء أثاث .. أريد مساعدتك إنك لجريء يا برهان .. أين كان عقلي وفكري؟!

ـ كان عقلك وفكرك معك.. وأنت تعاملت معيّ طبيعيا دون اهتمام بالحب والعشق الذي أردتك أن تقعي فيه من غروري وبناء على ذكريات المراهقة والجامعة وحتى البنك الممتلئ بالفتيات الأوانس والعوانس.. كان قصدك مساعدتي في الحصول على أثاث جيد ورخيص خدمة إنسانية للنصيحة التي طلبتها منك .. لم تنظري إليّ على أني فارس أحلامك .. أنت تعاملت معي كصديق ومعرفة تحبين خدمته .. وأنا عرفت ذلك وكل هذه المشاعر .. فقررت أن أتزوجك إذا وافقت ، فأنا أقر بأنني فشلت بأن أجعلك تعشقينني كما تعودت من فتيات غيرك ، وكما طلب مني من أجلك أنت ولأنهم يحبونك !

صفنت لحظات كأنها مذهولة ثم قالت : فعلا هذه مفاجأة كبيرة ..!!

ـ أنا أريدك يا منى ، وقد وافق أهلي فعلا على طلب يدك .. وأرجو أن أكون لك نعم الزوج .. والحب يأتي .. ولولا اقتناعي بك ما قمت بهذا الدور والاستمرار به ..لا أحد يضغط عليّ إنما بدأت فكرة وراقت لي وسلمت أمري للباري في علاه .

ـ عجايب الناس ! ومن الذي سلطك عليّ ؟!
ـ لن أقول الآن ، لأنه هو يعتقد أنني صرفت نظر عن التحدي وعن الفكرة الغريبة .. فإذا لم تقبلي بي قد تغضبين منه .. فأنا يا أخت منى أريدك زوجة .. هل توافقين عليّ بعدما سمعت اعترافي ؟ وإنني لم أوضع في طريقك صدفة ، وإنما كان بترتيب من نفسي .. لأتزوجك .
ـ مغامرة وجهد كبير بذلته يا برهان .. حيرتني يا رجل! أتريدني زوجة بصدق ؟! .. وليس تتمة للفِلم .
ـ أريدك زوجة بصدق .. ولو لم أردك زوجة بصدق ما تابعت التحدي .. وكان باستطاعتي الاختفاء من حياتك كأي رجل تعرفت عليه واختفى .. ولو لم أردك بصدق لما ظللت ثلاثة أيام أقنع أمي بالزواج من منى ربيع .. وأنا سأصعد وأحقق لك أحلامك وتصبحين بمشيئة الله صاحبة أموال وقصور .
ـ أنت ؟ أنت الذي ستصنع لي ذلك ؟!
ـ نحن معا .. لا تستهيني بقدراتي يا منى ، وأنا رضيت بك دون نساء العالمين .. سنبني أحلامنا معا ، فالذي وصل إلى قلب منى سيصل بها إلى كل الأحلام والسعادة . . وقبل المغادرة من هذا المكان الليلة سأسمع ردك ؟
ـ وهل تظن أنني سأرفض بعد هذا الاعتراف وكل هذا الحب ؟! .. أنت كما قلت لك سابقا ورغم ما حدثتني به الليلة إنسان ذكي وفطن .. ومع أن هذه حيلة كبيرة ؛ ولكنها تدل على عقل كبير وصبر جميل .. وأنا سعيدة يا برهان أن تقبل بي زوجة رغم أن هذه مغامرة عجيبة للوصول إليّ .. إليّ أنا ومع ما تعرفه عني من سيئات .
ـ أنا اعترفت لك بهذه المغامرة أو الخديعة للقصد الشريف ، وها أنت رأيت برهان .. إني أريدك فعلا لا مزحا ولا مقلبا ، وأيضا اعترفت ؛لأنه ستكون مفاجأة عندما نعلن الزواج .. عندما يعرف أحدهم أني خدعته أيضا بادعائي الانسحاب من التحدي .. ثم تعرفين الحقيقة من غيري فهذا مؤلم لي ولك ، فلربما لطباعك العنيدة كما قيل عنك ترفضينني غدا كزوج إذا عرفت هذه الحقائق وتظنين أني ضحكت عليك .. فالاحتياط واجب
ـ ما زلت تثبت لي ذكائك وبعد نظرك.. معك حق وقد غلبتني ؛ ربما الأنفة تدفعني للغضب والثورة .. أنا معجبة بك وبطريقتك المدهشة للتعرف عليّ ، وأريدك كما تريدني ؛ ولكن اسمع لا تطمع بحبي وهواي الذي فعلت كل هذا من أجله .. نحن سنكون زوجين فقط .
ـ سأسعدك يا منى .. لأني اخترتك بكامل حريتي ، وإن كانت طريقة التعارف غريبة .. ولكن الظروف والأحوال بعد مشيئة الرحمن تحكم

الإنسان أحيانا .. فلولا رغبة ذاك الرجل الغريبة ما عرفت منى ، ولا أكلت أنا ومنى معا ..ولا سهرنا معا .. القدر والنصيب أراد لنا ذلك ويحكم الله ما يريد .. أنا لست أصغر إخوتي ومع ذلك تزوجوا إلا أنا أليس هذا من قدر الله تعالى ؟!

ـ ماذا تريد مني ؟ وأنا معجبة بك وليس إعجاب العشاق .. افهم ذلك .

ـ أفهمه يا سيدتي .. أمي تريد أن تتعرف عليك وعلى أهلك قصدي أمك وأخوك مالك وربيع وحنين .

سرحت منى قليلا ثم قالت : رائع ! أنت تعرف كل أسماء العائلة .. أمك تريد أن تتعرف عليّ على كنتها وزوجة ابنها الباقي من غير زواج .. هكذا يفعل الناس .. أليست هي موافقة وما فائدة المعرفة ؟!

ـ عادات .

ـ نعم عادات .. ومن أجل هذه العادات طلقت أمي ، ثم طلقت أنا .. أنت تعرف عني كل شيء من قبل أن أشرحه لك يا خبيث ..

ـ ليس كل شيء .. أهمه فقط ..

ـ من هو مصدر معلوماتك ؟ .. مالك ؟!

ـ أخوك ؟! .. لا تشغلي بالك ، هو غدا سيفرح وغيره سيفرح ويتباهى أمامك بأنه السبب في دفعي إليك .

ـ لا يخطر في بالي أحد .. خليل ؟

ـ من خليل ؟! زوج أمك الحداد الغلبان المسكين

ـ لا يمكن لخليل بفكره البسيط وطيبته أن يفكر بهكذا طريقة وحيلة ، ولا يعرف مكان عملي وسط هذه المدينة .. من يا سيد برهان ؟!

ـ ستعرفين قريبا ـ إن شاء الله ـ وستكون مفاجأة طيبة له .. أمي كيف ستراك ؟

ـ هل تحب أن نذهب إليها سويا الآن في هذا الليل البهيم ؟

ـ أوه ! .. أفعلها إذا شئت.. أنا أعرف أنك لا تحبين حي برقوقة ، وأنك ما زلت في شقتك المستأجرة .. فأرى أنه لابد لك أن تتصالحي مع حي برقوقة حتى نتزوج كما يتزوج البشر.. بضعة أيام وتكونين في بيت زوجك السيد برهان محمود الدين .

ـ حي برقوقة!! .. نعم .. لتعلم إنني لست كما قيل لك عنيدة ومتكبرة ولا أتخلى عن رأيي ولو كان خطأ كبيرا .. سأتصل بأمي وأفرحها بهذا الخبر ، وأني رضيت بالزواج من رجل مثلك يا برهان من أجل خاطر أمي .. وسأفتح صفحة جديدة مع السيد المحترم خليل .. آه يا برهان ! لقد سحرتني بنبلك وحبك .. هل تعلم أنك ستدخل السعادة بهذا الزواج على قلوب كثيرة ؟ ستجعلني أسيرة لك بفرحهم وحبهم لي .

ـ أنت عاقلة ومهما حاول الإنسان تغيير جلده سيعود إليه في يوم طال الزمان أو قصر .. ولكن القوم ربما لم يحسنوا التعامل معك أو أن التجارب الفائتة صقلتك بأسرع وقت .. رتبي الأمور حتى أقوم أنا ووالديّ وبعض أخواتي بزيارة برقوقة ونتعرف على برقوقة وخليل سيد برقوقة ثم نرتب اللمسات الأخيرة من هذه المسرحية أو الفِلم على قولك أو الرواية أو القصة الأسماء كثيرة هذه الأيام .. اختاري ما تشائين .. بس أرجوك أن تحذفي زجاجات الخمر من ثلاجتك قبل تسليمها لصاحب العمارة .

ـ وحتى هذه تعرفها .. فمصدر معلوماتك قريب مني جدا .. أنا تخلصت منها منذ اللقاء الماضي وكنت واثقا من قبولك بي رغم أنني لست بالفتاة الجميلة البيضاء الطويلة القامة النحيفة ولست بالغنية لا أدري كيف قبلت بي يا برهان؟ هل هي شفقة وعطف وإحسان ؟!

قهقهة الشاب جزلا وقال : زواج يكون هكذا مصيبة في نظري مع أنه يحدث في ظروف معينة أرملة عندها أولاد .. يتيمة فقيرة .. أنا قد عرفتيني جيدا من هذه اللقاءات المتكررة أنا مقتنع بك بكل جوارحي وعقلي .. أنا معجب بك ليس عاطفيا فقط .. المهم أنت أن تقتنعي فيّ !

ـ أنا لا أنسى أنك أخرجتني من أزمة كبيرة عصفت بي يا برهان .. لقد لعبت دورك جيدا ، فأنت أول إنسان تعامل معي بأنني إنسانة.. وكان حديثك جادا وعمليا فأنت ممثل بارع على كل حال

ـ هو ليس تمثيلا وإن بدأ كذلك .. هو حقيقة ولكنه أتى هكذا وبهذه الصورة .. كيف سأتحدث معك بالزواج ؟!.. أمن أول مرة أدخل عليك المكتب وأقول لك أريد أن أتزوجك بدون معرفة رأيتك في الشارع وأحببتك فتزوجيني .. كان لابد من حوار وجدال وقيل وقال .. هيا بنا طال سهرنا وتعجلي بالأمر .

ـ يقولون في العجلة الندامة .

ـ هذا في الشر وليس في كل شيء والله أعلم .

ـ ألا تريد أن نعيش فترة خطوبة ؟

ـ وهذه الأيام ألا تكفي فترة خطوبة؟!.. نحن خالفنا فيها كل الأعراف والأذواق ولكننا نعلق كل ذلك على شماعة الظروف .

قالت : ليس أمامي إلا أن أقول شكرا لك ، وأرجو أن تكون الزوج المناسب يا برهان، وأن تكون أول وآخر رجل في حياتي بعد ذاك الضعيف .. وسيكون لك مني الاحترام اللائق بك .

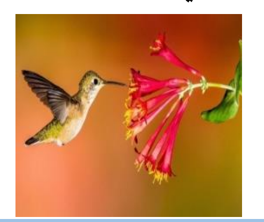
ـ سامحيه يا منى وأخرجيه من حياتك .. سنبدأ معا ، وسأضع على رأسك في يوم من الأيام التاج الذي تحلمين به مع أن زمن التيجان ولى ، فاليوم أكثر دول العالم جمهوريات ..

ضحكت منى: ما أحلى كلامك يا برهان! .. أنا خائفة أن نقف بعد حين قصير أمام المحكمة لينصرف كلٌ منا إلى بيت أهله .

ـ هذا في علم الغيب .. نحن الآن منسجمان ومتفقان والسعادة في أيدينا ويمكننا أن نحافظ عليها ونقويها .. إذا تفاهمنا وتحملنا بعضنا بعضا ، ولا ننسى أننا نعيش في أسر ما زالت محافظة وإن تراخت قبضتها بعض الشيء بسبب الغزو الثقافي والاقتصادي والسياسي والتقليد الأعمى ونحن فتحنا أوراقنا أمام بعضنا البعض ، وهناك بعض الهنات ستزول بمشيئة الله سبحانه .

ـ لن أكون معك عنيدة .. أحس هو إحساس أنك تفهمني .. سترى منى الفتاة التي تخرجت من الجامعة فقط .

ـ لا ، أريد منى التي استفادت من تجربتها الأولى .



زهرات نبوية

كل واشرب

كان نعيم يتكلم بالخلوي عندما سمع زوجته تقول "أنا جاهزة للخروج" نظر إليها معجبا بتبرجها وجمالها ، فهو قد تعب وملّ حتى وجد فتاة حسناء مثلها ؛ لتكون زوجته ؛ وذلك قبل سنوات .. وكم طلب منه والده وأمه أن يعلمها ويعلم نفسه قبلها الحشمة والستر ؛ ولكنه يقول مبررا "نحن في مقتبل العمر دعونا نستمتع بشبابنا وحياتنا ، ولما نكبر شيئا قليلا نخلع ثياب الطيش والجاهلية "،

> أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: كُلُوا وَاشْرَبُوا وَتَصَدَّقُوا وَالْبَسُوا فِي غَيْرِ مَخِيلَةٍ وَلَا سَرَفٍ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ أَنْ تُرَى نِعْمَتُهُ عَلَى عَبْدِهِ . حم
> ابن عمرو

ولم يدع والده فرصة أو مناسبة يلتقيان بها إلا ذكره بدينه وقصر الحياة .. وأحيانا كثيرة عندما يسمع نعيم مثل هذا الكلام يختصر الزيارة ، ويعود لبيته أو لمكان يسهر فيه مع جميلة .. وهذه الليلة كان على موعد لحضور حفلة زواج لابن صاحب المؤسسة التي يعمل هو وفتاته الحسناء فيها ، وستقام هذه الحفلة الكبيرة في إحدى قاعات الفندق الكبير ..والعجيب في هذه الدعوة أن الرجل والد العريس أحب أن يحضر والداه الحفل .. والسبب أن الرجل لما عرف من هو والده ؟!.. تذكر أنه يعرفه وتعلم معه في المدرسة الابتدائية .. وتذكر عزيز هذا الرجل وقال لولده : نعم ، أذكر هذا الشخص ، والعجيب يا نعيم أنه كان من أتنبل الطلبة في المدرسة .. وها هو اليوم يملك هذه

الشركات والأموال ! إنها قدرة الله .

وبعد تردد وافق عزيز على حضور بعض الوقت والمغادرة فتقبل نعيم ذلك ، لما سمع زوجه تقول" أنا جاهزة للخروج" اعتذر لمن يتحدث معه ، ووضع الجهاز في جيبه ، وفتح باب الشقة وخرجا وأغلق الباب خلفهما.

وانطلق بسيارته إلى بيت والديه ليقلهما معه إلى قاعة الاحتفال ، والسلام على زميل المدرسة قبل عشرات السنين .

كان والد نعيم وأمه في انتظاره ، ولما اقترب من البيت اتصل بهما بأنه قرب البيت فخرجوا إلى مدخل البيت ، ولما أقبل نزلت زوجته عن مقعدها بجواره ، وسلمت على حميها ، وصعدت إلى المقعد الخلفي نوعا من الأدب والاحترام الشائع بين الشرقيين ، وجلس عزيز بجوار ولده وصافحه ، ورد عليه السلام ، وصافح نعيم أمه بعد جلوسها في المقعد الخلفي ، وتابع الانطلاق للحفلة ، وكان يقول : الرجل أصر على حضوركم لما علم أن أبي زميل له أيام المدرسة الابتدائية .. وأعتقد أن الرجل لم يكن أيامها بهذا الثراء.

ـ كان والده صاحب دكان في السوق ، واستطاع تعليمهم في الجامعات ، وصعدوا ، ولم نعد نلتقي بعد الانتقال لمدرسة أكبر ؛ ولكننا كنّا نعرف بَعضُنَا البعض أيام المرحلة الأولى .

قال : حقيقة الرجل كما فهمت من بعض رجال الشركة أنه كافح كثيرا قبل أن يصل لهذا الثراء الفاحش ، وقد فتحت عليه الدنيا من أوسع أبوابها ، وحقق الأحلام .

قالت الأم : كيف علم بأنك ابن عزيز رفيق مدرسته ؟

ـ الصدفة والشبه .. أنا لي كما تعلمون أعمل معهم من سنة تقريبا .. صدف أن حصلت مشكلة إدارية بيني وبين بعض المقربين منه ، واضطررت إلى اللقاء به شخصيا لقاء مطولا لمعالجة المشكلة .. وتفهم وجهة نظري .. وأخذ الحديث أمرا شخصيا وحياتي الخاصة ؛ فكأنه تذكرك من تحديقه بي .. فقال : كنت أعرف طفلا أيام زمان له صورة مثل صورتك .. وهو يحمل نفس الاسم عزيز .. وهكذا تذكرك وتمنى يومها أن يراك ، ثم انشغلنا حتى جاءت هذه المناسبة ، والتقى بي ليدعوني إلى حفلة زواج ابنه ، ثم تمنى ثانية لو أنك حضرت هذه الحفلة .. ووعدته أن أفعل ، وليس كما قلت لكم بيني وبينه علاقات خاصة وأموال خاصة .

استقبلهم السيد ناصر بالترحيب ، وعانق السيد عزيزا وساقه إلى مقعد ، وأخذ يتحدث معه بعض الدقائق يتذاكران فيها لحظات من تلك الأيام الخوالي ، ثم استأذن الرجل للترحيب بضيوفه ، ولما اكتمل جلوس المدعوين ، دعوا للبوفيه المفتوح ..

هكذا يسمى الطعام في الفنادق والصالات هذه الأيام ، وأصبح تقليدا شائعا ومقبولا في مثل هذا الوسط الاجتماعي الثري ..وبعد الطعام قدمت العصائر والخمور .. وكانت الحفلة الغنائية والرقص من فرق الغناء والطرب .. ولما بدأ ذلك استأذن عزيز ، وبارك لصديقه القديم الذي حاول إبقاءه فقال : آسف يا ناصر .. أنا اليوم رجل عجوز ، وليس لي نفس على مثل هذه الحفلات وشكرا .

ـ لعلنا نلتقي في مناسبة أخرى .

ـ شكرًا

وغادر عزيز وزوجته إلى بيتهم بسيارة من سيارات الأجرة التابعة للفندق ، وهو يتعجب من بذخ وفسق هؤلاء الناس باسم الأعراس والمناسبات.

ولما انتهت الحفلة مرّ الزوجان على بيت الوالدين وقبل أن يجلسوا قال عزيز : لعلك شربت فإني ألحظ أن زوجتك تترنح .

ـ لقد شربنا القليل منها

قال الأب : الأفضل أن تعود لبيتك يا سيد نعيم ! أنا حذرتك أنا لا أقبل أن يدخل بيتي سكران .

حاولت الأم التبرير بحضور حفلة ولي نعمته ، فضحك الأب ، وقال : هذا سخف ! ولا أعتقد أن ابنك يشربها لأول مرة .. فمن يعيش في مثل هذا الوسط الفاسد سيفعل مثلهم ..وابننا نعيم من أفسد أفراد الأسرة .. كلهم يصلون ويصومون إلا هو ؛ كأنه لا أحد تعلم إلا هو .. قليلها أو كثيرها كله حرام .. وأنا قبلت الذهاب ليس من أجل ناصر ، ولا تشرفني صحبة وذكريات هذا الرجل .. إنما ذهبت لتعود معنا ، لا تتركنا نركب سيارة الفندق بحجة السهرة ستبدأ الآن .. ولماذا جئتنا وأنت سكران ؟!

ـ جئت لاعتذر .. لقد رأيت زعلك وضيقك وأنت تغادر لما رأيت رغبتي بالبقاء أنا وجميلة .

قال : أنا ذهبت من أجلك لما رأيته من رغبتك ولهفتك بقبول اللقاء بهذا الرجل

ـ يا أبي من يعيش في هذا الوسط كما تقول عليه أن يسايرهم .

ـ ليس في الحرام والفساد .. أولئك الناس طباعهم غير طباعنا في العادات والتربية .. كم يسرفون في الطعام ! وكله يذهب للشيطان.. سيتخلص منه الفندق ..فقد دفع ثمنه .. ولا يكتفون بشرب العصير والمثلجات والشاي والقهوة والحليب والنسكافيه .. والمشروبات الطيبة كثيرة ..لا يطيب عيشهم إلا بالسكر والخمر .. ولو طالبتهم بالصدقة لوجدوا ألف اعتذار وحجة .. طبعا إلا من رحم الله ..هكذا بوفيه كلّف آلاف الدنانير ، لو قلت له تصدق بألف دينار .. فيقول لك هذا كثير خذ هذه الدنانير .. ويمد عليك عشرة دنانير

.. وهذه الملابس التي تلبسونها كم ثمنها ؟ وهي كلها لباس عري وسفور ..كما تلبس أنت وزوجتك التي لا أدري أهي عارية أم كاسية ؟ وأنت تعلم كم أبغض هذا الزِّي ! وأنت رغم ذلك تصر على الحضور بها إلينا بهكذا لباس.. ولا تريدنا أن نغضب ونتضايق .. أنا لا أدري لماذا يحب الرجال تعري زوجاتهم للشوارع والحفلات ؟! الرسول صلى الله عليه وسلم قال "كُلُوا وَاشْرَبُوا وَتَصَدَّقُوا وَالْبَسُوا غَيْرَ مَخِيلَةٍ وَلَا سَرَفٍ .. إن الله تعالى يحب أن يرى أثر نعمته على عبده ..والقرآن يقول" {وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا} .. فيا سيد نعيم وسيدة جميلة قبلت اعتذاركم ..وعودا لبيتكم وأرجوكم أن لا تدخلوا علينا وأنتم بهذا التبرج وبهذا الشرب .

وتركهم ودخل غرفة نومه ، وقد سمع زوجته تقول لابنها: أتشرب قهوة ؟

فنظر إلى جميلة التي هزت رأسها ، ولما رأت تردد زوجها قالت: الأفضل أن نشربها في شقتنا ..فقد طردنا والدك فمن العيب أن نبقى . ومشت نحو الباب للخروج

فقالت الأم : هو متضايق لشربكم الكحول والمجيء إلى هنا.

فاستدارت وقالت : هو يعلم أننا نشرب الكحول قبل أن نتزوج .. ويعلم أنني ألبس أثمن الملابس وآخر الموديلات قبل أن أتزوج ابنه وسكت ..فلماذا يتدخل في أمورنا الخاصة ؟! وهذه الحفلات لو لم يقدم فيها الشراب سيتهم السيد ناصر بالبخل والفقر ..وإذا ذهبنا بثياب قديمة سنتهم بالفقر والتوسل هيا يا بطل!

فقال نعيم : ما هذا الكلام يا جميلة ؟!أنسيت مع من تتحدثين؟

ـ لم أنس يا سيد إذا لم نتمتع بالحياة ونحن شباب متى نستمتع عندما نصبح عواجيز مثلهم؟!

ـ يبدو أن الشراب أثر فيك كثيرا معذرة يا أمي!

وفتح الباب ودفعها للخارج بنوع من العنف، وقال لأمه : السكر عاطل سأعود للتصالح مع أبي

وخرج الأب يقول : سمعت كل ما قالته السكرانة يا سكران .. الصلح معي يكون عندما تؤكد لي أنك ستعاهد الله على ترك الشراب .. وتلبس زوجتك المسلمة ما تلبسه المسلمات الحقيقيات .. الحق بها .

وأغلق الباب ورائهم ، وقال الأب :غفرانك ربنا لم نحسن تربية هذا الولد !

صاحت الأم محتجة : كيف لم نحسن تربيته يا عزيز؟ كان يصلي ويصوم قبل أن يخرج للجامعة ؟.. ولم نقصر معه ؛ ولكنه فسد لما قُبل في الجامعة .

تنهد حزنا وقال: ما لنا اليوم إلا الدعاء .

وتلقت الأم صباحا هاتفا من ابنها الكبير يعلمها

أن نعيما تحدث معه ، ويرغب بلقاء أبيه ليسامحه عما حدث منهم ليلة أمس ، وطلب منه أن يكون شفيعا بينهم ، ويعتذر عن نفسه وعن زوجته وأنها كانت في حالة سكر لا تعي ما تقول .

فأخبرته الأم بما حصل منها ، وأن والدهم يرفض الصلح قبل عودته للصلاة وترك شرب الخمر ، وعلى المرأة عندما تأتيهم لا تأت سافرة متبرجة ، ولتفعل ذلك عندما تذهب لبيت أهلها.

فقال الابن : ولكنه تزوجها وهي على هذه الشاكلة .. فهل ستتغير في يوم وليلة ؟ وهو راضٍ عن ذلك ، وهو الذي يشتري لها هذه الثياب .

ـ نحن قلنا لما تأت بيتنا نحن ..أما في الشغل في الشارع هي حرة .

ـ على كل حال سأقابل أبي مساء ، فهم لهم متزوجون خمس سنوات يا أمي .

قالت : نحن دائما نطلب منهم التغير ونعاملهم بالحسنى على أمل .

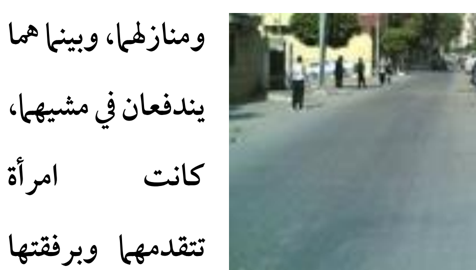
ـ فليبق الأمل ، سيعود نعيم إلى التوبة والالتزام ، سلمي لي على الحاج الكبير

ـ وعليكم السلام.

مشاهد تربوية

العون

غادر محمود وسامر المدرسة مترافقين ، وأخذا يمشيان على الرصيف ، وكانا يتحدثان عن بعض الواجبات المدرسية المطلوبة منهما ، ولما وصلا لنقطة توقفا لقطع الشارع ، ولما ضعف خط السير قطعا إلى الرصيف المقابل بسلام ، فحمدا الله على ذلك ، وتابعا سيرهما إلى شارع يربطهما بحيهما



ومنازلهما، وبينما هما يندفعان في مشيهما، كانت امرأة تتقدمهما وبرفقتها طفل ، وفجأة سقط من المرأة الكيس الذي كانت تحمله بيد ، وتمسك ولدها الصغير باليد الأخرى ، سقط الكيس على الأرض ، وتمزق وتناثرت حبات الفواكه التي بداخله ، وارتبكت المرأة ، وأخذت تنظر يمينا ويسارا ، كانت تبحث عن مغيث، فتقدم الشابان محمود وسامر مادين يد المساعدة للمرأة ، فلما جمعت حبات الفاكهة المتناثرة ، اكتشفا أن الكيس تمزق من السقطة على الأرض، فأسرع أحدهما إلى بقالة قريبة ، وحصل لها على كيس جديد ، ووضعا الفواكه فيه ، وأخذته المرأة منهما ، وهي تهز رأسها شاكرة لهما صنيعهما ، بل عرضت عليهما الأكل من فاكهتها ، فاعتذرا لها وشكراها، وقالا " هذا واجب علينا يا أماه "، وتابعا مسيرهما نحو بيوتهم ، وقد سمعاها وهي تدعو لهما بالتوفيق والنجاح .

وتقدما المرأة وهما يحسان بالسعادة التي أصابتهم

من هذا الفعل النبيل والبسيط ؛ ولكنه في نظر تلك المرأة في مثل ذلك الحال كان كبيرا وعظيما.

وقال سامر : عندما يقوم الإنسان بعمل صالح ، ويساعد الناس ، ويساعد محتاجا يشعر بالسعادة والفرح يا محمود .. ينتابني مثل هذا الشعور كلما أفعل ذلك .. هل يحصل معك كما يحصل معي ؟ .. حتى لو كان الأمر أو العمل يسيرا بسيطا كالذي قمنا به قبل لحظات .

ـ أعتقد أن هذا الرضا يحصل لكل الناس وليس خاصا بنا.. عمل المعروف وإغاثة الملهوف عمل عظيم عند الله ﷻ .. خاصة إذا كان خالصا لوجه الله تعالى ورجاء الثواب منه ﷻ .

ـ أجل ، الرسول ﷺ حث على صنع المعروف وعون ومساعدة المحتاجين .. فهذه المرأة ارتبكت بين الطفل الصغير والفاكهة التي تناثرت على الشارع ..

وقال محمود : وتصور أن مصابا على الأرض أو جريحا أو شخصا صدمته سيارة .. فمساعدتنا له تنقذ حياته .. سواء بأنفسنا أو الاتصال بسيارة الإسعاف .. والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه.

ـ فعلا الإنسان إذا سقط على الأرض يحتاج لمساعدة للنهوض وتهدئة نفسه .

ـ وهذا التعاون ليس فقط في الشارع .. في كل مكان ، وخاصة البيت على أفراد الأسرة التعاون والمساعدة في أعمال البيت .. من كنس ونظافة ودراسة .

ـ أجل يا محمود على الابن مساعدة أمه في أعمال البيت المتكررة .. والكبير يدرس الصغير .. فباب المساعدة والعون أراه واسعا وكبيرا .

قال محمود : أكيد .. فالجد الكبير يحتاج إلى مساعدة الأبناء والصغار .. والمريض العليل يحتاج للمساعدة ولو إعطاؤه كوب الماء ليشرب الدواء .. والصغير محتاج للكبير .. وقد تكون المساعدة بالجسم والعضلات ، وقد تكون بالكلام الحسن والمال والجاه .. فالفقراء والمساكين المال أحسن مساعدة لهم ؛ لذلك قال تعالى {وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى} فالبر كثير.. وكثير لا نهاية له .

قال سامر : ما شاء الله معلوماتك كثيرة يا محمود !

ـ بارك الله فيك .. القصد من كل ما قلناه أن مجال العون والمساعدة واسع .. فحادثة سقوط الكيس ذكرتنا بكل هذه الأشياء الجميلة .. ولو رأيت ضريرا وساعدته بقطع شارع أو توصيله لعيادة أو جامع فهذا صورة أخرى من العون .. ولو اشتريت يا صديقي لجار لك من بقالة أو متجر فهذا شكل آخر من العون .

فتبسم سامر وقال : ولو ساعدت زميلا في الامتحان فهذا من العون !

نظر محمود في وجهه صديقه سامر ثم قال : هنا توقف ، لا أراك جادا في ذلك ! إذا ساعدته في الدراسة والمراجعة والتدريب .. فهذا تعاون مقبول ومرغوب .. أما أن تساعده أثناء الاختبار.. فهذا غش ، وأيضا تعاون ؛ ولكنه من التعاون الممنوع قال تعالى {وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ}.. إذا اشتريت لرجل شيئا محرما فهذا تعاون على الإثم والعدوان ..وإذا عاونت شخصا في الذهاب لمكان محرم فهذا تعاون محرم .. تعاون إنسانا على القمار فهذا إجرام

ـ هو كله عون !

ـ صحيح كله عون ؛ ولكن الإسلام رغب على العون المشروع .

ـ صدق أنني فرح بما أسمع منك يا محمود .

ـ وأنا أعلم أنك تمزح بذكرك التعاون في الامتحان ..وتريد تذكيري أن العون يلزم أن يكون في أعمال الخير ، وليس في أعمال الشر .. وها هو باب بيتنا ـ وأشار بإصبعه لمدخل بيت الأسرة ـ ما رأيك أن تدخل معي ؟ ونتعاون على الغداء معا .

ـ يسرني هذا التعاون .. أشكرك ؛ لكن أمي وإخوتي ينتظرونني على مائدة الغداء .. نلتقي في المسجد عصرا إن شاء الله .. سلام الله عليك .

وتصافح الصديقان وهما يبتسمان ، وعلى أمل اللقاء في مسجد الحي عند أداء صلاة العصر جماعة



عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ قَالَ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ :" عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ صَدَقَةٌ " قَالُوا فَإِنْ لَمْ يَجِدْ قَالَ : " فَيَعْمَلُ بِيَدَيْهِ فَيَنْفَعُ نَفْسَهُ وَيَتَصَدَّقُ " قَالُوا فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ أَوْ لَمْ يَفْعَلْ قَالَ: " فَيُعِينُ ذَا الْحَاجَةِ الْمَلْهُوفَ " قَالُوا فَإِنْ لَمْ يَفْعَلْ قَالَ : " فَيَأْمُرُ بِالْخَيْرِ أَوْ قَالَ بِالْمَعْرُوفِ " قَالَ فَإِنْ لَمْ يَفْعَلْ قَالَ :" فَيُمْسِكُ عَنْ الشَّرِّ فَإِنَّهُ لَهُ صَدَقَةٌ "

البخاري ومسلم

دماغ

قال أفلح التركي: خرجنا مرة إلى حرب لنا ومعنا رجل كان يقول: أنا أتمنى أن أرى الحرب كيف هي. فأخرجناه معنا فأول سهم جاء وقع في رأسه. فلما انصرفنا دعونا له معالجاً فنظر إليه وقال: إن خرج الزج وفيه شيء من دماغه مات. وإن لم يخرج عليه شيء من دماغه لم يكن عليه بأس. فسبق فقبل رأسه وقال: بشرك الله بخير انزعه فما في رأسي دماغ. فقال الطبيب: وكيف ذلك. قال: لو كان فيَّ ذرة من دماغ ما كنت ههنا

حكمة

أشد ساعات اليوم ظلمة هي تلك التي تسبق طلوع الشمس

... أبي لا يدخن ...

استيقظ " أحمد " من نومه فزعا من حلم قد رآه فأزعجه ، فطار النوم من عينيه فنظر في الغرفة ناحية سرير أخيه "



جابر " ، فوجده فارغا، فنظر إلى ساعته ؛ فإذا هي تزيد عن منتصف الليل فخاطب نفسه قائلا : لابد أن جابرا في صالة التلفزيون ، فهو مغرم بالأفلام الأمريكية والمسلسلات العربية كما يقول دائما .

فأزاح الغطاء عن بدنه ، وانتقل بهدوء إلى غرفة التلفزيون ، وفتح الباب ؛ فإذا جابر يضع سيجارة بين شفتيه ، ولما فتح الباب فجأة انتزعها جابر من فمه بسرعة محاولا إخفاءها ، وفعل مثله حامد ابن عم لهما يجلس معه ، وقال أحمد : السلام عليكم .. مساء الخير .. لا تخافا .. أنا أحمد .

فقال جابر وقد عاد يسحب أنفاسا على السيجارة : ألست نائما ؟!.. ما الذي أتى بك ؟

فقال أحمد من غير اكتراث لأسئلته : افرض .. افرض أن أبي هو الذي دفع الباب ودخل وشاهد ما شاهدت .. ثم هزّ رأسه وقال : حتى لو لم تكن السجائر بين شفاهكم .. فرائحة الدخان تملأ المكان وتزكم الأنوف .

رد جابر ساخرا : يكفي أنك أزعجتنا وشغلتنا عن الفِلم .. وأبي يطرق الباب قبل أن يدخل ، لا يعمل مثلك ، لماذا لم تطرق الباب أيها الولد المهذب ؟!

قال أحمد : في هذه معك حق ..! الحق أني نسيت .. لأنني مذهول من حلم رأيته وهو الذي أزعجني وأيقظني .. لأرى هذا المشهد من حياتكما ..ماذا تشاهدان ؟

وجلس على مقعد والتفت لحامد قائلا : كيف حالك يا حامد ؟؟

فأجاب ابن عمه حامد قائلا : الحمد لله .. كيف أنت الآن ؟

قال أحمد : الحمد لله بخير ؛ ولكني قلق عليكما.. فالدخان ضار للبدن والصحة .. وسبب للأمراض القبيحة .. وهو فوق ذلك عادة سيئة .

فقطع جابر كلام أخيه قائلا : لا يكاد شيء يخلو من ضرر ، والموت بيد الله تعالى .. وأبطال السينما يدخنون ، وكبار الشخصيات يدخنون ؛ بل كثير من الأطباء يدخنون .

وقال حامد : قبل قليل شاهدنا بطل هذا الفِلم ، فكلما يتضايق ويقع في مأزق أو يحتاج للفكر تراه مشعلا سيجارته حتى

تساعده على التفكير وحل المعضلات والمواقف التي تواجهه .

وعاد جابر يقول : هؤلاء نجوم العالم يدخنون ، وما أظن أنني شاهدت فِلما في السينما أو في التلفاز لا يدخن أبطاله يا سيد أحمد إلا الأفلام التاريخية القديمة أو الأفلام ذات الصبغة الدينية

فرفع أحمد ابن الأربعة عشر ربيعا صوته قليلا : وهل هؤلاء الرجال هم القدوة والمثل الأعلى لكم ؟! .. فها هو أبي لا يدخن يا جابر .. وكذا أبوك يا حامد لا يدخن .. ولما ذكرتكم أن الدخان أو السجائر تضر بالبدن فهذا كلام الأطباء العلماء العقلاء .. وحتى مصانع التبغ تكتب لكم على صندوق السجائر التدخين يضر بالصحة ويسبب الأمراض .. أليس كذلك ؟

فضحك حامد قائلا : ولماذا يصنعونه ؟ .. لماذا تسمح الحكومات بصناعته ؟؟

تبسم أحمد وهو يقول : أنا لست خبيرا اقتصاديا لأرد عليك ؛ ولكني سمعت من بعضهم أنهم يصنعونه أو يرخصون بصناعته لتعلق كثير من الناس به ، فعندما يصنع داخل البلد يوفر على الدولة القائمة أموالا كثيرة حتى لا تضطر لشرائه لهؤلاء الناس من الخارج ، فهي محاولة لتبقى أموال المدخنين في البلد قدر الإمكان .. ولابد أن هناك غايات أخرى أجهلها .

فصفق جابر تصفيقا خفيفا ساخرا وهو يقول : أحسنت يا فيلسوف ! ..

المهم أن لا تذكر ما رأيت أمام أحد من الناس .

فضحك أحمد قائلا ساخرا أيضا : أبطال الأفلام الذين تقضي جل أوقاتك في متابعتها لا يدخنون أمام آبائهم ، ولا يخبرون أحدا بأنهم يدخنون .. نصيحتي أن تبتعدا عنه قبل فوات الوقت .. ولكن يا جابر إن سألني أبي يوما ما أو عمي يا حامد فسوف أخبرهما .. فلا تغضبا عليّ ، فكما تعلمان فأنا لا أحب الكذب والتستر عليكما

فرد جابر بغضب خفيف : لا داعي للتهديد والوعيد .

وفي هذه اللحظة أنهت المحطة بث الفِلم ، فأغلقوا التلفاز وأغلقوا نوافذ الغرفة ، وأخذ



حامد رماد السجائر ليرميه خارج البيت ، وهم يوصون أحمد بأن يلزم الصمت ، ولا يذكر ما رأى منهما أمام أحد صغيرا كان أم كبيرا ، وانصرف حامد في هزيع الليل

الأخير إلى بيته القريب ، وذهب الأخوان لغرفة نومهما صامتين .

وبعد أيام التقى جابر وأحمد في شارع الحي وجرى بينهما كلام عنيف ، مما دعا أصحابهما وجيرانهما للتدخل بينهم والتفريق بينهما ، وكان جابر يصيح قائلا : أنت الذي فسدت عليّ لأبي .. لا أحد غيرك

وأخذ في السب والشتم واللعن ، وظل أحمد صامتا حتى انتهى جابر من صراخه فقال : لا أريد أن أحلف بأنني لم أخبر أباك .. ولو كنت أريد أن اخبره لأخبرته منذ تلك الليلة .. ولو أخبرته ما أنا بخائف منك ؛ ولكني افعله لمصلحتك التي لا تعرفها .

فأخذ جابر الأكبر سنا من أحمد يضحك بصوت عال ثم قال : أمام هؤلاء الشباب لا أصدقك أنت كذاب وفيلسوف فاشل نمام .

غضب أحمد وقال : سأقول لك أمام أصحابك هؤلاء عمن أخبر أباك حتى يصدقوك في وصفي بالكذب .. قبل نهارين ألم يقبض عليك أستاذ ومعلم التربية البدنية متلبسا بالتدخين في المدرسة خلف قاعة الرياضة ، ومعك ابن عمك حامد وبعض الطلاب ؟ .. وقد طلبك المدير ونصحك بترك التدخين والشغب .. فالمدير يا بطل اتصل بأبيك وأخبره بأمرك .. هل عرفت الآن يا فطن من أخبر أباك ؟! .. واعلم بأنني سأخبر أبي من الآن فصاعدا إذا رأيتك تدخن .

فقهقه جابر بعد الصدمة التي تلقاها عندما عرف مصدر معرفة والده بأنه يتعاطى الدخان وقال بتحد وهو يخرج سيجارة من جيب قميصه : سأدخن أمامك .. وهنا في الحارة ، واعلم أنني لا أخشى أحدا .

فقال أحمد : يا شباب الحي أنتم ترون أنه كذبني ، وهو يريد أن يدخن أمامي ليتحداني .. أقسم بالله العظيم إن رأيتك تدخن يا سيد جابر سأحدث أباك رغم أنفك .

جابر مراهق يكبر أحمد بسنتين ، وهما تلميذان في مدرسة واحدة ، فلما سمع جابر قسم أخيه احتار وارتبك ، فهل يستمر في التحدي أم يجبن أمام رفاقه ، وهؤلاء الرفاق صامتون واجمون ، لا يتكلمون ، يتابعون المعركة بصمت ، فأشار جابر لأحدهم وقال : هل معك ولاعة ؟ أريد أن أدخن أمامه ليراني أخي العزيز .. واعلم لو أنك أخبرت أباك سأخاصمك إلى الأبد .

تبسم أحمد وقال بتحد : دخن ، وسوف ترى .

فازداد جابر غضبا وصاح :

تتحداني يا أحمد . فرد أخوه بقوله : أنا لا أتحداك ؛ بل أنت الذي يتحدى ، وتريد أن تدخن أمامي مع أنني حلفت يمينا .

فقدم الشاب الذي أشار إليه جابر الولاعة له وهو يبتسم بخبث ، فأخذها جابر وأشعل السيجارة ، وكان جابر يتوقع منه ألا يحرجه ، ويعتذر عن عدم وجود ولاعة معه ، ولكن الآخر قصد زيادة إشعال النار بين الأخوين ، سحب جابر نفسا عميقا على السيجارة وهو في غيظ شديد على أخيه ورفيقه .

انسحب أحمد عائدا للبيت وأخبر أمه بما جرى بينه وبين جابر ، وترجاها بأن تخبر أباه ، ولما عاد جابر للبيت ، حاولت الأم أن تصلح بينهم ، فقال أحمد : يا أمي .. أرى أني أفعل ذلك لصالح جابر .. فالدخان يا أماه أمره قبيح .. وتركه اليوم أسهل من الغد .. فأبو سالم كلكم تعرفونه ألم يكن من أسباب القضاء عليه بعد قدر الله تعالى السرطان في رئته ؟! .. وسرطان الرئة من مسبباته الدخان .

انتهت

التدخين يضر بالبدن والعقل والفكر والدين

كلام المكاتب

مكتب الأم

{خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا}

دخلت الأم مكتبها في بيتها القابع على مرتفع في وسط المدينة ؛ حيث حي آل علاء ، كانت السيدة أميمة جابر امرأة ثرية ، وتعرف حقوق الإسلام وواجبته ، وورثت أملاكا وأراضي ومزارع وأموالا كثيرة منذ عامين عن والدها جابر ، وقد كانت ابنته الوحيدة ، أنجبت أمها التي ولدتها خمسة من زوج سابق، ومن شهور ورثت جزءا من مال زوجها خالد فزادت أملاكها وثروتها ، وكانت تدير أملاكها بنفسها وبمعاونة من بعض إخوتها من أمها ، وهي لها ابنة وحيدة فقط من زوجها خالد ، تعمل طبيبة في مستشفى العائلة .

وتسكن معها والدتها العجوز ، وبعض الأخوة من والدتها ، والذي كان يشغل بالها ذلك الصباح في مكتبها المنزلي ؛ حيث تدير العمل الزكاة ، وذلك أن موظف الزكاة المختص عندها أعلمها أن موعد الزكاة لهذا العام حل وأزف وقته وتوزيعه ، وكان

المحاسبون الذين يعملون في شركاتها وأملاكها قد اعلموه بالرصيد النهائي لهذا العام المقدر بالملايين ، فلما دخل سامي أخوها على المكتب رحبا ببعض ، ورحبت بموظف الزكاة ، وطلبت منهما الجلوس ، وأتت خادمة المكتب والبيت للمكتب ، فطلبت لهما القهوة والشاي والماء .

فقال سامي: احضرت عماد الدين يا اميمة يا أم نور !

رحبت بهما من جديد : أهلا بكم وأهلا وسهلا سيد عماد !

فرد بأدب : مرحبا سيدتي الفاضلة ! المبلغ كما تعلمين كبير.. وكما فعلنا العام الماضي علينا أن نفعل هذا العام .. سنوزعه على أكثر من جهة .. ولديّ قائمة بجمعيات لرعاية الأيتام والفقراء .. وقائمة بالعائلات الفقيرة التي نتولاها بأنفسنا ونرعاها مباشرة ، وقد زاد عددهم هذه الشهور .. ولدينا أسر وجمعيات جديدة تستحق الزكاة .

قال سامي : كم مبلغ الزكاة السنة يا عماد ؟

نظر عماد للسيدة وقال وقد تلقى الإشارة بالإجابة والإفصاح : أكثر من نصف مليون وقريب من المليون السنة .. فقد زادت الارباح وثروة السيدة حسب أرقام المحاسبين .. والله يبارك في أموال السيدة ومشاريع أم نور

قالت : لا تنسوا أموال زوجي وأبي من قبل .

سامي : هذا صحيح!

عماد : ذلك الفضل من الله .

قالت : الشكر لله .. هو مال الله .. نحن مستخلفون فيه.. الله المعطي .. ونحن مسخرون .. وعلينا أن نحسن العمل ، ونخرج حق الله.. فالزكاة يا سامي تنمية وبركة .. وبها نتخلص من البخل والشح .. فهؤلاء لهم حق فيها .. تؤخذ من الأغنياء وتعطى للفقراء .

عماد : يتقبل الله .. أناس تملك أضعاف أضعاف ما تملكين ويبخلون عنها .. بارك لك وعليك .. فهي كما تعلمون تطهر المال والنفس .. ونسأل الله تعالى الإخلاص والقَبول ونعوذ بالله من البخل والشح

قال سامي : أنت مباركة يا أميمة!

قالت بتواضع : الحمد لله ! رتب الأمور يا عماد .. ودعني أطلع على التفاصيل ؛ لنبدأ بصرف وانفاق المبلغ خلال ثلاثة شهور ؛ كما فعلنا في العام الماضي والسنوات السالفة يا ولدي! ولا تنسى أن تحسب حساب الجمعيات الأخرى التي لا تستحق الزكاة من أموال الزكاة ؛ لأنهم ليسوا من الأصناف الثمانية رغم أن بعض الشيوخ يجيزون دفع

جزء من الزكاة لهم ؛ لكن الأفضل أن ندفع الصدقة لمن يستحقها دون شبهة .. وأنت يا سامي ذكرت لي أن لديك قائمة من المحتاجين فتعاون مع ابننا عماد .. والصدقة كما تعلمون غير محصورة في المال فقط .. فالكلمة الطيبة صدقة ، والذكر كالتسبيح والتكبير والتهليل والأمر بالمعروف والنهي عن المنكرات صدقة .. وأنتم الرجال مشيكم للمساجد صدقة .

عماد : صدقت يا أم نورا! .. باب الصدقات في الدين واسع ومتنوع حتى ينتفع الفقير من هذه الصدقات .. ولكن أهمها صدقة المال ، وهي الكنز الحقيقي للمرء "لولا أخرتني إلى أجل قريب فأصدق وأكون من الصالحين".. هيا يا سامي إلى مكتبي ولندع أم نور تتابع أعمالها .. نسأل الله الرحمة للسيد أبي نور ..فقد كان العام الماضي يعمل معنا ويشرف على توزيع الزكاة رحمه الله.

قال سامي : أخ عماد لقد نسيت .

قالت : ماذا نسينا يا أبا محمد ؟

قال : الدكتورة نور ؛ قالت لي حين تخرجون الزكاة اذكروا ذلك لي .. تريد أن تعطينا جزءا من زكاتها يا عماد .. وتحدثت معها في الصباح بأننا سنبدأ بإخراجها قريبا .. فلنضيف زكاتها لزكاة أمها يا عماد

قالت : لا بأس يا عماد.. لكن اعلمها كيف ستوزعه ؟ولمن ستدفعه ؟ هل ذكرت المبلغ يا سامي ؟

قال : لا ، سنمر عليها ونعرفه ، ويفصل لها عماد التفاصيل ، وكيف نوزعها؟

قالت : هذا الأفضل .. هي تحب أن تعمل وحدها يا عماد ! يبدو أنها تغير خططها هذا العام ؛ ربما بسبب ما ورثت عن أبيها .

قال سامي : ممكن ..عندما ننهي عملنا نمر عليها

قال عماد: جيد جيد .. الله يتقبل منكم جميعا

قالت : بارك الله في جهدك !

ـ شكرا .

فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً فِي أَمْوَالِهِمْ تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ وَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ

الجواهر العشر

أحلام الأولاد

الحلقة الثانية والأخيرة

ولما تعافى مروان تسلل إلى الكهف الذي فيه الكنز ، وملأ جرابا منه ، وعاد للمدينة خفية ، واطلع أمه وأخته على جلية الأمر ، وفتح دكانا لبيع الحبوب ثم فتح دكانا لبيع الثياب ، وأصبح مروان خلال سنوات من أغنياء المدينة ، وقد شارك بأمواله ببناء السور

حول المدينة وفي أجرة حراس الأبواب وحرس الأسوار ،



وقد أصبح بسخائه من رجال حاشية أبي يعقوب سلطان البلاد ، ثم بنى قصرا جميلا وانتقل إليه بأمه وأخته التي تزوجها فيما بعد السلطان ، ولم يكن ينغص عليه هذه السعادة إلا ضياع الوالد والأخ والعم ، ولم يكن مروان عبدا لماله وثروته بل كان يجود على أقاربه الفقراء ، ويولم الولائم للفقراء والمساكين .

كان مروان يجلس في قصره بين أمه وضيفته زوجة السلطان أبى يعقوب ، وفجأة ذرفت الأم الدموع بقلب جريح حزين ثم قالت : ايه يا أبا مروان ..أين أنت ؟! ..أين أنت يا مالك ؟! إن السعادة لا تكتمل يا أولادي ..ألا تذكر يا ولدي عندما جلستم يوما ـ يوم كنتم صغارا ـ وكنتم الثلاثة تحلمون أحلاما لقد سمعناكم أنا وأبوكم ، لقد حلمت يا ولدي بأن تصير غنيا ومن رجال الحاكم وقد حقق الله سبحانه لك ما رجوت وتمنيت ، وها هي أختك صفية أصبحت حليلة ملك من ملوك الدنيا ، وقد حلمت وتمنت أن تتزوج أميرا ، فأكرمها الله بسلطان عاقل شجاع يحبها وتحبه ولديهما ولدان جميلان .

فقالت الفتاة : نعم يا أمي ..لقد تحقق ما حلمت به وزيادة ولكن حسرتنا في أبي وأخي ، قد نغصا علينا التمتع بما تيسر لنا ..أين أنت يا أبي العزيز ؟! لترى الأحلام الكبيرة وقد حققها مدبر هذا الكون ..وأين أنت يا مالك البطل ؟

وتساقطت الدموع من العيون الباكية وعادت الأم تقول : وها هو مروان رجل ثري معروف ويجلس مع حاشية السلطان بل السلطان صهره.

قال مروان وقد مسح دموعه من آماق عينيه :نعم يا أمي ..أحيانا ينطق الإنسان وهو ساذج بمصيره أو بما سيؤول إليه من غير شعور ، ولقد أرسلت وكلفت أكثر من قصاص أثر ليبحث ويسأل عن أبي ، وأكثر الذين أرسلتهم لا يعودون ومن يعود منهم لا شيء في جعبته .

وبينما هم في هذا الحديث أقبل خادم يقول : يا سيدي ..رجل في الباب يريدك ويدعي أنه عمك !

قفز مروان وهو يقول : عماه ..عماه !

وهرع مسرعا مستقبلا عمه الذي فقد منذ سنوات طوال وتعانق الرجلان وهم يبكيان ، ودخل به إلى حيث تجلس

أمه وأخته ، وأمر الخدم بتهيئة الحمام والمائدة ، ولما هدأت العواطف الجياشة في الصدور لحلاوة اللقاء قالت الأم : أين مالك ؟ أين مالك ؟ ..تبكي ، ما جرى له أخبرنا ولا تكتم شيئا عنا ..لقد فقدت الأعز منه .. أخوك أبو مروان ؟

فقال : أخي ما جرى له ؟! ..بل أين هو ؟ وما هذا القصر الذي تسكنون فيه ؟! ولكني قبل أن اسمع حديثكم وإجاباتكم سأقول لكم ما عندي . . لقد ضاع مالك لم يمت فقد ..لقد وصلنا بتجارتنا بلاد الصين ، وكان ذلك بعد سنوات من الترحال والتنقل بين المدن ، ولما جهزنا القافلة وعدنا فرحين نحو بلادنا بما كسبنا من مال ونعيم ، وكلنا شوق للأهل والأولاد والأصحاب ، ولدينا أمل كبير برؤية الجميع ، وكعادتنا كنا ننزل في المدن الكبار ، فينفصل عنا قوم وينضم إلينا آخرون إلى أن دخلنا بلاد الهنود ، فهجم علينا لصوص القوافل واشتبكوا مع فرسان القافلة ، وكانت معركة كبيرة ولما انزاحت الغمة بحثت عن ابن أخي فلم أجده ، وأمضيت يومين اسأل التجار والغلمان ، وتفقدت الموتى فردا فردا والجرحى فلم أجده ، فتأكدت أنه وقع أسيرا بين أيدي اللصوص وأنهم خطفوه أثناء انسحابهم وتراجعهم ، فاعتزلت القافلة وقد أوصيت أحد الأصحاب على بضاعتنا ، وأخذت في السعي وراء العصابة اللعينة ؛ ولكني لم أوفق في الوصول إليه ، ووقعت أسيرا عند أهل قرية فحبسوني واستعبدوني وأذلوني حتى تيسر لي للهرب ، وعدت إليكم بعد كل هذه السنين خاوي اليدين لا شيء معي ، فهذه قصتي يا ابن أخي ويا زوج أخي .. والآن أخبروني عما أصاب أخي أبي مروان .. وما حكايتكم ؟

ارتفع بكاء الأم وعويلها على ضياع ولدها مالك ، وهنأ الأولاد عمهم على سلامته ونجاته واستمع لحكايتهم وفرح لأخبارهم السعيدة ثم تنهد وقال : عسى أن نلتقي جميعا بأخي ومالك .

هذا ما كان من هؤلاء الناس



مالك

وبينما أهل المدينة في سلام ووئام وأمان جاء الخبر لأبي يعقوب السلطان أن جيشا زاحف جهة المدينة من الجهة الغربية ، فأمر بإغلاق أبواب المدينة وتشديد الحراسة على الأسوار والأبراج والزيادة من

أعداد الحرس على الأسوار ، وأمر الجنود بالاستعداد للدفاع عن المدينة أمام الغزو الجديد ، وصل الجيش الغازي المدينة ففوجئ بالأسوار والجنود عليها ، وكان هذا الجيش الزاحف صغيرا لا يزيد عن مائة فارس كلهم على الخيول العربية الأصيلة ، فكتب قائد هذا الجيش رسالة إلى السلطان يحثه على اللقاء والاجتماع ، وأنه قادم لنشر الإسلام في هذه الربوع وأرسل مع الرسالة وفدا من ثلاثة أنفار ، فحملوا راية بيضاء وتقدموا نحو الأسوار فأذن لهم أبو يعقوب بالدخول ، فخرج الناس لرؤية الوفد ، وتقدم الفرسان الثلاثة حتى وصلوا لقصر الحاكم ودار الأمارة والحكم ، فنزلوا عن جيادهم ، ومشوا حيث يجلس أبو يعقوب ورجاله ، ودفعوا له برسالة القائد الهمام أبي عمرو الشجاع ، فكان في الرسالة كلام لطيف يبين لهم فيه أنهم جاءوا هذه البلدة ليس طمعا في أموالهم ونسائهم ، ولم يقدموا للسلب والنهب والفتك ، ولكنهم أتباع رسول ظهر منذ قرون يدعو الناس لعبادة رب العباد وترك عبادة الأوثان والشهوات ، ثم تكلم أحد رجال الوفد عن دين الإسلام ومحاسنه ، وبين لهم في النهاية إذا أصروا على الشرك والضلال أن عليهم مبلغا من المال يدفعونه كل عام لخليفة المسلمين مقابل حمايتهم وخضوعهم لسلطان المسلمين ، وإذا رفضوا هذا العرض فلا مفر من القتال والحرب .

فطلب السلطان من الوفد أن يرجعوا بعد ثلاثة أيام حتى يتشاور مع عقلاء قومه ، ولما انقضت الأيام الثلاثة أخبرهم أبو يعقوب بالموافقة على الاجتماع مع قائدهم ، فاختار القائد سبعة من رجاله ووضع نائبا عنه ودخلوا المدينة فاستقبلهم أبو يعقوب في ديوانه وقال : نحن نريد المزيد من العلم والمعرفة عن هذا الدين الذي تدعون الناس إليه فتكلم القائد كلاما مختصرا عن دين الإسلام ، وبين أن المسلم أخو المسلم ، وأن له ما للمسلمين كافة ، وعليه ما على المسلمين كافة ، وتقدم أحد العلماء فحكى قصة الرسول الأمي محمد صلى الله عليه وسلم مختصرة ، وذكر تاريخ الإسلام وملوك الإسلام ، واستمر اللقاء حتى الليل ، وعلى أثر هذا اللقاء دخل أبو يعقوب الإسلام والأعيان كذلك ، وأعلن أهل المدينة دخلوهم هذا الدين ، وفتحت أبواب المدينة للجند ، وأمر السلطان ببناء أول مسجد جامع في مدينتهم .

وخرج القائد برفقة السلطان يتجول في المدينة وقدر الله تعالى لهم أن يمروا من أمام قصر مروان ، وكانت الأم تقف على شرفة من شرفات القصر لتنظر وتشاهد السلطان ورفيقه القائد فقال لها مروان : يا أماه أترين هذا الفارس القوي الجميل ؟! إنه قائد هؤلاء الجند ويقول إنه ورئيسه تحت إمرتهم مائة ألف مجاهد جاءوا لهذه البلاد والمدن لدعوة أهلها للإسلام ، وانطلق كل قائد بعدد من الجنود نحو بلدة ليدعو أهلها لدينهم العظيم ..فقد أسلم أبو يعقوب وسادة المدينة ورضوا بهذا الدين

قالت الأم : يا ولدي ..هيئة هذا الفارس كهيئة أخيك مالك ..قلبي يتكلم ..ما اسمه ؟

دقق مروان النظر في الفارس وقال : ينادونه أبا عمرو الشجاع .

قالت : يا ولدي إن قلبي يزداد اضطرابا ..دعهم يدخلون .

فنظر لأمه وقال : أيمكن هذا يا أماه ؟!

وهبط عن الشرفة وهو ينادي على السلطان :أبا يعقوب ..أبا يعقوب .. على رسلك .

توقف السلطان وقال : ماذا يا صهري العزيز ..هدئ من نفسك مالك تلهث ؟

قال مروان : أمي تريد روية القائد ضيفك يا أبا يعقوب .

فترجل السلطان والقائد عن جواديهما ودخلوا إلى قصر مروان ، ولما اقترب الرجلان من أم مروان فسمعاها تقول : إنك والله لمالك !

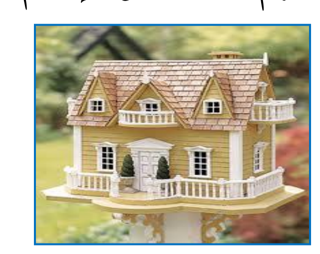
وصاح القائد فجأة : أماه ! .. أماه ! ..أنا جئت إلى هنا أبحث عنكم وأنا كلي يأس.

واحتضنها وقبلها وقبل يديها وكانت الدموع تتساقط على خديه وصاح مروان : أخي .. مالك ..يا الله ما أعظمك يا الله ! ..كيف لم أعرفك ولم تعرفني ؟

قال مالك : كلما أنظر إليك أكاد أقول أخي ؛ ولكني أقول ما الذي جمعك على السلطان وجعلك من رجال السلطان وصهر السلطان فأتوقف عن التفكير فيك . . وقد قيل لي إنك مت .

أخذت الدهشة السلطان والحاشية التي معه فقال مالك مخاطبا لعمه ومن جاء يستمع القصة : لقد أسروني يا عماه وباعوني رقيقا وتنقلت من مصر لمصر حتى استقر بي المقام في أرض الشام وهناك عشت في كنف ملك صالح فضمني لجنده الخاص ، ثم اعتقني وقد أصبحت فارسا قويا فشاركنا في المعارك والجهاد ، وقرر ملكنا فتح هذه المدن والبلاد لنشر تعاليم الدين وإخراج أهلها من الجاهلية لنور الإيمان

، فخرجت مع هذه الحملة لدعوة الناس إلى الإسلام ، فلنا أكثر من ثلاث سنوات نزحف نحو المدن والقرى لنشر الدين وتبليغ الرسالة ، ولما اقتربت من بلدكم طلبت من القائد الكبير للحملة أن يسمح لي بقيادة الجنود المائة والمجيء إليكم منقذا لكم من الضلال إلى الهدى ، وقد وفقنا المولى سبحانه وتعالى في ذلك ، وحقق لنا الغاية الأخرى وهي لقاؤكم .. والعجب يا أهلي أنني وجدت أبي بين أيدي القبائل المتوحشة ..فأنقذته منهم وقد اعتنق الإسلام ،



وقد ذكر لي أنكم فقدتم مروان أثناء غزو القبائل لكم ، ولما لم يجده لدى القبائل ترجح لديه مقتله ..وهو قادم مع جند القائد الكبير يزيد العقيلي قائد هذه الحملة .

قصة العراقي مع المروزيّ

ومن أعاجيب أهل مرو على وجه الدهر، وذلك: إن رجلا من أهل مرو كان ولا يزال يحجّ ويتّجر، وينزل على رجل من أهل العراق، فيكرمه ويكفيه مؤونته. ثم كان كثيرا ما يقول لذلك العراقي: «ليت إني قد رأيتك بمرو، حتى أكافئك، لقديم إحسانك، وما تجدّد لي من البرّ في كل مرّة. فأما ههنا فقد أغناك الله عني»

قال: فعرضت لذلك العراقي، بعد دهر طويل، حاجة في تلك الناحية؛ فكان مما هوّن عليه مكابدة السفر، ووحشة الاغتراب، مكان المروزيّ هناك. فلما قدم مضى نحوه في ثياب سفره، وفي عمامته وقلنسوته وكسائه، ليحطّ رحله عنده، كما يصنع الرجل بثقته، وموضع أنسه. فلما وجده قاعدا في أصحابه، أكبّ عليه وعانقه، فلم يره أثبته، ولا سأل عنه سؤال من رآه قط. قال العراقي في نفسه: «لعل إنكاره إيّاي لمكان القناع» ؛ فرمى بقناعه، وابتدأ مساءلته، فكان له أنكر.

فقال: «لعله أن يكون إنما أتي من قبل العمامة» ؛ فنزعها ثم انتسب، وجدد مساءلته، فوجده أشدّ ما كان له إنكارا. قال «فلعله إنما أتي من قبل القلنسوة» ؛ وعلم المروزي أنه لم يبق شيء يتعلق به المتغافل والمتجاهل، فقال: «لو خرجت من جلدك لم أعرفك»

طلاق بسبب غسل الخوان

وقال أبو إسحاق إبراهيم بن سيّار النظام: دعانا جار لنا، فأطعمنا تمرا وسمن سلاء ، ونحن على خوان ليس عليه إلا ما ذكرت، والخراساني معنا يأكل، فرأيته يقطر السمن على الخوان حتى أكثر من ذلك؛ فقلت لرجل إلى جنبي: ما لأبي فلان يضيع سمن القوم، ويسيء المؤاكلة، ويغرف فوق الحق؟ قال: وما عرفت علّته؟ قلت: لا والله. قال: الخوان خوانه، فهو يريد أن يدسمه، ليكون كالدّبغ له. . ولقد طلّق امرأته ، وهي أمّ أولاده، لأنه رآها غسلت له خوانا له بماء حارّ، فقال لها: هلّا مسحته.

شمس عمري

الحلقة الرابعة

رصاص مرة أخرى

بعد تلك السهرة الممتعة لعمري بين زوجته وأفراد العائلة بأيام ، حدث لعمري حدث كاد يورده المهالك ، وينتقل به من الدار العاجلة إلى الدار الآخرة ؛ إنما ساعة الأجل لم تأت بعد ، فقد لطف الله وخفف البلاء، ولم تكن ساعة المنية قد حانت .. و للحق فصاحبنا عمري لم يغفل عن هذه الساعة ، فكانت أموره المالية مرتبة أحسن ترتيب ، ووصيته مكتوبة عند رأسه ، فالموت يأتي بغتة ، فالذي حدث كان مفاجأة للجميع .

عند ظهيرة ذاك اليوم عند مكاتب الشركات الرئيسية في شارع قطز في العاصمة الكبيرة والجميلة ، وقف شاب في العشرين من عمره أو دون العشرين سنة على الرصيف المقابل لتلك الشركات ، وكان يضع على رأسه كوفية حمراء ، وعلى عينيه نظارة خضراء ، وبين شفتيه سيجارة وكان يرتدي جاكيتا أسود وبنطالا ازرق ، وأخذ هذا الشاب الصغير يقرأ اليافطات المعلقة حتى شاهد يافطة أو لوحة كبيرة كتب عليها مجموعة الشركات العمرية ، كانت لوحة كبيرة على مساحة من واجهة العمارة الكبيرة ، فانبسط الشاب لما قرأ تلك اللوحة ، وكأنه وجد ضالته التي يبحث عنها ، وادخل البطاقة (الكرت) في جيب الجاكيت ، وتحسس مسدسا يخفيه على وسطه تحت الصرة ، ثم قطع الشارع المزدحم بالسيارات يمينا ويسارا ، وتوقف أمام مدخل العمارة ورفع النظارة عن عينيه وسأل أحد الحراس الواقفين أمام مدخل البناية فقال : هل هذه شركة السيد عمري الخابي ؟

صفن الحارس لحظات قبل أن يرد وقال : عمري الخابي آ .. قصدك عمري محمود الخابي ؟

الشاب : نعم

فرد الحارس متفحصا للشاب : هذه البناية كلها للسيد عمري محمود .. ماذا تريد ؟

تململ الشاب قليلا وقال وهو يخرج الكرت ثانية ويمد به نحو الحارس : هذا كرت باسم الشركة .. فقد أرسلني قريب لمقابلة السيد عمري الخابي لمساعدتي في إيجاد فرصة عمل

فقال الحارس بعد نظره في الكرت التعريفي واعادته للشاب : هنا مكتب للتوظيف .. اصعد إلى الطابق الأول .. واسأل عن مكتب الأستاذ جلال خليل .. خذ هذا الكرت معك

دخل باب العمارة فوجد حارسا آخر يسأله : أين يا شاب ؟ فأخرج الكرت من جديد ـ فكأنه اعتبر هذا الكرت بطاقة هوية ـ وهو يقول : أرسلني قريب لي للعمل هنا في شركات عمري

الخابي ، وقال لي الحارس في الخارج أن أذهب لمكتب الأستاذ جلال خليل

فقال الحارس : اطفىء السيجارة يا شاب .. فالتدخين ممنوع في داخل الشركة

طرح الشاب السيجارة في مكان مناسب ، ثم عاد وسأل الحارس : هل السيد عمري موجود في مكتبه ؟ .. فالرجل أرسلني إليه شخصيا ، فأنا يتيم ، وأبي كان يعمل عندهم قديما عند عمه ناجح أبي صابر

فقال الحارس : يا ابني .. اذهب حيث الأستاذ جلال ، وسوف يهتم بك وتشتغل بدون أن تقابل السيد عمريا

صعد للطابق الأول ، ولم يذهب لمكتب الأستاذ جلال ، بل سأل أحد الفراشين عن مكتب السيد عمري فقال له : إنه في الطابق السابع يا ابني

فتركه وركب المصعد إلى الطابق السابع ، وأخذ يقرأ لوحات الغرف حتى قرأ لوحة عليها مكتب المدير العام لشركات ومؤسسات المجموعة .. ووجد صالة فدخل فيها ، فكان فيها رجلان يتحدثان ، فسأل: هل هذا مكتب المدير العام عمري بيك ؟

فالتفتا إليه وقد قطعا حديثهما وقال أحدهما : أجل .. انتظر حتى يخرج السكرتير

كان السكرتير يتحدث مع المدير في الداخل ، والحارس الشخصي كان في دورة المياه تلك اللحظات القاتلة ، وعاد الرجلان للحديث معا ، فقام الشاب بالوقوف أمام الباب لحظات ، ثم دفع الباب بهدوء وأدخل رأسه ، فالتـفت السكرتير والمدير إليه وقال السكرتير مخاطبا له : انتظر

ولكنه دخل ولم ينتظر ، وقد أشهر مسدسه ، وهو يصيح وبانفعال شديد : إني قاتلك يا عمري بيك .. فلتمت يا ابن الظالم

وأطلق الرصاص سريعا قبل أن ينهي كلامه ، فأصاب ذراع عمري الذي رمى نفسه على الأرض وفعل السكرتير مثله .. وكان الشاب يطلق الرصاص بهياج وغضب وصراخ وعصبية وكان الحارس قد عاد لتوه، ففزع لما سمع صوت إطلاق الرصاص ، فدفع الباب سريعا ، ورمى الرصاص على القاتل الذي سقط على أرض باب المكتب ، فهجم عليه الحارس ، وكان عمري رغم إصابته قد ضغط على جرس الإنذار والحماية ، وصارت فوضى في المكاتب ، وتم نـقل السكرتير المصاب وعمري المصاب أيضا إلى المستشفى ، وكذلك الشاب الجريح ، وبدأ التحقيق وكانت رصاصتان قد استقرتا في كتف وذراع عمري ، وأصيب السكرتير برصاصات في فخذه وبعد انصراف البوليس والأمن .. أعاد الدكتور يوسف حسان الأمور إلى نصابها ، وطالب الجميع بالهدوء

والانصراف للعمل حتى يعلم رجال الشرطة سبب ودوافع هذا الاعتداء الغادر على السيد الفاضل عمري ناصح محمود الخابي .

نشرت صحف المساء تفاصيل الاعتداء على شخصية السيد عمري في مكتبه الكائن في شارع قطز .. وأعادت هذه الحادثة الذكريات القديمة يوم تعرض بيت عمري في الريحانة لإطلاق الرصاص ، وحادثة خطف حسن ، والكل يتسأل عن سبب هذا الاعتداء ومحاولة القتل الغادرة، فالسيد عمري رجل مشهور بنظافة اليد ، ومعروف بالعطف والإحسان ، وأعماله تقوم على الإحسان أكثر منها على كسب الأموال ، وتوفر فرص العمل للعاطلين ، وتدعم وتمول المشاريع الخيرية والاجتماعية ، فجانب كبير من الأموال يذهب لدور الأيتام والمعوقين والمستشفيات والعيادات الطبية .

وأما بيت الأسرة فكانت الدموع تنسكب من عيون أهل البيت صغيرهم وكبيرهم ، فهل لهذا الرجل الطيب أعداء لهذا الحد من العداوة والبغضاء ؟ .. ولما اتصل بهم الدكتور يوسف ليلا طمأنهم على صحة عمري وصديقه احمد ، وأن فريق الأطباء نزع الرصاصتين ، وأنهما بعيدتان عن القلب ، دب الفرح في قلوب المحبين ، وكثر الدعاء ، ولجأت الزوجتان للصلاة والدعاء والابتهال إلى الرحمن بأن يفرج الكرب عن عبده عمري محمود .. وكانت ريهان تجلس في صالة من صالات الفيلا ومعها أختها أحلام ، وحسن وأخوه محمد وأختهم مريم الصغرى ، فكانت أحلام تقول بحيرة واستفهام : لماذا يكرهون عمي عمري ؟ !

فيقول حسن : لماذا خطفوني قبل عشر سنوات ؟

وأخذ حسن يتذكر يوم جاءه الرجل إلى المدرسة وركب السيارة معهم ، ثم خدروه وساقوه إلى مكان مجهول ، ولما أفاق من تأثير المخدر أو المنوم أركبوه في السيارة ثانية ، وتركوه قرب البيت ثم عاد يقول : لماذا يكرهوننا ؟ ماذا فعلنا لهم ؟

فتقول مريم : من هم هؤلاء يا حسن ؟ !

فيقول باسما لأنه هو نفسه لا يعرف منهم هؤلاء الاعداء : أعداء الخير .. أعداء السلام .. أعداء الأمن ..لم يبق سوى بضعة أشهر ثم التحق بكلية الأمن والشرطة .. ولسوف أحارب المجرمين بغير هوادة .. سوف أفعل بهم وأفعل ..

فقال ريهان : على هونك يا بطل !.. قبل أن تفعل بهم كذا وكذا عليك أن تعرف سبب فعلهم لهذه الجرائم .. لماذا انحرفوا ؟ لماذا أجرموا؟ لتنقذهم من إجرامهم قبل أن تفعل بهم ما تحلم به من الأفعال

فقال محمد : معها حق يا حسن .. لماذا يسرق

هؤلاء اللصوص ؟ لماذا يقتل هؤلاء القتلة ؟
فعاد حسن يقول : صحيح أن هناك دوافع وأسبابا للجرائم المختلفة؛ ولكن على الإنسان ألا يستغل هذه الدوافع للانحراف والشذوذ والشر ، عليه أن يضبط نفسه ويتمالك أعصابه ولا يستسلم لنوازغ الشر والشيطان .. الحقد له علاج .. والغضب له علاج .. ولو كل شخص تربى تربية فاسدة أصبح قاتلا ومجرما ولصا لاختل أمن الناس وأحوال معيشتهم .. كثير من الناس فقراء ولكنهم لا يسرقون .. كثير من الناس يربون تربية سيئة لا يقتلون .. فليس بالضرورة أن كل فقير عليه أن يسرق وينصب ويحتال ويمكر فهناك العمل الشريف والصبر والأمل

فكان السامعون مبهورين من كلام حسن ، فعلقت أحلام قائلة : كلامك أكبر من سنك يا حسن ! ولكن لا تنسى أن عند كل إنسان نقاط ضعف قد تدفعه في لحظات معينة لفعل أشياء يرى فيها أنها دفاع عن نفسه .. فعلينا أن لا ننسى الرحمة والعطف بيننا ، وأن نتعامل مع المجرم على أنه مريض ، ونعالجه كما نعالج المريض ، فهناك أمراض يتمكن الطب من علاجها ومنها أمراض لا يستطيع علاجها ، يعجز الطب عنها .. وبعضها بين بين .. فهناك منحرف يمكن تقويمه وإعادته للجادة والصواب ، وبعضهم لا يمكن تحقيق ذلك معه .. ومنهم بين بين أيضا يتحسن تارة وينحرف تارة أخرى

فقالت ريهان : فلسفة مهمة يا أحلام ! .. ولكنها قريبة من الصواب ؛ ولكن أسباب الجرائم أحيانا تأتي فجأة .. أحوال ظروف عواطف مشاعر .. انفجار .. أليس كذلك يا أخ حسن ؟

ـ بالتأكيد يا ريهان .. فالأمر ليس بهذه البساطة التي نتحدث فيها ، فالإنسان كائن معقد ، ليس كالمواد التجريبية والعناصر الكيميائية نتحكم فيه بالتصنيع والتغيير حسب المعلومات والصفات .. غدا سنذهب لزيارة الوالد .. من سيذهب معنا ؟

فقالت أحلام : كلنا سنذهب .. فقد قال الدكتور يوسف إن الأطباء غدا سيسمحون للناس بزيارته .. فكلنا نحب الأستاذ عمري يا حسن ! هو أبونا كما هو أبوكم

ـ الشكر لكم .. نحن نعرف حبكم لنا ولأبينا وحتى لأمنا

فقالت ريهان : ماذا تقصد ؟ ! أتشك يا ولد بحبنا لأمنا زينب ؟

فقال ضاحكا : أقصد أن الناس يقولون كثيرا على أبناء الضرائر وبناتهم..

قطعت ريهان استرسال حسن عن أبناء الضرائر قائلة : يا حسن .. نحن لسنا أبناء ضرائر .. كانت أمي تتمنى لو يهبها الله ولدا من أبيك .. إنها خائفة

علينا فـتريد أخا ليربطكم بنا أكثر في المستقبل
فقال باسما : أيّ مستقبل ؟! المستقبل عند الله ..
فها نحن سنتزوج يا قمر .. فهذا أفضل رباط
أليس كذلك يا أحلام ؟
فقالت أحلام : بلى .. لم يسع أمي الفرح لما علمت
بذلك الحب والزواج، ولما دخلنا البيت قالت لنا
الآن اطمئن قلبي عليكن .. فحسن ولد مبارك
كأبيه .. لا يحمر وجهك ولا يصفر .. فأمي تحبكم
كلكم مثلنا ، وربما أكثر وترى أنكم ملائكة أو
تشبهون الملائكة
فقال حسن : نحن بشر ؛ ولكن دعوات الأب
والأم مستجابة يا أحلام ! وأنا سأكون لكن
كالأخ وزيادة .. وأنا أحب أمي أنعام ـ وريهان
تعرف ذلك ـ من قبل أن أضعف أمام نظرات
العيون الساحرة .. وأمي زينب تحبكم ، ولا أريد
التدليل على ذلك ، بل فرحت بالمصاهرة كفرح
أمكم إن لم يكن أكثر
كان حسن ذكيا وهو يحلم بأن يصبح ضابط أمن
وشرطة ليلاحق ويطارد الخارجين عن القانون
والنظام .

*****

لم تكد زينب وأنعام يعدن من زيارة عمري الراقد
على سرير الشفاء حتى أخبرتهن الخادمة أم احمد أن
البواب حارس الفيلا أخبرها أن رجلا شرطة
يرغبون بالحديث مع السيدة انعام ، فقالت أنعام :
أمتأكدة مما تقولين لي يا أم أحمد ؟!
ـ هكذا أخبرني عمران
فقالت زينب : أدخليهم قاعة الاستقبال نحن
قادمتان إليهما وهيئ لهما القهوة والتفتت لأنعام
قائلة : لا تقلقي بعد قليل سنعرف سر قدومهما
أدخلت الخادمة الضابطين الشرطيين لصالة الزوار
، وذهبت للمطبخ لإعداد القهوة لهما ، ثم أقبلت
المرأتان وألقتا السلام ورحبتا برجال الشرطة ،
وقالت زينب بقلق : مرحبا بكم .. ما الأمر يا
حضرات الضباط ؟!
فتبسم أحد الضباط وقال : السيدة أنعام ؟
ـ لأ وأشارت لضرتها ، فقالت أنعام بخوف
وتوتر : أنا أنعام ما الخبر يا سيدي الضابط ؟!
فابتسم الضابط المتكلم ثانية وقال : نأسف
للإزعاج ؛ ولكننا نحقق بموضوع الاعتداء على
السيد عمري محمود
فقالت أنعام بحيرة وارتباك : وما دخلنا في
الموضوع ؟!
ـ لا تقلقي يا سيدتي ! .. الآن ستعرفين وتذهب
عنك الدهشة والحيرة
فقالت مقاطعة : عفوا سيدي الضابط .. فالتحقيق
معي في هذا الموضوع خطير ومخيف .. أليس
كذلك يا زينب ؟

فقال الضابط باسما : لا يذهب بالك بعيدا .. أنت لست متهمة بشيء يا سيدتي ..نريد بعض المعلومات

قالت انعام وما زالت الدهشة تسيطر عليها : معلومات !

فقالت زينب : اصبري قليلا يا أم سهام !.. الضابط سيوضح لنا القضية؟

فقال الضابط : أنت كنت متزوجة قديما من رجل يدعى ماهر خلس؟

تطلعت أنعام بعيني زينب ثم نظرت في رجل الأمن وقالت بحيرة : نعم ، وهو والد بناتي الثلاثة سهام وأحلام وريهان .. وقد مات قديما بحادث سيارة .. وأنا منذ سنتين أو ثلاث تزوجت زوج هذه السيدة الأستاذ عمري وهو ابن عم لي

فقال الضابط مفكرا بكلام أنعام : هل كنت تعلمين أن ماهرا هذا كان متزوجا قبل الزواج منك

فقالت : نعم ، كان متزوجا من ابنة عم له ، وقد طلقها ثم تعرفنا وحصل النصيب .. ولقد كان موظفا في مجموعة شركات عمي والد عمري وأبي ناجح الخابي

فعاد الضابط يسأل : هل كنت تعلمين أن له أولادا من زوجته الأولى ؟

فقالت بدهشة : أولاد .. ماذا قلت ؟!

ـ ألم يخبرك ويقل لك أن له أولادا من زوجته الأولى ؟

ـ لا ، لم يخبرني أو يحدثني بشيء من ذلك ، ولما تزوجنا لم أسمعه مرة
واحدة يذكر أولاده أو أن له أولادا حتى ما سمعته ذكر مطلقته في حديث دار بيننا

فقال الضابط : يا سيدتي ! اعلمي أنه كان لزوجك المرحوم ماهر ثلاثة أطفال عندما اقترن بك والذي أراد قتل زوجيكما هو الابن الأصغر للسيد ماهر

فهتفت أنعام برعب : فظيع هذا الكلام ! .. ولماذا يريد قتل زوجنا ؟

ـ يقول انتقام .. يدعي أن والد عمري قتل أباه فهو يريد أن ينتقم لمقتل أبيه ماهر

فقالت بصوت مرتفع شيئا ما : زوجي الأول لم يقتل يا حضرة الضابط .. مات في حادث سير عادي ..

فقال الضابط : هذا ما أدلى به الشاب رامي ماهر خلس .. عمري كما أخبرنا أنه لا يعرفه ، ولا يعرف حتى زوجك السابق لظروف شرحها لنا .. فذهبنا لقرية زوجك الأول فالتقينا بمطلقة السيد ماهر فقالت أن ابن عمها تزوجها أثناء دراسته في الجامعة ، أحبها وطلبها من عمه وتزوجا ، وبعد الجامعة طلقها وهاجر للمدينة ، وكان يتردد على البلدة في المواسم والأعياد فقط ثم قالت علمنا

بأنه تزوج ببنت من بنات المدينة ، ثم علمنا بأنه مات بعد سنوات من الزواج بحادث سير رهيب ؛ ولكن عرف والده من بعض أصدقائه في العمل أن السيد ناصح الخابي كان وراء الحادث .. ولما وصل خبر موت السيد ناصح للقرية قبل شهور عن طريق الصحف التي نشرت النعي المصحوب بالصور الكبيرة ، سمع رامي ابن ماهر أمه تقول لهم عندما شاهدت صورته في الجريدة وعلمت اسمه إن هذا قاتل أبيكم ثم حدثتهم عن هجرة والدهم للقرية وعمله مع السيد الخابي ، ثم زواجه من ابنة ناجح الخابي ، ثم موته بحادث سير مدبر .. هذه هي القصة يا سيدة أنعام .. فهل ترين فعلا أن لعمك الخابي يد في مقتل زوجك ؟

ـ لا أصدق ذلك ، مات ماهر بحادث صدم ولم أسمع شيئا على أنه مدبر .. أنا كنت اشتغل وماهر في إدارة واحدة .. كان شابا وسيما وطموحا ، وكان قد حصل على الماجستير في الإدارة المالية والمحاسبة عندما اشتغل في الشركة ، وكان مسؤول قسم التوثيق والتدقيق ، بل كان ماهرا في إعداد الموازنات العامة الحقيقية والوهمية ، لقد حاز على رضا عمي وأبي .. وكنا نتكلم نتيجة العمل والمجاورة في المكتب ، فحدثني عن طلاق امرأته في القرية وزواج أهل الريف ، ووضح لي أن أسباب الطلاق هي التي دفعته إليها ، وأهمها الجهل والأمية ، وبعد سنوات من التعارف لمح لي بالزواج .. فقلت له تحدث مع والدي ، وفعلا تحدث مع أبي ناجح ـ رحمه الله ـ وكنت يومها ابنة خمس وعشرين سنة ، ولما شاورني والدي بأمره وافقت وتزوجنا وسكنا في شقة في إحدى عمارات عمي ناصح .. ولم يخبرني أن له أولادا من زوجته الأولى قط لا قبل الزواج ولا بعده .. وكان عمي يكلفه بمهمات حساسة ودقيقة لثقته الكبيرة به إلى كان يوما عائدا من مهمة وعلى منعطف إحدى الطرق اصطدم بسيارة كبيرة .. نقل على أثرها إلى المستشفى ، وبعد أيام توفاه الله ، ويوم الوفاة التقيت بأمه وبعض أخواته، ولما انتهى العزاء لم نعد نرى منهم أحدا ، وهي كانت المرة الأولى والأخيرة التي التقي بأمه وأهله .. حتى إنهم لم يسألوا يوما ما عن بنات ابنهم المرحوم .. ثم تركت الشقة وسكنت أنا والبنات مع والدي وأمي حتى تزوجني ابن عمي عمري .. ولكن لماذا ينتقمون من عمري ما داموا يشكون ويظنون أن قاتل ابنهم السيد ناصح

ـ لئن عمري ابن ناصح ، وناصح قد مات ، ولولا موته ونشر صورته في الجرائد ما عرف الشاب بذلك .. هذا سبب زيارتنا لك يا سيدة أنعام ..

وأحضرت الخادمة أكواب العصير ، ولما انتهيا من شربها قال الضابط وهو ينهض : الحمد لله على سلامة أبي محمود .. أشكر لكم تعاونكم ، ونأسف

على ازعاجنا لكم ، وندعو الله أن يعافي لكم السيد عمري فهو رجل فاضل

أخوة البنات

قد بان الآن علاقة المجرم بالسيد عمري وسبب الاعتداء عليه ، الأب يرتكب الجريمة والابن يدفع الثمن ، ماهر خلس كان متزوجا من ابنة عمه التي هويها في أيام المراهقة ، وأثناء الدراسة في الجامعة تزوجها ، وأنجبت له بنتا وولدين أصغرهما رامي ، ولما تخرج من الجامعة بشهادة علوم محاسبية لم يرتح لحياة القرية أو التنـقل بين القرية والمدن الكبرى لمزاولة العمل والشغل فماذا يعمل في القرية بشهادته ؟ ، فطلق ابنة عمه التي أحبها ، وهاجر للمدينة الكبرى العاصمة طمعا بفرصة عمل أو وظيفة في دواوين الحكومة ، فهو من حملة الشهادات الجامعية ، ثم تيسر له العمل في شركات الخابي وخلال ست أو سبع سنوات كان رجلا مهما في شركات الخابي أو في مكاتبها المهمة .. وهناك ـ بعدما أنهى الماجستير ـ في المكاتب الرئيسية التـقى بأنعام ابنة ناجح بيك شريك ناصح في هذه الشركات والمصانع ، وكانت أنعام فتاة هادئة بطبيعتها ومرحة ، فتـعرف عليها واحتك بها كأي موظف يعمل في الشركة ، وقد عملا في مكتب واحد وإدارة واحدة ، ولم تأكد أنها غير مرتبطة بشاب من أبناء العائلات الكبيرة والثرية ، وقد كان بحكم الزمالة والعمل قد حدثها قديما في جلسة من الجلسات عن زواجه ، وتركه القرية ، وتطليقه لامرأته ، .. وكانت أنعام تعلم ثقة والدها وعمها الكبيرة بالسيد ماهر ، فتشجع الشاب وحدثها أو جس نبضها حول الاقتران بها ، فلم تمانع ولم تنظر للفارق الطبقي بينهم ، إنما طلبت منه أن يكلم والدها بذلك ، وتكلم ماهر مع أبيها بذلك الأمر ، وتزوجا كما قالت أنعام زواجا تقليديا ، وعاشا سعيدين بضع سنوات ، ثم مات بحادث اصطدام مع مركبة كبيرة ، وقدمت الشركة لأهله مبلغا قدره عشرة آلاف دينار مواساة لأبيه وأمه ، وكان راتبه أثناء العمل وراتب أنعام بالكاد يصرف على البيت والبنات الصغيرات ، ووجدوا رصيدا يسيرا في البنك باسمه ، فدفعوه لأهله ، وكان السيد ناجح قد تكفل بأنعام وبناتها ، فهو ينفق عليهن بعدما نقلن لبيته .

ولما نشرت الصحف نعي السيد ناصح وصورته بناء على رغبة مديري شركات ناصح الخابي حتى قبل عودة عمري من إيطاليا ، فهم منذ التقطوا خبر موته الذي كانوا يتابعونه منذ سفره الاخير قاموا بالاعلان عن وفاته وتعزية أولاده في الصحف المختلفة دون مشاورة أسرة عمري، فصدف أن رأت القروية امرأة ماهر الاولى الصورة

الكبيرة في إحدى الصحف بين يدي ولدها رامي ، سألت عمن هو صاحب هذه الصورة ؟ فلما ذكر لها الشاب من هو صاحب هذه الصورة التي تملأ صفحة الجريدة تذكرت هذا الاسم ، وتحدثت عما أشيع عن قتله للسيد ماهر ، ولم تستطع كتم ما اشيع في تلك الايام ، وأخذت تنقل ما سمعته للأولاد عن تلك الحادثة القديمة فاحتدم الغيظ في قلب رامي وأخذته الحمية الريفية ووعد أمه بقتل ابن الخابي الذي تقوم الصحف أو إعلانات النعي بتوجيه النعي له ، ولم تأخذ الأم كلام ابنها بجد واهتمام .. وكان رامي قد فشل في الدراسة ، واتجه للعمل مبكرا فعمل بالقرية حينا من الزمن ، ثم انتقل للعمل في أقرب مدينة لقريتهم ، وكان في بعض الاحيان ينزل العاصمة للشغل أيضا ، فلما سمع قصة موت أبيه فهدد وتوعد ، ولم يكترث أحد ممن سمعه لزمجرته ، واعتقدوا أنه انفعال طاريء بعد أن سمع حكاية أمه والقائها اللوم على ناصح الخابي بموته فنزل الشاب المدينة كالمعتاد ؛ لأنه في تلك الايام كان يعمل مع أقارب له في المدينة ، فأخذ يجمع المعلومات عن أولاد الخابي ، فعلم أن للخابي ولدين فقط عمري وسمري ، وأن سمريا في أمريكا ، فأراد أن يجعل انتقامه ممن حرمه من أبيه من عمري الخابي ، ثم خطط لجريمته فاشترى مسدسا ، وقام بفعل الجريمة كما تحدثنا عنها في صفحات سابقة، ولما أصيب رامي بطلقات الحارس غير القاتلة نقل للمستشفى مصابا في فخذه وساقه ، ولما أفاق بعد الجراحة ، وأصبح قادرا للادلاء بأقواله تحدث بدوافعه للجريمة بدون تردد أو مماطلة ، وانتقل المحققون للقرية، ثم اجتمعوا بالسيدة أنعام إكمالا للموضوع ، ثم تم تحويل أوراق المتهم للنيابة العامة .

ولما علم عمري الراقد على سرير الشفاء هو وسكرتيره الأستاذ أحمد بهذه التفاصيل ، قال عمري لنفسه : حسبنا الله ونعم الوكيل .. قاتل الله الجهل .. لا حول ولا قوة إلا بالله العظيم .. أبي يقتل وأنا أدفع الثمن .. لا بأس .. ماذا سأفعل مع هذا اللعين ؟ ! .. إن عفوت أنا لم أعلم من حقائق فالسكرتير أحمد كيف يعفو ؟ ! .. وهو أخو سهام وأحلام وريهان .. وحسن يحب ريهان أخ ريهان كان يريد قتل والده ! (وابتسم) .. سلم الأمر لصاحب الأمر سبحانك ربي ما أعظمك ارحمنا برحمتك الواسعة يا أرحم الراحمين ولا تكلنا لأحد غيرك .. وقنا شر خلقك وشر أنفسنا

لذلك لما أتت أنعام وزينب يعودانه بعد مقابلتها للضابط ، حدثته أنعام عن شخصية المجرم فقال : لا تهتمي يا أنعام أخبرني رجال الأمن

فقالت باكية : أنا والله لا أعرف أن للبنات إخوة .. هو لم يحدثني بأن له ذرية ، وحتى أنا لم أحاول التعرف على أهله خلال مدة الزواج أو بعد موته ، منذ مات لم يصدف أن التـقيت بأحد منهم ، ولا هم حاولوا التعرف على بنات ابنهم .. ماذا أقول للبنات يا عمري ؟! .. هل أقول لهن أن أخا لهن أراد قتل زوج أمهن ؟!

ـ اهدئي لا تنفعلي ستحل هذه القضية .. وسيتـعرف الأخوة على أخواتهم .. وهذا لن يغير من الواقع شيئا .. فبناتك كبيرات وفي سن زواج، وستذهب كل واحدة لبيتها بإذن الله سبحانه ، ولكن لابد من تعارف الجميع والتقائهم لعلاقات الرحم التي بينهم .. أما هذا المعتدي فقد حولت أوراقه للنائب العام لتحويل ملفه للقضاء .. وتأكدي أن هذا الحادث لن يغير من حياتنا كثيرا ..فقد أخبرني صابر أن السيد ماهرا قد قسمت ثروته اليسيرة وميراثه ، وتنازل والدك ناجح عن حصتك وحصة البنات لأهله قديما ، ودفعت لهم الشركة عشرة آلاف تعويضا لما حدث وغير الأموال التي حصلوا عليه من شركات التأمين وصاحب السيارة الصادمة .. ليس لهم عندنا شيء بل نحن الآن لنا عندهم شيء .

*****

لقد وضح وعلم سبب الاعتداء على المدير العام لشركات الخابي الأستاذ عمري محمود ، وتحسنت صحة السيد الخابي والسكرتير أحمد ، فعاد الخابي للفيلا تغمره باقات الدعاء والشفاء والورود والفرح والحب ، ولما استكمل فترة النقاهة رحل للريحانة ، وهناك تفقد دور الأيتام التي كان يرعاها هو وأمه مريم ، وتصدق عليهم ، وتفقد بعض الأسر المعوزة والتي تتلقى إعانات منه ، ومن صناديق الشركات التعاونية ، وزار بعض الموظفين القدماء الذين تركوا العمل لعجز أو مرض أو شيخوخة ، وأهداهم المال والهدايا ، وقضى ثلاثين يوما وهو في هذه الأحوال الروحانية ، ثم أخذ زوجتيه وسافر لجدة ومنها لمكة لأداء العمرة ، وقضى شهرا آخر في ربوع مكة والمدينة ، وبعد استراحته بضعة أيام وليال عاد للعاصمة ثانية ، فزار السكرتير أحمد ودعا له بالعافية التامة ، وقد وجده قد عاد لصحته ولممارسة العمل ، فعرض عمري عليه عملا آخر مريحا أو تقاعدا في البيت ، وأن يتـقاضى راتبه كاملا ، فاختار إدارة دار من دور الأيتام ، فهو يحب هؤلاء الأطفال ، ويرجو الثواب من ربه ، فخطب عمري في ختام الزيارة ابنته لولده أسامة ـ الشاب الثالث في ترتيب أبنائه يصغر عائشة بسنتين ـ وكانت الفتاة التي يريدها لابنه ما زالت طالبة في كلية الإعلام ، فترك أحمد الأمر للشابين ، فاستدعاها عمري ورغبها

بالاقتران من ابنه أسامة ـ المهندس في الشركة المعمارية القائمة في مدينة الريحانة ـ فقالت بأدب : الأمر لك يا عماه .. ما رأي أبي في الموضوع ؟
فقال : أنا أحب أباك منذ أيام الريحانة ، وهو من أصدقاء العمر .. ونحن سنغادر هذه الدنيا مع أننا نجينا من هذه الحادثة الرهيبة ، فالموت قادم يا بنية .. وأنا في هذا الزواج لا أريد أن أسدد دينا لأبيك ، إنما أريد أن أزيد أواصر الحب بين الأسرتين أكثر ، وتقوية الأواصر الاجتماعية ، فإذا كان لديك قبول بهذه المصاهرة والنسب فدعينا نتصل بولدي هناك ليأت سريعا ، ويتم كل شيء بمشيئة الله .. فنحن اخوة وأحباب
فقالت : ظل عليّ سنة في الكلية يا عماه
ـ الزواج لن يعيق هذه السنة
ـ أخشى الحمل ومشاكله .. فأنتم تحبون الأولاد بسرعة .. نخطب فقط
ـ أنا لا أحب أن تطول هذه الخطبة يا بنية .. فأنا عندي حسن ابن الثماني عشرة سنة يريد الزواج
فقالت باستغراب : حسن الصغير يريد الزواج !
فقال موجها كلامه لأحمد : يا سيدي يريد ابنة خالته أنعام الصغرى يدعي أنه محب ولهان بها
فقال أحمد : أخشى أن يكون حب صبيان يا عمري
ـ هو فعلا يريد الزواج ، والبنت كذلك ، ولكن هذه الحادثة عقدت الأمور .. فقد ظهر للبنات الثلاثة أخت وأخان .. والمجرم أحد الأخوين
فقالت هند : وهل هذا يؤثر على زواجها ؟
ـ هو أخوها .. قد لا يؤثر على طباعنا وحياتنا كثيرا ؛ ولكن دينا وشرعا هو أخ لها سوف يزورها ويتعرف عليها .. فهي أخته شئنا أم أبينا .. وقد لا يمكث في السجن طويلا قد يمكث بضع سنين .. فها هم أهله وأهل قريته يطلبون ويلحون اللقاء بنا أنا وأبوك للصلح ونحن حائران في ذلك ؛ ولكننا في النهاية سنرضخ لتوسلاتهم وبكاء أمه ، وسيقضي في السجن الحق العام حق الدولة فحسب .. فقد زارت أمه البيت أكثر من خمس مرات ونحن في مكة والمدينة والريحانة
وقال أحمد : وزارني جده وبعض أفراد أسرته وعشيرته ، فقلت لهم لما يرجع أبو محمود نتكلم في الموضوع .. ولكن يا عمري هل يعقل أن يكون والدك قتل زوج ابنة أخيه كما يدعون ويتمتمون ويتهمون ؟ !
سكت عمري لحظات قبل الرد ، ثم قال بعدما مسح جبينه بمنديل قماش : مما علمت فهو قتل بحادث سير ، وقد أثير فعلا حول الموضوع لغط وإشاعات .. هكذا تقول امرأة عمي عزيزة .. ولكن لا يستغرب مثل ذلك عن أبي
ـ أمعقول هذا الكلام ؟ !

ـ أنا لم أعاشر أبي كما تعلم كثيرا .. للأسف كان أبي وحشا في صورة إنسان يا أحمد

فقالت هند : إنك تقول كلاما قاسيا يا عماه في حق أبيك ؟!

فقال : للأسف أقول ما تسمعين .. أبي لم يسجد لله سجدة واحدة ، وهو يموت أحثه على قول لا اله إلا الله فيقول دعني ، فعلنا كل المعاصي وكل الجرائم وتريد أن نقول هذه الكلمة دعنا ليوم الحساب .. أنا خرجت قبل العشرين إلى بريطانيا للدراسة ، ولم نكن نرى الجانب المظلم في حياة ناصح الخابي ، وكنت غارقا في الشهوات والملذات لم أكن أكترث لو سمعت شيئا ..كل شيء مبرر ، ولما عدت بعد سبع سنوات عدت متعبا نفسيا ، لقد خسرت أموالا كثيرة على الموائد الخضراء في باريس ولندن ، فلما تراكمت عليّ الديون والخسائر أتى أبي وسددها عني، وأعادني معه ، وقضيت سنة أو أكثر لا أخرج من البيت إلا للطبيب النفسي ، ثم عملت مع أبي سنتين أو ثلاث ثم سلمني قيادة مصنع للسجاد .. كان الوضع غير طبيعي فيه ، أبي كان يغرق مشاريعه بالجواسيس سواء من العمال أو الإدارة ، لا يثق بأحد ، ومع ذلك كان يسرق ويسلب فلا أستغرب منه أي شيء يا هند .. كلام مؤلم ولكنه هو الحقيقة .. ثم قدر الله لي الهداية والتوبة ثم الهرب من البيت ...

فقالت : الهرب .. !

فقال مؤكدا : الهرب .. إيه يا هند لقد ذكرتيني بعقود وعشرات من السنوات قد ذهبت

فقال أحمد : كفاك أسئلة يا هند

فقالت هند بحماس : ما رأيك يا عماه ! أن أكتب لك قصة حياتك كما يفعل المشاهير ورجال المال والاقتصاد ؟

فضحكوا لأقتراح هند ، وقال عمري : لا يوجد لي قصة تستحق الكتابة يا ابنة أخي .. لما هربت كان معي أموالي التي كنت أقبضها من أموال الشركة ، فشغلتها بعدة مشاريع في الريحانة وكل مشروع تولد عنه مشروع أو أكثر وهكذا

فقالت : لابد أن هناك لقطات مهمة في حياتك وفواصل

ـ أهم فاصل في حياتي يا حبيبتي التوبة والبداية مع الله سبحانه .. سنحاول تسوية موضوع رامي .. آ .. يا هند هل أتحدث مع أسامة ؟

فقال أحمد باسما وهو ينظر لابنته الوحيدة : اتصل به يا عمري فعيون هند تقول اتصل

فضحكت هند لمداعبة ابيها وقالت : والله عمي عمري لا يكسف ولا يفشل .. نسمع رد أسامة أولا فإذا قبلني زوجة على سنة الله ورسوله فأنا لا أمانع ، أما أن تجبروه على ذلك فلا أقبل .. وأيضا لابد من مشاورة أخي وأمي بذلك

فضحك أحمد : المهم أنت .. حمزة يريد الدكتورة عائشة ، وهو ينتظر إنهاءها الاختصاص

وهذا تكلمنا فيه قديما

فقالت : أموافقة عائشة ؟

ـ أبوها الموافق .. عائشة لا ترى مثيلا لأبيها في الدنيا ولا تعصي له أمرا

فتبسمت هند وقالت : وأنا لا أعصي لأبي أمرا .. كلي طاعة لكما

قال عمري : جزاك الله خيرا .. هات الهاتف لتسمعي قول المهندس أسامة عمري

لما دخل عمري للمنزل وتناول العشاء مع أفراد الأسرة ، وأخذ يرشف فنجان القهوة كعادته في غرفة الاسترخاء والجلوس ، وتفرق بعض الأولاد في حجرات الفيلا ، فقد كان أبو محمود يحافظ على مشاركة الأسرة العشاء بالذات ، وكان أفراد الأسرة يحبون الجلوس حوله والسمر معه ،فلما انتهى من شرب القهوة ، سمع زينب تسأل : مالك لا تتكلم ؟! .. منذ دخلت البيت وأنت قليل الكلام .. هل صليت العشاء ؟

ابتسم عمري وقال : صليت العشاء بمسجد قريب من بيت أخي أحمد أبي حمزة .. فقد كنت أطمئن على صحته

ـ ما أخباره وأخبار أم حمزة وهند وحمزة ؟

ـ صحته تمام بفضل الله ، وهو يفكر بأداء العمرة قريبا .. وأم حمزة خرجت مع الأولاد في عيادة أحد اخوتها وكانت هند هناك

فقالت أنعام : إنها فتاة لطيفة وذات مشاعر حساسة ورقيقة كيف هي ؟ .. لقد كانت تبكي يوم الحادث بكاء مزق القلوب

ـ الجميع بخير وقد طلبتها من أبيها ؟؟

فقالت زينب مداعبة لزوجها : لك يا أبا محمود ؟!

فقالت عائشة الصامتة : ليت أبي يفعلها يا أمي لنرى ماذا ستفعلين ؟

فقالت أنعام : أبوك شيخ كبير بعد أنعام لا يفكر بالزواج .. وهو تزوجني على استحياء

فقال حسن مازحا : ربما بعد الحادث دبت فيه قوة الشباب والحياة

فقال عمري وهو يعدل من قعدته : تذكرت أين قمرية ؟

فرد محمد أصغر أبناء عمري : ذهبت عند عمتك رباب .. فقد اتصلت بها عصرا .. طلبت هندا لمن يا أبي ؟

فأجابه عمري ضاحكا : لك يا ولدي .. ما رأيك ؟ !

ـ إنها أكبر مني .. إنها تصلح للمهندس أسامة

فضحك عمري والحضور لأعتذار محمد وقال : أسامة ! .. نعم، هو أسامة يا زينب ، ولما أبدت الموافقة والرضا تكلمنا مع أسامة من بيت

عمكم أحمد ، وقلت له القصة ، فقال هو الآخر إذا هي موافقة فأنا موافق فقلنا على بركة الله سبحانه.. وستكون الخطبة خلال يومين وهو قادم غدا أو بعده فاستعدوا لذلك .. أنا أقدر وأحترم الصديق أحمد ، فهو من أوائل الرجال الذين قامت على أكتافهم شركات عمري محمود وهو رجل فاضل

فقالت زينب : وموضوع عائشة ؟

فقالت عائشة مازحة : أمستعجلة يا أمي على فراقي . ؟! فقالت زينب : دراسة الطب طويلة يا ابنتي .. وأنا في سنك كنت قد خلفتك وأخاك محمودا وأسامة أيضا

فقال عمري : حمزة جاهز .. ينتظر إنهاء الدكتورة الاختصاص .. وهو من الرجال الذين يعتمد عليهم .. وهو ابن أبيه وجراح ممتاز

ولما انتهى التعليق والتعقيب والتبريك والتهئنة ، وقام بعض الحضور للنوم ، التفت عمري لسهام وقال بحب وعطف : ماذا حدث معك يا سهام ؟ ومالك لا تشاركينا فرحتنا ؟

فقالت : إنني فرحة بما أسمع من أخبار يا عمي ! ولكن منالا تقول إن فوازا صرف نظره عن الزواج وانشغل بدراسة الماجستير

فقال عمري : لا تحزني يا بنيتي .. هذا خير لك صدقيني .. هذا من لطف الله بك .. لا يريد لك أن تعيشي في بيئة قد تخلص منها الجميع .. لقد كان منذ البداية مترددا في تحديد الموعد .. فالموعد لا يحتاج لكل هذا الانتظار

وقالت أنعام التي على دراية بذلك : وتسألها منال هذه بتهكم واستهزاء .. هل صحيح أن الذي أطلق النار على زوج أمك أخوك ؟ .. انظر إلى هذا الكلام الجارح والقاسي ممن تدعي أنها صديقة لها ..

أخذت الفتاة تبكي بهدوء فقال عمري : دعي الدموع .. لا تبكي يا سهام ! .. دموعك عزيزة علينا .. ربنا يقدر هذه الأشياء لأشياء خيرا منها .. فلو لم تحدث هذه الحادثة لما عرفت حقيقة هؤلاء الناس .. وما ذنبك بجريمة أخ لك ؟! .. أنت متضايقة من اللباس الشرعي لأنه طارئ عليك، وطبيعة الكلية التي درست فيها كلها سفور وتبرج ، فكنت ترين نفسك شاذة في السنتين الأخيرتين .. أما الآن بعد تحررك من ذلك الجو الفاسد سترتاح نفسك رويدا رويدا وبعدما ترتاح نفسك فلدي شاب ممتاز ولائق بك وسيسرك الاقتران به .. لن اذكره الآن حتى لا تظني أنني أفرضه عليك .. بس حاولي مع فواز مرة أخرى وأخرى .. وتأكدي أننا نحبك وتهمنا سعادتك .. اذهبي بها يا عائشة إلى حجرتها

مسحت الفتاة دموعها وقالت : لا .. أحب البقاء

أنا كما قلت لك يا عمي ليس بيني وبين فواز عهود ووعود .. زمالة كلية وكنت أظنه الرجل المناسب لي ولا أدري لماذا يتهرب ؟!

فقالت زينب : يا ابنتي ! أنت ابنة العائلة .. ولا تهتمي وتتأثري من أخيك رامي ، فهو فتى طائش جاهل .. وستتعرف على هؤلاء الناس وتنصلح الحال .. وهم في حال وأنتم في حال وهو كان يظن أن عمريا كأبيه له يد في موت والده .. وتقاليد القرى والفلاحين فيها نوع من الخشونة والقسوة وروح الثأر والانتقام .. وتربيتهم تقوم على الخشونة والكرامة المبالغ فيها والجاهلية .. فعندما يتعرفون على عمك ستظهر من نفوسهم طيبة الفلاح طيبة القروي .. وهم اخوتك مهما حصل وسيبقون اخوتك ولا تزر وازرة وزر أخرى

فقالت أنعام : أنت طيبة يا زينب ! .. لنا أكثر من عشرين سنة لم نسمع بهم .. أي اخوة وأي أقارب ؟

فردت زينب : زوجك ماهر - رحمه المولى ـ لم يحدثك عنهم فهو المخطئ .. لماذا كتم ذكرهم عنك لما رغب بالزواج منك ؟ ! فقالت بحيرة : لا أعلم لماذا فعل ذلك ؟

ـ ولما مات كان الأولاد أطفالا ، وأخبرتنا أمه أن ابنه فائق ابن ست وعشرين سنة ، وهو سائق في مصنع قريب من البلدة ، والبنت ميسون متزوجة في القرية من قريب لها ، وأما رامي فهو أصغرهم وهو ابن عشرين سنة ، وبينه وبين أخته خمس سنوات ، فيظهر مع احترامي لمشاعر الجميع أنه لم يكن مطلقا زوجته كما قال لكم أو أنه ردها بعد زواجكما ؟!

تمهلت أنعام قبل أن تجيب ثم قالت وكأنها تتذكر تلك الأيام الخوالي : هو كان يحدثنا عن طلاقه قبل أن يفاتحني بالزواج بحكم الزمالة في المكتب والشغل ، ونحن يومئذ لم نتأكد من ذلك ؛ لأن الأمر لم يكن يهمنا لا في قليل ولا كثير ، ولما دار الحديث بعد سنوات عن الزواج لم نسأله عن ذلك للمعلومات السابقة المستقرة في أذهاننا عن طلاقه وهجرته ولحياته في المدينة ولا أنكر أنه كان أحيانا يغيب عن الشغل والدوام بحجة أعمال خاصة يقوم بها لحساب عمي ناصح ووالدي ، لم ادقق في غيابه وتحركاته ، كانت الحياة طبيعية وهادئة ، لم يكن بيننا مشاكل وريب حقيقة أنه كانت هناك حركات غامضة بينه وبين عمي ناصح ، ولما أسال أبي صدفة عن ذلك فيجيب لا تتدخلي فيما لا يعنيك ، فإنها صفقات سرية فاصمتي خيرا لك ولنا فاصمت ، ولا أهتم كثيرا لغيابه لأنني واثقة أنه يعمل لعمي .. وكنت أيضا مشغولة بالبنات والحمل والولادة والطبيبة والعيادة حتى الشغل أيامها أنا كنت أتغيب عنه كثيرا

فقال عمري : سنـعرف عندما يأتي أهل الولد كثيرا من المعلومات عن هذه القضية .. لقد أطلعني والدي في أيامه الأخيرة على أشياء تقشعر منها الأبدان عن النشاطات السرية للشركات وقد ذكر هذا الرجل على لسان أبي أكثر من مرة ، وقد كان شخصا محبوبا من أبي وعمي وإلا لما زوجوكما يا أنعام .. ابنة ناجح الخابي تزوج لفلاح قروي !

فهمست أنعام : هذا ما أقوله ؟! .. لولا رضا والدي وعمي عنه ، لما وافقا على زواجنا بسهولة وخصوصا عمي ناصح .. وأنا لم أر منه سوءا، بل كان نعم الزوج ، ولم أر منه تقصيرا يوما ما ، وحياته الخاصة لم أتدخل فيها هكذا تعودنا ، وسنتـعرف على هؤلاء الاخوة يا سهام

فقال عمري ملتفتا لسهام : لا تجعلي يا حبيبتي ! قضية هذا الأخ قضية كبرى في حياتك وحياة أخواتك ، فهذه الاخوة باقية ، وليست باختيارنا فحتى لو تدابرنا وتعادينا ستبقى الاخوة .. فهي اختيار رباني ، وكل إنسان مسؤول عن نفسه .. فانظرن أنا ابن من ؟ !

قرية ماهر

تنازل عمري ناصح وأحمد عبد القادر عن حقهما في قضية رامي ماهر من أجل خاطر بنات أنعام فقد أتت أم الشاب وجدته وكبار رجال القرية إلى السيدين عمري وأحمد واعتذروا لهم عما سببه لهم الولد الطائش من ضرر وإصابة ، وتحدث جده كثيرا مبديا أسفه على الحادث وقال معتذرا : أم الولد حمقاء يا أبا محمود ويا أبا حمزة ! .. وموت ماهر له سنوات وسنوات فلما شاهدت تلك الحمقاء أم فائق الصورة في الجريدة ، سألت الولد صورة من هذه ؟ فذكر لها اسم الوالد ناصح الخابي ، فتذكرت الماضي وما قيل في تلك الأيام حول الحادث ، وقد كان المرحوم ماهر قبل أن يموت بأيام قد أتى القرية وتحدث أمامي وأمام غيري ، وقال لنا إن حياته باتت في خطر وأخبرنا أنه ارتكب غلطة مع صاحب الشركة فلن تغتـفر وأوصاني على الأولاد ، وكان المرحوم قد طلق زوجته صبيحة ، وهرب إلى المدينة ، وبحثنا عنه ، فلم نجده حتى علمنا أنه متزوج من ابنة أحد أصحاب الشركة ، صبرنا إلى حين ، ثم أرسلنا له أخاه وائلا ـ وأشار لرجل في المجلس ـ فتكلم معه وأمره بالعودة للأهل وإلا فضح أمره للسيدين ناصح وناجح .. وكان لا يستطيع الاختفاء من جديد بعدما أصبح من رجال السيدين ناصح وناجح الخابي .. فأتانا وتصافحنا وتصالحنا واتفقنا على أن يتزوج ابنة عمه مرة ثانية ، فبعد تمنع واحتجاج بزوجته في المدينة ، قلنا له لن نخبر أحدا بزواجك .. فبعد ضغط مني ومن عمه والد زوجته عقد عليها من جديد ، وأصبح يتردد على البلدة

كلما سنح له ذلك أو كلما كلفه أبوك بمهمة خارج العاصمة ، إلى أن جاء في الأيام الأخيرة له من الدنيا وحدثنا عن الخطر الداهم المحيط به .. وفي الحقيقة لم يكشف سر هذا الخطر وأسبابه، إنما كان يظهر خوفه من ولي نعمته فحسب .. نحن بالطبع لم نأخذ الكلام على شكل جدي للمشاكل التي بيننا وبينه من طلاق ابنة اخي وهربه للعاصمة وعدم الاتصال بنا .. إلى أن جاء الخبر بالحادث المروري ، فقد اصطدم ذات يوم بمركبة كبيرة ادعى سائقها أن عطلا فجائيا حدث لها .. ونحن اتهمنا السيد ناصح بتدبير الحادث للخوف الذي حدثنا عنه قبل موته بأيام ؛ ولكن الشرطة نـفت أي علاقة أو معرفة بين صاحب الشاحنة والسيد ناصح ، وقد ثبت أن عطلا فنيا حدث للمركبة .. فنحن في تلك الأيام ظل الشك مسيطرا علينا ، وذهب دم ماهر غدرا .. والله أعلم بالحقيقة .. وحاولنا الحديث مع بعض زملائه وأصدقائه في العمل فلم نتوصل بطرقنا إلى شيء .. حادث عارض ، وقامت الشركة بدفع أموال لنا ، فاضطررنا إلى اللجوء إلى الصمت حتى تظهر الحقيقة، وقد حاول بعض الأشخاص من معارف والدكم مساعدتنا والتأكيد لنا أن السيد الوالد له يد في حادث السير .. سيارة ماهر بالشاحنة .. ولكنه كلام من غير دليل ، وقد قام السيد ناجح بما يلزم الميت ، ودفع فواتير المستشفى والعزاء وعدنا للقرية ونسينا دم ابننا بعد زمن ، وكبر الأولاد إلى أن دخلت تلك الجريدة البيت ورأتها أم الأولاد ، وسألت عن صاحب هذه الصورة ، فقرأ لها رامي اسم الميت الذي تملأ صورته صفحات الجريدة .. فتذكرت وقصت حكاية الرجل على أبنائها من زوجها الثاني ـ فقد زوجناها بعد ترملها ـ وكان بينهم رامي ابن المرحوم ماهر ، فغضب الولد وهدد وتوعد ؛ ولكننا لم تحمل كلامه محمل الجد .. وهو يشتغل في المدينة ،ولم نعلم بعمله المجنون إلا عندما اتصلت بنا الشرطة .. فهذه هي القصة يا أبا محمود .. ونحن لا ننكر تقصيرنا اتجاه بنات ابننا ؛ ولكننا كنا مطمئنين لغنى والد أمهن وعمها .. والحضانة كما هو معروف من حقها ، وكذلك ابتعادنا منذ البداية عن هذا الزواج ، وعدم معرفتنا به إلا صدفة .. دفعنا للسكوت، وكنا نرى من المستحيل من أن نتمكن من أخذهن للقرية فأهملناهن .. ونحن أيضا لا نريد منهن شيئا سوى التعارف ، ولولا الحادث لظل الأمر نسيا منسيا

فقال عمري : ونحن أيضا نريد هذا التعارف وسوف نسعى إلى تزويجهن ليستقللن في حياتهن وهن لا ينسين اخوتهن وأهلهن وأنا قد أصبحت بمثابة الأب لهن بعد زواجي من أمهن .. واعلموا أن البيت يرحب بكم في كل وقت .. وإذا كانت

قريتكم بحاجة إلى مدرسة أو أي مساعدة فأنا جاهز ومستعد لذلك

فانهال عليه الحاضرون بالشكر والثناء والاعتذار ، وتحدث كبير القوم فقال مشيدا بتسامح عمري وأحمد : غمرنا صفحكم وشهامتكم .. بارك الله فيك يا ابا حمزة .. وبارك الله فيك يا أبا محمود .. كفيت ووفيت ووصلت الرحم ولم تقطعه .. وكنا نود أن نتعرف عليك بظرف أجمل من هذا .. ونحن نعتذر ونتأسف عما سببنا لكم من أذى وإزعاج وأنتم أبرياء من أفعال لم تعاصروها ، وسيبقى حبل الود متصلا بيننا ، وسنستفيد من مشاريعك الخيرية وطيبتك في قريتنا ، فقد علمنا عنكم الشيء الكثير من الخير يا أبا محمود

فقال عمري : نحن نرحب بكم ، وسترون منا ما يسركم بإذن الله .. والبنات الآن قد تعرفن على جدتهن وعماتهن وأختهن ميسون .. فنحب أن يذهب الأعمام وأبو ماهر وفائق لمعرفة بناتهم بهذه المناسبة

وتعهد عمري لأهل القرية ببناء المسجد القديم بعد هدمه بآخر جديد ، وإنشاء دار أيتام ومدرسة لهم بجوار المسجد ، واستعد لإنشاء معصرة زيتون للإنفاق على المدرسة ودار الأيتام فتفاجأ القوم بكرم السيد عمري ناصح ، وتحمس رجال ومختار القرية لدعوته لزيارة بلدتهم فوعدهم بزيارة ، وأنه سيأتي وبناتهم للتعرف على قرية أبيهم ، ثم أخبرهم بأنه سوف يزوج ابنتهم ريمان لولده حسن ، فغمرهم السرور والفرح ، وظن بعضهم أنهم يحيون في حلم حتى أن بعضهم وسوس له الشيطان أن هذا كلام في الهواء ، واندفع إليه السيد عمري للمشاعر والموقف الذي يحيونه تلك اللحظات ، ولما تناولوا العشاء على مائدة السيد عمري عادوا لقريتهم يلعنون الساعة التي حاول ابنهم فيها قتل هذا الرجل الجواد ، وقبل أن يفيق القوم من الحلم كان فريق من المهندسين وكبار الموظفين لدى شركات الخابي يدهمون بيت المختار في الصباح الباكر .. فتجمع أهل القرية عليهم ، وساقهم المختار حيث يقبع المسجد ، وهو مستغرب من سرعة عمل الخير لدى السيد عمري محمود ، فشاهد القوم المسجد القديم ، فقام المهندسون بدراسة الموقع نظريا ومكان المعصرة .. وتقرر إقامة مكتب لمساعدة الفقراء ومد العون لهم ، وخلال شهر كان المسجد قد شيد مكان القديم ، وتم إقامة دار للأيتام ، وبناء مدرسة للأطفال ، ومكتب مساعدات حول المسجد ، وكان على المختار تدبير الكوادر الذين سيعملون في هذه المرافق ، وكمل ترتيب كل شيء ، وخلال ثلاثة شهور تم إنهاء كل شيء ، وكان الناس يلهجون بذكر السيد عمري ، ويرقبون في شوق زيارته التي

وعدهم بها ، ولما زار القرية حل ضيفا على المختار الذي صنع وليمة لأهل القرية جميعهم ، فشكرهم عمري وبارك لهم كرمهم وهنأهم بإتمام المسجد وملحقاته والمعصرة ، ثم أخبرهم برغبته إقامة مشاريع إنتاجية ، ووقف أرباحها على المسجد والمدرسة ودار الأيتام ومساعدة الضعفاء والفقراء لأن الظروف قد تتغير، والموت قادم ، والأشخاص نفوسهم تتـغير ، ولا يكن الحماس لديهم كحماسه .. فاشترى أراضي شجرية وأوقفها على تلك الأشياء ، ووعدهم بإرسال مهندسين زراعيين لتحسينها ، وتوفير الماء لها بحفر الآبار وتسبيلها ، وقبل مغادرة القرية أخبرهم بقرب قران ابنه حسن من ابنة ابنهم ، وأنهم قد كتبوا الكتاب الشرعي بحضور والد ماهر ، فبارك القوم هذا الزواج ودعوا للسيد عمري بالمزيد من العطاء والعافية ، وعند المساء أخذ البنات وعاد للمدينة ، وقد ترك في قرية والدهن ابتسامة بيضاء وقال : لعل الله سبحانه يغفر لأبي .. فقد اعترف لي بأنه هو الذي دبر مكيدة قتل ماهر خلس .. رحم الله والدي

جرى الاحتفال المتواضع بزواج حسن عمري الشاب الصغير الذي أنهى الثانوية العامة بنجاح على الفتاة الحسناء ريهان ماهر الصاعدة لامتحان الشهادة الثانوية العامة بفيلا الوالد عمري التي أصبحت من حصته بعد تقسيم ميراث أمه ، وقد أعد وهيىء لهم مسكن في الفيلا ، فالسيد عمري بدأ يفكر بإنشاء طابق جديد في الفيلا أو الرحيل للريحانة ، وبعد الزواج بزمن يسير التحق حسن بكلية الشرطة ليصبح رجل أمن في المستقبل حسب رغبته وهوايته .

*****

كانت الشهور تمضي ولا تتوقف وتلد الأيام أحدثا ، وعمري مشغول الفكر والذهن بابنة زوجته أنعام الآنسة سهام ، فكان يسأل أنعام عنها كثيرا ، فلما فرغ من زواج حسن كرر استفهاماته عنها فأخبرته أنها تعيش على وهم وأمل فقال : من الضروري أن تتزوج الفتاة يا أنعام .. فأنا لدي عريس مناسب لها وستجد السعادة معه إن شاء الله تعالى ، وقد تحدثت معه ومع أبيه فسروا بذلك ، وهم ينتظرون إشارة منا .. فقد تزوجت ريهان وأحلام على الأبواب

فقالت بحرقة الأم : تكلم معها أنت .. فعندما أسالها ما أخبار فواز ؟ تلزم الصمت وترد أحيانا قائلة إنه مشغول بالماجستير كما تقول منال أخته فتصدق المسكينة

- أعتقد أنه شاب عابث وساخر ، لا يهتم بعواطفها ، إنما كان يسخر من شعورها وميلها نحوه

فقالت أنعام : وأنا مثلك اعتقد هذا الاعتقاد .. فهل صحيح أنك سترحل إلى الريحانة وتستقر فيها كما تتحدث زينب ؟ !

فقال : أجل أيتها الحبيبة ! .. أمس كنت في زيارة عمتي عزيزة ومعي زينب ، وتحدثت بهذه الرغبة .. لقد فكرت بدلا من البناء وجمع الأولاد كلهم في هذا المسكن الواسع أن أرحل وأسكن في ضاحية الصالح إنني أحن إلى ذلك المكان .. وليس هذا فحسب بل أفكر بتسليم المهندس أسامة إدارة المشاريع ، وأعتكف في البيت وانشغل في العبادة .. فقد زهدت في هذه الدنيا .. فالأحلام قد تحققت والأولاد كبروا .. ونحن كبرنا يا أنعام .. فبعد زواج أسامة من هند سأتخذ القرار الحاسم .. فما رأيك ؟

ـ والبنات يا عمري ؟

ـ أحلام سيتزوجها ابن بدرية كما جرى بيننا من كلام ، والبنت مسرورة بذلك ، ومحمد ابن فائز يكاد يطير من الفرح بموافقتها .. وسترحل معنا إلى الريحانة وتتزوج هناك ، وقد ترحل معنا سهام أيضا إذا أعرضت عن ذاك الشاب ، فنحن لا نريد الضغط عليها .. أما أنت أين ستكونين معها أم معنا ؟ وضحك

فجارته في الضحك وقالت : أنا سوف أكون حيث تكون .. وأعرف أن أمي تنتظر ساعاتها الأخيرة فقد كانت واهنة والطبيب يتردد عليها صباحا ومساء

فقال عمري : إذا رحلنا وأحببت البقاء هنا عند الأولاد عند صهرك حسن فلك ذلك .. حتى يتوفى الله أمك ويتغمدها برحمته .. فلست متضايقا إذا حدث هذا

ـ سوف أنظر في الأمر لما تقرروا الانتقال ، متى سيكون عرس أسامة ؟ ـ عندما تنتهي هند من اختبارات هذا الفصل ، وقد نزوج عائشة في نفس الحفل من حمزة أحمد .. أين زينب ؟

ـ مريضة راقدة في الفراش

فنهض ملهوفا وهو يقول : لم لم تخبروني عندما دخلت ؟ .. ظننت أنها ذهبت لزيارة أمها مع أخيها الحبيب حسن ومحمد

ـ لا ، لم تذهب .. قامت عائشة بتطبيبها ، ثم اتصلت بطبيبة صديقتها .. قامت بفحصها للاطمئنان أكثر ، وقالت بعض الإرهاق والتعب

ـ تعب وإرهاق .. من ماذا ؟ زينب تظن أنها مازالت صغيرة .. تحب العمل

ـ الحبيبة زينب .. ما زالت تعامل الأسرة كأنهم أطفال وصغار ، ولا تركن على طعام أم أحمد تحب الطهو بنفسها

فقال وهو يمشي نحو باب الفيلا : هيا نطمئن

عليها .. زينب قصة حياة يا أنعام
فقالت انعام مازحة : أليست أحلى أمراة في العالم ؟! واليست أخت حسن صديق العمر ؟!
تمهل عمري بعدما سمع مداعبة زوجته انعام ، ونظر الى يمينه حيث تمشي زوجته أنعام ، وقال متنهدا : يا الله ! ما أسرع الزمن يا أنعام ! .. حسن كم أحببت هذا الانسان ! .. لما طلبت منه أن يعلمني كيف الصلاة لأول مرة ؟ نظر اليّ دهشا .. وقال مستفسرا ماذا يقصد السيد المدير بكيف الصلاة ؟! .. لي ذكريات جميلة مع حسن أيام مصنع السجاد في حياة والدي - رحمه الله تعالى ـ ومع الشيخ علي الحمد ـ رحمه الله تعالى ـ العمر يسير بنا ركضا .. حسن عندما جئت خفية للعاصمة بعد شهور من الاختفاء جئت لاتزوج أخته .. كان قد شرح لأهله ظروفي لما حدثه الشيخ علي بأمري .. وافق أهله بدون أي شروط أو طلبات .. كان زواجي من ابنتهم يومذاك مغامرة .. مغامرة كبيرة ؟ .. أليس قد يرغمني أبي لوحدث الصلح مبكرا على تركها ؟ أيناسب ناصح الخابي عامل المصنع البسيط .. يا إلهي !
ترك الحديقة ومشى مسرعا نحو غرفة زينب الراقدة من الوجع والألم ، فوجدها ممددة على سريرها والأولاد حولها ، فألقى السلام وتقدم فقبل جبينها وقال : كيف حالك يا زينب ؟
انزعجت كثيرا عندما أخبرتني أنعام بتعبك لماذا لم تخبروني بالهاتف ؟
فقالت زينب بضعف : لم نحب إثارة قلقك وخوفك .. وعكة بسيطة .. تقول الطبيبة إنما هو قليل من التعب ونقص في الأملاح .. انظر إلى الأولاد حولي يريدون أن يشعروني بأنني عجزت وهرمت يا عمري
فقال عمري : لا ، يا زينب ! نحن كبرنا فعلينا مراعاة صحتنا وجهدنا ، من الصباح سنذهب إلى المستشفى وإجراء صور طبية وتحاليل
فابتسمت وقالت : الأعمار بيد الله مولانا العظيم
فقال : المرض يا زينب ليس له دخل بالموت والحياة .. الحياة بيد الله والموت بيد الله .. والعلاج من الأخذ بالأسباب ، والمرض بيد الله وهو الشافي إذا مرضنا ؛ ولكن النبي صلى الله عليه وسلم قد تداوى ، وأعظم الدواء كتاب الله سبحانه .. غدا بمشيئة الله يا عائشة سنذهب سوية .. فزينب أمنا واختنا وحياتنا
دمعت العيون من الجميع ، وقالت زينب : أبكيتنا يا أبا محمود ! .. بارك الله فيك يا عمري أنت نعم الزوج والأهل .. منذ جمع الله بيننا لم يغررك المال يوما ما ، لم يغررك الجاه ، وفي مملكتك آلاف العمال ، منذ عرفتك وأنت عمري .. لقد ثبتت على العهد .. تركت الثروة الكبيرة والملايين لتثبت على الإيمان

.. ولتصنع مجدك الخاص .. أعطاك الكريم عطاء الكريم .. ولم يفتنـك الدرهم ولا الدينار .. آلاف الدعوات تصعد إلى السماء تبارك لك مالك من أفواه اليتامى والأرامل والأصدقاء

كفكف عمري دموعه وهو يردد : كفى .. كفى يا ابنة الأكارم ! .. فأنت ابنة الأخيار والاجواد فقد ربوك تربية طيبة ، فأنبت نبتة طيبة .. فكنت خير عون في السراء والضراء. . لم أنس دموعك ولهفتك يوم تلقينا رسالة بدرية .. كنت لي نعم الزوجة والأهل .. آه ! كم دعوت للشيخ المرحوم علي الحمد الذي أشار عليّ بهذا النسب ! فكان نعم الاختيار والتوفيق

فتنحنت أنعام وقالت : لا تنسوا أننا هنا يا أهل الخير ..

فقالت عائشة : والله يا خالتي ! إننا نسمع كلاما عظيما اليوم يثير الرهبة في النفوس

فقالت زينب : أنت وردة يا أنعام ! لقد أحببناك في الله .. وكنت نعم الأخت والصديقة .. رائعة وطيبة .. ولم أشعر في لحظة أنك غريمتي أو ضرتي .. أخلاقك رفيعة وطيبة ومنبتك حسن .. وكم أثنيت عليك امام سيدنا عمري ابي محمود !

نهضت أنعام وعانقت زينب وهي تبكي من حرارة ألفاظ زينب وقالت : اسكتي يا حبيبتي ! بل أنت الأميرة .. أنت شيء عجيب .. لا غيرة ولا خوف إلا من الله .. مخافة الله بين عينيك في كل مقام وكلام .. كلك حب وأمل .. الحلال أولا .. الحكم الشرعي أولا .. الثقة الكبرى برضا الله .. الزوج هو الجنة .. الأولاد هم العمل الصالح .. السعادة تغمر الجميع من حبك ودعواتك الصادقة للجميع

كانت زينب تبكي بحرارة وحرقة من كلام شريكتها في زوجها ، والحاضرون تذرف دموعهم غزيرة لصدق المشاعر التي تتحدث بها الزوجتان

ابن نوال

شخصية من شخصيات الرواية تركنا الحديث عنها مع أن ظهورها على مسرح الأحداث كان مبكرا ومن بداية القصة ، وهذه الشخصية هي أخت أنعام السيدة نوال ، نحن ذكرنا أنها بعد زواجها بزمن شرعت تطلب الطلاق من زوجها نادر بحجة أنها غير مرتاحة وغير منسجمة معه ، وأنه رجل شراب مدمن خمر ، ولا يأتي البيت إلا مخمورا ، وصاحب ميسر يخسر الكثير الكثير من الدنانير ، ووالده يسدد عنه خسائره ، ووالدها ناجح يرفض طلاقها لصداقته الكبيرة لوالده المليونير، وأخوها صابر بعد وفاة أبيه كان يصر على عدم الطلاق ما دام زوجها لا يريد ذلك ، لها ولد واحد فقط ، أكثر أيامه قضاها عند جدته وجده من أبيه ، وكنا قد اشرنا في صفحات سابقة

أنها قدمت شكوى ودعوى وطلبا للمحاكم الشرعية والقاضي الشرعي للتفريق بينها وبين زوجها .. وكان أخوها صابر يعارضها ، وكان القاضي يؤجل البت في القضية ، واستمر هذا الحال أكثر من سنة ، وكانت كل أيامها تقضيها في بيت والدها مع أمها المريضة عزيزة ، فذات يوم اتصل بها ابنها الشاب قائلا : أمي ! أنا في البيت ، وأنا مشتاق إليك لي شهر لم أرك تعالي فزوجك ليس هنا

فردت قائلة : تعال أنت ، أنا لا أحب أن أراه إنه أصبح أقبح مخلوق على وجه الأرض

فقال متوددا : صدقي أنه ليس في البيت ، وأنا أريد أن أتحدث معك بموضوع مهم .. جدتي تريد تزويجي .. ألا تريدين أن تذهبي معي لرؤية العروس ؟ .. وسأقنع أبي برمي يمين الطلاق عليك تعالي بس وسترين ما تحبين

وضعت السماعة وركبت سيارتها وانطلقت إلى بيتها ، فوجدت ابنها الوحيد يجلس مع فتاة ، فلما زالت عنها الدهشة سألت : من هذه يا شادي ؟ !

ـ أهلا أمي .. اجلسي ، هذه ستكون زوجتي يا أمي .. هذه أمي يا لينا

نهضت لينا تتلوى وتتمايل ومدت أطراف أصابعها وصافحت المرأة المكشرة وقالت بهزء : أهلا حماتي .. مرحبا أم شادي

فقالت نوال مخاطبة لشادي : ألم تقل لي إنك ستأخذني لرؤية العروس؟!

فضحك لحظات وقال : العروس جاءت بنفسها يا أمي ! .. كتبنا الكتاب وطلبت مني حماتي أن أعرف لينا الحلوة على حماتها أمي الرائعة

فقهقهت نوال وقالت ساخرة وقد صدمت بالخبر : ممتاز ! .. يعني حماتك هي التي طلبت منك تعريفي على ابنتها .. حماة طيبة ؟

ـ آ .. يا أمي لا تزعلي منا .. أنت تعيشين عند أمك .. وأنا أعيش عند جدتي .. وأبي يعيش مع أصدقائه .. وغدا ستعيش لينا عند أمها .. فنحن عائلة اقتصادية جدا نريد أن نوفر في المصروفات ونأكل من جيوب الآخرين .. أليس كذلك يا لينا الحبيبة ؟

ـ لا يا حبيبي وحبيب أمك .. أنا أرفض هذا التوفير وهذا الاقتصاد .. أنا سأعيش على جيب حبيبي وروحي شادي .. والتفتت لحماتها وقالت : ولم تطلبين الطلاق من عمي يا عمتي العزيزة الغالية؟

فقالت نوال بحدة وغضب : شأن لا يخصك .. إلزمي حدودك

فقال شادي ضاحكا من نفرزة أمه : أم شادي تكره زوجها يا لينا .. لأنه يشرب الخمر ويلعب القمار ويعشق النساء .. كأن أمي لم تكن تشرب

الخمر ، وأنت من بيت أولياء .. ولم تلعب القمار مع بنات العائلات .. نسيت أمي كل هذا يا لينا الغالية

فصاحت أمه بحدة : أخرس يا ولد ! .. أنا إذا شربت الخمر لم أشربها بشراهة ووحشية أبيك وأنا إذا لعبت القمار لعبتها للتسلية .. لم أخسر كل أموالي وأعيش على جيب أبي وأمي ولم أعط جسدي للرجال .. أنت ولد فاجر مثل أبيك .. ألا يكفيك عقوقا أنك تتزوج دون أخذ رأيي ولو على التلفون

ـ لا تغضبي يا أمي ! راعِ صحتك .. صدقي أنني ترجيت أبي كثيرا ليطلقك ويعطيك حريتك ولكنه لا يريد أن تصبحي زوجة لغيره فقلت له ليلة كتابة عقدي على لينا الجميلة إن أمي عجوز هرمة ، لا يمكن أن يغامر أحد بالزواج منها بعد ...

فجأة صفعت نوال ابنها على خده ، وهي هائجة ، وقد احمر وجهها غضبا وزاد تنفسها ارتفاعا وهي تقول : إنك ولد فاجر .. مجرم كأبيك .. أيقول ابن عن أمه هذا ؟!

وضع يده على مكان الصفعة ، وقد تفاجأ بالصفعة فهذه أول مرة تمد يدها عليه ، ونظر إلى لينا التي صرخت فزعا ، وقال بصوت مصطنعا فيه الهدوء : يبدو أنني نسيت أن أمي شابة حسناء آلاف الشباب يبتغونها للزواج .. أمي هائجة وغاضبة .. لا أدري كيف صابر أبي على أخلاقك التعسة ؟! .. إنك امرأة سيئة .. لماذا أنت أمي ؟ !

ارتفع الصياح بينهم واحتد الكلام والسباب ، وبينما هما على هذا الحال دخل الوالد يصيح : ما هذا الصراخ ؟ ! ووقف في فتحة الباب وهو يقول : نوال هنا ! .. ظننتك يا شادي تشاجرت مع فاتنتك لينا .. هل من شيء يا شادي ؟

فقالت لينا : يا عمي .. أرأيت ؟! .. لقد صفعت امرأتك ابنها الوحيد صفعة تألم لها قلبي ـ وأخذت وجه شادي وأشارت لمكان الصفعة ـ وأنا حزينة لم أرى ؟!

فصاح أبو شادي وقد هاج : أتضربين الولد يا مجنونة ؟

ورفع يده ليهوي بها على وجه نوال التي ابتعدت عنه وصاحت وهي تهدد بيدها : أضربه .. وأضربك يا قليل العقل يا فاسد .. ابنك غير مربى ؟

فقهقه نادر وهتف ضاحكا : تربيتك يا هانم

ـ تربية أمك جدته

اقترب الزوج السكران منها وكان يلوح بيديه وقال : أمي تربيتها أحسن من تربيتك ألف مرة ومرة .. لن تفرحي بالطلاق مني يوما ما ، ستبقين ذليلة مهانة .. وهذا ابن عمك المدعو عمري اطلبي منه أن لا يتدخل في قضيتنا ومشاكلنا أحسن

أحرقك وأحرقه

فقال شادي : ماذا فعل هذا الرجل يا أبي الحنون ؟
فخفض يديه والتفت لشادي قائلا : تصور يا ولدي الطيب .. أنه أرسل لي محاميه يساومني على طلاق هذه الحمقاء

ـ يساومك ؟!

ـ نعم .. دفع لي عشرة آلاف دينار لأطلق هذه الحمقاء

ـ وهل قبلت يا أبي ؟

ـ لا .. فزادني اللعين عشرة أخرى .. فصممت على لا .. فانصرف وهو يقول العرض سار ففي أي وقت تقرر اتصل بي وترك لي بطاقة عليها أرقام هواتف مكتبه .. تصور يا ولدي يريدون أن يشتروها مني بهذا المبلغ الزهيد

فهاجت نوال وصاحت : حقير .. حقير .. حقير وأخذت بالبكاء والتشنج بحرقة وألم ، فقال شادي : والله يا أبي لو أخذت الفلوس أحسن لك منها .. هذه امرأة حمقاء خرقاء .. ولن يتزوجها أحد بعدك فهي كبيرة في السن

فقهقه نادر وقال : أتريد أن تضحك عليّ يا ولد ؟ .. أنا منذ ثلاثين سنة .. وأنا أقول لها لن أطلقك .. قلت لها اهربي .. عيشي عند أمك .. ولكنك ستبقين على ذمتي حتى أموت .. فلا تحدثني يا شادي عن طلاقها البتة

ـ يا أبي ! العشرون ألف أفضل منها ، بعها .. أنا لا تعجبني حياتكم .. تستطيع أن تتزوج فتاة صغيرة مثل لينا الساحرة

فقالت لينا مشجعة عمها : نعم .. نعم يا عمي .. عندي صديقة أحلى مني ستقبل بك وستعيد لك الشباب والرونق

ـ لا .. إنني أحبها ، ولا أستطيع أن أضحي بحبي ولو دفعوا لي ملايين الدنيا

أخذت نوال تشتمه وتحتقره وتبصق عليه وعلى جذوره ، فاستشاط غيظا وهجم عليها غاضبا كالثور الهائج وأمسك بكتفيها فدفعته عنها بكل عزم ، فسقط على الأرض ، فازداد غضبا وهو يقول : يا ملعونة تريدين قتلي يا .. تريدين قتلي والخلاص مني .. وتناول تحفة زجاجية كانت على منضدة وسط الغرفة ، وقذفها على نوال بسرعة قبل أن يدرك أحد خطر الرمية ، فجاءت برأسها ووجهها ، وقد تقهقرت للخلف ، وارتطم رأسها بجدار البيت فوقعت ، فصاحت وفقدت الوعي وارتمت على الأرض كأنها ميتة ..

معالجة نوال

نقلت نوال إلى المستشفى ، وسيق الزوج إلى قسم الشرطة ، وانصرف شادي ولينا بعد أخذ أقوالهما إلى بيت جده وجدته ، وحدثاهما بجريمة ابنها ، فطلبت من زوجها أن يتصل بالشرطة لإخراج

ابنها من الحجز ، فاتصل الأب بابن له متقاعد من الشرطة ، فذهب شقيق نادر للقسم وحاول إخراج أخيه بالكفالة ، وأن هذه مشاجرة كغيرها من المشاجرات التي تحدث بين الأزواج ، وبين هذين الزوجين بالذات ، فقال ضابط القسم لزميله المتقاعد : عندما ينتهي التحقيق ونرى التقرير الطبي .. فالطبيب يقول أن وضعها صعب ، ولديها مشاكل في الجمجمة والدماغ .. فأخوك ضربها بمزهرية زجاجية ثقيلة ثم ارتطم رأسها بحائط الغرفة .. فوضعها الآن حرج .. فعندما يظهر التقرير الطبي وعلى ضوئه نقرر قبول الكفالة أم لا .. أرجوك .. أرجوك يا مقدم عزام .. لا داعي للإحراج

- كما تشاء يا رائد فراج

قضت نوال عدة أسابيع تعالج من الجروح والصدمة ، ولما خرجت من المستشفى لم يكن وضعها الصحي وحالها الدماغي كما كان سابقا ، فقد تأثر دماغها من الضربة ، فكان لابد لها أن تستمر بالعلاج ، وأخذ العقاقير الطبية ومتابعة الدماغ ، ولكنها بعد هذه الضربة الشديدة حصلت على ورقة طلاقها من القاضي ، بعدما قدمت التقارير الطبية للقاضي ، وتحررت نوال من زوجها بعد ما يقارب ربع قرن من الزواج قضتها في صراع وشجار وغضب ونكد وتعب ، فكانت ترقد على سرير في بيت والدها وحيدة ، أمها عزيزة مريضة ترقد هي الأخرى في غرفتها ، أخوها منشغل بمشاكله ومصنعه ومعه أولاده وبناته ، وكانت لا ترى خلال النهار إلا الشغالة الخادمة تدخل عليها بالطعام والشراب ، وأحيانا تجلس تواسيها وتشد من حيلها في مواجهة صعاب الحياة وهمومها ، ولم ترى ولدها من يوم الحادث ولا زوجته ، وكانت أنعام تتردد عليها كلما زارت أمها المريضة ، فتقضي بعض الوقت عندها والبعض الآخر عند أمها ، لقد كانت الحالة النفسية لنوال مؤلمة وحزينة ، وقد أصابها الاكتئاب الشديد فأخذت تراود نفسها بالانتحار وتجاهر به ، فتقول لها أنعام : ويلك ألا يكفي شقاء الدنيا .. ولتكوني من الأشقياء في الآخرة .. لا أريد أن أسمعك تتحدثين بيأس .. لقد وعدني عمري أنه سيرسلك إلى أوروبا أو أمريكا لإكمال العلاج .. ولكنه يتوسل إليك أن تتوبي إلى الله وتحسني من علاقتك مع الله ولا تفكري بقتل نفسك .. فهناك صديق لأبي محمود خبير في الطب النفسي سيتردد عليك .. فبكت وانتحبت وقالت : أخي لا يسأل عني ، وأنا أسكن معه في بيت واحد وحتى زوجته تمر أيام ولا أرى وجهها .. أخواتي يحيينني من الباب وهن مارات على أمهن ، ولا يجلسن بجواري بضع دقائق .. أشكرك يا أنعام أنت الوحيدة التي

تشفق عليّ .. أنا شغلتك عن زوجك وبناتك

فقالت أنعام : أبدا يا نوال أنت أختي .. حبيبتي .. وعمري عندما أحدثه عنك يتألم وتسقط دموعه حزنا وأسفا لما حل بك من كرب .. وقلب عمري رقيق مع الضعفاء .. ووعدني خيرا بأن يهتم بك .. ولكن عليك أن تنقذي نفسك من النار .. فها أنت قد خبرت الحياة وعرفت تعاستها بدون إيمان وحب وعرفت الناس

فمسحت دموعها وتنهدت وقالت : كلما أتذكر الأيام الخوالي .. أيام خطبتي لعمري تلك الأيام القصيرة أصاب بالجنون .. وأتذكر كلماتك لي بالتحمل والصبر أبكي .. لقد كنت أرى أبي وعمي ملوكا في هذه الدنيا ، وأن السعادة بكنفهم وبجوارهم .. وها هم قد ماتوا وتركونني مهضومة ومكسورة الجناح .. ابني الوحيد منذ دخلت المستشفى لم يطل عليّ .. أنا لا ألومه .. أبغضه كما أبغضت أباه اللعين

قالت أنعام : ادع له بالهداية .. أنت قصرت في حقه يا نوال ! أنت عجولة لاتصبرين ولا تتأملين في العواقب .. وعلى كل ليس هذا وقت الندم .. عليك أن تراعي صحتك ، وتتوبي إلى الله ولا تقنطي من رحمة الله سبحانه .. وإذا أحببت أن أنـقلك لبيتي فأنا مستعدة لذلك

فقالت نوال بعد تدبر يسير : جزاك الله خيرا . دعيني عند أمي .. والخادمة جزاها الله خيرا لا تقصر إنها سيدة محترمة وفاضلة

كان عمري فعلا يفكر بتسفير نوال ابنة عمه إلى أوروبا للعلاج هناك ، وإنما الذي كان يؤجل ذلك هو الرجل المحرم الذي سيرافقها ؛ لأن المرأة في الإسلام لا تسافر إلا بمحرم كزوج وابن وأخ ، فصابر لا يبدي ارتياحا لسفرها ـ رغم نصيحة كبار الأخصائيين في أمراض الأعصاب بعلاجها خارج القطر ـ أو حتى إرسال أحد أبنائه معها ، ففكر أن يأخذ أنعام وابنا له ، ويسافرون بها ولكن من سيذهب ؟ فمحمود ما زال في الغرب يدرس ويشتغل ، وأسامة سيسلمه إدارة الشركات والمشاريع ، وحسن في الشرطة يتعلم ويتدرب ، ومحمد على مقاعد الدرس ، وكان يستعرض أفراد الأسرة فوصل لرأي أن يعقد اجتماعا لمحارم نوال ، وينظر من يحب الرحيل والسفر معها ، وكان قد كلف عائشة بالاتصال بمستشفيات متخصصة في ألمانيا أو سويسرا ، وهو الذي اقترح على أنعام أن تحضر أختها للسكن معهم في الفيلا لتظل قريبة منها لأنه مدرك لحالتها النفسية المؤلمة بعد الحادث ، وهي رحم بالنسبة له ، فهو يتعاطف ويشفق على الغرباء والأجانب ، فكيف بابنة عمه ناجح ؟ وكان خائفا ومنزعجا مما نقلته له أنعام عن يأسها وتفكيرها بقتل نفسها من الألم والحالة النفسية التي

تعصف بها ، فلذلك اتفق مع طبيب نفسي كبير ليهتم بها ويراعيها ، وكان يرى أن الإيمان الصادق يمنعها من الضعف والاستسلام لليأس والانتحار ؛ ولكن نوالا ضعيفة الإيمان ، تكره الصلاة واللباس الإسلامي وغير ذلك .. قضايا كثيرة تهم عمري وتشغله ولكن القضايا الإنسانية تشغله أكثر من قضايا ومشاكل العمل وكان قد اقترب موسم الحج ، وهو يحن ويشتاق لتلك الديار ، ففكر بالحج هذا الموسم ، واعتذرت زينب عن السفر معه ، وكذلك أنعام لمرض أمها وأختها فعرض الأمر على عائشة فوافقت ، فقال : إن شاء الله بعد عودتنا من الحج ستتمم زواجك بحمزة وهند بأسامة

فقالت : إن شاء الله .. ما رأيك أن نأخذ سهاما معنا ؟

ـ حبذا ذلك يا عائشة .. فعندما تتزوج ممن هو في بالي ستحج إن شاء الله .. فسهام طيبة وقد بالغت في حسن ظنها بالمدعو فوازا .. فربما اخذناها عمرة اذا قبلت في ذلك

ـ لم تخبرنا عمن اخترته لها ؟

فقال ما زال عندها أمل في ذلك الشاب ، وكلما اتصلت بأخته اعتذرت لها عنه .. لا يريد الحديث معها .. وما زالت تنتظر

فقالت بشفقة : تكلم معها من جديد يا أبي ؟

فقال سأفعل الليلة .. لقد طال انتظارنا

ـ اذكر لها اسم العريس المختار يا أبي أثناء الكلام .. ربما وجد هوى في نفسها وغيرت أفكارها إنها كثيرة الزعل مع أمي أنعام لا تطيق الكلام معها

ـ أمعقول هذا ؟

ـ أنا أقول ذلك ليس من باب النميمة .. أرجو أن تنهي حزنها يا أبي ليعود الوئام والحب والسلام للبيت ، فأمي انعام متوترة وذهنها مشغول بين أمها المريضة وأختها نوال وابنتها التي تضع اللوم عليها بابتعاد فواز عنها

ـ أمرك .. ما أخبار صهرنا حمزة ؟

ـ بخير ، وكان أمس هنا زارنا وجلس مع أمي ثم غادرنا

ـ أخبري حبيبتي سهام أن لا تنام قبل أن ترني .. لي يومان أسأل عنها فيقال إنها نائمة كأنها تتهرب من اللقاء بي

ـ هي حزينة لعدم اهتمام ذاك الشاب بها كما كان أيام الكلية .. فهي تقول لقد كان يهمس أمامي أن اليوم الذي لا يراني فيه كأنه خسر يوما من عمره أهذا كذب وضحك ؟ !

فقال عمري : أنا متأكد أنه شاب عابث .. لو كان يحبها حقيقة لتقدم إليها على أي صورة كانت وعندما تستقر في بيته يطلب منها ما يشاء من التبرج والسفور ؛ ولكنه اتخذ ذلك ذريعة

للخلاص منها في أي وقت يشاء .. أنا أعرف أن أناسا على هذه الشاكلة يحبون التبرج والسفور والزينة السافرة ؛ ولكنهم لا يطلبون ذلك من الآخرين ، فهذه أمور شخصية وخاصة ، فهو لم يسألها يوما عن الصلاة .. إنما تركيزه على التبرج واللبس .. وأنا راض عنها لأنها لم تعش معنا صغيرة .. فلبست الشرعي خجلا منا ومن أجل أمها .. وليس لي عليها ولاية إلا بالمعروف وحسن الصحبة

بعد أن شارك الأهل طعام الغداء انصرف عمري لمكاتب المجموعة والمشاريع في شارع قطز ،

فدخل المكتب والتقى بعدد من كبار الإداريين، وعند العصر غادر الشركة كالمعتاد ، ولم يذهب للبيت كالمعتاد ، إنما أخذ الدكتور يوسف ومشوا إلى السكرتير أحمد أبي حمزة صديقهم الحميم وظلوا عنده ساعة من الزمان ثم ودعوه وقال

عمري : ما رأيك أن نزور دار أسامة بن زيد ؟

ـ في مثل هذا الوقت ؟!

ـ في مثل هذا الوقت

ـ ألا يغضب منا مسؤول الدار ؟

ـ ولم يغضب منا مسؤول الدار ؟! .. هو لازم أن تكون الزيارة في أول النهار .. هيا فالأستاذ حابس رشيد رجل محترم يقوم بواجبه خير قيام

مرا على دار أسامة للأيتام ـ كانت الدار ترعى حوالي أربعين إلى خمسين يتيما ، ما بين أكل وشرب ومنام ومدرسة ونظافة ، والدار هذه تأوي الأيتام من سن ثلاث سنوات إلى اثنتي عشرة سنة ثم ينقلوا لمدرسة داخلية متوسطة ـ ومسحا على رؤوس الأيتام ، وتفقدوا الأطفال الصغار، واطلعوا من القائم على ادراتها الاستاذ المربي حابس رشيد عن المشاكل التي يواجهها هؤلاء الضعفاء .

ضيوف من أمريكا

لما رجع عمري بيك للبيت وتناول العشاء الخفيف مع أفراد الأسرة الراغبين في الطعام كعادته في الحديقة ، وخصوصا في ليال الصيف والخريف ، وتحدث الحاضرون بما يحلو لهم من أطيب الكلام ، ثم دخل البعض إلى البيت وبقيت أنعام التي أشار لها بالبقاء وسهام ، وبعد مقدمات سأل

عمري : ما آخر أخبار فواز يا بنية ؟

فقالت بانكسار وضيق : لم أتكلم معه إنه مشغول وغير موجود في البيت كلما اتصل بهم ؟

أدرك عمري أن سهام متضايقة من الحديث في هذا الموضوع ؛ ولكنه أصر على الكلام ، فهو يتمنى أن يصحو ويجدها قد نسيت هذا الحلم أو الوهم المسمى فوازا فقال : ولماذا لا يتصل هو ؟ .. ألا تبلغه أخته كثرة اتصالك ؟

فقالت باختصار : لا أدري

فقال : ما الحل في رأيك ؟ ألا تريدين الزواج ؟
ـ لا أفكر فيه الآن
ـ أنا ذكرت لك سابقا أن لدي شابا محترما .. ورجل يحب مصاهرتنا ، وهو مهندس معماري مثل أسامة ، وهو ابن رجل فاضل .. وستجدين عنده الحب والرحمة والمودة والسكن يا بنيتي لا تنتظري سرابا
فقالت بنبرة مرتفعة : دعني يا عمي بحريتي .. عندما أفكر وأقرر الزواج سأصارحكم بذلك
ونهضت كأنها محتجة على اسلوب الضغط الذي يمارس عليها ، فقال : لا تغضبي منا .. افعلي ما شئت .. وتأكدي أننا لا نكرهك أو نحب التخلص منك .. فهذا شأن خاص بك .. ونحن ما زلنا نقول أننا لا نمانع بمجيء هذا الشاب لنتعرف عليه ويحصل ما تريدين
فقالت : سلامتكم من التقصير ؛ ولكني متعبة نفسيا .. سامحني يا عمي العزيز
ـ بارك الله فيك
وأتت الخادمة تحمل الهاتف ، ووضعته في مكانه المناسب وهي تقول : فندق النهضة العربية
يريد الحديث معك يا أبا محمود
ومشت سهام نحو مدخل الفيلا الداخلي وقد همست تصبحون على خير بعد أن تناول عمري السماعة من أم أحمد وهو يردد السلام عليكم ..
فندق النهضة .. نعم أنا السيد عمري الخابي ..
شاب أجنبي يريد الكلام معي .. هات
أخذ عمري يتحدث بالإنجليزية بضع دقائق ثم وضع السماعة فقالت أنعام : من ؟
فقال : هذا ابن أخي سمري ينزل الفندق ومعه أخته ، ينزلان منذ يومين .. ويريدان زيارتنا والتـعرف علينا
فقالت مبدية استغرابها من تصرفهما : ولماذا لم ينزلوا البيت منذ جاءوا؟! .. أليس هذا بيت العائلة وعمهم عمري ؟
فقال بحيرة مثلها : لا أعلم لماذا ؟ .. حتى أنه لا يتكلم العربية ولا يعرفها .. وسمري لم يحدثني بنزولهما وخبرهما .. ذكريني في الصباح أن أرسل السائق حمادا وحسنا ليأتيا بهما .. أهنا حسن ؟
ـ نعم ومعه إجازة ثمان وأربعين ساعة
فطلب من أم أحمد أن تأخذ الهاتف ، وترسل له حسنا ، فقالت وهي تبتسم : خرج مع عروسه في مشوار .. وقد يمرا على خالتهم نوال
قالت أنعام : نعم ذكر لي ذلك ظهرا فشجعته لقد نسيت .. سأنتظر مجيئهما وأبلغه رغبتك
وانطلق الجميع نحو الفيلا ، فصعد عمري لغرفته ، ثم توضأ وصلى عددا من الركعات صلاة الليل أو القيام ، ثم دخل غرفة المكتبة فوجد عائشة جالسة فيها تقرأ ببعض المراجع .. فسلم وجلس

بعدما أخرج كتابا عن حياة الصحابة ظهر في الأسواق حديثا ، فقلب صفحاته ، وقد طلب من الشغالة كوبا من القهوة ، فقرأ عدة صفحات من الكتاب الجديد ، وكانت الساعة قد اقتربت من نصف الليل عندما انتهى من قراءة تلك الصفحات ، فعاد لحجرته وقرأ بعض الآيات من المصحف ، ثم تمدد على فراشه يذكر أذكار النوم والرقود ثم راح في سبات هادئ .

*****

وعند صلاة الفجر سألت أنعام زوجها متى نرسل السائق للفندق ؟ فقال عمري : هل أخبرت حسنا بذلك ؟

ـ لما مرا عليّ عند عودتهما أخبرتهما ، وستجد حسنا أمامك في المسجد .. ذهب للصلاة في المسجد

ـ إني ذاهب .. السلام عليكم

ولما ارتفعت الشمس عند الضحى ذهب حسن بنفسه للفندق ومن دون السائق ، وخلال نصف ساعة كان يقف أمام مدخل فندق النهضة ، ويدخل صالة الاستقبال ، ويسأل موظف الاستقبال عن شابين أمريكيين مايكل سمري وروبيكا سمري ، فنظر الموظف في دفتره وقال : نعم هما نزيلان هنا .. ماذا تريد منهما ؟

ـ أنا على موعد معهما .. أخبرهما أن حسن عمري في انتظارهما

وجلس حسن على أحد المقاعد الكبيرة منتظرا مجيئهما ـ مجيء أبناء عمه الذي يسمع به ، ولم يره منذ وجد على هذه الأرض ـ ثم سمع الموظف يخاطبه : إنهما نائمان ، لا أحد يرد .. أتشرب القهوة ؟

ـ ماشي .. ننتظر بعض الوقت .. فأنا ابن عم لهما يا ..

ـ نذير رمح

ـ أهلا أخ نذير .. ومرحبا

ـ قهوة يا حسونة للأستاذ حسن .. أهلا وسهلا بك يا حسن بيك

ـ أهلا أستاذ نذير بيك .. هل هما قادمان من أمريكا مباشرة ؟

ـ لست أدري بالضبط ، ولكن أظن أنهما آتيان من بريطانيا

أتت القهوة ، ورشفها حسن ببطء ، وأخذ يقرأ في صحف الصباح المعروضة على المنضدة ، ثم اتصل بالبيت وأخبرهم بتأخر الضيوف ، فهما نائمان ، وبعد مضي ساعة اتصل الموظف ثانية فردت عليه الفتاة ، ثم وضع السماعة فقال : إنهما قادمان يا سيد حسن

ـ شكرا لك .. سامحنا على الإزعاج يا أخ نذير

ـ أبدا ، هذا واجبنا أيها الأخ المحترم

*****

أقبل الأخوان إلى صالة الاستقبال ، شكلهما وهيئتهما هيئة الأجانب، قميص قصير وبنطال قصير ، شعر مايكل سمري أسود منفوش وهو طويل القامة ، وأما الفتاة شقراء البشرة عيون زرقاء شعرها يميل للحمرة ممتلئة الجسم بعكس أخيها النحيف الطويل البدن ، فأشار الموظف إلى حسن المستغرق في تقليب وقراءة الصحف ، فاستدارا نحو حسن عمري ـ وقد نهض قائما وقد ترك الصحف عندما سمع همس صوت نذير ـ الذي حياهما وصافحهما وقال معرفا بنفسه وهو يستغفر ربه لمصافحته يد ابنة عمه : حسن عمري الخابي

فذكرا اسميهما ، وقالت الفتاة : أين عمي عمري ؟

ـ إنه في انتظاركما .. أين حقائبكما ؟

ـ في الحجرة

كان كلامهما باللغة الأجنبية ، فهما لا يحسنان اللسان العربي ، وإن كان والدهما عربي ، ربما يرطنان ببعض كلمات عربية تتردد أثناء الحوار ، فتقدم حسن من الموظف ، وطلب منه الحقائب والجوازات ، ودفع فاتورة الفندق كاملة ، وحاول الشابان الاعتراض ، فقال لهما : أنتما الآن في ضيافتنا ، وأبي يغضب إن دفعتما شيئا .. وهو غضبان ومتضايق لنزولكما الفندق قبل لقائه

ذهب الفراش لإنزال الحقائب السفرية ، وكان حسن يقول للموظف : هم أبناء عمي ، ولكن أمهما أمريكية ، فهذه أول مرة أراهما في حياتي .. شكرا

وتقدمها حسن نحو سيارته الرابضة على مدخل الفندق ، ووضع الخادم الحقائب في السيارة ، ونقده حسن ما تيسر من المال ، وركب مايكل بجواره وركبت الفتاة في المقعد الخلفي ، وأخذوا يتحدثون عن جمال هذه البلاد والأماكن التي تفرجا عليها خلال اليومين الماضيين ، وكان عمري في انتظارهما ، واعتذر عن الذهاب للشركة ، ولما وصلت السيارة ، وفتح لهما البواب الباب ، وحيا السيد حسنا وقال : أبو محمود في الانتظار في قاعة الاستقبال

كان الشابان قد اندمجا بالحديث مع حسن رغم صغر سنه ولحسن لغته ، وقد ذهلا عندما علما سنه ، وأنه متزوج منذ عهد قريب ، ولما شاهدا عمها عمريا وجداه صورة قريبة من والدهم ، وتصافح الجميع ، وعتب عليهم لعدم اتصالهم به منذ خرجوا من فيرجينيا ، ولام عمري والدهم الذي لم يعلمهم لسانه اللسان العربي ، وتألم أكثر عندما لم يقابلهما عندما قضى حينا من الزمن مع أبيه ناصح أثناء مرضه ، سر الشابان من الاستقبال الدافئ ، ولما سأل مايكل عن باقي أفراد الأسرة ، قال

عمري : لا يوجد إلا نساء .. والنساء لا ترى هذه العورات وهذا اللحم عيب هذا في ديننا قبل تقاليدنا ـ ضحك الشابان لكلام عمهم وتابع ـ أنتم أكيد لا تعرفون شيئا عن دين أبيكم ؟

ضحكت روبيكا وقالت : أبونا ليس له دين .. الدين عندنا كلمة مجردة فقط .. لا نعرف دين أبينا ولا حتى دين أمنا .. وأنا ما أتيت إلى هنا إلا لأعرف الدين

ـ لماذا ؟

فقال مايكل : روبيكا .. تدرس في كلية علوم الاجتماع وديانات العالم .. فأحبت أن تعرف دين المسلمين لتكتب رسالة الماجستير عنه .. فأرسلها السيد سمري إليكم

ـ وأنت ؟

ـ جئت رفيقا وسائحا وللتعرف على أقاربي

قدمت لهما الخادمة العصير المناسب ، وقال عمري : يا مرحبا بكم .. عندنا النساء لا ترى عورات الرجال والرجال لا يرون عورات النساء .. آنسة روبيكا .. الآن سيذهب بكم حسن إلى معرض الثياب ويشتري لكما الثياب المناسبة لتتعرفوا على باقي أفراد الأسرة .. هكذا اللباس ـ وأشار لثيابه وثياب حسن ـ ما رأيكم ؟

فقالت روبيكا : لا بأس

ـ قبل الذهاب ما أخبار سمري أبيكم ؟

روبيكا ردت : لا نراه كثيرا .. هو دائما في الجامعة .. لا نعرف عنه شيئا

فساقهما حسن مرة أخرى إلى السوق ، وتناول معهم الإفطار في أحد المطاعم ، وكان حسن قد شرح لهم قواعد اللباس في الإسلام وأهمية ستر العورة خصوصا الساق والفخذين ، وأن هذا الثوب القصير غير إسلامي ، وإنما هو تشبه وتقليد للغرب وتقاليدهم ، فاشترى لهم حسن ثيابا مناسبة وأكثر من ثوب ، فاشترى للفتاة عدة تنانير طويلة بعض الشيء ، وبنطالات لمايكل وقمصان وبدلات ، ثم عاد بهم للمنزل ، ووجدا عمهما ما زال في انتظارهما مرة أخرى فلما لبسا ثيابهما الجديدة أتت البنات والزوجات ، فسلمن على مايكل بالإشارة من غير مصافحة وصافحن روبيكا ورحبن بهم ، فسرت روبيكا وأخوها من عائلة عمهما المحافظة حيث لا ترى أذرعا ولا سيقانا ولا حتى أقداما ولا شعرا .. الوجوه والأكف فقط .. فتعجب مايكل من ذلك الزي ، وظن أنه لا توجد أنثى تلبس هكذا ، فالنساء عندهم عاريات ، وحتى النساء اللواتي صادفهن في الفندق والمدينة أغلبنهن متبرجات وسافرات ويلبسن البنطالات ، فشرح له عمه بإيجاز عن ذلك التناقض بين تعاليم الإسلام وأحوال المسلمين المنفلتين عن تعاليم الدين ، وتناول الضيفان الغداء

على مائدة عمهم ، ثم قالت روبيكا لعمها : تكلف أبي بكتابة رسالة لكم

وأخرجت من حقيبة صغيرة بين يديها مظروف رسالة ، فتناوله عمري شاكرا ، وكانت الرسالة مكتوبة بالأمريكية، وكان فيها توصية بالأولاد ومساعدة روبيكا في معرفة الدين الإسلامي ، وأهم المراجع التي تساعدها عن الكتابة عن الإسلام والمسلمين ، ومساعدتها أيضا في السياحة في البلاد ، فلما استوعب الرسالة أعطاها لعائشة ، وقال موصيا لها : اهتمي بابنة عمك يا عائشة وأما السياحة سأتصل بمكتب شركة سياحية ليرتب لهما رحلة سياحية ممتعة ، ويشاهدا الأماكن الأثرية في البلد والصحراء .. عجيب أمر هؤلاء الأجانب يحبون مشاهدة الحجارة القديمة !

وضحك على التعليق الذي ابداه ، وأبدت عائشة استعدادها الكامل لتعريف ابنة عمها بالإسلام ، ومراجع البحث ، فساقتها للمكتبة الداخلية ، وتبعتها البنات الحاضرات ، وأخذوا يسألونها عن أمريكا ، وكانت سهام تترجم للآخرين عباراتها ، وقد كان وجود هذين الضيفين عند عائلة عمري حدثا مثيرا مع أنهم أبناء أب عربي ، فلا عروبة لديهم ولا إسلام ، ولما سألت عائشة روبيكا عن سبب اهتمامها بالإسلام بالذات .. قالت الفتاة : أصدقك القول ؟

فلما أجابت بنعم قالت روبيكا وقد بدت على ملامحها الجدية : دكتورة عائشة .. قبل أن أتكلم عن السبب الذي دفعني للكتابة عن الإسلام دون الأديان الأخرى ، والمرأة في بلاد المسلمين .. أنا مستغرب مما نسمع عنكم ، وما نقرأ عنكم في كتبنا .. فقد قيل لنا أن النساء العربيات لا يتعلمن ولا يدرسن ويشتغلن بالرعي والحلب والزرع ولا يخرجن من البيوت .. ولكنك دكتورة .. وسهام كلية الإدارة وأحلام مازالت في الجامعة وريهان في الثانوية العامة ومريم الجميلة في المدرسة .. وعمي عمري كما رأيت رجلا محافظا ومتزمتا في نظرنا .. فكيف هذا ؟ ! كيف سمح لكنّ بالدراسة ؟!

فقالت عائشة بحماس وقوة : الإسلام مشوه كثيرا في بلادكم .. المستشرقون يكتبون عنه بكره وحقد وجهل ولإغراض أخرى .. يدّعون أن الإسلام ضد العلم ، وهو دين العلم والنور ومحاربة الجهل والظلام .. وليس العيب في الدين الإسلامي ذاته ، إنما العيب في الذين يمارسون ويطبقون الدين الإسلامي .. وهؤلاء الناس قد يكون لديهم أعذار في تطبيقه التطبيق الصحيح لانتشار الجهل والخرافة بينهم .. وبسبب ظهور تيارات فكرية ونزعات مختلفة تحمل الإسلام اسما وأفكارها متضاربة ، وفهمها للإسلام متناقض في فكر وعقل وفهم الآخرين .. وقد يكون هذا التناقض

والاختلاف متقبلا بين المسلمين للتعايش ، وأيضا لاختلاف الفتوى في المسائل الشرعية لاختلاف الفهم والمكان والأحوال .. وهذا لابد من مراعاته في فهم المسلمين وعاداتهم وتقاليدهم .. وهناك خلط مقصود وماكر بين الإسلام وعادات الشعوب التي اعتنقت الإسلام ومع توالي الأيام صعب التمييز بين ما هو إسلامي وبين ما هو عادات متوارثة وتقليد .. فالإسلام الحق يعرف من مصدريه القرآن الكريم وأحاديث النبي ﷺ وسيرته ﷺ

أبدت روبيكا تفهما لملاحظات عائشة ودفاعها الحق ، وأثنت عليها ثناء حسنا ومشجعا ثم قالت بعدئذ : دكتورة عائشة .. الأمية متفشية في بلاد المسلمين ، وانتشار التخلف الفكري والاقتصادي والديمقراطي والحرية الفردية .. والنساء عندكم محرومات من كثير من الحقوق الشخصية والاستقلالية .. وعندكم الرجل يتزوج اثنتين وثلاث .. أطفال الأسرة الواحدة كثيرون .. ودخل محدود جدا وقليل يضر بالزوجة ، ويؤثر على رعاية الأطفال بالتغذية والتنمية والمرأة تغمر بدنها من رأسها إلى قدميها .. حتى لا يراها الناس إذا سمح لهن الرجال بمغادرة البيت ، أليس في كل ذلك هضم لحقوق النساء والصغار ؟

ردت عائشة قائلة وهي تبتسم : قضية المرأة ! .. حقوق المرأة العربية والشرقية ! حقوق تحديد النسل ! طفل واحد أو اثنان .. زوجة واحدة .. حقوق اقتصادية .. حق ظهور جسم المرأة .. هذه قضايا وغيرها مما تثيره جمعيات حقوق الإنسان ، وجمعيات المرأة والأسرة في بلاد المسلمين وغيرهم .. للتحريض ضد الدين والانفلات منه ، وإظهار أن الدين الإسلامي دين قديم دين صحراوي .. هذا أيضا يا آنسة روبيكا جهل بالإسلام ، ومعاداة عن حقد وحسد ، قال الله سبحانه في القرآن { وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ ... } .. هل المرأة إذا خرجت عارية أصبحت حرة وديمقراطية ومتطورة ومتقدمة ؟ ! .. هل الحرية التعري والسفور ؟! .. هل هذه هي الحرية التي قامت من أجلها الثورة الفرنسية ؟! .. هل يحق للرجل المسلم أن يخرج عاريا يتمشى في الشوارع مدعيا ذلك باسم الحرية الشخصية ؟!.. فجاء الإسلام بلباس خاص للرجل ولباس خاص بالمرأة ، كل حسب شروط واضحة ، راعاها المسلمون كل القرون بشكل مجمل .. وهناك تفاصيل بين لباس الشرع الإسلامي ولباس العادات والمدن والأرياف والبوادي .. شروط عامة تقوم على ستر البدن والعورة لكل من الذكر والأنثى ، وهذا نتيجته طهارة للمرأة والرجل ..

فلماذا تتزين المرأة للآخرين ؟ ! أليس في الزينة إثارة وإغراء ؟! .. فمن تريد المرأة إغراءه ؟! .. أليس الزوج أم كل الرجال ؟! .. فالمرأة المسلمة تتبرج وتتزين إلى زوجها .. أما نساء السفور يتبرجن ويتزين لرجال الحفلات والحانات وللناس شهوات { زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنْ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ } هذا جزء من آية قرآنية من كلام الله .. فهذا اللباس أو الحجاب الخاص بالمرأة حكم وتشريع من خالق هذه المخلوقة ..خالق هذه المرأة العزيز الحكيم الذي يعلم ما يليق بها ويناسبها .. والحديث طويل وذو شجون حول هذه الشبهات الهزيلة التي تثار بين الحين والاخر .. وسأترجم لك فقرات مما رد به علماء المسلمين على شبهات المستشرقين حول التعدد وتحديد النسل وغير ذلك ..

فقالت روبيكا : حديث لا يمل منه .. يكفي هذا اليوم .. هيا نخرج للحديقة نتنزه فيها .. بلادكم شمسها ساطعة

كانت سهام تستمع لحديث عائشة كأنها تسمعه أول مرة ، وفعلا هي أول مرة تسمعه ،كانت مدركة لم تقول عائشة وإن كان باللغة الإنجليزية ومعجبة بدفاع عائشة الهاديء والمنطقي كما يقال .

شرحت عائشة لابنة عمها الأمريكية نظام الغرف والبيت ، ودلتها على غرفتها التي تستطيع أن تستريح فيها إذا رغبت ، فحقيبتها فيها ، فقالت الفتاة : لا .. أريد أن أرى الحديقة وأشم عبير الأزهار .. الدفء العائلي ممتع لديكم .. فنحن يعيش كل منا وحده .. كل في عمله .. أحيانا نلتقي في مناسبة أو عطلة إن لم يكن أحدنا مرتبا لسهرة .. عزيزتي عائشة .. أنا معي إجازة شهر فأريد أن أعرف كل شيء عن الإسلام وعن المرأة المسلمة ..

ـ أنا سأبذل جهدي معك خلال هذا الشهر رغم زواجي

وحدثتها عن زواجها باختصار فقالت روبيكا : زواج مبارك .. وستساعدني سهام

فقالت سهام مرحبة : أنا تحت الطلب ؛ ولكن ليست لدي الثقافة التي تملكها الدكتورة .. فقراءاتي عن الإسلام ضئيلة ..

ـ لم ؟

تحدثت سهام عن زواج أمها بابن عمها عمري ، وحياتها في بيت جدها ، فقالت روبيكا : لا بأس سهام .. سيسمح لنا زوج عائشة السيد حمزة بالاستعانة بها

قضى الأخوان أسبوعا ممتعا في ضيافة عمري ، وتعرفوا على بعض عاداتهم وأدبهم ، وسمعت روبيكا خلاله كلاما كثيرا عن الإسلام ، وعن

رسول الإسلام محمد صلى الله عليه وسلم ، وتعرفت على الحكم والغايات من إباحة الزواج للرجل بأكثر من أنثى ، وعرفت حقوق الرحم والنفقة والرضاعة والسكن ، ومحاربة الإسلام للفقر بفرض الزكاة .. ولماذا يكون الطلاق ؟ وأشياء أخرى كثيرة ، ولما بدأ القوم الاستعداد لحفل الزواج للأخوين أسامة وعائشة، طلبت عائشة من ابنة عمها إجازة ثلاثة أيام فقط ، فقالت روبيكا : جيد .. بعد حضور حفل الزواج سنذهب مدة أسبوع إلى الصحراء لنرى الآثار القديمة والمحميات الطبيعية

وتم حفل زواج الأخوين ، وذهبت عائشة مع زوجها الدكتور حمزة، ورحل أسامة بزوجته هند إلى شقة في إحدى العمارات التي أشرف على تشييدها ، وفي الصباح التالي التحقت روبيكا ومايكل في إحدى شركات السياحة التي حجز لهم فيها عمهم عمري ، ولما ركبوا الباص السياحي ، وبدأ الدليل السياحي يحدثهم عن مخطط الرحلة فاستمعوا له حتى أنهى كلامه ، فقال مايكل : عمي عمري رجل مؤمن .. متدين يحافظ على الصلاة ويقرأ القرآن ويذهب يوميا للمسجد .. ويقول إنه تعلم في بريطانيا وعاش فيها سبع سنوات درس واشتغل .. وهو صاحب مشاريع كثيرة ويرعى دور أيتام وفقراء

فقالت روبيكا : أسرة عمي متماسكة .. الصغير يحترم الكبير ، بل زوجتاه رائعتان جدا جدا تحبان بعضهما حبا صادقا ومدهشا ، فقد حدثتني سهام ابنة أنعام عن ذلك .. وأن الأولى سعت وشجعت في تزويجه من الأرملة بدون غيرة وخوف .. والله التعدد يا مايكل أحسن من كثرة العشيقات كما هو معمول به عندنا .. ما أكثر الخيانات الزوجية عندنا ! .. لا أظن أن أحدا لم يخن زوجته في بلادنا .. والعكس صحيح .. أسرنا متفككة غير مترابطة تحمل اسم العائلة فقط .. انظر أمك لا تزور والدها إلا إذا احتاجت لشيء منه ، وأحيانا في أعياد الميلاد ونحن نعمل مثلها .. علمت أشياء مهمة عن الإسلام .. نحن نجهل الكثير عن هذا الدين .. ولا نفهمه بطريقة هؤلاء الناس .. إنني أفكر بإضافة شهر آخر للرحلة

فقال مايكل : أما أنا لا أستطيع يا روبي .. زوجتي لا تحتمل أكثر من ذلك .. ابني جاك أنا مشتاق إليه

ـ عد كما تشاء ، سيرحب عمي ببقائي يا مايك .. أرجو أن نـقضي إجازة ممتعة في هذه الصحراء

ولزموا الصمت فقد أخذ الدليل السياحي يخاطبهم ، فأصغيا إليه يتتبعان ما يردده أمام الفوج السياحي ، بعد أسبوع من التـفرج على الأحجار القديمة وآثار الرومان واليونان وغيرهم من الأمم البائدة عاد الأخوان إلى قصر عمهما عمري ، فقام

بمرافقتهما في جولة خاصة على دور الأيتام ، وبعض المدارس الخاصة التي يقوم برعايتها ، فتعجبا من قدرة عمهما على إدارة هذه المشاريع والمدارس ، فرأى الشابان الجانب الخيري الكبير من حياة عمها ، وأنه يتعاطف مع الأيتام والفقراء وأصحاب الحاجات والمرضى من غير منة وطلب شهرة ، فاكتشفا أشياء مثيرة للأحاسيس ومشاعر المحبين له وحب العاملين بجواره له ، وقال مايكل لأخته معجبا بحياة عمه وأعماله الانسانية : هذا الجانب الذي يجب أن يركز عليه كل غني ، كل مشروع ناجح يقابله مشروع خيري وإنساني

ولما علمت عائشة بعودة روبيكا استأذنت زوجها بمصاحبتها حتى تغادر البلد ، فساعدتها بتوفير أهم مصادر العلم الإسلامي من كتب الحديث النبوي والتفسير والسيرة والتاريخ والعقيدة والفقه ، واشترى لها عمها كثيرا من المراجع العربية ، وما وجده من الكتب الإسلامية باللغة الأجنبية ، وشجعها على تعلم العربية حتى تستطيع فهم الدين الإسلامي ، واختارت لها عائشة عددا من المراجع العربية المهمة في اللغة ، ورغبها عمري على العودة ثانية بعد نيل شهادة الماجستير ، وكان يستميلهما للحياة بقربه ليحاول عودتهما لحظيرة الإسلام بعد كل هذه الضياع فهم لا يعرفون عن الإسلام شيئا ، فقد أخبرت روبيكا أن الذي حبب إليها الكتابة عن الإسلام والمرأة المسلمة .. أنها اكتشفت على كبر أن دين والدها الإسلام .. لقد كانت تقرأ في مكتبة الجامعة عن الإسلام فلا تجد شيئا في أسرتها من الإسلام ، وأحيانا عندما تلتقي بوالدها تسأله عن الإسلام ، فلا تجد عنده شيئا إلا بعض الكلمات العامة المبهمة ، والسبب الثاني أن لها زميلات في الجامعة مسلمات وأكثرهن من القارة الهندية وإندونيسيا .. فتلاحظ صلاتهن وصيامهن ولباسهن ؛ ولكن لا معلومات كافية لديهن عن الإسلام سوى طقوس تعلمنهن من أسرهن ، وعندهن القليل من اللغة العربية الركيكة .. وكانت تحاول أن تعرف الإسلام من الدكاترة المختصين في الجامعة ، والمهتمين بالاستشراق والمسلمين ، فاقترح عليها أحد الدكاترة الكتابة لنيل شهادة الماجستير عن المسلمين والمرأة المسلمة ؛ لتتعرف على الإسلام وتكسب الشهادة ، فوافقت وبدأت تعد نفسها لذلك .. فحاولت أن تستفيد من إسلام أبيها ، فوجدته أميا في دينه لا يعرف الصلاة ولا الزكاة ولا الصوم ولا شيء عن الدين ، وأنه كان يعيش في أسرة لا تفقه عن الإسلام شيئا ، ولما أتى هذه البلاد كان فارغا من الثقافة والمعرفة الدينية ، فانصهر في المجتمع الأمريكي انصهارا كاملا ، وبعد زواجه من سيزانا نسي أمته وجذوره ، فلم

يفدها سمري بشيء سوى أن نصحها بالسفر إلى بلاد العرب ، ومقابلة عمها عمري شقيقه ، وأن عمها شيخ ويعرف الدين ، فسيفيدها في أطروحتها علميا وعمليا ، وشجعها مدرسوها على هذه الخطوة ، وقالوا لها : ترين المسلمات على أرض الواقع .. فكانت هذه الرحلة ، وكانت تسمع من عمها ، ومن عائشة كما ذكرنا ، وساقها عمها إلى بعض المنتديات العلمية والمفكرين الإسلاميين ، وقامت بزيارة لبعض الجمعيات المختصة بالنساء والأسرة ، ورافقتها عائشة إلى بعض الجمعيات الإسلامية وكانت تقول لعائشة بعدئذ : إسلام متناقض في بلادكم .. ولما تسألها لم ؟! فتقول : الناس يجهلون الإسلام .. فعندما ندخل جمعية مهتمة بالمرأة وأحلامها وتحريرها وحقوقها .. تجديهن يتكلمن عن الإسلام بعموميات .. الإسلام مع حرية المرأة .. الإسلام مع استقلال المرأة .. الإسلام مع عمل المرأة .. ويرددن ما نقرأه عنكم في الغرب .. القوامة والتعدد الحجاب والميراث الكبت الجنسي العقد النفسية .. وعندما أجلس مع امرأة مسلمة محجبة مثقفة أجد لديها دفاعا جيدا ومقنعا لهذه الطروحات المختلفة وما تسمونه الشبهات .. ويقلن أن طبيعة المجتمع المسلم يخالف طبيعة المجتمع الكافر المجتمع الغربي .. وهذه الأعمال منسجمة - في رأيهنّ - مع طبيعة المجتمعات الإسلامية ولا يوجد اضطهاد للمرأة أو احتقار أو نقص من كرامتها أو عقلها وجمالها .. فيحق لها التملك والعمل والعلم واختيار الزوج المناسب الكفء كما هو عندنا .. وتجدينها موظفة وعاملة في المكان الذي يناسبها فسيولوجيا ونفسيا .. وعندنا النساء تعمل في المكان المناسب والذي ترغب ؛ ولكن هناك إشكاليات في النظام الاقتصادي عندكم ، فعندنا الربا مباح والاحتكار وكل ما يباح بالقانون فهو مشروع .. وعندكم النظام الاقتصادي مهلهل بين الرأسمالي والاشتراكي والإسلامي

قالت عائشة : نحن الممنوع عندنا حق لله ولرسوله .. فما أحله الله وأجازه الله فهو المباح ، وما حرمه الله فهو حرام .. مهما تحايل الناس على تحليله .. فهو حرام .. فأيهما خير قانون الله خالق الإنسان أم قانون البشر الذي هو مخلوق زائل ؟! .. وهل يكفي يا روبيكا أن نتحدث عن عدالة وجمال الإسلام ولا نطبقه ؟! .. فنساء الجمعيات في بلاد المسلمين أي المتخصصة بالمرأة ووضع المرأة يأخذون من الإسلام ما يوافق هواهم لدعم مقولاتهم في الندوات والمحاضرات ، ويأتون بشواهد شرعية في قضايا معينة ، والشاهد للأسف بعيد عن ذلك الاستدلال ..فأصحاب الهوى

هكذا يطبقون القضية أو الشيء ثم يأتون بها يناسبه من الكلام العام .. مثلا قضية الحرية الشخصية يأتون بأقوال إسلامية مأثورة لا إكراه في الدين فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر للتدليل على حرية الدين والعبادة .. وينسون أنه محرم على المسلم تبديل دينه .. وقيسوا على ذلك مسألة السفر والمحرم ، فيدّعون أن هذا ضد الحرية الفردية ، ولم يبحثوا بالحكمة والفائدة من وجود المحرم أثناء السفر .. الإسلام دين كامل متكامل .. جماله وحسنه في ممارسته .. ممارسة الصلاة تغطي جانبا مهما من حاجات الإنسان البدنية والروحية ، وقبل ذلك طاعة لله الآمر بها والزكاة طاعة أولا وثانيا تسديد حاجة الفقراء والضعفاء، ولها حكم أخرى من طهارة النفس ونمائها وتزكيتها ، وحتى لا أطيل عليك فخذي إقرئي قصة هذه الفتاة العالمة في الذرة وهي فتاة إنجليزية ، وكيف اعتنقت الإسلام .. فقصص المهتدين فيها لطائف جميلة ومثيرة

أخذت روبيكا الورقة المطبوعة من يد عائشة وأخذت تقرأ قراءة ذاتية صامتة :

((قصة إسلام الدكتورة كريستين جاك هيلين

عالمة الذرة البريطانية

ولدت هذه العالمة الانجليزية لأسرة نصرانية ثرية ، ألحقها والدها بأرقى المدارس .. ، وهذه الطفلة التي ولدت ، وتربت في مجتمع نصراني ، لم تعلم شيئا عن الدين الإسلامي دين الله الخالد ولكن قدرة الله تعالى وعنايته ورعايته شاءت أن تذهب هذه الطفلة الجميلة ـ وهي دون العاشرة من عمرها ـ في رحلة سياحية إلى بلاد الهند التي تلتقي في أراضيها أكبر مجموعة من الملل والنحل ، بلاد كانت تخضع لبريطانيا العظمى ، علمت أن هناك دينا عالميا اسمه الإسلام يعتنقه ملايين الناس ، وشدها ما رأته من وجود علاقات من نوع فريد تربط بين الأسر المسلمة .. الود والإخاء ، ومع حداثة سنها أدركت الفرق بين مجتمعها النصراني والمجتمع المسلم المتماسك ، وكان أكثر ما شدها ، وقوفهم في صفوف متراصة في سكون وخشوع حين يؤذن المؤذن للصلاة وأحست كريستين في قرارة نفسها أن هذه الطقوس التي يمارسونها غير غريبة عنها ، وأنها تعرفها منذ ولادتها ، ووجدت نفسها منجذبة إلى تعلم صلاة المسلمين ، وتؤديها معهم كأنها واحدة منهم ، وبدأ كأن نداء خفيا يدعوها للتردد على المساجد التي تعلق بها قلبها دون أن تدري سر هذا التعلق ، والأسرة أسرة كريستين عدت ذلك شقاوة أطفال ولعب ولهو أو هواية يمارسها طفل ، ولكن حب الإسلام تغلغل في أعماق الفتاة الصغيرة ، فلما شبت عن الطوق

أخذت تسعى إلى معرفة هذا الدين القيم ، فأخذت تقرأ عنه ، وبدأت تدرك أن دين الإسلام هو الدين الحق ، وأن الله اختاره لعباده .

عندئذ أحست الأسرة وأدركت أن ابنتهم تجاوزت مرحلة اللهو ، وأن تعلقها بالمساجد الاسلامية ليس هواية بل صار عقيدة تؤمن بها ، فتملك الأسرة رعبا وخوفا أن تهجر الفتاة دين آبائها وأجدادها وتعتنق هذا الدين الوافد من الشرق .. دين أهل الصحراء والبادية ، فهنا عمد الأهل إلى إقناعها بتحويل دراستها الجامعية إلى الجانب العلمي البحت ظنا منهما أن دراسة العلوم بما فيها من جفاف مادي ربما يبعد بابنتهما عن متابعة التعلق بالجانب الروحي للإسلام ، وينأى بها عن خطر التحول عن دينها النصراني ، وهذا التوجيه من الوالدين لم يجد معارضة لدى كريستين لأنها في أعماقها كانت تحب العلم ، وأن طلبها له لم يكن ليعارض ميولها ، لمعرفتها من خلال قراءتها أن الإسلام يدعو إلى العلم ويحث عليه ، فاستجابت لتوجيه الوالدين بسرعة فاستراح قلباهما وابتساما ابتسامة رضا ظنا منهما أنهما نجحا واستطاعا أن يبعدوا بها عن الإسلام .

لكن العلوم العلمية ساعدتها كثيرا في معرفة الله تعالى ، فوجدت نواحي العظمة والإعجاز في خلق الكون ... وزادها ذلك قربا من الله تعالى ، وحين رأت الأسرة أن سعيها قد خاب وأن كريستين زاد قربها من الإسلام بدراستها العلمية ، فحاولوا بشتى الطرق أن يعيدوها للظلمات ثانية ؛ لكن هيهات أن يدع القلب المؤمن النور إلى الظلمة مرة أخرى .. وكمحاولة أخيرة لردها عن الإسلام ، أحضرت الأسرة لها شابا نصرانيا ليتزوجها لعل في زواجها منه ما يردها إلى عقيدة النصارى ؛ لكنها رفضت الشاب بشدة ولم تقبل الارتباط به ، وسعت لأن تجد زوجا مسلما يحمي روحها من الردة ، فجاء ذلك على يد شاب مسلم هندي ، تزوجته على سنة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ، وأشهرت إسلامها ، وغيرت اسمها إلى أمينة محمد كيرال .

أمينة محمد كيرال تحيا اليوم حياة زوجية آمنة مطمئنة ، وتنعم روحها بالسلام والهدوء والسكينة وقد أنعم الله عليها وعلى زوجها بثلاثة ذكور أسمت أولهما محمدا وثانيهما عمر والثالث عبد الله وحرصت هذه المرأة المسلمة على تربية أولادها على قيم الإسلام وتعاليمه ، وهذه قصة إسلام عالمة الذرة البريطانية الشابة الدكتورة كريستين جاك هلين .. والفضل بيد الله يؤتيه من يشاء وهو الهادي إلى سواء السبيل))

كانت عائشة وسهام ترشفان الشاي ، ويتتبعان حركات وتفاعلات روبيكا المسلمة بالاسم

لقصة كريستين النصرانية التي دخلت في دين الله الخالد الإسلام ، فلما أنهت الفتاة قصة عالمة الذرة وضعت الورقة على الطاولة التي يجلسون حولها ونظرت للفتاتين وقالت : قصة عظيمة يا عائشة ! .. واعلموا أيضا أن من أسباب اهتمامي بالإسلام .. إسلام أحد دكاترة الجامعة أستاذ كبير في الفلسفة .. فبهرني ذلك لأنني أعرفه شخصيا ، فقلت لنفسي الكفار يسلمون ، ونحن نبتعد عن الإسلام .. لماذا؟ هل من جواب يا عائشة ؟!

أخذت سهام الورقة المكتوبة بالإنجليزية ، فقالت لها عائشة : أنا ترجمتها عن مجلة عربية لتقرأها الأخت روبيكا .. فهي موجودة باللغة العربية يا سهام

قالت سهام باسمة : سأقرأها أنا أعرف الإنجليزية جيدا

ـ إقرئي يا حبيبتي

فقالت روبيكا وهي تشير لسهام التي أخذت الورقة وابتعدت عنها : إنها فتاة ساهمة حائرة هل من شيء يقلقها ؟ .. أراكم بيتا مسلما نموذجيا طيبا رائعا .. لا أقول ذلك مجاملة

تبسمت عائشة وقالت : هل لاحظت ذلك على سهام ؟

ـ أجل

ـ لا يخلو إنسان من مشاكل وهموم ، مع ما فيه من السعادة والنعيم .. كيف عرفت ؟

ـ إنها تتحدث بمواضيع متقطعة .. نتكلم بموضوع ثم تنتقل لغيره .. فهذا يدل على انشغال البال .. فالانتقال من موضوع إلى آخر بسرعة وبدون أن ينتهي الأول يدل على عدم التركيز وانشغال الذهن

ـ ملاحظة مهمة !

... يتبع في الحلقة التالية

قصص وحكايات الفوارس

رمان

الحلقة الثانية والأخيرة

وبعد مسير بين الجبال والوديان دخلا مدينة أسد دار ، وكان وصولهما مع المساء ففي أول دار للغرباء سكنا ، وبعد سبعة من الأيام رسما خطة لخطف ملك أسد دار ، كان من عادة ملك أسد دار الخروج للبراري للصيد والقنص ، ويأخذ في حملته عددا من الفرسان ، فأحيانا يخرج من الصباح لليل ، وأحيانا يمضي في البرية ليالي ، فرصد رمان وسادر موعدا من مواعيد الصيد ، وكان من عادته أيضا ألا يبعد عن المدينة كثيرا ، فقاما بشراء فرسين لهذه المهمة ، ولما علما بخروج الملك للصيد تبعاه على فرسيهما ، فلما تعب الملك من الركض والمطاردة للحيوانات البرية جلس يستريح وحوله رجاله في خيمة نصبت له ، وكان رمان وسادر

ينتظران هذه اللحظة ، فأخذ رمان الحلوى الموضوع فيها البنج ، وترك صاحبه يراقبه واقترب من خباء الملك متظاهرا بأنه تائه في الصحراء يبحث عن طعام وماء ، فألقى عليهم السلام ففزعوا في البداية فقال : عابر سبيل.. هل أجد عندكم ماء.

فقربوا إليه ماء ، فلما شرب وارتوى بدأ يتحدث معهم ، وأخذ يوزع عليهم الحلوى وهو يضحك ، ويبدي امتنانه على سقية الماء متظاهرا بأنه يقدم الحلوى مكافأة لهم على شربة الماء ، ولم يترك أحدا إلا أطعمه من الحلوى ، وبعد حين أصبح الجميع نياما ، وبعد أيام كان سادر يدخل بالملك الأسير مدينة السلام ويضعه بين يدي القاضي الحاكم الذي نهض عن عرشه يفك قيوده ويرحب به قائلا : أهلا بالملك سعيد بن هاد ملك أسد دار.

فقال الملك بغضب: هذا غدر أيها القاضي الغادر! .. آ .. نسيت أنك غدرت بابن مولاك ونصبت نفسك ملكا مكانه .

رد القاضي : أنت أسير أيها الملك.. وها أنت ترى كيف أحضرك رجالي بدون قتال ؟ .. اطمئن لن نقتلك .

فصاح الملك غضبا : إنك لا تجرؤ على ذلك، إنك أجبن من ذلك أيها القاضي الغادر .. لولا الحيلة ما كنت هنا وحدي .

فقال القاضي السابق : لن أقتلك مهما أخطأت في حقنا أو شتمتني .. والحيلة نصف الحرب .. سأعفو عنك .. ولكني أحببت أن أحضرك إلى هنا حتى تعلم أنني استطيع قتلك في عقر دارك فعندي رجال أشاوس لا يخافون الموت .. طلبت منهم أن يأتوا بك حيا لنتفاهم .

فصاح الملك الشاب : لن أتفاهم معك .. أتفاهم مع غادر ! اقتلني أيها الجبان الغادر .. إن لم تقتلني سأدمر هذه المدينة عن بكرة أبيها .

فقال القاضي لجنوده : خذوه لقصر الضيافة حتى تهدأ روحه .

فأخذه الجند وهو يزمجر ويسب ويلعن القاضي الذي التفت لسادر قائلا : عملتم عملا عظيما ! لقد كانت نظرتي إليكم في محلها أنتم مكانكم مع الفرسان ، ليس مع الشطار والزعران ؛ ولكن أين صاحبك لقد شغلني هذا اللعين عنه ؟! .

قال سادر : سيأتي أيها السلطان إنه خلفي .. إنه متعب فتركته في الطريق وجئتك بالأسير مسرعا

فقال القاضي : اذهب الآن واسترح وعندما يرتاح رمان اقبلا عليّ لأخذ جائزتكم.

كان تأخر رمان خارج البلد خوفا من غدر القاضي والادعاء أمام الملك الأسير أنهما فعلا ذلك من تلقاء أنفسهما ، وبعد يومين دخل رمان المدينة برفقة سادر الذي قصد المكان الذي اختفى فيه ،

وأعلمه بما جرى بين الملك والقاضي ، فمشيا إلى القصر واستقبلهما القاضي ، وأثنى على شجاعتهما وجرأتهما ، فأهداهما فرسين قويين وسلاح الفرسان ، وقال لهما : أنتما أصبحتما من فرسان مدينتنا ، وعندما انتهي من هذا الأسير المغرور والمتعجرف سأكافئكما بما تشتهيان .

بعد سنين مكثاها عند الملك القاضي قررا العودة لكسروان ، فقد ملّا من حياة الهدوء ، فتركا زوجاتهما ، وسارا بعد هذه السنوات إلى كسروان حيث الأهل والأصحاب والبدايات .

وبينما هما يسيران إلى كسروان وفي ليلة من الليالي سمعا أصواتا عالية في أحد الوديان الذي يجتازانه، فأصغيا سمعهما، فسمعا بكاء نساء وأطفال وأنين جرحى ، وبعد حين سمعا كلمات رجل يقول : ماذا نفعل يا أماه ؟!.. فلنستريح في هذه الوادي تحت هذه الأشجار المحيطة به ، لقد تعبنا من المشي والركض الأطفال قد جاعوا .

وسمعا صوت الأم القوي يقول بصوت مسموع : حسنا انزلوا أيها الرجال .. انزلن أيتهن النساء تحت أشجار هذا المكان . . لابد للظالم من زوال . فهبط الناس عن البغال والخيل والحمير، وأنزلوا إلى الأرض شابا كان محمولا على نعش ، واشتعلت النيران في المكان لصنع الطعام وكان أحدهم يقول : لقد ابتعدنا عن المدينة مسيرة يومين ، ولا أظن أنهم سيلحقون بنا قاتلهم الله .

كان الفارسان بطلا مدينة السلام يسمعان هذه الكلمات وهما يستريحان بالقرب من شجرة ضخمة من غابة الوادي فقال رمان : قوم منكوبون هاربون ومنهكون من التعب!.. اذهب وتحدث معهم يا صاحبي ، وجئني بخبرهم ؛ فإذا كنا نستطيع مساعدتهم نفعل ، والله ذاك القاضي حبب لنفوسنا صنع الخير للناس .

مشى نحوهم سادر من غير تردد ووقف بينهم وصاح : أيها القوم ! أنا ضيف لا تخافوا مني .. أنا سادر بن علام .

فقام إليه بعض الرجال ورحبوا به فقال لهم : صدف أن سمعنا صياحكم وبكاءكم فجئت أسمع خبركم لعلي وصاحبي رمان نساعدكم .

فقال له أحد الرجال : اجلس أيها الفارس النبيل .. عرفنا بنفسك ؟

فقال سادر مرة أخرى : قلت لكم اسمي سادر بن علام وصاحبي الفارس رمان من أهالي مدينة السلام .

فقال رجل منهم : حياكم الله .. وأهلا بك .. نحن هاربون من عدونا أيها الفارس

جلس سادر على الوسادة التي قدمت له ، والتف القوم حوله، بعضهم قاعد وبعضهم قائم ، وعاد الذين يصنعون الطعام إلى إعداد الطعام فقال رجل : نحن قوم هاربون من بلدتنا .. لقد تجبر علينا قومنا وبغوا علينا.. وقتلوا أمراءنا وسادتنا .. وهذا الرجل الذي يرقد على السرير ـ وأشار إلى شاب مسجى على نعش ـ ابن ملكنا الذي مات قبل أيام ، ولما أردنا وضعه مكان أبيه تمرد عبيدنا علينا ، ونصبوا عبد مولانا الملك مكانه وانضم إليهم أوباش مدينتنا .. فهربنا بابن ملكنا المريض وأمه وأخته ونسائنا ، ومن أحب الهرب معنا ، ونحن قاصدون مدينة السلام وما حولها من المدن لننعم بالسلام والأمان عند مليكها جوهرة الزمان القاضي بلال شهر .. هذه قصتنا أيها الفارس سادر بن علام .

وقف سادر وهو يقول : لي صديق ، وهو ليس عنكم ببعيد سأذكر له خبركم لعله يرضى بمساعدتكم ، فهو فارس صنديد من فرسان الملك جوهرة الزمان كما قلتم القاضي بلال .

وعاد لرمان بن سنهار وحدثه بما سمع ، وجاءهم رمان وكله شهامة وحمية ، ولما تحدث معهم عاد يقول : كم فارسا أنتم؟

فرد كبيرهم : نحن عشرون فقط ، ومعنا بعض الجرحى والخدم والنساء .

فقال رمان بشجاعة وحمية وغضب : كم فرسان مولاكم الملك الذين ظلوا في المدينة تحت إمرة العبد ؟.

فرد كبير القوم : كثيرون أيها الفارس الشهم .

فقال رمان بقوة وحماسة معهودة فيه سابقا : قررت الوقوف معكم .. والفتك بهذا العبد اللئيم يبدو أنني أحببت العمل مع الملوك على غير هواي ..سنذهب الرجال جميعا إلا الضعيف .. ويبقى العبيد والنساء هنا ونغزو بلدكم .. فما تقولون ؟

فقال الرجال وقد تحمسوا من كلام رمان : نحن تحت أمرك أيها الفارس الشهم .

فقال رمان : فليستعد رجالكم للعودة معنا ورتبوا أموركم مع ملككم المريض .

ومع بزوغ الفجر كان رمان وسادر يتقدمون الرجال نحو مدينتهم وهم يعتلون صهوات الجياد وبعد مسير يومين وصلوا المدينة ، وطلب رمان من بعض الرجال الاتصال بفرسان الملك وجنده السابقين لمساندتهم ، وتقدم هو والآخرون نحو قصر السلطان ، وقال رمان لأحد العبيد الحراس على مدخله : اخبر سلطانك أن رمان بن سنهار يرغب بمقابلته .

وكان العبد الحاكم يقف على شرفة مطلة عليهم فصاح منها : من أنت أيها الحقير لتصيح في أسيادك العبيد ؟! .

فقهقه رمان وهو ينظر إلى فوق يحث يقف العبد المتمرد الضخم وصاح بصوت كأنه قصف رعد : كأنك لم تسمع بي يا عبد السوء !.. أيها العبد الخائن .. تطرد مولاك ولي نعمتك وتتحكم في رقاب أهل هذه المدينة الصغيرة .. لكأنك فارس وند للفرسان .. فاهبط إليّ أيها العبد اللئيم .

استشاط العبد غضبا على غضب ، واشتعل رأسه نارا ، واحمرت عيناه من قسوة الكلام الذي سمعه ، وكاد يقفز من شرفة القصر ليدق عنق شاتمه وصاح : انتظر أيها المغرور الكبير .. سترى فعال العبد معك يا ابن سنمار .

بعد قليل خرج العبد من القصر ، وهو يعتلي صهوة جواد ضخم ؛ كأنه الفيل وبيده حربة صدم بها رمان الذي زاغ عنها بمهارة الفرسان ، فهو قد أمضى سنوات عمره في مدينة السلام يتعلم الفروسية ومبارزة الفرسان ، بل يسافر إليهم ليكتسب خبراتهم ومهاراتهم ، وكان الخبر قد انتشر في المدينة فاجتمع الناس والعبيد من أنحاء البلدة لمشاهدة المعركة الغريبة .

تمكن رمان من إسقاط العبد القوي على الأرض ، وقد دارت به الأرض ، وصاح في عبيده بالهجوم عليه ، ولكن سادر والفرسان الذين معه ، ومن أسرع من فرسان الملك وجنده كانوا قد ملئوا المكان ، فبدأت المعركة الرهيبة أمام قصر السلطان، فغاصت سيوف الفرسان في رقاب العبيد الذين صدموا من قوة الفارسين، وضاع العبيد تحت أقدام الخيل وشجاعة الأبطال ، وفر الجبان من ساحة الوغى ، وأخذ الناس بمطاردة العبيد والتنكيل بهم ومساعدة الفرسان ، وما دخل الليل حتى كان رأس العبد الكبير المتمرد معلقا على رمح طويل على مدخل القصر؛ ليكون عبرة لكل غادر وجبان ، وقام الجنود بالفتك بالعبيد والتخلص منهم ، وتم النصر على العبد الأسود ورجاله ، وما نجا إلا الذي تمكن من الهرب والابتعاد ، ومن لم يكن داخل المدينة أثناء المعركة ، ولما استقرت الأحوال أرسل الفارس رمان وفدا من الفرسان للعودة بالملك المريض ومن معه ، والذي فرح كثيرا بما سمع من الأخبار، ومن ثم عرض على الفارس رمان أن يصبح وزيرا له فاعتذر الفارس وقال: لا أستطيع أيها الملك السعيد .. سنبقى ضيوفك بضعة أيام، ثم أتابع مسيري أيها الصديق .. وعندما تحتاجنا فأرسل إلينا في مدينة السلام نكون تحت خدمتك .

عاد الهدوء للمدينة الصغيرة بعد ثورة العبيد الذين قتلوا شر تقتيل جزاء غدرهم ، وطرد الأحياء منها ، وبعد أيام تابعا السفر نحو مدينة كسروان ، فحلا فيها بعد سنوات من الفراق فقد كبرت سنهما ، وتغيرت بعض ملامحهما ، فاشتريا بيتا على أنهما

غريبان يرغبان بالحياة في مدينة كسروان، فكان رمان يقول لسادر: كيف سنعيش في هذه المدينة وقد تعودنا على الحياة الهادئة حياة الفرسان والشرفاء ؟! .. لقد أحسن إلينا القاضي وقد أساء ، أحسن إلينا بأن جعلنا من الفرسان الشرفاء الذين يخدمون الحكام والسلطان ، وقد أساء إلينا بأننا بعد كل هذه السنين لن نستطيع السرقة والاختلاس، فكيف سنسرق وقد أصبحنا من الفرسان؟! .. صراع في داخلي وحيرة تظلل أفكاري أيها الصديق .. أنت ماذا سميت نفسك ؟ .. عفيف بن شريف .. وأنا ماذا ؟ فارس بن فرساني .

فقال سادر بعدما صمت صاحبه عن الكلام : ماذا سنعمل هنا يا فارس الفرسان ؟

لزم رمان الصمت حينا ثم قال : نحن لا نحب العمل المقيد.. نحن نحب العمل بحرية .. ولكن المال لابد له من مصدر ..فلو التحقنا بفرسان الملك رغم صعوبة الحصول على ذلك لن نصبر على الأوامر .. إنني بدأت أندم بتركي مدينة السلام لقد كنا من السادة.. يا ترى ماذا حل بزوجاتنا من بعدنا ؟ ..أنا جئت لقد حننت لأمي وأخي فمنذ أن التحقت بعصابة سواح لم أرها منذ عشرين سنة .. يا الهي !! ..لا أدري هل أمي حية يا سادر؟ وأخي أنا لي أخ شقيق من أبي وأمي .. هل صار لي إخوة آخرون لقد هجرتهم ؟! .

فقال سادر : وأنا مثلك يا صاحبي تركت الأهل الأم والإخوة الثلاثة الأصغر مني وانضممت لرجال سواح .. ولي أختان أيضا .. تجاوزنا الثلاثين من العمر أيها الفارس .. سواح ما أخباره يا ترى ؟!

وبعد يومين من استقرارهما في المدينة كانا بين يدي حاكم كسروان ، فقد قبض عليهما الجنود ، وكان هذا الحاكم ابنا للملك السابق الذي توفاه الله وهم في مدينة السلام ، وتم تنصيب ولده مكانه ، وقد تغير الوزير والقاضي أيضا ، فلما مثلا بين يدي الملك قال لهما : إنكما غريبان عن المدينة .. أليس كذلك ؟!

قالا: بلى يا مولانا الحاكم نحن من مدينة السلام التي يحكمها القاضي بلال شهر .

فقال الملك الشاب بصراحة : أنتما لستما جاسوسين ؟

فقال رمان : جاسوسان ! .. لا يا مولانا .. ومن قال عنا ذلك أيها الملك الكبير لنا يومان فقط في مدينتكم .

التفت الملك لوزيره وقال : يومان فقط لهما في مدينتنا أيها الوزير .. ماذا فعلا ؟

قال الوزير : العيون قالت إنهما دخلا المدينة وسكنا منزلا واختفيا فيه ولم يخرجا.

فقال الملك : أحقا أنتما من مدينة السلام ولستما من أعوان ملك أسد دار؟!

فأقسم رمان بأنهما قادمان من مدينة السلام ، وقال رمان : أبدا يا مولاي نحن من مدينة السلام وباستطاعتك أن تتأكد من ذلك ، ونحن في خدمة مولانا الملك وما نحن بعيون بل نحن من فرسان القاضي بلال .

فالتفت الوزير للملك قائلا : يبدو أنه قد حصل خطأ في القبض عليهم من قبل الجند.

فقال الملك : خطأ !.. أوضح الأمر لهما يا وزيرنا وتأكد من أنهما من مدينة السلام وليسوا عيونا لأحد .

فأخذهما الوزير من مجلس الملك وقال لهما معتذرا : بما أنكما غريبان سأوضح لكما جلية الأمر ونحن نرحب بالضيوف المسالمين .. لقد دارت بيننا وبين ملك أسد دار رحى الحرب منذ أربع سنوات سقط فيها كثير من الفرسان والأبطال والسادة الوزراء والقضاة .. وتم الصلح بيننا وإنهاء المعارك، ولكن ما زال الوضع متوترا بيننا ، ويرسل علينا الجواسيس والعيون وقد سقط الكثير منهم في أيدينا ، ونحن لنا عيون هناك من التجار وغيرهم .. فأرسلوا إلينا إشارة بدخول جواسيس البلدة ، فرصدنا مجموعة منهم ، وهم تحت عيون رجالنا ، وكان ينزل في البيت الذي تسكناه رجلان منهم ، فيبدوا أنهم عرفوا بمراقبتنا لهم ، فهربا ووقعتما أنتما بدلا عنهما .. فاقبلا اعتذارنا نيابة عن الملك .

فعجبا مما سمعا من الوزير عن الحرب والقتال ورد رمان على الوزير قائلا : أيها الوزير قبلنا الاعتذار ونحن في خدمتكم وإذا رغبتكم بأسر وخطف ملك أسد دار وإحضاره لبين يدي الملك فأنا وصاحبي مستعدان لذلك .

وقص عليه قصة القاضي بلال حاكم بلاد السلام والملك صاحب أسد دار، فاستغرب الوزير مما قال رمان وقال : سأفكر بما تعرضان علينا .

وفارقا القصر بأمان وهما يتعجبان من تغير الأحوال والناس خلال مدة هربهما لمدينة السلام ، فقد مات الحاكم ومات القاضي ، وقد حزنا على ما أصاب البلد من خسارة أثناء الحرب وقال سادر : أعتقد أن الملك إذا سمع حكايتنا مع ملك أسد دار سيوافق على خطف ملك أسد دار.. أرى أن العمل قد فتح علينا .. فالراحة التي كنا نشكو بوادرها لا تريد أن تهب علينا .

فعلق رمان ساخرا : العمل عند الحكام والسلاطين أفضل من العمل مع الخفافيش وسواح .. نريد أن نعرف أخباره بذكاء يا سادر .

بعد أيام طلبهما الملك الجديد واستمع لقصة أسرهما للملك أسد دار وسر من حيلة القاضي لتجنب ويلات الحرب ، ولما انتهيا من قص

المغامرة أمام الحاكم قال لهما : وهل تستطيعان إعادة الكرة .. وإحضار ذلك الملك مأسورا ذليلا إلى هنا ولكما ما شئتما ؟! فلي ثأر عند ذلك الملك ، فقد قتل أخي الأكبر في المعارك على يديه؛ فإذا نجحتما في هذه المهمة الكبيرة فستصبحان من المقربين لعرشنا، ولكما منا ما ترغبان

فقال رمان : أيها الملك نحن في خدمة عرشكم .. سأنفذ رغبتك وسوف ترى ملك أسد دار ذليلا أسيرا بين يديك .

ولما تجهزا لأسر ملك أسد دار رحلا ، ولما قطعا المسافة بين كسروان ومدينة أسد دار في عشرة أيام تنكرا بلباس عباد الصوامع والرهبان ، ودخلا المدينة على أنهما راهبان مارّان من أسد دار ، وطلبا لقاء الملك وزيارته، فاستقبلهما ورحب بهما وقال لهما : أيها الراهبان الجليلان من أي البلاد أنتما قادما ؟

فقال رمان الراهب : أيها الملك الكريم لقد دخلنا مدنا كثيرة .. مررنا بعبدان وهروان وكسروان ومدينة السلام وها هي المدينة الخامسة في رحلتنا الدينية في البلدان وزيارة ملوك الزمان وأمراء الأيام .. نهب لهم البركات والدعوات ونأخذ منهم الهبات والعطيات حتى نعود لمعبدنا الكبير معبد الشيخ رهبات شيخ مشايخنا كما تعلم يا ملك الزمان .

تمتع الملك من أحاديث الراهبين ، وقد استمع لأخبارهم وعبادتهم في قمم الجبال وبغضهم للدنيا والأموال.. فتحمس سادر الراهب وقال : يا ملك الزمان ما أحلى الحياة على قمة الجبل مع العباد والرهبان والخلوات ونسيان المشاكل والهموم والحروب والأسقام ، والأكل القليل بدلا من ملء الكروش بالدهون والحشوات! .. آه .. لو تجرب مثل هذه الحياة بضعة أيام لتزهد في الحكم والملك .

فضحك الملك وقال : أيها العباد أنتم لكم واد ونحن لنا واد ، لا تصلح الدنيا إلا بملوك يسوسون الناس بالعدل والإنصاف وترك الجور والظلم .

فقال سادر : والحروب التي تجري بين الملوك أليست من الجور والظلم ؟

وهنا قال رمان : يا ملك الزمان ونحن داخلان المدينة رأينا جبلا عظيما شاهق الارتفاع مسبحا للرحمن .. قلت لصاحبي إنه يصلح أن يسكن عليه العباد والرهبان لو يأذن لنا مولانا الطيب الكريم بأن نجعل عليه صومعة لنا تبقى ذكرى على مر الزمان .

فقال الملك : أي جبل تقصدان ؟

قال سادر : يسميه الناس عندكم جبل الريح ذاك الجبل العالي .. نبني عليه معبدا صغيرا يبقى هدية

من ملك أسد دار لهذين العابدين الزاهدين في دنيا الناس ويكون محطة استراحة للرهبان العابدين المارين من بلادكم العامرة .

فقال الملك : افعلا ما شئتما أيها العابدان .. يا وزيرنا يا رنان ساعدهما في بناء الصومعة في قمة جبل الريح .. وأكثرا لنا من الدعوات للانتصار على أعداء الدين والدنيا يا شيخا الزمان .

فقال رمان : لن ننسى معروفك أيها الملك الطيب .. سنكثر من الدعاء في الليل والنهار وأثناء الصلوات .

وسارا بالوزير إلى الموقع الذي يرغبان بإقامة صومعة لهما عليه، ولما وصلا للمكان المقصود كان الوزير قد هلك من التعب فقال : مكان بعيد وعال !

فقال سادر: نحن العباد نحب البعد عن الناس يا مولانا الوزير أدام الله عليك الوزارة وأعطاك ما في نفسك إنه كريم جواد .



أمر الوزير الصنّاعين ببناء صومعة للزاهدين بأسرع وقت ، ولما اكتمل البناء، رغبا من الملك ووزيره مشاركتهما الدعوات الأولى في الصومعة ، له ولشعبه ولجنده ، وطلبا منه أن لا يحضر أعددا كثيرة من البشر والحرس ؛ ليتم الابتهال والدعاء بسكينة وروية ، فوعدهما بالحضور هو ووزيره وفارسه القوي شرار لسماع دعواتهما له بالنصر والنجاح على الأعداء، ولما سمع رمان وعد الملك بالزيارة قال: سنسمي هذه الصومعة المباركة صومعة الملك سعيد بن هاد .

وبعد أيام شاهدا الملك ووزيره رنان والفارس شرارا يصعدون إليهم على ظهر الجياد ، ولما قربا من المكان كانت رائحة البخور والعطور تملأ الجبل ، فلما قربا من باب الصومعة قال الملك : رائحة منعشة أيها الوزير ! هؤلاء الرهبان لديهم طقوس غريبة .. وحياتهم عجيبة لا أولاد ولا نساء ولا أطفال .. انظر إنهم يعيشون في قمم الجبال بعيدا عن الناس .. أديان عجيبة !

وخرج رمان من الصومعة صائحا فرحا رافعا كلتا يديه إلى السماء ، يتبعه سادر يرحبان بالضيوف وقال : مرحبا مولاي الملك الطيب! .. مرحبا بمولاي الوزير رنان! .. أهلا بفارس الملك شرار !.. لقد هيئت البخور والطيب لتسمعا أجمل الدعوات والذكريات .. تفضلوا يا مولاي ..

نزل الملك عن جواده ودخل الصومعة المعتمة الغارقة بدخان البخور والطيب المحروق ، ثم تبعه الوزير وظل شرار في الخارج ، وأخذ سادر يرش

بعض الطيب على موقد البخور وهو يقول بخشوع : أهلا بملك الزمان صاحب الخير والفضل على العباد طول الزمان لماذا تأخر فارسك بالدخول يا مولاي ألا يحب سماع الدعاء والثناء لعله يصيبه شيء من الخيرات ؟ .. ادعه يا راهب الليل للاستماع والبركات وينشغل معنا بالدعاء والتمجيد لمالك السموات والأرض .

ففتح رمان باب الصومعة ونادى على الفارس طالبا منه الدخول لسماع الدعوات والتوسلات فدخل رهبة من الشيخ وصوته القوي ، وأخذ الراهب سادر يزيد في البخور والعطور ، وكان رمان يبتهل لرب السموات بتوفيق الملك سعيد في الدنيا والآخرة ونصره على خصومه وحساده وبعد ساعة من الدعاء الحار كان الثلاثة يأخذون الأرض نياما ، وتم ربط شرار ، وأخذا الملك ووزيره رنان مكبلين على ظهر جيادهما ، وسارا بهما نحو كسروان ، فوصلاها بعد عشرة أيام ، وألقي الرجلين أمام ملك كسروان وهما مقيدان بالحبال ذليلان مهانان ، فقال لهما حاكم كسروان : كيف ترون أنفسكم الآن ؟

ولكن الملك المقيد كان يبحلق في عيون رمان بعدما رآه بغير ملابس الرهبان: هذه العيون عرفتها وها أنت تخدعنا مرة أخرى .. أنت شيطان كبير .. ثم أدار رأسه نحو الملك وقال بغضب : أيها الملك ماذا تريد من الملك سعيد بن هاد لتأتى به ذليلا مهانا أسيرا مخدوعا ؟! .

فقام الملك وقال : الثأر أيها الملك !.. لم أنس دم أخي دربان .. وما حل بقومي من الحرب التي أشعلتها طمعا بالمال والنسوان فخسرنا الرجال والفرسان .

فقال الملك سعيد : هذه حرب انتهت منذ زمن أيها الملك وتصالحنا عليها .. واعلم أن ورائي فرسان وأبطال .

فابتسم الملك وقال لخصمه : لا يعرفون أنك هنا .. وأيضا ما زالت عيونك تدخل بلادنا .

فقال الملك الآخر : وجواسيسك أيضا في البلاد .. وهذا غدر ونقض للصلح يا ملك كسروان

فقال الملك : هذا الفارس .. فارس بن فرسان أخبرني أنه سخر منك قبل هذه المرة لحساب ملك مدينة السلام ؟

فقال الملك بحقد وانكسار : إنه إبليس اللعين ! إنه بارع في الخداع والتخدير .. وهز رأسه ساخرا وقال : فها هو باسم جديد في هذا المكان .. فارس بن فرساني ..فماذا تريد مني أيها الملك ؟!

فقال الملك : أرغب بسفك دمك ثأرا لأخي ولأبي الذي مات مفجوعا على ما فقد من الفرسان

فقال سعيد : العفو يا ملك الزمان من شيم الأكارم .. وسأدفع الفدية التي تريدها عني وعن وزيري

.. وأعاهدك بأن لا تقع بيننا الحرب ثانية ومدى حياتي .. الرحمة يا ملك الزمان .

أشفق الملك ورق قلبه لاستغاثة الملك ، وطفرت عيناه دمعا من كلام الملك سعيد .. وقال والدموع قد ملأت آماق عينيه : أحزنتني أيها الملك ! لقد قيل لي إنك جبار قاس القلب والرأس أشفقت عليك يبدو أن فارسنا قد أتعبك في الطريق .. إنها مسافة طويلة .. أنت ضيفي أيها الملك .. أمهلني أياما فيها عرضت من إنهاء الحرب مدى الأيام بين كسروان وأسد دار.

وأمر وزيره بإكرامها ، وإنزالها قصر الضيافة حتى ينتهي من مشاورة أهل الرأي والمشورة .

عفا ملك كسروان عن أسيريه بدون فدية ، واتفقا على إنهاء الحرب بين مدينتيهما إلى الأبد ، وإنهاء التجسس والعداء بينهم ، وزيادة التجارة بين البلدتين ، وبعد إكرامها ودعهما الملك إلى أطراف المدينة ، وعندما اقتربت لحظة الفراق.. قال الملك سعيد لملك كسروان : هب لي فارس بن فرساني يا ملك الزمان .. سأجعله وزيرا عندي ..

فقص الملك على الملك قصة تعرفهما على فارس وصاحبه عفيف فقال الملك سعيد ضاحكا : إذن القبض عليهما خطأ بدلا من جواسيسنا أدى لخطفنا .. إنهما جريئان !.. ليتك تكرمني بهما فقال ملك كسروان : دعك من ذلك .. فسوف أبقيهما في بلادنا وأجعلهما من فرساننا الكبار.. ألا تبغي بتعزيز أواصر المحبة بيننا قبل هذا الفراق ؟! .. ابعث لنا بعروس من بلادكم لولدي نصر .

احتضن الملك سعيد الملك وقال باسما : ابشر يا ملك الزمان ! سأرسل له أختي نهار .. فهذا خير لنا جميعا .

فهتف الملك قائلا : بما أنك وافقت على النسب بهذه الأريحية أيها الملك الكريم سأرسل معك وفدا كبيرا للمجيء بالعروس .

وضحك الملك سعيد وقال : على أن لا يكون فيه فارس وصاحبه .



وضحك الملكان ، ونصبت خيمة كبيرة لبقاء الضيف حتى يتجهز وفد كبير لمرافقته والمجيء بالعروس نهار ، وقد علم أهل كسروان أن الملك منح لفارس وعفيف قصرا ، ولقب فارس السلطان وعفيف مثل ذلك ، وفرح الناس بالصلح الذي تجدد بين المدينتين المتحاربتين ، وكذلك إنهاء كل أشكال العداوة والبغضاء بينهم وأقام الملك حفلا كبيرا في قصره على شرف الفارسين فارس وعفيف، ومنحهما حق المواطنة بكسروان ، وبذلك

يحق لهما الزواج من بنات كسروان ، فسعد الفارسان بهذه الأخبار وهمس رمان في إذن سادر : خرجنا لصين هاربين فعدنا فارسين .. إيه .. الحياة بالقرب من السلاطين أحلى من الحياة في الجبال ومع سواح .

لما استقرا في قصرهما الجميل اتفق الفارسان على البحث عن أهليهما بعد كل هذه السنوات الطوال من الاختفاء والضياع ، وبحثا عن أصدقائهما القدامى من غير أن يعرفا بنفسيهما ، فهما راغبان في معرفة أخبار سواح من غير كشف سرهما لأحد ولما انتهى زواج الأمير نصر من الأميرة نهار أخت الملك سعيد ، طلب منهما رئيس الفرسان الاستعداد لمسابقات الفرسان المعتادة في البلاد ، فاستفسرا منه عن هذه المسابقة ، فأخبرهما أنه تحدث كل سنة في أواخر فصل الربيع مسابقة للفرسان على خيولها الأصيلة والقوية ، والمتقدمون العشرة في السباق ينالون جوائز ملكية وهدايا من الأمراء والأميرات ، وتكون فرصة للأميرات العازبات من الزواج من كبار الفرسان ، فقال الرجل منهيا الطلب ومشجعا لهما : قد تقع بعض الأميرات في هواكم ، وتتزوجون منهن .. فجربا حظكما .. لعلكما تناسبان وتصهران الملك نفسه .. فهو يسمح لقريباته من الزواج من الفرسان الأقوياء والشجعان

أخذ فارس القصة ينظر لصاحبه ، وقد أصابه وميض من الحزن والذكريات، فقد تذكر الفارس حدرد وقال : كنت أسمع عن فارس مهم أيها الرئيس .. عن فارس كأن اسمه حدرد حدرد أجل حدرد ؟!.

قال رئيس الفرسان : عجيب أتسمعان به؟! .. نعم ما زال موجودا .. كان فارسا متفوقا قديما وبطلا من أبطال كسروان.. ولكنه تعرض مرة للغدر من بعض المجرمين ، وسرقوا حصانه ، فتأثر ألما من يومها ، وتعرض لبعض الجروح في حروبنا مع أسد دار فضعفت همته عن المسابقات والمنافسات.. رغم دفعه الآلاف لعودة حصانه يومذاك .. وما زال يحمل لقب فارس السلطان ويحضر إلى ميدان السباق للفرجة فقط .. وهو زوج لإحدى الأميرات .

فتنهد الفرسان عميقا لمَ سمعا ؛ وكأنهما شعرا بالندم والأسف لمَ فعلا لذلك البطل من إحزانه على حصانه ، وقال سادر : سأفكر بالمشاركة أيها الرئيس .

فضحك الرئيس وقال : يجب أن تشاركا.. فعلى الفارس الذي يمنحه الملك لقب فارس المشاركة ثلاثة أعوام متتاليات في هذه السباقات .. ثم يسمح لهم بالاعتذار بعد ذلك .

فعاد لرمان غروره القديم وقال : أيها الرئيس ..

نحن غريبان.. فنخشى إن فزنا على أقراننا أن يحسدنا هؤلاء .. ونتعرض لما تعرض له الفارس حدرد .

فأجابهم الرئيس : منذ سنوات بعيدة لم نسمع بحادثة لفارس ، ولم تتكرر حادثة حدرد .. وقد خف المجرمون في مدينتنا بعدما قضى والد مليكنا على المجرم سواح ورجاله .

فقال رمان بخبث : هذا المجرم سمعنا ببعض أخباره في مدينة السلام .. وهل قتلتموه أيها الرئيس ؟

فقال رئيس الفرسان : مجرم شرس.. له حكاية طويلة يتحدث بها العوام .. وذلك من قبل عشر سنوات أو أكثر.. وقد زاد فساده في المدينة والإجرام ، أصابت البلاد سرقات كبيرة من سواح وعصابته حتى أنهم سرقوا خزنة الملك ، ولكن بعدها وقع أكثرهم في الشبكة ، وتم إعدامهم أمام الناس.. وهرب آخرون لخارج البلاد .. منهم مجرمان كبيران أحدهما يدعى رمان بن سنهار والآخر سادر بن علام ، وبعد ذلك تقلصت الجرائم في بلادنا ، وقد فقدنا أثر المجرمين الهاربين واستقر الأمن والسلام في البلد بعد ذلك .. ثم اشتغل الناس بالحرب والقتال أربع سنوات.. راح فيها مئات الأبطال والرجال والكثير من الأموال إلى أن تم الصلح بيننا ، وعاد الهدوء للمدينة من جديد .. لقد أطلت الحديث معكم .

فرد رمان : لا .. لا .. بل هو حديث ممتع أيها الفارس .. على كل حال سنشارك في المسابقة أنا وأخي عفيفا ، لعلنا نصطاد امرأتين تقر أعيننا إليهن.. ونصبح من الأسرة الحاكمة ، فهذا حلم جميل ما كان يحلم به رمان بل فارس الزمان أنا .

وأخذ يضحك بصوت عال وفعل مثله سادر.

وخرج رئيس الفرسان مسرورا بموافقتهما ، لرغبة الملك بمشاهدتهما على ظهور الجياد ، فلما ابتعد الرجل قال رمان بحزن : لقد مات سواح وأكثر الرجال .. لقد عاد بنا هذا الفارس للوراء سنوات وسنوات يا سادر.. هل نهرب ثانية أم نتزوج ونغرق في دنيا هذه المدينة وننسى الماضي إنهم ما يزالون ينعتوننا بالمجرمين ويذكروننا .

فقال سادر: يا صاحبي! .. الهرب ثانية ! .. نشارك في هذا السباق وبعدها نفكر بما نفعل .. قد نجد مغامرة ننسى معها الماضي الجميل .



في يوم السباق نزلا الميدان ، كل منهما على حصان من خيول الملك ، وتجمع الملك والناس في ساحة كبيرة لمشاهدة انطلاق الخيول المتنافسة ، ومن ثم

الاستمتاع برؤية الفائزين ، وقام الفرسان المشاركون بالمرور من بين يدي الملك والحاشية لتحيته ، ويذهب كل فارس للاصطفاف في المكان المعد له ، وتقدم الفارسان على جواديهما وحييا الحاكم والحاشية ، واصطفا حيث أشار لهما رئيس الفرسان ، وانطلق السباق سباق الخيل ، وبعد ساعة من الزمان بدأت تعود الفرسان للميدان ، الأول فالثاني فالثالث وصل كل المشاركون ما عدا فارس وعفيف .

فظهر القلق على وجه الملك والوزير وكل من يعرف الفارسين ، فسأل الملك رئيس الفرسان قائلا : لم يعد الفارسان يا ملام ؟!

فقال رئيس الفرسان بقلق هو الآخر : أمر غريب يا مولاي ! بعد أن نوزع الجوائز على المتقدمين سوف أتحرى أمرهما .

قام الملك بتوزيع الجوائز على مستحقيها من الفرسان وانهوا الاحتفال ، وبدأ رئيس الفرسان يسأل المتسابقين عن الفارسين ، فقال له أحدهم : لقد سقط عفيف عن حصانه بالقرب من واد اللبان .. وتدحرج لأسفل الوادي .. فترك رفيقه فارس جواده ونزل يبحث عليه .

فقال رئيس الفرسان : حدث هذا أثناء الذهاب أم الإياب ؟

فرد الرجل : ونحن عائدون .. وكانا متقدمين على كل الفرسان ، فلما حدث السقوط المفاجئ توقف فارس بصعوبة ونزل يبحث عن رفيقه .

فقام رئيس الفرسان بإرسال الفارس وعدد كبير من الفرسان للبحث عنهما والإتيان بهما ، وذهب الرئيس لاطلاع الملك على جلية الأمر ، لقد قام رمان بإنقاذ صديقه سادر ، وأخرجه من الوادي مهشم الأضلاع ، وحمله إلى قصره ، واستدعى له طبيب القصر الملكي ، لقد كان الحادث الذي تعرض له سادر حادثا خطيرا ، فقد تكسر من شدة الوقعة ، فحزن عليه رمان حزنا شديدا ، وجزع عليه من الموت ، وأتاه الملك لعيادته والأمراء والوزير ، وأوصى الملك طبيبه الخاص بالإشراف على مداواته ؛ ولكن كان ظهره مكسورا لا أمل له في الحياة الطويلة ، وشعر سادر بالموت ، فأوصى صديقه رمان أن يتابع البحث عن أسرته بأي وسيلة ، ويهبهم ميراثه والأرض التي منحها له الملك ، وقال أخيرا لصديقه العزيز : لا تحزن كثيرا عليّ يا حبيبي ويا أخي! وتذكر يا أخي أنني منذ تعاهدنا وأنا مخلص لك ، وقد أخبرتني زوجتي في مدينة السلام عند الفراق أنها حامل فابحث عن ابن أخيك ، واهتم به وارعه.. ولسوف نلتقي عند مليك مقتدر .. وداعا أيها الصديق الحبيب .

فمات سادر بعد هذا الحادث الكبير ، وحزن عليه رمان حزنا شديدا ، قد لا يحزنه على موت أمه

ومكث أياما طويلة في بيت الأحزان إلى أن زاره حاكم المدينة عدة مرات ، ثم أقسم عليه أن يترك الحزن والبكاء، فدخل حمام السلطان واغتسل وترك بيت الحزن ، واشتد في البحث عن أهل سادر ؛ ولكن كيف سيبحث عنهم وهو يحمل شخصية أو اسما غير اسمه الحقيقي ؟ وكذلك صديقه الميت ، وأرسل رسالة إلى مدينة السلام يسأل عن أخبار زوجته وزوجة أخيه سادر ، وهل ولدت بعد رحيلهما ؟ ولما عاد التاجر بعد أشهر أخبره أن زوجة صاحبه قد أنجبت طفلا ، وأسمته سادرا على اسم أبيه ، وهي في انتظاره لم تتزوج بعد ، وأما زوجته فلم تنجب ، وقد تزوجت من أحد البشر ، فقرر رمان عندئذ أن يدخل على الملك ويعترف له بماضيه ليستطيع البحث عن أهله وأهل سادر، فإما أن يسجنه الملك ويقتص منه أو يعفو عنه ، وبعد أن فكر بالأمر مليا طلب الخلوة بالملك الذي استمع إليه باستغراب كبير ، ودهش الملك من جرأته وجسارته ومغامراته ومن لصوصيته ومن عمله عند الملوك والحكام ، ولما انتهى من حكايته التي سردناها عليكم احتار الملك بالجواب، ماذا يفعل به بعد أن علم أنه رمان ذو التاريخ القديم الهارب من قبضة العدل ؟!

فقال الملك بعد صمت طويل وعميق وحيرة : سأرسل وراء القاضي جلال وهو الذي سيقول كلمته فيك .

فقال رمان متضايقا: مولاي الملك ! جئت معترفا لك لتحكم عليّ أنت بالموت أو تعفو عني أو تنفيني من البلد .

فقال الملك : قصة مثيرة !! .. القاضي هو الذي سيقرر ذلك أيها الفارس .. أنت كنت لصا .. والآن أصبحت فارسا وبطلا في أكثر من مدينة .

فلزم رمان الصمت العميق ، وأرسل الملك وراء القاضي جلال الذي لبى النداء سريعا ، وكان شابا قد تجاوز الثلاثين من عمره ، فسلم على الملك وقال : أرسل مولاي ورائي !

كان رمان متعجبا لدعوة الملك لهذا القاضي ، وتعجب أكثر عندما وجده شابا ؛ ولكنه صبر ليرى ماذا يقصد الملك من وراء دعوة هذا القاضي ليتدخل في هذه القضية ؟! فسمع الملك مخاطبا : أيها القاضي العزيز.. هذا الرجل لابد أنك تعرفه

نظر القاضي بعينيه لرمان وقال بدهشة : هذا فارس فارسكم أيها الملك ومن لا يعرفه ؟! .

فقال الملك : أيها القاضي العزيز .. كم عاما لك في القضاء ؟

قال القاضي بحيرة : منذ بضع سنين يا مولاي .

فقال الملك : هذا الفارس قبل أن يمنح لقب فارس من قبلنا منح هذا الوصف من ملك مدينة السلام ، ومنح لقب وزير وفارس من ملك عبدان ولكنه

استعفى ، وجاء كسروان وقدم لنا خدمة جليلة أنهت الحرب بيننا وبين ملك أسد دار ، فوهبناه قصرا ولقب فارس سلطان .. وجاءنا اليوم يقول بأنه كان لصا شرسا محترفا ومغامرا صعلوكا قبل ذلك ..

فتعجب القاضي وهو ينظر في عيني رمان وهمس : لصا ! كيف ذلك يا مولاي ؟!

فقال صاحب التاج : كان هذا الرجل يعمل لصا في مدينتنا مع ذلك المجرم القديم المعروف للصغير قبل الكبير ..ذاك المجرم سواح .. هل تذكره ؟

فقال القاضي : ومن لا يذكر ذلك المجرم العتيد الذي روع النساء والأطفال والقضاة والسلاطين ؟! ولكن كفانا الله منه.. وقتل شر قتلة .. وأصبح عبرة لأهل كسروان جميعا .

فضحك الملك وقال باسما : لم يكن سواح ذاك أمام هذا الفارس إلا كطفل صغير .. كان ذاك مجرما يحب الفتك والسفك الدم الحرام ، وكان هذا لصا ذكيا يعتدي على أموال الملوك والقضاة والفرسان، ثم تمكن من الهرب وأصبح شريفا وعاد ليكون شريفا في بلادنا وباحثا عن أمه وأهله

فقال رمان مقاطعا : أيها الملك ! احكم عليّ وعجل بموتي ، ما عادت تطيب لي الحياة بعد أخي سادر ، أحببنا بعضنا حبا جما ، ما افترقنا منذ التقينا عند المجرم سواح ، كنا أصغر القوم وتعاهدنا على الوفاء معا .

وبكى رمان على ذكر صاحبه سادر بكاء مرا .

فقال الملك : تمهل أيها الفارس .. ستسمع حكمنا عليك بعد أن يتكلم القاضي جلال بذلك .. يا قاضينا .. هذا الفارس الذي أمامك كان لصا في جماعة سواح وهو الذي أوقع ضربات موجعة بنا ووقع سواح نيابة عنه وهرب هو وسادر .

فتمتم القاضي وهو يحدق النظر إلى رمان : أتعنى أن هذا الرجل هو رمان بن سنمار الهارب من قبضة العدل ؟!

فتنهد الحاكم وقال : نعم ، أيها القاضي .. هذا هو رمان بن سنمار .. ذاك اللص القديم ، لقد عاد للبلاد بوجه وثوب الفرسان ، وهو حقا من الفرسان .. فلما اعترف بحقيقته أمامي ، فقلت له سأسمع حكم القاضي جلال فيك .

فقال القاضي وهو مضطرب: مولاي الملك أتعرف من أنا بالنسبة له ؟!

فقال الملك بجد وقوة وابتسام : طبعا ولماذا أرسلت وراءك أنت بالذات ؟! .. أعرف أنه أخوك رمان يا ابن سنمار .

وقف رمان دهشا ذاهلا وصاح وهو يحدق النظر في القاضي الذي يبادله النظرات : ماذا قلت أيها الملك ؟! هذا أخي جلال! .. مولاي .. أيعقل هذا ؟! أخي أنت قاض وأنا مجرم ..؟!

وتعانق الأخوان وذرفا الدمع الغزير وقال القاضي أثناء تساقط الدموع والزفرات : إنها لحظة قاسية يا



رمان !.. اعتقدنا أنك مت وانتهيت من حياتنا .

وقال رمان وهو ما زال يحتضن أخاه : كيف أمي يا جلال ؟ .. كيف زوجها وإخوتنا الجدد ؟ وصلت إليكم بعدما صارحت الملك بحكايتي ، بحثت عنكم منذ دخلت هذه المدينة لم أجد لكم أثرا .. قبل أمي عني وسلم عليها وأعلمها أني بشوق إليها.. أيها القاضي أحضرك الملك لتحكم على أخيك .. احكم بالعدل .. احكم بالموت .. بعد موت أخي سادر الدنيا أصبحت سوداء في وجهي .. فقدت الصاحب في الحل والسفر .. لقد أوصاني على ولده في مدينة السلام وأوصاني بالبحث عن أهله .. وأنا أوصيك بها أوصاني .. احكم أيها القاضي على ابن أمك وأبيك .. أنا سرت للشر وأنت سرت للعلم والخير ، وأنا سرت وراء الشر والانتقام وأصبحت من أسياده .. حتى التقيت بالقاضي بلال شهر سيد مدينة السلام فأعادني للخير والحب .. احكم يا أخي .. ولا تخش في الحق لومة لائم .

فقال القاضي : لا أستطيع أن أحكم عليك يا أخي .. سأعتزل القضاء.. فأنت فارس ولست لصا .. لم يقبض عليك أثناء اللصوصية .. لقد نجوت .. أرجوك مولاي الملك أن تكلف غيري في النظر في هذه القضية المؤلمة .

فقال الملك بأسف ظاهر : وأنا مثلك محتار أيها القاضي ! أنت مثال الخير وهو قد كان مثال الشر؛ ولكن الخير المغروس فيه استيقظ وغيره .. وأصبح فارسا نبيلا يخدم الحكام والسلاطين .. وهو قد طلب مني خيار من ثلاثة إما الموت أو النفي أو العفو .. وسيحكم عليه الشعب في أكبر ميادين كسروان .

دعا الملك الناس والأمراء إلى التجمع في أكبر ميادين كسروان لأمر هام ، وفي اليوم المعين حضر عدد كبير من البشر من أهالي كسروان ، ونزل الملك إلى وسط الميدان ، ورمان بجواره على فرسه ومعهم رئيس الفرسان ، ومنادي الحاكم الذي صاح بأعلى صوته : أيها الشعب ! يا شعب كسروان !.. الملك يدعوكم اليوم لتحكموا على هذا الشاب ـ وأمسك بيد رمان ورفعها للأعلى ـ الذي تعرفونه اليوم باسم فارس بن فرساني ، وذكر دوره في وقف الحرب بين كسروان وأسد دار للأبد بعدما قام بخطف ملك أسد دار ووزيره

لحساب الملك .. وكان يدعى قبل سنوات وسنوات من اليوم رمان بن سنار .. ذاك اللص المعروف من أتباع المجرم المقتول بسيف الملك المجرم سواح.. أتذكرونه ؟ .. وقص عليهم بعض قصصه .

دهش الناس مما يسمعون وارتفع صياحهم وهياجهم ، فعاد المنادي يصيح من بين أصوات الجماهير الهائجة : أيها الشعب الكريم ! لقد جمعكم ملككم اليوم لتحكموا أنتم عليه.. على اللص رمان.. وعلى الفارس فارس .. إما بالعفو وإما بالنفي وإما بالموت .

تمت بفضل الله تعالى

التحقيق الجنائي والجريمة



الحلقة ١

الفصل الأول

شارع البحيرة الخامسة من الشوارع الطويلة في قلب المدينة الكبيرة ، في منتصف هذا الشارع المكتظ بالعمارات الشاهقة البنيان ، وفي عمارة تتكون من عشرة طوابق ، وفي الطابق الثاني منها يوجد المركز العلمي الذي يديره الدكتور جميل عازلي.

وهذا المركز مركز علمي مهم ومعروف في طول البلاد وعرضها ، وخصوصا لطلبة العلوم والفيزياء والصناعة، فهو مركز يهتم بالاختراعات والصناعات المهمة، فأي باحث أو مخترع لديه اختراع أو بحث علمي مفيد ، يمكنه التعاون مع هذا المركز لنشر بحثه أو تصميم اختراعه فيتقدم صاحب الاختراع أو البحث إلى مدير المركز الدكتور جميل أسعد عازلي ببحثه ، فيطلع عليه الرجل هو وفريق العمل المتعاون معه ، وبعد الدراسة يتعاونون مع المخترع أو الباحث لتنفيذ الاختراع وعرضه على الشركات الصناعية المهتمة ، وبمعنى آخر المركز همزة وصل بين الباحث وشركات الإنتاج والصناعة أو مراكز علمية خارجية ، فالدكتور جميل هو مدير "مركز الأبحاث العلمية والصناعية"، فالطابق الثاني في عمارة الطيارة العربية ، بل قل نصفه يشغله المركز الآنف الذكر ، وهذا المركز مربوط بمراكز بحث أوروبية وأمريكية تقوم على تمويله ، فهو وسيط بين شباب هذا البلد وبلاد الدول الصناعية الكبرى العالمية.

أما الدكتور جميل فهو رجل في الخمسينيات من العمر ذكي ونشيط ، أرسله والده أسعد للدراسة في مقتبل العمر في بريطانيا ، فتخصص في الفيزياء

العامة ، ولما عاد للبلد التحق للعمل في أكبر الجامعات ، قضى عشر سنوات فيها ، ثم عاد لبريطانيا لنيل شهادة الدكتوراه في نفس تخصصه ، ولما حصل عليها وعمل فترة في لندن عاد للقطر ، وأنشأ هذا المركز الذي عرفناه سابقا ، فهو يديره ، ويتعاون مع جامعات ومراكز علمية أجنبية ، فهو يقوم بالاستفادة من مواهب الطلاب والباحثين في البلاد وتحويل أحلامهم أو أفكارهم لتطبيقات عملية ، إذا وجد البحث قبولا ، فيقوم المركز بشراء البحث من صاحبه أو يتشاركون في تطبيقه ، وهو رجل معروف في الوسط العلمي والثقافي وعلى مستوى الحكومات والصحافة، ولكن ما حدث مساء يوم الاثنين في العاشر من إبريل سنة ١٩٩٥ أثار دهشة الناس والصحف والمفكرين، وما هو الذي جرى مساء يوم الاثنين ؟؟!

جميل عازلي بحكم عمله في إدارة مركز الأبحاث العلمية والصناعية، فقد كان كثير السفر والسياحة ، وذلك الصباح كان السكرتير الدكتور فرج حسيب تامر يدخل العمارة مسرعا ، وصعد للطابق الثاني حيث المركز، وألقى التحية على الفراش "أبي سالم" وهو يقول : هل وصل أحد من الموظفين ؟

وكان أبو سالم الفراش قد انتهى من تنظيف المكاتب ، فنظر إلى ساعته قبل الرد وقال : لم تبلغ التاسعة يا سيدي! ظل عشر دقائق .

وكان الدكتور فرج يتقدم نحو مكتبه والفراش يتبعه ، فلما جلس على كرسيه خلف المكتب قال : فعلا ! .. لقد جئت مبكرا .. إذن هات لي فنجان قهوة .. وعندما يصل الدكتور المحامي وليد بكرز أخبرني بذلك .. أو أدخله عليّ فورا..

وغادر الفراش المكتب ، وأخذ السكرتير فرج يقلب في الملفات والأوراق التي أمامه ، ويضع بعضها في حقيبة سوداء أمامه ، وبينما هو منهمك في أوراقه دخل عليه الدكتور المحامي وليد ، فقام يرحب به ويصافحه ثم عاد لمقعده ـ وهو يشير للمحامي بالجلوس ـ فقال المحامي وهو يجلس : هل من وقت للجلوس ؟؟.. فالطائرة سوف تصل قبل العاشرة كما علمت من استعلامات المطار.

ـ اجلس .. نشرب القهوة ، ثم ننطلق.

وضغط على جرس الفراش ، وطلب منه فنجانا آخر للدكتور وليد بكرز.

الدكتور فرج حسيب قصير القامة بعكس الدكتور جميل فهو طويل القامة إلى حد ما، ولكنه ليس بالقصير البشع ، ممتلئ الجسم ؛ ولكنه كثير الحركة وخفيفها ، وهو يعمل في المركز ، وبرفقة الدكتور بعد أن فتح المركز بخمس سنوات ، التقيا في سهرة فاتنة من سهرات الدكتور جميل ، وبعد عدة

لقاءات قبل الدكتور جميل عمل الدكتور فرج سكرتيرا له وللمركز ، وأثبت فرج نشاطا متميزا ، فتمسك به الدكتور جميل ، وكان يعتمد عليه اعتمادا كليا أثناء رحلاته الخارجية في إدارة المركز ، فلقد كان السيد جميل يمكث الشهر والشهرين في أوروبا ، فيقوم السكرتير بالأعمال الموكلة إليه خير قيام ، وأما السيد المحامي وليد بكرز ، فهو يعمل من خمس سنوات محاميا للمركز فقط ، فله مكتبه الخاص ، ولكن قضايا المركز القانونية والعقود هو الذي يقوم بها نيابة عن المركز العلمي ، وكانا قد تلقيا أمس مساء فاكسا من الدكتور جميل يخبرهما بأنه قادم في طائرة الخطوط الإيطالية من روما لبلده صباح الاثنين العاشر من إبريل، ويرغب برؤيتهما في المطار، فالدكتور جميل رجل عملي لا يحب الإجازات ، وقبل خروج الرجلين للمطار كان موظفو المركز قد استلموا أعمالهم ، فهناك سكرتيرة للدكتور فرج وهي الآنسة "ريما حسان"، وهناك محاسبان لمتابعة دفاتر المحاسبة وأموال المركز ، وهناك موظفو قسم الكمبيوتر والطباعة والمراسلات ، وهناك سائق المركز ، وهناك أيضا السائق الخاص بالدكتور جميل ، والفراش الذي مر ذكره قبل قليل ، فبعد أن مر الدكتور فرج على مكاتب الموظفين وأعلمهم بعودة المدير، أشار للسائق عماد سامح الربيع بأخذهم للمطار ، فهبطوا حيث تقف السيارة في انتظارهم أمام مدخل العمارة ، فلما ركبوا انطلق بهم مسرعا حيث يوجد المطار الدولي لاستقبال الدكتور القادم من روما بعد عشرة أيام غياب ، فقد سافر للندن ومنها لباريس ، ومن ثم روما لحضور بعض المؤتمرات العلمية هناك، وفي الموعد المحدد وصلت الطائرة الإيطالية التي كان على متنها مدير المركز ، ولما التقى جميل بأعوانه قاموا بالسلام على بعضهم والتهنئة بالسلامة ، ثم انطلق بهم السائق عماد نحو المركز في شارع البحيرة الخامسة ، وخلال رحلة العودة كان الدكتور فرج يقدم تقريره عن المركز خلال فترة الغياب ، ويقدم له بعض الأوراق ، وأخبره أن بعضهم تقدم ببحثين جديدين للمركز للنظر فيهما ، وهما من دكاترة الجامعات ، ولخص له موضوعهما الإجمالي ، ومدى أهميتهما ، ويبدي الدكتور إشاراته وملاحظاته ، ثم استمع لمشاكل المركز القانونية ثم قال : قضية الدكتور خالد الضبرة ما آخر أخبارها ؟

فرد الدكتور المحامي وليد : جرت جلسة منذ يومين فقط ، فهو يتهمنا بالاحتيال والخديعة ، وأننا سرقنا بحثه وهربناه لخارج البلد للاستفادة منه دونه ، ومن أجل ذلك رفضنا التعاون معه ثم أجلت القضية لجلسة أخرى بعد شهر للنظر في

أدلة الاتهام والادعاء.

فعلق جميل قائلا : الحق أن بحثه جميل!.. ولكنه يحتاج لدراسات أكثر للتأكد من صحة النتائج التي توصل إليها .. ثم إجراء المزيد من الأبحاث عليها..

ولما سكت المدير قال المحامي : لا تهتم يا سيدي ! سنخرج منها كما خرجنا من أعقد منها .. فهو يريد أن يصبح مليونيرا في يوم وليلة.

فعقب الدكتور جميل من جديد : ألم يكن من الأفضل له قبض خمسة آلاف دينار والابتعاد عن المحاكم ؟.!

ـ يعتبرها رشوة ..ولكنه يهددنا بالويل والموت إن اكتشف أننا خدعناه وبعنا بحثه لجهات أجنبية.

وعندئذ وصلوا لمدخل العمارة ، فنزلوا متوجهين للطابق الثاني حيث كان الموظفون العاملون في استقبال حضرة المدير والسلام عليه ، ذلك الرجل المديد القامة النحيف الحجم ذو الشعر الأشيب ، وكان الفراش أبو سالم قد هيأ مكتب الدكتور منذ الصباح ، وبعد جلوس قصير غادر المحامي المركز ، وهو يستمع للدكتور يدعوه إلى بيته مساء هذا اليوم للترحيب بضيف قادم من باريس وهو الدكتور "شارل برس" عالم في الأحياء المائية.

وبعد الظهر غادر الدكتور جميل عازلي المركز العلمي برفقة سائقه الخاص عماد أحمد متوجها إلى منزله الجميل في الضاحية الجميلة "حي الشجرة" ، وهو من الأحياء الحديثة في العاصمة الكبيرة حيث تنتشر فيه القصور والفيلات المبنية على الطراز الأوروبي الحديث ، وفي شارع النهر العظيم وأمام فيلا فخمة توقف السائق عماد، وهبط مسرعا ليفتح باب السيارة لولي نعمته ومخدومه الدكتور المشهور الذائع الصيت جميل عازلي ، وقبل أن يدخل الدكتور من باب الفيلا الرئيسي قال عماد: هل أعود في المساء يا سيدي ؟

فكر الدكتور قليلا وقال : لا داعي .. شكرا لك عد في الصباح.

ودخل الدكتور الباب ، وركب عماد السيارة منطلقا إلى بيته ، ولقد كان في استقبال الدكتور على مدخل الفيلا نفسها من الداخل الخادم الخاص به " صدقي عمران " ، وخادمة الفيلا "سعدى عبد القادر" ، وبعد أن صافحهما ورحبا به أحر ترحيب قال : أين أبي ؟ وكيف حاله اليوم ؟

رد صدقي وقد اجتازوا الباب الجميل للفيلا وأصبحوا في داخلها : إنه في حجرته .. وهو يعاني من وعكة صحية ، ولقد زاره الطبيب صباح اليوم فقال الدكتور: سعدى ! اعدي لي الطعام ، وأنت يا صدقي أخبر أبى بقدومي .. سوف أدخل مكتبي بضع دقائق..

يحسن بي أن أصف لكم فيلا الدكتور جميل ،

فبعدما يدخل المرء من الباب الحديدي المطل على الشارع والرصيف يمشي عدة أمتار في ممر محاط ببعض الأشجار الباسقة من الطرفين ، وبينهما أشجار قصيرة من الورود الجميلة ذات الروائح العطرية والألوان الخلابة ، وقبل الوصول لسلم الفيلا هناك ممر يقود المرء إلى حديقة واسعة تحيط بالفيلا ، وهذا الممر وغيره من الممرات بين أشجار الفيلا الملتفة حولها مرصوف بالأحجار الملونة ، وإذا سرنا في الحديقة نرى أحواض الأزهار والورود ، وفي نهاية الحديقة نافورة ماء ذات بهجة ورونق ومحاطة بأسود تخرج من أفواهها المياه ، وقريب منها عريش ذات قبة حمراء داخلها منضدة كبيرة حولها مقاعد وآرائك وثيرة ، وبعدما يصعد المرء الدرج أو السلم الذي أبدع الصانع في تركيبه حتى أصبح شكلا جميلا ، فبعد صعود الدرجات السبع يواجه المرء باب ضخم أمامه ساحة صغيرة ، وهذا الباب الضخم المزخرف بأيدي فنانين مهرة في داخله باب أصغر وهو المستخدم للدخول والخروج ، فعلى هذا الباب الكبير رسومات لبعض الجوارح من الطيور ، يخالها المرء طيورا حقيقية من إبداع النحات والرسام الذي رسمها ، ويمكن فتح الباب كله أو جزء منه ، وبعد الدخول من هذا الباب التحفة تواجه الداخل صالة كبيرة في وسطها بضع موائد وحولها مقاعد على شكل نصف دائرة بيضوية ، وعلى يمين الداخل باب يؤدي إلى مكتب الدكتور جميل وهو مزخرف ومكون بشكل مثير ، وبعد المكتب درج يصعد بالمرء إلى الطابق الثاني من الفيلا ، وبعد الدرج حمام واسع ، وغرفة خاصة بملابس الزوار ، وفي الطابق الثاني غرفة نوم الدكتور، وغرفة نوم والده أسعد المعلم المتقاعد منذ سنوات ، وغرفة الدكتور فيها مكتب صغير خاص بالدكتور ، وهناك مرافق حمامات خاصة بالدكتور وحده ، وهناك غرفة المكتبة ثم المطبخ والحمامات الأخرى ، وغرفة تنام فيها الخادمة، أما الخادم فهو ينام في مكان داخل المكتبة كان في الأصل مخزن ، وهناك مخرج آخر للفيلا من الخلف حيث كوخ أغراض الفلاحة من أدوات وأدوية وبذور وبئر الماء وموقف لسيارة الدكتور الخاصة ينفذ على الشارع الآخر ، هذا وصف عام للمكان فعندما يصير المرء في الطابق الثاني على يمنيه غرفة المكتبة ومقابلها غرفة نوم الدكتور وبجوارها غرفة نوم الأب ثم الحمامات ثم المطبخ في جهة المكتبة وحجرة الخادمة ثم السلم الصغير الذي يؤدي للحديقة من الخلف ، هذا هو المكان الذي حدثت فيه الجريمة المعقدة مساء يوم الاثنين العاشر من إبريل عام ١٩٩٥، وهو نفس اليوم الذي وصل فيه من روما كما قصصنا من لحظات ، كيف كان ذلك فهذا ما ستوضحه

السطور القادمة ؟

في الساعة الخامسة من مساء يوم الاثنين وقفت سيارة صغيرة فخمة أمام فيلا الدكتور جميل عازلي ، ونزلت منها الطبيبة فريدة حسن حمدان وبصحبتها زوجها الدكتور خضر جبر الصابر فاستقبلهما خادم الدكتور أولا ، ثم أقبل جميل مرحبا ، وتصافح الأصدقاء ، وقادهم الدكتور حيث العريش عند النافورة في طرف الحديقة ، وجرت بينهم المجاملات التقليدية، ولما استقروا على مقاعدهم في العريش ذات القبة الحمراء والمزدانة بالأزهار والورود عادت الطبيبة تقول: الحمد لله على سلامتك يا دكتور .. كيف صحتك اليوم ؟ لقد أخبرني سكرتيرك العتيد بأنك سوف تقوم ببعض الفحوص الطبية في لندن.

فضحك الدكتور خضر وقال : هل يعني هذا أن "الدكتور جميل " بدأ يستغني عن خدماتك يا حضرة الدكتورة ؟

فضحكت الدكتورة لتلميح زوجها الماكر وقالت :لا أظن ذلك.

وجاراهم جميل في الضحك وقال : أنا أثق بصديقتنا فريدة ، ولن أتخلى عن خدماتها .. فأهلا وسهلا بكم ، والحقيقة أني أسر برؤيتكم فمرحبا بكم .. ويشرفني أنكم قبلتم دعوتي للعشاء الليلة .. فهناك ضيف آت من فرنسا .. سيذهب الدكتور فرج لاستقباله ويأتي به إلى هنا .. إن طائرة باريس تأتي بعد السادسة مساء كما علمت من استعلامات المطار .. فالدكتور فرج له معرفة سابقة بالدكتور العالم شارل برس .. لقد التقينا بباريس ، وأخبرني أنه آت قطرنا ، فدعوته لزيارتي في أول ساعات وصوله ، فرحب بذلك ، وأخبرته أن سكرتيري الخاص سيكون في انتظاره في صالة الاستقبال.

وتحدثوا في مواضيع متفرقة في الطب والأمراض ، وبينما هم مندمجون في الحديث أتى المحامي وليد بكرز ، فاقترب منهم وألقى عليهم تحية المساء وجلس ، وعاد الجميع للثرثرة ، وقد قدم لهم الخادم صدقي أنواعا مختلفة من العصير والفواكه اللذيذة ، وقبل السادسة بدقائق وصل الدكتور فرج فرحبوا به ، وجلس يدخن ، فقالت له الطبيبة فريدة حسن : مالك مرهق يا دكتور فرج ؟! تلهث كأنك هابط علينا من القمر؟ أين دعابتك ؟ أم أنت متضايق من مشوار المطار ؟

ضحك الجميع على غمز الطبيبة بالدكتور ، وضحك فرج نفسه ورد على الطبيبة : لا شيء، ولكن قبل المجيء إليكم مررت على طبيبي الخاص الدكتور سلامة فوزي فأخبرني أن قلبي يحتاج إلى فحوصات وتخطيط قلب فأقلقني على صحتي..

فقال خضر : أكيد من السجاير الغريبة التي تدخلها صدرك!

فقال فرج : معك حق ..

ودار الحديث بينهم حول الدخان وأمراضه، وتعلق الناس به رغم اشتهار ضرره وخطره بين الناس ، فعقب المحامي الدكتور وليد بكرز : فكلنا يعرف خطر الدخان والتبغ ومع ذلك كلنا ندخن.

فقال خضر : ولكن سجائرنا تختلف عن سجائر الدكتور فرج..

فقالت الطبيبة : كله دخان ، وكله مسبب للأسقام والقحة والرائحة السيئة..

فقال جميل : ائذنوا لي أيها السادة بالدخول لمكتبي قبل أن يحضر ضيفنا العزيز الدكتور العالم شارل .. وأنت يا دكتور فرج متى ستذهب لإحضار الضيف ؟

فقال فرج : عشر دقائق ثم أنطلق .. هات لي يا صدقي كوبا من الشاي .. هل يريد أحدكم الشاي ؟

فقال الدكتور المحامي : لا بأس يا صدقي نشرب الشاي بمعية صاحبنا فرج.

فقال الدكتور جميل وهو ينصرف : يا صدقي .. أحضر لهم الشاي وأحضر لي القهوة على مكتبي .. أعتذر أيها الأصدقاء.

فتمتم الجميع قائلين " خذ راحتك يا دكتور فالجلسة أمام هذه النافورة وبين هذه الأزهار وهبات البرد الناعمة رومانسية .. فهذا من النعيم الذي يتمتع به الإنسان في هذه الدنيا "

وتركهم جميل إلى مكتبه داخل الفيلا، أحضر لهم صدقي الشاي ، وعاد للفيلا، ولما شربه فرج نهض وهو يقول : استأذنكم للذهاب إلى المطار .. فالساعة السادسة والربع وعلمت أن الطائرة سوف تصل في السابعة إلا ربع.

فقال المحامي : هل تحب أن أرافقك يا دكتور فرج ؟

قال فرج وهو ينظر في وجوههم : لا .. ابق مع ضيوف الدكتور جميل.

فقال خضر : أنت تعبان يا دكتور فرج .. دعه يذهب معك ؟

فقال فرج : صحيح أني مرهق ؛ ولكني ما زلت قادرا على القيام بواجباتي.. شكرا لكم أيها الأصدقاء .. ساعة وأكون عندكم.

فقال وليد : على راحتك يا فرج .. تعود سالما إن شاء الله.

وغادرهم فرج ، وعاد الرجلان والمرأة للثرثرة حول الدخان وأمراض القلب من جديد، وتغير حديثهم بعد ذلك عن الضيف القادم، وفجأة قالت فريدة: دكتور وليد! ..اتصل بي الدكتور

خالد الضبرة .. وأطلعني على بعض مشكلته معكم.

ـ ماذا يريد منك ؟!

ـ كما تعلم، فهو يعلم أني الطبيبة الخاصة للدكتور جميل فيريد أن يوسطني بينكم.

ـ ولكنه يتهم الدكتور بسرقة بحثه!

فضحكت وقالت : وهل هذه غريبة على الدكتور جميل؟. !

فغر المحامي فمه لحظات وقال : أوه !.. ماذا تقولين ؟!

فقالت وهي ضاحكة : مالك دهشت ؟! ..ففي أوساط العلماء معروف اعتداءات الدكتور على أبحاث الآخرين .. لا تخف هكذا ؟! .. ألم يطلب منك الدكتور أن تدفع مبلغا من المال للدكتور خالد ؟

فتعجب المحامي من جراءتها وقال : طلب ، ولكن خالد أفندي رفض ويريد مبلغا كبيرا أو المشاركة في تطبيق المشروع أي البحث.

فضحكت الدكتورة ورغبت في هز أعصاب المحامي وقال : أرأيت؟! فهذا يؤكد أن الدكتور استولى على أصول البحث وإلا لماذا يدفع ؟

ـ يدفع بدل التأخير الطويل في الرد على السيد خالد.

فعادت تقول : أظن أن السيد خالدا صادق في اتهامه.

فتمالك المحامي نفسه وقال : ولكن ما دليله ؟..
نحن لم نتفق مع أي جهة لتبني البحث والدكتور نفسه أكد لي أنه لم يستفد من البحث ولم يقدمه لأي جهة.

فقالت : على كل حال سوف أتحدث مع الدكتور جميل حول ذلك .. فالدكتور خالد صديقنا كما هو معروف لديكم ، وربما خلصناكم من تعب المحاكم.

ـ والله يا حضرة الدكتورة لو قدمنا البحث لمؤسسة علمية خارج البلد أو جرى شيء من ذلك لاتفقنا معه ، ولكن الدكتور يريد أن يدفع الخمسة آلاف دينار للتأخير الذي حصل منا ، ودفعا لشوشرة وأقوال الصحف ، فأنتم تعرفون أن مركز الدكتور يقوم على السمعة والشهرة المتميزة والصدق.

فنطق خضر بعد صمت طويل فقال : ولكن يا دكتور وليد منذ سبع سنوات ـ كما أذكر ـ حدثت مشكلة شبيهة بذلك ، ثم تبين أن الدكتور قدم البحث لشركة عالمية خارجية ، واكتشف الأمر عندما ظهر الجهاز موضوع البحث في الأسواق ، وشركة أخرى كانت قد اشترت البحث من صاحبه اتهمت الشركة بسرقة البحث ، وأصبح صراع بين الشركتين وتبين أن سبب المشكلة الدكتور جميل ، فقد باع البحث من وراء صاحبه

للشركة الأولى .. ومن سوء حظ الدكتور جميل أن صاحب البحث قدمه لشركة أخرى ، ولم يلقه على رف مكتبة أو جامعة فافتضح هذا المركز .

فقال المحامي ممتعضا مما سمع : أنا لم أكن أعمل يومها مع الدكتور جميل .. فعلى صاحبكم خالد أن يقدم بحثه لشركة ما ..أأنا أرضى بالاحتيال والنصب يا سادة؟! .. وذلك البحث المشار إليه لابد أن ظروف معينة حدثت.. فأخطأ الدكتور جميل .. وقد يكون الخطأ من العاملين في المركز.

فقال خضر : قد يفعل الدكتور خالد ويقدمه لشركة أو مؤسسة علمية أخرى .. ونحن سنحاول التوسط للملمة الموضوع.

وبينما هم يتجادلون ، فتح شباك من طابق الفيلا الثاني ، فالتفوا إليه فإذا رأس صدقي الخادم يبرز منه قائلا : تلفون يا دكتورة فريدة ؟

فرفعت صوتها قائلة : ممن ؟

ـ من العيادة .. القاعة فيها هاتف.

فقامت وهي تقول : شكرا يا صدقي إنني آتية.

وغادرتهم الدكتورة إلى داخل الفيلا ، وكانت قد نظرت لساعتها فقالت لزوجها : السابعة إلا ثلث وأنا قد أخبرت الممرضة نهاد أنني الليلة استراحة

وغابت بضع دقائق ، ثم عادت تقول بعدما سألها خضر " ما الأمر ؟ " : مريضة تريدني.. ومصرة على ذلك ، فاتصلت الممرضة في البيت فأعطوها رقم هذه الفيلا ، فاعتذرت لها لانشغالي وأعطيتها موعدا صباح الغد.

فقال الدكتور المحامي : سأدخل أتكلم تلفونا مع أمي بالإذن أيها الأصدقاء.

وسار إلى الفيلا ، وبعد انصرافه بقليل قال الدكتور خضر : هيا ندخل نجلس في الداخل بدأت أحس بنسمات برد تسري في بدني.

فقالت الدكتورة : وأنا كذلك هيا بنا.

وتمشيا نحو باب الفيلا ، ولما صعدا الدرج ـ كان وليد يفتح الباب خارجا إليهم ـ فالتقوا فقال : أين ذاهبون ؟

رد خضر : شعرنا بالبرد.. الجو بدأ يبرد مع الظلام .. فقلنا نجلس في صالون الفيلا.

دخلوا إلى الصالة الكبيرة ، وجلسوا على المقاعد الوثيرة ، وكان صدقي يرحب بهم من جديد ، وهو يقول : لابد أن البرد أثر عليكم .. هل أصنع لكم شيئا ؟

فقال وليد : هات ماء أيها الرجل المحترم.

ـ حاضر .. وحضرات الدكاترة ؟

قال خضر : أنا أشرب قهوة مرة يا سيد صدقي.

قالت فريدة : قهوة للجميع مع الماء يا محترم.

صعد صدقي للطابق الثاني حيث المطبخ ليحضر لهم المطلوب .. وبعد شربهم للقهوة والماء نظر وليد في ساعته وقال : الساعة تقترب من السابعة

والنصف ، ولم يحضر فرج بعد !.. لقد تأخر.. وبرامج التلفزيون هذه الأيام مملة .. والدكتور جميل قابع في مكتبه.

فقال خضر : قد تكون الطائرة تأخرت كعادة مطارات العرب.

وقالت الدكتورة : سأقرع الباب على جميل مع معرفتي أنه يتضايق من ذلك .. أين صدقي منذ أن أحضر القهوة لم يتفقدنا ؟

ومشت حيث الدرج الذي يصعد للطابق الثاني ، وأخذت تنادي على الخادم صدقي ، فأقبل مسرعا وهو يقول: آسف أيها السادة .. آسف أيها السادة .. لقد انشغلت عنكم .. كنت مع والد الدكتور .. فهو متعب منذ أيام.. وقد زاره الطبيب مساء اليوم وأنتم تجلسون في الحديقة مع الدكتور جميل .. ماذا تريد حضرة الدكتورة ؟

فقالت : متى العشاء يا سيد صدقي ؟

فقال : في التاسعة ، عشاء من مطعم فخم .. وهو وجبة فرنسية تكريما لضيف الدكتور الفرنسي .. وقد تكلمت مع المطعم وأكدت الحجز.

قالت : لا بأس ، سنصبر ساعة وزيادة .. نريد أن نتكلم مع الدكتور جميل اقرع عليه الباب.

فقال : ولكنه أمرني أن لا أفتح عليه الباب حتى يصل الضيف المحترم.

فقالت بملل : كما تشاء يا صدقي .. فالساعة تجاوزت السابعة والنصف ، ولم يحضر حضرة المحترم.

فقال الخادم بثقة : سيحضر بعد قليل .. اتصلت بالمطار وأخبروني بوصول الطائرة القادمة من باريس في موعدها السابعة إلا خمس دقائق .. وبناء على هذا اتصلت في المطعم .. وأكدت موعد الحجز .. فلابد أنهما قادمان من المطار الآن.

فعلقت فريدة ساخرة : على ذلك ـ يا صدقي ـ لو لم يحضر الفرنسي فلن نأكل الليلة.

فقال وهو يبتسم : لا.. لا.. يا سيدتي .. ستأكلون بإذن الله.

فقالت : مع السلامة .. وسلم على الأستاذ أسعد ..آ.. ما أخبار سعدى ؟

فقال : بخير.. فهي قابعة في المطبخ.. وقد أطعمت والد الدكتور، وقد سهت عيناه.

وبعد اختفاء الخادم اقتربت الدكتورة من مكتب الدكتور جميل وطرقت على الباب طرقا خفيفا ثم كررت الطرق ، ثم التفت نحو القوم وقالت : الله أكبر! ..هل يعقل أن الدكتور لا يسمع كل هذا الطرق ؟!

فعقب خضر قائلا : لابد أنه مستغرق في بحث من الأبحاث المهمة..

فوضعت الدكتورة يدها على مقبض الباب وحركته ، فلم يفتح فقالت بدهشة : الباب مغلق

عليه من الداخل .. أما عجيب هذا الدكتور !

ثم عادت للجلوس ، وأخذت تقلب في محطات التلفزيون المختلفة ، وبينما هم يتذمرون نزل عليهم فجأة صدقي عمران وهو يصيح صياحا غريبا : اتصال غريب ..اتصال غريب!!

ففزع الثلاثة عليه، وأغلقت الدكتورة التلفزيون ، ومشوا خلف صدقي الذي أسرع نحو المكتب ، فقال وليد : ما بك يا رجل ؟!

فقال باضطراب : أتاني تلفون مخيف .. يخبرني فيه المتصل بأن الدكتور جميل ميت في مكتبه!

أصاب الذعر الجميع وصاحت الدكتورة : ماذا قلت ؟! ميت . .! ومن أدرى المخبر بموته ؟ فنحن هنا ولم ... - تذكرت الطرق عليه الباب - فسكتت

فقال الخادم : أخبرني المنحوس الخبر ، وأغلق السماعة .. وكان يحاول فتح الباب فقال : الباب مغلق .. ليس من عادة الدكتور غلق الباب

حاول فتحه بالقوة وقال : الأمر غريب.. سأحضر المفتاح من فوق .. فمعي نسخة منه لأقوم على تنظيفه أثناء غياب الدكتور..

وغاب إلى الطابق الثاني، ثم أتى مسرعا وهو في غاية التوتر والاضطراب والخوف ، وفتح الباب وأنار الإضاءة .. وعلى المكتب الكبير كان الدكتور يجلس على مقعده الأوروبي المتحرك ورأسه وصدره على المكتب ؛ كأنه نائم فوق الأوراق .. دماء سائلة على الأرض المفروشة بالسجاد العجمي ، وعلى طاولة المكتب وضع مسدس كولت ٤٥ ملم .. اقترب الأربعة إلى المكتب وهم في غاية الذهول ، فقال المحامي بقوة وذهول : مقتول ! ..لابد أنه مقتول .. فهذه الدماء تملأ الأرض والسجاد .. وهذا المسدس!!

ثم خرج مسرعا للصالة واتصل بالبوليس وعاد يقول : أيها الأصدقاء لا تلمسوا شيئا .. جريمة اغتيال حدثت هذا المساء..

ولكن الدكتورة قد اقتربت من الجثة وفحصت النبض وقالت : لا نبض .. لا أوكسجين إنه ميت .. هل قتل أم انتحر؟!

وبينما هم كذلك دخل الدكتور السكرتير فرج وحيدا وهو يقول : ما بكم؟!.. أمعقول ما يقوله المحامي ؟! ..كان وليد قد عاد للصالون لما طلب منهم عدم لمس أي شيء ، لم يستطع الوقوف ارتخت ساقاه من الصدمة، وأخذ السكرتير الحزين يتطلع إلى المكتب والجثة فقالت فريدة : أين الضيف ؟ أين صديقه يا دكتور فرج ؟

فقال : لم أجده .. إنني أسمع سيارات البوليس تقف أمام البيت.

دخل عدد من الضباط ورجال البحث الجنائي والمختبر الجنائي والتصوير والطبيب الشرعي

ووكيل النيابة أو نائب المدعى العام ، وتقدم كبير هؤلاء الضباط وهو رائد في التحقيقات الجنائية نحو الجثة ، وبرفقته الطبيب الشرعي ، وبدأت الإجراءات التقليدية لرجال الشرطة ، فحص الدكتور الجثة وأكد الوفاة بعيارات نارية وقال : رصاصة أو أكثر في الصدر والقلب .. وعن قرب ، وقد تكون الجريمة حدثت منذ ساعتين أو أقل بربع ساعة .. لم تبرد الجثة بعد .. موت سريع .. التشريح لابد منه سيدي الضابط !

رفع الضابط المسدس بمنديل وقال : أداة الجريمة على ما يبدو .. يبدو أن لا بصمات عليه .. ممسوحة

الفصل الثاني

كان الدكتور جميل مدير مركز الأبحاث مصروعا على كرسيه ، وقد اسند أو انحنى رأسه وصدره على المكتب ، وتحته ملفات وأوراق يبدو أنه كان يقلب بها قبل حدوث الجريمة ، وقد قام أحد أفراد الأمن بتفتيش جيوب القتيل وأخذ ما فيها من أشياء ، وبعد أن قام فريق التصوير بتصوير المشهد ، أشار ضابط التحقيق الرائد عوني بصارة بنقل الجثة إلى سيارة الإسعاف ، ومن ثم إلى مستشفى التشريح ، ولما أخرجت الجثة من المكتب الفاره ، قال الضابط بعد أن قلب بصره في الغرفة : من الذي أبلغنا بالحادث؟

فتقدم الدكتور المحامي وهو مكفهر الوجه : أنا يا سيادة الرائد .. أنا المحامي وليد بكرز محامي المقتول.

فقال الضابط : كيف عرفتم أنه مقتول ؟

قال المحامي : هذا المقتول اسمه الدكتور جميل أسعد عازلي .. مدير مركز الأبحاث العلمية والصناعية المشهور في شارع البحيرة الخامسة ألا تعرفه ؟!

فكر الضابط قليلا ثم قال : آه! تذكرته .. أجل ، مدير مركز الأبحاث ! .. هو هذا الميت ، أنا وأنا أنظر إلى هذه الوجه قلت لنفسي إني سبق أن رأيته .. الآن أدركت أين رأيته ؟! لقد رأيته عددا من المرات في برامج تلفزيونية .. كيف اكتشفتم الجريمة ؟

فقال وليد : كنا مدعوين وثلة من الأصدقاء على العشاء هنا على شرف الدكتور شارل برس ضيف قادم من فرنسا ، فجلسنا بعض الوقت في الحديقة .. نحن وإياه أنا والدكتور خضر وزوجته الدكتورة فريدة وهي طبيبته الخاصة أيضا ، ثم أتى الدكتور السكرتير للمركز فرج ، وفي السادسة تقريبا تركنا الدكتور جميل لإنجاز بعض الأشياء قبل وصول الضيف من باريس فدخل المكتب ثم غادرنا بعده بقليل الدكتور فرج إلى المطار لاستقبال الضيف ، ولما زاد الظلام علينا في

الحديقة، وكانت عيادة الدكتورة قد اتصلت بها فدخلت ترد على الهاتف، فقمنا ودخلنا للبيت، والدكتور ما زال في مكتبه ، وكانت الساعة لما دخلنا الصالون هذا لم تبلغ السابعة ، وعلى ما أظن كانت السابعة إلا الربع ، جلسنا في الصالون نحتسي القهوة التي أعدها لنا خادم الدكتور ، وجلسنا نقلب في محطات البث التلفزيوني المختلفة ، وقد أصابنا الملل والضجر ، فقامت الدكتورة فريدة تتحدث مع الخادم وتسأله عن موعد العشاء ، وحاولت دفعه لدخول المكتب ، ولكنه أخبرنا أن الدكتور طلب منه أن لا يزعجه أحد حتى يصل الضيف ، فعاد إلى حجرته ، وطرقت الدكتورة الباب ـ باب المكتب ـ عدة مرات ، فلم تتلق جوابا ، ثم حركت أكرة الباب عدة مرات فوجدت المكتب مغلقا ، فدهشنا ولزمنا الصمت ، وعدنا نتفرج على التلفزيون ، وعللنا عدم الرد باستغراق الدكتور في النظر في الأوراق والملفات ، فهو قد وصل صباح اليوم من روما ، وله غائب عن المركز عشرة أيام ، وبينما نحن هكذا في انتظار وصول الضيف والعشاء ؛ فإذا بصدقي ينزل من الطابق الثاني يصيح ويولول ويقول : اتصال غريب ! .. اتصال غريب ! .. ففزعنا على صراخه وذعره .. وأصابنا القلق والخوف ، ثم قال وهو يسير نحو المكتب : جاءني تلفون من شخص مجهول يقول " إن الدكتور ميت في مكتبه " فدهشنا .. وهجمنا على المكتب ، فوجدناه مغلقا ـ ونحن نعرف ذلك، عندما حاولت الدكتورة فتحه والتشويش على الدكتور ـ فتفاجئنا أن صدقيا تفاجأ مثلنا ، فأحضر مفتاحه الخاص وهو يقول لنا : الدكتور لا يغلق الباب ! .. وهو موجود في داخل المكتب .. أمر غريب !.. ولما فتحنا الباب وأضأنا النور الكهربائي كانت المفاجأة أمامنا كما شاهدتها يا سيادة الرائد!.. فأدركنا أن أمرا كبيرا قد حدث فاتصلت بكم.

ولما صمت المحامي قال الضابط عوني وهو ينظر في الموجودين : أين صدقي ؟

فهمس صدقي الذي كان غارقا بالبكاء ويبكي بحرقة وحرارة قال : أنا هو يا سيدي إنها ضربة قاصمة .. عشرة عمر .. لي في خدمته أكثر من عشر سنوات.

فعزاه الضابط وقال : صبرك الله يا سيد صدقي ! ..ذكر الدكتور المحامي أن باب الغرفة كان مغلقا وأنك فتحته بمفتاحك ؟

مسح الرجل الحزين دموعه المتساقطة وقال : نعم، يا سيدي !.. الدكتور يفتح ويغلق مكتبه بنفسه .. وإنما أفتحه للتنظيف من الغبار أو للتخلص من النفايات المكونة من أوراق تالفة أو أعقاب سجائر .. ومن عادة الدكتور أن يترك

الباب مفتوحا عندما يكون في الداخل ؛ لأدخل عليه كلما احتاجني ، ويكون ذلك بالضغط على زر خاص عنده فيرن الجرس فوق فأهرع إليه سريعا .. فهذه أول مرة أراه مغلقا والدكتور في داخله ، ويمكن غلق الباب من الداخل بدون مفتاح فهناك زر خاص لذلك .. وأما من الخارج فلا بد من المفتاح ليغلق هذا الباب . وأشار إليه.

فقال الرائد : متى آخر مرة رأيت الدكتور حيا أو آخر جرس تلقيته منه بعدما ترك الحديقة وضيوفه؟

فرد صدقي قائلا : كما قال الدكتور وليد يا سيدي ، بعدما وصل السكرتير فرج بقليل وطلب السيد فرج الشاي ، وقد تحدث معه الدكتور جميل عن الذهاب إلى المطار ، فقال لما أشرب الشاي سأنطلق ، فاستأذن الدكتور من الضيوف ودخل للمكتب ، وطلب مني قهوة وها هو الفنجان في مكانه .. فأرسلت الشاي إلى السادة في الحديقة ، ثم عدت وتناولت فنجان القهوة من الشغالة سعدى ودخلت به على الدكتور ، وكان يتحدث بالتلفون ، ولما دخلت وضعه .. وأشار لي بوضع القهوة وقال " هل ذهب فرج ؟ " قلت " إنه يشرب الشاي ويستعد للذهاب .. فرن جرس الهاتف فتناول السماعة وأمرني أن لا أزعجه حتى يحضر الضيف وأشار لي بالخروج .. فتركته يتكلم بالهاتف ، وخرجت وأغلقت الباب خلفي ، وصعدت للطابق الثاني حيث الخادمة ووالد الدكتور السيد أسعد عازلي المريض .. فهو موعوك الصحة من أيام .. وقد زاره الطبيب مساء هذا اليوم.

وبعد صمت قصير عاد الرائد عوني يسأل صدقيا قائلا : كم كانت الساعة عندما وضعت القهوة للدكتور وخرجت ؟؟

فكر صدقي قليلا ثم قال : تزيد عن السادسة بقليل إن لم تكن السادسة .. أنا لا أهتم بالوقت كثيرا يا سيدي.

ـ بعدها لم تدخل عليه ؟

ـ لم يتصل بي .. حتى جاءني الهاتف المرعب.

فقال الضابط مخاطبا المسؤول عن رفع البصمات : هل انتهيتم ؟

فقال المخاطب : نعم.

فأخذ الضابط يتنقل في المكتب الواسع ، واقترب من خزائن الكتب والملفات ، وعاد يقول لصدقي : ألم تسمع صوت رصاص أثناء تحركك في المنزل ؟ .. وأنتم أيها السادة ـ وأشار للدكاترة ـ ألم تسمعوا صوتا وأنتم في الحديقة ؟

فقال وليد : الحقيقة أننا لم نسمع صوت طلقات مسدس .

وأكد الباقون كلام المحامي فقال الضابط: ولكن

المسدس لا يوجد عليه كاتم صوت، ولا يوجد هنا خرقة قماش لنقول إن المجرم خنق المسدس بها ليخفف من صوته .. ولكن القاتل يبدو محترفا بمعنى آخر إنه يجيد استعمال المسدس ..ويعرف أين يصوبه ؟! ..آ.. يا صدقي هل سمعت صوت رصاص ؟.

فهز صدقي رأسه نافيا ثم قال : لا ، يا سيدي لم أسمع صوت رصاص.

وهنا غير الضابط اتجاه التحقيق فقال للدكتورة ـ التي كانت صامتة وهي في ذهول كامل ـ قال : يا دكتورة هل يعاني الدكتور جميل من حالات نفسية ؟ .. باختصار هل يمكن أن ينتحر؟!

حملقت الدكتورة في الضابط ثم قالت : لا أعتقد ذلك يا سيدي !.. فجميل حيوي ويحب الحياة

أخذ الرائد عوني يبحث في جرارات المكتب فترة من الوقت ثم قال : أيها الدكاترة المحترمون أرجو أن تشرفونا صباحا في دائرة الأمن.. مركز شرطة حي الشجرة مكتب الرائد عوني بصارة لتسجيل أقوالكم ، وأنا في انتظاركم ، أرجوكم أن تتعاونوا معنا في كشف غموض هذه الجريمة .. والآن يمكنكم الانصراف .. أما أنت يا صدقي فلي حديث معك الليلة وعلى انفراد .. وأرجو يا دكتورة فريدة أن تخبري السيد أسعد بوفاة ابنه قبل انصرافك ، قد يحتاج لمساعدة طبية فكما أشرتم فهو مريض اذهب معها يا صدقي.

خرج صدقي والدكتورة حيث يرقد الوالد المريض ، واستأذن الدكتور فرج بالانصراف فأذن له الرائد بعد أن تأمله بضع لحظات وسأله : ألم تذهب للمجيء بضيف الدكتور فأين الضيف الفرنسي ؟ !

فقال فرج : بلى يا سيدي.

ـ هل أتى معك أم أوصلته للفندق ؟

فقال فرج وهو يظهر الأسف : لم أجده .. لم يكن على متن الطائرة الفرنسية التي وصلت في السابعة إلا خمس دقائق.

ـ أتعرفه ؟

ـ أكيد ، لقد حضر مرة قبل لقاء اليوم ، من سنوات زار القطر.

ـ غير موجود على الطائرة ؟

ـ أجل .. عجيب !

ـ يمكنك الانصراف ، ولا تنس لقاءنا غدا صباحا في مركز الأمن لأخذ أقوالكم وانطباعاتكم حول المجني عليه والجريمة بشكل عام.

ـ تحت أمرك.

ثم تبعه الدكتور وليد بكرز ، وركب كل منهما سيارته، وانطلق بها إلى هدفه ، وكانت الساعة قد زادت عن منتصف الليل عندما انصرفا.

ولما نزلت الدكتورة فريدة قالت : الوالد قد عرف

بالأمر؛ فإن الشغالة قد أخبرته بذلك ، وقال لي إنه بخير وتمنى أن لم يمت ولده هذه الميتة.

فتعجب الرائد وقال : هكذا قال !..سنسمع أقواله في الوقت المناسب.. يمكنك الانصراف أنت وزوجك وموعدنا غدا إن شاء الله.

وضعت حراسة مناسبة من أفراد الأمن على الفيلا ، وانصرفت سيارات الشرطة والمختبر الجنائي ، ولم يبق في الفيلا إلا الرائد عوني ومساعده الملازم دشمان علي ، وأفراد الحراسة الثلاثة

ومكث الرائد ومساعده الملازم الأول دشمان علي ساعة من الزمان في داخل الفيلا والمكتب ثم الحديقة ، وعرف بعض المعلومات عن السيد جميل ، ثم قال للخادم : صدقي عمران سنلتقي غدا بإذن الله .. إياك أن تغادر البيت ..

***

لما دخل الرائد عوني مكتبه صباح يوم الثلاثاء ، وجد معاونه في انتظاره، وبعد تحية الصباح ، وقد جلس على كرسي المكتب قال مستفسرا : ما الأخبار؟

وكان قد ضغط على زر كهربائي أمامه ، فلبى نداؤه فراش المكتب ، فطلب منه كوبين من الشاي، وبعض قطع البسكويت ، ولما خرج الفراش ، قال دشمان : وصلنا تقرير يؤكد لنا أن المسدس الذي وجدناه على المكتب هو أداة الجريمة.. ثلاث طلقات في القلب والصدر ، وأكد الطبيب أن الجريمة كانت عن قرب ، لا يبعد القاتل عن جسم القتيل سوى بضع سنتمترات ، بل قد تكون فوهة المسدس على صدر القتيل ببضع سنتيمترات فحسب ، وخلال هذا اليوم سيكون تفصيل التقرير الطبي بين أيدينا هذا ما قاله لي الطبيب عواد.

فقال عوني : إذن المسدس الكولت الأمريكي هو أداة القتل ، ولابد أن القاتل ذو معرفة بالدكتور جميل ، لقد كانت قسمات الوجه عندما رفعناه عن المكتب تدل على الدهشة والصدمة والمفاجأة .. نريد معلومات دقيقة وكاملة عن الخادم صدقي عمران فهو آخر شخص رأى الدكتور أمس وهو المسموح له بإدخال زوار الدكتور عليه ، ولولا المكالمة الغريبة التي تحدث عنها أمام الدكاترة لاتهمته ، أريد كذلك سجلا بالمكالمات التي حدثت في الفيلا من السادسة مساء حتى الثامنة مساء ، فصدقي هذا يدعي أن شخصا من الخارج أخبرهم بموت الدكتور ، لماذا تحدث القاتل بذلك؟ تأكدوا من ذلك من شركة الهاتف الدولية فإذا ثبت أن اتصالا جرى قبل الثامنة بقليل فيكون كلام صدقي صحيح ويكون في صالحه .. ونريد معلومات شخصية عن الأشخاص الذين تواجدوا في القصر أو الفيلا الكبيرة ذلك المساء ..

فهذه القضية لا تبدوا لي هينة وسهلة ، فهي جريمة مدبرة بذكاء .. والدكتور الفرنسي شارل نريد أن نعرف هل تخلف عن رحلة السابعة فعلا كما يزعم فرج ؟ ففرج يؤكد وصول الطائرة الفرنسية ، ولم يكن فيها حضرة الدكتور .. هذه خيوط أطلب من رجالنا إحضار معلومات كافية عنها .. فمقتل الدكتور جميل أسعد سيثير ضجة صحفية داخل القطر وخارجه .. فها هي الصحيفة التي أمامي تكتب " جريمة في حي الشجرة .. ضحيتها الدكتور البرفسور العالم جميل أسعد عازلي " ورفع الصحيفة الأولى ونظر في الثانية الموضوعة أمامه " يد غادرة تصرع الدكتور الفذ المعروف جميل عازلي"

وقال الرائد وقد عاد يرشف الشاي ويأكل قطع البسكويت : هل قرأت الجرائد ؟

فرد دشمان ـ وهو يضع الكوب الفارغ على المنضدة الصغيرة التي بجانبه ـ فقال : عناوين مثيرة وتفاصيل اكتشاف الجثة ، ويبدو أن بعض الصحفيين اتصل بزملاء الدكتور .. فهناك حوار مع الدكتور فرج فيقول فيه " كنا نجلس في الحديقة نشرب الشاي ، فدخل الدكتور البيت أو مكتبه في البيت، وشربت الشاي وسرت للمطار بكل سرعة لاستقبال ضيف الدكتور العالم الفرنسي الكبير في الأحياء المائية، ولما عدت من المطار بدون الزائر وجدت الدكتور مصروعا بيد مجرم .. ثم قال لهم : ليس لدي معلومات تفيد الصحفيين فالأمر كله بين يدي رجال الأمن .. والمحامي اعتذر عن أي تعليق حول الجريمة ، بل بعض الصحفيين حاول أخذ أقوال من السيد صدقي خادم الدكتور، فادعى أن الشرطة منعته من الكلام إلى الصحافة حتى ينتهي التحقيق.

هزّ عوني رأسه مرات وقال مادحا : خادم ذكي!.. جريمة ستشغل الرأي العام في القطر .. وجه رجالك لإجراء اللازم ، وهيا بنا نرى مسرح الجريمة على ضوء النهار، وقبل مجيء أصدقاء الدكتور لنسمع أقوالهم.

انتقل الرجلان بعد إجراء اللازم إلى الفيلا ، وبعد حديث قصير مع رجال الحراسة التقى الرائد بالسيد صدقي فقال : يا سيد صدقي .. الصوت الذي تكلم معك في التلفون هل شعرت أنك سمعته من قبل ؟

قال محاولا التذكر : لا أذكر يا سيدي! ..فهو عندما أخبرني بموت الدكتور، فقدت السيطرة على نفسي ، فأول كلمة نطقها قال : أليس هذا منزل الدكتور جميل ؟ فقلت : بلى هو ، فقال : هو ميت في مكتبه ، فصعقت للخبر وقلت: من أنت ؟! وكيف علمت ؟! فأغلقت السماعة من الطرف الآخر فوضعت السماعة أنا الآخر ، وأنا مضعضع

الفكر، ونزلت مضطربا وأنا أصيح بصوت مرتفع وأنا في غاية الصدمة .. كان الأمر صعبا يا سيدي!.. لا أدري هل سمعت هذا الصوت من قبل أم لا ؟! .. ولكن هل هذا يفيد في البحث ؟

ـ ربما .. هل تلقى الدكتور تهديدا ما قبل سفره إلى أوروبا أو أي شيء من هذا القبيل ؟

قال : حسب اطلاعي وقربي من سيدي الدكتور .. لا .. ولكن يوجد في المكتب هاتف خاص مستقل أي ليس له تفريعات في الفيلا .. فهو خط مستقل للمكتب

ـ ذكرت لي سابقا يا صدقي أنك دخلت بالقهوة على سيدك الدكتور فوجدته يتكلم بالهاتف ألم تسمع كلمة .. جملة ؟ تذكر جيدا كل شيء يقدم معنا شيئا في الوصول للجاني.

بعد تفكير وصمت قال الخادم : للأسف لا .. فعندما دخلت كان يضع السماعة .. ولما أراد أن يتكلم مرة أخرى صرفني.

ـ ولا كلمة.

ـ ولا كلمة يا سيدي.

قال الضابط : سيد صدقي هل للدكتور أعداء حسب علمك وعشرتك للدكتور خلال السنوات الماضيات ؟

ـ أعداء .. أعداء .. لا أظن .. ولكن هناك بعض الخصوم الذين بينه وبينهم مشاكل بسبب العمل.. خصوم قضايا.. وقد تجد تفصيل ذلك عند الدكتور المحامي بكرز.

قال الضابط : قلت سابقا يا سيد صدقي .. إنك تركت الدكتور قريبا من الساعة السادسة مساء .. ألم تنزل إلى الدور الأول مرة أخرى بعدما صعدت ؟.

ـ لا يا سيدي .. إلا عندما دخل ضيوف الدكتور الجالسين في الحديقة فنزلت أرحب بهم من جديد .. وطلبوا مني بعض فناجين القهوة المرة.

ـ ما شعرت بأي حركة تحت وأنت فوق ؟

ـ من الصعب إذا كان الإنسان مشغولا فوق أن يشعر بحركات الذين تحت .. فهناك جرس خاص يضغط عليه الدكتور إذا أرادني.

قال الضابط عوني : المسدس الذي كان على المكتب أمس .. هل رأيته قبل هـذه المرة يا سيد صدقي ؟

ـ هناك في غرفة نوم الدكتور مسدس مثله يا سيدي! ولكني بعد انصرافكم أمس تأكدت من وجوده .. قد يكون لديه مسدس آخر.. ولكن المسدس الذي كان على المكتب أول مرة أراه.

ـ ثبت لدينا بالفحص أنه قتل فيه .. ولكن كيف لم تسمعوا الطلقات ؟ ولا يوجد كاتم صوت على مسرح الحادث ؟! .. حتى ولو ألصق المسدس على صدر القتيل لابد أن يخرج صوت الانفجار ولو ضعيفا.

ـ إذا قتل يا سيدي بالوصف الذي تقول فمن الصعب أن يسمع من فوق ، ومن في الحديقة كذلك وخصوصا أن النوافذ مغلقة.. ولا يوجد أحد في الصالة.. فأرى أن عدوه قتله والقوم في الحديقة .. ونافورة الماء والأسود ربما تمنعهم من سماع صوت الطلق المخفي.

ـ جيد تفسيرك هذا يا صدقي ! سنجرب ذلك فيما بعد .. فما تقول في ضيوف الدكتور تلك الليلة؟ وهل يمكن أن يفعلها أحدهم ؟

ـ صعب ذلك .. وما الفائدة التي يجنونها يا سيدي من مقتله ؟!

فقال الضابط : هل علمت يا صدقي أن الضيف الذي كنتم تنتظرونه لم يحضر ؟

فقال صدقي : عجبت من ذلك ..فلقد تحدثت مع الدكتور فرج عن سبب ذلك ، فأخبرني أن الطائرة وصلت في موعدها ، ولم يكن الدكتور شارل فيها

ـ عجيب .. أجل .. أخبر الخادمة أنني أريد الحديث معها قبل الانصراف للقسم.

ـ إنها مرعوبة يا سيدي .. ولا أظن أن عندها شيئا .. فهي لا تنزل من فوق إلا نادرا .. فهي تتنقل بين غرفة السيد أسعد والد الدكتور جميل وغرفتها والمطبخ.

ـ لابد من سماع أقوالها؛ لعلها شاهدت شيئا وخائفة منه .. قد تكون رأت القاتل وهو يغادر الفيلا أو وهو يدخل .. وكذلك لنا حديث مع الأب أخبرهم بأننا نقصد اللقاء بهم.

فقال صدقي : إنه مريض جدا .. لقد استدعينا الطبيب ليلة أمس مع الفجر مرة أخرى يا سيدي من أجله. قال الضابط : نلقي عليه التحية ونعزيه .. هيا أخبرهما.

وخرج صدقي لتنفيذ رغبة الضابط ، وعاد الضابط يقلب في الأوراق والملفات ويحدث زميله قائلا : نحن لم نحدد الهدف والدافع لهذه الجريمة يا دشمان!

فقال دشمان : ما زال الغموض يلف هذه الجريمة .. فهدف الجريمة غير واضح أمام أعيننا ، فليس للدكتور زوجة ، ولا أولاد .. ليس في الصورة إلا والد مريض كبير في العمر .. ولا أعتقد أن مشاكل قانونية من المتعاملين مع المركز تؤدي إلى هذه الجريمة المحكمة التدبير والتخطيط .. ماذا يستفيد الدكتور خضر أو زوجته من مقتل جميل؟ ماذا تكسب ؟ بل خسرت رجلا كان يتردد على عيادتها .. والمحامي مثلها .. وحتى السكرتير إلا إذا كان هناك فضائح يعرفها الدكتور عنهم قد تدفع أحدهم لهذه الجريمة المرتبة بذكاء .. علينا أن نتابع حركات هؤلاء الضيوف منذ حضروا للبيت وحتى مقتل السيد جميل أسعد .. كلهم غادر بعد حدوث واكتشاف الجريمة.. إلا فرج شرب

الشاي معهم في الحديقة ، ثم انطلق إلى المطر للإتيان بضيفهم ولما عاد بعدما تأكد من عدم مجيء الدكتور كانت الجريمة قد حدثت واكتشفت ..على كل رجالنا يتحرون عنهم ، وسنسمع أقوالهم ، وقد نضعهم تحت المراقبة إلى حين من الزمن.

وأتى صدقي يقول لهم : إنهم في انتظاركم يا سيدي الرائد.

أغلق الرائد المكتب وأوصى الشرطي الحارس بعدم السماح لأي شخص بالدخول، وصعدا إلى الطابق الثاني حيث تحدث الرائد مع الخادمة ، ولم يجد عندها شيئا يذكر سوى الدموع والخوف ودخلا حجرة الوالد أسعد وقاما بتعزيته بموت ابنه، وكان في حالة سيئة ، ثم انصرفوا مسرعين إلى دائرة الأمن في حي الشجرة حيث وجدا الدكاترة الأربعة في انتظارهم .

الفصل الثالث

وقبل أن يبدأ الرائد عوني بأخذ أقوال أصدقاء الدكتور المقتول الذين كانوا زواره، وعنده ليلة الحادث ، كان عامل المقسم في القسم الأمني يقول له " إن مدير الأمن اتصل به "، فطلب منه أن يصله به ، وطلب القهوة للدكاترة الأربعة ، وما كاد يصدر أمره لفراش المكتب حتى كان معه عبر أسلاك الهاتف مدير الأمن العام قائلا له : رائد عوني .. ما آخر أخبار جريمة حي الشجرة ؟

ـ ما زالت غامضة يا سيدي! وسيكون مساء هذا اليوم بين أيديكم تقرير مفصل عنها ..عندما نستلم تقرير الطب الشرعي ، وتقرير المختبر الجنائي .. والآن عندي الأخوة الذين كانوا في بيت الدكتور عندما اكتشف موته لأخذ أقوالهم وانطباعاتهم عن الجريمة.

ـ أريد أن تمر عليّ عندما تنتهي من أخذ أقوالهم واستجوابهم .. لقد تحدث معي السيد " نهري بربش " صاحب شركة الحماية الخاصة ، وأخبرني أن الدكتور جميلا كان يتفاوض معهم أو معه حول حمايته الشخصية .. وذلك قبل سفره الأخير لأوروبا .. وقد طلب منهم حراسا لمرافقته.. ولم يتحقق ذلك ..وأمس عندما وصل اتصل به من مكتبه في الشركة ليؤكد الموضوع ولقد كان بينهم موعد نهار اليوم .. ولما قرأ الصحف التي تتحدث عن مقتله اتصل بي..

كان عوني يسمع كلام مديره وهو يهز رأسه ، وأحيانا يحدق النظر في الموجودين فلما سكت المدير قال : سألتقي به .. نعم ، سوف أمر عليك بعد قليل .. شكرا سيدي .

ووضع السماعة وقال : أخبار جديدة .. وقد تكون مهمة .. أهلا بالسادة الكرام ..

استدعى كاتب التحقيق ، ولما أعد أوراقه قال

الرائد : فالأفضل أن نبدأ بالأستاذ المحامي .. اذكر يا سيدي اسمك وسنك ومكان إقامتك وعملك ؟

ولما كتب الكاتب المعلومات التعريفية قال الرائد عوني : متى وصلت منزل الدكتور جميل وسبب تواجدك هناك ؟.

قال السيد المحامي : أتصور أنني وصلت بعد الخامسة وقبل الخامسة والنصف، فوجدت الدكتور جميلا يجلس مع ضيفيه الدكتور خضر وزوجته الدكتورة فريدة في عريش الفيلا تحت الأشجار الباسقة .. وأمامهم نافورة الماء الجميلة .. وذهبت بدعوة من الدكتور جميل نفسه للمشاركة في الترحيب بضيفه الفرنسي ..وتناول العشاء بمعيتهم .. وقريب من السادسة مساء أتى الدكتور فرج كئيبا وحزينا على غير عادته ،، فحدثنا أنه كان عند طبيبه الخاص .. فأخبره أنه يعاني من مشاكل في صدره وقلبه، وسببها الدخان والسجائر .. وكان الدكتور مكلفا بالذهاب للمطار للمجيء بالضيف.. فلما شرب الشاي غادرنا إلى المطار .. وقبل انصراف فرج استأذن الدكتور بدخول مكتبه لإنجاز بعض الأعمال لغيابه عن أرض الوطن خلال الأيام العشرة الماضية ، وذلك قبل مجيء الضيف ، ومن بعد انصرافه لم أره إلا جثة هامدة ، في السابعة إلا ربع أو إلا ثلث طل علينا الخادم صدقي من نافذة الطابق الثاني يخبرنا أن هاتفا يطلب الدكتورة فتركتنا الدكتورة لترد على الهاتف ، والتلفون موجود في صالة أو صالون الفيلا ، وبعدها دخلنا الفيلا لإحساسنا بالبرد الليلي، وجلسنا في الصالة نتفرج على التلفزيون ، وننتظر عودة السيد فرج ، وقدم لنا الخادم المحترم قهوة ، ثم حاولت الدكتورة إزعاج الدكتور جميل فاستدعت الخادم ليطرق الباب ؛ لكنه رفض وقال : إن الدكتور طلب منه عدم الدخول إلا عندما يصل شارل برس .. فانصرف إلى حيث يجلس .. فطرقت الدكتورة الباب عدة مرات فلم يرد، فحركت أكرة الباب فوجدته مغلقا فعجبنا من ذلك التصرف .. وبينما نحن نتحدث ونستمع لمحطات البث ونعلق عليها هبط علينا صدقي يصرخ ويصيح قائلا " اتصال غريب " وفهمنا منه أن مجهولا يخبره بموت الدكتور جميل داخل مكتبه، والباقي تحدثنا به في مكان الجريمة .. اقتحمنا الغرفة المغلقة فوجدناه ميتا فعلا فاتصلنا بالبوليس فورا.

فقال الرائد : حسنا يا سيدي المحامي .. ألم تشعر وأنتم تجلسون في الحديقة بأن أحدا دخل الفيلا ؟

ـ الحق من الصعب رؤية القادم أو الشعور به .. فالعريش في آخر الحديقة ، وهناك الأشجار

الكثيفة تحجب الرؤية .. ولا تنسى انسجامنا في الحديث والثرثرة فذلك يشغلنا عن الانتباه ..

فكما سمعنا من صدقي أن الطبيب حضر لمعالجة والد جميل ولم نحس به داخلا وخارجا.

ـ وبصفتك محامي الدكتور والمركز .. هل يمكن لأحد من خصومه أن يحقد عليه حقدا يدفعه لقتله؟

ـ سؤال كبير ..ولا يوجد خصوم بيننا وبينهم قضايا كبيرة .. فهناك الدكتور خالد الضبرة رفع على المركز قضية بسبب الأبحاث التي قدمها وردت إليه ، متهما المركز بسرقتها والغدر به فقام بالتهديد والوعيد ؛ ولكن لا أعتقد أن يصل

الخصام إلى رغبة في الانتقام والقتل وإلا لما رفع علينا قضية غش وسرقة بحثه.

فعاد الضابط يستفسر فقال : ما قضية هذا الدكتور؟

فعاد وليد يوضح الموضوع قائلا : قضيته ـ يا سيدي الضابط ـ تتلخص أنه قدم للمركز بحثا علميا مهما عنده طبعا لندرسه أو يدرسه الدكتور جميل ، ثم يقدمه لمراكز العلم في أوروبا وأمريكا التي يتعاون معها المركز.. ويكون الدكتور جميل وسيطا بين الباحث والمراكز الغربية ولكن الدكتور جميل رآه غير مناسب ، فاعتذر لصاحب البحث ، وأعاد له أوراق البحث ولأن المركز تأخر

في الرد على الدكتور خالد لانشغال الدكتور في السفر والترحال ..فاتهم الدكتور بسرقته ، وأننا نريد أن نستفيد منه وحدنا من ورائه ..فرفع علينا قضية اختلاس بحث علمي رصين ومهم في نظره .. ونحن نراه غير مفيد للصناعة ، فهدد وتوعد .. فحاول الدكتور إنهاء المشكلة من غير شوشرة بمبلغ من المال .. خمسة آلاف دينار .. فرفض وقال " هذا المبلغ توكيد أنكم سرقتم البحث " ولكن قصد الدكتور إنهاء الموضوع بدون شوشرة وحفاظا على سمعة المركز العلمي .. وللزمالة بينهما ولتأخره في الرد عليه .. فرفض واتهم ، ورفع علينا قضية ، وقد حضرنا جلسة واحدة من أجلها في المحكمة .. وطلب منه القاضي أن يقدم أدلة الاتهام.

وهنا تدخلت الدكتورة فريدة قائلة : اسمح لي أن أتكلم في الموضوع يا حضرة الضابط اتصل بي الدكتور خالد الضبرة ظهر أمس عندما علم بوصول الدكتور جميل من الخارج .. وهو صديق وزميل لي .. وهو يعرف أنني طبيبة الدكتور جميل .. فاتصل وطلب مني التوسط بينهم وإنهاء الإشكال .. وعلى الفور تحدثت مع الدكتور جميل في عمله مهنئا له بالعودة من السفر سالما.. وأشرت لموضوع الدكتور خالد فدعاني للعشاء مع ضيوفه.. وخاصة الدكتور شارل برس .. وكنت

أريد أن أحدثه فيه بعد العشاء.. ولكن سبق السيف العذل كما يقال في الأمثال القديمة .. آسف لهذه المداخلة.

فقال الرائد : أبدا لا داعي للأسف بل هي مداخلة ومعلومة في محلها ؛ ولكنها قد تكون لصالح خالد وقد تكون ضده .. شكرا لك .. اكتب يا عماد طلب استدعاء للدكتور خالد الضبرة لسماع أقواله .. وخذ عنوانه وهاتفه من الدكتورة فريدة .. إذن سيدي المحامي لم تلاحظ دخول شخص غيركم قد دخل الفيلا.. وأنتم تجلسون في الحديقة أليس كذلك ؟

- فعلا لم أرَ أحدا يدخل الفيلا للعوائق التي ذكرتها لك.

- أنتم بعد دخول جميل لمكتبه هل دخلتم الفيلا ؟

- قلت لك سابقا إن الدكتورة طلبتها العيادة فدخلت ثم دخلنا بعدها بقليل.

- شكرا لك سيدي المحامي نرجو توقيعك على المحضر ، وضع بصمتك على هذه البطاقة إبهامك الأيسر والأيمن وبعد ذلك يمكنك الانصراف.

فقال المحامي : أرجو أن تسمح لي بالبقاء .. وسأنصرف برفقة الدكتور فرج لنقوم على استلام الجثة من المشرحة وعلى إعدادات الدفن.

فقال الرائد : كما تشاء ، فأنا لحتى الآن أعتبركم أصدقاء الدكتور الميت ، وأتصور أنكم أبرياء من قتله .. أنت يا دكتور فرج سكرتير لحضرة المدير من سنوات كثيرة

قال فرج : أظنها تزيد عن عشر سنوات.

- رائع .. اسمك وعمرك وعملك وعنوانك.

وذكر الدكتور للكاتب أجوبة تلك الأسئلة التقليدية ولما انتهى منها قال الرائد : جميل يا دكتور !.. دخلت الحديقة قبل السادسة بقليل ؟

- نعم سلمت على الجميع .. تحدثنا عن الصحة والدخان.. استأذن الدكتور لدخول مكتبه .. شربت الشاي ، وغادرتهم حوالي السادسة والربع .. ولم أرجع إلا عندما تأكدت من عدم وصول الدكتور على طائرة باريس الساعة السابعة ليلا ، ولما عدت وجدت الدكتور وليدا قد أخبر الشرطة بالجريمة .. وسمعت الخبر المرعب منه فصدمت بعض الوقت.. ثم دخلت للمكتب فشاهدت الدكتور الفقيد منحنيا على مكتبه مفارقا للحياة ودماء نازفة على المكتب والأرض.

- وأنت تغادر الفيلا ألم تلاحظ شيئا شخصا سيارة أمام الفيلا ؟

- الحق أنني لم أنتبه لشيء ، ولكن أمام سيارتي كانت سيارة ألمانية صغيرة سوداء اللون .. وهي لم تكن لأحد الأصدقاء ؛ وربما تكون لأحد سكان الفلل المجاورة .. والذي لفتني إليها عندما أتيت كانت سيارة الدكتور وليد تقف أمام الفيلا ،

فصففت أمامه ، ولما خرجت كانت تلك السيارة تقف أمامي وملاصقة جدا لسيارتي ، فلم أتمكن من الخروج بسهولة، فضغطت على المنبه ، ثم نزلت من سيارتي لأكلم الرجل الذي يجلس فيها ، فوجدت شابا أشقر اللون ؛ كأنه أجنبي ذو شعر طويل فكلمته بالعربية ليتقدم للأمام قليلا حتى أخرج براحتي، فلم يفهم ، فحادثته بالبريطانية فحركها للأمام قليلا ، فركبت سيارتي وخرجت بسهولة ، وانطلقت إلى المطار .

قال عوني لما انتهى فرج من كلامه: ما تقول في مقتل صديقك الدكتور جميل؟

ـ الأمر مذهل ومفاجئ للجميع! .. واعلم يا سيدي الرائد أن علاقتي بالسيد جميل أسعد علاقة عمل فقط.

وبعدما ران الصمت على غرفة التحقيق لحظات ، سأل الرائد فرجا قائلا : من سيصبح مديرا للمركز يا دكتور فرج ؟

فرد فرج بعد تردد: لست أدري .. ولكني أرسلت فاكسا للجامعة المسئولة عن دعم هذا المركز ماديا أخبرتهم بوفاة الدكتور .. فإما أن يعينوا مديرا جديدا أو يغلقوه يا سيدي .

ـ ألا تصبح مديرا له؟

ـ هذا يرجع للممولين للمركز ليس بالضرورة أن أعين مديرا..

أشار الرائد لمسدس أمامه على طاولة التحقيق وقال: هذا المسدس .. هل رأيته مع الدكتور جميل ؟

حدق الدكتور نظره في المسدس وقال : لقد شاهدته على مكتب الدكتور مساء أمس ، ولولا الهيئة التي وجد عليها الدكتور لظننت أن هناك انتحارا .. لقد رأيته أكثر مرة ، لم يكن يخفي الدكتور أنه يحمل مسدسا.

ـ أكان الدكتور يعاني من خوف من تهديد ما ؟

ـ لست أدري .. ولكن قبل سفره الأخير أخبرني أنه ينوي استئجار حارس مسلح لحمايته .. فظننت أن ذلك من باب الموضة والعصرنة والتقليد .. فهو لم يحدثني عن تهديد يتعرض له شخصيا.. وأما مسألة خالد الضبرة فلا أعتقد أنها تصل للقتل، فالدكتور خالد رجل طيب.. وكان يبني آمالا كبارا على بحثه إذا تحول لشركة صناعية ؛ ولكنه فوجئ بسقوط هذا الحلم ، وخصوصا أن الدراسة أو البحث مكث عندنا ما يقارب سنة ، وقد أخطأ الدكتور جميل عندما عرض المال.. وقد نصحته ألا يفعل حتى لا يساء تفسير ذلك ، فقال "مساعدة للدكتور مقابل التأخير الذي سببناه له .. فالبحث بين أيدينا من سنة وأكثر" ، فهذا سبب تقوّل الدكتور علينا بأننا سرقنا البحث.

ـ لا بأس هل من أقوال أخرى؟!

ـ لا، يا سيدي .. وإذا تذكرت شيئا سأخبرك به ، إن مقتل الدكتور جميل صدمة لي وللعاملين في مركز الأبحاث العلمية والصناعية.

ـ وقع على أقوالك وابصم بإبهاميك .. وعليكم اليوم استلام الجثة من المشرحة وموارتها التراب .. شكرا لكم.

فبعدما وقع فرج على أقواله حول جريمة حي الشجرة ، وبصم على البطاقة الخاصة بالبصمات انصرف مع المحامي وليد بكرز حيث المستشفى لاستلام جثة جميل أسعد ، وتابع المحقق الحديث مع الزوجين خضر وفريدة فقال مخاطبا الدكتور خضر بعدما ذكر اسمه الكامل وسنه وعمله وعنوانه : وأنت يا سيدي الطبيب .. أعندك شيء حول هذه الجريمة ؟

فقال الدكتور وهو يداعب نظارته : لقد كان شهودي لهذه الجريمة صدمة لي! .. لقد ذهلت وأنا أرى الدكتور العالم صريع الغدر .. نحن يا سيدي الرائد وصلنا بعد الخامسة ، فقد دعانا الدكتور جميل للعشاء مع ضيوفه ، وكان واجب التسليم عليه مطلوبا منا لصداقتنا الخاصة معه .. وزوجتي هي طبيبته الخاصة وهو يعرفها منذ كانت طالبة في كلية الطب .. وظلا أصدقاء وبعد زواجي منها عرفتني عليه ، وكثيرا ما نلتقي ونتقابل في سهرات وحفلات ومناسبات وحتى مؤتمرات وندوات، فيمكن أن تعتبرنا من أعز أصدقاء الدكتور جميل عازلي أما لماذا قتل؟! .. فهذا ما يحيرني منذ ليلة أمس ، لماذا قتل الدكتور العالم ؟! لا يخلوا عملا من مشاكل وهموم .. أما أن يصل الأمر للقتل والدم فهذا صعب وشنيع يا سيدي الضابط .. جلسنا بصحبة الدكتور ساعة من الزمن في الحديقة ، ثم غادرنا لمكتبه .. ولم نره بعد ذلك إلا مقتولا مضرجا بدمه .. ونحن نجلس في الحديقة الجميلة لم أحس وأشعر بدخول أي إنسان ، ومن الصعب الشعور بالقادم إلا إذا أراد الداخل لفت نظرنا بحركة ما .. فصوت الماء في النافورة يمنع سماع حتى خطوات الماشي.

ولما سكت الطبيب عاد عوني يسأل : صدقي عمران .. أتعرفه معرفة جيدة ؟

ـ أتعتقد أن صدقيا يقتل ؟! .. لا .. لا .. ماذا يجني الرجل من مصرعه ؟! .. ولا أعتقد أنه بهذا الذكاء الذي دبرت فيه الجريمة .. وراءها يا سيدي عقل كبير.

ـ مدفوع من ناس ؟!

بحلق الطبيب في الرائد قليلا وقال : وماذا يستفيد ؟

ـ الآن لا نعرف .. فهو بإمكانه أن يدخل عليه ويصرعه غيلة ، وكأن شيئا لم يحدث ، ويغلق الباب بحجة أن الدكتور يريد إنجاز أعماله لحين قدوم

الضيف ، ولما قرب موعد الزائر تظاهر أن أحدا اتصل به وأخبره بموت الدكتور.

كان الطبيبان يسمعان كلام المحقق وهما في غاية الذهول ، وكان كلامه منطقيا ، وهو الوحيد الذي يمكن أن يرتكب الجريمة كما حدثت ، وهو آخر من رأى الدكتور وقدم له القهوة فقال خضر ببطء : من ناحية نظرية ممكن ولكن لماذا ؟ ومن دفعه للقتل ؟

ـ هل لديك شيء يفيد التحقيق ؟

ـ الآن .. لا

ـ أحسنت !.. وقع وابصم أيها الطبيب المحترم على هذه البطاقة .

ووضع أمام الطبيب بطاقة ليضع بصمات إبهاميه عليها ثم قال : وأنت يا دكتورة فريدة .. عرفينا على اسمك الكامل والسن والعنوان والعمل .. وما تقولين في هذه الجريمة التي شاهدتيها ؟

فبعد أن ذكرت المعلومات الأولية قالت : كما قال الدكتور خضر .. أنا حائرة في أحداث هذه المصيبة !.. ومن هو المستفيد منها ؟ ..فالدكتور ليس له إلا أخ واحد في فنزويلا منذ سنوات طويلة .. وهو طبيب اسمه جلال ، ولهم أخت كما أذكر أيضا في إحدى بلدان أمريكا اللاتينية قد تكون فنزويلا متزوجة من صديق للطبيب جلال .. وكلهم يملكون من المال الكثير .. ووالد الدكتور مدرس متقاعد قديما ..وهو معتل الصحة .. وللحق أقول إنه لا يحب ولده جميلا كثيرا لأسباب أجهلها .. ولكن يشعر بها المرء من برود العلاقة بين الرجلين .. ولقد كان الأب يسكن وحيدا ؛ ولكن لما كثرت عليه أمراض الشيخوخة أسكنه جميل في قصره ، وكلف خادمة وهي سعدى على رعايته .. وأما صدقي فماذا يكسب من موت سيده ؟ لست أدري ماذا يستفيد؟ .. بل سيفقد عمله ، وله ولد متزوج وهو يعيله أكثر راتبه .. فهو بحاجة للعمل في كنف الدكتور .. المال قد لا يكون دافع هذه الجريمة.

ـ قد يكون أحدهم حرضه فالطمع يؤدي لكثير من الجرائم.

ـ الله أعلم .. وهذه مهمتك يا سيدي .. ومرة أخرى أقول أن الدكتور خالدا الذي أعرفه جيدا لا أعتقد أن غضبه وكرهه للدكتور جميل يدفعه لسفك دمه .. وأنا تحت خدمة العدالة في أي وقت .. وهذه ـ وأخرجت بطاقة تعريفية ـ أرقام هواتف البيت والعيادة.

وشكرهم الرائد عوني بصارة على حسن تعاونهم ، وسمح لهم بالانصراف وهو يقول : أرجو ألا تبخلوا علينا بأي ملاحظة أو حركة أو همسة حدثت مساء يوم الاثنين .. قد تكون معلومة تافهة ؛ ولكنها تساعدنا على حل غموض كبير.

- ولا يهمك سيدي الرائد .. نحن متشوقون حقيقة لمعرفة المجرم الأثيم.

صافحهم الرائد وهو يقول : رافقتكم السلامة.

إلى اللقاء في الحلقة القادمة

قصص وحكايات الفوارس



الحلقة الأولى

الأميرة نهر الأحلام

قال الراوي حدثنا جابر بن نادر عن ملك الزمان ونادرة العصور والأيام الملك جعفر بن عاد صاحب مدينة الأبراج ، التي نقل الرواة والقصاص أخبارها لأهل الدنيا للعبرة والعظة والذكرى في ليالي الشتاء الباردة ، وذلك عندما يجلس الشيوخ والشباب حول مواقد النيران للاصطلاء والترويح عن النفس ، وإزالة هموم الدنيا وأتراحها في سير وأيام الماضيين .

قال الراوي حدثنا جابر بن نادر صاحب الحكايات والنوادر عن الملك جعفر بن عاد بأنه كان من ملوك الزمان ، وهذا الملك قد ورث الملك عن الآباء والأجداد فأحسن وأجاد ، وبنى البلاد وزادت عساكره كرات وكرات ، وانتشر في عهده الأمن في طول البلاد وعرضها ، وكثرت في أيامه المدارس والعمارات وأماكن الشفاء ، وكان هذا الملك رغم ما تحته من جند وقوات يحب العدل في الرعية ، والناس كلهم عنده سواء ، ويكره ويبغض الظلم والاعتداء ؛ ولكنه عندما يغضب لا أحد يستطع منعه مما يريد أن يفعل ، وأخباره في الرعية مليحة وجلية ، ويعتبر من فرسان وأبطال ذاك الزمان ، ويحب الفرسان واعتلاء صهوات الخيل ويعشق المبارزات ، وكان له من البنين ثلاثة ومن البنات واحدة في سن الزواج ؛ ولكنها كما تقول لا رغبة لديها بالزواج لا من الملوك ، ولا من الأمراء ، وأبوها الملك لا يريد إرغامها على ذلك ، فقد ترك لها الحرية والانتظار، ونزل عند رغبتها ، فهو لها محب ولأمرها مطيع .

قال الراوي أخبرنا جابر بن نادر أنه لا يخلو زمان من ملوك متعادين متنافسين لوجود الحسد والطمع وغير ذلك من الصفات القبيحة في طبع البشر، اتصل قائد الجيش الأكبر بالملك جعفر ذات ليلة وأخبره أن جنوب البلاد يتعرض لغزو من الملك فوزان صاحب مدينة التاج ، وأن قوات مدينة الأبراج تصد ذلك الهجوم ببسالة ، ويطلبون المزيد من الفرسان والخيل والرايات .

فقال الملك لقائده : جهز لي فرقة من خيار الجنود ،

وسأرافقهم كجندي من غير أن يعرفون أني معهم .. وشدد الحراسة على جميع الحدود أيها القائد! وعندما تجهز الفرقة للسير أخبرني حتى ألتحق بهم ، ولا تقل لهم أنني سأسير معهم فليبق الأمر بيننا أيها الفارس سرا .

وما أصبح الصباح حتى كان القائد يخبر الملك بتجهيز فرقة الفرسان ، وأنهم مستعدون للانتقال إلى البرج الجنوبي للدفاع عن ثرى الوطن والملك والعباد ، وتنكر الملك بلباس الفرسان ، والتحق بجنود الفرقة كجندي من جنودها ، ومشت الفرقة نحو الجنوب ، وفي نهار اليوم التالي كانوا قد وصلوا الحامية، فاستقبلوهم بفرح كبير، وارتفعت معنويات وهمم جنود الحامية وارتفع صياحهم وصراخهم ، وشارك الملك جعفر الجنود في الدفاع عن البرج الجنوبي كجندي من الجنود ، ورأى قادته يعملون بالميدان ، وشاركهم في الهجوم المضاد على جيش فوزان الذي أوقعوا فيه الخسائر الفادحة ، وأسروا أسرى لا تعد ولا تحصى من جنوده ، ولما لاحظ فوزان الهزيمة التي حلت بجيشه هرب وطلب النجاة، وعاد لبلاده مهموما مغموما يندب حظه السيئ في اكتساح مدينة الأبراج وأخذ الجزية منها والخراج .

وبعد هرب جيش فوزان اجتمع قادة البرج الجنوبي للتشاور ، فقال أحدهم : أرى أن فوزان هزم هزيمة ساحقة نكراء لو أننا نتابع المسير فقد نحتل مدينة التاج ونلحقها بمدينة الأبراج .

ووافقه بعض القادة على ما قال وشار، وقال آخرون : نحن مهمتنا الدفاع عن البرج الجنوبي ، وبما أنه قد انهزم فلنضمد جراحنا .. فالهجوم على مدينة التاج يحتاج إلى قوات أكثر، والاحتلال قد يحصل ؛ ولكن البقاء هناك لن يكون سهلا ميسورا .. فهؤلاء القوم لا يحبون ملوكنا منذ عهد قديم فلا يرضون بتسلطنا عليهم .. ولا تنسوا أيها القادة مشكلة الأسرى فهم كثيرون ويحتاجون لطعام كثير.

فعندئذ قال قائد البرج الجنوبي بعدما سمع آراء القادة والمستشارين : القائد الكبير أيها السادة قادم إليكم.. وسنعرض عليه آراءنا ونسمع منه الرأي الفصل .

قال جابر بن نادر : كان الملك ابن عاد مع الجنود كل هذه المدة كجندي من جنود الملك جعفر فلم يظهر لهم نفسه إلى أن جاء القائد الأكبر للجيش وهنأهم على النصر ، وأثنى على شجاعتهم ودفاعهم عن حياض البلاد وحماية العباد من غزو الملك فوزان ، وقد التقى القائد بالملك الجندي مما أثار حيرة الفرسان ، وقد استغربوا من لقائه في بداية الأمر بهذا الجندي الغامض ، وتعجبوا أكثر عندما سمح له كبير القادة بحضور اجتماعهم

الخاص ، وكم كان وقع المفاجأة عليهم شديدا عندما علموا أن هذا الجندي الذي قاتل معهم ببسالة وشجاعة ملكهم المحبوب جعفر بن عاد ، فأخذوه بالعناق والتقبيل مما أدهش الحرس فهرعوا لخيمة الاجتماع فحصل لهم مثلما جرى لإخوانهم القادة ، وعم الفرح بين الجنود عندما علموا أن الملك بنفسه شاركهم المعركة متخفيا ، وأصبح ابن عاد حديثهم والكل يتحدث عن بلائه وقتاله ، فملك قلوبهم قبل أبدانهم وأمر الملك بمكافأة الجنود وأن يجزل لهم العطاء، ويواسى من جرح وأصيب ويهتم به ، ويراعى أسر القتلى الذين ضحوا من أجل الوطن ، وعاد الملك مع الفرقة التي انطلق معها إلى قلب مدينة الأبراج وعاصمة الملك إلى برج الأبراج .

فرح الشعب بالنصر المؤزر على الملك فوزان ، وتمنوا لو وقع أسيرا كالكثير من رجاله ، وعلم الشعب بمشاركة الملك الجيش المعركة على صورة جندي معرضا نفسه لسيوف الأعداء ، فارتفعت محبته عند أبناء الشعب ، وعمت الأفراح في طول البلاد وعرضها بسبب هذا النصر وجاء وفد الملك فوزران يطلب العفو عن الأسرى والاعتذار عن الحرب ، ودفعوا الأموال الكثيرة والعزيزة لفداء الأسرى ، فرضي الملك جعفر بذلك وعفا عنهم، ورجعوا لبلادهم في لباس الذل والعار يستعدون لأخذ الثأر والانتقام من أهل مدينة الأبراج في يوم من الأيام .

قال جابر بن نادر علمت ابنة الملك جعفر بن عاد بالنصر الكبير الذي أحرزه والدها الفارس الشهير ، فقررت زيارته للتهنئة والتبريك برفقة جواريها السبع، فأعلمت قائد الحرس لقصرها برغبتها تلك ، فجهز لها العربة الملكية الخاصة بها وبجواريها ، وأمر القائد سبعة من الفرسان بمرافقتها حيث قصر والدها ، وكانت الأميرة الصغيرة نهر الأحلام تسكن مع والدتها قي قصر خاص بشمال البلاد ، وكان والدها يتردد عليهم بين الحين والآخر يتفقدهما ويسمر معهما، وكانت تزوره في الشهر مرتين ، وأحيانا مرة واحدة فقط إذا كان والدها مشغولا بمعركة كما حدث خلال الأيام الماضية ، استقبلها جعفر بن عاد أحسن وأجمل استقبال ، وفرح بتهنئتها له بالنصر على الملك فوزان .. ومعروف أن الفرسان والأبطال يحبون سماع كلمات المدح والثناء وخصوصا من النساء الجميلات ، ومكثت عنده حتى المساء وتناولت معه الغداء، ثم ودعها وداعا لائقا بابنته الوحيدة الحسناء التي هي حديث كل الشبان والأمراء في مدينة الأبراج ، انصرفت ومعها جواريها السبع وحرسها السبعة بدعاء وإعجاب الوالد بأميرته الصغيرة ذات الست عشرة ربيعا .

قال الراوي :
كما تعلمون يا سادتنا الأفاضل أن السعد والفرح لا يدوم، ولابد من



الحوادث والعوارض والاختبار ، وقبل الوصول لقصر الأميرة في مدينة البرج الشمالي تعرض موكبها لمجموعة كثيرة من الفرسان ، ونشبت معركة بين الطرفين انهزم على أثرها حرس الأميرة بين قتيل وجريح ، وقد نزل رجل من الرجال المهاجمين، واقترب من مركبة الأميرة ،وطلب من الأميرة النزول بهدوء وإلا تعرضت هي ووصيفاتها للقتل ، فبكت الجواري بكاء مرا ، ولم تتكلم الأميرة ولم تمانع في النزول من مركبتها الملكية ، وحملت على حصان مع مختطفيها وتحرك الرجل وفرسانه وجرحاهم في جنح ذلك الظلام إلى مكان في تلك الجبال الشواهق ، علم ابن عاد بالقصة ، فغضب غضب الملوك من قومه لهذه الإهانة الكبيرة التي لحقت به ، وأمر بحبس من بقي حيا من حرس الأميرة ، وطلب من قائد الجيش التحقيق في الأمر بأسرع وقت ،وتعقب آثار الخاطفين والبحث عن الأميرة نهر الأحلام بنت جعفر

مضت سبعة أيام ولا شيء ولا خبر عن الأميرة ، فعرض الملك مكافأة كبيرة لمن يدلي بشيء يرشد للوصول إليها ومعرفة الخاطفين ، وهذا الإغراء لم ينفع في الكشف عن تفاصيل جديدة فتعجب الملك وكاد يفقد صوابه لهذه الجريمة ، فاجتمع بمستشاريه وقواده وخرجوا بنتيجة واحدة أنها تعرضت لمؤامرة محكمة ومدبرة بذكاء وحرص ، واستغلوا فرحة الشعب بالنصر المظفر ، فدخل الجواسيس البلد وخطفوا الأميرة ، فالتقى جعفر بن عاد بأبنائه الثلاثة سيف النهار وسيف الليل وسيف الفجر وطلب منهم البحث عن أختهم في كل بقاع الدنيا ، فخرجوا متخفين يتنقلون بين المدن والقرى، ويقطعون الجبال والوديان باحثين عن الأميرة نهر الأحلام، ومضت شهور ستة ولم يعد أحد منهم ، فقرر الملك أن يأتي أحد قادة أبيه الكبار كان أبوه أوصاه أن يستمع مشورته وكلامه ، وفي خضم هذه الكارثة نسي جعفر هذا الرجل فزاره بنفسه ..وكان هذا القائد العجوز من أصحاب وأصدقاء الملك عاد ، وبعد الترحيب والود قال الملك : أيها السيد الكبير لقد فطنت لك فجئت إليك لأسمع نصحك وقولك بما عصف بنا هذه الأيام من اختفاء الأميرة وإخوانها الثلاثة ..بعد نصرنا الكبير على الملك فوزان ملك مدينة التاج .

وقص الملك جعفر التفاصيل التي تجمعت لديه ممن ظل على قيد الحياة من حرس الأميرة ومن جواري الأميرة السبع ، فتنحنح القائد العجوز بعدما سمع الكلام وقال باسما : لقد كنت في انتظارك ولمثل هذا اللقاء مستعد !

فقال الملك جعفر : إنني أنفذ وصية أبي كما تعلم فقد قال لي يا جعفر إذا ضاقت بك هذه الدنيا واحلولكت عليك وكثرت مصائبها .. فعليك بزيارة القائد الشهم شهبان .. وهذه الكارثة رأيت أنها كبيرة وقاسية يا سيدي الفارس فلجئت إليك فساعد ابن صاحبك عاد .

خيم الصمت على المكان المجتمعان فيه فترة من الوقت ثم قال شهبان : أيها الملك أنا رهن إشارتك .. وقد علمت منك القصة المؤلمة ؛ ولكني لم أسمع رأيك حول اختفاء الأميرة ؟.

تبسم الملك ابتسامة مقتضبة وقال : لقد قمنا بالبحث الشديد .. وعيوننا عند الملك فوزان تقول إنه لا علاقة له بالخطف ..وذهب الأولاد يبحثون عن أختهم وما عادوا، ولم يصلنا خبر عنهم ، وكذلك حرس الأميرة ليس لهم يد في هذه الجريمة المعدة .

فقال القائد العجوز مدخلا الطمأنينة على قلب الملك: أتوقع أن الأميرة ما زالت على قيد الحياة لو كان الخاطفون يبغون قتلها لما أخذوها معهم ..

مولاي الملك أعتذر لك سلفا عن سوألي التالي .. هل لهذه الفتاة من أحلام وغرام ؟!

تبسم جعفر ثانية : فكرت بهذا أيها القائد .. فكرت بأن يكون لها عشيق أو رفيق ..فالجواري أنكرن ذلك بشدة وكذلك الخدم وأمها أيضا .. ولو كان لها محب لهربت بطريقة أخرى بدون قتال ودماء .. وهي لم تحدثني بشيء من ذلك سابقا لترى موقفي من هذا العاشق .. بل لم تكن لديها رغبة بالزواج لا من الملوك ولا من أمرائنا .. وأمها ترفض هذه الفكرة بكل قوة والبنت سر أمها .

فعاد شهبان يقول : أكبر أعدائنا الملك فوزان .. فهل أنت متأكد من خبر جواسيسك هناك بأنه جاهل لهذا الأمر ولا علاقة له في القضية ؟

فعاد جعفر يؤكد قائلا : جواسيسنا في قصره وفي مدينة التاج ينفون ذلك .

فقال شهبان : أيها الملك الجواسيس أحيانا لا يعتمد عليهم.. سأقوم بمغامرة إلى مدينة التاج من أجلك أيها الملك .. ومن أجل شرف مملكتنا العتيدة ؛ ولأنك التجأت إليّ عاملا بوصية أبيك الملك عاد .. وسأكون لك كما كنت لوالدك .

فنهض الملك متواضعا وقبل يد القائد الهرم صديق أبيه وشكره على حسن اهتمامه ، وقال شهبان وهو ينهض : بعد شهر أيها الملك أرسل لك خادمي عنبر لتأتي هنا لتعرف نتيجة رحلتي لبلاد التاج .

خرج الملك جعفر إلى قصره وهو متعجب من غرور قائد أبيه أو ثقته الكبيرة بنفسه ؛ ولكن كان



عنده أمل ضعيف أن يعود هذا العجوز بشيء مهم من مدينة التاج .

قال جابر بن نادر : الانتظار صعب وليس أمره سهلا ، والأمور تتعقد فلم يعد الأولاد ، فقد فقد الملك جعفر أبناءه الثلاثة وابنته الوحيدة ، وما زال أهل المدينة يخيم عليهم الوجوم والحزن والدهشة ويقولون بينهم بين بعض : من يجرؤ بالاعتداء على الملك جعفر بن عاد؟! ، وقبل أن يعود شهبان علم الملك بتحركات جديدة لعسكر فوزان بالقرب من البرج الجنوبي ولم تحدث أي منازلة ، فقد مضى الشهر الطويل ، وحضر شهبان وأرسل خادمة عنبر للسلطان فجاءه على عجل ولهفة ، وبعد التحية والسلام وحسن الكلام في مثل هذا المقام قال شهبان بدون لف ودوران : يا ملك الزمان ابنتك محبوسة عند ملك بلاد الأوهام هدير بن جرير صاحب بلاد الأوهام ، وهي بلاد بعيدة تحتاج لشهر من الأيام لتصل إليها .

اهتزت شوارب الملك غضبا ، واحمرت عيناه وسب وشتم ولعن وقال : حدثني عما جرى معك وكيف عرفت ذلك ؟! وما علاقة فوزان بالأمر أيها الفارس الكبير .. لقد صدق والدي العظيم عندما نصحني بالاستعانة بك هات ما عندك ؟!

فقال شهبان : صاحب التاج بعد هزيمته الأخيرة كما تذكر أيها الملك أراد الانتقام منك شخصيا واهانتك ، فاتصل به ملك تلك البلاد لقرابة بينهما وعرض عليه المساعدة ، فوافق فأرسل رجاله لخطف الأميرة نهر الأحلام ، وهذا الأمر لا يتكلم به أحد وغير معروف إلا لعدد قليل من خاصة فوزان منهم صديقي اشهمان ابن عم للملك فوزان ، وأسر لي بذلك شفقة على البنت ، وحقدا على ابن عمه الذي ضيق عليه كثيرا، وأبعده عن عامة الناس ، وأيضا لتنشب الحرب بيننا من جديد هذه هي الحكاية يا ملك الزمان .

فقال جعفر : جزاك الله عنا أيها الفارس الجدير بحمل لقبك .. علمنا بتحركات لجيش فوزران قرب البرج الجنوبي فما سمعت عنها ؟

قال شهبان : هي تحركات فحسب.. فالضربة الأخيرة التي أصابتهم كانت قوية وشديدة .. وهم حاقدون علينا ويستعدون للثأر ورفع العار .. ولكنّ جيشهم مضعضع وضعيف في هذا الحين ، وكما علمت فهو يشتري الرجال والفرسان من هنا وهناك ، ويريد أن يستغل انشغالك بالبنت وقد يعمل شيئا ما ؛ ولكن تجميع الجنود المرتزقة وإقناعهم بالمال وغيره يحتاج لوقت طويل ورجالنا

في الجنوب أشاوس .

فقال جعفر : ما تنصحني به أيها الفارس القدير؟

أجاب الفارس العجوز بقوة وحقد : أرى أن نذهب إلى مدينة الأوهام .. وندخلها من باب الشرق أي نلتف على المدينة ، ونحاول الاتصال بالأميرة نهر.. ونتعرف المدينة جيدا .. وبعد حين يلحق بنا الجنود ويكون لقاؤنا ببلدة السحرة التي تبعد عن بلاد الأوهام بضعة أيام .. فالثأر الثأر يا مولاي! حتى نسترد كرامتنا وسمعتنا في البلاد وبين العباد .. وتظاهر أنت بالمرض وأنك منزو في قصرك .. وبعد شهر من مسيرنا يتحرك قائد الجيش بعشرة آلاف فارس فقط .. ونجتمع ببلدة السحرة .

قال الملك : سأطيعك أيها القائد الشيخ ما قصر والدي في نصحي من الاستعانة بك عند الملمات والشدائد .. فأنت نعم الصديق الوفي لعرشنا وملكنا ولكرامتنا هكذا يكون المخلصون

وانصرف ابن عاد لقصره يفكر ويدبر ويرتب الأمور مع الأعوان المخلصين، وقد أعجبه تخطيط شهبان العجوز ، فاستدعى وزيره سعيدا وقائد جيشه شبل بن رشاد ، ورتب معهم الأمر بسرية تامة ، وطلب منهم أن يذيعوا خبر اعتكاف الملك في قصره لحزنه على ما أصابه من المصائب ، وأنه وكل وزيره بالقيام على أمور المملكة وقيادة الجيوش ، وخرج هو وشهبان من المدينة خفية تحت جنح الظلام ومعهما خادم شهبان عنبر ، وجدا في السير حتى دخلا مدينة الأوهام من باب الشرق على صورة رعيان معهما قطيع من الأغنام قاموا على بيعه في المدينة، ونزلوا في أحد الخانات الصغيرة البعيدة عن قلب المدينة ، وبعد أيام تحقق لهما أن الملك هدير بن جرير هو الذي خطف الأميرة ، وأنها رهينة في أحد قصوره ، والعجب أن اخوتها أسرى عندها وقعوا في قبضة الملك هدير ، وأنهم في انتظار إتيان الملك جعفر الذي لابد أن يحضر للبحث عن ابنته وأولاده فيقع في المصيدة، فأدرك الملك جعفر ذكاء شهبان مرة أخرى فباب الشرق هو الباب المعاكس للباب الذي هو في اتجاه بلادهم ، فهم يرقبون دخول الأغراب من الباب الغربي فاطمئن الملك على حياة أبنائه ، وأنهم بخير ، وصعب عليهم الاتصال بهم حتى لا ينكشف أمرهم ، فخرجا مرة أخرى من باب الشرق على أنهما من رعايا ملوك الشرق واتجهوا إلى مدينة السحرة الخالية من الأهالي ، فوجدوا القائد شبل بن رشاد والجنود في انتظارهم ، ولما أطمأن الملك أن حركة هذا الجيش الجرار تمت بأكبر قدر من السرية والتمويه استبشر بالنصر والفرج ، فاجتمع الملك بقادة الجند الذين تفاجئوا بوجوده بينهم ، وحضر لقائهم القائد المخضرم شهبان ، فخطبهم

الملك قائلا : أيها القادة الأبطال! تعلمون أن إهانة الملك إهانة لجيشه وشعبه.. فقد أراد أحد البغاة تنغيص فرحة الأمة بالنصر الكبير على جنود الملك فوزان ، فقد تجرأ أحد الملوك الصعاليك ملك مدينة الأوهام على خطف ابنة الملك جعفر بن عاد حفيد الملوك العظام من آل عاد .. وهو لا يعلم أن ابنة الملك هي ابنة الشعب كله ..

هاج القادة لكلام الملك وهددوا وتوعدوا ، وكان شهبان يشير لهم بالهدوء فلما سكتوا تابع الملك جعفر قائلا : وهذا عار كبير علينا أن لا نثأر لكرامتنا وشرفنا الذي ورثناه عن الآباء والأجداد وقد زرت هذه المدينة بنفسي ، وتأكدت من وجود الأميرة واخوتها في قبضة الحقير هدير بن جرير الذي ينتظر قدومي ليعتقلني ، ويتزوج ابنتي رغم أنفي كما يحدث حاشيته بذلك والجنود

وبعد أن هدأت همهمات القادة الغاضبين الناقمين على بلاد الأوهام قال جعفر الملك : اعلموا أيها الأشاوس أنني زرت المدينة خفية أنا والبطل الكرار شهبان، وعرفنا القصر الذي يحبس به الأمراء ، وعرفنا موقع قصر ابن جرير واطلعنا على أحوال المدينة .

سكت الملك فجأة ثم هتف بقوة وحقد وغضب : أيها الأبطال عليكم بتدمير هذه المدينة تدميرا كاملا استعادة لشرفنا الذي أهدر حتى لا يطمع بنا طامع بعد اليوم، وعليكم حرقها وسحقها عن بكرة أبيها وأسر سادتها وإنقاذ الأمراء .. هذا ما يجب أن يفعله جنود جعفر بن عاد .. الموت لمدينة الأوهام عليها أن تهجر كما هجرت هذه البلدة التي نحن معسكرون فيها .



ووضح لهم الملك خطته بالتفصيل، وسار الجيش إلى المدينة، ووصلها بعد أيام ، وقد تفاجأ الملك هدير بمجيء الملك جعفر من غير أن يعرف، فسب وشتم الجواسيس الذين أرسلهم إلى مدينة الأبراج ، وأمر الجيش بالخروج سريعا لملاقاتهم ، ودارت رحى الحرب بينهم؛ وكان فرسان بلاد الأبراج أشد بأسا وقوة ، فتقهقرت جنود الملك هدير أمامها، واقتحم الفرسان والجيش الغازي المدينة ، وهرب الناس منها ، وحاصر جعفر قصر الملك هدير ، وأرسل قوة إلى سجن الأمراء ، وقوة أخرى تطارد الفرسان الهاربين ، وتم حرق المدينة عن بكرة أبيها ، وكانت الناس قد هربت إلى الجبال والوديان ، وأسر الملك هدير وحاشيته وتم تحرير الأمراء وترك الجيش الغازي المدينة قاعا صفصفا ، وأصبحت خرابا بعد أن كانت عمارا ، وأصبحت عبرة لمن اعتبر ، وعاد جيش الملك جعفر إلى مدينة

الأبراج بما غنم وأسر وسبى ، وقد وضع الملك هدير بالقيد والذل والعار حتى وصلوا لمدينة الأبراج ، فخرج الناس لاستقبال القائد المظفر بعد طول غياب ، وقامت الأفراح والليالي الملاح عشرة أيام ، والناس يأكلون على مائدة الملك جعفر بسبب نجاة الأمراء، وسمع الملك فوزان بهذه الأخبار فازداد غما بغم وحسرة بحسرة ، وبعد أن ارتاح الملك جعفر ، وعاد له هدوءه أحضر الملك هديرا ووزراءه بالقيود أمامه ، ولما رآه جعفر هاج غضبه من جديد وصاح فيه : أيها الوغد أتجرؤ على خطف بنات الملوك ؟! وتريد إرغامهن على الزواج .. تكلم أيها الذليل المهان!.

ابتسم الملك الأسير وقال بكبرياء : لا تنس أيها المتكبر أنك تخاطب ملكا مثلك .. والدنيا دول فتكلم معي بأدب وأحسن كلام .

قال جعفر مقهقها : أتكلم معك بأدب ؟! وهل تعرف الأدب يا خاطف بنات السلاطين ؟! .

فرد هدير قائلا: لها أكثر من نصف سنة في قصري.. ولم أفعل بها شيئا .. كنت في انتظارك لنتفاهم .

فصاح جعفر بحنق : ما أحمقك يا هذا! وهل تعتقد أنني سأقبل بتزويجك إياها بهذه الحيلة الرخيصة يا جبان ؟! .. حاشا لله أن أفعل ذلك حتى لو انتصرت عليّ وأصبحت أسيرك .. فماذا تظن أني فاعل بك ؟

ضحك هدير وشامتا بخصمه : وهل بعد الموت شيء ؟! افعل ما بدأ لك .

فقال جعفر بغضب شديد : ستصلب عشرة أيام في ميدان البرج الأوسط ، ثم تقتلك عشرة كلاب جائعة ؛ لتكون خبرا لكل ملك جبان مثلك يتطاول على آل عاد .. وسيكون معك رجالك الأنذال .. أنتم تجهلون الملوك من آل عاد إذا غضبوا .. يا شبل بن رشاد سمعت أمري فنفذه سريعا في هؤلاء الأوباش .

قاد الجنود الأسرى لتنفيذ رغبة الملك ، ثم تذكر الملك جعفر أنه لم يشاور شهبان القائد العجوز بهذا الحكم ، فصاح قائلا : اذهبوا بهم الآن للسجن؛ فإني لا أحب العجلة في أمرهم .

وقام الملك من جديد بزيارة شهبان وشكره على شجاعته ومشاركته في هذه المعركة الشاقة مع كبر سنه ، وعرض عليه الوزارة أو الجيش فأبى واعتذر وقال : يا سيدي الملك !أنا رجل عجوز لا أصلح للخدمة العامة .

فرد عليه جعفر : أنت بركة مدينة الأبراج ، ورجلها الذكي الشجاع ..وسأمنحك لقب فارس الفرسان أيها القائد الكبير .. والآن أشر عليّ بشأن الجبان الغادر هدير وأعوانه .

وقد ذكر له مقابلته لهم ، وما توعدهم به من

صلبهم وإطعامهم للكلاب الجائعة .

فقال شهبان بكل هدوء : افعل ما بدأ لك ؛ لعل الملك فوزان يرتدع وينخلع قلبه عند سماع هذه الأخبار .. وإن عفوت أيضا فهو سيموت بحسرته وندمه.. فافعل ما شئت يا ابن أخي .

ضحك جعفر وقال : حيرتني أيها القائد! وسلام الله عليك .



الفارس شديد

قال الراوي : أخبرنا جابر بن نادر فقال : بعد سنين دخل المدينة شاب يافع على حصان أدهم يلبس ملابس الفرسان جميل الصورة ، يضع على رأسه عصابة حمراء فيها جوهرة خضراء ، كل من يراه يتعجب من هيئته القوية رغم صغر سنه ، وتعجب الناس أكثر عندما علموا أنه مغامر آت للزواج من أميرتهم، فيشفقون على شبابه فهو ما زال دون العشرين ، فحاولوا ثنيه ومنعه من الإقدام على هذه المخاطرة ، وسردوا عليه بعض حكايات من تقدموا لها وذهبوا ولم يرجعوا، ولكن الفارس الشاب أصرّ على مقابلة ابن عاد مدعيا أنه أتى من بلاد بعيدة ليقترن بالأميرة نهر الأحلام إذا حقق لها مطالبها الثلاثة ، فأدخل على الملك جعفر فرحب به وقال له : أيها الشاب الصغير .. أتطمع بمصاهرة الملوك فترسل روحك للمهالك ؟!

فرد الشاب بجرأة مع أدب : أيها الملك الكبير .. لعل الدنيا تبتسم لي وأصبح صهرا للملك السعيد ابن عاد .. فقد علمت أنكم لا تمانعون أن يخطبها وينكحها مغامر مثلي .. فأنا قادم من بلاد بعيدة طامعا بتحقيق مطالب الأميرة نهر الأحلام .

أعاد الملك نصح الفتى وصرفه عن هذه المغامرة الصعبة وقال : أيها الشاب! الأمر خطير، وقد تكلفك هذه المغامرة حياتك، فابحث لك عن فتاة تناسبك وتقر عينك بها.

فقال الشاب بإصرار: أيها الملك جئت من بلاد بعيدة طامعا بمصاهرتكم .. روحي فدى الأميرة دعني أجرب حظي .. فأنا فارس وأتقن ركوب الخيل وطعن الرماح والمبارزة بالسيف وإذا نفذت شروطكم فأستحق أن أكون صهرا لكم .

قال الملك بأسف : فعلت ما يجب عليّ نحوك .. سوف تنزل في قصر الضيافة وسأرسل وراء الأميرة لتجتمع بها وتسمع مطالبها من فيهها .

أتت الأميرة واستمعت للشاب المتحمس المدعو شديد ، فذكرت له شروطها الثلاثة، فلما أنهت كلامها قال بصوت جهور وحماس ظاهر أمام الملك وأعوانه : هل تريدون هذه الأشياء كلها معا

أم واحدة واحدة ؟ .

ابتسم القوم للشاب المقدم على هلاك نفسه وردت الأميرة : كما تشاء المهم أن يكون بين يدي رأس السبع والقلادة ،والحصان حيا والقلادة ، ورأس العبد ملك السودان والقلادة التي تطوق عنقه .

فعاد الشاب للقول بصوت جهور : أيتها الأميرة .. إذا أحضرت هذه الأشياء ترضين بي بعلا وتسافرين معي إلى بلادي في الشرق .. فأنا من مدينة الأفيال ، فلما سمعت بأخبارك أتيت مؤملا تحقيق أمنياتك الثلاث طامعا بك حليلة .. فهذا شرطي أيها السادة إذا انتصرت على ملك السدود

فصمت الجميع حتى ردت الأميرة : لا اعتراض عندي أيها الإنسان ، إذا تحققت بأنك نفذت مطالبي فاذهب بي إلى أي بلاد شئت .. فأنا سأكون زوجتك الوفية .

فقال الشاب بجرأة : وأنت أيها الملك السعيد أترضى أن آخذ ابنتك الوحيدة لبلادي ؟

فضحك جعفر لثقة الشاب بفوزه على العبد الأسود وقال : أنت حر.. تسكن في أي مكان تريده

فالتفت الشاب للأمراء والوزراء وقال : وأنتم أيها الأمراء والوزراء .. هل تشهدون بأنني إذا حققت مطالب أميرتكم بأن آخذ الأميرة نهر الأحلام بعد الزواج إلى بلادي لأفخر بها على رؤوس الأنام ؟

فقالوا : ما دام مولانا السلطان وافق على شرطك ، فنحن نشهد على ذلك أيها الشاب .

ولما انصرفت الأميرة من المجلس قال جعفر للشاب : يا بني إني عليك مشفق .. ففكر في أمرك جيدا .. فأنت مقدم على أمر صعب وشديد الخطورة .

فرد الشاب باسما : أيها السادة .. أيها الملك إن لم أحقق هذا فلا أستحق أن أكون زوجا لابنتكم

اصبروا وسوف ترون سأعود إليكم بمشيئة الله برأس هذا العبد وحصانه وسبعه وداعا أيها القوم

فأتبعه بعض القوم بضحكات هازئة ، واتهمه بعضهم بالجنون والغرور ، وترحموا عليه .

قال جابر بن نادر : الحياة حكاياتها عجيبة وغريبة ، ترك الفارس الشاب مدينة الأبراج متوجها إلى مدينة السدود حيث العبد الأسود ، وفي الطريق عرج إلى قرية صغيرة ، فوجد جماعة من الرجال في انتظاره وهم في حالة قلق ، فلما رأوه استقبلوه فرحين ، فروى لهم ما جرى له عند الملك جعفر ، وأن الأميرة قد وافقت على ترك مدينة الأبراج إذا حقق لها المطالب الثلاثة ثم قال لهم بحماس : سنبدأ العمل أيها السادة .. الحيلة التي سندخل بها مدينة السدود أيها الفرسان هي أن يقوم سعد وسعيد بربطنا أنا وهمام بالحبال ، وبيعنا أسرى لملك السدود .. أنتم أسرتمونا في بعض تنقلاتكم

بين البلاد ، ولما مررتم بطريقكم إلى مدينة السدود أحببتم بيعنا فيها .. هذا المطلوب منك يا سعد ويا سعيد ، ثم تذهبون إلى مدينة الأوهام تطمئنون أخي شدادا وأختي ورود عليّ .

مشى القوم نحو مدينة السدود حتى اقتربوا منها ، فقام بعض الرجال بربط همام وشديد وأخذوا خيولهم بعد أن ودعوهم وداعا حارا ، ثم جرحوا وجوههم وعفروها بالتراب ومزقوا ثيابهم حتى أصبحوا في هيئة رثة يحزن عليهم كل من رآهم، وقاد سعد أحدهم ، وساق سعيد الآخر ، ودخلوا بهم مدينة السدود لبيعهم لملك السودان ، ثم يعودون لجماعتهم وينطلقوا لمدينة الأوهام .

استقبلهم الملك الأسود بالاستغراب؛ ولأنهم من الجنس الأبيض فرح بهم، وشراهما بثمن بخس وصدق قصتهما ، فانصرف العبدان سعد وسعيد لجماعتهما بثمن أسيادهما ، فأرسلهم ملك السودان مع الرعيان ليرعوا الإبل والدواب ، ولم يفرقوا بينهما ، وحذروهما وتوعدوهما من الهرب والغدر .. فقنعا بالعيش مع الدواب والرعاة ، كانت مدينة السدود تزخر بالرجال السود والنساء السود ، ولا يملك النساء البيض إلا الملك ورجاله ، ومن يتكرم عليه ملك السودان من رعاياه بجارية بيضاء مقابل عمل أو خدمة قدمها لملك السودان الأسود ، وأما الرجال البيض فكانوا أسرى وخدم ورقيق عندهم ، فاندمج شديد وهمام مع الرعيان والعبيد ومن خلال ذلك عرفا البلد جيدا ، وعرفا أطباع الملك ملك العبيد والزنوج ، وعرفا بعض عاداتهم وسننهم ، وبعد شهور نقل شديد لرعاية خيول الملك والأمراء ، وهناك تعرف على الحصان الخطير والمطلوب ، فقد وجده تحت حراسة سبعين من العبيد خواص الملك، وبعد حين نقلوه للعمل في قصر ملك السودان ، وفي خدم الملك مكان أحد العبيد الذي أهلكه الموت فقال في نفسه : الحظ يبتسم لي ويقربني من تحقيق مرادي .

فوجد أن هذا الملك عربيد سكير هو ورجاله الخاصة .. وليس له إلا القتل والفحش ، ومن يغضب عليه من الناس يلقيه لسبع الغاب ، ويجعل من ذلك فرصة للتسلية واللهو ، يجلس هو وندماؤه للسكر والفرجة على الأسد وهو يفترس الضحية ، ولا يكاد يمر أسبوعا إلا وتقدم ضحية للأسد الذي يعيش في قصر ملك السودان .

قال جابر : صبر شديد على حياة القصر ، وتعرف على الغلمان والعبيد فوجدهم يحيون برعب وخوف مستمر من سيدهم ، وكان شديد يتظاهر بالرضا والسرور بهذه الحياة في كنف ملك السودان الذي أعجب به ، وبعد حين جعله المسؤول عن راحته وغرفته الخاصة ، وكلما يقترب شديد منه يهتف لنفسه قائلا : يبدو أن نهاية الشيطان اقتربت

.. لا أدري كيف رضي به هؤلاء العبيد سيدا لهم وملكا عليهم ؟! وهو بهذه الأخلاق السيئة والاستغراق على الشراب المسكر والتلذذ بقتل الناس .. أرجو الله أن يساعدني في الخلاص منك وإراحة العباد من شرك وظلمك

كان شديد على اتصال دائم وخفي بهمام الذي استلم مكانه في رعي الخيول ، بل جعلوه من حراس الحصان عادل البحر بعد موت أحد حراسه ، كان شديد يشارك سيده الوحش حفلات الفجور والخمور والشرور ويؤدي دوره فيها ببراعة وإتقان حتى أصبح الملك يتحدث بأسراره أمامه ومن غير حرج ولا يبالي .

كان شديد يفكر بيوم مناسب ليقتل ملك السودان ، وقبل أن ينفذ ما يدبره دخل مدينة السدود العبدان سعد وسعيد ، وقدما له هدية حصانا مسبوكا من الذهب الخاص ، فشكرهما ملك السودان وطلب من غلامه شديد إكرامهما، فأخذهما إلى غرفة الضيافة وقال لهما هامسا : ما الذي أتى بكما إلى هذا العرين ؟

فقال سعد : لقد قلقنا عليكما .. فلكما أكثر من سنة فأرسلتني أختكم ورود أبحث عنكم ..ما أخباركم ؟

فقال شديد : على كل حال جئتما بالوقت المناسب .. امكثا هنا سأذهب للملك قبل أن يفتقدني سأدبر معكما أمرا عظيما .

وعاد للملك مسرعا وهو يقول : أكرمتهما كما يحب مولانا .

قال جابر : كما تعلمون مما قلناه سابقا أن حياة هذا الملك العبث واللهو واللذة والظلم والبغي على من حوله من الناس والجيران ، بل يشتري الرقيق ليقدمه فريسة لسبعه ، وبوصول سعد وسعيد قرر شديد تنفيذ ما دبره وخططه لقتل العبد الأسود وإنهاء مهمته والعودة لمدينة الأبراج ليحظى بالأميرة الحسناء نهر الأحلام قرينة له ، وكانت خطة شديد بما أنه المسؤول عن غرفة نوم العبد ، ولا يدخل عليه أحد في خلوته ، فقرر قتله وجعل سعيد مكانه متنكرا بثيابه على أنه ملك السودان بضعة أيام قبل أن ينكشف أمره ، وفي هذه المدة يأمره سعيد بقتل سبع الغاب ويأمر همام بإحضار عادل البحر ، وفي ليلة لا يوجد فيها ضوء قمر يغادرون بلاد السودان ، ويتركون أهل البلد ينصبون ملكا جديدا وظالما آخر .

قال جابر : حيلة ذكية وخطة جريئة ، في ليلة من الليالي ذبح شديد خصمه ، وأخفى جثته في سراديب القصر ، وتنكر سعيد بثياب العبد وأظهر شديد في القصر مرض الملك وأنه منهك القوى ولا يرغب باللهو والسهر ، وأظهر لهم سعيد المصاب بالإعياء الشديد أنه قرر التخلص من سبع

الغاب ندما وأسفا على ما سفك من الدماء آملا بأن يشفى مما ألم به من سقم إذا قرب السبع قربانا للآلهة ، فألقي له السم الزعاف فقتل ، وقام شديد بجز رأسه ليحتفظوا به في القصر وأخذ قلادته ، وكان همام على معرفة بما يجري في القصر ، وكان قد تعرف عليه الحصان خلال هذه المدة ، فأصبح أطوع إليه من بنانه ، وعلى حين غرة ادعى الملك أنه يرغب بالخروج لضواحي المدينة بصحبة جواده عادل البحر وخرجوا ليلا ومعهم رأس العبد ورأس السبع والقلائد ، وكان سعد قد هيأ لهم في طرف المدينة خيولا ، ولما أصبح الصباح علم أهل المدينة بمقتل سيدهم فقام فيهم النواح والصياح عدة أيام ثم نصبوا عليهم ملكا جديدا ، وهكذا انتهت حياة ملك السدود ومات سبعه واختفى جواده .

وبعد أيام كان الفارس شديد يدخل مدينة الأبراج ، ويضع القلائد الثلاثة أمام الملك جعفر بن عاد الذي ذهل وما عاد يتكلم، فهم قد ظنوا أن الشاب قد مات، ولما سمعت الأميرة نهر الأحلام بذلك صعقت ، وجاءت إلى القصر مسرعة ، ولما شاهدت رأس السبع والعبد والقلائد ونظرت الحصان أثناء دخولها، فقالت وهي ما زالت مذهولة : إن هذا لشيء عجاب!! أمر لا يصدق !! .. أنت أهل لي أيها الفارس .. وتستحق أن تكون صهرا للملوك من آل عاد يا مرحبا وألف مرحبا .. ضعوا هذه الرؤوس على الرماح ؛ ولتكون على مدخل البرج الأوسط ؛ ليعلم الناس أن الأميرة نهر الأحلام تزوجت من أمهر وأشجع الفرسان .. وأن مهر الأميرة قد حضر وأما الحصان فهو هدية لأبي جعفر والقلائد مهري .. مبارك لك أيها الفارس ابنة الملك .. فشجاعتك نادرة وقص علينا حكايتك .

فحور الفارس الحكاية بما يناسب المقام ، وأخفى عنهم ذكر الأعوان ، وبارك له الجميع في الأميرة ، وأثبت أنه فارس شديد شجاع ، يستحق الأميرة حليلة على مدى الزمان ، وأقر الملك بكل ما تفوه به الأمراء والأميرة وقال : أجل أنت بطل صنديد !! وكنت أظن في يوم من الأيام أنه من المستحيل الحصول على هذه الأشياء .. فأنت بطل مجرب وتستحق ابنتي الأميرة عن طيب خاطر .. ولكني سأطلب منك طلبا هينا كما جرت عادة الملوك من الآباء والأجداد .

عندئذ أدرك شديد أن الملك قد صعب عليه تزويج ابنته من مجهول فيريد أن يضع عقبة في طريقه ولكنه قال بحماس : اطلب ما شئت أيها الملك فمن أتى برأس العبد وسبعه وحصانه لا يعجزه شيء .. فأنا مستعد لأي مهر فالأميرة تستحق كل ثمين وغال .

أصابت الدهشة كل الحاضرين من رغبة الملك ، فكانت عيونهم تنتظر ما يتفوه به الملك من أمر جديد ، وأحس الملك بدهشتهم واستغرابهم فلما سمع كلام شديد قال : أيها البطل قد أحسنت بتخليص العباد من ظلم وتجبر ملك السودان ! .. وإذا أحضرت لي مطلبي مهر ابنتي الوحيدة سأهبك الحصان عادل البحر .. واعلم أن طلبي الغاية منه أن لا يقال أن الملك ابن عاد زوج ابنته من غريب ومن غير صداق .. ففي عرفنا الآباء هم يختارون مهر بناتهم أو يحددون قيمته والأميرة وضعت مطالبها لتوافق على الزواج أولا ولتفخر على بنات جنسها بما اشترطت .

فقال شديد : لا حاجة يا مولاي لأي تبرير .. فأنا رهن إشارتك اطلب أي مهر .. المهم عندي أنني عندما أتزوج الأميرة ترحل معي لبلادي الأفيال .. هذا ما تعاهدنا عليه .

قال جعفر الملك : ابشر بذلك وكما اتفق وجرى الكلام .. يا سادة تعلمون أن الملك فوزان صاحب بلاد التاج .. التي تقع جنوب بلادنا عنده تاج من الذهب والجواهر لا مثيل له عند ملك من ملوك هذا الزمان .. وتلبس هذا التاج زوجته سعدى فيا ليت الفارس شديدا أن يأتينا به مهرا لأبنتنا الغالية والوحيدة .

فحملق الناس بعضهم ببعض ، ونظر شديد في عيني نهر الأحلام لحظات ثم قال : وكيف الحصول عليه يا ملك الزمان ؟! فقال جعفر وهو يصر على أسنانه : هذا شأنك أيها الفارس .

لم تتكلم الأميرة ، وابتسم شديد من جديد وقال بكل ثقة : أيها السادة اشهدوا بأنني سأحضر لكم هذا التاج ـ إن شاء الله ـ لأضعه على رأس الأميرة نهر الأحلام بدلا من رأس سعدى .

ابتسم الملك لذكاء شديد، وأدرك أن صهره ذكيا فوق شجاعته فهو يريد الاحتفاظ بالتاج ،

فقال الملك باسما : بالطبع سيكون على رأس الأميرة نهر الأحلام إلا إذا أهدته لوالدها العزيز .

فقال شديد : وداعا سيدي وانتظريني أيتها الأميرة .. لقد جئت من آخر الدنيا متعلقا بك .. فسيأتيك المهر حتى تتحدث كل الناس عنه ليرضى والدك وأهلك ويعلمون كم أنت غالية في قلب الفارس شديد أبي شجاع .. والتفت للملك وقال : هل من شرط آخر يا مولاي ؟

قال جعفر : لا .. هذا الطلب فقط حتى لا يقال إنني لم أفعل ما يفعله الآباء .

التاج

انصرف شديد وهو في غيظ شديد ، والتقى برجاله في القرية المعروفة حيث ينتظرونه ، وأعلمهم بما حصل له من غدر جعفر به ثم قال : ولكني جعلت التاج للأميرة بدلا منه ففطن لذلك

وترك الأمر لها ..كنت أطمع أن نأخذه من الملك فوزان حينا من الزمن ريثما أبلغ غايتي ثم أطلبه من الأميرة ونعيده للملك فوزان مرة أخرى .

ودعهم شديد وسافر لبلاد التاج ، ولما وصلها التقى بالملك فوزان ، ثم خلى به وقص عليه قصته وأصله وفصله وغايته، ولما اطمئن فوزان إلى حكايته قال : تمكث أياما نزيلا عندنا حتى أرسل رسولا لدياركم ، وأتاكد من نسبكم .. فأنت بطل لا يستهان به ..ولسوف أقنع زوجتي بالتخلي لك عن التاج حينا من الدهر حتى تتمكن من حرمان جعفر اللعين منه .

أرسل الملك فوزان رسولين رسولا يأتيه بالخبر اليقين عن شديد من مدينة الأفيال التابعة لمدينة الأوهام ، ورسولا لبلاد الملك جعفر يأتيه بقصته معه وطلب التاج منه ، وكان شديد قد أرسل خادمه سعد لرفيقيه همام وسعيد في تلك القرية يخبرهم بأمره ، ويحثهم بالعودة للوطن ليطمئنوا الأهل ثم يعودون ، ولما جاءت رسل فوزان بصدق قصة الشاب كان الملك فوزان قد روى لزوجته سعدى الحكاية حكاية الشاب شديد مع ابنة الملك جعفر ، وما حصل له مع جعفر ملك مدينة الأبراج ، وأنه أراد منه تاجها ليتم زواجه ، ويريده الشاب حينا من الزمن ثم يعيده لها ، فوافقت الملكة على ذلك بعدما رأت الشاب شديدا وسمعت الحكاية من فيهه ، وأعطاه الملك التاج خفية عن الناس ، ولما دخل الفارس شديد على الملك جعفر بالتاج أصابه عجب ودهشة أكثر من الأول من السرعة التي أحضره بها ، ولما جاءت الأميرة وضع التاج على رأسها قال له جعفر : حدثنا كيف حصلت عليه ، ورضي فوزان بإعطائك إياه أو قل زوجته ؟

تبسم فارسنا وقال : دخلت على الملك فوزان وذكرت له قصتي .. وأرسل رسلا لبلادكم يتأكدون من صدق قصتي ، ثم وهبني إياه عن طيب خاطر عندما تأكد من قتلي لملك السودان وجلب رأسه ورأس سبعه وحصانه لكم .. هذا ما حصل أيها الملك السعيد .

فنهض الملك مستسلما وعانق الفارس وقال : الدنيا تبتسم لك .. ولا يمكن إنكار أنك فارس بطل رغم صغر سنك .. فهنيئا لك الأميرة نهر الأحلام ، وهي قد عاتبتني كثيرا عندما كلفتك بجلب تاج سعدى ، فقد أعجبت بك أميرتنا .. فأتمنى لكما السعادة .. والحصان عادل البحر هو هبة مني إليك .. ولتستعد البلاد للاحتفال بزواجكما على نفقة الملك جعفر بن عاد ، فهذه أول مرة في تاريخنا الماجد تتزوج فتاة أو قل ابنة ملك رجلا من عامة الناس.. فأنت الآن أصبحت الأمير شديد بن براقة فارس بطل .

علم أهل المدينة أن الفارس شديدا حقق رغبات الملك وابنته ، وأعلنت الأفراح مدة من الزمان وقد زين قصر الأميرة بالمشاعل والأنوار، وأطعم الفقير وكسي العريان بهذه المناسبة ، وتزوج الأمير شديد الأميرة ، وبعد أربعين يوما من الزواج استأذن شديد من حماه بالسفر لأهله وبلاده فمنحه الملك الحصان عادل البحر ، وأعاد التاج لابنته وشكرها على إهدائها له ولكنه أعاده إليها قائلا : أنت أحق الناس به .

وعرض الملك على صهره أن يرسل معه حرسا يوصلونه لبلاده ، فاعتذر الأمير وقال : سنسافر يا سيدي بلباس العامة وليس بثياب الأمراء والفرسان وجهزهم الملك ببضع بغال ، واختارت الأميرة خادمين وخادمة استأذنت زوجها بها فوافق على ذلك ، وودعهم الملك والأمراء إلى ظاهر المدينة ثم رجعوا لبلادهم ، وبعد مسيرة ثلاث أيام عادت كوكبة الفرسان التي رافقتهم ، ولما اقترب شديد من القرية التي يسكن بها أعوانه استأذن الأميرة لزيارة إليها ؛ لأن فيها بعض الأصحاب، وذكر لها أنه سيعود سريعا ، وكان قد أخذ التاج خفية عن الأميرة ولما وصل لرجاله الذين كانوا في انتظاره ، وقد علموا بزواج أميرهم من الأميرة نهر الأحلام ابنة جعفر ، فقد كان الخادمان سعد وسعيد يتبادلان الانتقال بين القرية ومدينة الأبراج ، فلما رأوا الأمير هنئوه بالنصر والفوز ، وكان همام وسعيد قد عادوا من مدينة الأوهام ، ومعهم بعض الفرسان فأعطى شديد التاج لهمام وقال له : سر به للملك فوزان .

وكتب له رسالة يشكره فيها، وروى له فيها زواجه من الأميرة ، وأنه سائر بها نحو بلاده .

وانطلق همام إلى بلاد التاج ، ومشى الأمير ورجاله نحو المكان الذي نزلت تستريح فيه الأميرة وخادماها وجاريتها ؛ ولكنه عندما وصل المكان لم يجد أحدا سوى بعض البغال وعليها الأحمال فقال : ما الأمر؟!..الأميرة اختفت!.. أم هربت؟ .. هل عرفت أنني سرقت التاج فغضبت وهربت ؟

فقال سعد : هل عرفتك أيها الأمير؟

فقال وهو في شرود : قبل سفري بأيام ذكرت لها أنني ابن ملك مثلها ..فتعجبت من تنكري وعدم انتسابي أمام أبيها بذلك .. فلما ذكرت لها أن والدي هو الملك هدير بن جرير ملك مدينة الأوهام الذي قتله والدها جعفر صدمت ، وأنا قلت ذلك حتى لا تصدم بذلك عندما تبتعد عن بلادها .. وتعرف ذلك عندما نصل بلادنا ، فانزعجت بداية ولكني قلت لها : لننسى الماضي أيتها الأميرة ! فأنت قد أصبحت زوجتي وأنا زوجك.. ولا أفكر بالانتقام منك أو من أبيك فوالدك عمي .. ولكنني حققت رغبة أبي بالزواج منك .. فأبي لم يحقق ذلك

فحققت أنا رغبته بعد موته .. وصدقي أني نسيت الأمر ولا أكن لك في قلبي حقدا أو كرها .. وظننت أن الأمر انتهى إلى هنا فقد لزمت الأميرة الصمت.. ولم تخبر والدها بشيء فاطمأنت نفسي إليها .

فقال أحد الفرسان : لو أرادت الهرب أين تتجه ؟ .. فلو كانت تريد أهلها لما خرجت أصلا ؟

فقال سعد : قد تكون علمت باختفاء التاج فصممت العودة لأبيها لتكشف له الأمر .

فقال شديد : لا أظن أن الأميرة عادت لقصرها ، ومع ذلك فاذهب يا سعد لمدينة الأبراج وأتنا بالخبر اليقين فأغلب الظن أنها هربت واختفت لتختبرني فهل أبحث عنها أم لا ؟ فلينطلق كل منكم أيها الفرسان لجهة من الجهات وأنا وسعيد سنعود للمبيت في القرية وليكن لقاؤنا فيها

فسار كل فارسين إلى جهة ، وسار سعد نحو مدينة الأبراج ، وقفل شديد وسعيد إلى حيث يسكنون في القرية المهجورة .

قال جابر بن نادر : اختفت الأميرة ولم يظهر لها أثر ، وعاد الرجال مساء اليوم التالي من غير خبر فقال شديد بحزن وأسف شديد : علينا أن نصبر وننتظر عودة صاحبنا سعد لعل عنده خبرا يفرح الفؤاد المجروح .. وعلينا باعتراض همام أيها الأبطال أثناء عودته من مدينة التاج ؛ لئلا يذهب لبلادنا كما طلبنا منه ظانا أننا سبقناه .. فقد جدت أمور غيرت ترتيبنا كله .



وعاد سعد بالخبر اليقين من مدينة الأبراج بأن الأميرة منذ خرجت بصحبته لم تعد ، فأدرك الفارس أنها هربت منه، وعليه البحث عنها في بلاد الدنيا، وبعد تفكير قال شديد : سأنطلق أيها الرجال للبحث عن همام فقد تأخر موعد قفوله هو الآخر ، سوف أصل مدينة التاج ، وليرافقني سعد وليبق سعيد وبعض الرجال هنا ، وليذهب طائفة لبلادنا ويخبروا أهلنا بما جد علينا .

فلما نزل الأمير شديد ضيفا على الملك فوزان روى له الحكاية حكاية زواجه من الأميرة ، ولما سأله عن التاج ، علم أن هماما لم يصله فانزعج وتوتر وعتب على هذه الدنيا وأحوالها فقال فوزان : لعله طمع بالتاج ؟!

رد شديد : لا يمكن أن يفعل همام ذلك لابد أنه تعرض لمكروه .. وسأبحث عن التاج في عنان السماء وأعماق البحار .. ولن يهدأ لي بال حتى أعود به وأرد الأمانة لأهلها ، فالدنيا لا تبقى على حال .

وعاد شديد للقرية حيث بقية رجاله وأعلمهم

بخبر ضياع همام والتاج ، والكل ينفي طمع همام فيه أو خيانته لأسياده ، فوضعوا خطة للحركة وهي التنقل بين القرى والمدن التي تفصلهم عن مدينة التاج وعليهم البحث والاستماع عن الفرس وهمام وبعد أسبوعين كل فرقة ترسل مندوبا لهذه القرية ، ولم يطل بحثهم فقد وقعوا على الفارس همام في إحدى المنازل وهو طريح الفراش مصاب بجرح عميق في خاصرته في قرية قريبة من مدينة التاج بأيام يوم أو يومين ، فقال لهم وهو يصطنع الابتسام : لقد تعرضت لقطاع طرق وغدروا بي قبل دخولي مدينة التاج في هذه البلدة الصغيرة .. في تلك الليلة المشؤومة اعترضني عدد من الرجال وأحاطوا بي من كل مكان وأخذوا مني التاج والحصان وما أحمل من المال والسلاح وطعنني أحدهم بخنجر في خاصرتي فظنونني قد قتلت وغابوا في الظلام ، وفي الصباح وجدني فلاح وأخذني إلى بيته هذا .. وهو ما زال يشرف على علاجي مع زوجته الطيبة وأبنائه .. ويقومون على خدمتي ورعايتي .. وأنا على هذا الحال الذي ترونه إلى أن أخبروني بأنكم تسألون عني وتبحثون عني فظنوكم من أعدائي قطاع الطرق فخافوا عليّ وعلى أنفسهم .. ولما اطمئنوا منكم أحضروكم لي فهذه قصتي يا أمير شديد يا فارس مدينة الأوهام فحمدوا الله على سلامته ونجاته من الموت غدرا ، وابدوا امتنانهم للفلاح وأسرته وقالوا : الحمد لله على السلامة أيها الأمير وسنبحث عن هؤلاء اللصوص ونعدمهم الحياة .

وكشفوا عن جرحه فوجوده صعبا ويحتاج لطبيب وعلاج ، وقص شديد قصة هرب الأميرة على صاحبه همام ، ثم سأل صاحبه قائلا : يا همام يا فارس مدينة الأفيال هل من أمارة ترشدنا إلى الرجال الذين اعترضوك وغدروا بك ؟

قال همام : كان الليل شديد العتمة ، ولقد كان كلامهم قليل ، وسمعتهم يذكرون اسم زيدان فقط .. وقد سألت الفلاح هل من قاطع طرق في هذه المنطقة اسمه زيدان ؟ فنفى معرفته لهذا الاسم ولكنه قال لي إن اللصوص ينتشرون في هذه البقاع ، وأحيانا يهاجمون القرى لخطف النساء والأطفال أو نهب الدواجن والدواب، وهذه القرية يسكنها هذا الفلاح وبعض أقربائه وبعض الأبناء .. وكثير من أبنائهم الشباب يسيرون للمدن ويلتحقون بالجند ويخدمون عند الملوك والأمراء ويزورون أهليهم من حين لآخر ، وهذا الفلاح كما حدثني لديه ولد كبير يخدم عند الملك فوزان ، وله ولد آخر أمضى عشرة سنوات في خدمة الملك فوزان وأصيب في بعض المعارك فعاد للقرية فهو يعمل في الفلاحة ، وله ولد ثالث يساعده لم يخرج من القرية إلا لشراء الأشياء من المدن والقرى الأخرى ، وله

بنتان متزوجتان في القرية وأغلب الناس هنا على شاكلتهم ، وحدثهم همام عن حياة القرية وهؤلاء الناس البسطاء ، وعن جودهم وكرمهم معه وحياتهم الهادئة في هذه البلدة الصغيرة التي تقوم على الزراعة وتربية الطيور والأغنام .

فبعدما سمعوا حديث همام عن القرية وأهلها أخبر الأمير جماعته برغبته بالسير إلى الملك فوزان وسؤله عن شخص اسمه زيدان ، فأخذ سعدا وانطلق لبلاد التاج ، وأوصاهم على همام وبعد عودته سوف يسيرون به إلى بلدهم لمتابعة علاجه في قصر الملك شداد بن هدير .

دخل الأمير شديد على الملك فوزان الذي رحب به واستمع منه لقصة الفارس همام ، ولما سمع اسم زيدان تغير لون وجهه واضطرب بدنه ، مما لفت نظر الفارس فاستفسر عن ذلك فقال فوزان : سأقول لك ولكن ليس الآن .. انزل أنت وخادمك في قصر الضيافة .. وغدا أرسل وراءك وأقول لك عن سبب تغير وجهي يا ابن الملك هدير بن جرير كان للملك فوزان ولد شرير وشيطان مريد يدعى زيدان ، وله عصابة يقطع بها الطريق ، ويعيث فسادا في القرى والبلاد المجاورة ، فلما أرسل وراءه عاد الغلام يقول : إنه غير موجود في البلد منذ أسابيع فهمس فوزان محدثا روحه : إنه يعرف تاج أمه سعدى .. فهل يعقل أنه باعه ولم يعرفه ؟!

في اليوم التالي حدث الملك فوزان ابن صاحبه الملك هدير عن فجور ابنه وفساده ، وأنه قد يكون هو الذي تعرض لهمام وأخذ التاج منه ثم قال : امكث ضيفا لدينا أياما، فقد أبلغت رجال الشرطة والجنود بإرساله إليّ عندما يدخل البلاد.

ولم تطل مدة الانتظار ، فما كاد سعد يذهب لرجالهم يخبرهم بتأخرهم بضعة أيام ويعود ، كان زيدان يدخل المدينة ويجلس بين يدي والده الذي سأله عن التاج فاعترف سريعا بأنهم تعرضوا لرجل في إحدى الليالي وهم يتنقلون بين القرى فوجدوا معه تاجا ، ثم قتلوه وتركوه للكلاب والذئاب ، ولما رأى زيدان هذا التاج ظنه للوهلة الأولى تاج أمه سعدى ، ولولا أنه يعلم علما يقينا أن التاج عندها لظنه هو فقال فوزان غاضبا: هو تاجها يا ملعون ! هو تاج أمك يا لص !

فصاح زيدان : هل باعته ؟ وما الذي أوصله ليد ذلك الرجل ؟!

قال الملك : باعته !! ويلك !

فقص عليه طرفا من الحكاية ، وأمر بحبسه لما علم منه أنه أهداه لفتاة تعيش في مدينة الجبل الأعظم ، فأرسل الملك وراء شديد وأطلعه على الأمر وطلب من أحد أبنائه مرافقة الأمير شديد وخادمه سعد إلى مدينة الجبل الأعظم لمقابلة تلك الفتاة ، ولما دخلوا تلك المدينة بعد أيام من المشي

نحوها وجدوا المدينة مزدحمة بالناس ، فقيل لهم إن الملك يحتفل بزواج ابنه من فتاة فقيرة ولكنها جميلة ، وفوجئ القوم عندما علموا أن هذه الفتاة التي يحتفلون بقرانها على الأمير هي التي جاءوا يبحثون عنها ، وفيما هم في دهشتهم سمعوا صوتا عاليا يقول : موكب الأمير وعروسه جبنة يقترب من المكان !

فوقفوا ينظرون الموكب مع الناظرين ، وشاهدوا التاج الجميل فوق رأس العروس فاحتاروا فيما يفعلون وكيف يتصرفون ؟ ولما ابتعد الموكب نزلوا فندقا يتدبرون أمرهم ، وفي الصباح كان الشباب الثلاثة يقبعون في سجن ملك هذه المدينة، وازدادت حيرتهم أكثر فأكثر عندما علموا أنهم متهمون بسرقة التاج الجميل، والأفظع من ذلك متهمون بقتل ابن الملك .

قال الراوي أخبرنا جابر بن نادر فقال : الحكاية أيها السامعون إنه قبل أن يختم حفل الزفاف ، وقبل أن يقترب الموكب من قصر الملك ، هجم عدد كبير من الرجال يركبون الخيول مع أول دفعة من الظلام على الناس والموكب ، فداسوا الناس بسنابك الخيل حتى وصلوا عربة الأميرة وأميرها وأردوه قتيلا وزوجته ، وخطفوا التاج والجواهر التي تقلد بها عنقها ، وكذلك الجواهر الموجودة على صدر الأمير المقتول ، وهربوا قبل أن يفيق الناس من دهشتهم ، ولما علم الملك بذلك أمر بإغلاق أبواب المدينة والقبض على كل غريب ، وأمر بمطاردة اللصوص ولكن الليل البهيم مكنهم من الهرب والاختفاء ، فحزن الملك حزنا شديدا ، وأعلن الحزن والحداد في المدينة على ولده القتيل ، وبعد أيام ثلاثة كان شديد وسليمان وسعد يمثلون أمام الملك ، ولما علم أنهم أمراء وأحدهم ابن الملك فوزان ، وتأكد من ذلك من الخاتم الذي يلبسه الأمير سليمان ، عفا عنهم فخرجوا إلى مدينة التاج بعد ضياع التاج ، وذكروا للملك فوزان القصة، فأرسل وراء ابنه السجين واعلمه بما حصل للتاج ، وعن مقتل الفتاة التي أهداها التاج ، فتعهد أمام والده والأمراء بأن يبحث عن التاج ويرجعه لأمه بأسرع زمن ممكن ، فانطلق زيدان والتقى برجال عصابته ، فساروا نحو مدينة الجبل والتقوا ببعض رفاقهم في الكار ، فعلموا منهم أن جبنة بعد أن تركها زيدان اتصلت بابن الملك وأخبرته بالتاج ، فطمع به فعرضت عليه الزواج ، وبعد الزواج تمنحه التاج الثمين ، فوافق بكل سرور وأثناء الاحتفال بالزواج هجمت عصابة كبيرة من اللصوص والمجرمين على موكبها فقتلوها وزوجها الأمير ، وسرقوا التاج الذي كان على رأسها وتدور به في شوارع المدينة واختفوا ، فأدرك زيدان أن الذين سرقوا التاج واغتالوا ابن

الملك هم من رجاله الذين يعملون معه ؛ لأنهم كانوا قد غضبوا منه عندما وهبه لهذه المرأة اللعوب ، فبدأ يتعقب رجاله في القرى والأرياف إلى أن التقى بأحدهم في قرية ، فسألوه عن التاج فاعترف لهم أنه شارك في تلك الضربة ، وذكر لهم أن التاج وصل مدينة الأبراج وقال الرجل : إن دربان كما تذكر يا أمير غضب عندما حرم من حظه في التاج، واتفق مع مجموعة من اللصوص على أخذه من جبنة بعد تركك المدينة ، ولما انصرفت عائدا لبلادك هددها فأبت ولم ترضخ لتهديده بل هي هددته بك ، فاتصلت بعشيقها ابن الملك، وأطلعته على التاج ، وأقنعته بالزواج منها ، فازداد غضب صاحبنا دربان فقتلها في يوم فرحها وسرقوا تاجها وجواهرها وجواهر الأمير المصروع وباعوه في مدينة الأبراج لتاجر الذهب المعروف وئام ، ووزعوا الأموال بينهم هذا ما أخبروني به عندما أتوا هنا ، ودفعوا لي نصيبي من المغانم .



فجدوا السير نحو بلاد الأبراج وبعد ليال وصلوا إليها واجتمعوا بتاجر المجوهرات وئام المشهور بشراء الذهب والمجوهرات من اللصوص من أي البلاد أتوا، ولما اعلمه زيدان بسبب الزيارة قال : أصبح التاج عند حضرة الملك جعفر وإن جعفرا قد حبس كثيرا من اللصوص الذين كانوا مع دربان حتى يعود ولده سيف النهار من بلاد الأفيال

ثعلب وطبل

وهو مثل من يستكبر الشيء حتى يجربه فيستصغره، زعموا أن ثعلباً أتى أجمة فيها طبل معلق على شجرة. وكلما هبت الريح على قضبان الشجرة حركتها فضربت الطبل فسمع له صوت عظيم فتوجه الثعلب نحوه لما سمع من عظم صوته. فلما وصل إليه وجده ضخماً فأيقن في نفسه بكثرة الشحم واللحم فعالجه حتى شقه. فلما رآه أجوف لا شيء فيه قال: لا أدري لعل أفشل الأشياء أجهرها صوتاً وأعظمها جثة.

قضاء الثعلب

وهو مثل من اتعظ بغيره واعتبر به ، أسد وثعلب وذئب اصطحبوا فخرجوا يتصيدون. فصادوا حماراً وأرنباً وظبياً. فقال الأسد للذئب: أقسم بيننا. فقال: الأمر بين. الحمار للأسد والأرنب للثعلب والظبي لي. فخبطه الأسد فأطاح رأسه. ثم أقبل على الثعلب وقال: ما كان أجهل صاحبك بالقسمة هات أنت. فقال: يا أبا الحارث الأمر واضح. الحمار لغدائك والظبي لعشائك وتخلل بالأرنب فيما بين ذلك. فقال له الأسد: ما أقضاك. من علمك هذا الفقه. فقال: رأس الذئب الطائر من جثته

عمتي زاهرة

الحلقة الثانية والأخيرة

مدينة القمر

واعتلى علي صهوة الجواد وتقلد بالسيف وأخفى الجوهرة في جيبه ، ومضى نحو مدينة القمر ليرى عمته زاهرة ، وبعد أيام وأيام وصل إليها فوجدها مدينة مزدحمة بالبشر ، وعامرة بالأسواق الكبيرة والكثيرة ، فسأل عن مكان يستريح فيها قبل أن يباشر البحث عن عمته في هذه المدينة الواسعة ، فنزل في فندق كبير وتحفظ على جواده الأصيل في اصطبل الفندق ، واستأجر غرفة ، وطلب من أجود الطبيخ والشراب فأكل ونام .

ولما أشرقت الشمس وبدأت الحركة والحياة تناول طعاما ، ثم اجتمع بصاحب الفندق وسأله عن امرأة اسمها زاهرة ، بعدما روى له شيئا من قصته الغريبة ، فبين له صاحب الفندق أنه في هذه المدينة منذ سنوات قليلة ومن الصعب عليه أن يعرف سكان هذه المدينة منذ عشرين أو ثلاثين سنة ؛ ولكنه في نهاية الكلام نصح فقال: أيها الشاب .. اذهب إلى سوق التجار واجلس مع كبير التجار ، فهو رجل من المعتاد أن يكون من أكبر رجال السوق سنا واسمه المعلم الكبير شهوان أبو محمد وحييه نيابة عني ، وقد تجد بغيتك عنده أو عند أصحابه .

فأبدى علي امتنانه للرجل وأوصاه على حصانه خيرا بعد أن تفقده ، وانطلق إلى سوق التجار وبعد جهد يسير كان يجلس بين يدي شيخ كبير يسمى شهوان ، فذكر له حاجته أنه أتى من بلاد بعيدة يبحث عن عمة له جاءت هذه البلاد ـ منذ عهد بعيد ـ اسمها زاهرة .

فقال كبير التجار : ولدت هنا وترعرعت وكبرت وتزوجت ومع ذلك لم أسمع في مدينتنا بامرأة بهذا الاسم ، فهو اسم غير مشهور بين نسائنا وبناتنا ، واعلم أن ذلك لا يعني أنه لا توجد امرأة بهذا الاسم في مدينتنا ، فرجال البلدة ينكحون نساء من بلاد أخرى .. فلربما لعمتك اسم آخر في هذه المدينة ؛ ولكني سأساعدك أيها الشاب في البحث واعتبر نفسك ضيفي .. اذهب مع الغلمان واجلب أغراضك كلها من الفندق ، فأنا عندي دار خاصة للغرباء وألف مرحبا بك .

حاول علي التعذر ؛ ولكن المعلم شهوان أصر وحلف وأرسل معه بعض الغلمان ، فذهب علي للفندق ، وسدد ما عليه من حق ، وشكر الرجل وأخذ الحصان وانطلق مع

الغلمان إلى بيت ضيوف المعلم شهوان ، فأخذ الغلمان الحصان إلى موضع الخيول ، ثم أوصوا خدم البيت على ضيف المعلم شهوان ، وبعد العشاء كرر المعلم الترحيب بعلي ثم قال : يا ولدي سأزور بك عجوزا تسكن في عوالي المدينة ، فقد نجد عندها طلبتك .

وأمر بتجهيز بغلتين لهما فانطلقا إلى سكن العجوز والخادم بين أيديهما ، وبعد ساعتين من الزمان وصلوا منزلا فقيرا وقديما ، فقرع الخادم باب بيت العجوز ، وبعد حين سمعوا صوتا من خلف الباب يقول : من الطارق في جوف هذا الليل ؟!

فصاح الخادم بصوت مرتفع : أيتها الساحرة .. افتحي .. المعلم شهوان سيد سوق التجار على الباب .

قامت العجوز بفتح الباب وكانت تحمل بين يديها سراجا ، فقامت بالترحيب بهم ، وتناول الخادم المصباح منها وقال : ادخل يا سيدي .

فنزل الرجلان عن بغلتيهما وتبعا الخادم والعجوز إلى حجرتها الصغيرة السوداء من سناج المصباح ، ولما جلسوا دفع الخادم للعجوز صرة من المال بناء على إشارة سيده ، وقال المعلم لها : جئناك في حاجة ، واختصر لها قصة الشاب ، ثم قال : وإنه قادم من بلاد بعيدة يبحث عن امرأة فارقتهم منذ عشرات السنين اسمها زاهرة .. ولعلمي أنك أكبر عجوز في مدينتنا فقد تكونين سمعت بمثل هذا الاسم غير الشائع في بلادنا .. وأنت عجوز لا أظن بيتا في المدينة على كبرها لا تعرفيه أو لم تدخليه .

فراحت العجوز في ضحك طويل من كلام المعلم ، ولما استردت أنفاسها قالت : أحسنت يا معلم شهوان بقدومك عليّ ! .. فأنا أعرف امرأة بهذا الاسم الجميل ..وأظن أنه لا يوجد بهذا الاسم أحد غيرها بمدينة القمر

فأظهر المعلم الفرح والدهشة وقال : عظيم ! .. من تكون تلك المرأة ؟!

فقالت العجوز ببطء وضعف وهي تنظر للشاب علي : ما تكون لك هذه المرأة أيها الشاب ؟



فابتسم علي وقال بسرعة : هي عمتي يا خالة .

فتحت العجوز فمها استغرابا ثم قالت : عمتك !!

فقال المعلم مستغربا من دهشة المرأة :ما أصابك أيتها العجوز ؟.. لماذا فغرت فمك

دهشة ؟! .. فما الأمر الذي جرى لك ؟!

سكتت العجوز ردحا من الحين وقالت : يا معلم التجار .. أحقا تريدون الالتقاء بالسيدة الزاهرة ؟!

فصاح شهوان متعجبا : ولماذا أتعبنا أرواحنا وجئنا إليك أيتها العجوز الماكرة ؟! .. هل تعرفين سيدة بهذا الاسم ؟!.. أم تريدين المزيد من الدراهم ؟

فقالت العجوز وهي تقف : معلم شهوان اتبعني .

وزحفت لزاوية في الحجرة فتبعها الرجل وكله ريبة ، فهمست في أذنه : هل تحققت من أن السيدة زاهرة عمته ؟

فهمس المعلم : ولماذا أتحقق ؟! رجل غريب لجأ إليّ لأساعده في الوصول لعمته التي لم يرها ولا مرة في حياته ؛ ولكن والده عند الموت طلب منه الاتصال بها عندما يكبر .. فلما كبر جاء يبحث عنها في هذه المدينة حسب رغبة أبيه ، فإن كانت حية فهو راغب بلقائها ، وإن كانت ميتة يتعرف على أولاد عمته والسلام ..وأنا لا يهمني أن تكون عمته .. خالته أو جدته هل تعرفين تلك الزاهرة ؟!

قالت هامسة بقلق : ألا تعرف الزاهرة أيها السيد الكبير ؟!

أجاب وهو يكاد ينفجر من مماطلة العجوز وكثرة رغيها : لا وألف لا .

فقالت بصوت هامس : أم الحاكم لهذه البلدة اسمها زاهرة .

بغت شهوان وقال بصوت عال : ويحك ! .. ثم خفض الصوت : أم الشهد اسمها زاهرة ..

هذه مفاجأة .. الآن معك حق في كل أقوالك المبهمة .. ألا يوجد غيرها بهذا الاسم في مدينتنا هذه ؟!

ردت بصوت خفيض : لا يا كبير التجار .. أهل هذه المدينة غير شائع بينهم مثل هذا الاسم .. يا شيخ التجار ! هل يعقل أن يكون رجل كهذا مغمورا لا يعرف أن عمته أميرة ؟!

همس المعلم : والله إن الأمر لغريب يحتاج للنظر والتدبر .. تعالي نتحدث معه !

فقال المعلم وهو يقترب من الشاب وخادمه : سيد علي .. ذكرت لي هذه العجوز اسم امرأة كالذي تتحرى عنه ؛ ولكن هذا الاسم تحمله سيدة عظيمة في بلادنا وبكلام مختصر أم مولانا الحاكم تحمل هذا الاسم ؛ ولكننا نعرفها بكنيتها أم الشهد ماذا تقول بما سمعت ؟!

أصاب علي الحيرة وقال : معكم حق في الدهشة والاستغراب ! وأنا مثلكم لم أر عمتي ولو مرة واحدة ،

وكذلك لم يقل لي أبي أن عمتي أميرة .. ولكني فهمت من كلامه أنها تستطيع تحصيل حقي إذا ظلمني عمي ، كما كان يتوقع أبي ، واسمعوا الحكاية بالتفصيل ..نحن من أهالي مدينة العهد أبي تزوج كبيرا من امرأة من أهل البلدة ، وقد ماتت وأنا صغير لم أتجاوز السنوات الخمس الأولى ، وبعد سنوات مثلها لحق بها أبي ، وترك لي بستانا وماشية وقليلا من المال .. وأوصى عمي شقيقه على رعايتي حتى أبلغ مبلغ الرجال فيرد لي ميراثي ، ويزوجني من إحدى بناته إذا شاء ، وتعهد عمي أمامه عهدا حازما برعايتي بتنفيذ الوصية ؛ ولكنه قبل أن يودع الدنيا قال : ها أنا أوصيت عمك عليك وعاهدني على الإحسان إليك ، ومع ذلك يا ولدي فأخي عدنان جشع حسود وأخاف أن يأكل أموالك ، فإن فعل ذلك فارحل لمدينة القمر واسأل عن امرأة اسمها زاهرة فستنفعك إن ضاقت عليك الدنيا ..لا تنس يا ولدي مدينة القمر.. والمرأة زاهرة فهي عمة لك ، وسوف تعرف كيف تحصل لك حقك إن ظلمك عمك ؟.. وأنا أرجو الله أن لا يظلمك ويخذلك فبني آدم طماع .. هذه وصية وكلام أبي قبل أن يفارق الدنيا ، ولا أظن أني نسيت منها حرفا .. وكفلني عمي وعشت مع أسرته ، ولما بلغت سن الرشد طلبت أموالي فأمهلني سنة ، ثم تنكر لي وادعى في النهاية أنه لم يبق لي شيء عنده ، وأنه أنفقها عليّ خلال مدة الرعاية ، وأبى أن يرد لي ميراثي ، وأبى أن يزوجني من ابنته ، وقام بعض الأفاضل بالتشفع لي عنده ، فأصر على أنه لم يبق لي شيء في ذمته ، وقد أصر على الرفض من الزواج من ابنته التي طابت لها نفسي .. فتذكرت كلام أبي ورحلت إلى هذه البلاد أيها الناس الطيبون .

فتكلمت العجوز فقالت برقة : قصة محزنة وعقوق مشهور .. اسمعوا يا قوم .. ولسوف أقابل هذه السيدة الكبيرة وأعرض عليها اسم أبيك واسم عمك ..

فهمس علي : عمران هو اسم أبي .

وتابعت العجوز : وأرى ما عندها ، ولن نقصر في عمل الخير أيها الشاب.. أين تسكن الآن ؟

قال المعلم شهوان : هو نزيل عندي ضيف مكرم ، ونحن بانتظار أفعالك ، فعجلي بالأمر ..

ونفحها مزيدا من الدراهم لتقوى على القيام بالمهمة ، وودعوها ورجعوا للبيت في

وقت متأخر من الليل ، وكان المعلم يقول للشاب : كان والدك غامضا في الحديث عن عمتك .. ألم تسمع المدعو عدنان يتكلم عنها ؟!

قال علي : لا .. لم أسمع عن هذا الاسم إلا من أبي العزيز فقط .

فقال المعلم : وهل تتوقع أن تكون عمتك أميرة ؟!

قال علي بحيرة : الأمر صعب



أيها المعلم ..والأصعب ما الذي أتى بعمتي لهذه المدينة ؟! .. لقد أتعبتك معي أيها الوالد العزيز .

رد المعلم متواضعا : لا عليك يا ولدي ، إنما أحببت مساعدتك ، فأنا أحب فعل الخير ومساعدة الضعفاء والغرباء .. هل تجيد الفروسية وركوب الخيل ؟ فقد حدثني الخادم بأنك تملك جوادا أصيلا وقويا .

قال علي : لهذا الحصان قصة أخرى سأقصها عليك فيما بعد .. وأنا أحسن الركوب على الخيل والتسابق بها ، فهذا أمر نفعله ببلادنا ، أما الفروسية لا أعرف من فنونها إلا النـزر اليسير ، ولم

تتح لي فرصة لتعلمها

قال المعلم مشجعا للشاب الضيف : حسن !.. فبعد أيام قليلة سيجري سباق للخيل يحضره الحاكم الأمير شبيب ، ومن يتقدم المتسابقون يمنحه الملك وساما ، ويهدى إليه هدايا من علية القوم تغنيه الدهر ، وتبعد عنه شبح الفقر ، فتمرن على السباق وشارك في السباق وسأتحدث مع صديق لنا مسؤول عن ترتيب مهرجان السباق لتشارك فيه ، فإن فزت فالأموال التي تفوز بها تنفعك عندما تعود لوطنك إذا لم نوفق في الوصول لعمتك التي تبحث عنها .

أجاب علي وكله امتنان : بارك الله فيك يا معلمنا الكبير .. سأتأمل الحال وأرد عليك غدا

.

فكر علي بما عرض عليه من المشاركة بحصانه في مسابقة الخيالة ، وكان يقول لنفسه : لعلي أعود بتذكار من هذه البلاد .. أفتخر به غدا على الأقران .

أبدى السيد شهوان سروره لموافقة علي على المشاركة ، فتحدث مع صاحبه المشرف على المسابقات ، وبدأ علي يستعد ويتدرب ، ولم يكن يوم الاحتفال بعيدا ، فلما جاء اليوم الموعود انطلق إلى الميدان ميدان السباق على صهوة الجواد وبين يديه غلام من غلمان السيد شهوان يساعده

عند الحاجة ، واصطف مع الخيالة ، وكان نظام المسابقة أن يتسابق كل عشرة فرسان معا ، والمقدم على مجموعته يتسابق مع المتقدمين من مجموعات أخرى عشرة عشرة وهكذا حتى يبقى عدد المجموعات أقل من عشرة فتجري بينهم الجولة الأخيرة فيظهر المتقدم عليهم جميعهم وجرى التنافس وأثبت حصان علي جدارته وتقدم في الجولة الأولى وفي الجولة الثانية وفي الجولة الثالثة ، وعند الجولة الأخيرة ظل سبعة فرسان ، وبعد استراحة ساعة من الزمان ، وقد أقبل حاكم المدينة وحاشيته بدأت الجولة الأخيرة بإذن الحاكم ، فكان الحظ حليف حصان علي ، وكان المعلم شهوان أكثر الناس سرورا بتقدم ضيفه بحصانه الجميل الرشيق على خيول منافسيه وتقدم علي بحصانه نحو الموضع الذي يجلس في الحاكم ، ثم قفز عنه محييا للحاكم الذي قلده وساما ذهبيا ، وقدم له غلمان الحاكم ثيابا ملكية ، وأهدي حصانا ملكيا ، وأخذ الأمراء والسادة بتقديم الهدايا له ، فكانت ثروة كبيرة تتجمع أمامه ، فحمد الله وشكر المعلم شهوان الذي شجعه على خوض هذه المنافسة النظيفة ، وطلب المعلم شهوان من غلمانه حمل الهدايا للبيت الذي ينزل فيه علي ، ونقل الخيول العشرة التي كسبها إلى اصطبلاته ، وكان علي الغريب حديث الحاضرين لهذا السباق وعن فوزه وتقدمه على منافسيه ، وعاد علي للمنزل وهو منهك القوى مما بذله من جهد هذا النهار ، فأرسله المعلم شهوان إلى الحمام ، ثم قدم له أفخر المأكول والمشروب ، ثم دخل غرفة المنام فنام حتى صباح اليوم التالي .

العجوز

ولما التقى بالمعلم شهوان أثنى على ثباته وشجاعته ، وبارك له الفوز ، وأطلعه على رغبة صاحبه المنظم لهذا السباق أن



يلحقه بجند الأمير ، فقال علي : إن هذا العرض شرف كبير لي ؛ ولكنك تعلم يا معلم شهوان حاجتي من المجيء لهذه البلاد ..أريد أن أرى عمتي أخت والدي لتساعدني في نيل حقي من أخيها الجاحد ، ومن ثم أتزوج من ابنته التي تركتها تنتظرني على أحر من الجمر .. ماذا ردت عليك العجوز ؟

أجاب المعلم قائلا : أرسلت لها الخادم أكثر من مرة ؛ ولكنه

لم يجدها ، ولكن هذه المحتالة لابد أن تأتينا بالخبر اليقين .. فالوصول إلى أم الملك ليس سهلا أيها الشجاع .. على كل انظر في عرض الأمير ..فما حصلت عليه من خير ورزق يُمكنك من الحياة في هذه المدينة في رخاء وسعادة .. وتتزوج وتنسى بلدك .. وابنة عمك ما دام عمك مبغضا لك فلن يزوجك منها وسوف



يزوجها لأول طالب .

قال علي بأسف : أخشى هذه العاقبة .. ولكني بعد مقابلتي للسيدة زاهرة انظر في حالي مع هذه الدنيا الهالكة .. أرجوك يا سيد شهوان أن تقبل مني نصف الهدايا ونصف الخيول فأنت صاحب الفضل في هذا الخير .

غضب وثار السيد شهوان وقال بحدة : هذا أمر غير مقبول أيها الإنسان .. أنا عندما رأيت جوادك الكريم عرفت أنه حصان قوي ، ومن ثم رأيت حالك الضعيفة ، فرأيتها فرصة لتحصل على بعض المال حتى إذا فشلت في لقاء عمتك الزاهرة التي تبحث عنها ترجع لوطنك ببعض المال تبدأ به حياتك الآتية .. وأنا قلت لك منذ البداية إنك وقعت من نفسي موقعا حسنا ، وأشفقت عليك ، وقررت في نفسي مساعدتك ..ولا تكثر الكلام والسلام .

وفي الصباح أخذ علي أحد خدم المعلم شهوان ، وسار به نحو بيت العجوز السالفة الذكر ، ومن حسن حظ علي أنه وجدها في البيت لم تخرج بعد تسعى في الأرض ، فاستقبلته ، ثم قالت : ذهبت للقصر وطلبت مقابلة أم الأمير .. فأخبروني أنها متعبة ومريضة وطلبوا مني الرجوع بعد يومين أو أكثر ، ثم سرت إليهم مرة أخرى ، فقالوا إنها ما زالت مريضة ولم يسمحوا لي بالدخول ، فعليك بالصبر والانتظار يا ولدي فسوف نصل إليها بالنهاية ـ إن شاء الله ـ فقد تكون هي عمتك التي جئت تبحث عنها .

فكر علي قليلا ثم قال : أما من حيلة للوصول إليها .. فما رأيك بأن أكتب رسالة صغيرة ونرسلها لها مع إحدى الجواري .

أصاب العجوز الضحك وقالت: إنك شاب فطن .. وماذا ستكتب لها في الرسالة ؟!

فرد علي قائلا : اذكر فيها اسم عمران والدي اسم مدينتنا مدينة العهد .. عمي عدنان .. فإذا قرأت السيدة هذه الكلمات ، وكانت عمتي

المنشودة فسوف تفهمها على الفور ، وأما إن لم تكن عمتي فسوف تطلب اللقاء بك لتعرف مغزى هذه الكلمات .. فالفضول في النساء كبير وتشرحين لها الأمر فلنجرب أيتها الفاضلة .

أعجبت العجوز بفكرة علي ، فأحضر الخادم قرطاسا وقلما ، وكتب علي رسالة ، ونقدها عددا من الدراهم ، وقفل عائدا لبيت السيد شهوان على أمل اللقاء بها بعد يومين ، وإن حدث شيء مهم فسوف تجده في منزل المعلم في انتظارها ، ولما عرف المعلم فكرة علي سره ذلك ، وقال : حيلة لطيفة ولابد أن تؤتي أكلها ولو بعد حين يسير .

وجاءت العجوز نهار اليوم التالي وكلها لهفة وعجلة ، فهدأ علي من روعها ، فلما خف انفعالها قالت : دفعت القرطاس لجارية من جواري القصر ، ولم يطل انتظاري فأدخلوني عليها بسرعة فوجدتها عجوزا مثلي ، وهي مريضة فعلا ، وذكرت لي أنها تعرف مدينة العهد وتعرف رجلا بهذا الاسم ، وكان قلب علي قد ارتفعت دقاته وهمس لنفسه : أمعقول أن تكون عمتي أم الأمير في هذه البلاد ؟!

وسمع العجوز تقول : وهي راغبة بالاجتماع بك لتسمع الحكاية منك ، وترى ما تستطيع أن تخدمك به .

فلم يتحمس علي للكلام الأخير فقال : ألم تعترف لك بأنها عمتي يا خالة ؟

قالت العجوز : لم تذكر ذلك .. يا ولدي عليك بلقائها .. قد لا تكون شقيقة والدك ؛ ولكن لها معرفة بأبيك .. ولا تنس أنها مريضة ..فلم تدرك من أنت .

قال علي : حسن لابد من الذهاب إليها .

ونادى خادم غرفة الضيافة وأوصاه على العجوز خيرا وقال : متى اذهب إليها ؟

قالت : في أي وقت تشاء ، فقد تركت أمرا عند حرس الأبواب ليسمحوا لك بالدخول متى تحضر .

وبينما علي ينتظر عودة المعلم شهوان ليتشاور معه بأمر زيارة قصر الأمير ولقاء أم الأمير الحاكم أقبل رجلان يسألان عنه وهمسا بأذنه بأنهما بحاجة لرؤيته ، وأن لهما سيدا كبيرا يطمع بمقابلته ، وذكرا له أن الأمر خطير ، والأفضل أن لا يذكر لأحد أمر خروجه معهما ، فوقع في نفس علي أنهما من طرف عمته أو ابنها السلطان ، فارتدى ثيابه وخرج معهما ، وهو مطمئن أنه سائر لقصر السلطان ، فلما ابتعدوا عن العمران وقع في نفسه القلق ، فقال : أين نحن

سائرون ؟!
فقال أحدهما : السيد الكبير ينتظرك في ظل هذه الأشجار التي تبدو أمامنا .. لا تقلق أيها الفارس الشجاع .
فصمت علي وتابع السير معهما حتى دخلوا الغابة ، فأشارا إلى شجرة كان يجلس تحتها رجل ، وسمعهما يقولان للرجل الذي وقف عندما رآهم : هذا هو السيد علي يا مولانا .
ثم انقضا عليه، فرمى لهما الرجل حبلا أوثقاه به ، ولم يتكلم علي بشيء من هول الصدمة ، فقد أصابه الذهول والدهشة الشديدة للغدر الذي حل به .
فسمع السيد يقول لهما بعد أن أصبح علي مقيدا : هيا بنا ! .. لقد أحسنتما العمل ..آ .. السيد الفارس .. ينقذ الحسناوات كالأبطال .. أنا فهد غريمك .. الذي أخذت منه ميا .. أيها الشهم

وظلوا يسيرون في الغابة حتى أصبحوا في عمقها ، فجلسوا يستريحون فقال له فهد : كيف ترى نفسك الآن أيها البطل ؟
نظر إليهم علي بازدراء وقال : عمل الخير ومساعدة الناس تحتاج لتضحيات وثبات .
فأخذ الثلاثة بالضحك على كلماته وقال فهد : نعم .. نعم .. سوف نضحي بك .. سوف نقتلك ولكن أمام مي .. الفتاة التي أنقذتها يا بطل .
وعادوا للصمت فترة ثم تابعوا السير حتى آخر الغابة ، فكان بانتظارهم مجموعة من الرجال والخيل ، فقال علي بصوت هامس : عصابة شر .. لا حول ولا قوة إلا بالله .
فاعتلى الرجال على خيولهم بأمر الأمير ، وطرحوا علي المكبل على أحدها ، وساروا نحو الجبل ثم صعدوا إلى كهف فيه ، وهناك أنزلوه

فوجد الفتاة ميا مقيدة مثله ، وحولها ثلاثة رجال ، ولما وضعوا عليا على الأرض أو رموه على الأرض ، صاح فهد بنشوة وكبر المنتصر : هذا هو فارسك يا مي ! .. سوف يقتل بين عينيك .. لأنه تدخل في شأنك وفيما لا يعنيه أيضا .
فصاحت الفتاة : يا ابن العم .. اعف عن الرجل ، وأرضى بأن أكون لك زوجة طواعية .
قهقهه فهد وقال بغرور : سأكون لك بعلا رغم أنفك .. ولكني سأنتقم منه ؛ لأنه كان سبب طردي من ديار أبي وخلعي من وراثة أبي .. ولأنه فضحني في بلدي ، وعرفوا أنني خطفتك .. فجرمه كبير!
فقد كان في وسط الكهف موقد للنار ، فتذكر علي شعرات الكلب فقال : أيها السادة بما أنكم تريدون قتلي ودمي ، ولا أحد يمنعكم من تحقيق ذلك اسقوني شربة ماء ،

وقربوني من النار .. فإني أرجف من البرد ، ولما أستريح افعلوا بي ما شئتم .. ارحموا أسيركم في ساعاته الأخيرة



.رد فهد متظاهرا بالشفقة والرحمة فقال : سنفعل ذلك من أجل مي حتى تعرف أن قلوبنا ما زالت فيها الرحمة .. يا رجال حلوا قيوده وقربوه من النار ، وقربوا له طعاما وشرابا واقترب رجل منه ليفك قيده ـ وكان الكهف مضاء على نور المشاعل ـ قال علي للرجل الذي يفك قيده : يا رجل لقد رأيتك ورأيتني .. ألا تذكرني !؟

فتفرس به الرجل وقال : نعم ؛ كأنني رأيتك .

فصاح علي بصوت عال : أنا الذي دللتك وصاحبك شمرا على صناديق مال الأمير المسروقة .. ألست ذاك الرجل الذي يعمل في ديوان ذاك الأمير كما قال لي شمر ؟! .. مالي أراك مع هؤلاء اللصوص !؟

كان فهد يتابع الكلام ويسمعه ، فاقترب منهما وقال : أتعرفه يا هذا ؟!

فقال علي وقد فك الرجل قيوده : عرفته رجلا شريفا .. وأراه هنا وضيعا . وأخرج عن وسطه كيسا صغيرا ، وأخرج عقدا من الذهب والخرز ، ورماه أمام الرجل وقال بحدة : أعطاني هذا ـ وأشار للعقد ـ لأنني أرشدته لأموال الأمير المسروقة .

وكان علي قد اقترب من الموقد ، ولما ألقى العقد أرضا كان في نفس الوقت قد ألقى شعرات الكلب في النار ، وتظاهر بالاصطلاء ، وسمع الرجل يرد على فهد قائلا : هذا شاب غبي .. يا سيدي الأمير .. رأى عصابة من اللصوص تسرق أموال أحد الأمراء، وأتى المدينة ليخبر الحاكم فمن حسن الحظ أنه التقى بصديق لي اسمه شمر ، فأضافه وسمع منه الحكاية فرسمنا خطة لأخذ المال لأنفسنا ، وهو يعتقد بأني من رجال ديوان الأمير ، فأرشدنا لمكان إخفاء الصناديق المسروقة ، وأعطيته هذا العقد ليظن أننا من حاشية الأمير .. فهو كما ترى أيها الأمير يحب الخير فكما أنقذ منكم ميا لحبه الخير ، أراد رد الصناديق المسلوبة للأمير.. فاقتسمت الغنيمة أنا وشمر ولكن أحدهم فسد للأمير بالسر ، شخص يسمى حربا ، فقبض على شمر وألقى في السجن ، وهربت والتحقت برجالك .. فأنا مطارد من العصابة التي أخذنا غنيمتها ، ومطارد من رجال حاكم بلادنا ، وأما

أموالي فقد وضعتها في مكان أمين .. فهذه قصتي ومعرفتي بهذا الأحمق .

التفت إليهم علي فقال : شمر مسجون ، هذا جزاء الخيانة والغدر .. صدق يا هذا أنه وقع في قلبي خيانتكما ؛ لكن العجلة دعتني في عدم التدقيق في أقوالكما وأحوالكما ، وأحببت أن أصدق سمعي وبصري ، ولا أصدق قلبي وعقلي .. فقد صنع معي شمر معروفا من ضيافة ونوم ، فتصنعت الاطمئنان ، واعلموا أيها السادة أنه مهما فعلتم فيّ سأبقى أحب الخير وأدافع عنه وأصنع المعروف للآخرين ، فالله هيأ لي مقابل ذلك من يصنع لي خيرا .. وأنت أيها الأمير المسمى فهدا خير لك أن تتوب وترعوي ، وتعيد ميا لأهلها وتتوب إلى الله ، ثم تعتذر لوالدك وأهلك .. واعلم أن ميّا عندما رفضت الاقتران بك ؛ لأنها رأت فيك أخلاقا سيئة وفاسدة ؛ ولو رأتك شهما كريما لرضيت بك

فأخذ الرجال بالضحك والتعليق على كلمات علي ، وقالوا : يا هذا أنت مثال الخير ، ونحن مثال الشر .. وها هو الشر ينتصر على الخير .. وسنخلص العالم من رجال الخير ، وقد بدأنا بك

وارتفع صوتهم بالضحك والسخرية من جديد ، فلما عادوا للصمت قال علي وقد انتهى من الأكل والشرب الذي وضعوه بين يديه : الله تعالى يأبى إلا أن ينتصر الخير في كل نهاية وعاقبة وينسحق الشر أمام ضربات الخير.. وإن بدا للشر جولات وجولات .. فالله يسخر للخير كل الأشياء من الشجر والحيوان والسماء والأرض .

في هذه اللحظات سمع نباح كلاب قادمة نحو الكهف فصاح أحد الحرس : يا قوم إن عددا من الكلاب يصعد نحونا ؛ كأنها تهاجم الكهف .

فقال علي بفرح وشماتة بالعصابة : هذه جنود الله الحق ! .. أيها السادة إنها آتية لتنقذنا أنا وميا منكم .

فأمر فهد رجاله بدحرجة الحجارة على الكلاب ، فتحركوا بسرعة ؛ ولكن الكلاب الكثيرة استمرت بالصعود ، فازداد الخوف بقلوب الرجال ، فهي بالعشرات إن لم تكن مئات ، وأخذ بعض الرجال بالهرب إلى قمة الجبل ، فقال علي لمي : لا تخافي هذه الكلاب سخرها الله لنا لحمايتنا من هؤلاء الأوغاد ..

فتفرق الرجال وبعضهم لاذ بعلي ومي وهم في غاية الذعر ، وبعد قليل دخل الكلب الأحمر الكهف ـ الكلب الذي اسقاه الماء في بداية الرحلة لعمته

زاهرة ـ واقترب من علي ودار حوله وهو يقول : لقد لبينا النداء يا سيد علي .. ماذا تطلب منا ؟ .. لقد مزق أصدقائي بعض الرجال

فلمس علي رأس الكلب بيده وشكره وهو يقول : أيها الكلب الوفي ! .. نريد أن نعيد هذا الفتاة لقومها .. وتحميها من هذا الرجل ـ وأشار لفهد ـ القابع كالأرنب من الخوف

فقال الكلب وهو يقترب من فهد : أنقتله ؟!

فتوسل فهد لعلي بأن يكف الكلاب عنه ، وتعهد أمامهم أن يدع الأميرة تعيش بسلام ، وأن لا يعترض لها بأذى ، وأنه نادم على موبقاته وجرائمه ،



وتساقطت دموعه أمامهم عندما رفع الكلب ذراعه وصفعه بها ، فنظر علي لمي فأشارت بالعفو ، فطلب علي من الكلب أن يعفو عنه وأخذ الفتاة وأعادوها لأهلها مرة أخرى ، ورجع علي لمدينة القمر مرة أخرى ، فوجد المعلم شهوان قد قلب الدنيا بحثا عنه ، فقص عليه قصة خطفه ثم نجاته من المجرمين ، ولما اطمأن المعلم على ضيفه أو نزيله ، قال : لقد وصل خبر اختفائك للأمير شبيب .. علينا أن نذهب لمقابلته ..ثم تقوم برؤية أم الملك فقد روت لي العجوز ما سمعت من الأم

وبعد أن خرج علي من الحمام وكساه المعلم حلة جميلة ، ذهبوا لقصر الأمير الحاكم فقص علي عليه قصته من الأول للآخر ، فعجب الأمير منها ، ثم قال : أيها الشاب حدثتني أمي عن شاب يبحث عن عمته زاهرة فهو أنت إذن ..أرسلت وراءك ، فقيل إنك اختفيت فدهشنا وقمنا بالبحث عنك نحن والمعلم الكبير شهوان .. وأما وقد عرفنا سبب اختفائك المفاجئ فسندخلك على الوالدة .

وكان الأمير قد أرسل غلاما لأمه يخبرها بمجيئه بالشاب ، فعاد الغلام يقول : إنها بانتظاركم .

ولما دخلوا عليها وجدها علي عجوزا هرمة منهكة من المرض والسن ، فدنوا منها فسمعها تقول له: هل أنت حقا ابن عمران ومن تلك البلاد ؟

قبل علي يدها اليمنى وقال : نعم يا مولاتي .. أنا علي بن عمران من مدينة العهد!

فقالت بصوت ضعيف يكاد أن يسمع : وهل مات عمران حقا يا علي ؟

رد بحزن : نعم .

قالت وقد تساقطت دموعها :

إذن كلام العجوز صحيح ..
أنت الذي أرسلها ؟
قص عليها علي القصة من جديد ، وكانت تسمع وتبكي ولما انتهى ، قالت : أنت ولد مبارك يا علي! .. وليرقد والدك في قبره مطمئنا عليك ..
اعلموا يا أولادي أن هذا الفتى هو ابن أخي حقا .. إنك تذكر يا شبيب ذاك الرجل الأشيب الذي كان يزورنا بين الفينة والأخرى .. هو أخي عمران ابن أمي وأبي .. وأنا تزوجني أبوك منذ أكثر من خمسين سنة .. لقد كان يومها مارا في بلاد العهد فرأني وخطبني من أمير المدينة ، فكلم الأمير والدي برغبة أبيك من الزواج مني ، فوافق أبي ـ رحمه الله ـ وجئت إلى هنا ، ولم يكن لي اخوة يومها إلا عمران ..ومع الأيام انقطعت صلتي بتلك المدينة ..بل لم أرها منذ تزوجت ،كان يزورني والدي في أول سنوات الزواج ، ثم اختفى من حياتي ، وكان يتردد عليّ أخي عمران من حين لآخر ، فيذكر لي أخبار الأسرة .. فأخبرني عن موت أبي ، وأمي كانت قد ماتت قبل زواجي من والدكم الملك ، ثم علمت من أخي عمران أن والدنا قد رزق قبل موته بصبي سماه عدنان ، ومات أبي عنه وهو دون العاشرة ثم أعلمني عمران في إحدى السفرات أنه تزوج ووهب مولودا ذكرا سماه عليا .. وبعدئذ انقطعت أخباره فوقع في حدسي أنه قد مات ، فلي أكثر من عشرين سنة لم أسمع عنه شيئا إلا منذ أيام عندما جاءتنا العجوز بتلك الرسالة .. فأنت حقا يا ولدي ابن أخي عمران ..اقترب مني دعني أقبلك .. أنت من ريح أهلي .

دنا علي منها فقبلته وداعبت شعره ، ودعت له وقالت : ولدي شبيب .. هذا ابن خالك .. ساعده ..فاكتب رسالة لأمير تلك النواحي ليأخذ له حقه من عمه ويزوجوه من ابنة عمه وأكرم وفادته ، وإذا رغب بالحياة في بلادنا فأكرمه غاية الإكرام وليبق على الرحب والسعة والمحبة .

فتـعهد الابن أمامها بتحقيق كل رغباتها ، وقال علي وقد قبل يد عمته مرات : الحمد لله إنني التقيت بك يا عمتي .. أنا جئت لاجئا إليكم حسب رغبة أبي لتأخذوا لي حقي من عمي الجاحد ولابد أن ابنة عمي سعاد في انتظاري .

تمت

حجر القمر

الدنيا الساحرة

القرية الوادعة كان يقابلها جبلا عاليا ، وكان يُرى على أعلاه قصرا تتلألأ منه الأنوار

الرائعة ، عندما يبدأ غروب الشمس ودخول الليل ؛ كأنها نجوم الليل في يوم صيف حار ، كان الفضول المغروس في الناس في تفاوت ودرجات ، يثير الشهوة والرغبة بمعرفة صاحب هذا القصر الجميل اللامع من انعكاس الشمس نهارا.

من صاحب ومالك هذا القصر الأبيض ؟ من شيده على هذه القمة العالية في عنان السماء ؟ كيف بني ؟ ومن يسكن فيه؟ هل هو ملك ؟ هل هو ملكة؟ هل هو وزير ؟ من ؟!

لا يخلو مجلس من مجالس أهل القرية من الحديث عن هذا القصر الغامض ، وكيف تكون الحياة فيه ؟ ماذا يشربون؟ وماذا يطعمون؟

سمع أوس حديث الكبار عن غرابة هذه القصر وغموضه ، فاشتاقت نفسه الفتية لصعود الجبل والوصول للقصر ، ويعرف من أهله وسكانه؛ ولكنه سمع من بعض الكبار أن الذي يدخل القصر أو يقترب منه لا يرجع لقريته ومدينته ، وما سمعوا برجوع أحدهم ؛ فليس المهم الوصول إليه ، المهم العودة وإخبار الناس بما حدث ، هل يقتل من يقترب منه؟

اشتاق أوس للمغامرة ، واشتد به الفضول والرغبة لمعرفة أسرار القصر ، فهمس لصديقه بلال بهذه الرغبة والشوق.

فتجهز بالزاد والماء ،ومع تباريح الفجر انطلق ، رافقه بلال عدة أميال ، وتابع أوس رحلته الغامضة صعودا ، ورجع بلال للقرية منتظرا عودة أوس.

وبعد مسير ليالي وأيام صاعدا الجبل التقى بشاب مثله اسمه عصام راغبا مثله في معرفة سر القصر ، وهو من قرية أخرى ، وعنده ما عند أوس من الفضول والرغبة لمعرفة أخبار وأسرار قصر الجبل .

ولما صعدوا بضع ساعات التقوا بامرأة عجوز في طريقهم ، وبعد التحية والسلام عرفوا أن مقصدها نفس مقصدهم ، وأنها مفتونة مثلهم بهذا القصر العجيب ، وأن أتت من قرية بعيدة رغم كبر سنها ، ولها أيام وأيام تسير حتى وصلت إلى حيث التقوا.

وبعد حين وجدوا فتاة شابة تسبقهم في طريقها للقصر الأبيض ، وأنها من كثر سمعت عنه من أمها وأبيها وصديقاتها لم تستطع المقاومة والثبات في بلدها وأخفت أمرها عن الجميع ، وغادرت المدينة للقصر الأبيض.

تابع الجمع وغيرهم السير إليه ،وكلهم ينتابه الشوق والامل بالوصول للقصر الغريب

القريب البعيد ، وكان الشابان أسرع مشيا من العجوز والفتاة فسبقوهما بساعات .
تعب عصام فجأة ، وطلب من صاحبه تركه ومتابعة سيرة ، فقد حل فيه المرض وسيحتاج لوقت حتى يتعافى منه ، فاعتذر أوس منه لما عرف عذره ، وبعد أيام وصل أرض القصر ، ولم يجد أمامه جند أو حرس ، واقترب من بوابة القصر العالية والأسوار العالية في عنان السماء قرع الباب ، وبعد حين فتحت طاقة او نافذة وسمع صوتا يرحب به ، ولما عرف غاياته قال : سأسمح لك بدخول القصر وتحل علينا ضيفا ثلاثة أيام ، وتأخذ منه ما شئت من المال ؛ ولكن سوف تخرج من باب آخر .
فقبل أوس الشرط ، ومن أجل ذلك ترك القرية والفلاحة ،وادخل للقصر وبهره الجمال والزينة التي تغمر القصر والأضواء والأرض المفروشة بالياقوت والأحجار الكريمة ، واستقبل في جوف القصر ورأى الأثاث والمفارش والرياش والأواني والأكواب من اللؤلؤ والذهب والفضة والخدم بأحلى الثياب ، وسيق إلى جناح خاص به ، وكان مبهورا بما فيه من الأثاث والزينة والسرير الذهبي والفرش من الحرير والذهب ، وقدم له أجمل الطعام حتى كاد يذهب عقله مما رأى وشاهد واستمر يستمع بهذه الأشياء ثلاثة أيام ، ثم ساقه قيم القصر إلى مخزن المال فرأى أنواع الجواهر والأموال والدواب والنعم ، فأخذ من الذهب والدراهم وجوادا لا نظير له في القرية ، وساقه الخدم إلى بوابة القصر الأخرى ، وقالوا له: انطلق وتنعم بما كسبت من جواهر وثياب ومال وخيرات.
وحين تعافى عصام تابع السير للقصر الأبيض ، وتم الترحيب به وضيافته الأيام الثلاثة ، وحمل بالمال والجواد وغادر القصر إلى بلدة جديدة ، ولما حل فيها اشترى أرضا ، وأخذ بزراعتها ، وتزوج امرأة حسناء.
ولما وصلت العجوز سكنت القصر الليالي الثلاث وانطلقت بمال وجواهر وسكنت في نفس المدينة التي يسكنها أوس وعصام ، وحصل لزهرة الفتاة الطيبة ما حدث لرفاقها وغيرها من البشر .
أصبح أوس رجلا ثريا وتزوج امرأة ثرية من نساء المدينة ، وأصبح لديه الخدم والجواري ، ووهب البنين والبنات ، وكان يوصف بالشح والبخل من معارفه وأهل زوجته ، ولا يحب الصدقة ، ولا يعرف

الزكاة ، ولا يساعد الضعفاء ، كان اذا حدث عن ذلك يزعم أن المال قليل والحاجات كثيرة ، والذي ينفق على البيت زوجته التي كانت أسخى منه حتى أنه كان يضيق من جودها ، وتشاجرا كثيرا ، ولما أعطت أرملة شقيقها مبلغا كبيرا من المال ، طلقها من الغل والقهر ، وعادت لبيت أسرتها ، وشيدت قصرا صغيرا .

وأما عصام المزارع فقد أصبح من أكابر الملاك والفلاحين في المدينة ، وتزوج امرأة ثانية على أمل أن تنجب له بعد أن فشلت الأولى ، ثم ترك الأولى ، وتزوج الثالثة وأيضاً لم تتمكن من الولادة وأخيرا اقتنع أن العقم من جهته ، وأخذ بالعلاج والدواء على أمل الخلفة ، ومضت السنون دون تحقق الغاية والهدف ، وأصابه اليأس من الذرية .

أما العجوز التي دخلت القصر تزوجت شابا فقيرا بقوة مالها ، ولما تحصل منها على بعض المال هرب من بيتها ، وأمضت حينا من الزمن تبحث عنه ، ولما يئست منه مكرت برجل آخر أكبر سنا من زوجها الهارب ، وقضت معه سنوات ،قبل ان تتبين أن له زوجة أخرى ؛ وإنما طمع في ثروتها ، ويأخذ منها لينفق على أسرته ؛ كما فعل الشاب الذي سبقه ، فطلبت منه لما اكتشف الأمر طلاق زوجته .

فقال لها : كيف أفعل ذلك ولي منها ولدان؟!

قالت : ولكنك تزوجتها بمالي وبدون علمي.

قال: أنت عجوز كبيرة لا تلدين ، وأنا أريد الذرية، ألا يكفي أني قبلت ربط نفسي وسمعتي بك؟

صرخت : لا ، أنت غدرت بي ، وخنتني ، لم تأخذ الإذن مني ، وفضحتني أمام صديقاتي الطيبات .

قال بهدوء : وهل الزواج فضيحة ؟! ومن أخبرك بذلك ؟

قالت : إنك تنفق عليها من ثروتي.

قال بهدوء : أليس المال لنا جميعا ؟ ونحن فيه شركاء.

قالت : أنا وأنت فحسب ؛ أما زوجتك وولداك فلا حظ لهم بمالي .

قال: إذن علينا أن نخرج بمعروف ؛ كما دخلنا بمعروف ..أنت ترفضين حياتي معك .. فخذي مالك معك إلى القبر .. فالقبر أولى به.

قالت : خير من أن أنفقه على ضرة لي.

حدث الانفصال ، وقضت زمنا لم تجد من يتزوجها إلا رجلا أكبر منها سنا ، فلم تَر صواب ذلك ، فهو رجل

مريض عليل ، وظلت تحلم بزوج شاب ، وخلال ذلك كانت تراود زوجها الثاني بالعودة إليها ، ويرفض إلا اذا أعطته كل ما تملك وكانت أيضا تبحث عن فتاها الأول الذي أوقعته بشبكتها عندما دخلت المدينة أول مرة .

وأما زهرة الشابة الصغيرة فعملت بها نالته من القصر الأبيض متجرا للتجارة واستأجرت أجيرا يعمل به ، وابتاعت أرضا للزراعة ، وأشرفت عليها بنفسها مع بعض العبيد والإماء ، ولم استقرت الأمور معها فكرت بالبحث عن شريك لها وعن طريق النساء التي تعرفت عليهن وجدت شابا اسمه بلال قبل بها ، وطابت لهما الحياة ، وكان بلال لا يقل عنها مالا وثروة ، فاشتغل هو في متجرها كشريك وكان بلال رجلا ذكيا ومحبا للأعمال الصالحة ومقدما للصدقة والإحسان على الضعفاء والفقراء ، وكانت زهرة مسرورة منه وتشاركه العمل الصالح وكان يقول: لا يدوم إلا العمل الطيب ، وهو الذي ينتفع به يوم القيامة .

كانت زهرة سعيدة بزوجها ، وقد أنجبت له خمسة أطفال ، ولما حدثها عن العمل الصالح ، وأنه العمل الحقيقي للإنسان ، وانه هو الذي يرجو ثوابه ، وهو ما حثته عليه أميرة القصر الأبيض .

قالت لزوجها : اليوم التقيت بامرأة عجوز خبيثة النفس ، لقد طلبت منها بعض المال لبعض الفقراء الذين نرعاهم ، ونهتم بهم ، زعمت أنها فقيرة ومحتاجة ، وأنا أعلم أنها غنية ، وأعرفها حق المعرفة عندما ذهب وإياها للقصر الأبيض يبدو أنها لم تعرفني.

قال : أنت تعرفين القصر الأبيض ؛ فإني أعرفه وزرته ، وهذا المال الذي معي حصلت عليه منه.

قالت : حقا ! هذا نحن سواء ، وأنا غادرت أهلي من كثر ما سمعت عنه ؛ لأعرف سره وغموضه ، وهناك بقيت أياما ، ثم خرجت لهذه الدنيا .

قال بهدوء : أنا ذهبت إليه يا عزيزتي بحثا عن صاحب لي ، سمع هو الآخر عنه كثيرا ، وأحب أن يعرف أسراره مثلك ، ولما طالت غيبته ، وقبل أن أكشف سر اختفائه عن القرية لأهله ، صممت أن أبحث عنه ، ولما وصلت إلى القصر لم أجده ؛ ولكني أكرمت في ذلك القصر ، وحملت رزقي ، وخرجت إلى هذه الدنيا الجديدة ، وكانت أوسع من تلك الدنيا في القرية ، ولما جئت هنا التقيت به ، فلم يعرفني ، وأنكر معرفته بتلك الدنيا ، وزعم كما زعمت

عجوزك أن المال ورثه كابرا عن كابر ، ولم يكن فقيرا في يوم من الأيام ، ولا يعرف القصر الأحمر ، ولا الأبيض ، وهو شحيح النفس ، ولا يعرف الصدقة ، وأنه ليس من مهامه مساعدة الفقراء والضعفاء ، ويجمع المال للمال ، وماذا سيفعل به بعد الموت ؟ الإنسان عجيب لما ينسَ ضعفه وفقره وحاجته ، وأن الله سخر له من يرعاه جنينا ورضيعا وصغيرا ، وحثثته على الإحسان وألا ينسى نصيبه من الدنيا ، وأن الدنيا زائلة.

قالت : هذا حاله كحال العجوز التي رافقني لذلك القصر ، تزوجت شابا صغيرا وبعد حين هرب من خبثها وجوارها ؛ كما علمت من صديقاتها ، وما زالت تبحث عنه ، وعن السعادة التي عاشتها وإياه ، ثم اقترنت برجل أكبر سنا منه ؛ كما خبرت ، وعاش معها ردحا من الأيام والسنين ، وتزوج عليها سرا امرأة ولدت أطفالا ، وكملت سعادته التي لم يجدها عند العجوز ، ولما علمت بذلك ضغطت ؛ ليطلق ضرتها التي حققت له السعادة بالبنين ، وترك السعادة بالمال التي كانت تنفقه عليه ، فاضطر أمام ضغطها ؛ ليطلقها هي ، واختار أم ولده وأولاده ومازالت تحاول إعادته لحظيرتها ، وهو يرفضها ويرفض مالها.

قال : وتعرفت على رجل يا زهرة ، وأنا في طريقي للجبل التقى بصاحبي أوس أثناء صعوده لمعرفة السر اسمه عصام ، وكان أثناء الرجلة قد مرض وعجز عن الوصول للقصر مع صديقي أوس.

قالت : إني أعرفه التقيت به أنا والعجوز في صعودنا للقصر الأبيض ، وفعلا كان مريضا ؛ ولكنه نجا من الموت والمرض يومها ، هل التقيت به هنا ؟

قال : نعم ، التقيت به غنيا ؛ ولكنه محروم من الذرية ، وتزوج مرات ومرات، وهو سيّء الخلق لا يعمل الصالحات والطاعات ، ويلهو بالخمر والفواحش ، ولم ينفعه نصحي ، ويزعم أنه يفعل ذلك لحرمانه من الذرية .

قالت بدعاء : اللهم ثبتنا على العمل الخير والصالح.

قال بهدوء : هذا حال الدنيا يا زهرة الرائعة ! منا السعيد ومنا الشقي ، والقصر هو الرحم الذي نخرج منه إلى الدنيا ، لا يبقي إلا العمل الصالح والكلم الطيب يرفعه الحق تعالى .



ربيـعة والسلطان

كان ربيعة يصيح بأعلى صوته ويبكي بكاء تتفطر له القلوب ، لقد كان مشدودا بين ساريتين ومكبل بينهما بالحديد ، والجلاد يضربه بالسوط على ظهره العاري أمام حشد كبير من الخلق ، وهم يرثون له ، وصاحب المدينة والحاشية وجنده يضحكون ويقهقهون مستمتعين بعذاب ربيعة ، وفجأة سمع الأمير الحاكم شخصا يصيح بأعلى صوته : حرام هذا حرام .. اتقوا الله يا ظلمة !

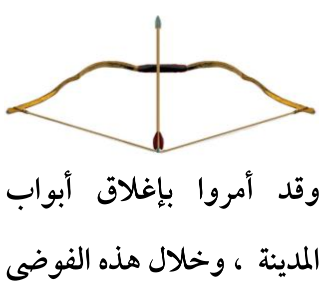
فأمر الأمير الجنود بتعذيب القائل ، فقام الجنود بخطفه من بين الناس وانهالوا عليه ضربا وصفعا وركلا ونخزا وهو يولول : يا قتلة .. يا مجرمين .. سوف تدور عليكم الدوائر ..يا ظلمة !

وترك الجلاد ربيعة واندفع نحو الرجل الملقى على الأرض ، وانهال عليه بالسوط بأشد ما أعطي من قوة وذاك يصيح : يا مجرمين .. يا ولكم من الله .. الرحمة الرحمة !

فصاح الأمير : لا رحمة اليوم .. أيها اللعين .. اصلبوه واجعلوه عبرة لغيره .

وكان السلطان يقول هذا الكلام بصوت عال ، وقد نهض عن كرسيه ليسمعه ويراه الناس ، وما كاد ينطق بهذا الكلام ، و هو يرفع يده مهددا في الهواء حتى استقر سهم في ذراعه فخر على الأرض صريعا ، وهاج الناس والجند وأخذ الناس بالفرار والإبتعاد ، واختلط الحابل بالنابل ، فكان السلطان يصيح من شدة الألم وقد هاج من شدة الغضب ، وذعر الجند للمفاجأة ، ولم يعلموا من أين أتى السهم ؟!

وهجم بعضهم على الناس يضربونهم ويطردونهم لمنازلهم ، وقام فريق آخر من الجند بحمل السلطان إلى قصره ،



وقد أمروا بإغلاق أبواب المدينة ، وخلال هذه الفوضى العارمة قام أحد الناس بفك قيود ربيعة ، وأمره بالهرب ؛ ولكنه تهاوى على الأرض لا يستطيع المشي ، فأدركه بعض الجنود فقادوه وصاحبه إلى سجن القصر ، وقد استغرب الجند واحتاروا في من حاول قتل سيدهم بهذه الجرأة ، ولقد نجا صاحبهم من الموت بأعجوبة فلو استقر السهم في عنقه لمات ، فلما انتهى الطبيب من علاجه ونزع السهم من الذراع قال الملك الغاضب لمن حوله : هل أمسكتم بالغادر ؟ قال الوزير المصفر اللون : لم نمسكه بعد يا مولاي ! لقد

انشغلنا بك
وبحياتك ؛ ولكنه لن يفلت
منا فقد أمرنا بإغلاق المدينة ..
واقتيد الرجلان العاصيان إلى
سجن القصر .
فأخذ الأمير بالصياح ، فأرغى
وأزبد وزمجر ، واتهمهم
بالضعف والعجز والجبن
والخور - والوزير يهون
ويخفف من ثورته وغضبه -
حتى عاد الدم ينفجر من
جرحه ثانية ،وعاد الطبيب
للعلاج وهو يناشد الأمير
بالهدوء والصمت ، فركن
للهدوء وهو يقول : أيها
الطبيب كدت أن أموت
وهؤلاء يتفرجون عليّ..
الموت ! ثم أخذ بترديد كلمة
الموت.. الموت .. الموت..
هل حقا كنت سأموت ؟! يا
إلهي لو أصابت الرمية حلقي
لأردتني ميتا ..إنها رمية رجل
بارع بالقوس والنشاب..
وصرخ حنقا : ابحثوا عنه
سأقتله سأشرب من دمه .
قضى الجنود أياما يبحثون عن
الجاني ، وألقوا العشرات في
أقبية السجون ، ولما تعافى
السلطان وضع جائزة ألف
دينار لمن يرشد إلى الجاني ،
وأحضر السجينين وحاول أن
ينتزع منهما معلومات
بالترهيب والترغيب ؛ ولكنه
لم يجد لديهم شيئا ، وما كاد
ينتهي منهما ويأمر باداعئهما
السجن ، حتى دخل جندي
يحمل سهما سقط في باحة
القصر فأعطاها للوزير الذي
قدمه للملك قائلا : سهم
سقط في فناء القصر عليه
رسالة .
فتح السلطان الرسالة الطائرة
وقرأ " أيها الظالم لقد نجوت ؛
ولكني
سأقتلك وأنت بين جندك
الطغام كما حاولت في المرة
السابقة ، يجب أن تموت بين
جيشك يا ظالم .. وأنا لك
بالمرصاد "
مزق السلطان الرسالة من
شدة الغضب وصاح وزمجر
وسب وشتم وقذف ثم قال :
الرعاع يتطاولون علينا ..
الوغد يتهددني ..يا جبناء ها
هو يلقي بسهمه في فناء
قصري .. أين الجنود ؟ .. أين
الحرس ؟ .. أين ؟..لابد أن
لهذين اللعينين علاقة بالمجرم
الغادر ..المرة الأولى في ساحة
العذاب وهذه المرة في قصرنا
.. هل لهم أولاد .. أقارب ..
؟ احضروا كل أقاربهم
وذويهم .. أسرعوا بالوصول
للمجرم قبل أن أفنيكم كلكم
يا أوغاد .. أو أنفجر وأموت
من القهر والغيظ !
وجمع الجنود كل من له صلة
قرابة أو معرفة بربيعة ، ومع
ذلك فكل التحقيقات
والإهانات لم تسفر عن شيء
يدل على الجاني ، وظل
السلطان الجبار ورجاله في قلق

وتوتر عدة شهور ، ثم قال السلطان لوزيره ليلة من الليالي : أعجزتم من الوصول للمجرم الذي أراد القضاء على حياتنا ؟

فقال الوزير بانكسار : أجل يا مولانا السلطان ..اختفى اللعين .

قال السلطان وهو يقضم تفاحة حمراء كانت بين يديه : يا وزيرنا .. أنتم لماذا قمتم بجلد ربيعة اللعين في الساحة العامة ؟! .. ما هي جريمته ؟

قهقهه الوزير وأخذ ينظر للملك بدهشة ثم قال : جرمه الكبير أيها الملك العظيم أنه أبى أن يدفع للجند ما عليه من مال ، وادعى أنه لا يملك درهما ولا شيئا يدفعه للجند ، فقام الجند بقلب الدكان رأسا على عقب فلم يجدوا شيئا يأخذونه ..وفتشوا المنزل فلم يلقوا شيئا يحملونه ، فاتهموه بالخيانة والغدر وأنه أخفى أمواله تخلصا من الضرائب للأمير وحماة الوطن

قال الأمير السلطان : هل له زوجة وذرية ؟!

قال الوزير : المصيبة أنه فقير معدم لا زوج ولا أولاد .

فصاح الملك : ويلكم وماذا يفعل بالحانوت ؟! ماذا يبيع ؟

قال الوزير :وجدنا بعض الصناديق والسلال المهترئة فيها بعض الفواكه والخضار التي تخجل حيواناتنا أن تأكلها يبيعونها للفقراء والأيتام ، وأحيانا يخرج مع الرعاة بقوت يومه ومرات أخرى يعمل مع الصيادين عند البحر .. هذا هو ربيعة يا ملك الزمن .



فقال الملك وهو يتأمل أعمال المتهم ربيعة : وهل كان يدفع للجنود قبل هذه المرة ؟

رد الوزير قائلا : يقول الجند إنهم كانوا في بعض المرات يجدون لديه عشرة دريهمات أو خمسة .

فضحك الملك ضحكا عصبيا ملأ القاعة التي يتسامرون فيها وقال : ويلكم من أجل عشر دراهم دعوتموني لحفلة تعذيب ربيعة .. لقد خيل لي أنه غني استعصى عليكم وأردتم أن تجعلوه عبرة للناس .. ما هذا أيها الوزير العاقل ؟! ..آه .. من أجل ذلك صاح الرجل الأخر قائلا " حرام عليكم ..حرام "

قال الوزير : لا يا مولاي ..إنه يحتج على ضربنا لربيعة وعذابه بعد أن شبع الملك الشره من أكل الفواكه التي أمامه قال : أعطوا ربيعة مائة درهم وأخرجوهما من السجن إنها مهزلة ! .. فعلا كدت أخسر عمري من أجل خمسة دراهم يا أوباش .

خرج ربيعة وصاحبه من

سجن السلطان ، ففرح أصحابه بعودته ونجاته من سجن الطغاة ، فهم يعرفون أنه من النادر أن يسجن رجل في سجن القصر ويخرج حيا ، فكان ربيعة وصاحبه من النادر هذا ، وقد أمر السلطان وزيره بمراقبة الرجلين خفية لعل الفاعل الذي أراد إغتياله أن يتصل بهم ، وهو يقول لوزيره الذي ظن أن الأمير لمست الشفقة والرحمة شغاف قلبه على الرجلين : لا تدعهما يغفلان عن عينيك .. اعلم يا وزيرنا العاقل أنه لا يهدأ لي بال حتى امسك المجرم .. وأحس أنا أنّ للمجرم الغادر معرفة بأحد الرجلين أو بكليهما .

مراقبة ربيعة



كان ربيعة يجلس في حانوته الصغير بعد خروجه من محبس الظالم يبيع الفواكه والثمار ، وبينما هو جالس وحده في الحانوت وعند الظهيرة دخل عليه غلام جميل الصورة قوي البنية ، فألقى التحية وتظاهر بالنظر وتقليب الفاكهة والسؤال عن الأسعار ، ومن خلال ذلك هنأ الفتى ربيعة بالإفراج ، فشكره ربيعة وهمس قائلا : ابتعد عني يا ولدي فما زال الجنود يراقبونني ويتبعون أثري فما أرى إخراجي من السجن إلا حيلة للوصول إليك .

ووزن له مدين من الرطب فخرج الغلام وهو يحمل ما شراه ، وكان يلوك في فيه حبة منه ، ولما ابتعد الغلام شعر بأنه متبوع ، وهذا الغلام هو الذي رمى الأمير الحاكم بسهم قاتل ، وهو الذي هدد وتوعد الحاكم بالموت بالسهم الذي ألقاه على القصر ، فلما تيقن بأن أحد الناس يتبعه ، دخل في حي وخرج من آخر ، ثم دخل بيت خال وقفز عن الجدار من الجهة الأخرى ، ثم عاد إلى وسط البلدة ، وعند المقابر اختفى ، وعند الليل كان جنود السلطان يقتادون ربيعة إلى بين يدي أميرهم ، وكان أول سؤال عن الغلام الذي اشترى منه الرطب وأطال الحديث معه ، فرد ربيعة بضعف : يا سيدي الحاكم غلام .. شاب صغير دخل الحانوت واشترى بعض الرطب وهنأني بسلامة النجاة من سجنكم العتيد ، ولا معرفة لي به ، وجنودك الذين كانوا يراقبوننا رأوه قد اشترى صنفا واحدا وانصرف .

فصاح الملك : وتعلم أن جنودي يراقبونك .

قال ربيعة بضعفه المعتاد : يا مولاي السلطان هيئة الجند وحركاتهم لا تخفى على عاقل متأمل .

صاح الملك : إنك ذكي يا ربيعة والذكاء يشكل خطرا علينا !
رد ربيعة قائلا : المظلوم يصبح ذكيا يا مولاي ..وأنا لا أخفي عن رجالك أموالا ، آخذ من أصحاب البساتين بعض الثمار والفواكه واضعها في الحانوت فأبيعها نيابة عنهم ويدفعون لي شيئا مما أبيعه ، فاشتري به خبزا وقوتا وما يفيض ادفعه للأضعف مني .. فالبلد فيه عدد كبير من الفقراء والمساكين يا مولاي !
هز الملك رأسه عدة مرات وهو يبحلق في هذا الكهل الذي لا يخشاه ويتهمه بالظلم وعدم مراعاة شأن الفقراء والضعفاء ؛ ولكنه كان بحاجة إليه ، وهي الوصول للذي حاول الفتك به في ساحة العذاب ، وكذلك هرب الغلام من جنده بطريقة غريبة قذف في قلبه الخوف ، فبعد تفكير قال : يا ربيعة أنا بحاجة إليك ..ما رأيك أن تصبح جنديا من جنودنا ؟
فقال ربيعة بضعف : لا أستطيع ..لقد أنهكتموني بالسوط وأضعفتم بنيتي ولا أستطيع القيام بالواجبات الملقاة على عاتقي يا مولاي السلطان
قال السلطان : أنت كهل قوي وذكي يا ربيعة .. وصبور أيضا !
فقال بجرأة وقد رفع من صوته الضعيف : لا أستطيع أن أظلم الناس وأسرق أموالهم وأقهرهم فالظلم ظلمات يوم الجزاء والحساب .
ضحك الأمير : إنك لجريء ووقح أيها الصعلوك وأراك تتطاول علينا بغمزك ولمزك هل أنا ظالم يا ربيعة ؟!
قال ربيعة وهو يحتسب روحه عند الله : قلت جنودك يا مولاي ! يضربون الناس ويسلبونهم الأموال ويدخلون عليهم البيوت في أحيان كثيرة
فأجابه السلطان وكله غضب : أنت خطر على سلطاني يا ربيعة ! فبلد كبلدنا لا يستوعب أناس أذكياء مثلك ! ما رأيك بألف درهم وتغادر البلد على عجل ؟!
فقال ربيعة بضعفه المعهود : ولكنها وطني يا مولاي كما هي وطنك ، وأما إذا أصبحت كما تقول عني أنا الإنسان الضعيف الذي لا يكاد أن يدبر قوت يومه خطرا على سلطانك وتحب نفيي فأنا أقبل دون ألف درهم .
قال السلطان بحدته : أنت ترفض أخذ أموالنا ، قد رفضت سابقا المائة درهم وها أنت الليلة ترفض الألف يا ربيعة ، وقهقهه السلطان فجأة وقال : نعم نعم إنها أموال المظلومين .. ربيعة أنا أستطيع سفك دمك كما سفكنا دماء

الكثير ؛ ولكني أوافق على نفيك والعفو عن روحك ؛ ولكن ذلك يكون إذا عرفتنا على منزل الغلام الذي تحدث معك اليوم طويلا وضلل جندنا المقتفين أثره فقد دار بهم في المدينة ثم اختفى فجأة .

قال ربيعة : صدق يا سيدي الأمير أنني لا أعرفه ولا علاقة لي به .. اشترى رطبا وانصرف ، ولكن ما الذي يزعجكم من الغلام ؟! وأنا رجل في الخمسين من عمره ما يربطني بغلام أو شاب صغير ابن خمس عشرة سنة أقل أو أكثر بسنة .

استشاط الملك غضبا وقال : ربيعة يجب أن تموت .. لقد نفد صبري .

فقال ربيعة مستسلما : افعل بي ما شئت .. أنت السيد الحاكم وأنا العبد الضعيف المغلوب على أمره .

صاح الملك بغضب ونهض عن كرسيه مخاطبا الجنود : خذوه إلى السجن سوف أمسك غلامك يا ربيعة وأعدمكما الحياة معا أمام كل الشعب .

وعلى الفور حمل الجنود ربيعة إلى أقبية السجن ، وهم يكيلون له الضرب والرفس والشتم والتحقير .

عاقبة الظالمين

ظل السلطان يسوم الناس الذل والهوان ، ويرهقهم بالضرائب والأموال حتى عم الفقر كل الشعب ، وقل الأغنياء ، والناس صامتة لا كلام ، فمن احتج يسحب لميدان العذاب ويجلد أمام أعين الناس ، والقهر لعباد الله لم يخف ويضعف ، وكان السلطان يتحرك في البلد وحوله حرس كثير لا يكاد يراه الناس من كثرة الجنود حوله ، وازداد الجنود حذرا من اغتياله ، فازداد السلطان غرورا وجشعا وعتوا وطغيانا ، وبينما هو في تجبره وعتوه جاءه النذير بأن جيشا زاحفا نحو مدينته ، فانزعج لذلك وأرسل عينا إلى معسكر خصمه ، فلما عاد أعلمه بعدد الجيش القادم وعدته ، فملأ الرعب قلبه ،وأحاط الغزاة بالمدينة وجاءته رسالة تدعوه للاستسلام .



فتشاور السلطان مع رجاله الأشاوس حماة الديار والعباد ، فأشاروا عليه بالخضوع للملك الغازي حفظا للأنفس ، فغضب من جبنهم وخورهم وصرخ فيهم : ويلكم لماذا أنتم عندي ؟! لماذا لا تدافعون عن ملككم ؟! أين شجاعتكم التي تمارسونها على الشعب ؟ ! إنكم تستأسدون على أهل مدينتنا ..لابد من القتال أيها

الجبناء أتريدون أن ندفع الأموال التي نأخذها من الناس لهؤلاء الغزاة على طبق من ذهب ؟! ..غدا نخرج لقتالهم .

وكتب الملك كتابا شديد اللهجة للملك الغازي يدعوه للانصراف وإلا اللقاء في صباح الغد ، وكان ذلك ، ولم يصبر جنود المدينة أمام الملك المهاجم سوى ساعة من الزمان ، فقتل من قتل ، وأسر من أسر ، وهرب من هرب ، ودخل الجيش الغازي المدينة قبل الظهر ، وأعطى الناس الأمان على أنفسهم وأموالهم ، وأن يلزموا بيوتهم حتى يتم ترتيب أمر المدينة ؛ ولكن الناس خرجوا يرحبون بالجيش الغازي ، ويشمتون من ملك بلادهم وجنوده الضعفاء ، ودخل القائد الغازي قصر السلطان وصادر جميع الأموال ، وأمر بإدخال السلطان ووزيره مكبلين عليه وخاطبهما قائلا : كيف ترون أنفسكم الآن ؟ إيه يا ملك الزمان ! ..وأنت أيها الوزير الخوان ؟ أين ربيعة يا قوم ؟!

قال أحد الجند : ذهب الغلام ميرا ليخرجه من سجن الطغاة يا سيدي القائد .

فقال القائد : الله سلطتني عليكم لأنكم ظلام كلكم جشع .. اعلموا أنه قد جاءني فتى يستجير بي من ظلمكم فأجرته ، وأرسلت عينا يأتني بصدق خبره ، فكان صادقا وهذا الغلام أيها الحاكم قتلت أباه ظلما وعدوانا ، فسخر الله رجلا تكفل به بعيدا عن أعين كل الناس ، فرباه وعلمه الرماية وغرس في قلبه كرهك وبغضك ، وكاد يقتلك لولا انّ في الأجل فسحة أيها الطاغية وما زلت تعاقب كافله.. وأهل المدينة يكرهونك ويتمنون الخلاص من حكمك فجأني وفد كبير منهم .

فصرخ الملك المقيد : اقتلني .. اقتلني لا أريد أن أسمع المزيد

صاح القائد وهو ينهض عن مقعده : أيها الأرنب تركت أمرك للغلام ميرا ابن صاحبك الذي غدرت به وأجلست مكانه ووزيرك الخائن هذا

دخل ربيعة والغلام الشاب ميرا وقد سمع آخر كلام القائد المنتصر ، فاقترب من القائد وشكره وقبله من رأسه ، وبارك له همته ونخوته لنصر الضعفاء من بني الإنسان ورفعه للواء العدل ورفع الظلم عن الضعفاء والأرامل والأيتام ، ثم حدق نظره في الحاكم ووزيره وقال : ماذا أنت فاعل بهما يا سيدنا الكبير ؟

أجاب القائد المنتصر : تركت أمرهما للأمير ميرا ..الفتى الشجاع الذي قطع

الفيافي والقفار ليصل إلى ملكنا ويطلب المساعدة منا .. وخاطب ميرا قائلا : ميرا شأنك بهما.

تقدم الشاب الصغير الملطخ الثياب بدماء قتلى وجرحى المعركة التي دارت في الصباح ، فقد تقدم وقبل يد القائد وقبله على جبينه أيضا وقال : أشكرك سيدي القائد .. فالظلم مرتعه وخيم في الدنيا والآخرة .. وما قتل أبي أيها الناس إلا لأنه وقف في وجه ظلم السلطان ومنعه من الظلم وحثه على العدل وكان أبي وزيره الأول وأهل المدينة يعرفونه ويعرفون أخلاقه وحبه للعدل ، وكان يحد من طغيان السلطان وجبروته حتى ظهر وزيره قداح على مسرح الأحداث فقبضوا على أبي وأمي وعذبوهما ثم قتلوهما وصلبوهما على باب المدينة وأنا ابن ثلاث سنين .. فأخذني ربيعة سرا عن وصية أبي ، واشتدوا في البحث عني ؛ ولكن الله أبى لهم أن يجدوني ، فأخفاني ربيعة عن العيون واعتنى بي حتى كبرت ، فعلمني الرماية وغيرها ، ولما بلغت خمس عشرة سنة كشف لي الأمر ، وطلب مني الأخذ بثأري ، وكدت أحقق ذلك ، ولما فشلت أيها الناس ذهبت للأمير المعروف ابن نمير ، فشكوت له أمري وقصصت عليه قصتي ، فأرسل معي هذا الجيش من أجل نصر المظلوم ورفع الظلم عن أهل هذه القرية .. فجزاه الله خير الجزاء

قال ربيعة جذلا : أحسنت الكلام يا ميرا ! فماذا تريد أن تفعل بهم يا مولاي ؟

قال الأمير الشاب : السن بالسن والعين بالعين والنفس بالنفس ، فهؤلاء قوم مجرمون ولا دواء لهم إلا القتل .

فقال القائد المظفر : وأنت يا ربيعة لك عنده ثأر ومظلمة .

هز ربيعة رأسه بالإيجاب وقال : إيه يا مولاي القائد .. لقد جلدني وعذبني أمام الناس .

فقال القائد : خذهما يا ربيعة واجلدهم أمام الناس .



وحصل لهما ذلك ، ثم قتلا وصلبا مدة ثلاثة أيام حتى يكونا عبرة لمن يعتبر ، وجاءت زوجة السلطان وابنته تطلبان العفو والصفح عنه ، فقال القائد : سبق السيف العذل أيتها الأميرة .

فبكتا وقالت الزوجة معتذرة للناس : لقد نبهته وحذرته من عاقبة الظلم وأن الله سيهلكه إذا استمر في طغيانه فكان ينهرني ويحذرني من التدخل في أي أمر .

قال القائد : لم نظلمه أيتها الأميرة بل هو ظلم نفسه ،

والله سخرنا لننقذ الناس من ظلمه وتعديه .
قالت الأميرة : ماذا ستفعل بنا
قال : الزما القصر الآن ، فقد أعلنا الأمير ميرا حاكما على البلاد ، و الأخ ربيعة وزيرا له وأرسلهما إلى قصرهما الخاص معززتين ومكرمتين ، وأوصى الأمير ميرا بهما خيرا ، فانطلق ميرا وربيعة إليهنّ وعزاهنّ وهو يقول : يا سيدتي أنت تعرفين أكثر مني أنّ زوجك قتل أبي وأمي وأفراد أسرتي .. فكان القصاص العادل وهذا القصر هو لكما ولن نصادره .. ويعرض الأمير القائد عليكما الرحيل لبلاده إذا رغبتما بذلك أجابت الأم : نشكره على عطفه وشفقته .. نحن نرغب بالبقاء في بلادنا إلا إذا كنتم تكرهون لنا ذلك .. فنحن على استعداد للرحيل .
فقال ربيعة : هي بلدكم كما هي بلدنا فابقوا على الرحب والسعة .. ولكن نحذركم من الغدر والخيانة ..
فوعدتاه خيرا ، فعادا للقائد وأخبراه برغبتهما في البقاء فقال : احسنا إليهما فالإحسان يأسر القلوب الطيبة .. ولا تزر وازرة وزر أخرى .. فيمكنك يا أمير ميرا بعد حين الزواج من الأميرة الصغيرة فتقضيان على الأحقاد الباطنة .
وأمضى القائد ثلاثة أشهر في ضيافة أهل المدينة ، ثم تركها عائدا لبلاده ، فخرج السلطان الجديد ووزيره ربيعة وقائد الحرس الجديد وأهل المدينة لوداعه مسيرة نصف نهار ، ثم تعانق الجميع وعاد أهل المدينة وكلهم آسف على فراق محررهم من قبضة الظلم والعدوان ، وبدأ الحاكم الشاب ووزيره ربيعة بتحسين أحوال المدينة ، فجمعت أموال السلطة السابقة وأعيد توزيعها على الناس المحتاجين ، ومن فقد متاعا وله عليه أمارة رد إليه ، وعادت السكينة تخيم على المدينة من جديد ، وعاد الحب والوئام بين الناس ، وقل الجشع والخوف والهرب ، فعاد السلام للقلوب المنكسرة ، وبعد سنوات عجاف شعر الناس بالأمان والعدل ، ثم تزوج الوزير ربيعة من أرملة الحاكم السابق وفرح بها ، وكانت امرأة عاقلة ، وتبين له أنها كانت امرأة مظلومة مع زوجها السابق ، وأنها تكرهه وتبغض أعماله وتتحمل آذاه من أجل ابنتها منه ، فلم يمض حين من الزمان حتى أقنع ربيعه مولاه السلطان بالزواج من ابنة السلطان القديم ، وكان ذلك بعد تردد وممانعة ، ثم عاش الجميع في وئام وتسامح ونسيان ما جلبه الظلم والطغيان على أهل هذه القرية من فقر ودمار .

أَشْأَمُ مِنَ البَسُوس

هي بَسُوس بنت منقذ التميمية خالَةُ جَسَّاس بن مُرَّة بن ذُهْل الشيباني قاتل كليب، وكان من حديثه أنه كان للبسوس جارٌ من جَرْم يقال له سعد بن شمس، وكانت له ناقة يقال لها سَرَاب، وكان كليب قَدْ حَمَى أرضاً من أرض العالية في أنف الربيع، فلم يكن يرعاه أحدٌ إلا إبل جساس لمصاهرة بينهما، وذلك أن جليلة بنت مرة أختَ جَسَّاس كانت تحت كليب، فخرجت سَرَابُ ناقةُ الجرمي في إبل جَسّاسٍ ترعى في حمى كليب ، ونظر إليها كليبٌ فأنكرها فرماها بسَهْم فاختلَّ ضَرْعها فولَّت حتى بركَتْ بفناءِ صاحبها وضَرْعُها يَشْخُب دماً ولبناً، فلما نظر إليها صرخ بالذل، فخرجت جارية البَسُوس ونظرت إلى الناقة فلما رأت ما بها ضَرَبَتْ يدها على رأسها ونادت: وَا ذُلاَّه، ثم أنشأت تقول:

لعمرك لو أَصْبَحْتَ في دار مُنْقِذٍ ** لما ضِيمَ سعدٌ وهو جارٌ لأَبْيَاتِي

ولَكِنَّنِي أَصْبَحْتُ في دار غُرْبَةٍ ** مَتَى يَعْدُ فيها الذئبُ يَعْدُ على شَاتِي

فيا سعدُ لا تُغْرَرْ بنفسكَ وَارْتَحِلْ * فإنَّك في قومٍ عن الجارِ أمْوَاتِ

ودُونَكَ أذْوَادِي فإنِّيَ عنهمُ * * لَرَاحِلةٌ لا يُفْقِدني بُنَيَّاتِي

فلما سمع جساس قولها سكنها وقال: أَيَّتُهَا المرأة ليقتلَنَّ غداً جملٌ هو أعظم عَقْراً من ناقة جارك، ولم يزل جساس يتوقَّع غِرَّةَ كليب حتى خَرَجَ كليبٌ لا يخاف شيئا، وكان إذا خرج تباعَدَ عن الحي، فبلغ جساسا خروجُه، فخرج على فرسه وأخذ رمحه واتبعه عمرو بن الحارث فلم يدركه حتى طعن كليبا ودَقَّ صُلْبه، ثم وقف عليه فقال: يا جساس اغثني بشَرْبَة ماء. فقال جساس: تركْتَ الماء وراءك، وانصرف عنه، ولحقه عمرو فقال: يا عمرو أغثني بشربة، فنزل إليه فأجْهَزَ عليه، فضرب به المثل فقيل:

المستجِيرُ بَعْمرٍو عند كربه ** كالمستجير من الرَّمْضَاء بالنار

قال: وأقبل جساس يركُضُ حتى هَجَم على قومه، فنظر إليه أبوه وركبته بادية فقال لمن حوله: لقد أتاكم جساس بداهية، قالوا: ومن أين تَعْرف ذلك؟ قال: لظهور ركبتيه فإني لا أعلم أنها بَدَتْ قبل يومها، ثم قال: ما وراءك يا جساس؟ فقال: والله لقد طَعَنْتُ طعنةً لتجمعن منها عجائز وائل رقصا، قال: وما هي ثكلتك أمك؟ قال: قتلت كليبا، قال أبوه: بئس لعمر الله ما جَنَيْتَ على قومك! فقال جساس:

تأَهَّبْ عنكَ أهْبَةَ ذي امتناعٍ ** فإن الأمْرَ جَلَّ عن التَّلاَحِي

فإني قد جَنَيْتُ عليك حَرْباً ** تُغصُّ الشيخَ بالماءِ القَرَاحِ

فأجابه أبوه:

فإن تَكُ قَدْ جَنَيْتَ علي حَرْباً **

فَلاَ وَانٍ وَلا رَثُّ السِّلاَح

سألبسُ ثَوْبَهَا وأذبّ عَنِّي * *

بها يَوْمَ المَذَّلةِ والفضاح

قال: ثم قَوَّضُوا الأبنية، وجمعوا النَّعَم والخيول، وأزمعوا للرحيل، وكان همام بن مرة أخو جساس نديماً لمهلهل بن ربيعة أخي كليب، فبعثوا جاريةً لهم إلى همام لتعلمه الخبر، وأمروها أن تسره من مهلهل، فأتتهما الجارية وهما على شَرَابِهما، فسارَّت هماما بالذي كان من الأمر، فلما رأى ذلك مهلهل سأل هماما عما قالت الجارية، وكان بينهما عهد أن لا يكتم أحدهما صاحبه شيئاً، فقال له: أخبرتني أن أخي قتل أخاك، قال مهلهل: أخوك أَضْيَقُ اسْتاً من ذلك، وسكت همام، وأقبلا على شَرَابِهما، فجعل مهلهل يشرب شُرْبَ الآمِنِ، وهمام يشرب شرب الخائف، فلم تلبث الخمرُ مهلهلا أن صَرَعَتْه، فانْسَلَّ همام فرأى قومه وقد تحملوا فتحمل معهم، وظهر أمرُ كليبٍ، فقال مهلهل لنسوته: ما دهاكن؟ قلن: العظيم من الأمر، قَتَلَ جساسٌ كليبا، ونَشِبَ الشر بين تغلب وبكر أربعين سنة كلها يَكون لتغلب على بكر، وكان الحارث بن عُبَاد البكري قد اعْتَزَل القومَ، فلما استحَرَّ القتلُ في بكر اجتمعوا إليه وقالوا: قد فَنِيَ قومُك، فأرسَلَ إلى مهلهل بجيراً ابْنَه وقال: قل له أبو بُجَيْر يقرئك السلام، ويقول لك: قد علمتَ أني اعتزلْتُ قومي، لأنهم ظَلَموك وخَلَّيتك وإياهم وقد أدركت وِتْرَكَ فأنشدك الله في قومك، فأتى بجيرٌ مهلهلاً وهو في قومه، فأبلغه الرسالَةَ فقال: من أنت يا غلام؟ قال: بجير بن الحارث بن عُبَاد، فقتله، ثم قال: بُؤْ بِشِسْعِ كليب، فلما بلغ الحارثَ فعلُه قال: نعم القتيلُ بجير إن أَصْلَح بين هذين الغارين قتلُه وسكنت الحرب به، وكان الحارثُ من أحلم الناسِ في زمانه فقيل له: إن مهلهلا قال له حين قتله بُؤْ بِشِسْعِ كليب فلما سمع هذا خرجَ مع بني بكر مقاتلا مهلهلا وبني تغلب ثائراً ببجير وأنشأ يقول:

قَرِّباَ مَرْبطَ النَّعَامَةِ منِّي **

إنّ بَيْعَ الكريمِ بالشِّسْعِ غَالِي

قَرِّباَ مَرْبِطَ النعامة مِنِّي **

لَقِحَتْ حَرْبُ وائِلٍ عن حِيَالِ

لم أكن من جُنَاتِهَا عَلِمَ اللّهُ * *

وإِنِّي بِشَرِّها الْيَوْمَ صَالِي

ويروى "بِحَرِّهَا" والنعامة: فرسُ الحارث، وكان يقال للحارث: فارس النَّعَامة، ثم جمع قومه والتقى وبنو تغلب على جبل يقال له قضة فهزمَهم وقتلهم ولم يقوموا لبكر بعدها. *



مشاهد تربوية
منشورات المكتبة الخاصة
كلام المكاتب
جمال شاهين
منشورات المكتبة الخاصة
مواقف ارشادية
الزمردة
حجر القمر
الجواهر العشر
جمال شاهين
منشورات المكتبة الخاصة
غربتي وابنتي
قصص المصباح المضيء
وهج الحرب
جمال شاهين
موقعة الثلاثة والعشرين
الفوارس
حضرم بن سلام
رُمان
القصر المهجور
قرشا ...
هو أنت لاجئ
عبد الله البحري
مملكة مالوتيا والملك بربار
الأميرة نهر الأحلام
قطبة بن سنان
الأمير جفر
التحقيق الجنائي والجريمة
صورة الأم
بصمة وراثية
رجل اسمه سنار
حسان والطير الذهبي
زهلول في أرض الجآن
وصية جديدة
مغامرة النادي
مصرع المدير
شارع البحيرة الخامسة
ليموت الماضي

قصص

المصباح

المضيء

الجزء ٥

٢٠٢٤

جمال شاهين

قلب الوطن

حكايات الفوارس

روايات اجتماعية

روايات جنائية

حديقة الازهار

جواهر القصص

قصص اخرى

المكتبة الخاصة

إعداد
جمال شاهين

قصص المصباح المضيء

الجزء الخامس

إبراهيم ﷺ

إبراهيم عليه الصلاة والسلام خليل الله ورسوله، نبي مرسل، له تاريخ كفاح طويل في الدعوة، لم يخشَ الطواغيت، بل تحداهم وتحدى عقائدهم وأصنامهم، أتاهم بالحجة والبرهان على عبادة الله الواحد الأحد خالق البشر والأكوان، ، وُلد إبراهيم عليه السلام في مدينة (أور) ، ووالده آزر صانع الأصنام الشهير، وورد أن اسم والده تارخ أو تارح عند المؤرخين، لكن هذا لا يردُّ صريحَ النص القُرْآني :﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ وكانت نشأةُ إبراهيم عليه السلام نشأة منكرة لعادات قومه منذ صباه، ، وكان دائم التفكير والتأمل في هذا الكون وخالقه، إنه كون واسع كبير فوق قدرة الإنسان وتخيله، تأمَّل وفكَّر وقال: من أجرى هذه الشمس ونور ذاك القمر، ونثر هذه النجوم على صفحة السماء وفيها مجموعات متميزة سابحة لا تود تغيرًا أو انفكاكًا؟ وراح في تأملاته ليصل بالفكر النقي إلى الحقيقة التي ارتاح لها فؤاده، فأشرق النور فيه، وانبعث فيه حياة جديدة أوصلته إلى أن هذا الكون من صنع إلهٍ واحد لا شريك له، ﴿ وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ *فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ *فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ *فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَاقَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴾ لقد بدأ إبراهيم مع قومه بداية عقلانية، فيها مبدأ التسليم لما يقولون ثم نقضه بالدليل والبرهان، وقد كانوا يعبدون الكواكب والشمس والقمر، حيث مثلوا لكل منها شكلًا معينًا من الأصنام، والكواكب التي كانوا يعبدونها هي الكواكب المضيئة السيارة، مثل: الزُّهَرة، وتظهر في أول الليل عند الغروب، وكانت المقصد الأول، ﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا ﴾ والزُّهَرة شديدة اللمعان متلألئة، تغرب بعد غروب الشمس بساعة أو أكثر قليلًا، فقال لهم: تعبدونها على أنها إله، انتظِروا، وما هي إلا ساعة حتى أَفَلَتْ وغابت عن الأنظار، فالتفت إلى قومه وقال :﴿ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ ﴾ ، فلو كانت إلهًا لما غابت، وبعد غيابها بقليل ظهر القمر بدرًا، والقمر يكون مكتملًا في ليالي أربعَ عشرة، وخمس عشرة، وست عشرة، ثم فيما بعد من الليالي يبدأ بالتناقص رويدًا رويدًا، لكن في ليلة أربعة عشر يظهر القمر من الشرق قبل غروب الشمس، وفي ليلة خمسة عشر يظهر القمر بعد الغروب، وفي ليلة ستة عشر

يظهر القمر بعد الغروب بأكثر من ساعة، والظاهر أن إبراهيم عليه السلام كان مع قومه في هذه الليلة، بحيث ما كادت الزهرة تغيب حتى ظهر القمر من الشرق، ﴿ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي ﴾ فأشار إلى القمر بعد أن أسقط بالبرهان كوكب الزهرة، وهكذا ظهر القمر بنوره الوضيء، بحيث خفت بالنسبة لضيائه ضوء النجوم، واستمر القمر مبحرًا من شرقي السماء إلى غربيها، ثم غاب ضوءُه قبل بزوغ الشمس، وعم الظلام في الأرض، وبرهن لهم أن من يزول لا يكون إلهًا، فأسقط عبادة القمر، وفي الصباح بزغت الشمس، وظهرت عند الأفق الشرقي بحجم كبير مذهل، ثم ارتفعت واشتد ضياؤها، فقال: هذه الشمس أكبر وأشد ضوءًا، فلتكن عند زعمكم ربًّا، وانتظروا، وعند الغروب ضعف الضوء، ثم هوت للمغيب، وعاد الظلام حالكًا، فالقمر ليلة سبع عشرة لن يظهر ليضيء الكون إلا بعد أكثر من ساعتين، حيث يتأخر ظهور القمر كل ليلة عن التي قبلها بمقدار أربعٍ وخمسين دقيقة، وهنا صرخ إبراهيم بأعلى صوته :﴿ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴾ ، هذه كلها مخلوقات، ومن الخطأ الفادح توجيه العبادة لها، وإنما العبادة الخالصة لخالقها خالق هذا الكون وما فيه، والظاهر أن هذه البراهين ذهبت أدراج الرياح؛ لعدم اقتناع العقول المتحجرة بما نقضه من ضعف آلهتهم وتلاشيها؛ لذلك أخبرهم بأنه مخالف لهم، ومفارقهم في العبادة، فقال :﴿ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ ، وفي فترة هدوء وتأمل في هذا الكون البديع، وقد تجلت قدرة الخالق فيما خلق، قال إبراهيم عليه الصلاة والسلام :﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ ، لم يتأخر إبراهيم في القيام بهذا العمل ليرى عيانًا قدرة الله على إحياء الموتى، لا لشك في قدرة الله؛ فقد أوتي إيمانًا لا يرقى إليه شك، تزول الأرض والجبال ولا يزول، وذكر أنه أخذ أربعة طيور: طاوس، وديك، وحمامة، وغراب، فذبحهن ومزق لحومهن وخلطها بعضها ببعض، ثم نثرها فوق أربعة جبال، ووقف بعيدًا فناداهن، وقيل: حبس رؤوسها عند قدمه، ثم دعاهن – أي قال لها أن تعود كما كانت باسم الله الأعظم – فاجتمعت أجزاؤها متناثرة في الفضاء حتى تشكلت كما كانت، ولكن بغير رؤوس، فاقتربت من إبراهيم وأفرج عن الرؤوس فانطلق كل رأس إلى جسمه المحدد، وعادت كما كانت حية تطير، وهنا فإن إبراهيم لعِظَم ما شاهد انطلق

في الدعوة قويًّا، مطمئن القلب، موقنًا بنصر الله، وعبارة :﴿ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ ﴾ [البقرة: ٢٦٠]، ليست شكًّا في إيمان إبراهيم، والهمزة هنا ليست للاستفهام الذي يفيد الشك، ولكنها استفهام يفيد اليقين، لذلك قال :﴿ يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ﴾

مِن هذه البداية بدأ الصراع العقدي بين إبراهيم وقومه، وعُرف عنه مخالفتهم ومفاصلتهم في هذه الناحية، ومع ذلك كان يقوم بواجبه في تبليغ الدعوة، وعدم السكوت عما يقترفونه من مخالفات :﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ *إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ ﴾ ؛ فالله – سبحانه وتعالى – وهَبَه النُّضج العقلي والرشد والإقناع، فانطلق نحو أبيه مخاطبًا له برقة، ويطرح عليه أسئلة فيها عتاب واستنكار، ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا *إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَاأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا ﴾ هذه الأصنام أنت تنحتها وتشكلها بيديك، من خشب أو صخر، وأنت تعرف أنها لا تسمع ولا تبصر، ولا تدفع عنها ولا عن غيرها شرًّا ولا أذى، وقد ألان له القول ورقق العبارة في مخاطبته، متخذًا الأبوة مقدمة لخطابه؛ ليكسب عطفه وسرعة الاستجابة لدعوته، مخبرًا إياه أنه مكلف من الله تعالى بهذه الدعوة؛ ليوصلهم إلى الصراط السوي، وينقذهم من سوء العذاب :﴿ يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ﴾ وكان وقع الكلام على والده قويًّا ومزلزلًا، لم يكن يستطيع أن يجمع قواه وفكره للرد أو التصدي، بل كان يستمع شبه مندهش للنصح ولهذه الأقوال التي لم يكن ليسمعها من قبل، خصوصًا من إبراهيم، فما الذي دهاه يشن هذا الهجوم على المقدسات ويعرِّيها ويكشف وهنها؟ واستمر يذكر الأبوة لتحريك وجدان والده :﴿ يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا ﴾ ، وبعد تعرية الأصنام أشار إلى غواية الشيطان وعداوته للإنسان وعصيانه للرحمن، وأن عبادة الأصنام هي طاعة للشيطان وعبادة له؛ لأن مراده إغواء بني آدم وإبعادهم عن رضوان الله، وسوقهم زمرًا زمرًا إلى النار :﴿ يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ﴾ ، وتابَع إبراهيم تصعيد الخطاب شيئًا فشيئًا، وفي كل جولة كان يعري الأصنام ويكشف زيفها وبطلان عبادتها، هل اقتنع والده بهذا الخطاب، وعدَّ وَصْف الأصنام الذي وصفها به إبراهيم صحيحًا، وقرر العودة إلى الرشاد والصواب؟ ما هذه التماثيل التي تحيطونها بهالات التقديس وتتجمعون حولها للعبادة؟ ماذا جلبت

لكم من الخير والسعادة حتى تستحق منكم هذا العكوف والتقديس؟ لم يكن عند آزر جواب مقنع وجدال يقارع الحجة بالحجة والبرهان بالبرهان، وإنما كان التعصب باديًا في لهجة خطابه :﴿ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا ﴾ ، كان الرد عنيفًا وغير مبني على جدال منطقي فيه إقناع، بل لعله أراد أن يسكت ابنه؛ لاعتقاده أنه تطاول على الأصنام، مهددًا إياه بالرجم والطرد والمفارقة، لم ييئَس إبراهيم من موقف والده، فليست سوى جولة واحدة ستعقبها جولات، ﴿ قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴾ لذلك أبقى على خيوط الود موصولة مع والده على أمل العودة، لكن هذا الصد لم يَثْنِه عن الاستمرار في دعوته، بأن يتخذ صدود والده ذريعة للكف عن الدعوة، على اعتبار أن أقرب المقربين إليه رفضها، فمن باب أولى أنهم سيرفضونها، لكن شيئًا من هذا لم يحدث، بل زاد إصرارًا على السير بطريق الدعوة؛ إنقاذًا لهؤلاء الجاهلين من النار، فلنتابع هذا الموقف الرائع في الجدل بين إبراهيم عليه السلام وقومه :﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ ﴾ ، سؤال استنكاري – وهو يعرف ما هي – يريد أن يدخل معهم في حوار من خلال إجابتهم؛ كي يعريها أمامهم من أية هالة قدسية أضفوها عليها؛ ليظهر بعد ذلك عجزها، فكانت الإجابة :﴿ قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ ﴾ ، أهذا ما دعاكم لعبادتها؟ هل فكرتم فيما كان عليه آباؤكم من صواب أو خطأ؟ وهل عبدوها لميزة ما؟ أكانت تمنحهم الرزق وتشفيهم من المرض وتسبغ عليهم النعيم والهناء والسرور؟ أجربتم في سنة جدباء أن تستغيثوا بها فساقت لكم الأمطار مدرارًا؟ ﴿ قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ ، ضلال وتِيهٌ واضح، فما الذي جعلكم تستمرون على هذا الخطأ؟ !﴿ قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ ﴾ لقد دهشوا لقوله، وظنوا أنه يمازحهم؛ لأن هذا الذي هم عليه من العكوف على التماثيل مقدَّس، لا يجرؤ أحد على الخوض فيه، فكانوا إلى ذلك الوقت مقتنعين بما هم عليه من تقليد الآباء، لكن الرد الجاد من إبراهيم عليه السلام كان مؤكدًا على خطئهم وموضحًا لهم الطريق الحق الذي ينبغي أن يسلكوه، ﴿ قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَى ذَلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴾ ، الله هو الذي خلق هذه السموات وهذه الأرض، وليس – كما تزعمون – هذه الجمادات التي تصنعونها وتضعونها في المعابد، وأنا شاهد على ذلك، وعندي البراهين لو شئتم، لقد أرسلني الله إليكم؛ لأبين لكم هذه الحقائق التي

غابت عنكم بسبب عمى القلوب، وتقليد الآباء بلا تمييز أو مناقشة عقلانية بما يفعلونه، وطلبوا منه بيان المزيد عن ربه الذي أرسله إليهم، فقال : ﴿ قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ *أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ *فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ *الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ *وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ *وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴾ هذه قناعتي، وهذا هو ربي الواحد الأحد، خالق هذا الكون وخالقي وخالقكم، مَن له هذه الصفات هو الذي يستحق العبادة لا أصنامكم، فعندما سألتكم: ما تعبدون؟ كان جوابكم : ﴿ قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ ﴾ ، وهنا انبرى لهم معنفًا على سوء جهلهم وعدم تمييزهم بين من يستحق العبادة ومن هو جماد لا يحس ولا ينطق، ﴿ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ *أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴾ يا خيبة لكم على هذا التفكير وهذه العقول التي هي أدنى مرتبة من الحيوان، ولما تبين له هذا العناد وانغلاق الفهم والإصرار على التمسك بما ورثوه عن الأجداد، أراد أن يبرهن بالدليل القاطع على ضعف هذه الأصنام ووهنها أمام قاصديها بالعدوان :﴿ وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ ﴾ ، فتوعَّد أصنامهم بالكيد لها، ولكن إيمانه بربه قوي راسخ لا يتزعزع مهما تمادى قومه في الإيذاء، وانتظر فرصة مواتية يغادر فيها قومه المعبد، وتحيَّن بفارغ الصبر انفراده بأصنامهم، فجاء عيدهم وهلت احتفالاتهم به، وفيه يجتمعون في ساحة عامة لإقامة مهرجانهم ثم يختمون عيدهم بتقديم القرابين لآلهتهم، فكانت هذه فرصة إبراهيم للكيد من أصنامهم مثلما توعدهم به، ولم ينسوا دعوته في العيد ليخرج معهم ويشاركهم أفراحهم، ﴿ فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ *فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ *فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ ﴾ فتذرَّع بالمرض كيلا يخرج معهم؛ وذلك لأمرين، أولهما: أنه لا يريد مشاركتهم في عيد الضلال، والثاني: تنفيذ ما عزم عليه بالكيد للأصنام، ﴿ فَرَاغَ إِلَى آلِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ *مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ *فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ ﴾ يا لها من جرأة فيها قوة وعزم يريد بها أن يصدم هؤلاء السادرين في سباتهم الفكري العميق، فلعله يوقظهم ويُحدِث عندهم صحوة في التفكير، فيصِلون إلى الحقيقة؛ ﴿ فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ } لقد حطمها وفق خطة مدبرة وحكمة بالغة لها ما بعدها؛ لذلك أبقى على أكبرها حجمًا، لا لعجز عن تحطيمه، وإنما لاستخدامه ورقة برهان على تسفيه عقولهم، ﴿ قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ ، لقد دخل القومُ مبتهجين حاملين القرابين لآلهتهم وهم

يتضاحكون ويترنمون بالأهازيج الدينية التي تقربهم من الآلهة، وإذا بهم يجِدون المعبد على حالة أطارت عقولهم نتيجة الفوضى وتناثر الحطام، وأيقنوا أن أحدًا قد عبث بمعبدهم، وارتكب بحقه جرمًا عظيمًا، وإنه لمن الظالمين، لكن غرابتهم كانت أشد عندما رأوا كبيرهم سالمًا وفي يده أو عنقه الفأس أداة الجريمة التي حطمت الأصنام، ثم بدؤوا يناقشون الأمر ويتساءلون: من هو مرتكب الجريمة يا ترى؟ من أقدم على هذا الفعل، ومن له مصلحة في إيذاء الآلهة؟ بالطبع لا يوجد إلا متهم واحد عاب الأصنام وذكرها بسوء وطلب نبذها وتحطيمها، ﴿ قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ ﴾ ، ومعنى يذكرهم: يعيبهم ويستهزئ بهم ويدعو إلى تحطيمهم ووأدهم، ﴿ قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ *قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴾ ، وعمل هنا نظام الملك على بث عيونه لإحضار إبراهيم ومساءلته عن حادث المعبد، وفي الحال أحضر إبراهيم إلى المعبد وقد تجمع الناس في حشد كبير وهم مترقبون ومتلهفون لمعرفة اليد الآثمة التي امتدت بالعنف إلى آلهتهم، فكنت تراهم ما بين مستنكر وغاضب ومتحمس ينادي بالانتقام من الفاعل، ﴿ قَالُوا أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ *قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ ﴾ ألا ترون الجاني؟ هو هذا الذي لا يزال يمسك بالفأس، كل الأصنام محطمة إلا هو، ولو كان الجاني غير هذا لشمله التحطيم، فاعتذروا من إبراهيم عن شكهم به، وقالوا: نعم، هذا كبير الآلهة، علينا أن نتجه إليه ونسأله عما حدث، ولما اقتربوا منه صدمهم الواقع، هذا جماد لا روح فيه، ولا حس له، ولم يحدث في يوم من الأيام أن تكلمت الأصنام، ، ﴿ ثُمَّ نُكِسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ ﴾ ، وكان ينتظر منهم هذا الاعتراف، وكانت خطته مبينة للوصول إلى هذه الحقيقة لينطقوا بها على ملأ من الناس؛ لذلك انبرى لهم بقوة مستغلًّا هذا التخبط الذي وقعوا فيه، ﴿ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِّ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ *أُفٍّ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِّ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ ، ألم تعترفوا بأنهم لا ينطقون؟ أليس هذا من صفات الجماد؟ أين عقولكم لكي تميز؟ فلماذا تحطون من شأنكم بهذا الاعتقاد الدنيء؟ عليكم أن ترتقوا بالتفكير، ، لكن كلمات الحق دائمًا تضيع أمام الغوغاء والمتنفذين الذين يحققون مكاسبهم وزعاماتهم من طمس الحقيقة، والعمل على توجيه الغوغاء للعبِّ من شراب الخبال، فيرى الباطل حقًّا، والحق باطلًا، وهكذا انطلق صوت المنتفعين ومن ورائهم

الغوغاء ليطمس صياحهم وضجيجُهم كلَّ كلمة حق تقال، فقد عرفوا لعبة الهيمنة ووأد الحق في مهده، فانطلق صوتهم قاطعًا كل حوار :﴿ قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانْصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ﴾ وانطلقت هذه الصيحات الرعناء التي خفَتَ معها صوت الحق، وضاعت معها خطط إبراهيم في إنقاذ هؤلاء العُمْي من النار، فكان جزاؤه منهم الإحراق بالنار، ولكن رب إبراهيم القادر على كل شيء لم ينسَ إبراهيم من رحمته؛ فهو الحامي له، فلن يترك إبراهيم ليحرقه أهل الضلال، وكانت المعجزة الكبرى أمام الخَلْق، ﴿ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ ﴾ ، وتتجلى قدرة الله في حماية عبده ونبيه إبراهيم، فكانت كلمة)كن(، التي حوَّلت ضرام النار إلى برد وسلام، أي: برد غير مؤذٍ، فالله الذي أعطى للنار حرارتها لحاجة أهل الدنيا إليها سلبها هذه القوة لحاجة إبراهيم إليها، فكانت عليه بردًا وسلامًا، لقد سعى عباد الوثن إلى جمع الحطب لإحراق الحق انتصارًا للباطل، فشارك في جمعه الكبير والصغير حمية للأصنام وتقربًا منها وانتصارًا لها، وهكذا كان للباطل صولة، أغلبية ساحقة انتصرت للشر ضد نبي مصلح، همه إنقاذ الناس مما هم فيه من الضلال ومن عذاب النار، هكذا كان قرار الأغلبية التحريق والتخلص من النبي المصلح، وهل قرار الأغلبية يكون دائمًا لصالح الخير؟ إنهم يجهزون على الخير ويعينون قوى البغي والشر، فالمنهج هو الأهم لا قرار الأغلبية، ﴿ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ ﴾ ، وهل يربح مَن يكون مصيره إلى النار، ولم يقل: الخاسرين، بل جاءت بصيغة المبالغة؛ لأنها خسارة عظمى، فلو خسر الإنسان شيئًا دنيويًّا لكان خاسرًا، أما خسارته الجنة فهو الأخسر، ولما رأى ملك الضلال نمرود الذي أمر بإحراقه أن إبراهيم قد مكث في النار مدة قاربت الشهرين ريث أن خمدت وتكشفت عن روضة كان فيها إبراهيم منعمًا فخرج منها سليمًا معافى، بهت النمرود، وقال لإبراهيم: إن إلهك الذي بلغت قدرته وعزته ما أرى لكبير، خبرني ما هو؟ ﴿ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ ﴾ ، وهو يقصد الإحياء ابتداءً والإماتة التي كتبها على كل إنسان بأجل معلوم، فكان رد نمرود وفق فهمه السقيم، ﴿ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ ﴾ فهذا كما ادعى سهل، فأحضر اثنين من السجناء محكوم عليهما بالموت، فقال لأحدهما: اذهب فقد عفوت عنك، وقدم الآخر فقتله، وفهم إبراهيم مدى جهله في التفكير، فقال للنمرود :﴿ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ ﴾ لم يقُلْ له في الأولى: أنت جاهل لا تفقه معنى ما أقول، فكأنه سلم له في الأولى، ثم جرَّه إلى الأمر الأصعب؛

﴿ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾

ثم كف عن إبراهيم، ومنعه الله منه، وغادر إبراهيم العراق ولم يؤمن معه بعد كل هذا الجهد إلا ابنُ أخيه لوط عليه السلام.

قصص من السنة

جرة الذهب

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ «اشْتَرَى رَجُلٌ مِنْ رَجُلٍ عَقَارًا لَهُ، فَوَجَدَ الرَّجُلُ الَّذِي اشْتَرَى الْعَقَارَ فِي عَقَارِهِ جَرَّةً فِيهَا ذَهَبٌ، فَقَالَ لَهُ الَّذِي اشْتَرَى الْعَقَارَ: «خُذْ ذَهَبَكَ مِنِّي، إِنَّمَا اشْتَرَيْتُ مِنْكَ الْأَرْضَ وَلَمْ أَبْتَعْ مِنْكَ الذَّهَبَ». وَقَالَ الَّذِي لَهُ الْأَرْضُ: «إِنَّمَا بِعْتُكَ الْأَرْضَ وَمَا فِيهَا». فَتَحَاكَمَا إِلَى رَجُلٍ، فَقَالَ الَّذِي تَحَاكَمَا إِلَيْهِ: «أَلَكُمَا وَلَدٌ؟». قَالَ أَحَدُهُمَا: «لِي غُلَامٌ». وَقَالَ الْآخَرُ: «لِي جَارِيَةٌ». قَالَ: «أَنْكِحُوا الْغُلَامَ الْجَارِيَةَ وَأَنْفِقُوا عَلَى أَنْفُسِهِمَا مِنْهُ وَتَصَدَّقَا». خ والعَقْد إِنَّمَا وَقَعَ بَيْنَهمَا عَلَى الْأَرْض خَاصَّة، فَاعْتَقَدَ الْبَائِع دُخُول مَا فِيهَا ضِمْنًا، وَاعْتَقَدَ الْمُشْتَرِي أَنَّهُ لَا يَدْخُل. من عبر القصة: إذا وَجد الإنسانُ مالًا مدْفُونًا يُمْكِنُ معْرِفةُ أصحابِهِ، بأنْ يكونَ مدْفونًا مِن عَهْدٍ ليس بالبعيد، فحكمه حكم اللُّقَطَة: يجب البحثُ عن أصْحَابِه، ودَفْعُ المالِ لهم. فإذا كان العهدُ بعيدًا ، ولا يُعرف أصحابُه بحَال، فهُو كَنْزٌ يملِكُه مَن عَثَرَ عليه بعد أن يُخرجَ مِنْهُ الخُمسَ: ٢٠٪.

دعوة أم

وروى مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «كَانَ جُرَيْجٌ يَتَعَبَّدُ فِي صَوْمَعَةٍ فَجَاءَتْ أُمُّهُ ـ قَالَ حُمَيْدٌ: فَوَصَفَ لَنَا أَبُو رَافِعٍ صِفَةَ أَبِي هُرَيْرَةَ لِصِفَةِ رَسُولِ الله ﷺ أُمَّهُ حِينَ دَعَتْهُ: كَيْفَ جَعَلَتْ كَفَّهَا فَوْقَ حَاجِبِهَا، ثُمَّ رَفَعَتْ رَأْسَهَا إِلَيْهِ تَدْعُوهُ. فَقَالَتْ: «يَا جُرَيْجُ أَنَا أُمُّكَ كَلِّمْنِي». فَصَادَفَتْهُ يُصَلِّي، فَقَالَ: «اللَّهُمَّ أُمِّي وَصَلَاتِي»، فَاخْتَارَ صَلَاتَهُ فَرَجَعَتْ، ثُمَّ عَادَتْ فِي الثَّانِيَةِ فَقَالَتْ: «يَا جُرَيْجُ أَنَا أُمُّكَ فَكَلِّمْنِي»، قَالَ: «اللَّهُمَّ أُمِّي وَصَلَاتِي»، فَاخْتَارَ صَلَاتَهُ، فَقَالَتْ: «اللَّهُمَّ إِنَّ هَذَا جُرَيْجٌ، وَهُوَ ابْنِي وَإِنِّي كَلَّمْتُهُ فَأَبَى أَنْ يُكَلِّمَنِي، اللَّهُمَّ فَلَا تُمِتْهُ حَتَّى تُرِيَهُ الْمُومِسَاتِ». وَلَوْ دَعَتْ عَلَيْهِ أَنْ يُفْتَنَ لَفُتِنَ. وَكَانَ رَاعِي ضَأْنٍ يَأْوِي إِلَى دَيْرِهِ، فَخَرَجَتْ امْرَأَةٌ مِنَ الْقَرْيَةِ فَوَقَعَ عَلَيْهَا الرَّاعِي فَحَمَلَتْ فَوَلَدَتْ غُلَامًا فَقِيلَ لَهَا: «مَا هَذَا؟» قَالَتْ: «مِنْ صَاحِبِ هَذَا الدَّيْرِ». فَجَاءُوا بِفُؤُوسِهِمْ وَمَسَاحِيهِمْ فَنَادَوْهُ فَصَادَفُوهُ يُصَلِّي فَلَمْ يُكَلِّمْهُمْ. فَأَخَذُوا يَهْدِمُونَ دَيْرَهُ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ نَزَلَ إِلَيْهِمْ، فَقَالُوا لَهُ: «سَلْ هَذِهِ». فَتَبَسَّمَ ثُمَّ مَسَحَ رَأْسَ الصَّبِيِّ، فَقَالَ: «مَنْ أَبُوكَ؟» قَالَ: «أَبِي رَاعِي الضَّأْنِ». فَلَمَّا سَمِعُوا ذَلِكَ مِنْهُ قَالُوا: «نَبْنِي مَا هَدَمْنَا مِنْ دَيْرِكَ بِالذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ»، قَالَ: «لَا،

وَلَكِنْ أَعِيدُوهُ تُرَابًا كَمَا كَانَ، ثُمَّ عَلاَهُ».

التحقيق الجنائي والجريمة

شارع البحيرة الخامسة

الحلقة ٢

الفصل الرابع

بعد أن اجتمع عوني المحقق مع مدير الأمن العام ، وحدثه عن الجريمة والمعلومات المتوفرة بين يديه ، غادره متوجها إلى موقع شركة الحماية الخاصة التي يديرها لواء متقاعد من المباحث " نهري بريش " ، فاستقبله المدير استقبالا حسنا ، وقال :

أهلا بالرائد عوني بصارة أعلمني مديرك أنك المكلف بالتحقيق الآن في هذه القضية ؟

ـ أجل ، يا سيدي .. وأعلمني المدير أن حضرة الدكتور جميل كان على وشك أن يوقع على عقد حماية معكم ..هل ـ يا سيدي ـ حدثك بشيء يمكن أن يساعد على كشف غموض هذه الجريمة؟!

تمهل اللواء نهري قبل الإجابة ثم قال : الأشخاص المتواجدون على مسرح الجريمة هل ثبتت براءتهم ؟

ـ نحن لم نتهم ، ولم نبرئ ، الأمر غامض جدا .. فما زلنا نتحرى عنهم ، فمع وجودهم على مسرح الحدث فلا دليل يدل الآن على ارتكاب أحدهم للجريمة .. لأن الدافع للجريمة ما زال مجهولا .. وأقوى الشبهات تحوم حول الخادم .. خادم الدكتور ولكن السبب ، لا يوجد لديه سبب يدفعه إلى القتل.. وليس هو بالذكاء الذي يخطط لمثل هكذا جريمة .. بل مصلحته الآن في بقاء سيده حيا .. وإذا خطط له ، ودفع له مال مغري.. فمن هو المخطط والدافع له ؟ .. لحساب من يقتل ؟ هذا ما زال مجهولا .. وأنت يا سيدي ما عندك ؟

ـ قبل سفر الدكتور الأخير اتصل بي .. فأنا أعرفه منذ كنت في الخدمة الشرطية.. ثم التقينا .. وأخبرني أنه يرغب بحارس شخصي له .. ويريده حارسا محترما ليس كحارس مصنع أو مؤسسة.. وهمس لي بأنه بدأ يحس بخطر مجهول على حياته ؛ ولكنه لم يحدد لي نوع الخطر .. وهذا النوع من الحراسة غير متوفر لدينا .. الحراسة الشخصية .. ثم أجلنا الموضوع ريثما يرجع من سفره .. ولما رجع صباح أمس كلمني صباحا في الموضوع .. ثم تكلمت معه بعد الظهر..

قال عوني : عفوا يا سيدي هل اتصلت به بعد السادسة مساء ؟

ـ الحق أنني تكلمت معه مرتين ، مرة بعد الظهر في مكتبه في المركز ، والثانية بعد السادسة على ما أذكر

فقال عوني : الخادم صدقي عمران يقول إنه أدخل له القهوة بعد السادسة فوجده يتكلم بالهاتف ، فلما دخل صدقي عمران كان قد أنهى المكالمة وبعد

دقائق رن الهاتف مرة أخرى فرفع السماعة وقد صرف الخادم .. فهل تذكر يا سيدي كم كانت الساعة بالضبط عندما اتصلت به ؟

ـ بالضبط لا أذكر .. أما أكيد بعد السادسة وقبل السادسة والنصف ، وكان حديثنا في المرتين حول استئجار حارس أجنبي من فرنسا أو أمريكا .. ولكنه أبى ذلك وقال إنه يرغب بحارس عربي ممن خدم مع القادة والأمراء والشخصيات الرسمية الكبرى ، ثم وعدته أن أحقق رغبته في أقرب وقت وانقطع الاتصال.. ولكنه كما بدا لي أثناء حديثنا في هذا الموضوع أنه يعاني من خوف شديد ؛ ولكنه لم يفصح بذلك صراحة ..ولم يفصح أيضا بشيء يساعدك في كشف غموض هذه الجريمة.

ـ حتى سكرتيره الدكتور فرج حسيب قد علم برغبته باستئجار حارس خصوصي ، ولكنه كان يظن أن ذلك من باب المحاكاة والتقليد لرجال الأعمال الكبار .. وأنا لما أخبرني المدير العام للأمن ظننت أن أعود من عندكم بكم هائل من المعلومات يا سيدي الفاضل.

ابتسم اللواء المتقاعد نهري قائلا : آسف آسف.. أنا لم أقل للمدير إلا أن الرجل كان يحس بخطر مجهول دفعه للبحث عن حارس خاص .. وأنا طلبت لقاءك لأمر آخر..

فضحك الرائد عوني وقال : خير ـ إن شاء الله ـ خير

ـ خير بالتأكيد .. نحن يا سيدي الرائد .. كما تعلم شركة أمنية خاصة .. مهمتها الرئيسية توفير الحراس ورجال الأمن المدنيين للمؤسسات والشركات الكبرى.. وعندنا أيضا مكتب خاص للتحقيقات الجنائية والتحريات الخاصة .. وممن يستفيد من خدماته شركات التامين المختلفة الصور .. والدكتور جميل كان بينه وبين شركة التأمين " الأمان الوطنية للتأمين" عقد تأمين على الحياة بمبلغ كبير يزيد عن مائة ألف دولار أمريكي .. وهذا المبلغ أصبح الآن من حق الورثة .. وهم أبوه وأخته وأخوه .. فلما علم مدير شركة التأمين بمصرع الدكتور جميل اتصل بي وكلفنا بمهمة البحث عن القتلة أو القاتل .. وأنا بدوري اتصلت مع المدير العام للأمن وأطلعته على الأمر.. وقلت له : بدل أن تتبعثر جهودنا في التحريات ، فليكن هناك تعاون بين الضابط المكلف بمتابعة الجريمة والتحري من عندنا وهو من زملائك القدماء .. بالطبع التحقيق بالأمور المشتركة التي تخص الجريمة ، وليست من اختصاص الدائرة .. بمعنى آخر تسمح له بمعاينة مسرح الجريمة ، والاطلاع على تقرير الطب الشرعي ، ومحاورة أصدقاء الدكتور .. تعاون من أجل الوصول للجاني .. فهذا السبب الأهم للاتصال بك يا

حضرة الرائد

فكر عوني وقال : جميل هذا.. المدير العام على علم بذلك ؟

ـ نعم .. والهدف الوصول للجاني الأثيم..

ـ من هو الضابط المكلف بالبحث عندكم في هذه الجريمة ؟

ـ عقيد شرطي متقاعد.

وضغط المدير على جرس أمامه فردت السكرتيرة قائلة : نعم ، يا سيدي

فقال نهري : أين أبو خالد؟

ـ خرج في مشوار إلى البقالة..

ـ حسنا .. أرسلي لي أبا أسماء الأستاذ جرير خالص.

ـ أمرك . وأغلقت الباب وراءها ، وبعد دقائق كان جرير خالص في مكتب المدير نهري وبعد تعارف بينه وبين الرائد عوني قال عوني : يا مرحبا بك سيد جرير .. لابد أن يكون لديك فكرة عن الجريمة.

فرد المحقق الخاص في شركة الحماية الخاصة : لقد قرأت كل ما كتبته الصحف الصادرة صباح هذا اليوم .. ولكن يسرني أن أسمع من الزميل الفاضل عوني.

فقص الرائد عوني القصة ، كما علمها منذ اتصال المحامي وليد بكرز ولغاية التحقيق مع الأشخاص الذين كانوا على مسرح الجريمة وختم أقواله قائلا : وسأسمح لك بالتأكيد الاطلاع على محاضر الاستماع للشهود..

فأبدى جرير شكره ، وطلب من عوني الإذن له بزيارة غرفة الجريمة فقال عوني : هل تحب أن تذهب وحدك أم أرافقك ؟

ـ مرافقتك أفضل .. حتى نسمع ملاحظاتك ..

إذن نلتقي في الرابعة مساء في شارع النهر العظيم حي الشجرة أمام فيلا المغدور الدكتور جميل أسعد عازلي.

فكر عوني قليلا ثم أجاب : جيد يكون الأهل قد انتهوا من دفن الجثمان.

ـ متى تسمح لنا بقراءة تقرير الطب التشريحي للجثة ؟

ـ الليلة أيضا ..والآن اسمحوا لي بالانصراف.

فقام اللواء المتقاعد نهري ، وكذلك العقيد المتقاعد جرير يصافحان الرائد ويشكرانه على تعاونه فقال المدير بعد ذلك : لا بأس أن تتحدث مع مديرك في الأمر حتى يطمئن قلبك نحونا . وضحك الجميع وقال عوني : العفو .. أيها السادة .. ما دام المدير أرسلني إليك ؛ فإنه موافق على تعاوننا ، والغاية كما أشرت سابقا واحدة وهي تحقيق العدالة والوصول للجاني والجناة وتقديمهم للقضاة .. ولحتى الآن لا يوجد أسرار في القضية .. جريمة في وضح النهار تقريبا وبأعصاب باردة.

فقال جرير معلقا : يبدو مما حدثتنا به أنها جريمة محبوكة ، ولكن لابد أن نجد ثغرة ننفذ منها فمهما أوتى القاتل من ذكاء وفطنة فرجال الأمن والبوليس أعطوا من هذا الذكاء والدهاء.

وشكرهم عوني بدوره مجددا ، وعاد لدائرته وتحدث مع مديره وسأله عن مدى تعاونه مع شركة التحقيق ، فقال له المدير : أنت تقدر المناسب .. وأنت تعلم أن هذه الشركات رديف لأجهزة الأمن والمباحث .. هم يبحثون عن القاتل لأجل شركة التأمين حتى تحاول التخلص من قيمة التأمين أو التقليل منها .. ونحن يهمنا الوصول للقاتل من أجل إقامة العدالة وأمان المجتمع يا سيدي الرائد.

عاين الشرطي السابق جرير خالص مكتب الدكتور جميل الكائن في بيته، وتحدث مع الخادم صدقي عمران ، ثم غادرا المكان هو والرائد عوني حيث الأقارب والأصدقاء مشغولون للذهاب بالميت للمدافن حيث يوارونه الثرى بعد أن سمحت لهم الشرطة بنقل الجثة من المشرحة ، فقال جرير وهم يقتربان من سيارتيهما : ما رأيك بأن نلتقي غدا في مكاتب المؤسسة نسمع أقوال الموظفين والفراشين قد نجد شيئا هناك ؟

ـ كنت أفكر بذلك.. التاسعة صباحا نلتقي أمام العمارة .. ألا تريد زيارة المركز الأمني للاطلاع على بعض التقارير والتحقيقات ؟.

ـ سأفعل الليلة .. سوف أمر على مكتبك يا سيدي الرائد.

ـ أنا في انتظارك حتى الثامنة ليلا.

ـ أشكرك يا أخي .. قد أعود إلى هنا لأتحدث مع الخادم وأقدم العزاء للوالد.

ـ افعل ما تراه مناسبا .. نلتقي ليلا.

وصافحه ودخل سيارته ، وانطلق بها نحو مركز عمله ، وأما جرير فجلس في سيارته قليلا ثم قال لنفسه : لماذا لا أذهب معهم إلى المدفن لعلي أسمع شيئا ؟

بعد قليل تحركت السيارات في موكب جنائزي حزين حيث تتم إجراءات الدفن، لم يكن في رفقة الجنازة سيارات كثيرة .. موظفو المؤسسة وعلى رأسهم السكرتير فرج حسيب ، والدكتور خضر ، والمحامي وليد ، وبعض الأقارب ، وبعض أصدقاء الدكتور ، وبعض أنسبائهم ، وأما الوالد أسعد فلم يسير معهم ولا الخادم صدقي ، وكان مع الجنازة رجل أجنبي أدهش وجوده جرير فسأل عنه فقيل له " هذا الدكتور الفرنسي شارل برس " ، وعلم من بعض موظفي المركز أنه الدكتور الذي كان ينتظره على العشاء ، وعلم منه أنه كان قد وصل البلاد في الصباح صباح الاثنين من باريس ، وهم كانوا ينتظرون طائرته في الليل ،

وهذا أدهش جريرا بالطبع ، فلذلك لما التقى بعوني وحدثه عن ظهور شارل برس على المسرح ، وأنه كان في العاصمة من الصباح ، والجماعة ينتظرون مجيئه في المساء ، تفاجأ عوني من ذلك فدهش وقال متعجبا : لابد من مقابلته .. لماذا لم يتصل بالدكتور جميل يخبره بوصوله ؟! .. أم لم يعلم بوصول جميل ؟

ـ لا تنسى أن الدكتور كان موعده ليلا .. قد لا يعلم فعلا بوصول جميل للبلد صباحا أيضا.

ـ كان لابد أن يتصل بالمكتب في المركز أو ببيت الدكتور .. تصرفات غريبة .. الدكتور أرسل سكرتيره للمطار يسأل عنه في طائرة فرنسا السابعة ليلا ..نحتاج لمزيد من التحريات لجلاء غموض هذا الرجل ...فعمران والضيوف كانوا ينتظرون مجيء الرجل من المطار بصحبة فرج للعشاء سوية على مائدة الدكتور جميل.

ـ ما رأيك بالذهاب إلى الفندق الذي ينزل فيه شارل برس ونسمع منه قبل أن يغادر البلد ؟

فقال عوني وهو يفكر في الأمر : ولكنه من الرعايا الفرنسيس قد يحتاج الأمر إلى مخاطبة السفارة الفرنسية.

ـ ليس هناك تحقيق رسمي ، إنما هي دردشة عادية ، فلا تحتاج لمحضر ولا لسفارة.

ـ ألا تريد الاطلاع على محاضر التحقيق ؟

ـ تؤجل .. لا عليك .. المعلومات التي سمعتها منك تؤدي الغرض .. هيا.

وغادرا المركز الأمني إلى حيث ينزل الدكتور شارل في الفندق الكبير، وبعد اتصالات يسيرة كانوا يجلسون في صالة من صالات الفندق مع الدكتور العجوز شارل برس ، وبعد تعارف مناسب بينهم كان الحديث يجري بينهم باللغة البريطانية التي يحسنها الرجلان ، وكذلك العالم الفرنسي فقال عوني : أنا يا سيدي الدكتور الضابط المكلف في البحث عن مرتكب جريمة قتل صاحبك وصديقك الدكتور جميل أسعد .. ولقد علمنا أنكم ليلة أمس كنتم على موعد.

فرد شارل ببطء : نحن نعرف بعضنا البعض ولسنا أصدقاء .. تعرفت عليه منذ سنوات.. قد التقينا في بعض المؤتمرات وصار بيننا تعارف ومجاملات .. وقبل أيام التقيت به في باريس في مؤتمر علمي .. وأخبرته برغبتي بزيارة بلده ، فرحب بي وواعدني اللقاء مساء يوم الاثنين العاشر من إبريل ، وكنت فعلا قد حجزت على الطائرة الفرنسية مساء الأحد ، ولكن الشركة اعتذرت لي مساء الأحد أخبروني بإمكاني السفر صباح الاثنين أو مسائه ، فاخترت المساء ، وأخبرت الدكتور جميل بذلك فقال: سيكون أحد أفراد المركز في استقبالك وإحضارك للعشاء معي في البيت ،

ولكن بعد حين عادت الشركة التي حجزت لي وألغت حجز المساء ، وأبلغوني أنه يمكنني السفر برحلة الظهر ، فوافقت وأنا قادم إلى هنا بدعوة علمية من جامعة العلوم الجيولوجية ، وقد حجزت لي الجامعة في هذا الفندق.

فقال جرير : يا سيادة الدكتور .. أنت تعلم أن الدكتور جميلا عائد من روما صباح الاثنين.

ـ لا أعلم .. أيها الضابط .. أنا أعلم أن الدكتور سيرسل سكرتيره فرجا في المساء لينتظر قدومي في السابعة مساء ؛ لذلك اتصلت في السادسة والربع في مكتب جميل فقيل لي إنه غادر منذ ساعات للبيت وإن المؤسسة قد أغلقت وانصرف العاملون .. فاتصلت بمنزل الدكتور فلم يرد عليّ أحد..

فقال عوني مفكرا : لطفا .. متى كان الاتصال ؟

ـ بعد السادسة والربع عندما تكلمت مع مركز العمل ولم أجده .. حاولت الاتصال برقم آخر أعطانيه الدكتور.

ـ هل يمكننا الاطلاع على هذه الأرقام ؟

ـ إنها في الغرفة.

فقال جرير : إذا كان رقمه الخاص ـ الهاتف المستقل ـ فهذا يدل على أن مقتله كان بعد السادسة والربع وقبل السادسة والنصف .. هل لديك شيء يمكن أن يساعدنا في تحرياتنا يا سعادة الدكتور ؟

ـ ليس عندي شيء أقوله.

قال جرير : كم ستمكث هنا يا سيدي ؟

ـ أسبوع من أمس.

ـ أتسمح لنا إذا احتجنا شيئا أن نتصل بك ؟

ـ في المساء بعد العاشرة ليلا.

ـ شكرا سيد شارل برس.

وصافحوا الدكتور شارل مودعين وهم في حيرة جديدة ، وفي أثناء الطريق قال جرير : رائد عوني.. نحن بحاجة لمعلومات كثيرة وغزيرة عن حياة الدكتور جميل ، ولادته حياته علاقاته الخارجية نحتاج لملف سيرة ذاتية .. غدا ـ إن شاء الله ـ نلتقي في مكاتب مؤسسة الدكتور جميل العلمية.

الفصل الخامس

صباح يوم الأربعاء التقى المحققان أمام مركز الأبحاث العلمية والصناعية وبعد التحية صعدا إلى الطابق الثاني حيث مكاتب المركز ، ولما علم الدكتور فرج بحضورهم هرع إليهم مسرعا ومرحبا، وقادهم إلى مكتبه وبعدما شربوا القهوة استأذنوا السكرتير بالدخول لمكتب الدكتور جميل والحديث مع الموظفين ، فأخذهم أبو سالم إلى مكتب الدكتور ، وهناك أخذا يتطلعان على أثاث المكتب ورفوف الملفات، وفتحوا جوارير المكتب يتطلعون فيها ، وقال جرير لأبي سالم : يا أبا سالم

كيف حالك ؟

فرد بعجلة وقلق : بخير يا سيدي؟

ـ مالك خائف ؟

فقال باضطراب ونافيا الخوف : أأنا خائف؟! .. لست خائفا يا سيدي .. ولكني حزين لمقتل الدكتور .. لقد كان رجلا لطيفا معي، بل مع كل العاملين معه.

فتدخل عوني قائلا : أخ أبو سالم هل تعرف أعداء للدكتور ؟؟

فرد : لا ، يا سيدي .. الدكتور رجل حسن الأخلاق.. لا أظن أن له أعداء في الدنيا.

جرير : كيف كانت علاقة الدكتور جميل الطيب مع الموظفين ومعك .. ومع السكرتير فرج .. مع الآنسة ريما..

فقال أبو سالم : قلت لكم أيها السادة ..إنه لطيف المعشر حلو اللسان.

فقال : هل تعرف الدكتور خالد الضبرة ؟

سكت الفراش قليلا وقال : نعم ، أعرفه لقد تردد كثيرا على هذا المكتب.

أخرج الرائد عوني المسدس الذي ارتكبت به الجريمة ، ووضعه أمام الفراش أبي سالم على المكتب وقال : أبا سالم .. هذا المسدس هل رأيته قبل الآن ؟

فرد الرجل بتردد واضح : نعم، إنه مسدس الدكتور جميل .. كان يضعه في الدرج الأول من المكتب الذي تجلس عليه.

قال عوني بدهشة : ماذا؟!

ـ أجل، يا سيدي .. واقترب من درج المكتب وفتحه ، وقال مؤكدا كلامه عن المسدس : كان يضعه ـ وأشار للدرج المفتوح ـ هنا يا سيدي .. ولما حدثنا عنه الأستاذ فرج وجدنا أن المسدس قد اختفى من درج المكتب.

فقال جرير : أخبركم فرج بذلك .. ولماذا يخبركم ؟

ـ سألنا هل رأى أحد منكم رجلا أو امرأه قد أخذ المسدس من الجرار .. يبدو أن الدكتور قتل بمسدسه الذي كان يحتفظ به في المكتب ؟ بالطبع لم يشاهد أحد منا من أخذ المسدس؟

فقال عوني : بحثتم عن المسدس المختفي ؟

ـ بحثنا في المكتب ثم ترجح لدينا أنه هو المسدس الذي كان مع المجرم.

فقال جرير : من يدخل مكتب الدكتور غيرك يا أبا سالم ؟

ـ زوار الدكتور .. ومن يطلبه من الموظفين العاملين هنا.

ـ يوم الاثنين عندما قدم الدكتور من سفره ..هل شاهدت السلاح وأنت تنظف المكتب ؟

ـ لا أذكر يا سيدي .. لأنني لم أفتح الجرار ..

ومفاتيح الجرار مع الدكتور .. ومن النادر أن يتركه الدكتور مفتوحا .. ومفاتيحه موجودة هنا على ذلك الرف لا يأخذها الدكتور للبيت ؛ لأننا قد نحتاج شيئا منه أثناء غيابه من سفر وغيره.

فقال عوني : لا بأس .. شكرا لك يا أبا سالم الطيب .. خذنا إلى مكتب السكرتيرة ريما حسان.

فسار بهم إلى مكتب السكرتيرة ريما حسان التي كانت في انتظارهم على وجل وقلق ، فرحبت بهم وقالت باضطراب باد في صوتها وحركاتها : أرغب بمساعدتكم أيها السادة..

أخذا بالتطلع إلى المكتب الأنيق، وقلب جرير الأوراق والملفات الملقاة على المكتب ، وكان عوني يقف عند خزانة الملفات وسمع رفيقه يقول : ألا يوجد عندك أي معلومة تفيدنا في البحث عن الجاني يا آنسة ؟؟

فقالت وهي ما زالت تنظر إليهم بتوتر ملحوظ : صدقوني .. لا أعرف شيئا .. إلا أن الدكتور جميلا قد تشاجر مع والده قبل سفره الأخير بأيام ..وهدده بالقتل أمامنا في المركز .. ولا أدري هل يمكن لوالد مريض أن يقتل ابنه ؟!

صمت المحققان ردحا من الوقت ثم قال جرير : هذه معلومة جديدة .. ولكن من دفعك للتصريح بها ؟

فقالت بسرعة : لا أحد .. ولكن من متابعتي للصحف وقع في خلدي ذلك .. قلت فلربما فقد الرجل الكبير المريض أعصابه وفعلها.

التفت عوني لأبي سالم وقال : هل سمعت بهذا الشجار؟

قال أبو سالم وهو ينظر للسكرتيرة بغضب خفيف : الحق يا سيدي .. أن هذا حدث ؛ ولكن لا أعتقد أنه يصل للقتل ..كان الأستاذ الفاضل أبو جميل غاضبا من ولده ذاك اليوم .. ويبدو أنهما تشاجرا داخل المكتب لأمر بينهم ، وخرج الأب مغضبا وتبعه ابنه وارتفع صياحهما على بعض وقبل أن ينصرف الأب سمعه العمال يقول : "آخرتك أن تموت على يدي يا لعين " وركب المصعد ونزل ، وعاد جميل لمكتبه بعد أن طلب مني قهوة ، وأغلق باب المكتب على نفسه بقوة.

فقال عوني : هذا كلام خطير! .. لم يحدثنا به فرج .. الفضل للآنسة ريما .. ألم تعرفا أسباب هذا الشجار ولو كلمة؟

ردت الآنسة وقد بدت مزهوة بتعاونها مع الشرطة : أنا لا .. إنما سمعت التهديد ، ولما سمعت بالجريمة أحببت أن أقول ذلك ليرتاح ضميري.

فقال عوني : أحسنت أيتها الآنسة ! .. فأرجو غدا أن تحضري لمركز أمن حي الشجرة لأخذ أقوالك بمحضر رسمي .. وأنت يا أبا سالم لو تشرفت معها .. لا تخافا كلنا نخدم العدالة .. خذنا إلى

السائقين.

وتحدث الضابطان مع السائق عماد أحمد سائق الدكتور الخاص ، ولم يخرجا منه بأي معلومة سوى أنه أكد قصة الشجار بين الأب وابنه قبل السفر الأخير للدكتور جميل إلى أوروبا ، وتكلموا مع السائق الآخر الذي ينقل الموظفين من منازلهم إلى المركز ، والتقوا بموظفي المحاسبة والكمبيوتر والصيانة ، ثم رجعوا مرة أخرى لمكتب الدكتور فرج ، فطلب لهم شايا وقال لهم : أرجو أن تكونوا قد استفدتم من لقاء الأخوة الزملاء.

فقال جرير : بالتأكيد استفدنا .. كلهم متوترون يرددون نفس العبارات عن محاسن الدكتور جميل

فقال عوني : دكتور فرج .. هل سمعت بالشجار الذي حصل في المركز بين الوالد أسعد عازلي وولده جميل عازلي ؟

فقال وهو يتظاهر بالبراءة مما جرى في المركز : كنت أود من العاملين المحترمين الصمت عن هذا الشجار .. فهل يعقل أن يقتل الوالد الطيب ولده ؟! إنما هو تهديد في ساعة غضب وضيق لذلك ما رأيناه يهجر منزل ابنه غضبا ؟

ـ سيدي الفاضل .. ألا تعلم ما سبب الشجار بينهما ؟

ـ للأسف لا أدري .. ولا يمكن سؤال الدكتور عن ذلك .. ولم يتحدث الدكتور لي ولا أتصور لغيري عن سبب ذلك .. لعل السيد صدقي عمران يفيدكم بشيء من ذلك.

فقال جرير : عزيزي الدكتور.. لماذا أخبرت الموظفين عن سرقة مسدس الدكتور؟! وأنه هو المسدس الذي ارتكبت به الجريمة ؛ ربما يكون مسدس الحادث شبيها به.

حدق السكرتير فرج في عيني جرير قليلا ثم قال : حقيقة أنا لديّ الرغبة بمساعدتكم للانتهاء من هذه القضية سريعا .. فأنا لما رأيت المسدس على مكتب الدكتور يوم الجريمة .. وأكد لي الرائد عوني أنه هو فعلا أداة القتل .. ونحن نعرف أن الدكتور يضع هذا المسدس في جرار المكتب.. فلما تأكد أبو سالم من عدم وجوده في المكتب ..حاولت أن أعرف لعل أحدهم شاهد من أخذه .. فهذا يسهل عليكم عملية البحث .. ولكن للأسف مرة أخرى ادعى الزملاء أنهم لم يروا أحدا يختلسه من المكتب .. وللعلم أعتقد أن كل الموظفين يعلمون أن الدكتور يخفي مسدسه المرخص بالتأكيد في درج المكتب .. وقد يكون الدكتور هو الذي أخذه للبيت .. لولا حالة الدكتور النفسية الطيبة لقلت إن في الأمر انتحارا!

فقالا بتعجب : انتحار!!

ـ ربما!

قال عوني : تقرير الطب الشرعي يقول غير ذلك.

وقال جرير : ولو انتحر لكتب رسالة .. ولسمعتم صوت الرصاص أقصد الذين كانوا في الحديقة أو فوق كصدقي .. على كل هذا الاحتمال وارد ، وإن كان حدوثه بعيدا.

فقال عوني وقد انتهيا من شرب الشاي وقاما : شكرا لك دكتور فرج وللموظفين، طلبنا من بعضهم المرور علينا في القسم لأخذ أقوالهم بشكل رسمي حول المشاجرة فأرسلهم لنا غدا صباحا .. السلام عليكم.

وانصرف الضابطان إلى دائرة الأمن في حي الشجرة ، وفي مكتب عوني جلس جرير يرشف الشاي، ويقرأ محاضر التحقيق وأقوال الشهود الأربعة، وبعد نصف ساعة قال له عوني :علينا أن نسمع أقوال الدكتور خالد الضبرة .. وأقوال الوالد .. ونعرف منه أسباب تهديد لولده .. فإخواننا في المركز سمعوا التهديد ، ولم يسمعوا بداية المشاجرة .. والآن بعدما قرأت أقوال الأخوة الشهود ما عندك من تعليق ؟

فقال جرير وهو يفكر بعمق : القاتل معروف جدا للدكتور مائة بالمائة.

ـ كيف ذلك؟!

ـ أولا هو يعرف أن جميلا يضع مسدسا في درج مكتبه ، وأبو سالم لا يذكر أو لا يتذكر آخر مرة شاهد فيه المسدس ..وقد نستطيع معرفة ذلك ببضع أسئلة له وضغط أن يتذكر ، وثانيا القاتل دخل مكتب جميل واقترب منه ووضع فوهة المسدس قرب صدره وأطلق النار بحيث لم تحدث الطلقات صوتا عاليا أو كان يضع كاتما للصوت ثم أخذه معه ..فالطبيب يثبت وجود حرق في فتحة الدخول والشعر القريب من الفتحة .. ووجود سواد عند فتحات الرصاص ، ويوجد نمش بارودي حول الجرح ..فهذه علامات تدل على قرب الإطلاق ..لا يزيد عن عشر سنتيمترات.

فقال عوني :قد يكون شخص اختبأ بالمكتب أثناء جلوسهم في الحديقة ، ولما أحضر المدعو صدقي القهوة ، وخرج ظهر وارتكب جريمته.

ـ ممكن ؛ ولكنه شخص يعرف البيت والمكتب ، ويملك مفاتيح المكتب على الأقل ، ويعرف مسدس جميل .. ولكن الغريب كيف يعرف مسدسه؟ وكيف حصل عليه ؟ .. ولو كان شخصا غريبا عن جميل لأطلق النار عن بعد ولم يلتصق به .. الصدفة في جريمة كهذه الجريمة لا مكان لها يا عوني.

ـ ربما طلب منه التوقيع على ورقة أو شيك ، فرفض فهدده بالمسدس ورفض جميل ثانية فأرداه قتيلا.

ـ لكن تقاريركم لا تشير إلى وجود عراك بين

الجاني والمجني عليه ، بل الغدر تم بسرعة وعجلة.. والقاتل يعرف المكان جيدا ، فانسل بخفة الغزال .. وهو يملك مفاتيح للمكتب فأغلقه بعد جريمته.

فقال عوني وهو يتذكر مشهد الجثة : الحق أن وجه الضحية كانت تعابيره توحي بالمفاجأة والاستغراب رغم بعض الدماء الملطخ بها الوجه .. ولكن لو كان أسعد الفاعل كيف حصل على مسدس جميل بالذات ؟ وكيف لم يره صدقي أو الخادمة ؟ ولو كان صدقي الخادم هو الفاعل فكيف أتى بالمسدس من المركز ؟ .. ولو كان القتل في لحظة انفعال حاد لسمع صوت الرصاص في الفيلا .. فالقاتل لابد أنه استعمل كاتم الصوت فهي يا صاحبي جريمة مدبرة ومرسومة بإحكام قبل عودة الدكتور من سفره .. وتحركاته الأخيرة من طلب الحماية من شركتكم تدل على أن هناك خطرا معروفا له ؛ ولكنه لم يكن يظنه بهذه السرعة .. ولا أعتقد أن المربي القديم الأستاذ أسعد يدبر ويخطط لقتل ولده رغم الكلمات التي قالها يوم الوفاة عندما بلغه الخبر قال "يا ليته لم يمت هذه الميتة " .. تمنى لو أنه لم يمت قتلا .. إنه يعرف شيئا

فقال جرير : ملاحظتك جيدة ، والدكتور شرب القهوة بعد السادسة مساء ، وعرفنا أنه تحدث أو تحدث معه قبل دخول صدقي بها ..وعند دخوله انتهت المكالمة ، ثم رن الهاتف ، فصرف الخادم وتحدث مع شخص ما.

ـ الراجح أن يكون السيد نهري.

ـ قد تكون الأولى مع نهري ، وقد تكون الثانية .. والدكتور شارل ذكر لنا أنه اتصل قبل السادسة والنصف ، ولم يرد عليه جميل ، كان يسمع رنين الجرس ، فإذن كان صاحبنا مقتولا.

فقال عوني : قد تكون اتصالات أخرى جرت لم يرقبها الخادم .. وأنا طلبت من رجالنا تقرير حول المكالمات من الساعة الخامسة والنصف حتى الثامنة والنصف.

قال جرير : موضوع المكالمات قد لا يفيدنا كثيرا إلا في تحديد وقت الجريمة بالضبط ، وهو محصور كما تعلم بين السادسة والسادسة والنصف ..وهذا يؤكده تقرير الطب الشرعي فالأشخاص الأربعة في هذه الفترة كانوا في الحديقة فإذا اتصل شارل على الخط الخاص قبل السادسة فلم يرد عليه الدكتور جميل لأنه في الحديقة.. وإذا بعد السادسة وربع فيكون الرجل ميتا .. سنزور الفيلا مرة أخرى ونتحدث مع الخادم مرة أخرى ومع السيد أسعد عازلي.

ـ السيارة التي أشار لها فرج عندما خرج من الفيلا متجها للمطار.. السيارة التي تقل شخصا أجنبيا أترى أن لها علاقة في الجريمة ؟ .. وجميل كل

علاقاته مع الأجانب .. وخوف جميل كما أرى من ملاحظات الأستاذ نهري تشير أن خوفه من الأجانب .. فهو يريد حارسا شخصيا عربيا ليطمئن من ناحيته.. فهذا يوحي بشيء .

ـ أنت ترى أن الخطر من الخارج .. ولماذا ؟ فالخارج هم الذين يدعمون ويمولون المركز.. فأعداء الدكتور من الداخل .. فهو وسيط بين العلماء هنا ومراكز البحث هناك ..وهذه السيارة الأجنبية كيف نصل لسائقها ؟ وليس لديك رقم لها .. وأنا مصر أن القاتل يعرف جميلا معرفة كبيرة .. ويعرف منزله معرفة جيدة علينا بالمزيد من التحريات الشخصية عن ضيوف الدكتور.

قال عوني والحيرة في معنى ألفاظه : أكيد .. والدكتور شارل الذي غير موعد رحلته من المساء إلى الظهر ، ولم يتحدث مع جميل بذلك .. لو ترك خبرا مع حارس المركز .. لماذا تأخر في الاتصال ؟ بل هل حقا اتصل في منزل الدكتور ؟ ولم يرد عليه أحد.

قال جرير : اتصلت بالجامعة التي استدعت الدكتور شارل ، وتأكدت من دعوتهم له وحجزهم له ولغيره من ضيوف الجامعة في ذلك الفندق الكبير .. سأنصرف الآن وأراك غدا أيها الزميل أمام منزل جميل الساعة الحادية عشرة صباحا ..يلزم أن نسمع كلام السيد أسعد وعلى رجالك جمع المزيد من المعلومات عن صدقي ومعرفة ظروفه المالية وأحواله هذه الأيام ، وعن علاقاته مع هذا وذاك ..وكذلك مطلوب منا أن نعرف الدافع الحقيقي للآنسة ريما لمصارحتنا بمشاجرة أسعد وجميل مع أنها بدت لنا خائفة ، ولا تريد أن تقول شيئا ، ثم قالت أمرا خطيرا ومثيرا.

فعقب عوني على طلبات صاحبه :إنك رجل شرطة ماهر يا جرير فيسرني حقيقة التعاون معك ومع ذكائك..

ـ بوركت يا صديقي ، المهم عندما نصل للمجرم يحق لنا أن نثني على بعضنا البعض .. فأقوال السيد أسعد أخشى أن تقلب الجريمة رأسا على عقب .. ونبدأ من جديد.

ـ فعلا.. لماذا يهدد الوالد ابنه بالقتل علنا وهو يعيش في كنفه ورعايته ؟ .. بل له طبيب خاص على حساب ولده .. وكان الطبيب يوم الحادث قد زار المريض لتوعك صحته أثناء جلوس القوم في الحديقة.

ـ يبدو أن علاقة الرجل بولده باردة جدا .. فالطبيب يدخل ويعالج الأب والابن غير مكترث ولا يسأل عن ذلك.

قال عوني : هذا ما لاحظته يا سيدي.. من كلام الموظفين ، ومن كلام صدقي وحتى من ضيوف

الدكتور .. بل قال ليلة مقتله عندما صعدت الدكتورة فريدة لتخبره بالواقع وتقوم باللازم إذا لزم فقال لها :" إنه بخير وتمنى لابنه أن لم يمت تلك الميتة .. هكذا قال للدكتورة كأنه يتوقع مقتل ولده"

ـ كلامه غريب ! وتصرفه غريب ! إننا بشوق لسماع أقواله.

ـ ولكن صحته قد لا تساعدنا.

ـ ولكن لابد من الحديث معه.

كان الرائد عوني نائما في بيته ليلة الخميس ، وبعد نصف الليل بثلاث ساعات جاءه هاتف من الضابط المناوب في مركز أمن شرطة حي الشجرة ، فنهض سريعا وارتدى ثيابه ، وأسرع إلى قصر الدكتور جميل ، فوجد أمام البيت عددا من سيارات البوليس ، وتقدم منه أحد الضباط وقال : نأسف لإزعاجك يا سيدي .. نعرف أنك عدت للبيت متأخرا ، ولم تأخذ حظك من النوم ..

فقطع عوني استرسال الضابط في الاعتذار فقال : لا بأس يا سيدي .. فهذا واجبنا ما الأمر؟!

ـ الأمر يا سيدي .. أن الخادم صدقي عمران اتصل بنا قبل ساعة في الثالثة إلا ربع ، وأخبرنا أن شخصا مجهولا كان في مكتب الدكتور جميل .. قال : كان والد الدكتور متعبا هذه الليلة ، أيقظت الخادمة سعدى حوالي الساعة الثانية فجرا صدقي عمران ليتصل بالطبيب .. فتردد الخادم في الاتصال بالطبيب ، وجلسوا في غرفة المريض يحاولان مساعدته وتصبيره حتى الصباح .. وأعطوه بعض الأدوية والمهدئات ، ولكن الألم لم يخف ، فترك الخادم الغرفة وذهب ليتصل بالطبيب واتصل فعلا .. وبينما هو يقف على نافذة مطلة على مدخل الفيلا ينتظر مجيء الطبيب شاهد شخصا يخرج من باب الفيلا متسللا .. فدهش وشاهده يركب سيارة تقف بعيدا عن باب الفيلا بضعة من الأمتار .. فاتصل بنا على الفور.

فقال : إنه خادم ذكي!

فرد الضابط : بالتأكيد يا سيدي .. فاتصلنا بك وسبقناك إلى هناك .. ووجدنا الطبيب قد حضر لمداواة الرجل المريض .. ولقد وجدنا المكتب مفتوحا ..فكأن اللص لما استيقظ أهل البيت على وجع السيد أسعد أحس وشعر بهم وبحركاتهم .. وخصوصا لما استعمل صدقي الهاتف هرب مسرعا ، ولم يغلق الباب خلفه ، ولكن لما عايننا المكتب ، فقد عجبنا ، فالمكتب لم يتحرك شيء من مكانه .. وخطوات الرجل موجودة في المكتب وإن كانت واهية .. فعن ماذا كان يفتش الرجل ؟ .. فهذا ما لم نكتشفه بعد يا سيدي.

فقال عوني بعدما سمع التفاصيل : دعونا ندخل.. نحن سحبنا الحراسة، فقد غلب على ظننّا

أن الأمر انتهى .. فعل المجرم جريمته واختفى .. وهذا شيء جيد يحرك الجريمة !.. ولكن عن ماذا كان يبحث هذا اللص ؟ .. لابد أن شيئا مهما يبحثون عنه دفعهم للمجازفة بهذه السرعة.

أعاد الضابط إضاءة أنوار المكتب كلها ، وأخذ يتتبع الخطوات التي أشار لها الضابط المعاين كان اللص يتحرك في الغرفة إلى أكثر من اتجاه .. ثم أعاد التفتيش في رفوف الخزائن ، ويقلب في الملفات والكتب المرصوصة في بعض الرفوف بحذر.. وأعاد التحديق في المكتب ، وقام بفتح أدراجه ، وبعد نظر دقيق هنا وهناك لم يشعر بأن شخصا دخل المكان وقال لنفسه : ومن يؤكد كلام الخادم أنه رأى شخصا ما يخرج من الفيلا ؟!.. أليس مع الخادم مفتاح ؟ ولكن ما غاية هذا الخادم من اختلاق هذه القصة وهذا الكذب ؟؟ .. هل سعدى الخادمة لمحت شيئا فيريد هذا الخادم إخفاءه ؟؟ وإذا كان صادقا فماذا يريد القاتل أو اللص ؟ ..هذه الجريمة تزداد غموضا لابد من سماع أقوال هذا الوالد بأسرع وقت .. يا الله ساعة من الزمن نتمكن من أخذ أقواله ؛ لعلها تنير لنا الطريق إلى المجرم اللعين

هذا ما كان يفكر ويحدث عوني به نفسه ، وهو يتحرك يمينا وشمالا ، ثم اقترب من الخادم صدقي الذي يقف منكمشا على نفسه قرب الباب ، ووضع يده على كتفه بلطف وقال له : سيد صدقي هل رأت الخادمة اللص مثلك ؟

ـ لأ يا سيدي .. لقد كانت في غرفة السيد أسعد .. وأنا قمت بالاتصال بالطبيب ووقفت بجوار النافذة أراقب المدخل حتى أهبط وأفتح للدكتور عندما يصل .. وبينما أنظر للبوابة لمحت ظلا يسير نحو باب الفيلا مسرعا .. وفتح الباب وخرج وأنا أنظر إليه وكلي دهشة وحيرة ، ثم سمعت السيارة تتحرك وتبتعد.. ولما زال ذهولي اتصلت بكم .. وهرعت نازلا فوجدت المكتب مفتوحا فتركته وباب الفيلا الكبير مفتوحا.

ـ أتستطيع وصفه ؟

رد صدقي : أنا رأيته وهو يدير ظهره لي ، وشعرت به عندما اقترب من باب الفيلا الخارجي .. والإضاءة ليست قوية عند المدخل .. ولكن بدأ لي أنه رجل مثلنا ليس بالطويل ولا النحيف ..

وكان يضع على رأسه قبعة ؛ وكأنه يلبس بدلة هذا ما ارتسم له في مخيلتي يا سيدي.

ـ صدقي هل تعلم أن هذا تطور مهم على مصرع الدكتور ؟

ـ والله يا سيدي نحن في حيرة !.. نرغب أكثر منكم بمعرفة الجاني .. لماذا قتل الدكتور لماذا ؟

ـ نريد أن نسمع أقوال السيد أسعد.. نريد وقتا قصيرا نتحدث معه نسمع أقواله ورأيه في هذه

الحادثة .. لقد علمنا أنه قد تشاجر مع القتيل قبل سفره الأخير بأيام وهدده بالموت ؟!

فتريث صدقي قبل الإجابة ، ثم أجاب على استفهام الرائد قائلا : هذا يا سيدي الرائد ليس جديدا .. صراحة فعلاقة الرجلين متوترة وكثيرا ما سمعت السيد أسعد يشتم ولده ويهدده بالتدمير والموت .. ولكن هذا كلام في كلام.. فالرجل ضعيف ؛ بل ضعيف جدا.

ـ ألا تعرف أسباب هذا التوتر بينهما ؟؟

قال صدقي مستفسرا : لا أدري يا سيدي ! هل يحق لي الحديث عن ذلك ؟؟

ـ هذا يكون بسبب وقوع هذه الجريمة .. ولولا الحادثة ما طلبنا منك الإجابة .. وتأكد أن ما نسمعه ونكتبه يبقى سرا ، لا يطلع عليه أحد إلا اضطرارا لمجريات التحقيق ورجال القضاء إذا كان له أثر في القضية.

فعاد صدقي يقول : هو ليس سرا خطيرا لهذا الحد .. منذ تقاعد الوالد أسعد من سلك التعليم والمعارف قبل أكثر من عشر سنوات والأمور طبيعية وهادئة .. فكلٌ له حياته الخاصة .. فالوالد كان يسكن مع زوجته أم الدكتور في منزله القديم ..وكان جميل يتردد عليهما بين الفينة والأخرى ليطمئن على أحوالهما .. ولما ماتت الزوجة أم جميل منذ ست سنوات ، واشتداد الأسقام على الوالد أسكنه جميل في الفيلا لنقوم أنا وسعدى على رعايته ، والاهتمام به فوق واجباتنا الأخرى نحو شخص الدكتور جميل ، ومع أنهما يعيشان تحت سقف بيت واحد.. فكانت علاقتهما كما كانا بعيدين.. قد يكون ذلك بحكم العادة والإلف.. وقبل سنتين على الأقل أخذ جميل والده أسعد في إحدى رحلاته إلى أوروبا.. منها استجمام وراحة ، ومنها علاج .. فالوالد يعاني من متاعب في القلب والضغط في الدم .. وقبل سنة ونصف تقريبا عاد السيد أسعد من رحلة إلى أوروبا غاضبا جدا على ولده .. وبدا يتحدث عنه باحتقار.. ويكثر من لعنه .. ويتمنى موته .. ويدعو عليه بالهلاك ؛ ولكنه لم يحدثنا عن سبب هذا الانقلاب الجديد والعنيف على ابنه .. ولم يعودا يلتقيان أو يتحدثان معا إلا صدفة أو اضطرارا .. وكلما لقيه يقول بنبرة حادة : يا جميل .. هل انتهيت من هؤلاء الكفار؟ .. من هؤلاء الملاعين ؟

فيرد جميل بحدة : يا والدي .. أرجوك الزم حجرتك ، ولا تتدخل فيما لا يعنيك.

فيهدده الوالد بالموت والقتل وغير ذلك من ألفاظ الوعيد .. لماذا يفعل ذلك لا أحد يعرف ؟! هذا ما أعلمه فقط.

انتهت الحلقة ٢

وهج الحرب

الحلقة ٣

ذكريات

استجداء وردة للعودة كزوجة هزه هزا عميقا ، طاش عقله ، فقد خفق قلبه خفقا شديدا وردة تستجديه ؛ ليكون زوجها ، كلامها ورغبتها الشديدة ؛ لتكون زوجة له بعد رحلتها بصحبة الشيطان وأعوانه ، داعية لهدم الحياة الزوجية التقليدية ، ياما طلب منها أن تخفف من أفكار جمعيتها المتطرفة في حقوق النسوان أكثر من جمعيات أوروبا وأمريكا ، فلم تكن تحترم حق زوج وأخ وأم وعم .

وأحس عصام العليل بحنين وشوق لزوجته وعطف نحوها ، كانت حبيبته وزوجته عشر سنوات ، وأم وحيده ، ولم يكن فراقها إلا من شهور أقل من سنة.

وأثرت فيه رغبتها العارمة في العودة ، فكانت تذهب روحه في خيالات وذكريات أيام بدأت شراكتها في الحياة ، وعندما أدرك أنها تخونه في الفراش ، وتزني لم يستطع مناقشتها فلماذا تخونه؟ هو يعلم أنها فقدت عذريتها قبل زواجها أثناء دراستها في سنوات الكلية الأولى ، وتقبل الأمر برضا ؛ لأنه لم يكن يهتم بهذا ويعتبره من توافه الأمور ، وكما كان يعبث مع البنات طالبات وعاملات ويعتدي على شرفهن برضاهن" نظرية الرضا بين الطرفين " فيعلم أن وردة لابد من حدوث ذلك معها ، وأن بعضهم عبث بها .. هذا واقع الكثير من الطلبة ومن الجنسين . وحدث نفسه بأن وردة في أول زواجها كانت عفيفة وشريفة مخلصة ؛ إنما بدأت تنحرف وتعود لماضيها الإباحي بعد ولادة جوهر ، وكثرة خيانته لها ، فأخذت تبالغ في التبرج والعطور ، بعد النفاس بشهر أحس بأن له شريكا في جسدها ، في هذا الجسد النائم بجنبه ، لم تعد تتبرج وتتزين له أهملته ، وتكرر الشك وزاد لما كانت تعود للبيت ثملة سكرانة ، تكثر من الشراب ، تكثر من أم الخبائث ، وتعود بعد المنتصف بحجج كثيرة ، فالخمر ستؤدي لهذه النتيجة ، ولم يجرؤ على مناقشتها فهي تعرف أنه خائن ، وصبرت عليه ، كان ضعيفا أمام أي حسناء تواعده سواء عن طريق العيادة ، سواء في جمعية الأطباء في النوادي فيلزم الصمت .

تعود للبيت ثملة أكثر مما تعوّد ، ضعف عن الاستفسار عن سبب التغير، فهي تعرف أنه خائن لا يحترم البيت ، قبل ولادة جوهر تذكر كانت لها صديقة عملت معها كشريكة في فتح عيادتها حاولت صديقة وشريكة وردة وسعت للإيقاع به ويتزوجها ، ويترك وردة ، وسلمت نفسها له عدة

مرات باسم الحب ، وكشفت حالها لوردة ؛ لتطلب الطلاق من عصام لخيانة زوجها لها مع زميلة العيادة ، لم تفعل وردة ؛ كأن شيئا لم يحصل؛ وإنما حدث الانفصال معها ، ورحلت الشريكة إلى مكان عمل آخر ، وطلب منها العفو والصفح ، وأنه ضعف أمام إغرائها وشهوتها لم يستطع المقاومة وأنه ضعيف أمام الجميلات والشهوانيات ، فما كان أمامها إلا الصمت والنسيان ،وقطع علاقته بشريكة زوجته ، واعترف لها بأنها مكرت به ، واستسلم لمكرها وسقط في حيلتها ، وهي تعرف أن عصاما يكذب عليها ، وأن له رفيقات غير شريكتها ، فله رفيقات من أيام الجامعة ، ظلوا على اتصال بين الفينة والأخرى ، وظل يتزاور معهن .. هذا الشريط أخذ يتذكره لما أبدت وردة رغبتها بالعودة كزوجة ،كان يأسف ويبكي أحيانا لتلك اللقاءات القذرة للخمر والدعارة ، التي تلوث بها باسم الحرية والإلحاد والإباحية، ويعجب من جهله وغفلته ؛ كأنه تيس غنم ، وأن وظيفته في الدنيا فقط معاشرة الغانيات والزانيات.. هذه وظيفة مهمة ، ولكن هناك وظائف أهم بكثير منها الإيمان والحياة السعيدة للنجاة يوم الحساب .

لقد كان سفيها ، كل الذكور لهم زوجات ، وسيكون لمن هو أعزب زوجة ، أما أن يظل يتنقل من شقة إلى أخرى مثل تيس الغنم ، ينتقل من فلاح لأخر .. فهذا فعل أحمق وغبي .. وها هو يواجه الحرمان أصبح غير قادر على غشيان امرأة ، لم لا يفكر الإنسان بمثل هذا الموقف بهذه العاقبة ؟ الخلاصة يقول: إننا كنا زوجين فاسدين ، لا نشبع ولا نكتفي من بعضنا، أنا كنت أعرف فسادها أيام الدراسة ، وهي تعرف فسادي مثلها ، كان دعاة الإباحية الذكور والإناث موجودين في الكلية والمشفى الدراسي ، قبلنا أن نكون أزواجا شرعيين ، وكلنا يعرف ماضي الآخر .. هل كان عندنا أمل بالصلاح والبداية السليمة النظيفة ؟.. أبي يعرف فسادنا ، كان يرغب بأن يصلح حالنا ، ونعود للحياة المستقيمة ؛ بما أننا تخلصنا من الجامعة رضينا ببعص وغفرنا زلات بعض ؛ لكن فشلنا في تحقيق غايات أبي بالعودة لحياة السلام والاستقامة والرضا بالموجود .. أبي لم يدخل هذا البيت إلا بعد العودة من المستشفى بعد حادث التصادم ، كان يخشى أن أموت ضالا كافرا ملحدا في قاموسه .. ما أصعب أن يرى الأب ابنه كافرا ضالا تابعا للينين وداروين في صف الكفر وعبادة الأفكار الضالة المستوردة !

فأبوه يعلم ضياع أخيه عمه نجيب وسيره في درب منظمات كافرة تابعة إما لروسيا الاتحاد السوفيتي وإما للصين لماو ، كان جده عارف محبا للعلم

فدّرس نجيبا طبيبا في بيروت ، ودّرس حبيبا مهندسا زراعيا على رغبة كل منهم .

كانت الأفكار والذكريات هذه تسير به هنا وهناك ، وتسأءل في النهاية بهمس مسموع : هل تصلح العودة بيننا ، وتثبت حياتنا الزوجية؟ هل تصير وردة من أجل جوهر امرأة صالحة ؟ ولا تحن للرجال الأقوياء والعشاق! هل يكفي كلامي المعسول والغزل لإرضائها كامرأة ؟ تستطيع أن تصبر عن الجنس سنين وعقود ها هن نساء يترملن صغيرات ورفضن الزواج والتخلي عن الأولاد لعيون رجل ! يربين أولادهن حتى الموت .. عمتي فاطمة أكبر مثال ترملت دون الثلاثين من العمر ، ولم تقبل بالزنا بديلا ، ولم نسمع بمغامرات وعشاق ، ترملت على ثلاثة وصبرت لليوم ، عاشت بدون الحاجة لرجل وزوج ، وقد ربت أولادها أحسن تربية .. المرأة الصالحة اذا أرادت الصلاح والآخرة صبرت ، ورضيت بأمر ربها ، ولم يقصر أولئك الأبناء برد الجميل.. التربية مهمة كبيرة يا وردة ! حبيبي جوهر!

****

العائلة مستغربة من انقلاب وردة وتوبتها السريعة ، وأصبحت ترافق جوهرا والمربية في زيارتهم لبيت عصام بعد حديثهم المطول حول رغبتها بالعودة كزوجة له ، ولا تتمكيج ، وتلبس ثيابا محتشمة ، ولا ترش العطر على بدنها وثيابها ، ويأكلون معا ، لا ننسى أنها ابنة عمه فحتى لو طلقها فصلتها مطلوبة ، فهي رحم ؛ لكن الاختلاء بها هو المنهي عنه ، معها الطفل ، ولا يصلح محرما شرعيا ، هناك الخادمة معهم فانتفت الخلوة .

تركت السيدة السفور والتبرج للشارع والخروج ، وارتدت الجلباب الشرعي والإسلامي كما نص القرآن على ذلك في سورة الأحزاب ، وتصلي في بيته ؛ لتؤكد له أنها تقصد التغيير حقا .

هذا أثار إعجاب أمها وعمها وإخوتها سالم وجهاد وسامي وحسن ونوار ، هذا الفعل دفع سالم وجهاد للتصالح معها ، ويسهرون معها في بيت عصام عندما تذهب هناك ، طلب جوهر من أمه أن تعود للسكن مع والده ، فهو كان طول الوقت معه خلال مرض أبيه ، وقضاء أكثر وقته في البيت ، وطلب من أبيه أن يعود لأمه ؛ لأنها تحبه كما تقول له" أنا بحب بابا" ؛ فقال عصام مسرورا : سأفعل يا قرة عيني! سأفعل لما أرجع من فرنسا حيث سأتعالج من أوجاعي يا صغيري ! كم أحبك يا جوهر ! حبيبي أنت !

فقال الصغير : وأنا أحبك يا أبي ، وأحب أمي! اليوم أمي دائما معي، وتذهب بي إلى المدرسة

فقال جهاد عندما سمع كلام الصبي : رائع يا ولد

يا جوهر ! أنت كبرت ! ما رأيك يا عصام ما دامت أختنا تعود للحق والصواب فعلا ، وتعود إلى الدين فعلا كما نشاهد ، وبينك وبين السفر شهران أن تعقد عليها ، فعمي حبيب يحب ذلك ؛ لعلها تصاحبك في رحلة العلاج ، وقد تحتاج إليها .

فقال عصام وهو ينظر لوردة بحب وشوق : واذا لم ينجح العلاج ، وأبقى على حالي يا أبا عبدالله نعود للمشاكل !

قال سالم : لما فكرت بالعودة إليك ؛ كما تحدثت معها أنا وجهاد ، لم تعد ترى ذلك الأمر مهما في حياتها .. المهم أنت وابنكما الذي استطاع أن يقنعها بحبك من جديد.

قالت : نعم يا عصام ! أنا غير تلك ، صممت على التغير .

فقال عصام فرحا جذلا : كلنا يعلم أن عمتنا فاطمة ترملت صغيرة دون الثلاثين على ثلاثة أطفال وظلت بدون زواج ، ورفضت كما يقال كل محاولات إقناعها بالزواج ، قالت الأولاد أهم من الزواج ، كبروا اليوم وأصبحوا رجالا ، فيمكن للمرأة أن تصبر وتعيش بدون زواج.

قال جهاد: هذا صحيح ، وردة اليوم غير وردة قبل سنة ، أعتقد أن وردة تستطيع ذلك اذا أرادت ، وهي خبرت الحياة الفاسدة ، وعمرها قصير .. المهم عندنا الحياة الأخرى .. أنا معرض للمرض والضعف ، ووردة كذلك ، على المرء أن يصبر على قدره ويرضى به .

فقال سالم : الإنسان إرادة ، ونحن لليوم لم نعرف يا وردتنا سر تغيرك الحقيقي والحاسم وانقلابك على مبادئ الانحلال والحرية المطلقة للنساء!

رشفت شايا وقالت: أنا نفسي يا أخي لا أدري ؛ فجأة تراكمت حولي نتائج الماضي والمسار الذي سلكته ، فقلت ابني الأهم في هذه الدنيا .. لماذا يبقى بعيدا عن أبيه ، من أجل قضاء شهوات ورغبات آثارها مدمرة نفسيا وعقليا وبدنيا وروحيا واجتماعيا .

قال جهاد بحماس : هل أنت موافقة على الزواج من عصام قبل السفر؟

قالت بوهن وخجل : أنا موافقة حتى ولو لم يحدث السفر .. عصام سيدي وحبيبي .. ويكفي أنه والد حبيبي جوهر ـ واحتضنته وقبلته ـ وابن عمي .. كل ابن آدم خطأ وخير الخطائين التوابون.

قال سالم : رائع جدا يا وردة ! أنت جادة .. نقول بصراحة حتى لو لم يتعافى عصام من ضعفه الجنسي الطبيعي ، ولا يفلح الدواء لا نعود للماضي والتذمر اقنعوا عصاما بطلاقي أنا شابة وأنا بحاجة لذرية .

قالت: أنا لا مانع عندي .. المهم عصام يقتنع بصدق رغبتي بالعودة كزوجين وامرأة صالحة.

قال عصام: أنا صحيح سعيد جدا بما أسمع من الجميع .. وأنا صحيح مستغرب لكن كلمات من أبي حبيب جعلتني أمحوا سنوات من عمري وأعود للتوبة وأصحوا من الغفلة .. فوردة مثلي تغيرت .. وتسعى بقوة لذلك ، والإنسان يتغير والقرآن أخبر أن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم يعني أن الإنسان يستطيع التغير بتوفيق من الله وحده .. وسنبدأ من جديد نحن نقترب من الأربعين ، لسنا صغارا .. كيف كبرنا ؟ ولماذا أصبت بالحادث، ولم أمت ؟

قال سالم: أنا برأيي أن تكتبا الكتاب وتعيشان سوية كزوجين همها الآخرة وجوهر الغالي .. ولتعلم أختنا أننا اليوم نحبها كما نحب أنفسنا .. وسترافقك بإذنه تعالى لفرنسا ،وسيكون معكما جوهر البطل الشجاع المحب لكما .

قال عصام: أنا موافق يا ابنة عمي على الزواج منك ، وأطلب يدك للنكاح .. مبارك علينا البدء من جديد .

قالت : وأنا قبلتك زوجا لي ، وأشكر أخويّ ، وممتن لحبهما لي ، وأنا لما بدأت التدين عرفت قيمتكما وفضلكما ، فاغفرا لي سفهي وجهلي .

———

سافرت الأسرة الصغيرة إلى باريس ؛ حيث استقبلهم صديقهم الدكتور ناصر عواد ، وسعى أن يستضيفهم في بيته ، فاعتذروا ، ورغبوا كالمرة الماضية أن ينزلوا في فندق ، ورحب بهم الطبيب الفرنسي المعالج العجوز ، وبعد تحاليل وصور طبقية ملونة وشعاعية ورنين مغناطيسي كما تسمى في بلادنا ، واستخدام أجهزة حديثة ، قوّم الطبيب نتائج الأدوية التي أشار إليها في الرحلة السابقة والتي داوم عليها عصام من العام الفائت واستمر الأمر شهرا في العلاج والتقارير الطبية ، وفي النهاية اعترف المعالج بضعف النتائج ، والتعافي يحتاج لوقت أكثر مما خمن وتوقع ، فمن المعروف طبيا وفسيولوجيا أن الخلايا العصبية بطيئة التجدد ، فالجسم يبدل مليارات الخلايا يوميا بما يسمى الاستقلاب ، لم تؤدِ الأدوية إلى نتائج مرتفعة ؛ ولكنه نصح بالاستمرار والمواظبة عليها ؛ لعلها مع الزمن تؤثر على الدماغ والأعصاب والغدد المضروبة والضعيفة العمل ، الخلاصة أن الشفاء مع الزمن كأغلب أمراض الأعصاب والدماغ ، واذا أحب القدوم العام القادم ؛ ليقوموا بنفس التحاليل والاختبارات ، فرحب بذلك الطبيب العجوز ، وأنه مستعد لمتابعة العلاج ، فقوته الجنسية ستبقى ضعفيه وعليلة .

فقالت وردة لترفع من نفسيته : حبيبي عصام لا تحزن .. الأمر لله ، والشفاء بيده .. نحن اليوم غير الماضي .. نحن اليوم مرتبطون بقوة الله ، وسلمنا

له أمرنا قبل المجيء ، وأنا سأكون مثل عمتنا فاطمة صابرة لقدرها راضية بالقضاء ؛ الفرق والفضل أنت معي وبجواري .. أنت رجل مؤمن ، وتعلقنا بالله خير ، وما يختاره خيرا لنا .. لله ما أخذ ولله ما أعطى .

ـ أنا حزين من أجلك !

قالت بصدق : حبيبي لا تحزن ، ولو ظللت متلهفة لتلك الحاجة ما عدت إليك يا قرة العين ! ماتت الرغبة .. صدق أنا نفسي لا أدري ما الذي أضعفها أو أماتها في نفسي ! المهم أنها ماتت ها نحن معا من شهور ، وقبلها بثلاثة لم يمسسني بشر .. المهم قلت أن أعيش بقربك ونفسك وبحبك يا ابن عمي .. المرأة الطبيعية بعد الخمسين أو قبل بقليل تضعف الرغبة لديها بانتهاء هرمون الجنس التستوستيرون والأستروجين ، هناك أمراض تضعف الغدد الجنسية لدى الناس والعجز الجنسي موجود لدى الطرفين ، حتى لو مارسنا الجنس لن يكون له لذة الشباب ، وهما بكامل قواهم الهرمونية .. انظر مريض السكري والضغط قد يمارس العلاقة ، ولن تكون بقوة أيام الصحة وإلا لماذا يتعاطون الأدوية الجنسية؟ أنا رضيت بقدري .. بس أرجوك أن تقبل ونحاول عن طريق الأنبوب محاولة فقط حتى ولو لم تثمر .. فالدكتور العجوز أكد لي أن الحيوان المنوي عندك يمكنه التلقيح والأخصاب بغير الجماع .. فالخصيتان تعملان بشكل طبيعي .. وقال يمكن الحمل عن طريق الإخصاب الخارجي .. فلنفعل .. والأمر لله .. أما الاتصال عن طريق العضو التناسلي فقال التلقيح صعب جدا .. وأنا لما رجعت إليك تركت التفكير بأي اتصال جنسي ساحني يا عصام .

فقال بحزن : بل أنت سامحيني سأحرمك من ...

قالت : لم تحرمني من شيء .. أنا رضيت بك ، وأنا خير من يعرفك ، وأنا معك حصل ونجح الأنبوب أو فشل .

ضمها لصدره وهو يشهق بالدموع وهمس : تغيرت جدا يا وردة ! كم أنا سعيد بقربك ! وكم أنا حزين من أجلك!

قالت: قلت لا تحزن ، نحن نعرف بعضنا جيدا يا حبيبي قضيت كفايتي من الشهوة .. صدق وتأكد لو لم تمت هذه الرغبة فيّ لما تغيرت ، لما فكرت ، لما حلمت بالعودة إليك .. أعرف من أنت ؟ ووضعك الصحي.. أنت حبيبي وحياتي وعشيقي وسيدي!

قال وهو يمسح دمعات ترقرقت في عينيه : ما أجمل ما أسمع! أنا لما نجوت من الحادث رأيت أني صرت حطاما ، تمنيت ولو أني مت .. فلما أنظر لقوامك الممشوق وشبابك وعجزي أحس بالألم

والموت .. أنا فكرت بالطلاق بعد عودتي من المستشفى بقليل ، قلت لا أريد أن أظلمها من حقها أن تعيش شبابها .. كان عندي أمل أن أطيب وأتحسن بوقت يسير .. ما أجمل الكلام منك!

قالت : فكرت طويلا طويلا لماذا لا يعيش الإنسان نبيلا ؟ هي الحياة فقط إشباع رغبة الجنس .. ماذا جنى العالم من ثورة الجنس ؟! سوى الأمراض سوى الإيدز سوى خمسة وعشرين مرضا جنسيا ، سوى الألم وارتكاب الجرائم .. اطلعت وأنا أراجع ماضيي يا عصام كتابا عن الجرائم الجنسية قرأت العجب العجاب، أغلب الجرائم بسبب الجنس والحب .. ما حدث كان خيرا لي ولك .. عدنا إلى الله الذي كنا نزعم أننا لا نعرفه .. أنت عدت لربك ، وأنا تأثرت بما علمت عنك بعد الطلاق فاجتاحت نفسي الرغبة بالتوبة وإلى الله مثلك .

ضمها مرة ثانية إلى قلبه وقبلها ممتنا: أنا أحبك حبا شغف قلبي كما قالت نسوة مصر عن امرأة العزيز "قد شغفها حبا".

ـ وأنا احبك جدا أنت ساعدت في إنقاذي من الجاهلية والضلال .. عادت السكينة لروحي كنت أعب من الشراب لأنسى همومي ومشاكلي مع نساء الحزب مع نساء العيادة .. وعلمت أن قلبي متعلق بك ومرتبط بك وعلينا أن نستفيد من تجاربنا المظلمة ونتحلى بالأخلاق الحسنة .. اطمئن من ناحيتي لن أتخلى عنك إلا بالموت .. وإنك ذكرتني بعمتنا الصابرة المحتسبة فاطمة التي صبرت على الترمل بدون زوج .. فكيف بمن معها زوج حبيب؟ ليس كل الحياة جنس .. ما هي فترة الجنس في الواقع ؟ دقائق ثم ينتهي الاتصال .

ضمها ثالثة وقال : أنت أحسن دواء لي ! .. أنا صدقا لم أكن ألوم انحرافك ؛ لأني كنت منحرفا وتائها مثلك .

ـ ولا أنا ، لم أكن أحب مناقشة أفعالنا السيئة ، نعم علينا أن نعتبر بما مضى ، وعمتنا قدوة لي، لم نسمع عن خيانة لها ، حتى أمي يا عصام لم أسمع أنها قدمت جسدها لأحد ، ولعلمك زوجها أيضا ضعيف من هذه الناحية من قديم ؛ إنها كما ترى حتى اذا زارها رجل أو جلس معها في العمل حتى لا يُظن بها أي سوء .. وهي بلا دين .

ـ هذا الظن السيء صحيح .. يراود الخواطر .

قالت : وهي تعجب مما أصابني وتزعم بأن جنا مسني.

قال مترددا بالفكرة التي خطرت في رأسه تلك اللحظة : خطر في مخي شيء!

ـ ما هو؟

قال : ما دمنا في باريس بلاد الهوى والإباحية ؛ لنشتري أدوات جنسية نستعملها فهي تباع

وتشترى علنا ودون حرج ؛ حيث تباع في بلادنا سرا.

ابتسمت وقالت بعطف وثقة : قلت لك يا حبيبي الرغبة ماتت فيّ .. وهذه الألعاب والأدوات كلها بجميع هيئاتها الغاية منها سواء للرجل أم المرأة الاستمناء ، مثلها مثل مشاهدة أفلام الإباحية أيضا أو مجلات الإباحية ، فلا تشبع رغبة الجنسين ، لو كفت الناس لما زاد الزنا والاغتصاب .. والاستمناء يتحقق بدون أدوات تباع ، ولا يعتبر عملية جنسية كاملة كثير من الفتيات اللواتي يراجعن العيادة مبتلايات بهذه العادة السيئة ، ولا تحقق أبدا ما يحققه الزواج الشرعي .. الجنس تجارة قضوا أسبوعا في ربوع فرنسا ، وزاروا مواقع سياحية ومتاحف فرنسية شهيرة كمتحف اللوفر في قلب باريس ، والتجوال في شارع الشانزليزيه ، وهو أحد شوارع باريس ، وهو من أرقى وأفخم الشوارع السياحية والتجارية في العالم، توجد بالشانزليزيه أرقى المحلات التجارية العالمية والمطاعم الراقية، كما تكثر في الشانزليزيه المقاهي على جنبات الرصيف والطرقات الجانبية، في نهاية الشارع يوجد قوس النصر أحد معالم المدينة ، ويعتبر ميدان ساحة كونكورد اليوم قلب مركز العاصمة الفرنسيّة ، ويضمّ العديد من المحال التّجاريّة إلى جانب المطاعم والمقاهي ومتاجر التّذكارات الّتي يستطيع فيها السّيّاح الحصول على مجسّمات وصور تذكاريّة للعديد من معالم مدينة . يبلغ الشارع اثنين كيلو متر طولا و ٧٠ مترا عرضا ، ويبدأ الشارع من ساحة الكونكورد ، وينتهي بساحة النجمة ، في نهاية الشارع من ناحيته الشرقية مسلة مصرية ضخمة . وتجولوا في متاحف علمية وثقافية ، وعادوا إلى بعنبس وهم في سعادة وحبور رغم فشل العلاج الذي كان متوقعا من قبل السفر ؛ ولكنه الأمل المفطور عليه الإنسان ، والطبيب ترك الأمل في نفوسهم ، وإن الأدوية التي وصفها لهم قد تؤدي تحسنا مع الوقت .

ولما رأى الأهل سعادتها وتسليم أمرهما إلى الله فرحوا بهم أكثر منهم وقال جهاد: أخبرني عصام منذ التدين حين كانوا يلتقون قبل عودة وردة لمناقشة مسائل شرعية وأفكار تشيعها الصحف العلمانية ورجالها ، وكانت وردة تشارك فيها وتطرح الشبهات التي تثيرها جمعية العصبة .. إن الإيمان بوجود الله لا يكفي للنجاة .. فكثير من سكان هذا العالم يؤمنون بوجوده ولكنهم لا يعرفون كيف يعبدونه فصحة وكيفية العبادة تحتاج لرسول إلى معلم من جنسنا يا وردة ! لأن الله لا يتكلم مع البشر إلا يوم القيامة .. فالفطرة والعقل الموهوب يستدل بهما على وجود الله أما كيف نصلي

نصوم نحج نؤمن إيمانا صحيحا عقيدة صحيحة .. فأنتم مجرد شعارات دون وعي فتكرهون الإسلام وتعادونه .

كل من يعرف وردة طوال السنوات الماضيات وقبل رجوعها لعصام يقف متعجبا غاية العجب من صورتها الجديدة ، صورة تغيرت ٣٦٠ درجة. كانت امرأة أسوأ من زوجة الشيطان ، مستهترة فاسدة داعية للإباحية من خلال حزبها ابن الانحلال الغربي ، والمدعوم منه معنويا وماديا ، واشتهرت في بعنبس بعمل عمليات الإجهاض غير القانونية ، تقتل ثمار الزنا ، توقفت بعد عملية تلك المرأة ، توقفت عن فعل ذلك، ولم تقم بعملية ولو قانونية .

عام ٢٠٠٨ لم يتحسن عمل العيادة رغم توبتها وتغير صورتها في المجتمع كثيرا ؛ ربما ما زال المحتاجون للعلاج في ريب ، وإنها تتصنع ذلك التدين ، ولما عادت من باريس غيرت نظام العمل وساعات العمل ، فيبدأ العمل التاسعة صباحا وينتهي الثالثة مساء ، وأصبحت تعمل أعمالا تطوعية ومجانية للجمعيات الخيرية ، وبتنسيق مع جهاد وسالم وعصام وسامي وحسن ونوار أحب الناس إليها اليوم ، وتستمتع بالحوارات والمناقشات مع جهاد ونوار وسامي وحسن وسالم لما يكون في البلد ، وكانت لا يمر أسبوع إلا وتزور عمها وزوجته وعماتها الاثنتين خاصة فاطمة التي تجاور عمها حبيب في بنت الباشا ، ولما تقابل عماتها تقبل أيديهما ، وتعانق عمتها فاطمة وهي تشهق بالبكاء مما يثير الشجن والدموع في العيون ، فهي قدوتها في الصبر والثبات على العفة ، وتختم بأمها ، وانتهى ذهابها للنوادي العائلية ، ولم تعد تدخل المقاهي والمسارح والسينما .

واذا خف هذا النشاط تشارك في سماع محاضرات وندوات في تلك الجمعيات والنوادي الإسلامية والمراكز والمحاضرات الدينية والطبية ، كانت صورة جديدة عما عرفت عليه في مجتمع بعنبس .

وصارت الجمعيات النسائية الإسلامية والوطنية ترسل إليها مريضات أو حوامل فقيرات عاجزات عن الكلفة العلاجية ، وكانت تسر وتسعد بمعالجة فقيرة ، وأحيانا تتكلف ثمن الولادة والأدوية ، وترفض الأجرة من الجمعية .

وشاركت زوجها في امتلاك صيدلية ثانية، وفعلت مثله في شراء المزيد من الأسهم في شركات قديمة وناشئة ؛ ليتحرك المال . فهي امرأة ثرية أصلا ، وامتلك لها سالم وسامي عمارتين للاستثمار ، وصارت تشارك في مناسبات العائلة عزاء وفرحا ومرضا ونجاحا ، وسحبت بعض مالها ليستثمر في البلاد ، وشركات سامي وحسن .

وعندما تُسأل عن السبب الحقيقي وسر التغير المفاجئ ، تقول وردة القديمة تغيرت ، فيقول حبيب عمها : هذا ما أردته يوم أجبرت عصاما على الزواج منك كنت أريدكما أن تتغيرا ، ففاسدكما في الجامعة كان معروفا ، وينقله إليّ الناس " الحق ابنك وابنة أخيك" ماذا أفعل ؟! إنكما تتعلمان في أفضل جامعة في بلادنا وأرقى كلية كلية الطب ؛ ولكنكما تحملان أفكار الإلحاد والإباحية يا ابنة أخي.. كل من يعرفكما يحدثني عن سوء أعمالكم .. فأنا اليوم سعيد لكما وبكما ربما أكثر من نوار وسامي .. لليوم لا أعرف ما الذي أيقظك من الغفلة والدنيا؟!

قالت بصدق : لا أدري يا عمي الحبيب !

التقت زكية حسني بحبيب عارف سلفها كما يقال ، وهم خارجون من عزاء فرحبوا ببعضهم وصافحت وردة عمها وبدأت المجاملات التقليدية ، ثم قالت : وردة القديمة يا حاج حبيب تغيرت فعلا ! وما زلت وغيري من أفراد العائلة يتسألون ما الذي قلبها أتعرف شيئا؟

نظر لوردة وابتسم قال : من يوم طلقت حتى إقناع عصام بالزواج منها من جديد لا أحد يعرف سبب التغير ، وأصبحت بفضل الله أُما صالحة حنونا .. وحين أزور عصاما تعانقني وتقبل يميني ؛ كأنني أب لها ، وأقبلها داعيا لها بخير ، ونفعل ذلك عندما تزور بيتي كل أسبوع ، حين تزوجت عصاما قديما يا زكية بعد تخرجهما ما قبلت يديّ ، وكانت تتهرب من مصافحتي ؛ كأنني لما أجبرتها على الزواج ؛ كأنني ارتكبت جرما اتجاهها ، وأنا وضحت لها الغاية من ذلك الزواج رغبت بزواجهما ، فهو ابني وهي ابنة أخي .. والله أنا فخور بها خلال هذه الشهور ، وسعدت برحلتها مع عصام إلى باريس ، وتقبلها النتيجة بدون لوم وتذمر ، حدثني عصام عن موقفها البديع بعد فشل العلاج .. كنت أتحدث معهما يوميا يا زكية ؛ وحفيدي الجميل جوهر ما أحلى هذا الاسم يا أم عارف ! وأتمنى دوام حبهما يا زكية !

كانت وردة تسمع كلام عمها لأمها وتقول لنفسها: أين كنت من كل هذه العاطفة ؟! كنت غارقة في عوطف مزيفة تنتهي مع انتهاء العلاقة .. حبيبي يا عمي نسيت أنك مثقف ومهندس

قالت زكية : مرة سألت جهادا ؛ بما أنك تحب وردة وأصبحت أخا لها كما تقول أتعرف أو حدثتك بسر الانقلاب ؟

فضحك من سؤالي وكان جوابه : القلب بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء .. والقلب سماه العرب قلبا لتقلبه ، وسيدنا عمر بن الخطاب كان سائرا لقتل النبي صلى الله عليه وسلم فأسلم وتغير في ساعات .. الله يثبت قلوبنا

على دينه.. فترك عبادة الوثن والصنم وأسلم.. لا أحد يعرف سر وردة ، لم تفصح عنه اذا كان هناك سر!

ضحكت وردة وقالت : الأهم أني عدت لديني وحبيبي ربي!

قال العم مسرورا : نعم الحبيب الله! إبراهيم اتخذ ربه خليلا وحبيبا .. الكل سألها هذا السؤال وهي يا أم عارف تقول لا أدري !

قالت : وقعت التوبة في قلبي ، أحببت أن أرجع لديني وإسلامي ولزوجي ، وندمت عن تركي له في أزمته رضي الله عنه وتسرعت في الانفصال ، ندمت ولست بحاجة لرجل .

قال : قالت يا عم سنون ضاعت بدون هدف صادق وغاية .. لهو لهو .. شغل طول النهار وفجور وخمر طول الليل .. أهذه هي الحياة ؟! الحياه يا وردتنا معبر وجسر للدار الباقية ، ثم يصيبنا الضعف المرض الموت .. يا زكية وفي رأيي أهم سبب للصحوة جوهر دائما أبي أبي لماذا يعيش وحده؟ لعله أيقظ ضميرها .. والله أعلم ..أنا كنت أفكر بعد رجوعه من فرنسا معافى أو غير ذلك أن أجد له أرملة يقضي معها باقي حياته .. والخيرة ما يختاره الله عادت حبيبتي وصديقتي .. كان نجيب كلما اتصل من بيروت أخي" دير بالك على وردة والأولاد اذا مت ، فزكية ستتزوج وتتركهم فحياتي دائما في خطر " والحمد والشكر لله .

أخذت وردة بحنان يد العم ولثمتها وقالت : كم أسأت لك ! وكم سببتك يا عماه عند حصول أي نزاع بيني وبين عصام ! هل غفرت لي؟

قال باسما : يا سلام ! أنت قرة عين يا ابنة أخي! أنت مثل نوار وعصام ربما أكثر.

ـ شكرا .

قالت زكية : الحمد والشكر لله يا حاج حبيب ! وفقهما الله .. أسرار وقصص الناس لا تنتهي.

غزة ٢٠٠٨

تفاجأ العالم بالحرب ، وفوجئت غزة بالهجوم الصهيوني الكبير والمباغت نهار السبت ٢٧ كانون الأول ٢٠٠٨ ، فالحرب المتبادلة واقع الناس في القطاع من عهد الانتفاضة رقم واحد ١٩٨٧، أما عدوان نهاية ٢٠٠٨ كان كبيرا ومرعبا ؛ فهو نتاج عقليات مجرمة وحاقدة على شعب فلسطين منذ عام ١٩٤٨ ، ومنذ فشل حرب تموز عام ٢٠٠٦ على لبنان .

بدأ الهجوم الجوي الغادر يوم السبت ٢٧ كانون الأول ٢٠٠٨ باستعمال الطائرات الحربية ، واستهدف الطيران الحربي الإسرائيلي المؤلف من عدد من طائرات " اف – ١٦" «ومروحيات من نوع اباتشي» الأميركية، وعشرات من طائرات

الاستطلاع من دون طيار التي يطلق عليها الفلسطينيون الغزاويون الزنانة نحو ثلاثين مقراً للشرطة الغزية في الجولة الأولى ، فيما وصل عدد المقار المستهدفة في الغارات التي استمرت ساعات طويلة ، أكثر من ثمانين مقراً في عملية أطلقت إسرائيل عليها الرصاص المصبوب ، وسمتها المقاومة الغزية معركة الفرقان ، وجاءت بعد هدنة استمرت ستة أشهر بين الفريقين .

جاءت البداية عند تمام الحادية عشرة والنصف قبل الظهر ، بقصف ٣٠ مركزاً ومقراً للشرطة في آن واحد ، هذا ما يفسر سقوط العدد الكبير من شهداء رجال الشرطة الذين كانوا يؤدون أعمالهم ، وسقط في هذه الضربة الغادرة القائد العام للشرطة اللواء توفيق جبر فيما سقط مدير جهاز الأمن والحماية في وزارة الداخلية في حكومة غزة العقيد إسماعيل الجعبري.

وحسب معلومات طبية فإن القصف استهدف بداية المقر الرئيس لجهاز الشرطة "الجوازات" حيث كان يقام احتفال بتخريج دورة من الضباط الجدد .

استهدفت العملية العسكرية المقار التابعة لحركة حماس ، وكانت ضربة غادرة وهذا من طباع وعادات اليهود ، وأدّى القصف إلى استشهاد أكثر من مائة من قوات الشرطة والأمن الفلسطينية ، فيما ارتفعت حصيلة الشهداء إلى أكثر من ٤٢٠ وأكثر من ٢٠٠٠ جريح، كثير منهم من أفراد الشرطة الفلسطينية.

خلال فترة التهدئة قبل العدوان قامت إسرائيل بتنفيذ ١٦٢ خرقا للتهدئة ، كان أشدها وأشهرها الخرق المنفذ في تاريخ ٤ نوفمبر ٢٠٠٨ حيث قامت بتنفيذ غارة أدت إلى مقتل ستة أعضاء من مسلحي كتائب القسام ، كما اعتبرت حماس أن إسرائيل لم توف باستحقاقات التهدئة المتوجبة عليها من حيث إنهاء الحصار المفروض على قطاع غزة من عام ٢٠٠٦.

بعد هجوم ٤ نوفمبر تصاعدت التوترات ؛ حيث ردت حماس بإطلاق صواريخ محلية الصنع على مناطق جنوب إسرائيل، ولم تهدأ الضربات المتبادلة في الفترة التالية ، وقبل انتهاء اتفاق التهدئة مع الفصائل الفلسطينية في ١٩ ديسمبر ، نشرت سرايا القدس الجناح العسكري لحركة الجهاد الإسلامي جرداً للخروقات الإسرائيلية للتهدئة ، وقالت إنها بلغت ١٩٥ خرقاً في القطاع ، أدت إلى قتل ٢٢ فلسطينيا بينهم مدنيون ، وإصابة ٦٢ من بينهم تسعة من الصيادين والمزارعين واعتقال ٣٨ شخصاً.

أما في الضفة الغربية وصل عدد الخروقات الإسرائيلية - حسب ما نشرته سرايا القدس ـ أكثر

من ١٢٦٠ خرقاً ، حيث تم قتل ٢١ من النشطاء والمدنيين ، وأصيب ٢٤٥ فلسطينياً أغلبهم أصيبوا خلال مظاهرات ضد جدار الفصل في حين اعتقلت قوات الاحتلال ١١١١ فلسطينيا .

تحركت إسرائيل للحصول على الموافقة الدولية لبدء العملية ، مع استمرار إطلاق الفصائل الفلسطينية للصواريخ العشوائية ، كما يذكر أن هذه المجزرة ٢٧ ديسمبر قد جاءت بعد زيارة وزيرة الخارجية الإسرائيلية أنذاك لمصر، قبل المجزرة بأقل من ٤٨ ساعة معلنة من القاهرة أن "إسرائيل لن تسمح بعد الآن باستمرار سيطرة حماس على غزة وستغير الوضع"

وجهت العديد من الاتهامات إلى المسؤولين المصريين والنظام المصري "بالتواطؤ" مع إسرائيل في التخطيط للعملية ، حيث اتهم نائب معارض الحكومة المصرية يوم ٢٧ ديسمبر خلال جلسة برلمانية "بالتآمر مع إسرائيل على ضرب غزة .

"أشار المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية إلى أن إسرائيل تعمدت خداع حماس ، قامت إسرائيل بفتح المعابر ، وأدخلت ٤٢٨,٠٠٠ لترا من الغاز الصناعي ، ونحو ٧٥ طناً من غاز الطبخ ، بالإضافة إلى ١٠٥ شاحنة إغاثة قبل يوم واحد من العملية .

أعلنت إسرائيل يوم الجمعة ٢٦ ديسمبر عن مهلة ٤٨ ساعة لوقف إطلاق الصواريخ ، مهددة حماس بعملية عسكرية واسعة في حال عدم الاستجابة ، وجاءت هذه العملية خلال أقل من ٢٤ ساعة من منح مهلة الـ٤٨ ساعة .

قامت إسرائيل بعدد من عمليات التضليل والخداع لضرب حماس على حين غِرة لإيقاع أكبر عدد من الإصابات ، منها تنفيذ العملية يوم السبت يوم الراحة عند اليهود ، يوم الجمعة قبل الغدر حرص مكتب رئيس الوزراء على إبلاغ الصحافيين بأن الحكومة ستجتمع الأحد "لمناقشة" عملية مكثفة محتملة على غزة وقد عزز ذلك التكهنات بعدم الإقدام على أي تحرك قبل الأحد . بدأت أحداث الهجوم على غزة بالصواريخ والطائرات ، ثم في اليوم الثامن بدأت القوات البرية الاجتياح داخل غزة ، بعد ذلك بدأت التحركات الدولية والعربية والإقليمية لوقف المعركة ، حتى بداية الأسبوع الرابع من الهجوم حيث أعلن إيهود أولمرت عن إيقاف إطلاق النار من جانب واحد دون الانسحاب من غزة ، تلاه في اليوم التالي إعلان الفصائل الفلسطينية هدنة لمدة أسبوع ، كمهلة لانسحاب الجيش الإسرائيلي من غزة.

وزعمت الحكومة الإسرائيلية بأن الهجوم هو رد

على صواريخ القسام التي تستهدف جنوب إسرائيل والتي تكثفت خلال الأسابيع التي سبقت القصف الإسرائيلي .

بدأ الساعة التاسعة من الليل تقريبا الهجوم البري الموعود بأعداد كبيرة من الجنود الإسرائيليين بدأ الاجتياح بقرار من المجلس الوزاري الإسرائيلي المصغر خلال جلسة سرية عقدها بمشاركة قوات من أسلحة المشاة والمدفعية والهندسة ووحدات خاصة بوارج ودبابات ومدفعية ، شارك الطيران في إغراق القطاع بالصواريخ والقذائف ، ارتكب من خلالها الجيش الإسرائيلي مجازر إحداها في مسجد إبراهيم المقادمة أوقعت ١٦ قتيلا بينهم ٤ أطفال و٦٠ جريحاً، كما استدعى الجيش آلافاً من جنود الاحتياط للمشاركة في العملية معلناً أن الغزو سيستمر أياماً . وواصلت المقاومة إطلاق صواريخ غراد والصواريخ محلية الصنع على أسدود وعسقلان ، وغيرهما من المستعمرات ، وأقر الاحتلال بإصابة ثلاثة مستوطنين في أسدود. شهد اليوم السابع عشر اشتباكات عنيفة ، وقصف مدفعي في حي التفاح وحي الزيتون وشرق بلدة جباليا ، كما فشلت قوات الاحتلال في التقدم برا في جباليا وشمال غزة ، وحاولت التقدم برا نحو مدينة غزة من ثلاثة محاور، كما قصفت سرايا القدس مستوطنتي نير عوز ونير إسحق بصواريخ من طراز قدس.

أعلن الجيش الإسرائيلي اليوم العشرين يوم الخميس في ١٥ ـ ١ ـ ٢٠٠٩ عن قيامه باغتيال القيادي في حركة حماس سعيد صيام ، الذي كان يشغل منصب وزير الداخلية الفلسطيني مع أخيه رياض صيام ، وقيادي آخر من حركة حماس . في اليوم الثالث والعشرين للحرب ٢١ كانون الثاني ٢٠٠٩ ، يعلن أولمرت وقف إطلاق النار دون انسحاب من غزة .

بعث الحاخام "مردخاي إلياهو" برسالة إلى رئيس الوزراء المستقيل إيهود أولمرت وكل قادة الاحتلال ضمن نشرة "عالم صغير"، وهي عبارة عن كتيب أسبوعي يتم توزيعه في المعابد الإسرائيلية كل يوم جمعة، ذكر فيها قصة المجزرة التي تعرض لها شكيم ابن حمور والتي وردت في سفر التكوين كدليل على النصوص التوراتية التي تبيح لليهود فكرة العقاب الجماعي لأعدائهم وفقا لأخلاقيات الحرب.

نشرت صحيفة لندنية : حماس ترفض الانسحاب من جانب واحد .. إسرائيل تصوت على وقف أحادي لوقف النار وتحتفظ بحق الرد.

يوم ٢٢/ ١/ ٢٠٠٩ أعلنت الفصائل المقاومة الانتصار بغزة ، وتعهد هنية حاكم غزة بمساعدة ضحايا العدوان. بلغ عدد ضحايا العدوان

الإسرائيلي ٨٨٠ شهيدا و٤٠٨٠ جريحا .

الإغاثة العالمية

حصار غزة اشتد بعد فوز حركة حماس بانتخابات المجلس التشريعي ٢٠٠٦ ، الصندوق والديمقراطية جاءت بما لا تشتهي السفن ، أطلقت الجبهة الديمقراطية للسلام والمساواة ، ١٠/ ١ / ٢٠٠٨، حملة إغاثة قطرية في أراضي الـ ١٩٤٨م، دعماً للأهل المحاصرين في قطاع غزّة الجماهير العربية وقوى السلام داخل إسرائيل، لا يمكن أن تسلّم بمحاصرة الشعب الفلسطيني في غزّة ، وقالت الجبهة: إنه بعد دقائق من إعلان الحملة، توجّه أهل الخير والعطاء وقدّموا دعماً سخياً بآلاف الشواكل افتتاحاً للحملة من أجل إغاثة الأهل في غزّة ..

منذ إقامة الحصار على القطاع ولجان الإغاثة على مستوى العالم تقدم الدعم لهؤلاء المساكين الذين يرفضون الذل والخضوع لقانون الغاب .

تواصل المؤسسات الخيرية والإنسانية جمع التبرعات لإغاثة أهل غزة في ظل استمرار العدوان وتتحضر هذه المؤسسات للبدء في مرحلة جديدة بعد توقف العدوان نظرا لبروز الحاجة الماسة لرصد آثار الدمار الذي لحق بالأفراد من تشريد وإصابات ، والمباني من دمار كلي أو جزئي .

وتتنوع احتياجات أهل غزة بين مواد غذائية وأدوية وأطباء في تخصصات معينة وإعادة بناء البيوت التي تم تدميرها وغيرها من التفاصيل ؛ كتجهيز غرف عمليات ، ومعدات طبية وشراء سيارات إسعاف وعلاج المصابين. ويؤكد مراقبون أن إيصال المساعدات لأهل غزة خلال العدوان وبعد انتهائه سيكون له أكبر الأثر في إصلاح ما دمرته آلة الحرب الإسرائيلية بالإضافة إلى رفع معنويات الشعب المحاصر منذ شهور طويلة إلى جانب حاجتهم الماسة لمستلزمات الحياة الأساسية. وتزامن العدوان على غزة مع هبّات شعبية كبيرة تمثلت في جمع التبرعات العينية والنقدية التي تتكفل بإيصالها الهيئات الخيرية على شكل قوافل شاحنات.

في عمان عاصمة الأردن يؤكدون أن لجنة المناصرة للشعب الفلسطيني في الصندوق بدأت من وقت مبكر على بداية العدوان في جمع التبرعات على مراحل "جمعنا في البداية ١٠٠٠٠٠ دينار ثم ٢٠٠٠٠٠ دينار ، وقمنا بشراء مواد طبية وعينية تم إرسالها للأهل في غزة عن طريق الهيئة الخيرية الهاشمية. وأضاف المتحدث باسم اللجنة : إن اللجنة قامت في مرحلة لاحقة بجمع مليون و١٥٠ ألف دينار لافتا إلى أن عملية شراء المواد العينية بهذا المبلغ قد بدأت لإرسالها لقطاع غزة. ويقوم الصندوق ومنذ فترة طويلة بكفالة ٢٢٠٠٠

يتيم ، ١٢٠٠٠ منهم في غزة والباقي في الضفة الغربية بقيمة ٤٠٠ ألف دينار شهريا يتم توزيعها على الأيتام .

بيّن مدير مركز الأنصار التابع لجمعية المركز الإسلامي في الاردن : إن الجمعية بدأت في مشروع "لبيك غزة" لإغاثة أهل القطاع ، ويضيف أن الجمعية تستقبل بفروعها كافة التبرعات النقدية والعينية. الجمعية ستبدأ بحملة إعلانية كبيرة لفتح باب التبرعات على نطاق واسع وعلى مستوى المملكة الهاشمية . ويتابع أن عمليات الإغاثة في غزة ستكون شاملة من ترميم منازل وشراء معدات طبية وعلاج مصابين.

وقامت التكية المعروفة بالأردن أم علي بتسيير أولى القافلات من مساعداتها الغذائية بعد الاتفاق المسبق مع الهيئة الخيرية الهاشمية لتسيير ١٥ قافلة خاصة بالتكية وبمعدل قافلتين كل أسبوع في عملية تستهدف ٢٧ ألف غزّي يحتاجون المساعدات الغذائية.

وقس على ذلك النموذج الدول العربية والإسلامية والدول الأخرى ، وهذا ما حدث في البلاد الشامخة وتاج الزمان وبعنبس.

شكلت لجان منوعة في البلاد لمساعدة أهل غزة بعد توقف النار بعد ثلاث أسابيع من العدوان والظلم والقهر ، فرافق جهاد نجيب مندوبا عن جمعية الإغاثة رحمة فرقة متطوعين من أطباء ورجال جمعيات وإعلاميين ومواد إغاثية مناسبة ، ونشطت وردة وعصام وغيرهم بجمع التبرعات والمعونات من أموال وأدوية وبطانيات وخيام لأهل غزة .

جهاد وسامي وحسن لهم باع في فعل ذلك النشاط الخيري ؛ حيثما تكون نكبة من مجاعة حرب زلازل في البلدان الإسلامية فتراهم يقومون بمثل هذه الأعمال ضمن نشاط الحركة والتيار الإسلامي والجمعيات الدينية .

لقد حصل نتيجة الغدر الصهيوني مقتل كثير من الآباء ، فكثر الأيتام والأرامل ، فيعملون ترتيبا معينا لرعاية الأيتام والمعوقين والبيوت المدمرة .

بعد سفر جهاد في حملة الإغاثة التي أشرت إليها اتصل الدكتور وائل بوردة ـ وكانت قد طلبت منه منذ انتهاء علاقتهما الشاذة ، أن لا يتصل بها ، ولا يمر عليها في العيادة ـ وهو أيضا سمع وعلم بقصة زواجها من طليقها مرة أخرى ، وقد نشرت الصحف ذلك ـ فبعد سفر جهاد بزمن ضرب رقمها وبعد عدة محاولات ترجاها ألا تقفل الخط ، وهو كان مثل الآخرين متعجبا من تحولها الكبير من عاهرة في الغرام والمجون إلى شيخة ومتدينة قال : أرجوك اسمعيني أنا أعلم من أنت اليوم .. الماضي مات يا دكتورة .. هل صحيح أن جهادا

مشى إلى غزة كما شاع في الأخبار المنشورة في الصحف الحزبية ؟!

ـ الصحف نشرت ذلك ، ونشرت قوائم وأسماء المتطوعين .. آسف على قطع الخط .

وأغلقت الخط فقال عصام الذي كان يسمع ؛ لأنها فتحت السماعة المكبرة ليسمع : لماذا يسأل عن جهاد ؟

ـ لا أريد أن أعرف ، وفتحت مكبر الصوت حتى تسمع يا حبيبي! يجب أن نعيش على وضوح كما اتفقنا أين ذهبت ؟ أين كنت أنا أو أنت ؟

ابتسم وقال وهو يضمها لقلبه : لم نعد بحاجة لهذه الأسئلة ..الله الرقيب علينا ..أنا أثق بك يا وردة ! لا يمكنني أن أشك اليوم بإخلاصك للفراش ولي

قالت : الشيطان يجري في الإنسان مجرى الدم ، فلا داعي لإطالة الحديث مع رجل كان بيننا فساد كبير .. الصحف نشرت تفاصيل الدعم والإغاثة والجهات المسؤولة .. بس الغريب لماذا يسأل؟!

ـ هو هذا الغريب العجيب فعلا! السؤال عن جهاد عارف فلا معرفة بينهما .. هل رجع لزوجته كما سمعنا ؟

ـ مثلك سمعت من إحدى الزميلات القديمات ، ولا أدري الحقيقة !.. أمر لا يهمني ؛ لأنه لا علاقة لي بعلا ولا أعرفها وإن كانت طبيبة مثلنا .. أنا أصلا لم أعرف أنها زوجته ، وأنه متزوج

إلا عندما أمرتني أمي بإنهاء العلاقة به ، فحدثني عن قصة زواجه ، وهجرها له ، ولم يطلقها .

قال عصام وهو يرفعها برفق عن صدره فقبلته وابتعدت : أنا أعرف وائلا جيدا عملنا في المستشفى الجامعي معا لبعض الوقت زملاء عمل فحسب ، أنا كنت في العظام والكسور، وهو في طب الأطفال ، ودرسنا الجامعة في نفس الفترة ، وهو كان متقدما عني بسنة ، وكانت مغامراته النسائية مكشوفة للأسف ، بعض الطالبات والعاملات تحب إقامة علاقات قصيرة ، ويقبلن بممارسة الجنس دون زواج ، فكان هو وبعض الأطباء فرسان الميدان ، لا خلق ولا دين حتى أنه انتشر بيننا أنه أصيب بمرض جنسي تعالج منه سريعا ، واختفى الحديث عنه سريعا ، وعاد لمزاولة غرامياته ، وخشيت الإدارة يومذاك أن يكون أصيب بالإيدز .

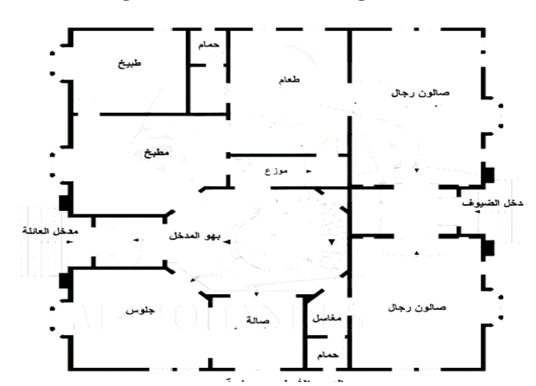
امتعضت وردة من ذكر الهربس ورددت : أصيب بالهربس التناسلي !

قال : هذا ما تبين فعلا ! ومع ذلك لم يرتدع ، وزعم لنا أنه يتوخى الحذر ويستخدم الواقي الذكري .. نعود لجهاد ما أخباره؟

قالت : سيعود قريبا ، انتهت مهمتهم تقريبا ، أخبر أن الناس عندهم نقص كبير في كل شيء، لا تنسى أنهم في حصار من سنوات من اليهود ومن السلطة

ومن مصر والعرب عامة ، وهم يعتمدون كما قال في أول الأمر على إمدادات كهربائية تأتي من إسرائيل ومصر ، وأكثر اعتمادهم على ماتورات خاصة بالمستشفى لتوليد الطاقة ..والكهرباء البديلة ، فإسرائيل تقطع الإمدادات باستمرار ، يقول :كانت الحرب كارثة بالمعنى الحقيقي للكارثة أسابيع ثلاث دمرت غزة .. الدمار عم القطاع من شماله إلى جنوبه .. ما الذي أتى بهؤلاء الملاعين لبلادنا ؟! حياتهم حرب حرب منذ خلقنا ونحن نسمع عن حروبهم التي لا تنتهي .

قال : ولن تنتهي حتى ينتهوا .. الاستعمار الخبيث دق إسفينا بين بلاد العرب ؛ ليبقوا ممزقين متمسكين به ليحمى بلدانهم الممزقة شر ممزق .. عرب آسيا عرب إفريقيا .. دفع الناس ثمن التمزق الغالي والرخيص ، حتى في الضفة الغربية الخائضة لسلطة اوسلو المعترف بها عالميا الوضع مأساوي ومؤلم ، كما نقرأ في الجرائد بشتى اتجاهاتها الفكرية والعقائدية ومن أقاربنا ومعارفنا الذين يأتون إلى بعنبس ، والبلاد بعامة ؛ لكنّ غزة أكثر



تعرضا للظلم والقسوة من بني صهيون .. منذ قفزت حماس لحكم البلاد والحرب مستعرة عليها من الشقيق ومن الخصم والعدو .. وهذه إحدى صفحات الظلم ؛ ولكنهم أهل غزة أرض العزة ، كما يهتفون ليل نهار رابين زعيم صهيوني اغتيل قبل عشر سنوات تمنى زوالها واختفائها من خارطة العالم .. الجغرافيا لا يملك تغيرها أحد .

قالت : لم أفهم !

قال شارحا : لو قام أحد بنقل حجارة الكعبة إلى الهند أو الصين ، فهل انتقلت مكة إلى الهند ؟ المكان لا يرحل يا وردة .. فغزة لن يتغير مكانها ، ولن تختفي عن الخارطة.

انتهت الحلقة الثالثة

قصص وحكايات الفوارس

الأميرة نهر الأحلام

الحلقة ٢ والأخيرة

وذكر التاجر قصة زواج نهر الأحلام من شاب يدعى شديدا من مدينة الأفيال بعد أن حقق لها مطالبها الثلاثة ، وأن والدها طلب منه تاج الأميرة سعدى ـ والدته لزيدان ـ ليبارك لهما الزواج فجاء به من عند الملك فوزان وتم الزواج ، ثم مكث شهر ونصف وغادرت الأميرة مع زوجها نحو بلاده ومعهما التاج ، فقال التاجر : فلما أتانا اللصوص بالتاج استغربت وخفت أيضا أن

يكونوا قد قتلوا الأميرة وزوجها .. فأنا قد رأيت التاج عندما أتى به الفارس شديد ، فأقسموا لي إنهم لم يقتلوا امرأة اسمها نهر الأحلام ، فقلت لا بد من إخبار الملك فقال دربان نحن لم نقتل الأميرة .. ولن نسمح لك بإخبار الملك قبل أن تعطينا ثمنه ، فاتفقنا على أن ادفع لهم حصة من ثمنه، ويبقى بعضهم حتى يتأكد الملك من حياة ابنته وادفع لهم باقي الثمن ، فأخذوا المال وبقي خمسة منهم للشهود أمام الملك ، وأخذ دربان المال وغادر المدينة سريعا ، ثم اطلعت الملك على ذلك بعد أن ضمنت حياة الرجال الخمسة ، فأحضرهم وقصوا عليه قصة التاج ، فأمر بحبسهم حتى يطمئن على حياة ابنته فأرسل ولده سيف النهار لمدينة الأفيال ليأتي بالخبر اليقين ، وقد سافر منذ أيام ويحتاج لشهرين من الأيام حتى يعود يا ابن فوزان الملك .

فقال زيدان : التاج الآن عند الملك جعفر بن عاد .. سأعود لمدينة التاج واجتمع بشديد هذا .. وقد نأتي معا.. فهو نزيل عندنا .. يبدو أنه فقد الأميرة والتاج .

قال جابر بن نادر : عاد زيدان وصحبه لمدينة التاج ، وروى لوالده الملك قصة ذهاب التاج لمدينة الأبراج واستقراره في حضن الملك جعفر، فتعجب الملك فوزان من ذلك ثم قال : ولدنا شديد ذهب لزيارة صاحبه همام وسوف يعود قريبا

ولما اطمئن الفارس شديد على صحة صديقه همام سار إلى مدينة التاج فاعلمه الملك بمصير التاج ، وأن الملك جعفرا أرسل ولده لمدينة الأفيال عاصمة الملك الجديدة لبلاد الأوهام ليبحث عن أخته الأميرة نهر الأحلام ، فقال معلقا بعد سماعه القصة : عجبا لهذا التاج أيها السلطان !.. لو لم يطلبه الملك ابن عاد مهرا لابنته ما جرت كل هذه الأحداث .. أفكر بمقابلة الملك جعفر واذكر له الحقيقة فما تقول أيها الملك ؟.

فابتسم الملك فوزان وبعد تفكير قال : أليس في ذلك خطر على شخصك أيها الفارس؟!.. فابنته الأميرة قد فقدت ، ولا خبر عنها منذ اختفت .. وكما قال زيدان اللعين فقد أرسل جعفر هذا ولده يسأل عنك فلابد أن يعود بمعرفة نسبك .. وهذا الآن ليس بمصلحتك .. فأرسل عبدك سعدا إلى مدينة الأبراج ينتظر عودة سيف النهار، ويعرف ما عاد به من الأخبار، ثم تذهب للملك وتحدثه بهرب ابنته عندما عرفت نسبك .. وأنك ما زلت تبحث عنها في المدن والبلاد وأنك سمعت بأن التاج الذي كان معها وصل إليك وتقص عليه قصة همام من غير أن تعلمه بأنه كان آت به علينا .. فلو قلت إنه كان سائر به حيث مملكتكم فاعترضه اللصوص وهذا ما سيقوله له اللصوص السجناء إن سألهم عن ذلك ، سيعترفون بأنهم

سرقوه ابتداء من الفارس همام .. وأنت فطن ذكي أيها الأمير الفارس ؟!

فقال شديد : حسن هذا .. سأسير سعدا لبلاد الأبراج ، وأسير إلى أخي همام وفرساني ، وبعد



عودة سعد سأذهب للملك جعفر وأصارحه بالحقيقة لعله يعيد لي التاج وسيكون بين يديك بمشيئة رب العباد .

وودع شديد الملك والأمراء ، وانتقل للمكان الذي يعيش به همام وبعد أيام أرسل سعدا وسعيدا لمدينة الأبراج لسماع الأخبار وانتظار عودة الأمير سيف النهار من مدينة الأوهام ، وخلال هذا الزمن الذي مضى تحسنت صحة همام قليلا ، وأصبح بإمكانه المشي والحركة والجلوس على ظهر الحصان ، فأجمع أمرهم بعد عودة سعد وسعيد أن يرحل عدد منهم بالفارس همام إلى مدينة الأوهام

قال الراوي : قال جابر بن نادر : فلنترك هؤلاء القوم بانتظار عودة العبدين من بلاد الأبراج ونرجع قليلا للوراء ، وأيضا في بلاد الأبراج حيث يتربع على حكم هذه البلاد الملك المعروف لكم جعفر بن عاد ، فعندما رأى الملك جعفر التاج اصفر وجهه واحمرت عيناه وانتفخت أوداجه، فلما سمع قول التاجر وئام أمر بإحضار اللصوص واستمع ما قالوه ، ثم أمر بحبسهم حتى يعود الأمير سيف النهار من بلاد الأفيال ، ويتأكد من حياة أخته نهر الأحلام ، وكان الملك في غاية القلق والخوف على مصرع الأميرة ، وينتظر مرور الأيام على أحر من الجمر واللظى ، وبعد شهرين وأيام جاء سيف النهار وأصحابه الفرسان، ودخلوا على الملك المنتظر قبل أن يزيلوا وعثاء وغبار السفر وعلى الفور قال الأمير بعد التحية: الأميرة نهر الأحلام لم تصل مدينة الأفيال يا ملك الزمان !

فلما سمع الملك هذا الخبر هب واقفا عن عرش الملك، وقال بصوت أجش: ويلك ما قلت يا سيف النهار ؟!

فقال سيف : على رسلك يا مولاي! واهدأ حتى أستطيع الكلام.

فعاد جعفر إلى كرسي العرش وقال : تكلم أيها الفارس ؟

قال سيف : أيها الملك العظيم .. دخلت أنا والرجال مدينة الأفيال بدون قيل وقال ولا اعتراض من لصوص الليل .. وسألنا عن شديد زوج اختنا نهر الأحلام .. فوجدنا أن مدينة الأفيال تخضع لملك مدينة الأوهام .. الملك شداد

بن هدير بن جرير .. الذي تذكره يا ملك الزمان ؟

فصفن الملك قليلا ثم قال : أليست هذه البلاد التي غزوناها منذ سنوات ودمرناها عن بكرة أبيها.. وأتينا بأمرائها بالذل والعار وصلبناهم بعد أن أذقناهم العذاب .

قال سيف النهار : أجل يا أبتاه !.. ولكننا كما تذكر لم نأسر الأبناء لذلك الملك، فلم يكونوا في المدينة أثناء تدميرها وحرقها .

فقال جعفر : اكمل أيها الفتى فقد زاد انقباض صدري على الأميرة نهر الأحلام .

فعاد سيف للكلام قائلا : أيها الملك لقد عاد الأبناء وأعادوا بناء مملكة الآباء، ونـقلوا عاصمة ملكهم لمدينة الأفيال .. كانت مدينة صغيرة عندما دمرنا تلك البلاد ونصب الأمير شداد ملكا عليهم .. فوجدنا أن الأمير شديدا هو أخ أصغر للملك شداد .

فصاح جعفر وهو يضع رأسه بين يديه : ويلك ماذا قلت يا سيف النهار ؟! رأسي تدور .. فهل قتلت نهر الأحلام ؟!

فقال سيف : لا تتعجل يا مولاي .. فالأمر غريب وعجيب! .. فلما عرفنا أن زوج اختنا ابن الملك هدير دخلنا على الملك شداد وعرفناه على أنفسنا.. فأحسن استقبالنا ورحب بنا وبين لنا أن أخاه منذ ذهب لبلاد الأبراج ليتزوج الأميرة نهر الأحلام لم يعد لبلاد الأفيال .. وهو ما زال حي يرزق ..فهو بعدما حقق مطالب الأميرة الثلاثة قد ذهب للملك فوزان فاستعار منه التاج تاج الملكة سعدى على أمل أن يعيده له بعد انتهاء مراسم الزواج .. ولذلك ألزم الملك بأن يهب التاج للأميرة ليأخذه منها بعد الزواج ويعيده لصاحبته .

وقال سيف : وأخبرنا يا مولاي الملك شداد أنهما بعدما تركا البلاد بأيام هربت الأميرة منه عندما علمت بأنه ابن الملك هدير .. وهو قد بحث وما زال يبحث عنها .. وأثناء خروجهما من بلادنا كان التاج معه محتفظا به ، فأرسله مع أحد رجاله إلى الملك فوزان .. وفي أثناء الطريق تعرض له لصوص وسلبوا منه التاج وطعنوه بخنجر وظنوه ميتا .. ووصل التاج لمدينة الجبل الأعظم ، ثم عاد إلينا عن طريق اللصوص كما تعلم يا مولاي .. والفارس شديد ما زال يبحث عن الأميرة وعن التاج .. وبعد أن تأكدنا من صدق هذه الأخبار عدنا إليك بالخبر اليقين.. وقد علمنا من الملك شداد أن الأمير شديد ربما سيأتي إلينا رغبة بالحصول على التاج.

فقال جعفر : حكاية عجيبة أيها الأمراء !.. إذن فزوج الأميرة نهر الأحلام .. هو الأمير شديد بن هدير .. هذا قدر غريب وعجيب !.. ولكن أين اختفت الأميرة ؟! ولماذا هربت ؟! ولماذا لم ترجع

إلينا ؟ هناك أسئلة كثيرة تدور في ذهني لا يوضحها إلا الأمير شديد .

استدعى الملك اللصوص الخمسة فاعترفوا له بقتل الرجل الذي كان يحمل التاج ، وأن زعيمهم هو ابن الملك فوزان الأمير زيدان .. ولما استولوا على التاج أهداه الأمير لعشيقة له في بلاد الجبل فغضب دربان وقتلها وأخذ التاج منها وجاءوا إلى هذه البلاد ليبيعوه للتاجر وئام، فاكتشف أنه تاج ابنة الملك ، فأخبر الملك بأمرهم، فأمر الملك جعفر بطردهم من البلد وحذرهم من المجيء إليها ثانية

قال الراوي : أخبرنا جابر بن نادر: علم شديد بكثير من هذه الأخبار التي وصلت للملك جعفر ، فركب حصانه عادل البحر ، ودخل بلاد الأبراج ، ولما وصلها دخل على الملك جعفر الذي هو في شوق لحل جميع أسرار هذه الحكاية فقال : يا شديد .. تكلم من البداية للنهاية ولا تخفي عنا شيئا فكثير من التفصيلات بين أيدينا ولكن بعض الفقرات مفقودة نحتاج لمعرفتها .

فقال شديد : أيها الملك العظيم بما أنك عرفت فصلي وأصلي فما عاد هناك أمر مخفي سأتكلم بكل الصراحة والصدق .. تعلم أيها الملك ما فعلت بنا وأهلنا وديارنا من القتل والدماء والجراح

فقطع جعفر الكلام قائلا : أنتم السبب كما تعلم أيها الفارس .. خطفتم فلذة كبدي وحبستم أولادي.. وأنت تعلم أن هذا عار كبير على ملك عظيم مثلي؛ فكان يجب الثأر والانتقام وهذا ما فعلته غير نادم .

فقال شديد : ولكن العفو والصفح عند الاقتدار من شيم الملوك .

فقال جعفر : ليس دائما .. ولكن هذا ما حصل اكمل قصتك ؟

قال شديد : بعد تلك الكارثة التي علمت هرب السكان خوفا من بطش الجنود ، وكنا من ضمن الهاربين في الشعاب والجبال أنا وأخي شدادا واختنا ورودا وكل ذي عمر من أولاد الأمراء والأقارب ، ولما خرجتم عدنا ونصبنا شدادا ملكا على البلاد والعباد ، وبدأنا نعمر ونبني من جديد ، وجاءت الأخبار بموت الملك هدير والأسرى فحزنّا أياما .. ولكن ليس أمامنا إلا الدعاء واللعن والصبر على مر الأيام إلى أن جاءت الأخبار بأخبار الأميرة نهر الأحلام ، فوقع في قلبي أن أفعل ما لم يحققه أبي من الزواج بابنة الملك جعفر .. وبعد جدال صعب ومر مع اخوتي رضخوا لي مع خوفهم الشديد عليّ من العبد الأسود ، وبعدم ضرورة هذا الزواج من عدونا .. المهم بعد أخذ ورد أقنعتهم بحسن الزواج من الأميرة نهر الأحلام ..ومن أهمها انهاء العداوة بيننا فيما بعد ونسيان جروح الماضي .. وقلت لهما متحديا إذا لم

أحقق النصر على العبد فلن أكون من صناديد الفرسان والأبطال .. فجئت إلى بلادكم وكان معي همام فارس مثلي وصديقي وخادميّ سعد وسعيد وبعض الفرسان فنزلنا في قرية تبعد عنكم بضع ليال ، وجئت إليكم عارضا عليكم نفسي .. وقابلتك أيها الملك ، وحضرت الأميرة وأعادت عليّ مطالبها ، وقد وافقت على شرطكم وأنتم وافقتم على شرطي بأخذ الأميرة إلى أي مكان في

الدنيا لظنكم أنني سأموت لصعوبة الحصول على تلك الأشياء .

فقال جعفر : ولكنك لما جئتنا نسبت نفسك لمدينة الأفيال وليس الأوهام ؟

قال شديد : نعم وهي عاصمة ملكنا الجديدة .. ولم أنتسب لمدينة الأوهام حتى لا تتذكروا تلك الذكريات وتحرموني من تحقيق حلمي عندما تعرفون أصلي وبلدي الأصلي .. وأنتم أيها الملك كنتم واثقين من سوء المصير الذي سألقاه في مدينة السدود ، وقد أكثرت من نصحي بالتخلي عن هذه المهمة ولو نسبت نفسي لوالدي فلربما قتلتموني أو تطرودنني شر طردة .. واعلم يا سيدي أن ملوك بلاد الأوهام كلهم ينحدرون من مدينة الأفيال عادة .. وذهبت إلى بلاد السودان ، وعملت عبدا وخادما حتى تمكنت من قتل العبد اللئيم بيدي هاتين ـ وأشار بيديه ـ ونصبت خادمي سعيد ملكا حتى قتلت السبع ، وكان همام قد عاش مع خيل ملك السودان حتى تمكنا من سرقة الحصان ، والخروج من بلاد السودان بسلام .. ولكنكم تفاجأتم بعودتي حيا ، فطلبت منا تاج الأميرة سعدى زوجة الملك فوزان لظنك أيضا بموتي ؛ ولأننا من أقارب الملك فوزان ألزمتك بوهب التاج للأميرة .. وسرت إلى تلك البلاد ، وأسررت بالأمر للملك فوزان ، وبعد تشاور مع زوجته أعارني التاج حتى أتمكن من تحقيق حلم والدي الذي قتل من أجله .

فقال جعفر : كيف يكون قريبكم فوزان هذا ؟

رد الأمير شديد : فأمه يا سيدي الملك خالة جدي من أبي ..فجئتكم بالتاج حيا على أمل أن آخذه من الأميرة بعد زواجنا .. وتم زواجنا كما تعلمون على خير ما يرام.. ومكثت بينكم أربعين يوما تزيد قليلا ، ثم استأذنت بالرحيل وقبل الرحيل عرفت الأميرة على نسبي وأهلي حتى تكون بالخيار إن شاءت سافرت وإن شاءت ظلت .. تغير لونها لأول الأمر ، ولم تتكلم ، وإن أبدت نفورا بعد ، ولما لم تحدثكم بالأمر علمت أنها راغبة بالخروج معنا

لبلادنا .. وخرجنا بالتفصيل الذي تعلمونه ، ولما اقتربنا من القرية التي ينزل بها بعض رجالي استأذنتها بالذهاب إليهم وإعطائهم التاج ليوصلوه للملك فوزان .

قال جابر بن نادر : الأمير هنا لم يقل الحقيقة ، فهو كما يعلم السامعون أخذ التاج دون علم الأميرة ، وتابع الأمير كلامه قائلا : تركتها والعبدين وجاريتها وسرت بالتاج إلى أصحابي في قرية السعدة.. واعلم يا مولاي أنني لم ألحظ أن الأميرة تفكر بالهرب ، وظننت أن قلبها صفي من ناحيتي ؛ لأنه لا دخل لي بما فعله أبي سابقا .. أوصيت العبدين عليها ووصلت أصحابي ، وكلفت هماما بنقل التاج للملك فوزان ويعود لبلاد الأفيال ، وأخذت الرجال وسرنا حيث الأميرة لنتابع المسيرة نحو بلادنا ، فلم نجدها ومن معها ووجدنا بعض الأحمال فبحثنا عنهم هنا وهناك فلم نعثر لهم على أثر ، ولما لم نجد أثر عنف أو أثر غزاة فرسخ لدينا هربها ، فأرسلت خادمي إلى هنا يتشمم أخبارها لعلها رجعت إليكم ، فعاد بخفي حنين ، وفتشنا في القرى المجاورة فلم نصل لشيء ، ثم علمنا بمحاولة قتل همام قبل وصوله لبلاد التاج ، وصرنا نبحث عن التاج والأميرة ، ثم وجدنا صاحبنا هماما جريحا في إحدى القرى فاهتممنا به ، وقد سمع همام أثناء محاولة مصرعه اسم زيدان فسألنا الفلاحين عن هذا الاسم ، لا يعرفه أحد ، فزرت الملك فوزان وقصصت عليه حكاية التاج ، فظهر أن له ولدا يتزعم عصابة كبيرة من اللصوص وقطاع الطرق ، ولما قبض عليه اعترف بأنه استولى على تاج مع أحد الناس واشتبه عليه الأمر ، فلم يعرف أنه تاج أمه لعدم معرفته بخروج التاج من البلاد ؛ لأنني أخذت التاج من الملك خفية عن الناس .. وكان ذلك اللعين قبل القبض عليه يعرف امرأة غانية في بلاد الجبل الأعظم ، فأهداه لها فذهبت أنا وأخاه سليمان إليها فوجدناها تحتفل بزواجها من ابن ملك تلك المدينة ، فوصلنا البلدة يوم الاحتفال ، فقلنا نتكلم مع الملك بعد انتهاء الاحتفال ، فنزلنا في خان ، وكان زيدان اللعين بعمله هذا مع هذه المرأة اللعوب قد أغضب جماعته ، ففي يوم الفرح قتل اللصوص الفتاة وزوجها الأمير ، واستولوا على التاج والمجوهرات وهربوا من المدينة قبل زوال الليل ، وجاءوا ليبيعوه عند تاجر شهير عندكم .. فهذه قصتي يا ملك الزمان جعفر بن عاد .

وبعد صمت قال شديد : عرفنا أن التاج عندكم وأنكم قلقون على حياة ابنتكم .. فتأكد يا ملك الزمان أن ابنتكم حية ؛ ولكنها أرادت أن تختبر حبي الكبير لها وسأظل أبحث عنها لآخر يوم في حياتي .. وأطمع منك يا ملك الزمان الملك

المشهور بالكرم والجود والإقدام والشهامة سليل الملوك الكبار أن تهبني التاج لأعيده للملك فوزان .. وأنا سأبقى أسيركم حتى تظهر الأميرة نهر الأحلام .. وتتأكدون من حياتها وأنني لم أمسسها بسوء والله شهيد على ذلك .. .

وخيم الصمت على الحاضرين ديوان الملك ثم قال الملك : صدقت أيها الفارس .. ولكن أين ذهبت نهر الأحلام ؟



فقال شديد والأسف في عينيه : ما نزلت قرية أو مدينة أو بادية إلا سألنا عنها يا ملك الزمان! فهي قرة عيني التي جاهدت ملك السودان لأحظى بالقرب منها ومنكم .. وما كرهتها قط.. وما أتيت بلادكم منتقما ! .. بل أحببتها نفسي مع ما بيننا من دم .. وهل أجرؤ يا ملك الزمان أن أغدر بابنة الملك الكبير جعفر بن عاد ؟! .. نحن نقر أن والدنا أخطأ في حقك .. إنه كان يحب الزواج كثيرا من بنات الملوك ، بل استخطأه عدد من وزرائه ؛ ولكن الله غالب على أمره وأنا وجدتها مناسبة للمصالحة بين بلدينا ونسيان جروح الماضي .. نحن بإمكاننا قتل سيد كبير منكم ولكن كيف ننسى شدة انتقامكم رغم ما بيننا من مسافات ؟ .. وإذا أحببت قتلي يا ملك الزمان فدمي مهدور لك ؛ لكن عندي شعور كبير بأن الأميرة ستعود .. وافعل بي ما شئت وأنا أغفر لك دمي .

فقال الملك : بعد الكلام الشجاع الذي سمعته منك فأنت أصبحت مثل أبنائي.. وأنت فارس مقدام لا يفرط بك ، وما جرى بيننا من حروب عفا الله عما سلف ، وأنا مثلك أحس بأن الأميرة على قيد الحياة ، وأهلا بك وبفرسانك فأنتم ضيوف عندنا.



فأرسل شديد خادمه سعيدا يدعو من ظل من رجاله لضيافة الملك ، وبعد أيام دفع الملك جعفر التاج لشديد وهو يقول : أيها الفارس .. أنت تزوجت الأميرة عن جدارة وبسالة.. والأميرة غفر الله لها كانت غير محبة للرجال ، ولا الزواج.. فمن أجل ذلك وضعت تلك المطالب حتى لا تتزوج.. وحتى لا أظل ألح عليها بالزواج .. فتقدم بضعة شباب لها، ولم نعد نسمع أخبارهم ثم نسينا الأمر حتى ظهرت لنا .. وبذلنا جهدا لصرفك كما تعلم

.. ولكنك أصررت على المسير لبلاد السدود وحققت ما لم نحلم به، فما كان أمامها إلا الرضوخ والاستسلام وكما قلت لي لما علمت من أنت؟ وابن من ؟ قررت الاختفاء من حياتنا ، فمنك لأنك ابن الرجل الذي تسبب بزواجها، ومنا حتى لا نرغمها على زوج جديد .. واعلم أيها الفارس أن بلاد برج الأبراج ترحب بك دائما والتاج وهبتك إياه وافعل أنت ما تريد .

نهض شديد وعانق الملك وقبل يديه وركبته وقال : أيها الملك العظيم!! .. تأكد بأنني سأستمر بالبحث والسؤال عنها .. وكل من يطرق مملكتنا سأسأله لعلي أعثر عليها .. وأنا مستأذن منك بالسفر لبلاد التاج لأرجع لهم هبتك .. وأحدثهم عن جودك وعدلك .. وإذا علمتم يا مولاي عنها شيئا لا تنسوا من إخبارنا .

وودع الأمير الملك ورجال حاشيته ، وانطلق بفرسانه وخادميه نحو بلاد التاج ، وفرح فوزان فرحا كبيرا بعودة تاج سعدى ، وعجب من كرم الملك جعفر ونخوته وتضحيته بالتاج رغم ضياع ابنته ، فأرسل وفدا كبيرا من رجاله لعقد معاهدة صلح أبدية بين البلدين بعدما رأى من جود جعفر الملك ، وشكر فوزان شديدا على وفائه وصدقه ، وعاد شديد لبلاد الأوهام ، وانشغل فوزان بالصلح مع بلاد برج الأبراج ، ودخل شديد بلاد الأوهام بعد غياب زاد عن ثلاث سنوات ، وبعد حين تزوج الأمير شديد من فتيات بلاده أخت للفارس همام ، أنجبت له البنين والبنات ، وأما همام الفارس فقد شفي من جرحه تماما وتزوج هو الآخر ، ولنتركهم ينعمون بملذات الدنيا ، ونعود لبطلة قصتنا الأميرة نهر الأحلام التي اختفت عن الأنظار في ذاك النهار .

غريب

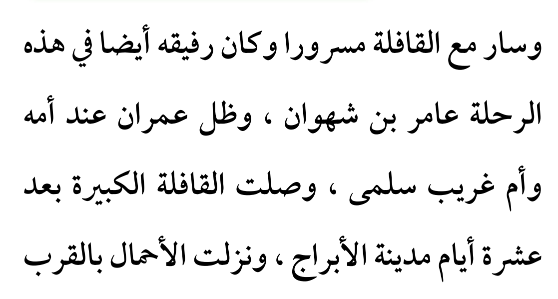
قال جابر بن نادر : أيها السادة الكرام القصة لم تنته بعد ما الذي حدث لنهر الأحلام عندما فارقت زوجها شديد بن هدير؟.. لما تركها الأمير سائرا لأصحابه في قرية السعدة افتقدت التاج الجميل ، فأحست بأن زوجها يريد أن يغدر بها وهذا أول الغدر ، فلقد أخذ التاج خفية والأمير كما تعلمون أخفى عنها الكثير من الحقائق وهي كانت تفكر بالهروب قبل اختفاء التاج وذلك عندما علمت من هم أهل شديد وعشيرته فغلب على ذهنها أن كل أفعاله هذه لينتقم منها عندما تصل بلاده ، فلما غادرهم الأمير ووجدت التاج مسروقا زادت شكوكها ، فأمرت عبديها بالاستعداد للهرب قبل عودة الفارس، وقام شهوان وعرفان بالتخفف من كثير من الأحمال وحملوا اللؤلؤ والذهب ، وأسرعوا هاربين مع طرق القوافل نحو البلاد الساحلية ، واختلطوا مع القوافل ، وبعد عشرة

أيام نزلوا مدينة الساحل ، وهناك سكنوا دون أن يشعر أحد من الناس أنهم غرباء ، فتظاهروا أمام الجيران أنهم يرحلون من حي إلى حي آخر ، وأخفوا أمرهم عن الناس ؛ ولأن هذه المدينة قريبة من البحر ويدخلها التجار برا وبحرا صيفا وشتاء نهارا وليلا ، فلم يعرف أحد نهائيا أنهم هاربون ، وقد اشتروا بيتا واستقروا فيه ، وما كادوا يستريحون من سفرهم حتى مات الخادم عرفان ، فحزنوا عليه وواروه الثرى ، ثم اكتشفت الأميرة بعد شهر من الزمان بإنها حامل من زوجها شديد ، فبدأت تهيئ نفسها لاستقبال المولود الذي أهل بموعده فسمته غريبا ، ثم أنكحت جاريتها سلام من عبدها شهوان ، وبعد سنوات عرفت الأميرة حياة وعادات مدينة الساحل ، وعرفت بعض العائلات والأسر ، وتعرفت على تاجر كبير عن طريق عبدها شهوان فشاركته في التجارة فصار العبد شهوان يعمل بأموال الأميرة مع التاجر هشيم ، واهتمت الأميرة التي سمت نفسها بسلمى برعاية ولدها غريب الذي أحبته حبا كبيرا ، ولقد أنجبت جاريتها غلامين عامرا وعمران ، وكانت الأميرة بعد سنوات من نجاح تجارتها تتصدق على الفقراء والمساكين ، وتهتم بهم وتحسن إليهم ، فكانت الأرامل والأيتام يحبون أم غريب ويحبون ابنها ويترددون على بيتها لنيل الاحسان ، وقد عرض بعضهم الزواج منها ، فاعتذرت لهم ، ورفضت بعضهم بشدة ، وتخبرهم أنها تبغض هذا الحديث ، فما عادت النساء تتحدث معها في مثل هذا الموضوع ، وكان أهل هذه المدينة أكثرهم متعلقين بالتجارة ، ويهتمون بها كثيرا أكثر من الصيد ، فتجدهم يتنقلون بين المدن بقوافلهم أو مراكبهم المائية ، فتجد صبيانهم يعملون بنقل الأحمال من البحر إلى البغال والدكاكين .

كبر غريب وعامر وعمران وأصبحوا فتيانا ، فأرسلتهم الأميرة إلى الفارس جربوعة ليعلمهم الفروسية والدفاع عن أنفسهم مقابل الأجر الكبير ، وجربوعة هذا لم يقصر معهم أي تقصير، فقد كانت الأميرة كريمة معه ، فكان هو الآخر كريما مع الأولاد في تدريبهم وتعليمهم الفروسية وآدابها ، وهذه أيضا مهنته تدريب الشباب على الطعن والضرب وركوب الخيل ، ولما أصبح غريب ابن عشرين سنة كان قد اكتمل تأهله ؛ ليكون فارسا قويا يستطيع ركوب الجواد والمسابقة عليه ومبارزة الفرسان ، فشكرت الأم المدرب جربوعة وأحسنت مكافأته ، وسمحت له أمه بمرافقة شهوان في مصاحبة القوافل ، وعندما كان شديد يسأل عن أبيه هل هو حي أم ميت ؟ تقول له : إنها لا تدري وسيأتي يوم وتذكر له من هو أبوه ؟ ومن هم قومه ؟ فيلزم الصمت ولا يريد أن يكره أمه

على أمر لا تريده .

فكان من عادة أهل هذه البلدة أن يرافق عدد من الفرسان القوافل لحمايتها من قطاع الطرق واللصوص والزعران مقابل مبلغ من المال ثمنا لتلك السفرة ، وذلك يكون حسب مدة الرحلة التجارية ، فلما أصبح غريب فارسا من الفرسان عرض عليه المشاركة في حراسة قافلة من القوافل ، والعجيب أنها سائرة لمدينة الأبراج ، وكان غريب قد وافق على العرض قبل أن يخبر أمه بالعرض ، فلما علمت انزعجت واضطربت وعادت بها الذكريات إلى تلك الديار ، وكان عبدها شهوان يتجنب السفر لتلك البلاد خوفا من أن يرى أحد الخدم والمعارف فيفسد على الأميرة هربها، وخصوصا بعد كل هذه السنوات الطوال ، ولخوف الأميرة من انكشاف أسرارها الدفينة لم تمانع وأظهرت الرضا ، وكذلك العبد شهوان لم يكن موجودا بل هو مسافر في رحلة تجارية ، ففرح غريب على موافقة أمه



وسار مع القافلة مسرورا وكان رفيقه أيضا في هذه الرحلة عامر بن شهوان ، وظل عمران عند أمه وأم غريب سلمى ، وصلت القافلة الكبيرة بعد عشرة أيام مدينة الأبراج ، ونزلت الأحمال بالقرب من أكبر الأسواق ليبيعوا أحمالهم ويشتروا غيرها ، ومن ثم تعود القافلة إلى بلاد الساحل وبعضها يسير إلى مدن أخرى ، وخلال مدة التبادل ينزل قائد القافلة والفرسان في الفنادق والخانات ، وبعضهم يستأجر بيتا كبيرا يقضون به الأيام المطلوبة ، فلما أفرغت الأحمال استأجر التجار بيتا كبيرا لهم وللحراس إلا من شاء أن ينزل في الخانات ، وعليه أن يكون على اتصال بقائد القافلة ؛ ليعرف موعد الرحيل ، وفي الصباح انشغل التجار بالبيع والشراء ، وأخذ غريب رفيقه عامرا وساروا يتفرجون على مدينة الأبراج سيرا على الأقدام ، وكما هو معلوم فمدينة الأبراج مدينة كبيرة وعامرة وجميلة ، وقد قادتهم أقدامهم إلى بئر ماء كبيرة في طرف البرج الأوسط ، وكانت بين أشجار عالية ، وكانت مزدحمة بالنساء من فتيات وعجائز يملئن أوعيتهن لنقلها للبيوت ، فتعجب الشابان من هذا المشهد فقال غريب : أين الرجال ؟! .. كلهن نساء . . لنقترب منهن ونطلب السقيا ونسمع أصوات نساء هذه المدينة .

ولما هبطا نحو البئر نفرت الصبايا من هذين الرجلين فصاح غريب : نحن غريبان .. نرغب بشرب الماء .. المعذرة منكن .

فسمع صبية قد كانت تجلس على صخرة كالمقعد تحت ظل شجرة : أيها الغريب من أي البلاد أنت

فنظر إليها غريب فإذا هي صبية حسناء فاتنة ذات صوت رخيم وتعجب من جرأتها فقال لها : نحن يا أمة الله من مدينة الساحل جئنا أمس مع قافلة حراسا لها.. وهذه أول مرة ندخل هذه المدينة ، فأحببنا الفرجة عليها ، فقادتنا أقدامنا نحو هذه البئر .. فشاهدنا هذا العدد الكبير من النساء فدهشنا .

فقال الصبية الجالسة على الحجر : يا سلامة ـ جارية لها ـ اسق الشابين .. وهذه أيها الغريب عين الساحر .. ماؤها مبارك ، ويستشفي الناس المرضى من سقائها، ويأخذون للبيوت منها ليستعملوها في صناعة الدواء والطهي وللبركة .. وما معنى حارس قافلة أيها الغريب ؟

قد طرب غريب لسماع صوتها ، وخفق فؤاده الشاب لها وتمنى زواجها ، فشرح لها عمل حارس القافلة ، وكان قد تناول هذا الأثناء الماء من الجارية سلامة وأعطاه لرفيقه وقال : أيتها الحسناء هل هذا بئر خاص بالنساء ؟

فردت عليه بصوت عذب : نعم أيها الفارس .. ولو رآك رجل هنا قد تخسر حياتك أو تطرح في السجن .. فهذه البئر خاص بالنساء .

فابتسم غريب المسلوب اللب بالفتاة التي تكلمه : أمن أجل شربة ماء يعاقب الإنسان أيتها الحسناء ؟ وكان قد اقترب منها بعض خطوات وقال بصوت ضعيف: ألا يزوجون الغرباء في هذه المدينة ؟!

فقامت الأميرة وقد نظرت للصبايا من حولها ، وقبل أن تتكلم قالت إحدى النساء : أيها الغريب هذه أميرة التي تتحدث معك فانصرف قبل فوات الوقت .

فهتف غريب وعامر معا : أميرة !! ثم قال غريب : أميرة ! ولكنها جميلة وشجاعة .. شكرا لك أيتها الأميرة على شربة الماء .. هيا بنا أيها الصديق .

فمشت الأميرة نحوهم قليلا وقالت : تمهل أيها الشاب . والتصقت به وهمست : أين تنزل ؟

فقال : اسمي غريب ! ونسكن في بيت قرب السوق الكبير يقال لصاحبه أبي الصقر .

ثم رفعت صوتها وهي تقول : مع السلامة أيها الشاب .

غادر غريب المكان وهو عاشق ولهان، لقد خفق قلبه لهذه الفتاة الشجاعة فقال لعامر : أخشى أن أكون قد وقعت في هواها يا عامر!

فرد عامر باسما : بل وقعت في هواها وقوعا تاما .

فقال وهو يحلم : لقد جذبتني نظرات عينيها وبريقهما الآخاذ .. ولكنها أميرة .. وأمي كيف ترضى ؟! وكيف يرضى أهلها بي قبل ذلك ؟! وأنا المجهول النسب .. الوضيع الشرف .. آه يا صاحبي العزيز !

قال جابر : بعد منتصف الليل دخل المنزل ـ منزل أبي الصقر ـ عبد اسود يسأل عن غريب ، ثم همس بأذنه بكلمات ، ثم استأذن غريب من القوم ، ثم خرجا معا ، وتبعهما سرا عامر ، ومشى العبد بغريب إلى مكان معين فوجد الفتاة الأميرة ملثمة في انتظاره هي وجاريتها سلامة .. فرحبت به وقالت له بصراحة : أيها الشاب لا أدري ما الذي جذبني إليك .. ؟!

وقال مقاطعا : وأنا أيتها الحسناء حدث لي ما أصابك ! .. أول مرة تجذبني فتاة بهذه السرعة .. ولكن كيف الزواج منك ؟!

فقالت : تخطبني من أبي .

فقال : وكيف ذلك ؟!

فقالت : يا غريب .. أنا اسمي شمس النهار زدني معرفة بنفسك وعن بلدك وأهلك ؟.

فقال : أنا سمتني أمي غريبا ، ومن سكان مدينة الساحل ، ولدت فيها منذ عشرين سنة ، وترعرعت فيها وأصبحت فارسا .. وقولي إنني من عامة الناس .. فهذه بلادي يا شمس النهار ومن أنت يا أميرتي الحسناء ؟

فضحكت الأميرة وقالت : أنا الأميرة شمس النهار ابنة الأمير سيف النهار .. أي حفيدة الملك الشيخ جعفر بن عاد سلطان وسيد هذه البلاد .

فهمس بقلق وخوف : جدك الملك جعفر !!

ويحك كيف سأتزوجك يا ابنة الملوك ؟ لمَ سخرت من هواي ؟!

قالت : لا تخف .. ألست تحبني ؟! فرغم زواجنا من الأغراب صعب سأساعدك أيها الشاب ؛ لكن عليك أن تعاهدني على الوفاء وألا تغدر بي .

فقال بسرعة ولهفة الولهان : ويلاه ! ..إنك تشترينني .. إنني أعاهدك على الوفاء حتى الموت، وأن أكون لك الزوج المحب المخلص ..صدقيني بداخلي عواطف لا أعلم كيف أعبر لك عنها لتثقي بصدق دقات قلبي ؟

فقالت : عرفت ذلك من نظراتك عند عين الساحر .. وأنا نفسي لا أدري كيف تعلق بك قلبي من أول وهلة؟! .. أهذا هو الحب ؟!.. والغرام .. لست أدري .. ؟ المهم أنني همت بك ورضيت بك قرينا..كم يوما تقضي في بلادنا هذه ؟

فكان الفتى كأنه يعيش في رؤية فقال : لا أعلم أيتها الأميرة .

فقالت : سأعود الآن للبيت ، وسأفكر بالأمر وسوف أرسل لك عبدي أو أمتي سلامة ثم نلتقي بهذا المكان وندبر أمرنا .

وودعته وانصرفت مع جاريتها وخادمها الذي كان ينتظر خارج المكان، وطلبت من العبد أن يذهب بغريب إلى حيث ينزل ، وكان عامر قد تابع هذا اللقاء العاطفي عن بعد ، ولما انصرفت الأميرة

أسرع عامر إلى البيت سابقا صاحبه، فلما عاد غريب قص عليه ما جرى ، ولم يخف عنه شيئا فقال عامر : شأن غريب يا غريب !

وبعد أيام ثلاثة أخبرهم قائد القافلة بالتهيأ للرحيل مساء، فقد تم بيع البضائع وشراء غيرها فقال غريب : ويحكم بهذه السرعة .

فقال أحدهم : ما بك أيها الفارس لعلك تعلقت بإحدى النساء هنا ؟

نظر إليه غريب باستغراب وقال : ما تقول أيها الرجل ؟!

وتركه قبل أن يسمع الجواب باحثا عن عامر، فوجده يحزم الأمتعة التي اشتروها من أسواق المدينة استعدادا للعودة ، وكان قد جهز الخيل وتفقدها فقال غريب : ما العمل ؟ .. كيف سأخبر الأميرة بالسفر ؟ لن أسافر ، سأتأخر عن القافلة ليلة واحدة ، ثم ألحق بكم لعل عبدها يأتيني الليلة فقال عامر : أيها الحبيب .. ماذا ستقول للرجال ؟ .. وأخشى أن يصيبك شأن من هذه الجارية أملك يا غريب ماذا سيحل بها إن أصابك ومسك مكروه وشر ؟ .. عد وشاورها في الأمر قبل الإقدام ..

وقد لا يأتي العبد الليلة .

فقال غريب : سأنتظره لنصف الليل فإن لم يحضر سألحق بكم .

فقال عامر : حسن هذا .. لو كلمت أمير القافلة بشأن هذا التأخير .

فساروا نحو قائد القافلة ، واستأذنه بالتأخر عن القافلة هذه الليلة لأمر خاص وهام رتبه مع بعض الأهالي في المدينة ، فقال له القائد : قد تتأخر القافلة ليلة أيها الفارس .. فأحد التجار لم يجهز حمولته .. فقد نتأخر ليلة فاقض مصلحتك براحتك .

شكره الفارس وفرح فرحا كبيرا لهذا التأخير ، وجاءه العبد في الليل وأخذه للقاء الأميرة العاشقة في نفس المكان السابق ومعها جاريتها سلامة فقالت : مرحبا بالفارس غريب .. مالك متغير اللون ؟!

فقال : القافلة تريد أن تتحرك قبل أن نرتب أمرنا .. وكيف أترك قلبي هنا ؟

فقالت : متى ؟ فقال : غدا بمشيئة الرب .

صمتت قليلا وقالت : لا بأس أيها الغريب .. سافر مع القافلة ، وارجع وحدك أي من غير قافلة .. ولسوف أدبر حيلة نتزوج بها .

فطار غريب من السعادة مع القلق المخيم عليه من هذا الزواج المفاجىء وقال : كم أغيب ؟ الطريق تحتاج إلى عشرة أيام حتى نصل بلادنا .

فقالت : ارجع بعد شهر .. لا تتأخر .. فقد أهرب معك .. فحدثت أمي برغبتي بالزواج منك فرفضت واستفظعت الأمر .. بعد شهر ترد على عين الساحر خفية فسأكون أنا أو جاريتي بانتظارك .

وودعته الأميرة العاشقة وداعا كله أشواق وهوى ، وعاد غريب إلى المنزل ، وكله تفكير وتوتر وعجب لهذا الهوى العاجل .

استقبلت سلمى ولدها الوحيد بشوق شديد ، وحمدت الله على سلامته ورجعته ، ولما سمعت قصة عشقه لابنة أخيها عجبت لتصاريف القدر ، واشتد عليها الأمر ، وحزنت وطفرت الدموع في عينيها ، مما أدهش غريب ، ونصحته بعدم التفكير بتلك الأميرة ، وأن يتزوج فتاة من أهل هذه البلدة ، فكرر مشاعره قائلا : يا أماه ! لا صبر لي عنها إنها سحرتني بحسنها وروعتها وإقدامها .. إنها تريد أن تهرب معي إلى هنا إن رفضني أهلها .

وبذلت الأم جهدا كبيرا لثنيه عن هذا الهوى ، ومضت الأيام وهما يتشاجران تارة ويصطلحان تارة أخرى ، ولما ظل عشرة أيام للموعد المضروب بينهما ودع أمه، وأخذ عامر معه وسار نحو بلاد الأبراج .

قال الراوي : وهذا كله للأمر المقدر من الله تعالى ، لم تصبر الأميرة نهر الأحلام على مخاطرة ولدها ، فأمرت شهوان بأن يدبر لها أمرها فقال لها : بعد يومين هناك قافلة سائرة لبلاد الأبراج فعليك بالسير معها ، وعمران سيكون معك يا مولاتي

فلنترك الأميرة تستعد للسفر إلى بلادها الأولى ومسقط رأسها لتحافظ على فلذة كبدها المتيم بابنة أخيها وهو لا يعلم ، ونتابع الفارس غريبا الذي وصل بلاد الأبراج ، فحل هو ورفيقه في أحد الخانات ، وحسب الاتفاق كان عليه مع العصر أن يزور أو يمر من ناحية عين الساحر لعل الأميرة تلمحه أو جاريتها ، وكانت الأميرة ترسل يوميا جاريتها عصرا للمكان المذكور وذات عصر صدف الجارية ، فملئت جرتها وتبعته حتى ابتعدا عن العين ، فتوقف لها فأخذت منه مكان المبيت ، وفي الليل جاءه العبد وأخذه للقاء الأميرة العاشقة ، وكان لقاء جميلا بينهما ، وفرحت بمجيئه ، وتأكدت من قوة حبه وهواه نحوها ، وعرض عليها أن يتقدم لخطبتها من والدها فقالت له : الأمر صعب للغاية .. فلا حل لنا إلا الهرب خفية من هذه المدينة لبلدك ، وهناك نتزوج فجهز نفسك ، وسيرافقني خادمي وجاريتي سلامة .. غدا سنلتقي هنا لنضع خطة الاختفاء والخروج .

وافترقا على موعد ، وكان الأمير سيف النهار قد علم من زوجته أن ابنته تهوى شابا غريبا ومن عامة

الناس ، فوضعها تحت المراقبة ، ومضت الأيام ولم ير ابنته تلتقي مع أحد ، والسبب هو مغادرة غريب كما تعلمون لبلاده ، ولكن قبل أن يتقرر وقت الهرب اطلع سيف على تصرفات ابنته مع رجل غريب ، فاخضع عبد شمس للتحقيق فاعترف لسيده بغرام الأميرة للشاب الغريب ، واعترف له أنهما يدبران للهرب ويستعدان لذلك ، فطلب منه سيف أن يستمر في دوره وأن يعلمه بليلة السفر ، شعرت الأميرة وربما تأكدت من انكشاف أمرها ؛ ولكن الهوى والصبابة غلبا عليها فلم تأخذ جانب الحكمة والحذر ، وأصرت على الهرب مع حبيبها ؛ لأنها كانت ترى من المستحيل رضا أهلها عن زواجهما ، فحددا ليلة الهروب ، فطلب غريب من صاحبه عامر أن يشتري حصانا ، وينتظرهم خارج أبواب البلدة إلى أن يلحقا به ، ونفذ عامر الأمر فاشترى حصانا للأميرة وجاريتها ، وخرج في النهار من الباب المتفق بينهم الخروج منه ، وفي الليلة المذكورة خرجت الأميرة بعد منتصف الليل كعادتها مع جاريتها وعبدها الذي أبلغ سيده بهذا الموعد ، والتقى غريب بهم بالقرب من مدخل المدينة ، وقبل أن يغادروا البوابة كان الفرسان يحيطون بهم ، فأسقط بأيديهم ، وكان سيف النهار على رأس الفرسان فصاح بابنته : ما الذي تفعلينه يا شمس؟! أتريدين الهرب مع هذا الإنسان الغريب ؟ أتريدين العار لنا ؟! .. أيها الفرسان خذوه للسجن وأتوني به صباحا .

قاد الأمير ابنته لقصره ، وعاقبها بشدة من بين صفع وضرب ، وأمر بحبسها في غرفة خاصة ، وانتشر الخبر في المدينة ، علم الناس أن ابنة ولي العهد حاولت الهروب من المدينة مع رجل غريب وعلم عامر بمصير صاحبه فانطلق سريعا نحو مدينة الساحل ، فلقد أوصته أم غريب بأنهم إذا تعرضوا لأذى بمدينة الأبراج فعليه أن يعود ليخطرها، فهي قد ادعت أنها تعرف أميرا كبيرا في تلك البلدة يسكن في قصر الملك جعفر ، وفي الطريق التقى بالقافلة الآتية من بلاد الساحل ، ولما جلس مع الفرسان حماة القافلة أخبره أحدهم أن أخاه عمران مرافق للقافلة مع أم غريب، ففرح بذلك وأسرع للالتقاء بهم ، وكانت الأميرة رأت في منامها منذ أيام حلما مزعجا ، فلما قص عليها عامر القصة قالت لعمران هذه هي رؤياي يا عمران التي قبضت نفسي إذن علينا بالعجلة والانفصال عن القافلة اخبر أمير القافلة برغبتنا يا عمران .

اخبروا الأمير وأسرعوا مسرعين نحو المدينة قبل أن يصيب غريبا مكروه .

قال جابر بن نادر : أحضر الجند غريبا أمام سيف النهار ، فقام بصفعه والبصق عليه وتحقيره وقال له

: ويلك!! ألم تعلم بأنها أميرة ؟! كيف تطاوعها يا حقير ..؟

فقال غريب بانكسار وحزن : غلبني الهوى يا سيدي ! فلم أعد أميز بين الليل والنهار .. افعل بي ما شئت ..وأرجوك أن تعفو عنها ولا تمسسها بسوء .

فصاح سيف النهار : ألا تعلم أن جريمتك هي التغرير بأميرة من الأميرات ومحاولة خطفها أيها الشاب الطائش ؟! أليس لك عقل ؟!.. سأترك أمرك للقاضي الذي سيقوم بتقديم رأسك للمشنقة .

فصاح غريب فيهم : ليس مهما .. افعلوا بي ما تشاءون ولكن حافظوا على حياة الأميرة .. أوقعوا بي كل عذاباتكم .. وكل حقدكم ..ولكن ارحموا الفتاة التي أسعدتني بضع ساعات .

فأمرهم الأمير بنقله للسجن وتسليمه للقاضي ، وعليهم أن يسرعوا ويعجلوا بالحكم ليكون عبرة للرعية كلها ، وقدموه للقاضي في نفس النهار ، وتمت محاكمته وقد اعترف بجريمته وأنه كان ينوي خطف الأميرة والهرب بها إلى بلاده ، فقضى عليه القاضي بالموت على هذه الجريمة الكبرى ، وتأديبا لغيره من المغامرين والصعاليك، وحدد يوم التنفيذ ومكان التنفيذ في ساحة البرج الأوسط أمام العامة ليكون عبرة للمتطاولين على المقامات العليا ، لقد أدرك غريب أنه ارتكب جريمة كبرى في حق السلطان ؛ ولكن بعد فوات الأوان ، لقد كان في غفلة كبيرة.. فبكى على حاله .. وتذكر أمه سلمى وحزنها عليه .. وكم نصحته ووعته وأنها تعيش بحياته ، فكم قد يسبب لها من أسف وحزن وبكاء وربما تموت بموته ، وبكى كذلك على الأميرة شمس النهار التي باعت نفسها وسمعتها وغناها من أجل الحب الذي أصابهم ببلواه .. فكان يكثر من السوأل عنها ، فعلم منهم أنها محبوسة في قصر والدها الأمير سيف .

قال جابر بن نادر : علمنا أيها السادة الكرام أن الأميرة العاشقة توسلت لأبيها كثيرا بأن يعفو عن غريب ، وبينت له أنها هي التي أطمعته بها ، وأنها هي التي أقنعته بالهرب بها ، فذكر لها الأمير أن القاضي حكم عليه بالموت والصلب في ساحة ميدان البرج الأوسط ، ولا وقت للتراجع والصفح ، فأخبرت أباها إن مات غريب فستقتل نفسها ولا تبالي ، فقال لها الأمير مصرا على الحكم : افعلي بنفسك ما شئت سيموت سيموت ، ولا أستطيع نقض حكم القاضي وسأزوجك قريبا

بعد نسيان هذه الفضيحة من أحد الفرسان يا حمقاء .

فصاحت وهي تبكي بكاء الثكالى : لن أتزوج سوى غريب ، ولسوف أقتل نفسي يا أبي إن مات هذا الرجل بسببي .

فغضب عليها سيف وقال وهو يخرج من غرفتها المحبوسة فيها غاضبا : لن آسف عليك أيتها الشقية .. فأنصحك أن تأكلي ما يقدم لك قبل أن أحرمك منه لتموتي جوعى .

علم الناس بيوم إعدام غريب الشاب الغريب الذي حاول الهرب بالأميرة شمس ابنة الأمير سيف النهار ، فلذلك هرع الخلق إلى ساحة البرج ليشاهدوا ذلك المنظر وهو منظر قتل غريب وبعد الظهيرة حضر الجنود وهم يحملون غريبا لساحة الإعدام ، ونصب عمود الصلب وصلب عليه الشاب ، واستعد الجلاد لطعنه بالرمح القاتل ، وأحاط الجند بعمود الصلب المنصوب على مصطبة عالية ، وجاء الأمير سيف النهار ومعه حاشيته وبعض فرسانه ، فجلسوا في مكان قريب من منصة الموت ليشاهدوا هذا المنظر الرهيب ، ووقف أعوان القاضي قريبا من منصة الموت ، ولوح الجلاد برمحه في الهواء أمام الناس المحتشدين ، وهو يبدى استعداده للطعن ، وتقدم مندوب القاضي الذي كان يقف بين أعوان القاضي ليقرأ من منبر صغير بيان الحكم على غريب فقال : اسكتوا الجمهور .. اسكتوا الجمهور .

فهدأت الأصوات شيئا فشيئا فصاح مندوب القاضي : هذا الشاب المصلوب أمام عيونكم أيها الناس حكم عليه بالموت .. لماذا ؟ .. لأنه غرر بأميرة شريفة عفيفة وأراد خطفها والهرب بها .. أراد خطف حفيدة الملك جعفر بن عاد .. فحكم عليه مولانا القاضي بالموت أمام العامة ليكون عبرة وعظة لكل من يفكر ويدبر ويسيء لبنات الأمراء والسادات .

ثم تلا نص حكم القاضي بإعدام غريب ، ثم نزل عن منبره ، وتقدم نحو الشاب المصلوب وقال له : هل من رغبة ترجوها قبل الموت .

فطلب شربة ماء ، فلما شربها صاح : أيها الناس .. فقط ارحموا الأميرة شمس النهار من بعدي وداعا يا شمس النهار وداعا يا شمس النهار ..

ابتعد نائب القاضي عن منصة الإعدام ، وقبل أن يتقدم الجلاد لطعن المصلوب دخلت الساحة امرأة كاشفة عن شعرها وهي على ظهر جواد تصيح : أيها الجلاد توقف .. لا تقتل الأمير غريب بن الأميرة نهر الأحلام .. فأنا الأميرة نهر الأحلام ابنة الملك جعفر وهذه المصلوب حفيد جعفر

توقف الجلاد عن طعن المصلوب في صدره ، وهب سيف النهار والأمراء واقفين ينظرون

للمرأة التي تصيح بأعلى صوتها وهي تقترب من منصة الموت ورمت نفسها عن الجواد وهي تصرخ : ولدي ولدي ولدي حبيبي !

ارتفع الهرج والصياح في الساحة ، واقترب الأمير سيف النهار من المرأة التي سمعها تذكر اسم نهر الأحلام .. ولما أصبحا وجها لوجه صاح الأمير : نهر الأحلام .. نهر الأحلام !.

اقتربت الأميرة من عمود الصلب وهي تولول وتصيح : ولدي حبيبي ! . . جاءت أمك يا غريب .. حلوه أيها الجنود .

فصاح الأمير سيف المذهول بالجند : حلوا هذا المصلوب .. ألم تسمعوا أمر الأميرة.. أختاه واحتضن الأخ أخته وهو يردد: نهر الأحلام !.. نهر الأحلام !.. أما زلت على قيد الحياة .. هذا ابنك يا نهر الأحلام ! .. أنا خاله .. يا ويلاه لو قتل يا نهر الأحلام !

حل وثاق غريب المندهش مما يجري ، واحتضن أماه وهو يبكي ويقول : أماه !.. أماه ! .. ما الذي سمعته منك ؟!

فقالت وهي تعانقه : ستعرف كل شيء يا حبيبي .. الملك العظيم جعفر هو جدك ! .. وهذا خالك !

فهمس حالما : شمس ابنة خالي .. الله .. الله !!

تعانق سيف مع ابن أخته ، وهو يقول : كدت أن اقتل ابن أختي .. يا ويلاه!.. لو تأخرت أمك قليلا لقضيت عمري حسرة عليها .. سآمر القاضي إذا حكم على إنسان بالموت أن ينفذ فيه الحكم بعد سنة ؛ لأنه قد يجد جديد بعد الإعدام فنندم حيث لا ينفع الندم .

اندهش الناس لهذا المشهد العجيب ، فهم بين باك وبين ضاحك .. فهذا الفارس الذي كانوا ينتظرون موته هو حفيد الملك جعفر من ابنته نهر الأحلام المختفية منذ ما يزيد عن عشرين سنة تذكر القدامى منهم ما جرى من اختطاف نهر الأحلام قبل ما يزيد عن ربع قرن من ملك بلاد الأوهام ، وها هو حفيده كاد أن يخطف ابنة الأمير سيف .. أعاجيب .. أعاجيب هذه الدنيا .. فكنت ترى الناس مجهشين بالبكاء وسيف يقول : أنت ابن أختي .. أنت ابن أختي !

وسلم الأمراء على الأميرة ، وتقدم عامر وعمران وعانقا الأمير غريب وهما أيضا مندهشان مما عرفا ، وانتشر الخبر في المدينة حتى وصل للملك جعفر وحتى الأميرة شمس النهار نقل بعضهم لها هذه المفاجأة فتعجبت من الأقدار ، واستقبل الملك الأميرة نهر الأحلام واحتضنها وهو يبكي أشد البكاء وهي تبكي مثله وتقول : العفو يا أبي .. العفو يا أبي .

ارتفع نحيبهم وقال الملك من بين دموعه :

عشرون عاما يا نهر الأحلام تبتعدين عنا .. عشرون عاما يا أميرة الأبراج .. أوه الأيام تعبر بنا سريعا .. كدت أن تسقينا حسرة ابنك يا قرة العين هذا ولدك يا ابنتي .

تقدم غريب واحتضن الملك جعفر بن عاد بذاته وهو في استغراب شديد ، ثم قبل يديه والدموع تنساب على خديه مثلهم ويقول : العفو يا جداه !

وارتفع البكاء من جديد ، وتساقطت الدموع المحبوسة ، وارتفع النشيج وهمس جعفر : الحمد لله أن رأيتك يا نهر الأحلام قبل موتي ..كنت أخشى الموت قبل أن أعرف بأنك حية أم أكلتك الوحوش .. هذا ولدك يا نهر الأحلام .. إنه قوي البدن ويشبه أباه شديدا .. هذا ابن أختك يا سيف النهار .. أين شمس النهار ؟ .. التي أتتنا بالسعادة بعد أن ذقنا منها كأس العار .. يا لها من دنيا عجيبة ! ولو لم يحدث هذا العشق ما رأينا الأميرة نهر الأحلام .. أين ابنتك يا أمير ؟ .. ألا تريد أن تحضرها لترى عمتها وزوجها الحبيب وابن عمتها

قال سيف : هي في الطريق يا أبي .

جاءت الأميرة شمس النهار والأميرات والأمراء وأبناؤهم ليسلموا على الأميرة نهر الأحلام وولدها غريب ، فهم يسمعون اسمها وقصتها منذ سنوات .. وها هي الأميرة بشحمها وعظمها تظهر على الحياة من جديد .

قال الراوي : كان يوما مشهودا في مدينة الأبراج ، وأعلن الملك العجوز جعفر الأفراح سبعة أيام لعودة الأميرة ، فعمت الأفراح في القصور والساحات الكبيرة وتم مد بسط الأكل والشراب لأهل المدينة ، وأرسل جعفر الملك رسولا لبلاد الأوهام ليخبرهم بعودة الأميرة بعد طول اختفاء ، وعرف غريب الحكاية وعرف جعفر والأمراء الحكاية ، فذهب عامر وعمران لبلاد الساحل لإحضار والديهم وأموالهم ، وربما كان أكثر الناس فرحا في المدينة الأميرة شمس التي شكرت الله شكرا عظيما على تدبيره الحكيم ، وحمدت الله حمدا كبيرا على نجاة فارسها المحبوب ، وكانت تقضي نهارها مع عمتها نهر الأحلام تسمع منها قصة حياتها الغريبة ، وتقرر أن يكون زفاف الأميرين عند وصول الأمير شديد من بلاد الأفيال .

ولم يطل الانتظار فلم يكد يصل إليه الرسول ويهمس بأذنه القصة ، فيأخذ الرسالة ويصعد بها إلى أخيه الملك شداد ، وتجهز الأمير خلال ساعات هو وحاشيته وفرسانه وأبناؤه الثلاثة زيد وزياد وزيادة وابنتاه هند ووعد ليتعرفوا على أخيهم وزوجة أبيهم الأميرة نهر الأحلام ، وكان اللقاء

دافئا وحارا بالقبلات البريئة بين الجميع ، وهمس شديد بصوت مبحوح وهو يسلم على الأميرة نهر الأحلام : ما الذي جرى بيننا لتهربي منا ويصيبنا هذا العذاب كل هذه السنوات .. ولكنه أمر الله، وكان قدرا مقدورا سلام عليك أيتها الأميرة العزيزة .. أين ولدنا غريب ؟! .. عشرون سنة أيتها الأميرة وهو لا يعرف أهله وقومه ! .

وبعد العتاب والترحاب والتعارف بين الأولاد ، وفرح الجميع بهذا اللقاء، وسروا جميعا بزواج الأمير غريب بن شديد من الأميرة شمس النهار بنت الأمير سيف النهار ، وكان عرسا تغمره السعادة والحبور، وقد اجتمع الأحباب بعد غياب، وفرح الملك جعفر بزواج حفيديه ، وطلب من شديد البقاء عنده عندما استأذنه بالسفر لبلاده ، فاعتذر الأمير بأدب جم ، وطلب من الأميرة نهر الأحلام السير معه لتعيش في كنفه زوجة معززة مكرمة حبيبة أميرة سعيدة ، فاعتذرت الأميرة له بأدب كبير ، وقالت له : ما زلت لك زوجة أيها الأمير الفارس ذو القلب الكبير الشجاع .. ولكني سأبقى بجوار والدي الحبيب وولدي غريب إذا أذنت له بالبقاء بجواري .. وصمتت قليلا ثم أردفت قائلة : زوجي الحبيب .. آخي سيف الليل عنده شاب كريم جميل يرغب بالزواج من ابنتك الكبرى الرائعة الأدب والحسن هند .. فلقد رآها وأعجبته وقال لي : يا عمتي لو كلمتك زوجك الأمير بشأنها .. وها أنا كلمتك يا زوجي .

ضحك شديد وقال : على الرحب والسعة أيها السادة فلسوف أجهزها وأرسلها لكم .

فقال الملك جعفر : جهازها عليّ أيها الأمير .. وسأزور بلادكم ونخطبها منك ومن عمها الملك شداد ونعود بها إلى بلادنا .. وإذا رغب أبناؤك الآخرون بالزواج من بناتنا فنحن نرحب بهذا .

فضحك الأمير شديد وقال : هم صغار أيها الملك العظيم ! واعلم أن بلاد الأفيال كلها ترحب بك زائرا لها وضيفا كبيرا يحل في ربوعها .. ونحن في انتظار قدومكم لبلدنا العزيز يا ملك الزمان .

وودع الأمير شديد الملك جعفرا والأمراء وزوجته نهر الأحلام وولده غريبا وسار وحاشيته نحو ديارهم ، ولما تهيأ الملك جعفر للسفر تحركوا ، فقد تجهز ألف فارس لصحبته وعدد كبير من الأمراء والأميرات والأحمال ، ونصب سيف النهار ملكا على البلد لحين عودة أبيه من بلاد الأوهام ، وسار بهم جعفر حتى حطوا رحالهم في بلاد الأوهام ، وكان الملك شداد وكبار قومه قد خرجوا يستقبلون الضيوف قبل دخولهم المدينة ، ولما التقى الفريقان تعانقوا وتصافحوا ، وذبحت لهم الأغنام ، وبعد الاستقبال الكبير هموا بدخول المدينة بسلام ، وقد وقف الملك جعفر يريد أن

يضع قدمه في ركاب الجواد ليصعد عليه وحوله الأمراء والفرسان فقبل أن يصعد قال وهو ينظر يمينا وشمالا : أيها السادة قبل أكثر من خمس وعشرين سنة دخلت هذه الأمارة غازيا محاربا ناقما .. وها أنا اليوم أريد أن أدخلها محبا مسالما خاطبا لابن ولدي سيف الليل .. أليست هذه دنيا عجيبة ؟! لا حب فيها يدوم .. ولا بغض فيها يدوم .. سلام عليك يا دنيا !

فهمهم السامعون : بلى .. بلى .

ورفع الملك الشيخ رجله ليضعها في الركاب ليعتلي ظهر الجواد ؛ ولكنه تزحلق لم تدخل قدمه ركاب الجواد فوقع على الأرض ، فهجم عليه الأمراء ليرفعوه ولكنه قد فارق الحياة فمات ، مات أخيرا الملك جعفر بن عاد قبل دخوله مدينة الأوهام .

تمت بحمد الله حكاية الأميرة نهر الأحلام

رواية اجتماعية

شمس عمري

الحلقة ٥ والأخيرة

الريحانة من جديد

عقد السيد عمري اجتماعا كبيرا ومهما حضره كبار رجال مجموعة عمري محمود في قاعة الاجتماعات في بناية الشركة في شارع قطز ، وقد أطلعهم على رغبته بالاعتزال والتقاعد وترك الإدارة والعودة للريحانة والاستقرار فيها والتفرغ للعبادة فيما بقي من سنوات العمر ، وأعلمهم أنه سينقل كل صلاحياته الإدارية والمالية لابنه المهندس أسامة عمري ، وحثهم على التعاون الصادق معه كما تعاونوا معه هو شخصيا لتستمر هذه المشاريع في العطاء والإنتاج ، وشكرهم وحثهم على الوفاء لابنه ، وطمأنهم بأنه رغم تخليه عن المسؤوليات الهامة فإنه سيكون قريبا منهم بوجدانه وملاحظاته ، وبعد خطابه المتواضع صافحهم فردا فردا ، وتم نـقل الإدارة والقيادة للمهندس الشاب أسامة الذي وقف أمامهم شاكرا لوالده على ثقته الكبيرة به ، ووعدهم بأن يظل وفيا لمبادئ وسياسة والده في السخاء والعطاء وزرع الخير في كل مشروع ومؤسسة .. وأن الحلال الطيب والأخلاق الحسنة من أهم مقومات النجاح ، وأن رضا الله سبحانه أهم من رضا العبيد وإغراءات المال والدنيا ، وأن العفو والمسامحة من طباعه كما كانت من طباع والده الفاضل ، وأمل أن لا يجدوا تغييرا كبيرا في تسلمه لمنصب والده ، وشكرهم وحثهم على التعاون على البر والتقوى كما تعاونوا مع أبيه بصدق وإخلاص ، ثم تناول الحاضرون ما أعد لهم من طعام وحلويات بمناسبة وداع رفيقهم ومديرهم عمري ، وصعد أسامة إلى مكتبه في الطابق السابع ، ومر عمري على المكاتب مودعا

للموظفين ، ثم خرج مع سائقه مودعا مكاتب مجموعته التجارية والاستشارية ، وكله أمل باستمرار أسامة بقيادة السفينة بنجاح وتقوى ، ولما وصل البيت ودع الحارس والسائق وأكرمهما ببعض المال ، ووصاهما على ولده أسامة ، فبكى الرجلان من حسن معاشرته لهما خلال السنوات الماضيات ، ووعداه أن يكونا عند حسن ظنه مع فلذة كبده المهندس أسامة .

ولما دخل البيت وجد مايكل وشقيقته روبيكا يستعدان للسفر بعدما أمضيا شهرا في حضن عمهما الدافئ ، فقال لهما : ألا ترغبان بالبقاء في بلاد الآباء حيث الدفء العائلي والإسلام والحب ؟

فقال مايكل ضاحكا وغامزا : لا أرى اختلافا كبيرا بين مسلمي بلادكم عن إسلام مهاجريكم إلى الغرب ، فكثير ممن التقت بهم روبيكا من رجال الجمعيات ونسائها لا يعملون بطقوس الإسلام .. يريدون تحرير الناس ، وهم لا يمارسون الإسلام العملي .. وتقول حتى أنهم لا يعرفون مبادئ الإسلام الأساسية .. وتقول أن الداخلين في الإسلام في أمريكا ربما يكونون أفضل منهم ، فهم يمارسون شعائر الإسلام بحرارة ، ويدافعون عن الدين أكثر منهم .. أما هؤلاء فهم المسيئون إليه بجهلهم وظنهم أن لسانهم العربي يظهرهم حملة لدعوة الإسلام .. ولكنها مسرورة منك ومن أسرتك يا عمي .. وشتان بينك وبين أبينا ، فهو رحل للغرب ، ولا يحمل شيئا من دين الآباء .. لا صلاة ولا صوم ولا إيمان .. هذه أعمال لم نعرفها إلا هنا خلال هذا الشهر .. حتى بدأنا نفكر بدخول الإسلام من جديد يا عمي

ـ ادخلوا ولماذا لا تدخلون ؟ ! .. المفروض ألا يسافر للغرب إلا من كان مسلما حقيقيا ليؤثر في الآخرين ؛ ولكن أكثر المسلمين يذهبون إلى هناك وهم عصاة في بلادهم وغايتهم المال أو الشهادات العلمية وتعويج اللسان بلغة هؤلاء يا ولدي .. وفاقد الشيء لا يعطيه .. فوالدك ذهب للدراسة كما ذهبت أنا من قبل لبريطانيا ، ولم أكن أنا ولا هو عندما سافرنا نعرف شيئا عن الصلاة .. فلم نسمع أن والدينا ذاك الزمان صليا لله ركعة أو سجدة .. فماذا سنعطي من نجلس معهم هناك من ديننا ؟ .. بل عشقنا النساء والعبث ، فأنا عدت وبعد ضياع تبت ، وأخذت أتعرف على ديني ، ووفقني الله سبحانه بفضله وكرمه .. وأما سمري فانغمس في حياة الأمريكان وأعجب بها وغرق في العمل والمحاضرات .. كما تعرفون .. ولم يفكر يوما بدينه وتعاليم دينه وقيمه .. فعلا يا أبنائي أنتم محتاجون للدخول في الإسلام من جديد .. ذكرتموني بقصة هندوسي متزوج من مسلمة وهذا

حرام شرعا .. المهم أن الرجل أسلم وأعاد زوجته للإسلام

فقالت روبيكا : أنا سعيدة بكم يا عمي ! ولسوف أفكر بما قلت وقلتم .. فالتخلص من رواسب الماضي وعادات اكتسبناها ليس بالأمر الهين .. سنبقى على اتصال دائم ، وأنا قد أعود إليكم ثانية يا عمي بعد إنهاء أطروحتي .. فقد أحببتكم وأحببت أخلاقكم .. فأريد أن أتعلم لغتكم ، لا أدري لماذا لم يحاول أبي تعليمنا لغته العربية ؟! .. لقد انصهر انصهارا كاملا في مجتمع الغرب .. حتى اللسان الأمريكي أخذنا أكثره من المربية الأمريكية التي كنا نقضي معها أكثر الوقت .. فلم نكن نسمع ألفاظا عربيا لنفكر بالعربية والعرب ، لقد كان أخوك جاحدا للغة الأجداد .. فهناك من الطوائف والملل في أمريكا رغم العقود التي مرت عليهم ما زالوا يحافظون على لغتهم الأصلية فيما بينهم يتعلمونها ويتكلمون بها .. وحتى بعض الجاليات العربية تفعل ذلك

وتناولوا العشاء الأخير مع الأسرة ، ولما اقترب موعد الطائرة عانقت الفتاة عمها وقبلت يده كما يفعل الأبناء ، وسلمت على نساء عمها وعلى عائشة وأحلام وسهام وريهان ومريم وهند وحيت الدكتور حمزة والمهندس اسامة ، وعانق مايكل عمه ، ودعاه لزيارة أمريكا ، وصافح ابن عمه اسامه وقبله ، وفعل مثل ذلك مع صهرهم حمزة وعانق محمدا ابن عمه ، وحيا النساء والبنات ، وكان حسن في انتظارهم بسيارته أمام مدخل الفيلا ـ وكانت عائشة قد أرسلت الكتب التي اشتراها والدها لروبيكا بطرد كبير إلى فيرجينيا قبل السفر إلى عنوان روبيكا ، وكانت روبيكا ومايكل قد قبلا الهدايا التي قدمها لهم عمهم وأولاده وبناته ، لهم ولوالدهم ولأمهم ولزوجة مايكل وابنه الصغير جاك ، ووضعت الحقائب بما فيها من أوراق وكتب قليلة في صندوق السيارة ـ وسار بهم حسن نحو المطار ، ولما جاء موعد ركوبهم الطائرة ، ودعهم حسن وتمنى لهم رحلة سعيدة ، وحثهم على العودة في أقرب فرصة ، وودعوا حسنا ، ودعوه لزيارتهم في أمريكا ، فقال : قد يحصل هذا .. ولكن بعد إنهاء الدراسة

*****

بعد مغادرة الضيفين خاطب عمري أفراد العائلة الحاضرين وأطلعهم على رغبته بترك العاصمة والعودة ثانية للريحانة والاستقرار فيها ، فهو قد أحبها وبدأت حياته الحقيقية منها ، وما زال لها محبة في قلبه ، وما زال يتردد عليها بين الحين والآخر ، ويقضي بين ربوعها عددا من الليالي والأيام ، وكانت زينب وأنعام على علم بهذا القرار آنف الذكر ، وكان الترتيب أن تبقى مريم ومحمد في

الفيلا تحت رعاية الشغالة أم احمد ، وأيضا تحت حماية الأخوين أسامة وحسن ، فأسامة سوف يرحل للحياة في الفيلا ، ولم يكن هناك إلا مشكلة سهام ، ولكن سهام ماهر حسمت الأمر ووافقت على الرحيل معهم ؛ لأن بقاءها قد يؤدي لبقاء أمها ، وأما أحلام فهي في الأيام الأخيرة من الجامعة ، وخطيبها ينتظرها في الريحانة مع أمه بدرية .

رجع عمري بعد أكثر من عشر سنين قضاها في العاصمة ، عاد إلى المدينة التي بدأ منها حياته العملية ومشاريعه التجارية والخيرية ، واستقر في الفيلا التي بناها في ضاحية الصالح ، وكان العمال قد نظفوها وأعادوا صيانتها ودهانها من جديد وهيئوها لعودة السيد الكبير ، وكان في استقبالهم أختيه قمرية وولديها وبدرية وأولادها وأزواجها ، واحتفل القوم بعودة خالهم احتفالا متواضعا ، وسر عمري بعودته للريحانة للبقاء فيها حتى النهاية ، فكان يستيقظ في جوف الليل ليصلي عددا من الركعات تهجدا لله وشاكرا لأنعمه سبحانه وتعالى ، ثم يرقد حتى توقظه زينب أو أنعام لصلاة الفجر ، فينهض ويتوضأ ثم يسير ومعه الخادم أو الحارس أبو خالد نحو المسجد الذي لا يبعد عن البيت أكثر من مائتي خطوة ، فعمري يحب مجاورة المساجد ، فيصلي مع الشيخ الإمام ، وإن جلس المصلون لصلاة الضحى والشروق جلس ، وإن انصرفوا انصرف ، فإذا عاد للبيت يجلس لتلاوة القرآن ، وأحيانا يستمع لتلاوة المشايخ من جهاز التسجيل ، ثم يصلي ركعتي الشروق ، وتحضر زوجتاه أو إحداهما للحديث معه ، ويشربون اللبن الحليب أو القهوة ، ثم يدخل المكتبة للقراءة أو يدخل حجرة النوم فينام ساعة أو ساعتين ثم يصلي الضحى ويجلس مع زينب أو أنعام حتى الظهر فينطلق لصلاة الظهر ثم يعود للبيت ويعود للقراءة في كتب التاريخ والسير .

كانت حياة صديقنا الاستاذ عمري هادئة طيبة كما رسم وخطط ، وفي المساء يسير حول الفيلا أو داخلها أو يقوم بزيارة لصديق أو صاحب، وبعد صلاة العشاء يجلس في الحديقة إذا كان الطقس دافئا ومنعشا ، ويتعشى عشاء يسيرا مع زوجتيه وسهام أو ضيوفه من أخوات وأصهار وغيرهم ، ولقد كان سعيدا وفرحا بحياته هذه وشاكرا لله وراجيا منه سبحانه دوام العافية والغنى ويسأله حسن الختام ، وكان يدعو الله من أعماق قلبه أن ييسر لابنة أنعام زوجا صالحا ليرتاح ضميره وقلبه ، وذات مساء عندما أتت أحلام من العاصمة ، وأتى زوجها محمد الذي لم يدخل بها بعد ـ فكتابها الشرعي قد كتب في العاصمة ، ولم يبق إلا تحديد يوم الزفاف فقد أنهت أحلام اختبارات الفصل الأخير ، ولم يبق إلا الحصول على

الدرجات وترك العاصمة ـ أتى محمد وأراد أن يخرج بخطيبته زوجته للعشاء في أحد المطاعم البحرية ، وبينما هم يأخذون الأذن من السيد عمري والسيدة انعام ، أحبت سهام أن تخرج معهم ، فرحبا بذلك وفرحا بهذه الرغبة ، وركبوا سيارة محمد وتجولوا في شوارع المدينة ساعة من الزمن ، ثم اتجهوا إلى أشهر مطاعم المدينة وأكبرها وتحت شجرة على مائدة جلسوا ينتظرون الطعام الذي طلبوه ، ولما بدأوا يأكلون لمحت سهام على مائدة قريبة فتاة كانت تدرس معها في الجامعة اسمها فايزة ومعها فتاة أخرى ، ولما أتمت أكلها استأذنت من زوج أختها لتسلم على زميلتها في الجامعة ، ولما رأتها فايزة دهشت بداية ثم عانقتها عناق الأحباب والأصدقاء بعد طول غياب ، وفايزة كانت من زميلات سهام ورفيقاتها في الكلية وفي المناسبات والرحلات ، ولقد كانت تعرف ما بينها وبين فواز من الود ، بل كانت من الصديقات المقربات لفواز ومنال ، فكان فرحها كبيرا بلقائها ، فبعدما انتهت المجاملات والابتسامات ، وعرفتها فايزة على الفتاة التي معها فهي قريبة لها ، وأشارت سهام لأختها وزوجها بعروسين ينتظران ليلة العرس ، وشرعن يتذكرن أيام الكلية والزملاء وأخبارهم حتى وصلت سهام إلى الذي تريده ، فأتت على سيرة فواز فقالت مظهرة عتبها ولومها على فواز

: رغم ما كان بيننا من الانسجام والود يا فايزة .. ولكن منذ تخرجنا لم أره .. ما أخباره هذه الأيام ؟ ضحكت الفتاتان ، وقالت فايزة : هو بخير يا حبيبتي .. هو التحق ببرنامج الماجستير كما كان يحدثنا ، ووالده أصر على دراستهما للماجستير هو ومنال .. ومنال تريد أن تصير دكتورة وكذلك فواز .. هكذا رغبة الوالد

ـ أنا أحيانا أتصل بمنال .. وكلما أحاول اللقاء بها تتـعذر بمشوار والعمل

ـ هي بخير ، وقد تخطب قريبا .. فهناك شاب من العائلة راغب بالاقتران بها .. وقد يحدث ذلك قريبا

ـ رغم اتصالي بها من فترة يسيرة لم تخبرني بذلك .. ثم جاءت للسؤال الخطير وقالت :

وفواز ألم يتزوج أو يخطب ؟

فكان الجواب قاسيا ومؤلما وقالت فايزة ببرود : تقريبا تزوج

فايزة تعلم ما كان بين فواز وسهام ، فلذلك لم تستغرب من تلون وجه سهام ، بل ربما كانت مشفقة عليها في تلك اللحظة وهي تصارحها بذلك ، ولما قالت سهام : كيف تقريبا هذه

حركت فايزة خاتما بإصبعها أمام عيني سهام ، وقالت بهدوء مفتعل وهي تنظر في عيني سهام : نحن خطبنا يا سهام .. وأنت ألم تخطبي ؟

بلعت الفتاة ريقها وهمست : أنتم خطبتم ؟!

ـ أجل ، ولم أنت مستغربة ؟ .. لقد كنا متـفقين على ذلك من أيام الكلية

فقالت باستغراب واضطراب : متفقون من أيام الكلية ! .. هذه أخبار جديدة ؟

تبسمت فايزة وقالت : أنت طيبة يا سهام .. فواز كان يعبث بعواطفك كان يخبرني بذلك كان يحب السخرية من البنات ، فكان يقول لي إن سهام متعلقة بي وتظن أنني قد أتزوج فتاة مثلها ويأخذ بالسخرية من ملابسك الطويلة والغريبة

ـ إنك كاذبة يا فايزة

ـ أنا أعرف بكثرة اتصالاتك بمنال ، وطلبك من فواز أن يسعى لمقابلة زوج أمك وأمك .. ولكن تردده وعدم تلبيته لهذا الطلب كان يجب أن ينسيك يا سهام .. أنا أتكلم معك بهذه الصراحة لتنسي ولا يبقى عندك الأمل والوهم .. وأنا لمت فوازا كثيرا ، وطلبت منه من أيام الكلية أن يصارحك بحقيقة مشاعره

ذرفت سهام الدموع وقالت كأنها ما زالت متشككة بما تسمع : أين الألفاظ والكلام الذي كان يسمعني إياه ؟! .. وما دام بينكم حب كما تدعين لماذا تسمحين له بذلك ؟

ـ لم استطع منعه .. كنا طلابا ، والظرف لا يسمح لي بتحديه وتحدي رغباته ونزواته .. ولم يكن بيننا عقد زواج أو خطبة ، إنما هي وعود كالتي كان يوحي بها لك ولغيرك

ـ لماذا لم تقولي لي ذلك ؟!

ـ كان يهددني بالتخلي عني .. أنا آسف وأنا أقول لك ذلك ، وكان عليك أن تدركي أنه غير جاد معك .. ألا ترينه يكون معي وعندما يراك يستأذن وينصرف وهو يتوعدنني

ـ وأخته منال ؟

ـ لا أدري ماذا أقول لك ؟! ولولا هذه الصدفة وسؤالك عن ذلك لما تكلمت ، لنا أكثر من سنة متخرجون ..ولم يظهر لك ودا ، ويتهرب من هواتفك، ألم تقتنعي بعبثه وسخريته ؟!

ـ لا أدري ، يبدو لي أنني حمقاء ساذجة ، ولا أعلم أن في العواطف سخرية ومقالب

ـ أنا أعجب من تعلقك به .. فصدقي أنني أكثر من مرة قلت له كفاك استهزاء بسهام فإنها رقيقة لا تعرف اللف والدوران فلم يقتنع بل ادعى أنك تعرفين عبثه

مسحت الدموع المتساقطة وقالت : أشكرك يا فايزة .. أشكر الله أن سخر لنا هذا اللقاء لأعرف الحقيقة التي كان يجب أن أدركها قديما ؛ ولكنكم ظلمتموني .. أنت ومنال شريكتان في المؤامرة لماذا سكتم كل هذه السنوات ؟

ونهضت وقبل أن تنصرف قالت بغيظ وحزن : الله يقتص من الظلمة ومن الذين يعبثون في عواطف البسطاء

ـ أنت مسكينة جدا يا سهام .. قد يأتي فواز واسمعي منه .. ولا تظني أنني مغرمة به ، قد تكونين أنت مغرمة به أكثر مني .. ولكني أعرفه قبل الجامعة فوالدي صديق والده .. ولم تتم هذه الخطبة بسبب ما يدعيه من الحب .. فواز لا يعرف الحب الحقيقي هو عابث ، وكان يحب أن تظل الفتيات حوله في الجامعة وأمام الزملاء .. وصدقي لو تقدم لي شاب غيره لقبلته ورفضت فوازا غير مأسوف عليه .. ولكن إرادة ورغبة الأسرتين .. لا تدعي عليّ يا سهام

فقالت سهام : إنك صريحة جدا

ـ اتصلي بمنال وخذي الحقيقة منها

فقالت سهام : لا داعي للحديث مع منال .. تجربة مؤلمة .. ولكن الحمد لله على كل حال .. فحياتكم كلها عبث .. وتؤكد لي أن أفكاركم وهم في وهم .. كان يريد مني أن أتبرج وأخلع ثياب العفة ليتـفرج على محاسني ويلهو بي .. لقد تغير حقا لما بدأت ألبس الجلباب .. كان يظهر الاشمئزاز والنفور من ثياب البدو والتخلف .. أشياء كثيرة الآن فهمتها .. لعنه الله ، قولي له

إنني سوف ألعنه وألعنه .. العابث بمشاعر الناس وأحاسيسهم والمخادع والممثل .. إنني ألعنه

وانصرفت باكية تمسح دموعها ، ولما عادت حيث تجلس أختها أحلام وزوجها محمد لاحظا الدموع على وجهها فاستغربا ذلك ، فقالت أحلام : أنت ذهبت تتحدثين مع زميلتك فعدت باكية .. هل من ميت ؟!

وقال محمد قلقا : سهام .. أقلقتنا ما سبب هذا البكاء ؟

جلست وأخذت تبكي وتتنهد ثانية وقالت : أريد العودة للبيت .. إنني أحس بدوار في رأسي وصداع

فذهب الشاب نحو البنات بسرعة وقال : مساء الخير .. معذرة .. لماذا تبكي سهام ؟

نظرن إليه بدهشة وقالت فايزة : لا شيء

ـ كيف لا شيء ؟ ! .. هل يبكي الإنسان بدون سبب ؟!

ـ ألم تقل لكم شيئا ؟

ـ لم تقل شيئا

وكانت سهام وأحلام قد تبعتا محمدا وقالت سهام : هيا يا محمد .. دعك من البنات .. آسف جدا يا فايزة

ـ ولا يهمك .. نحن أيضا آسفون

وأخذت سهام وأحلام محمدا وخرجوا بعد أن

ترك محمد مبلغا من المال على مائدة الطعام وهو يقول : لماذا لا تريدين الكلام يا سهام ؟

فقالت وهي ما زالت تمسح دموعها وتشرق بنفسها : أمر خاص يا محمد أرجوك

فقالت أحلام : يبدو يا محمد أن فايزة هذه أتتها بخبر سيئ عن صاحبها فواز

فصاحت سهام بحدة وضيق شديد : أرجوك يا أحلام أن تصمتي .. شيء لا يخصك ولا يعنيك فواز أو الشيطان لا دخل لكم

أخذ محمد يتعذر لها ويهدئ من روعها ويقول : نحن آسفون ، حقك علينا .. لا تغضبي منا

ولما وصلوا الفيلا والصمت قد خيم عليهم طول الطريق ، كان عمري وزوجتاه ما يزالون يجلسون في الحديقة يتسامرون ويأكلون الفواكه ، فأتت إليهم أحلام ومحمد ، ودخلت سهام إلى حجرتها ، فلما ألقيا السلام وجلسا ، سألهم عمري عن سهام لماذا لم تأت معهم ؟ فقال محمد : لسنا ندري .. كنا نتعشى في المطعم البحري وأثناء الأكل شاهدت فتاة قالت أنها زميلتها أيام الجامعة والكلية وبعد الطعام مشت إليها وجلست معها ، وبعد حين عادت إلينا باكية ، وحاولنا أن نعرف السبب ، فلم تتكلم، ومنعتنا أن نعرف من تلك الفتاة .. وادعت أنها مريضة لا أدري يا خالي ما حكاية هذه البنت

فقالت انعام : هل عرفت شيئا يا أحلام ؟

ـ لا يا أمي .. ولكن يبدو أن هذه الفتاة المسماة فايزة .. تعرف ذاك الشيطان فوازا

فقال عمري : هونوا عليكم .. سهام أحاسيسها مرهفة ومشاعرها رقيقة .. اذهبي يا أنعام وتكلمي معها .. أصحاب الحس المرهف يتأثرون بسرعة ويبكون لأي خدش يلمس مشاعرهم

فنهضت أنعام وقالت زينب : لا تتأثروا بما صار .. متى سنفرح بكم يا محمد ؟

فقال : أمي مستعجلة .. ونحن ننتظر تحديد خالي لليلة الزفاف

فقال عمري مبديا عجبه : أنا .. ولماذا ؟!

ـ هكذا تقول أمنا الغالية .. أنت كبير العائلة الآن

ضحكوا لهذا الوصف ، وقالت زينب : متى تحبان أن يكون ؟ .. نهاية هذه الأسبوع يوم الجمعة ما رأيك يا عمري ؟

فقال عمري : أحلام ماذا تقول ؟

فقالت أحلام : أنا علمت أن محمودا قادم من أوروبا ، فقد أنهى الاختصاص كما علمت من أمي زينب ، فعندما يصل بالسلامة نحتفل بالزواج

فقال عمري : الجمعة إن شاء الله ؛ لأن محمودا قد ينزل النمسا لقضاء عدة أيام هناك ويقابل بعض الأطباء الكبار في فينا .. الجمعة مناسب يا محمد ؟

فقام فرحا يعانق خاله وهو يقول : الآن سأذهب

وأخبر أمي وأبي .. السلام عليكم .. احلمي أحلاما سعيدة يا أحلام

في الصباح التالي تلقى عمري رسالة محمولة إليه من العاصمة ، وكانت رسالة من ابن أخيه مايكل وشقيقته روبيكا ، وكان فيها سلام وأشواق وشكر وإعجاب شديد به وبأسرته صغارا وكبارا ذكورا وإناثا ، وكان فيها أنهما التحقا بمعهد لتـعلم اللغة العربية ، فضحك عمري من ذلك ، وقال معلقا أهل اللغة يتعلمون لغتهم ! قاتلك الله يا سمري .. جنيت على نفسك وعلى وذريتك ثم تابع القراءة ، فقرأ أنهم يرغبان بعد إنهاء الدراسة في المعهد السفر إليهم والحياة بينهم لإتقان اللغة العربية ، وأن زوجة مايكل الأمريكية جان سمري متحمسة لذلك ، وأنها تحب الآداب العربية وقد تجعل رسالتها في الدكتوراه حول الأدب العربي القديم ، وفي الرسالة أيضا أن روبيكا قد تتقدم قريبا لمناقشة رسالتها وربما تأتي مع مايكل .

فكتب إليهم عمري رسالة مرحبا بهم وبمجيئهم في أي وقت ، وأنه سعيد بقدومهم جميعا ، ولا حرج ولا ضيق لديه من مجيئهم ، ثم اطلع على باقي الرسائل والبرقيات والمراسلات من الأصدقاء والأحباب .

ولما دخلت عليه زوجتاه يشربون معه القهوة ، حدثهم عن رسالة مايكل سمري وأخته روبيكا ثم سأل أنعام عن سهام فقالت بحزن : أمضيت ساعة أو أكثر أراودها فيها أن تتكلم عما جرى بينها وبين فايزة والفتاة الأخرى .. فتصرخ فيّ وتطلب مني الصمت وعدم حشر نفسي فيما لا يعنيني .. تصور أن حياتها لا تهمني ولا تعنيني ولا تخصني .. أنا يوم المنى عندي عندما أراها عروسا في بيت زوجها .. من هو الشاب الذي حدثتنا عنه مرة يا عمري

فقال بأسف : للأسف طال الانتظار فتزوج ، كان يحب الارتباط بأسرة الخابي من أي جهة كان النسب .. إنه المهندس وائل ابن الدكتور يوسف حسان .. شقيق امرأة محمود

فقالت بدهشة وربما صاحبتها حسرة : المهندس وائل ! .. وصديق أسامة الحميم .. كان كثيرا ما يكون مع أسامة إنها تعرفه

ـ أجل يا أنعام ! لما عرضت الموضوع عليه وعلى أبيه كادوا يطيرون من الفرح فاستمهلتهم إلى حين ، ثم قلت لهم بعدئذ إن الفتاة مضربة عن الزواج فتزوج وفقه الله سبحانه

فقالت زينب : قدر الله وما شاء فعل ، كل شيء نصيب مقدر .. نحن يجب أن نعرف ما حدث لها مع تلك الفتاة الزميلة فايزة .. تكلم معها يا أبا محمود

فقال : أنا لا أحب أن تتحدث بشيء بالحياء

والخجل يا زينب .. دعوها بضعة أيام .. اتصلت عائشة تقول أن أوراق خالتها التي أرسلتها لبعض مشافي ألمانيا وسويسرا قد جاءت الردود عليها .. فهناك مستشفى في إحدى ولايات سويسرا يرحب بمتابعة مرضها وعلاجها وأرسلوا لنا تكاليف العلاج التي يتقاضاها المستشفى والمصحة التابعة للمستشفى فماذا تقولين يا أنعام

ـ لا أعلم ما أقول .. يقول صابر إن حالتها النفسية تزداد سوءا وتدهورا .. وآلام الرأس تشتد عليها حتى تدفعها لخبط رأسها بالحائط ، ونقلها إلى إحدى المستشفيات فقضت سبعة أيام حتى هدأت ثم عادت للبيت .. وأمي هي الأخرى متعبة لآخر درجة .. وزواج أحلام على الأبواب بعد يومين .. وسهام أيضا .. استغفر الله .. حسبنا الله

فقال عمري مواسيا : أكثري من الاستغفار .. فالاستغفار رحمة وفرج .. سأتحدث مع الدكتور فائز صهرنا الحبيب إذا سمح لابنه محمد بقضاء رحلة مع حماته أنعام في ربوع سويسرا .. تذهبين أنت وأحلام ومحمد وسهام إذا أحبت .. فمنها تشرفون على متابعة حالة نوال وتتفرجون على تلك الجبال والأنهار والثلوج .. ومحمد شاب ذكي ويحب الحركة ونشط وتعلم في أوروبا

فقالت : وأمي ؟

فقال حازما الأمر : بقاؤك هنا لا يقدم ولا يؤخر على صحة أمك .. بعد الزواج سيكون السفر بإذنه تعالى .. اتصلي يا زينب بعائشة واطلبي منها أن تحول المال المطلوب إلى المستشفى وتؤكد الحجز لمدة ثلاثة أشهر .. وتوكلوا على رب العباد

فقالت أنعام : ثلاثة أشهر وقت طويل

ـ احتسبي ذلك عند الله .. قد نطل عليكم أنا وزينب بعد عودتنا من العمرة .. وقد نذهب إليكم من هناك

فتبسمت أنعام وقالت : الآن أنا متشجعة على السفر .. أنا لا أحب فراقك يا عين أنعام

فتبسم الجميع على غزل أنعام ، وقال عمري : نحن كبرنا يا أنعام على هذا الكلام .. والفراق قادم .. وكأس الموت لابد من شربه أيتها الحبيبة

ـ الحبيبة .. وأمام زينب يا عمري

فتبسموا مرة أخرى ، وقالت زينب : أنعام تحبك كثيرا يا عمري .. فهي تقول إن اليوم الذي يمر ولا ترى فيه عمريا أو تسمع كلامه تحس أنها خسرت يوما من عمرها وحياتها .. وتقول أن اليوم الذي ألزمها والدها بالزواج منك كان يوما مباركا ، ومن أفضل أعمال أبيها رحمه الله

وضحكوا قليلا وقال عمري : هذا من فضل الله سبحانه علينا مع أنها تزوجتني عجوزا

فقالت أنعام : والله إنني أحبكما جميعا .. فزينب سيدتي وأميرتي وملكتي .. هي أحلى امرأة في العالم

يا عمري ! .. لم أشعر يوما أنها تغار مني وأني لها ضرة .. فقلبها أبيض وقانعة بالحياة قنوعا جميلا وعجيبا .. ولكنه الإيمان الذي يملأ قلبها .. وحبها لله سبحانه وحبها للرسول صلى الله عليه وسلم والسيرة العطرة .. وأنا لست مثلها

فقالت زينب وهي متاثرة بكلام شريكتها في زوجها : بل أنت الخير والبركة .. والسعادة بالإيمان والتفاهم والحب الشرعي .. وزوجنا رجل واعي وواسع الصدر

فقال عمري مقاطعا : دعونا من هذا الكلام المثير للمشاعر .. واستعدوا للعرس ..هل اشترت أحلام كل ما يلزمها ؟!

فقالت أنعام باسمة ومسرورة : أحلام !.. أختك من قبل تحديد العرس اشترت لها كل شيء الذهب واللؤلؤ والثياب .. والشقة جاهزة تنتظر العروس .. الله يديم النعم على الجميع فلم يبق إلا الاتفاق مع فتاة الصالون حتى تأتي للبيت كما تريد يا أبا محمود .. وقد أضعف لها محمد الأجر حتى قبلت بالمجيء لتزيين العروس صباح الجمعة

ـ ولم صباحا .. ألا تريد الصلاة ؟ .. بعد الظهر أفضل

ـ لا تقلق سندبر الأمر .. هل هي أول عروس ستتزوج ؟

وقالت زينب : سأقوم لاتصل بعائشة وأسمع صوتها فلها يومان لم تتكلم معي

دعي الأهل والأصدقاء والأحباب إلى منزل الدكتور فائز لطفي ، وفي حديقة القصر تم الاحتفال بليلة الزفاف ، وانتـقلت أحلام إلى بيت زوجها محمد .. وحمدوا الله على هذه الخيرات والنعم وسألوه المزيد منها ، وأكثروا من الشكر لله

وكان من عادة عمري إذا زوج ولدا أو بنتا يخصه يتصدق بآلاف الدنانير بهذه المناسبة على الضعفاء والأيتام والمحتاجين ، فيحب أن يدخل عليهم البهجة والفرح ليفرحوا كما هم يفرحون .. وليس سرا أن نقول إنه لم يقصر يوما في مد يد العون لكل شاب يتصل به محتاجا للنكاح ، فيمده بالمال أو الأثاث،ولا يحب أن يطلع أحد على ذلك العون ، فكان ماله وأرباحه يحب أن يشاركه فيها ضعفة المسلمين عن طيب نفس، فهو قد ورث عن أمه وأبيه كثيرا من الملايين ، ولم يبخل يوما بإخراج الزكاة في وقتها كما هو معلوم ، فصاحبنا عمري لا ينسى حق الله ولا حق العباد المستخلف فيه { آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ } .. و يذكر آية القصص { وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ } .. فكان له أسوة بعثمان بن

عفان وعبد الرحمن بن عوف وأبي الدرداء رضي الله عنهم ، ولما تم الفرح واطمأنت أنعام على ابنتها الوسطى ، أخذوا يترقبون موافقة السلطات السويسرية لدخلوهم أراضيها للسياحة والعلاج ، وكانت أحلام وبعلها محمد قد وافقوا على هذه الرحلة التي أبى الدكتور فائز إلا أن يساهم فيها بنفقات العروسين، فبعد رفض رضخ عمري ووافق ، وأحب فائز وزوجته أن يسافروا معهم للعمرة ويرافقوهم لمشاهدة جبال الألب وأوروبا البيضاء .

وبينما هم ينتظرون ـ وقد وافقت نوال على هذه الرحلة العلاجية بعد تمنع شديد من الذهاب للعلاج في أوروبا بعد أن قبل ابن شقيقها صابر علي على الرحلة معها بناء على طلب من أبيه وقريبه عمري ـ أتت مكالمة لعمري من العاصمة فيها خبر صغير ، وهو أن ابن ماهر خلس السجين قد خرج من السجن ، وتطلب منه الشرطة الحذر من هذا الولد ، رغم العفو الذي قدمه عمري فقد كان الشاب داخل السجن يتهدد ويتوعد وتأخذ الشرطة حمقه بجد .. بل شرطة الريحانة اتصلت بالسيد عمري من أجل هذه القصة ، وكان عمري منذ تقاعد من أعمال الشركات قد صرف السائق الخاص والحارس الخاص ، فما كان رده على ذلك التحذير إلا أن قال : توكلنا على الله سبحانه .. لا مهرب للإنسان من قدره

بل قدم لزيارته في الريحانة المختار ووفد من رجال القرية يحذرونه من طيش ابنهم وجنونه ، فقال لهم عمري شاكرا حبهم : يفعل الله ما يشاء .. ولا يصيب الإنسان إلا ما قدر له .. وإذا عدد سنين سجن لم تفعل به شيئا ماذا أفعل له أنا ؟! .. حسبنا الله ونعم الوكيل .. أنا على وجه سفر لأوروبا وإلا ذهبت معكم والتـقيت بهذا الشاب وحاولت تعقيله

فقال المختار : هدده أخوه وأخته وجده وحتى اخوته من أمه وأنا ، ولكنه راكب رأسه كما يقولون .. يتهدد ويتوعد .. ونحن يا سيد عمري نتمنى لك العافية والحفظ ، وأحببنا أن تتأكد من صدق حبنا لك ، والحمد لله أياديك البيضاء وإحسانك السخي يملأ البلدة .. فالمزارع تشتغل وتنتج، والمعصرة على خير ما يرام ومزارع العجول .. كله تمام وأفكارك كبيرة ونيرة .. نسأل الله تعالى أن يحميك .. هذا ولد أحمق نخشى أن يفسد علينا صحبتكم

قال عمري : الحماية والحفظ من الله سبحانه .. فالمال مال الله يا أبا عمر .. والخير من فضل الله وأي شيء تحتاجونه فولدي أسامة هو أنا ..

ـ هو ابن أبيه ، شاب فاضل .. ما أرسلنا إليه شابا من البلدة إلا يسر له عملا كما يحب .. حقيقة

جهودك خيرة ومباركة بفضل الله .. هكذا يجب أن يكون أصحاب الأموال .. في مالهم نصيب للخير .. ليس الربح والزيادة فقط .. زيادة الأرصدة في أوروبا وأمريكا

ـ أصلح الله الجميع

وتناول الوفد الطعام على مائدة الشيخ عمري ناصح محمود ، ولما أرادوا الانصراف عرض عليهم المبيت ، ولما اعتذروا عن ذلك أوصاهم برامي خيرا ، فهو أخو البنات ، وطلب منهم أن يحثوه على التوبة والتردد على المسجد ، ويتعاونوا مع الشيخ في إصلاحه ، وإذا كان بحاجة لزوجة وبيت ومال فمروا على أسامة ، وسيحقق له ذلك وأعطاهم شيكا بخمسمائة دينار لرامي ، ففرحوا بكلام عمري ، وأخذوا هداياهم كما عودهم ، وقفلوا لديارهم شاكرين يدعون له بظهر الغيب أن يزيده الله من نعيمه .

ولما أتت موافقة المستشفى السويسري النهائية وتأشيرات السفر سافرت أنعام مع زوج ابنتها أحلام محمد وأختها نوال وابنتها أحلام وعلي ابن صابر ، فأمضوا يوما في العاصمة ، ثم ركبوا الطائرة إلى أوروبا ، وكانت عائشة قد رتبت أمر الفنادق التي سينزلون فيها ، ولما وصلوا للمطار في بال كان في استقبالهم مندوب المستشفى ، وبعد التعارف ساقهم لأحد الفنادق للاستراحة ، ووعدهم بالعودة لنقل المريضة إلى المستشفى الخاص .

زواج سهام

وبعد أسابيع من سفر القوم للعلاج أخذ عمري زوجته زينب وابنة أنعام سهام وصهره الدكتور فائز وأخته بدرية وعشرة أفراد من قرية ماهر خلس ، من بينهم زوجة ماهر وزوجها وابنها فائق ووالده ومختار القرية وآخرين في رحلة العمرة هذه على نفقته الخاصة ، وسافروا للحجاز بالطائرة فنزلوا جدة أولا ، ثم هبطوا مكة لأداء مناسك العمرة ، ثم زاروا مدينة الرسول ﷺ المدينة الشريفة وكانت سهام ـ التي وافقت لأول مرة على الذهاب معهم لأداء العمرة والتعرف على هذه العبادة ـ تحلق بالخيال البعيد أثناء وجودها بمكة .. فلما لامست حرارة مكة وشمسها ، تذكرت دعوة النبي (ﷺ) وسيره ومشيه على هذا التراب المبارك في عز الحر يدعو قومه إلى لا إله إلا الله وأنه رسول الله .. تذكرت ما قرأته عن بلال العبد الحبشي مبطوحا على رمضاء مكة وعليه الصخرة وجلادوه يضربونه بالسياط ليكفر برب محمد ، ويعود لعبادة الأوثان والأصنام التي كانت حول الكعبة .. كانت قرأت أن حولها ـ الكعبة ـ أكثر من ثلاثمائة صنم كيف ذلك ؟ كيف كان هؤلاء العقلاء يعبدون الأحجار ؟! تخيلت المكان الذي

قتلت فيه سمية بنت خياط أم عمار وزوجة ياسر .. تذكرت صراع الصحابة الكرام ـ الذين آمنوا بربهم وبهذا الدين الجديد الذين تركوا دين الآباء ـ مع صناديد الشرك والكفر بمكة .. وكيف تحملوا الأذى والعذاب الشديد للثبات على دين الإسلام .. رأت أبا جهل سيد قريش وصنديدها يعذب هؤلاء وهؤلاء على رمال وبطحاء مكة .. رأت الأمهات تحبس الأبناء لتفتنهم عن دينهم الجديد .. رأت أم أنمار تعذب خبابا وتطفئ الحديد المحمى في ظهره وبدنه رأت الرسول (ﷺ) يدب على أرض مكة المباركة يطوف حول الكعبة ويصلي .. يدافع عن الدين ، ويحرر الناس من عبادة العباد الى عبادة رب العباد ، صور كثيرة من السيرة التي قرأتها مرات قبل سفرها تتخيلها .. تخيلت الشاب الجميل فتى مكة مصعب بن عمير الذي كانت تقف حسناوات قريش لمشاهدته عندما يخرج لشوارع مكة .. ويستنشقن أريج طيبه .. الشاب الزاهد السفير الأول لأهل المدينة .. جاهدت أن تعيش روحانيات جميلة وبراقة .. أحبت الفتاة مكة رغم حرها وصيفها .. ورأت أن الحياة زائفة وخداع وكذب .. أربع سنوات وهو يطمعها بالزواج وهي مصدقة .. يتسلى بها وبعواطفها .. يلعب عليها وعلى فايزة وربما أخريات .. ثم اختار فايزة الجارة ونسيها .. لقد صدق عمري عندما حدثها أن الأيام ستنسيه ذلك .. وأن حب المدرسة أو الجامعة حب أطفال وصور عابرة .. طردت هذا الخيال ، وعادت تحلق في سماء مكة في الجاهلية وأول الدعوة ، حيث بدأت دعوة النبي (ﷺ) على جبل الصفا .. وصلت لجبل النور حيث غار حراء .. غار الوحي والرسالة .. صعود متعب إلى ذلك الغار .. ولكنه بعيد عن أهل مكة وتجارتهم وقوافلهم ثم رأت بعين الخيال عمر بن الخطاب يريد قتل النبي (ﷺ) ثم يسلم ثم يصبح خليفة للمسلمين أبو بكر صاحب رسول الله وصاحب الغار .. حاولت تذكر كل الصحابة الأوائل .. عبد الله بن مسعود يجهر بالقران أمام الملأ من قريش .. أبو ذر الغفاري يجهر بالإسلام .. حمزة بن عبد المطلب يشج أبا جهل لاعتدائه على ابن أخيه محمد (ﷺ) .. مشاهد مثيرة ترسمها بعين الخيال هذه هي مكة وجبالها مهبط الوحي التي يحبها الله .. وفي هذا المكان عاش إبراهيم وإسماعيل وأمنا هاجر .. إبراهيم ترك فلسطين الجميلة الأرض الخضراء أرض بيت المقدس أرض الأنبياء ليسكن ولده في هذه الجبال القاحلة .. مشاهد عظيمة .. إسماعيل الصغير عطشان هاجر تركض بين جبل الصفا وجبل المروة .. يا إلهي إن هذا لشيء عجاب ! .. صغير يريد الماء .. لا ماء .. لا ناس .. ولكن تخرج

زمزم بمشيئة الله .. زمزم الباقية آلاف السنين .. ما زالت ليومنا هذا لا تنضب ويزيد الشاربون منها .. إنها آية .. آية من آيات الله سبحانه .. يا عماه .. إنك تعيش في هذه السعادة الكبيرة .. آه يا دنيا كم أنت فاتنة؟! .. الناس تحج إلى أوروبا وأمريكا والثلج والمطر وهنا تهوي أفئدة الصالحين والمسلمين من جهات الأرض الأربعة .. إليها يتوجهون بصلاتهم مكة أو الكعبة المعظمة بأمر الله .. الحجر الأسود .. من زمن إبراهيم وهو قرين زمزم .. إلهي تب عليّ واجعلني من القانتات الصالحات .. إلهي اصلح لي دنياي وآخرتي .. إلهي لا تتركني لهواي ونفسي .. أحبك يا الله يا خالق الكون والأسرار .. ارحم يا الله أمتك سهام التائهة الحائرة

ذرفت دموع التوبة والندم عند الكعبة عند البيت العتيق .

ولما نزلوا المدينة لزيارة مسجدها.. رأت المسجد النبوي .. حيث كان المسجد القديم .. حيث الروضة الشريفة حيث كان أيام النبي ﷺ والصحابة الطاهرين .. هنا كان العلم والجهاد والحب محمد مشى على هذه الأرض .. الصحابة دبت أقدامهم على هذه الأرض ..هنا صلوا هنا عاشوا هنا ماتوا .. الله أكبر الله أكبر .. هذا بقيع الغرقد حيث دفن عدد كبير من الصحب الطيبين .. سلام عليكم يا أسيادنا سلام عليكم يا من علمتمونا الإخاء والحب .. أنتم الأسوة الحسنة لمن بعدكم .. أنتم نجوم الهدى .. أنتم الذين بايعتم محمدا ، وحفظتم لنا الإسلام والقرآن والسنة والسيرة .. وتلك قباء التي كانت أول مكان وطئه محمد عند دخوله المدينة حيث استقبله الأنصار ـ رحمهم الله ، وغفر الله لهم ـ .. طيبة الطيبة .. هنا كان يجلس أمير المؤمنين عمر يستقبل بشائر الفتح من الشرق والغرب .. هنا كان يتربع الرجل الزاهد الفاتح العظيم رحمهم الله كانوا خير سلف لنا .. اللهم احشرنا معهم ..آمين .

لقد كانت سهام سعيدة برحلتها الأولى للحجاز ، لقد صممت أن تبدأ حياة جديدة .. حياة كلها طاعة لله .. فلماذا تشذ عما هيئه الله لها من أهل طيبين أخلاقهم إسلامية .. أحكام الشرع مقدمة على كل شيء .. لماذا تترك هذا الخير لتعود للجهل والهوى .. فهذه هي النعمة الحقيقية العظيمة ؟ ! فالإنسان عندما تتهيأ له فئة صالحة بيئة طيبة ، فهذا من نعم الله تعالى ، فعليه أن يشكره على هذه النعمة الكبرى .. حمدت الله سبحانه على عدم ارتباطها بفواز .. كان يريد أن يعيدها لحظيرة الجاهلية والتشبه بالكفار والفجار .. فسألت الله وهي تصلي في مسجد رسول الله (ﷺ) أن يهبها زوجا صالحا تقر به عينها .. يعينها على اجتياز هذه

الدنيا بسلام إلى الدار الباقية ولا يفتنها عن طاعة ربها سبحانه .

لذلك لما عادوا لجدة كانت سهام قد صممت على تغيير نفسها وعاهدت الله على التوبة النصوح وسافر ضيوف السيد عمري إلى وطنهم ، واستعدوا هم للسفر لسويسرا قال عمري لرفيقتهم في العمرة الآنسة سهام : كيف كانت الرحلة يا أميرة ؟

فأخذت يده وقبلتها وقد تساقطت بعض الدموع وقالت : يا عمي .. أنا أسعد مخلوقة في العالم اليوم .. لقد عشت في عالم آخر خلال هذه الأيام .. نسيت الماضي كل الماضي .. نسيت أيام الكلية .. أنا ولدت حديثا .. أنا كنت بحاجة لهذه الرحلة .. السعيدة .. عندما ترى هذا المكان العظيم .. تتذكر الرسول والصحابة وإبراهيم وإسماعيل وهاجر .. وترى هذه الوجوه القادمة من بقاع العالم .. والألسن المختلفة .. يطوفون عن طيب خاطر .. يسعون عن طيب خاطر .. رجال نساء .. أطفال شيوخ .. شيء عظيم .. كل هؤلاء يحبون الله ..

وأخذت تتحد عن إعجابها بمكة والمدينة والطواف والسعي ومسجد الرسول محمد ﷺ بقلب منشرح فرح ، فقال عمري وقد انبهر فعلا من تأثير العمرة والأماكن المقدسة على مشاعر سهام : لو كنت أعلم أن هذه الرؤية والزيارة ستفعل بك ما نسمع في هذه اللحظات العظيمة لفعلنا ذلك منذ سنوات .. ولكنها مشيئة الله سبحانه .. أنا فرح بما أسمع يا ابنتي العزيزة .. بعدما تعودين من رحلة سويسرا .. سأذهب بنفسي لفواز هذا وأجبره على الزواج منك

جفلت سهام لذكره وقالت : لا يا عمي .. مات فواز في قلبي قبل صعودي الطائرة .. هذا أول مخلوق نسيته .. كما أحببته يوما ما وتمنيت الاقتران به فأنا اليوم أبغضه

ـ المؤمن لا يبغض ولا يحب إلا بالله .. دعيه للخالق .. لا يجب أن ينشغل قلبك بحب زائل هل حدث منه شيء نحوك لتبغضيه ؟

فقالت : علمت أنه قد خطب

ـ خطب ! .. هل هذا ما قالته لك تلك الفتاة قبل زواج أختك بأيام ؟

ـ نعم يا عمي .. في تلك الليلة عرفت بخطبة فواز .. وكانت تلك الفتاة زميلتي في الكلية وصديقتنا .. فاعترفت لي بكل شيء ، فقد كانت على علاقة عاطفية بفواز ، وأنه كان يمثل عليّ دور العاشق الولهان فارس الأحلام ، وكان يسخر من عواطفي بمساعدة أخته منال .. ولما انتهت الدراسة خطبها فهذا ما أبكاني تلك الليلة .. أرأيت خداع البشر ؟

ـ الحمد لله على كل حال .. أنت تستحقين زوجا

خيرا من فواز .. ولكن هل تأكدت من صدق معلوماتها ؟

ـ بالتأكيد هي صادقة لقرائن كثيرة كنت أراها أيام الكلية ؛ ولكن لم أرها بعين السخط فأتجاهلها ، وثانيا تهربه من الكلام معي منذ تخرجنا ودهلزات أخته ، وثالثا ليس بيني وبينها شيء لتكذب عليّ .. وإنما كان قصدها إراحة نفسي من الوهم ، وقد تقابلنا من غير ميعاد .. والحمد لله على هذه الزيارة لمكة والمدينة ، فقد أعادت اليّ الاتزان لنفسي وروحي

ـ هنيئا لك هذه العودة الطيبة .. وأنت تعلمين مقدار حبي لك ، وإذا قبلت أن تتزوجي على طريقتي يا سهام ستجدين ما يسرك .. الحب ليس بالضرورة أن يسبق الزواج ، فكل الناس أو أغلبهم يتزوجون بدون سابق معرفة وحب ، ويأتي الحب والشوق فيها بعد .. القليل من الناس من يتزوج عن حب وعشق كالذي تشاهدونه في الأفلام والقصص والتلفاز .. وأكثره بعيد عن واقع الناس .. وما هو إلا لإتمام الحبكة والدراما .. أنا لا أنكر أنه قد يحدث مثل ذلك ولكنه القليل ولا يقاس عليه .. قد يرى إنسان فتاة في شارع أو حديقة أو حفلة .. ويحبها ويتقدم لأهلها وينتهي الموضوع إذا قبلوه زوجا .. وإذا لم يقبلوه يبحث عن غيرها .. فالحب عاطفة سامية تكون بين الناس ، وبينهم وبين الله سبحانه يحبهم ويحبونه

فقالت سهام بشجاعة : أنا موافقة على الاقتران بمن تختاره لي وعلى طريقتك يا عمي .. أمي تنظر مني هذه الكلمة

ـ كلنا ننتظر يا أميرة هذه الموافقة .. يقال خير البر عاجله .. عندما نستقر في الفندق في بال سويسرا ، سأرتب لك من هناك من ستدعين لعمك طول عمرك باختياره لك .. وأمك تحب لك الخير والسعادة، وإن بدا منها الجفاء في بعض الساعات .. الزواج سنة الحياة ، وهو حاجة ضرورية للإنسان العاقل سواء الرجل أو المرأة ، وإن ينصرف بعض الناس عن الزواج ، فهذا لظروف فردية خاصة بهم ، وهو في الإسلام ستر وعفة وطهارة وقناعة وذرية إذا شاء الله .. واختيار الزوج الصالح مهم ، كما هو اختيار الزوجة الصالحة مهم .. وكل أم تحب أن ترى ابنتها في بيت زوج حتى تطمئن عليها ، لئن الموت ذاهب بالجميع الكبير والصغير .. رضي الله عنك يا فتاتي

وصلوا سويسرا ، وكان محمد في انتظارهم بمطار العاصمة وركبوا معه السيارة حتى الفندق فرحبت بهم أنعام وأحلام وعلي صابر ، وحمدت الله على وصولهم سالمين ، وبعدما سمعوا منهم أخبار نوال الطيبة سرهم ذلك ، انصرف محمد

واحلام مع الدكتور فائز وقرينته بدرية بعد سماعهم اخبار نوال ، واستاذن الشاب علي بالخروج في مشوار خاص ، ولما بقي عمري وزوجتاه وسهام ، بشر عمري أنعام بآخر أخبار سهام ، فلما سمعت منه تلك البشرى قامت وعانقت ابنتها البكر مرة أخرى ، وغمرها الفرح وطفرت الدموع من عينيها وهي تقول: الحمد لله رب العالمين ، لي سنوات انتظر هذه الكلمة منها .. لو كنت أعلم أن العمرة ستفعل بك ذلك لأعمرناك منذ زمن

فقالت زينب وهي تشاركهم فرحهم بسماع آخر أخبار سهام : كل شيء بقدر يا أنعام .. هنيئا لك يا سهام التوبة الصادقة الآن أنت ابنتنا حقيقة

فقالت سهام باسمة : وهل لم أكن ابنتكم قبل ذلك ؟

ابتسمت زينب وقالت : ليس ذاك أقصد .. أنت ابنتا الآن وقبل.. ألم تسمعي قول الله لنبيه نوح إنه ليس من أهلك .. لأننا كنا خائفين عليك من الضياع والعودة لحياة السفور والتبرج هذا قصدي يا حبيبتي ، واحتضنتها وقالت : ألم تعلمي كم أحبك ؟

ـ أعلم يا أمي حبك الكبير لي ولأختاي ولأمي ولكل البيت .. وأنا أفهم قصد كلامك وفرحتك لي ومشاعرك الكبيرة نحونا

ـ أحسنت يا ابنتي العزيزة .. صدقي أنني منذ عرفتكم أحببتكم كأبنائي ، ولم أفرق بينكم في معاملة أو قول .. وأكيد وعدك عمك عمري بعريس جميل مثلك رقيق المشاعر والأحاسيس

وكان محمد رجع اليهم لحاجة يسأل عنها ، فسمع كلام امرأة خاله الاخير ، وأحس بمشاعر الفرح التي عمت القوم فعلق باسما وهو يحدق النظر في سهام شقيقة زوجته ثم يحوله لخاله قائلا : آ .. يا خالي من هو الفارس الجميل الذي سيصيد هذه الحمامة أو الغزالة ؟

تبسم القوم لمداعبة محمد وقال عمري : سأستعرض أبناء العائلة، وأحباب العائلة المقربين و ستفرحون جميعكم لسهام إن شاء الله تعالى

*****

خضعت السيدة نوال للعلاج البدني والنفسي في المستشفى ، ثم نقلت لمصح لقضاء فترة النقاهة وقضى الدكتور فائز شهرا بصحبتهم ، ثم عاد لأرض الوطن ومعه بدرية قرينته ، ولما مضت الشهور الثلاثة استأذن عمري وزينب بالعودة وخيرت سهام فاختارت السفر معهم ، وكان الأطباء يعتقدون أن ثلاثة أشهر كافية للعلاج ، فمددوها ثلاثة أشهر أخرى ، فوافق محمد وأحلام وأنعام وعلي على البقاء حتى تنتهي فترة العلاج ، وإن نصحهم الأطباء بالسفر فربما يطول الوقت ،

فاستجابة المريضة للأدوية ضعيفة ، بل وجدوا ضعفا شديدا في الذاكرة ، فشجعهم عمري على البقاء ثلاثة شهور أخرى ، وإذا لم تتحسن شيئا ـ فلا حول ولا قوة إلا بالله ـ ستنقل بطائرة طبية إلى الوطن ، ويتابع علاجها فريق من أطباء البلاد ، وكان الألم يعصر قلب عمري على ابنة عمه .

ولما وصل عمري البلاد وجد أن زوجة عمه ناجح قد رحلت منذ شهر ، ولم يرغب الأهل بإخبارهم ريثما يعودون حتى لا يؤثروا عليهم ، و يضطروهم للعودة خصوصا أنعام ، فشكرهم عمري على هذا التفكير والتصرف وقال : خطوة جيدة .. رحم الله أمنا عزيزة

ثم زار قبرها ودعا لها الله سبحانه أن يتغمدها بالعفو والصفح والرحمة ، وتصدق عنها ثم عاد للريحانة وبصحبته زينب وسهام ، وبعد أن قضوا في الفيلا عدة أيام يستريحون من آثار السفر انشغل عمري بالعريس الذي وفق لاختياره لسهام ، ولقد كان السيد عمري قد رتب الأمر مع صديقه حسن أخو زوجته زينب والذي يعرفه القراء في أوائل القصة ، فقد كان لأخي زينب الصغير أحمد ولد متدين ، وقد تخرج من كلية الطب ، ويعمل في مستشفى الدكتور فائز في الريحانة ، فلما تحدث عمري مع حسن في أمر زواج سهام بنت أنعام رشحه حسن ، فتحدث حسن مع أخيه أحمد الأصغر في الموضوع ، فأبدى الوالد أحمد ترحيبه وموافقته على الفور ومن غير تردد ، ثم زار الريحانة وتحدث مع ولده الدكتور هشام ابنه ورد خبرا بالموافقة لأخيه حسن فلذلك لما وصل عمري المدينة واستراح بضعة أيام ، قام بزيارة خاصة لهشام في المستشفى ، وخلا به بعض الوقت ، ولما تأكد أنه لم يتعرض لضغط من أبيه وعمه حسن دعاه لزيارة عمته زينب ولرؤية الفتاة بدون مقدمات ؛ كأن اللقاء حصل عرضا ؛ فإن استحسنها جرى ما بعد الرؤية من خطبة وقران .

وذات ليلة حضر الدكتور هشام زائرا لعمته من غير ميعاد معها ، وهشام كان من الشباب

الذين يرون أن السيد عمريا نموذج للرجل الغني المسلم الحي الذي يجعل المال في خدمة الأمة والناس .. فكان ينظر إليه أنه رجل موفق مبارك ، فالزواج عن طريقه ويده يراه من سعادة المرء وبركته ، وهو زوج عمته زينب السيدة الطيبة ذات الحنان والقناعة والزهد رغم ما لديها من أموال وأرقام من مال زوجها .. زينب لم تعلم القصد الخفي من زيارة هشام ، فكانت تظنها بمناسبة عودتها من العمرة ومن أوروبا فأولاد اخوتها يودونها باستمرار ، ويظهرون لها إمارات التقدير والحب .. فسلم هشام وقبل يدها ويد السيد عمري زوجها فقد اعتاد على ذلك منذ الصغر ،

ولا يرى في ذلك غضاضة رغم أنه طبيب ماهر ، وكانوا يجلسون في الحديقة كعادة عمري ، ولما شربوا القهوة أرسل عمري وراء سهام فأتت ملبية لنداء عمها عمري ، فلما رأت الضيف كادت ترجع ، فناداها عمري فقال لها : تعالي يا سهام .. هذا ابن أخ زينب الدكتور هشام

سهام تعرف هشاما ، فهي تسمع باسمه يتردد داخل البيت ، وهو يتردد على البيت لزيارة عمته والسمر مع عمها عمري ، أما الجلوس معه فهذا لم يحدث ، لذلك ارتبكت واستغربت من تصرف عمها لأنه لا يحب الاختلاط ، ولكنها اقتربت وهي مترددة وألقت التحية فقال لها عمري مرة أخرى : الدكتور هشام مهتم بمرض خالتك نوال .. وكلفته بالاتصال بعدد من الأطباء الماهرين في جراحة الدماغ وعيوبه .. فغدا اتصلي بأمك واسأليها عن آخر أخبار خالتك اجلسي

فجلست باستحياء وقالت : أهلا بالدكتور هشام

ـ أهلا آنسة سهام .. الحمد لله على سلامتك .. عمرة مقبولة إن شاء الله .. كيف حال خالتك

ـ بخير .. كان الله في عونها .. كيف أنت وكيف الأم والوالد ؟

فقال هشام بجرأة : الحمد لله كلهم بخير .. يا عمتي العزيزة .. أمتزوجة هذه الحسناء ؟

احمر وجه الفتاة لجرأة الشاب أمام زوج عمته ، ولم تستطع رفع بصرها عن الارض حياء ، فقال عمري بفرح : أموافق يا هشام ؟!

فقال هشام بفرح وبابتسامة : يا أبا محمود .. هل يرفض أحد اختيارك المبارك ؟ .. أرجو أن تقبل بي هي

نظرت زينب لعمري وقالت : هل هناك مؤامرة ؟؟

فقال هشام : أبدا يا عمتي ..أتاني أبي الفاضل خصيصا من العاصمة ؛ ليقول لي أن زوج عمتك وجد لك عروسا جميلة .. فكما وافق أبي قبل أن يأخذ رأيي ، أنا أيضا وافقت على الفور ومن غير تردد .. فالأستاذ عمري رجل مبارك وأنا أحبه وأقدره ؛ ولكنه أصر على النظرة فقال زرنا وانظر الفتاة نظرة الخطيب ، فأتيت وكلي شوق وهوى بابنة عمتي أنعام .. لم نسمع قول العروس يا عمتي تدخلي ؟

نظرت سهام لعمها عمري بامتنان وتقدير وقالت بشجاعة وقد خف ارتباكها وأدركت المقصود من هذه الزيارة : فكما وافقت أنت على اختيار عمي عمري بسرعة فأنا راضية وموافقة على اختياره .. عمي سريع في عمل الخير

فنهضت زينب فرحة واحتضنت سهام وقبلتها عدة مرات وهي مسرورة وهي تقول : ألف مبروك وألف بركة .. جزاك الله خيرا يا أبا محمود

.. مبارك يا ابن أخي

وقبلت ابن أخيها الشاب المرح ، وبارك لهم عمري ، وشكراه وقال عمري فرحا : على بركة الله سبحانه .. أم تحبون التفكير قبل الاندفاع وراء العواطف والمشاعر ؟

فقال هشام : أنا راض بكل مشاعري وعقلي وأفكاري

وقالت سهام فرحة : وأنا دعوت الله ونحن بالمدينة المنورة أن ييسر لي زوجا صالحا يسعدني وأسعده السعادة الدائمة .. فأنا أيضا موافقة على الدكتور هشام بعقلي ووجداني .. وأشكرك يا عمي الشكر الجزيل

فقال عمري : مبارك لكما مرة أخرى ونحن سعداء بما يجري ، والآن قومي اتصلي بأمك واسأليها عن خالتك وأخبريها بهذا الاختيار لتكسبي منها دعوة صالحة

فحيت الفتاة المنفعلة وانطلقت بفرح وعجلة للاتصال بسويسرا ، وأخذت زينب تشكر زوجها وتحدث ابن أخيها عن مشاعر سهام المرهفة وتوصيه بها خيرا فقال هشام : هي في قلبي وعيناي يا عمتي .. وأرجو من الله أن يوفقني إلى تحقيق السعادة لها والمحافظة على مشاعرها الرقيقة

فقال عمري : ستتم الخطبة قريبا وقبل عودة أمها ؛ لأن أمها قد تمكث ثلاثة أشهر مع أختها وهناك مشوار إلى قرية أهلها لإخبار أخيها الأكبر وجدها من أبيها .. قد تضطر للنزول إلى العاصمة لتحقيق ذلك يا دكتور هشام

ـ لا بأس يا سيدي .. أنا جاهز

فجاءت سهام بعد قليل تقول : السلام عليكم .. أمي على الهاتف يا دكتور هشام تريد أن تبارك لك

فقال عمري : اذهب يا هشام ! فحماتك تريد أن تظهر لك مشاعر الحب والفرح

فقال هشام : عمتي أنعام على سلامتها .. هي سيدة محترمة وفاضلة وملكة لفؤادي

سارت زينب خلفهم وتحدثت زينب مع أنعام التي شكرتها على مباركتها لهذا الزواج ، فتمنت أنعام لو أنها معهم في هذه اللحظة لتشاركهم فرحهم ، وتحدث هشام مع أنعام التي دعت له وباركت له ، وأظهرت له حبها وامتنانها وسعادتها بزواجه من ابنتها البكر ، فأثنى عليها وأخبرها بأمر الخطبة وكتابة الكتاب قريبا ، وسألها مباركتها ففعلت، وطلبت منه سهام التي كان البشر والفرح ظاهرين على محياها الباسم ، وتناولت السماعة من هشام بلطف ، واستمعت لنصائح أمها ودعواتها لهما بالتوفيق والهناءة الزوجية ، ثم وضعت السماعة وقالت وهي تنظر في عيني هشاما : قبل أن نتزوج أمي توصيني عليك ، أرأيت كيف الحموات يا دكتور هشام ؟

ـ الله يحفظ لي حماتي وعمتي زينب ، وإن شاء تعود أمك بالسلامة وحفظ الله تعالى .. عمي ظل وحده في الحديقة .. هيا بنا إليه نشرب الشاي معه من أيدي ساحرة القلب والفؤاد .. ما رأيك يا عمتي ؟

فقالت سهام : فورا أيها العزيز

سارت سهام نحو المطبخ ، وهي تكاد تطير من الفرح ، وخرج هشام وعمته نحو الحديقة وهما فرحان بما تم هذه الليلة من الخير ، ولما وصلا إلى الحديقة وجدا السيد عمري مغمض العينين ، ويجلس أمامه شاب منكوش الشعر نحيف البنية بين يديه مسدس .. فنظرا إليه باستغراب وقال هشام : من أنت ؟ !

فقال الشاب بهدوء : اسمي رامي ماهر خلس

فقالت زينب بصوت هلع : هل قتلته ؟!

فقال بصوت هادئ : لم تستطع يداي فعل ذلك .. إنه رجل صالح .. استيقظ يا عماه

فتح عمري عينيه ، لقد غفي عند ذهابهم للحديث مع انعام ، وقال : عدتم .. من هذا الشاب ؟

ردت زينب : هذا أخو خطيبتك يا هشام

ـ ماذا قلت يا عمتي ؟ !

الحلقة ٥ والأخيرة

جابر عثرات الكرام

قيل: كان في أيام (سليمان بن عبد الملك) رجل يقال له خزيمة بن بشر من بني أسد، كان له مروءة ظاهرة ونعمة حسنة وفضل وبر بالإخوان، فلم يزل على تلك الحالة حتى قعد به الدهر فاحتاج إلى إخوانه الذين كان يتفضل عليهم وكان يؤاسيهم، فواسوه ثم ملوه، فلما لاح له تغيرهم أتى امرأته وكانت ابنة عمه، فقال لها: يا ابنة عمي، قد رأيت من إخواني تغيراً، وقد عزمت على أن ألزم بيتي إلى أن يأتيني الموت، فأغلق بابه وأقام يتقوت بما عنده حتى نفد وبقي حائراً وكان يعرفه عكرمة الفياض الربعي متولي الجزيرة، وإنما سمي بذلك لأجل كرمه، فبينما هو في مجلسه إذ ذكر خزيمة بن بشر فقال عكرمة الفياض: ما حاله؟ فقالوا: قد صار إلى أمر لا يوصف وإنه أغلق بابه ولزم بيته.

قال: أفما وجد خزيمة بن بشر مواسياً ولا مكافئاً؟

فقالوا: لا.

فأمسك عن الكلام ثم لما كان الليل عمد إلى أربعة آلاف دينار فجعلها في كيس واحد ثم أمر بإسراج دابته وخرج سراً من أهله. فركب ومعه غلام من غلمانه يحمل المال. ثم سار حتى وقف بباب خزيمة فأخذ الكيس من الغلام، ثم أبعده عنه وتقدم إلى الباب فدفعه بنفسه فخرج إليه خزيمة فناوله الكيس، وقال: أصلح بهذا شأنك، فتناوله فرآه ثقيلاً فوضعه عن يده ثم أمسك بلجام الدابة، وقال له: من أنت؟ جعلت فداك.

فقال له عكرمة: يا هذا ما جئتك في هذا الوقت والساعة أريد أن تعرفني؟ قال: فما أقبله إلا أن عرفتني من أنت؟ فقال: أنا جابر عثرات الكرام.

قال: زدني.

قال: لا. ثم مضى ودخل خزيمة بالكيس إلى ابنة عمه، فقال لها: أبشري فقد أتى الله بالفرج والخير ولو كانت فلوساً فهي كثيرة. قومي فاسرجي.

قالت: لا سبيل إلى السراج.

فبات يلمسها بيده فيجد خشونة الدنانير ولا يصدق، وأما عكرمة فإنه رجع إلى منزله فوجد امرأته قد فقدته وسألت عنه فأخبرت بركوبه فأنكرت ذلك وارتابت. وقالت له: والي الجزيرة يخرج بعد هدوء من الليل منفرداً من غلمانه في سر من أهله إلا إلى زوجة أو سرية.

فقال: اعلمي أني ما خرجت في واحدة منها.

قالت: فخبرني فيما خرجت؟ قال: يا هذه ما خرجت في هذا الوقت وأنا أريد أن يعلم بي أحد.

قالت: لا بد أن تخبرني؟ قال: تكتمينه إذاً. قالت: فإني أفعل.

فأخبرها بالقصة على وجهها وما كان من قوله ورده عليه. ثم قال أتحبين أن أحلف لك أيضاً؟

قالت: لا فإن قلبي قد سكن وركن إلى ما ذكرت.

وأما خزيمة فلما أصبح صالح الغرماء وأصلح ما كان من حاله ثم إنه تجهز يريد سليمان بن عبد الملك، وكان نازلاً يومئذ بفلسطين، فلما وقف ببابه واستأذن دخل الحاجب فأخبره بمكانه، وكان مشهوراً بمروءته وكرمه. وكان سليمان عارفاً به فأذن له، فلما دخل سلم عليه بالخلافة فقال له سليمان بن عبد الملك: يا خزيمة، ما أبطأك عنا؟

قال: سوء الحال.

قال: فما منعك من النهضة إلينا؟ قال: ضعفي يا أمير المؤمنين.

قال: فبم نهضت إلينا الآن؟

قال: لم أعلم يا أمير المؤمنين إلا أني بعد هدوء من الليل لم أشعر إلا ورجل يطرق الباب وكان من أمره كيت وكيت، وأخبره بقصته من أولها إلى آخره.

فقال سليمان: هل تعرف هذا الرجل؟ فقال: خزيمة: ما عرفته يا أمير المؤمنين لأنه كان متنكراً وما سمعت من لفظه إلا إني جابر عثرات الكرام.

قال: فتلهب وتلهف سليمان بن عبد الملك على معرفته وقال: لو عرفناه لكافأناه على مروءته، ثم قال: علي بقناة.

فأتى بها فعقد لخزيمة بن بشر المذكور على الجزيرة عاملاً عوضاً عن عكرمة الفياض. فخرج خزيمة طالباً الجزيرة، فلما قرب منها خرج عكرمة وأهل البلد للقائه، فسلما على بعضهما ثم سارا جميعاً إلى أن دخلا البلد. فنزل خزيمة في دار الإمارة وأمر أن

يؤخذ لعكرمة كفيل وأن يحاسب، فحوسب فوجد عليه فضول أموالٍ كثيرة فطالبه بأدائها قال: ما لي إلى شيء من ذلك سبيل.

قال: لا بد منها.

قال: ليست عندي فاصنع ما أنت صانع. فأمر به إلى الحبس ثم أنفذ إليه من يطالبه

فأرسل يقول: إني لست ممن يصون ماله بعرضه فاصنع ما شئت.

فأمر أن يكبل بالحديد فأقام شهراً كذلك أو أكثر فأضناه ذلك وأضر به، وبلغ ابنة عمه خبره فجزعت واغتمت لذلك ثم دعت مولاة لها، وكانت ذات عقل ومعرفة، وقالت لها: امض الساعة إلى باب هذا الأمير خزيمة بن بشر وقولي: عندي نصيحة، فإذا طلبت منك فقولي: لا أقولها إلا للأمير خزيمة بن بشر، فإذا دخلت عليه فسليه أن يخليك، فإذا فعل ذلك فقولي: ما كان هذا جزاء جابر عثرات الكرام منك. كافأته بالحبس والضيق والحديد.

ففعلت الجارية ذلك. فلما سمع خزيمة كلامها نادى برفيع صوته وا سوأتاه، وإنه لهو؟ قالت: نعم، فأمر لوقته بدابته فأسرجت وبعث إلى وجوه أهل البلد فجمعهم إليه وأتى بهم إلى باب الحبس ففتح ودخل خزيمة ومن معه فرآه قاعداً في قاعة الحبس متغيراً أضناه الضر والألم وثقل القيود فلما نظر إليه عكرمة والى الناس أحشمه ذلك فنكس رأسه فأقبل خزيمة حتى أكب على رأسه فقبله فرفع عكرمة إليه رأسه وقال: ما أعقب هذا منك؟

قال: كريم فعالك وسوء مكافأتي.

قال: يغفر الله لنا ولك.

ثم أتي بالحداد ففك القيود عنه وأمر خزيمة أن توضع القيود في رجل نفسه.

فقال عكرمة: ماذا تريد.؟ فقال: أريد أن ينالني من الضر مثل ما نالك.

فقال: أقسم عليك بالله لا تفعل.

فخرجا جميعاً حتى وصلا إلى دار خزيمة فودعه عكرمة وأراد الانصراف عنه.

فقال: ما أنت ببارح.

قال: وما تريد؟ قال: أغير حالك وإن حيائي من بنت عمك أشد من حيائي منك.

ثم أمر بالحمام فأخلي ودخلاه معاً فقام خزيمة وتولى أمره وخدمه بنفسه ثم خرجا فخلع عليه وحمله وحمل معه مالاً كثيراً ثم سار معه إلى داره واستأذنه في الاعتذار إلى ابنة عمه، فاعتذر إليها وتذمم من ذلك.

قال: ثم سأله بعد ذلك أن يسير معه إلى سليمان بن عبد الملك، وهو يومئذ مقيم بالرملة، فأنعم له بذلك وسارا جميعاً حتى قدما على سليمان بن عبد الملك فدخل الحاجب فأعلمه بقدوم خزيمة بن

بشر فراعه ذلك وقال: والي الجزيرة يقدم بغير أمرنا؟ ما هذا إلا لحادث عظيم! فلما دخل قال له قبل أن يسلم: ما وراءك يا خزيمة؟ قال: الخير يا أمير المؤمنين. قال: فما الذي أقدمك؟ قال: ظفرت بجابر عثرات الكرام، فأحببت أن أسرك به لما رأيت من تلهفك وتشوقك إلى رؤيته. قال: ومن هو؟ قال: عكرمة الفياض؟ قال: فأذن له بالدخول. فدخل وسلم عليه بالخلافة فرحب به وأدناه من مجلسه وقال: يا عكرمة ما كان خيرك له إلا وبالاً عليك. ثم قال سليمان: اكتب حوائجك كلها وما تحتاج إليه في رقعة. ففعل ذلك، فأمر بقضائها منه ساعته، وأمر له بعشرة آلاف دينار وسفطين ثياباً، ثم دعا بقناة وعقد له على الجزيرة وأرمينية وأذربيجان وقال له: أمر خزيمة إليك إن شئت أبقيته وإن شئت عزلته. قال بل اردده إلى عمله يا أمير المؤمنين، ثم انصرفا من عنده جميعاً ولم يزالا عاملين لسليمان مدة خلافته، والله أعلم.

المهدي والأعرابي

يحكى أن المهدي خرج يتصيد، فسار به فرسه حتى دخل إلى خباء أعرابي، فقال: يا أعرابي. هل من قرى؟ قال: نعم، فأخرج له قرص شعير فأكله، ثم أخرج له فضلة من لبن فسقاه، ثم أتاه بنبيذ في ركوة فسقاه قعباً. فلما شرب قال: يا أخا العرب أتدري من أنا؟ قال: لا والله. قال: أنا من خدم أمير المؤمنين الخاصة. قال: بارك الله في موضعك. ثم سقاه قعباً آخر فشربه فقال: يا أعرابي، أتدري من أنا؟ قال: زعمت أنك من خدم أمير المؤمنين الخاصة. قال: لا، بل أنا من قواد أمير المؤمنين.

قال: رحبت بلادك وطاب مرادك. ثم سقاه ثالثاً فلما فرغ منه قال: يا أعرابي، أتدري من أنا؟ قال: زعمت أنك من قواد أمير المؤمنين. قال: لا، ولكني أمير المؤمنين. فأخذ الأعرابي الركوة وأوكأها وقال: والله لو شربت الرابع لادعيت أنك رسول الله. فضحك المهدي حتى غشي عليه وأحاطت به الخيل ونزلت إليه الملوك والأشراف فطار قلب الأعرابي فقال له: لا بأس عليك ولا خوف ثم أمر له بكسوة ومال.

ابن آدم

ووقف رجل على الواثق فقال: يا أمير المؤمنين، صل رحمك وارحم أقاربك وارحم رجلاً من أهلك. فقال الواثق: من أنت، فإني لا أعرفك قبل اليوم؟. قال: ابن جدك آدم.

فقال: يا غلام، أعطه درهماً؟ فقال: يا أمير المؤمنين، وما أصنع بالدرهم؟ قال: أرأيت لو قسمت المال بين إخوتك أولاد جدي أكان ينوبك منه حبة. فقال: لله درك ما أذكى فهمك! فأمر له بعطاء وانصرف مكرماً.

زهرات نبوية

فليصل رحمه

قال النبي ﷺ « مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ وَيُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ ». خ عن أبي هريرة

سعدي رجل كهل ، وكان من الطبقة الفقيرة في حي السلامة ، وكان عمله بسيطا ، رأسماله بسيطا أيضا ، وهو يملك عربة يبيع عليها الترمس اللؤلؤ الأصفر ، ففي الفترة الصباحية تجده يقف أمام بوابة المدرسة الابتدائية ؛ ليبيع الطلبة الصغار أثناء فترة الاستراحة ، وكذلك بعد الدوام ، وفي المساء يقف بعربته أمام أحد مساجد الحي الكثير الرواد ، وقد اعتاد عليه رواد بيت الله من سنوات ، ومنهم من يقدم له المساعدة المادية دون أخذ الترمس وغيره من المسلوقات كالحمص المسلوق ، أو أكواز الذرة المسلوقة في بعض الأحيان .

وسعدي اعتاد على هذه الحياة ، وتأقلم وتكيف معها ، وقد عرضت عليه أعمال أخرى فصرف النظر عنها ، وفشل في تغيير هذه المهنة .

هو بشخصيته يمثل الشخصية المسكينة الهشة في الحي ، ربما لا يتضايق إلا من الشبان الفاشلين الذين يستولون على بعض مبتاعاته بدون أن يدفعوا شيئا ، ويضطر للصمت والتظاهر بمسامحتهم خشية الاعتداء عليه وعلى بضاعته الزهيدة .

وذات مساء وبينما هو يعرض بضاعته أمام المسجد عند صلاة العصر منتظرا خروج المصلين ليبيعهم الترمس والحمص المسلوق اقتربت منه امرأة يعرفها حق المعرفة ، وبعد تحيته ببضع دقائق ارتفع صوته في وجه المرأة ، وطلب منها بغضب وسخط الانصراف ، وأنه لا يريد التعرف عليها ، ولا يرغب بزيارتها ، وأنه فقير لا يملك مالا للمناسبات والزيارات ، وحدث ذلك الكلام القاسي عند مغادرة الناس المسجد تلك اللحظات وعلى مسمعهم ، وتفاجأ السامعون بصدور هذا الكلام من ذلك الرجل الغلبان ، وشتمته المرأة ، وسبه الإخوة التي تجمعهم ، وانصرفت باكية حزينة ، وأدرك السامعون أن هذه الإنسانة أخت سعدي.

فقال أحدهم : مالك يا عّم سعدي غضبان ؟!

لم يرد ، وتحدث آخر ، وظل العم سعدي ملتزما السكوت

فقال آخر : يبدو أن العم سعديا غلطان حتى أنه لم يدافع عن تهوره مع أخته المسكينة التي ليس لها من الدنيا اليوم إلا هو وزوجها

الكفيف عبد الحميد .
وقال آخر: أكيد طلبت منه مساعدة مالية ، ورفض وطردها .
فصاح سعدي في وجوههم : أأنا مسؤول عنها يا عالم ؟ !أليس لها زوج وابن وابنة؟!
ـ هم أطفال ، وزوجها أعمى يعتمد على إحسان الناس ، وراتب صندوق الفقراء .. ماذا تريد منك ؟
قال سعدي : تريد خمسة دنانير كقرض حسن .. زوجها عليل وتريد الذهاب به للمستشفى .. وأنا من أين أجلب هذا المبلغ ؟!
تبرع أحدهم بذلك المال ، ولحق بالمرأة التي كانت تمشي وتتوقف وتنظر إليهم آملة أن يؤثروا فيه ، ولما وصلها الرجل سأل: السيد عبد الحميد مريض ؟
فأكدت ذلك وإلا ما أتت تطلب من شقيقها ، فأعطاها الرجل عشرة دنانير ، وكادت تقبل يده شكرا ، فسحبها وقال : اذهبي بزوجك وعالجيه . وذكر لها مكان عمله ، وطلب منها أن تكف عن الدعاء على أخيها .
وأمام الجامع لما رأى الشيخ العالم أن الناس مجتمعون حول سعدي وصوتهم يرتفع وينخفض ، والرجل يبرر تصرفه بضعف وتخاذل ، قال الشيخ : ما بكم أيها الناس ؟ مال أصواتكم مرتفعة ؟ ومال العم سعدي يكاد أن يبكي ؟!
فتطوع أحدهم وشرح له تصرف سعدي مع أخته زوج الكفيف عبد الحميد ، فقال الشيخ مخاطبا سعدي : هداك الله يا عّم سعدي ! إذا لم تلجأ أختك لك فلمن تلجأ ؟! وإذا كان أنت لهذه الدرجة من الفقر ، ولا تملك الدنانير الخمسة فاستعن بأهل الخير ، واقترض لها على كفالتك فتكون قد ساعدت أختك وصهرك ؛ وتكون وصلتها وبررتها .. أما أن تفضحها وتزفها فهذا عيب وألف عيب .. واعلم أنك بالإحسان إليها الله يوسع عليك ، ويزيدك من فضله، ويبارك لك في عمرك .. قال النبي صلى الله عليه وسلم « مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِى رِزْقِهِ وَيُنْسَأَ لَهُ فِى أَثَرِهِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ ».
وتابع قائلا : فصلة الرحم والإحسان إليها تطيل العمر بالبركة والفضل والخير ، ويزيد الدخل ويبارك فيه .. وأنت من أكثر الناس حاجة للبركة وزيادة الرزق والعطاء الرباني .. وهي ما أتت إليك في الشارع إلا للحاجة والضرورة ، ولم تجد غيرك .. فقد خسرت خيرا كثيرا بذلك ..فعليك اليوم قبل هبوط الليل بالذهاب إليها وجبر خاطرها .. وهذه خمسة دنانير قدمها لها

على أنها منك ـ وأعطاه خمسة دنانير ، كان قد أخرجها من محفظته أثناء النصح والإرشاد ـ وتردد سعدي بمد يده ، فوضعها الشيخ بيده بقوة وقال: خذها لا تتردد ..فالبركة مطلوبة ومنشودة في حياتنا في أموالنا وفي أولادنا .. احذر الشح ..هي لم تطلب منك الكثير .. وأنا يخيل لي أنك تكسب يوميا أكثر من هذا المبلغ .. ربنا يطرح فيه البركة ..البخل مرض شنيع .

تمتم سعدي شاكرا للشيخ ، ومعتذرا من الإخوان، وشتم الشيطان ، وقال: أنا مقصر في صلة الرحم وزيارتها ..البيع يشغل الوقت .

فقال الشيخ: قبلنا اعتذارك يا بركة ..الآن اذهب لبيت أختك لا تؤجل عمل اليوم للغد .

ـ يا سيدي الشيخ لم أبع بعد .

ـ هذه حجة باردة يا عم سعدي ! دع العربة عند أحد الأجاويد ، وأسرع .. عمل البر يحتاج لسرعة ومسابقة ..هذه أختك المسكينة كم سيفرح قلبها الآن عندما تراك داخلا عليها بالدنانير والاعتذار والبدء بصفحة علاقات بيضاء .. ستفرح فرحا كبيرا ، وستغمرك بالدعاء .. وكذلك زوجها الشيخ عبد الحميد وأطفالها

ـ أنا عاجز عن الذهاب الآن .

ـ خير البر كما تعلمنا عاجله .. دع نزغ الشيطان بينك وبين أختك إنه يعظم لك الأمور والصلح لتكن الخطوة الأولى منك .. الأخوة يرغبون بسماع الأخبار الطيبة عنكم .

ـ أنا خائف!

ـ خائف من طاعة ربك وصلة رحمك ..لا تدع الوسواس يهزمك ..إذا لم تذهب وحدك سأذهب أنا وبعض الأخوة معك .

وتطوع بعضهم للذهاب معهم فقال سعدي مستسلما لرغبتهم : أمري إلى الله سأؤمن العربة عند أبي فيصل .

وطلب الشيخ من أحد الشباب شراء بعض الفاكهة كهدية لأسرة عبد الحميد ، ولما عاد سعدي من تأمين عربته ، كانت أكياس الفاكهة جاهزة ، وانطلق الوفد بسعدي إلى بيت صهره عبد الحميد .

واستقبلهم الرجل وهو يكاد يطير من الفرح ، ورحب بهم وبالشيخ ، وذرف الدموع غبطة ، وكذلك زوجته ، وأظهر سعدي ندمه على تقصيره معهم ، وعلى ضعف صلته لرحمه .. وتعهد أمام الجميع بفتح صفحة جديدة معهم ، وشكره عبد الحميد ، وقال : نحن يا أخي نقدر ظروفك ووضعك المادي .. ونحن لا يرزقنا ـ يا سيدنا

الشيخ ـ إلا الله ؛ ولكن تمر بالإنسان بعض الأحوال والظروف تجده عاجزا عن تحقيق بعض الرغبات الطارئة لضعف ذات اليد .. فيطلب من أقرب الناس إليه الجيران والأقارب ..فلم نر قريبا لنا قريبا منا سوى السيد سعدي شقيق السيدة الصابرة .. فقلنا نستلف منه خمسة دنانير لقضاء الحاجة ونسدها .. فهو نسيبنا ، ويصبر علينا ، ورغم أن أخته رفضت في البداية اللجوء إليه لعلمها بشحه وخوفه من عدم السداد ؛ لكني ضغطت عليها من أجل شراء هذا الدواء ـ وأخرج علبة الدواء ، وأراهم إياها ـ وقال : أحد الكرام لما سعدي قهرها لحق بها وأعطاها الدواء وزيادة خمسة دنانير .. ونحن الآن لسنا بحاجة لدنانير سعدي .

صاح سعدي : أنا آسف يا شيخ عبد الحميد ! ونحن فتحنا صفحة جديدة أمام هؤلاء الأخيار .. بارك الله فيك ..واعلم أن هذه المساعدة من مولانا الشيخ .. وأعطاني درسا مهما في أهمية الإحسان وصلة الرحم .. وتعهدت أمام القوم أن أمد لك يد العون .. أرجوك أن تسامحني أنت وأختي ..ولن أقصر معكم من اليوم فصاعدا

فقال الشيخ : يا شيخ عبد الحميد أنت خير وبركة .. عليك أن تعطي الرجل فرصة للتوبة وصلة الرحم ..فأنا ذكرته بحديث الرسول صلى الله عليه وسلم أن من يصل الرحم يبسط له في رزقه وينسأ له في أثره .. فلا تحرمه من هذه المعاني الكبيرة .. وإذا قصر معكم .. فنحن سدادون وأنت تعرفنا .

ـ أنتم خير وبركة .. وقبلت شفاعتكم ومجيئكم إلينا كبير .. بارك الله فيكم .

ودارت أكواب الشاي على الجميع ، وعبروا عن سعادتهم بعودة الوئام لهاتين الأسرتين .

ثم تحمس سعدي للوئام الذي حصل وقال : أمامكم أيها الأخوة الطيبون أدعو السيد عبد الحميد وأختي وأولادهما للغداء معي ظهر يوم الجمعة ؛ لإظهار الود والحب الذي شع في قلبي بما حدث هذا المساء هل قبلت يا أبا محمد ؟

ـ نعم ، قبلت الدعوة .. وأتمنى صدقا أن نكون أحسن مما كنّا عليه يا سعدي !

وحيا الزوار أهل الدار ، وخرجوا مودعين وشاكرين للشيخ عبد الحميد حسن الضيافة والاستقبال .. وأثناء العودة للمسجد شكر الرجل سعديا على نخوته ، وقبوله نصحهم ، والندم على ضعف صلته بأخته منذ سنوات وسنوات .. وحمدوا رب البرية على ما وهبهم من الخيرات والنعم .

مشاهد تربوية

طالب

أخذ التلاميذ ينزلون من الحافلة رويدا رويدا ، فقد أعلمهم المعلم المرافق لهم في



هذه الرحلة المدرسية أن الحافلة ستقف في هذا المكان الجميل، وأن بإمكانهم تناول وجبة الغداء في هذا المكان حيث التلال الخضراء والأشجار السامقة في عنان السماء ، إنها غابة جميلة ، وشمس ساطعة تثيران في النفس الشجون والخيال .

وكل مجموعة من الأصدقاء أخذت تبحث عن المكان الملائم للجلوس ونشر الطعام عليه ، فكل يختار الشجرة المناسبة ليجلس أو يستلقي تحتها من وهج الشمس في ذلك الربيع الباسم ، وبعض الشباب يـتأمل في طول هذه الأشجار وكم لها من السنين حتى بلغت هذا الارتفاع الشاهق ، وبعضهم يتأمل الأزهار البرية اللامعة في شمس النهار في ألوانها وأشكالها التي تدل على عظمة الخلاق ﷻ ومن استلقى على العشب الأخضر تحت ظل شجرة كان يرى أشعة الشمس تخترق أوراق وأغصان الشجرة حتى تدفعه لتحويل نظره عنها أو إغلاق عينيه .

ظهرت بعد لحظات التأمل حقائب الأطعمة والأشربة ، وكنت تسمع النكات تنطلق هنا وهناك وترى توزيع البسمات يمينا ويسارا ، فالشباب يحب النزهات واللهو والمرح ، والرحلات المدرسية من الوسائل التربوية الموسعة لمدارك الطالب ، وتمنحه معرفة حية ، وتكون بها صداقات طيبة إذا توفرت فيها الأخلاق الحسنة والإعداد الحسن ، فهناك رفاق جدد ، ووقت لمعرفة معادن الناس ، وطاقات الطلاب في التعاون والتحمل .

وجلس ثلاثة من الطلبة من شعبة واحدة بظل شجرة سامقة في السماء، فقال أحدهم بحماس : الجو ممتع في هذا اليوم الربيعي!.. كان يوما موفقا لهذه النزهة .. رحلات الربيع على العموم جميلة .. ها هي الأعشاب الخضراء تفترش الأرض ، وبينها الأزهار والورود الحسناء .

وقال الثاني : تكاد أن تنطق شعرا يا خالد .

قال الثالث : ألا تعلم يا يوسف أن خالدا له محاولات شعرية ، وأنه يحفظ الكثير من القصائد والأناشيد ؟

تبسم خالد وعاد يقول : الحق

أنا لست شاعرا ، ولست موهوبا في قول الشعر .. إنما هي خطرات تتردد على لساني ربما من كثرة قراءاتي للشعر..



فأنا أحب الشعر وقراءته، وأتمنى أن أكون شاعرا في المستقبل.. رغم أن شعر اليوم لم يعد كشعر القدماء .. قد يبدع الشاعر اليوم في قصيدة أو قصيدتين وباقي ديوانه ضعيف أو شعر متكلف لمناسبة أو حادثة .. أين الشعر بعد المتنبي ؟! يقولون انتهى .

قال عامر : لا ، لم ينته .. فأخي كما تعلمون شاعرا ومعلما للغة العربية .. يقول لم يأت بعد أحد يعدل أبو الطيب في شعره .. يوجد شعراء وسيبقى الشعراء .. وفي مطلع القرن العشرين ظهر بعض الشعراء الكبار كأمير الشعراء أحمد شوقي وحافظ والبارودي .. ولكنهم لم يصلوا إلى منزلة المتنبي وعنترة وطرفة بن العبد .. هؤلاء عمالقة .. وأشعارهم خالدة .

فقال يوسف : يا سلام ما أحلى العلم والثقافة أيها الأصدقاء ! .. هل سأصبح عالما يوما ما ؟!

قهقهه الشباب وقال عامر : الإنسان يجتهد والتوفيق من الله .

فقال خالد : ولماذا لا تصير؟ بعد سنة ستأخذ الثانوية العامة .. ولما تتخرج من الجامعة استمر في طلب العلم حتى تتحقق أمنيتك .

فقال عامر : العلم طريق إلى الجنة ألم تقرأوا قول رسول الله ﷺ [قال رَسُولَ اللهَّ ﷺ مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَطْلُبُ فِيهِ عِلْمًا سَلَكَ اللهَّ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا رِضًا لِطَالِبِ الْعِلْمِ وَإِنَّهُ لَيَسْتَغْفِرُ لِلْعَالِمِ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ حَتَّى الْحِيتَانُ فِي الْمَاءِ وَفَضْلُ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ إِنَّ الْعُلَمَاءَ هُمْ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ لَمْ يَورِثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا وَإِنَّمَا وَرِثُوا الْعِلْمَ فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ] حم

قال يوسف : أي علم ؟!

عامر : أي علم .. علم الطب علم اللغة .. المهم علم ينفع الأمة .. وعلى رأس العلوم علوم الشريعة.. فهي اليوم ذات فروع كثيرة .. ما قيمة الإنسان أن يكون عالما في الذرة وهو لا يحسن الوضوء .. معرفة الحلال والحرام قضية مهمة في حياتنا نحن المسلمين

قال خالد : العلماء الأوائل في هذه الأمة كانوا علماء في الإسلام والدين ثم تميزوا بالجبر والهندسة والرياضيات والطب .

قال يوسف ببطء : العلم العام ثم التخصص .

فقال عامر : كما نتعلم اليوم .. ندرس اثنتي عشرة سنة تاريخ كتابة حساب وبعد ذلك نذهب للجامعات والمعاهد .. والبعض يقف في منتصف الطريق .. ويتعلم حرفة .. مهنة .. فالقدماء كانوا يتعلمون القراءة والكتابة والحساب والقرآن ثم يتخصص بعضهم في علم اللغة .. الشعر الطب .

قال خالد : لذلك نجد علماء برعوا في النحو، وعلماء في المعاجم ، وعلماء في التاريخ ، وبعضهم في الجغرافيا ..

ـ وهل يمكن ذلك في هذا الزمان ؟

ـ ولماذا لا يمكن يا يوسف ؟ العلماء ورثة الأنبياء إلى قيام الساعة .

قال عامر : الإسلام يحبب طلب العلم ، القرآن الكريم مليٌ بالآيات التي ترغب في طلب العلم ، وبيان فضل أهل العلم ومنزلتهم في الدنيا والآخرة.. وكذلك سنة النبي ﷺ ، وأبواب العلم كثيرة ربما تزيد على ثلاثمائة علم.. كما أن علم العبادة فرض لنتقن الصلاة والصيام ، فكثير من العلوم الأخرى كالطب والبناء فروض كفائية تأثم الأمة بمجموعها بتركها .. لا يجب أن تخلى الأمة من مهندسين وصيادلة ومهنيين وصناع .

وقال يوسف : ولكن حال الأمة اليوم لا يسر .. فنحن كما أسمع شعوب تستهلك أكثر مما تنتج

قال خالد : لهذا أسباب، منها التخلف في أشياء كثيرة ..وانتشار الأمية ، والجهل ..والتقليد الأعمى ، والاعتماد على الغير في كل شيء .

وقال يوسف : أرجوك ألا تنسى الاستعمار ودوره الخبيث في تغريب الأمة والشباب .

قال عامر : علينا بالعلم .. والعلم هو الذي يحل الكثير



من المشاكل إن لم يكن كلها .. الجهل هو العدو الأكبر والخطر الحقيقي .. بالعلم نقاوم التغريب والذوبان والخرافات والاستعمار بكل صوره .

وعن ابن مسعود – ﷺ– عن النبي – ﷺ – قَالَ : « لا حَسَدَ إلا في اثْنَتَيْنِ : رَجُلٌ آتَاهُ اللهُ مَالاً ، فَسَلَّطَهُ عَلَى هَلَكَتِهِ في الحَقّ ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللهُ حِكْمَةً ، فَهُوَ يَقْضِي بِهَا ويُعَلِّمُهَا » . متفقٌ عَلَيْهِ .

الجواهر العشر

أسعد وأسود

أسعد وأسود أخوان يعيشان

في المدينة ، وترك لهما والدهما أموالا لا تأكلها النيران ، ولهما زوجتان كأنهما ضرتان ، وبعد انتهاء مراسم الدفن بأيام ، ترك أسود البيت الكبير ، وقد اشترى قصرا كبيرا ، فرحل إليه هو وزوجته وأولاده ، وبعده بوقت يسير فعل أسعد مثله ترك بيت العائلة واشترى هو الآخر قصرا كبيرا وجميلا ، ثم رحل إليه ، ثم باعا قصر العائلة ، واقتسما ثمنه ثم اختلفا على سكن أمهما ، فكل منهما أصر على بقائها عنده ، ثم اتفقا على أن تمكث شهرا عند أسود وشهرا عند أسعد ، وهكذا دواليك ، ولم يعد يرى الأخوان بعضهما بعضا إلا قليلا .

وذهبت الأيام تلو الأيام حتى أعلن أسود إفلاسه ، وخسر تجارته ، وضاقت به الأرض بما رحبت ، ثم اضطر لبيع قصره وشراء منزل صغير ، ولم يعد يسأل عن أمه ، وذات ليلة جلس يتحدث مع زوجته بكل حسرة وأسف : ايه يا نورا !.. أصبحنا لا نملك سوى هذا البيت الصغير لقد ذهبت الأموال التي ورثناها عن أبينا.. لقد فقدت عقلي وما زال ولدينا صغيرين .

قالت نورا : استلف من أخيك أسعد .

أجاب : لا أستطيع قبل سنين طلب مني عشرة آلاف درهم فاعتذرت له

قالت : ولماذا طلبها ؟!

رد الزوج عليها قائلا : لقد كان ينتظر قافلة ولكنها تأخرت كثيرا .. وكانت حملة خارجة من المدينة فأراد أن يرسل معها عددا من الجمال فطلبني بعشر آلاف درهم فتأسفت له للأحوال التي كانت تعصف بي .

عادت الزوجة للاستفسار عن مصير القافلة المتأخرة ، فقال : لما رفضت جهز عددا أقل من الجمال وأرسل معهم ابنه السعيد سالم ثم عادت القافلة المتأخرة وغنم كثيرا منها كما أخبرني صاحبه كريم .

قالت الزوجة بهلع : الآن أم



سالم تتشفى فينا ، لقد كانت دائما تقول لي إن زوجك أحمق لا يحسن العمل ولا التجارة ؛ لولا أسعد ما كسبوا شيئا ولا درهما واحدا ، وأرى أن الأيام أثبتّ صدق كلامها يا أحمق .

فغضب الزوج وأخذ يشتم ويقبح زوجته ومشورتها وأخاه وزوجة أخيه ، فتركته يصيح ويندب حظه ثم سمعته يقول وقد أخذ منه الغضب أشده : أنت سبب خراب بيتي .. ألم أقل مرارا دعينا نبقى شركاء مع أسعد نبقى أسرة واحدة

فأبيت وأحببت الاستقلال وتحججت بالأولاد وكرهك لزوج أخي حتى كرهتينا بأمنا وأخينا وأولاده .

ولما ازداد البؤس به دخل يوما على زوجته صباحا ، وأعلمها برغبته بالسفر والرحيل والهجرة عن هذه المدينة إلى أرض الله الواسعة ، وأنه لم يعد يطيق الحياة في هذه البلدة ، فأغلقت الباب في وجهه وقالت : "سفرة بلا رجعة" فخرج حزينا هائما على وجهه ، ولما علم أسعد بهرب أخيه من البلاد ، زار زوج أخيه ودفع لها ما تيسر من المال ، فرفضته أم جواد ورمته في وجهه ، فتألم هو الآخر فحاول أن يعطيه لجواد الفتى ذي الاثني عشر ربيعا ، فرفضه أمام تهديد أمه ، ودفعه للبنت الكبرى التي تكبر جواد بسنوات ، فرفضت هي الأخرى ، ورفض الابن الأصغر وحذرته الأم أن يأتي إليهم مرة أخرى وقالت بحدة وتكبر : إياك ثم إياك أن تأتى هذا البيت مرة ثانية .. فنحن لسنا بحاجة إلى عطفك أو أموالك اغرب عنا وعن حياتنا

عاد أسعد لبيته كاسف البال ، وروى لأسرته ما لقي من زوجة أخيه ، فقالت زوجته : إنها امرأة متعجرفة متكبرة .. أرسل لهم المال بطريق أخرى مع أحد الأصدقاء ..أصدقاء أخيك على أنه دين في رقبته .

قال أسعد : أحسنت يا أم سالم .. لو أتاني أسود لأحسنت استقباله ، فهذا المال مال الله ، ونحن مستخلفون فيه .. لقد نصحت أخي كثيرا أن نبقى يدا واحدة شركاء نعمل سوية .. سامحها الله زوجة أخي .. هي السبب .. هي السبب !

قالت أم سالم : إنها تبغضني بشدة يا أسعد ! ولا تطيق الأرض التي أمشي أو أجلس عليها .. وهي تحقد عليك أيضا فقلبها أسود حقود .

قال متأففا : دعيني من قلبها وحبها وبغضنا هذه مشاعر خاصة بها ، المهم أن لا يصل كرهها للعمل ضدنا ، وأفكر الآن بالبحث عن أخي أسود .

كان أسعد يرسل الأموال خفية إلى أولاد أخيه بطريقة لا يشعرون أنها منه ، ومضى على هذا الحال صيف وشتاء ، ولم يأتهم خبر صحيح طيب عن أسود ، فترجت الأم ابنها بالبحث عنه وقالت : يا ولدي الطيب أسود أخوك ، وهو رجل مسكين وضعيف الإرادة ، فكل ما أصابه هو من تدبير زوجته نورا .

وكان سالم الحفيد يسمع كلام جدته ورجاءها من أبيه التحري عن عمه، فأخذته الحمية والنخوة فقال : أنا يا أبي سأدور في المدن والقرى ، ولن أرجع إلا به فهو عمنا مهما

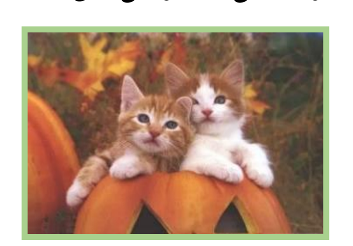
فعل بنا .. فأتحفوني بدعائكم وأرجو أن أدخل السرور على قلوبكم .

فقال الأب : لا أدري ما أقول لك يا ولدي ! ما خرجت من بلادنا قافلة الا أوصيتهم بالسؤال عنه ، وما أقبلت قافلة إلا ذهبت إليها لأسأل عنه فهو أخي وابن أمي وأبي ، فافعل ما تراه مناسبا يا سالم ، أنت رجل ويعتمد عليك فعلى بركة الله سر .. واذهب إلى مدينة السلام ، فهو كان يحب هذه البلدة منذ كنا صغارا نرافق التجار ، فإذا وجدته هناك وأبى أن يأتي معك فعد وأنا أسير إليه بنفسي .

تجهز سالم جهازا خفيفا ، وركب فرسا ، وانطلق في الدنيا يتعسس ويتحسس عن عمه الهارب أسود ، ولقد كان كلما دخل مدينه أو قرية في طريقه لمدينة السلام يسأل ويتعسس عن عمه حتى وصل إلى مدينة السلام بسلام ، وكان يعرفها جيدا ، فقد دخلها تاجرا عدة مرات ، ولهم فيها أصحاب ومعارف ، فنزل على أحدهم ، وأعلمه التاجر أن أسود جاء المدينة فعلا واستلف منه بعض المال ، ومكث ردحا يسيرا من الزمن ثم اختفى من غير أن يطلع أحد على جهة سيره ، وإن خرج من المدينة فالأرجح أنه مشى نحو مدينة " الربيع الكبير " ، فهي مدينة تجارية كبيرة

لاتصالها بالبحر فترد على سواحلها السفن والمراكب من بلاد شتى

أمضى سالم شهرا في بلاد السلام يبحث عن عمه ويسأل هنا وهناك ، ثم ودع الأصحاب وسافر إلى مدينة " الربيع الكبير " ، وبالفعل وصلها ووجد عمه يسكن في بيت عند أحد أصدقائهم القدامى في هذه المدينة ، وسر أسود بلقاء ابن أخيه ، وقال الشاب سالم لعمه : يا عماه .. نحن أهل وأقارب وكما يقولون في الأمثال "الدم لا يصير ماء " لماذا لم تلجأ لأخيك ابن أمك وأبيك قبل أن تفارق الديار والأهل والأصحاب ؟ .. أمك تريد أن تراك قبل أن ترحل عن هذه



الدنيا

قال أسود : يا ابن أخي أنا لم أهرب منكم .. لقد هربت من ديوني .. هربت من زوجتي .

قال سالم : لقد قام والدي من غير علم أسرتك بتسديد كل ديونك وطلب من دائنيك بعدم الحديث بذلك ، وأن يتظاهروا بأن الديون ما زالت لهم عليك .. والهروب من الزوجة لا يحل مشاكلك ..

والأولاد بحاجة إليك .. فهم يريدونك .

قال أسود : لا احلم بالعودة قبل أن تكثر أموالي ويعود لي جاهي بين التجار ، وأقدم لك شكري الجزيل يا ابن أخي ، وأشكر أباك أسعد كبير الشكر وسلم عليه وعلى أمي العزيزة .

واجتهد سالم بكل الوسائل المناسبة أن يقنع عمه بالعودة معه ؛ ولكنه أبى وأصر على الرفض ، وأعلم سالما أنه مسافرا لمدينة بعيدة ، فترك سالم جرابا من المال فيه خمسة آلاف درهم خفيه ، وخرج وقد ودع عمه وداعا حارا ، فأمضى ليلة أخرى بالخان ، ولما تأكد من سفر عمه قفل عائدا لوطنه ، وروى للأسرة تفاصيل ما جرى له وأنه ترك بين يدي عمه خمسة آلاف درهم ، ففكر الأب باللحاق به ، فقال سالم : عمي عنيد فقد حلف أن لا يرجع قبل أن يصبح ثريا أو يموت في ديار الغربة . فدعت الأم الشيخة لابنها بالسلامة والتوفيق .

وكان أسعد يحاول بكل حيلة ووسيلة جذب أولاد أخيه نحو أبنائه ، ولكن أمهم كانت له بالمرصاد ، ومنعت أي اتصال ، وصدته بكل قوة وعناد ، وحاول سالم ولكنه أيضا لم يوفق ، وذهبت أم سالم بنفسها لبيت أم جواد ، وأظهرت الود والحب ولكنها طردت شر طردة مما أغضبها ودفعها لكشف سر الأموال التي تصلهم بين الحين والآخر بطرق شتى ، فلم تصدق نورا ادعاء أم سالم ؛ ولكنها بعد أن راجعت هي والأسرة الأمور الماضية ، أدركت الحقيقة ، فأسود خرج من البلد وهو لا يملك نقيرا ، وكان الدائنون في أول الأمر يترددون على البيت ثم خفت أقدامهم ، فلابد أن أسعد كفهم عنهم وسدد دين أخيه ، فعظم عليها الأمر والقهر وأصابها وسواس شديد فمرضت مرضا شديدا ألزمها الفراش ، مما دفع جواد لزيارة عمه أسعد ، وطلب العون منه ، ففرح العم بمجيء جواد وأحسن إليه وكساه ثوبا جديدا وأهداه طعاما وثيابا للأسرة ، وأرسل معه طبيبا ليعالج أمه ، ولما خرجت نورا من مرضها وعادت للدنيا من جديد حثها الأولاد على نسيان الماضي والبدء من جديد ، فأرسلت وراء أسعد وأبدت له أسفها الشديد لما أبدته معه في السنوات الماضية ، ففرح أسعد بكلامها وأعلن لها أنه لا يُكن لها في قلبه أي كره ولا أي حقد ، وتصالحت مع أم سالم ، ووعدها أسعد بتزويج جواد من إحدى بناته عندما يكبر ويصبح في سن تسمح له

بالزواج ، ثم اشترى لهم بيتا كبيرا وواسعا وفعل ما يستطيع أن يفعله أخ مع أخيه الغائب ، وهذا ما كان من أمر هولاء القوم ونعود إلى السيد الهارب أسود



العودة

أما أسود الهارب من مدينته فإنه لما التقى بابن أخيه ، وأبى أن يرجع معه فإنه غادر مدينة الربيع الكبير ، وتنقل في عدة مدائن ثم استقر به المقام في بلدة كبيرة ، وأخذ متجرا صغيرا فيها من أموال أخيه أسعد التي تركها سالم دون علمه ، ففي قرارة نفسه شكر أخاه على فعلته ، وبعد حين من الزمن تزوج من امرأة أرملة غنية في بلادها ، فجمع ماله إلى مالها وكبرت أعماله ويسر الله أمره ، واشتغل بتجارة الحرير الصيني ، فازدهر العمل عنده وكان يناديه الأصحاب بأبي شروب ، وكان لزوجته فتاة قد بلغت سن الرشد ، فخطبها ابن عم لها ثم اقترن بها بعد حين قصير ، وما كاد يمضي على أسود ما يزيد عن خمس عشرة سنة حتى وجد نفسه من أثرياء المدينة وتجارها العظام وذات يوم قالت له زوجته : يا أبا شروب ألم تشتاق لأهلك وأولادك ؟!

فسالت على خديه دمعات حارة وقال : إنني أفكر بهم ، وما جرى لهم خلال هذه السنوات الماضيات .. لقد تركتهم وأنا غارق في الديون والمطالب .. آه !! لقد مرت عليّ أيام يئست فيها من الحياة ؛ ولكن رحمة الله وسعت كل شيء يا أم شمس .. لقد تبعني ابن أخي وحاول العودة بي ، ولما رفضت ترك بين يدي خمسة آلاف درهم ، فهذه الأموال منها ومن أموالك ، لقد ابتليت بزوجة حسود وحقود ، وكنا نضع أموالنا في أعمال خاسرة فلم نوفق كما وفقنا ها هنا .

قالت : لا أعتقد أن أخاك سينساهم في غيابك كل هذا الزمن .

رد قائلا ومفتخرا : بالتأكيد فأخي أسعد طيب النفس مع أنه احتاجني مرة ـ بعد أن قسمنا ميراثنا الكبير عن والدنا ـ في قرض إلى أجل معلوم فرفضت ، ولما احتجت لم تطاوعني نفسي بالأخذ منه ، فاستلفت من هنا وهناك حتى عجزت عن السداد ، وبعت القصر الذي اشتريته وأيضا لم أنجح في التجارة والقيام ثانية ، فتركت البلدة ، وزوجتي لم تحاول الاعتراض ولو مجاملة على رحيلي بل شتمتني وطردتني ، إنها متكبرة

ومتعجرفة ، وكانت تكره زوجة أخي بشدة وتغار منها كأنها ضرة لها .

فضحكت أم شمس وقالت : لقد أبدلك الله خيرا منها .

فقال أسود : أنت سيدة طيبة ونشيطة ولا يمكن نسيان فضلك .

فقالت بعزم : ألا تريد وتحب أن ترى أولادك فلابد أنهم أصبحوا رجالا وتزوجوا ؟؟

قال وهو ساهم النظر : بلى أحب ؛ ولكن ماذا أقول لهم بعد كل هذه الأحوال من الزمن ؟! .. هل سيعرفونني وينادونني بأبيهم ؟! وقد تركتهم في فقر مدقع وليس هذا فقط بل بدائنين كثر لا حول ولا قوة إلا بالعلي الكبير

قالت الزوجة : فكر يا سيدي بهم واستخر الله في شأنك ، فلقد علمت من غلماني أن تجارا قدموا من مدينتكم أو مدينة قريبة منها وهم ينزلون في خان الهمامي شرق المدينة .

فقال الأب الهارب : إنك يا أم شمس تهتمين بأمري كثيرا هذه الأيام !

قالت : أرى الألم والحزن الدائم في كلامك، وأنك تذكر جوادا وسوادا وريام كثيرا بل تهتف بأسمائهم في نومك ، ولم ترزق بمولود مني يسليك عن أولادك.. فهذا قدر الله يا أبا جواد .

تنهد أسود بعمق ولزم الصمت ، كأنه ذهب لبلده يتخيل نفسه جالسا مع الأولاد ، ثم همس محدثا نفسه : مال ! .. مال !.. من غير ذرية ..ما الفائدة منه ؟.. لا تكتمل الزينة الدنيوية إلا بالأولاد .. يا إلهي !

زار أبو شروب الخان المذكور ـ خان الهمامي ـ بعد أيام ، فوجد أن القوم قد رحلوا فرجع للبيت خائبا مطلعا زوجته بقراره الحاسم ، وهو الذهاب لمدينته ومسقط رأسه شوقا لأولاده ، فجهز قافلة كبيرة وانطلق مع تجارة قاصدة تلك المدن والبلاد ، وكان هدف القافلة مدينة السلام فوصلوا إليها بسلام وأمان ، واستقبل تجار المدينة القافلة القادمة ، وجرى تبادل السلع والأشياء من التوابل والبخور والثياب والسيوف والمدى ، وفكر أسود بالانفصال والاتجاه إلى بلده والسؤال عن الأهل والأحبة ولقائهم إذا ما زالوا أحياء ، فتفقد أمواله ، فاكتشف أن كثيرا منها مسروق ، فأخبر رئيس الحملة بفقد عشرين ألف درهم من صندوقه ، فاجتمع رئيس الحملة بكبار تجار الحملة وأسر لهم بالأمر ، فاتفقوا أن يتصلوا برجال الشرطة ليقوموا بالبحث عنها ، فأخبر الرئيس أبا شروب بالاقتراح ،فانطلقوا إلى والي المدينة

واطلعوه على جلية الحادث فانزعج الوالي لما حدث لهؤلاء التجار الغرباء الضيوف ، فاستدعى أحد رجاله الموسومين بالذكاء والحيلة والفطنة وقص عليه القصة ، فطلب الشاب الفطن من رئيس الحملة أن ينقله للخان الذي ينزلون فيه ليرى رجال وخدم القافلة ، فالتقى الشاب بصاحب الخان وصارحه باختفاء عشرين ألف درهم من صندوق التاجر أسود أبي شروب ، فأقسم صاحب الخان أغلظ الأيمان أنه لا يعلم عنها شيئا ، فقال الشاب الشرطي : يا صاحب الخان المال سرق في خانك ، ولابد أن أحدهم دخل غرفة الرجل .. فاسأل خدمك وغلمانك وأنا سوف أتحدث مع رجال القافلة وأسمع منهم ، ثم أعود في الليل وأنت تعلم أن الأمر إذا رفع للأمير فسيصيبك ضرر شديد فهذا حادث سلب كبير .

فرد صاحب الخان وكله خوف وقلق : سأنفذ أمرك وأبحث بين غلماني ، ويا ويل من وجدت المال لديه سأسلمه للوالي لينال جزاءه وفاقا .

فقال الشرطي لصاحب الحملة ورئيسها : يا زعيم الحملة اسمح لي بمقابلة رجال حملتك .

فتحدث مع كل رجال الحملة فردا فردا ثم قال لصاحب المال : اتبعني لبيت الشرطة أيها السيد الكريم .

فبعد العصر ركب التاجر أسود بغلته وأخذ غلامه بين يديه وسار إلى بيت الشرطة ، وهناك وجد الشاب وسيده الوالي في انتظاره فبعد الترحيب ، قال الوالي : يا أيها الرجل هل تتهم أحدا من الناس ؟

فقال أسود بحزن وأسف : لا أيها السادة لا أتهم أحدا بعينه ، والله لولا أنني مسافر للمدينة التي ولدت فيها والتي ابتعدت عنها منذ زمن بعيد ، وقد تركت فيها عيالا فقراء لما بحثت عن المال المفقود ؛ ولكني بحاجة أن أذهب هناك بمال كثير ، فلي أهل فيها فلابد أنهم بحاجة لمال بعد كل هذه السنوات الطوال .. فهل أصل إليهم بمال ضئيل ؟؟

فرق قلب الوالي ومساعده الشرطي لكلام الرجل المؤلم ثم قال الوالي : حسنا أيها الرجل الكريم سوف تسافر بمشيئة الله تعالى إلى المدينة بمالك كله ؛ ولكن هذه الليلة لا نريدك أن تنام في غرفتك في الخان ، سينام مكانك هذا الشاب فعليك أن تخلع ملابسك ليلبسها ،

وعليك أن تحل عندنا ضيفا أنت وغلامك ، فنحن نتوقع أن يعيد السارق الليلة ما سرق فقد يكون اللص من أصحاب الحملة ، وقد يكون من أصحاب الخان ، فتهديدنا الشديد وصل للجميع فلابد أن يحاول اللص إعادة المال قبل انكشاف وافتضاح أمره تحت سياط الجلاد .. فهذه خطتنا السهلة إذا كان اللص قد سمع التهديد .

فخلع أسود ثيابه ولبسها الشاب ، ولبس ثيابا قدمها له الوالي ونقل لبيت يقضي فيه ليلته بصحبة الغلام ، وفي الليل تنكر الشرطي بثياب أسود وركب بغلته ، وقبل نصف الليل دخل الخان بعد أن أعطى البغلة لأحد خدم الخان ، وتسلل إلى غرفته غرفة أسود ، وتظاهر بالنوم وقبل الفجر بقليل شعر الشرطي المتظاهر بالنوم بفتح الباب ببطء وهدوء ، ودخل رجل ملثم واقترب من صندوق أسود ، وأخرج من صدره عدة أكياس وضعها في الصندوق بكل هدوء ، وقبل أن يقضي حاجته كان الشرطي ينهض ويشهر سيفه على اللص وقال بهدوء : حذار أن تتحرك .

ولكن اللص تحرك بسرعة وحاول طعن الشرطي بخنجره ، ولكنه حاد عنها ونخزه برأس السيف وقال : أنا لست صاحب المال .. أنا الشرطي .

ثم رفسه بساقه فوقع اللص أرضا فوضع السيف على عنقه وقال: ارم خنجرك يا مجرم . ونخزه في عنقه مرة أخرى ثم أخرج حبلا وقيده ، وأغلق الباب ثانية وعاد للنوم ، ولما أصبح الصباح صلى الفجر ، ثم قاده لصاحب الخان وقال له بقوة : أتعرفه ؟ .. هل يعمل معك هذا الشاب ؟

فأجاب صاحب الخان وكله وجل ووهن وحيرة : نعم .. ولماذا أنت موثقه ؟!

فقال الشرطي : ألم تعرفني ؟! .. أنا لست أبا شروب إنما هذه ثيابه .. أنا رجل الوالي .. هذا هو اللص يا صاحب الخان .. هذا السارق .. لقد سمع تهديدنا أمس فوقع في قلبه الرعب كأي مجرم من المجرمين ، فأراد أن يضع المال في صندوقه خشية أن يعترف تحت سوط الجلاد .. ولو حاول الهرب بعد التهديد لانكشف أمره ، وإذا فتشنا الخان قد نقع على المال المخبأ ولا نعرف اللص ، فعملنا له هذا الكمين فوقع في الفخ ، ولو كان أبو شروب في الحجرة وشعر به لأرداه قتيلا ، فلقد حاول طعني ظانا أني صاحب المال .. والآن الحق بنا يا صاحب الخان على بيت الشرطة .

وقبل أن يحضر الوالي إلى ديوانه وجد الشرطي واللص في انتظاره فقال : الحمد لله الذي مكننا من الوصول للص بوقت يسير .. لقد نجح الكمين يا أسد الدين.

فقال أسد الدين والفرح يغمره : نعم يا سيدي الوالي .. لقد كان من الراجح لديّ أن اللص أو السارق قريب من الخان ؛ فإما من غلمان صاحب الخان أو رجال القافلة ، ولو كان السارق بارعا أو من الخارج ، فلماذا لم يأخذ كل ما في الصندوق ؟! هو ظن أنه بأخذه عددا من الأكياس بأن صاحبها لا يشعر بفقدها وهو لا يريده أن يكتشف أن فلوسه ناقصة .

قال الوالي : أحسنت يا أسد الدين ! وصاحب الخان أله يد في القضية ؟

فصاح صاحب الخان : أبدا يا سيدنا الوالي .. إنما هو غلام يعمل عندنا.

فقال الوالي : حسنا اذهب بهم إلى القاضي لينظر في أمرهم .

فقال أسد الدين : أمرك مولانا الوالي ؛ ولكن اسمح لي بالحديث مع التاجر أبي شروب المسافر إلى المدينة التي ولد فيها.. فأنت ضيفي اليوم يا أبا شروب ، فأنا لي أقارب في تلك البلدة ، فسأحملك هدية لهم إذا رضيت .

فرد التاجر أبو شروب : ابشر .. أنا في طاعتك ، فالشكر للجميع ، لسيدنا الوالي ولك ، وأنا قبلت ضيافتك أيها الشاب الفطن ؛ولكنني مسافر اليوم فأنا بانتظارك في الفندق فهات هديتك التي تريد توصيلها لتلك المدينة .. وأنتم تستحقون مني أحسن الهدايا .

فقال الوالي : أشكرك .. هذا واجبنا أيها الرجل فنحن لا نتقاضى على عملنا هدايا فهديتنا هي أن نصل لمن تسول له نفسه الفساد في بلدنا .

وقال أسد الدين : نعم ، أيها الفاضل نحن لا نقبل هدايا من نرفع عنهم ظلما فهديتنا هي بقاء العدل والأمان في ديارنا .

ترك أسود مدينة السلام مع العصر متجها لمدينته التي تركها منذ ما يقارب عشرين سنة وبرفقته غلامه وبعض الأحمال ، فلما دخلها سأل عن منزل أخيه أسعد متأملا رؤية أمه ، فخرجت له فتاة جميلة مرحبة به فأخبرها أنه بحاجة لأبي سالم فقالت : أبي غير موجود .. فإن زوجي سالم موجود .

فجاء سالم ولما رأى السائل هتف بدهشة : عماه .. عماه .. يا إلهي ! .. أما زلت على قيد الحياة ؟! لقد أخبرنا بعضهم بموتك .. يا مرحبا يا مرحبا وتعانق الرجلان وكانت الفتاة مندهشة فقال سالم بانفعال

كبير: ريم هذا أبوك ! .. هذه ابنتك يا عمي .

ترك أسود سالما واحتضن ابنته الصغيرة التي تركها وهي ابنة سنتان ربما أقل ، وعلى صوتهم خرجت أم سالم ، وقد تفاجأت بما علمت وشاهدت ، فحمدت الله على سلامته وعودته ، وأرسل سالم ولده ليخبر جده بعودة أخيه أسود الغائب ، فجاء يركض ركضا لا يكاد يصدق ما يسمع من حفيده ، ولما اجتمع الأحبة قال أسعد : ماتت أمك يا أخي ، وهي تدعو لك بالتوفيق والنجاح...

فقال أسود : لقد استجاب ربي لها رحمها الله.. وأسرتي ما أخبارها ؟

فقال أسعد : أم جواد أصابها فالج منذ سنوات وقد قضت نحبها من قريب فإلى رحمة الله ، وأما جواد فقد تزوج وهجر البلد منذ قريب بعد وفاة أمه ، وأما ابنك سواد فقد تزوج من فتاة من مدينة السلام ورحل إليها منذ تزوج ، وأصبح من رجال الشرطة رجال الوالي ، وهو موفق في عمله ومحبوب من الأمير والوالي .

قال أسود : لقد التقيت بالوالي وشاب ذكي يعمل بحضرته ، كلما أنظر إليه يخفق قلبي له .. اسمه أسد الدين ؟

صاح سالم : نعم هذا اسمه هناك !!

فقص عليهم أسود قصته في مدينة السلام ثم قال : والحق أنني دهشت عندما دفع لي هدايا لكم ؛ ولكنني كنت في عجلة من أمري .. أمر الرحيل.. وظننته صديقا لكم مع أنه ذكر لي مرة أن له أقاربا في هذه المدينة .. ولكنني لم أدقق في الأمر لإنشغال الذهن والبال .. وهو لو ذكر شيئا عن أسرتي لعرفته .. على كل الحمد لله الذي تتم بنعمته الصالحات



قصص الزمردة

الحلقة ١

خطبة جؤذر

حمدان فلاح يعيش في القرية ، وقنع بما أعطاه الله من رزق ، بستان مزروع فيه الأشجار المثمرة يقطفها ويبيعها في موسمها ، ويرضى بما يجني من ثمنها فيشتري مؤونة الشتاء ، ولديه بضع بقرات يعتني بهن ، فيطعمهن فيكسب منهن لبنا وجبنا وسمنا يكفيه ويفضل عن حاجته فيبيعه بدراهم معدودة ، هذه صورة للفلاح القروي حمدان ، رعاية بستان ، ورعاية أبقار وأغنام وطيور داجنة ، وحياته هادئة لا تعقيد فيها ، واندمج فيها وجدانيا وعقلانيا لا طموح له في العلا والثروة والجاه ، وله زوجة طيبة تشاركه هذه الحياة

وتقاسمه العطاء ، وهي مثله قنـعت ورضيت بهذه الحياة الهادئة ، وقد وهبهم الله أولادا كثرا ولم يعش منهم إلا همام ،



وكان هذا الشاب يساعدهما في البستان والرعي، وأتقن أعمال أبيه ، وكان يذهب لبيع الثمار في سوق القرية وأحيانا أخرى في سوق المدينة ، وكان يشارك أقرانه رعي الأغنام في الشعاب والوديان والتحطيب من الغابات ؛ ولكنه تعلق مع بعض الشباب بحب صيد الوحوش والظباء في البراري لبيع جلودها وقرونها لأهل المدينة ، فكان الشباب الصيادون يخرجون في نصف كل شهر عند اكتمال البدر إلى الجبال والوديان والغابات يتصيدون الغزلان والسباع ويبعونها في المدن القريبة من هذه القرية قرية " عمد العالية ".

ذات ليل بهيم كان الفلاح حمدان يجلس بجوار زوجته حليمة وهي تصنع الخبز في بيت الخبيز ، فقالت له : يا أبا همام ابنك كبر وأصبح عريسا ..ألا تفكر بتزويجه ؟

فرد عليها بعد أن مضغ لقمة من رغيف ساخن كان يلوكه قائلا : هذا شغلي الشاغل يا ابنة الأكارم ..هل تعرفين فتاة تليق بابنا همام ؟

ردت بعد أن نبذت قرصا من العجين المرقق في جوف الفرن : بنات القرية كثيرات ـ يا أبا همام ـ ولكني ...

فقال والخبز في فمه : ولكنك ماذا ؟!

قالت : ولكني أفضل أن نزوجه فتاة من بنات المدينة ..حتى لا يظل فقيرا مثلنا .. يوم بيوم .

رفع حمدان نبرة صوته قليلا وقال : حليمة يا بنت الاجواد ، هل هذه الحياة الطيبة الهادئة لا تعجبك ولا تريحك ..أتريدين الرحيل للمدينة ؟!

ردت محتجة فقالت : لا ..لا .. يا أبا همام الحياة هنا طيبة وهادئة وجيدة بالنسبة لي ولك ؛ ولكن أقول ذلك من أجل همام فلذة كبدنا .. ألا ترى يا سيدي ما هو فيه من الخروج لصيد الوحوش ؟! وما يتعرضون له من المخاطر من أجل صيد سبع أو وعل ..أليس أخوك فريد غنيا وميسور الحال أكثر منا ؟ وعنده بنت جميلة وزكية فاخطبها لابنك همام حتى يكون حظه خيرا من حظنا .

أدار حمدان أفكار زوجته في دماغه برهة ثم قال : والله معك حق يا أم همام ، لعل هماما يرتاح من قسوة حياة الفلاح ، ومن الصيد الذي

يغيب فيه أحيانا عنا أياما ، ومع ما فيه من الخطر عليه كم فتى سقط بين براثن وحش ؟! فهناك الغلطة يـفقد المرء على أثرها روحه ..حسنا يا أم همام جهزي هدية من الطيور واللبن والسمن لأخوي في المدينة فريد وحديد ونزور الأخ فريدا ونخطب ابنته لهمام ، ونزور أخي حديدا بنفس السفرة .. بس لا تكلمي همام بالغرض من زيارتنا للمدينة أخشى أن يرفض الأخ فريد فيكره همام عمه .. نذهب ونجس نبضه كما يقولون فإن رحب فريد بنا اطلعنا هماما على رغبتنا ، ولا أظنه يعصي أمرنا وما اخترناه له من الزواج من ابنة عمه جؤذر .

وأمضيا حديثهما في بيت الخبز في هذا الموضوع حتى أتمت حليمة خبز عجينها ، ثم دخلوا البيت وفي هذا الوقت جاء همام بالدواب وأدخلها حظائرها ، وجلس ينتظر مائدة الطعام ، وبعد الأكل غادرهم وهو يخبرهم أنه خارج للصيد خلال أيام يسيرة مع بعض فتيان القرية ، وأخبرهما بقضاء فترة في مطاردة الوحوش قد تأخذ يومين أو أكثر ، فقال الوالد : أمرك مسهل بمشيئة الله .. واحرص على حياتك يا ولدي ودعت له أمه بالتوفيق والعودة سالما ، ولما انصرف الشاب ، قال حمدان : عندما يخرج للصيد ننطلق نحن للمدينة ..جهزي الهدايا حتى نسافر ونرجع في غيبة الولد يا أم همام .

في صباح باكر انطلق همام الشاب مع أقران له في رحلة صيد تحتاج لقطع مسافات من الأميال ، ولما بزغت الشمس وارتفعت في الأفق كانت حليمة قد أعدت الهدايا التي ستحملها لأخوة زوجها ، فوضعها حمدان على ظهر الحمار ، وأوصى جيرانه على البيت ، وتحركوا نحو المدينة التي يسكن فيها اخوته ، وبعد ساعات من المسير كانا ينزلان ضيوفا في منزل حديد الذي رحب بهم أحسن ترحيب ، وصنع لهم طعام الغداء ، ثم كشف له حمدان سر هذه الزيارة ، وأنه قادم لخطبة ابنة أخيه فريد لولده همام ، فسكت حديد ولم يرد على أخيه ، فتابع حمدان الكلام : هل يا ترى يوافق أخي فريد على ولدي همام يا ابن أمي وأبي ؟!

بعد صمت رد قائلا : لست أدري يا حمدان ..فأخوك كما تعلم ترك القرية منذ صغره.. وعمل في السوق حتى أصبح غنيا جدا ، وهو أحد أغنياء المدينة المعدودين.. وهو يكره حياة الريف والقرى منذ أن طرده أبوه كما تذكر ..وتزوج

في المدينة ابنة أحد الأثرياء ، ووهبه الله سبحانه بنتا واحدة وهي بنت مدينة ..هل تظن أنها ترضى بالحياة في القرية ؟ فهي بنت عز ودلال ، وإن رضيت هي فلن ترضى أمها.. فالأفضل أن لا تحرج نـفسك يا أخي ..وانظر له زوجة قروية .

هزّ حمدان رأسه عدة مرات وقال : كلامك معقول يا أبا هارون ! ولكني صرت آتيا وليس بالضرورة أن يسكن همام معنا في القرية .

فضحك حديد وقال : ومن سيبقى عندك ؟ .. على كل حال افعل ما تشاء .

ثم ودعه حمدان وخرج ، ولما وصلا للباب ناداهما حديد وقال : انتظروا سنذهب معكما .. نزور فريدا أبا جؤذر .

وجهز حديد وزوجته نفسيهما لزيارة فريد ، وقد جهز لهما الخادم الـعربة التي يجرها البـغل ، وركبت زوجة حمدان معهما ، واعتلى حمدان ظهر الحمار الذي أتى به من القرية ، وساروا إلى قصر أخيهم فريد وعند العصر كانوا فيه ، فرحبت بهم أم جؤذر أحسن ترحيب ، وأرسلت الخادمة تستدعي زوجها من مكان عمله الذي جاء مرحبا بحمدان وزوجه وحديد وزوجه ، وفي ظلال بعض الأشجار الكبيرة المنتشرة في حدائق القصر جلسوا يتحدثون ويأكلون الفواكه اللذيذة ويشربون مياه الفواكه المختلفة الألوان .

والذي دفع حديد إلى مصاحبة أخيه حمدان في زيارة أخيهم الثالث فريد هي زوجته ، فعندما كاشفتها أم همام بمشروع الزواج ، قالت لزوجها : أرأيت يا أبا هارون فأخوك قادم ليخطب ابنة فريد لولده ..كم مرة قلت لك كلم أخاك في الأمر ؟! ولكنك تماطل فهارون مناسب لها أكثر من همام الفلاح ، وأنت ثري وسوف يفضلك أخوك فريد على ابن أخيه الفقير الفلاح .

تردد حديد لأول الأمر ثم لان وصحب حمدان إلى قصر أخيه فريد ، وهناك استغل حديد ذهاب حمدان لداخل القصر للصلاة والوضوء وفاتح أخاه برغبة هارون بابنة عمه جؤذر فسكت فريد قليلا ثم همس : نتكلم في ذلك فيما بعد .

ولما جاء حمدان للمجلس من جديد ، وقام فريد بالترحيب به من جديد والسؤال عن القرية والفلاحين ، كشف له حمدان الغاية من الزيارة ، فدقق فريد النظر في عيني حديد وهز رأسه عدة مرات ؛كأنه يتعجب من المصادفة ، ولما أنهى حمدان توضيح رغبته في مصاهرة أخيه أجابه فريد بهدوء قائلا : تريث أسبوعا

لأفكر في الأمر وأسمع رأي أم جؤذر وجؤذر .



فأخذ حمدان بالثناء على أخيه وقال: بعد عشرة أيام أمر عليك لأسمع القول الفصل .

رد فريد : كما تشاء وأرجو أن توافق الفتاة فهمام كما هو ابنك فهو ابني .

ومكث حمدان وزوجه لـقبيل الغروب بقليل ، ثم ودع أخويه وقفل عائدا للقرية رغم إصرار فريد على مبيته ، فبين له عذره وغيابه ، وأن هماما قد خرج للصيد ولا يعلمون متى يعود .

وبعد مغادرة حديد بيت أخيه قال فريد لزوجته : هل علمت لماذا حضر إلينا هؤلاء الناس اليوم ؟!

رسمت الزوجة ابتسامة على وجهها وقالت : نعم ، أم هارون خطبت لهارون وأم همام خطبت لهمام ، وكل واحدة تثني على ولدها ، وأنه خير البشر ، وأكمل الناس .. والغريب أن أم همام لا تدري أن أم هارون خطبت لولدها .

ضحك فريد قليلا ثم همس : قروية فلاحة ساذجة .. نعم ، يا أم جؤذر كل من أخوي يرغب بخطبة ابنتي لابنه .. حمدان مر على بيت حديد وحدثه بالأمر ؛ فكأنه كان مترددا فهو يعرف أخلاق ابنه جيدا ، فقد تكون أم هارون ضغطت عليه ، فتحمس وتشجع عندما رأى حمدان الفقير يخاطر بهذا الأمر ويحرج نفسه ..حمدان لا يعلم أن حديدا جاء خاطبا مثله ..والآن ما العمل يا أم جؤذر ؟ كيف نتخلص منهما ؟.. هل علمت جؤذر بشيء ؟

قالت الزوجة : أدركت من الحديث بيننا أننا نتحدث عنها ثم تركتنا ..ولما انصرفوا قلت لها الحكاية .. فهي تعلم .

فقال بصوته الناعم : وما كان ردها على ذلك ؟

قالت أم جؤذر باسمة : أخذت بالضحك ، وتركت حل القضية لنا ، ثم قالت معقبة بعد ذلك " إنها لم تر هماما منذ أكثر من خمس سنوات .. فلا تذكر صورته وشكله ، ثم قالت : منذ أن كبر وشب لم يعد يحضر مع والديه لزيارتنا ما الذي ذكره فينا ؟! .. وقالت عن هارون ..إنها قد لاحظت ميله نحوها ، وحياؤه منها عندما كانا يلتقيان في الزيارات والمناسبات ، فهذا ما علقت به جؤذر يا فريد .

غرق فريد برهة في صمت عميق ثم قال : الحق يا رهام ..الأمر محير .. والرفض قد يكون أسهل الحلول ، ومع ذلك نحتاج إلى حسن

التصرف ، فحمدان سوف يغضب ، وقد نخسر بعضنا فنحتاج إلى حسن التصرف معه فهو أخي الأكبر ، وكان يودني من أيام الصبا ، ووقف معي عندما طردني أبي العزيز .. أما الأخ الأوسط حديد فإن رفضناه سيسخط علينا هو الآخر ، وسيكون سخطه علينا أشد من سخط حمدان ، فهو يجاورنا في المدينة ، وسيبدأ يتكلم علينا ، ويثير الأقوال السيئة عنا.. لذلك دعيني أفكر بالوضع جيدا يا أم جؤذر وكيف الخلاص منهم



ردت الزوجة بابتسام : أفهم من كلامك أنك رافض للفريقين .

فأجاب مشيرا برأسه "نعم" ثم نطق بهدوء : فهمام ليس كفئا لها ، فهو فتى معدم فقير لا ثروة ولا عمل نظيف ..وأما هارون فهو شاب جاهل لا يحسن إدارة نفسه ..أريد أن أفكر بطريقة حسنة للخلاص من هذه القضية وبدون أن أقطع صلتي بهم .

وخلا فريد بنفسه يفكر في هذا الموضوع الدقيق ، ثم خرج من البيت ، وذهب لزيارة أحد أصدقائه ، ومكث عنده لنصف الليل ، ثم عاد للمبيت ؛ ولكن النوم قد فارق عينيه لانشغاله في زواج جؤذر ، وفي مساء اليوم التالي زاره صديقه الذي كان عنده ليلة أمس ، وأطلعه فريد على موقفه واستعان به لحل هذه المعضلة ، فجاءه هذا المساء مع أهله وأحد أبنائه ، ولما استقر بهم المقام والكلام قال له الصديق : يا فريد لقد جئتك بحل الإشكال الذي أنت فيه .

فقال فريد بكل لهفة : ما هو ؟!

فنظر الصديق لولده وقال : هذا منذر ولدي ! ..فأنا أطلب يد ابنتك جؤذر له ..فنحن أصدقاء وأثرياء ، ومنذر معجب بها وراغب بالاقتران بها .



مقتل السبع

خرجت جؤذر برفقة صويحباتها في نزهة إلى البراري والأدغال المحيطة بالمدينة ؛ وعادة تصحب كل فتاة خادما لها أو خادمة ، فهن من بنات الأسر الغنية في المدينة ، ولما وصلنا البرية ونزلن من العربات التي تجرها الخيول الضخمة القوية ، فأخذن باللعب والركض هنا وهناك وهنّ في غاية الفرح والمرح ، ثم ركضن نحو الغابة يطاردن بعضهن بعضا ، وقد توغلن في

مطاردة الطيور والحيوانات الصغيرة كالعصافير الملونة والسناجب والأرانب البرية ، وما انتبهن لأنفسهن إلا وهن في وسط الغابة ، فتوقفن عن المطاردة واللعب واللهو ، وجلسن على الأرض يسترحن للعودة حيث تركن الخدم والعربات ، وما كدن يلقين بأنفسهن على الحشائش اليابسة ويستند بعضهن على سيقان الأشجار الضخمة ويلتقطن أنفاسهن من كثرة الركض والتعب ، ظهر أسد بالقرب منهن وزأر فجأة وزمجر زمجرة حادة ؛ كأنه مظهر فرحه بهذا الصيد ، وكن خمس حسناوات فدب في قلوبهن الوهن والرعب ، وأيقن بالهلاك والموت ..وزحف الأسد الهائج نحوهن وهن في غاية الخوف ؛ بل قد تيبست أبدانهن فلا حراك ، وعلا وجوههن الاصفرار ازداد اقتراب الأسد المتحفز نحوهن ؛ وكأنه يفكر بمن يبدأ .. ؛ ولكن ظهر أيضا في المكان شاب قوي العضل مكشوف العضلات منفوش الشعر يرتدي على صدره درعا من الجلد ، وبدأ الشاب مسددا قوسه نحو الأسد.. شاهده الأسد فاستدار نحوه ، فرماه الشاب بسهم وقع بين عينيه ، فاشتد السبع غضبا ، وهجم على الشاب بجنون ؛ فإذا بسهم آخر يخر في جسده فوقع على الأرض.. فهجم عليه الشاب الشجاع وطعنه بمدية ، فزار الأسد زأرة الموت وهمدت أنفاسه ..وبدأت أعصاب الشاب تعود إليه بعد هذه المعركة رويدا رويدا .. وقد خيم السكون على المكان ..ثم قام الشاب بقطع رأس الأسد ، ثم نظر حوله فرأى الفتيات ؛ كأنهن موتى من الخوف والرعب ، وقد انتبه إليهنّ ، فهمس بصوت مبحوح : لقد مات ! .. لقد صرعته إنني أطارده منذ ساعات .

ثم رفعه على شجرة ، وأخذ في فصل جلده عن لحمه ، وابتسم للصبايا قائلا : إنها مهنتي .. صيد الوحوش وبيع جلدها لأهل المدينة .. وسأل باستغراب : ما الذي أتى بكن إلى هذه الأدغال المرعبة ؟!

فسمع إحداهن تتسأل : هل حقا مات الوحش ؟!

فضحك الشاب وقال : ألا ترين ما أفعل ؟!..اصبرن قليلا عندما انتهي منه سوف أوصلكن إلى مأمن .

كانت الفتيات ينظرن للشاب بمنتهى الدهشة والإعجاب والخوف والرعب ؛ كأنهن ينظرن لجزار يسلخ شاة أو بقرة ، ولما قضى حاجته أخرج كيسا ووضع فيه الجلد ورأس الأسد ، وقال : لـقد انتهيت

..من أين جئتن أيتها الفتيات الطيبات ؟

فقالت إحداهن : نحن من مدينة النهر .

فقال الشاب : مدينة النهر ! .. أعرفها لي أقارب فيها ..لي قريب ثري ومعروف في المدينة

فقالت فتاة منهن : نحن من بنات الأغنياء في المدينة فمن هو قريبك ما اسمه ؟

فرسم ابتسامة على محياه وقال : الحقيقة أن لي عمّين في مدينة النهر أحدهما يدعى العم حديدا والآخر فريدا .. وهو تاجر كبير كما يقول أبي .

أخذت الفتيات ينظرن إلى جؤذر التي أصابها الذهول والتي ردت على نظراتهن وقالت : أيها الفتى .. لعلك همام بن حمدان ؟

فرد وهو مستغرب لمعرفتها لاسمه ، وكذلك الفتيات لحقت بهن الحيرة ، ثم قال همام :أأنت جؤذر .. ابنة عمي فريد ؟!

هزت رأسها قائلة : نعم .

فقال همام : مرحبا بابنة عمي ما الذي أتى بك لعرين الأسد ؟! ..أنا همام ابن عمك حمدان يا جؤذر .

فهمست : مرحبا بك يا همام إنك قوي جدا .

فضحك همام وقال : الحمد لله على سلامتكن .

وعندئذ ظهرت مجموعة من الشباب ، فروى لهم همام الحكاية وأشار إلى ابنة عمه وقال : هذه الفتاة ابنة عمي فريد ..لابد أنكم تسمعون به ..هيا نوصلهن المدينة قبل حلول الليل .

وقاد الشباب الفتيات حيث العربات والخدم ثم ودعوهنّ ، وقال همام لجؤذر : إن كنت بحاجة لي يا ابنة العم يمكنني توصيلك لقصر والدك .

شكرته وأثنت عليه وانصرفت مع صويحابتها جهة المدينة ، وكل حديثهن عن الأسد وشجاعة همام ، وهذه الحياة الخطرة التي يعيشها من أجل الحصول على جلد أسد أو نمر أو فهد لبيعه ببضعة دراهم ، وما كادت جؤذر تدخل البيت حتى روت ما حدث معها



لأمها وهي مبهورة من قوة همام وثباته وصرعه لسيد الغابة ، ولم تصدق الأم هذه الحكاية بأن هماما قتل الأسد ، ولولا تكرارها من الفتيات الخمس وكلهن يتحدثن بإعجاب وانبهار عن الشاب همام الذي أنقذهن من براثن الأسد ، ولما أكلن الطعام انصرفت الصديقات لبيوتهن ، ولما رجع والد جؤذر حدثته عن قوة وشجاعة ابن أخيه همام ، وكيف واجه الأسد وحده ؟ وكيف أنقذهن من

موت محقق ؟ وفي النهاية سمعها تقول بصراحة : يا أبت زوجني من ابن أخيك همام ..لا أريد منذرا ولا هارون .

فغضب الأب وقال بغضب وحدة : ويحك ماذا تقولين ؟! لقد وافقت على الرجل ، واعتذرت لعميك وقبلا عذري.. وهذه التأثير الذي تركه ابن عمك عليك سيزول ..فهو رجل لا مال عنده ولا أحلام ولا طموح ..فرجل يعرض حياته للهلاك من أجل جلد حيوان يبيعه ببضع دراهم لا تغني عنه شيئا ، فهو رجل أحمق غبي ! ..أتتركين النعيم والفراش الوثير لتحي في قرية مليئة بالبراغيث والفئران ؟..أتدعين حياة اللذة والراحة لحياة الجوع والعطش والبرد ؟؟ .. اصبري بضعة أيام وسيذهب أثر ما شاهدت من شدة بأس وقوة الفتى .

ولما سكت الأب مما تفوه به قالت الفتاة : يا أبت لقد أنـقذنا من الموت .. أعاد لنا الحياة ..ألا أهبه هذه الحياة ؟! .. وهو ابن أخيك ..من لحمك ودمك .. وهل نحن بحاجة للمزيد من الأموال ؟!

قال الأب بأسف : يا جؤذر الجميلة العاقلة ..يا ابنتي .. لو رضينا بهمام .. سيغضب هارون وأبوه .

فصاحت قائلة : فليغضب ، وما دخلي في غضبه ..وهل الزواج بالغصب والقوة ؟!

رد فريد : سيكره بعضنا بعضا ، سيكرهنا حديد ويكره حمدان بسبب ذلك .. فكري أياما بالأمر تروي ثم ردي عليّ .. فأنا قبلت بابن صديقي حتى أبقى على علاقة جيدة مع أخواي .

قالت الفتاة بصراحة : يا أبت فإن زواجي من ابن عمي همام سيصلح بينك وبين أخيك حمدان تكسب واحدا وتخسر واحدا خير من تخسر الاثنين ..وعمي هارون زوجته هي التي تضغط عليه ليزوجني من ابنه .. مع اهتمام هارون بي فإنني أحس أنه لا يحبني ، هو يحب ثروتنا .. وهمام شاب فقير وفلاح فهو الذي يستحق منك العطف والمساعدة.. وأنا مستعدة للعيش معه في فقره وحياته القاسية .

كان الأبوان يسمعان كلام ابنتهما وهما بين الغضب والاستغراب ، فرد الأب : جؤذر العزيزة وحيدة والديها ، الفتاة المدللة ، ابنة الـعز والجاه والخدم والحشم تعيش في قرية ميتة يكاد أهلها يتضورون جوعا وعطشا عندما يقل ماء السماء ..فإن أشفقت على ابن أخي فأنا أعطيه من المال ما يشاء من أجل خاطرك أما زواج فلا وألف لا .

ردت بغضب :اسمع يا أبت .. أنا لن أتزوج الا من همام ، أما غيره فلا .. أو لا أتزوج أحدا من أهل الدنيا ..هذا تفكيري وجوابي .

تدخلت الأم بينهما وحاولت التوفيق بينهما ، وطال الحوار لمنتصف الليل ، وكلٌّ مصر على رأيه واختياره ، فجؤذر ما زالت مصممة على اختيارها ومبهورة بشجاعة همام التي رأتها بأم عينيها في الغابة عندما هجم عليهنّ الأسد الهائج ، فاتفق الوالدان على إنظارها عددا من الأيام حتى يذهب عن نفسها تأثير الحادث الذي مر بها ، فقد تـعدل عن عزمها ، اعتكفت الفتاة في حجرتها وامتنعت عن الأكل مما أقلق الأسرة ، وترجياها أن تعود لسابق عهدها ، وتخرج للجلوس في حدائق القصر والجلوس مع صاحبتاها ؛ ولكنها أصرت على العناد ، وحلفت برب العباد أن لا تـتزوج إلا من ابن عمها همام أو تموت ، فكان الولدان يذكران فقره وجوعه وحياته البائسة في مطاردة الوحوش ، وأنه هو السبب في وصول الأسد نحوهن ، ولو لم يطارده فما جاء جهتهن ، وتقول الفتاة ولو رأيتموه وهو ثابت الجنان يصوب سهمه نحو الأسد لـعرفتم ما هي الشجاعة والإقدام التي نـقرأ عنها في الكتب ، ويتغنى بها الرواة والشعار ولغيرتم رأيكم فيه .

فاشتد الأب غضبا ، فلم تكترث لغضبه وهي تهتف : إذا كنت حقا تحب سعادتي عليك أن توافق على ابن أخيك ..أخوك حمدان الذي أعطاك كل ما يملك عندما هربت من الـقرية لما غضب عليك والدك ألم تـقل لنا ذلك ؟!

وحاولت الأم ثني الفتاة ؛ ولكنها لم تسمع منها وأغلقت أذنيها ، وهزلت جؤذر وبدأت تذبل فضعف الأب أمام عنادها الغريب الذي لم يعتده منها ، فقال لها: ما أقسى رأسك ! يا ابنتي ولكنك ابنة أبيك .. وأنا مثلك عنيد ، فكم توسط بيني وبين أبي من الأهل والأقارب لأتصالح مع أبي ؛ ولكني رفضت الصلح والعودة إلى القرية ؟ ومات أبي وهو عليّ غاضب ، وكم أرسل لي أن أعود ليراني وهو على فراش الموت ؟ ورفضت ، ها أنت تدمري قسوة قلبي على القرية التي هجرتها منذ ما يزيد عن ثلاثين سنة .. يا جؤذر لا أريد أن أراك ميتة قبلي ، فعودي للأكل سأوافق على همام ؛ ولكن كيف أحدثه بالأمر وأنا قد رفضته ؟

قالت الفتاة بتأنٍ : أنا أذهب إليه إلى عمي وسيأتيك مرة أخرى

قال بحسرة : إنك تـقتلينني يا جؤذر .

أجابت : أأقتلك ؟! لأنني أريد الزواج من هذا الشجاع الذي لو علم الحاكم الكبير بشجاعته لجعله فارسا من فرسانه ؟! أأقتلك وأنت تريد أن تزوجني من شاب سيئ الخلق ؟! ...ألا تريد قتلي بهذا الزواج ؟! .. ألم تحدثنا أنت عن مجونه ولهوه ؟ ألم تـقل لي نوافق اليوم وبعد فترة نعتذر ، ونكون قد تخلصنا من الثلاثة ؟ ..أنت تعرف أنني لا أعرف ابن عمي هماما ، وعندما كان يأتي قديما مع والده لزيارتك لا أجلس معكم ، ربما لمحته وهو داخل أو خارج ؛ ولكني كنت أنظر إليهم ؛ كأنهم قادمون للتسول من عندنا أو كالرجال الذين يأتون ليعملوا بعض الأعمال وينصرفوا ، أنت قد جعلتنا ننظر إليهم هذه النظرة الجارحة ، مع أن عمي يأتيك بالسمن والجبن والفواكه كلما يزورك ، وأنت بعد انصرافه تلقيها في القمامة ؛ لأنها من الـقرية التي رفضتك ، ولولا هذا الرفض لم تصبح ميسورا .. وكان عمي يعلم أنك تقبل هديته على مضض ، وظل مصرا على المجيء بها كلما زارنا ، ومن عزة نفسه لم يقبل أن يأخذ منك درهما واحدا أو يـقبل أي مساعدة .. وكنت رافضة الزواج من همام للنفور الذي زرعته فيّ من الفلاحين والرعاة ؛ ولكن الله قدر لي أن أراه في ساعة الموت أو ساعة أوشكت أن أكون فيها ضحية لسيد الوحوش ، فرأيت هماما وملئت شجاعته وجرأته نفسي وكياني ، فأعجبت به أو ليس من الزواج بد فاقبله كما قبلته أنا ؟

رضخ فريد لإرادة ابنته ، وهو يكظم غيظه وسخطه على ابن أخيه الذي خرج له في دنياه فجأة ورغم أنفه ، وطلب منها أن تتصرف في الخطب كما يحلو لها

إلى اللقاء في الحلقة التالية

اللبؤة والغزال والقرد

حكي أن لبؤة كانت ساكنة بغابة. وبجوارها غزال وقرد قد ألفت جوارهما واستحسنت عشرتهما. وكان لتلك اللبؤة شبل صغير قد شغفت به حباً وقرت به عيناً. وطابت به قلباً. وكان لجارها الغزال أولاد صغار. وكانت اللبؤة تذهب كل يوم تبتغي قوتاً لشبلها من صغار الحيوان. وكانت تمر في طريقها على أولاد الغزال. وهن يلعبن بباب جحرهن. فحدثت نفسها يوماً باقتناص واحد فتجعله قوت ذلك اليوم وتستريح فيه من الذهاب. ثم أقلعت عن هذا العزم لحرمة الجوار ثم عاودها الشره ثانياً مع ما تجد من القوة والعظمة.

وأكد ذلك ضعف الغزال واستسلامه لأمر اللبؤة. فأخذت ظبياً منهم ومضت فلما علم الغزال داخله الحزن والقلق ولم يقدر على إظهار ذلك وشكا لجاره القرد. فقال له: هون عليك فلعلها تقلع عن هذا ونحن لا نستطيع مكاشفتها ولعلي أن أذكرها عاقبة العدوان وحرمة الجيران. فلما كان الغد أخذت ظبياً ثانياً فلقيها القرد في طريقها فسلم عليه وحياها وقال لها: إني لا آمن عليك عاقبة البغي وإساءة الجوار. فقالت له: وهل اقتناصي لأولاد الغزال إلا كاقتناصي من أطراف الجبال ، وما أنا تاركة قوتي وقد ساقه القدر إلى باب بيتي. فقال لها القرد: هكذا اغتر الفيل بعظيم جثته. ووفور قوته فبحث عن حتفه بظلفه، وأوبقه البغي رغم أنفه. فقالت اللبؤة: كيف كان ذلك؟ قال القرد: ذكروا أن قنبرة كان لها عش فباضت وفرخت فيه وكان في نواحي تلك الأرض فيل وكان له مشرب يتردد إليه. وكان يمر في بعض الأيام على عش القنبرة. ففي ذات يوم أراد مشربه فعمد إلى ذلك العش ووطئه وهشم ركنه. وأتلف بيضها وأهلك فراخها. فلما نظرت القنبرة إلى ما حل بعشها ساءها ذلك وعلمت أنه من الفيل. فطارت حتى وقعت على رأسه باكية وقالت له: أيها الملك ما الذي حملك على أن وطئت عشي وهشمت بيضي وقتلت أفراخي وإننا في جوارك. أفعلت ذلك استضعافاً بحالي وقلة مبالاة بأمري؟ قال الفيل: هو كذلك فانصرفت القنبرة إلى جماعة الطيور فشكت إليهم ما نالها من الفيل . فقالت لها الطيور: وما عسانا أن نبلغ من الفيل ونحن طيور. فقالت للعقاعق والغربان: إني أريد منكم أن تسيروا معي إليه فتفقؤوا عينيه. فأنا بعد ذلك أحتال عليه بحيلة أخرى. فأجابوها إلى ذلك ومضوا إلى الفيل. ولم يزالوا به يتجاذبونه بينهم وينقرون عينيه إلى أن فقؤوهما وبقي لا يهتدي إلى طريق مطعمه ولا مشربه. فلما علمت ذلك جاءت إلى نهر فيه ضفادع فشكت ما نالها من الفيل. فقالت الضفادع: ما حيلتنا مع الفيل ولسنا كفأه وأين نبلغ منه؟ قالت القنبرة: أحب منكن أن تذهبن معي إلى وهدة بالقرب منه فتقفن تضجحن بها. فإذا سمع أصواتكن لم يشك أن بها ماء فيكب نفسه فيها. فأجابها الضفادع إلى ذلك فلما سمع الفيل أصواتهن في قعر الحفرة توهم أن بهاء ماء. وكان على جهد من العطش فجاء مكباً

على طلب الماء فسقط في الوهدة ولم يجد مخرجاً منها. فجاءت القنبرة ترفرف على رأسه وقالت له: أيها المغتر بقوته الصائل على ضعفي كيف رأيت عظيم حيلتي مع صغر جثتي ، وبلادة فهمك مع كبر جسمك؟ وكيف رأيت عاقبة البغي والعدوان ومسالمة الزمان؟ فلم يجد الفيل مسلكاً لجوابها. ولا طريقاً لخطابها. فلما انتهى القرد في غاية ما شرحه للبؤة من المثل أوسعته انتهاراً وأعرضت عنه استكباراً. ثم إن الغزال انتقلت بما بقي من أولادها تبتغي لها جحراً آخر. وإن اللبؤة خرجت ذات يوم تطلب صيداً وتركت شبلها. فمر بها فارس فلما رآه حمل عليه فقتله وسلخ جلده وأخذه وترك لحمه وذهب . فلما رجعت اللبؤة ورأت شبلها مقتولاً مسلوخاً رأت أمراً فظيعاً. فامتلأت غيظاً وناحت نوحاً عالياً وداخلها هم شديد. فلما سمع القرد صوتها أقبل عليها مسرعاً فقال لها: وما دهاك. فقالت اللبؤة: مر صياد بشبلي ففعل به ما ترى. فقال لها: لا تجزعي ولا تحزني وأنصفي من نفسك واصبري عن غيرك كما صبر غيرك عنك. فكما يدين الفتى يدان. وجزاء الدهر بميزان ومن بذر حباً في أرض فبقدر بذره يكون الثمر. والجاهل لا يبصر من أين تأتيه سهام الدهر. وإن حقاً عليك أن لا تجزعي من هذا الأمر. وأن تتدرعي له بالرضا والصبر. فقالت اللبؤة: كيف لا أجزع وهو قرة العين وواحد القلب ونزهة الفكر. وأي حياة تطيب لي بعده. فقال لها القرد: أيتها للبؤة ما الذي كان يغديك ويعشيك. قالت: لحوم الوحوش. قال القرد: أما كان لتلك الوحوش التي كنت تأكليها آباء وأمهات. قالت: بلى. قال القرد: فما بالنا لا نسمع لتلك الآباء ولا الأمهات صياحاً وصراخاً كما سمع منك ولقد أنزل بك هذا الأمر جهلك بالعواقب وعدم تفكرك فيها. وقد نصحتك حين حقرت حق الجوار. وألحقت بنفسك العار. وجاوزت بقوتك حد الإنصاف. وسطوت على الظباء الضعاف. فكيف وجدت طعم مخالفة الصديق الناصح.. قالت اللبؤة: وجدته مر المذاق. ولما علمت اللبؤة أن ذلك بما كسبت يدها من ظلم الوحوش رجعت عن صيدها ورمت نفسها باللوم. (بستان الاذهان للشبراوي)

قرد وغيلم

زعموا أن قرداً يقال له ماهر كان ملك القردة وكان قد كبر

وهرم. فوثب عليه قرد شاب من بيت المملكة فتغلب عليه وأخذ مكانه. فخرج هارباً على وجهه حتى انتهى إلى الساحل. فوجد شجرة تين فارتقى إليها واتخذها له مقاماً. فبينما هو ذات يوم يأكل من ثمرها. إذ سقطت من يده تينة في الماء فسمع لها صوتاً وإيقاعاً. فجعل يأكل ويرمي في الماء فأطربه ذلك فأكثر من تطريح التين فيه. وكان ثم غيلم(ذكر السلحفاة) كلما وقعت تينة أكلها. فلما أكثر ذلك ظن أن القرد إنما يفعل ذلك لأجله فرغب في مصادقته وأنس إليه وكلمه. وألف كل واحد منهما صاحبه. وطالت غيبة الغيلم على زوجته. فجزعت عليه وشكت ذلك إلى جارة لها وقالت: قد خفت أن يكون عرض له عارض سوء فاغتاله. فقالت لها: إن زوجك بالساحل قد ألف قرداً وألفه القرد. فهو مؤاكله ومشاربه ومجالسه. ثم إن الغيلم انطلق بعد مدة إلى منزله. فوجد زوجته سيئة الحال مهمومة. فقال لها: ما لي أراك هكذا فأجابته جارتها: إن قرينتك مريضة مسكينة. وقد وصفت لها الأطباء قلب قرد وليس لها دواء سواه. فقال: هذا أمر عسير من أين لنا قلب قرد ونحن في الماء ولكن سأشاور صديقي؟ ثم انطلق إلى ساحل البحر فقال له القرد: يا أخي ما حبسك عني. قال له الغيلم: ما ثبطني عنك إلا حيائي. كيف أجازيك على إحسانك ؟إلي وإنما أريد الآن أن تتم هذا الإحسان بزيارتك لي في منزلي. فإني ساكن في جزيرة طيبة الفاكهة كثيرة الأثمار. فاركب ظهري لأسبح بك. فرغب القرد في ذلك ونزل فامتطى الغيلم. حتى إذا سبح به ما سبح عرض له قبح ما أضمر في نفسه من الغدر فنكس رأسه. فقال القرد: مالي أراك مهتماً. فقال الغيلم: إنما همي لأني ذكرت أن قرينتي شديدة المرض ، وذلك يمنعني عن كثير مما أريد أن أبلغكه من الإكرام والإلطاف. قال القرد: إن الذي أعتقد من حرصك على كرامتي يكفيك مؤونة التكلف. قال الغيلم: أجل. ومضى بالقرد ساعة ثم توقف به ثانية. فساء ظن القرد وقال في نفسه: ما احتباس الغيلم وبطؤه إلا لأمر. ولست آمناً أن يكون قلبه قد تغير علي وحال عن مودتي فأراد بي سوءاً. فإن لا شيء أخف وأسرع تقلباً من القلب. ويقال: ينبغي للعاقل أن لا يغفل عن التماس ما في نفسه أهل وولده وإخوانه وصديقه عند كل أمر وفي كل لحظة وكلمة. وعند القيام والقعود

وعلى كل حال. وإنه إذا دخل قلب الصديق من صديقه ريبة. فليأخذ بالحزم في التحفظ منه ويتفقد ذلك في لحظاته وحالاته. فإن كان ما يظن حقاً ظفر بالسلامة. وإن كان باطلاً ظفر بالحزم ولم يضره. ثم قال للغيلم: ما الذي يحبسك ومالي أراك مهتماً كأنك تحدث نفسك مرة أخرى؟! قال: يهمني أنك تأتي منزلي فلا تلقى أمري كما أحب لأن زوجتي مريضة. قال القرد: لا تهتم. فإن الهم لا يغني عنك شيئاً. ولكن التمس ما يصلح زوجتك من الأدوية والأغذية. فإنه يقال: يبذل ذو المال ماله في ثلاثة مواضع: في الصدقة. وفي وقت الحاجة. وعلى الزوجة. قال الغيلم: صدقت. وإنما قالت الأطباء: إنه لا دواء لها إلا قلب قرد. فقال القرد في نفسه: وا سوأتاه لقد أدركني الحرص والشره على كبر سني حتى وقعت في شر مورط. ولقد صدق الذي قال: يعيش القانع الراضي مستريحاً مطمئناً. وذو الحرص والشره يعيش ما عاش في تعب ونصب. وإني قد احتجت الآن إلى عقلي في التماس المخرج مما وقعت فيه. ثم قال للغيلم: وما منعك أن تعلمني حتى كنت أحمل قلبي معي. وهذه سنة فينا معاشر القردة إذا خرج أحدنا لزيارة صديق له خلف قلبه عند أهله أو في موضعه. لننظر إذا نظرنا إلى حرم المزور وما قلوبنا معنا. قال الغيلم: وأين قلبك الآن. قال: خلفته في الشجرة فإن شئت فارجع بي إليها حتى آتيك به. ففرح الغيلم بذلك ورجع بالقرد إلى مائه. فلما قارب الساحل وثب القرد عن ظهره فارتقى الشجرة. فلما أبطأ على الغيلم ناداه يا خليلي احمل قلبك وانزل فقد عقتني. فقال القرد. هيهات ولكنك احتلت علي وخدعتني بمثل خديعتك. واستدركت فارط أمري. وقد قيل: الذي يفسده الحلم. لا يصلحه إلا العلم. قال الغيلم: صدقت. إلا أن الرجل الصالح يعترف بزلته. وإذا أذنب ذنباً لم يستحي أن يؤدب. وإن وقع في ورطة أمكنه التخلص منها. كالرجل الذي يعثر على الأرض وعلى الأرض ينهض ويعتمد. فهذا مثل الرجل الذي يطلب الحاجة فإذا ظفر بها أضاعها

(كليلة ودمنة)

أسد وذئب وغراب وابن آوى وجمل

وهو مثل من يعاشر من لا يشاركه حتى يهلك نفسه

زعموا أن أسداً كان في أجمة مجاوراً لأحد الطرق المسلوكة. وكان له أصحاب ثلاثة: ذئب وغراب وابن آوى. وإن رعاة مروا بذلك الطريق ومعهم جمال. فتخلف منها جمل

فدخل تلك الأجمة حتى انتهى إلى الأسد. فقال له أبو فراس: من أين أقبلت؟ قال: من موضع كذا. قال: فما حاجتك؟ قال: ما يأمرني به الملك. قال: تقيم عندنا في السعة والأمن والخصب. فلبث عنده زماناً طويلاً ثم إن الأسد مضى في بعض الأيام لطلب الصيد فلقي فيلاً عظيماً. فقاتله قتالاً شديداً وأفلت منه مثقلاً مثخناً بالجراح يسيل منه الدم. وقد أنشب الفيل فيه أنيابه. فلم يكد يصل إلى مكانه. حتى رزح لا يستطيع حراكاً وحرم طلب الصيد. فلبث الذئب والغراب وابن آوى أياماً لا يجدون طعاماً. لأنهم كانوا يأكلون من فضلات الأسد وفواضله. فأجهدهم الجوع والهزال. وعرف الأسد ذلك منهم فقال: لقد جهدتم واحتجتم إلى ما تأكلون. فقالوا: إنه لا يهمنا أنفسنا. لكنا نرى الملك على ما نراه فليتنا نجد ما يأكله ويصلح به. قال الأسد: ما أشك في نصيحتكم. ولكن انتشبوا لعلكم تصيبون صيداً فأكسبكم ونفسي منه. فخرج الذئب والغراب وابن آوى من عند الأسد. فتنحوا ناحية وائتمروا فيما بينهم وقالوا: ما لنا ولهذا الآكل العشب الذي ليس شأنه من شأننا. ولا رأيه من رأينا. ألا نزين للأسد فيأكله ويطعمنا من لحمه. قال ابن آوى: هذا مما لا نستطيع ذكره للأسد. لأنه قد أمن الجمل وجعل له من ذمته.

قال الغراب: أنا أكفيكم الأسد. ثم انطلق فدخل على الأسد فقال له: هل أصبتم شيئاً. قال الغراب: إنما يصيب من يسعى ويبصر. ونحن فلا سعي لنا ولا بصر لما بنا من الجوع. ولكن قد وفقنا لرأي واجتمعنا عليه. فإن وافقنا الملك فنحن له مجيبون. قال الأسد: وما ذاك. قال الغراب: هذا الجمل آكل العشب المتمرغ بيننا من غير منفعة لنا منه ولا رد عائدة. ولا عمل يعقب مصلحة. فلما سمع الأسد ذلك. غضب وقال: ما أخطأ رأيك. وما أعجز مقالك وأبعدك من الوفاء والرحمة. وما كنت حقيقاً أن تجترئ علي بهذه المقالة وتستقبلني بهذا الخطاب. مما علمت أني قد أمنت الجمل وجعلت له من ذمتي. أو لم يبلغك أنه لم يتصدق متصدق بصدقة هي أعظم أجراً ممن أمن نفساً خائفاً وحقن دماً مهدوراً. وقد أمنته ولست بالغادر به. قال الغراب: إني لأعرف ما يقول الملك. ولكن النفس الواحدة يفتدى بها أهل المصر. وأهل المصر فدى الملك. وقد نزلت بالملك

الحاجة. وأنا أجعل له من ذمته مخرجاً على أن لا يتكلف ذلك ولا يليه بنفسه ولا يأمر به أحداً. ولكنا نحتال عليه بحيلة لنا وللملك فيها صلاح وظفر. فسكت الأسد عن جواب الغراب عن هذا الخطاب. فلما عرف الغراب إقرار الأسد أتى أصحابه فقال لهم: قد كلمت الأسد في أكلة الجمل: على أن نجتمع نحن والجمل لدى حضرته. فنذكر ما أصابه ونتوجع له اهتماماً منا بأمره وحرصاً على صلاحه. ويعرض كل واحد منا نفسه عليه. فيرده الآخران ويسفه رأيه ويبين الضرر في أكله. فإذا فعلنا ذلك سلمنا كلنا ورضي الأسد عنا ففعلوا ذلك وتقدموا إلى الأسد فقال: الغراب: قد احتجت أيها الملك إلى ما يقويك. ونحن أحق أن نهب أنفسنا لك فإنا بك نعيش. فإذا هلكت فليس لأحد منا بقاء بعدك. ولا لنا في الحياة من خيرة. فليأكلني الملك فقد طبت بذلك نفساً. فأجابه الذئب وابن آوى أن اسكت. فلا خير للملك في أكلك وليس فيك شبع. قال ابن آوى: لكن أنا أشبع الملك. فليأكلني فقد رضيت بذلك وطبت عنه نفساً. فرد الذئب والغراب بقولهما له: إنك منتن قذر. قال الذئب: أنا لست كذلك. فليأكلني الملك عن طيب نفس مني وإخلاص طوية. فاعترضه الغراب وابن آوى وقالا: قد قالت الأطباء: من أراد قتل نفسه. فليأكل لحم ذئب. فظن الجمل أنه إذا عرض نفسه على الأكل التمسوا له عذراً كما التمس بعضهم لبعض فيسلم ويرضى عنه الأسد. فقال: لكن أنا فيّ للملك شبع وري. ولحمي طيب هني وبطني نظيف. فليأكلني الملك ويطعم أصحابه وحشمه. فقد سمحت بذلك طوعاً ورضا. فقال الذئب والغراب وابن آوى: لقد صدق الجمل وتكرم وقال ما درى. ثم إنهم وثبوا عليه ومزقوه (كليلة ودمنة)

إنَّ مِنَ الْبَيَانِ لَسِحْراً

فقال ﷺ "إنَّ مِنَ الْبَيَانِ لَسِحْراً" يعني أن بعض البيان يعمل عمل السحر، ومعنى السحر: إظهار الباطل في صورة الحق، والبيانُ: اجتماعُ الفصاحة والبلاغة وذكاء القلب مع اللسَنِ. وإنما شُبِّه بالسحر لحدَّة عمله في سامعه وسرعة قبول القلب له.

يضرب في استحسان المنطق وإيراد الحجَّة البالغة.

قال أبو سليمان الداراني رحمه الله: كل ما أشغلك عن الله فهو عليك مشؤوم.

رواية اجتماعية

صديق أمي

الحلقة ١

الأم شأن كبير للابن والبنت ، كلاهما يراها ملاكا يمشي
على الأرض ينسى الابن والبنت أنها إنسان لها حق الحياة
ولها غرائز كسائر الخلق تشتهي وتختار
لا يريدان لها أن تخطئ ، يريدان لها أن تبقى ملاكا
لأنهما يعتقدان أنها شيء عظيم في نفسيهما
جوهرة نفيسة غالية
فهذه حكاية امرأة عاشت بيننا كأم هاربة من مسئولياتها
وهل تتخلى الأم عن مسئولياتها
هذه قصة عباس مع أمه
أغلى كيان يدب على هذه البسيطة

جمال ٢٠٠٩

الحاج عزام

تبدأ القصة مع أصيل يوم الخميس من شهر أيلول عندما كان الحاج عزام محمد الرّشاد يجلس في محله الكبير في ذلك السوق القديم سوق الليمون المحروق ، فهو سوق معروف ومشهور على مستوى المدينة كلها والقرى حولها .. فهو أول سوق أنشئ في هذه المدينة العربية .. وبجواره جامع المدينة التاريخي .. جامع سيدي محمد صلى الله عليه وسلم .. وتجد في هذه السوق المطعومات كلها والمشروبات كلها .. خضار .. فاكهة .. تسالي .. أدوات طهي كتب عطور .. عطارة .. لحوم .. اسماك .. دجاج .. سوق جامع لكل شيء ..وكان متجر الأخوين عزام ومسلم من أكبر وأوسع المتاجر فيه ، وهم ورثوا المحل الكبير عن أبيهم محمد الرّشاد .. ويعمل بين أيديهم في هذا المحل خمسة أفراد .. ولا يكاد المحل يخلو من الزبائن والرواد .. فهناك بضاعة تخرج ، وبضاعة تدخل من باب آخر للمتجر .. وبين سائل عن سلعة ومشترٍ لأخرى .. حبوب .. حمص .. فول .. ترمس .. زيت .. بهار .. قهوة .. عصير .. طحين .. جبنة .. وفي مدخل المتجر طاولة معدة لمحاسبة الزبائن عند الخروج .. وهي طاولة كبيرة وقديمة .. ويجلس على كرسي قربها الحاج عزام يحاسب المشترين ، ويبعد عنه كرسي آخر يجلس عليه شقيقه الأكبر شريكه يتابع الشغل والعمال والزبائن .. فهما شركاء منذ وفاة والدهم وورثتهم للمتجر ..وقد عملوا مع أبيهم في هذه التجارة منذ وعوا على الدنيا .. فلهم أكثر من ثلاثين سنة يعملون في هذا المتجر .. فهم ورثوا أعمال البقالة والسمانة عن أبيهم ، كما هو ورثها هو عن أبيه .. فحياتهم البيع والشراء .. ولديهم مصالح أخرى ، وتجارات أخرى .

الحاج عزام زاد عمره عن الخمس والأربعين سنة ، وله زوجة ، ولم يوهب إلا ابنة واحدة تخرجت منذ أيام من الجامعة .. وأخوه مسلم يكبره بثلاث

سنوات، لاحظ الحاج مسلم ضيق أخيه منذ ساعات الصباح .. واعتقد أن أخاه قد تشاجر مع زوجته ، فلم يحب الحديث في هذا الأمر .. لكنه عند المساء وقد خفت حدة الشغل ، فسأله عن سبب تجهمه ، فقال الرجل ؛

وكأنه كان ينتظر هذا الاستفهام من شقيقه الأكبر

البنت يا أخي

فانزعج الشقيق الأكبر وهو يعلم عظم تعلق أخيه بابنته الوحيدة وقال : البنت !! هل هي مريضة ؟

منذ أيام احتفلنا بتخرجها ونجاحها من الجامعة .

تنهد الحاج عزام وقال بأسى : تمنيت لو لم أسمح لها بالدراسة في الجامعة يا أبا مصطفى .

ـ يبدو أن الأمر خطير يا أبا هدى !

ـ فعلا خطير .. خطير جدا .. لا مجال للحديث هنا

قال : شغلت قلبي .. أين ستتكلم ؟

ـ عندما نذهب بعد قليل لصلاة المغرب.. نمكث بعض الوقت في المسجد ، وسأحدثك بكل شيء .. إنني تعبان يا أبا مصطفى .

والتهى مسلم بمتابعة العمل ، وهو مشغول الفكر على شقيقه الذي يفترض أن تغمره السعادة بتخرج هدى وإكمالها جامعتها ، وكان الرجل محبا لأخيه الصغير فتضايق وتوتر لضيق عزام .

بعدما صليا سنة المغرب في الجامع الكبير المجاور لمتجرهما جلسا في زاوية من زوايا الجامع في أحد الأروقة .. فلما تمكنا من الجلوس همس مسلم : أخبرني يا أبا هدى على الذي يشغل مخك منذ الصباح؟

ـ كان من المفروض أن أكون سعيدا بإنهاء البنت جامعتها .. لابد أنك تذكر ذاك الشاب الذي كان يتعلم معها في الجامعة .. وجاءنا يوما خاطبا لها .

قال : أذكر أن ذلك كان قبل سنتين .. ولكني نسيت اسمه .. وأذكر أنك اعتذرت له ونصحته بأن يبحث عن بنت غيرها ..

ـ نعم ، وأمام إصرارها على الاقتران به .. أجلت الموضوع حتى إنهاء الجامعة .. وقبل أيام اتصل بي أخوه .. وذكرني بهذه الكلام .. فأخرته عدة أيام .. وبكل صراحة يا مسلم لن أزوج ابنتي لغريب وخاصة هذا الشاب .. ولولا كلامك وكلام بعض الأقارب ما درست هدى في جامعة .. والآن عليك أن تقنع حسنا بالزواج منها .

ـ حسن !! .. وهل تقبل هي ؟

رفع صوته غضبا وقال : يجب أن تقبل .

فقال مسلم : وأنا أقول أيضا يجب أن يقبل حسن .. متى سيكون الإعلان عن ذلك ؟

ـ اليوم الخميس .. وغدا الجمعة سيكون الإعلان عن الزواج ليلا بعد صلاة العشاء .. أنا لا يمكن أن أزوج وحيدتي لغريب .. فحسن أولى بها يا أبا مصطفى .. سيتزوجها ويسكن معي في البيت ..

بيتي بيته .. وكل تكاليف ومصاريف العرس والمهر عندي يا مسلم .. أرجوك ولا كلمة .. المهم أن لا يرفض حسن .

ـ كيف يرفض حسن ؟! .. الليلة سأتكلم معه ـ إن شاء الله ـ وأنقل لك موافقته .. حسن شاب طيب ولين ..

ظهرت سعادة عزام فقال : أنا في انتظار ردك .. حتى أرفض هؤلاء الناس ـ وضحك قهرا ـ ابنتي تحب شابا ، وتريد إجباري على قبوله زوجا لها .. خبت إن قبلت .. نحن في فرنسا والغرب

لما علمت هدى قرار والدها ، رفضت الزواج منه ومن غيره .. وهددت بالموت ، فاشتد غضب عزام عليها ، وكاد أن يهجم عليها ليضربها ، لولا تدخل زوجته ومنعه من فعل ذلك واتصل بشقيق الشاب الذي سبب له كل هذا التوتر والألم ، وأخبره برفضه زواج ابنته من شقيقه ، وترجاه أن يختفي شقيقه من حياتها .. وطلب عزام من شقيقه مسلم محمد تأجيل إعلان الخطبة لأيام .

وجاء شقيق الشاب بلال بشفعاء ، فأخبرهم الحاج عزام أنه قريبا سيعلن زواجها على ابن أخيه حسن مسلم ..وترجاهم مرة أخرى أن يصرفوا ابنهم عن طريق ابنته .. وصداقة الجامعة انتهت بانتهاء الجامعة .. وحذرهم من غضبه وسوء العاقبة .

امتنعت الفتاة عن الأكل أمام إصرار والدها على اقترانها بحسن .. وبعد أيام نقلت للمستشفى وحاول أخوالها بعد اطلاعهم على أمرها التدخل ، فأساء لهم الحاج عزام وطردهم من بيته .. وسعوا لدى حسن ليرفض هذا الزواج ؛ لأنه لن يسعد مع أنثى ترفضه وتكرهه ولا تريده زوجا فقال بهدوء : أنا لا رأي لي في هذا الزواج! .. أبي يريد ذلك ، وعمي يريد ذلك ..وأنتم أقنعوها ببر أبيها في هذه القضية .. وليس عندي كلام آخر

رغم أن هدى هي البنت الوحيدة للرجل رفض أشد الرفض أن تقترن من شاب عرفته أثناء دراستها في الجامعة ، ولما رأى رفض الفتاة للزواج من ابن أخيه حسن ، قال مهددا : إذا لم تقترني بحسن فلسوف أطلق أمك .

وأثار ذلك التهديد غضب الأم وأهلها ؛ ولكنه واجههم بقوله : لولا تسترها على ابنتها مع ذلك الشاب ما حصلت هذه الفضيحة .

أقسمت الأم بأنها لم تكن تعرف الشاب ، ولا تعرف بصحبته لابنتها إلا عندما جاء خاطبا ليدها قبل عامين .

زواج هدى

لما رأت هدى الخطر المحدق بأمها ، ورأت شدة

أبيها الذي كان يدللها أحسن الدلال ، ويقدم لها كل الأشياء قبل معرفته لذاك الطالب بلال .. قبلت برفض زواجها منه ، وكذلك عدم الزواج من حسن .. قبل عزام الأمر على مضض ، وأجل زواج ابن شقيقه لبضعة شهور ؛ ليدبر الأمر كما أعلم شقيقه .

هدأت العاصفة لحين .. خلال هذه الأشهر اختفى السيد بلال من البلاد .. فقد هاجر لكندا في أمريكا الشمالية .. فلما علمت هدى بهذا الهروب أدركت أن الشاب استسلم ويئس منها .. حاولت أن تعرف عنوانه من إحدى شقيقاته .. فترجتها الشقيقة أن تبتعد عن شقيقها .. ولتبحث لها عن زوج غيره .. رغم جرح كرامتها بهذا الكلام سعت إلى معرفة العنوان من إخوته ولكنهم رفضوا التعاون وأخبروها أن والدها هدد بقتله إن لم يبتعد عنها .. وأن المشكلة محصورة بينها وبين أبيها .. وحاولت معهم مرة تلو مرة ، وتجد صدا ونصحا بنسيان بلال .. وكان أبوها أيضا يراجعها بالزواج من حسن ، فترفض وتقول : لا أريد الزواج كله لا من حسن ولا من غيره .

فيرد ساخطا :لابد من الزواج .. أحس بأني سأموت قريبا بسببك .. من ورائك يا هدى .. لابد من زواجك قبل موتي ..

وأمام توسلات الأم وبكائها ، وضغط أخوالها استسلمت هدى لرغبة أبيها .. وخلال أسابيع عقد القران ، وحصل الزواج .. ورحل حسن للحياة مع زوجه في قصر عمه الحاج عزام .. وكان الأب ربما أسعد الناس بهذا الزواج ، وكان حسن يقول لأم هدى : أنا أعلم أن هدى لا تحبني ولا ترغب بي زوجا ..ولا يمكن أن تحبني .. ولكنّ عمي أصر على زواجي منها ، ووافقه أبي .. وكان يرى علاقتها الغرامية بذاك الشاب إهانة لكرامته وثقته بها .. وإهانة لكل العائلة أيضا ، وقد كظم غيظه حتى تنهي جامعتها .. لا تغضبي مني وتكرهينني ، ولا هي يجب أن تغضب مني .. ها هي في النهاية أطاعت والديها .. أرجو أن لا تكرهيني أنت .

ـ لا حرج عليك يا ولدي .. أنا أعرف عمك أكثر منك ، عشرة عمر .. وقد وقع عليك الاختيار فأتمنى لك السعادة والسلامة ، وأرجو الله أن يغير قلبها نحوك .

لم يستطع حسن رغم بساطته وطيبته أن يستولي على قلب وعواطف هدى .. كانت تبغضه وتحتد عليه وتجرحه بالكلام .. وهي تعلم يقينا أن لا يد له بالزواج منها .. حتى لو رفضها لوجدوا قريبا غيره .. أبوها متعصب للزواج من بنات العائلة .. ويحتقر أي شاب أو شابة يتزوج من خارج بنات الأسرة .. مع أن أمها من عائلة غير عائلة أبيها ..

ولكنه ذكر لها أن ذلك حدث في ظروف خاصة ، وأن العائلة عندما أراد الزواج لم يكن فيها فتاة صالحة للزواج كلهن كنّ صغيرات ..

مضت الحياة ؛ لأنها لا تتوقف ، ولا تؤثر فيها الحوادث صغيرة كانت أم كبيرة .. أنجبت هدى قبل إتمام السنة الأولى للزواج المولود الأول ، وكان طفلا جميلا سماه عزام عباسا ..

حسن كان مدرسا لمادة الفيزياء في مدرسة صلاح الدين الثانوية .. ولما تزوج هدى كان له سنة واحدة في المدرسة .. فهو يكبرها بشهور فقط وتخرج معها من الجامعة .. وهدى بعد استقرار زواجها رغبت بالعمل كمدرسة ، فلم يرفض حسن هذه الرغبة ، إنما جاء الرفض من أبيها فقال مقنعا لها: أتريدين العمل بعشرين دينارا ؟.. لك مني كل شهر خمسون دينارا .. البيت هو مكان المرأة .. لما أموت تعملين كما تشائين .

ولزمت الصمت ، ولما ولدت مرة أخرى حاولت مع أبيها مرة أخرى فرفض ، فعجبت لرفضه وتعجب للعداوة التي تراه يكنها لها وللعمل النسائي .. لقد نسي الحب الكبير الذي كان يخصها به .. هي تعلم عمق الجرح الذي تركه بلال في قلب أبيها لها وله .. كره جنس النساء من وراء تلك العلاقة .. حتى عداوته لها لم تظهر أيام الجامعة رغم الجفاء الذي كان يظهره لها أحيانا ..

وصدمت من إصراره على الرفض والعناد ، فمرضت ومرض المولود الثاني ، ثم مات قبل أن يكمل ثلاثة أشهر .. فحزن عليه عزام وبكاه ؛ كأنه فلذة كبده .. حزن عليه أكثر من أمه هدى ومن تأثره بموته مرض هو ، وأدخل المشفى أياما كانت أم هدى تقف على الحياد ، وتجتهد على ذلك الحياد ، فكانت تراقب المشاهد بدون كلمة هنا أو هناك ، وتحث ابنتها على الصبر والرضا بقدرها ونصيبها .

كبر عباس وبلغ أربع سنوات ، ودخل في الخامسة عندما ولدت أمه أخته مريم ، وسماها بذلك الاسم الحاج عزام .. وقبل أن تتم شهرها الأول مرض جدها عزام ، وهلك على أثر عملية في القلب .. وكان يردد في ساعاته الأخيرة إذا زارته ابنته أنت السبب .. أنت السبب ويشير إليها

فتنصرف باكية حزينة ، ومع حزنها وألمها من كلمات أبيها كانت تبغضه ولم تطلب منه أن يسامحها ويغفر لها .. وكان في انتظارها بعد موت أبيها مفاجأة قاسية ..وهي أن الأب لم يترك لها بعد الموت الشيء الكثير من الميراث بالنسبة لثروته .. فقد وجدوا أنه تنازل عن أغلب الأموال لحسن زوجها .. وكتب لعباس ومريم الكثير من الثروة ، وترك مبلغا باسم الزوجة ، وسجل القصر كله باسم حسن هبة من عمه لقبوله الزواج من ابنته ..

حصلت هدى على خمسين ألف من ثروة أبيها .. وحصلت الأم ثمن الثروة التي ظلت وبقيت على اسم الحاج عزام .. سوى ما كتب على اسمها قبل موت الرجل .. وأخذت أمه أم مسلم التي تسكن مع مسلم سدس الثروة وورث أخوه مسلم باقي الثروة تعصيبا .

الطلاق

بعد انتهاء العزاء بأيام وقبل أن تقبض حصتها من ثروة أبيها طلبت هدى من حسن الطلاق ، فتعجب حسن من العجلة في طلبها الطلاق ، وإلا هذا كان متوقعا رغم وصية عمه ألا يفعل ذلك ، فقال لها متضايقا : كيف يكون ذلك ولحم أبيك لم يبرد ؟!.. أنا أعلم أنك قبلت بي رغم أنفك .. مكرهة .. وولدت لي ثلاثة ، ولم تقبلي بي زوجا ، ولم تطب صحبتي لك لليوم .. أنت لم تقدمي لي كأس شاي مرة واحدة من يدك .. الخادمة تطهو أو أمك .. فصاحت فيه ساخطة : لماذا قبلت بي ؟

ـ الآن تصيحين.. لماذا قبلت بك ؟!.. لمَ لم تصري على الرفض ؟

ـ أنا بنت !!

ـ بنت !! .. كلام فارغ .. أنا كنت على وشك طلب يد ابنة خالتي حسناء .. ولكن أبي أصر على الزواج منك لرغبة عمي عزام بهذا الزواج .. الطلاق لا يمكن ؛ لأنها رغبة عمي .. الهجر ممكن

لزمت الصمت فهي قد سمعت من أمها بهذه الوصية .. ولما نقلت لها حصتها المالية حسب الشريعة الإسلامية بعد أشهر جددت الحديث حول طلاقها من حسن مسلم ، وسمعت نفس الرد ، فقالت لاستفزاز رجلها : كيف تعيش مع امرأة تبغضك وتكرهك ؟

ـ هذه المرأة أم الأطفال أم عباس ومريم .. تكرهين العشرة الزوجية .. فأنا مستعد لترك البيت لك .. اما الطلاق فإنه يقلق راحة عمي في قبره ..

صاحت هائجة : عمك ! عمك !.. عمك مجرم !

نهض قائما غاضبا وصاح فيها : عمي مجرم !! نسيت أنك ثلمت شرف أبيك .. أنت المجرمة .

دخلت أمها على صياحهم وسمعته يقول : ألم يوصك أبوك عندما وافق على تقديم أوراقك للجامعة احذري الشباب وقصص الحب ؟ ووعدته أنت بالمحافظة على شرفك وشرف العائلة ووعدته بعدم الوقوع في هذه القصة الفارغة ..

قالت الأم : ما هذا الكلام يا حسن ؟!

صاح فيها هي الأخرى قائلا : تصف عمي أبوها زوجك بالمجرم أرأيت مثل هذا العقوق ؟! تقول عنه مجرم ؛ لأنه زوجني منها .. أيقبل هذا يا سعيدة ؟ .. تريد الطلاق ولحم الحاج عزام لم يبرد بعد ..

قالت الأم جزعا : تريد الطلاق ؟!

صرخ وقد احمرت عيناه : من بعد العزاء وهي تطلب هذا ..

صاحت هدى : إني أكرهك .. طلقني .. وأبغض كل العائلة من أجلك وأجل أبي المجرم

صاح حسن : كل هذا من أجل شاب ضعيف .. قبض من أبيك بعض المال وتأشيرة هجرة فتخلى عنك سريعا ..

ـ هو أحسن منك .. وأنا أحبه .

لطمها على وجهها عدة صفعات ، وخرج من الغرفة ساخطا ناقما .

حاولت الأم أن تخفف من نقمتها وغضبها ، وحاولت إبعاد فكرة الطلاق من رأسها من أجل خاطر والدها ومن أجل الأولاد من أجل البنت الصغيرة ، فهاجت بعد هدوء وقالت : أنا لا يمكن أن أبقى على ذمته! ..أنا لا يمكن أن أبقى في السجن ..ذهب السجان الكبير .. وسأتخلص من السجان الصغير

قالت وهي تبكي : حسن ليس له دخل .. لو رفض حسن لأتى أبوك بعشرة غيره ..أبوك متعصب للعائلة والأسرة ..

ـ أريد الطلاق .. وبعد هذه اللطمة لن أجلس معه في دار

اتصلت الأم بإخوتها ، وتحدثوا مع والد حسن ، وطابت لهم فكرة الهجر ، ورأوها أفضل من الطلاق في الوقت الحاضر من أجل الرجل الميت .

هدى رفضت الحياة معهم إلا بالطلاق الكامل ..

ولما رأى الشفعاء أن لا صلح بينهم ، ولم تنفع دعوات اصلاح ذات البين ، ولم ترق فكرة الهجر لهدى ، فذهب القوم لمحكمة شرعية ، وجرى الطلاق بعد خمس سنين من الزواج .

وظل حسن يحيا في القصر ـ فهو باسمه وملكه ، فقد تنازل له عمه عنه بعد ولادة عباس ـ ربما نكاية بهدى وزوجته .. ولكن رأينا أنه ترك لهنّ ثروة كبيرة في تلك السنوات .. وهدى بقيت فيه

وبعدما هدأت زوبعة الطلاق أخذ السيد حسن السعي إلى زواج جديد ، وتزوج شقيقة الفتاة التي كانت ستكون زوجته أخت حسناء ، لولا دخول هدى على خط الزواج .. كانت الفتاة اسمها فائزة أخت حسناء .. فحسناء كانت قد تزوجت بعد زواج حسن بشهور وفائزة أحمد هي ابنة خالته ، وأمها قريبة لأبيه أيضا .. ولما تمت الخطبة .. بدأ الاستعداد للعرس.. وأجرى الأستاذ حسن بعض التحسينات في غرفة النوم .. .. ولما جهزت العروس تعين يوم الاحتفال بالزواج .

واعتذرت السيدة هدى من الذهاب لحضور حفلة العرس ..وتقرر أن تقضي بضعة أيام في منزل جدتها أم أمها .. وذهب الناس إلى صالة الحفل للاحتفال بزواج حسن وفائزة كعادة الناس

وبعد رجوع العرسان للبيت بيومين أو ثلاثة اتصلت أم هدى ببيت أمها تطلب الحديث مع هدى ؛ لتطلب منها الرجوع للبيت .. بيت أبيها .. فردت عليها أمها دهشة أن هدى رجعت للبيت ليلة العرس .. تركت أولادها عندها ، وقالت : سأبات في بيتي عند أمي .. وأوصتني على أولادها

الهرب

كان آل الرّشاد منشغلين بالعرس ، وكانت هدى منشغلة بالاختفاء ، أقسمت الأم أمام العائلة بأنها لا تعلم من تدبير ابنتها شيئا ، ولا من أفكارها الرديئة شيئا ، فقامت الاتصالات والتحركات شرقا وغربا ، ثم وجدوا قصاصة ورقية في حجرتها تعلن فيها بأنها مهاجرة لكندا أو الولايات المتحدة ، وتطلب منهم عدم البحث عنها ، وأنها تبرأت من اسم العائلة إلى الأبد

ولما اتصل أحد أقاربها باستعلامات المطار الدولي للمدينة أكد لهم سفرها في رحلة فرنسا ، وقد أصيب القوم بصدمة كبيرة ، وعاد عباس ومريم للحياة في قصر جدهم وأبيهم .

وكان الجميع يلوم هدى على فعلتها الشنيعة بترك أبنائها من أجل ذلك الرجل ، فقد ترك خروجها الخفي جرحا في كل أفراد عائلتها الأعمام والعمات والأخوال والخالات والأقارب .. حتى فكروا بإرسال شخص أو أكثر لجلبها للبلاد ؛ ولكنهم وجدوا الأمر معقدا ، وليس يسيرا فالحكومة الكندية لن تسمح لهم بأخذها عنوة ، ولسوف تكبر القصة ، وتشيع في وسائل الإعلام وتكبر الفضيحة ، فرضخوا للسلم والعافية ، وإن كان لديهم أمل كبير بندمها ، واكتشاف خطئها الكبير في حق نفسها والعائلة الكبيرة ؛ ولربما العودة للحياة معهم .

بكى عباس أياما على اختفاء أمه ، ثم تعود على غيابها شيئا فشيئا ونسيها ، وتعلق بجدته وأبيه وزوج أبيه .

دخل المدرسة وبعده بسنوات لحقت به مريم .. وكانت حياتهم تمضي رتيبة هادئة ، لا تخلو من منغصات الدنيا .. هذا وُلد .. هذا مات .. هذا تزوج .. هذا مرض .. ويأخذ الزمن دورته .. وسنة تلو أخرى وصل عباس لكلية الطب ؛ لتحقيق رغبة الحاج عزام الذي حدد له هذا الهدف يوم حمله بين يديه لأول مرة ، حين ولادته ، قال : هذا عباس سيكون طبيبا في العائلة .. وقد ترك له جده ثروة كبيرة لتحقيق هذا الحلم .. تخرج من كلية الطب ، وكان جرح أمه الهاربة من أجل رجل يحز في نفسه ويثير الشجون في قلبه وكيانه .. ويعجب من تخليها عنه وعن أخته ، وإن عذرها بالتخلي عن أبيه .. فهذا شأنها وحياتها الخاصة ..أما هو ومريم فلا عذر لها في ذلك فيتألم كلما ذكر

هذا الألم .. بل كان يتفوه بكلمات قاسية وجارحة في حقها .. وحق كل النساء ، وقبل أن تتخرج شقيقته كطبيبة مثله ماتت جدته سعيدة .. ثم مات جده مسلم والد أبيه في أقل من شهر .

وكلما حدثه أبوه حسن عن أهمية الزواج في حياة البشر يرفض الاسترسال في هذا الموضوع ، فيقول حسن : لا يجب أن تجعل من قصة أمك عقدة لرفض الزواج .. كانت رغبة جدك عزام ـ رحمه الله ـ رفض الزواج بتلك الطريقة .. ومن ذلك الإنسان .. وأصر على زواجي منها هو وأبي كان من العار عندهم أن تتزوج الفتاة من حبيب لها .. وكانت أمك تبغضني وأعي ذلك ؛ ولكن حكم العائلة والتقاليد لها دور في حياتنا .. فغلب على ظنّنا أنها ستنسى أيام الجامعة .. بعد الزواج وبعد ولادة عباس وأخته مريم .. ولكنها ركبت رأسها كما يقولون .. ورغم أن جدك طلب مني عدم طلاقها بعد موته طلقتها .. فأمام ضغط العائلة ونشوزها قبلت بالطلاق .. ثم خدعتنا بالقصة التي تعلمها ..فلا تدع هذه الأفكار والصور أن تهدم حياتك وتعقدها ، فليس كل النساء يهربن ويعشقن .. وأنا حسب علمي لم أقصر بالعناية بكم وجدكم فعل كل شيء من أجلكم .. وضع المال باسمك في البنك وديعة وقال إذا عاشت مريم ، فليعطها عباس مما كتبت له .. وترك بيتا باسمك، وأجرته تعود إليك وإلى مريم .. وزوجة أبيك لم تقصر معكم .. هي لن تكون مثل الأم بالتأكيد .. والجدة سعيدة احتضنتكم منذ ولدتم .. فهناك نساء طيبات ورائعات يا ولدي .. ففائزة اهتمت بكم كما اهتمت بإخوتك .. فضل .. ومحمد .. راضية .. وسناء .. وعزام .. وقريبا ستتخرج مريم ، وستتم خطبتها لابن أخي محمد الدكتور يوسف .. وهو صديقك ويكبرك بسنة واحدة .. يا ولدي شريكة العمر لابد منها .. وأما فكرة السفر للبحث عن أمك فهي فكرة رديئة ، فهي لابد أنها اقترنت بذلك الفاسد الذي غرر بها ، وهي التي اختارت حياتها بنفسها .. لقد صدف أن التقيت بأخيه الأكبر .. الذي جاء يوما طالبا ليدها أيام الجامعة ، فأقر لي بأن أخاه تزوج منها بعد طلاقها وهربها إليه في كندا .. وأنا لولا ضغط العائلة ما طلقتها ، كنت أريد هجرها ولكنهم خافوا أن تنتحر أو تهرب .. عرضت عليها أن تبقى لكم ..

كان الدكتور عباس يسمع ذلك الكلام الذي يعرفه ويحفظه عن ظهر قلب .. وهو شارد الفكر فقال : أنا فكرت بالسفر إليها لعلي أستطيع الإتيان بها .. ولكن كما قلت فقد تزوجت ذاك الرجل الماكر .. ولها ذرية منه

ـ إذن علينا أن ننسى أمرها حتى تفوق ، وتعرف

حق العائلة والأبناء .. فأسع لزوجة حسناء تقر عينك بها ..وتعينك على حياة الدنيا

تنهد عباس ربما ضجرا وقال : لا تشغل بالك يا أبي بزواجي .. أنا تعقدت حقيقة من النساء بسبب أمي ، وبسبب البنات التي شاهدتهن في الجامعة .. قدمت أوراقي للعمل في طب الجيش

ـ ولكن يا ابني لا غنى لنا عنهنّ رغم عوجهنّ .. فالزواج دين ، وسنة سيد المرسلين ، وأنت سيد العارفين .

قد سمع عباس قصة زواج أبيه وأمه عشرات المرات ، ولم يضع لوما على أبيه حسن ، وإنما كان الشاب يطيع رغبة أبيه وعمه .. وهو ما زال يذكر طيف أمه التي عاش معها أربع سنوات ونصف ..ويذكر ليلة هربها ؛ كأنه يراها اليوم .. وكلما يتذكر تلك الساعات الأخيرة يتمزق قلبه ألما وحزنا وأسفا .. اعتبرها قد خانت الأمومة ، الرسالة الحقيقية للأمهات .. أخذته ومريم بسيارة أجرة لبيت جدتها .. لقضاء يومين أو ثلاثة .. نزلوا من السيارة ، وسمعها تطلب من السائق الانتظار .. وقرعت باب الجدة ، وفتحت الخادم لهم ـ كان ابن الجدة خالها قد ذهب لحضور حفل زواج حسن مسلم ـ وقالت لجدتها من بوابة البيت احفظيهما حتى ارجع .. شاهدها عباس تركب السيارة ، ولوحت لهما بيدها ، ثم اختفت ، ودخلوا البيت حيث قدمت لهما الخادم الشراب والحلوى .

وما زالت يدها تتحرك أمامه مودعة لهما .. هذه الصورة ، وهذا المشهد ما زال عالقا في ذهنه ومخيلته .. ويتسأل : كيف هان عليها فراقنا ؟! لو كان موتا لهان الأمر .. هربت .. هربت من أجل رجل أحبته ..!!

أما شقيقته مريم فهي لا تتذكر شيئا ، كانت ابنة سنة تقريبا .

وكلما يتذكر رغبة والده بتزويجه يهيج ويتضايق ويصرخ في داخله لا زواج .. لا نساء .. النساء شر ثم يتذكر قول بعضهم في ذلك النساء شر لابد منه من وضع هذه العبارة الخالدة ؟!.. ويغرق متأملا صحة هذه الحكمة والعبارة .. شر لابد منه .. لابد من امرأة في النهاية .. ولكن صديقنا الدكتور زاهر قطي يرى غير ذلك .. يرى أن النساء من نعم الله الكبرى على الذكر .. آدم لم يعش في الجنة بدون أنثى .. فخلق الله له حواء .. ويقول النساء ذوات عقول ساذجة .. بسيطة .. لا يحببن التفكير المعقد ..عاطفتهن في عقولهن .. إذا أحبت شيئا كان هو الحياة والدنيا وإذا كرهت شيئا كان هو العذاب والجحيم

عندما يتذكر عبارات زاهر قطي في النساء يقول : هل هناك غاية من النساء غير الإنجاب ؟ .. هل

حقا ما يتحدثون به عن المتعة الجنسية والحياة الجنسية ؟! أم خرافات تنتقل عبر الأجيال ، وأصبحت كأنها حقائق ؟.. هل الحيوانات تستمتع بالمعاشرة الجنسية ؟.. أم جماعها للإنجاب وبقاء الجنس والنوع .. هل يختلف الإنسان عنها ؟! .. وفي النهاية مهما فكرت وفلسفت الأمور يا عباس .. لابد من الزواج .. فليكن الزواج في النهاية

هَذَا جنَاهُ أَبِي عليَّ ... وَمَا جَنِيْتُ عَلَى أَحَدِ

ردد بيت الشاعر أبي العلاء مرات .. وقال : سألتحق بالجيش ثم أذهب للتخصص في جراحة القلب على نفقتهم في ألمانيا الغربية .. لعل انشغالي بالعلم والطب يندمل الجرح الذي يمرض قلبي .. هربت وتركت ولديها من أجل شهوة مع رجل .. حبيبها يا له من حب ! .. هل يستحق هذا الحبيب كل هذه التضحية ؟ النساء .. النساء مرض .. لقد سمعت الكثير من التعيير بسببها امرأة تترك أطفالها الصغار لأجل رجل.. يقولون هربت من أجل عشقيها .. عشقته !!..يا الله المرأة تترك الزوج من أجل أولادها .. ألم تفكر أمي بذلك ؟!.. إنها مجرمة ! .. إنها أمي !.. إنها أنانية !.. ألم تفكر بنا ؟ وما سيلحق بي وبمريم من فعلتها تلك ؟ لو ظلت على الطلاق لكان الأمر أهون .. رحماك يا الله .. أخطأت وأجرمت في حقنا !.. نحن في بلاد عربية .. العائلات لها حقوقها وتقاليدها .. نحن لسنا في أوروبا وأمريكا .. حتى لو أساء رجل للعشيرة والحمولة بحماقة .. لظل الناس في رواية حكايته .. فما أزال أسمعهم يتندرون بحكايات أموات في مجالسهم .. فلان حرامي لص مواشي .. وفلانة تخون زوجها ..حتى لو ضحكوا في وجهك وراعوا مشاعرك .. فهم يتناقلون تلك القصص .. هدى عزام هربت لكندا من أجل صاحبها الذي عرفته في الجامعة .. تركت أولادها من أجله .. الناس .. ويحنا من الناس .. ألم يقل لي ذلك العجوز عندما عرفوه عليّ وابن من أنا أنت ابن تلك المرأة الهاربة إلى الغرب ؟ يا لها من لطمة! كدت أن أثور بوجه العجوز واطرحه أرضا ما ذنبي أنا ؟ هل قلت لها اهربي مع حبيبك وما ذنب مريم ؟!.. الحمد لله ان مريم ستتزوج ابن عمها يوسف .. فهم يعرفون قصة أمنا الهاربة ، ويعرف عقدتنا .. مسكينة مريم كم رأيتها تبكي وتبكي وهي تسمع قصة الهرب الشائن وتردد ألم تفكر فينا ؟ .. لماذا يحمل الأبناء خطأ الأجداد إن حسب ذلك خطأ ؟!

هل أخطأ جدي عزام بإجبارها على الزواج من أبي حسن ؟ أين يكمن الخطأ ؟ كيف يسمح لها الشيخ بالزواج من رجل التقطته في الجامعة والكلية ؟! .. لقد قبل الآلاف الخمسة والهجرة

لكندا من جدي عزام ليختفي من حياتها .. إنه ثعبان .. لو اختفى من حياتها ما تورطت بالهرب إليه ظل خائنا يراسلها .. ألم يوجد بعد هربها بضع رسائل في حجرتها ؟ .. رغم تعهده وأخذه المال ظل خائنا .. كان أبي يعرف هذا ويصمت .. صحة الجد قد تعبت ، ولم تعد تتحمل أفعال هدى الصبيانية .. أفعال المراهقين .. حب .. هذا حب !.. أعطاني بعض الخطابات ذات مرة حتى لا أظلمه في يوم ما على طلاقها . وقال يا بني جرحت كرامتي ومشاعري .. ولكن من أجلكم ومن أجل جدكم غضضت الطرف ، وتجرعت كأس السم .. واحتفظت بهذه الخطابات حتى لا يقال يوما أنني اخترعتها لأبرر طلاقي منها .

طبيب في الجيش

تعاقد الطبيب عباس مع الطب العسكري ، وأخذ دورة عسكرية ابتدائية لمدة ثلاثة أشهر ، وأعطي رتبة عسكرية ثلاثة نجوم على كتفيه ، وستقوم الخدمة الطبية بإرساله لألمانيا الغربية لدراسة جراحة الدماغ والقلب أو أحدهما .. وألمانيا قد قسمت بعد هزيمة هتلر لدولتين شرقية تابعة للاتحاد السوفيتي ، وغربية تابعة لأوروبا والغرب وسعى حسن غير يائس لتزويجه قبل سفره للعمل في مستشفيات ألمانيا والتخصص الطبي فاعتذر ، وقال : اخترت الطب يا أبي على النساء .. خذ بالك من مريم ، فهي رقيقة المشاعر وتعاني مثلي من فعلة أمي .. لعل الجرح يندمل في قلوبنا مع الزمن .

ـ يا ولدي لا تزر وازرة وزر أخرى .

ـ ذاك عند الله سبحانه يا أبي !

تنهد حسن حزنا ، وقال : سافر وتوكل على الله .. ولنكن على اتصال دائم .. فالغربة مرة .. وهذه آخر مرة أكلمك فيها عن الزواج.. فالزواج والحياة الزوجية في فترة الشباب هي من أجمل سنوات العمر.. والإنسان يضعف مع الوقت والتقدم في العمر ..

ـ سامحني يا أبي على مخالفتي لك في موضوع النساء .. رغم حواراتنا الكثيرة حوله لم استطع نسيان حادثة أمي .. سأدعوك لزيارة بلد هتلر برلين ..

أقام حسن وليمة كبيرة وليمة وداع لبكره ، دعا إليها إخوته وأبنائهم وأبناء عماته وأخوالهم ، ودعا إليها عباس بعض رفاقه الأطباء ، وكانت وليمة وداع يذكرها الأهل لسنوات ، وقد أدخلت هذه الوليمة السرور على قلبه ، ورأى العواطف الصادقة والمزيفة من الأقارب ؛ ولكنه سعد بوليمة أبيه ، وبعد أيام ركب الطائرة مسافرا إلى فرانكفورت في ألمانيا الغربية .

استقر عباس في مدينة ألمانية ، واستقر في سكن معدا سابقا لطلبة البعثات في عمارة واسعة وعديدة

الطوابق ، وعين له مستشفى عسكريا كبيرا للعمل فيه والدراسة فيه .. وأخذ يتنقل بين عمليات الجراحة في قسم جراحة القلب وجراحة الدماغ في المستشفى والبيت .. واندمج في هذه الحياة ، وأحيانا كثيرة كان يقضي الليل في المستشفى في أقسام الطوارئ ، وارتاح نفسيا أثناء ممارسة العمل .. وفي ساعات البيت يتحدث مع مريم والدكتور يوسف زوجها .. ويتصل بوالده وبعض الأصدقاء .. استعان بخادم عجوز تعنى بتنظيف وترتيب بيته أو قل شقته .. كان عليه أن يقضي أربع سنوات على الأقل لينال الاختصاص الطبي ، ويتخلل هذه السنوات إجازات سنوية .. فحياة الاختصاص ثقافة وعمل .. ندوات طبية .. والعمل في المستشفى .. وقد كان الطبيب مجتهدا ومتفوقا .

وبشكل عام يفضل بأن يكون التمويل للطبيب في ألمانيا أو أوروبا الغربية من جهة رسمية منحة أو بعثة ، وليس بتمويل شخصي خاصة لدرجة التخصص الطبي .. ويجب أن يكون الطالب مسجلا في النقابة في المقاطعة التي يعمل فيها .. وبعد مرور الوقت اللازم للتخصص وإنهاء كل الدورات النظرية والعملية المقررة ، واستيفاء شروط غرفة الأطباء الألمانية بالتخصص (تختلف بحسب التخصص) يقوم البروفيسور أو الطبيب المشرف على التخصص بكتابة تقرير نهائي شامل لكل المراحل التي مر بها الطالب ، ويزكى للتقدم لأداء امتحان التخصص ، ودون موافقته لا سبيل لأداء الامتحان .

وهناك من يجري الفحص المحلي والتجريبي لمعرفة القدرة النظرية له من قبل أخصائي المركز الذي يعمل فيه ، وتجرى دورات تدريبية في كل سنة في المراكز القلبية لمدة أسبوع للتحضير النظري قبل التقدم إلى الامتحانات ؛ لتقييم الطبيب قبل أن يتقدم إلى الفحص النهائي.

سوف يقوم طالب الاختصاص بكتابة طلب لتقديم امتحان التخصص مرفقا بتقرير المشرف على تخصصه لغرفة الأطباء التابع لها المستشفى ، وهناك جداول للامتحانات تقوم غرفة الأطباء بعد مراجعة الملف الخاص ، وتقرير المشرف على تخصصه بإعطاء المتقدم موعدا للتقدم لتقديم الامتحان ودفع رسوم الفحص .

الامتحان هو عبارة عن مقابلة شفهية تتم بغرفة الأطباء ، ويتم من خلالها اختبار المتخصص من قبل أربعة أساتذة مختصين من مناطق مختلفة من ألمانيا أو من الأخصائيين المدعوين من خارج ألمانيا

، ولن يكون من ضمنهم أي ممتحن ممن تعمل معهم أو عملت عندهم .

يتم الفحص باللغة الألمانية ، ويدوم عادة من أربعين دقيقة إلى ساعة ، وبعد نهايته يطلب من المتقدم الانتظار خارجا لبعض الوقت ، ومن ثم ينادونه ليتلون عليه بروتوكول نتيجة الامتحان وأخذ شهادته الموقعة والمختومة من رئيس نقابة المقاطعة التي تنتمي إليها أو تقريرهم عن نقاط ضعفك والفترة الزمنية الإضافية التي تحتاجها لتقديم الامتحان من جديد

بعد الحصول على الشهادة يمكن طلب ترجمتها للغة الإنجليزية من قبل غرفة الأطباء المركزية مجانا بالإضافة إلى طلب تقيميها كأعلى شهادة يحصل عليها المتخصص في ألمانيا ومعادلتها حسب قانون الشهادات الأوربية فشهادة التخصص الألمانية أعلى من الزمالة البريطانية ، وتعادل شهادة إكمال التخصص التدريبي البريطانية ، تحصل على هذه الشهادة من غرفة الأطباء الألمانية ببرلين ومجانا .

ألمانيا هي الدولة الأولى في أوروبا التي تجرى فيها أكثر العمليات القلبية والإجراءات التشخيصية مثل القساطر { جمع قسطرة } أو إجراءات التوسيع بالبالون مقارنة مع جيرانها .

والمختص هو الطبيب الجراح العارف والمتمكن والملم نظريا وعمليا في المعالجة الجراحية لأمراض القلب المكتسبة والتشوهات الخلقية الولادية وأذيات القلب مع معالجة الأوعية المجاورة للقلب والأمراض الرئوية التي لها علاقة مباشرة أو غير مباشرة مع المرض القلبي ، بالإضافة إلى معرفة الإجراءات التشخيصية للمريض القلبي ، ومتابعة المريض أثناء وبعد العمل الجراحي ، إن اختصاص جراحة القلب تغطي معالجة وتشخيص الأوعية الدموية المتواجدة في القفص الصدري فقط ، أما الأوعية خارج القفص الصدري فهي من اختصاص جراحين الأوعية. كان المشرفون على الطبيب عباس معجبين بقدراته ومهاراته ، وقد استوعب الشاب اللغة الألمانية وخاصة الطبية بسرعة .. وعباس صاحب خلق حسن منذ بداية حياته .. وكان معقدا من البنات والنساء ؛ لذلك كان يتعامل مع الطبيبات والممرضات والمريضات بجدية ورسمية تامة .. لا يحب المزح مع الفتيات عاملات ومريضات .. وحتى التدخين بغض إليه صغيرا ، ولم يشربه إذا صح هذا التعبير .. ألا وهو قولنا شرب الدخان .. لعلهم قاسوه على شرب الخمرة والكحول . كان عباس من هواة المطالعة وبشغف مشهود منذ نعومة أظفاره .. ولعب كرة القدم في أول سنوات الدراسة ؛ لأن هذه اللعبة بدأت تغزو العالم بجمع مكوناته ، وشاعت في المدارس الذكورية ، وقد تعرض لحادث خلال

ممارستها ، ثم هجرها بعد شفائه من الكسر الذي أصابه .. وكان يهوى قراءة كتب الفلسفة والفكر والعقائد .. وكان يكره الاختلاط بالجنس الآخر ، ويتجنبه قدر الإمكان .

وكذلك السهرات كان لا يحب الإكثار منها ، وإذا حضرها كان مستمعا فحسب .. فإذا سمع بعض الأصدقاء يصفه بالمعقد .. فيقابله بابتسامة .. كان يلعب كرة الطاولة في الجامعة .. كان مغرما بالعزلة .. بعدما ارتاح للعمل والاختصاص في ألمانيا طلب من والده وشقيقته مريم زيارته والسياحة في بلاد الألمان والجرمان .

اعتذرت مريم وزوجها يوسف لشقيقها عن السفر ، وسافر والدها حسن لمدينة فرانكفورت واستقبله عباس في المطار ، واستقل وإياه سيارة تكسي إلى شقته .

وبعد استراحة لبضع ساعات خرجا للعشاء في أحد المطاعم التي يتردد عليها عباس ، وتجولا في أحد الأسواق القريبة من المطعم ، ثم عادوا للشقة .. حيث أعدت لهم الخادم العجوز القهوة بالحليب .

فقال حسن : أنا سعيد بسعادتك يا عباس العزيز.. شقتك واسعة رغم أن العائلات الألمانية صغيرة وقليلة العدد .. لا يحبون الأولاد الكثر مثلنا نحن الشرقيين .. طفل طفلان فحسب .

ـ الغالب يفعل ذلك ، وهناك عائلات تحب المواليد .. وتشجعهم الدولة أو المقاطعات على الإكثار من المواليد .. لقد عالجت نساء مريضات بالقلب ويحببن الإنجاب كنساء المسلمين .. والدولة تكفل المواليد بالرعاية والحضانة .. لتشجيع الولادات .. ألمانيا كما تعلم يا أبي خاضت في مطلع القرن العشرين حربين عالميتين .. وفقدت الكثير الكثير من أبنائها ، ولكنهم شعب قوي .. فنهض اقتصادهم وتطورهم بسرعة وعزيمة قوية .. والنساء لهنّ دور كبير بعد الحرب في بناء ألمانيا الجديدة .. وصناعة ألمانيا قوة اقتصادية كبيرة .. رغم بدايتها من الصفر لكن العقول بقيت وعمرت .. فأنا معجب بالشعب الألماني من أيام المدرسة الإعدادية حيث درسنا عن التاريخ الأوروبي .. فهم ينافسون الدول المنتصرة في الحرب الكونية .. لقد كانت الهزيمة حافزا كبيرا لهم للظهور على المسرح العالمي ، ومثلهم اليابان .. نحن العرب رغم كل الإمكانيات المادية المتوفرة في بلادنا ما زال تطورنا ضعيفا ضئيلا .. ألمانيا تصنع الدبابات والطائرات والسفن والصواريخ والغواصات .. علاقة ألمانيا بأمريكا جيدة .. وللأمريكان قواعد عسكرية هنا في ألمانيا منذ انتهاء الحرب الكونية الثانية .

ـ آباؤنا كانوا معجبين بهتلر والنازيين .. وكانوا

يحلمون بأن تنتصر ألمانيا على الحلفاء .. ويساعدونا في الاستقلال والتحرر من القبضة الانجليزية .. وهزمت ألمانيا وظهرت دولة إسرائيل ..{إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ}

لما صمت حسن قال عباس : سمعت أنك تقاعدت يا أبي ؟

ـ أنا أنهيت خدماتي مع الحكومة بعد سفرك بسنة ..وأخوك فضل سيتزوج صيف هذا العام إن شاء الله تعالى ..

ـ هل أنهى الجامعة ؟

قال : على وشك التخرج .. أختي أم مسلم تريده لابنتها .. ابنتها تخرجت من الجامعة ببكالوريوس علوم ..

ـ على بركة الله .. نفس السن هما !

ـ لا ، فضل أكبر منها ، إنما تأخر سنة في الدراسة عندما مرض ، كما تذكر .. مريم اشتغلت في مستشفى خاص .. وأكيد أخبرتك بذلك ؛ لأنها تقول إنها تتصل بك دائما ..

تنهد عباس للحظات وأجاب بحرقة : إننا نخشى الأقارب من فعل أمنا .. فأنا سعيد بزواج مريم من يوسف .. فهو شاب نشيط وصديق عزيز لي .

قال : لا أحد يستطيع لومكم .. بل هم يشفقون أو كانوا يشفقون عليكم .. وأمكم أسأت للجميع .. هي لو اتصلت به ، وطالبته بالعودة ليتزوجها بين أهلها ، لا أحد سيعترض خاصة بعد موت عمي عزام ، قد يعترض بعضهم شكليا .. من يحرم الزواج المحترم ؟! .. اختارت طريقة سيئة لفرض الأمر الواقع .. أصلحها الله يا ولدي ..

قال عباس بحزن يشبه البكاء : للأسف كنت أشعر بالنقص والهزيمة عندما أجتمع بالأقارب

ـ أنت صنعت هذا الخوف .. فليست هي أول امرأة في العالم تفعل هذا .. ولا أحد مسؤول عن غيره إذا بلغ العقل والبدن .. المرء يتحمل مسؤولية تصرفاته وأخطائه .

ـ رغم اندماجي الشديد في العمل والعلاجات .. أحيانا أعيش مع صفحات الماضي .. وإساءة الإنسان لغيره حتى لو لم يقصد ذلك سيئة وجارحة للأحاسيس والعاطفة .. وأصل يا أبي إلى القول لو أنها ماتت لكان ذلك خيرا لنا .. أما تتركنا من أجل شهوة وعاطفة فهذا الذي يحز في النفس ويقلقها .. لليوم لم استطع النسيان .

قال حسن مشفقا ومتألما: كم أود لو تنسى هذه القصة !! لتحلو لك الحياة وتفكر بالأبوة والذرية الصالحة .. الحياة مليئة بالقصص والمآسي .. كان جدك عزام متعصبا للتقاليد والأسرة كان شيئا مستهجنا تلك الأيام .. أن يرى ابنته الوحيدة التي بذل الغالي والرخيص من أجلها تأتيه بعريس من

الجامعة .. أما اليوم فيستسيغ الناس مثل هذا الزواج .. التقاليد تتحول وتتغير فلسفة الناس في بعض العادات تتغير .. فاليوم نسمع أن فلانا من الناس تزوج فتاة تدرس معه فتاة تشتغل معه .. فلذلك بدأت تظهر العنوسة في مجتمعاتنا ، وزاد سن الزواج لدى الجنسين .. فكانت صدمة لجدك أن تأتيه ابنته بعريس لها .. فرفضه بشدة وهجّره من البلد .. وفعله كان مقبولا من الناس والعائلة يا عباس .. وشاء الله أن تلدكم أمكم من صلبي أنا.. أدوات منع الحمل لم تكن شائعة كشيوعها اليوم .. كان عمي يرى الأيام دواء للنكبات والمشاكل .. وأمك أصرت على الطلاق رفضت الهجر .. وتدخل أخوالها خشية أن تحرق نفسها أو تتجرع سما .. أو الهرب .. فاستسلمت لرغبتهم .. قصص الحياة كثيرة .. والعبرة في الذكرى .. والذكرى لا يجب أن تدمر حياتنا ..ونظل نتجرع مرارتها . تنهد الشاب السامع الصامت وقال : ليتني أنسى لقد حملتني الهم منذ الصغر .. لماذا هربت أمك ؟ .. سؤال قاتل ..

ـ قلت لك يا عباس تزوج دعنا نزوجك .. مع الأسرة والأطفال ستنسى .. ستنسى .. أطفال تهتم بهم طعاما ولعبا ومدرسة .. ستنسى ما حملت من غم وهم .. فأنت في مهنة تريك مآسي البشر وآلام الناس .. الغني والفقير .. كيف يبكون ؟ وكيف يضحكون ؟ من يموت مريضهم يبكون ! .. من يشفى مريضهم يضحكون ويسرون ولو إلى حين .. عشرات يتزوجون ولا يوفقون في الزواج .. فسجلات المحاكم الشرعية تؤكد حالات الطلاق الكثيرة أن يظل الإنسان حبيس نفسه فسيدمر حياته كلها .. الأبوة حلوة يا ولدي .

أمضى الرجلان سهرة يقلبان فيها جروح الماضي وآمال الغد ، وكيف النجاة منها بعد مرور كل هذه السنين ؟



تمت الحلقة ١

التحقيق الجنائي والجريمة



الحلقة الاولى

كما هو معروف للجميع في بلادنا الشتاء قارص ، وخصوصا في شهر فبراير المعروف بشدة برده وزمهريره وكثرة أمطاره ، كان الضابط المناوب في مركز أمني (حي الأمير زين الدين) الكائن في(شارع الأمير زين الدين) يتلقى في السابعة صباحا من يوم الأربعاء هاتفا من عامل المقسم في القسم

الأمني: نقيب مالك ..مكالمة خطيرة .. هل أحولها إليك أم إلى الشاويش ضرغام ؟

فرد النقيب مالك بكسل : هاتها ثم قال للطرف الآخر على الهاتف : نعم ، معك النقيب مالك

- في حي الشمارخة في منزل قديم تحت الأرض عمارة أبي الـعنان شارع الفرسان القديم توجد جثة رجل مقتول .. هل تسمعني ؟؟

تنبهت خلايا الضابط وطار الكسل عن بدنه وعينيه وقال : أسمعك .. من...

وقبل أن يكمل الضابط المستمع استـفساراته أغلق الطرف الآخر الخط الهاتفي ، فاتصل الضابط مالك بالضابط خلدون قائد الدورية الليلية القريبة من ذلك الحي ، وأمرهم بالبحث عن شارع الفرسان القديم عمارة أبي العنان مسكن تحت الأرض ، والتأكد من وجود جثة رجل هناك ، وإجراء اللازم ، ولم تكد تصل الساعة إلى السابعة والنصف حتى تلقى النقيب مالك مكالمة من الدورية تؤكد وجود جثة ميتة قتلا في ذلك المنزل ، وعلى الفور تحركت الجهات المسؤولة من رجال الشرطة والبحث الجنائي ووكيل النيابة العامة والمعمل الجنائي والمصور نحو المكان، وأخبر الطبيب الشرعي بمكان الجريمة ليلحق بهم ، تقدم المقدم جعفر عزام نحو الغرفة الموجود فيها جثة القتيل ، فهبط إليها من درج رفيع ، وله أكثر من عشر درجات ، وفتح له الشرطي الباب وكانت الغرفة مضاءة ، ورائحة الرطوبة والعفونة تملؤها ، دخلها المقدم وبـعض من معه ، وأكثرهم وقف في خارجها لصغرها ، هي غرفة صغيرة لها نافذة واحدة صغيرة ، وعليها شبك حديد ليمنع الناس من الدخول لها ، وفي إحدى جهاتها مطبخ صغير ، مائدة فوقها غاز صغير، وبجواره مرحاض صغير هو الآخر، وفي الغرفة خزانة ملابس صغيرة وفي وسط الـغرفة مائدة صغيرة حولها مقعدان قديمان ، وفي إحدى زوايا الـغرفة سرير معدني يتسع لشخص واحد فقط ، مسجى عليه الميت حيث كان مصرعه، ومغطى بعضه بلحاف خفيف، وأسفل السرير دماء متساقطة جامدة متجمعة على سجادة أرضية عتيقة مفروشة على بلاط الغرفة ، تأمل المقدم ومساعدوه الغرفة والمطبخ والمرحاض وقلّب في خزانة الثياب، فوجد فيها حقيبة جلدية قديمة جدا ، فيها عدد من الأوراق مثل فواتير كهرباء وماء ووصفات أطباء وغير ذلك، وكان في الخزانة عدد من البدلات العتيقة، فأمر بتفتيشها جيدا ، وكان في أرضية الخزانة تحت كومة من الملابس المختلفة حقيبة أخرى متوسطة الحجم ، وكان بداخلها ملابس داخلية أقلام دفاتر صغيرة دفاتر شيكات، منها ما هو قديم ، ومنها ما هو حديث لبنوك مختلفة الأسماء ، علب سجائر ،

مسدس صغير ، البوم صور ، ولما انتهى من تقليب الحقيبة قال للطبيب الذي كان يفحص الجثة قبل نقلها لغرفة التشريح : ما تقول يا سيدي الدكتور ؟

رد الطبيب وهو يرفع السماعة الطبية عن أذنيه ويضعها في حقيبته : تم القتل عن قرب ، أكثر من رصاصتين، واحدة في الصدر ، وأخرى في الجبهة هشمت الرأس والجمجمة ، ويبدو أنه قتل وهو نائم.

المقدم جعفر : يبدو أنه قتل الليلة الفائتة ؟

رد الطبيب : أظن أنه قتل قبل أقل من اثنتي عشرة ساعة .. قبل منتصف ليلة أمس .. سيكون الوقت محددا بالدقة بعد إجراء التشريح الكامل.

نظر الضابط إلى الجثة ووجهه القتيل والثقب الموجود في الجبهة ، ثم أمر بتفتيش جيوب الميت ، وقام رجال المعمل الجنائي بما يلزمهم ، وتم أخذ الصور المناسبة، ثم أمر المقدم جعفر بنقلها إلى سيارة نقل الموتى ، وفتش الضابط السرير ونظر أسفله ، ثم خرج ليتابع رجال المعمل الجنائي عملهم من البحث عن بصمات وأخذ العينات من الدم المتجمد على الأرض أعقاب السجائر وما يهم رجال البوليس.

صعد الضابط الدرج الذي يهبط على غرفة الميت ، وأصبح في فناء خلف العمارة ، كان أحد رجال الأمن يقدم له صاحب العمارة أبا العنان ، وبعد التحية والمصافحة قال جعفر: أبا العنان بالتأكيد تعرف المجني عليه نزيل هذه الحجرة.

أبو العنان رجل كبير في السن ، دخل في العقد الثامن من العمر ، متوسط القامة بين البدين والنحيف ، يضع على عينية نظارة طبية فرد على المقدم جعفر قائلا : ساكن هذه الحجرة يا سيدي هو السيد عزمي لماعة ، وهو مستأجر قديم منذ عشر سنوات قل إحدى عشرة بل اثنتي عشرة سنة .. هو رجل غلبان ليس له أهل في العاصمة إلا أخ يعمل موظفا في وزارة الصحة ، فهو قد جاء العاصمة من سنوات طوال من قرية يقال ثلجة أو الثلجة ، وهي تبعد عن العاصمة أكثر من مائتي كيلو متر غربا .. وهو منذ سكن عندي كان أعزبا من غير امرأة وأولاد كما أعلم.. والحق أنه منذ استأجر هذه الغرفة الصغيرة لم يقصر في دفع الإيجار الشهري بل كثيرا ما يدفع مقدما لبعض الأشهر ، ولما كان يسافر وتطول غيبته يرسل الأجرة مع أخيه أو صاحب له.

فقال جعفر: هذا السكن لماذا هو صغير؟.. وكله برودة وعفونة .. كيف يسكنه بنو آدم ؟!

فقال أبو العنان: يا سيدي! عندما بنينا هذه العمارة منذ أكثر من ثلاثين سنة جعلنا هذه الغرفة ومن الجهة المقابلة غرفتان أكبر منها كمخازن للأثاث

القديم وأدوات العمل ، وقامت هذه العمارة فوقهن ، ومع الأيام وكثرة الأيدي العاملة الخارجية حولتها لسكن العزاب من المغتربين وفصلت هذا الغرفة عن الغرفتين الأخريين ، وجعلت بينهما سورا مرتفعا، ولكل منهما مدخل منفصل، والسبب سكن رجل وزوجته، وفتحت لهذه الغرفة مدخلا ثم هذا الدرج ، فأصبحت هذه الغرفة تطل على الشارع الخلفي من العمارة .. وأنا يا سيدي سكنت في العمارة سنوات كثيرة ثم تركتها منذ عشرين سنة هذا أقل رقم، وسكنت في عمارة أحدث فلا معرفة لي كبيرة بالمستأجرين سوى أسمائهم وأجرتهم .. وهذا الرجل المقتول تعرفت عليه من عشرة أعوام كما ذكرت قبل قليل ، وهو مستأجر ملتزم بالأجرة ، ولم أسمع أنه تشاجر مع أحد السكان منذ عرفته.

فقال الضابط : إذن اسم الرجل المقتول عزمي لماعة .. وهو من مواطني البلد .. أبا العنان كم مستأجرا عندك في هذه العمارة ؟

ـ في العمارة ست شقق سوى هاتين الشقتين الصغيرتين .. فكان عزمي ينزل في هذه الغرفة ، وأما الشقة المقابلة فينزل فيها ثلاثة عمال أجانب.

ـ أبا العنان .. نريد قائمة بأسماء سكان العمارة ، وأخبرهم بأن رجال التحقيق سوف يتحدثون معهم قليلا حول القتيل السيد عزمي لماعة ، ومن عنده شيء يفيد التحقيق فليخبرنا به مشكورا شجعهم على التعاون معنا.

التفت المقدم جعفر لمساعده مالك وقال : انظر هل يوجد في هذا الشارع مطعم أو مقهى أو بقالة أو محل ؟ واسألهم عن السيد لماعة ومدى اتصاله بهم

فقال أبو عنان : هذا حي شعبي كما تعلم يا سيدي الضابط .. وهذا الشارع شارع خلفي ، ولا يوجد إلا في آخره بقالة صغيرة لصاحبها وجدي حمامي أو الحمامي .. فكل المحلات في الشارع الأمامي حيث مدخل العمارة ، وهو الشارع الرئيسي في الحي.

فعاد الضابط جعفر يخاطب أبا العنان قائلا : أبا العنان لم نجد هوية أو جواز سفر في غرفة المجني عليه.. هل أنت متأكد من اسم ساكن هذه الغرفة ؟

ـ بالتأكيد يا سيدي .. فعندما يستأجر عندي شخص ما وقبل أن نوقع العقد أطلع على هويته أو جواز سفره إلا إذا جاءني المستأجر من طرف أحد الأصحاب الذين أثق بهم قد لا أسأل الشخص عن بطاقته الشخصية .. والسيد عزمي كما قلت معرفة قديمة ، وقد يكون هو أقدم مستأجر عندي ، ولابد أني اطلعت على هويته الشخصية ، قد يكون لديّ نسخة من العقد القديم الذي بيننا ثم نسينا بعد زمن تجديد العقد.

ـ إذن قد نجد عندك عقدا للإيجار؟

ـ عقد قديم .. هو قد استأجر هذه الحجرة بعشرين دينار شهريا ، وبعد سنوات زادها من نفسه إلى ثلاثين.

ـ شكرا أبا العنان ..فنحن بحاجتك في المركز الأمني لأخذ أقوالك وملاحظاتك في محضر رسمي لتوقع عليها .. وعليك مساعدة النقيب أبي جاد الله أثناء لقائه مع سكان العمارة لسماع إفاداتهم وملاحظاتهم .. لعل معلومة تساعدنا في الوصول للمجرم.

واستمر رجال التحقيق في البناية حتى الظهر، ثم رجع المقدم جعفر ومساعدوه لمركز الأمن الكبير في حي الأمير زين ، وبعد ساعة من الزمن ركب المقدم ومساعده مالك وطلبا من السائق توصيلهما إلى مستشفى الشفاء ـ وهو أحد المستشفيات الحكومية الكبيرة في العاصمة ـ ودخلا على رئيس المرضين في أحد أقسام المستشفى ، وبعد تعارف سريع ومعرفة الرئيس الغاية من وجودهم ، أرسل وراء الممرض شوكت لماعة أخو الضحية ، الذي جاء بدوره مسرعا فإذا هو شاب نحيف البدن قصير القامة ، وهو يعمل ممرضا في المستشفى منذ سبع سنوات ، فبعد أن قدمه الرئيس للضابطين ، وقدمهما له ، انسحب رئيس الممرضين بكل هدوء، فقال المقدم: أستاذ شوكت آخر مرة رأيت فيها أخاك عزميا متى كانت؟

وضع شوكت يده على صدره وحملق في الضابط السائل لحظات وقال : سيدي الضابط هل ارتكب عزمي جرما جديدا ؟!

استغرب الضابطان من هذا الاستفسار وقال المقدم بدهشة : جرما جديدا !! .. لا .. لا .. متى رأيت أخاك ؟

ـ لا أراه إلا إذا فعل أمرا سيئا ومخالفا للقانون .. قل لي ماذا فعل هذه المرة ؟

ـ سيد شوكت .. هون عليك .. هذه المرة أخوك عزمي وجد في غرفته مقتولا .. قد مات.

فارتفعت أنفاس شوكت وقال بصوت مضطرب : مات ! .. قتل ! .. لا حول ولا قوة إلا بالله .. إيه .. هذا ما كنت أخشاه عليه .. إنا لله وإنا إليه راجعون.

ثم سقط على كرسي، وقد تساقطت من عينيه الدموع، فقام الضابطان بتعزيته بالكلمات الدافئة المخففة لهذا الألم والمصاب، وبعدها قال المقدم : نحن جئنا إليك لتساعدنا وتضيف إلينا بعض المعلومات عن أخيك يا سيد شوكت.

ـ غفر الله لك يا عزمي كم نصحته ؟!

ـ متى تكلمت معه آخر مرة ؟

مسح الشاب دموعه ورد قائلا : منذ شهور .. لقد زارني مرة منذ نصف سنة .. علاقتنا الاجتماعية

ضعيفة يا سيدي لأسباب .. فمنذ أن خرج من القرية قطع عزمي علاقته بالأسرة .. ولما أتيت المدينة للدارسة والعمل هنا التقيت به صدفة، وعرفته على بيتي ، وعرفني على بيته في عمارة الحاج أبي العنان ، وكلما قبض عليه في قضية أصبح يتصل بي.

ـ سنسمع لكل أقوالك بالتفصيل سيد شوكت ؛ ولكن بعد مشاهدتك لجثة أخيك للتعرف عليه ، وبعد إجراءات الدفن فيا حبذا لو شرفتنا في مركز أمن الأمير زين .. ونرجوك أن تسير معنا الآن.

وقام رئيس الممرضين بتعزية شوكت عندما علم بموت أخيه قائلا : صبرك الله وعظم عزاءك في أخيك ، واعتبر نفسك في إجازة حتى تنتهي من مراسم الدفن والعزاء.

ضحك أو تظاهر به شوكت وقال : أي عزاء يا سيدي ! سأذهب أيها الناس للبس ملابسي وأعود إليكم.

تعرف السيد شوكت لماعة على جثة أخيه ، وأكد أنها جثة أخيه ، وأن المقتول ابن أبيه.



٢

نشرت صحف نهار الخميس من فبراير نبأ مصرع الشاب عزمي لماعة في صفحات الحوادث كأي خبر من أخبار السرقة والاحتيال التي تنشرها عادة معظم الصحف ، ولكن هذا الخبر الصغير كان مهما بالنسبة إلى رجل يسكن في حي أزهار المربع شارع الشمس ، إنه رجل كبير تجاوز الستين من سنوات العمر، مصاب بمرض شديد أقعده البيت منذ سنوات ، يتحرك في المنزل أو الفيلا على كرسي متحرك ، إنه السيد حازم عبشل الذي تعرض لحادث سير قلب سيارته، خرج منه بإصابة قوية في عموده الفقري أصابته بشلل دائم ، وكان من عادة هذا الشيخ الكبير المريض بعد أن يتناول إفطاره أن يجلس في صالون الفيلا ، وتكون الخادمة قد هيأت له المكان بإشعال المدفأة الصغيرة مع وجود التدفئة المركزية في أنحاء البيت ؛ لكنه يحب النظر إلى شعلة نار المدفأة ليشعر بالدفء ، فيجلس يشرب القهوة ، ويطلع على الصحف التي أحضرتها له الخادمة من المتجر الكبير ، فكان هذا الرجل يقرأ كل صحيفة بين يديه من أولها لأخرها ، فلما وصل صفحة الحوادث وقرأ خبر اكتشاف جثة عزمي لماعة ، لمعت عيناه ببريق خاطف ، فقد تذكر الاسم على الفور ، ولا يعتقد أنه سوف ينساه في يوم من الأيام ، فهو يعرف هذا الاسم حق المعرفة ، فكرر قراءة تفاصيل الخبر ، خبر صغير تم اكتشاف جثة السيد عزمي لماعة مقتولا في منزله ، وذكر مراسل الجريدة أن شخصا مجهولا اتصل برجال البوليس

، وأخبرهم عن وجود القتيل في منزله مقتولا بعدة رصاصات ، والتحقيق جار لكشف غموض هذه الجريمة

ولما قرأ السيد حازم الخبر عادت به الذكريات إلى أكثر من خمس وعشرين سنة للوراء .. كان يجلس في متجره الصغير في وسط المدينة عندما دخل عليه شاب صغير ذو خمس عشرة سنة ، شاب جميل الصورة يرتدي ثيابا رثة ، الفقر والبؤس مرتسمان على وجهه النحيل ، دخل الفتى يسأل صاحب المحل عن عمل عنده ، نظر الرجل في الفتى المرهق ، وسأله بضعة أسئلة عن اسمه وأهله ، فكانت ردود الفتى قصيرة ومختصرة .. اسمه عزمي.. من قرية ثلجة .. بعيدة عن العاصمة .. هرب من المدرسة لا يحبها .. ثم هرب من القرية للعمل والشغل .. أمه ماتت من سنوات طويلة .. وامرأة أبيه لم تحسن رعايته كإخوته الآخرين ، فترك القرية وجاء للشغل في العاصمة ، وله يومان يبحث عن شغل .. وكان صاحب الدكان حازم عبشل يفكر بتوسيع العمل ، فقد استأجر منذ فترة قريبة مشغلا لصناعة الثياب وتطريزها .. فرحب بالفتى وعطف عليه ، واحتضنه ، واسكنه مع العاملين اللذين يعملان عنده ، وكبر عزمي وبلغ العشرين من عمره ، وأصبح السيد حازم يعتمد عليه ويثق به ثقة كبيرة ، فكان يتركه في المحل أو المعرض الذي كبر أو يرسله للشركات الكبرى لشراء لوازم الخياطة من أقمشة وخيطان وأزرار وابر ومقصات ، بل كان يصحبه في بعض رحلاته إلى الخارج إلى قبرص واليونان لشراء الملابس الأوروبية المرغوبة في البلد ؛ بل تطور الأمر وأصبح القروي الساذج مساعدا كبيرا للسيد حازم فكان يستضيفه أحيانا على الغداء أو العشاء في بيته الكائن في شارع الشمس، ولما أنهت ابنته الوحيدة الجامعة أصبحت تمارس العمل في المعرض الكبير ، وأخذ الوالد يعتمد عليها في إدارة العمل وتطويره ، فهي ابنته الوحيدة وليس له في هذه الدنيا سواها ، ثم كان يأخذها معه في رحلاته إلى قبرص واليونان لتتعلم أسرار المهنة ، بل كان يسمح لها بالسفر مع السيد عزمي للسياحة والاستيراد ، فكان الرجل يعتبر السيد عزميا كولد له وشقيق لوحيدته ، كان السيد حازم يرى أن عزميا كابن له وأخ لابنته شيرينة إلى أن كان يوم عصيب في حياته استيقظ على أثره من سباته ، قد طلب منه الشاب عزمي يد ابنته للزواج ، فأصابت السيد حازم صدمة، ورفض بشدة .. ولكنه اكتشف مع تسارع الأحداث أن بين الاثنين علاقة عاطفية حميمة تجري من تحت قدميه منذ زمن بعيد من أيام الجامعة، حاول الوقوف في وجههما ، وفي أثناء ذلك ماتت زوجته أم شيرينة ، ولما مضت

شهور على الوفاة أعاد عزمي الكرة ، وطلب الفتاة للزواج فثار في وجهه من جديد ، ولكن تبين له أن ابنته خليلة وعشيقة له من سنوات ، فبكى قهرا وسما ، وعض أنامله ندما ، وعرف أنها ذهبت لليونان وعملت عملية إجهاض لحمل سفاح ، فجن جنونه وقضى في المستشفى أياما ، ولما تعافى وافق على إعلان الخطبة وتأجيل الزواج إلى حين آخر.

وكان حازم يعتبر نفسه أنه هو السبب في تدمير فتاته ، وأن كل الحق عليه لسماحه لعزمي بدخول بيته والجلوس مع ابنته والسفر مع ابنته، وبعد مضي سنة من إشهار الخطبة ، اتفق عزمي مع والد خطيبته أن يكون الزواج بعد عودته من رحلة اليونان ، يكتب عقد الزواج الشرعي ، وتجري مراسيم الزواج ، وتذكر الرجل المشلول.. أن عزميا لما عاد من اليونان ألقي القبض عليه في المطار، وهو يدخل كمية من المخدرات ، فعرف الناس أنه يتعاطى الهيروين ، وحبس خمس سنوات، وفرح السيد حازم لوقوع عزمي بقبضة البوليس ، وفرح لخلاص ابنته منه ، وبعد سنتين من حبس عزمي تعرفت الفتاة على طبيب أسنان كان يتردد كثيرا على المحل ـ معرض بيع الملابس الأوروبية الثمينة ـ وبعد شهر من هذا التعارف تزوجت الفتاة من الطبيب بعد أن وافق على السكن في فيلا والدها الذي ما كاد يفرح بزواج ابنته الوحيدة حتى قلبت به السيارة ، وأصيب بشلل كبير جراء هذا الحادث المؤلم ، فأصبح قعيد البيت بعد خروجه من المستشفى ، وأصبحت السيدة شيرينة هي المسئولة الأولى عن المعرض والمشغل والفروع الأخرى التابعة لشركة والدها والبيت.

كل هذا تذكره السيد عبشل وهو يقرأ خبر مقتل خطيب ابنته السابق .. ولبث دقائق أخرى يفكر في عزمي ، ثم عاد يتذكر أن هذا الرجل بعد أن قضى فترة الحبس جاء يسأله العمل من جديد ، فطردته ابنته وبينت له أن الماضي بالنسبة لها انتهى ، وأنها أضحت على ذمة رجل آخر.. واختفى بعد ذلك اليوم من حياتهم، ذلك منذ أكثر من عشر سنوات.. وها هو اليوم يقرأ نبأ مقتله ، والشرطة لم تجد قاتله بعد، لذلك ما صدق عبشل أن عادت ابنته من العمل وزوجها الطبيب باسل نصري ، وكالعادة بعد العشاء الخفيف جلسوا في غرفة التلفزيون، وتحدثوا بمواضيع الساعة حتى قال الأب المريض مخاطبا ابنته : يا ابنتي العزيزة .. هل قرأت صحف اليوم ؟

نظر إليه الزوجان وقالت البنت : لأ ، يا أبي .. هل من شيء فيها ؟!

طلب السيد حازم من الخادمة إحضار الجرائد

التي كان يقرأ بها في الصباح ، ثم قال : هل تذكرين الرجل الذي كان يعمل عندنا منذ أكثر من عشرين سنة .. السيد عزمي لماعة ؟

تبادل الزوجان نظرات الدهشة، ثم قالت وفي صوتها رنة اضطراب وضيق : نعم ، يا أبي وكيف أنساه ؟! ألم يكن خطيبي في يوم من الأيام ؟ .. أجل إني أذكره.

فقال الأب بفرح طاغ : لقد قتل ! مات قتلا!

قالت : قتل!!

وردد الطبيب مثلها وقال : قتل .. كيف ؟!

وتناول الشيخ عبشل الصحف من الخادمة ، وفتح على صفحة الحوادث وأعطى الجريدة لشيرينة، وهو يقول والحقد على القتيل ظاهر في نبرات صوته: تقول الصحف إنه وجد مقتولا في قبو في حي الشهارخة .. وقال بحقد وغضب : هذا الرجل جاءنا صبي فقير .. فشغلته معنا حتى كبر وتمرد علينا ، ورغب في الزواج من شيرينة؛ ولكن الله صرفه عنها بقضية مخدرات.. فقد تبين أنه يتعاطى المخدرات .. وها هو يلقى جزاءه.

كان الطبيب باسل يسمع هذا الكلام ، وهو ينظر بطرف خفي إلى زوجته التي كانت تقرأ الخبر، وفي نفس الوقت تسمع كلام أبيها الحاقد ، وكانت شيرينة تـقرأ وفي يديها رجفة لحظها الأب فقال : ما بك يا شيرينة ؟

قالت بضعف : لا شيء .. تذكرت الماضي.

فقال الدكتور : أي ماض يا عمي ؟

تظاهر الشيخ بالضحك وقال : هذا الرجل كان في يوم من الأيام خطيبا لابنتي الوحيدة قبل أن نعرفك يا حضرة الدكتور .. فأنا أذكر أن شيرينة حدثتك بأنها كانت مخطوبة قبل أن تتـعرف عليك ، وهذا الخطيب قبل الزواج قبض عليه بمحاولة تهريب كمية مخدرات ، فحبس على أثرها بخمس سنوات فتخلصنا منه ، فهذا الرجل المعلن عن مقتله اليوم هو الخطيب السابق لابنتي .. الحمد لله الذي كفانا شره يا ولدي يا باسل .. لقد كان كابوسا كبيرا يجثم على صدري كان يدعي أنه يحب شيرينة حبا كبيرا حتى صدقته ابنتي الغالية ، وقبل أن يقع في قبضة العدالة جاءني قائلا : يا عم حازم .. بعد رجوعي من اليونان سنكتب الكتاب لقد طالت فترة الخطبة .. ولما سمعت بالقبض عليه فرحت فرحا كبيرا ، لقد كان كابوسا وقد انزاح عن صدري.

فهمس الطبيب : لعلك حزينة عليه يا شيرينة ؟

وضعت شيرينة الصحيفة وقالت وهي تحدق النظر في عيني زوجها : أبدا يا باسل .. هو ماض بالنسبة لي ، وكما قال والدي لقد كان كابوسا ضخما يخيم على قلوبنا .. وهذا مصير كل مجرم ـ وقالت العبارة الأخيرة وهي تضغط على أسنانها ـ

ثم أردفت قائلة وهي تـقوم : أريد أن أنام أشعر بصداع شديد في رأسي.

قال الطبيب وهو ينهض : على كل حال هو كابوس وانزاح عن صدور الجميع يا شيرينة .. نامي نومة هادئة .. في غرفة النوم العلبة الخضراء فيها أقراص مهدئة .. تصبح على خير يا عمي .. سأتحدث بالهاتف من المكتب ثم ألحق بك يا شيرينة.

٣

اطلع المقدم الشرطي جعفر على ملف عزمي لماعة الموجود في دائرة مكافحة المخدرات ، فتبين له أنه متعاطي أكثر منه تاجر ومروج ، وقد أمضى محكوميته الأولى في السجن كاملة ، وقد تمت معالجته في مستشفى الإدمان التابع للسجن ، ولكنه بعد سنتين من خروجه قبض عليه مرة أخرى مع مجموعة على شاكلته يتعاطونها ، فعوقب بالحبس بضعة أشهر ثم عفي عنه ، وبعد سنوات وجد معه كمية من المخدرات يحاول ترويجها ، وفي السنوات الخمس الأخيرة من عمره لا يوجد له أي قضية مخدرات ، فلما قرأ هذه المعلومات مفصلة قال لمساعده النقيب مالك مستـفسرا من غير أن ينتظر إجابة: هل كان مقتله بسبب المخدرات ؟!

رد النقيب مالك بحيرة : لم نجد في البيت منها شيئا.. حتى الشباب الذين يجالسهم على المقهى ذكروا أنهم لم يعرفوا عنه مثل هذا الأمر ـ وهو التعاطي للأفيون أو الهيروين ـ وسكان العمارة لا يعرفونه ، ولا يختلطون به نهائيا ، وهو نفسه لم يختلط بهم .. صاحب المطعم القريب من العمارة في الشارع الرئيسي في الحي قال إنه من النادر أن يأكل عنده .. ولكن الشاب الذي يبيع في المحل الصغير في ناصية الشارع الخلفي ذكر لنا أنه في التاسعة مساء تقريبا ليلة مقتله شاهده واشترى منه صندوق سجائر ، وقد لحظ أن شخصا كان معه ينتظره في وسط الشارع وأخذ العلبة وسار نحو بيته .. وبما أن الليلة كانت ماطرة وباردة فكل الناس في بيوتهم.

فقال جعفر : ما العمل الذي كان يعمل به قبل مصرعه ؟

ـ صاحب المقهى الشرقي يقول إنه بطال لا يعمل منذ عرفه من سنتين أو ثلاث لم يسمعه يتحدث عن مهنة أو وظيفة ويقول العجيب أنه يدفع كل ما عليه وأحيانا كثيرة يدفع عن جلسائه..

فعاد المقدم يهمس : لماذا قتل إذن ؟! لماذا قتل ؟ كيف كان يحصل على المخدرات والمال؟ لابد من مراقبة المقهى جيدا .. هؤلاء الرجال الذين يجلسون معه لا يعرفون منزله .. إنها صحبة مقهى فقط .. حقيقة أن منزله لا يوحي أنه كان يستقبل

فيه أحدا ..فلا يوجد فيه إلا غطاء لشخص واحد .. ثلاجة صغيرة فيها خمر .. من المهم أن نعرف المكان الذي كان يشتري منه قوارير الخمر .. من أي خمار يا مالك؟ .. نريد خيطا نمسك به .. تقرير المشرحة يقول إنه قتل بعد العاشرة ليلا بخمس رصاصات ومن مسدسين مختلفين .. لماذا هذا أيضا ؟

ـ غريب فعلا !.. المقهى تحت المراقبة وكذلك البيت.

ـ الصور الموجودة في الألبوم كم عددها ؟

ـ ثلاث وعشرون صورة .. كلها صور على شاطئ البحر .. والعجيب أنه وحده في الصور أو بعض الآدميين البعيدين عنه إلا في صورة واحدة أو اثنتين مع ممثلة شابة ، كما قال خبراء الصور وهي ممثلة أجنبية .. هذا الشاب مغرم بالسفر كما فهمت من أخيه شوكت .. ولكن أين جواز سفره ؟ .. أين بطاقته الشخصية ؟ .. لم نجدهما في القبو ؟!

قال جعفر : حتى أرصدته في البنوك ضئيلة ، وجدنا له في بنك الأمة خمسمائة وستين دينارا ، وفي بنك أهل السعادة مائتين وعشرين دينارا.

ـ سنقابل المحامي الذي كان يترافع عنه أمام المحاكم.

ـ لا بأس من ذلك.

ـ قد نجد عنده شيئا .. أو طرف الخيط كما قلت.

ـ المهم يا مالك المقهى .. دع رجالنا يهتموا به كثيرا ، وسأتحدث مع المقدم سالم عبده ليهتم بأمره .. والآن أرسل لي الحقيبة أنظر فيها مرة أخرى.

ـ الصغيرة أم الكبيرة ؟

ـ الكبيرة يا صاحبي قد أجد فيها شيئا جديدا.. أخو القتيل شوكت هل سمعتم أقواله ؟

ـ أتى أمس السبت وحدثنا عن أخيه ، فأخبرنا أنه هرب من القرية وعمره أربع عشرة سنة ، وكان قد أخبر أحد أبناء القرية برغبته بالهرب للمدينة ، ولم يكترث والده بهربه ، ولا أم شوكت التي هي زوجة أبيه ، ولقد كان وحيد أمه الميتة ، وله أخت من أمه كانت أصغر منه بسنين ، ولما بلغت سن الزواج زوجها أبوها لرجل من البلدة .. ونسوا السيد عزميا ، ولم يهتموا بهربه كثيرا لأنه أرسل إليهم بعد وصوله المدينة بشهور رسالة يذكر لهم فيه أنه حي ، وأنه يكرههم ، ولا يريد العودة للقرية ، ولا يسألون عنه ، وقال شوكت وكان له ذلك ، ولم نعد نهتم به أو نسأل عنه لـقد نسيناه ؛ ولكن قبل سنوات تخرجت من الجامعة كلية التمريض والتحقت بالمستشفى الحكومي في العاصمة.. فالتقيت بأخي صدفة في قسم الطوارئ .. لقد جيء به مدعوما بسيارة في أحد الشوارع .. ولما عرفوا اسمه ، اتصل بي زميل في قسم الطوارئ في اليوم التالي أن شخصا يحمل اسم عائلتي تم

إسعافه ليلة أمس وإدخاله المستشفى أثر حادث سير، فذهبت إليه وهكذا التقيت بأخي .. ولما تعافى خرج بدون معرفتي.. وقبضت عليه الشرطة مرة ، فاتصل بي على المستشفى فذهبت إليه ، وحاولت مساعدته، وهكذا كنت ألتقي به .. ولما سجن عدة مرات كنت أحيانا أمر عليه في سجنه .. وأدفع عنه أجرة الغرفة للسيد أبي العنان .. وقال إنه يتعاطى الهيروين وسجن أكثر من مرة بسبب ذلك .. وقال أيضا علمت مرة أنه متزوج ؛ ولكني لم أر زوجته يوما ما ، ولا أعرفها ولم تتصل بي قط



قال جعفر : الدنيا عجايب .. شخص مثل هذا ليس له صديق وصاحب.

ـ لابد أن له أصدقاء ؛ ولكنهم خائفون من الظهور .. وهذه جريمة قتل .. والناس تخاف من جرائم القتل .. وهي جريمة لحتى الآن غامضة.

فعاد جعفر يسأل قائلا : وزوجته التي أشار إليها شوكت هل سألتم عنها ؟؟

ـ من نسأل ؟!.. شوكت لم يرها ولم يعرفها ..والبيت الذي قتل فيه لا يصلح للزواج .. لا يوجد فيه لوازم بيت الزوجية، موقد غاز صغير، ثلاجة صغيرة لا يوجد بداخلها شيء .. ماء وخمر فقط .. خزانة ملابس صغيرة.

ـ لقد نشرنا خبر مقتله في صحف مختلفة ، فلو كانت له زوجة لابد أن تسأل عنه وتتصل بنا .. ولكن ممن علم شوكت قصة زواجه ؟.

ـ قد يكون منه.. عزمي أخبره بزواجه؛ كأن يقول له إنني تزوجت .. ويمكن زوجته يا سيدي إذا كان له زوجة لم تعلم بخبر موته بعد إذا كانت موجودة حقا .. وإذا كان هناك زوجة معنى ذلك أن له بيتا آخر ، ولكن شوكت لم يشر إلى ذلك

فقال جعفر : لابد أن له بيتا آخر يا مالك..

ـ كيف نصل إليه ؟

ـ سوف نصل إليه .. أين جواز السفر؟ وقد علمنا أنه كثير السفر.. أين الهوية الشخصية ؟ .. هذه قرائن تدل على سكن مجهول.

قال مالك : قد يكون القاتل يا سيدي قد أخذ هذه الوثائق!

هز جعفر رأسه وهتف قائلا : لماذا يأخذها ؟! لماذا قتل السيد عزمي لماعة ؟!

٤

بينما كان الممرض شوكت لماعة يجلس مع زملائه في العمل في قاعة استراحة الممرضين يشربون الشاي والقهوة ، اقترب منه المقدم جعفر محييا فنهض مسلما على المقدم ، وبعد السلام والترحيب المعتاد قال المقدم : هل يمكن أن ترافقني خارج القاعة بضع دقائق ؟

فرد شوكت : على طول .. أنا في خدمتك يا سيدي فاستأذن شوكت من الزملاء ، ومشى مع المقدم جعفر الذي قال : نأسف لإزعاجك مرة أخرى .. نحن أخذنا أقوالك بالتفصيل ؛ ولكن كما تعرف يا سيد شوكت أننا نحقق في جريمة.. جريمة قتل غامضة.. فيخطر في بالنا أفكار وملاحظات وخواطر أثناء مراجعاتنا لما يتجمع لدينا من معلومات ..فنحتاج لمساعدة أهل الضحية أو أصدقائه للاستفسار والمعرفة.

ـ تكلم يا سيدي .. واستفسر عما تشاء.

توقف الضابط وشوكت في طرف الممر الذي يمشيان فيه وقال جعفر : سيد شوكت .. جاء ضمن أقوالك أن أخاك متزوج .. كيف عرفت هذا ؟ وأين زوجته الآن ؟؟

ـ نعم ، ذكرت لكم أنه متزوج ، ولكني لم أر زوجته ألبته .. هذا حدث منذ أكثر من ثلاث سنوات أو أكثر .. كنت مع زوجتي في عيادة نسائية .. فوجدت أخي عند نفس الطبيبة في قاعة الانتظار.. فاستغربت من وجوده ، فأخبرني أنه أتى ببعض الفحوص المخبرية ليعرضها على الطبيبة.. ولما سألت عن هذه الفحوص لمن ؟ .. قال لي إنه تزوج امرأة منذ شهور.. وتراجع الزوجة عند هذه الدكتورة ولادة بخصوص الحمل وأمراض النساء .. ولما خرجت زوجتي من عند الطبيبة ودعناه وانصرفنا .. ليس بيننا زيارات عائلية ، فلذلك لم أفكر بالتعرف على زوجته أو أدعوهما للبيت..

قال الضابط : جيد سيد شوكت .. متى كان هذا اللقاء بالضبط عند الدكتورة ؟؟ أتحتفظ بأوراق ووصفات طبية تساعدنا بمعرفة هذا التاريخ ؟

ـ كان هذا منذ سنوات يا سيدي .. ولا أذكر الآن لماذا زرنا الطبيبة بالضبط ؟.. ولكن يمكنني أن اسأل زوجتي إذا أحببت .. ولكن لماذا كل هذا الاهتمام ؟

فردد الضابط كلمة لماذا ثلاث مرات ثم قال : سأقول لك لماذا ؟ نريد أن نصل لهذه الزوجة .. لعلنا نعرف منها شيئا ينير لنا طريق الوصول للمجرم .. فإذا عرفنا تاريخ اليوم الذي زرتم أو التقيتم فيه في العيادة .. فقد نتعرف من سجلات الدكتورة على عنوان الزوجة المجهولة .. رغم نشرنا للحادث بالصحف لم تتصل بنا هذه الزوجة !

ـ قد لا تحتفظ الدكتورة بأي عنوان.

ـ ممكن ذلك ؛ ولكن كما هو معروف أن المريض يذكر اسمه وسنه ومكان إقامته لطبيبه إذا كان له ملف عند طبيبه.. أريد منك عنوان الطبيبة يا سيد شوكت .. هل ترى أن أخاك صادق بموضوع زواجه ؟

ابتسم شوكت وقال : وإلا ماذا كان يفعل في عيادة نسائية ؟! ..هي طبيبة معروفة في قلب العاصمة ولادة محمد محمد أخصائية توليد ونساء .. عيادتها في شارع النجمة الرابعة.

ـ فإذا عرفنا تاريخ لقائك بأخيك داخل العيادة ، فلربما من سجلات المواعيد القديمة عند الدكتورة نتعرف على مكان سكن عزمي أو سكن زوجته إن كان هناك زوجة ..فمن غير المعقول أن يتزوج أخوك في القبو الذي يستأجره عند أبي العنان ؟! ..وربما يكون قد تزوج وطلق أو ماتت زوجته .. المهم نتأكد من موضوع زواجه .. فرغم نشرنا خبر مقتله فلم تتحدث معنا زوجته.

ـ ربما لم تقرأ الخبر؟

ـ ربما.. ولكن غياب الزوج عن البيت عدة أيام مقلق للزوجة والأولاد مما يدعوهم للاتصال هنا وهناك .. أليس كذلك ؟

ـ بلى يا سيدي إلا إذا كان مطلقا أو أرملا .. سأبذل جهدي .. وأنا تحت أمرك وإذا وجدت شيئا سأتصل بكم على السريع.

ـ تحياتي سيد شوكت أي معلومة أو خاطرة ترى أنها تساعدنا.. تساعد العدالة فلا تبخل بها علينا .. شكرا والسلام عليكم.

ـ شكرا لك سيدي الضابط .. في رعاية الله.

غادره المقدم جعفر إلى حيث عيادة الدكتورة ولادة ، وتحدث مع السكرتيرة بضع دقائق ، ذكرت له أنها تعمل عند الدكتورة منذ شهور قليلة فقط ، ولما خرجت المريضة من عند الدكتورة دخلت عليها السكرتيرة لتستأذن للضابط ، فقامت الدكتورة بنفسها ترحب بالمقدم وأدخلته مكتبها وطلبت له فنجان قهوة ، ولما جلست رحبت به ثانية، وبعد المجاملات التقليدية قال لها جعفر : سيدتي ..أنا المقدم جعفر ضابط أمن وشرطة .. ـ وقدم لها بطاقة العمل ، وتناولتها من يده ، ونظرت إليها ثم أعادتها له ـ وقالت : ما المطلوب مني يا سيدي الضابط ؟!

أوجز لها الضابط القضية والغاية من الزيارة ، فلما استوعبت الموضوع قالت : على كل حال الأجندات ودفاتر العيادة كلها موجودة عندي ..ولكن إذا لم نعرف اسم تلك المريضة فمن الصعب أن نصل إليها.. فأنا لا أكتب اسم الزوج في بطاقات الفحص أو المراجعة والمواعيد حتى العناوين ليس دائما نسأل المريض عنها .. فإذا عرفنا اليوم والسنة التي التقى فيها الأخوان تسهل المهمة نوعا ما ..وإذا لديك طريقة معينة فالدفاتر والسجلات كلها بين يديك .. فهي في مخزن صغير فوق هذا الحمام الصغير..

ـ اللقاء بين الأخوين حدث قبل سنتين أو أكثر .. لو رأيت صورته .. أيمكن أن تتذكريه ؟

ردت بابتسامة صغيرة : ليس بالتأكيد .. فصور رجال كثيرة رأيتها خلال السنتين الماضيتين .. فقد قابلت وجوه كثيرة ..مئات بل ألوف .. إلا إذا كان فيه شيء مميز عن باقي خلق الله..

- الحق أن وجهه ورأسه ليس بهما شيء ملفت للنظر .. هذه صورته.

وقدم لها صورة من صور الألبوم الذي وجدوه في الغرفة ، دققت الطبيبة النظر في صورة القتيل ، وقد سرت في جسدها رجفة عندما تصورت أن هذا رجل قتيل ، وبعد نظر دقيق وطويل قالت وهي تهز رأسها بالنفي : للأسف يا سيدي .. لا أذكر أني رأيت هذا الوجه .. وإذا جاءني مرة لا أعتقد أني رأيته غيرها.

أخذ الضابط الصورة وهو يقول : حسن .. إذن الأمل الوحيد أن نـعرف متى كان عندك في العيادة .. على كل سنحاول معرفة يوم التقاء الأخوين ، وقد نعود إليك مرة أخرى.. أشكرك أيتها الطبيبة واعتذري عنا للمرضى .. شكرا على القهوة أيضا ورشف آخر الفنجان ونهض مودعا وهو يقول لنفسه : سأزور المقهى الشرقي وأشرب كوبا من الشاي وأطمئن على رجالنا .. الجريمة ليست عليها بصمات المهربين .. وعزمي لا يبدو من ملفاته القديمة مهربا ..إنه متعاطي .. وإذا قام بالترويج إنما للحصول على بعض المال .. منذ خرج من السجن أول مرة قبل خمس عشرة سنة ويلف حياته الغموض .. وقبل ذلك أيضا .. دخل المدينة ابن أربعة عشر عاما .. ماذا كان يعمل ؟ ما مهنته ؟ ماذا كان يفعل باليونان ؟ قبض عليه في المطار قادما من اليونان ؟ من شركائه ؟ أخوه شوكت لا يعرف عنه شيئا .. أو يعرف ولا يريد الكلام .. لا إنه شاب طيب وهادئ ومتعاون ..بعد المقهى سأمر على صديقي حمداني فهو رجل بوليس دولي مقتدر وبارع ..فقد أثبت للجميع على قدرته في حل كثير من غموض الجرائم ..فيستعان به في دول أخرى ..قد أجد عنده نصيحة ومساعدة تنير لنا الطريق أكثر فأكثر.

تمت ح ١

قصص وحكايات الفوارس







الحلقة الأولى

الفتى زهلول

أكثر سكان بلاد الماء فقراء ، وهي بلاد مزدحمة بالبشر ، وكان يحكم هذه البلاد حاكم طاغية جبار ، لا يفكر في إسعاد رعيته وشعبه ، كان همه الأول التمتع بالشهوات والموبقات، وهمه الثاني المحافظة

على تاجه من الهلاك ، فهو لا يفكر بإغناء رعيته وتدبير أمورها ، ومراعاة أحوالها والبحث عن إسعادها ، في هذه البلاد بدأت حكاية الفتى زهلول ، وزهلول هذا غلام قد ماتت أمه وتركته في حضن أبيه ، وعمره عشر سنوات ، وله أخت تكبره بسنوات ، وكان والده من أفقر الناس في بلاد الماء ، لا يملك قوت يومه، ورغم ذلك فهو يبحث عن اللهو والخمر والميسر، ويمارس الرذائل والفواحش باستهتار فلا رادع من دين أو مكارم أخلاق أو حاكم يمنعه .

وكان هذا الغلام يعيش عند هذا الرجل الفاجر ، فلذلك كان زهلول يتنقل من بيت لآخر متسولا لقمة قوت يسد بها رمقه وجوعه ، وأخته تفعل مثله ، والأب غير مكترث ومهتم بذريته وذات يوم عاد الغلام للبيت الحقير ، فوجد فيه امرأة ذات شكل قبيح ومخيف ، فسأل والده عنها فصرخ في وجه : يا منحوس ! قم قبل يد امرأة أبيك .. هذه أمك الجديدة .

فنفذ الفتى المنحوس الأمر ، وأخذ جانبا من البيت ، وظل فيه يبكي حتى الصباح عندما سمع زوج أبيه تصيح فيه، وهي ترفسه بقدمها قائلة بصوت غليظ: أيها الأحمق! أما زلت نائما ، والناس قد ذهبوا إلى أعمالهم .. اخرج وابحث عن رزقك ، ولا تعد للبيت إلا بدينار وإلا طردتك شر طردة وإلى الأبد ، ودفعته بقدمها ثانية ، فنهض مسرعا ، وقد عاد إليها في الليل ، وقد تسول دينارا ، فأخذته منه ، وأعطته كسرة خبز يابس ، وفعلت أخته تينة مثله ، وإذا احتج زهلول على الطعام والعيش ، أو اشتكى لأبيه من ظلم زوجته ، يأكل عددا من العصي والرفس والبصاق ، فرضي الفتى بالذل والهوان والخنوع .

وكان والده دائما بجانب أمه الجديدة ، فكره زهلول هذه الدنيا ، وبدأ يفكر بالهرب في هذه الدنيا ولكنه يحزن على أخته أن يتركها وحيدة تقارع زوج أبيه ، فيصبر ويحتمل البقاء تحت جناح زوج أبيه إلى أن جاء يوم ، فعندما رجع الفتى ليلا وجد رجلا غريبا يجلس مع العائلة ، فلما سأل عنه أخبر أن هذا الرجل زوج لأخته تينة فسكت ، وبعد أيام تزوجت أخته ذلك الرجل ، وانتقلت لبيت جديد ، فرح زهلول لزواجها وتخلصها من زوجة أبيه جرادة ، وذات ليلة عاد زهلول للبيت وقد فقد الدينار ، فلم تصدقه جرادة ، وانهالت عليه بالضرب والصفع والبصاق والشتم حتى حضر والده من لهوه وعبثه ، فشاركها في ضربه وتحقيره ، وطرده من البيت ، فخرج هائما على وجهه لا يدري أين يبيت ليلته ؟ فانطلق هاربا إلى غابة الجن ليتخلص من شقائه وتعاسته ووصلها مع نصف الليل ، وهو منهك القوى من الضرب

والمشي ، وسار فيها حتى جلس تحت شجرة ونام من شدة التعب والجوع والإرهاق .

قبل الفجر بقليل حضرت مجموعة من الجنيات ، بينهن جنية جميلة تلبس ثيابا زرقاء مخالفة لثياب وملابس الجنيات الأخريات، وكان معهن غلمانهن، فأشعل بعض الغلمان الفوانيس المختلفة الألوان ، وعلقوها على أفنان الشجرة التي ينام تحتها زهلول الغلبان ، وقاموا بترتيب المقاعد الذهبية التي ستجلس عليها الجنيات، فاصطدم أحد الغلمان بجثة زهلول المتكوم فوق بعضه البعض ليدفئ جسده ، فصاح يقول إنسان! فسمعته المرأة ذات الثوب الأزرق ، فاقتربت منه وهي تقول : إنسان في غابة الجن!! .. لا تلمسوه .. تمهلوا .. إنه نائم دعوه غلام يبدو عليه الإرهاق الشديد .

وجلست الجنيات على مقاعدهن ، وأخذن في الحديث والسمر، وكل منهن تتحدث عن بلدها وأهلها وأحلامها ، وجاء الغلمان بالطعام والشراب ، فأكلن وشربن وعدن للحديث عن أخبارهن وحكايتهن وأزواجهن وعشاقهن ونوادرهن ، وقد استيقظ زهلول على أصوات ضحكهن ومرحهن ، ففتح طرف عينيه فظن أنه في حلم ، فبحلق بعينيه وتطلع يمينا وشمالا ، فتأكد له أنه في يقظة ، ثم سمع إحداهن تقول للمرأة صاحبة الثوب الأزرق : يا زمردة ما أخبارك ؟ أراك لا تتحدثين كثيرا ؟!

فنظرت الصبايا لزمردة ليسمعن جوابها ، فابتسمت لهنّ وقالت :إنني أحب الاستماع منكن يا صديقاتي الغاليات .

فقالت واحدة منهنّ : لقد تكلمنا كلنا عما جرى معنا في سنة مضت ، ولم نسمع منك شيئا يا أميرة زمردة .

وبعد إلحاح شديد من الصبايا قالت زمردة : سأقول لكنّ يا عزيزاتي الأميرات ، لي ابن عم لا أحبه ؛ ولكن أبي الملك يحبه كثيرا ، وهو والحق أقول فارس عنيد وبطل مغوار ، له دوره في المعارك والأحوال ، وقد خطبني هذا الفارس ـ وهو ابن عم لي كما قلت ـ من والدي الملك منذ شهور ، ولما حدثني أبي بذلك رفضته واعتذرت ؛ ولكن أبي يصر على الأمر، ومع هذا فهو لا يريد إرغامي واجباري ، وما زال الأمر والعرض ساريا ، هذه حكايتي ولا جديد عندي .

فقالت واحدة منهن : ولماذا لا تقبلين به ؟!

ابتسمت زمردة وقالت : رغم شجاعته وقوته إنني كرهته ، فقد خطب فتاة قبلي ؛ ولكنها هربت منه ، واختفت من مملكتنا ، فطلبني فنفرت منه ولم أهواه ، ومن أجل ذلك لا أرغب به زوجا .

وفي هذه اللحظات اقترب منهن أحد الغلمان فقال

: أيتها الأميرات اقترب شروق الشمس ألا تردن العودة إلى منازلكنّ ؟

فقال زمردة : بلى .. ألم يستيقظ الإنسي بعد أيها الغلام؟ ..أيقظوه ؛ لنسمع حكايته وما الذي رمى به على غابة الجن ؟!

فذهب الغلام حيث يتكوم زهلول وهزه موقظا له ، وكان زهلول يسمع ما يقولون ، وأدرك أنهم يعلمون بوجوده ، فتظاهر بالنوم ، ولما حركه الغلام الجني تظاهر بالاستيقاظ ، فقال : أين أنا ؟! من أنت ؟! .. من أنتم ؟! وفرك عينيه فسمع الغلام يقول : تعال .. كلم الأميرة .

ولحق زهلول بالجني ، وثيابه الرثة والقذرة وشعره المنفوش وعيونه الحمراء من البكاء والحزن دالة عليه وعلى بؤسه ، حتى وقف بين يدي الأميرات .. فقالت له زمردة : أيها الغلام ما قصتك ؟!

فقال : أنا جائع أيها الناس ؟

فقالت زمردة وابتسامة رسمت على وجهها : نحن جن أيها الإنسي.. هاتوا له ما فضل من الطعام ، وحدثنا بقصتك وأنت تأكل ، فنحن في عجلة من أمرنا وعلى انصراف عاجل .

فروى لهن قصته ، فأشفقت عليه زمردة ثم قالت : نحن نأتي هذا المكان كل سنة مرة أيها الغلام الشقي ! لنتسامر ، وقد اجتمعنا من أقطار الدنيا.. وهذه غابة لا يدخلها إلا الجن ؛ ولكن يبدو أنك محظوظ ومحفوظ ، وأنا قد أحضرت معي كيس الطعام السحري، وسأهبه لك لحزني وعطفي وشفقتي عليك .. فيا زهلول المسكين! إذا احتجت لطعام في رحلتك في هذه الدنيا فافتحه وقل بسم الله أريد صنف الطعام كذا .. أي طعام تشتهه، ومد يدك في الكيس وتناوله فسيكون لك ما طلبت ..احفظه جيدا من اللصوص والمحتالين ومن الضياع وداعا أيها الغلام هيا أيتها الجنيات الرفيقات .

واختفين مع بزوغ الشمس عندما ألقت نورها على الأرض ، ونظر زهلول للكيس الصغير الذي وهبته له الجنية زمردة ، وفرح به عندما جربه ، وقال وكله سرور : الآن اجتاز هذه الغابة وأنا مطمئن على أكلي وشربي ، سأمشي في هذه الدنيا لعلي أجد في بلد ما خيرا من بلدي واسكنها لن أعود لبلدي التعيس إلا وأنا من أثرى الناس .

كيس الفتى زهلول

ظل زهلول يمشي على قدميه المنهكتين من التعب حتى خرج من الغابة الضخمة مع غروب الشمس لطولها وكثرة أشجارها وأغصانها المتشابكة ، ولما غربت الشمس وبدأ دخول الليل كان يدخل قرية

من القرى القريبة من غابة الجن ، واسنمر يمشي حتى رأى نور فانوس من أحد البيوت، فمشى إليه حتى انتهى إليه، فقرع الباب ، فسمع صوتا يقول : من الذي يطرق الباب؟

فصاح زهلول : أنا زهلول غريب يا صاحب الدار! ففتح القروي العجوز باب بيته ، وهو يقول : مرحبا بالغريب .. يا بني ما الذي جاء بك إلى هنا؟!

وادخله القروي البيت وهو يقول: يا ولدي! لا أدري ما أضيفك به ، فأنا رجل فقير طعامي ضئيل؛ ولكن سوف استعين بأبنائي، وأطلب منهم طعاما لك، لعلهم يشفقون عليك يا غلام

فرد زهلول بسرعة: لا أريد طعاما أيها الشيخ الكبير! فقط أريد المبيت عندك للصباح ؛ لأتابع مسيري في هذه الدنيا ؛ ولسوف أكرمك الليلة بطعام لم تذق له مثيلا لا أنت ولا أولادك .

فقال الشيخ القروي متعجبا ومتلهفا: أمعك طعام أيها الفتى ؟ أين هو؟! إني لا أرى في يديك شيئا .. فحتى ثيابك تدل على أنك تعيس مثلي .

تبسم الفتى زهلول وقال : لا بأس أيها الشيخ ! لا تنظر لثيابي الممزقة القذرة .. فلسوف تفرح الليلة فرحا تحدث به كل الجيران ، فلسوف تأكل طعام ملكات الجآن ، طعاما لم تأكل مثله في حياتك الماضية قط .

فقال الشيخ المذهول بما يسمع : فتحت شهيتي يا غلام!.. هل أنت ساحر لتجلب لنا الطعام الذي تصف؟!

فقال زهلول المسرور بما يقول ويعرض : أيها الشيخ ! .. استدعي أولادك وزوجتك لنأكل معا وعلى بركة الله .. أنا لا أسخر بك أيها الشيخ الكبير!.. افعل ما أقول لك ، وسأجزيك مقابل فتحك لي الباب وسماحك لي بالمبيت في بيتك أيها الشيخ .

فنادى القروي الكبير زوجته وأولاده الذين يسكنون بجواره ، فجاءوا هم وزوجاتهم وأولادهم ملبين مسرعين ، فاجتمع في بيت الشيخ أكثر من عشرين نفرا ، فلما علموا الأمر ، قال أحدهم وهو يحدق النظر على زهلول وثيابه البالية: ألهذا الغلام دعوتنا يا عجوز السوء؟! من أين له بالطعام ؟ وأجزم أن ثيابه قد لبسها منذ بضع سنين ، إنه غلام فقير قد طرده أهله من الجوع والفقر .

فقال زهلول مبتسما: أيها الرجل .. اصبر.. ولا تكثر الكلام ، لا تعجل ، فلسوف تأكل طعاما ما رأيته في أحلامك .

وعندئذ أخرج الفتى زهلول الطيب كيسه من صدره هدية الجنية ذات الثوب الأزرق زمردة وقال صائحا : يا قوم كل شخص يطلب ما يشتهي

من الطعام ، فليذكر اسم الطعام ، وأنا أخرجه له من هذا الكيس العجيب الممتلئ بجميع أصناف الطعام والشراب الطيب.

فقال أحدهم : لعلك ساحر أيها الغلام ؟!

فقال زهلول : ليس مهما .. المهم ما تأكلون ، ما تريد وتشتهي من الطعام ؟

فقال المخاطب وفي نبرته استعلاء وسخرية : أرغب بأن آكل أيها الغلام حملا كاملا مشويا .

فقال زهلول وهو يفتح الكيس ويضع يده فيه : بسم الله .. حمل مشوي يا كيسي العزيز !

ثم أخرج يده حاملة لحمل مشوي، وضعه أمام الرجل، وأمام دهشة الحاضرين قائلا : تفضل بأكله ، ولا تبقي منه شيئا .

وقال آخر : أرغب يا غلام بسمك مشوي وأرز .

فقال زهلول : بسم الله .. سمك مشوي وأرز يا كيسي العزيز !

وقدمه للطالب ، وقال الشيخ متلهفا للطعام : أيها الغلام المبارك! أريد دجاجا محمرا وخضارا مسلوقا .

فقال زهلول : لك ذلك إن شاء الله .

وكل شخص يتمنى ما يريد ، ويقدمه له زهلول الطيب عن طيب نفس وحب واشتغلت الأفواه بالقضم والمضغ والبلع، ويأكلون أكل من لم يأكل منذ سنة، ويعتقد كل واحد أنه لا يشبع ، ومن أنهى ما بين يديه طلب المزيد ، وكان زهلول يشاركهم الطعام والفرح ، ولما انتهوا من الطعام أخرج لهم ما يشتهون من الشراب والحلوى والفاكهة ، فامتلأت الكروش وما عاد فيها سعة لمزيد ، قال أحدهم : آنت ساحر يا غلام ؟! وما قصة هذا الكيس العجيب ؟!

فقال زهلول وهو فرح نشوان: سأذكر لكم قصة الكيس أيها القوم حتى لا تظنوا أنني ساحر فهذا هدية من الملكة زمردة ملكة الجنيات في غابة الجن ، لقد رأتني بهذا الشكل المزري ، فعطفت عليّ وأشفقت عليّ لفقري وضعفي فهذه قصة الكيس العجيب .

أخذ الاخوة أبناء الشيخ العجوز يتطلعون في بعضهم البعض عندما سمعوا قصة الكيس ، فقال كبيرهم : يا ألف مرحبا بك يا سيد زهلول ! أنت ضيفنا ، وجزاء كرمك معنا سنستضيفك عدة أيام حتى تستريح من التعب الذي أصابك وأنت في غابة الجن .

فرد زهلول : لا .. سأنطلق في هذه الدنيا .. لعلي أجد الخير في بلد ما وأستقر فيها ، وذكر لهم قصته في مدينة الماء ، فحلف أحدهم بأنه ضيف عليه ليلة الغد ، فاعتذر لهم فقال : بارك الله فيكم .. وفي الغد نفكر بالأمر .. أرغب بالنوم الليلة عند والدي الشيخ .

وخرج الأولاد وزوجاتهم وأطفالهم وتركوا الغلام ينام في دار أبيهم ، وذهب الرجال إلى بيت أحدهم يتشاورون على حيلة يأخذون بها الكيس العجيب من زهلول ولا يتعرضون لغضب الجنية صاحبة الكيس العجيب ، وفي الصباح حضروا مسرعين إلى الغلام ؛ ليتناولوا طعام الإفطار اللذيذ من كيس الفتى زعلول ، وأثناء الأكل قال واحد منهم : أيها الغلام الطيب المحسن إلينا بكل هذه الطيبات التي لم نكن نراها ولو في الأحلام ! قد قررت أنا واخوتي الكرام أن نكسوك ثوبا جميلا وجديدا مقابل هذا الإكرام الذي أكرمتنا به ، وسأذهب على الفور إلى سوق المدينة لجلب الثوب، وهذا أقل الواجب نحوك نكافئك به حتى لا تنسانا .

وأنهى طعامه وخرج مسرعا نحو سوق المدينة على ظهر حمار كبير ، ولم يمض زمن طويل حتى عاد وهو يحمل ثوبا جميلا ، فحينئذ قال الثاني من أبناء الشيخ: أيها الغلام الطيب بما أنّ أخي أكرمك بثوب جديد فسأكرمك بحمام في بيتي، فلا يليق لبس هذه الثياب الجميلة والنظيفة على بدن قذر .

وتناول الرجل الثياب من أخيه ، وأمسك بيد زهلول وهو يقول : بعد ذهاب أخي للسوق أمرت أم العيال بتهيئة الحمام ؛ لاغتسال الفتى الطيب زهلول .. هيا بنا أيها الغلام الطيب .

واغتسل زهلول وارتدى الثياب الجديدة ، وطلب منهم أن يسمحوا له بالنوم حتى المساء ، فكان له ذلك ، ولما استيقظ مع الغروب بحث عن أهل البيت ، فلم يجد أحدا ، ولا حس ولا خبر ، فأسرع لمنزل العجوز يسأل عنهم فقال له : لقد رحلوا للمدينة .

فقال الغلام : أين كيسي أيها العجوز؟!

فقال له بجفاء : أخذوه ليبيعوه للسلطان يا ولدي ! فالسلطان أولى به .

فقال زهلول والألم يعتصر صوته: بل سرقوه ..هذا جزاء الإحسان .

فقال الشيخ : نصحتهم يا ولدي !.. ولا حيلة لي عليهم .. إني ناصحك قبل عودتهم .. اخرج من القرية قبل أن يفتكوا بك .. فهم قساة القلوب !

فبكى زهلول حزنا على ضياع كيسه السحري ، وودع العجوز متجها جهة غابة الجن مرة أخرى وهو يقول : وداعا أيها الشيخ .. ولكنني سوف أنتقم من أبنائك الخمسة الذين غدروا بي .. ولسوف أعود .

وانطلق في الظلام إلى غابة الجن التي وصلها بعد منتصف الليل ، فدخلها حتى وصل إلى شجرة كبيرة ، فجلس تحتها يبكي على حظه وطيبته وغفلته، ويتأمل طمع البشر وغدرهم ، وحمد الله أنهم لم يصرعوه وتركوه حيا سالما ، وكان يؤنب

نفسه على تركه الكيس عندما دخل الحمام ، ونام الفتى زهلول ، وكله أمل برؤية زمردة مرة أخرى ، ولكنه استيقظ من نومه على صراخ استغاثة قريبا منه ، فرأى رجلا مطروحا أرضا يصيح ويطلب المساعدة ، وبكاؤه يقطع الفؤاد ، ويربض على صدره رجل آخر يضرب به بقبضة يده بقوة ، وأخرج خنجرا وهزه بيده عدة مرات يريد أن يطعن به صريعه ، فما كان من زهلول ومن غير وعي وإدراك إلا أن حمل حجرا كبيرا وألقى به على رأس الرجل الذي يعلو الآخر ؛ فإذا هو ملقى على التراب يشخر ، ودمه يتناثر يمينا ويسارا ، ثم خمدت أنفاسه ، وشعر الفتى بفعلته وعمله الشنيع فأخذته دفعة من البكاء والعويل ونهض الرجل الآخر يقبل يديه ورجليه ورأسه ، وهو يهتف سعيدا لأن الحياة كتبت له من جديد : شكرا لك .. ألف شكر لك أيها الغلام .. لقد أنقذت حياتي من موت محقق أيها الإنسي! أنا الجني برهود من مملكة الجن الأحمر .

فقال زهلول وهو ينظر للقتيل بخوف : هل مات هذا الرجل ؟!

فقال برهود: نعم .. لقد قتل فورا .. لقد صنعت لي جميلا لا أنساه أبدا .. فاطلب مني ما شئت أيها الغلام ..لا بل سأبقى خادما لك طول الحياة .

ونزع من يده خاتما جميلا وقدمه لزهلول ، وهو يقول : خذ هذا الخاتم .. كلما احتجت لي ما عليك إلا أن تفركه من أسفله فأكون بين يديك .. أنا خادم لهذا الخاتم .. يا غلام أيها المنقذ .. لم تذكر لي اسمك ؟!

رد زهلول وهو يضع الخاتم الجميل في أصبعه ، وما زال متأثرا بموت الرجل ، فقال : مات .. ماذا أفعل؟! ..إنك تسأل عن اسمي ..اسمي زهلول .. قل لي ما أعمل يا سيد برهود ؟!

فقال برهود : اخرج من الغابة بأكبر سرعة .. ولا تخف لن اتخلى عتك .

فانطلق زهلول مسرعا في الغابة خوفا من القتل ، واختفى برهود الجني الأحمر بدوره مسرعا ؛ ولكن زهلولا قبل أن يترك الغابة أحاطت به جماعة من الجن وحملوه موثقا بالقيود ، وطاروا به في عنان السماء ساعة من الزمن ، ثم هبطوا به في مكان مخيف ممتلئ بالوحوش والأفاعي المرعبة ودخلوا به منزلا وألقوه فيه ، وهم يقولون للحارس: احتفظ به إلى أن يطلبه الملك أو القاضي ، واحرص عليه من القتل أو الخطف وتعهده بالطعام والشراب .



استيقظ زهلول من الصدمة بعد أيام ، وبدأ

يستفسر من الحارس عن أمره وأين هو؟ فاعلم أنه محبوس في مملكة الجن الأسود، وأنه متهم بقتل الجني زادهوا، وبعد أيام أخرى حضرت مجموعة من جنود الجن ، وأخرجوه من سجنه لمقابلة ملك الجن الأسود الذي خاطبه بهدوء : أيها الإنسي ماذا فعلت ؟! .. ولم قتلت زاد هوا ؟!

فأخذ زهلول بالبكاء وندب حظه وهو يصيح : مولاي الملك ! لم أقصد قتله، لقد كنت نائما تحت شجرة في غابة الجن ، فاستيقظت من النوم على صراخ وعويل فرأيت زادهوا ـ ولم أكن أعرفه أبدا ـ يعلو رجلا ، قال لي فيما بعد أن اسمه برهود من الجن الأحمر ، رأيت زاد هوا يريد قتل برهود بخنجر كان يلوح به ، ومن غير شعور مني ولا ادراك يا مولاي الملك حملت حجرا وقذفت به رأس زاد هوا فقتله، وإنما قصدت إنقاذ الرجل الذي كان يستغيث .. صدقني يا مولاي الملك ! أن هذا ما جرى ، وليس لي سابق معرفة بالرجلين ، إنما أشفقت على المسكين برهود ، وحاولت دفع الشر عنه ، فجاءت رميتي في مقتل من الجني زاد هوا .. هذا ما حدث يا مولاي الملك !

فقال الملك : برهود .. أين برهود أيها القوم ؟

فقال الوزير : أيها السلطان الكبير! لقد بحثنا عنه في غابة الجن فلم نره ، وقيل إنه هرب إلى بلاد بعيدة ..إلى شيخ الجن الكبير جن سلام ليستشفع له عندك .

فصاح السلطان بغضب : أريده يا وزيري رام هوا لنسمع قوله .. وما أخبار الأميرة زمردة ؟ وهل نفذتم فيها أمري ؟ واعتقلتموها .

فقال الوزير رام هوا : لقد هربت هي الأخرى عندما علمت بأمرك الملكي .

فصاح الملك : ابنتي هربت ! .. ولا أعلم .. هذه جريمة أيها الأمراء !

فقال الوزير : هدء من نفسك أيها الملك ! .. الملكة الكبرى تعلم بهذا يا مولانا ! وكنا ننتظر عودتك من عند الملك جبير، فلما عدت أطلعناك على خبر مصرع ابن أخيك زادهوا وإخبارك بأمور المملكة الأخرى ، وتركنا أمر الأميرة زمردة لأمها

فقال الملك : حسنا أيها السادة ! اذهبوا بهذا الإنسي إلى سجنه ، وابحثوا عن زمردة وبرهود وإلى أي الملوك لجئوا لأرسل وراءهم ، وسأقابل الملكة الكبرى وأسمع الأخبار منها .

فقاد الجنود زهلولا إلى سجنه ، وهو يرتجف من الخوف والقلق والرعب ، وتذكر زمردة وهديتها له الكيس ، وأن هذا الملك والدها ، وتذكر ما سمع من كلامها في تلك الليلة عند الشجرة وهي تتحدث مع رفيقاتها عن ابن عمها الذي خطبها ، ففهم وأدرك أن الجني المقتول هو ابن عم زمردة الفارس الذي طلبها للزواج ، ثم قال زهلول وهو

في حيرة مما جرى : وما دخل برهود في الأمر ؟ وهو من الجن الأحمر وهؤلاء من الجن الأسود !

وأمام هذه الحيرة سأل الحارس واستفصل منه عن زمردة وزاد هوا ، فقال له حارس السجن : أيها الإنسي إنك كثير السؤال ؛ ولكني سأحدثك واشفي قلبك حتى تموت عندما يحكم عليك به وأنت مرتاح البال قرير العين ساكن النفس .

فقال زهلول : نعم أيها العفريت حتى أموت وأنا مرتاح البال والنفس ..اخبرني أيها الصديق بما تعرف ..وما الحكاية التي جمعت بين جني أسود وآخر أحمر؟!

فقال العفريت الحارس مسامرا لزهلول : حظك السيئ قادك لغابة الجن حتى تخلص العباد من غلظة زاد هوا وشقاوته وقسوته .. الملك جلاد هود ملكنا له ابنة بل بنات ، ولكن ما يهمنا الأميرة زمردة ، فهي فتاة جميلة ومحبوبة في بلادنا ، تقدم للزواج منها الأمير الفارس زادهوا بعد أن هربت خطيبته السابقة نفورا منه ، وتركت المملكة واختفت ، وهذا الأمير أيها الإنسي بطل من أبطال المملكة ، وله سمعة قوية في المعارك والحروب ، والملك جلادهود ملكنا الكبير يحبه ويقدمه ويرغب بإعطائه زمردة ؛ ولكن زمردة لا تهواه كما علمنا ، والملك لا يريد إجبارها على الزواج فأمهلها سنة لتتخذ قرارها الحاسم ؛ ولكنها أخبرت والدها بأنها لا ترغب بالزواج من ابن أخيه ولا تحبه ، فقال لها مولانا الملك : فكري في الأمر بتأنٍ وردي الجواب بعد سنة ، وتركها الملك ، وعلم الأمير زاد بهذا الرفض ، فصمم على الزواج منها ومعرفة سبب الرفض ، فقابلها فاعتذرت له ، فبدأ يطاردها ويتعقبها حتى علم أنها تعشق جنيا من مملكة الجن الأحمر الذي يسمى برهود ، فحنق عليه وعليها ، وبدأ بمطاردته والتقى به في غابة الجن تلك الليلة التي قتلته فيها يا غلام زهلول ، ولما أراد زاد صرع برهود قذفته أنت بالحجر فخر ميتا ، ولما حضر أعوان زاد ووجدوه هالكا ووجدوك هاربا من الغابة قبضوا عليك ، وقد اعترفت بصرعك لزادهوا فحبست عندي حتى يرجع الملك من زيارة أخيه الملك جبير ، ولما علم الملك بمقتل ابن أخيه أمر باعتقال الأميرة زمردة معتقدا أن لها دورا في الأمر ، فاختفت من البلاد ، ولما أقررت بقتلك لزاد ، فقد بدأ أعوان زاد هوا في البحث عن برهود ، فهذه هي القصة يا غلام الأنس .. ولقد أطلت الكلام معك سلام عليك .

وغادره العفريت وقد وضح له الحكاية ، وعاد زهلول إلى حيث الفراش ، ورمى نفسه عليه ينتظر الطعام والشراب والفرج ، وفي ذات ليلة أخبر الحارس زهلولا بأن الأمير برهود قد زار الملك

جلاد هود ، ومعه رسالة من شيخ الجن جن سلام يستشفع به عند ملكنا ، وقد يطلبونك في الغد ، فهيئ نفسك يا زهلول للقاء ملك الجن الأسود .



برهود ...وزمردة

عندما علم برهود بأن أعوان ملك الجن الأسود يبحثون عنه انطلق هاربا إلى شيخ الجن جن سلام في جزيرة الشمس التي تبعد عن غابة الجن ألف ألف ميل مسيرة نصف سنة للراكب العادي ، وقابله وقبل رجليه ، وذكر له قصته مع الجني زاد هوا وحبه للأميرة زمردة ابنة الملك جلاد هود ، وذكر ما فعل الغلام زهلول ، فلما سمع منه شيخ الجن قصته أمره بإحضار الأميرة زمردة ، فغاب برهود مسرعا وأخبر الأميرة التي حضرت معه بسرعة الريح ، وسلمت على شيخ الجن ، وقبلت قدميه، وترجته وتوسلت إليه أن يدافع عن عشيقها برهود ، ويحميه من غضب والدها وأعوان الأمير المقتول زاد هوا .

ومما هو جدير بالذكر هنا أنه لا يبلغ الجني منزلة شيخ جن إلا إذا ملك مملكة من ممالك الجن ، وعمر أكثر من ألف سنة ، وأصبح منه ومن أبنائه وأحفاده مائة ملك ، فيعطى ويوهب هذا اللقب الكبير عند ملوك الجآن ، فيصبح كلامه لدى جميع ملوك الجآن مطاعا ومقبولا ، فهذا الشيخ جن سلام تحققت فيه هذه المواصفات ، فلما سمع كلام برهود وزمردة ، وأنهما متحابان وراغبان بالزواج من بعضهما قال : سأرسل معك كتابا ورسولا إلى الملك جلاد هود وأطلب منه أن يكف عن مطاردتك ، وأنك بريء من دم ابن أخيه ، ولا أرغمه على تزويجكما ، فهذا شأنكما ، ودبرا أنفسكما ، ولو جئتما لي في هذا الأمر قبل مقتل الأمير لتشفعت لكما بالزواج أيها الأميران ، وبلغا الملك جلاد هود تحياتي وسلامي .

وطلب من خادمه مخاطبة ملك الجن الأسود بما سمع ، وأن يرسل أحد الأعوان معهم ، وودعا شيخ الجن الكبير ، وقالت زمردة للأمير برهود وهما يغادران شيخ الجن : سأذهب إلى زيارة صديقتي الجنية فردوس في قصرها في خلدان ، ولما تنته من مهمتك اتصل بي لنفكر في الأمر .

وطارت في الجو ، ولما تجهزت رسالة شيخ الجن جن سلام إلى الملك جلاد هود ، انطلقوا بها إلى بلاد الجن الأسود ، وقابلا الملك الذي أحسن استقبالهما أحسن استقبال ، وقبل رسالة شيخ الجن وعظمها حسب تقاليدهم في بر شيوخ الجن ، وقد قرأها الوزير على الملأ ، ولما علم الملك أن برهود بحضرته غضب واشتد غضبه ، فقال برهود : أيها الملك

..أنا لا ذنب لي .. إنه هو الذي كاد أن يفقدني الحياة ، هو المعتدي عليّ ، هو أراد الفتك بي ، فالمفروض أن تنصفني من ظلمه وعدوانه .. ولما سمع الإنسي صراخي واستغاثتي هب لمساعدتي ، ورماه بحجر لينهض عني ؛ ولكنه قتل بدون قصد .

فصاح الملك وقد وقف من شدة الغضب : ولكنك أنت السبب .. أين زمردة ؟!

فقال برهود: لا أدري أيها الملك! ..وليس عليّ عارا أن أبحث عن زوجة بين بنات ملوك الجن أليس هذا حقا لي ؟! ..وهي قد رضيت بي بعلا ، وأردت أن اخطبها منك كما يفعل الأمراء والفرسان فخافت وقالت : أبي صعب المراس ، ويرغب بتزويجي من فارس من فرسان المملكة فامتنعت عن زيارتك لهذا المانع ، وأراد ابن أخيك قتلي معتقدا بفعله ذلك أن تقبل به الأميرة ، فسلط عليه هذا الإنسي ورماه بحجر فكانت منيته ونهايته

صاح الملك هائجا : أيها الأمراء ما أقول لهذا الرجل ؟!

فقال الوزير رام هوا :

يا أمير برهود .. أين الأميرة ؟

فرد برهود بهدوء : سأبحث عنها في كل الدنيا وأحضرها لمولاي الملك! لعله يشفق عليّ وعليها ويزوجني بها.

فصاح الملك : أيها الشاب! لا تفكر أو تحلم بهذا وأنا حي ، فهي ابنتي .

ثم خاطب رسول شيخ الجن قائلا : يا رسول شيخ الجن جن سلام ، استجبنا لأمر مولانا الشيخ ولن نعاقب برهود بمقتل زاد هوا ، فسلم على الشيخ واعلمه أننا قبلنا شفاعته ، .. وأنت يا وزيرنا جهز هدية تليق بمولانا شيخ الجن جن سلام .

فقال برهود : يا ملك الجن !! ..الإنسي زهلول ألا تعفو عنه ؟

فصاح الملك بحنق: انصرف .. اخرج من مملكتي فورا .. فهذا الإنسي سيعاقب عقابا شديدا .

فقال برهود : هذا الإنسي لم ينوِ قتله ، والله لا يحب الظلم .

فصاح الملك : اغرب عن وجهي أيها الشقي ! ولا دخل لك بالإنسي .

فرد برهود متوسلا : ولكنه صنع لي معروفا يا مولاي! لقد أنقذ حياتي ، وصرت له خادما ، فسأذهب لملك الجن الأصفر من أجله أيها القوم .

عقدت محكمة للإنسي زهلول بعد مجيء برهود بأيام ، وحكم عليه قاضي الجن الأسود بالسجن خمسين سنة لقتله زاد هوا في غابة الجن ، وأعيد للسجن وهو منهار القوى يائس من الحياة ، وبينما هو في يأسه تذكر خاتم الجني برهود، ففركه من أسفله ، فحضر برهود سريعا وقال : ما تأمر أيها

الشاب الصغير زهلول! .. جئت إليك رغم الخطر المحدق بي في هذه المملكة ؟

قال زهلول : أريد أن أخرج من هنا ، فقد حكموا عليّ بخمسين سنة في هذا الحبس الموحش أريد أن أخرج ..أريد الحياة !

رد الجني مصبرا الفتى : لو أخرجتك ـ يا زهلول ـ سيعيدونك ثانية ، ولربما قتلوك .. اصبر شهورا ، لن تمكث هنا بإذن الله خمسين سنة ، فأنا ذاهب لملك الجن الأصفر من أجلك وأجلي ، وسوف أعود بأمر إخراجك إلى أرض الأنس حتى لا يؤذيك الجن الأسود .. اصبر يا صديقي زهلول ..إنني مشغول بأمرك ونجاتك.

وودعه وانصرف يفكر بشد رحله إلى ملوك الجن الأصفر، وزار الأميرة زمردة في خلدان عند الأميرة فردوس ، واطلعها على حاجته للسفر إلى بلاد الملوك الصفر يطلب منهم المساعدة والعون في إخراج زهلول من سجنه وزواجه من الأميرة ، وتنقل برهود من مصر إلى مصر حتى بلغ بلاد الجن الأصفر ، ودخل على ملك ملك عظيم من ملوكهم يدعى الملك كنعان بن آرام ، يحكم مائة لواء من الجن الطيار، وذهب إلى صديق له من هؤلاء اسمه بحر الجن ، وذكر له قصته وأخباره ، فوعده صديقه بمساعدته لدى الملك ، وقال له : سآخذك إلى أخت الملك كنعان الأميرة كعب النساء ، فهي محظوظة عند مولانا الملك ، ويحبها جدا ولا يرفض لها طلبا مهما كان .

زار بحر الجن الأميرة الكبيرة كعب النساء ، وذكر لها قصة صديقه برهود وطمعه بمساعدة أخيه الإنسي الذي انقض حياته من عدوه زادهوا من الجن الأسود فوعدته بالمساعدة والشفاعة وطلبت منه أن يجمعها بصديقه الجني الأحمر، فلبى أمرها وأدخله عليها ، واستمعت الأميرة العجوز لحكاية الغلام زهلول وعشق الأمير برهود للجنية زمردة ابنة الملك جلاد هود ، ولما انتهى برهود من قصته بعثت خادما للملك أخيها كنعان تطلب لقائه في مقابلة خاصة ، ففرح الملك لهذا الطلب واستقبلها أمتع استقبال واستمع لها راغبا محبا ، ثم قال: هذا أمر سهل علينا أيتها الأخت العزيزة!! .. لقد ظننت أنك ترغبين بشيء عظيم تهتز له نخوت ملوك الجآن.

تبسمت الأميرة كعب النساء وقالت : بوركت من أخ عزيز !!..فقط نرغب بمساعدة ولدنا الجني الأحمر برهود الذي قطع مسافات بعيدة ؛ لنشفع له ولصاحبه الإنسي .. وهو ينتظر الإذن بالدخول ؛ لتسمع قصته .

ودخل برهود وبحر الجن على الملك ، واستمع الملك كنعان له بكل هدوء وروية ، ووعده خيرا وبعد أيام أرسل الملك كنعان رسالة وهدايا

للملك جلاد هود برفقة مائة فارس قائدهم بحر الجن يطلب منه الصفح عن الإنسي زهلول من أجل خاطر وشفاعة أخته الأميرة كعب النساء وهو سيدفع دية زاد هوا ، ويكفل ذريته أو من كان يرعاهم ، ودخل الوفد الكبير على الملك جلاد هود ، وقد رحب بهم أحر ترحيب ، وصنع لهم موائد الطعام والضيافة ، وقبل هدايا الملك كنعان ، وتشاور مع وزيره رام هوا والأمراء ، فقال الوزير: أيها الملك! بما أن ملوك الجن العظام تدخلوا في شأن هذا الإنسي ، فعلينا أن نقبل شفاعتهم ، والملك كنعان ملك عظيم لعلنا نحتاجه في يوم من الأيام فلن ينسى قبولنا شفاعته ، وهذا إنسي لا فائدة كبيرة من بقائه في السجن ، فليرجع إلى بني جلدته .

وبعد مشاورة واستماع للآراء المختلفة عفا الملك جلاد هود عن زهلول، وأخبر الوفد الزائر بقبول شفاعة الملك كنعان فيه ، ولا رغبة لهم في الدية، وسيدفعها الملك جلاد من ماله الخاص لأخيه والد زاد هوا ، وأمر برهود بأن يأخذ صديقه الإنسي إلى غابة الجن من حيث خطفه أعوان زاد هوا ، فشكرهم الأمير برهود الشكر الجزيل وقبل الأيادي ، وأثنى على صديقه بحر الجن ، وودعهم وانصرف إلى السجن ، وحمل زهلولا على ظهره ، وخرج به من مملكة الجن الأسود إلى غابة الجن ، ولما هبطا على الأرض قال برهود : أنت الآن في بلاد الأنس.. هل أحملك لمدينة الماء؟

فروى زهلول لصديقه الجني قصة الكيس السحري ، وأنه هدية من الأميرة زمردة ، فعجب الأمير الجني من الأمر ، وقال :أأنت التقيت بالأميرة زمردة ؟!

فعاد زهلول يقص قصة دخوله للغابة هاربا من امرأة أبيه ، وكيف نام تحت الشجرة التي تجلس تحتها ملكات وأميرات الجن ، ولما سمع الأمير الحكاية قال معترفا للأنسي : هذه الأميرة يا زهلول لي هوى بها ، وأرغب بالزواج منها .. وهي ابنة للملك جلاد هود الذي سجنك يا صديقي !..سنذهب إلى تلك القرية ، ونبحث عن كيسك العجيب ، ونطلبه منهم ، ونرى ماذا سيعملون ؟ وماذا يردون ؟ ..هيا أيها الفارس الصغير.

طرق زهلول الباب على القروي الشيخ ، فخرج الرجل يولول ويصيح : يا عالم اتركوني في حالي!! .. اغربوا عن وجهي أيها الأنذال !

وفتح الباب فرأى الفتى زهلولا فسكت لحظات ، ثم قال معتذرا : عفوا يا ولدي زهلول ! لقد ظننت أن الأولاد قد عادوا .. عفوا أيها السيدان.. لقد كبرت يا زهلول عن المرة السابقة ! ما الذي عاد بك ؟ .. لعلك أحضرت كيسا جديدا.

ابتسم زهلول ثم قال: مرحبا بوالد المحتالين !!..

لقد غبت عنكم أكثر من سنتين .. ومالي أراك هائجا مغضبا لعل الأولاد ضربوك أو سرقوك ؟!

فقال بحزن : لا عليك يا سيد زهلول ، أهلا بك .. تفضلا بالدخول .

قال زهلول: عفوا أيها الشيخ العجوز .. قدمت لآخذ كيسي ، هدية الأميرة زمردة ابنة الملك جلاد هود لي .. أين الأولاد؟

قال الشيخ وهو يضحك أو مغتصبا ضحكة : يا ولدي .. انجُ بنفسك ..اهرب ..لا تفكر بكيسك ، فقد اختفى .. واحذر أن يراك الأولاد فيؤذونك .. استمع لنصيحتي ، واترك المكان

عاجلا .. إنني خائف عليك.. الأولاد منهكون من الفقر والتعاسة ..اهرب أرجوك !!

فقال زهلول : أيها الرجل ..لا تخف عليّ ، فهذا صديقي الأمير برهود فارس من فرسان الجن الأحمر ، جاء ليساعدني في استرداد كيسي من أولادك الغدارين .

فبهت الشيخ ، وارتجف رعبا لما عرف أن رفيق زهلول جنيا وقال : هذا جني يا زهلول ؟!

رد زهلول بفخر وحماس : نعم .. نعم يا سيدي! ..أين الكيس وأين الأولاد ؟؟

فأجاب القروي المرتجف : سأقول لك أيها الشاب العجيب! فكما تعلم لقد احتال عليك الأولاد على غير مشورة مني ، إنما الطمع والغدر هما الدافعان لهما ، وأخذوا كيسك إلى المدينة وطلبوا مني تحذيرك من اللحاق بهم ، وقد فعلت خوفا عليك يا ولدي! ولا دخل لي في الأمر فأنا رجل كبير لا حول لي ولا قوة .. وفي المدينة علم الملك بقصة الكيس فطلبهم ، وأخذ منهم الكيس بعد أن تعلم منهم طريقة طلب الطعام ، وأعطى كل واحد منهم مائة دينار، ثم صرفهم ، فندموا على فضح أنفسهم أمام خلق الله ، وبعد شتم وقذف فيما بينهم رضوا بما أعطاهم الملك ، وتمتعوا بالأموال في المدينة ، وعادوا خائبين ، ولم تمض أيام قليلة على عودتهم حتى دهمنا جنود السلطان وأخذوهم متهمين بسرقة الكيس ، وسجنوا فترة من الزمن ثم عادوا للقرية ثانية ، وقد اختفى الكيس العجيب من قصر السلطان ، ومن يومها ونحن يا بني في نكد وشقاء وتعب ، وتمنيننا أنك لم تمر علينا بكيسك السحري ، لمَ حل بنا من الغم والهم والذل ، هذه هي القصة يا ولدي !

فسكت زهلول قليلا ثم قال :أأجد الأولاد في بيوتهم ؟

رد القروي وهو يحدق النظر ببرهود الجني: ستجدهم في بيوتهم .

فقال زهلول : سأذهب إليهم أنا وبرهود ، لا تخف عليهم أيها الشيخ ..

وتركوه إلى حيث منازل الأولاد ، وقام زهلول

بتحقيرهم واتهامهم بالظلم، فاعتذروا له وبكوا بكاء الخوف ، واشتد عليهم زهلول بالكلام ووصفهم بالخيانة والغدر ومقابلة الإحسان بالسوء فقبلوا يديه ورجليه حتى أشفق عليهم برهود الجني فقال : دعهم يا زهلول! لعلهم يعتبروا من هذه الحادثة ، ولا يغدروا بعابر سبيل مرة أخرى .. فلنذهب لمقابلة السلطان ونسمع منه بقية الحكاية ، واحذروا أن تكون قصتكم كذبا .. فالويل لكم .



فأقسموا له أن السلطان أخذ منهم الكيس ، فطار برهود بزهلول نحو المدينة وتقدم زهلول إلى قصر السلطان ، وطلب مقابلة السلطان ، فاعتذر له قائد جند الحراسة فقال له زهلول : أيها الجندي أريد مقابلة السلطان لأمر مهم .. جئت بشأن الكيس السحري الذي فقده الملك.

فقال قائد جند الحراسة : تمهل يا فتى سأخبر الملك بذلك !

بعد ساعة من الزمن كان زهلول بين يدي الملك ، فعرفه بنفسه وبصديقه برهود ، وذكر له طرفا من قصة الكيس ، فأقر السلطان بوصول الكيس إليه ، وأنه استخدمه وانتفع بخيراته ، ثم قال : لقد وضعته في غرفتي الخاصة ؛ وذات ليلة استيقظت على صوت غريب .. رأيت فيها رجلين وقد أخذا الكيس وانفرج الجدار وابتعدا ، وأنا صامت متظاهر بالنوم ، ولما هدأت نفسي استدعيت الحرس وسألتهم فأنكروا وقالوا لم يقترب أحد من الغرفة ، ثم جلبت القرويين الذين باعوني الكيس ، وسألتهم عن الأمر ، فتأكد لي أن الجن استعادوا الكيس ، فأهملت الأمر ، وأخرجت القرويين من الحبس .

فهز زهلول رأسه وقال لبرهود : ما ترى يا صديقي ؟!

فقال برهود مخاطبا الملك : أيها السلطان هل سمعت كلاما منهم ؟

قال الملك : نعم .. سمعت أحدهما يقول يا برهام ..هل وجدت الكيس ؟ أين أخفاه الملك ؟

فرد الآخر: أخبرتني جمهرة أن الكيس في غرفة السلطان معلق بالقرب من رأسه تحت ثوب .

فرفع برهام ثوبا لي، وتناول الكيس، وشقا الجدار وانصرفا .. هذا ما سمعته؛ وقد تأكد لي لابد أنهما من الجن يا برهود .

فقال برهود : شكرا أيها الملك !!..امض بنا يا زهلول ، فالكيس قد أصبح لدى الجن

وودعا الملك وغادروا القصر إلى فندق ، وطلب زهلول طعاما ومناما ، وتركه برهود وعاد إليه في

الصباح وأعطاه مالا وقال : عش في هذه المدينة حتى أعود إليك ، سأذهب إلى زمردة واخبرها بأمر الكيس ، وقد أغيب عنك بضعة أيام ، وإذا احتجت اليّ فاضغط على الخاتم ، ولسوف أكون عندك .. وداعا زهلول .

فقال زهلول : صحبتك السلامة ، سأتفرج على هذه البلدة وعلى أهلها .

غادر زهلول الفندق ونزل إلى سوق المدينة واشترى ثوبا جديدا ، ودخل أحد الحمامات واغتسل وتنظف ولبس الثوب الجديد ، وتصدق بالقديم على أول متسول صدفه ، وتنقل من مكان لآخر وتناول طعامه في أحد المطاعم وعشاءه في مطعم آخر، وبات ليلته في فندق آخر، وفي الصباح انطلق لسوق السيوف والمدى فاشترى خنجرا صغيرا جميلا وتقلده على خاصرته وانصرف لسوق الطيور والحيوانات وتفرج عليها وتمتع بألوانها وأصواتها وأشكالها العجيبة ، وبينما هو يتمشى في سوق الذهب والفضة إذ برز له برهود وهو يقول: سلام عليك يا زهلول.

فرد السلام وقال : أهلا بالأمير برهود ..أهلا بصديقي ، كيف حالك ؟ وما معك من أخبار الكيس .. هل وصل ليدي الأميرة ؟.

فقال برهود : دعنا نترك هذا المكان .. قد مررت على الأميرة ، وذكرت لها ضياع الكيس السحري ، وما زال والدها يتحرى ويجد في البحث عنها ، ونفكر بالهرب إلى بلاد الجن الأزرق عند الأميرة شهلا ملكة من ملكات الجن الأزرق ، وهي بلاد بعيدة جدا ، ولا يسكنها إلا الجن الأزرق .. والأميرة شهلا صديقة لزمردة .. ونتزوج هناك ونعيش في حمايتها .. واعلم أيها الصديق أن هذا الكيس اصله لهذه الأميرة ابنة الملك همام بن هدهد ؛ وهبته لزمردة ، ولن يستطيع إرجاعه إلا هذه الأميرة .. واعلم أن لها ست أخوات ملكات وعشرة اخوة ملوك ، فكل واحد منهم يحكم مملكة من ممالك الجن الأزرق ، ولأبيها همام مملكة كبيرة ، وشيخ الجن سلام الذي أنقذني من مطاردة الجن الأسود جد أم الملكة شهلا .. فترى الأميرة فردوس أن تعرفك الأميرة زمردة على الملكة شهلا ، وتطلب مساعدتها في البحث عن الكيس السحري .

فقال زهلول الحزين : وكيف أقابل هذه الأميرة ؟!

أجاب برهود فقال : من عادة هذه الملكة السياحة في الدنيا ، وتزور صديقاتها الملكات والأميرات ، وقد التقت في سنة من السنوات الماضية بالأميرتين زمردة وفردوس ، وهن في غابة الجن ، وذلك قبل أن تتوج ملكة ، والأميرة زمردة لها ولصديقاتها الجنيات اجتماع مرة واحدة في العام في غابة الجن ، وتكون الضيافة والخدمة على إحدى الأميرات ،

فيأكلن الطعام والفواكه والشراب الطيب ، ويسمعن أخبار بعضهن البعض في السنة الفائتة ، وينصرفن عند شروق الشمس إلى بلادهن وقصورهن ، وفي تلك الليلة يا زهلول التي دخلت فيها الغابة هاربا من أسرتك كانت الضيافة على الأميرة زمردة ، وكانت الأميرة الملكة شهلا قد وهبت زمردة كيسها السحري ، ولما عطفت عليك الأميرة ورأت حالتك وجوعك وبؤسك فأشفقت عليك وأهدتك الكيس .. واعلم أن الأميرة شهلا كانت بين الأميرات في غابة الجن تلك الليلة ، فهي منذ تعرفت عليهن لا تتخلف عن المجيء لحضور اللقاء ، ثم تنصرف مع إحدى الأميرات في زيارات ، فبلادها بعيدة جدا جدا تحتاج لشهور للوصول إليها؛ ولكنها تأتي على حصان من الخيول الطائرة فيقلل المسافات عليها، وتمكث أسبوعا في ضيافة الأميرة فردوس في قصرها الخاص ، فتسمع الأشعار التي الفتها فردوس في حدائق القصر وبين الأشجار ، وتسبح في البحيرة الساحرة في قصر الأميرة ، ثم تنصرف لبلادها .. واعلم يا صاحبي أن هذه الملكة منذ صارت ملكة قد تتخلف في بعض الأعوام عن اجتماع غابة الجن ؛ ولكن لا يمكن أن تتخلف عامين متتاليين .. وأيضا اعلم أن موعد زيارتها لفردوس قد اقترب .. فإن جاءت إليهن هذا العام تقترح الأميرة فردوس أن تقدمك لها وتطلب مساعدتها في عودة الكيس .. فهي لابد أن تتذكرك عندما تراك ، فقد شاهدتك في غابة الجن تلك الليلة وهي ملكة فطنة وجميلة ، فما تقول

فرد زهلول فرحا بهذا العرض : أنا مستعد لذلك

فقال برهود : إذن اشتر طعاما فاسأطير بك ثلاثة أيام ، وبعدها سأهبط بك على قصر الأميرة فردوس لعلك تقابل الملكة شهلا .

الملكة شهلا

هبط به برهود على سطح قصر الأميرة فردوس، فاستقبلنه بالترحاب والسلام فقبل يدي الأميرتين وشكرهن على اهتمامهن به ، وبعد ترحيب قالت الأميرة زمردة: أصبحت طويلا يا زهلول وذو هيئة حسنة.. أتذكر تلك الليلة التي دخلت فيها غابة الجن ؟!

فرد قائلا : وهل أنساها أيتها الأميرة ؟! وأتمنى أن يتزوجك صديقي برهود ، فهو وفي لك ، فهل مازال والدك الملك غاضب عليك ؟

قالت الأميرة بحزن : نعم .. وقد خلصتني من زادهوا يا زهلول ، وأنقذت الأمير العزيز برهود من موت محقق فلك الشكر، فقد علمت أيها البطل أنك فقدت الكيس الذي أهديته لك ، فقد ضاع وعاد لبلاد الجن.

فرد آسفا : أجل أيتها الأميرة الكريمة .. احتال

عليّ بعض الأنس وسرقوه .



فقالت الأميرة فردوس صاحبة القصر الجميل: بعد حين يسير أيها البطل الشاب ستأتي ملكة من ملكات الجن ذات شأن وبأس ، صديقة عزيزة لنا ، وهي مالكة الكيس الأولى ، وبعد أن نعرفك عليها فاذكر لها حكاية الكيس السحري ، واطلب منها أن تعيده لك ، فلسوف تساعدك فهي كريمة النفس سخية .

وأمضى زهلول أياما ممتعة في قصر الأميرة ، يأكل من أزكى الطيبات، ويشرب من أعذب المياه وأحلى عصائر الفواكه ، ويتفرج على الطيور الغريبة والعجيبة ، ويتمشى بين الأشجار والأزهار، وجاءه برهود واعلمه بمجيء الملكة شهلا التي أبدت ترحابها به واستغرابها من حياته في قصر الأميرة فردوس، وتذكرت أنها رأته قبل سنوات ثلاث في غابة الجن ، وقد تغيرت صورته فأصبح فارع القامة جميل الوجه حسن الهندام ، فقالت ضاحكة: ويلك ألا تذكر تلك الليلة التي جئت بها إلى الغابة غابة الجن نحيف البنية نحيف الوجه رث الثياب قذر المحيا كأنك لم تأكل منذ سنة ؟!

فابتسم وقال : أجل أيتها الملكة !! .. دخلت الغابة هاربا من عذاب والدي وزوجته القاسية ، هربت من مدينة الماء هائما على وجهي ؛ فإذا أنا بغابة الجن أتمتع برؤيتكن العجيبة ، وقد أشفقت على الأميرة زمردة فوهبتني ذاك الكيس العجيب الذي ضاع .

قالت بدهشة : ضاع .. كيف ضاع ؟!

فحكى لها زهلول قصة ضياع الكيس، وطلب مساعدتها في البحث عنه، وأنه دخل قصر الأميرة فردوس من أجل هذه الغاية، وتكلمت الملكة مع برهود ، ولما سمعت منه رددت هامسة : برهام وجمرة وآخر .. ابشر يا زهلول! فعندما أعود لمملكتي سأطلب من أعواني البحث عن الكيس ، فبأذن المولى سيكون هنا العام القادم أو ربما أرسله مع أحد الاتباع قبل حلول موعد زيارتي لهؤلاء الصديقات .. هذا وعد مني يا صديقنا الإنسي .

فأخذه برهود وخرجا من مجلس الأميرات ، وروت الأميرة زمردة قصة مصرع الفارس زاد هوا وما جرى لزهلول من السجن والنجاة ، وأن والدها ما زال غاضب عليها ويبحث عنها ويرفض زواجها من الأمير برهود ، وأنها تفكر بالمسير لبلاد الجن الأزرق وتتزوج من برهود هناك

ويعيشان في كنفها .

فقالت الملكة شهلا والتي كانت قد عرفت بعض التفاصيل من الأميرة فردوس في زياراتها السنوات الماضية : يسرني ذلك أيتها الأميرة ؛ ولكن الحياة في بلادنا صعبة بالنسبة للغرباء ولا يتقبلكم الجن الأزرق بسهولة ، فما رأيك أن أحدث والدي الملك الأكبر ليتشفع لكم عند الملك جلاد هود .

فقالت الأميرة : لقد تدخلت الأميرة كعب النساء أخت الملك كنعان ملك من ملوك الجن الأصفر العظام ورفض أبي واعتذر وعفا عن حياة زهلول فقط .

فقالت شهلا : تزوجا واختفيا في بلد ما.

ردت الأميرة: نخشى الغدر من أهلي أو من اخوة زادهوا ..نحن نبحث عن الحماية.

أجابت الملكة : سأفكر في أمركما يا صديقتي ، وأنت يا أميرة فردوس ما أخبارك ؟

ردت الأميرة فردوس باسمة : والدي يفكر بتزويجي من ملك من ملوك الجن أصحابه وما زال يفكر، وأنا أعيش في قصري مع حرسي وخدمي ، ولا أغادر المكان إلا لزيارة بعض الأميرات أو زيارة غابة الجن في تلك الليلة التي نجتمع فيها من كل سنة . انتهت الحلقة ١

روايات قلب الوطن

موقعة الثلاثة والعشرين

الحلقة الاولى

رحلة إلى غزة

قدر الله تعالى لي أن أشهد أحداث العدوان على غزة مطلع العام ٢٠٠٩، فقد ازداد لهيب الحرب مطلع القرن الجديد واحد وعشرين بعد ما سموه بحدث ١١ سبتمبر ٢٠٠١ حيث دمر برجي نيويورك الشهيرين برجي التجارة العالمي ـ وهي من المدن العظمى في التاريخ المعاصر ـ لسعت الحرب الجديدة الداخل الأمريكي، وهذا منذ أحداث ميناء بيرل هاربر في الحرب الكونية الثانية الهجوم على بيرل هاربر أو العملية زد كما كان يسميها المقر العام للإمبراطورية اليابانية وهي غارة جوية مباغتة نفذتها البحرية الإمبراطورية اليابانية في ٧ ديسمبر ١٩٤١ على الأسطول الأمريكي القابع في المحيط الهادئ في قاعدته البحرية في ميناء بيرل هاربر بجزر هاواي، حيث غير هذا الحدث مجرى التاريخ وأرغم الولايات المتحدة على دخول الحرب العالمية الثانية.

نحن الشعب الفلسطيني بلينا بالحرب المستمرة بعد سقوط الدولة العثمانية وهزيمتها أمام حلفاء الاستعمار الأوروبي ، ووزعت أملاك وأراضي الدولة بين المستعمرين ، ثم قضى الجند المهزوم عام ١٩٢٤ على الخلافة العثمانية بعد خسارة الحرب الأولى ومعهم حليفهم الألماني.

عرف الشعب الفلسطيني القاطن بين الناقورة شمالا والعريش جنوبا وبين البحرين بالشعب الفلسطيني أثناء حكم الانتداب الإنجليزي ، لم تكن معارك فلسطين بحجم معارك أوروبا لكن أقساها حرب العام ٤٨ النكبة التي شردت مليون فلسطيني من مدنهم وقراهم وبواديهم ؛ لتصبح بلادهم وطنا للحركة الصهيونية العالمية .. كله بأمر الله" قل كل من عند الله " فهو قدر مقدورا ؛ ليتخذ الله منا الشهداء بعد الشهداء ؛ لترو الديار بالدماء الزكية دماء الأمة دماء الرجال والنساء والأطفال والشيوخ .

لم أشاهد حربا حية في حياتي الماضية إلا في الأفلام والوثائق والمذكرات والتلفزيون ، سمعنا عن حرب الجزائر حرب الاستقلال وحجم التضحيات لنيل الحرية وطرد الغازي الفرنسي الكافر المستعمر الفرنسي ، وتحقق التحرير عام ١٩٦٢ ، وأعلنت الدولة الجزائرية المستقلة بعد مائة وخمسين عاما من الجهاد والنزاع غير المتكافئ مع دولة كبرى وحشية استعمارية تملك العدد والسلاح مع عصابات وجيش أسلحته خفيفة اشهرها الكلاشنكوف الروسي.

أنا ايمن خليل موسى من سكان عمان عاصمة الأردن الهاشمي العربي من بلاد الشام الأربعة ، وقد ولدت فيها وعلى أرضها وقرب أحد مخيماتها، لم نسكن المخيم ، لم نجد سعة فيه جاورناه ، رغم أننا نحمل بطاقة لاجئ فلسطيني ، عمري دون الثلاثين ، سنة العدوان الجنوني على شعب غزة عندما عاصرت الحدث وعشته ساعة بساعة.

هاجر أجدادي وآبائي بسبب ما سماه المؤرخون النكبة عام ١٩٤٨، لقد ترك الشعب أو اغلبه الساحل الغربي للوطن خاصة يافا وألويتها كاللد والرملة وقراهما إلى جهات شتى ، منهم من هرب لغزة جنوبا وأصبح غزاويا بسبب هذا الانتقال ، ومنهم شرقا نحو نابلس القدس الخليل رام الله طول كرم ونسب لتلك المدن والمخيمات التي أنشئت فيها ، ومنهم من اجتاز الشريعة نهر الأردن إلى اربد عمان الزرقاء الكرامة .

غزة جنوب فلسطين التاريخية طريق الغزاة إلى مصر أو الغزاة للشرق من مصر والمغرب، الزاحفون من آسيا إلى أفريقيا أو من أفريقيا لآسيا.

على اثر الظلم اليهودي الإنجليزي الأمريكي ذهب الجد موسى عبد الرحيم تجاه غزة ؛ لأن أهل يافا وقراها تشتتوا شرقا وغربا شمالا وجنوبا وبحرا إلى غزة إلى سوريا ولبنان وبعض أهالي التجار وأصحاب المراكب إلى مصر ؛ لأن الكثير من سكان الميناء جذورهم مصرية فكانت فلسطين فيها عائلات من أصول شامية لبنانية كردية عراقية شركسية تركية ، وظهرت الضفة الغربية وقطاع

غزة جزء صغير من محافظة غزة بعد النكبة ، والكثير اجتاز النهر واستقر في عمان والزرقاء واربد وجرش والسلط وسمي أولئك بأهل الشتات الفلسطيني وسميت هجرتهم القسرية بالتغريبة الفلسطينية تشبيها بتغريبة بني هلال المشهورة مع أن بني فلسطين شرقوا إلى الضفتين ، وتناثرت العائلات الفلسطينية والقرى فكان لي أهلون وأقارب يعيشون في غزة ويعملون في الصيد والتجارة والزراعة ثم التعليم .

كان لجدي موسى عبد الرحيم شقيقان إبراهيم عبد الرحيم والأصغر منه محمد عبد الرحيم

سوى الأخوات، الأخوة الثلاثة يعيشون في غزة ، احدهما متزوج امرأة من غزة قبل النكبة، لقد كان في رحلة تجارية لمصر ومرض في غزة وتعافى وطاب له المقام مع الغزيين ونكح امرأة منهم ، فهو تاجر من ملايين فلسطين ، دخل رفح مصر والسويس وبور سعيد والإسماعلية مدن القناة للتجارة ، وكان زوجا لامرأة مصرية ابنة تاجر مصري يتعامل معه ، ولما ترمل تزوج أنثى غزاوية ، ولما وقع اللجوء على الأخ موسى ومحمد اختارا غزة التي يعرفونها جيدا ، ولهم فيها نسب وصهر فيها ؛ فكان هذا سبب رحلينا إليها ، ولم يكن الانتقال إليها سهلا خاصة برا لوجود مستعمرات صهيونية مسلحة بينها وبين يافا والرملة والخليل ، وإبراهيم الأكبر كان اكبر الأخوة كان متنقلا بين غزة ورفح ومصر .

ولكل مدينة فلسطينية عادات خاصة وعادات عامة يشترك بها عامة الشعب ،ولأهل القرى عادات تخالف المدن الكبرى في اللباس الذكوري والأنثوي والألوان والطعام ، يمكن من طقوس اللبس تحدد جهة السكان ولأي منطقة ينتمون ، وربما القرية الواحدة تجد فيها البسة معينة لأهل القرية والحمولة أو الدار ، فالخبير البصير قد يحدد أهل بلد من الزي أو من لفظ حروف العربية واللهجة ، ومن الحلي ، والسبب أو احد الأسباب والتنوع أن بلادنا فلسطين سكنتها قبائل عربية متنوعة من قريش وعرب الحجاز والقيسية واليمنية ، ومن الأوائل الكنعانيون والعبرانيون واليونان والمصريون والبابليون والفرس والكلدان والهكسوس والغزاة من شتى الشعوب ؛ فلذلك تنوعت اللهجات بسبب استقرار أعداد من هذه الشعوب ، فكل قبائل العرب استقرت فيها بين قلة وكثرة ، فبلدي ـ كاتب هذه القصة ـ يوجد فيها اكثر من عشرين حمولة بين قيسي يمني مصري انصهرت الشعوب في حياة مشتركة ومصاهرات ونسب فنتج عنه هذا التنوع في الزي والطعام والألوان للثوب والتطريز وغطاء الرأس وغير ذلك من التقاليد والطقوس الموروثة .

ولما وقع اللجوء اختار موسى غزة على الضفة الغربية فهو يعرفها وطرقها مرات ومرات وأخواه متزوجان من نساء غزة ، فهذا سبب رحلينا إليها والعيش فيها اقصد الجد وغيره.

ولد لجدي موسى والدي خليل الذي سماه على اسم أمير ، ولد بعد النكبة وكان لجدي خمس بنات من أم واحدة وابنه الكبير عبد الرحيم ، وزوجته الأخرى ولدت أبي خليلا وعمي عدليا وبنتين سعيدة ونعيمة ، وعبد الرحيم اكبر أولاده ،وعماتي هن عزيزة وسالمة وحسنية وسعيدة ونعيمة .

الرحلة إلى الشرق

كان احتلال قطاع غزة سنة ١٩٦٧ بما يسميه العرب النكسة التي نكّست رايات العرب عن الجولان السورية والضفة الغربية التابعة للأردن الهاشمي وسيناء وغزة اللتان تتبعان الإدارة المصرية .

فكان من نتيجة المعركة على أهل فلسطين مزيد من المهاجرين والنازحين ، غادر قسم من أبناء الحاج موسى للأردن للعمل مع أقارب سبقونا منذ عام ٤٨ ، وهم والدي خليل وعمي الصغير عدلي وتزوجت عماتي سعيدة ونعيمة في الضفة من أقارب لنا ، فبعد الحرب شرقنا نحو الأردن فأزواجهن يعملون مع الحكومة الأردنية كموظفين ، هكذا وجدنا أنفسنا في الأردن ، ولما تمت وحدة الضفتين حملنا الجنسية والجواز الأردني منحة ملكية من الملك عبدالله ، واصبحنا أردنيين الموطن سوى صفة لاجئ ؛ لكن علاقتنا مع الأعمام والأقارب في أنحاء فلسطين لم تنقطع سواء بالهاتف بالتصاريح بالمصاهرات بالمال والمساعدة.

لقد كان والديّ يزورون غزة والضفة باستمرار إما عن طريق مصر رفح أو عن طريق الضفة ثم غزة ، وبعد ٦٧ تعقد الوضع ويحتاج المرء لتصريح مسبق لزيارة الضفة وغزة عن طريق مصر وعن إذن السفارة المصرية وقنصليتها في عمان فقد خضعت غزة للإدارة الصهيونية بالكامل.

ولدت في سنة خروج منظمة التحرير من بيروت عام ١٩٨٢ حيث كانت آخر معارك الفصائل الفلسطينية مع إسرائيل ، خرجت للحياة ذاك العام ، وكنت مسلما عربيا فلسطينيا وبدأت اسمع عن بلدي وقريتي من الطفولة ، وهجرة أهل فلسطين قسرا ، ونسمع عن العدو الغاصب والظالم الذي اغتصب الديار وسكن الديار بالقوة والنار ، ورغم العدوان والإجرام الذي يحياه الشعب فهم

يتحدثون عن العودة والأمل مهما بلغت التضحيات والشهداء والإصابات، سنعود يوما والناس في هذا الأمل أصناف ، فمنهم من يراه قريبا ومنهم من يراه بعيدا ،وآخرون غير ذلك.

درسنا في مدارس وكالة غوث اللاجئين الأونروا في عمان درسنا عشر سنوات المرحلة الأساسية والمتوسطة وسنتا الثانوية في مدارس الحكومة أنهيت التوجيهي صيف ٢٠٠١ في فترة المراهقة كما شاع تسميتها اليوم ، سمعنا باتفاق أوسلو خلالها وبأنه سيعيد أجزاء من فلسطين لأهل فلسطين يحكمونها كنواة لدولة فلسطينية ستلد خلال سنوات يحكمها عرفات رئيس المنظمة الشهير ، وسيكون من أرضها رام الله وغزة ونابلس وجنين وغيرها ، وسيكون تفاوض على القدس الشرقية ؛ لتكون عاصمة لآخر دولة في العالم ، وعلى قضية اللاجئين والماء والحدود والاستيطان وفي النهاية سيكون لنا كيان فلسطيني صغير طفل سوف يكبر .

حقيقة أخبار روج لها بحماس وقوة من اطراف وصحف وإعلام ، لم اكن اهتم بالسياسة والاقتصاد فتركت الاهتمام لأبي وعمي وأصدقائهما، فمنهم يرى أوسلو حلا مناسبا في مثل هذه الظروف والأحوال ، ومنهم ناقم ويصيح ويولول أين يافا في الاتفاق؟ أين اللد والرملة في أوسلو ؟ ثم حدثت زيارة شارون للأقصى فأشعلت انتفاضة جديدة سميت انتفاضة الأقصى الانتفاضة الفلسطينية الثانية أو انتفاضة الأقصى، اندلعت في ٢٨ سبتمبر ٢٠٠٠ وتوقفت فعلياً في ٨ فبراير ٢٠٠٥ بعد اتفاق الهدنة الذي عقد في قمة شرم الشيخ والذي جمع الرئيس الفلسطيني المنتخب حديثاً محمود عباس ورئيس الوزراء الإسرائيلي أرئيل شارون، وتميزت هذه الانتفاضة مقارنة بسابقتها بكثرة المواجهات المسلحة وتصاعد وتيرة الأعمال العسكرية بين المقاومة الفلسطينية والجيش الإسرائيلي، راح ضحيتها حوالي ٤٤١٢ فلسطينيًا و٤٨٣٢٢ جريحًا، وأما خسائر الجيش الإسرائيلي تعدادها ٣٣٤ قتيلا ومن المستوطنين ٧٣٥ قتيلا ؛ وليصبح مجموع القتلى والجرحى الإسرائيليين ١٠٦٩ قتيلا و٤٥٠٠ جريح، وعطب ٥٠ دبابة من نوع ميركافا ودمر عدد من الجيبات العسكرية والمدرعات الإسرائيلية، ومرت مناطق الضفة الغربية وقطاع غزة خلالها بعدّة اجتياحات إسرائيلية منها عملية الدرع الواقي وأمطار الصيف والرصاص المصبوب، كانت شرارة اندلاعها دخول رئيس الوزراء الإسرائيلي أرئيل شارون إلى باحة المسجد الأقصى برفقة حراسه، الأمر الذي دفع جموع المصلين إلى التجمهر ومحاولة

التصدي له، فكان من نتائجه اندلاع أول أعمال العنف في هذه الانتفاضة، يعتبر الطفل الفلسطيني" محمد الدرة "رمزًا للانتفاضة الثانية فبعد يومين من اقتحام المسجد الأقصى، أظهر شريط فيديو التقطه مراسل قناة تلفزيونية فرنسية في ٣٠ سبتمبر/ أيلول ٢٠٠٠، مشاهد إعدام للطفل (١١ عامًا) الذي كان يحتمي إلى جوار أبيه ببرميل إسمنتي في شارع صلاح الدين جنوبي مدينة غزة.

قيل قامت الانتفاضة بإذن من سلطة عرفات وتفاعل العالم مع يومياتها ومظاهرات عمت بعض عواصم العالم ، ثم كانت أحداث أيلول الغريبة في أمريكا وسقوط برجي التجارة وحمي وطيس الحرب بغزو أفغانستان ، وأما أنا فدخلت الجامعة ودرست هندسة حاسوب وتخرجت في ٢٠٠٥ ، وكان حديث زواجي من ابنة عم تعيش في غزة ، تخرجت من الجامعة الإسلامية لرغبة أعمامي وجدي الكبير هنالك بذلك لاستمرار مسيرة التواصل بين العائلات فهذا الهدف الأهم بين أفراد العائلة الكبيرة ، فالزواج يقرب البعيد ولبقاء الود بين الأخوة والأصدقاء وهذا شائع بين العائلات الغزية في عمان والأردن بعامة وغزة رغم التعقيدات الإدارية التي لابد من تذليلها فالغزيون كانوا يحملون جنسية مصر ووثيقة سفر مصرية قبل الاحتلال عام ٦٧ ، وهنا جواز مؤقت ، لا يحملون رقم وطني ودفتر عائلة ، فالناس لا تهتم لهذه التعقيدات والمعوقات حتى أن بعض الناس في غزة أمهاتهم مصريات وغزاويات أزواجهن مصريون من العريش ورفح المصرية.

وأنا ايمن خليل لم يكن لديّ مانع بالزواج من بنات أعمامي الكائنات في القطاع ؛ فلذلك جرى ترتيب لزيارة غزة لمشاهدة أقاربي والتعرف عليهم والزواج منهم وكذلك المهندس ناصر الدين ابن عمتي سعيدة زوجة الطبيب جمال الدين بهار ، وأختي هاجر خليل الصيدلانية المتخرجة حديثا ، فهكذا تهيأت الأسباب للمسير إلى غزة هاشم كما يحلو للبعض تسميتها بذلك ؛ لأن احد أجداد النبي ﷺ مات فيها، فكان الترتيب والخطة أن نسافر بالطائرة لمصر القاهرة أنا وأختي هاجر وعمتي سعيدة وابنها ناصر الدين، الأجواء غالبا في القطاع متوترة منذ احتلتها إسرائيل، فهي تتعرض لقصف مستمر ومتكرر رغم وجود سلطة أوسلو ؛ ولكن أهل غزة اعتادوا على ذلك الألم ، ولديهم صبر عجيب عليه ،كانت غزة قد تخلت عنها إسرائيل عام ٢٠٠٥ بما يسمى "خطة فك الارتباط "أو "خطة فك الارتباط أحادي الجانب" وهو الاسم الذي اختارته الحكومة الإسرائيلية لخطة قامت بتنفيذها

بصيف عام ٢٠٠٥ وبحسبها قامت بإخلاء المستوطنات الإسرائيلية ومعسكرات الجيش الإسرائيلي من قطاع غزة وأربع مستوطنات أخرى متفرقة في شمال الضفة الغربية، وهي نتيجة لمعركة أيام الغضب التي فشلت فيها إسرائيل في تحقيق أهدافها بمنع الصواريخ التي تطلق من غزة.

كان من ضمن الخطة انتشار قوات الجيش الإسرائيلية على الشريط الحدودي مع قطاع غزة وكان رئيس الوزراء الإسرائيلي أرئيل شارون المبادر وقائد هذه الخطة، وكان يسكن في قطاع غزه عند القيام بالخطة ٨٦٠٠ مستوطن إسرائيلي، ارتكز تاريخ بدء إخلاء قطاع غزة من المستوطنين على تاريخ ١٥ أغسطس ٢٠٠٥ واكتمل الأخلاء في غضون ٨ أيام، وبعد يوم من الإخلاء بدأت احتفالات للفلسطينيين في القطاع بالمناطق التي كانت عليها المستوطنات، وهذه الاحتفالات شملت أعمال تخريب وحرق لكل شيء تركه الإسرائيليون حتى حرق جميع دور العبادة اليهودية أو الكنيس .. أكمل الجيش الإسرائيلي إخلاء المستوطنات شمال السامرة بتاريخ ٢٢ سبتمبر .

أحدثت خطة فك الارتباط جدلاً واسعاً في إسرائيل وكانت مخالفة لوعود أرئيل شارون قبل انتخابه، مع أنها نجحت بالتصويت عليها بالكنيست بعد القراءة الثالثة في ١٦ فبراير ٢٠٠٥ بأغلبية ٥٩ مؤيد أمام ٤٠ معارض و٥ امتنعوا عن التصويت.

شارون رفض عرض الخطة لاستفتاء عام، قام جيش الاحتلال الإسرائيلي بإخلاء المستوطنين اليهود الذين رفضوا مغادرة المستوطنات في الفترة ما قبل ١٥ سبتمبر ٢٠٠٥ قسراً ونشأت عن ذلك احتجاجات عارمة وأعمال شغب، وقامت الحكومة الإسرائيلية لاحقاً بتعويض المستوطنين مبالغ طائلة مقابل مغادرتهم المستعمرات بقطاع غزة .

التخطيط الأساسي كان يقضي بإخلاء المستوطنات دون أي مفاوضات مع الفلسطينيين لكن بعد وفاة ياسر عرفات تبدلت القيادة في السلطة الفلسطينية فاستلم محمود عباس السلطة. وقامت جهود للتنسيق مع الفلسطينيين، نُقل مستوطنون من غزة وشمال الضفة وأسكنوا في عكا ويافا ثم اللد والرملة، وبيعت الأملاك والشقق في هذه المدن التاريخية، في مناقصات لا يستطيع السكان الفلسطينيون في المدن التاريخية المذكورة منافستها، أو دفع الثمن الذي تطلبه الشركة، للمستوطنين مع إنذارات بالإخلاء قصيرة الأجل.

سهلت السفارة المصرية رحلتنا لمصر ، خرجنا من عمان يوم الاثنين ٢٢/١٢ / ٢٠٠٨صباحا إلى مطار القاهرة الدولي ،قضينا يوما في احد فنادق القاهرة العريقة ، واشترينا هدايا الرحلة وجلها من القماش ، وسنرحل بالحافلات إلى العريش ثم رفح وهي سهلة وميسرة وبعد ساعات كنا في رفح المصرية ، وبعد تفتيشنا والاطلاع على ما نحمل وعلى جواز سفرنا والتأكد من غايتنا لزيارة لغزة ؛ وليس لنا صلة بحماس ولا نحمل أموالا لهم وأننا مواطنون أردنيون من أصول غزية أو فلسطينية ؛ كما يطيب للبعض بوصفنا ؛ كأننا من كوكب آخر انتقلنا للجانب الآخر رفح الغزية ، تركنا ميناء مصر إلى معبر رفح المعبر العربي الوحيد مع العالم العربي ، وكان فيه رجال السلطة الفلسطينية حسب اتفاقات أوسلو بين مصر وإسرائيل ورقابة أوروبية قبل سيطرة حماس على غزة كاملة.

كانت السيطرة عام الحسم ٢٠٠٧بعد صراع طويل كان القطاع برأسين ، وسكن وضعف احدهما وضعف الفلتان الأمني الذي كان سائدا ومزعجا قبل السيطرة الحمساوية ، كانت مجموعات مسلحة تملأ القطاع ؛ لأن لكل فصيل فلسطيني جناحا عسكريا، وبعد انسحاب اليهود أصبحت تسمى غزة المحررة ؛ ولكنها محاصرة برا جوا بحرا ، انسحب شارون انسحابا شبه مفاجئ دون تنسيق مع سلطة أوسلو ، استقبلنا أبناء العمومة على المعبر وهم في ازدياد بفضل الله ، فهم في القطاع قبل النكبة وبعدها وبعضهم من أثرياء المدينة، كنا ليل الأربعاء في منزل جدي موسى عبد الرحيم في حي قديم حي الزيتون ، فهو اكبر أحياء المدينة ويقال الأكثر سكانا وسيكون لي حديث عن أحياء غزة القديمة قبل النكبة ، كان جدي هرما لا يستطيع القيام بسهولة فانحنينا وقبلناه وقبلنا جميعا ورأيت دمعات سالت على خديه وهو يعانق ابنته سعيدة أم محمد قال بصوت واهن : قاتل الله اليهود فرقونا في بقاع الدنيا قاتلهم الله أينما كانوا اصبح لقاؤنا واجتماعنا وشملنا من المعجزات ، بعض الأحفاد هنا وبعضهم في الأردن وبعضهم في مصر وآخرون في لبنان وسوريا خاصة الذين لحقوا بالثورة والبعض يعمل في دول الخليج . ثم أخذ يسأل عن الأهل فردا فردا ، وهو يعرف القليل من الأسماء، أما الأحفاد فهو يعرف الكبار منهم ، وكانت هذه أول مرة ادخل فلسطين الوطن ادخل غزة وارى الجد وله زوجة عجوز مثله .

رأينا بعض أفراد العائلة للجد موسى خاصة العم عبد الرحيم، أولاد الأعمام والعمات ، فمنهم المهاجر ، ومنهم طالب علم في مصر ، ومنهم يعمل في السعودية وقطر والخليج بعامة ، واستقر

بعضهم فيها ، فرحت برؤية الموجود ، وحديثهم في السياسة متواصل والوضع المتوتر بين الفصائل وإسرائيل ، وانهيار هدنة بينهم وبين الجيش الصهيوني، الكل يتابع الأخبار ، فالكل بدا متوترا ، كانت إشاعات تتحدث عن تخلي مصر عن مشاكل القطاع ، فهم لا يريدون طالبان بجوارهم أو إمارة إسلامية، وحماس تلوح بعدم تجديد الهدنة ، شعرت بالأجواء المتوترة والقلق والغدر من أولى الجلسات، ومع ذلك لمست الثبات والشجاعة في الصغار والكبار ، وأنهم تعودوا على مشاهد الموت والشهداء ، عجبت لهم ولصبرهم فقال عم لي : أنتم في عمان في أمان واستقرار ، فنحن منذ نكبة فلسطين ونحن نقارع اليهود فلا أظن عائلة غزاوية لم تنكب بمصيبة أو اكثر مع هؤلاء الملاعين، والشيء الذي يجمع عليه الناس ألا يخرجوا مرة أخرى مهما أصابهم لا نفعل ما حدث في ٤٨ ولن يتكرر ، لقد بهدلنا في كل أقطار الدنيا بعضهم يمنحك جواز سفر دائم لسنوات ، وبعضهم يعطيك جواز مؤقت لسنة لسنتين أو وثيقة سفر ، الشعب الغزاوي مصر على الحياة الكريمة في ارض الأجداد.

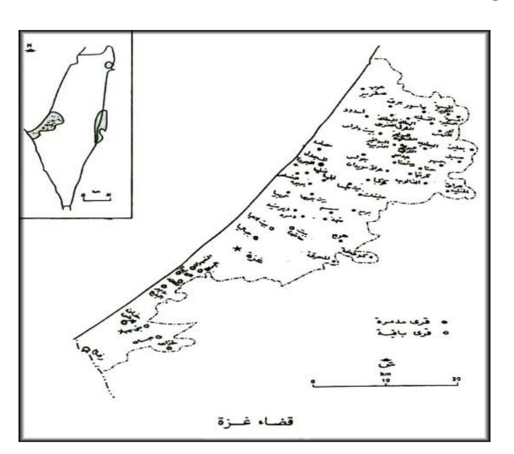
وقال شاب متحمس عن اليهود : يراقبون السماء والأرض ٢٤ ساعة.. القصف المتقطع لا يتوقف فمنذ أول الشهر سقط شهيد وأربعة جرحى في غارة على منطقة رفح وحاول العدو اللئيم التوغل شرق رفح فتصدت له قوات القسام وقصفت البلدات المجاورة للقطاع وبعد أيام سقط صاروخ على مجموعة من الناس شرق جحر الديك جنوب شرق غزة كان القصف في ٧/ ١٢ أصاب مقاوم من صلاح الدين ..هذه هدنة من جانب واحد ومصر تضغط علينا من اجل تمديد الهدنة أو الاستسلام لرأي القتلة وفي ١٤ / ١٢ أغلقت المعابر التجارية بعد أن منعوا سفينة الصيد المعدة في يافا لكسر الحصار عنا

ـ قبل يومين أو ثلاث اغتالت القوات من سرايا القدس غرب جنين مما دفع الفصائل لقصف مواقع في النقب الغربي وقتل مقاوم من آل حجازي في غارة على جباليا ، وقصفوا اطراف حي الشجاعية القريب منا فأصابوا أربعة مواطنين بجراح .. الحرب مستمرة ولن تهدأ ويتوقع البعض بأن تقوم إسرائيل بحرب شاملة على القطاع خلال أيام ؛ لأن مستوطنة سديروت سكانها يهربون إلى الداخل.

غزة في التاريخ

هذه غزة قبل الاحتلال وقبل أن تصبح قطاعا ، غزة من بلاد فلسطين ، قريبة من بيت المقدس متوسطة في العظم ، ذات كروم على ساحل البحر ، وبساتين ، ونخل قليل ، وبينها وبين البحر أكوام

رمال على بساتينها ، ولها قلعة صغيرة ، وشربهم من آبار ؛ بعضها طيب ، وهواؤها معتدل وكانت



مستطرقا لأهل الحجاز ؛ حتى قيل : إن عمر – رضي الله عنه – أسر فيها في الجاهلية ، وإن هاشم بن عبد مناف جد النبي صلى الله عليه وسلم خرج في تجار من قريش أربعين من بني عبد مناف ومخزوم وسهم وعامر بن لؤي ، فاشتكى بغزة ، فأقاموا عليه حتى مات بها ، فدفنوه هناك ، ورجعوا بتركته إلى بنيه .

وقد خرج منها جماعة من الأئمة والمحدثين ؛ فيهم كثرة ، وولد بها أو بعسقلان إمامنا الشافعي – رضي الله عنه – كما جاء كل منهما عنه في رواية ، وجمع بينهما بثالثة قال فيها : ولدت بغزة ، وحملتني أمي إلى عسقلان ، وبالجملة فهما متقاربتان ، وعسقلان هي الأصل في قديم الزمان ، وهي المدينة ، فحيث قال الشافعي غزة فقط أراد القرية ، أو عسقلان فقط أراد المدينة .. ولها فخر بأحد نوابها سنجر الجاولي شارح ' مسند الشافعي ' ، وبداخلها عدة جوامع ومدارس (البلدانيات للإمام السخاوي)

ومن خرج من فلسطين مغربا يريد مصر خرج من الرملة إلى مدينة يبنا ثم إلى مدينة عسقلان، وهي على ساحل البحر، ثم إلى مدينة غزة وهي على الساحل أيضا، ثم إلى رفح وهي آخر أعمال الشأم، ثم إلى موضع يقال له الشجرتين وهي أول حد مصر، ثم إلى العريش وهي أول مسالح مصر وأعمالها، ويسكن العريش قوم من جذام وغيرهم وهي قرية على ساحل البحر، ومن العريش إلى قرية يقال لها البقارة، ومنها إلى قرية يقال لها الورادة في جبال من رمال، ثم إلى الفرما وهي أول مدن مصر وبها أخلاط من الناس، وبينها وبين البحر الأخضر ثلاثة أميال، ومن الفرما إلى قرية يقال لها جرجير مرحلة، ومنها إلى قرية يقال لها فاقوس مرحلة، ومنها إلى قرية يقال لها غيفة، ثم الفسطاط (القاهرة اليوم) ، حدثني أبو حفص الدمشقي عن سعيد بن عبد العزيز عن أشياخه وعن بقية ابن الوليد، عن مشايخ من أهل العلم قالوا: كانت أول وقعة واقعها المسلمون الروم في خلافة أبى بكر الصديق رضى الله عنه أرض فلسطين، وعلى الناس عمرو ابن العاص.

ثم إن عمرو بن العاص فتح غزة في خلافة أبى بكر رضى الله عنه، ثم فتح بعد ذلك سبسطية ونابلس

على أن أعطاهم الأمان على أنفسهم وأموالهم ومنازلهم، وعلى أن الجزية على رقابهم والخراج على أرضهم، ثم فتح مدينة لد وأرضها، ثم فتح يبنى وعمواس وبيت جبرين، واتخذ بها ضيعة تدعى عجلان باسم مولى له، وفتح يافا، ويقال فتحها معاوية. وفتح عمرو رفح على مثل ذلك. وقدم عليه أبو عبيدة بعد أن فتح قنسرين ونواحيها، وذلك في سنة ست عشرة وهو محاصر إيلياء، وإيلياء مدينة بيت المقدس.(البلدان)

وفي معجم البلدان : وغزة مدينة في أقصى الشام من ناحية مصر بينها وبين عسقلان فرسخان أو أقل وهي من نواحي فلسطين غربي عسقلان ، وفيها مات هاشم بن عبد مناف جد رسول الله ﷺ وبها قبره ؛ ولذلك يقال لها غزة هاشم ، وفيها ولد الإمام أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي رضي الله عنه وانتقل طفلا إلى الحجاز فأقام وتعلم العلم هناك ويروى له يذكرها:

وإني لمشتاق إلى أرض غزة ❊ ❊

وإن خانني بعد التفرق كتماني

سقى الله أرضا لو ظفرت بتربها

كحلت به من شدة الشوق أجفاني

وفي آثار البلاد وأخبار العباد : مدينة طيبة بين الشام ومصر على طرف رمال مصر، قال، ﷺ : أبشركم بالعروسين غزة وعسقلان. (حديث ضعيف)

فتحها معاوية بن أبي سفيان في أيام عمر بن الخطاب. وكفاها معجزاً أنها مولد الإمام الشافعي هذا ما قاله القدماء عنها وقال المعاصرون : قطاع غزّة : هو المنطقة الجنوبية من الساحل الفلسطيني على البحر المتوسط، وهي على شكل شريط ضيق شمال شرق شبه جزيرة سيناء يشكل تقريبا ١،٣٣٪ من مساحة فلسطين التاريخية من النهر إلى البحر يمتد القطاع على مساحة ٣٦٠ كم مربع، حيث يكون طولها ٤١ كم، أما عرضها فيتراوح بين ٦ و١٢ كم ، يحد قطاع غزة الكيان الغاصب إسرائيل شمالاً وشرقاً، بينما تحدها مصر من الجنوب الغربي، والبحر غربا ، تسمى بقطاع غزة نسبة لأكبر مدنه وهي غزة .



كان قطاع غزة جزءا لا يتجزأ من منطقة الانتداب البريطاني على فلسطين حتى إلغائه في مايو ١٩٤٨ وفي خطة تقسيم فلسطين ١٩٤٧ كان القطاع من ضمن الأراضي الموعودة للدولة العربية

الفلسطينية، غير أن هذه الخطة لم تطبق أبدا، وفقدت سريانها إثر تداعيات حرب ١٩٤٨ بين ١٩٤٨ و١٩٥٦ خضع القطاع لحكم عسكري مصري، ثم احتلها الجيش الإسرائيلي لمدة ٥ أشهر في هجوم على مصر كان جزء من العمليات العسكرية المتعلقة بأزمة السويس، في مارس ١٩٥٧ انسحب الجيش الإسرائيلي فجددت مصر الحكم العسكري على القطاع .

في حرب ١٩٦٧ احتل الجيش الإسرائيلي القطاع ثانية مع شبه جزيرة سيناء، في ١٩٨٢ أكملت إسرائيل انسحابها من سيناء بموجب معاهدة السلام المصرية الإسرائيلية، ولكن القطاع بقي تحت حكم عسكري إسرائيلي إذ فضلت مصر عدم تجديد سلطتها عليه.

دخلت إلى بعض مناطقه السلطة الوطنية الفلسطينية بعد توقيع اتفاقية أوسلو في العام ١٩٩٣، وفي فبراير ٢٠٠٥، صوّتت الحكومة الإسرائيلية على تطبيق خطة رئيس الوزراء الإسرائيلي أرئيل شارون للانسحاب الأحادي الجانب من قطاع غزة وإزالة جميع المستوطنات الإسرائيلية والمستوطنين والقواعد العسكرية من القطاع، وتم الانتهاء من العملية في ١٢ سبتمبر ٢٠٠٥ بإعلانها إنهاء الحكم العسكري في القطاع .

يشكل القطاع مع الضفة الغربية ، نواة الدولة الفلسطينية الموعودة التي تفاوض على إقامتها السلطة الفلسطينية (وهي الأراضي التي احتلتها إسرائيل في ٥ حزيران ١٩٦٧م)

السكان :يعيش حوالي ١,٥ مليون فلسطيني في قطاع غزّة ، أغلبهم من لاجئي حرب ١٩٤٨، ويوجد في قطاع غزّة حوالي ٤٤ تجمعا سكانيا فلسطينيا أهمها : غزة رفح ، خان يونس، بني سهيلا ، جباليا ، دير البلح ، خزاعة، عبسان الكبير عبسان الجديدة ، بيت لاهيا، بيت حانون كانت إسرائيل قد قامت ببناء حوالي ٢٥ مستوطنة في قطاع غزّة ، تتركز على ساحل جنوب القطاع وفي أطراف القطاع الشمالية ، قدر عدد المستوطنين فيها بحسب دائرة الأبحاث التابعة للكنيست الإسرائيلي(٢٠٠٣م) بـ ٧٧٨١ مستوطنا ، تم إخلاء هذه المستوطنات وهدمها ضمن خطة الانسحاب الإسرائيلية من قطاع غزة.

مدينة غزة: مدينة وميناء على البحر الأبيض المتوسط، حوالي ٣٢ كيلومتر شمال الحدود المصرية هذه المدينة القديمة أعطت اسمها إلى قطاع غزة، الإقليم الذي احتلّ من القوات الإسرائيلية منذ ١٩٦٧ حتى ١٩٩٤ .

قطاع غزة يغطّي حوالي ٣٧٨ كيلومتر مربع (حوالي ١٤٦ ميل مربع) و يمتدّ من شمال شرق

شبه جزيرة سيناء على طول البحر الأبيض المتوسط إلى حوالي ٤٠ كيلومتر (حوالي ٢٥ ميل) في القرن السابع أصبحت مدينة إسلامية ، سقطت غزة في يد الفرنسيين بقيادة الجنرال نابليون بونابارت خلال حملته المصرية، أحتلت المدينة من الجيوش البريطانية تحت قيادة الجنرال إدموند هنري هينهان اللنبي في ١٩١٧، خلال الحرب العالمية الأولى .

وفق قرار التقسيم الصادر من الأمم المتّحدة في ١٩٤٧، غزة كانت ضمّن المنطقة العربية ، في ١٩٤٨ خلال الحرب بين اليهود و العرب، القوات مصرية دخلت غزة والمنطقة المحيطة بها. هذا الإقليم أصبح تحت سيطرة مصر وفق اتفاقية الهدنة العربية الإسرائيلية في ١٩٤٩، خلال الحرب حوالي ٢٠٠،٠٠٠ لاجئ فلسطيني من الأراضي العربية المحتلة من قبل إسرائيل في ١٩٤٨ هاجروا إلى قطاع غزة وبذلك تضاعف عدد السكان.

بالرغم من كون مدينة غزة تمتلك الأسواق وبعض الصناعة الخفيفة، وقطاع غزة منطقة منتجة للحمضيات إلا أن الاقتصاد لا يمكنه دعم عدد السكان الكبير، ولذلك دعم من قبل وكالة الأمم المتحدة لإغاثة وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين في الشرق الأدنى.

في ربيع ١٩٥٦ كان هناك عدّة اصطدامات عسكرية بين مصر وإسرائيل حدثت في قطاع غزة ، في أكتوبر/ تشرين الأول ١٩٥٦، هاجمت إسرائيل منطقة قناة السويس في مصر بالتعاون مع فرنسا وبريطانيا ، استولت القوّات الإسرائيلية على قطاع غزة وتقدّمت إلى سيناء، في مارس/ آذار التالي حلّت قوة طوارئ الأمم المتّحدة محل القوّات الإسرائيلية ، ومصر استعادت السيطرة على الإدارة المدنية للشريط.

استولت القوات الإسرائيلية على المنطقة ثانية خلال الحرب العربية الإسرائيلية من حزيران ١٩٦٧م ، في بداية ديسمبر/ كانون الأول ١٩٨٧، بدأت الانتفاضة الأولى في المنطقة خلال مظاهرات من قبل الفلسطينيين التي تطلب بحق تقرير المصير و إنهاء الاحتلال.

في سبتمبر/ أيلول ١٩٩٣، بعد مفاوضات سرية بين رئيس وزراء إسرائيل إسحاق رابين ورئيس منظمة التحرير الفلسطينية ياسر عرفات وقّعا اتفاقية إعلان مبادئ التي تقر انسحاب إسرائيل من قطاع غزة ومناطق أخرى، وتحويل إدارة الحكومة المحلية للفلسطينيين في أيار/ مايو ١٩٩٤ انسحبت القوات الإسرائيلية من القطاع، وأصبحت المنطقة تحت ما يسمى السلطة الفلسطينية، وظهر إعلان أوسلو.

مخيمات قطاع غزة: مخيم جباليا في شمال القطاع

بين بلدتي جباليا وبيت لاهيا ، مخيم الشاطئ في غربي مدينة غزة ، مخيم البريج في وسط القطاع ، مخيم النصيرات في وسط القطاع ، مخيم الشابورة في جنوبي القطاع قرب رفح ، مخيم دير البلح في وسط القطاع، مخيم خانيونس في جنوبي القطاع قرب خانيونس ، مخيم المغازي في وسط القطاع .

يقع كل من شاطئ وميناء غزة على بعد ٣ كم عن مركز مدينة غزة ، تبعد مدينة غزة ٧٨ كيلومترًا إلى الجنوب الغربي من القدس، و ٧١ كيلومترًا جنوب تل الربيع يافا وعلى بعد ٣٠ كيلومترًا شمال مدينة رفح ، بيت لاهيا وبيت حانون، وجباليا إلى الشمال، وقرية أبو مدين، ومخيم البريج ومدينة دير البلح إلى الجنوب.

تشكل البلدة القديمة جزء رئيسي من نواة غزة، وتتكون من حي الدرج في الشمال (المعروف أيضًا باسم الحي مسلم) وحي الزيتون في الجنوب، تعود مُعظم المباني إلى العصر المملوكي أو العصر العثماني وبُنيت على بعض المباني القديمة ، تتكون غزة من ١١ حي يقع حي الدرج وحي الصبرة ما بين حي الرمال والبلدة القديمة

حي الشجاعية : من أكبر أحياء مدينة غزة، وينقسم إلى قسمين الشجاعية الجنوبية (التركمان) والشجاعية الشمالية (الجديدة)، بُنى خلال عهد الأيوبيين، يسكنه أكثر من ٣٠٠ ألف نسمة، ويعمل معظم سكانه بصناعات خفيفة مثل الخياطة والزراعة وغيرها كما أنه يمتاز بأنه منطقة تجارية فيها كل الأشكال التجارية والورش، به مقبرتان القديمة، ومقبرة الشهداء، وبه أكبر منطقة صناعية في غزة، وبه معبر المنطار التجاري ، وقد شهد هذا الحي العديد من الاجتياحات الإسرائيلية.

حي التفاح :تعود هذه التسمية لكثرة أشجار التفاح التي كانت تنتشر في هذا الحى وهو من الأحياء القديمة بمدينة غزة .

حي الرمال : ويعتبر من أرقى أحياء مدينة غزة بُنى في ثلاثينات وأربعينيات القرن ٢٠ وينقسم إلى الرمال الشمالي والجنوبي ، ويمتد الشمالي منه من بداية حي الشيخ رضوان (الشارع الأول) إلى شارع المختار والرمال الجنوبي من شارع عمر المختار إلى بداية حي تل الهوى.

حي النصر :سُمي الحي بالنصر احترامًا لجمال عبد الناصر الذي بُنى في خمسينيات القرن ٢٠

حي الزيتون :سمي بذلك لكثرة أشجار الزيتون المزروعة فيه، ولكن تم اقتلاع وتجريف الكثير منها خلال انتفاضة الأقصى ، ويعتبر حي الزيتون أحد أكبر أحياء مدينة غزة،

حيث يقطنه أكثر من ١٠٠ ألف نسمة. ومن حيث المساحة وثاني أكبرها من حيث عدد السكان يقع أيضاً في قلب

المدينة التلية القديمة، ويحتل نصفها الجنوبي تقريباً (جنوب شارع عمر المختار) وسمي كذلك نسبة



لكثرة أشجار الزيتون التي ما زالت تغطي معظم أراضيه الجنوبية حتى اليوم، فالحي القديم كان يمثل الجزء المكمل لحي الدرج تجارياً وسكنياً قبل الحرب العالمية الأولى عندما كانا يمثلان كتلة عمرانية واحدة قبل شق شارع "جمال باشا" إبان الحرب الأولى، والذي سمي فيها بعد وفي الثلاثينات من هذا القرن باسمه الحالي "شارع عمر المختار"لذا فقد كان فيه العديد من الأسواق مثل "سوق السروجية" التي وصفها "أوليا جبلي" سنة ١٦٤٩م بأنها رائجة وسوق النجارين ... الخ.

حي الدرج : وكان يسمى سابقاً " حي بنى عامر " نسبة لقبيلة بنى عامر العربية التي سكنته مع بداية الفتح الإسلامي ثم حي "البرجلية " نسبة للمحاربين المدافعين عن أبراج المدينة في العصر المملوكي.

حي الصبرة :من أحياء غزة القديمة نسبيًا ويقع بعد شارع الثلاثيني.

حي الشيخ رضوان :يمتد من الشارع الأول إلى الشارع الثالث شمالاً ومن شارع النصر غرباً ومن مخيم جباليا شرقاً ويقع الحي على بعد ٣ كيلومتر شمال البلدة القديمة



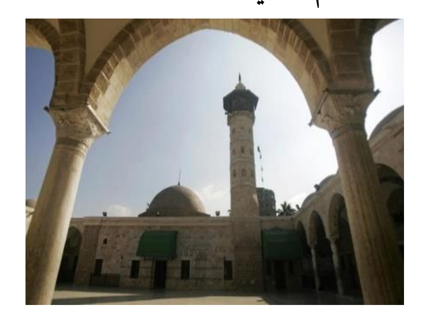
حي تل الهوى :وهو أحد الأحياء الجديدة وبرزت فيه العمارة بعد قدوم السلطة الفلسطينية إلى غزة حيث أقيمت أغلب المؤسسات الحكومية في هذا الحي، وعند قدوم حكومة حركة المقاومة الإسلامية حماس عن طريق الانتخابات قامت بتسميته بتل الإسلام، لكن لم تنجح في ذلك، وبقي الناس ينادوه بتل الهوى.

حي الشيخ لجين :هو حي يقع في جنوب مدينة غزة بالقرب من الطريق الساحلي ، هاجمت قوات الدفاع الإسرائيلية الحي في ١٨ تشرين الثاني ٢٠٠٢، ودمرت مكاتب جهاز الأمن الوقائي

التابع للسلطة الوطنية الفلسطينية.

أسست جامعة الأزهر في العام ١٩٩١، وهي مؤسسة أكاديمية مستقلة من مؤسسات التعليم العالي في فلسطين، تعمل بإشراف وزارة التربية والتعليم العالي الفلسطينية.

تأسست الجامعة الإسلامية بغزة في العام ١٩٧٨، وهي مؤسسة أكاديمية مستقلة من مؤسسات التعليم العالي في فلسطين، تعمل بإشراف وزارة التربية والتعليم العالي الفلسطينية.



يقع الجامع العمري في حي الدرج يعتبر هذا الجامع بمئذنة الرشيقة أكبر المساجد الأثرية وأهمها في مدينة غزة وأقدم جزء في الجامع العمري بازيليكي الطراز ويعود إلى القرن الثاني عشر الميلادي . كان في الأصل معبد وثني، وقد كرسه البيزنطيون إلى كنيسة الأرثوذكسية اليونانية، ومن ثم حوله العرب إلى مسجد في القرن الثامن ، وقام الصليبيون بتحويله إلى كنيسة مرة أخرى، ولكن في النهاية قام المسلمون بتحويله إلى مسجد والذي يعتبر الأكبر والأقدم في قطاع غزة.وقد أضيف للجامع عدة إضافات في العصر المملوكي والعثماني.

جامع السيد هاشم يقع بحي الدرج "مدينة غزة القديمة"، ويعد من أجمل جوامع غزة الأثرية وأكبرها، وهو عبارة عن صحن مكشوف تحيط به أربع ظلات أكبرها ظلة القبلة وفي الغرفة التي تفتح على الظلة الغربية ضريح السيد هاشم بن عبد مناف جد رسول الله محمد"ﷺ" الذي توفى في غزة أثناء رحلته التجارية "رحلة الصيف. وقد أنشئ المسجد على يد المماليك، وجدده السلطان عبد الحميد سنة ١٨٥٠م-١٢٦٨هـ، وسميت مدينة غزة "بغزة هاشم" نسبة إليه

كنيسة الروم الأرثوذكس تقع بحي الزيتون، ويعود تاريخ بنائها إلى بداية القرن الخامس الميلادي أما الأبنية الحالية فتعود إلى القرن ١٢م، تمتاز هذه الكنيسة بالجدران الضخمة المدعمة بأعمدة رخامية وجرانيتية تثبت بوضع أفقي لدعم الجدران بالإضافة إلى الأكتاف الحجرية، ولقد جددت الكنيسة سنة ١٨٥٦م، وفي الزاوية الشمالية الشرقية منها يوجد قبر القديس برفيريوس الذي توفى سنة ٤٢٠م، يشار إلى أن عدد النصارى في قطاع غزة هو في حدود ٢٠٠٠ مسيحي فقط، وأن

٧٠٪ منهم هم من الأرثوذكس ويتبعون مرجعية القدس ، أما الباقي فهم من الكاثوليك ويتبعون مرجعية روما.

ساحة الجندي المجهول تقع في حي الرمال، هو نصب تذكاري مُخصص لمقاتلة فلسطينية مجهولة التي لقت حتفاها في حرب عام ١٩٤٨، قامت القوات الإسرائيلية عام ١٩٦٧بهدم النصب، وبقيت قطعة من الأرض الرملية، حتى تم بناء حديقة عامة هناك بتمويل من النرويج ، منتزه بلدية غزة يقع في حي الرمال.. هذه غزة قديما وحاضرا باختصار مفيد .

حي الزيتون

حي الزيتون من أحياء مدينة غزة ، وتتكون المدينة كما هو معروف من أحياء أو حارات فمنها الكبير والصغير حسب التطور العمراني وتكاثر السكان أو توسع العمران ، فهناك أحياء قديمة وأحياء حديثة ، أحياء قديمة كبرت أو تغيرت بهدم القديم وإنشاء جديد مكانه، وتولد أحياء قيل سمي بذلك الاسم لكثرة شجر الزيتون المغروس فيه ، وهو يقع جنوب المدينة وما زال غنيا بالزيتون وقطنت فيه عائلات قديمة وجديدة كعائلة عاشور والرمي وعزام وصيام ودلول العشي أبو سفيان الدهشان وأسماء أخرى.

قال ايمن : قضينا الليلة الأولى في بيت الجد موسى عبد الرحيم نسمع الحكايات والذكريات والتعارف وفلان وفلان كم أولاده كم بناته وزوجاته وأعمالهم وأنسبائهم وأصهارهم وأقاربهم عمارة الجد ثلاثة طوابق وهو بيت واسع ، واسفل العمارة تسوية كملاجئ ومخازن فغزة تعيش الحرب من النكبة ، الجد يسكن شقة واسعة في الطابق الأرضي ، وعمي عبد الرحيم الأول ، وله ولد اسمه حاتم متزوج ،ويسكن في نفس الطابق مع أبيه ولعمي هذا زوجة ثانية وثالثة في حي آخر ، والثاني شقتان عمتي عزيزة أم مروان تسكن في واحدة منهما وزوجها في الخليج ومتزوج عليها من عهد قريب ، وابنتها الكبيرة نبيلة تعيش في الثانية مع زوجها حمدان من أقارب الجد ، لجدي مضافة كبيرة ، وأبي وعمي عدلي من سكان عمان ، وهناك ثلاث عمات بقين في فلسطين ، وعمتي سالمة تقضي اغلب وقتها في بيت جدي أبيها ، وهي أرملة ، وأولادها كلهم متزوجون ، بعضهم في غزة وأكثرهم في المهاجر ، سررت بلقيا الأقارب ، وكان الهدف من هذه الرحلة الغزية تنفيذا لرغبة الجد موسى بالزواج من بنات ذريته أحفاده أو أحفاد أشقائه ، ولا مانع عندي لأني لم ارتبط بأنثى في عمان سواء قريبة أم صديقة جامعة أو عمل ،الهدف أن يختاروا لي زوجة من بناتهم ، وزوج لشقيقتي هاجر خليل ليبقى حبل الوصل متصل

بيننا في فلسطين وخارجها ، فالنسبة لأختي اختاروا الزوج المطلوب قبل رحلتنا وهو حفيد عم أبي محمد عبد الرحيم طالب طب متخرج من جامعة



مصرية ، والقطاع فيه عدد من الجامعات اشهرها جامعة غزة الإسلامية التي نشط على قيامها الشيخ احمد ياسين زعيم الحركة الإسلامية حماس ، وهناك فرع جامعي تابع لجامعة الأزهر المصرية وجامعة القدس المفتوحة وجامعة الأقصى ، القطاع اكثر مكان مكتظ بالبشر في العالم وهو على شاطئ المتوسط وهو عبارة عن تلة .

تعتبر مدينة غزة من أهم المدن الفلسطينية، لأهمية موقعها الاستراتيجي والأهمية الاقتصادية والعمرانية للمدينة، بالإضافة إلى كونها المقر المؤقت للسلطة الوطنية الفلسطينية، ووجود الكثير من مقراتها ووزاراتها فيها.

****

قال: لم ننم الليلة الأولى إلا مع صلاة الفجر ،صلينا ثم سمح لنا بالغفوة والنوم ، فهذه أول ليلة أنام فيها على ارض الآباء والأجداد ، لم ننم كثيرا فقد دعتنا مع شروق الشمس زوجة الجد الحاجة فاطمة لطعام الإفطار مع الجد موسى ،وكان العم أبو حاتم موجودا وبعض زواجاته فعمي عبد الرحيم متزوج ثلاث نسوة ، وهذا ليس غريبا في مجتمع غزة وحتى قبل النكبة ، وله ذرية لا اعرف عددها وحتى الجد لا يعرف عددهم ما شاء الله ولا قوة إلا بالله ، وعمي ثري بنفسه وبثروة أبيه، فلهم عقارات مؤجرة ، وحياتهم التجارة قبل اللجوء للقطاع فلهم محلات ومتاجر يعمل فيها أولاده الكبار من الزوجة الأولى الحاجة رسمية سلطان من أصول غزية وبنت تجار كما سمعت وقيل ، أكلنا مع الجد كما تعشينا معه ليلة امس فكان طعامهم بسيط كطعامنا في عمان أو في بيتنا الأسرة حمص فول فلافل والخبز الساخن والزيت والزعتر وحب الزيتون الأخضر والأسود والجبن الأبيض والأصفر والبصل والشطة والفلفل الأخضر والأحمر، كانت سفرة كبيرة والشاي الأسود الثقيل والزبدة والعسل الأصلي، وشهدها الذكور والإناث وأختي وعمتي سعيدة وابن عمتي ناصر ، فمضافة الجد كبيرة وجلسنا على شكل جماعات وعلى الأرض وليس على خوان .

ولما حمدنا الله تعالى سألنا الجد عما رأيناه في غزة فضحكت تبسما وأجبت : يا جدي لم نر شيئا بعد ركبنا السيارة من رفح حتى هنا وقضينا المسافة في

ساعة إلا ربع من الزحمة على طول شارع صلاح الدين فهمت من مجاهد أنه يربط جنوب القطاع بشماله رأينا أشجار الزيتون والمحلات واليافطات وأسماء الشهداء على بعض الحيطان وصور ياسر عرفات والشيخ احمد ياسين والرنتيسي

تبسمت شقيقتي لردي وقالت: سوف نرى غزة ونتجول فيها ونتصور فيها، فوالدتي طلبت أن نتصور في شوارعها والأخ مجاهد بين خطر الوضع

رئيسة الكنيست: هدفنا

سحق قيادة "حماس" في غزة

القدس المحتلة/فلسطين:
ذكرت إذاعة الاحتلال أن رئيسة الكنيست داليا ايتسك صرحت بأن الهدف الاستراتيجي لـ(إسرائيل) يجب أن يكون سحق قيادة حركة "حماس" في غزة.
وأضافت، مع ذلك لا يجوز إعادة احتلال القطاع، "وإنما تنفيذ عمليات متناسبة ضد "حماس" ما يعيد لنا قدرتنا على الردع".
وقالت ايتسك في سياق مقابلة إذاعية، "إن سياسة ضبط النفس التي اتبعتها (إسرائيل) قد انتهى مفعولها، ويجب الآن العمل على منع إطلاق القذائف الصاروخية ضدنا، ومنع تعاظم قوة حركة "حماس"، على حد زعمها.

لإنهاء إسرائيل الهدنة بينها وبين فصائل غزة وتوقع الناس ـ كما سمعنا أثناء وجودنا في المعبر بينكم وبين مصر ـ نشوب جولة من القتال فقد أجلت الحملة عليها بعد عملية السور الواقي في الضفة ربما لموت الختيار كما يقول رفاقه ومقتل الشهيدين ياسين والرنتيسي نحن أو أنا أصابني التوتر والخوف فنحن لم نعرف الحرب والانفجارات إلا في التلفزيون .

فقال الجد: هذا واقع تعودنا عليه منذ أيام الإنجليز سواء في يافا أو غزة يذهب بطل ويأتي أبطال يذهب شهيد وسيتبعه شهداء الأمر لله.. سنرى ما

كتبته الجريدة فناوله مجاهد ابن عبد الرحيم الجريدة صباح الخميس ٢٥/ ١٢/ ٢٠٠٨

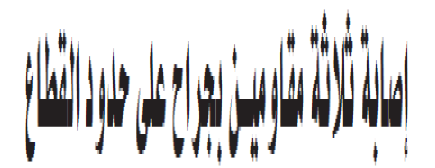
باريس ترى أنه لا يمكن التقدم في التسوية بدون تهدئة دائمة في غزة

لم تجر اتصالات رسمية بشأنها

الزهار: تجديد التهدئة يتطلب التزاماً إسرائيليا باستحقاقاتها

غزة/ الفرنسية:
أكد أمس الدكتور محمود الزهار القيادي في حركة "حماس" أن تجديد التهدئة يتطلب التزاماً من الاحتلال الإسرائيلي باستحقاقاتها وشروطها، موضحا أن 27

أولمرت يعتبر جدار الفصل "نموذجا في مكافحة الإرهاب"



غزة/ نابلس/ مراسلون/ الفرنسية:
قالت مصادر طبية في وقت متأخر أمس إن ثلاثة مقاومين فلسطينيين أصيبوا برصاص جيش الاحتلال الإسرائيلي بالقرب من الجدار الأمني المحاذي في شمال قطاع غزة ليتزايد هذا السائد من حدة التوتر على الحدود بعد انتهاء اتفاق التهدئة الذي تواترت أنباء حول إمكانية تمديده وقال متحدث باسم جيش الاحتلال لوكالة الصحافة الفرنسية "رصد الجيش ثلاثة فلسطينيين 27

هـل تسقـط حمـاس عسكـريا؟!

شراب: الاحتلال لا يمكنه إلحاق الهزيمة بالمقاومة الفلسطينية

عدوان: (إسرائيل) لن تستطيع استئصال "حماس" لأنها متجذرة

غزة/ فاطمة الزهراء العويني:

أضحت حركة المقاومة الإسلامية "حماس" الحلقة الأقوى في مواجهة الاحتلال الإسرائيلي حتى باتت عنواناً للمواجهة الانتخابية بين الأحزاب الإسرائيلية، وبعد 21 عاماً من انطلاقة الحركة الإسلامية، استحوذت على شعبية واسعة في الأراضي الفلسطينية نظراً لتمسكها بخيار المقاومة لاستعادة الحقوق المسلوبة منذ 6 عقود.

كاتب بريطاني يحدد أربعة أسباب "وجيهة" لإنهاء عزلة غزة

لندن/وكالات:

قال الدبلوماسي البريطاني السابق أوليفر مايلز: "إن هناك أربعة أسباب وجيهة لفك العزلة والحصار عن قطاع غزة".

وذكر في مقال له، نشرته صحيفة "الإندبندنت" البريطانية، أمس، السبب الأول إنساني، فمليون ونصف المليون شخص يعيشون أوضاعاً لا تطاق، وذلك باعتراف "أمريكي يهودي حمله ما رأى إلى وصف السياسة الإسرائيلية بالجريمة ضد الإنسانية".

وأوضح الكاتب البريطاني أن السبب الثاني "يكمن في ضرورة غزة للسلام"، ويدلل على قوله بالتذكير بالإخفاق الذي آلت إليه اتفاقية سلام كامب ديفيد الموقعة عام ١٩٧٨ بسبب تجاهل منظمة التحرير الفلسطينية بصفتها ممثلاً للشعب الفلسطيني.

أما السبب الثالث فيرى أنه يتمثل في ضيق الوقت، قائلاً "الانتخابات على الأبواب في أراضي الاحتلال، وقد تحمل إلى رئاسة الوزراء شخصية لا تقبل أي تسوية مهما كانت، لقد حرمت الولايات المتحدة من التأييد كل إسرائيلي جاد في تطلعه إلى السلام، حتى "صارت الصقور هي الحل الواقعي بالنسبة للناخب الإسرائيلي".

ويختم الدبلوماسي مايلز في السبب الرابع أن "الإدارة الأمريكية المقبلة التي لا يزال أمامها بعض الوقت قبل أن تكشف عن طاقاتها"، مضيفاً "هذه فرصة ينبغي أن تستثمرها بريطانيا للقيام بمبادرة قد تعيد الاتحاد الأوروبي إلى حلبة الشرق الأوسط خصوصاً وأن فرنسا وروسيا غير راضيتين عن السياسة الأمريكية الإسرائيلية الحالية".

لمواجهة أي تصعيد عسكري

الاحتلال يجري تدريبات واسعة في محيط غزة

القدس المحتلة/ فلسطين:

أعلن أمس جيش الاحتلال الإسرائيلي أنه أجرى تدريبات واسعة في مدن عدة استعدادا لمواجهة أي تصعيد عسكري خلال الأيام القادمة في قطاع غزة الذي تطلق منه الصواريخ نحو المستوطنات الإسرائيلية المحيطة بغزة.

وأكد الناطق باسم الجيش في تصريحات نقلتها الإذاعة العبرية، على أن هذه التدريبات التي جرت في مدينة إسدود التي تبعد عن قطاع غزة نحو أربعين كيلو متر تأتي خشية تصاعد الأوضاع في القطاع، وشدد على أن هذه التدريبات هي جزء من عملية واسعة النطاق تنفذها قيادة المنطقة الجنوبية في جيش الاحتلال وذلك خشية أن تصل الصواريخ التي تطلق من قطاع غزة إلى هذه المدينة، وأوضح أن تدريبات مشابهة ستجرى في بلدات كريات جات وكريات ملاخي ومدينة عسقلان شمال قطاع غزة التي تقع جميعها في دائرة نصف قطرها أربعين كيلو متر بعيدا عن حدود القطاع.

وتأتي هذه التدريبات بعد إعلان يوفال ديسكين رئيس جهاز الأمن الداخلي الإسرائيلي الشين بيت "أن الفصائل الفلسطينية في غزة قادرة على إطلاق صواريخ يمكنها ضرب مدن رئيسية على ساحل البحر المتوسط في (إسرائيل) وبإمكانها الوصول إلى مدينة بئر السبع في جنوبها"، وأبلغ ديسكين الحكومة الإسرائيلية في اجتماعها الأخير "إن الفصائل الفلسطينية لن تتردد في إطلاق هذه الصواريخ بعيدة المدى إذا ما هاجمت (إسرائيل) أهدافاً إستراتيجية في قطاع غزة"، وأكد مسؤول أمني إسرائيلي على أن الفلسطينيين في قطاع غزة مستعدون لخوض مواجهة مع (إسرائيل) وأن بإمكانهم قصف بلدات كريات جات ومدينة إسدود وكذلك مدينة بئر السبع

اتهم (إسرائيل) بانتهاك التهدئة

مشعل يطالب العرب بكسر حصار غزة

دمشق/ الفرنسية:

دعا خالد مشعل رئيس المكتب السياسي لحركة "حماس"، أمس، العرب وخصوصا مصر إلى كسر الحصار الإسرائيلي المفروض على قطاع غزة متهما (إسرائيل) بأنها لم تحترم اتفاق التهدئة الذي استمر ستة أشهر

زوجات الشهداء و الزوج الثاني بين القبول والرفض

غزة/ تقرير كمال عليان:

لا حرج.. فهو أخوه

الرغم من تقدم الكثيرين لخطبتها

اختيارات اجتماعية

الخوف على الأطفال

ولما قرأ ما شاء ناول الجريدة لهاجر وقال مبتسما

:ربما هذا الموضوع يثير النساء

العدل والظلم

احتفلت المدينة كلها بزواج أميرها الشاب الأمير " قمر الدنيا " ، وشمل الفرح الفقراء والمحتاجين الضعفاء لم تحصلوا عليه من لذيذ الطعام مدة سبعة أيام ، وما كانوا يرونه إلا في مثل هذه الاحتفالات الكبيرة ، وبعض الناس كان فرحهم أكبر من الطعام والشراب ، فكانوا يرون بزواج أميرهم بأنه دواء يتخلص به من الظلم والتجبر عليهم ، فكانوا يأملون من زواجه من ابنة الوزير أن ينشغل بها ويعود إلى محبة العدل وحب الناس والفقراء والضعفاء ؛ لأن ابنة الوزير كانت معروفة لعامة الناس بتعقلها ، وأنها من البنات الفضليات ، ومعروف عنها الإحسان والمساعدات ، فهم يحلمون أن تعقل الأمير الطائش وتبعده عن التهور والمغامرات والأطماع وإثارة النزاعات مع الملوك والجيران .

ولما انتهت الاحتفالات عاد الناس إلى بيوتهم وهم متوجسون خيفة من غدهم المجهول ، ومع ذلك لم يطل صبرهم فقد ترامى إلى أسماعهم أن الأمير طلق زوجته ابنة الوزير ، وأن الوزير هجر المدينة مع أسرته وحل ضيفا على الأمير زيد أمير إحدى البلاد المجاورة ، وانقسمت البلد إلى فريقين أحدهما متعاطف مع الأمير قمر الدنيا ، والآخر متعاطف مع وزيره الهارب ، وأمام هذا الحال اندفع الأمير للطغيان والتجبر ، فقام باعتقال وحبس أنصار الوزير الهارب ، وأرسل الكثير من أعوانه إلى الثغور لمحاربة الأعداء ، فاختلت البلد والناس والتجار ، وبدأت تنقص الأقوات في طول البلاد وعرضها ، ومن شدة غضب وحمق الأمير على وزيره وابنته أمر بإعداد الجيش لغزو مدينة الأمير زيد والقبض على الوزير وابنته ليحبسهما في المدينة .

ولما اكتمل استعداد الجيش زحف نحو جيش الأمير زيد ؛ ولكنه صد صدا عنيفا ، وهرب أكثر من نصف جيشه ، وقتل كبير قواده ، فعاد الأمير الغازي منهزما حزينا حاقدا على وزيره السابق وزوجته الأميرة هندية ، ولما دخل المدينة علم أن أكثر رعاياه فرت إلى الجبال والمدن المجاورة ، فتعجب الأمير من هذا التصرف ، فسأل وزيره الجديد عن سبب ذلك الهروب ، فطلب الأمان فقال : اعطني الأمان يا أمير الزمان فصرخ فيه الأمير وقال بحدة وغضب : تكلم أيها الوزير

الأحمق .. لماذا هرب ويهرب هؤلاء الحشرات ؟ بل لماذا هرب نصف جيشنا لماذا ؟ ! فأنا أكاد أن أجن ؛ فإننا لم نجمع بعد من الشعب الأموال التي أنـفقناها على إطعامهم يوم زواجنا المشؤوم من ابنة وزيرنا الغادر .. لقد أضحيت أضحوكة بين الملوك والأمراء وحتى لدى النساء والأطفال .. تكلم أيها المعتوه ؟

فقال الوزير : أيها الأمير أمني على حياتي حتى أصدقك القول والنصح .. الأمان يا أمير الزمان .

فصرخ به الأمير الحانق : انطق فقد وهبناك الأمان على حياتك .. ما السبب فيما نراه يا وزيرنا الأحمق الأخرق ؟!

فقال الوزير : السبب يا مولاي الأمير سبب صغير وهين .

فصاح الأمير : لا تكثر الكلام قل لنا عن هذا السبب الصغير الهين ؟



فقال الوزير : السبب هو الظلم .. الظلم .. الظلم هو مخرب العمران .

فأخذ الأمير بالضحك عاليا ثم صاح في وزيره : ويحك ! أي ظلم تتفوه به ؟ .. هل الحرب ظلم ؟ .. هل الزواج ظلم ؟.. هل قتل أنصار الوزير ظلم ؟ .. هل أخذ الأموال للخزينة ظلم أين هو الظلم ؟ يا وزير النحس !

فرد الوزير وقد يئس من حياته ، ورأى أنه لابد من مواجهة هذا الأمير الأحمق الغاضب بالحقيقة فقال : الاعتداء على الجيران من غير سبب صادق ظلم .. غصب الوزير على تزويج ابنته ظلم طرد الوزير ظلم ..أخذ أموال الناس بغير حق ظلم .. قتل المتعاطفين مع الوزير ظلم .. فالعدل كما يقول الحكماء هو أساس الحكم ودوام السلطان .. أنت ظالم يا مولاي !

فارتفع هيجان الأمير ، فقذف وسب وشتم وقال مخاطبا أحد الفرسان : هل سمعت يا سيد الفرسان ! ما يقول فيّ هذا الرجل الذي جعلته وزيرا لي .. أخرجته من المجهول ومن العدم وجعلته وزيرا لي يتهمني بالظلم .. هل أنا ظالم يا سيد الفرسان ؟!

فقال قائد الفرسان وهو يمسك بمقبض السيف : لا أدري ما أجيبك به يا مولاي! إنه وزيرك وأمين سرك .. مرني بما شئت .

فقال الملك : لا تدري ما تقول أيها القائد .. فإذا أحببت أن أوسع مملكتي فأصبح ظالما ، وإذا رغبت بالزواج من ابنة

وزيري لأرفع من شأنه وشأنها فأصبح ظالما ، وعفوٌ عن حياة وزيري وطردي إياه لحمقه يجلعني ظالما ، أخذ الأموال من الناس لتجهيز الجيوش التي تدافع عن حياتهم وأملاكهم تعتبرونه ظلما ، الفتك بالخونة أنصار الوزير المخلوع المتعاون مع عدونا تحسبونه ظلما وليس دفاعا عن الملك وكرسي الحكم .. لقد أعطيتك أيها الوزير الأمان على نفسك فلن أصرعك ؛ ولكنني سأقذف بك في سجن عميق ؛ لتكون عبرة لكل وزير أحمق يتطاول على ولي نعمته ومولاه .

ونبذ الوزير في غياهب السجن أياما أمضاها الملك في توتر وعصبية وحزن وخوف وألم ، ثم أمر بإخراج الوزير وإحضاره أمامه ، ولما مثل أمامه وهو يرسف بقيوده فقال له وهو يضحك ضحكا جنونيا : ما تقول الآن فيّ ؟!



فقال الوزير وهو غير عابيء بغضب وانتقام الأمير : لو نظرت إلى نفسك في مرآة لرأيت ما فعل بك العدوان والبغي والظلم! .. من يراك يظنك كبرت عشر سنوات .

فسكن الأمير ولم يثر ، ثم قال : لقد هدني التعب والتفكير ، فما العمل أيها الوزير لترجع المدينة عامرة بأهلها وناسها ؟!

فقال الوزير بفرح : العدل والحق!

فقال الأمير : وكيف يكون هذا العدل ؟!

فبين له الوزير أن العدل يكون بحسن معاملة الناس ، المساواة بينهم ، مراعاة شؤونهم المحافظة عليهم ، بذل الخيرات بينهم ، الفرح لفرحهم الحزن لحزنهم ، حل مشاكلهم ، رفع الظلم عنهم معاقبة الظالم ومنعه من الظلم ، وإعادة الحقوق لأهلها ، المصالحة مع الجيران من الملوك ، الاعتذار لوزيرك السابق وابنته ، ثم ختم الكلام فقال : إذا حصل هذا يا أميرنا سوف تعود المياه لمجاريها .

فقال الملك : وهل يمكنك فعل ذلك أيها الوزير ؟

فقال الوزير وقد أحس أن الملك يفكر بالتوبة والندم فرد بفرح : بمشيئة الله وبتعاونك الكامل تتصلح الأمور .

فنهض الملك الواهن وحل قيود وزيره بنفسه ، وعانقه وصافحه وقال : فكرت بما قلت لي أيها الوزير الشجاع! فوجدت نفسي ظالما طاغيا مغرورا عاقا لأهل الفضل ، لقد غرني الشباب والعلو في الأرض .. فما الخطوة الأولى لإصلاح ذات البين بيني وبين

الرعية يا وزيري الفاضل

فقال الوزير بقوة : الخطوة الأولى هي أن تتنازل عن كبريائك وغرورك .. وتخضع وتذل لله ، ثم تذهب للأمير زيد معتذرا ومتأسفا وتعود بوزيركم العاقل الحكيم وزوجتك وتصدر عفوا عن الجنود الهاربين وأنصار وزيرك وتعفو عن السجناء .

فقال الملك : وهل يصدقون أسفي وندمي !؟

فقال وزيره : للصدق إمارات وعلامات يا سيدي ! .. والأعمال والأيام تثبت للرعية ندمك ، وعندما يعود وزيرك الغاضب أو الهارب وزوجتك سيتأكد للناس ندمك وتوبتك .. وأحمد الله الذي وفقني وقواني للوقوف أمام جبروتك وطغيانك واستهتارك بحياة الناس .

وبالفعل قام الأمير قمر الدنيا بالذهاب إلى الأمير زيد ، واعتذر له ، وأظهر له ندمه وأسفه على الحرب التي جرت بينهم ، فهنأه زيد على شجاعته هذه ورجوعه للحق ، وأكرمه غاية الإكرام وشد على أزره ، ورجع الأمير وبصحبته الوزير الهارب وزوجته الأميرة هندية ، ولم تمض شهور حتى علم الناس بأخلاق الملك الجديدة ، فبدئوا ينقلبون للمدينة من جديد ، وخلال سنوات خيم العدل على البلاد والعباد وعاد الرخاء إليهم من جديد .. العدل أساس الملك

العدل
أساس
الملك
والحكم

انتهت

كلام المكاتب

مكتب المقاولات

{لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ}

حسام صاحب شركة مقاولات وإنشاءات ومباني وبيع عقارات وشقق ، وهو رجل محبوب ممن يشتغلون معه ، كان يجلس في مكتبه عندما دخل أحد سواقين الشركة ، وكان يتحدث مع موظفيه ـ قبل مجيء الأخير ـ ويتجادلون في فهم قول نبوي ، فرحب بالسائق علاء الدين وقال : تعال يا علاء الدين جئت في الوقت المناسب .

ضحك علاء وقال : بماذا تتجادلون اليوم ؟!

ضحكوا على تعليقه ، فهو كلما جاء المكتب وجدهم في نقاش وجدال في مسألة دينية .

وقال حسام باسما : كنا نتحدث عن المؤمن القوي والمؤمن الضعيف كما جاء في

الحديث الشريف " أن المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف" .. فسمير يقول : المقصود بتلك القوة البدنية والشباب المسلم القوي بدنيا يحارب يجاهد يدافع عن نفسه والآخرين .. وعمك عبيد يقول: إن القوة هنا قوة الإيمان وضعف الإيمان .. ونسمع أن النبي ﷺ حرج حق الضعفين المرأة واليتيم .. أليس كذلك ؟.. ولماذا هؤلاء ضعفاء ؟ اليوم نشاهد نساء أقوى ماليا وبدنيا من الرجال .. ما تقول أنت يا شيخ السواقين في جدالنا ؟

قال علاء وهو يجلس وتناول الشاي من فراش المكتب : الراجح تفسير عبيد قوة الإيمان وضعف الإيمان ؛ لأن بعض أهل العلم يضع الحديث في باب زيادة الإيمان ونقصانه ؛ كما هو قول علماء السنة والجماعة إن الإيمان يزيد وينقص .. فالقوة البدنية لا بأس بها صحة وعافية ؛ ولكن والله اعلم المقصود قوة الإيمان وضعفه .. المؤمن القوي هو الذي يبتعد عن الآثام والمعاصي والعدوان ولا يضعف أمام الشهوات .. كان ابن مسعود ﷺ ضئيل الحجم والوزن تقول القصة .. لما صعد للشجرة ظهرت دقة ساقية وضعفها البدني ، فضحك بعض القوم من ضعفها فأخبر النبي ﷺ أنها في الميزان أثقل من جبل أحد .. والله يقول "فأما من ثقلت موازينه" أي أعماله وإيمانه .. والإسلام يرغب بالقوة البدنية "ألا إن القوة الرمي " الخبر .. وقال الحق ﷻ عن الملك الإسرائيلي طالوت "وزاده بسطة في الجسم والعلم "أي قوة الجسد يا أبا هشام .. قصته في سورة البقرة .

ـ رائع يا علاء !.. إذن قوة الإيمان هي المقصودة بالحديث يا سمير.. أحسنت يا علاء ! وحق الضعيف .

قال علاء : شكرا .. الرسول ﷺ سمى المرأة هنا بالضعيف .. المقصود الضعف البدني بالمقارنة مع الرجل .. فنحن نسمع الجنس الناعم والجنس الخشن .. هذا العموم فهي ضعيفة بالنسبة للرجل .. وبالنسبة للأعمال التي يستطيع الرجل القيام ؛ ولذلك لا يجب عليها الجهاد كالرجال فجهادهنّ الحج ؛ لذلك أيضا الساعي على المسكين والأرملة في الجنة .. فهي محتاجة كاليتيم لحماية ورعاية من الزوج والأب والأخ والابن .. وإن بدت لنا اليوم بعض النسوة قويات العضل والعمل فهذا لا يقارن بالأكثرية من جنسهن .. فهذا لا يذكر .. لا يقصد أحرج حق الضعفاء الإيمان وقوته حتى لو كنّ

سمينات .. فهن ضعيفات بخشونة الرجال وحاجتهن للمساعدة والعون أكثر من الرجال .. فهنّ لا يسافرن إلا بمحارمهم وأزواجهن حتى لا ينكشف ضعفهنّ عند الحاجة والأمور الطارئة .. واليتيم ضعيف حتى لو كان يملك مليونا .. فهو يحتاج إلى ولاية ورعاية .. والفقير والصغير من الضعفاء يا سيد حسام .. من كان ضعيف العقل " فليملل وليه " كما جاء في آية الدين .. فهو لا يستطيع الدفاع عن حقوقه وماله فيحتاج لراعي وولي .. فاليتيم من الضعفاء .. فأنت وأنا مثلا من القادرين وهؤلاء الأخوة أيضا ؛ لأن مالك المال والزكاة من القادرين .. وكذلك مالك قواه العقلية يعتبر قويا .. والمريض من الضعفاء .. وهل ينتصر المجاهدون إلا بدعاء الضعفاء

قال حسام : يعني الضعفاء ليسوا المرأة واليتيم فقط .. فالفقير والمريض وأصحاب العاهات من الفقراء .

قال : أكيد .. كل من يحتاج لمساعدة دائمة أو لحين من الزمن يعتبر ضعيفا .. فهناك ضعف مادي ومعنوي .. وولي اليتيم إذا آنس منه رشدا فليدفع له ماله .

قال حسام مثنيا : أنت جيد يا علاء ! ودائما الكلام الفصل عندك .. فكل حديث يفهم على حدة .. فقوة المؤمن قوة الإسلام والدين ليس الجسم والعضل ؛ لأنه قد يتغلب الضعيف البدن على قوي العضل بالحيلة والمكر والكثرة .. فالعقل أيضا قوة لا يستهان به .

ـ صحيح .. قد يمكر الرجل بقبيلة ودولة ويفسدها وتذهب في خبر كان .

فقال : لعل الأخوة الصامتين اقتنعوا بما حاول زميلنا علاء بيانه

فقال سمير : لا أنكر أن الأخ علاء مثقف شرعيا وكلامه فيه الكثير من الصح القوة البدنية يشملها الحديث

قال علاء : أنا لم أنفي ذلك يا أبا زياد أنا قلت الراجح أن من قال القوة الإيمانية قوله أقوى ممن ذهب للقوة البدنية ..فالعلماء عند قول النبي ﷺ من رأى منكم منكرا فليغيره بيده وبلسانه وبقلبه قال "وذلك أضعف الإيمان " إذن

قَالَ: رَأَى سَعْدٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ لَهُ فَضْلًا عَلَى مَنْ دُونَهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : «هَلْ تُنْصَرُونَ وَتُرْزَقُونَ إِلَّا بِضُعَفَائِكُمْ»

هناك إيمان ضعيف وإيمان قوي .

ـ أنا لا أقول أنه لا يوجد إيمان

قوي وضعيف؛ إنما الحديث يطلب من المسلم القوة الجسمية للجهاد وتغيير المنكر قال حسام : يبدو أننا دخلنا على الجدل المذموم ..يكفي هذا اليوم أيها الشباب !

حجر القمر

المغارة السحرية

الحلقة ١

زوار المدينة

دخل ثلاثة رجال أغراب المدينة ذات ليلة حالكة السواد ، وكانوا يلبسون ثيابا متشابهة ، وليست مما يرتديه ويلبسه أهل المدينة ، فلما رآهم صاحب الخان أدرك أنهم أغراب، فرحب بهم ، واعتقد أنهم من بلاد الغرب ، وبعد أن دفعوا لصاحب الخان أجرة المبيت في الخان ، سألوه عن فلاح اسمه عنان بن إبراهيم.

فقال متفكرا ومجيبا : أعرف الكثير من الفلاحين ، وينزلون هذا الخان إذا طرقوا المدينة ؛ لكن لم يمر عليّ صاحب هذا الاسم .. ما هو لقبه كنيته ؟!

قال أحدهم : لا نعلم كنيته ولا لقبه .

قال صاحب الخان مدهوشا : وكيف عرفتم اسمه ؟!

رد آخر : من أحد معارفه وأصدقائه .. التقينا برجل ، ونحن في بلاد الغرب استلف منا مالا .. ولما احتضر وحضرته الوفاة ، ذكر اسم هذه المدينة "دلالة" واسم صاحبه عنان بن إبراهيم ؛ لنأخذ حقنا منه إذا مات قبل أن يردلنا حقنا .. ولما جئنا هذه المدينة جئنا نطلب ديننا .

قال : ما اسم هذا الرجل المدين لكم ؟! أله أهل هنا ؟!

قال ثالث : الميت اسمه خليل بن لبيب ، وهو تاجر جوال بين المدن الكبيرة .

قال صاحب الخان : لا أعرف تاجرا بهذا الاسم كذلك !

قال الأول : هو ليس من تجار هذا البلد ؛ إنما الفلاح عنان صديقه منها ، وهو الذي يورد له الثمار والحبوب ، فعنان من أهالي المدينة التي نتحدث فيها الآن .

قال صاحب الخان : حسنا ! في الصباح سأدلكم على بيت ودكان شيخ الحي ؛ لعله يرشدكم للفلاح عنان المجهول الاسم .. ولا أدري كيف سيثق بكم ويدفع لكم ؟!

تبسموا من تعقيب مالك النزل ، وقال أحدهم مؤكدا : سيدفع عندما نذكر له بعض الأشياء الخاصة بصديقه خليل .. ويتأكد بأننا نعرف خليلا كما يعرفه هو .

ساقهم في الصباح صاحب الخان إلى شيخ أحد الأحياء ، فرحب بهم الرجل ، ولما عرف مطلبهم ساومهم على أجرة البحث عن عنان صاحب التاجر خليل .

كان شيخ الحي من وظيفته معرفة جميع أفراد الحي الذي يقطنه ، يعرف الشباب والكهول والشيوخ، ويعرف الأهالي الأصليين والأهالي الغرباء .

فبعد عشرة أيام كان أحد غلمان شيخ الحي يقودهم إلى خارج المدينة حيث المزارع والبساتين إلى أرض الفلاح عنان الذي استقبلهم بقلق وانزعاج لما علم بأنهم يبحثون عنه من شهور وأيام .. ولما سألوه عن المغارة السحرية التي جاءوا المدينة من أجلها رفض الإفصاح عن موقعها ؛ لأنهم لم يحضروا معهم التاجر خليلا فاستغش منهم ، وتشكك في أمرهم ومقصدهم من اللقاء به .

فقال لهم بصراحة : لا يمكن أن أثق بكم بدون ذات حليل .. أخشى أن يكون قد مات وغدرتم به .

فأخبروه بموته ؛ كما قالوا لصاحب الخان . فقال مكذبا لهم : أرفض أن أصدق ذلك ! لعلكم قتلتموه أو حبستموه !

قال أحدهم نافيا قتله : لم نقتله يا عنان .

قال ثاني : جاءنا وحدثنا عن المغارة السرية الغامضة .

قال ثالث : وطلب مساعدتنا في دخلوها وفتح بابها.. ولا أحد يعلم بأمرها إلا نحن وأنت وخليل .

قال عنان : لا أستطيع مساعدتكم دون أن أتيقن من حياة شريكي .

قال : هل تذهب معنا لرؤية جثته حيث دفن ؟

قال : لابد من ذلك .. ولكن كيف أثق بكم ؟!

قال آخر : دعنا ندخل المغارة يا عنان ، ولما نر ما فيها نعود لمدينتنا وترى قبر صاحبك وجثته .

قال : أنا لا أصدق بموته إلا إذا قتلتموه وجئتم من أجل رؤية المغارة !

قال واحد منهم : كيف نقتله ونحن بحاجة إليه ؟! هو الذي أخبرنا عنها .

قال أحدهم :كيف تثق بنا أيها الإنسان ؟! كيف تريد أن تثق بنا ؟ نحلف لك بأعظم الأشياء بأعظم المقدسات التي تعبدها ؟

قال عنان : عندما أرى خليلا بيننا أثق بكم ..أنا لا أصدق موته !

قال أحدهم : كلنا يموت، لا أحد يعلم متى سيموت ؟

رد عليهم : كلنا سيموت لا أحد مخلد فيها ..ولكننا لم نسمع بموته .. ذهبت كثيرا لمدينته خلال هذه الشهور ، لم يتحدثوا عن موته .

قال أحدهم بيأس : إذن لابد من رحيلك معنا يا عنان .

قال : لابد من ذلك ؛ لأنه لو مات كما تقولون وتزعمون

لدفع إليكم بإمارة بيني وبينه.
قالوا بدهشة وحيرة : إمارة !!!
تبسم ضاحكا : نعم ، بيني وبينه علامة .. أنتم لم تقدموا تلك الإمارة .. فهو حي أو مقتول .. أنتم غدرتم به !
حينئذ لقد أدركوا أن الرجل أذكى منهم ، فهم لم يأتوا بالإمارة المتفق عليها بينه وبين خليل .
فقال أحدهم : إذن علينا أن نرحل لقبر خليل .. هل أنت جاهز ؟!
قال منتشينا بنصره عليهم وإرباكهم : لا ، لست جاهزا اليوم .. بضع ليال وأكون جاهزا .. كم تبعد بلادكم عنا ؟
قال : أكثر من مسير عشرة أيام
قال عنان : لابد من السفر أيها الناس ! عليّ أن أقبل الرحيل معكم لمعاينة قبر ورمس صاحبي خليل .. عودوا للمدينة وانتظروني بضعة أيام
فقال أحدهم بتذلل وتمسكن : ألا يوجد لنا مأوى في هذه الأرض ؟
نظره عنان بتفكر وقال ببطء : أتقبلون العيش مع الفلاحين وأكواخهم ؟
قالوا : نقبل ..وهل هناك أحلى من العيش معهم ؟!
قال عنان : حسنا ! .. ونادى على رئيس الفلاحين وطلب منه أن يسمح لهؤلاء الضيوف الغرباء المبيت مع الفلاحين أو الرعاة .
بعد مضي يومين على وجود الرجال الثلاثة أصبح رئيس الفلاحين ولم يجد عنان ولا ضيوفه ، اختفى السيد عنان والرجال الثلاثة من المزرعة مما أثار دهشة زعيم الفلاحين والفلاحين أنفسهم .. أين ذهبوا ؟! كان عنان قلقا وخائفا من وجودهم كما فهم الزعيم سالم من تصرفاته معهم ؛ ولكنّ الرجل لم يحدثه عن مخاوفه وقلقه وعن سر هؤلاء الرجال ، ولم يفصح عن غايتهم من زيارته .. وهم كما فهم ليسوا تجارا وأهل تجارة ؛ إنما هم غرباء قدموا إليه برسالة من الشيخ خليل المعروف لهم خاصة سالم ، فهو التاجر الذي يبتاع منهم قبل أن يختفي من سنة أو أكثر .. لم يعودوا يرونه في المزرعة ، ولا في دكانه ومتجره في المدينة المجاورة لمدينتهم .. ففهم سالم القيم أنهم من طرف خليل لسيده عنان .
لما مضت أيام ثلاثة على اختفاء الفلاح عنان ذهب سالم للمدينة وقابل شقيق عنان الشيخ مراد ، وأنبأه باختفاء أخيه فجأة دون إخبارهم .. وقص عليه زيارة الغرباء الثلاثة ، فمشى مراد للمزرعة وقام بالتحقق من كلام سالم ، وفتش في أراضي المزرعة ،

وسمع من الفلاحين ، ثم عاد للمدينة وذهب لرجال الشرطة ، وبلغ عن اختفاء أخيه دون سابق إنذار .. ولم تستطع الشرطة بأدواتها كشف سر اختفاء الرجل والغرباء الثلاثة ، ووصلوا لشيخ الحي الذي أرشد الغرباء لمزرعة عنان وصاحب الخان الذي بين أنهم دخلوا المدينة ليلا يبحثون عن عنان ، ويحملون له رسالة شفوية من صديق له اسمه خليل توفي في بلدهم ، وهو لا يعلم من أي بلد أتوا ، وباتوا عنده ليله واحدة ، ثم دلهم على الدلال شيخ أحد الأحياء ، والدلال أخبر بأنه بحث عن عنان الفلاح ، وأخذ أجرته وانصرفوا للمزرعة .

ذهب مراد مع بعض المزارعين إلى بلدة التاجر خليل ، والتقى ببعض أسرته ، وأخبروه أنه مفقود من سنوات ، خرج في تجارة جهة طرابلس الغرب وتونس الخضراء واختفت أخباره وما زالوا في انتظار عودته ، رجع شقيق عنان خائبا من بلدة خليل .

ولما التقى بسالم حاول أن يعرف سر العلاقة بين أخيه وخليل قبل ضياعهما ، فحدثه سالم مضطرا عما يعلمه عن المغارة السرية التي كانت تشغل بال عنان وخليل مما أثار دهشة وفضول الشيخ مراد ؛ ولكنّ سالما لم يكن يعرف الكثير من المعلومات عن المغارة السرية ؛ لأنهما كانا يتكتمان الحديث عنها أمامه وأمام الفلاحين ، ولا يعرف مكانها ، وما تحويه هذه المغارة من كنوز وأسرار ، وأن رحلة خليل لطرابلس الغرب وإفريقيا كان من أجل معرفة المزيد عن المغارة الخفية .

ولما وصل مراد لطريق غامض ومسدود عن شقيقه عنان أوصى سالم على تدبير أمور المزرعة حتى يجد جديد ، وأنه سيمر عليه بين الحين والحين لتفقد المزرعة والعمل ، ويدفع أجرة الفلاحين والخدم .

ظهر عنان بعد شهر في المزرعة فجأة ؛ كما ظهر دون سابق إنذار ، وفرح سالم والأعوان من عودته سالما ، وحضر مراد لمقابلة شقيقه عنان ، وسأله عن سبب غيابه كل هذه المدة دون أن يترك خبرا عند سالم .. وسأله عن قصة الرجال الأغراب الثلاثة .. وقصة المغارة وأسرارها مما أغضب عنان من قيم مزرعته لإفشائه سر المغارة .

فقال لأخيه : هذا صاحبي خليل سافر في تجارة للغرب ، وتعرض للأذى فأرسل لي هؤلاء الضيوف لإخباري فسافرت إليه ، واطمأننت على حياته وعافيته ، وعدت ، ولم يكن أمامي وقت لإخبار سالم وغيره .. فالسيد سالم تصرف

من نفسه واجتهاده .. ولما يتعافى التاجر خليل سيأتي برفقتهم .. وأما المغارة فهي قصة لم يسمعها سالم جيدا .

قال مراد : وما هي قصتها يا أخي ؟

تمهل عنان في الإجابة وفكر قبل أن يرد قائلا : سأقول لك شأنها .. هذا صاحبي خليل وجد كهفا في مدينته في أحد جبالها .. وظن أن فيه كنزا مسحورا .. فحدثني عن ذلك فأرسلته إلى تلك البلاد باحثا عن شخص له باع في الكشف عن الكنوز .. وقبل أن يصل للسيد دينار تعرض لعصابة من اللصوص ، فأرسل ورائي فذهبت إليه فهذه قصة المغارة

قال : هل رأيت المغارة ؟

أجاب عنان : الحق أنا لم أرها ، ولا عرفت مكانها ؛ لأن خليلا لم يدلني عليها .. هو طلب مساعدتي فحسب .. واتفقنا أن نحضر الساحر دينارا ؛ ليفتح لنا الباب المغلق ، وندخلها سوية ، ونقتسم كنزها إذا كان هنالك كنز .

كان مراد مهتما بالمغارة السحرية فقال بعد حين : وكيف عرف صاحبك بوجود الكنز ، وهو لم يدخلها ؟!

أجاب عنان ضجرا من فضول شقيقه : هو غلب على ظنه وجود الكنز .

قال : أنت الآن بانتظار مجيئه .. هل سيطول مجيئه ؟

قال : تركته معافيا ومتابعا للسفر للبحث عن دينار .

قال : ألا تشركوني معكم ؟!

هذا ما كان يتوقعه عنان ، فللكنوز مذاق خاص لدى الناس ، فقال بعد سكوت طال قليلا : لا أعتقد أن يقبل خليل .

انتظر عنان عودة الصاحب خليل ، فالأمر يحتاج إلى فطنة وصبر ، وجاء خليل البلاد وحيدا بدون الساحر الذي أمضى شهورا في البحث عنه واللقاء به ، والتقى بصديقه عنان وقال مبشرا وآملا : سيأتي الساحر دينار .. وأنت كيف نجوت من الغرباء الثلاثة ؟

قال : توجست خيفة منهم !.. ولم يطمئن قلبي لهم ..ولكنهم على معرفة بأمر المغارة .. بعد أيام من مجيئهم للحياة معي ، ولمعرفة مكان المغارة خطفوني ذات ليلة .. وخرجنا من بلادنا .. وأقسمت لهم عشرات الأيمان أنني لا أعرف مكانها .. وأنك الوحيد الذي يعرف المغارة .. وهم اعترفوا لي أنهم التقوا بك وعرفوا غايتك من الرحيل لتلك البلاد .

قال خليل متذكرا : نعم ، كنت مريضا لما التقيت بدغل اللعين ، ووثقت به وقلت له إني غريب عن هذه المدينة وأرغب بلقاء الساحر دينار ؛ ليفتح لنا مغارة الكنز .. كنت

أظن الموت قريبا مني .. وأن عليه أن يأتيك مخبرا بموتي قبل لقائي بالساحر .. ولم أذكر له كلمة السر التي بيننا .. وتركني معتقدا أنني سأموت خلال أيام .. واتفق مع هذين الرجلين على الاتصال بك ظنا منهم أنك تعرف مكان الكهف ، وسيسعون على فتح المغارة المسحورة لأنفسهم .. ولما عرفوا أنك لا تعرف موقعها تركوك ، ورجعوا إليّ .. وأنا عرفت من دغل الصديق الطماع أنهم رحلوا إليك .. وحاولوا الاستيلاء على الكهف وما فيه .. ولا يدركون أن خطابا وصلني منك قبل وصولوهم بما فعلوا معك .. ثم أرشدوني لبيت الساحر أو مكان اختفائه .. وسرنا إليه فهم من أتباعه .. وهناك ذكرت له قصة المغارة المسحورة ووعدني باللحاق بي

قال : هل اقتنع بوجود الكهف والباب المغلق ؟

قال خليل : تردد الرجل في البداية بتصديق وجود اسمه على باب المغارة السرية .. لكن الطمع والغرور والفضول كل هذا دفعه لتصديق حكاية المغارة .. ولاحظت أن تفاهما بينه وبين دغل ؛ فلعله هو الذي بعثه إليك ؛ ليتأكد من وجود الكهف ويرى باب المغارة واسمه المرقوم عليه .

قال عنان : وقد يكون دغل طمع بالمال وحده معتقدا أنك ميت لا محالة من المرض الذي أصابك .

أقبل الساحر دينار للمدينة وحل ضيفا عند خليل ، ولما جاء عنان بناء على رسالة من خليل .. سار بهم خليل التاجر إلى جبل الكهف المسحور ، وبعد صعود استمر لساعات وقفوا على باب الكهف السحري ، فقال الساحر بحيرة : كيف عرفت هذا المكان يا خليل ؟!

قال خليل كأنه كان مستعدا لهذا السؤال : أصدقك الحديث حدثني عنه أحد الرعاة الذين أشتري منهم الخراف والألبان ؛ كما أبتاع من صديقي عنان الخضار والثمار والأجبان والزبدة .. وطلبت من الراعي ألا يقربه ، ولا يحدث عنه أحدا ، وأعطيته ما فيه النصيب .. ثم قمت بزيارته طمعا بفتحه ومعرفة أسراره وأمواله .. فقرأت على هذه الصخرة الموجودة على الباب لا يفتح إلا على يد الساحر دينار من أهالي بلاد الغرب .. فحدثت صاحبي عنان فأرسلني للبحث عنك .. فهذه قصتي مع الغار .

صدق الساحر بكلام خليل وبدأ يعمل ، وقرأ الساحر أورادا من العلم والسحر ، فانزاحت الصخرة ببعض

الجهد المبذول من الرجال .. وأشعل الساحر المصباح الذي أحضروه معهم ، واجتاز الفتحة ، وتبعه عنان وخليل .. وتقدم الرجال إلى جوف الكهف على نور المصباح .. وبعد ساعة من السير في جوف الكهف وجدوا بابا معدنيا مغلقا ، وظنوا أن غرفة الكنز وراءه وأن رحلتهم انتهت .. وبعد معالجة أخذت وقتا فتح القفل فزلفوا منه ، ولم يجدوا حجرة ؛ بل وجدوا الكهف ممتدا أمامهم .. واستمر هذا الحال عدة ساعات ، ولا نهاية للنفق في الكهف فقال الساحر وقد أخذ منه التعب والضيق : يبدو أن الرحلة طويلة هل نستمر أم نعود ؟

بعد صمت وتظاهر بالحيرة والتردد ، قال عنان : علينا أن نتابع الأمر ما دمنا قد غامرنا وقطعنا كل هذه المسافة .. ما تقول يا تاجر خليل ؟

وافق الساحر وخليل وتابعوا المشي ؛ ربما أكثر من يوم عندما حتى وصلوا نهايته ووجدوا أنفسهم في صفحة جبل ..لم يكن هناك كنز أو غيره فظهرت الخيبة على الوجوه ، فقال الساحر دينار : أين الكنز ؟! .. أين المال ؟!..ولماذا كتب اسمي ونحت على الصخرة ؟! ..إني في استغراب أيها الناس ؟ .. أين نحن الآن ؟!

قال عنان متظاهرا بالدهشة : نحن في صفحة جبل ..وأسفل منا الوادي .. وأرى راعيا وغنما .

فهبطوا إلى أسفل الوادي ، ووجدوا راعيا فحدثوه عن أمرهم ، فأعلمهم أنهم أصبحوا قريبا من مدينة الملك شهاب ، وأنهم لا يستطيعون الخروج منها إلا من النفق أو تفتح لهم الأبواب .. فالمدينة محاطة بالأسوار وعليهم الذهاب إلى قصر السلطان ليسمح لهم بالخروج أو العودة من النفق .

وصلوا قصر السلطان ، واعلم الأمير في المدينة بدخول أغراب من الكهف السري ، وأرسلهم إلى قصر الضيوف للراحة والطعام .. وكان لهم ذلك .

ولما مضت أيام الضيافة قادهم أحد الجند إلى قصر الأمير على أمل مقابلة الأمير أو الأميرة ، وبينما هم يجلسون في غرفة ينتظرون الإذن باللقاء دخل عليهم رجل ، فلم يكد الساحر دينار يراه حتى غاض وجهه بالصفار والخوف والدهشة ، وبعد حين يسير قال الرجل للساحر : كيف حالك هل عرفتني يا دينار ؟

فقال : لا أذكر أني رأيتك من قبل .

قال الرجل : لا تذكر ..حسنا .. أنا سأذكرك .. لقد كنت يوما في مدينة يونان عندما

التقيتك.. أتعرف هذه المدينة ؟

تجاهل الساحر معرفته بتلك المدينة : سمعت بها .

ضحك الرجل وقال : سمعت بها .. أنت تعرفني ، وتعرف مدينة يونان حيث التقينا .. لا تتظاهر بالجهل والدهشة .. وقد قمت ورجالك بخطف الفتاة التي كانت معي الفتاة الجميلة التي استحسنتها وطمعت نفسك بها .. هذا يا خليل ويا عنان الرجل الذي مكر بي وسرق مني زوجتي .. أين زوجتي الآن ؟!

قال الساحر مصدوما وقد أدرك الحيلة التي وقع فيها : أتعرف هؤلاء ؟!

قال : إنهم أصدقائي وساعدوني في الانتقام منك .

قال غضبا وسخطا : لقد سخرتم مني !

قال عنان : أنت خائن مجرم .. كيف تخطف زوجته منه ؟

قال : وقعت من نفسي وهويتها .. ورفض طلاقها لأتزوج منها .

قال خليل : أين هي بحثت كل بلدك أيها الساحر ولم أجدها ؟

قال بحزن واضح : ماتت ! ماتت في يونان .. مرضت وماتت .. وأنت كيف عدت للحياة ؟

قال الرجل : من كلفتهم بموتي قبلوا المال .. دفعت لهم ورحلت كما اتفقت معهم .. وأين دفنت زوجتي ؟

قال : رفضت السفر معي إلى بلدي . قال : فقتلتها !

قال الساحر : لا ، قتلت نفسها ، رفضت أن تكون زوجة لي كما كانت زوجة لك ...وما هي إلا جارية !

صرخ الرجل : أعتقتها أيها الشيطان وتزوجتها برضاها .. لماذا لم تشترها من التاجر ؟!

لم يجيب بل سأل : ماذا أنت فاعل بي ؟

قال مجيبا : الأمير صديقنا .. ورتبوا هذه الحيلة لجلبك إلى هنا ؛ لعلمنا بجشعك وطمعك في الكنوز والمال .

قال مغلوبا على أمره : ماذا أنتم فاعلون بي ؟!

سعيد من مدينة الأمير شهاب هو تاجر ابن تاجر ، وكان يعيش في مدينة يونان كتاجر كبير ومستقر في المدينة من أكثر عشر سنوات ، وكان من أهم أعماله إرسال البضائع إلى بلاده وغيرها عن طريق البحر والبر ، وكان يستقبل ويرحب بتجارة ورجال بلده في مدينة يونان العظيمة التي هي من أكبر مدن الزمان تلك الأزمان فكان سعيد يتاجر بالرقيق والحرير والقماش والتوابل والجلود ، وكان سعيدا وغنيا ، وله أصدقاء وأحباب وعملاء في عدد من المدن ، منها مدينتي خليل وعنان ، وكان يستقبل

تجارتهم ، ويورد لهم ، فهو تاجر كبير .

اشترى يوما جارية شابة حسناء من تجار الرقيق اسمها ليان ، وأحبها حبا جما ، وقدمها على كل حريمه إلى أن تفاجأ يوما برجل اسمه دينار يزعم أنه أحد السحرة الكبار العظام في مدينة الغرب ، وزعم هذا الساحر أن الجارية ليان فتاته ، وسرقت من بيته ، ووصلت إلى سعيد ، وله زمنا يبحث عنها حتى علم بوصولها إليه ، وأنه يريدها.

فأخبره سعيد قطعا لطمعه فيها ؛ بأنه أعتقها وتزوجها طمعا بذرية منها .. فغضب الساحر من رفض سعيد ، وأصر على عودتها إليه ، واعترفت الفتاة بأنها تعرف الساحر ؛ ولكنها لم تكن جارية له ؛ بل لصديق له ، ولما علم صديقه بهواه لجاريته خشي عليها منه فباعها سرا عن دينار ؛ لأنه كره أن يمتلكها الساحر ، وأعلمت الفتاة سيدها ببغضها له .

ثم تفاجأ سعيد بعد أيام بخطف ليان وهي في طريقها إلى حمام النساء العام والاعتداء على جاريتها ، فغضب أشد الغضب على الساحر ، وصمم على قتله واغتياله والانتقام لنفسه ، ولم يستطع معرفة بيت وسكن الساحر رغم تنكره ودخوله مدينته خفية ، ولما يئس من ذلك عاد لمدينة يونان يحلم ويأمل بالانتقام وعودة ليان إليه.

أما الساحر فلما رأى رفض الجارية وسيدها له خشي أن تضيع منه من جديد ، فرسم على سرقتها وخطفها ، وأخذها لبلاده ، وخشي أن يتبعه سعيد وأعوانه ، فقرر أن يعيش في مدينة أخرى . استعان الساحر ببعض أصحابه في يونان على خطفها والاحتيال عليها ، ولما كانت في طريقها للحمام العام في المدينة خدعت وخطفت وفي مركب صغير رحلت لمدينة الساحل ، ودفع الساحر للخاطفين أجرتهم ، ونقلت الفتاة لبيت أحد أصدقائه في تلك المدينة حسب اتفاقه مع الرجل . ولما عرفت الفتاة خاطفها ، ورأته هددته بقتل نفسها إن لم يبتعد عنها ، فلم يهتم بتهديدها ، ولما عرف صديق دينار قصتها أشفق عليها ، ووعد بمساعدتها بالهرب والاختفاء . ولما جاء دينار لأخذها من بيت صديقه حسب الاتفاق بينهم ، لم يجد صديقه ولا الجارية ، وعلم من أهل البيت أن الرجل خرج بها إليه.

ولما التقى بصاحبه أخبره الصاحب بأنها هربت من البيت ليلا ، وتبعها فرمت نفسها في البحر وقتلت نفسها

، وغرقت في البحر ، وساقه إلى مكان الحادث ليثبت له غرقها فتقبل دينار الأمر في ريبة وشك ، ولم يفقه دوافع صاحبه منها ، وظن أن صاحبه عشقها وغرم بها مثل تاجر يونان ، وكما حصل معه لما رآها في بيت صديقه جندوب ، وراقب بيت صاحبه عدة شهور ، ثم اقتنع بموتها بعد هربها ، وأن صاحبه صدقه الخبر .

أما سعيد فبعد ضياع وخطف زوجته الجديدة من قبل دينار أصابه الغم والحزن حتى كان يوم والتقى بخليل التاجر ، وكشف له سبب غمه وحزنه ، فوعده خليل بالانتقام ومعرفة مصير الجارية . وكان سعيد قد حدث خليلا قديما عن النفق بين المدينتين ، فتذكره خليل لما علم أن الخاطف يتعاطى السحر والشعبذة ، ورسم حيلة لاصطياد الساحر ، واستعان بعنان وتلك الحيلة التي تحدثنا عنها في الصفحات الماضية .

ظل خليل يبحث عن دينار عن طريق أصحابه ، ومنهم دغل ، وصنع له تلك الحيلة ، وكتب على تلك الصخرة التي أغلق بها مدخل الكهف اسم الساحر دينار ، وسافر حتى التقى بدينار وحدثه عن ذلك الكهف الغامض وقد حفر اسمه على مدخل الكهف ، وكان الساحر دينار من السحرة الذين يهتمون بالكهوف والدفائن والكنوز فصدق كلام خليل بعد فشل رفيقه دغل بالوصول للكهف دون معاونة خليل .. وذلك عن طريق عنان ، ثم تبين لها عدم معرفة عنان بالكهف ، فوافق دينار على الرحلة لذلك الجبل والمغارة ، وهو لا يكاد أن يصدق أن اسمه منحوت على باب الكهف . تم القسم الأول

قصص الزمردة

سليم في الغابة المسحورة

الحلقة ١

الفتى سليم

سليم فتى جميل وديع ، كان يحب والديه حبا كبيرا ، فهو عند كل غروب يقف أمام البيت مستقبلا والده العائد من عمله ، ذات حين هبط الظلام واحلولك ، ولم ير سليم أباه عائدا ، وطال الانتظار ، قلقت الأم ، بكى الأطفال وهم يصيحون : أين أبي ؟! أين أبي ؟!

ذرفت الأم الدموع بحرارة وخوف ، فهذه أول مرة منذ تزوجت محمودا يهبط عليها الليل ولا يكون محمود في البيت ، فهمست : ما الأمر ؟! أمرت الأطفال بدخول البيت ، وأغلقت الباب عليهم ، وهي تقول لهم : يا أولادي يا أحبابي سأذهب إلى طرف

الغابة أبحث عن أبيكم ..لا تبكوا ..لا تخرجوا من البيت ..انتظروني ريثما أعود بالخبر اليقين .

انطلقت الأم إلى طرف الغابة وغابت ساعات ، وعادت والدموع تملأ آماق عيناها ، وخيم الحزن على العائلة ، وفجأة تمالكت الأم نفسها ، فأطعمت غلمانها وأمرتهم بالنوم ، وهي تقول لهم : سوف يأتي أبوكم غدا ـ إن شاء الله ـ قد يكون تأخر مع بعض رفاقه ، ناموا أيها الأعزاء .

وكيف يأتيهم النوم ؟ وقد أدركوا أن أمرا قد حدث ، فهذه أول مرة يتأخر الأب ، ولا ينامون تحت رعايته منذ عرفوا الحياة ، الأم كلها قلق وتوتر ، الأفكار الموحشة تشرق بها وتغرب .. ما الذي أخرك يا محمود ؟! .. اللهم لطفك بنا في قضائك .. اللهم ارحم فتية صغارا.. اللهم ارزقنا الصبر ويسره لنا..يا كريم يا حليم ..

وهكذا قضت الليل وهي تناجي ربها ، وتفكر بالذي أخر بعلها ، ونام الأولاد بعد أن غلبهم سلطان النوم .

ومع شروق شعاع الشمس الأول استيقظت العائلة الصغيرة ، والكل على لسانه جملة " أين أبي ؟! "

عندما ارتفعت الشمس قال سليم : أماه ! ..أريد أن أبحث عن أبي .. لست صغيرا .. إنني أعرف الغابة جيدا ..كم مرة رافقت أبي إليها ائذني لي يا أمي ؟

وبعد تردد وجدل قصير ، قالت الأم : اذهب يا ولدي ..ولكن لا تتأخر علينا .. واعلم أننا في انتظارك .

خرج الفتى اليافع ذو الاثنتي عشرة سنة إلى الغابة ، وبعد ساعة من الزمان دخلها سأل الحطابين عن أبيه الحطاب محمود ، فقال له أحدهم متفاجأ : ألم يعد والدك للبيت يا سليم ليلة أمس ؟! لقد كان معنا نهار أمس .

بكى الفتى سليم وهو يرد على رفيق والده : لا يا عماه ! ..لم يعد ليلة أمس ، لقد بتنا بدونه يا عماه .

فقال حطاب آخر : يا قوم عندما غادرنا الغابة وقد حمل كل منا حمله تركناه يستريح عند شجرة الجوز العالية .. وظننا أنه سوف يتبعنا بعد أن تقدمناه بخطوات !

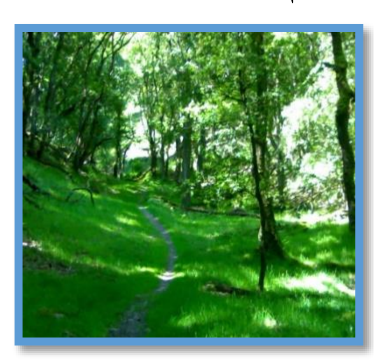
ومشوا جميعهم حيث شجرة الجوز في وسط الغابة ، حيث تركوا محمودا ، وجدوا قربة الماء التي كان يحملها محمود ، فصاح أحدهم : هذه قربته ! .. جلس يستريح هنا ويشرب الماء فسبقناه.. هذا كيس طعامه .. أما هو فأين هو ؟!.. أين ذهب؟! لا تبكي يا سليم

كن رجلا .. الرجال لا يبكون بسهولة .. اصبر أيها الفتى سنبحث عن والدك .. فهو أخونا وصديقنا وجارنا

وأعطى أحدهم سليما درهما وأمره بالعودة للبيت لتطمئن أمه عليه ، وسوف يأتون إليهم ليطمئنوهم على أبيهم ، وشكرهم الفتى سليم وودعهم ورجع لأمه وإخوته وقص عليهم القصة ، فقالت الأم : أمر غريب ! .

وقالت لنفسها : هل تعرضت له الوحوش بعد ابتـعاد رفاقه عنه ؟! .. ولكنهم لم يجدوا بقايا جثته وثيابه .

وفي المساء مر عليهم بعض الحطابين وأكدوا لهم اختفاء محمود العجيب ، ولم يدع وراءه شيئا يخبر عنه سوى تركه لقربة الماء وكيس الطعام ودفع إليهم بعض الدراهم وحثهم على الصبر وهو يعدها ويقول : سنبحث عنه يا أم سليم .. فأمر اختفائه غريب



..لا ندري ما حدث له ..كنا معا ، وجلس يستريح ويشرب الماء وتابعنا العودة ظننا أنه خلفنا .. والأمر بيد الله .

وقضت العائلة ليلة أخرى موحشة ، وفي صباح اليوم التالي قال سليم لأمه : أماه ! .. لن يهدأ لي بال حتى أعرف مصير أبي ، سأبحث عنه في الغابة شجرة شجرة وصخرة صخرة أرجوك يا أماه أن تشجعيني على هذا البحث .

قالت والدموع الغزيرة في عينيها : أخشى أن أخسرك أيضا .

قال : لا تخافي يا أمي .. فالأمر كله بيد الله .. لا مذاق للحياة دون أبي ..أو على الأقل معرفة مصيره وما جرى معه .. السلام عليكم .

احتضنته الأم بكل حنان وقالت : اذهب يا ولدي ، وابحث عن والدك الغالي ، وعد بأبيك كلنا فدى لأبيك يا بطل !

انطلق الفتى إلى الغابة يبحث عن أبيه حتى وصل إلى شجرة الجوز الخضراء الفارهة الظلال ، وجلس تحتها وهو يقول : أيتها الشجرة العظيمة .. لقد جلس أبي تحتك يشرب الماء..أين ذهب أبي ؟؟ ..كلميني يا شجرة الجوز !



فسمع الشجرة تقول : يا سليم ..أتريد أباك ؟؟ .. هل تحبه كثيرا ؟؟

فرد قائلا : وكيف لا أحب أبي يا شجرة الجوز ؟! ..أرشديني

إليه ..لقد جلس يتفيأ تحت ظلك

قالت : أبوك يا سليم ذهب للغابة المسحورة .

قال : الغابة المسحورة !! .. أين هي ؟ وكيف الوصول إليها ؟؟!

فقالت الشجرة : أتريد أن تذهب إليها ؟ ألا تخاف أن تسحر فيها ؟!

فقال بحدة وتحد : كيف أخاف ؟ وقد سبقني أبي إليها ..وهل للحياة طعم بدون أبي يا شجرة الجوز ؟!

فقالت : والأيتام ..كيف تكون حياتهم يا سليم الشجاع ؟

قال : يتألمون ويحزنون ؛ ولكنهم بقضاء ربهم راضون ، فهؤلاء موقنون بموت آبائهم ، أما أنا فلا ..سأبحث عنه فإن مات فسأصبر وأرضى بأمر ربي وقدره ..ولكنك قلت أنه ذهب للغابة المسحورة ولم تقولي بموته .

قالت : أحسنت يا سليم !..سأرشدك للغابة المسحورة

فقال سليم للشجرة : بارك الله فيك أيتها الجوزة العظيمة !

فقالت الجوزة : أيها الفتى الجميل..تسلق على جذعي واصعد حتى القمة واجلس ، وستمر عليك جوارح الطير ، يأتيك الغراب فيسألك ماذا تفعل هنا ؟ لا تجيبه الزم الصمت إياك والكلام معه ، وعندما يفارقك سيقول لك جملة فاحفظها جيدا وإياك أن تنساها ، ثم يأتي بعد ذلك عصفور صغير يلقي عليك السلام ، ويقول لك : ماذا تفعل هنا يا فلان ؟ .. اصمت لا ترد لا تتكلم ، وعندما يودعك سيقول لك هو الآخر جملة فاحفظها تنفعك في إنقاذ والدك .. ثم ترد عليك حمامة وديعة ترحب بك وتسألك لا تتكلم معها البتة واحفظ الجملة التي تودعك بها أيضا ..وبعد ذلك سيطول انتظارك يا سليم الشجاع فتحمل ، ولسوف يأتيك نسر ضخم لا تخف منه سيحاول دفعك فتشبث بالأغصان جيدا إياك والسقوط والخوف ، ثم يكلمك فاسمع ؛ فإذا قال لك اركب على ظهري ..لا تفعل ؛ فإذا قالها في الثالثة قل "على بركة الله " أريد أن أصل للغابة المسحورة ، واركب ولا تخف ، وعندما تصل إليها لا تهبط إلا على شجرة صفصاف يسكن عليها طير يقال له "سلطان " فسلم عليه ، فإن رحب بك ، فأمر النسر أن يتركك عنده وهو سيخدمك .. إلى اللقاء يا سليم الوديع .

سليم ..والطيور

صعد سليم إلى أعلى الشجرة ، وجلس على غصن قوي ، ولم يكد يلتقط أنفاسه حتى أقبلت نحوه أعدادا هائلة من الطيور

حامت حوله عدة مرات ، ثم



اختفت فجأة وعلى أثر اختفائها ظهر غراب أسود ورفرف فوقه ، ثم وقف على غصن قريب منه ، وهو يقول : يا أيها الفتى الجميل ! ..ماذا تفعل على هذا الغصن العالي ؟ .. لماذا رقيت لأعلى الشجرة ؟؟ ما اسمك يا فتى ؟ هل تبحث عن أبيك ؟

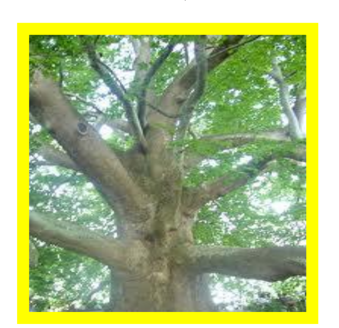
كاد سليم أن يقول نعم ، ففتح فاه ؛ ولكنه تذكر كلام الشجرة فأغلق فاه ، فقال الغراب : نعم إنك قادم تبحث عن أبيك ذلك الرجل ..



وثرثر الغراب بضعة دقائق ثم طار وهو يقول : إلى اللقاء يا فتى " لا تأكل من شجرة التفاح " ، فرددها سليم في نفسه مرات حتى حفظها .وبينما هو مشغول فيها رفرف فوقه عصفور صغير أزرق اللون، وألقى عليه السلام ،ثم وقف على فنن قريب منه وهو يقول : مرحبا بالفتى الناضج .. مرحبا بمن أقبل يبحث عن أبيه .. أتبحث عن أبيك يا فتى ؟ .. هل هو مفقود حقا ؟ .. ما أروعك ! ما أشجعك ! لماذا أنت صامت ألا ترد على تحيتي ؟ هل أنت أخرس ؟ ..أعرض عليك صداقتي .. سليم ما أجمل هذا الاسم ! لابد أن أمك تبحث عنك لقد تأخرت عليها كثيرا .. اذهب إليها وأخبرها بما جرى لك ..طمئنها على روحك ثم عد .. اسمع نصيحتي .

ولكن الفتى سليم أصر على الصمت التزاما بنصائح شجرة الجوز ، فحين يأس الطائر طار في الهواء وهو يهتف : إلى اللقاء يا سليم " لا تشم الوردة الزرقاء "

طفق سليم يرددها في نفسه ، وبينما هو مشغول بحفظها رفرفت حول الشجرة حمامة حمراء ، ثم ألقت التحية



ووقفت على غصن قريب من سليم وقالت : يا مرحبا بالفتى سليم .. الفتى الذي يفتش عن أبيه .. سلام عليك يا شجاع ؛ ولكن أمك المسكينة ما يدريها أنك تبحث عن أبيك على ظهر شجرة .. لقد قدمت للغابة تبحث عنك وتسأل الحطابين والصيادين وعلا صراخها وهي تنادي

..سليم ..سليم حتى أغشي



عليها ، ونقلها الحطابون للبيت ..وأنت تجلس على قمة هذه الشجرة .. أين اختفى والدك ؟..قد يكون الحطابون قتلوه وأخفوا جثته .. هل فكرت في ذلك تفكيرا جيدا ؟؟.. وثرثرت حتى أصابها اليأس ، وتيقنت أنها لا تستطيع دفع سليم للرد عليها وفشلت ، فصاحت : الحق أنك ولد شجاع ومطيع وقد سمعت كلام الجوزة ونفذته بدقة شكرا لك .

وكاد سليم أن يشكرها ؛ ولكنه أطبق فمه قبل أن يهمس بكلمة واحدة ، وحاولت مرة أخرى ، ثم طارت وهي تقول : سوف نلتقي أيها الفتى في الغابة المسحورة " احذر أن تشرب العسل الأحمر فهو السم الناقع " وطارت في أعالي الفضاء حتى اختفت عن عيني سليم .

شرع الفتى سليم يسترجع كلمات الطيور الثالثة ، الغراب قال" لا تأكل من شجرة التفاح " والعصفور قال :" لا تشم الوردة الزرقاء " والحمامة قالت :" لا تشرب من العسل الأحمر فهو السم الناقع " ثم عقب قائلا لنفسه : إن شاء الله لن أنسى هذه النصائح من أجل أبي .

وعند المساء اقترب نسر هائل المنظر من الشجرة وخيم عليها ، فحجب الشمس بجسمه وأجنحته عن سليم ، وشجع سليم نفسه وتشبث بالشجرة بقوة ، وقد حاول الطائر الجارح عدة مرات إسقاطه من قمة الشجرة ، فكان يضربه بجناحيه ، وقد مالت به الأغصان من ثقل النسر وهجماته ؛ ولكنه ثبت ثبات الأبطال ، وظل متعلقا بالشجرة ، فلما رأى النسر شجاعته وإصراره وقف على غصن وهو يقول : لقد نجحت أيها الفتى بالامتحان .. ووعيت كلام الجوزة ..هل أنت حزين لفقد أبيك ؟ مسكين أبوك لو تعلم ما حل



به .. أكلته الطيور ..فقد أصبح في حواصل الطير ..عد لأمك وعزها في أبيك واعتن باخوتك ..دعك من الغابة المسحورة ..كلها أشرار..كلها أسحار .. هل تذهب معي يا سليم ؟..تكلم .. لماذا لا تجيب ؟! أأنت أبكم ؟..ماذا أستطيع أن أفعل لك ؟ ..قل كلمة واحدة .. هل

ترغب بالذهاب للغابة المسحورة ؟..هل أكلت منذ دخلت هذه الغابة ؟.. لا لم تأكل .. حسنا سأجلب لك طعاما لأنك جائع ..لا ..



الأحسن أن تركب على ظهري.. لا تريد .. لماذا يا فتى ..؟ اركب على ظهري لا تخف لن أغدر بك ..ألا تريد أن ترى أباك ؟.. إن أباك لم يمت ؛ إنما أسخر منك .. هيا اركب على ظهري .

فصاح الفتى : على بركة الله .. أريد أن أصل للغابة المسحورة سلطان

فخضع النسر العملاق له ، فاعتلاه سليم وحلق وطوق بذراعيه عنق النسر ، فطار النسر.. وطار في طبقات السماء ، ودار في الفضاء الطلق حتى هبط في الغابة المسحورة على شجرة جوز ، فطلب الطائر منه الهبوط ، فرفض سليم وقال : اهبط بي على شجرة الصفصاف التي يسكنها المدعو سلطان .

فقال النسر : يا صاحبي انزل ، واذهب إليها ، فأنت فتى شجاع ، ودع عنقي فقد آلمتني

فقال سليم بقوة : لا أنزل إلا على تلك الشجرة .

فعاود النسر الطيران به ، ثم أنزله على صفصافة ؛ ولكنه لم يترك عنق الطائر حتى سأل طائر الشجرة عن اسمه فرد : أنا لست بسلطان .

فذهب النسر إلى غيرها حتى دار به على عدة أشجار حتى نزل على واحدة من شجر الصفصاف فقال طائرها : أنا سلطان ..انزل على الرحب والسعة .

فحياه سليم ، وتخلى حينئذ عن عنق النسر الضخم الذي ارتفع في الهواء واختفى ، واقترب سليم من طائر شجرة الصفصاف الذي رحب به ، ولما أخبر باسمه ، قال الطائر سلطان : أنت سليم يا مرحبا يا مرحبا .. لقد عانيت اليوم ، لابد أنك جائع.

وصفق بجناحيه فحضرت مجموعة من الطيور الصغيرة الجميلة الألوان ، فطلب منها طعاما لسليم ، ذهبت ثم عادت وهي تحمل صواني مصنوعة من الجواهر عليها أصناف من الفواكه المثيرة والمهيجة للشهية والروح ، فتناول سلطان تفاحة ، وقدمها لسليم قائلا : كل أيها الفتى الجميل إنها تفاحة طيبة فواحة العطر ذات اللون الحسن .. ابدأ بها .

فاعتذر سليم وهو يتذكر قول الغراب " لا تأكل من شجرة

التفاح " ، وذاك يكلمه بأروع الكلام المسيل للعاب المحرك لغريزة الجوع وشهوة الطعام ، ويحثه على أكلها ولو بأن يقضم شيئا يسيرا ، وسليم يرفض بشدة ، فقال سلطان : كما تشاء يبدو أنك لا تحب التفاح .. خذ هذه الموزة .

وكان الطائر قد أعاد التفاحة للصينية وتناول موزة فأخذها منه سليم وأكلها وأكل ثانية ، فعاد سلطان يقول وهو يقدم له بعض التفاحة : كل نصف تفاحة .. هذا التفاح أحلى من العسل المصفى .

فقال سليم رافضا : لا أحبه يا عزيزي .

فقدم سلطان له خوخا ، فأكله ، وكلما يدفع له صنفا يحاول إغراءه بأكل التفاحة حتى شبع من أكل أصناف الفاكهة ، وأحضر له ماء زلالا فملأ جوفه منه ، فعندئذ قال سلطان : أهلا بك في الغابة المسحورة ..لقد نفذت نصائح الشجرة بدقة ، فاعلم أنني الآن في خدمتك أنت السيد وأنا الخادم .

فقال سليم : اعلم أنني بحاجة للنوم .

فقال الطائر : حسن .. اتبعني ونزلا عن أعالي الصفصافة ، وقاده إلى غرفة جميلة الرياش والمتاع ، مما يفتن النفس ، وعلى سرير من البلور ألقى سليم جسده المتعب، وكانت أرض الغرفة من الزجاج الذي يجري تحته الماء ، فقال الطائر : نم نوما هنيئا وهادئا ، وأنا حارسك الليلة أقف أمام باب الغرفة ؛ فإذا احتجت شيئا فاطلبني فأكون بين يديك على الفور .. فأنا خادمك المخلص

كان سليم متعبا من جلوسه طول النهار على الشجرة ، ثم ركوبه متن النسر في طبقات الجو ، فما وضع نفسه على السرير حتى راح في سبات عميق .

على زقزقة العصافير وتغريد البلابل وتنفس الصبح نهض سليم من نومه العميق فتح عينيه وأدار رأسه يمينا وشمالا ، ثم رفع الغطاء الناعم عن جسده وجلس ، كانت غرفة ممتلئة بأريج الأزهار والورود ، نظر إلى جدول الماء الذي يسير من تحته ، ثم تذكر أنه في الغابة المسحورة ، فنادى على سلطان فأقبل على الفور وحياه تحية الصباح وقال : يا صاحبي أرغب بالحمام .

فقاده إليه واغتسل ولبس ثيابا موشاة بالذهب ، ثم فطن أنه قادم للبحث عن والده ، فطلب الإفطار ، ولما أحضرت المائدة ، قدم له سلطان كأسا من العسل الأحمر ، وهو يقول : اشرب من هذا العسل الطيب ، لا أظن أنك شربت منه في سنواتك الخالية .

فتناوله سليم وقربه من فيه ،

ثم حدق النظر في عيني سلطان ، ثم أنزله عن فمه وقال : لا أحبه هات غيره . لقد تذكر نصيحة الحمامة " احذر أن تشرب العسل الأحمر فهو السم الناقع" ، وأخذ سلطان

يذكره بحسنات العسل ولذته وحلاوته ، وأنه يزيد الجسد صحة ونضارة وشبابا ، فأصر سليم على الرفض ، وأكل من الأصناف الأخرى ، فلما حمد الله على الطعام والشراب سمع سلطان يقول : سليم .. ألا تريد أن تتفرج وتشاهد الغابة في هذا النهار الجميل ؟ تمتع بصرك بالأشجار والأزهار والوحوش ، ففيها من جميع أنواع العصافير والكناري والببغاوات والحمام بأزهى الألوان ، وهنا الطواويس والغربان والصقور والعقبان والنسانيس والقرود ، ما أجمل حدائق الأزهار ! الفل والياسمين والورود البيضاء والزرقاء والحمراء والنرجس والسوسن وشقائق النعمان .. دعني أريك هذه الأشياء حتى عندما تعود لوالدتك المسكينة تروي لها عن كل هذه الأشياء الجميلة عن الفهود والنمور والظباء أم أذهب بك للبحيرة لترى الأسماك ذات الصور المختلفة .

فعندئذ تكلم الفتى فقال: يا سلطان أنا لم آت لهنا للغابة المسحورة لأشاهد هذه الأشياء الحسنة كما تقول وهذا الجمال ، فأنا قدمت لحاجة مهمة ، حاجة واحدة أن أرى أبي .. أبي فقط .. أعرف مصير أبي .. هل سمعت يا خادمي الأمين ؟

فقال سلطان : معك حق .. اتبعني حتى أدلك على أبيك يا سيدي الشجاع .

مشى سلطان وخلفه سليم ، ولما اجتازا مئات الأمتار التفت سلطان لسليم وقال : سنذهب إلى قصر ملك الغابة ، فهو الذي سيرشدك ويدلك على مكان أبيك .

وبينما هم سائرون مروا من حديقة مليئة بالورود ذات الأشكال والألوان والروائح ، فقطف سلطان وردة زرقاء من حوض الورد الأزرق ، وقال ببساطة وطيبة : سليم انظر إلى هذه الوردة الجميلة .. أمسك بها واستنشق أريجها ..آه .. ما أحسنه وألذه !

رسم سليم ابتسامة على وجهه وأخذ الوردة وقال : آه يا سيدي .. لقد أوصاني العصفور الأزرق ألا أشم من الورد الأزرق ..فلن أشمها أبدا ..هل تسمع ؟ وألقى بها بعيدا.

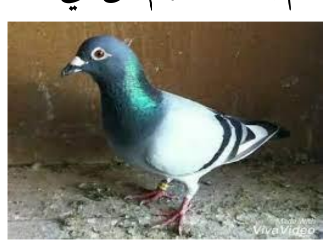
فتوقف سلطان عن المشي وقال : إنك فتى فطن وصبور أتريد الوصول لأبيك ؟ .. تعال اسمع حكاية والدك..

تعال نجلس تحت هذه الشجرة إنها زيتونة مباركة .

...يتبع في الحلقة التالية

لغز

" قيل لما حارب أهل حمص مروان بن محمد ، وعليهم السمط ، وكان معاوية السكسكي ، فارس أهل الشام معهم ، فاسر مروان معاوية السكسكي ، فقال : دعني اكلم أهل حمص وأدعوهم إلى طاعتك فأرسله مروان ووكل به من يحفظه. فاتاهم فكلمهم فشتموه من فوق السور وشتموا مروان فقال لهم :" أما إذ أبيتم فأرسلوا إلي غلامي ميسرة الأسود ولتكن معه ثيابي كلها " ورجع إلى مروان الذين كانوا معه ، فقال لهم : ماذا قال لهم ؟ فاخبروه ، فقال مروان : أتدرون ما أراد ؟ قالوا : لا . قال : أمرهم (أن) يبيتونا وقال لهم : إذا أمسيتم ، فالبسوا سلاحكم واحملوا على الميسرة . ثم أمر بمعاوية فقطعت يداه ورجلاه ولما أمسوا صيروا الفرسان وأهل النجدة في الميسرة فلما كان في بعض الليل بيتـهم أهل حمص فلم يقدروا منهم على شيء "



الحمام الزاجل

أحد أنواع الحمام الذي كان يستخدم لنقل الرسائل فيما مضى، ويتميز هذا الحمام بعودته دوما إلى موطنه، وبالتالي كان الحمام يحمل الرسائل من بلد إلى آخر، ويربط في قدمه رسالة يحملها عائداً إلى موطنه يعد الحمام الزاجل سيد الحمام في الدنيا بدون منازع لما لديه من غريزة حب لموطنه والعودة إليه مهما بعدت المسافات الشاسعة ، للعرب تاريخ طويل حافل مع الحمام الزاجل فهم من أوائل الأمم التي عرفت أهميته وتربيته واهتمت بأنسابه ووضعت الكتب والدراسات في طبائعه وأمراضه وعلاجه..

دعاء

"رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلاَ تُحَمِّلْنَا مَا لاَ طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَآ أَنتَ مَوْلاَنَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ"

الأخ شريف

الحلقة الأولى

البركة

البركة مدينة تعتبر محافظة حسب الترتيب الإداري في البلد ، فهي واسعة المساحة، أحياؤها متعددة ، وهي متصلة بعاصمة القطر ، لا تفصلها عنها مدينة أخرى ، ولكن الحداثة والتطور في العاصمة شين أكثر وأسرع .

بدأت الرواية في شارع عمارة ، وهو شارع معروف مشهور في مدينة البركة ، ربما هو أشهر شارع فيها، وهو شارع الفقراء ، وهذا الاسم غالب عليه أكثر من الاسم الرسمي ، ومع شهرته في مدينة البركة لا يخلو من بضع عمارات ضخمة ، وأكثر ساكنيه يملكون قطعة واحدة أو شقة تتكون من حجرتين صغيرتين ومطبخ صغير ومرحاض ، والقليل كما قيل يملك حجرة ثالثة أو صالون ، وأغلب سكانه من العمال حتى اشتهر بين الأحياء بحي العمال ، ويمتد هذا الشارع لثلاثة أو أربعة كيلو مترات ، والبيوت على طرفي الشارع ، وفي منزل في وسطه بدأت قصتنا ، في بيت السيد الفاضل ياسر الكُمن .

ياسر عامل بسيط عامل بناء ، يعمل مع متعهدي ومقاولي الإنشاء والبناء ، يحمل الرمل والطوب والإسمنت وحديد التسليح ، ويأخذ أجرته عادة باليوم عامل مياومة هكذا يقال ، اليوم الذي يشتغل فيه يسجل له ، ويقبض أجرته نهاية الأسبوع ، أو نهاية الشهر حسب سياسة مقاول البناء ، فحياته المعيشية يوم بيوم ، اليوم الذي يقعد فيه عن العمل لا يأخذ عليه أجرة ، سواء كان الترك بعذر كمرض وتعب أم بغير عذر كمطر وبرد أو قلة شغل ، والرجل اعتاد على هذا النظام وهذه الحياة ، ورضي بما قسم له ، وتكيفت حياته على هذا الترتيب كما يقال ، فاليوم الذي يعمل فيه يوسع على نفسه والعيال ، واليوم الذي لا عمل فيه يقل المصروف والقوت . ومن طبيعة وقانون هذا الشغل التنقل بين المقاولين والمتعهدين ، وهو تارة يعمل مع المقاول فلان ، وتارة أخرى مع المقاول علان ، مرة مع حمدان ، ومرة مع زكي أبو سلمان. فهو يؤجر نفسه لساعات نهارية ببضعة قروش ، وربما تصل إلى دينار حسب سخاء وكرم صاحب العمل وحاجة العمل .

ياسر هذا متزوج منذ سنوات ، وكان سعيدا بزوجه حسنة، وكان يراها الدنيا كاملة ، وكانت هي راضية بخط سير حياتها ، فهي عندما تزوجته كانت تعلم مهنته أو وظيفته في هذه الدنيا ، وهي لم تكن ابنة أسرة ثرية ذاقت حلاوة الغنى وتزوجت فقيرا ، إنما انتقلت من أسرة مستورة إلى رجل من

أسرة مستورة ، من نفس الطبقة الكادحة ، وعلى مستوى اجتماعي واحد ، فلم تكن تحلم بالعيش في قصر أو شقة واسعة ، لم تشتكِ أمام ياسر يوما من فقره وحاله ، رغم شظف العيش هذا كانا سعيدين متحابين ، ورغم منغصات الدنيا الكثيرة كانا راضيين مسرورين ، ورغم موت الكثير من مواليدهم كانا في حبور وسعادة .

يغادر الزوج البيت مبكرا حيث يعمل في ذلك النهار الذي بدأت فيه مأساة ياسر، ولما ينطلق الشابان ولدا ياسر وحسنة للمدرسة تبدأ حسنة بترتيب وتنظيف البيت ، وأحيانا تبدأ بترتيب الفراش واللحف بداية ، وأحيانا تبدأ بغسل الأواني والأطباق ، ثم تعود لترتيب غرف النوم .

خرج قسيم ابن الثالثة عشرة ربيعا إلى المدرسة ، ومعه شريف الذي يصغره بعام واحد ، شريف ياسر في الصف السادس الابتدائي ، وأخوه في الصف الأول الإعدادي ، كان شريف أذكى من قسيم في المدرسة ، وعندما بدأت هذه القصة كانت المدارس تكاد أن تغلق أبوابها .

حسنة عبد الحميد أم قسيم ودعت ولديها الذاهبين للمدرسة ، وأغلقت الباب خلفهما ، ودعت لهما في سرها ، ورتبت البيت الصغير ، وكنست الغرفتين ، ودخلت المطبخ الصغير لجلي الصحون وأدوات طعام الفطور من إبريق الشاي والأكواب .

وبينما هي تستمع للراديو يدندن في أغاني الصباح كالمعتاد طرق الباب بقوة ، فخفضت صوت المذياع ، فسمعت الطرق ثانية ، فتأكد لها أن الطرق على بابها ، وليس على باب جيرانها .. فتركت ما في يديها ، وأغلقت صنبور الماء حنفية الماء ..ولابد أنها بينها وبين نفسها تقول من يطرق عليّ الباب ؟! فسمعت رجلا يطرق وينادي : يا أم قسيم ! .. يا أم قسيم !.. أنا سلمان .

شقت الباب وأخرجت رأسها ، وقد اضطرب قلبها فجأة ، فسلمان زميل زوجها في العمل وابن شارعها فقالت : وعليكم السلام .. ما هناك يا أبا أحمد ؟!

– آسف لإزعاجك يا أم قسيم .. فالأخ ياسر وقع عليه حجر بناء أثناء الشغل ، ونقل للمستشفى .

فصاحت برعب : مات ؟!

– لأ ، يا أم قسيم ، لكنه مصاب ونقل للمستشفى ، وإذا أحببت أن آخذك إلى هناك .. فقد طلب مني المعلم علي ناشب أن أخبرك وأساعدك بالذهاب للمستشفى .

– حسنا ، انتظر يا أبا أحمد حتى ألبس ثيابي .



كان ياسر وسلمان يعملان مع المتعهد أو المعلم علي ناشب في بناء البيوت والعمارات كعمال يرفعون المواد من تراب وحديد وأسمنت وخلط مواد الإنشاء .. ومن ضمن عملهم حمل حجارة البناء ومناولتها للبنائين .. وكان ذلك الصباح يعمل الرجل مع أحد معلمي البناء فيناوله أحجار البناء والطين المخلوط المجبول .. وأثناء رفعه لحجر بناء مناولا له لمعلم البناء الذي يقف على سقالة بناء سقط عليه ، ربما ظن أو توهم أن الرجل البنّاء تناوله منه ، فوقع ياسر على الأرض وهو يصرخ من الألم ..وكانت ضربة الحجر شديدة على ظهره ، فأصيب عموده الفقري من الحجر ، ومن وقوعه على الأرض على حجر آخر ، فهرع العمال وحملوه للمستشفى وقضى الرجل أكثر من شهر في المستشفى ، ولما أخرج كان معطلا ومشلولا شللا نصفيا ، فعاد للبيت كئيبا حزينا ربما يائسا بائسا .. فهو لم يوفر قرشا لمثل هذا الحال ، لم يوفر قرشه الأبيض ليومه الأسود كما يقول أهل التوفير ، وربما لم يفكر يوما أن يصاب هو ويتعطل عن العمل ، رغم ما يحدث باستمرار من أحداث وإصابات للعمال .. فما كان يقبضه من أجرة ينفقه أولا بأول ، وأيام قلة عمله لا يشتري سوى دخانه مما ادخره أو زاد عن مصروف البيت .

كانت صورة المستقبل أمامه وأمام الأسرة قاسية وسوداء قاتمة ، وأهله لم يكونوا أحسن حالا منه .. فقبل راضيا مستسلما ليد العون التي مدت إليه من الجمعيات الخيرية ، ومن صناديق الزكاة المنتشرة في طول البلاد وعرضها .. وأصبح الرجل عالة على المجتمع والأمة .. وكان علي ناشب قد مد له يد العون في أول الحادث ، وتكفل بعلاجه ومساعدة الأسرة بالأرز والسكر والشاي والفاكهة والطحين، ثم توقف عن ذلك بعد حين

شقاء الأسرة

شعرت وأدركت الأسرة بالوضع الصعب الذي عصف بها ، فالمريض يحتاج لعلاج مستمر ومتابعة دائمة، والبيت يحتاج لمصروف ونفقات ، فكانت الأسرة تجاهد للحياة والعيش ، نجح شريف في فصله الدراسي وترفع للصف التالي ، أما قسيم فلم يوفق في فصله فعليه أن يعيد الصف مرة أخرى ، فأصبح الأخوان في مستوى دراسي واحد ، فكان قسيم يتذمر من البقاء في المدرسة ، ويظهر امتعاضه من التعليم ، ويضغط على الأسرة لترك المدرسة وتعلم حرفة ، ويعد الأسرة بالعمل والمساعدة في نفقات البيت ، ويدعي أن مساعدات الجمعيات لا تكفي ، وأنه يضيع الأيام هدرا ، وأن مصيره لسوق العمل ، فتسوق له الأم الأمية فضائل التعليم والحصول على شهادة علمية .. والمستقبل الزاهر والحياة الساكنة والوظيفة اللائقة أمام الناس

والمجتمع .. وهو يرد عليها بحمية بأن الشهادات ليست ذات أهمية، والكثير من الناس سعداء بالمال والسيارات وليس معهم شهادات ، ويذكر لها بعض الأسماء اللامعة في المدينة أو في التاريخ .. ثم يعود ليبين لها أن وضعهم سيء ويحتاج لمزيد من المال والدخل .. وأن شريفا أذكى وأشطر منه ، وتدريس واحد في الجامعة ليس كتدريس اثنين .. وأحيانا يظهر لهم عجزه عن متابعة الدراسة والاستذكار والحفظ .. وعمله في مهنة تدر عليه بعض المال تخفف من أعباء الأسرة .. وكان يرى بحسه أن هذه النقطة ستدفعهم لقبول تركه المدرسة .. وكان عندما يضيق به الكلام والحال يصور لهم بشاعة أخذ أموال الجمعيات ، وأنها نوع من التسول والشحذة ..

ولما وصل شريف للصف التاسع الثالث الإعدادي استسلمت الأسرة لضعف قسيم ، وأنه لن يتقدم في الدراسة ، وربما مكانه المناسب سوق الحرف المبكر ، وقد تعلم خلال هذه السنوات شرب السجائر كما علمت الأسرة ، ولم يعد له قدرة على البقاء في المدرسة .. وعلمت الأم أنه يسرق بعض المال الذي تخفيه، وتدخره لأيام الشدة الأكثر ألما وضيقا .. وعلموا أنه يذهب للسينما .. وكان يقسم لها ـ لأمه ـ آلاف الأيمان بأنه لم يسرق ، ولم يذهب إلى السينما .. فرأوا أن يعمل ليعيل نفسه على الأقل ، وصار أملهم الكبير بنجاح شريف الابن المؤدب العاقل .. وأن شريفا كما ترى أمه قد رسم لنفسه هدفا كبيرا .. وأنه ساع بقوة للوصول للثانوية العامة والنجاح بمشيئة الله سبحانه ، وأنه يسعى بصبر لنشلهم من الفقر والمسغبة .. سمح الوالدان لقسيم بالعمل ، وخرج من المدرسة ؛ كأنه حقق هدفا عظيما ،لا مذاكرة ولا حفظ ، ولا عتاب مدير أو أستاذ .

فقسيم كان يرى أن إخراج الأسرة من الفاقة والحاجة بالمهنة والحرفة التي لا تحتاج لشهادة ودراسة، وأما شريف فكان يرى أن الشهادة المفتاح الأول لمساعدة الأسرة ، وتغيير الوضع الماثل أمام عينيه .

قسيم يرى أن السنوات تضيع في المدرسة دون فائدة ؛ لأنه لا يحب المدرسة ، يدرس الشعبة مرتين لينجح تلقائيا دون نجاح حقيقي ، فلما نجح شريف في الثالث الإعدادي انصرف قسيم للعمل الحر كما يقول ، وكان خلال عطل المدارس في فصول الصيف الماضية قد اشتغل في العمل الحر ، مرة مع كهربائي (محترف تركيب وتمديد مواسير وأسلاك الكهرباء المنزلية) ، ومرة مع ما يسمونه السباك (مواسرجي) ومرة مع العمال في تحميل أو تفريغ سيارات الخضار الكبيرة كالبرادات والشاحنات .. ولكن بعد رسوبه المدرسي الأخير

، والموافقة الأسرية على تركه ساحات التعليم .. لم يبق أمامه إلا العمل والثبات على حرفة واحدة .. فاختار العمل مع عمال تركيب المواسير وما يسمى بالتدفئة المركزية .. وبعد شهور يسيرة انتقل للعمل مع بليط ولما وصل شريف لامتحان التوجيهي .. كان قسيم قد اشتغل في ما يزيد عن خمس مهن أو حرف .. ومن ناحية مساعدة الأسرة ـ كما زعم ـ لم تستفد الأسرة من عمله الشيء الكثير .. فما يقبضه ينفقه على ملذاته ، وأحيانا بعد شجار يرمي دينارا على أمه وهو غاضب .. ولم يعد يعلق يوما على أموال الإحسان التي تنفق على البيت كما كان يعلق عليها قديما.. بل كان يأكل ويشرب من أموال الإحسان والجمعيات ؛ كأن لم يجعلها دافعا لهجره المدرسة .. تناسى الغيرة والحمية التي كانت تجتاحه عندما كان يرى رجال الجمعيات والمحسنين يدخلون على البيت بالمساعدات والصدقات .. وربما لو صادفته اليوم يصاب بفرح وسرور ، ويرى أنهم أزاحوا عن كاهله عبئا كبيرا ؛ كأنه الذي ينفق على الأسرة الجريحة ، وأن الأسرة ما زالت تحيا لم تهلك تجاوز سنه التاسعة عشرة وهو ما زال لم يحترف أي مهنة بعد .. يتنقل هنا وهناك .. لم تلصق به مهنة يشتهر بها بين الصناع .

كانت حسنة في جوف الليل وهي تقف بين يدي الرحمن تبكي لأجله وعلى خيبته، وتدعو الله مخلصة أن يوفق ابنها شريفا وألا يخيب أملها فيه ، كما خاب في ابنها الكبير الذي لا يبالي بوضع أبيه ، بل تراه في بعض الأيام لا يتحدث مع والده أو يسلم عليه ، يخرج صباحا غير مكترث، ويعود في آخر الليل بدون أن يسألها عنه أو يسلم عليه.

كان شريف يدرك ويعي الأمل المعقود عليه نحو أسرته ، ويشاهد خيبة الأسرة بقسيم ، وهو لم يفاجأ بذلك ، فهو يعرف قسيما خير المعرفة ، يعرف أنانيته وطمعه وحبه لذاته ، وضعف شعوره وإحساسه بالآخرين ، وضعف تحمله للمسئولية ، فهو يستعجل السنين لينتشل الأسرة من الفقر ومن هذه الحي المظلم ، وهو اليوم يجاهد ويقرأ ويحفظ لإنهاء الثانوية العامة بسلام .



ولكن قبل أن تأتي الامتحانات حدث أمر مهول بالنسبة لهم ، فبينما الأسرة ذات نهار تجلس حول مدفأة لتخفف للبرد المخيم على الناحية طرق الباب ؛ فإذا هو رجل شرطة يسأل عن قسيم ، وقد تبين لهم أنه متهم بالمشاركة مع بعض فتيان الحي بسرقة دكان بقالة من أحد الأسواق ، ولما علم صاحب الدكان حال أبي قسيم وشلله وفقره ، وشاهد بكاء الأم وتوسلها تسامح معهم وأخلت

الشرطة سبيله ، ولم ترفع القضية للقضاء .
وغضب الأب على الابن وصاح في وجهه وشتمه وحقره ، وكذلك شريف جرحه وذكره بأقواله وشهامته عندما كان يرغب بترك المدرسة من أجل مساعدتهم .. واحتجاجه على أموال الصدقات .. فتظاهر بالغضب والنقمة ، وقابل العتاب بهجر البيت غاضبا على تجريحهم وناقما عليهم صراخهم وتحقيرهم .. وهذه ليست أول مرة يهجر فيها البيت .. فمنذ أن كبر سنا واشتغل كان يترك البيت أياما زاعما أنه في ورشة بعيدة أو أي حجة أخرى.. ولما يجوع وتذهب الأموال يعود للبيت طالبا العفو والطعام .. وبعد هذه الحادثة عاد للبيت ، وطلب من أمه أن تعينه ببعض مال الصدقة ليتعلم قيادة السيارة .. وأمام ضغطه وصراخه وأنه ابن العائلة وأملها بأن ينصلح حاله .. وخوفها من تهديده المستمر بترك البيت والهروب للعاصمة شين .. وعلينا ألا ننسى حنان الأم أيضا .. ذهبت معه لأحد المدربين ، واطمأنت أن المال وصل للمدرب ، ووعدها الرجل بتعليمه السواقة .. وتأكدت أن المال لن ينفق على الدخان والسينما والملاهي دفعت الدفعة الأولى .
وقد صدق قسيم معها هذه المرة ، وحصل على رخصة القيادة المناسبة ، وأنهى الأخ شريف الثانوية العامة بنجاح وبنتيجة جيدة للغاية أهلته ليختار من الكليات الجامعية ما يشاء ؛ ولكن الشاب أمام الحاجة ووضع الأسرة اختار الالتحاق بالجيش والكليات العسكرية، وخاصة الهندسة العسكرية ، وبمساعدة بعض الأكابر تيسر له ذلك ، ليصبح ضابطا ومهندسا في نفس الآن .
وعادة طلاب الكليات العسكرية يتكفل الجيش والقوات المسلحة بتعليمهم وتدريسهم ، وبعد ذلك يلتحقون للخدمة في صفوف ووحدات الجيش في طول البلاد وعرضها ، وبذلك لم يكلف والديه درهما واحدا ينفق عليه في أثناء الدراسة ، بل يأخذ راتبا وإن كان صغيرا يساعد به نفسه أولا ثم الأسرة .. والأهم من ذلك أنه يحصل لوالديه علاجا طبيا مجانا على حساب الخدمات الطبية للجيش ، فكان يرى أن ذلك توفيق من الله عز وجل .
وكان ذلك كله مفاجئا للأسرة ، فهم لم يحلموا يوما أن يلتحق ولد لهم بالقوات المسلحة ، فهم ربما كانوا يعتقدون أن الجيش لأبناء الذوات أو العائلات الخاصة ، وشريف نفسه لم يحدثهم يوما عن هذا الحلم والهدف ؛ لأنه ربما كان مثلهم يرى أن العمل في الجيش يحتاج لمميزات خاصة ولما استقر الشاب في الكلية العسكرية أو الجامعة العسكرية ، وأصدرت بطاقة العلاج الخاصة بوالده عرضه على أطباء الجيش من علماء

وأخصائيين ، ولكن لطول فترة الرقود على الفراش ، وضعف العناية خلال السنوات الماضيات ، لم يكن هناك أمل كبير في شفائه من الشلل ، فقد ضعف الجسم عن المقاومة .. وأصبح يأخذ العلاجات الثمينة من صيدليات الجيش .. ورفعت الجمعيات الأهلية اسم العائلة من المساعدات والإحسان بناء على رغبة شريف ، وأعلمهم بتحسن الحال ، وأن غيرهم اليوم من الأسر أبدى وأولى منهم ، فأثنوا عليه شكرا ، وتنموا له التوفيق .

واحتج واعترض قسيم على تصرف أخيه شريف ، ومنعه من وصول المعونة إليهم ، وأمام الواقع الجديد من تصدر شريف للقيادة في البيت ، وجه الشاب قسيم وجه نحو العاصمة ، وادعى أن الحياة في مدينة البركة أصبحت سيئة ، وأن البيت صار جحيما ، ولما استقر في المدينة الجديدة استطاع العمل على سيارة نقل ركاب على أحد الخطوط الداخلية .

الهندسة

الزمن يمشي ويسير قدما لا يتأثر بحادث جرى هنا وآخر هناك ، فهو يمضي إلى ما قدر له ، لا يوقفه مولد شخص ولا وفاته ، فكل ميسر لما خلق له ، فنحن نكبر ونزداد عمرا وسوف نهرم ونموت ، وما الأيام إلا أعمار الناس ، هذا يضحك والثاني يبكي ، موت وحياة ، ولكن السعيد من وعظ بغيره في دنيانا هذه .

الفقر معروف لكل الشعوب ، ولا يخلو منه مجتمع ، والناس يتفاوتون في الفقر والغنى والصحة والمرض. فقسيم ياسر منذ فشل في المدرسة وهو يصارع الحياة ، ولا يعرف كيف يستقر على هدف وغاية.. ترك المجاهدة في المدرسة ، ونزل لسوق العمل مدعيا أنه يفعل ذلك من أجل الأسرة الصغيرة، وليكف عنهم أخذ أموال الصدقة ، وحتى لا تبقى يدهم ممدودة كما كان يزعم لأمه .. وهذا مقصد نبيل وشريف ويشكر المرء عليه.

ولكن الشاب احترف أو قل عمل في أكثر من مهنة دون فائدة .. حتى سئم كل الأعمال.. وكبر الشاب ودخل العقد الثالث دون نتيجة مهمة .. وتعلم السواقة من أموال الإحسان التي كان يتظاهر بكرهها ، ويحقد على المحسنين ويقذفهم بشتى السباب .. حقق رخصة القيادة ولكنه لم يفلح بالثبات عند شخص يعمل عنده .. فتقدم لرخصة أعلى درجة تخوله العمل في قيادة مركبات الركاب .. فاستغل تدخل أخيه بوقف المعونة الخيرية عن الأسرة ليهرب أو يهاجر إلى العاصمة .. وكان كل هذه السنوات التي قضاها قبل سفره يتذمر من شظف العيش وضيق ذات اليد.. ويحلم الأحلام الخيالية من بناء شركات وتعهدات .. ولم تخلُ

أيامه تلك من عمليات احتيال ونصب.. فالأخلاق الحميدة والطيبة لم يكن لها قيمة وأهمية عنده .. المتعة والراحة أجمل الأشياء في الحياة.. المبادئ والمثل شعارات فقط .. ولا أهمية لها إلا إذا وافقت هواه ومصلحته فحسب .

كان يتردد على مدينة البركة بين الفترة والأخرى ربما في الشهر مرة ، وأحيانا في عدد من الشهور مرة .. ولما تخرج أخوه مهندسا وضابطا ضاقت به الدنيا وحسده، وتمنى ولو أنه ظل يكافح على مقاعد المدرسة .. ومرات يظهر اللوم على أمه التي تراخت وسمحت له بترك الدراسة .. ولا أحد يعقب على كلامه .. كان حقده على شريف واضحا للعيان ، وكان يزعم أمام أقرانه أنه هو الذي شارك في تعليم شريف مع إدراكه أن كل الناس يعرفون أن الحكومة هي التي علمت شريفا .. فلذلك يصمتون ولا يردون عليه ، وإذا تجاهل أحد هذه المعلومة وناقشه هذا الادعاء صاح : أنا لا أقصد فلوس المحاضرات والتدريب .. أقصد المصـروف وشراء الكتب والملابس المدنية. فيهز السامع رأسه ويلزم الصمت من الحديث مع مدع وأحمق

تخرج شريف ياسر مهندسا ، وتعين ضابطا في قوات الهندسة العسكرية، فقال له والده : الآن يا شريف علينا أن نسعى لتزويج أخيك ؛ لعله يستقر ويعرف المسؤولية .

تدخلت الأم وقالت: أنا أرى الأفضل أن نبني بيتا يليق بالمهندس شريف الضابط .. ويكون هذا البيت هنا لقسيم .

قال الأب مبررا غايته مما اقترح : إن سيرة الولد سيئة لا تعجبني .. وعجزي لم يساعدني على تقويمه وردعه عن فلتانه .. عندما ألتقي ببعض أقاربي وإخواني أسمع عنه كلاما رديئا ومخزيا يا أم قسيم .. وأعلم المرار الذي في حلقك .. فاليوم نحن نعتمد على شريف بعد اعتمادنا الأول والآخر على الله .

شريف يعرف الكثير من مفاسد أخيه وشروره ، فلزم الصمت وترك الحوار والجدل بين الوالدين ، وفي نهاية الجلسة قال شريف : سنفعل كل شيء إن شاء الله .. سنشتري قطعة أرض صغيرة ، وعندما نبدأ البناء ويجهز الطابق الأول نكون خلال ذلك الوقت قد خطبنا لقسيم ولما نرحل يتزوج قسيم بإذن الله .. لعل أحواله تتحسن ويعود للسمعة الطيبة .. ويهجر أصحاب وجلساء السوء .

قال ياسر : بارك الله فيك يا ولدي! .. أنت مفخرة لنا .. نعم الابن يا شريف.. لولا همتك وأخلاقك لمت كمدا من سيرة أخيك السيئة .. استغل عجزي للعيش بلا حياء ولا أخلاق . وأثنت الأم بدورها على ولدها ، وحثته على الرضا والصبر

وتحمل مساوئ أخيه وقصصه ،
فضحك شريف وقال: لي سنون أسمع وأتحمل ..
ولا أتدخل في حياته الخاصة إلا ناصحا مع أن
الإساءة تلحق بنا جميعا ولا تصيبه وحده .

قسيم

قسيم ابن الربع قرن الممتلئ البدن المتوسط الطول
كان مسكنه غرفة صغيرة في أسفل بناية في وسط
العاصمة في حي قديم اسمه حي السماعة ،
ومسكنه لا يختلف عن مسكن الأسرة في بلدة
البركة شارع عمارة .

ربما تجد منازل الكلاب عند بعض الناس أفضل
من غرفته وملاحقها ، ووطد نفسه في أول الرحيل
أن يعود لزيارة الأسرة في نهاية الأسبوع ليلة الجمعة
، فالعمل ينشط خلال أيام الأسبوع والأهل قد
ملوا من إصلاحه كما يبدو فتركوه على هواه ، فكان
يستقبل كضيف ويقدم له الطعام والفراش، ولا
يطلب منه مالا للمشاركة في مصروف العائلة،
لقد كفاهم الله ﷻ المئونة براتب شريف ، وهو لم
يقدم من نفسه شيئا للبيت ، وإنما في بعض الأحيان
يلتقط بعض الفواكه التي تباع على أرصفة الطريق
بين المدينتين ، وكان يتضايق بشدة من أي نصح
وإرشاد يقدم إليه من قبل الوالدين ، وعندما
يطلبان منه أن يحافظ على بعض ماله ويدخر منه
للزواج وبناء أسرة ، فيدعي أنه قد بلغ سن الرشد
والعقل ، ويعرف مصلحته ، وهدفه المنشود ،
ويعرف أين المنفعة فلا داعي للنصح والتوجيه ،
ومرات يتذمر من الشغل وقلة المال والعطل
لتصليح السيارة ، وعندما تنصحه أمه بالصلاة
والتوبة يغضب ويبين لهم أن هذه عادات قديمة ،
ولم يعد أحد يصلي إلا أمه ، وعلى الإنسان أن يشبع
شهواته ورغباته ، وأن الدين للعجائز فحسب ،
وربما سمع كلاما قاسيا جارحا من أبيه ، ولائما
لأمه في فشلها في تقويمه ، فتأخذ الأم بالبكاء بكاء
مرا ؛ ولكنه لا يؤثر في الشاب يوما بل يتظاهر
بالغضب والسخط من زيارتهم والجلوس معهم
ويغادرهم غير آسف ، ولا يعود إليهم إلا بعد
شهر ، وربما أكثر مبديا احتجاجه وعدم رغبته
بسماع مثل هذه المقالات .

والواقع أنه أخذ يتعرف على أناس آخرين، وتتسع
دائرة معارفه في العاصمة شين، ويجد مكانا
للتسلية والنزهات والمزيد من قضاء الشهوات مع
أصدقاء وجلساء اللهو والخمر والقمار .

وهم في أول الأمر كانوا يقلقون على غيبته ،
ويسألون أقربائهم الذين يعملون في العاصمة عنه
ومع الوقت وبحكم العادة قلّ سؤلهم وتتبعهم
لحال ابنهم . وبينما الوالدان يخططان لمستقبل
وأحلام العائلة بعد تخرج شريف كما ذكرنا سابقا
من الكلية العسكرية قسم الهندسة ،وأصبح

ضابطا بنجمتين على كتفه أو ما يطلق عليه عسكريا ملازم أول ، رن جرس الهاتف في المنزل – الهاتف الذي ركبته الدولة في بيت السيد ياسر بعد التحاق الشاب بالوحدات العسكرية المحاربة فأي ضابط عسكري يركب له جهاز هاتف ليتمكنوا من الاتصال به في أي وقت يحتاجونه فيه ؛ وليكون هو أيضا على اتصال مع أسرته – وكالعادة الجديدة قامت الأم حسنة لترد على الهاتف ، فسمعت صوتا متسائلا : أهذا بيت أبي قسيم ؟

ـ نعم !

ـ أنا صديق قسيم في العمل .. نعمل على نفس خط السير ..فالأخ قسيم تشاجر مع ناس .. وضربوه بسكين وهو في المستشفى

صاحت حسنة فجأة وقالت : ماذا ؟! سكين .. مستشفى !

كان شريف موجودا لحظتئذ في البيت ، ويتابع الاتصال ، فلما صاحت أمه أخذ السماعة منها وقال : من يتحدث ؟ أنا شريف أخو قسيم ما الأمر ؟! .. أهلا بك ..في أي مستشفى .. مستشفى الحياة الغالية شكرا أيها السيد .

وضع السماعة وقال بأسف وربما غيظ : حسبنا الله ونعم الوكيل .. مشاجرة على دور التحميل على الخط .. تطورت لضرب وملاكمة ثم سكاكين .. قسيم ضرب أحد السائقين موسا جاء في يديه ، فضرب الثاني قسيما بسكين جاءت في ذراعه .. سننزل العاصمة يا أبي .. هيا أيتها الأم .. يكفي دموعا .. سنذهب لمستشفى الحياة الغالية .. هون عليك يا أبي .. علينا بتزويجه قريبا ـ إن شاء الله ـ لعل الحال ينصلح ويستقيم .. سنستقل سيارة مباشرة إلى المستشفى .

وخرجوا والأب يسب ويشتم ولده الخائب الذي لم يراع أباه ، وما هو فيه من العجز والشلل ،

وها هو يضيف لحياتهم السكاكين والسواطير ، فازداد الغم والهم في قلب الأب الجريح وسمعوه وهم عند الباب يقول : ليته يموت ونتخلص منه .

فقال شريف : لا يا أبي .. لسوف يعقل ذات يوم .. ادع له بالهداية والرحمة .. قل الله يهديه .. هذه مشاكل ومشاجرات السواقين معروفة ومنتشرة في كل البلاد .. فأغلبهم شلل وعصابات فإذا قل الركاب يتشاجرون من الضجر والملل ، وإذا كثر الركاب تشاجر الركاب على الدور ، ويتدخل السائقون فتحصل المنازعات والمشاجرات ..أصلح الله الناس .. هدأ أعصابك يا أبي ولا تمقت نفسك .. ولن نتأخر عليك .. نطمأن على قسيم ثم نعود بإذن الله تعالى

فقالت حسنة : الله يهديك ويصلحك يا ابني يا قسيم.

ومرت أم قسيم على شقيقة زوجها التي تجاورها في الشارع ، وطلبت منها أن تمر على أبي قسيم وتقدم له العشاء إذا تأخرت عليها، فوعدتها المرأة بفعل ذلك لما علمت بالحادث الجديد لابن أخيها وقالت : متى تهدأ يا قسيم من المشاكل ؟.. الله يهديك يا ابن أخي إلى الخير والحق .

غضب قسيم

مع الغروب دخلوا العاصمة وإلى المستشفى الذي يرقد فيه قسيم وصلوا ، وكان قد تم علاجه ولفت ذراعه المصابة بالشاش الطبي، ووجدوه ممددا على أحد الأسرة بعد المعالجة ، وكان وجهه لا يخلو من الكدمات والجروح ، سمح لهم الشرطي القائم على باب الغرفة بالدخول لغرفة المصاب عندما علم أنهم أمه وأخوه ، ولما هنئوه على السلامة ، قال معاتبا لهم كأنهم هم المقصرون في حقه : ألم أقل لك يا أمي اشترِ لي سيارة خاصة ؟.. لو كان لدي تكسي أجرة خاص .. لما تشاجرت مع هؤلاء الأوغاد والمجرمين وما حدثت تلك المعمعة .

قالت وقد مسحت دموعا سالت على خديها : لك سنوات تشتغل يا ابني ! ولليوم لم تدخر ثمن سيارة .. من أين تريد أن نشتري لك ؟!

نظر لشريف شزرا وقال : السيد استغنى عن أموال الجمعيات .. لقد قلنا لا داعي للعجلة .. قلنا متى يتخرج شريف كنا استغنينا عن إحسان الأغنياء .. كبرتم عن أموال الجمعيات والصدقات .

رد شريف محاولا التهدئة من انفعالاته ومتجاهلا غمز أخيه : هناك من أفقر منا يا قسيم .. ولو وضعت قرشك على قرشي لصار معنا حق سيارة صفراء ..ولكن ..

وقبل أن يقول ما بعد لكن صاح قسيم بغضب : اسمع لا تعيرني أرجوك .. أنت لماذا جئت لزيارتي ؟.. أنا لا أريد زيارتك !

ـ لماذا جئت لزيارتك؟ لماذا ؟! أنا جئت مع أمك يا محترم .. أنا أعرف أنك تبغضني .. وأنك تعتقد أنك تركت المدرسة من أجلي كما تشيع بين الناس .. أنت تركت المدرسة لفشلك في المدرسة .. والحمد لله رب العالمين لم استفد منك قرشا واحدا في المدرسة .. الزم حدودك .

فصرخ قسيم محتدا: اسمع أرجوك .. اخرج .. يا شرطي أخرج هذا الرجل من هنا .

ـ حسنا يا قسيم سأخرج .. أنت يجب أن تؤدب من جديد مع احترامي لأمي ..لا تدع أن الظروف أوصلتك إلى هذا ..أنت أوصلت نفسك إلى ما أنت عليه وفيه .

ـ لا أريد أن أسمع .. يا شرطي .. أخرجه من هنا

فقال الشرطي : يا أخ شريف هو مصاب ومتوتر دعك منه وتعال عندي

ـ حسنا.. إني انتظرك يا أمي في الممر .. هو الذي

دفعني لهذا الكلام العلقم حتى يعرف حده .. وأننا كبرنا لم نعد أطفالا نأخذ مصروفنا من أهلينا .

ـ يا ليتني أموت .

ـ سوف تموت .. كل حي سيموت .

وغادر شريف الغرفة بعد هذا الانفعال المفاجئ ، وأخذ يتمشى في الممر والبهو، وأخذ قسيم يشكو لأمه قساوة قلب شريف عليه ولؤمه وحقده عليه فقالت : أنت مخطئ يا ولدي !.. فشريف يحبك ، وقبل أن نسمع بالحادث من زميل لك كنا نخطط لتزويجك وتسكينك مكاننا وكيف نخرجك مما أنت فيه من أخلاق سيئة لك وللعائلة ؟

ـ لا أحب الوعظ يا أماه !.. لا أريد أن تزوجوني ، أنا أزوج نفسي.. وتابع بعصبية : ءأنا أتزوج من مال شريف ؟!.. لا يمكن أن يحدث هذا ولو مت أعزبا .. مع السلامة يا أمي .. كلكم تكرهونني .. ألم تطمأنوا عليّ ؟!.. مع السلامة.

ـ نحن نكره أخلاقك السيئة .. هل هناك أم تكره ولدها ؟!

ـ نعم ، أنت أيضا تكرهينني أعرف هذا ..

ـ ويلك من الله !.. أنت ابني .. وقد دعوت الله كثيرا أن يبقيك لي.. لقد مات قبلك الكثير .. ولكنك أعوج .. ولا تعرف أنك أعوج أو أنك تتجاهل عوجك .

ـ أنا حر .. سلمي لي على أبي .. وأنا بخير.. ولا تسألوا عني .. أنا وحدي مرتاح في هذه الدنيا اللعينة .

ودعت له بالشفاء والسلامة وغادرته غاضبة ، ولم يحاول دعوتها للاعتذار ، وأخذ شريف يخفف من ضيقها وغضبها ، فقد كان يسمع بعض الكلام كلما يقترب من الباب ، وهو يسمعه يتكلم بصراخ وعصبية أزعجت كل من مر من عندهم ، وقال لأمه : لا تحزني يا أماه ! هو يريد أن يحملنا سبب فشله في هذه الحياة .

وشكر شريف الشرطي الحارس ، وانصرفوا عائدين لمدينة البركة ، ولم يخبروا الأب عن سوء أخلاق ابنه ، وأعلموه أن إصابته متوسطة ، وهي في الذراع ، وسيخرج خلال أيام .

وفي الصباح التالي اتصلت الأم بالمستشفى فأخبروها أنه نائم ، ولا يرغب بالرد على أحد فقالت : لا حول ولا قوة إلا بالله .. الله يصلحك يا قسيم .. ماذا أفعل حتى يتحسن حاله؟! .. صرت خائفة أن أزوجه بنت من بنات الناس فيسود وجوهنا .. رجل لا يعتمد عليه .. فمنذ اختار المهن وترك المدرسة ونحن لم نستفد منه شيئا يذكر ..إنا لله وإنا إليه راجعون .

كان الأخ شريف يتألم من كل كيانه لحال والده وانحباس بدنه بالشلل ؛ وذلك قدر الله ، فعلى المرء أن يقبل قدر الله ويسلم أمره لله ، لقد حاول عندما

مكنه الله دخول القوات العسكرية الوطنية أن يستفيد من خدماتها الطبية والعلاجية في معالجة أبيه؛ ولكن تبين له أن الوقت قد تأخر ، ولا مجال عندهم في إزالة هذا المرض .. فاليوم يريد أن يدخل السعادة لوالديه عن طريق المال وإسكانهم في حي أفضل خدمة وحياة من حييهم هذا ، في بيت واسع جديد ، وكانت أفعال أخيه الأكبر تسبب الحزن والألم للأب والأم وله .. ولا خلاص منها إلا بتوبة قسيم وعودة للأخلاق الفاضلة، وترك الزعرنة والفتونة .. ولكن الأمر كما رأينا زاد وأصبح يستخدم السكين والعصا ، ولما لم يعد يتحمل النقد اضطر لطرد أخيه من حضرته ثم أمه هذا ما كان يؤرق الضابط الصغير شريف تلك الأيام ؛ لذلك تجده حريصا للعودة إلى البيت فور انتهاء دوامه ؛ ليكون مع الأب الحزين والأم المسكينة ، فكان من النادر جدا أن يسهر خارج البيت أو يذهب لزيارة الأصدقاء وزملاء العمل والكلية وحتى أقاربه في الحي ومدينة البركة ؛ وكأنه ما زال على مقاعد المدرسة الثانوية ، وكان من طبيعة العمل العسكري أن يمكث الضابط بعض الليالي والأيام في معسكرات الجيش للمناوبة والطوارئ .. فكان يقوم بواجبه العسكري تلك الليلة من تفقد الغفارات وأحوال الأفراد والطعام المقدم لهم .

ويبدو أن بعض الزملاء الضباط لم يعجبهم وضع وحال زميلهم شريف بعدم السهر والعبث معهم والتمتع بحياة الشباب ، وبينما هم يغادرون معسكرهم مساء يوم أقسم أحد الزملاء أن يستضيفه عنده ، ويقضي ليلة في بيت أسرته ليزداد بهم معرفة ، وحاول الأخ شريف بكل ما يملك من قدرات أن يتملص من هذا القسم ، وأمام إصرار الزميل على هذه الضيافة له ولزميل آخر لهم وافق على هذه الزيارة ، وكان من عادة شريف أن يتصل بوالدته قبل مغادرة المعسكر لتعد لهم طبخة يحبها ويشتهيها هو أو والداه ، فلما وافق على زيارة الزميل فواز عاود الاتصال بأمه مخبرا بأنه لن يأتي الليلة لسبب طارئ ، وهذا معتاد في الحياة العسكرية ، بل ربما يُتصل به في البيت ليلتحق بوحدته العسكرية .

وقام الضابط فواز رامي بضيافتهم وهم في الطريق في أحد المطاعم الفخمة المعروفة له ، ويتكرر مروره عليها فهو زبون معروف لذلك المطعم ، وكان هذا الضابط يملك سيارة جديدة قدمها له والده حينما تخرج ضابطا ، فهو ابن أسرة ثرية بمعنى الكلمة ، فقبل شريف ياسر وعزمي سامح الدعوة والسهرة ، وكلهم أبناء دفعة واحدة ؛ ولكن مهنهم العسكرية مختلفة، وكلها تصب في الهندسة العسكرية .

فتفريعات الهندسة العسكرية هي نفس تفريعات الهندسة المدنية ، هندسة مدنية معمارية ، كيمياء مكانيك ، كهرباء ، وغير ذلك من التخصصات ، وحتى مدة الدراسة نفس مدتها في القطاع المدني خمسة سنوات على الأقل .

وبعد تناولهم الغداء ساقهم فواز إلى إحدى الحدائق العامة الكبيرة للترفه قبل ذهابهم لبيت العائلة ، ثم نزل بهم بعض أسواق المدينة ، واشترى قطعة من الذهب معلنا لهم أن اليوم عيد ميلاد أخته الأصغر منه .. فهي ستكون حفلة وسهرة بهذه المناسبة المهمة لديهم .. فأحس شريف بالضيق والحرج لهذا التطور .. فقد أدرك الغاية من هذه الزيارة .. وكان شريف يسمع عن مثل هذه الحفلات والسهرات ، وكان يرى ذلك من التقليد الأعمى للغرب ، ويراه من الإسراف والتبذير .

وفكر بالانسحاب ثم أدرك أن الأوان قد فات ، فقد دخل الليل وقد وافق على الزيارة وقبل دعوة الغداء والسهرة ، والسفر للبركة يحتاج لساعات فيزعج الأهل بدخوله عليهم بعد نصف الليل، وقد اعتذر لهم عن المجيء ، فسكت على مضض أو كالمغلوب على أمره ، حتى أن زميله عزميا لاحظ عليه الشرود والتوتر فقال : يبدو أن الأخ شريفا لا يحب مثل هذه الحفلات ؟!

تمهل شريف في الرد لحظات ثم قال : هذه أول مرة سأحضر حفلة عيد ميلاد يا أخ عزمي .. نحن أناس بسطاء.

فقال فواز : هي حفلة بسيطة أيضا يا أخ شريف .. أكل وشرب وبعض الموسيقى وقطع الجاتو والكيك .. وتقديم الهدايا الرمزية لهذه المناسبة والسلام .. عادات تعودنا عليها يا أخ شريف تقاليد وبس !!

ـ غفر الله لنا جميعا

فقال فواز : أنت اليوم ضابط يا شريف .. لازم أن تتغير .. وتحتك بالمجتمع وتتطور وتنفتح على الناس أكثر .. لابد من التغيير .. أنت الآن تمتلك المال والرتبة العسكرية والشهادة الهندسية .. لا تبقَ في عقلية الفقر وحي العمال الذي حدثتني عنه مرة ..أنت لا ينقصك مال يا سيدي الملازم .. سأسعى لتحديثك أنا والأخ عزمي .

فقال عزمي : نعم أيها الزميل .. انطواؤك على أحلامك ونفسك لا يسر صديق .. الآن كما قال فواز خرجت من قمم الفقر .. فأنت بحاجة أن تتغير وتتحضر .

فقال شريف متأوها : آه ! على كاهلي مسؤوليات نحو الوالدين ..أبي كما أخبرتم قديما مريض بحاجة لي .. فكم جاهد وتحمل حتى كبرنا ، فهل في لحظة ضعفه أسمح لنفسي بالانطلاق والانفلات ؟..هذا محال .

فقال عزمي : نحن لم نطلب منك التخلي عن والديك .. وهل نحن متخلون عن أبوينا ؟ .. إنما ندعوك لأخذ حظك من الدنيا .. من المرح واللهو والتمتع .. أنا أدرك المعاناة التي تعانيها .. لقد حدثتني عن نفسك أيام الكلية .. وأخوك عليه واجب من المسؤولية .. لا يجب أن يظل خاليا منها .. وأنت وحدك تنفق على والديك .. هذه مسؤولية الجميع جميع الأخوة .

فقال فواز عندما رأى شريفا يبتسم من كلام عزمي ولم يعلق بشـيء : الدنيا تتغير يا شريف أنت الآن ابن القوات المسلحة.. وليس ابن حي العمال الحي المأساة كما سمعنا منك .

فقال شريف : أكيد الدنيا تتغير .. ولكن يجب أن أتغير للأفضل والأحسن .. وهل إذا جلست في ملهى أو حانة أتغير ؟! ففي حي العمال حانة خمر هل إذا راقصت صبية تغيرت ؟

فقال فواز : ليس هذا بالضبط قصدنا .. ولكن لابد من المرح والحب والسفر وسهرة هنا وسهرة هناك .. ليست الحياة شغل شغل .. ساعة وساعة

ـ أحيانا أذهب لنادي العسكر في مدينة البركة .

فقال عزمي: هذا خبر جيد .. تفاعل مع الناس مع الضباط .. فالنوادي تعمل حفلات ونشاطات.. وتحتفي بالمناسبات الوطنية والدينية .. كم مرة ذهبت إليها ؟

فضحك شريف وقال : الحقيقة مرتان فقط ..أنا أقضي أكثر وقتي مع والدي المقعد أيها الأخوة تعودنا على ذلك منذ ابتلاه الله ﷻ بالشلل وأنا على هذا المنوال .

فقال فواز : ولماذا ذهبت للنادي إذن ؟ لابد أن أحدهم كلفك برسالة .. وذهبت إلى هناك من أجل ذلك .

تبسم شريف وقال : أحسنت .. أرجو أن أتغير للأفضل إن شاء الله .

فقال فواز : إنك خائف .. اعتبر هذه السهرة أول مرة وآخر مرة .

فقال عزمي : عليك أن لا تنزعج من مثل هذه اللقاءات يا شريف .. تلتقي بكثير من كبار الضباط في مثل هذه السهرات ..وليس كل سهراتنا رقص وموسيقى .

قال شريف : أنا فعلا مضطرب .. هذه أول مرة لا أكون في معسكري وأنام خارج البيت .. أحس كأنني ارتكب إثما كبيرا .

فقال عزمي : هون عليك .. مرتان أو ثلاث مرات ولسوف ترتاح نفسيا .. ولا تقلق على أمك وأبيك ..وهدئ أعصابك .. ولسوف تسر من سهراتنا وتشكرنا على فعل ذلك أيها الصديق .

عاد شريف للضحك وقال : أسر بالرقص وأعياد الميلاد ؟!.

فقال عزمي :لابد أن تجرب وتخرج من القمم يا رجل ..أنت ضابط ومهندس وغدا ستكون قائد سرية أو كتيبة أو قائد لواء .

مطاردة نسائية

بينما صاحبنا شريف يجلس في مكتبه في الوحدة العسكرية التي عين فيها تكلم معه مأمور السنترال (المقسم) داخل الوحدة قائلا : سيدي .. مكالمة خارجية !

خارجية تعني عندهم من غير وحدات الجيش من المدنيين على اصطلاحاتهم أو رقم مدني ، فردد المهندس : خارجية ! وخطر في باله على الفور أمه فقال لنفسه لعلها أمي !

ثم سمع صوتا نسائيا ، ولم يكن صوت أمه كما ظن ابتداء فقال : نعم .. أهلا وسهلا .. أنا شريف .. أوه الأخت عبير يا مرحبا !! .. فواز لا يعمل في هذا المكتب .. عفوا تريدينني أنا ! وتريدين شكري على حضور الحفلة ، شكرا لك عقبال نجاحك في الجامعة بإذن الله .. تريدين تعريفي على بعض زميلاتك اللواتي أعجبن بي .. كان الوقت ضيقا لتعريفي عليهن ليلة الحفلة شكرا .. أنا حضرت الحفلة صدفة إذا صح التعبير أنا لم أكن مدعوا .. آسف ، اعتذري لهن الوقت ضيق لا يسمح بمزيد من الجلسات .. صدقي أنها أول مرة أحضر حفلة ميلاد وموسيقى أنا إنسان بسيط .. ومتخرج من الكلية منذ شهور .. أشكرك مع السلامة .

وضع السماعة ومسح العرق المتصبب على جبينه وقال ضاحكا ضحكة

صغيرة : تريد أن أتعرف على صويحباتها!! ..وتريد أن تتعرف عليّ أكثر .. يا للعجب ! بنات هؤلاء الناس جريئات على مخاطبة الرجال .. يا لها من فتنة ! وماذا نستفيد من هذه المعرفة ؟.. أأتزوج واحدة منهنّ ؟! .. على شاكلتهن .. لقد كنت في انبهار من تبرجهن وسفورهن تلك الليلة .. ظننت نفسي في ملهى ليلي كما نرى في أفلام التلفاز الأجنبية ..لا يمكن هذا .. أنا أتزوج واحدة منهن ..أنا سأتزوج ـ بإذن الله ـ فتاة مثل أمي امرأة صابرة حبيبتي يا أمي ! كم أحبك هل سألقى أنثى مثلك صابرة راضية بقدرها؟! .. زوج حيث لا زوج .. مسكين يا أبي ! البلاء شديد ولكنّ الثواب عظيم ..يخيل لي لو أنني تزوجت فتاة من صويحبات عبير اللواتي شاهدتهن تلك الليلة ، وحصل لي حادث خطير لهجرتني بسرعة الريح .. هل يقبلن أن يحيين حياة هادئة لا سهرات فيها ولا لهو ولا رجل ؟! اللهم إني أسألك الزوجة الصالحة يا رب يا الله ! حفلات عيد ميلاد . عيد شيطان .. ناس معهم فلوس لا يعلمون أين ينفقونها ؟! يا رب سترك عليّ وعلى والديّ .



وتكرر الاتصال ثانية وثالثة حتى انزعج الشاب انزعاجا شديدا وخشي على سمعته وشرفه ، فطلب من عامل الاتصال أن يعتذر لكل امرأة تتصل به إلا أمه ، وغادر المكتب متوترا ومتجها إلى مسجد المعسكر لصلاة الظهر وهو يقول : أيعلم فواز بهذه المكالمات ؟! هل أعلمه بها وأطلب منه أن يكف أخته عن هذا العبث ؟ ولكن عزمي يقول أتهرب من السعادة والثروة لا تدع الفرصة تفوتك ؟ أي فرصة ؟! .. وهل أنا على قد هؤلاء الناس ؟ يقول عزمي تقضي عشرات السنين في الخدمة ، ولا يجتمع لك ما عند والد فواز من مال .. سأصبح مليونيرا على رأيه .. وماذا سأفعل بالمليونير ؟ .. أين الكرامة والشرف ؟ أنا كنت استعر من إحسان الجمعيات .. وكنت أدعو الله ليل نهار أن أكبر وأتخلص من ذل الصدقة .. مع أنه مال أباحه الله ﷻ للفقراء والضعفاء .. اللهم غناك .. وسترك يا الله.. وهل من الضـروري إذا أصبح الإنسان ضابطا أو مهندسا أن يخلع تقاليده وعاداته الحسنة ؟!

ودخل الصلاة وهو مهموم الفكر قلق من هذه الاتصالات الشيطانية ، وهو حائر من فتاة لا تجد ترحيبا ومع ذلك تعاود الكرة .

وساطة

كان شريف مناوبا في معسكره ذات ليلة ، وكان معه في تلك الوظيفة الليلية المهندس فواز ، وتركا نادي الضباط داخل وحدتهما ليتجولا على العساكر التي تحرس المعسكر ، وأثناء تجوالهما كانا يتسامران ويتناقشان ، وبعد دورتهم التقليدية على العساكر قفلا عائدين لنادي ضباط المعسكر حيث يسهر الضباط ، يشاهدون برامج التلفزيون المحلي ، ويشربون الشاي والقهوة والمرطبات ، ويثرثرون ، وفجأة قال فواز لشريف : يا ملازم شريف اشتكت الأخت عبير منك

تفاجأ شريف بما سمع وهتف : ماذا ؟!

قال : أخبرتني أنك طلبت من مأمور الاتصال أن لا يصلها بك .

قال وهو ما زال مدهوشا : هي قالت لك ذلك ؟!

ـ نعم ، يا شريف .. يا صديقي عليك ألا تأخذ مثل هذه الاتصالات بحساسية ورعب .. نحن في مجتمع منفتح .. فمحادثة الشاب والشابة في بيئتنا أمر طبيعي ..لا يقوم على خيالات وحكايات ؛ ولكنك لم تعتد على مثل ذلك فتخاف وتقلق .. لن يكون هناك قصص حب وغير ذلك إذا تحدثت مع أختي أو قريبتي .. أنت لو درست في جامعة مدنية لشاهدت مثل هذه الأمور في حياة الجامعة ..

تصاحب اليوم فلانة وغدا علانة .. فعليك أن تتعامل مع عبير أو صاحباتها كما تتعامل مع الزملاء الذكور .. تتعاون مع هذا وتكره هذا .. الفتاة وزميلاتها أعجبن بك تلك الليلة فيرغبن بالتعرف عليك أكثر ..والحديث أكثر .. فهن أصبحن ينظرن إليك أنك صديق العائلة .. لن يكون هناك زواج وعلاقات خاصة .. صداقة بريئة يا ملازم شريف .

كان شريف يسمع هذا وهو مذهول للأفكار المطروحة ، فلما سكت فواز وطال صمته قال : هذه المخالطة طبيعية في بيئتكم ؟!

قال : طبعا ، هذه مع الوقت أصبحت تقاليد وممارسات عادية لا تشكل أي ضغط نفسي علينا فأنا أدعوك أن لا تعقد الأمور .. وخذ راحتك في الحديث مع عبير وصاحبات عبير .. المجتمعات تتغير يا شريف ..ولما تصبح من كبار الضباط ستأخذ زوجتك لمشاركة الضباط في حفلاتهم وسهراتهم .. وهذا سيسلم على زوجتك ..وهذا سوف يمازح زوجتك وإلا أصبحت منبوذا وشاذا .. فالأخت عبير تريد أن تخاطبك وتشاركك همومك وتناقش معها مشكلاتها .. لتخرجك مما أنت فيه من السذاجة والحياء الشديد .

قال شريف وهو ما زال مأخوذا بما سمع : أسمع كلاما خطيرا يا فواز .. أختك كما علمت منك أنها في الجامعة .. ألها أصدقاء في الجامعة ؟!

ضحك فواز ورد : هذا شيء طبيعي أن يكون لها أصدقاء من الجنسين .. كما لها أصدقاء من الجنسين في نادي العائلة والحي ..ولليوم ما سمعت أنها علقت بشاب ورغب بزواجها .. أنا أعجب بفتاة من فتيات المعارف وتعجب فيّ .. ولكن ما زلت كما أنا ، ولم أحيا قصة عاطفية ساخنة .. والزواج لم أفكر فيه بعد .. نحن أشراف يا زميلي الفاضل .. لكننا انتهينا من عقدة الاختلاط والخوف من العلاقات الخاصة بين الجنسين .

- أي صرتم مثل الأجانب ؟!

- نعم ، فأحيانا نشترك في حفلة شراب .. شراب خمر .. لكن لا نبالغ بتعاطي الخمر حتى السكر البالغ .

- هكذا مجتمعكم !

- نعم ، فلا تتردد في لقاء عبير والحديث معها .. وتقول إني خجلان من الزميل فواز .. نحن غير معقدين .. وإنها إذا اتصلت بك فتحدث معها وناقشها فيما تستشيرك به .. ولا يقع في بالك أنها مغرمة بك وتلف حولك .. فالفتيان حولها كثر .. تذكر هذا .. فهي راغبة في مساعدتك وإخراجك كما قلت لك أكثر من مرة من انطوائك وتقوقعك في عملك وخوفك من النساء كما بدأت لها تلك

الليلة حتى لا تعرق وتتوتر إذا وقفت امرأة للحديث معك .. قد بدأت لنا طفلا صغيرا ليلة عيد ميلادها بخجلك واحمرار وجهك وارتباكك الشديد .. فاستأذنتني لتجعل منك رجل مجتمع من الطراز الأول .. لذلك دعوتك لعيد ميلادها .. حدثتها عنك وعن انكماشك .. فطلبت مني أن أدعوك وأعرفك بها لتغيرك .

كان شريف يسمع حديث فواز وهو في غاية الاستغراب والتعجب ، فتاة تطلب من أخيها أن يعرفها عليه لتساعده من الخروج من عالمه إلى عالمها .. اضطرب عقل صاحبنا لهذه المبادئ والأفكار .. وعد فعل هذه الفتاة جرأة في غير محلها.. تطلب من أخيها أن يعرفها على شاب غريب ليتخذها صديقة .. فهم عندما تهوي فتاة للرذيلة يستسيغون الأمر ، ويعتبرون الأمر خاصا بالفتاة وحدها لا يضير أهلها .. أما نحن تنقلب عندنا الدنيا والعشيرة والعائلة لسقوط فتاة في مهاوي الفجور ويصيبنا الخزي أبد الدهر .. الناس عجايب ! أيُّهم الصحيح يا دنيا ؟!

ولم يكد شريف يستوعب حديث فواز حتى فاتحه عزمي سامح قريب فواز بالموضوع نفسه ، وتوسطه بينه وبين عبير ، وأنه يسيء إليها برفضه للحوار معها ، وأنها تُكن له من الود والاحترام الكثير ، وأعاد على مسمعه أن مثل هذه العلاقات والتصرفات بريئة من كل سوء وفساد ، وأن وسطهم الاجتماعي يتقبل مثل هذه الاجتماعات واللقاءات بأريحية كاملة ، وأن هذا الانفتاح بين الجنسين يزيل الكثير من العقد النفسية والاجتماعية والتوترات المختلفة .

فقال له شريف : رغم ما كنت أسمع في حيينا وبيئتنا عن مشاكل وعلاقات غرامية بين فتيان الحي وفتياته .. فإني أعجب مما أسمع منك ومن الملازم فواز .

ـ نحن وصلت إلينا الحضارة قبلكم .. هل تظن أننا لا نغار على أخواتنا ؟!.. صدق أننا عندنا غيرة ربما أكثر من رجال حييكم ..

ـ أنا لم أتحدث عن الغيرة .. فالغيرة نسبية وتتفاوت من مجتمع لآخر.. هذا لا يخفى عليّ .. أنا أعلم وأقرأ أن فرنسيا قد يقتل ويغتال عشيقته إذا أحبت غيره وخانته .. لكل أمة طباعها وطقوسها .. ولكننا مسلمون !

ـ ونحن مسلمون ولكنك تقول في نفسك هل هؤلاء حقا مسلمون ؟!

ـ أكيد أنتم مسلمون .. ولكني أرى أن إسلامكم غير إسلامنا أو كما قلت سبقتمونا في التطور والحداثة .. يا أخ عزمي اعلم أنني عشت حياة صعبة مؤلمة.. أنتم لم تعيشوا المأساة التي عشنا بعض فصولها .. أنا لما تعرض أبي لسقوط حجر

عليه في ورشة أو بناية ..كنت يومذاك في الصف السادس .. كنا في فقر مدقع .. كنا نبيت أحيانا كثيرة من غير عشاء .. عندما أصبح الوالد عاجزا يركب عجلة لم يكن يملك سوى عشرات من الدنانير .. لم يكن دخله وعمله يسمح له بالادخار .. والعلاج على حسابنا .. أو قل على حساب الجمعيات وأهل الخير .. الأقارب مثلنا لا يملكون الكثير وكلٌ عنده أحواله .. أنت لم تعرف الجوع والعري .. لم تلبس ثياب الصدقة والإحسان .. البنطال يبقى على جلدك سنة أو أكثر لا تستطيع أن تستغني عنه من الحاجة والفقر.. واقع مؤلم الذي عشته يا أخي .. وعليّ الآن عبء تغييره .. آه لو تعلم كم فرحت عندما قبلت أوراقي في الجيش .. كأني عانقت السماء ..أعدتني للوراء يا عزمي ..كيف يكون شعور المرء عندما يذهب للمدرسة بالثياب المستعملة والبالية ؟! .. ولكن الحاجة تلزمك أن تصمت .. لا أدري كيف يشعر المرء عندما تذهب الأم للعمل عند العائلات الغنية لتوفير الدواء للوالد المصاب؟! .. أقرانك في المدرسة يأكلون الساندويتشات الطازجة .. وأنت تنظر إليهم من بعيد .. وإذا لمحك أحدهم أشفق عليك وعرض عليك طعامه ، أي دم يبقى في وجه الإنسان؟! .. وأنت تتظاهر بالشبع مدعيا أنك أفطرت فطورا تتحدث عنه الأمعاء، وقد تكون بت طاويا على جوع .. ولا أقول لك إنني وحدي من كان يعاني مثل هذه الآلام .. فغيري كثير مر بمثل ظروفي .. ولكن أتصور أن أكثرهم ينسى مثل هذه الصور .. لم تر الحزن والبؤس في وجوهنا عندما يأتي العيد والأعياد.. الكل فرح ومبتهج إلا نحن في ضيق وألم .. وعندما نعود للمدرسة ويتحدث الأغنياء عن الرحلات والملابس وقصات الشعر وأفلام السينما التي تمتعوا بمشاهدتها وحدائق الحيوان التي زاروها .. والملاهي التي لعبوا فيها .. كم من الألم يحدث لنا! هذه حالنا يا سيدي.. أتريد مني أن أصاحب البنات وأسهر مع البنات.. وأسافر معهن؟! .. ولدنا فقراء فعرفنا قيمة القرش والدرهم ..هؤلاء الفقراء عندما يذهب المعيل الوحيد لهم بموت أو مرض يضطرون لأكل وجبة واحدة دسمة في الشهر أو في عيد الأضحى .. ويرتدون الثياب العتيقة .. وبعض الأقران يدرسون في مدارس أهلية يذهبون في الحافلة ويعودون بها .

ـ عقدت الأمور يا شريف .. فهذه الأحوال يجب أن تدفعك لتغيير نمط حياتك .. وتتطلع إلى الغنى بعين جدية .. حتى لا يكرر أولادك مأساتك ..

ـ إنها ترسبات مريرة !.. وهي قد تكون دافعة للخروج من هذا الألم والجرح .. ونحتاج لسنين وسنين وليس ساعات وساعات .. يا عزمي كم

كنا نصاب بالقلق والخوف عندما يتأخر المبلغ البسيط الذي تقدمه لنا الجمعيات !.. الدواء.. مصـروف الشهر ..الحمد لله .. الحمد لله .. الحسرات لا تذهب من النفس .. عندما تنقل الوالد المشلول للمستشفى .. وأنت لا مال عندك مع أنه مبلغ بسيط تأخذه تلك المستشفيات التابعة للحكومة والدولة .. ولكنه كبير لدى المعدوم تستلف من هذا أو ذاك ..كم فرحت وسعدت عندما أخرجت بطاقة العلاج الطبي من القوات المسلحة ! وحملنا الوالد الصابر للمستشفى العسكري ، ولكن صدمنا بعد الكشف عليه أخبرونا أن الوقت قد فات وأن العلاج قد تأخر .. ذهب الأمل والفرح .. لو تم علاجه في مستشفيات وعناية خاصة قبل اليوم ربما تخلص من المشي على عجلة .. أرأيت يا صديقي مأساة الفقير في بلادنا ؟! .. وليت المأساة انتهت هنا يا أخ عزمي ..

ـ أهناك مأساة أخرى ؟!

ـ لي أخ أكبر مني بسنة ، كان ضعيفا في المدرسة ، يكره المدرسة والتعليم .. وكان يتكرر رسوبه في الفصول .. ولما حدثت مصيبة أبي أخذ يضغط علينا لترك المدرسة ويدعي أنه سيعمل من أجلنا .. وبعد تردد وصبر سمحنا له بترك المدرسة والعمل في سوق العمل الحر.. شاب صغير تملك بعض القروش ففسد وانحرف وضل الطريق فصار عبئا آخر على الأسرة ولكنه منذ فترة قبل تخرجنا من الكلية تعلم السواقة وهاجر للعاصمة وما زلنا نعاني من مشاكله ومتاعبه ..كلي ألم يا عزمي!

ـ مع احترامي لحكايتك وظروفك .. فهذا لا يمنعك أن تبحث عن حياتك الخاصة.. لماذا تدفع الثمن وحدك ؟

قال : أنا لم أدفع شيئا يستحق المكافأة .. لكن وظيفتي في الجيش ردت الكرامة لي وللأسرة ردت الشرف إلينا.. رفعت من الروح المعنوية لي أنا أولا ثم لأبي وأمي .. كل الناس أو أغلب الناس تعمل عند الناس .. وعمل عن آخر يفرق .. تعمل وأنت عزيز خير من أن تعمل وأنت ذليل أتريد مني أن أترك بيتي وأسرتي وظروفي لأسايركم في سياراتكم ونزهاتكم ؟! .. المال الذي سأنفقه على هذه الأشياء تحتاجه الأسرة .. ألا تحتاج هذه الأشياء لمال؟.. أنت تأخذ من أسرتك وكذلك فواز لا أحد يطالبكم بفلس .. مالك لك .. أما مالي فلي فيه شركاء حتى لو لم يطلبوا بأفواههم ..

ـ الحمد لله إن الكثير من الناس لا تفكر مثلك وإلا أغلقت الملاهي والمقاهي والخمارات و... و

ـ هذه حالتي .. فأخي قسيم الذي حدثتك عنه قبل قليل لم يحسبها هكذا .. ولم يفد الأسرة بقرش ..

بل كان يسرق أحيانا أموال المساعدات التي كانت تقدم لنا .. وعمل سائقا ولم يفعل شيئا للأسرة .. ما زال عبئا علينا .. وإن خف هذا بعد رحيله للعاصمة شين ..الناس تتفاوت في الأمور المعنوية .. ها أنتم كما قلت لي تسمحون لبناتكم بمصاحبة الشباب والمعارف في الجامعة أو الحي ولا يثير ذلك فيكم الغيرة والحمية .. نحن في بعض مناطقنا نسمع عن جرائم العرض .. هذا قتل أخته أو أمه

ـ نتعجب عندما نسمع عن إزهاق روح بريئة لأمر تافه

ـ في نظركم .. أما عندهم فهو كرامة وشرف ورفع عار .. لأن الموضوع يؤثر على الجميع .. العائلة كلها .. أما في بيئتكم فيكون التأثير على الفتاة وحدها .. فلا يخجل أحدكم عندما يقابل أناسا تعرف حكايته .. أما في أحيائنا .. فالأمر قاس وعار وسبة..

ـ رغم أننا أبناء قطر واحد .. نظرتنا للأمور مختلفة .. نحن أنا وفواز رأينا أنك بحاجة للتمدن والتحدث وترك الانطواء والحزن .. والعيش بحرية وانفتاح ومرح

ـ شعور نبيل أشكركم عليه .. كيف أنسى آلام أمي وهي تعمل في بيوت الموسرين في مدينة البركة من أجل إطعامنا من أجل أن توسع علينا بمزيد من الرفاهية والطعام ؟ .. تنظف بيوتهم ومراحيضهم ومطابخهم .. وتغسل مواعينهم وملابسهم ..وقد يتلف هؤلاء من الطعام الكثير ويلقى في حاويات ومزابل البلديات .. وقد يذهب بعضه للحيوانات .. أخي عزمي فلنبق أصدقاء وزملاء ودعنا من النساء .

ـ أنا أشعر معك في ظلم المجتمع لكم .. وأنه لم يقدم لكم العون الكافي .. ولكن هذا طبع الحياة والفقر ليس عيبا ؛ ولكن الغنى أجمل وأحسن في رأيي .. والغني قد يصاب ببلية لا ينتفع مما لديه من مال .. فيمنع من طعام معين من سفر ..هذه حياة وهبها الله لكل الخلق .. فعليك أن تمنح نفسك فرصة التمتع والتكيف مع حياتك الجديدة .. لا تنظر للوراء والفقراء فلن تخلو الدنيا منهم .. أنت ضابط مهندس دخلك ممتاز .. ولا تظن أن ملكنا للمال الكثير يعني أننا سعداء ولا مشاكل .. لا يخلو أحد من منغصات ومنكدات ومنازعات .. لكننا نحب الحياة ونسهر ونسكر ونلهو ونحب ونكره .. يجب أن نعيش ونرمي الماضي وراء ظهورنا

وصمت لحظات ثم عاد للكلام فقال : قد يكون صحيح أنني غني بثروة أبي وأمي .. أنا أعترف أن والدي كان يملك أربعة مصانع في البلاد ، ولكنه تعلق بالميسر ولعب القمار فخسرها كلها ثم انتحر في النهاية .. ولولا أموال أمي التي لم يستطع

الوصول إليها لبتنا على الطوى كما يقال هكذا الحياة يا شريف .. وأنا وصلت الكلية العسكرية بواسطة والد فواز فبينه وبين أمي بعض القرابة .. ولكني أعيش حياتي وأصاحب الفتيات .. ولا أخشاهنّ .. وأتعامل معهنّ كما أتعامل معك ومع فواز .. والأخت عبير سمعت منا طرفا من حياتك البائسة في نظرنا.. فألحت على فواز أن يعرفك بها لتقوم بتغييرك .. وتنقلك من مجتمع الكآبة إلى مجتمع الفرح والسعادة .

قال شريف معقبا: كلام عجيب !.. النساء فتنة .. وأنا أسمع الكثير من المآسي بسببهن .. وشارعنا لا يخلو من الفتيات .. ولا يخلو من المنحرفات والساقطات .. وكثيرا ما نسمع عن قصة زواج غريبة .. وحكاية عشق غريبة ..ولكني وضعت لنفسي هدفا .. تعويض والديّ عما أصابهما بسبب فقرنا .. والبعد عن النساء وقضاياهن .. ليس حقدا على جنس النساء .. وإنني لن أتزوج في يوم ما .. لا ..لا .. سوف أتزوج بهدوء بدون صخب.. فأنا أحب الحياة الجادة والهادئة.

ـ لا غنى لنا عن صحبة النساء والسمر معهن والتمتع بالنظر لعيونهن وخدودهن وشعورهن ومحاسنهن بشكل عام .. والسرور بمغامراتهن .

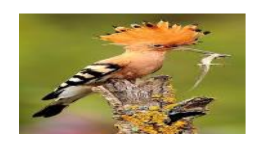
ـ هذا عندنا حرام .

ـ وعندنا حلال !

ـ أخلاقنا لا تسمح بذلك .. فاعتذر لي للأخت عبير.. وحدثها ببعض ما سمعت مني عن نفسي وأسرتي ..وليس فعلي هذا عن بخل .. فأنا لا أسمح لنفسي بصرف قرش في غير محله الذي أراه صوابا يا صاحبي .. أمي وأبي أبدى فيه .. أنت لو ترى البيت الذي اسكنه الآن لعذرتني .. بل تعرفه لقد دعوتكم مرة إليه أثناء الكلية .

ـ ألم ترحلوا بعد ؟!.. سمعت مرة أنك سترحل عن الحي .

ـ نعم ، سوف نرحل بإذن الله .. قريبا سأشتري قطعة أرض للبناء عليها ... تمت الحلقة ١



دعاء أعرابي

وقف أعرابي في بعض المواسم فقال: اللهم إن لك عليّ حقوقا فتصدّق بها علي، و للناس تبعات فتحمّلها عنّي، و قد أوجبَت لكلّ ضيفٍ قِرىً ، و أنا ضيفُك ، فاجعل قِرايَ في هذه الليلةِ الجنّة!

دعـــــاء

اللهم إنا نسألك بأنك أنت الله الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد أن تنظر إلينا في ساعتنا هذه فتنزل علينا رحمة من عندك وحنانا من لدنك تغننا بها عن رحمة وحنان من سواك.





مشاهد تربوية
منشورات المكتبة الخاصة
كلام المكاتب
جمال شاهين
منشورات المكتبة الخاصة
حديقة الازهار
مواقف ارشادية
نبوية
الزمردة
حجر القمر
الجواهر العشر
غربتي وابنتي
قصص المصباح المضيء
وهج الحرب
جمال شاهين
موقعة الثلاثة والعشرين
الفوارس
حضرم بن سلام
رُمان
القصر المهجور
قريشا . . .
هو أنت لاجئ
عبد الله البحري
مملكة مالوتياوالملك بربار
الأميرة نهر الأحلام
قطبة بن سنان
الأمير جفر
التحقيق الجنائي والجريمة
صورة الأم
بصمة وراثية
رجل اسمه سنار
حسان والطير الذهبي
زهلول في أرض الجآن
وصية جديدة
مغامرة النادي
مصرع المدير
شارع البحيرة الخامسة
ليموت الماضي